

العدد ٦٣٦ — الاثنين ٢ يوليو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١ ، ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 626

Lundi - 2 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٦ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ رجب سنة ١٣٦٤ — ٢ يوليو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

نهضة العرب مشكلة ؟ !

نعم ، كذلك قال السياسي الخطير ديجول ، وقوله من وجهة نظره سديد معقول ؛ فإن الجنرال يرى على ما يظهر أن العرب دوابٌّ سُخِّروا لنقل الأحمال وجر الأثقال ، أو هم على رأيه الأفضل عبيدٌ خلقوا للخدمة والاستغلال ؛ ومتى عرف الحيوان أو العبد حقه وواجبه ، فقد حطَّم راكبهُ أو قتل صاحبه !

بهذا المنطق الفرنسي وحده تستطيع أن تعقل ما قال هذا الرجل . فإذا أكرهت منطق النـاس ، على تصحيح قوله بالقياس ، فقد حمّلته ما لا يطاق ، وكلفته ما لا يدرك ! وأي عقل غير عقل الجنرال يُسيغ أن فرداً من نوع الإنسان يرى في نهضـة أخيه الإنسان ، مشكلاً تعقد لحله المؤتمرات ، وخطراً تقام لصده المعسكرات ، وسبباً يختصم لأجله العالم بأسره ؟ !

لقد زعموا أن (الانتداب) رسالة الغرب إلى الشرق ، فهو يحيل صحاريه فراديس ، ويجعل أناسيّه ملائكة ؛ فما بالهم إذن يتسعّرون بالغيظ ، ويتنمرون بالعداوة ، لأن العرب قد أدركوا أنهم ناس كسائر الناس ، لهم وطن لايشركون به ، واستقلال لا يساومون عليه ، وسلطان لاينزلون عنه ؟ ! أليس ذلك لأنهم يرمون بنشر مدنيتهم إلى استعباد الجسوم ، وبتعميم ثقافتهم إلى استرقاق الحلوم ، وبفرض انتدابهم إلى امتلاك الأرض ؟ ...

* * *

أندري من أسمج من ذلك العتلّ الغليظ الذي يلقي بجسمه اللحيم الشحيم على صدر الفتاة الرشيقة الرقيقة في ملأ من الناس ، ثم يفغر فاه الأبخر ، ويصيح بملء صوته الأصحل : أحبك ، فلابد أن تحبيني ، وأدعوك ، فلا مناص أن تجيبيني ؟ أسمج منه ذلك الطفيلي الرقيع الذي يقتحم عليك دارك ويقول لك : صادقني لأنني أحب طعامك ، وضيفني لأنني أريد إكرامك ، وعاهدني لأكون سيدك وإمامك ، وأطعني لأقوم في كل أمر مقـامك ؛ فإن أبيت أو تأبيت فالسيف ، حتى تقول أنا المضيف وأنت الضيف !

يا لكثافة الظل ! أبهذه الرقاعة الثقيلة والفضول البغيض يطمعون أن يحملوا العرب في شمال أفريقية ، وفي لبنان وسورية ، على أن يأخذوا (الجنسية) ليعطوا الدين ، ويُمنحوا الثقافة ليُسلبوا العقل ، ويدخلوا في التحالف ليخرجوا من الوطن ؟

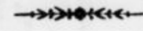
يا لسخافة العقل ! أبهـذه النية المدخولة والكلام المزور يخادعون خمسين مليوناً من العرب تثور في دمائهم أربعة عشر قرناً من التاريخ المجيـد الحافل بالنبوة الهادية ، والخلافة العادلة ، والفتوح المحرِّرة ، والقيام على ملك الله بالعمارة والعدل ، والمحافظة على تراث الفكر بالزيادة والنقل ؟

إن العرب بعد اليوم لن يُخدعوا ؛ وإن أبناء الفاتحين لغير الله لن يخضعوا ؛ وإن (جامعة الدول العربية) لهي الظاهرة الأولى لفورة الدم وثورة التاريخ ؛ فليتدبر ذلك القائمون على إقرار السلم ، والموقعون على ميثاق السلامة !

ابن عبد الملك

فرنسا على حقيقتها

للأستاذ على الجندى



أعرف — كما يعرف غيرى — أن فرنسا دولة لا دينية، ولكنى أعرف كذلك أن فرنسا اللادينية هى التى تلقب بينت الكنيسة البكر، وتزعم لنفسها حماية الكاثوليك فى الشرق من غير أن يطلب منها أحد ذلك، وأعرف أنها تظاهر بعثات التبشير فى كل مكان بمالها ونفوذها العسكرى والسياسى. وأنها تحرق المعابد، وتهدّم المساجد، وتقتل إخواننا المغاربة فى ظل المحاريب، لأنهم يدعون الله بالدعاء المأثور «يالطيف» ليلطف بهم فيما تصبه عليهم هذه الدولة الغاشمة من ألوان العذاب! وأعرف أنها واقفة للاسلام بالمرصاد فى مستعمراتها الشاسعة الواسعة، لتحول دون نشره بقوة القانون وبقوة السلاح، مؤثرة أن يبقى الزنوج همجاً متوحشين على الدخول فى الإسلام! ويبلغ بها التعصب أن تمنع عشرة آلاف من سكان «مدغشقر» من اعتناقه بحجة أنهم لا يفرقون بين الإسلام وغيره من الأديان! بل يبلغ بها التنطع أن تقطع ما بين برابرة المغرب وبين الإسلام من أسباب؛ وتضرب بينهم وبين إخوانهم العرب بالأسداد، فتلغى المحاكم الشرعية، وتغلق المدارس الدينية، وتخرج القضاة والقراء ومشايخ الطرق، وتمنع قراءة القرآن وتعليم اللغة العربية، وتلفّق لهم شريعة جديدة من قوانينهم العرفية، لتسلخهم من الإسلام دفعة واحدة بهذه الطرق الإبليسية!

نعم، أعرف أن فرنسا دولة لادينية كما قلت، ولكنى كنت أرى فى الوقت نفسه هذه الأعمال التى تعيد لنا محاكم التفتيش فى أبشع صورها! فأقف حائراً ذاهلا بين هذه المفارقات المضحكة المبكية! حتى حل لى هذا الطلسم المعقد حجة الإسلام المرحوم السيد رشيد رضا حين قال ذات يوم فى عرض حديث عن فرنسا وأعمالها: إن الفرنسيين واللاتين عامة يتربون فى حجور القساوسة قبل أن يتربوا فى حجرات المدارس، ومن هذا كانت كراهتهم للاسلام والمسلمين وللعرب خاصة! حتى ولو صاروا ملحدين.

وأعرف أيضاً عرفاناً تقليدياً أن شعار فرنسا: الحرية والإخاء والمساواة، وأنها تفتح صدرها لطرائد الاستبداد، وتُسبغ حمايتها على شذّاذ الآفاق من كل جنس ولون، وأنها لا تبخل بمنح جنسيتها (الغالية) لكل من هب ودب — وإن قصدت من ذلك سد النقص المطرد فى عدد سكانها — وأن عاصمتها مرتع خصيب لطلاب المعرفة وطلاب اللذة، وأنها عاصمة الفن وعاصمة اللهو، ومدينة النور ومدينة الظلام، وأن العدالة الاجتماعية بلغت فيها غاية لا مزيد بعدها لمستزيد، فرئيس جمهوريتها (مسيو) وماسح الأحذية (مسيو)، والعامل يتقاضى أجراً على الفراغ كما يتقاضاه على العمل! وأن حرية الأحزاب فيها وتمسكهم بآرائهم قضى ألا يزيد متوسط عمر الوزارات الفرنسية على ستة أشهر منذ قيام الجمهورية الثالثة إلى نشوب هذه الحرب

عرفت هذا جيداً وسمعت إلى جانبه هذه النعوت البراقة التى يخلعها إخواننا المتفرنسون على فرنسا من رقة ولين ودماثة وظرف، حتى ليلذ للأمريكيين أن يُلجئوا الفرنسيين إلى الإساءة ليستمتعوا بعد ذلك باعتذارهم اللطيف بلغتهم الرشيقة! ولكنى كنت أشاهد أن فرنسا سوط عذاب ونقمة على كل بلد يرفرف عليه علمها المثلث الألوان، فهى الدولة التى تخرج الأهلين قسراً من أرضهم الخصبة لتوزعها على المستعمرين من أبنائها، وتعمل جاهدة على فرنستهم فى كل مرافق الحياة بقوة الحديد والنار، وتستنزف أموالهم بما تفرضه من ضرائب باهظة بلغت فى سوريا من(١) ٧٠٪ إلى ٨٠٪ على بعض المواد بعد أن كانت من ١١ إلى ٢٥ فى العهد العثمانى، وبما تنشئه من الوظائف ذوات المرتبات الضخمة للفرنسيين وصنائعهم وجواسيسهم، حتى ارتفعت ميزانية النفقات فى سوريا من خمسة ملايين ليرة سورية فى آخر العهد التركى إلى ٣٦ مليون ليرة، وارتفع عدد الموظفين من ألف موظف منهم خمسون تركياً يتناولون مرتبات ضئيلة إلى ١٨٢٢٣ موظفاً منهم ١٥٠٠ من الفرنسيين بين مدنى وعسكرى يتناولون أضخم المرتبات عدا

(١) هذا الاحصاء مأخوذ من كتاب الثورة العربية للأستاذ أمين سعيد

الامتيازات التى تفوق الحصر، هذا إلى ٧٥٠٠٠ ليرة تدفع سنوياً للجيش الفرنسى ! أى لغربان السنغال جزاء تنكيلهم بها !

وأشاهد أيضاً أن فرنسا هى الدولة المتخصصة فى تدمير القرى الآمنة ودك المدن الأثرية، وإحراق الزروع، وتسميم الماشية، وموارد المياه، وانتهاك حرمات المنازل ونهب ما فيها، وتقتيل الشيوخ والنساء والأطفال، وإعدام الأحرار بالألوف، ونفى زعماء المجاهدين إلى جزيرة الشيطان، والإمعان فى إذلال وطنية الشعوب وخنق روحها، حتى كان فى تونس ناد — لعله لا يزال قائماً — كتب على واجهته « ممنوع دخول العرب والكلاب » !

كنت أرى وأسمع فأقف مضطرباً مشدوهاً بين هذه المتناقضات الفرنسية حتى كشف لى عن السر السيد الحسن بوعياد من أحرار مراكش ومجاهديها فى أعمال زيارته للقاهرة منذ سنوات قال — وهو يقص علينا طرفاً من أعمال فرنسا فى مراكش — إن الفرنسيين فى بلادهم غيرهم فى بلادنا، لقد قابلت مدير البريد فى (مرسيليا) لبعض الشئون، فبهرنى برقته وسلاسة حاشيته، فلو أن الفرنسيين فى مراكش كانوا من هذا الطراز المهذب الوديع لتشبثنا ببقائهم إذا أرادوا الخروج

من هذا الوقت عرفت أن الفرنسى ذو طبيعتين، فهو عذب دمث كيّس فى فرنسا، وفظ غليظ عتل فى كل بلد يُنكب بسيطرته عليه ولو كان فى أوربا نفسها ! فسياسة العسف التى سلكتها فرنسا إزاء الألمان عقب الحرب الماضية وتشددها فى تقاضى التعويضات وتشجيعها زنوج السنغال على الاختلاط بالفتيات الألمانيات، وعجرفة النمر الفرنسى « كليمنصو » والنقطة المربعة «بوانكاريه» وخلفاؤهم من الغلاة أمثال « تردبو » و « برتو » القائلين : بأن المغلوب يظل مغلوباً أبداً، وتمسكهم بمبدأ السلامة الإجماعية، وإصرارهم على نصوص معاهدات كان يصفها الساسة دائماً « بأنها عُجّة مصنوعة من بيض فاسد » ثم عدم مسايرتهم للسياسة الإنجليزية فى تشجيع جمهورية « فيمار » الألمانية الناشئة، كل أولئك من أقوى الأسباب فى إنبات هذا النبات الشيطانى المسمى « النازية » والتمهيد لقيام الطاغية « هتلر » وما استتبع ذلك من وقوع المأساة العالمية التى خربت البلاد وأفنت العباد !

هذه هى فرنسا فى صورتها الأصيلة : حرة ومستبدة، لينة وقاسية، كيّسة ومتغطرسة، متمدينة ومتوحشة ! ولكن حذار فهذه الجوانب الزاهية التى تلبس غلالة إنسانية فى الظاهر، فاكهة محرمة على غير الفرنسيين ! وهى بضاعة لم تصدر قط — ولن تصدر — من « مرسيليا » و « بردو » و « الهافر » إلى الخارج!

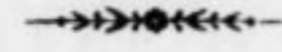
فلا يعجبن الأستاذ سيد قطب من قول مجادله « إنك لم تعش فى فرنسا » إلى آخر ما قال، فلهذا « البارزيانى » بعض العذر، لأنه كان يتكلم وخياله عالق بضفاف السين وغابة بولونيا وعالم الأزياء !

ولو أنه رنا ببصره إلى فاس والجزائر وتونس العانيات، وإلى دمشق وحمص وحماه الداميات، لتورع أن ينطق بهذا الهذر والهذيان !

على الجندى

طبيعى لا طباعى ولا طبعى

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى



لما بدأ العربيون منذ أكثر من ألف سنة يؤلفون وينقلون علوم الأمم واحتاجوا إلى النسبة إلى الطبيعة — قالوا : (الطبيعى) وقد شذ هذا النسب كما شذ النسب إلى السليقة[1] . ولم يخطئ القوم فى نسبتهم هذه أحد . وجاء (الطبيعى) فى كلام الأديب واللغوى كما جاء فى حديث المتكلم والفيلسوف . وإذا نسب أبو حيان فى (المقابسات) إلى (الطباع) كما ذكر العالم الباحث الأديب الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى — فما أكثر نسبته إلى الطبيعة ، فى (مقابساته) فى ص ٣٣٣ : « فإنه ليس من معلول طبيعى ولا صناعى تنقطع عنه علته إلا فسد وباد » وفى المناظرة بين السيرافى والقنائى التى دبجتها يراعته وبراعته : « فكيف يجوز أن يكون ها هنا شىء يرتفع به الاختلاف الطبيعى والتفاوت الأصلى » « وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعى والمعنى عقلى » .

فالنسبة إلى الطبيعة هى النسبة المتقبلة المستجادة . وكافيك أن نابغة العرب واللغة والأدب أبو العلاء يقول فى إحدى رسائله[2] : « ولا يقل سيدى أدام الله عزه قد قصرت الشعراء قديمها ومولدها ، وأولها السالف وآخرها ، وفصيحها الطبيعى ومتكلفها ، فإنه لو استعمل ضرورة غير تلك لقبلت حجته ... » وأن اللغوى العظيم ابن سيده[3] يقول فى مقدمة مخصصه : « ... وإن أرادوا تسمية جزء منه أشاروا إلى ذلك الجزء فقالوا : عين أنف فم ونحو ذلك من أجزائه التى تتحلل جملته إليها ، وتتركب عنها . فمتى سمعت اللفظة من هذه كلها علم معناها وصارت له كالسمة المميزة الموسوم ، والرسم المحتاز لما تحته من المرسوم ، وكالحد المميز لما تحته من المحدود ، وإن كانت تلك الإبانة طبيعية وهذه تواضعية غير طبيعية » « فإذ قد بينا ما اللغة أمتواطأ عليها أم موحى بها وملهم إليها فلنقل على حدها لأن الحد طبيعى ... » .

فهذان الأمامان الحجتان ينسبان إلى (الطبيعة) ويقولان (الطبيعى) فمن وجدناه اليوم قد نسب إلى (الطباع) لم نستنكر نسبته ولم نلمه غير أنا نردد هذا المثل : « امرأ وما اختار ... » ومن آلم آذاننا وعيوننا ب (الطبعى) و (البدهى) عوذ بالله ، عوذ بالله ! — وقد استمرت العربية تقول : (الطبيعى والبديهى[1]) ألف حول غلطناه ورأيناه كمن يقول (السلقى) فى النسبة إلى (السليقة) .

وما اختار الأئمة الذى اختاروه وآثروا شاذاً على مطرد أو منقاس عن جهل أو غفلة ، ولكن هو ذوقهم العالى الذائق ، وحسهم الدقيق اليقظ ، قادهم إلى التى هى أحسن والتى هى أقوم . وفى (استحوذ — فى الكتاب — واستحاذ) حجة الشاذ .

وبعد فلهذه (الطباع) التى هاجها بعد السكون وبعد طول الزمن العلى بخلقه وبعلمه وبفضله الأستاذ عبد المتعال قصة طويلة . وإنها لحقيقة بالرواية فى (الرسالة) وهذه قصتها مختصرة :

أبو على الفارسى يقول : الطبع مصدر ثم كثر فسمى به الطباع .

وأبو القاسم الزجاجى يقول : الطباع واحد مذكر كالنحاس والنجار .

وابن الأثير صاحب النهاية يقول : هو اسم مؤنث على فعال نحو مهاد ومثال .

---

(١) فى المخصص : النسب إلى السليقة سليقى وهو مما شذ فثبت فيه حرف اللين الزائد .

(٢) فى رسائله إلى أبى الحسين أحمد بن عثمان النكتى البصرى ص ١٢٣

(٣) بفتح الدال وبعدها هاء ساكنة .

(١) فى (الكليات) : « البديهى أخص من الضرورى لأن البديهى ما لا يتوقف حصوله على نظر وكسب .. والأوليات هى البديهيات بعينها ... » وفى (التعريفات) : « البديهى هو الذى لا يتوقف حصوله على نظر وكسب » وفى (اليتيمة) : « على بن محمد البديهى . سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول وقد جرى ذكره بين يديه أنه كان لا يرجع من البديهة التى انتسب إليها وتلقب بها إلا إلى لفظ الدعوى دون حقيقة المعنى وفى ذلك يقول له الصاحب :

تقول الشعر فى خمسين عاما   فلم لقبت نفسك بالبديهى

قلت : ولو لم يستصوب أبو بكر هذه النسبة لقال : ولقبه خطأ فالنسبة إلى فعيلة فعلى وأبو بكر هو ما هو !

وابن سيدَهْ فى (مخصصه) يقول : طباع الإنسان يذكر ويؤنث ، والتأنيث فيه أكثر[1] ، وهو واحد مثل النجار إلا أن النجار مذكر .

وأبو حاتم — كما ذكر المخصص — يقول : الطباع مذكر لا غير إلا أن تُتَوهم الطبيعة .

والأزهرى صاحب التهذيب يقول — كما نقل اللسان والتاج — يجمع طبع الإنسان طباعاً .

والأزهرى أو غيره يقول — كما نقل اللسان والتاج — : الطباع واحد طباع الإنسان على فعال .

قلت : فهو عنده كهجان وهجان ودلاص ودلاص .

وصاحب (شفاء الغليل) يقول مورداً نقد ابن قتيبة وتعقب البطليوسى : طباع واحد مذكر كالطبع ومن أنثه ذهب إلى معنى الطبيعة . وقد جوّز أن يكون جمع طبع ككلب وكلاب قال ابن السِّيْد فى شرح أدب الكتاب فليس خطأ كما توهم .

والمجد يقول فى (قاموسه) : الطبع والطبيعة والطباع ككتاب السجية جبل عليها الإنسان ، أو الطباع ككتاب ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التى لا تزايلنا .

وأبو عبد الله محمد بن الطيب[2] يقول فى (شرحه القاموس) ناقداً المجد : ظاهره بل صريحه كالصحاح أن الطباع مفرد كالطبع والطبيعة وبه قال بعض من لا تحقيق عنده تقليداً لمثل المصنف . والمشهور الذى عليه الجمهور أن الطباع جمع طبع .

والزبيدى صاحب التاج يقول رداً على شيخه : قول شيخنا ظاهره الخ ... يُتعجب من غرابته ومخالفته لنقول الأئمة . وليت شعرى من المراد بالجمهور ، هل هم إلا أئمة اللغة ، فهؤلاء كلهم نقلوا فى كتبهم أن الطباع مفرد ، ولا يمنع هذا أن يكون جمعاً للطبع من وجه آخر كما يدل عليه نص الأزهرى . وأرى شيخنا (رحمه الله تعالى) لم يراجع أمهات اللغة فى هذا الموضع . سامحه الله تعالى وعفاعنا وعنه ، وهذا أحد المزالق فى شرحه فتأمل .

وشيخنا أبو العلاء حكمه فى (الطباع) بيّن فى هذين البيتين :

طباع الورى فيها النفاق فأقصم
وحيداً ولا تصحب خليلاً تنافقه
هذى طباع الناس معروفة
تخالطوا العالم أو فارقوا

ووجدت الطباع مجموعة — كما يظهر — فى هذا الحديث العظيم فى هذا « الدرس » فى أدب النفس ، وهو خير ما يختم به هذا البحث ، وهو فى (الطبقات الكبرى) لابن سعد :

قال مُعاذ بن سعيد : كنا عند عطاء بن أبى رباح فحدث رجل بحديث ، فاعترضه رجل ، فغضب عطاء ؛ وقال : ما هذه الأخلاق ؟ ما هذه الطباع ؟ والله إن الرجل ليحدث بالحديث لأنا أعلم به منه ، ولعسى أن يكون سمعه منى ، فأنصت إليه ، وأريه كأنى لم أسمعه قبل ذلك .

هذه حكاية (الطباع) الذى أو التى أو اللواتى جاء الأستاذ عبد المتعال — أدام الله نفعنا بفضله — يَهيجها ويهيجنا من أجلها ...

(١) ويقول فى المحكم كما نقل التاج : الطباع مؤنثة كالطبيعة .

(٢) قال صاحب التاج فى شرحه مقدمة القاموس : ومن أجمع ما كتب عليه (على القاموس) مما سمعت ورأيت شرح شيخنا الامام اللغوى أبى عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسى المتولد بفاس سنة (١١١٠) والمتوفى بالمدينة المنورة سنة (١١٧٠) وهو عمدتى فى هذا الفن ، والمقلد جيدى بحلى تقديره المستحسن . وشرحه هذا عندى فى مجلدين ضخمين.

لزوم ما لا يلزم

متى نُظم وكيف نُظم ورُتب ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام

(بقية ما نشر فى العددين السابقين)

رجحنا أن أبا العلاء شرع ينظم اللزوميات بعد رجوعه من بغداد كما قلت آنفاً . وقد عرفنا أنه ذكر سن الأربعين والخمسين كثيراً ولم يذكر الستين قط على برمه بالحياة وتعجله بالموت — ولو بلغها وهو ينظم اللزوميات لأكثر ذكرها — فساغ أن نقول إن الرجل نظم اللزوميات من سن الأربعين إلى أن نيّف على الخمسين . وأما السبعون فأغلب الظن أنه لم يعن بها نفسه . وإن قدرنا أنه المعنى بها فقطعة أو قطع قليلة نظمت بعدُ وألحقت بهذه المجموعة التى نُظِمت كلها أو جلّها فى السن التى قدرتُ .

ويؤيد هذا أن الحوادث التى ذكرها وقعت كما بينت فى أوائل القرن الخامس ولم تتأخر عن سنة ٤٢٠ ، وكذلك الرجال الذين ذكرهم أحياء كصالح بن مرداس ومحمود بن سبكتكين ماتوا قريباً من هذا التاريخ . وقد رثى الوزير المغربى الذى توفى سنة ٤١٨ . وأشار إلى وفاة الحاكم بأمر الله وقد توفى سنة ٤١١ . فكل حادثة مؤرخة نجدها فى اللزوميات تقع فى العشرين الأولى من القرن الخامس . وكل رجل ذكره الشاعر ذكر الأحياء هلك حول هذا التاريخ : صالح مات سنة ٤٢٠ ، ومحمود مات سنة ٤٢١

وأما مسعود بن محمود الذى تولى سنة ٤٢١ فقد ذكره مرة مع أبيه ولم يعد إلى ذكره . فهو لم ينظم فى أيام مسعود بعد هلاك محمود ، أو لم ينظم إلا نادراً .

وأعزّز بأمر يستأنس به مضموما إلى الأدلة السابقة ، أن أبا العلاء ذكر فى مواضع من الكتاب أنه لم يشب ، وزعم أنه كان جديراً بأن يشيب ، وأنه لا يسره بقاء شعره أسود . يقول :

ويحمل الهم قلبى مُعفياً جسدى
رأسى أحمُّ وظهرى غيرُ مُناطر

***

غرَّك سود الشَّعرات التى فى الوجه منى وأنا الدالف
كأنتنى شيمةَ عصر مضى هيهات منك العُصُر السالف

***

أيا مَفرِق هلاّ ابيضضت على المدى
فما سرّنى أن بتّ أسود حالكا
قبيح بفَود الشيخ تشبيه لَونه بفَود الفتى والله يعلم ذلكا

***

تأخُّرَ الشيبِ عنّى مثلُ مَقدمه
على سواى ووقت الشيب ما حضرا

***

ثم ذكر فى مواضع كثيرة لا تقل عن عشرة ، شيبَ رأسه وبياضَ شعره ، مثل قوله :

عنا على الشَّيب فهل زارنا طيف لأصل الشرخ منتابُ

***

كانت مفارقُ جُون كأنها ريش غِربه
ثم انجلت فعجبنا للقار بُدّل صَربه

***

ألأذهِب فيكمُ أيام شيبى كما أذهبتُ أيام الشباب

***

قد شاب رأسى ومن نَبت الثرى جسدى
فالنبتُ آخر ما يعتو به الزهَر

***

أيها الشيب لا يريبُك من كفّى
مِقصٌ ولا يُواريك خِطْر
إن نهيتَ النفسَ اللجوجَ عن الإثـ
ـم وطابت فإنما أنت عِطر

فقد نظمت اللزوميات وشعره أسود ، ثم استمر النظم حتى

شاب . وهذا يلائم السن التى ذكرتها والتاريخ الذى حددته .

ولو أنه نظمها كلها قبل الأربعين لما ذكر الشيب ، ولما استبطأه .

ولو نظمها كلها بعد الخمسين لما ذكر الفرق الحالك والشعرات السود

ولا يجوز أن يُدَّعى أنه نظم قبل الشيب واستمر ينظم حتى مات ، وسن الشيب متصلة بالموت . فقد دلت الأدلة الأخرى على أنه لم يستمر فى النظم طول عمره .

ويمكن أن يقال : إن كان أبو العلاء فرغ من نظم اللزوميات أو كاد حين بلغ الخمسين فكيف ذكر الكبر متبرّما ، وطولَ الثواء متململا ، وذكر دنو الأجل وقرب الرحيل ، وسقوط الأسنان ، فى مثل قوله :

طال الثواء وقد أنَى لمفاصلى   أن تستبدَّ بضمِّها صحراؤها

***

وما زال البقاء يُرِثّ حبلى   إلى أن حان للمَرَس انقطاع

***

أعلّل مهجتى ويصيح دهرى   ألا تغدو فقد ذهب الرفاق

***

تخلفتَ بعد الظاعنين كأنهم   رأوك أخا وهن فما حملوكا

***

أيتها النفس لا تُهالى   شرخى قد مرَّ وا كتهالى

لم يبق إلا شفاً يسيرٌ   قُرِّب من موردى نِهالى

***

فى أخذت منه الليالى وإننى   لأشرب منه فى إناء مثلَّم

***

ربَّ متى أرحل عن هذه الد   نيا فإنى أطلت المقام

هذه الأبيات وأشباهها تصدر عن شيخ هِمٍّ ، بلغ أرذل العمر ، وذهب جيله وبقى وحده . ولكن المعرى له شأن آخر . فهو يَبرَم بالحياة فى عنفوانها ويقول .

شربت سنىَّ الأربعين تجرُّعا   فيا مقِراً ما شربُه فىَّ ناجع

ويرى أن الحياة بعد الأربعين موت ، والوجدان فقد

حياتى بعد الأربعين منيّة   ووجدان حلف الأربعين فقود

فشكوى أبى العلاء من الضعف ، وهتافه بالموت ، وبرمه بالحياة لا يدل كل حين على الشيخوخة أو الهرم .

وأما قوله :

فى أخذت منه الليالى وإننى   لأشرب منه فى إناء مثلَّم

فسقوط الأسنان كثيراً ما يعرض فى السن التى قدَّرتُ أنه نظم فيها الكتاب .

وقد ذكر سقوط أسنانه فى رسالته إلى أبى الحسن بن سنان وقد تقدم إليه باختصار كليلة ودمنة بأمر عزيز الدولة . وعزيز الدولة قتل سنة ٤١٢ ، ولما يبلغ أبو العلاء الخمسين .

المبحث الثانى

ترتيب اللزوميات

— ١ —

وضع أبو العلاء خطة هذه المنظومة متكلِّفاً فيها ثلاث كُلَف كما قال فى المقدمة : أن يلتزم فى قوافيه حرفا لا يلزم ، وأن ينتظم حروف المعجم كلها ، وأن يستوفى فى كل حرف الحركات الثلاث والوقف .

وقد تبيّن من تاريخ الحوادث التى ذكرت فى هذا النظم ومن تاريخ الرجال الذين ذكرهم ومن الأسنان المختلفة التى ذكرها أن الترتيب الهجائى لا يساير الترتيب الزمنى . انظر إلى روىّ الأبيات التى أثبتّها فيما تقدم ، وإلى تاريخ الحوادث التى تتضمنها والأسنان التى تذكر فيها تر هذا واضحاً . فلا يسوغ أن نظن أن قطعة على روى الباء مثلا ينبغى أن يَتقدم تاريخها على قطعة فى حرف الميم ، وينبغى ألاَّ ينظر إلى الترتيب الهجائى فى تتبع آراء أبى العلاء فى لزومياته .

— ٢ —

ودليل آخر : أنّ كثيراً من القطع المتوالية تتفق فى الموضوع أو تتفق فى الوزن والقافية بل تتفق فى كلمات القافية أحيانا . فلو أنه نظمها ولاء لم يكن للفصل بينها وجه ، وكان يلزم أن تكون قطعةً واحدة ، ولو نظمها قِطَعاً متوالية لم يُجِز لنفسه أن يكرر فيها القوافى والمعانى . فليس الفصل بينها إذاً إلا بأنها نظمت فى أحيان مختلفة ثم جمعت .

أنظر إلى هاتين القطعتين ، وهما متواليتان على الميم المضمومة :

العقل يخبر أنني في لجَّـة من باطل وكذاك هذا العالمُ
مثلُ الحجارة في العظات قلوبنا أو كالحديد فليتها لا تألم

ويليها :

لم تَلقَ في الأيام إلا صاحباً تأذَى به طول الحياة وتألم
ويُـعَدُّ كونُـك في الزمان بليَّـةً فاصبر لها فكذاك هذا العالم

ويقول من قطعة في حرف القاف :

مرازبُ كسرى ما وقت مهجةً له
وقيصر لم يمنع رَداه البطارق

وفي قطعة تليها :

وهل أفلت الأيام كسرى وحوله مرازبه أو قيصر وبطارقه

فلو أن القطعتين نظمتا وِلاء ما كرر هذا المعنى .

وأما القطع المتوالية المتفقة في الوزن والقافيـة ، والروى وحركته أو سكونه فكثيرة لا تحوج إلى التمثيل هنا . والأمر كله أبين من أن يطال فيه الكلام .

— ٣ —

وهنا نسأل : إن كان أبو العلاء لم ينظم على ترتيب الحروف والحركات فكيف ضمن الوفاء بما التزم من استيعاب الحروف وحركاتها ؟ إن كان قد نظم على الروى والحركة اللتين تعنَّان له دون أن ينتقل من حرف إلى مايليه ومن حركة إلى مابعدها فكيف استوعب الحروف والحركات ؟

لنا أحد فرضين : إما أن الرجل كان يأمر كاتبه أن يثبت كل حرف في فصل على حدة ، وكان يستعيده قوافيَ هذا الفصل فيكمل نقصه حتى كملت الحروف والحركات ؛ وإما أنه جمل الكتاب كله مجموعة واحدة على غير تفصيل ، وكان يقصد إلى تغيير الحروف كل حين على غير ترتيب ؛ فلما اجتمع له مقدار كبير من المنظوم رتبه وأكمل نقصه . وبهذا يُشعر قوله في المقدمة . وهذا حين أبدأ بترتيب النظم .

ونحن نجد في الكتاب قطعاً نظن أنها لم تنظم إلا لضرورة هذا الاستيعاب فالثاء المفتوحة ، والذال الساكنة ، والضاد المضمومة ، والطاء الساكنة ، والهاء الساكنة ، لم يَنظِم في كل منها إلا بيتين اثنين وهما أقل ما ينظم لإنفاذ خطته . وقد قال هو هذا في آخر المقدمة

— ٤ —

نظم أبو العلاء ملتزماً ما لا يلزم ، ومستوفياً الحروف وحركاتها ، ورتب كتـابه على الحروف وعلى حركات كل حرف ، وقال في آخر المقدمة :

« وهذا حين أبدأ بترتيب النظم وهو مائة وثلاثة عشر فصلا ؛ لكل حرف أربعة فصول . وهي على حسب حالات الروىّ من ضمٍّ وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد ، لأنها لا تكون إلا ساكنة . وربما جئت في الفصل بالقطعة الواحدة أو بالقطعتين ليكون قضاء لحق التأليف . وبالله التوفيق » .

وقد أدركت أنا بالتأمل في فصول اللزوميات ، ترتيباً آخر لم ينبّه إليه المعرّى ، وهو ييسر على الباحث عن الأبيات في الكتاب ، زيادة على التيسير بترتيب الحروف والحركات ؛ ذلك أن الأوزان في كل فصل مرتبة على ترتيب الدوائر والأبحر عند العروضيّين .

فنجد البحر الطويل في الفصل مقدماً على غيره ، والمتقارب مؤخراً عن غيره ، والأبحر بينهما على ترتيبها . وليس معنى هذا أنه استوفى في كل فصل الأبحر الخمسة عشر ، بل المعنى أن مايوجد من الأوزان في فصل يلتزم فيه الترتيب .

فالذي يبحث عن قطعة أو بيت على الراء المفتوحة — مثلا — لا يلزمه ، إذا عرف الوزن ، أن يبحث في أبيات الراء المفتوحة كلها ، بل يطلب البحر الذي فيه وزن القطعة أو البيت في موضعه من الراء المفتوحة . وذلك يسير إذا عرف ترتيب الأبحر في العروض وهو أمر أمَم .

* * *

هذا مابدا لي في تاريخ اللزوميات وترتيبها ، فمن بدا له ما يؤيد رأيي أو ينقضه ، فليتفضل مشكوراً بالإدلاء برأيه والإبانة عن حجته .

ووراء هذا بحث مجمل في أمهات الأفكار التي ضمنها أبو العلاء لزومياته .

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

— ٢ —

العقاد سلفي الذهن في لغته ، وأسلوبه ، وتفكيره ، وسلوكه — ٩٩ في المئة من كتابنا كذلك — الكلاسية داء مصر والشرق — كتابنا أعداء الكلمات الأعجمية

— ١ —

« وقد التفتُّ إلى عبارة قالها الأستاذ عباس محمود العقاد بشأن الاشتراكيين في مصر لها مناسبة هنا ، إذ هم يدعون على غير ما يحب إلى اللغة العامية ، وقد حسب عليهم هذه الدعوة في قائمة رذائلهم ؛ لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى ، ويؤلف عن خالد بن الوليد أو حسان بن ثابت ، ولكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة الاجتماعية ، وهي أن الاشتراكيين شعبيون يمتازون بالروح الشعبي ويعملون لتكوينه ، وهم لهذا السبب أيضاً مستقبليون وليسوا سلفيين ... في حين أنه هو سلفي الذهن في لغته وأسلوبه وتفكيره وسلوكه ، وليس الأستاذ العقاد وحيداً في هذه السلفية ، لأني أعتقد أن ٩٠ بل ربما ٩٦ في المئة من كتابنا سلفيون » ص ١١

« والكلاسية في مصر كما نراها في أيامنا ليست لغوية أدبية فقط بل هي اجتماعية مزاجية ذهنية ، فدعاتها مثلاً يهتمون كثيراً جداً في التأليف عن الخوارج في أيام علي بن أبي طالب . ويهملون التأليف عن الخوارج على الديمقراطية في أيامنا ، وهم يدرسون رجال الأمس والأمس هنا قبل ١٠٠٠ سنة ميلادية ولا يدرسون رجال اليوم » ص ١٢٠

— ٢ —

رحم الله أبا جعفر المنصور . فقد قال : « إنه لم يسر أحد قط منكرة إلا ظهرت في آثار يديه أو فلتات لسانه » وقد استعلنت النكرة التي يكتمها الأستاذ سلامة في غضون كلامه ، وأطلت برأسها حين دعا إلى (الاشتراكية) في اللغة ؛ وحين غاظه أن يثلب العقاد (الاشتراكية) ؛ لأنها تدعو — فيما إليه تدعو — إلى التدلي في اللغة ، والهُوِيّ بهذا الفن الجميل من سمائه العالية إلى منحدر الدهماء والطغام .

ثم تجرّم على العقاد فزعم أنه متحجر اللغة ، عتيق الأسلوب ، رجعي التفكير ، محافظ في سلوكه ، وكأنما لم يشف غله هذا التخصيص فتخرص على ٩٩ في المئة من كتابنا بأنهم كذلك آسنون ، وما دليله الذي يجول به ويصول ؟ دليله أنهم يكتبون عن خالد والخوارج ولا يكتبون عن رجال اليوم .

يا لها من دعوى خرقاء ، ويا لها من حجة جوفاء .

أيذم أسلوب العقاد وهو ما هو سلاسة وسلامة ونصاعة ؟

أذنب العقاد في نظر الناقد أنه يأخذ قلمه بقواعد اللغة وروحها فلا يلحن ، ولا يخطئ ، ولا يسف في تعبير ، ولا يحتاج إلى من يصحح له ما يكتبه كما يحتاج غيره ؟

لقد كتب العقاد في السياسة والأدب والتاريخ والقصة ، وأسلوبه في هذه الفنون كلها فارع بارع ممتع .

ثم كيف يتهم العقاد بأنه آسن التفكير ؟

لقد ألف عدة كتب ، وكتب مئات المقالات في شتى الموضوعات فلازمته فحولة الفكر ، وصاحبته سمة الاستقلال في الرأي ، وما وجدناه مرة يتضاءل كما يتضاءل غيره أمام رأي قديم ، أو فكرة لعالم أوروبي ، وحتى العلامة (فرويد) الذي يتعبد بآرائه الأستاذ سلامة قد نقده العقاد ، والعلامة (داروين) الذي يشايعه الأستاذ سلامة في كل نظرياته قد خالفه العقاد ، وبهذا الروح القوي الحر كتب العقاد ما كتب في القديم والجديد . وما معنى أن العقاد سلفي في سلوكه ؟

أيعيبه لأنه ليس من أهل الخلاعة والمجانة واستباحة اللذات جهرة كما يفعل المغرورون من أدعياء الأدب والفن ؛ لأن الشذوذ والانحراف الخلقي في نظرهم وثيقة بأنهم ناس ليسوا كالناس ؟

أم يعيبه لأنه رجل يؤمن بالرجولة فلا يكتب مرة ليتملق

المرأة ، ويزعم لها أنها جديرة بالمساواة ، خليقة بأعمال الرجال ؟ أم يعيبه إذ لم يخرج على الأمة بصيحة تحقر أدبها ، وتبلبل لغتها ، وتزدرى خصائصها وأخلاقها ، وتمتهن مفاخرها وأبطالها ؟ لست أدرى .

— ٣ —

وليست هذه العيوب مقصورة على العقاد وحده ، بل يشركه فيها ٩٩ فى المئة من كتاب مصر ، فمن بقى إذن ؟ لم يبق خالياً من العيوب إلا الأستاذ سلامة ومحررو بعض المجلات الشعبية ، فهم أرباب الأساليب والأفكار المرتضاة عنده ؛ لأنهم يسفون فى تعابيرهم ، ويتوخون العامية فى كتاباتهم ، ويختارون المجازات (البلدية) والكنايات (الشعبية) والموضوعات التافهة المبتذلة .

يا ويح الأدب العربى فى هذا العصر إن كان قد حرم بيان (الزيات) الرفيع ، وأسلوبه الفياض بالحياة ، الفياح بعبير الجمال وعطر الفن .

وويل للأدب فى هذا العصر وفى كل عصر إن استكان رواده وشداته لدعوة الأستاذ فآثروا الفسولة فى تعبيرهم ، والانضاع فى تصويرهم والتدلى فى لغتهم ، إذن لبرئ الأدب منهم ، وإذن لَعُمِّيت عليهم وجوه الجمال فى تراثهم من أدب الأسلاف ، وإذن لعَمُوا عن السر فى بلاغة القرآن وإعجازه ، وهذا كله بعض ما تقترفه هذه الدعوة العاسفة الهدامة .

— ٤ —

وكتابنا كلهم متخلفون رجعيون فى رأى المؤلف ؛ لأنهم يُعَنُّون أنفسهم بالبحث فى الماضى ، وتنضح أقلامهم بدراسة تراثنا المجيد ، ولا يكتبون عن الحاضر شيئاً

فأى حق فى هذا وأى صدق !

لقد كتب العقاد عن الماضى بروح العصر ، وثقافة العصر ، والطرق الحديثة فى البحث والتحليل ، وأسهم فى بعث مفاخر هذه الأمة التى رادت العالم أحقاباً طوالاً ، وشارك فى إحياء الأمثلة العليا من بطولتها ؛ لأن الأمم لا تنهض بحاضرها وحده ، بل لا بد لها من ماض مجيد يلهمها وينفخ فيها من روحه قوة وحيوية ، وهذا ما فعلته الدول الناهضة الغالبة اليوم ، وليس أهدم للأمة المتوثبة للمجد من تنكرها لماضيها الحافل ، وغفلتها أو تغافلها عما لها من عظائم وجلائل ، وأعجب عجباً لا ينقضى ممن دعا إلى الفرعونية مراراً وقد انقطع ما بيننا وبينها من نسب ، ثم لما بارت دعوته أخذ يعيب الذين يدرسون العرب ، ويكتبون عن أبطال العرب كأنه يرتبط بالفراعنة بنسب ثم لا يصله بالعرب سبب ! !

وربما دار بخلدى أنه يلحى العقاد وهيكل وطه والحكيم وغيرهم لأنهم كتبوا عن النبى محمد عليه الصلاة والسلام كتباً تخضع لطرائق البحث الحديث ولكنهم جلوا نواحى من عظمته ، وأبرزوا طرفاً من سمو رسالته ، ولم يجمح بأحدهم قلمه فيتقول أو يتهجم ، ثم كتب العقاد وهيكل فى أبى بكر وعمر وخالد ، وكتب العقاد فى على والحسين وعائشة ، فلا والله ما وجدوا إلا صحائف من ذهب تتباهج بالعظمة والبطولة والنبالة ، وما قالوا إلا ما قرأوا فى هذه الصحائف الخالدة ، ولو كانا غير مسلمين ما تغير قولهما ولا حكمهما ، فالبطولة سحر غلاب يجتذب الولى الحميم ، والعدو الخصيم ، وشمس سافر ، تغمر بضيائها الباهر ، القريب والبعيد ، وتنفذ آرادها إلى واضع كفيه على عينيه .

وهل كتابنا اقتصروا على الماضى وحده كما يزعم ؟

لنستعرض بعض مؤلفاتهم ثم نحكم .

هذا هو (الزيات) كتب فى تاريخ الأدب العربى كتابه ، فأرخ للأدب بأدب ، وكان مثل بوفون إذ كتب فى التاريخ الطبيعى ببيان خلاب ، ومع ذلك فقد ترجم آلام فرتر لجيته ، وروفائيل للامرتين ترجمة يقرر الحاذقون للألمانية والفرنسية أنها كالأصل بلاغة وسمواً ودقة ، ويكتب منذ أكثر من عشر سنوات فى مشكلاتنا السياسية والاجتماعية والأدبية والاقتصادية .

وهذا هو (العقاد) كتب العبقريات ، ولكنه ألف (سعد زغلول) ، و (شعراء مصر وبيئاتهم) و (الحكم المطلق فى القرن العشرين) و (هتلر) وغيرها ، وله مئات المقالات فى شتيت الموضوعات والمناسبات .

وهذا (هيكل) ألف عن (محمد) و (أبى بكر) و (عمر) ولكنه ألف أيضاً عن (روسو) و (السياسة المصرية) الخ .

فأى منصف بعد ذلك يتجنى على كتاب مصر بأنهم يحيون

وعيونهم مشدودة إلى الماضى وحده ؟

ومن ذا الذى يجحد فضلهم فى مسايرة الثقافة ، ومواثبة الحياة المتجددة المتطورة ؟

إنهم يواثبون الثقافة ولكن أكثر إنتاجهم — متأثراً بهذه الثقافة — شرقى الروح ، عربى الأسلوب ، إسلامى النزعة ، وكل ميزة من هذه الميزات مرة فى بعض الأفواه ، فكيف بها مجتمعة ؟

ثم لماذا تضفى نعوت العبقرية على (إميل لودفيج) لأنه كتب عن المسيح عليه السلام كتابة رائعة ، ويوسم كتابنا بالرجعية إذا ما كتبوا عن النبى محمد وخلفائه ؟

وإنه لعقوق أن يبهر ماضينا بعض المستشرقين فيجردون أقلامهم لتمجيده ، والكشف عن لآلئه ، كما فعل (استانلى لين بول) فى (قصة العرب فى إسبانيا) فتغنى بمجدهم ؛ لأنهم كانوا شعلة النور فى أوروبا بعد أن خمدت مدنية الرومان ، واندثرت حضارة اليونان ، وكما فعل (سيديو) ومؤلفو (تراث الإسلام) و (دائرة المعارف الإسلامية) ثم نعمى — ونحن وراثهم — عن هذا المجد فلا ننوه به .

ولماذا لا يعاب كتاب الغرب وهم ما فتئوا يكتبون عن هوميروس وأفلاطون وأرسطو والإسكندر ؟

الحق أن الأستاذ سلامة كثير الدعاوى ، غريب القضايا ، مفتئت على المنطق الذى يريده أساساً للفكر والأدب .

بقيت إشارة عجلى إلى خلط آخر فى كتابه كالخلط الذى بيناه فى لومه أبا تمام فى المقال السابق ، تلك أنه نسب إلى العقاد التأليف عن (حسان) فليخبرنا متى كان ذلك ؟ اللهم إلا إذا أراد بحسان كل مشايع للرسول منافح عن الإسلام .

— ٥ —

« يكره كتابنا الكلمة الأجنبية ، فيقولون سيارة بدلا من أتوموبيل » ص ٢٠

ودعا فى كتابه إلى إدخال الكلمات الأعجمية على حالها ، واستدل بأن العرب أدخلوا فى لغاتهم فى العصر العباسى كلمات أعجمية .

ولكنه نسى أن العرب استعاروا كلمات من الفرس واليونان والهند بعد أن صقلوها أولاً صقلاً عربياً لتلائم منطقهم ، كلفظ آذريون من آذر كون ، وديباج من ديوفار ونيروز من نوروز الخ وقلما استعملوا الكلمة الأعجمية على حالها ، وكان ذلك للتظرف والتملح فحسب مثل كلمة آب صرد بمعنى الماء البارد فى قول العمانى :

لما هوى بين غياض الأسد وصار فى كف الهزبر الورد
آلى يذوق الدهر آب صرد

على أنهم عربوا حيث افتقروا إلى كلمات تؤدى معانى خاصة ليس فى لغتهم ما يؤديها . وإذا كان الأستاذ يستدل على جمودنا ومرونة الإنجليز بأن فى لغتهم نحو ألف كلمة عربية فليدلنا على كلمة واحدة ينطقها الإنجليز كما ينطقها العرب .

على أن كتابنا محقون فى أنهم لا يلجأون إلى الكلمة الأعجمية إذا كان فى لغتنا ما يدل عليها ، أو نستطيع أن نشتق من لغتنا ما يؤدى معناها ، وما من شك فى أن لفظ سيارة يؤدى المعنى ، وهو أخف نطقاً وأحلى وقعاً من لفظ أوتوموبيل . وما من شك أيضاً فى أننا إذا أبحنا لأنفسنا استعمال الكلمات الأعجمية على حالها وبغير ضرورة إلى استعمالها فقد حفرنا للغتنا ولقوميتنا قبراً بأيدينا ؛ لأنه لن يمضى قرن واحد حتى تصير لغتنا خليطاً مشوهاً من عربية مهزومة ، وعامية مختلفة باختلاف الأصقاع والبيئات ، وأعجمية غازية متفشية ، ثم بعد قرن آخر تنذثر العربية والعامية وتتفرنس أو تتجلنز ، ويصيبنا ما أصاب إخواننا العرب فى تونس والجزائر ومراكش .

ومن الخير أن يقتصر التعريب على كلمات أعجمية لا مناص لنا من استعمالها فى العلوم المختلفة ، ولا ضرر على لغتنا ولا على قوميتنا من ذلك ، ثم لنعرب الكلمات التى جدت فى الصناعة وشئون الحياة إذا لم نجد فى لغتنا أو مشتقاتها عديلاً لها ، وأما غير هذا فانحدار وانتحار ، وتخريب لبيوتنا بأيدينا ، ومعاذ الله أن يحيق بنا ذلك .

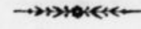
(يتبع)

أحمد محمد الحوفى
المدرس بالسعيدية الثانوية

بحث في الصلاة

للدكتور جواد على

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)



عينت الديانة الإسرائيلية عدد الصلوات وأوقاتها فى اليوم وفى المواسم والسنة . ويقسم المستشرق « ميتوخ » الصلاة اليومية إلى نوعين : شماع (شمع) ("Sch "Ma) وتقابل فى العربية كلمة « سماع » ، وتفيلة « Tephilé »[١] . أما الشماع (السماع) فعبارة عن قراءة بعض أقسام معينة من التوراة[٢] وأما سبب تسميتها « بشماع » « سماع » فلأنها تبدأ بكلمة الشهادة وهى « شمع يسرائيل » أو « اسمع يا إسرائيل » وهى شهادة بنى إسرائيل . ويمكن أن نقول إنهـا تقابل صلاة « A Shemvohn » عند الفرس[٣] .

ويطلق على قراءة هذه الشهادة « قراءات شماع » وأحياناً مجرد « قريئات »[٤] ومعناها « شماع » « والنطق بالشهادة » وهى تبدأ « شماع » ثم تنتهى « ببعض البركات » . « بركوت » (Bérakkött)[٥] .

وقبل تلاوة « الشماع » تقرأ عادة « بركوت شماع » أو « بركات السماع » وهى تسابيح خاصة لذكر الله تقال قبل صلاة السماع وبعدها . وقبل تلاوة البركة الأولى من هذه البركات أو بعبارة أخرى قبل تلاوة التسبيحة الأولى من هذه التسابيح فى صلاة الجماعة ينادى الإمام (الحزّان) « باركوا الله المبارك » وهذه الكلمة هى بمثابة إقامة الصلاة ، فيجيبه المصلون بنغمة خاصة وبطريقة معينة «فليتبارك الله المبارك إلى أبد الآبدين»[١] .

وأما التفيلة « Tehillé » أو « صلاة الثمانية عشرة » (تفيلة شل شمونة عشر) فقد سميت بهذا الإسم لأنها تتألف فى الأصل من « ثمانى عشرة بركة » أو بعبارة أخرى من ثمانى عشرة تسبيحة ثم أضيف إليها « بركة أخرى » فأصبح عددها « تسع عشرة بركة » ولكنها احتفظت مع ذلك باسمها القديم حتى الآن ، ولذلك يطلق عليها باللغة العبرية إلى يومنا هذا « تفله شل شمونة عشرة »[٢] أو مجرد « شمونة عشرة »[٣] ويكتفى أحياناً بلفظة « تفيلة » فقط[٤] .

وأطلق اليهود الذين صاروا يتكلمون الآرامية بدلا من العبرية على هذه الصلاة كلمة « صلوتة » وهى كلمة آرآمية كما قلنا وقد ورد ذكرها مراراً فى الأقسام الآرامية من التلمود[٥] .

وتقام صلاة « السماع » عند اليهود فى صباح كل يوم ومسائه. وتقام « التفيلة » فى أوقات ثلاثة من اليوم : تقام فى الصباح وبعد الظهر (العصر) وفى مساء كل يوم . وتسمى الصلوات الثلاث بالعبرانية بهذه الأسمـاء : « تفلات هشاحر » وأحياناً مجرد « شحريت » وهى صلاة « السحر » وتسمى « صلاة الصبح»[٦]

وأما الصلاة الثانية وهى صلاة العصر فيطلق عليها بالعبرية

---

(١) mittwoch P, 7. The old Pers Rel P, 124 .

(٢) وهـذه الأقسام هى : Deut 6. 4 — 9 11, 13 — 21 أى التثنية إصحاح ٦ آية ٤ إلى ٩ . و num 15 : 37 — 41 أى العدد إصحاح ١٥ آية ٣٧ وما بعد .

(٣) وهذه الشهادة هى فى التثنية إصحاح السادس من الآية السادسة إلى التاسعة وهى « اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك . ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك . وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم . واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك » .

(٤) The ald Persian Religion. P,124 .

(٥) Miscpna, Berahotp. Mittwocp. P, 7, 1, 1, 2, 3

---

(١) Mittwocp. p, 7 .

(٢) راجع Berâkbôtp 160. Mittwocp. P, 7 .

(٣) Miscpnâ Berâkbôtp 4, 3. .

(٤) Pesâchiw 117 b. Berâkkôtp 26 A. .

Levy. NH cp w. N 190

Mittwocp. p, 8

على بركة راجع قموس الكتاب المقدس ج ١ ص ٢٢٣ .

(٥) Mittwocp. P, 7 . راجع لفظة «صلوته» فى مادة « Prayer » من دائرة المعارف اليهودية كذلك فى الكتب الفقهية والتاريخية لليهود

(٦) Mittwocp. P, 8. nicpnà Sanp. 1, 6. Talm. Sanp. 74 b.
Beráh. 21 b.

« تفلات هامنحه » أو « منحة » فقط . وأما الصلاة الثالثة وهي صلاة المغرب فيطلق عليها « تفلات هاعربيت » ويكتفى بلفظة عربيت أيضاً (١)

ويرجع اليهود تاريخ صلاتهم إلى الأزمنة الأولى من تاريخ اليهود . جاء في سفر دانيال: « فلما علم دانيال بامضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكُواهُ مفتوحة في عُليته نحو أورشليم فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم وصلى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك »(٢) وجاء في المزامير : « أما أنا فالى الله أصرخ والرب يخلصني مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي »(٣)

ويرجع اليهود أصل الصلوات اليومية الثلاث إلى عهد أقدم من هذا العهد ، إلى عهد الآباء أي إبراهيم وإسحق ويعقوب . ينسبون صلاة الصبح إلى ابراهيم وينسبون صلاة العصر إلى إسحق وينسبون صلاة المغرب إلى يعقوب(٤) .

وهنالك صلوات أخرى لا تعتبر من الفروض اليومية مثل صلوات أيام السبت (Sabbat) وصلوات « دوشن حودتس » أو « صلوات رأس الشهر »(٥) وعرفت صلاة رأس الشهر عند الأمم الأخرى مثل « البارسس » الفرس وعرفت عندهم باسم أنترعاه « antaremàh »(٦) والهنود وعرفت عندهم باسم أمافازيا « Amàuàsyà »(٧) بل وعند الشعوب الأوروبية أيضاً(٨) .

ولليهود صلاة أخرى هي صلاة «العيد» وصلاة رابعة تسمى بالعبرية باسم « Tephillah ham Mùsaphin » أو « Mùsàph » فقط(٩) وفي هذه الصلوات وأيام الاحتفالات يقدم اليهود أضحية إضافية إلى المعابد علاوة على الأضحية التي تقدم للمعبد صباحاً ومساء(١) .

ودخلت في الأيام الأخير صلاة خامسة إضافية تقام في نهاية أيام الصوم عصراً وهي خاتمة الصلوات وتعرف عند اليهود باسم نئيلا « ne ila »(٢) .

أما أوقات الصلوات اليومية الثلاث فإنها الساعة الثالثة والساعة السادسة والساعة التاسعة ؛ وهذه هي صلاة التفيلة اليومية وأما صلاة الشماع فتكون عند بداءة الليل وعند نهايته وعند تناول الطعام(٣) .

وأما الصلاة عند عرب الجاهلية فإننا لا نعرف حتى الآن عنها أي شيء ، وعلى فرض وجودها فإنها لم تكن بالمعنى الذي نعرفه من الصلاة ، بل يمكن أن يقال إنها كانت تقام في أوقات مختلفة وفي مواسم معينة(٤) . ويقول المستشرق ميتوخ : « من المؤكد أن عرب الجاهلية لم تكن لديهم فروض من فروض الصلوات اليومية على نحو الصلاة التي فرضها الإسلام على المسلمين »(٥)

وقد لاقى الرسول (ص) صعوبات كثيرة من الأعراب الذين كانوا يرون في الركوع والسجود والصلاة ذاتها علامة من علامات المسكنة والذلة والإهانة لا تتفق وما جبلوا عليه من كبرياء وأنفة واعتداد بالنفس ، حتى إن بعض القبائل العربية كقبيلة ثقيف بالطائف طلبت من الرسول الدخول في الإسلام على شرط إعفائها من الصلاة(٦) .

هذه مقدمة مختصرة عن الصلاة عامة ؛ وسنبحث في الأعداد القادمة عن تطور الصلاة في الإسلام ، فنبحث أولا في صلاة الركعتين وهي أول صلاة على ما نعرفه في الإسلام .

جواد علي

---

(١) Mittwocp P, 8 .
(٢) راجع دانيال ١١٠٦ .
(٣) حسن أمير ٥٥ : ١٨ .
(٤) Mittwocp. P, 8 Beràkbòtp. 26 b 27 b .
(٥) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ١٢ ص ٥٥ : ١٧ . دا ٦ ر ١٠ . لو ١٨ : ١ . Mittwocp q. Hastings P, 744 .
(٦) The old Pirs Rel; P, 124. Yasnā 1, 8. 2. Syt 7, 4 .
(٧) Pers Religos 124. Bensyinger. 388 .
(٨) Musters Athowe witp the Patagonians 1873 - P, 188 .
(٩) miltwocp p, 9 .

---

(١) نفس المصدر .
(٢) Jerusp Berakbòtp 7. C .
(٣) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ١٢ . ص ٥٥ : ١٧ . دا ٦ و ١٠ لو ١٨ را ١ أيضا Hostivgs. P. 744 .
(٤) Mittwocp P, 9 f .
(٥) نفس المصدر .
(٦) mittwocp p, 9 .
Goldwtber mup Tiud Val 1 P, 37.

الزمـــان النفسى

للأســتاذ زكريا ابراهيم

نسيجُ الحياة النفسيَّة هو الزمان . والزمان — كما يقول برجسون — جِدَّة مستمرّة ، وخلق جديد ، وإبداعٌ لصور لم تكن موجودة من قبل ، ولم يكن وجودها منتظراً . فليس الزمان الحقيقى عبارة عن لحظة تعقب لحظة أخرى ، وإنما هو امتداد الماضى باستمرار . وهذا الطابع الذى يتصف به الزمان ، يتمثل فى الحياة النفسية بشكل واضح ، فإنّ ماضينا يتعقَّبنا فى كل لحظة من لحظات حياتنا . وليس من شك فى أننا لا نفكر إلا بجزء صغير من ماضينا ، ولكننا إنما نرغب ونريد ونعمل بهذا الماضى كله . « فكل ما فكرنا فيه ، وما شعرنا به ، وما أردناه منذ طفولتنا المبكّرة ، لا يزال عالقاً بنفوسنا ، متجهاً نحو الحاضر الذى يوشك أن يتصل به ، ضاغطاً بقوة على باب الشعور الذى يريد أن يدعه خارجاً »[1] .

هذا هو جوهر الحياة النفسية ، كما تكشف لنا عنه النظرة العميقة إلى النفس الإنسانية . فكل فرد منا إذن هو عبارة عن تاريخ ؛ وهو عبارة عن تاريخ قائم بذاته يختلف عن غيره ؛ وثراء هذا التاريخ هو الذى يدل على ثراء حياة صاحبه الباطنة ، لا عدد السنين التى عاشها . وقد يبدو لنا أننا نسير مدفوعين بحكم الزمان الآلى — زمان الساعات — ولكننا فى الحقيقة نتحرك وفقاً لإيقاع الحالات الباطنة ، والحركات الداخلية ، مما يقوم عليه الزمان النفسى .

فنحن لسنا عبارة عن ذرات من الغبار تطفو على سطح نهر ، بل نحن قطرات من الزيت تنتشر على سطح الماء ، سائرة بسرعتها الخاصة[2] .

ومعنى هذا أن جوهر حياتنا هو الزمان النفسى — لا الزمان الآلى — لأن شعورنا إنما يسجل حركته الخاصة ، أى السياق الخاص الذى تتوالى وَفْقاً له حالاتُه الباطنة ، (وإن كان هذا تحت تأثير المنبّه الخارجى الذى يَعرض له) . وبعبارة أخرى فإن الزمان الآلى غريب عنا ، فى حين أن الزمان الباطن le temps intérieur هو جوهر نفوسنا . ومن المؤكد أن لحظات الزمان الآلى إنما تهوى إلى العدم ؛ أما لحظات الزمان النفسى فإنها لا تهوى إلى العدم مطلقاً ، بل تنطبع فى الشعور ، وتنضاف إلى سجل الوعى الإنسانى . فنحن نحمل معنا الطابع النفسى لكل أحداث حياتنا ، لأننا خلاصة للحالات النفسية التى مرت بنا .

وكل تجربة جديدة تمر بنا ، وكل فكرة تطوف بخاطرنا ، وكل فعل نقوم بتحقيقه ؛ بل كل حالة عضوية تعرض لنا ، لا بد أن يكون لها تأثير لا يمحى فى حياتنا النفسية . ومعنى هذا أننا لا ننفصل مطلقاً عن ماضينا ، بل إن شخصيتنا تزداد ثراء وخصباً بكل تجربة جديدة تعرض لنا . وقد نشفى تماماً من مرض انتابنا ، أو حالة نفسية عرضت لنا ، ولكن لا بد أن يظل أثر هذا المرض أو هذه الحالة النفسية باقياً فى طوايا شعورنا .

ومن جهة أخرى فإن من المستحيل على الشعور الإنسانى أن يمر بحالة واحدة مرتين . قد تكون الظروف الخارجية واحدة ، ولكنها لا يمكن أن تؤثر فى الفرد نفسه تأثيراً واحداً ، ما دامت تعرض له فى لحظة جديدة من لحظات حياته . وعلى ذلك فإن التاريخ الإنسانى (باعتبار أن كل إنسان هو عبارة عن تاريخ) لا يعيد نفسه مطلقاً . والشخصية الإنسانية تتكون فى كل لحظة من التجارب المتجمعة ، فهى تتغير دائماً أبداً ، وهى إذ تتغير ، تحول دون تكرر حالة واحدة بعينها . ومن هذا كله نخلص إلى هذه النتيجة الهامة ، وهى أن الزمان النفسى غير قابل للاعادة ، أعنى أننا لا نستطيع أن نحيا (إن صح هذا التعبير) حالة واحدة بعينها مرتين ، لأن هذا يقتضى أن نلغى وجود الذاكرة التى تحتفظ بالماضى[1] .

وإذا عمدنا الآن إلى مقارنة الزمان الآلى بالزمان النفسى فإننا نجد أن الزمان الآلى يسير وفقاً لإيقاع مطّرد ؛ أعنى أنه مكون

---

(١) « التطور الابداعى » لهنرى برجسون ، ص ٥

(٢) « الانسان ذلك المجهول ! » لألكسى كاريل ، ص ٢٠١

(١) برجسون : « التطور الابداعى » ص ٦

من فترات متساوية لايتغير مساره خلالها . أما الزمان النفسى فهو على العكس من ذلك ، لأنه يختلف فى سرعته لدى الفرد الواحد ، تبعاً للفترات المختلفة فى حياته . فالسنة الواحدة — إبّان الطفولة — تحتوى على أحداث فسيولوجية وتغيرات نفسية ، أكثر مما تحتوى عليه السنة الواحدة إبان الشيخوخة — وعلى ذلك فإن السنة الواحدة أطول إبان الطفولة ، وأقصر إبان الشيخوخة ؛ لأن قيمتها بالنسبة إلى الطفل أكبر منها بالنسبة إلى والديه .

من هذا يتبين لنا أن الحياة الانسانية لا تُحتسب بالأيام والسنوات ، بل بالقدر الذى « تحيا » به الأحداث والتجارب . ومعنى ذلك أنه من العبث أن تقاس أطوار الحياة الإنسانية بالزمان الآلى ، لأن هذا يقتضى أن يكون فى الحياة النفسية اطراد الزمان الآلى ؛ ولكن هذا الاطراد — فى الحقيقة — لا وجود له فى الحياة فالحياة الإنسانية لا يمكن أن تقسم إلى أطوار زمنية تحسب بوحدات الزمان الآلى ، بل إنها يجب أن تقسم إلى أطوار نفسية تحسب بوحدات الزمان النفسى .

وإذا أقمنا اعتباراً للزمان النفسى ، فإننا لابد أن نهتم اهتماما كبيراً جداً بزمن الطفولة المبكرة ، لأن هذا الزمن هو بطبيعة الحال ، الزمن الثرى الحافل ... حقاً إن الزمان الآلى الذى تشغله هذه المرحلة من حياة الإنسان ، لا يبلغ مدى مرحلة الاكتمال أو مرحلة الرجولة ، ولكن الزمان النفسى الذى تنطوى عليه يفوق أية مرحلة أخرى . ولهذا فإن من الواجب أن تعطى مرحلة الطفولة المبكرة كل عناية ممكنة فى التربية . ولسنا فى حاجة إلى أن نؤكد ما لهذه المرحلة من قيمة سيكولوجية فى الحياة النفسية كلها ، فإن هذه حقيقة ثابتة لاشك فيها .

أما مرحلة النضج ومرحلة الشيخوخة فليس لهما إلا قيمة سيكولوجية ضئيلة بالقياس إلى مرحلة الطفولة ، لأنهما مرحلتان خاليتان تقريباً من التغيرات النفسية والتطورات العقلية . ومن أجل هذا ، فإن من الواجب أن يُملأ الفراغ الموجود فيهما بنشاط صناعى . وعلى ذلك فإنه إذا بلغ الفرد مرحلة الشيخوخة ، لم يكن عليه أن يقلع عن العمل ويركن إلى الدعة والخمول ، لأن الفراغ أخطر بالنسبة إلى الشيوخ منه بالنسبة إلى الشباب ... ؛ بل إن من الواجب على المجتمع أن يعهد إلى أولئك الذين وهت قواهم بعمل معتدل مناسب ، لا براحة تدنيهم من الموت ، أودعة تذيقهم طعم الموت الحى (the living death) !

وإذا أنعمنا النظر فى هذه الفكرة — فكرة الزمان النفسى أمكننا أن نفهم كيف أننا منعزلون بعضنا عن بعض فى دوائر منفصلة ، أو عوالم متميزة . فمن المستحيل بالنسبة إلى الأبناء أن يفهموا آباءهم ، وبالأحرى أجدادهم . ولهذا فإننا إذا نظرنا إلى الأفراد فى حقبة واحدة أمكننا أن نقسمهم إلى أربعة أجيال متعاقبة بينها من التنافر أقصى ما يمكن ... وإن هذا الجد الطاعن فى السن ، وذلك الحفيد الصغير ، لهما كائنان مختلفان كل الاختلاف ، وكل منهما غريب عن الآخر تمام الغرابة ... فإذا أريد أن يكون تأثير الجيل الواحد فى الجيل الذى يليه تأثيراً أكبر ، كان من الواجب أن تقل المسافة الزمنية بينهما . ولهذا فإن من الأفضل أن تصبح المرأة أماً فى دور شبابها الأول ، حتى لا يكون المدى الذى يفصل بينها وبين أولادها هو من السعة بحيث لا يمكن الحب نفسه أن يسد فراغه .

زكريا ابراهيم

أحمد محرم !

للأستاذ عبد الحفيظ نصار

في يوم الأربعاء ١٤ يونيو ١٩٤٥م بمدينة دمنهور توفى الشاعر الكبير الأستاذ أحمد محرم في بيته المتواضع ، وهو الشيء الوحيد الذي كان يملكه في ذلك البلد الذي قضى فيه جلّ حياته فلم يهتم أحد لموته كما لم يهتم أحد لحياته ... ومع ذلك كانت له ثروة شعرية تضعه في صف أعلام الأدب العربي الحديث

ولد الشاعر في (إبيا الحمراء) ، وهي إحدى قرى مركز الدلنجات ولم نهتد بعد إلى تأريخ دقيق لميلاده ، وإن كنا نقطع بأنه مات وهو في العقد السادس من عمره . وانتقل به والداه وهما من أصل شركسي إلى الحوشة ، وهي إحدى القرى الكبيرة بذلك المركز ، حيث كان يشتغل والده مشرفاً على إدارة إحدى المزارع الواسعة لأحد كبار الملاك ، ومن ثم استحضر له والده ، وكان رجلاً ديناً مستعرباً ، معلمين يحفظانه القرآن والشعر ويعلمانه قواعد النحو واللغة ، وهذا كل ما تلقى من تعليم عن طريق المعلمين . لم يذهب إلى مدرسة أو إلى الأزهر كما كان يذهب غيره من أبناء ذلك العصر . ولما كبر واتسع أفق تفكيره ، استطاع أن يعب من المعارف والعلوم العربية والإسلامية قدر الإطاقة ، ولقيت تلك المعارف تربة ذكية وجواً ملائماً ... فهذه هي الصحراء التي تغنى بها شعراء العرب ، وهذا لون من ألوان المعيشة شبيه إلى حد كبير بالمعيشة التي كان يعالجها سكان الجزيرة العربية

وهذه القرية الجميلة القائمة وسط المزارع التي تترامى من ورائها الصحارى كالواحة يجد فيها المعتسف والسارى القرى والغذاء والظل والماء تحت ذلك النخيل الباسق ! ومع ذلك لم تقيده بيئته ومعارفه بالماضي العربي المجيد وحده فعاش فيه ومن أجله ، بل عاش وفكر في آفاق أخرى وراء أفق بيئته ومعارفه — إذ كان يتردد على المدينة (دمنهور) فيقرأ فيها الصحف ، ويشترى منها الكتب ، ويسمع منها الأخبار التي لا تحملها إليه الصحف والكتب ، أخبار الإنجليز في مصر والإنجليز في السودان ، وأخبار ذلك الشاب المشتعل حماسة ووطنية مصطفى كامل وما تؤمل مصر من وراء حماسته ووطنيته وسعيه في فرنسا واستنبول ... فكان لتلك الأحداث التي عمت العالم الإسلامي نتيجة لضعف (الرجل المريض) وطمع الأجانب في ممتلكاته أثرها العميق في نفسه ، فإذا به يرسل الشعر العربي الصافي . وغدا أحمد محرم ما بين يوم وآخر شاعر الحركة يزاحم بمنكبيه أمراء البيان ... وللشاعر في تلك الفترة قصائد تعتبر تاريخاً لها وتسجيلاً للتيارات الفكرية والسياسية في ذلك العصر . أذكر أن له قصيدة عظيمة طبعت كديوان مستقل أوحاها إليه سقوط الدولة العثمانية ومجيء الأنباء باضطهاد مصطفى كمال لرجال الدين واللغة . وقليلون هم الذين يعرفون أن له ديوانين من الشعر العربي القوى ، ولندرة الموجود من نسخهما كادا أن ينمحيا من الوجود . وفي تلك الفترة والى المؤيد والجريدة وأنيس الجليس وغيرها من الصحف والمجلات العربية بأشعاره ، وخلق له جمهوراً من القراء والمعجبين به ، وصارت له صداقات أدبية بقادة النهضة الأدبية والسياسية في العالم العربي ، إذ لم تكن وقتئذ حدود بينة بين قيادة الفكر والفن وقيادة المجتمع والسياسة ؛ كل شيء مسخر لخدمة النهضة ومبادئها ، فلم تكن وجدت بعد الأبراج العاجية التي يهرب إليها مترفو الفكر الآن ، ولم يكن قد ورد إلى مصر من الخارج ذلك المخدر المسمى الفن للفن الذي يتعاطاه العجزة عن مواجهة الحياة . كان الشعراء والأدباء والعلماء في طليعة المجاهدين ، وكأن انتقال الشاعر إلى دمنهور بعد وفاة والده طالباً للعيش الهادئ فيها ، وليس لديه رأس مال في ذلك البلد التجاري غير الشعر والتقوى ... وما أخسره من رأسمال في بلد يستطيع أصحابه في إيمان وإخلاص عجيب أن يعبدوا الله والمال في وقت واحد ...

هي مدينة جميلة ما في ذلك شك ، لها تقاليدها الإسلامية العريقة ، ومساجدها العامرة دائماً ، ولكنها مع هذا لا تقدر غير أصحاب العقليات الزراعية من ملاك المزارع الواسعة وأصحاب المواهب التجارية في تجارة القطن التقليدية وأصحاب محالج الأقطان وإن كانوا أكياساً للغباوة والمال معاً ، فتلك المداخن العالية الكثيرة للمحالج التي تزاحم مآذن المساجد بكثرتها واستطالتها ، هي السمة الظاهرة لتلك المدينة وأهلها ، وعلى الأخص في الفترة

التى أعقبت الحرب والتى عظمت فيها تجارة القطن وعظم تجارها . أليس يكون غريباً مع هذا أن ينشد شاعرنا العيش الهادئ فى ذلك البلد ، وأن يحاول أن ينافس بتجارته هذه التجارة ؟ أليس غريباً أن تجد بلبلا غرداً بين ضجيج الآلات ؟ وأن يلهم الشاعر فى الجو الخانق من غبار القطن المتطاير أروع القصائد ؟

لا أدرى كيف استطاع أحمد محرم أن يعيش فى الفترة الأولى له ولكنى أعرفه بعد تلك الفترة مثالا لحظ الأديب النكد ، لا فى دمنهور وحدها ، بل فى مصر جميعها ؛ ولكنه استطاع بمعجزة ما أن يبنى له بيتاً صغيراً ، وأن يدخل أبناءه التعليم العالى . وعرفته فى تلك الفترة صحف أخرى ومجلات كالهلال والمقتطف والسياسة والسياسة الأسبوعية والبلاغ والأهرام وغيرها ، واستطاع أن يجد له معاشاً ضئيلا من التكسب بالنشر والكتابة والقيام ببعض أعمال صحفية صغيرة لبعض الصحف الكبيرة ، وكان يحاول أن يستر ذلك الجانب من حياته إذ كان يعتبره ناحية معاشية بحتة ، ومن ذلك الكتابة الدائمة لبعض الصحف الأقليمية ، ولم يكن ينشر شيئاً من ذلك باسمه . وقدرته جماعة (أبولو) التى كان يرأسها المرحوم شوقى وسكرتيرها الدكتور أبو شادى ، فكان لا يخلو عدد من أعداد مجلتها من قصيدة له . وكانت تطلب منه الهيئات العربية والجمعيات الإسلامية قصائد لحفلاتها ، فكان الإبداع يواتيه ولا ينزل به أبداً إلى تكلف المناسبات المعروفة ، لأنه كان يعبر عن عقيدة وإيمان . وقد طُلب منه كثيراً قصائد لمناسبات شخصية أو سياسية تخالف مبادئه أو آراءه ، فما رضى لقلمه أن يرخص ولا لشعره أن يهون ، برغم سخاء الطالبين وأمانيهم له وشدة حاجته

رحمه الله ! لقد عاش عفيف اليد واللهان ، بعيداً عن مغانم السياسة ، لا نعرف أن شعره جر عليه مغنما اللهم إلا إذا اعتبرنا تلك الجوائز التى ظفر بها شعره فى مسابقات السيدة هدى هانم شعراوى ومسابقات الإذاعة البريطانية ، ولا أعرف أثراً إيجابياً كتقدير له من إحدى الهيئات سواء أكانت حكومية أم أهلية أم من زملائه فى النهضة الذين وصلوا إلى الحكم . وهنا أذكر بالثناء والتقدير تلك النفس الحساسة النبيلة للشاعر العاطفى عزيز بك أباظة إذ أحس بالواجب عليه كشاعر وحاكم عندما كان مديراً للبحيرة نحو زميل مهضوم الحق والجانب ، فرعاه وألحقه مشرفاً على مكتبة بلدية دمنهور ، وكان ذلك من عامين تقريباً

وقد نظم أحمد محرم فى حياته الأخيرة إلياذته الإسلامية التى عارض بها إلياذة هوميروس ، وهى مجهود شعرى ضخم يقع فى عدة آلاف من أبيات الشعر العربى الرائع يعرض فيه للتاريخ الإسلامى غزواته وحروبه . فهو ملحمة إسلامية لا نظير لها فى الأدب العربى ، وقد بعث بها لوزارة المعارف لتطبعها على نفقتها ، ولكنها — عافاها الله وعفى عن وزرائها الأدباء — الذين تعاقبوا عليها والإلياذة مهملة فى أركانها لم يبت فى أمرها حتى الآن ، برغم مضى الأعوام ، ومضى صاحبها ، وقد نظم مجموعات إسلامية أخرى غير مقطوعات الإلياذة كانت تطلبها منه — كما ذكرت — بعض الهيئات والجمعيات فى شتى المناسبات ، فأذكر أنه نظم فى موضوع واحد ، وهو غزوة بدر الكبرى ، ثلاث قصائد طوال واحدة أثبتها فى الجزء الأول من الإلياذة الإسلامية ، والثانية نظمها إجابة لطلب جمعية إحياء مجد الإسلام ، والثالثة نظمها إجابة لطلب المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، ولكل قصيدة أفقها وجوها الخاص برغم وحدة الموضوع . تقرأ القصائد الثلاث فلا تحس بتكرار لمعنى أو لفظ ، ويصعب كثيراً أن تفضل واحدة على الأخرى ، وسنرجئ التعرض لشعره بالتحليل أو الدرس إلى أجل قريب نرجو فيه أن تتوافر لدينا المواد لعرض دراسة شاملة عنه إن شاء الله

بقى أن نشير إلى ناحية يجهلها الكثيرون من عارفيه ، ذلك هو أحمد محرم الشاعر العاطفى الرقيق ، فقد اشتهر كشاعر عربى إسلامى ، فمن يعرف أن له قصائد تسيل غزلا وعذوبة وتسرى فيها حرارة الحب قوية أخاذة لم ينشر منها إلا القليل ، أذكر منها تلك القصيدة التى ألهمه إياها الربيع والتى مطلعها :

هتف الداعى فلبوا يا رفق ... واجمعوا شمل الهوى بعد الفراق

ويقول فيها :

كان للهجر زمان فانطوى ... وخلت من شره دنيا الهوى
كم جريح فيه بالشوق اكتوى ... كم طريح فيه بالدمع ارتوى
كم مشوق بات مشدود الوثاق

يا شفاء الزهر ما أبهى الشفاه ... اضحكى بالله يا دنيا الحياه

وانظمى شعر الهوى إلى أراه ... سلوة الصب المعنى فى هواه
وانكبيه سلسلا عذب المذاق

لك من شعرى ربيع دائم ... كل بيت فيه عيد باسم
كل معنى فيه حب هائم ... كل حب فيه معنى حالم
كل حلم يملأ السبع الطباق

ويقول :

تلك خمرى يا رفيقى خذ وهات ... ودع الهم لأهل الترهات
نحن فى المعبد نقضى الصلوات ... هات كأسى يا صريع النشوات
يا لها يا صاح من كأس دهاق

نحن فى عالمنا السامى الجليل ... ديننا الإيمان والحب النبيل
لا نبالى فى كثير أو قليل ... كل من لام خليلا فى خليل
ما لكم والحب يا أهل النفاق

ويختمها بقوله :

يا نشيد الحب من ذا صنعك ... غنِّ يا قيس وقل ما أبدعك
كل طير يشتهى أن يسمعك ... هذه ليلاك يا قيس معك
كاذب من قال (ليلى) بالعراق

وله قصائد تفوق هذه جودة ورقة لم تنشر بعد سنعرض لها ، والطريف أنه نظم أغلبها فى أخريات حياته ، فهل مس أخيراً الحب قلبه الكبير ؟

وبعد ، فيروع الدارس للشاعر أحمد محرم تعدد جوانب شاعريته واتساع آفاق تفكيره ، ونرجو بدراسته أن نضع ذلك الشاعر فى مكانه الصحيح ، وأن يلتفت له بالعناية نقاد الأدب الحديث ووزارة المعارف ، إذ قد ترك فى مكتبته مجموعات كبيرة من الشعر تفوق فى روعتها ما نشر له ، قصرت يد الشاعر عن نشره وإن كان ما نشر له كفيل بأن يضعه فى عداد الخالدين .

رحمه الله ! لقد عرفته فى حياته شاعراً عظيما مغموراً بائساً فى دنيا المهرجين ، وشاهدت جنازته ، فآلمنى مظهرها أكثر من مظهر حياته ، فقد صحبته جفوة الحياة ووحدتها ، حتى إلى قبره !

فما أندر المقدرين والمخلصين ؟ ...

(دمنهور) **عبد الحفيظ نصار**



٩ ـ الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

الفصل السادس — جمال النساء

كان ذلك المنزل القديم الجميل المعروف باسم «أوتيل دي بيرون» الواقع في شارع هادئ على الضفة اليسرى لنهر السين بباريس — كان إلى عهد قريب مقراً لدير « القلب المقدس » ولكن بعد أن ألغيت الرهبنة النسوية شغله بضعة مستأجرين من بينهم رودان .

وللفنان كما رأينا مراسم أخرى في ميدون ، وفي مستودع الرخام بباريس ؛ غير أن له ولعاً خاصاً بهذا المنزل الذي بني بالبلدة في القرن الثامن عشر لأسرة ذات سطوة وجاه . وهو مسكن جميل تشتهيه نفس كل فنان ، فغرفه الكبيرة عالية ، بحوائطها حشوات بيض يطيف بها حُلى بارزة مموهة بالزخرف واللون الأبيض . أما الغرفة التي اختارها رودان ليعمل فيها فمستديرة تطل نوافذها الفرنسية العالية على حديقة غناء أهملت وطال عليها الإهمال . ومع ذلك فلا زال من المستطاع متابعة صفوف الأشجار التي تقوم على حوافي الطرقات والممرات المعشوشبة ورؤية بعض النباتات الخضراء القامة على العرائش وقد ركبتها أنجم متسلقة عجيبة . وفي كل ربيع تتفتح الأزهار الناضرة من بين الحشائش الكثة التي تملأ حاشية الحديقة . ولا يتسنى لشيء أن يبعث في النفس كآبة حلوة أكثر من هذا المنظر الذي يتلاشى فيه عمل الإنسان ويمحى رويداً رويداً بيد الطبيعة القاهرة .

يقضي رودان أكثر وقتـه في الرسم بذلك المنزل . ويحب أن يخلو إلى نفسه في هذا المنعزل الهادئ ، ويستودع الورق أشكالا لا عداد لها من الأوضاع الجميلة التي تتخذها المثل البشرية أمام عينيه .

وفي مساء أحد الأيام كنت أنظر معه في طائفة من تلك الرسوم ، وكنت أبدي إعجابي بتلك الخطوط المؤتلفة المتزنة التي استطاع بها أن يبرز كل انسجام الجسم الإنساني على الورق . أما الخطوط التي عملت بجرة واحدة قوية من جرات القلم فتبدي حدة الحركات أو فتورها وسكونها . وأما جمال التمثيل فيظهر بقليل من الظل يحدثه بإبهامه . وكان يبدو عليه وهو يدرس الرسوم كأنه يرجع بذاكرته مرة أخرى إلى المثل الحية التي أخذ عنها تلك الرسوم وعند ذلك صاح :

« آه ! يا لجمال أكتاف هذه المرأة ! يا لها من متعة عظيمة ! وما أجمله من منحنى كامل الحسن ! إن رسمي أثقل مما يجب . لقد حاولت كثيراً ولكن ! ! انظر . ها هي ذي محاولة أخرى لنفس المرأة . إنها أقرب شبهاً بها . ومع ذلك !

« ثم انظر إلى نحر هـذه ، وإلى ملاحة هذا الخط الممتلئ المحبوب . إن له رشاقة لا تشوبها شائبة .

وهنا سألته :

« يا أستاذ . أمن السهل العثور على مُثُل جميلة ؟ » فقال : « نعم . » فقلت : « إذاً فالجمال ليس نادراً في فرنسا . » فقال : « كلا . إني أقرر لك ذلك . » فقلت : « ولكن خبرني . ألا تظن أن الجمال القديم يفوق جمالنا الحديث ، وأن النساء العصريات يقصرن عن أن يدانين أمثال أولئك اللاتي أخذ عنهن فيدياس » فأجاب : « كلا ، ألبتة . » فقلت : « ومع هذا فجمال وكمال تماثيل زهرات الإغريق ... » فقال : « كان لفناني ذلك العصر أعين يرون بها . أما فنانونا المعاصرون فعمي لا يبصرون . وهذا كل ما هنالك من فارق . كانت نساء الاغريق جميلات ، ولكن ترعرع جمالهن قبل كل شيء في أذهان المثالين الذين نحتوهن . توجد اليوم نساء مثلهن تماما وعلى الأخص بجنوب أوروبا . فمثلا ينتمي الايطاليون المحدثون إلى نفس النوع الذي انتمت إليه مُثُل فيدياس . وأخص ما يميز هذا النوع هو اتساع الأكتاف والأرداف اتساعا متساويا » فقلت : « ولكن ألم تؤثر غزوة البرابرة في مستوى الجمال القديم بما نجم عنها من اختلاط في الجنس ؟ » فقال : « كلا . حتى إذا افترضنا أن البرابرة كانوا أقل جمالا وتناسباً من جنس البحر المتوسط — وهذا محتمل — أقول حتى إذا افترضنا هذا فإن

الزمن قد محا محواً تاما كل عيب نشأ عن امتزاج الدم ، وأعاد الانسجام إلى أجسام النوع القديم مرة أخرى . وإذا ما امتزج الجميل بالقبيح فأغلب الظن أن الغلبة تكون للجميل فى النهاية . إن الطبيعة لتتجه دائماً أبداً — بقانون سماوى — وجهة الأحسن والأصلح ، وتنحو ناحية الكمال بلا توقف . ويوجد بجانب نوع البحر المتوسط نوع الشمال الذى تنتمى إليه بعض نساء فرنسا ونساء العنصر الجرمانى والسلافى والذى نشاهد فيه الأرداف وافية التكوين والأكتاف ضيقة نوعا . إنه من نوع ما نشاهد فى حوريات جان جوجون (Jean Goujon) ، وفى زهرة واتو التى بلوحته المسماة « حكم باريس » ، وفى « ديانا » لهودون (Houdon) . ونرى فى هذا النوع أيضاً أن الصدر مرتفع بينهما نراه على نقيض ذلك مستويا فى النوع القديم ونوع البحر المتوسط . والحق أقول إن لكل نوع أو جنس من الأجناس جماله الخاص . والمسألة هى اكتشاف هذا الجمال . لقد رسمت بسرور شديد راقصات كمبوديا[1] اللاتى حضرن مع مليكهن أخيراً إلى باريس ؛ إذ أن للاشارات والحركات الصغيرة الرشيقة التى تصدر عن أعضائهن الجميلة جمالا عجيباً مدهشاً .

ولقد عملت عدة دراسات عن الراقصة اليابانية هاناكو (Hanako) ذات العضلات القوية التى تبرز بروزاً واضحاً كما هو الحال فى نوع الكلاب المسمى (فوكس تيريور) . أما أربطة تلك العضلات فنامية لحد أن لمعاقدها ثخانة توازى ثخانة الأعضاء نفسها . إنها لمن القوة بحيث تستطيع الوقوف على ساق واحدة لأى وقت تشاء ، بينما تصنع بالأخرى زاوية قائمة مع جسمها فتبدو كأنها شجرة غرست فى الأرض غرساً . ويختلف التشريح فى جسم تلك الراقصة عما هو فى أختها الغربية ، ولكنه مع ذلك جميل كل الجمال فى قوته الخاصة . »

وبعد هنيهة من الصمت عاد إلى الفكرة المحببة إليه قائلا :

« وقصارى القول يوجد الجمال فى كل مكان . وليس هو الذى تفتقر إليه أعيننا ، بل إن أعيننا هى التى تقصر عن إدراكه ورؤيته . فالجمال سجية وتعبير . هذا ولا يوجد شىء فى الطبيعة له من السجية والتعبير أكثر مما للجسم الإنسانى؛ فهو يبعث شتى الأخيلة المختلفة بقوته وجماله . فآناً نراه يشبه الزهرة بقوامه المائل الذى يكون بمثابة الساق منها ، وبالثديين والرأس وجزالة الشعر ، وكلها بمثابة كأس الزهرة ونضارته . ونراه آناً آخر كالنبت المتسلق اللدن أو كالساق الفارعة المعتدلة يقول أوليس (Ulysses) لنوسيكا (Nausicaa) « كأنى حينما أنظر إليك أرى نخلة باسقة بجزيرة ديلوس قريباً من مذبح أبوللو وقد نما فرعها الأوحد من الأرض إلى السماء » . ثم إذا انحنى الجسم الإنسانى قليلا إلى الوراء كان كاللولب ، أو كقوس جميلة يسدد عليها إيروس سهامه الخفية ، وفى أحوال أخرى يبدو كالقارورة ؛ ولطالما أمرت مثالا أن تجلس على الأرض بحيث تجعل ظهرها قبالتى ، وذراعيها وساقيها متجمعة أمامها . ففى ذلك الوضع يبدو الظهر الذى يستدق قليلا نحو الوسط ثم يستعرض مرة أخرى عند الأرداف كأنه زهرية بديعة الشكل والتكوين .

وفوق كل هذا وذاك فالجسم الإنسانى مرآة النفس ، ومن النفس يستمد أعظم جماله . «ياالحم المرأة ، ياأعجوبة العجائب ، ياأعلى مراتب الطين وأسماها ! يا أجلّ مستقر للروح من الحمأ المسنون ! يا أيها الظرف المادى الذى تضىء فيه الروح كما لو كانت تضىء فى أكنافها . أيها الصلصال الذى يرى المرء فيه انطباع أصابع الخالق المصور ! أيها الطين الجليل الذى يستمطر القبلات ويستبى قلوب الرجال ! بلغت من القدسية بحيث لا يُدرى إذا كانت الشهوات فيضاً آلهيا ، طالما كان الحب مسيطراً قاهرا والنفس منجذبة منقادة ، بلغت من القدسية بحيث لا يسع المرء عندما تتأجج عواطفه وهو يحتضن الجمال إلا أن يتوهم أنه يعانق الإله[1] »

«أى والله لقد أصاب فكتور هوجو كبد الحقيقة . إن أكثر ما نعشقه من الجسم الإنسانى لا يقتصر على الظرف الخارجى الجميل، وإنما هو القبس الداخلى الذى يخيل إلينا أنه يشتعل فى جوفه وبضيئه .

دكتور محمد بهجت

قسم البساتين

(١) جزء من بلاد الهند الصينية الفرنسية

(١) من أبيات لفكتور هوجو

يا سامر الحى !

للأستاذ (بدوى الجبل)

ياسامر الحى هل تعنيك شكوانا رقّ الحديد وما رقوا لبلوانا
خلّ العتابَ دموعاً لاغناء بها وعاتبِ القوم أشلاء ونيرانا
آمنت بالحقد يزكى من عزائمنا وأبعد الله إشفاقاً وتحنانا
ويل الشعوب التى لم تسق من دمها ثاراتها الحمر أحقاداً وأضغانا
ترنح السوط فى يمنى معذبها ريّان من دمها المسفوح سكرانا
تغضى على الذل غفراناً لظالمها تأنق الذل حتى صار غفرانا
ثارات يعرب ظمأى فى مراقدها تجاوزتها سقاة الحى نسيانا
ألا دم يتنزى من سلافتها أستغفر الثأر بل جفت حميّانا
لا « خالد » الفتح يغزو الروم منتصراً
ولا « المثنى » على رايات شيبانا
أما الشآم فلم تبق الخطوب به روحاً أحب من النعمى وريحانا
ألمّ والليل قد أرخى ذوائبه طيف من الشام حيانا فأحيانا
حنـا علينا ظماء فى مناهلنا
فأترع الكأس بالذكرى وعاطانا
تنضر الوردَ والريحان أدمعُنا وتسكب العطر والصهباء نجوانا
السامر الحلو قد مر الزمان به فزق الشمل سماراً وندمانا
قد هان من عهدها ما كنت أحسبه
هـوى الأحبة فى بغداد لاهانا
فمن رأى بنت مروان حنت تعباً من السلاسل يرحم بنت مروانا
أحنو على جرحها الدامى وأمسحه عطراً تطيب به الدنيا وإيمانا
أزكى من الطيب ريحاناً وغالية ما سال من دم قتلانا وجرحانا
هل فى الشآم رعاك الله والدة لا تشتكى الثكل إعوالاً وإرنانا
تلك القبور فلو أنى ألم بها لم تعد عيناى أحباباً وإخوانا
يعطى الشهيد فلا والله ما شهدت عينى كإحسانه فى القوم إحسانا
وغاية الجود أن يسقى الثرى دمه عند الكفاح ويلقى الله ظمآنا
والحق والسيف من طبع ومن نسب
كلاهما يتلقى الخطب عريانا
قل للألى استعبدوا الدنيا بسيفهم من قسم الناس أحراراً وعبدانا
إنى لأشمت بالجبار يصرعه باغ ويرهقه ظلماً وطغيانا
لعله تبعث الأحزان رحمته فيصبح الوحش فى برديه إنسانا
والحزن فى النفس نبع لا يمر به صادٍ من النفس إلا عاد ريانا
والخير فى الكون لو عريت جوهره
رأيته أدمعاً حرى وأحزانا

سمعت باريس تشكو زهو فاتحها هلا تذكرت ياباريس شكوانا
والخيل فى المسجد المحزون جائلة على المصلين أشياخاً وفتيانا
والآمنين أفاقوا والربوع لظى تهوى بها النار بنياناً فبنيانا
رمى بها الظالم الطاغى مجلجلة كالعارض الجون تهداراً وتهتانا
أفدى المخدرة الحسناء روّعها من الكرى قدَر يشتد عجلانا
تدور بالقصر عدْواً وهى باكية وتسحب الطيب أذيالاً وأردانا
تجيل والنوم ظلّ فى محاجرها طرفاً تهدهده الأحلام وسنانا
فلا ترى غير أنقاض مبعثرة حوين فناً وتاريخاً وأزمانا
... تلك الفضائح قد سميتها ظفراً هلا تكافأ يوم الروع سيفانا
تجابه الظلم سكران الظبى أشراً ولا سلاح لنا إلا سجايانا
إذا انفجرت من العدوان باكية فطالما سمتنا بغياً وعدوانا
عشرين عاماً شربنا الكأس مترعة
من الأذى ! فتملى صرفها الآ
ما للطواغيت فى باريس قد مسخوا
على الأرائك خدماً وأعوانا
الله أكبر هذا الكون أجمعه لله لا لك تدبيراً وسلطانا
ضغينة تتنزى فى جوانحنا ما كان أغناكم عنها وأغنانا
تفدى الشموس بضاح من مشارقها
هلال شعبان إذ حيا بشعبانا
دوت به الصرخة الزهراء فانتفضت
رمال مكة أنجاداً وكثبانا
وسال أبطحها بالخيل آبية على الشكيم تريد الأفق ميدانا
وبالكتائب من فهر مقنعة تضاحك الشمس هندياً ومرانا
تململ الفاتحون الصيد وازدلفوا إلى السيوف زرافات ووحدانا
السابقات وما أرخوا أعنتها والحاملات المنايا الحمر فرسانا
سفر من المجد راح الدهر يكتبه ولا يضيق به جهداً وإمعانا
قرأت فيه الملوك الصيد حاشية والهاشميين طغراء وعنوانا

شد الحسين على الطغيان مقتحماً فزلزل الله للطغيان أركانا
نور النبوة فى ميمون غرته تكاد تلثمه الأجفان فرقانا
لاث العمامة للجلى ولست أرى إلا العمائم فى الإسلام تيجانا
يا صاحب النصر فى الهيجاء كيف غدا
نصر المعارك عنـد السلم خذلانا
... ...

أكرمت مجدك عن عتب هممت به
لو شئت أوسعته جهراً وتبيانا
ما للسفينة لم ترفع مراسيها ألم تهيئ لها الأقدار ربانا
شق العواصف والظلماء جارية باسم الجزيرة مجرانا ومرسانا
ضمى الأعاريب من بدو ومن حضر
إنى لألمح خلف الغيم طوفانا
يا من يدل علينا فى كتائبه نظار، تطلع على الدنيا سرايانا

يا عـــربى ...

للأستاذ محمد سليم الرشدان

صعدت السماء بلا سلم وسرت اختيالاً على الأنجم
بعزم يدك رواسى الجبال وإقدام ذى لبد ضيغم
فكيف تبيت أسير الهوان وأنت الذى ـ قط ـ لم يرغم !
وأنت الذى دوخ المشرقين وصارم عزمك لم يثلم !
ملكت البلاد وسدت العباد وكنت الملاذ لمن يحتمى
وكنت منار الهدى للأنام يؤمك فى ليله المظلم ...
فقم واطرح عنك هذا الرقاد فقد خسرت قسمة النوم
وما فاز فى العيش إلا الجسور وما خاب فى السعى كالمحجم
ومن يركب الهول للمكرمات يعد والمعالى له تنتمى
فعش فى حماك عزيزاً مهيبا وكن رجلاً باسلاً تكرم

فرحة السـلم

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

عادنا السلم فعودى لأغاريدك عودى
وابعثى الأنغام فى سمع الليالى من جديد
من نشيدٍ عبقريٍ خالدٍ أزلٍ نشيدِ
بوقظ الفرحة والآمال فى هذا الوجودِ

أشرق الصبح وولت ظلمة الليل الرهيب
وأفاق الكون مما طاف من هول الحروب
وانطوت صفحة إثم عابس الوجه مريب
وليال هزت الدنيا بنار وحديد

هو ليل طال ما أقساه بتناه حيارى
طال حتى لم نعد نحسب لليل نهارا
كم تداعى فيه للآمال صرح وتوارى
روع الدنيا بما يزجيه من خطب شديد

هو ليل طال ما أقساه فى عمر الزمان
مغرق فى الظلم لا يعرف معنى لحنان
قد قضيناه على مر نعانى ما نعانى
من وعيد منكر يصدق من بعد وعيد

ذكريات يا لها فى خاطرى من ذكريات
كلما طافت بعينى استباحت عبراتى
وأشاعت فى رحاب النفس شتى الحسرات
آه مما لقى الأحرار من ذل القيود

ظالم لا يعرف الرحمة قد ضل وتاها
أشعل الحرب فبات الكون يشقى بلظاها
كم أسالت من دماء أينما دارت رحاها
فى سبيل الحق ما أزهق من روح شهيد

هللى للصبح يا أطيار فالصبح أتانا
رائعاً يملأ دنيانا أماناً وحنانا
رفرف السلم منى تشرق فى ليل أسانا
وتشيع الأنس والفرحة فينا من جديد

أيها الشاعر هذا عيدنا الأسنى فغن
هو عيد السلم والنصر معاً عيد التمنى
جاء للدنيا بشيراً جامعاً من كل حسن
نادياً باليمن والإسعاد والعيش الرغيد



حول انهيار فرنسا

سألنا كثيرون عمن هو الأستاذ العربي الكبير كاتب مقالات (حول انهيار فرنسا) التي نشرت بالرسالة . وجوابنا أنه الأستاذ ساطع الحصري بك وكان قد ألقاها في نادي المثنى ببغداد عقب انهيار فرنسا؛ فلما حانت الفرصة لنشرها نشرناها ولم نصرح باسمه قبل أن نستأذنه وقد أذن . وفي كتابه الذي أذن فيه بذكر اسمه حديث عن مأساة دمشق الأخيرة ننشر منه هذه الفقرة :

« لقد قدر لي أن أشهد الفصل الأخير من المأساة التي بدأت هنا قبل ربع قرن . وكنت قد شاهدت انفجار أول قنبلة فرنسية في هذه الربوع وأنا أسير مع فيصل العظيم بجانب مستشفى (المزة) صباح يوم (ميسلون) في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠؛ ثم سمعت دوي آخر قنبلة فرنسية تلقى من المزة على المدينة مساء يوم ٣١ أيار سنة ١٩٤٥

لبثت في فندق (أوريان بالاس) إحدى وعشرين ساعة أسمع فيها بدون انقطاع أصوات البنادق والرشاشات، ودوي القذائف والقنابل، وأرى الرصاص والشظايا تخترق الشبابيك والجدران، والقنابل تنفجر على السطح وفي داخل القاعات . ثم استطعت أن أنتقل إلى بناية في أعلى المدينة لأطلع من هناك على القذف الذي استمر أربعاً وعشرين ساعة أخرى . ثم تجولت ساعة في المدينة ورأيت من هول الفظائع والمناظر ما رأيت، ثم عدت إلى الفندق فرأيت في غرفتي آثار سبع عشرة رصاصة ... ! »

في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب

حضرة سيدي المحترم رئيس تحرير الرسالة الغراء

أهدي إليكم سلاماً ذكياً عاطراً وتحيات مباركة طيبة ...

وبعد، فإني متتبع بعناية وإكبار تصحيح الأديب الفاضل الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي لكتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، وقد رأيت في العدد الأخير من الرسالة الغراء تصحيحه لبيت أبي تراب علي بن نصر الكاتب الوارد في ج ١٥ ص ٩٨ وهو :

حالي بحمد الله حال جيده ... لكنه من كل خير عاطل

ولم يرتض الضبط (جَيِّده) ورأى حضرته أن الأصل (حالٌ جيد) بحذف التاء، وقال : (قلت : حالي بحمد الله حال جيد)، والحال يذكر وإن كان التأنيث أكثر اهـ

وأنا أرى أن البيت (حالي بحمد الله حالٍ جيدُه) على المجاز، وحال اسم فاعل من حلي ضد عطل، والجِيد العنق، ودليل ذلك مقابلة الحلي في صدر البيت بضده في عجزه وهو قوله (عاطل)، فإن وافقكم رأيي هذا رجوت نشره في الرسالة الغراء مع شكري لحضرتكم وحضرة الناقد الأديب الأستاذ النشاشيبي، وتقبلوا فائق التحية والسلام

أحمد يوسف نجاتي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

إلى الأستاذ عبده الزيات من الدكتور عبد الفتاح السيد بك

تحية وسلاما، وبعد فقد تناولت بيد الشكر والامتنان يومياتك القيمة وأخذت في الاطلاع عليها واستيعاب ما فيها من ملاحظات ودروس في حياة المحامي العملية . ولم أشأ أن أؤخر القيام بواجب شكرك على إهدائي هذه الرسالة النفيسة حتى أتم الاطلاع على صحفها جميعاً، بل رأيت من فرط ارتياحي لما قرأته منها أن أسطر لك كتابي هذا مقدمة لقيامي بواجب زيارتك لكي أكرر الثناء العاطر

إن ملاحظاتك تدل حقاً على خلق نبيل وإحساس رقيق وشعور سام .

وإن كان لي ملاحظة أبديها فهي حرماني من الاطلاع على هذه اليوميات قبل الآن وقت أن كنت مبتدئاً في المحاماة التي أريد أن تعتقد بقول زميل نابه لك من قبل إنها مهنة الكرامة والكفاح والمجد، لا مهنة العبودية والمذلة وغير ذلك مما ذكرت في يومية ١٥ مايو سنة ١٩٤٠ لأنك بذلك أيها الزميل تحاول أن تثبط عن غير قصد همة شيخ مثلي أراد في آخر أيامه أن يكون له شرف الانتساب إليها لا للكسب — صدقني — ولكن لما يشعر به في قرارة نفسه من أنها سبيل الدفاع عن الحق ومعاونة القضاء، فعلا على الاضطلاع بمهمة

العدالة؛ ولا يضير المحامى أن يصادف فى عمله تعباً ونصبا، فإن الحياة كلها كفاح. وحسبنا فيها أن نؤدى واجبنا بضمير مرتاح ونفس مطمئنة
أكرر لك شكرى أيها الزميل وأرجو المزيد من هذه اليوميات وتقبل ممن يفخر بك تلميذاً وزميلا أزكى السلام.

عبد الفتاح السيد

تقدير المجمع اللغوى لكتابين قيمين:

[ألف الدكتور على عبد الواحد وافى الأستاذ بكلية الآداب كتابين نفيسين فى علم اللغة وفقهها لم يصنف فى بابهما خير منهما فى سداد المنهج وغزارة المادة وطرافة البحث لا فى القديم ولا فى الحديث. وقد بعث بنسختين من طبعتهما الثانية إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فجاءه من معالى رئيس المجمع الخطاب التالى]:

« حضرة الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى:

« عرض على لجنة الأدب فى المجمع كتابكم « علم اللغة » ، وصنوه « فقه اللغة » . وقد حمدت لكم اللجنة ما بذلتم من جهد فى البحث والدرس والاستخلاص؛ فقد حوى هذان الكتابان من مختلف مسائل اللغة وعالجا من مشكلاتها ما تمس إليه حاجة الباحث المتطلع. وقد انتهجتم فى التأليف طريقة علمية حقيقة بالتقدير، وبسطتم من المعلومات ما يدل على غزارة مادة وحسن إحاطة. وكان لما أيدتم أو فندتم من وجهات النظر المتباينة مظهر من استقلال الرأى

وإننا إذ نشكر لكم هذا المجهود فى التأليف، نرجو لكم المزيد من التوفيق، وتقبلوا أطيب تحياتى »

رئيس المجمع

أحمد لطفى السيد

أهل السنة وأصحاب الحديث

كتب الأستاذ محمد يوسف موسى فى العدد ٦٢٢ من الرسالة كلمة طيبة عن كتابى « التعليم فى رأى القابسى » الذى صدر أخيراً مع رسالة القابسى المخطوطة « أحكام المعلمين والمتعلمين » . وهى كلمة تدل على أن الأستاذ يوسف موسى قد عنى بقراءة الرسالة عناية عظيمة، مع تحقيق العلماء وبصر أصحاب الفكر، مما هو جدير بعلم صاحب الكلمة وفضله.

وقد أشار الأستاذ الفاضل إلى مسألتين: أولاهما ورود « أهل السنة » للدلالة على « أصحاب الحديث » فى مواضع نص على صفحاتها من الكتاب.

ولا نزاع فى أن هناك فرقاً بين أهل السنة وأصحاب الحديث، فأهل السنة يقابلون الفرق الإسلامية الأخرى، وعلى الأخص الشيعة والمعتزلة، ولا يلزم أن يكون أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية كما ذكر الأستاذ يوسف موسى، لأنه قبل الإمام أبى الحسن على ابن اسماعيل الأشعرى المتوفى ٣٢٤ هـ ، كان مذهب أهل السنة موجوداً فى مقابل الفرق الإسلامية التى تخالفه. كما أن فرقة الأشاعرة بعد موت الأشعرى تعمقت فى علم الكلام للرد على المعتزلة وعلى غير المعتزلة، فى الوقت الذى بقى فيه كثير من المسلمين متمسكين بالسنة من غير أن يكونوا معتزلة أوأشاعرة. أما أصحاب الحديث، فيذكرون عادة فى مقابل أصحاب الرأى من الفقهاء، كما هو معروف.

ومع ذلك فالتفرقة الدقيقة بين أهل السنة وأصحاب الحديث لايستمسك بها كثير من العلماء. فمنهم من يجعل أصحاب الحديث اصطلاحا مرادفا لأهل السنة، فيتكلم على أصحاب الحديث فى مسائل كلامية لا فقهية. ونقصد هنا بالمسائل الكلامية، الاعتقادات لا العبادات. قال الإمام المحدث المفسر شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابونى المتوفى ٤٤٩ هـ فى رسالته عقيدة السلف وأصحاب الحديث[1] « أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول (ص) بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله، أوشهد له بها رسوله (ص) على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه ... »

وقد كان القابسى من أهل السنة، كما كان من أصحاب الحديث. فإذا كنتُ قد وصفته فى بعض الأحيان بإحدى الصفتين فلم أكن مجانباً فى ذلك الصواب. وبخاصة إذا لم يكن المقام يقتضى المقابلة بين الفرق المختلفة. أما إذا كان المقام مقام تفرقة صريحة بينه وبين المتكلمين من المعتزلة، فقد عنيت بالنص على أنه من أهل السنة.

(١) من مجموعة الرسائل المنيرية — الجزء الأول — ١٣٤٣هـ الرسالة السادسة ص ١٠٥ وما بعدها

أما المسألة الثالثة وهى الحكم على المعتزلة بما ذكره الغزالى ، وقد كان يحسن أن ألتمس الحكم عليهم من كتبهم أنفسهم ، فإن ما ذكرته هو ما كنت أعنيه ؛ لأنى أردت بيان رأى خصوم المعتزلة فى آرائهم ، ولم يكن يهمنى تحقيقها من كتبهم .

دكتور أحمد فؤاد الأهوانى

إلى شيوخنا الأدباء

أقف الآن حائراً فى شئون الفكر ، ويمتد خيالى إلى الوراء فأطالع تراث الآداب المختلفة وملاحم الشعراء العظيمة ، وأخرج بعد ذلك إلى الحياة العامة ، وأشاهد مباذلها وقيمها المختلفة من خير وشر، ثم أعود بعد ذلك فأحبس نفسى فى برج عاجى أوسجن فسيح ، أجتر غابر ذكرياتى ، وأطالع أدب شيوخنا الأدباء من صناديد المفكرين والكتاب الذين أتيح لهم بما لديهم من عبقريات فذة أن يعرفوا فى هذه البلاد والأقطار العربية الشقيقة . ولكننا نراهم عاكفين على إنتاجهم ولا يفكرون فى شئون الجيل الجديد والعمل لصالح مستقبل الأدب فى مصر

ولعل الذى أثار هذا المعنى الجليل فى نفسى هو نداء الأستاذ الكبير الزيات إلى وجوب إنشاء دار للترجمة تترجم لنا كل ما فى أدب الغرب من روائع وأعلام . ولا شك أنه نداء صادق أمين ، فللأستاذ الكبير الثناء والشكر من وفود جيل يرقب أعمال الأدباء بجانب تراثهم الخالد فى الأدب . وعلى هذا الضوء نتوجه إلى الأستاذ العقاد ، والدكتور طه حسين ، والأستاذ الزيات فى شىء من اللوم والتقصير : من فى أدباء الشباب سيخلف العقاد العظيم ؟ وهل فى العربية كاتب تقرب منزلته فى أسلوبه مثل الزيات ؟ الجواب : لا ... ولكن هل فكر الزيات فى أن يخلفه أديب أو جماعة من الأدباء يمثلون مدرسة خالدة فى الأسلوب الرصين ؟ وهل امتدت خدمة الدكتور طه حسين حينما كان مستشاراً فنياً لوزارة المعارف إلى عمل نافع لثقافة جيل جيد ؟ ! كم كنا نود من الدكتور طه أن يشير إلى مثل ما اشار إليه الأستاذ الزيات من إنشاء دار للترجمة ... ؟ ! وهل اتفق أقطاب الأدب الحديث وهم العقاد وطه حسين والزيات على ذلك العمل الجليل فأسرع العقاد فى مجلس الشيوخ يطالب بذلك . وأشياء وأشياء نودها من أشياخنا الأدباء لضرورة نهضة الجيل الجديد كإنشاء دار تعرف باسم الأدب الحديث للمحاضرات والمناظرة .

وإنى لأخشى ألا يكون فى امتداد أدباء الشباب من ينصف شيوخنا الأدباء فى المستقبل إلا إذا تأثروا بأدبهم ونشاطهم ولن يكون ذلك إلا إذا قامت مدارس أدبية تمثل ألوان الأدب الحديث وأعلامه الأفذاذ .

وبعد فهذه ناحية لم يلح فى تناولها أدباؤنا الشباب الذين أتيحت لهم الكتابة فى الجرائد والمجلات ، فهل تفسح لنا الرسالة الغراء فى نشر هذه الكلمة ؟ نرجوذلك وللأستاذ الزيات الشكر والثناء على عمله المتواصل فى خدمة الشباب والأدب والثقافة .

أحمد محمود دعبس
طالب بالمدرسة السعيدية

الجمال الفنى فى القرآن

وقعت أخطاء مطبعية فى المقال المنشور بالعدد الماضى يمكن أن يدركها القارىء فنكتفى بتصحيح اثنين منها للضرورة :

وقع اضطراب فى هذه الفقرة فنعيدها مصححة بزيادة الكلمات الساقطة منها :

« وتكملة لهذا البيان أقرر أن هذه الطريقة تكثر فى مواضع التشريع وفى بعض مواضع الجدل . أما طريقة التصوير فإنها تكاد تطرد فى سائر الأغراض » .

ووقع خطأ فى هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » .



الدميم ...

للأستاذ حبيب الزحلاوى

(بقية ما نشر فى العددين السابقين)

— ٣ —

لزمت غرفتى طول النهار التالى ولم أذهب إلى ملحق الفندق إلا بعد ثلاث ليال .

لقينى خصوم الليلة الأولى بل أصدقاؤها بترحاب ملحوظ ، جعلنى أحس كأنهم ينتظرون قدومى ، وغدوت أعاتب إذا تأخرت ليلة عن الحضور .

قيل لى مرة بعد مقدمات وأسئلة عن صاحبى (وقد أطلقوا عليه اسم « ليدرون » تحريفاً لكلمة بالفرنسية معناها « يشع ») بأنه خطب الآنسة « سمسم » من والدتها وهو يجهل طبعاً أنها حفيدة فلان العظيم ، وقد ذكروا اسمه ولقبه ورتبه ، وأن والدتها ردته بلطف . فلم يأبه لردها وأصر على البقاء بقرب « سمسم » وأنه سيعود إلى مصر متى عادت إليها ليفاتح جدها وهو ولى أمرها « بالزواج » . وقالت إحدى الآنسات : نحن منقسمون حيال هذه المسألة إلى قسمين : قسم الآنسات يتنبأ بتحقيق هذا الزواج وسيكون زواجاً سعيداً ، وقسم الرجال يستبعد وقوعه ، فأنت إلى أى جانب يكون انحيازك ؟

قلت : ما ذا كان ردّ الآنسة « سمسم » على خطبتها ؟

قلن : قالت إنها ستقول كلمتها عند ما تعرض المسألة على ولى أمرها .

لم أشأ الانحياز إلى جانب المتنبئات المتفائلات لأنهن أقدر من الرجال على استشعار الرجولة ومعرفة ميول المرأة ، ولم أمل إلى المتشائمين الذين استبعدوا وقوع هذا الزواج بين شخصين يمثلان الشىء وضده ، أى الجمال البادى والدمامة الصارخة ، وقد تحاشيت عمداً إبداء رأى فى صاحبى الذى عرفته فقط يوم وصولى إلى جزيرة « رودس » وقد أعانتنى على هـذا التحاشى رؤية صاحبى مقبلاً مع فتاته « سمسم » وكأن قلبيهما يدفعان خطواتهما باتزان فى حين كان فكراهما يسبحان فى جو سماء واحدة .

***

كان من عادتى فى تلك الجزيرة أن أستيقظ عند الفجر أستقبل شروق الشمس حين أكون عند قمة الجبل أمتع النظر بأبهج وأروع ما رأيت من مفاتن يقظة الشمس . وحدث فى صبيحة أحد الأيام ، أنى ما كدت أتخطى عتبة حجرتى حتى تقدم أحد غلمان الفندق فأتى إلى كتاباً فيه دعوة من السيدة والدة الآنسة « سمسم » إلى مقابلتها عند ربوة « النبى إيليا » وهى ربوة ليست بعيدة عن الفندق تكتنفها أشجار الصنوبر وتحجب الجالسين فيها عن الأنظار

سيدة مهيبة الطلعة يبرز وجهها الحافظ لنضارته ولونه كلون ضوء القمر من وسط هالتين من شعر أسود فاحم ، وثوب أسود يستر أكثر أجزاء الجسم ، هذه السيدة والدة « سمسم » هى التى دعتنى للكلام معها فى حادث صديقى .

شرحت لتلك السيدة المحترمة العاقلة مبلغ معرفتى بصاحبى الدكتور واعترفت لها بأن لا سلطان لى عليه إلا حق دعوته إلى الاصطبار والتريث ريثما ينقضى فصل الصيف ونعود إلى مصر .

قالت : أخشى أخباراً تتسرب إلى مصر تنقل محرفة فيتقول الأشرار عن العائلة ما لا ترضاه ، ودعتنى بإلحاح إلى معاونتها فى إقصاء صاحبى عن ابنتها التى شهدت بطيبة قلبه وكريم شمائله كما ستعمل هى من جانبها على ردع ابنتها بالحسنى عن التمادى فى صداقة رجل لم نعرفه بعد .

لم يكن فى وسعى استجابة طلب السيدة وقد أدركت من كلامها أنها وإن كانت غير راضية عن صلة ابنتها بالرجل ولكنها غير غاضبة عليها ، وقد صارحتها الرأى قائلا بأنى لا أطيق أن أباعد بين قلبين يتدانيان ، ولا أعمل مطلقاً على نصب حواجز بينهما . وقد شعرت عند تركى إياها بأنها مقدرة موقفى وتصرفى .

مدت يدها لوداعى ، فقبلت تلك اليد ووددت لو ألصق شفتى بظهر كفها طويلاً لإبلاغها مدى احترامى لها وإكبارى إياها .

السيدة جميلة تستر جمالها بالحزن ، حدثتنى عن ابنتها الوحيدة بلسانين من العاطفة الحنون والعقل الراجح . إنما هى محزونة

مفجوعة ، لا بزهرة من زهرات الحب ، بل بباذر بذور الحب ، بزوجها وهي الوفية لعهده بعد الموت . هي أم ترضى لابنتها زوجاً له بعض مزايا المرحوم زوجها في الانكباب على قراءة الكتب .

***

لم يعد صاحبي في حاجة إليّ ولا إلى كتبه فقد تركها لي هدية المستغني ، ولم يكن ظرفي الخاص يبيح لي الاندماج بنزلاء ملحق الفندق وجلهم أعزب دأبه التصبي والتغازل .

كم من العسير ياصاحبي على شاب ألجم بالزواج في سن مبكرة قبل أن يتفتق ذهنه للحياة ! وكم تكون الحياة هزيلة في نظره إذا داهمته بالبنين قبل أن يستد ساعده للكفاح ! وكم تكون قيود العرف وأغلال العادة ثقيلة على قلبه إذا ألزم نفسه التقيد بها والخضوع إليها ؟ هكذا كان حالي بين نزلاء ذلك الفندق .

أصخت لنداء الواجب يهيب بي أن أعود إلى زوجتي وأولادي ، فلبيت . جمعت حوائجي في حقائبي وركبت سيارة أوصلتني إلى ميناء الجزيرة ومنه ركبت البحر إلى الأسكندرية .

صمتّ هنيهة ريثما أستريح وأشعلت لفافة تحرض الذهن على الصفاء والاستذكار وإذا بالمنصت إلى حكايتي يسألني بلسان الرجل الخبيث ولهجة المستحث « ثم ماذا » ؟

ابتسمت لسؤاله ابتسامة غابت عليه معانيها وقلت : انصرمت أعوام ثلاثة لم أر صاحبي الدميم في غضونها ، ولم أسمع إلا خبراً واحداً نشرته الصحف وهو خبر استقالته من الجامعة وانصرافه إلى أعماله الزراعية . لقد أكبرت هذه التضحية من دكتور يدرّس في الجامعة في سبيل الاستقلال والحرية ، فإن كثيراً من الناس يؤثرون عبودية الوظيفة وقيود النفس على الحرية .

***

حدث في مساء أحد الأيام ، وأذكر جيداً أنه كان في اليوم الثاني والعشرين من شهر ديسمبر ، أني لقيت مصادفة رجلا يشبه صاحبي الدميم في متجر شيكوريل ولكنه لم يكن دميماً ، ولا أمرط الحاجبين ، وليس بأعمش أحمر الجفون ، إنما كانت ندبات الجدري وأثر الجراح في عنقه باقية كما عرفتها .

زالت حيرتي بإقبال الرجل عليّ يحييني بمودة واشتياق ، وقال مداعباً : لم يعد منظري يفزعك لأني أنقت « التواليت » أليس كذلك ؟

قلت : من هو ذاك الفنان البارع الذي جعل من « الفسيخ شربات » ؟

قال : هي .

هيَ من ؟

تلك التي وجدتها في رودس .

أتعني « سمسم » .

هي بعينها .

هل عند « سمسم » صالون « مكياج » ؟

ضحك صاحبي وقال : لا داعي الآن إلى إطالة الكلام ، سنطلعك الليلة على كل شيء .

قلت : نون المتكلمين تعني من ؟

قال : دع التشوف وحب الاستطلاع ففي هذه الليلة تعرف كل شيء تهمك معرفته ويسرك خبره ، أما الآن فأنت أسيري ولن يطلق سراحك إلا بعد أن ينتصف الليل ! أفهمت ، أنت أسيري فلا داعي إلى السؤال ولا إلى الجدل أو الاحتجاج .

وقفت كالمبهوت ريثما ابتاع صاحبي حاجته من المتجر ، وتزايدت دهشتي وقتما دعاني إلى ركوب سيارته ولقد لقيتها تشغل نصف شارع فؤاد الأول عرضاً ، وقد درجت بنا إلى بيته وهو « ڤيلا » جميلة في الجزيرة تحف بها حديقة باسقة الأشجار ، أما الدهشة الكبرى فهي تلك التي اعترتني حين مقابلتي « سمسم » وجهاً لوجه واندفاعها نحوي تحييني بلهفة ومحبة كما لو كنت أخاها .

لم تعد « سمسم » تلك الفتاة النحيفة الضامرة التي عرفتها في فندق « شيفرو » تقفز بين أشجار الصنوبر كالغزال ، بل اكتمل جسمها واعتدل قدها ، وبرزت أنوثتها كأحلى ما تكون في المرأة

قالت وقد أخذت بيدي بيدها تعال أرك منزلنا وقد تعاونت وزوجي على تنسيق أثاثه وترتيبه ، ثم أحدثك كيف تمّ زواجنا .

مشيت معها أتفرج على حجرات « الڤيلا » المنسق فرشها ببراعة وذوق فني ، ووقفنا طويلا في غرفة المكتب وهي عامرة بآلاف الكتب فقالت .

هذه الخزائن (الدواليب) خاصة بكتب الزراعة فلا أقرب منها لأنه لا شأن لي بها ، وهذه الرفوف للكتب التي أشترك مع زوجي في مطالعتها وكثيراً ما نجلس في حديقتنا ، كما كنت أنت تجلس معه في رودس ... نقرأن ، وكنت أنا والبنات أترابي نراقبكم من بعيد فنضحك من اجتماع ... النقيضين .

قلت : أي نقيض بين زوجك وبيني ؟

قالت : إهمال مطلق من ناحية زوجي في هندامه وزيّه ،

وإصلاح ... رأسه ووجهه يقابله عناية تامة من ناحيتك فى كامل مظاهرك .

فتح الباب فى هذه اللحظة ودخل منه زوجها يحمل رأسه الأصلع وحاجبيه الأمرطين اللذين قلّ الشعر فيهما ، يلبس سروالاً قصيراً وقد برزت ساقاه الشعراوان ، ينتعل حذاء سميك النعل ، وفى يده عصاً كأنها جذع شجرة وقال : « هكذا كنت » .

قلت للسيدة « سمسم » وأنا كالفزع : كيف تخلصت من هذه الدمامة الصارخة ؟

قالت وهى تبتسم : علمته صناعة « التواليت » ثم التفتت إلى زوجها الذى كان يقفز كالقرد ويأتى بأشارات مضحكة وحركات طفلية وقالت له .

أنقنت تمثيل دورك كما كنت فى رودس فاذهب وغيّر هندامك استعداداً للعشاء .

قال محتجاً : لا عشاء قبل « الأبرتيف » .

قالت : هو ذاك مقبلات شهية .

عدنا إلى الصالة وكانت الدهشة ما زالت تغشانى ، فلما جلسنا قالت لى السيدة « سمسم » : لقد تم زواجنا على خير ما رمت . اقتنعت والدتى برضاى عن الرجل الذى انفتحت له مغاليق قلبى فقبله شريكا لحياتى ، ثم أظهرت مثل هـذا الرضى للمرحوم جدى الذى كان ولى أمرى ، ولم يعترض إلا على مسألة واحدة حل عقدتها زوجى العزيز بالانتساب إلى دينى ؛ وأصارحك بأنى ما كنت لآبه لمثل هذا الأمر أوأعيره التفاتى لولا أحكام الشريعة ، أحكام الدين المنزل من عند الله ، ولم نراع دين الحب الذى هو الله .

صمتت هنيهة ثم قالت : أحس فى أعماق أن الأديان كلها تستمد قوتها من روحانية الإنسانية ، فلمَ لا نكون كلنا إنسانيين فى الزواج وهو روحانى فى الأصل ثم غريزى فاجتماعى ؟ !

ثم قالت : اتفقت وزوجى على أن ندع ولدنا على طبيعته يختار سبيلاً يوائم عقله ويتفق مع روحانيته وقد آلينا على أنفسنا رعايته كانسان ، وهكذا نكون قد نفضنا أيدينا من المشكلة الاجتماعية التى سوف تحلّ عقدها الأجيال المستنيرة المقبلة بعد أن بذرنا بذورها ! ؟

أقبل الزوج لابساً بدلة « سموكنج » فقامت السيدة ولم يطل غيابها ، وقد عادت بعد أن نضت ثياب البيت واستبدلت بها ثياب السهرة وقد برزت هى وزوجها كالانجليز الاستقراطيين ، وإذ كنا فى طريقنا إلى غرفة المائدة قال لى الزوج مداعبا : انظر كيف تمثل أنت الدمامة بهندامك كما كنت أنا أمثلهـا بوجهى ورأسى وقتما تعارفنا فى رودس !

كان حديثنا ونحن على مائدة الطعـام يدور حول الدمامة والحسن وقد اختلفت كما تنوعت وجهات نظرنا فى تعريفها ، وقد كانت السيدة « سمسم » أقدر منا وأصدق فى الحكم عليها من وجهة نظر المرأة فقالت .

الدمامة هى فى الوجه الميت والحسن فى الوجه الحى ، فالوجه الذى تموت فيه التعابير وتنطق فيه معانى النفس هو وجه دميم برغم تناسب قسماته ؛ أما الوجه المعبر الذى تبرز فيه كل المعانى النفسانية فهو الوجه الحسن برغم التنافر فى قسماته .

أما الجمال ، وإن كان تعريفه نسبياً ، واختـلاف النظر اليه واجب بوجوب تنوع الأذواق والميول ، فهو فى نظر المرأة رجولة فى القسمات ، رجولة فى الصوت والحركة والإشارة ، رجولة فى البيت فى الأمور وفى تصريفها . ولا شأن لى فى وجهة نظر الرجل فى تعريف جمال المرأة ، لأن أكثر الرجال لا يعرفون ما هو الجمال ! والجمال فى المرأة سر بل أسرار لا يعرفها معرفة حقيقية إلا الخبثاء من الأدباء والشعراء ورجال الفن .

ضحكت وصديقى ضحكة الرضا عن تفسير هذه السـيدة معانى الجمال على هذا الشكل البارع ، وأخذنا نشرب ونأكل . وإذ كنت فى طريقى إلى البيت كنت أحس بأنى سكران أترنح من الفرح ، ومابرحت ياصاحبى أزور هذه الأسرة السعيدة لأفرح بمشاركتها فى عيدها فى الليلة الثانية والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام .

* * *

نظرت إلى صاحبى نظرة طويلة ساهمة ، ثم مد يده فصافحنى وانصرف دون أن يقول كلمة واحدة . وبعد ليلة جاءنى هذا الشاب وكل قسماته تطلب الاستفهام والاستيضاح وقبل أن يسلم علىّ قال :

أستاذى المحترم ، أين عقدة القصة وكيف حللتها ؟ لقد أذهلتنى عن العقدة فبربك أرشدنى اليها .

قلت وقد تعملت جفوة المتشرد ، اذهب إلى الدميم ، بل اذهب وسل « سمسم » إذا شئت .

حبيب الزحلاوى

إعلان بيع

أنه فى يوم الثلاثاء الموافق ١٠ يولية سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ صباحا بناحية ساحل الجوابر مركز الشهداء منوفية تلا .

سيباع بالمزاد العلنى عدد ١ جاموسة ، بقرة حمراء ، عدد ١ أردب فول غير مجروش ، سرير حديد وأردب أرزه شامى ، نورج خشب كامل الأدوات سليم ، اثنى عشر أردب قمح تقريباً وثمانية أحمال تبن تقريباً . وخلافه موضحه بمحضر الحجز التنفيذى الموقع بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٤٥ نفاذاً للحكم ن ١٣٣٦ سنة ١٩٤٥ كلى مصروقه لمبلغ ٤٦ مليم و٢٢٩ جنيه مصرى قيمة المحكوم به بخلاف المصاريف تعاب والفوايد بواقع ٨ ٪ من المطالبة الرسمية حتى تمام السداد المملوكة إلى محمد أحمد هاشم الشريف الزارع ساحل الجوابر مركز الشهدا

وهذا البيع كطلب الشيخ عبد السلام هاشم الشريف صاحب مقهى بشبرا البلد ومحله اختار مكتب حضرة الأستاذ محمد صادق المحامى بشبرا البلد

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين بعاليه .
ومن يرسى عليه المزاد يدفع الثمن فوراً والإبعاد البيع على ذمته ويلزم بالفرق

إعلان بيع

أنه فى يوم الأحد الموافق ١٤ أربعة عشر يولية سنة ٩٤٥ من الساعة الثامنة أفرنكى صباحا وما بعدها بعزبة الصباغ بزمام شويك أكراش مركز ههيا شرقية

سيباع بطريق المزاد العلنى زراعة $\frac{1}{8}$ ١٥ س ٣ ط ٢ ف شائع فى محصول سبعة أفدنة قمح مشاعة فى ١ س ٥ ط ١٧ ف بحوض الكبيرة نمرة ٣ قطعة ضمن نمرة مكرر محدوده من بحرى سكة حديد الدلتا من والى درب نجم الإبراهمية والغربى زمام ناحية أكراش مركز السمبلاوين وبعضه إبراهيم العطار بالقطعة نمرة ١ وفاصل جسر بحر الخنوس والشرق أطيان ورثة الشيخ سالم عبيد الحضرمى وفاصل مسقة وينتج من الفدان عدد أثنين أردبين قمح وحملين تبن وهذه الزراعة تعلق الخوجة سامى أسبيروا من الناحية المذكورة السابق توقيع الحجز التنفيذى عليها بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٤٥ تنفيذاً للحكم الصادر فى القضية رقم ٦٢٦ سنة ٩٤٣ كلى الزقازيق وفاء لمبلغ ٦١٣ مليم ٣١٧ جنيه بخلاف مايستجد من المصاريف وأجرة النشر

وهذا البيع بناء على طلب حضرة الخواجة هنرى مكلف ناظراً على وقف الست فكتوريا شديد ومقيم بعزبة الوقف بزمام القنايات مركز الزقازيق ومتخذاً له محلا مختاراً بالزقازيق مكتب حضرة الأستاذ إبراهيم سعيد المحامى .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين أعلاه للمزايدة

طالب البيع

سكك حديد الحكومة المصرية

خط مصر ـ الاسكندرية

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه أبتداء من أول يولية سنة ٩٤٥' ولحين صدور إعلان آخر يسير « قطار فاخر » سريع (درجة أولى وعربات بولمان) بين القاهرة والأسكندرية ويقف بمحطتى طنطا وسيدى جابر كالمبين بعد .

١ — يغادر قطار **٩٩٣** القاهرة فى الساعة **٤٥ ٨** ويصل إلى الأسكندرية فى الساعة **١١٫٤٥**

٢ — يغادر قطار **٩٩٢** الأسكندرية فى الساعة **٠٠ ٨** ويصل إلى القاهرة فى الساعة **٠٠ ١١**

وذلك وفقاً للمواعيد الأتية : —

المحطات		٩٩٣	
مصر	قيام	٤٥	٨
طنطا	اوصول	٥٦	٩
	قيام	٥٩	٩
سيدى جابر	قيام	٣٨	١١
الاسكندرية	وصول	٤٥	١١

المحطات		٩٩٢	
الاسكندرية	قيام	٠٠	٨
سيدى جابر	قيام	٠٩	٨
طنطا	وصول	٤٦	٩
	قيام	٤٩	٩
مصر	وصول	٠٠	١١

ملاحظة : يبطل سير عربات البولمان بقطارى الاكسبريس رقم ٥ (الذى يغادر القاهرة فى الساعة ٠٠ ٧) ورقم ٦ (الذى يغادر الأسكندرية فى الساعة ١٠ ٦)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٢٧ — الاثنين ٦ يوليو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ ٣

مجلة الأسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 627

Lundi - 9 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٧ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ رجب سنة ١٣٦٤ — ٩ يوليو سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

السلفية والمستقبلية

للاستاذ عباس محمود العقاد

عنى الأديب الفاضل الأستاذ الحوفى بالرد على اللغط الذى يلوكه باسم التجديد ذلك الكاتب الذى يكتب ليحقد ، ويحقد ليكتب ، ويدين بالمذاهب ليربح منها ولايتكلف لها كلفة فى العمل أو فى المال .

فهو يشترى الأرض ، ويتجر بتربية الخنازير ، ويسخر العمال ويتكلم عن الإشتراكية التى تحرم الملك وتحارب سلطان رأس المال

وهو يعيش من التقتير عيشة القرون الوسطى فى الأحياء العتيقة ويتكلم عن التجديد والمعيشة العصرية .

وهو ينعى الحضارة الأسيوية وإنه لفى طواياه يذكرنا بخلائق البدو المنول فى البرارى السيبيرية .

ومن لغطه بالتجديد ذلك اللغط الذى لا يفهمه ، قوله الذى رد عليه الأستاذ الحوفى وهو : « التفت إلى عبارة قالها الأستاذ العقاد بشأن الاشتراكيين فى مصر لها مناسبة هنا . إذ هم يدعون على غير ما يجب إلى اللغة العامية ؛ وقد حسب عليهم هذه الدعوة فى فاتحة رذائلهم ، لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى ، ويؤلف عن خالد بن الوليد أو حسان بن ثابت ، ولكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة الاجتماعية وهى أن الإشتراكيين شعبيون يمتازون بالروح الشعبي ويعملون لتكوينه ، وهم لهذا السبب أيضاً مستقبليون وليسوا سلفيين ... فى حين أنه هو سلفى الذهن فى لغته وأسلوبه وتفكيره وسلوكه ... »

وهذا كلام عن السلفية والمستقبلية ببغاوى العبارة لا يعقل قائله ما يقول :

لأن الكتابة فى الموضوعات التاريخية ليست هى مقياس السلفية أو المستقبلية وإلا كان المؤرخون كلهم سلفيين لأنهم ما كتبوا ولن يكتبوا فى غير العصور السالفة وفى غير الماضى البعيد أو القريب ، وإنما المقياس الصحيح هو طريقة الكتابة فى الموضوعات التاريخية والأبطال التاريخيين ، وبهذا القياس يحسب الإنسان سلفيا رجعياً ولو كتب عن المستقبل الذى يأتى بعد مئات السنين . إذ هو قد يكتب عنه بروح الجهل القديم والعصبية الرجعية ، وهى العصبية التى عششت فى دماغ ذلك الكاتب الببغاوى فلا ينساها فى موضوع قديم ولا حديث .

ومن أصدق المقاييس للمستقبلية الإيمان بالحرية الفردية والتبعة الشخصية .

فليس فى التاريخ الإنسانى كله مقياس للتقدم أصدق ولا أوضح ولا أكثر اطراداً فى جميع الأحوال من مقياس حرية الفرد بين أمة وأمة ، وبين زمان وزمان ، وبين خليقة وخليقة ، وبين تفكير وتفكير .

فإذا قابلت بين عصرين اثنين فأرقاهما ولا ريب هو العصر الذي يعظم فيه نصيب الفرد من الحرية والتبعة الشخصية .

وإذا قابلت بين أمتين فى عصر واحد فأرقاهما ولا ريب هى التى تدين بالنظم القائمة على تقرير حرية الفرد وتحميله التبعة فى السياسة والأخلاق .

وهذا الفارق الحاسم هو أيضاً مقياس الفارق بين العالم والجاهل والرفيع والوضيع والرجل والطفل والرئيس والمرؤوس وكل فاضل وكل مفضول .

ولهذا كنا نحن مستقبليين لأننا ندين بمذاهب الحرية الفردية ولا ندين بمذاهب الفاشية والشيوعية ، ولا نرى فى واحدة منها خيراً لبنى الإنسان . وقد حاربنا الفاشية والنازية فى الوقت الذى كان فيه الببغاوات من أمثال ذلك الكاتب يطبلون لها ويزمرون، ويسجدون لأبطالها ويركعون ، وعشنا وعاش الناس حتى رأوا ورأينا مصداق ما أنذرنا به وأكدناه وقررناه . وسنرى عن قريب مصداق ما أنذرنا به وأكدناه وقررناه فى أمر الشيوعية الماركسية على الخصوص ، لأنها هى المذهب الذى نحن على يقين من سوء مصيره وسوء وقعه وسوء فهمه بين أدعيائه ، وليس هو الاشتراكية فى صورتها الحرة المهذبة كما يغالط ذلك الكاتب الببغاوى فى التسمية وهو يتعمد أو لا يتعمد التغليط والتخليط .

وقد بدرت البوادر التى لا خفاء بها فعلم الشرقيون والغربيون أن سياسة بطرس الأكبر — لا سياسة المستقبل — هى التى يترنم بها الببغاوات فى هذا البلد وفى غيره من البلدان ، وسيرون المزيد والمزيد من دلائل الرجوع إلى القديم فى كل مسألة من مسائل الخلاف بين السلفيين والمستقبليين .

* * *

وفى مقاييس المستقبل التى لا تخطىء ولا تكذب فى الدلالة على الوجهة التاريخية العامة مقياس التعاون بين الدول ، أو التعاون بين الطبقات ، أو التعاون بين الأفراد ، فإن هذا التعاون ملحوظ الخطوات فى السياسة الدولية من الزمن القديم إلى الزمن الحديث ، وهو كذلك ملحوظ الخطوات فى المعاملات التى تشيع بين أبناء الوطن الواحد ، وسيكون له الشأن الأكبر فى علاج مشكلات الاجتماع والاقتصاد على توالى السنين .

وبهذا المقياس — بعد مقياس الحرية الفردية — تعتبر الشيوعية من المذاهب الرجعية التى ترجع بنا إلى سيادة الطبقة الواحدة وإن كانت تزعم أنها طبقة وحيدة وأنها هى طبقة الصناع والأجراء . فسيادة الطبقة الواحدة أقدم الصور الاجتماعية التى عرفها الناس ، والشيوعية لا تغير فى الأمر غير عنوان الطبقة ... إن صح ما تدعيه .

* * *

وأسخف السخف قول ذلك الكاتب الببغاوى إن الشيوعين « يفضلون اللغة العامية لأنهم شعبيون مستقبليون » .

ومصيبة الدنيا أن تحشو هذه الببغاوات أفواهها بما تسميه تفسير الظواهر الاجتماعية وهى لا تفسر تحت آنافها ما تسمعه بالآذان وتبصره بالعيون .

فاللغة العامية لغة الجهل والجهلاء وليست بلغة الشعبيين ولا من يحبون الخير للشعوب .

لأن الغنى الجاهل يتكلم اللغة العامية ولا يقرأ اللغة الفصحى ولا يمتاز بفهمها على الفقراء .

ولأن الفقير المتعلم يفهم الفصحى ويكتبها ، كما يفهمها سائر المتعلمين من العلية أو السواد .

فأعداء الشعب حقا هم أولئك الذين يفرضون عليه الجهل ضربة لازب ولا يحسبونه فى يوم من الأيام صاعدا من حضيض الجهل إلى طبقة المعرفة والثقافة .

وأصدقاء الشعب حقا هم الذين يفتحون له أبواب المزايا العالية ويسوون بينه وبين القادرين على التعلم والمتكلمين بلغة المتعلمين .

والمسألة هنا — أيتها الببغاوات التى تفسر الظواهر الاجتماعية — ليست مسألة شعبيين وطبقات وأجور رؤوس أموال كما يهذى كارل ماركس وأتباعه المفتونون .

في إرشاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
— ٧ —

* ج ١٠ ص ٢٣٧ : وعن النضر بن شُمَيْل قال : دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو فقال : أنشدني أقنع بيت للعرب ، فأنشدته قول الحكم بن عبدل :

إني امرؤ لم أزل وذاك من الله (م) أديبـاً أعَلِّمُ الأُدبا
لا أحتوي خُلَّة الصديق ولا أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا

وجاء في الشرح : (أديباً) في الأغاني قديماً (لا أحتوي) من الاحتواء وهو كونها له وتحت أمره (خلة الخ) يريد زوجة صديقه .

قلت : شميل جاءت بكسر الياء وتشديدها وهي — كما قال ابن خلكان — : بضم الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ...

(قديماً) كما روى الأغاني خير من (أديبا)
(أعلِّم الأُدبا) هي أُعَلِّم الأُدبا)

وهو يعني أدب النفس ، ومن هذا الأدب ومن القناعة ألّا يقول : أعلِّم الأُدباء .

(لا أحتوي) هي (لا أجتوي) أي لا أكره وأمل . و (الخلّة) هنا هي الصداقة لا زوجة صديقه . والخلة بالكسر : المصادقة والموادة والأخاء . والبيتان تليهما في الكتاب أبيات .

* ج ١٢ ص ٢٧٧ : وله (علي بن ثَرْوان الكندي) :

هتك الدمع بصوب الهتنِ كلَّ ما أضمرت من سر خفيّ
يا أخلائي على الخيف ، أما تتقون الله في حث المطيّ !

قلت : لا تشدد الياء في (خفي والمطي) حتى لا يختل الوزن :

وإنما هي مسألة الفارق السرمدي بين المعيشة اليومية وبين الحياة الانسانية الباقية على اختلاف الأمم وتعاقب العصور .

فكل ما هو من باب القيم الانسانية الباقية فلا مناص له من تعبير خاص غير تعبير السوق والبيت وكلمات التسلية والاستلقاء ، ولو أجبرنا الناس جميعاً في هذه الساعة على الكلام بالعامية دون غيرها لما استطاعوا أن يتجنبوا اللغة الخاصة .

والمصطلحات الخاصة والتراكيب الخاصة سنة واحدة حين يكتبون في الطب أو الرياضة العليا أو الكيمياء أو القانون ، ولكان عسيراً عليهم أشد العسر أن يكتبوا بالعامية مذهباً كذهب كانت أو مذهب لبروزو أو قصيدة كقصائد المتنبي وبيرون وشكسبير .

فإذا كانت اللغة الخاصة لازمة للمتعلم على كل حال لاستيفاء علم الطب أو علوم الرياضة أو علوم القانون فلماذا تحرم عليه لاستيفاء علوم الأدب والقدرة على التعبير الذي لا يتجاوز حدود اليوم ويصاحب الأمم الانسانية عدة أجيال؟ ومن قال إن الانسان يستخدم لغة واحدة حين يساوم على بطيخة أو حين يغسل القدور ويخرط الملوخية ، وحين يتكلم عن غبطة النفس بالربيع وسمو الأمل بالحب ونبل الفداء في سبيل المثل العليا ؟

ما هذا الولع بالتسفل وهذا الإنكار لكل ارتفاع ؟ ما هذا التمرغ في كل وضيع وهذا الحرد الذي لا يطاق على كل شريف رفيع ؟

فاللغات الفصحى لم تحفظ حتى اليوم لأن الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال يتكلمونها في البيت والسوق ، ولم تحفظ حتى اليوم لأنها مزية طبقة من الطبقات الاجتماعية أو مزية الأغنياء القادرين على التعليم ، فإن أغنى الأغنياء كثيراً ما كانوا من أضعف المعبرين ، وأفصح الفصحاء كثيراً ما كانوا من الفقراء والمعدمين . وإنما اختلفت اللهجتان على مدى الزمن بضرورة الاختلاف بين حياة البيت والسوق وحياة المعرفة والتهذيب التي تتجاوز حاجة اليوم إلى حاجة الأجيال .

وليس إلا الحقد على كل شريف رفيع يسول للببغاوات أن يحاربوا اللغة الفصحى باسم الشعبية والشعبية منهم براء .

والمرجع بعد إلى الذوق والشعور وخصب الخيال ، وهي ملكات حرمتها الشيوعية وذووها من كارل ماركس إلى أذنابه الذين لا يفقهون ما يقول ، ولو فقهوه لما عظم شأنهم بين شئون النفوس والعقول .

عباس محمود العقاد

و (بصوب الهتن) هما (بصوبٍ هـتِنٍ) وهتن بكسر التاء . وهذه اللفظة (هتن) لم تجىء فى شعر قديم وصل إلينا ، ولم يذكرها معجم نعرفه . وقد استعملها المتنبى فى هذا البيت فى إحدى قصائده :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن(م)

العارض الهتن ابن العـارض الهتن

جاء فى (ديوان أبى الطيب المتنبى) النسخة التى صححها وجمع تعليقاتها (الدكتور عبد الوهاب عزام) وطبعتها (لجنة الترجمة والتأليف والنشر[1]) .

قال ابن القطاع : هذا البيت الذى أفسد المتنبى فيه اللغة ، وغلط فيه ، وكرر غلطته أربع مرات ؛ وذلك أن العلماء مجمعون على أن يقال : هتن المطر والدمع يهتن هتناً وهتوناً ، واسم الفاعل منه هاتن ، وكذلك يقال : هتل المطر والدمع يهتل هتلاً وهتولاً باللام ، واسم الفاعل هاتل . ولم يقل أحد من العلماء ولا جاء عن أحد من العرب : هـتِنَ يهتَن على فعِل يفعَل فيكون اسم الفاعل منه هـتِن على فعِل . ولم يذكره أحد من جميع الرواة ولا اهتدى إليه إلى هذه الغاية حتى نبهت عليه .

جاء فى (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء) للأنبارى :

لما أنشد (المتنبى) سيف الدولة قوله فى مطلع بعض قصائده : (وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه) كان هناك ابن خالويه فقال : يا أبا الطيب! إنما يقال : شجاه — توهمه فعلاً ماضياً — فقال أبو الطيب : اسكت ، فما وصل الأمر إليك قصد أبو الطيب أشجاه أكثره شجى لا الفعل الماضى ...

قلت : فهل يقول أبو الطيب لابن القطاع — وقد أسمعه ما أسمعه — : اسكت ، فما وصل الأمر إليك ، قد سمعتها من الأعراب ، أو وجدتها فى شعر الأعشى أو قلتها ولى — وقد « بلغت فى علم اللغة المبالغ » — أن أقولها . وهل نتقبل نحن (الهتن) — وهذه قصتها — فى هذا الزمن بقبول حسن ... ؟

* ج ٨ ص ١٢٩ — : قال العماد (الأصفهانى) : أقام ملك النحاة (الحسن بن صافى) فى رعاية نور الدين محمود بن زنكى ، وكان مطبوعاً متناسب الأحوال والأفعال ، يحكم على أهل التميز بحكم ملك فيُقيل ولا يُستقال ، وكان يقول : هل سيبويه إلا من رعيتى وحاشيتى[1] ، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلا حمل غاشيتى .

وجاء فى الشرح : وكانت (يستقال) فى الأصل (ولايستثقل) وفى البغية : يستقال .

غاشيتى : المراد بالغاشية أنه يكون من أتباعه وخدمه .

قلت : (فيقيل ولا يستقال) هما (فيَقتال ولا يُقتال) أى يحكم على غيره ولا يحكم غيره عليه . فى اللسان والتاج : اقتال عليهم احتكم . قال أبو عبيد : سمعت الهيثم بن عدى يقول : سمعت عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يقول فى رقية النملة : العروس تحتفل ، وتقتال وتكتحل ، وكل شىء تفتعل ، غير ألاّ تعصى الرجل . قال : تقتال : تحتكم على زوجها .

و (الغاشية) هنا غاشية السرج وهى غطاؤه .

* ج ١٦ ص ١١ :

أبيت الليـــل مرتقباً كئيباً لهمّ فى الضلوع ، له أوار

وجاء فى الشرح : كانت هذه الكلمة (مرتقباً) فى الأصل (مرتفقاً) .

قلت : الأصل صحيح . فى الأساس : وبت مرتفقاً متكئاً على مرفق ، وفى اللسان : وبات مرتفقاً أى متكئاً على مرفق يده ، وأنشد ابن برى لأعشى باهلة :

(١) « طبعة تعتمد على أقدم النسخ وأصحها ، وتمتاز بزيادات فى الشعر ومقدمات للقصائد طويلة كتبها المتنبى وتعليقات عظيمة للشاعر نفسه »

(١) قلت : (وحاشيتى) من (بغية الوعاة) وعندى أنها كانت فى الأصل ، وفى هذا الكتاب : وكان يغضب على من لم يسمه بملك النحاة . وفى (إرشاد الأريب) : كان يستخف بالعلماء فكان إذا ذكر واحد منهم يقول : كلب من الكلاب . فقال رجل يوماً : فلست إذن ملك النحاة ، إذاً أنت ملك الكلاب ... فاستشاط غضباً ، وقال : أخرجوا عنى هذا الفضولى .

فبت مرتفقاً والعين ساهرة كأن نومى علىّ الليلَ محجور (١)

وفى (الكامل) و (جمهرة أشعار العرب) لأعشى باهلة هذا فى قصيدته التى يرثى بها المنتشر :

فبت مرتفقاً للنجم أرقبـــه حيران ذا حذر لو ينفع الحذر

وروى ياقوت لابن بكير المحاربى :

فبت مرتفقاً أرعى النجوم إلى أن جاوب الديك فينا سحرة ديكا

* ج ١٧ ص ٣٢ : حبس عيسى بن سليمان الهاشمى كيسان . وكان أبو عبيدة يعبث به كثيراً ، فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير، فأمر بإخراجه . فقال للجلاوزة : من أخرجنى ؟ قالوا : تكلم فيك شيخ مخضوب . فقال : أُمه ... إن برَّح من الحبس ، إحْبيس ظلم ، وطليق ذل ، لا يكون هذا أبداً .

وجاء فى الشرح : إحبيس بمعنى محبوس .

قلت : (برح) غير مضعف ، وليس هناك برح بالتشديد ، وفى مستدرك التاج : تَبرّح كبرح وأبرحه هو ، قال مليح الهذلى :

مَكَـثْنَ على حاجاتهن وقدمضى شباب الضحى والعيس ماتتبرح

و (إحبيس ظلم الخ) هى أحبيس ظلم وطليق ذل ؟ ! وليس فى العربية إحبيس .

* ج ١٧ ص ٢١٧ : وله (لمحمد بن أحمد بن سهل المعروف بابن بُشران) :

لا تغترر بهوى الملاح فربما ظهرت خلائقُ للملاح قباحُ

وكذا السيوف يَرُوْنَ حسن صِقالها

وبحـــدها تتخطَّف الأرواح

قلت : وكذا السيوف يروقُ حسنُ صقالها .

* ج ١٥ ص ٢٦٧ : وكان عَلْقمةُ (٢) والياً على حُوران .

قلت : وردت حوران بالضم وهى بالفتح كما ضبط ياقوت فى (معجم البلدان) .

* ج ١٥ ص ١٠١ : قرأت بخط أبى سعد : سمعت على بن نصر النيسابورى مذاكرة بمرو يقول : كنت ببغداد فرأيت أهلها تستحسن هذه الأبيات التى لأبى اسماعيل المنشئ :

(١) قلت : جاء (الليل) فى طبعة الساسى بكسر اللام مجروراً بما قبله .

(٢) هو علقمة بن علاثة ، وكان نديد عامر بن الطفيل . وهو الذى دعا عامراً إلى تلك المنافرة المشهورة ، وقد سردت قصتهما فى إحدى مقالاتى (حكاية الوفد الكسروى) الرسالة ٥٤٠

ذكرتكم عند الزلال على الظما فلم أنتفع من برده ببلالِ (١)

فأنشدت قصيدة فى نقيب النقباء أبى القاسم على بن طرّاد الزينبى على هذا الروى ، أولها :

خليلىّ ، زمت للرحيل جمالى فقدضاق فى أرض العراق مجالى

وَقُوداً عتاقاً كالأهلة ، إنما ديار الندى والمكرمات حوالى (٢)

وما أوجبت بغداد حقى وغادرت بلابل بعد الظاعنين ببالى

وجاء فى الشرح : قوداً جمع قوداء : النوق وفى البيت قصر . يقول فيه : إن ديار الندى والكرم حوالى بغداد لا فيها :

قلت (خليلىّ ، زمّا للرحيل جمالى) و (قودا) أمر لصاحبيه : قاد ، يقود ، قد ، قوداً . و (حوالى) هى (خوالى) بالخاء لا بالحاء .

* ج ١٧ ص ٢٤٤ : سئل الأديب الأبيوردى عن أحاديث الصفات ، فقال : نُقرّ ونُمِرّ .

وجاء فى الشرح : نقر ونمر أى نعترف به ونجيزه .

قلت : نقر ونَمُرّ : نسكت ولا نخوض فى صفات الله (عز وجل) مع الخائضين ، لا نجىء معتزلين نافين ولا مشبهين مجسمين ، نقر ونمر ...

(١) ما فى سقائه بلال وهو ما يبل به (الأساس)

(٢) عتاق الخيل والطير : كرائمهما (الأساس) .

٢ - بقية حديث فى فرنسا

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

المقال الثانى

مما لم ينشر فى سنة ١٩٤٠

مضافاً اليه بعض ما يتصل به حديثاً

يذكر الذين شهدوا معرض باريس العالمى الأخير سنة ١٩٣٧ شبه أقفاص أنهم رأوا فى أقسام المستعمرات الفرنسية تضم أفراداً من الإنسان الإفريقى والإنسان الأسيوى اللذين قضى على أممهم سوء الطالع أن تقع فى براثن الاستعمار الفرنسى . وقد عرضوا على أعين الناس أشباه عرايا كأنهم أنواع من « الغورلا » أو « الشمبانزى » أو الوحوش ... وزيادة فى الازراء بهم وكلوا حراستهم لجماعة من النساء العجائز .

هكذا سمعنا ممن شهدوا هذا المعرض ، ولعلنى رأيت صوراً لذلك فى بعض المجلات المصرية أو فى دور السينما فيما أظن .

هذه واحدة لفرنسا حامية حقوق الإنسان ! التى أوقعت فى روع البسطاء أنها اتخذت من ثالوث الحرية والإخاء والمساواة إلهاً سياسياً بشرت به وبشر معها أذنابها فى بقاع الأرض .

لقد يغفر الله لفرنسا آثامها فى نفسها وفساد حياتها وانحلال روابط الأخلاق فيها وما إلى ذلك من موبقات الحياة ومدمرات العمران ... أما أن يغفر لها امتهانها كرامات الإنسان على هذا النحو وعلى رءوس الأشهاد بعرضه هكذا ، فذلك ما لا أظن الله مقدس الروح الإنسانى ولو كان فى جسم مِسْخٍ ، وخالق الناس ألواناً وأجناساً شتى ، قد تجاوز عنه لفرنسا !

ما أسعد العجزة والبُله والممسوخين وناقصى الخلقة فى الشرق الإسلامى وخاصة فى مصر ! إنهم يعاوَنون وتفاض عليهم ألوان الكرامة من القادرين الكاملين إلى درجة الاعتقاد بأنهم أولياء لله يتبرك بهم ويسعى إليهم ويعطف عليهم ؛ لأن وراء النظرة إليهم إدراكاً من الناظرين أن الذى خلقنا كاملين هو خلقهم ناقصين ، فهم غير مسئولين .

خلقتُ على ما فىّ غيرَ مخيَّرٍ هواى ولو خُيِّرتُ كنت المهذبا

ولأن الناس يعتقدون أن الذى خلقهم هكذا ضعفاء وسط معترك الحياة لاشك سيتولى الدفاع عنهم والحماية لهم وامتهان من يمتهنهم .

ولكن الفرنسيين ينظرون إليهم كأنهم حيوانات بشرية فى أفق أسفل . ونحن لا نريد أن ننظر إلى هؤلاء الناقصين نظرة الازدراء والإهدار ، ولا نظرة التقديس والإكبار ، فإن فى كلتا النظرتين خروجاً على الصواب . ولكننا نريد أن نوازن بين حظ الروح الإنسانى من التقديس فى الشرق والهوان فى فرنسا التى تزعم ويزعم لها أذنابها أنها حامية حقوق الإنسان ... ونريد أيضاً أن نقول للذين يدافعون عن روح فرنسا : إنهم لو قضى عليهم سوء الطالع فوقعوا تحت نير الاستعمار الفرنسى ما كان يستبعد أن تحشر فرنسا أقاربهم من الفلاحين المحرومين من العلم والتهذيب والمدنية فى أقفاص لتُفَكِّه بهم رواد معارضها تفريجاً عن قلوبهم — إن كان فى هذا فرجة قلب — وزيادة فى جلب وسائل إحاطتهم بالمعلومات ...

وإن فى القرى المصرية من ناقصى الخلقة الملونين بغير اللون الأبيض أمثال من فى بلاد شمال أفريقية والهند الصينية وجزر مدغشقر الذين عرضت منهم فرنسا نماذج .

***

يكاد يكون الإعجاب بفرنسا عند جمهور المدافعين عنها المحزونين على سقوطها يدور على محاور ثلاثة :

١ — مبادئ ثورتها التى زعموا أنها أول ثورة أعلنت حقوق الإنسان واتخذت من ثالوث الحرية والإخاء والمساواة إلهاً سياسياً .

٢ — دنياها الفكرية والأدبية التى ينمو فيها كل رأى بدون حرج ولو كان فيه حتف الدولة والدين ...

٣ — دنيا باريس « ذات المائة درجة والمائة دركة » بما فيها من حقائق وأباطيل ، وضلال وهدى ، ورشد وسَفَه .

***

أما الثورة الفرنسية فلم أر ثورة حبطت فى أرضها وضاع أكثر مابذل فيها من الدماء هباء منثوراً مثل حبوطها وضياع جهودها ... ومع ذلك فقد ضفرت فى الشرق الإسلامى وخاصة مصر بدعاية

فتنت الشباب فتنة العمى ، وأنستهم أن فى مواريثهم الفكرية والسياسية مبادئ أكمل وأكرم من مبادئها قد رآها التاريخ وسجلتها صحائفه قبل أن تثور فرنسا بألف ومائتى سنة . فلا ينبغى لهم أن يذكروها إلا بترتيبها التاريخى كصدى بعيد جداً للثورة الإسلامية الكبرى . ولكننا نحن العرب لسنا أمة فيها طفولة تحب الإعلان والطنطنة الجوفاء .

وللشباب معاذير من قصور البرامج الدراسية للتاريخ الإسلامى قصوراً معيباً . ووزر ذلك على الذين مسخوه ولم يكلوا دراسته للمؤمنين به الواقفين على أسراره ، ومعاذير من الدعاية العريضة التى تنفق عليها فرنسا « العلمانية » والكاثوليكية وتحشد لها الذين أفئدتهم هواء وأعينهم عمياء وشهواتهم ثقيلة ، فانطلقوا يحرقون البخور ويفرشون الأزهار ويعطرون الأجواء لفرنسا والثقافة اللاتينية ، ويقيمون من فرنسا تمثالاً أمام أعين الشباب للحرية والقوة والعلم والجمال حتى جهل الشباب الإسلامى والعربى أنهم أعرق فى الحرية والمساواة وأعرف بهما ، ولكن أممهم لا تحسن الإعلان .

ولقد مهد هؤلاء الدعاة للثقافة الفرنسية فى نفوس المصريين ، وطبعوا النفس المصرية بالطابع الفرنسى فى المدرسة والبيت والذوق العام ... وكان من الأنسب لنا إذا كان لا بد من شيوع روح أجنبية فينا أن تشيع فينا الروح العالمية التى فى أمريكا أو الروح بنوعيها : الإنكليزية والجرمانية ، فإنها روح قائمة على الخلق والعلم والعمل وفن الحياة بالجسم والروح . ولكننا على الرغم من وجود الحكم الإنجليزى السياسى بيننا نيفاً وستين سنة لم ننتفع بأساليب الحياة الإنجليزية ولم نتأثر بها كما تأثرنا بالروح الفرنسية ، ولو كنا تأثرنا بتلك التربية لكان لرجالنا من السياسة الإنجليزية موقف آخر عملى غير موقفهم الهستيرى الكلامى الحزبى الفردى الطليق من أكثر القيود الوطنية المقدسة . والذى يماثل موقف رجال فرنسا فى ديارها أشبه من الغراب بالغراب !

ولو كانت الثقافة الفرنسية مرضياً عنها عند الاجتماعيين والمفكرين الفرنسيين أنفسهم لكان لنا وجه من العذر فى اقتفائها ولكن هؤلاء الاجتماعيين كثيرو الانتقاد والسخط عليها ، داعو الإهابة بأمتهم للأخذ بثقافة أمم الشمال لأنها ثقافة عملية منتجة معتدلة خاضعة لأصول الأخلاق ، وهى التى غيرت وجه الأرض وسيطرت على العالم .

* * *

قد يعذر الأوروبى إذا وجد فى الثورة الفرنسية بعض دواعى الإعجاب بجهاد قادتها ومؤرثى نارها فى سبيل تحرير الفرنسيين من استبداد الملوك وجمود الكنيسة وطغيان أمراء الإقطاع ، لأنه قد يجد فيها أمراً جديداً عظيما غير الحياة الأوروبية فيما مضى . . ولكن لا عذر لعربى عرف أبسط مبادئ الإسلام فى العدالة والحريه والأخوة والمساواة ، وقرأ تاريخ الثورة الاسلامية الكبرى التى غيرت وجه التاريخ وأعلنت ووطدت حقوق الإنسان وجسدتها فى أشخاص أقاموا دولا مستقرة عمرت عمراً طويلا .

هذا إذا تغاضى الأوروبى عن الوحشية التى طبقت بها هذه الثورة فكشفت عن قسوة النفس الفرنسية وإسرافها فى سفك الدماء ، وإذا تغاضى عن تقلبات تلك الثورة وسيرها على غير هدى وعقمها عن إنتاج النتائج المستمرة التى أثيرت من أجلها كما سارت ثورات الأمم العاقلة المعتدلة وأنتجت وأطردت خطوات الأمة بعدها ولم ترتد على عقبيها كارتداد فرنسا بعد تلك الثورة الكبرى .

« فليس الفرنسيون شعب التطور التاريخى البطىء ، ولكن شعب التغييرات الثورية الفجائية . شعب قوى الاندفاع بلا « فرامل » . وخط تطوره كثير التعرج والالتواءات ؛ ففى آخر القرن الثامن عشر قلبت الأمة الفرنسية الحكومة الملكية باسم الديموقراطية والحرية ، ومع ذلك لم تمض عشر سنوات حتى عادت فرنسا إمبراطورية مطلقة ثم ارتدت فصارت ملكية محافظة ! ثم تحولت إلى ملكية برجوازية حرة ؛ ثم كانت ثورة أخرى ردت الجمهورية الثانية . ثم انقلاب حكومى أعاد للسلطة إمبراطورا . فلا توجد على هذا أمة كفرنسا فى اندفاعها وتحولها وانقلابها[1] . »

وفى العهد الأخير قبل الحرب الحالية وصلت فرنسا إلى عهد من الانحلال السياسى ، والاجتماعى جعلها تتهالك لأول صدمة مع عدوها التقليدى ، وتتخلى عن حلفائها وتنال من نفسها بأقلام قادتها وتدبير رجالها وقد صدق مستر هرست — وهو

(١) عن الداهية المجرى « كوتبس » ترجمة للأستاذ الصاوى صديق فرنسا . وقد أعدنا الاستشهاد بهذا المذكري .

من أشهر رجال الصحافة الأمريكية — حين قال . فى صحفه عقب سقوط فرنسا بتاريخ ٢٤ — ٧ — ١٩٤٠ « لم تكن فرنسا ديموقراطية ولا حليفة كبيرة ولا أهلا للنهوض بأعباء الديمقراطية ، ولم تكن لها سياسة مقررة خاصة ، بل كانت متقلبة فى إخلاصها وحليفة لا يمكن الاعتماد عليها لبريطانيا التى تحمل المبدأ الديمقراطى الحقيقى فى قرارة نفسها ، ولما أقبلت الأزمة قصرت فرنسا ثم سقطت » .

* * *

أما المحوران الثانى والثالث اللذان يقوم عليهما أيضاً الإعجاب بفرنسا ، فقد كفانى مهمة تناولهما بالنقد الأستاذ المفكر الجليل ساطع الحصرى بك الذى نشرت له الرسالة ذلك التحليل القيم « حول انهيار فرنسا » فى الأعداد الثلاثة الماضية. بل إن التصريحات الحديثة المتكررة لمفكرى فرنسا كمسيو هريو وغيره ، التى يعلنون فيها تألمهم من انحطاط معنويات الروح الفرنسية وانطلاقها وراء الشهوات والمنافع الشخصية وكراهتها للقيود المقدسة وارتدادها عن مبادىء ثورتها ، وعدم فهمها لوحى الساعة ومقتضيات الظروف العالمية الحاضرة ، مما تطالعنا به الصحف منذ سقوط فرنسا للآن لأكبر شاهد على أن فرنسا لا تصلح أن يكون لنا فيها أسوة ولثقافتها فينا تقليد وتأثير

وإنى لأوقن أن السر فى بلبلة أخلاقنا نحن المصريين واضطراب مزاجنا وذبذبتنا بين الروح الشرقية الكريمة التى كانت لنا ولا تزال باقية فى الريف ، وبين ذلك الانسلاخ الشائن والتحلل البالغ فى المدن إنما هو أثر من جوارنا للثقافة اللاتينية وخصوصا الفرنسية وتأثرنا بها

وعلى ذكر مسيو « هريو » أود أن أجلو جانباً من عداوته هو الآخر للعرب وسعيه لعدم إنصافهم ، وقد علمت بذلك الجانب حين كنت عضواً فى « الجمعية الإسلامية الأسبانية » التى تأسست فى مصر سنة ١٩٣٤ برياسة الأستاذ عبد الرحمن فهمى بك وكان من أعضائها ذلك الرجل العظيم المغفور له فؤاد باشا سليم الحجازى . ومسيو « بونسو » أحد الأسبان بمصر . وكانت أغراضها تنمية العلاقات العربية الأسبانية وتوطيد الصداقة بينها تمشياً مع تلك الحركة المشكورة التى بدأها الجنرال فرانكو لإنصاف مغاربة المنطقة التى تحت النفوذ الأسبانى من مراكش والتى كان من نتائجها الشروع فى تأسيس جامعة عربية فى مدريد تسمى «البيت العربى» لخدمة التراث العربى فى أسبانيا ويكون فيها كراسى أستاذية بأسماء ملوك العرب الذين يساهمون فى معاونتها . ودعت لذلك فضلا العلامة المرحوم الشيخ الخالدى الفلسطينى والعلامة المجاهد الأمير شكيب أرسلان للبحث والمشاورة ، ووعد الملك فيصل الأول ملك العراق الراحل رحمه الله بالإنفاق على كرسى فيها ، وابتدأت الحركة تسير خطوات نحو النجاح . فما كان من فرنسا إلا أن أوفدت مسيو « هريو » إلى حكومة أسبانيا ليحبط هذا المشروع الجليل والمسعى الكريم محذرا أسبانيا من عواقب سياسة التسامح مع المراكشيين ومبدياً تخاوف فرنسا من تسرب « عدوى » هذه الحركة إلى مراكش الفرنسية والجزائر وتونس... وكان لفرنسا ما أرادت ووقف المشروع .

ويزور مسيو « هريو » مصر لتوطيد حياة المعاهد الفرنسية بها قبل هذه الحرب فيبالغون فى الاحتفال به ولا تلقى فى أذنه كلمة عتاب ... ويزورها أخيراً فى طريقه من موسكو إلى فرنسا أثناء الأعتداء الفرنسى الأخير على الشقيقة سوريا فيحتفل به كذلك ... ولا يقولون له ما كان يجب أن يقال فى مثل هذا الظرف . كأن منادح البيان قد ضاقت عن أن تتسع للترحيب والعتاب فى آن واحد !

عبد المنعم خلاف

إلى الأحزاب المصرية

عدلوا برامجكم

أو انسحبوا قبل فوات الأوان!

للأستاذ سيد قطب

أمهر اللاعبين هو الذى يعرف بالضبط متى يجب عليه أن ينسحب قبل فوات الأوان

ولكن يبدو أن أحزابنا المصرية لا تؤمن بهذه الحكمة، أو لا تعرف كيف تطبقها فى الوقت المناسب

قامت هذه الأحزاب جميعاً لغرض واحد، هو الجهاد السياسى لتحقيق الاستقلال. ويقتضينا الإنصاف أن نثبت لها جميعاً أنها قد نجحت — إلى حد ما — فى مهمتها، وذلك على الرغم من الأخطاء التى عرضت لها فى الطويق، ولكن هذه كلها هنات لا تذكر إلى جانب المهمة الضخمة التى نهضوا لها ... مهمة الاستقلال

ولقد استغرقت تلك المهمة الضخمة كل نشاط الأحزاب السياسية — ومن حقها كانت أن تستغرقه — فلم يتهيأ لها أن تمد ببصرها إلى أبعد من الغاية السياسية، حتى لقد أهملت فى بعض الأحيان الالتفات إلى الجانب الاقتصادى فى هذه المهمة السياسية، فى وقت تصطرع فيه القوى الاقتصادية فى العالم، وتؤثر تأثيراً حاسماً فى كل اتجاه سياسى!

وفى خلال هذه الفترة الطويلة، وهى تتجاوز ربع قرن جدت فى العالم أمور وأمور، وتغيرت النزعات والاتجاهات، لا بل ولد عالم جديد ... ولكن أحزابنا المصرية — فيما يبدو — لا تكاد تشعر بهذا كله. فهى فى عام ١٩٤٥ لا تزال تحصر نشاطها الحزبى كله فى دائرة الخصومات الحزبية، بل الشخصية، ولا تزال تنظر إلى المجتمع المصرى كأنه المجتمع المرغوب فيه، فإذا فكرت فى الإصلاح فكرت فيه أجزاء، وتفاريق على طريقة الترقيع والتجوير!

ومما لا شك فيه أن هذه العقلية ليست هى التى تستطيع مواجهة العالم الجديد

***

نحن فى حاجة إلى:

١ — برامج جديدة

٢ — وعقليات جديدة

٣ — وأحزاب جديدة

***

نحن فى حاجة إلى برامج جديدة غير البرنامج السياسى الذى استغرق جميع جهودنا فى ربع قرن من الزمان. برامج اجتماعية كاملة تؤثر فى النشاط الاقتصادى والثقافى والتشريعى، وترسم له طريقاً واضحاً وهدفاً مقصوداً.

ولا يشك أحد فى أن العدالة الاجتماعية مفقودة فى مصر، وقد ترددت هذه الجملة كثيراً حتى أصبحت حقيقة بديهية، ومتى ثبت هذا فإن له مستلزمات: أولها أن توجد برامج حزبية معينة لتحقيق هذه العدالة، فإنه خير لمصر أن يقوم الصراع الاجتماعى فيها داخل البرلمان على يد الأحزاب — كما هو الحال فى انجلترا — بدلا من أن يقوم هذا الصراع فى الشارع بلا ضابط ولا نظام!

والصراع داخل البرلمان قائم بالفعل — وإن لم يأخذ صبغة الصراع الحزبى — فالذى يراجع مضابط البرلمان فى جميع العهود تبرز أمامه حقيقة معينة. فما من مرة عرض مشروع يمس رءوس الأموال، أو ينصف بعض الطوائف الفقيرة، إلا وتغير التنظيم الحزبى السياسى أو انهار. ووقف ممثلو رءوس الأموال من جميع الأحزاب جبهة واحدة ناسين خصوماتهم الحزبية، ووقف كذلك أنصار الطوائف الفقيرة جبهة واحدة

فالنضال الاجتماعى موجود الآن ومنذ نشأة البرلمان المصرى. فلماذا لا ننظمه فى الصورة الحزبية المعروفة فى برلمانات العالم الراقية، وهى الصورة المأمونة العواقب، التى تحيل هذا النضال أفكاراً وقوانين ومشروعات عملية، بدل أن يتحول حركات هدامة غير إنشائية؟

***

ونحن فى حاجة إلى عقليات جديدة تدرك المسألة على هذا

الوجه ، وتكون على استعداد لخلق برامج إنشائية كاملة وتنفيذها بالجرأة والحماسة الواجبتين فى هذا الظرف الذى تولد به عوالم جديدة

وأنا شديد الشك فى صلاحية عقليات الأحزاب الحاضرة ورجالاتها لمواجهة مثل هذه البرامج الكاملة ، فقصارى مايفكر فيه هؤلاء الرجال هو مشروعات جزئية لا تناسق فيها ولا انسجام ، ولا تربطها وحدة تفكيرية معينة

وثمت عقبة أخرى تحول بين الهيئات الحزبية الحاضرة والاتجاه الجديد ، فهذه الهيئات أجهزة قديمة صدئة لا تستطيع أن تتحرك حرة من أثقال الماضى . ومعظم رجالها فى سن الكهولة والشيخوخة ومن العسير على الكهل أو الشيخ أن ينهج فى تفكيره وفى حياته نهجاً جديداً ، ويدع مألوفه فى خمسين عاماً أو ستين . وقليل من أفذاذ الرجال هم الذين يحتفظون برصيد من قواهم لمواجهة التجديد الكامل . ومن هنا يخالجنى الشك المطلق فى صلاحية رجال الجيل الماضى لمواجهة مطالب الجيل الجديد

خذ مثلا لذلك الديوان الحكومى — وهو أقل مؤنة من الاتجاه الاجتماعى — فالكل مجمعون على أنه جهاز بطىء الحركة ، قليل الإنتاج ، فاسد النظام (باعتراف ديوان المحاسبة) ، فهل بين رجال الجيل الماضى من يصلح للقضاء على النظام الديوانى القائم كله ، وإنشائه على أسس جديدة فى دفعة واحدة ؟

كلهم يشفقون من هذه الخطوة الجريئة ، ويخشون أن يقف دولاب العمل ، وكلهم يميلون إلى سياسة الترقيع بدل سياسة الإنشاء ، لأن رصيدهم من القوى العصبية لا يكفى لهذا الابتكار الكامل ، ولا يصلح لمواجهة نظام مبتكر لم يألفوه فى الأربعين أو الثلاثين سنة التى عاشوها فى ظل النظام الديوانى العتيق !

وهناك أمثلة كثيرة ... ولكننا لا نمضى فى سردها لأنها ليست علة بذاتها ، وإنما هى أعراض لعلة أصيلة ؛ هى عدم وجود سياسة إنشائية مرسومة ، قائمة على تحقيق العدالة الاجتماعية وتجديد المجتمع المصرى تجديداً كاملا فى شتى الاتجاهات

وهذا التجديد الكامل فى حاجة إلى عقلية لا ماضى لها ! فى حاجة إلى عقلية إنشائية مبتكرة ، تنفر من أنصاف الحلول ، وتشمئز من منظر الترقيع فى الثوب البالى القديم ! !

***

ونحن — إذن — فى حاجة إلى أحزاب جديدة ذات عقلية إنشائية تنظر إلى المجتمع المصرى على أنه وحدة كاملة ، وترسم لإنشائه وتجديده سياسة جريئة حازمة متناسقة ، موحدة الروح فى شتى الوزارات والدواوين والإدارات ، وتتفاضل فيما بينها بالبرامج الاجتماعية الشاملة التى تعالج بها المجتمع المصرى المريض

وإذا قلت البرامج الاجتماعية الشاملة ، فإنما أعنى الاقتصاد والثقافة والتشريع بوجه خاص

فمن الناحية الاقتصادية نحن مجمعون على سوء توزيع الثروة العامة وعلى ضآلة الثروة القومية . أما الوسائل لمعالجة هذين النقصين فقابلة للاختلاف عليها بين الأحزاب

والبرنامج الاجتماعى الذى يعالج هذه الظاهرة لا بد أن يكون ذا أثر فى الاتجاهات الثقافية ، فيحرص على إتاحة الفرص لكل فرد إتاحة حقيقية بريئة من التهريج الحزبى ، ولن يتحقق هذا إلا بأن يجد كل راغب فى التعليم الصالح له مكاناً فى المدرسة المصرية لا يصده عنه عجزه عن النفقات التعليمية ، ولا حاجة أهله إليه ليعمل فى سبيل القوت قبل أن يتجاوز سن التعليم

ولا يكفى أن يتاح له التعليم على هذا الوجه ، بل لا بد أن يكون هذا التعليم موجهاً توجيهاً اجتماعياً معيناً يقرر مبدأ العدالة الاجتماعية فى أذهان النشء ، حتى يصبح إحدى العقائد التى تبثها المدرسة فى نفوسهم بتعاليمها ونظمها وتوجيهاتها النظرية كذلك

وعندئذ يكون للتعليم المصرى طابع ويكون للمدرسة هدف اجتماعى بجانب الهدف التعليمى الذى تسير إليه الآن على غير قصد ولا انتباه !

والتشريع هو أحد الأدوات لتحقيق البرامج الاجتماعية الشاملة ، فيجب أن يكون للتشريع عقلية موحدة ترمى إلى أهداف موحدة ، وتتفق مع البرامج الاجتماعية بوجه عام .

***

والكلمة الآن للأحزاب المصرية القائمة ، ولكنها فى الأغلب مجموعات الشباب التى لم تتقيد بماض ثقيل يشلها عن الحركة الحرة فى الاتجاه والتنفيذ على السواء

أما الأحزاب القائمة ، فقد أدت دورها ، ومن الواجب أن تنسحب من المسرح قبل فوات الأوان ، ذلك إلا أن نستطيع التجدد والتحور لنواجه الحاضر والمستقبل ، وهذا ما لا أحسبها تطيقه ، وليس فى تاريخها حتى اليوم ما يدل على أنها تراه

سيد قطب

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

— ٣ —

دعوته إلى العامية — دعوته إلى الحروف اللاتينية — دعوته إلى إلغاء الاعراب . . . .

— ١ —

« يجب ألا يكون للمجتمع لغتان إحداهما كلامية أى عامية ، والأخرى مكتوبة أى فصحى كما هى حالنا الآن فى مصر وسائر الأقطار العربية ؛ لأن نتيجة هذه الحال أن اللغة المكتوبة تنفصل من المجتمع فتصبح كأنها لغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعابد ، وينقطع الاتصال الفسيولوجى بينها وبين المجتمع فلا تتطور ، ولهذا يجب أن تكون غايتنا توحيد لغتى الكلام والكتابة ، فنأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع ، ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما » ص ٤٧ .

لم يقنع المؤلف بالدعوة إلى استعمال الكلمات الأعجمية ، فعاد يحمل لهدم بنيان اللغة العربية الشامخ معولا قد حمله غيره من قبل فتثلم ، وضاعت الدعوة السابقة سدى ، وستذهب دعوته هذه أباديد لا رجع لها ولا صدى ، وأية دعوة أخطر على اللغة من اطراح الكلمات العربية واتخاذ العامية لغة فنية للشعر والكتابة والخطابة ؟ وما دامت العامية محرفة عن الفصحى فلم نفضل الدخيل على الأصيل ؟

ولم لا تكون الفصحى أحق بالاستعمال مادام القراء يفهمونها ؟

ونحن نرى فى عصرنا هذا أن كثيرين جداً من الأميين يسمعون الصحف ويفهمونها ، ويصيخون إلى الخطب السياسية والدينية ويستوعبونها ، وينصتون إلى الأغانى الفصيحة ويحفظونها ، حتى إن الفلاحين الذين لم يجلسوا إلى معلم يرددون فى هذا العصر جملا مما حفظوا وهم لها فاهمون ، وليست اللغة الفصحى فى نظرى هى المحشوة بالغريب ، ولا العويصة التراكيب ، ولا الخفية المجاز ، وإنما هى التعبير الصحيح الجارى على قواعد اللغة وإن كانت مفرداتها فى متناول الجميع .

فلن تنفصل الفصحى إذن من المجتمع ، ولن تصير كلغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعابد ، فإن الشعب كله يفهمها ، ورقى الشعب يقربها إليه ويقربه منها .

ليس عندنا مبرر إذن لتطعيم لغتنا الفصحى بأكثر ما نستطيع من العامية ، ولا أحد يزعم أن العامية كالفصحى ثراء وسعة ومرونة وموسيقية ، فالعامية فقيرة ، وليست بصالحة لتصوير المعانى الراقية أو خلجات النفوس ، فمن أراد التنفيس عما يجيش بين جوانحه من عواطف استمد من معين الفصحى الثر الذى لا يغيض ، وإذا اهتاج جرت على لسانه كلمات من الفصحى لم يزورها أو يتكلفها .

على أن العامية تختلف باختلاف الأصقاع والأقاليم ، فعامية الصعيد تغاير بعض المغايرة عامية الشمال ، وعامية مصر تخالف عامية الشام وهكذا ، فإذا أضفنا إلى لغة الأدب أكثر ما نستطيع من العامية انفصم الرباط الوثيق الذى ينتظم الأمة العربية ، ووأدنا الوحدة التى ننشدها وهى ما زالت فى المهد .

وبم تسمى اللغة الجديدة ؟ وما خصائصها المميزة لها وهى أخلاط وأمشاج من فصحى ، وعامية منشعبة منها ، ومن تركية ، ومن أوروبية محرفة ، ومن أوروبية غير محرفة دعا الأستاذ إلى اصطناعها فى المقال السابق ؟ ولسنا وحدنا بدعا فى أن لغة الكتابة عندنا تغاير لغة الخطاب ، فهذه المغايرة عامة فى اللغات كلها ، بيد أن الفرق عندنا أوضح وأبرز ؛ لطول العهد بالجهل ، والاستبداد ، ومحاربة اللغة القومية بالتركية آناً ، وبالإنجليزية والفرنسية آنا ، ولذا تقاربت اللغتان فى ربع القرن الحاضر لما ذاعت الثقافة ، وتنسمنا الحرية واعتززنا بالقومية .

ولنفرض جدلا أن الأستاذ على حق فى رأيه ، ولنتخذ لغة الأدب خليطاً من العربية والعامية ، ثم نترقب قرناً واحدا ، فإذا عامية جديدة تشتق من هذه اللغة الجديدة ؛ لأن الشأن فى لغة الخطاب الميل إلى التيسير والتسهيل وعدم التحرز من الأخطاء ، فماذا نفعل آنئذ ؟ أنؤمن بأن لغة الكتابة لابد أن تتميز من لغة الحديث المعتاد ؟ أم ننشئ لغة جديدة للكتابة ملفقة من تلك

اللغة التي اعتسفناها من الفصحى والعامية ومن هذه اللغة العامية الناشئة ؟

وما مصير تراثنا العظيم من قرآن وحديث وشعر ونثر ؟

سيصير أحاجي وألغازاً ولغة أثرية دارسة لا يفقهها إلا قلة ممن يشغفون بدراسة الآثار القديمة شأن اللغة اليونانية واللاتينية ، فهما أصل اللغات الأوروبية الحديثة ولكن لا يعرفهما إلا الأقلون .

ربما رأى المؤلف أن الأوروبيين يترجمون روائع اليونان والرومان إلى لغاتهم الحديثة فلنصنع صنيعهم فنترجم حينئذ القرآن والحديث وروائع الشعر والنثر القديم إلى لغتنا الحديثة ، وأعتقد أن هذه فكرة من الهوان بحيث لا يتجادل فيها قلمان .

— ٢ —

« وعندى أن بعض المميزات لما يقترحه عبد العزيز فهمى باشا من اتخاذ بعض الحروف اللاتينية فى كتابتنا يعود إلى أن هذه الحروف تضمنا إلى مجموعة الأمم المتمدنة ، وتكسبنا عقلية المتمدنين » ص ١١٧

« والواقع أن اقتراح الخط اللاتينى هو وثبة إلى المستقبل ، لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركيا التى أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها » ص ١٣٨

أما اصطناع الحروف اللاتينية فى الخط العربى فإنه اقتراح صرعه النقد ، فلا حاجة بى إلى ذكر مساوئ الموتى .

ولا أذكر أن فى مصر مؤيداً آخر لهذا الاقتراح غير الأستاذ سلامة موسى . والجديد فى تأييده أن اصطناعنا الحروف اللاتينية يضمنا إلى مجموعة الأمم المتمدنة ، ويكسبنا عقليتها ، ويغلق علينا أبواب ماضينا ، ويفتح لنا أبواب مستقبلنا كما حدث فى تركيا .

ولو أن التمدن وكسب العقلية رهينان باستعمال خط الأمم الراقية لسهل التمدن على كل أمة متخلفة عن ركب المدنية ، فما عليها إلا أن تستعير حروف أمة أرقى منها لتبلغ شأوها ، وتفكر على غرارها ، حتى وإن اتفقت الحروف واختلفت اللغة وتباين النطق والمعنى !

ومعنى هذا أن جميع من يلبسون الملابس الأفرنجية قد تمدنوا ، وأنهم يفكرون كما يفكر الأفرنج . وما الغرابة فى هذا القياس ، والزى ألصق بالمرء وأعظم تأثيراً فى شخصيته من الحروف التى يكتب بها بين الحين والحين ؟

لقد تحضرت الأمة العربية ولم تصطنع حروف أمة أرقى منها ، وانفلتت أوروبا من عقالها مسترشدة بأعلام العرب وضوائهم وإشعاعهم ومع ذلك لم تتخذ حروفهم ، ووثبنا نحن منذ عصر إسماعيل وثبات بدون حاجة إلى حروف اللاتين لتحفزنا إلى الوثوب ، أو تجذبنا نحو الهدف المنصوب . وهاهى ذى اليابان أتت بالأعاجيب فى نهضتها على حداثة نشأتها ولم تتسلف من أمة أرقى منها حروف كتابتها .

ولو أن الحروف تصنع العقلية لتساوت عقلية الأمم التى تكتب بالحروف اللاتينية ، فليس المعول إذن على الحروف ولكن على الروح الذى يستعمل الحروف .

ولم تنهض تركيا لأنها استبدلت بحروفها العربية حروفاً لاتينية ، فقد حدث هذا الاستبدال بعد النهوض والاستقرار ، على أنها أبدلت مستعاراً بمستعار .

— ٣ —

« وليس على التلميذ من حرج أن يقرأ فيرفع المفعول وينصب الفاعل ما دام يفهم ما يقرأ ، أما فى المدارس الثانوية فنشرع فى تعليم أقل ما يستطاع من قواعد النحو ، ولا نبالى الإعراب الذى أثبت الاختبار أنه لا فائدة منه بتاتا ، والوقف فى أواخر الكلمات أى إسكانها هو الخطة السديدة التى يجب أن تتبع »

« وقد قال هربرت سبنسر إنه لم يتعلم النحو قط ، وإنه درس وألف فى هذه اللغة دون أن يحتاج إلى دراسة النحو ، ولا يمكن عربياً أن يقول مثل هذا القول عن لغته » ص ١٣٣

« واقتراح عبدالعزيز فهمى باشا يحتاج أولا إلى العمل بإلغاء الإعراب » ص ١٣٨

وهذا تجديد آخر ، أى هدم آخر لهذه اللغة التى قاومت الأعاصير أكثر من ألف عام ، وهى كالصخرة يرتطم بها الموج فينحسر ، وتنهال عليها معاول الهدم فتفل وتتكسر .

التجديد المخلص للغة العربية أن يلغى الإعراب منها فيرفع المفعول وينصب الفاعل مادام القارىء يفهم ما يقول ! ثم تبلبل

الأستاذ فقال إن إسكان أواخر الكلمات هو الخطة السديدة التى يجب أن تتبع ، والإسكان شيء والفوضى فى الشكل شيء آخر .

ونحن نسأل الأستاذ : كيف يفهم القارئ ما قرأ وقد نصب الفاعل ورفع المفعول ؟ وروح اللغة التى يقرؤها لا تطاوعه على هذا الفهم ، وذوق القارئ نفسه ما دام قد فهم معنى ما قرأ لا يطاوعه على هذا الخلط ، بدليل أن العرب — قبل أن تستنبط القواعد من لغتهم — كانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول بالسليقة ، لأن هذه الحركات فى أواخر الكلمات ذات دلالات معنوية على المواد ؛ وهذه سليقة فيهم توارثوها وتناقلوها كما يأخذ أبناؤنا فى هذا العهد عنا أوضاع لغتنا العامية .

ولذلك يقول عبد القاهر الجرجانى فى الرد على منكرى ضرورة النحو : « وأما زهدهم فى النحو واحتقارهم له ، أو إصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم فى ذلك أشنع من صنيعهم فى الذى تقدم ، وأشبه بأن يكون صداً عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ؛ ذاك لأنهم لا يجدون بداً من أن يعترفوا بالحاجة إليه ، إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنه هو المعيار الذى لا يتبين نقصانه كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذى لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه ، وإلا من غالط فى الحقائق نفسه » .

ثم يقول مبيناً أن النحو نبراس لفهم المعنى بدقة : « وإذا نظرتم فى الصفة مثلا فعرفتم أنها تتبع الموصوف ، وأن مثالها قولك : جاءنى رجل ظريف ، ومررت بزيد الظريف ، هل ظننتم أن وراء ذلك علماً ؟ وأن ها هنا صفة تخصص وصفة توضح وتبين ؟ وأن فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح ، كما أن فائدة الشياع غير فائدة الإبهام ؟ وأن من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ، ولكن يؤتى بها مؤكدة كقولهم (أمس الدابر) ، وكقوله تعالى : (فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) ، وصفة يراد بها المدح والثناء ، كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جده ؟ وهل عرفتم الفرق بين الصفة والخبر وبين كل واحد منها وبين الحال ؟ وهل عرفتم أن هذه الثلاثة تتفق فى أن كافتها لثبوت المعنى للشيء ، ثم تختلف فى كيفية ذلك الثبوت ؟ » (١)

فالنحو فى رأى الجرجانى ليس لصحة الشكل فقط ، بل وللتعبير الدقيق عن المعانى ، وللفهم الدقيق لهذه المعانى ، فهو إذن من صميم اللغة وجوهرها .

وأما الزعم بأنه لا يستطيع عربى أن يجيد لغته بدون تعلم النحو فيدحضه أن العرب — إلى أن خالطوا العجم فى الإسلام — كانوا يجيدون لغتهم غير مفتقرين إلى تعلم النحو ، وأن البارودى فى هذا العصر أجاد اللغة فهماً . وأجاد الشعر نظماً ، ولم يتعلم النحو ، وذلك بكثرة القراءة والحفظ ، لأنهما أجدى على المتعلم من قواعد النحو التى لا يصحبها تطبيق متكرر .

استمع إلى ما يقوله الشيخ حسين المرصفى فى الوسيلة الأدبية عن البارودى وهو من أعرف الناس به : « محمود سامى البارودى لم يقرأ كتاباً فى فن من فنون العربية ، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع بعض من له دراسة وهو يقرأ بعض الدواوين ، أو يقرأ وهو بحضرته حتى تصور فى برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ... ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة ، واستثبت جميع معانيها ، ناقداً شريفها من خسيسها ، ثم جاء من صنعة الشعر اللائق بالأمراء » .

وقد فطن ابن خلدون قبل ذلك إلى أن الطريقة المثلى فى تعليم اللغة المرانة وكثرة الحفظ والقراءة ، لينطبع لسان المتعلم وفكره على اللغة ، وقرر أن سكان الأمصار أشد إغراقاً فى اللحن من سكان البوادى ؛ لأنهم لقنوا أول الأمر لغة ملحونة فاعوجت ألسنتهم واختلطت لغتهم . فالنحو وحده لا يكفى بل لابد من مخالطة الأعراب والتدرب على محادثتهم لأن اللغة ملكة والملكات لا تكتسب إلا بالتكرار والارتياض والمران ، فقد كان العربى يحاكى أهله فى نطقهم وتعبيرهم كما يحاكى الطفل أهله فى النطق بالمفردات والتراكيب ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : « وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أى بالملكة الأولى التى أخذت عنهم ، ولم يأخذوها عن غيرهم » .

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٣ .

لغـــة السياسة

للدكتور عبد العزيز برهام

للسياسة لغة تختلف كل الاختلاف عما تواضع عليه الناس . إذ من المهارة السياسية أن تصل إلى أغراضك ولو من طريق ملتو . وقديماً قيل : الغاية تبرر الوسيلة . وأنه ما دام للمائدة آداب ولحفلات آداب ، وللزيارات آداب ... فلماذا لا يكون للسياسة آداب كذلك ؟ ومن مظاهر آداب السياسة أن تكون لغتها من الرقة والسمو بمكان ، بحيث لا تشعر المتحدث إليه بالرغبة فى السيطرة عليه أو استغلاله . فلغة « الأمر » قد تسمى بلغة « النصح » . وبداهة أن النصيحة لا تقيد المنصوح له برأى الناصح ولا تلزمه الأخذ به ؛ فله كامل الحرية إن شاء أخذ وإن شاء يذر ؛ ولكن لها عند بعض الساسة معنى آخر . فإذا تفضل عليك ناصح بألا يطرح مشروع كذا فى مناقصة ورأيت أنت أن الخير لك ولوطنك فى غير ذلك عتب عليك فى عدم الأخذ بمشورته عتابا قد يكون مراً ، وقد يبلغ درجة اللوم والإحراج والتوعد ، وإذا نصحك بكذا وكيت لهوى قد يكون فى نفسه ولم تتابعه فى رأيه تململ واستاء ، لأن « النصح » على لسانه نصح من « نوع خاص » .

ولقد يتطوع لزيارتك زائر كريم ، ويتحدث إليك فى أمور يكثر الجدل فيها ، وتتناقلها الألسن ، ثم يبدى لك فى أدب جم بأن « من رأيه » أو « من رأى حكومته » أن تحل العقدة بكذا وكذا ، ثم يتركك وقد فهم كل منكما ما انطوت عليه سريرة الآخر ، وهو فى سعيه مشكور شكر الناصح المخلص . وإذا المشروع يطوى ، والجو يصفو ، والنفوس تهدأ ، ويعود الأمر كما بدأ ، وتصفق الأيدى للحل السعيد .

وقد يكفى مجرد « إظهار الضجر وعدم الرضا » لإيقاف المتحرك وتحريك الساكن . فإذا لم يظهر بعض الدوائر المالية ارتياحا إلى أن تكون اللغة العربية هى لغة وطنها ؛ وإذا ارتأت دور الخيالة فى استخدام هذه اللغة فيما تعرض من أشرطة حرجا عليها فمعناه بلغة السياسة : قنوعا بما رضى الدخيل بمنحك إياه ، وشكراً له على تفضله .

« والمركز الممتاز » فى عرف الساسة الطالبين له هو صنيع يؤدى إلى من يطلب منه منحه : وكيف لا والدافع إليه شدة الحدب على المهيض الجناح ، والحرص على المحافظة عليه ؛ فالجيش

ولهذا رأى (فتربنو) زعيم التربية الأدبية فى إيطاليا أن أنجع حيلة لتعليم اللغة اللاتينية للأطفال أن يجعلها لغة المحادثة منذ الصغر يتفاهمون بها ، ويتحدثون مع أستاذهم ، على أنه عنى بتجويد نطقهم ، وجودة إلقائهم ، وتمثيلهم للمعانى .

ولهذا أيضاً كانت عادة العرب ولا سيما الخلفاء أن يرسلوا أولادهم إلى البادية لتنشئتهم على الفصاحة فيما ينشئون عليه .

فليس بدعا إذن أن يتعلم سبنسر اللغة الإنجليزية بدون قواعد .

وليس مستحيلا ولا عسيرا فى كثير أو قليل أن يتعلم أحد اللغة العربية أيضاً بدون قواعد ، فقد كان هذا يحدث فعلا ، وقد دعا إلى انتهاجه بعض المربين كابن خلدون . ليس الصواب إذن فى إلغاء النحو ، إنما الصواب فى تبسيطه وتيسيره ، وأن نتوخى سلامة التعبير فيما يسمعه التلميذ ويقرؤه ، وأن نكثر من تمرينه وتدريبه .

وبعد فالمدارس المصرية تعلم من النحو نتفاً ضرورية لا غنى عنها فى استقامة الأسلوب وفهم المعانى ، وشتان بين عهد درس فيه الأستاذ بعض النحو دراسة نظرية جافة مملة وبين تدريس النحو فى هذا العهد تدريساً نظرياً عملياً مشفوعا بالتطبيقات .

ثم لماذا يحرص الفرنسيون مثلا على أن يعلموا الدارسين للغتهم من أبنائهم ومن غيرهم قواعد لغتهم ، وهى أحياناً أكثر تشعبا من قواعد اللغة العربية مع رغبتهم فى نشرها وسيادتها وتيسير تعلمها على الراغبين ؟

وإذا كان الإعراب قد كاد يكون خصيصة للغة العربية وحدها بعد أن قل فى الألمانية فإن الوسيلة الوحيدة لتيسيره ليست إلتاءه بالتسكين ، ولا الفوضى فى نطق الحركات كيفما جرى بها اللسان ، وإنما بكثرة القراءة والمران ، والتدريب على القواعد الموضوعة لهذا اللسان .

(يتبع)

أحمد محمد الحوفى
المدرس بالسعيدية الثانوية

الدخيل الذى يحتل أرضه ليس له من مأرب إلا رد المعتدين عنه ، والثقافة التى تفرض عليه إنما يراد بها رفع مستواه العلمى والخلقى ، ومدارس التبشير ليست إلا لهدايته سواء السبيل ... ولكنه فى الواقع والحقيقة انتقاص شائن من حرية من يسلم به ، واعتداء على كرامته واستقلاله ، واعتراف منه بأنه ليس لهذا الاستقلال أهلا

ومن غرائب الصدف أن لغة السياسة من نصائح مسداة ، وآراء مبذولة ، وامتيازات مطلوبة ، لا تتخذ هذا المعنى « الرفيع » الخاص إلا إذا جرت على لسان قوى وتحدث بها إلى ضعيف أو إلى من يظن فيـه الضعف . فالدول الكبرى فى مؤتمر (سان فرنسيسكو) تنصح عملياً للدول الصغرى بأن تقلل من شطحاتها وبأن تتعلم الطاعة وتستسلم صاغرة لما يراد بها ، ولكن إذا ما جد خلاف بين بعضها هى وبين بعض كانت لغة التوفيق ذات معان أخر وذات أسلوب آخر .

والسياسى الماهر هو الذى يقف من خصمه موقف مفسر الأحلام الذى استدعاه أحد الملوك ليفسر له حلماً أفزعه . وعلم المفسر أن قد سبقه فى هذا المضمار آخرون قربت المقصلة آخرتهم ؛ لأنهم أخبروا الملك أن جميع أفراد أسرته سيموتون قبله وسيموت هو بعد ذلك . فلما أحضره الملك بين يديه وسأله عن تعبير رؤياه أجابه : ستكون أطول أفراد أسرتك عمرا .

و (الدبلوماسى) البارع هو الذى لا يضع السيف فى موضع الندى ، والذى يصل بمعسول ألفاظه إلى ما لم تصل إليه القنابل الطائرة .

لما أخفقت الحملة الفرنسية على (مصر) وخشى (نابليون) أن يكون فى رحيل جنوده عن (وادى النيل) ما يذهب بالأثر الثقافى والعلمى الذى تركته بحث عن رجل يمثل (فرنسا) فى (مصر) وتكون رسالته « أن يحافظ على النفوذ الفرنسى رغم الهزيمة ، وأن يؤسس بالطرق (الدبلوماسية) ما عجزت الأسلحة عن تشييده » فوقع اختياره على (متيو دليسبس) Mathieu de Lesseps . وكانت وصية (تلليران) Talleyrand له وهو يودعه : « اتخذ لنفسك صديقاً : رجلا من بين خصومنا ، وسيكون فى صداقتك له ما يجعل منه واحداً منا » — وكلنا يذكر ما كان لصداقة هذا (الدبلوماسى) لمحمد على وبنيه من الأثر الكبير فى نجاح مشروع فتح (قناة السويس) .

ولقد أدخل القرن العشرون فى معجم السياسة كثيراً من الألفاظ التى غيرت من مدلولها ، وأضاف مؤتمر (سان فرنسيسكو) إليه مصطلحات جديدة . فبعد أن كنا لا نسمع إلا ألفاظ الاستعمار والانتداب والحماية ... أصبحنا نسمع كذلك ألفاظ الوصاية الفردية والوصاية الدولية ... ومن يدرى فربما أضيفت إليـه فى المستقبل صفحات .

والحق أن الغاية من كل هذا واحدة : إخضاع الضعيف لسلطان القوى ، شأنه فى ذلك شأن الذئب والحمل الذى قيل إنه كان يعكر عليـه الماء . وسواء لدى القوى أطلب منه الضعيف الوصاية عليه أم لم يطلبها ، فهو فى الحالين أهل لهذه الوصاية . ومن حق القوى أن يأخذ بيده حتى يصل به إلى درجة البلوغ الإنسانى ليستحق بذلك أن يكون عضواً فى جماعة الإنسانية .

ولو أنك سألت (عصبة الأمم) لماذا قررت (وضع سورية ولبنان) تحت الانتداب الفرنسى ، لأجابتك فى كثير من البساطة ، لتساعدهما على النهوض والاستقلال بأنفسهما ، ولتصل بهما إلى درجة من الرقى والحضارة تجعلهما أهلا لعضوية هذه العصبة . ولكنك لو سألت اليوم (فرنسا) لماذا لا تترك هذه البلاد بعد أن أدت فيها رسالتها (ما دامت الرسالة لم تكن الغاية منها إلا مصلحة الشعب المغلوب على أمره) أجابتك ، وعلى شفتيها ابتسامة : والمنشئات الحربية ، والمواقع (الاستراتيجية) والمدارس والمستشفيات والكنائس التى أسسناها ...؟ أتريدنا على أن نترك كل هذا دون عوض وأن ننصرف كما قدمنا ؟ ولماذا إذن كانت كل هذه الجهود التى بذلنا قِراب عشرين عاما ؟ وكيف يجرؤ الشعب الذى امتصصنا دمه وأذقناه الذل والهوان ، وحاولنا وضع بذور التفرقة بين وحداته على إنكار ما أسدينا إليه من صنيع ؟

قلت ما أحكم قول شاعر المعرة :

وأرض بِت أقرى الوحش زادى
بها ليثوب لى منهن زادُ
فأطعمها ؛ لأجعلها طعامى
ورب قطيعة جلب الودادُ

عبد العزيز برهام

تسوية المنازعات الدولية

للأستاذ نقولا الحداد

قرأنا بالأمس النص الرسمى لميثاق السلم والأمن فلم نر فيه الضمانة التامة للسلم والأمن ، على الرغم من بذل كل مجهود فى سان فرنسيسكو .

فى هذا الميثاق هيئتان كبريان للحرص على الأمن الدولى : الأولى الجمعية العمومية المؤلفة من جميع الأمم المتحدة التى كانت ممثلة فى مؤتمر سان فرنسيسكو . والأخرى مجلس الأمن وهو مؤلف من أحد عشر عضواً ، خمسة منهم ذوو كراسى دائمة فى المجلس وهم بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية وروسيا والصين وفرنسا . والستة الباقون تنتخبهم الجمعية العمومية من سائر الأمم المتحدة الأخرى لمدة سنتين ثم ينتخب غيرهم .

على أن حبل الأمن والسلم فى يد هذا المجلس وهو أهم ما قرره المؤتمر ونص عليه فى هذا الميثاق . ولذلك نتساءل الآن هل يصون هذا المجلس سلام العالم ؟

كان العيب الأكبر فى جمعية الأمم السابقة التى تمخضت بها شروط الصلح بعد الحرب الماضية أنها لم تكن مسلحة لكى يمكنها أن تنفذ قراراتها . ولم يُتَح لها من وسائل التنفيذ سوى وسيلة واحدة وهى التوصية بمقاطعة الدولة المعتدية . ومع ذلك كانت هذه الوسيلة أضعف من الضعف لأن العمدة فيها كانت مروءة الدول أعضاء الجمعية . وليس للدول كما نعلم مروءات ولا ضمائر توجب عليها تنفيذ العهود .

وقد امتُحِنَت جمعية الأمم وضمائرُ الدول فى بعض المواقف فخابت . وكان آخر امتحان لها فى قضية اعتداء إيطاليا على الحبشة فحكمت الجمعية بمقاطعة إيطاليا . فما من دولة نفذت هذه المقاطعة ، اللهم إلا انكلترا لأنها كانت فى الحقيقة هى لا جمعية الأمم ، خصم إيطاليا . بل كانت هى وحدها جمعية الأمم وبقية الأمم الأخرى ذيولاً لها . وأما فرنسا فعكست حكم المقاطعة بأن أقرضت إيطاليا حينئذ عشرين مليون جنيه بدل أن تمتنع عن مساعدتها .

هذا كان أمر جمعية الأمم المرحومة . فما كانت إلا قصبة مرضوضة لا حول لها ولا طول ، فما صانت سلاماً ولا حفظت أمناً ولا منعت حرباً . فهل مجلس الأمن الذى وُلِد بالأمس أكثر طاقةً وأفعل صولةً منها فى حفظ السلام ؟ كان عيب جمعية الأمم المغفور لها أنها كانت عزلاء من السلاح . فهل مجلس الأمن الجديد مولود مسلحاً ؟

يستفاد من الفصل السادس ، فصل تسوية المنازعات ، من مادة ٣٦ إلى مادة ٥٥ ، أن مجلس الأمن يبذل كل مجهود لفض النزاع بين الدولتين المختصمتين بالطرق السلمية . وما عهدنا نزاعاً انفض بالطرق السلمية إلاَّ نادراً جدًّا بين دولتين متعادلتين قوة وسلاحاً . وأما إذا كانت إحداهما أضعف من الأخرى فلا يجدى إظهار الحق ولا محكمة العدل جدوى فى التسوية بينهما سلمياً . فإما أن تستسلم الضعيفة مغلوبة على أمرها مغبونة ، أو أنها تدافع عن حقها مستنصرة بدولة أخرى ذات مصلحة .

فهل لمجلس الأمن المحبوب قوة حربية توقف الدولة المعتدية عن حدودها وتردها عن عدوانها ؟

المادة ٤٦ تخول مجلس الأمن أن يطلب إلى أعضاء الأمم المتحدة وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والبريدية والبرقية واللاسلكية الخ ؛ وقطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول المعتدية .

وهب أن بعض الأمم المتحدة امتنعت عن أن تلبى هذا الطلب (كما حدث فى مسألة الحبشة إذ لم تقاطع أى دولة إيطاليا) فما الذى يرغمها على تلبية الطلب ، أتوقيعها على الميثاق ؟ فما كان توقيع المواثيق يوماً من الأيام مقدساً محترماً . ما كان إلا قصاصة ورق .

ولمجلس الأمن أن يقرر استخدام القوة وأن يطلب من الأمم المتحدة تقديم القوات المسلحة وفاء بالالتزامات فى مادتى ٤٧و٤٨ . فإذا نكصت بعض الدول عن تقديم المساعدة الحربية فمن يلزمها

أن تقوم بتعهداتها ؟ وهب أن الدول (أعضاء مجلس الأمن) اختلفت فيما بينها بشأن تنفيذ خطة المجلس أو قراره ثم تحولت الخصومة الصغرى إلى خصومة كبرى بين جانبي الدول فمن يحسم هذا الخلاف ؟

لنفرض مثلا أن رفعت الدولة السورية (وحينما نقول السورية نعني اللبنانية أيضاً) شكوى من فرنسا المعتدية، ورأى مجلس الأمن أن لابد من استعمال القوة ضد فرنسا لأنها لم تذعن. وهب أيضاً أن بعض الدول تحيزت لفرنسا وأصرت على هذا التحيز ولم يعد ممكناً صدور قرار من مجلس الأمن، أو أنه صدر قرار يستوجب طلب قوات حربية من الدول لإكراه فرنسا على الإذعان ولم تلب بعض الدول الطلب، أفلا يمكن أن يتحول هذا الخلاف في المجلس إلى خلاف كبير بين الدول ويعرضها لحرب هائلة ؟

قد تقول هذا فرض بعيد الحدوث جداً لأن الدول تعهدت وهي الآن في ظروف وأحوال تدعها تستحي من نكث عهودها. ولكن بعد سنين أو عشرات السنين يسقط برقع الحياء ولا تعود تحترم عهودها. فإذن الفصل السادس من الميثاق لا يضمن السلام «على طول»، أولا يضمنه غداً.

لو كانت نية جميع الدول حسنة وقد خلت من المطامع والمخاوف لكان في إمكانها أن تجعل مجلس الأمن قوة حاسمة لكل خلاف بين الأمم صغيرة وكبيرة.

قد تقول: وكيف ذلك ؟

لو قررت الدول المؤتمرة في سان فرنسيسكو أن تضع كل دولة كبيرة وصغيرة على الفور تحت يد مجلس العدل قوات حربية جوية وبرية وبحرية الخ بحيث يفوق مجموع هذه القوات قوة أعظم دولة — كل دولة تقدم بنسبة طاقتها — . ومجلس الأمن يجعل قواد هذه القوات وضباطها من غير جنسها تفادياً للتمرد، وأن يفرق هذه القوات مختلطة في مراكز رئيسية بحيث تكون مستعدة للعمل بسرعة عند الطلب — لو قرر المؤتمر تسليح مجلس الأمن على هذا النحو ونفذ قراره في الحال، إذ يكون أعضاء المؤتمر في حماستهم وإبان شوقهم إلى السلام، لكان مجلس الأمن هذا مجلساً دولياً مسلحاً حقيقة، وكان في إمكانه أن ينفذ قرارات الأكثرية بلا تردد ولا خوف من الشقاق

ومتى تم للمجلس هذا التسليح العظيم أمكنه أن ينزع سلاح جميع الدول ولا يبقى لها إلا ما هو ضروري لحفظ الأمن الداخلي

على هذا النحو يكون المجلس الدولي مجلس أمن حقيقة، وبه يصان السلام . ولكن ظهر من الميثاق الرسمي للسلم والأمن أن الدول دخلت قاعة المؤتمر وليس في قلوبها صفاء، ولا في ضمائرها نيات طيبة إلى النهاية

لست أتشاءم من مجلس الأمن، هذا الذي تمخض به المؤتمر، فهو خطوة أخرى أفضل جداً من جمعية الأمم المرحومة. وإن شبت حرب ثالثة عظمى لا سمح الله بعد عجز مجلس الأمن عن تداركها — وإن بقي بعدها مدنية — فسيكون مجلس الأمن القادم بعدها كما وصفته آنفاً.

وإلى الملتقى.

نقولا الحداد

التعليم ووحدة الأمة

الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

- ٦ -

أخيرا استجابت والحمد لله وزارة المعارف لما سبق أن وجهناه إليها فى أوقات مختلفة من نداءات متكررة هاتفة بضرورة توحيد المرحلة الأولى من التعليم العام فى سبيل إيجاد أساس موحد للثقافة بين أبناء البلد الواحد وفى سبيل محو الفروق بينهم فى هذه المرحلة البدائية الضرورية لكل ناشىء . فلقد جاء فى الحديث المستفيض الذى أدلى به عن التعليم معالى وزير المعارف لمراسل الأهرام بتاريخ ٥ يونيه سنة ١٩٤٥ بعد الكلام عن المشاكل التعليمية الوقتية وبصدد الكلام عن المشاكل الأصيلة ما يأتى : أن فى مقدمتها (أى المشاكل الأصيلة) مشكلة التعليم الإلزامى ، ففى مصر مايقرب من ثلاثة ملايين من الأطفال فى سن التعليم الإلزامى لا يتاقى التعليم منهم الآن فعلا إلا أقل من مليون طفل . وهذا فضلا عن أن التعليم الذى يتلقونه فى المدارس الإلزامية تعليم يجمع الرأى على أنه فاشل . لذلك كان واجبنا الأول العمل على تعميم المرحلة الأولى من التعليم بأسرع ما يمكن . وليس هناك أى مبرر لتعدد أنواع التعليم فى تلك المرحلة من إلزامى وأولى وابتدائى فهذا نظام عتيق مناف للديمقراطية عدلت عنه جميع الأمم الأخرى الراقية وانتهت إلى توحيد المرحلة الأولى لجميع الأطفال . وبعد كلام آخر عن المجانية فى التعليم الابتدائى اختتم معاليه كلامه فى هذا الموضوع بالذات بقوله : « لذلك تتجه سياستى إلى العمل على توحيد التعليم الإلزامى والأولى والابتدائى فى مدرسة واحدة مشتركة تأتى بعدها المراحل الدراسية الراقية لكل طفل يظهر استعداداً لها . ويلى ذلك مرحلة تدعى مرحلة التعليم المتوسط ثم مرحلة التعليم الثانوى . وكل هذه المراحل لا تتجاوز ثلاث عشرة سنة » .

وإنه لاتجاه جميل جداً بل اتجاه ديموقراطى مستقيم أن تتوحد المرحلة الأولى فى التعليم الإلزامى والأولى والابتدائى وتنضم جميعها فى مدرسة واحدة لتتكون منها المرحلة البدائية فى التعليم؛ غير أننا نرجو أن تتوحد هذه المرحلة توحيداً لا يمس ثقافة الناشىء ولا ينتقص منها شيئاً عن طريق إقلال مدة التعليم فيها . إذ أن التنظيم الجديد يستدعى إيجاد مرحلة وسطى بين التعليمين الابتدائى والثانوى الحاليين ويستدعى جعل مدة التعليم فى المرحلة الأولى الجديدة أربع سنوات فقط ، مع أن مدة هذه المرحلة كانت عندنا سبع سنوات فى رياض الأطفال مع التعليم الابتدائى الحالى وست سنوات فى التعليم الإلزامى الحالى الذى نشكو قلة فائدته ونسيان التلاميذ لما يتعلمونه فيه بعد الانتهاء منه ، أو بقول أعم نشكو فشله كما جاء فى تصريح معالى الوزير آنفا . ولذا فأنا نرى أن الناشىء على النظام المقترح لا يمكن أن يستفيد فائدة معقولة من المرحلة الأولى الجديدة إلا إذا تابع دراسته فى المرحلة الثانية كلها وليس عندنا ما يلزمه بذلك . وفى هذا ما فيه من فشل المرحلة الأولى إذا اقتصر الطفل عليها فقط . وكثير جدا أولئك الأطفال على ما نعتقد الذين ستضطر الظروف أهليهم إلى الاقتصار على هذه المرحلة فقط دون السير فى المرحلة الوسطى .

إن هذا النظام المقترح لم ينفذ فى انجلترا إلا حديثاً بعد تطورات كثيرة فى نظم التعليم وبعد أن محيت منها الأمية وبعد أن استعدت له البلاد بالمعلمين اللازمين وبالأبنية الضرورية للمدارس ، وبعد نقاش وجدل وأخذ ورد كثير فى لجان مختلفة ، من لجنة هادو إلى لجنة أسين إلى لجان أخرى . وكانت بعض المدارس قبل تنفيذ هذا النظام فى انجلترا تجمع بين الأطفال والمراهقين وتحتم على الطفل أن يتابع التعليم فيها من الطفولة إلى المراهقة . ولذا فأن الكثيرين من رجال التعليم عندنا يرون أن الأخذ بهذا النظام اليوم يعد طفرة غير ملائمة ، وربما كان ضرره بالتعليم أكثر من نفعه خصوصاً أنه يتطلب الآن زيادة كبيرة فى أمكنة المدارس وفى عدد المعلمين اللازمين بما لا يقل عن الثلث ، لأن فيه زيادة مرحلة بين مرحلتين وهى زيادة ضخمة لا نطيقها الآن خصوصاً بعد التجربة التى قستها البلاد على حساب الثقافة العامة فى تنفيذ مجانية

العام المنصرم، وقد لمس ذلك معالى الوزير بنفسه وصدر به تصريحاته عن المشاكل الوقتية فى التعليم فقال حفظه الله: « إن معظمها ناشىء من الخطة التى سارت عليها الوزارة فى السنوات الأخيرة من إرغام المدارس على قبول عـدد من التلاميذ يزيد كثيرا على ما تتسع له وتستطيع تعليمه والإشراف عليه إشرافاً مثمرا من غير عناية بأعداد المبانى والكتب والمعدات اللازمة لمواجهة الزيادة فى التلاميذ وإعداد المعلمين الصالحين لها . . » ثم ذكر معاليه فى سياق حديثه عن مجانية التعليم الابتدائى ما يأتى : « وقد شملت الفوضى امتحانات القبول بالمدارس الابتدائية وإنشاء الفصول إنشاء مرتجلا من غير إعداد المبانى ولا الأدوات اللازمة . وا كتظاظ المدارس والفصول اكتظاظاً لا يقل عنه بالمدارس الثانوية ، ونقص المدرسين فى المدارس عن العدد اللازم ، واستمرار حركة التنقلات شهوراً بعد بدء الدراسة لمحاولة سد ذلك النقص . » ولذلك فأنا ندعو الله لمعالى الوزير الجليل بالتوفيق ونعيذه من أن ينال مشروعه من النقد ما نال غيره ؛ لأن التنفيذ السريع لهذا المشروع الضخم الكبير ربما يجرنا إلى ورطة أكبر من ورطة مجانية التعليم الابتدائى . من أجل ذلك نرجو التريث فى الأمر وعرضه على بساط البحث بين رجال التعليم على اختلاف طبقاتهم لتمحيصه والاقتناع به حتى يخلصوا فى تنفيذه إذا جد الجد ، كما نأمل أيضاً فى معالى الوزير الديموقراطى أن يعرض الأمر على المجلس الأعلى للمعارف الذى نرجو أن يجتمع قريباً وأن يكون فى تشكيله مجلساً قومياً ممثلا لجميع الأحزاب حتى يتكون فى صف المشروع رأى عام قوى لا تزعزعه العواصف ولا يفكر فى إلغائه يوماً ما فيكون نظام التعليم عرضة لانقلابات تنزل به هزات وضربات قد تؤخره لا قدر الله وترجعه أعواماً إلى الوراء .

ثم إنا نرجو بعد أن اقتنع معالى الوزير بفكرة توحيد التعليم فى مرحلته الأولى أن نضع تحت نظر معاليه مشروعاً آخر نرى أنه أكثر ملاءمة لحالتنا الراهنة إذ ليس فيه قلب للأوضاع القائمة ونأمل أن يدرس بجانب المشروع الحالى :

ذلك أن يوحد منهج التعليم فى المدارس الأولية والإلزامية والابتدائية الحالية على أساس جعل مدة الدراسة فيها ست سنوات كاملة تنتهى فى سن الثانية عشرة على أن يكون المنهج خالياً من اللغات الأجنبية التى تبـدأ دراستها فى مرحلة التعليم الثانوى لمن يستأنف دراسته فيما بعد ذلك ، وأن يخصص نصف وقت الدراسة أو أكثر فى جميع مدارس المرحلة الأولى للثقافة العامة المشتركة التى يجب أن تحوى مقداراً معيناً من أسس الثقافة كاللغة والدين والحساب الخ ، ويترك باقى الوقت لدراسة المنطقة المحلية ليكون تحت تصرف الهيئة التعليمية المشرفة على المنطقة تتولى هى وضع المنهج المحلى اللازم له باتفاق المدرسين والنظار والمفتشين . ثم يتفرع التعليم بعـد ذلك فى المرحلة الثانية إلى فروعه المختلفة بين ثانوى وزراعى وصناعى وتجارى الخ ؛ وأعتقد أن الشطر الأول من هذا المشروع كان قد تقدم باقتراحه أو باقتراح قريب منه على الوزارة بعد دراسته دراسة فنية معهد التربية فى سنة ١٩٣٤ عند النظر فى تنقيح خطط التعليم ومناهجه .

وإنى أسأل الله أن يوفق العاملين إلى ما فيه وحدة الأمة والنهوض بثقافتها ودفع مكانتها بين أمم الأرض جميعاً .

عبد الحميد فهمى مطر

يا فرنســـا . . .

[ادعت فرنسا أنها حامية سوريا ولبنان]

للأستاذ حسن أحمد باكثير

يا فرنسا ! يا بلاداً حاربت حيناً فَتَـلَّتْ للجبين
صمدت للغزو أسبوعين ثم استسلمت للمعتدين !
يا بلاداً حررتها قوة الأحلاف من رقٍّ مهين ؟
اسمعى ثم اسمعى سخرية الأقـــدار مما تصنعين
إنها تضحك نكراء الصدى والجرس جشاء الرنين
إنهـــا تضحك ملء الكون والأزمان مما تدعين

ادعى أنك تبغين لنا خـــيراً بقتل الآمنين !
ادعى أنك تحمين حمانا ببنيك الظافرين !
ادعى ما شئت زوراً واذكرى إذ سمت خسفاً منذ حين
واذكرى إذ عجزت كفاك عن أن تدفعا عنك المنون
واذكرى ماذقت من عسف ومن خسف ومن ذل وهون

أتظنين شعوب الضاد كالسنغال قوماً صاغرين ؟
تستبدّين بهم مثـل ضحايا الرق فى خالى القرون
من ستحمين من العدوان ؟ هل تحمين آساد العرين ؟
ثم ممَّن ؟ أمن الأحلاف ؟ والأحلاف ليسوا ظالمين
أم من الأعداء ؟ والأعداء قد نالوا جزاء المجرمين
نحن لا نبغى حماة فاذهبى واحمى بنيك الباسلين

يا فرنسا ! يا بلاداً حاربت حيناً فُتلَّت للجبين !
يا بلاداً حررتها قوة الأحلاف من رقٍّ مهين !
احذرى أن تستفزّى أمة قد أقسمت ألاّ تهون
أمـــة أمجادها تزداد إشراقاً على مرّ السنين
أمة مقدامة ترنو إلى مستقبل ضاحى الجبين
أمة تحمى حماها بالدم القـــانى وبالعزم المكين

حسن أحمد باكثير

عرائس محطة الرمل

للأستاذ ادوار حنا سعد

هل طافت أبكارُ الجنــه … بكؤوس السحر وبالفتنه
أو تلك عرائس أمواج … من بحر قد سئمت سجنه ؟
حسن الأملاك ووسوسة الـ … ـخناس وإغواء الجِنـه
أضـــداد باتت تعجبنى … بالرمل وأعجب منهنه

قد خطرت بالشعر الداجى … وجدائل صفر الأمواج
وغدائر فرع رفاف … فضىٍّ كالمـاء الساجى
ومزاج منها مختلف … درجات ... أحبب بمزاج
قد عقصت تاجاً أو تركت … تهفو بالعطف الرجراج

من كل طروب فى خجل … أو كل شرود فى جذل
الشرق مع الغرب... التقيا … فى غالى الحسن ومبتذل
وجمال ساج من نَصَف … وشباب زاكٍ مكتمل
تاه العشاق بمن صحبوا … وبقيت بنسكى المفتعل

موسيقى الخطوة رقراقه … أغرت بفؤادى أشواقه
وثياب الفتنة قد لمعت … غيـداء الذيل وخفاقه
ألوان الطيف وأعطار … كالزهر تؤلفه باقـــه
الجسم بها كاسٍ عارٍ … يُذْكرك التين وأوراقه

غامت عيناى من الطرب … كفَراش يرقص للهب
مرت ناعمة ما التفتت … ورنت فاتنة لم تجب
وأجابت عينا ساحرةٍ … قد خف سواك إلى أربى
وهفت لندائى (غانية) … فذممت سُراى ومنقلبى

الروح الحيرى ما هدأت … والبيض الخرّد مافتأت ...
تغرى الأحلام وقد سكنت … وقلوب الشيب وقد صدأت
سبحانك ربى... كم أبدت … عظة الأجساد وكم خبأت
من طين صلصالٍ خلقت … وإليك تعود كما بدأت

الاسكندرية

أدوار حنا سعد



من معالي مصطفى عبد الرازق باشا إلى الدكتور عثمان أمين (*)

صديقي الأستاذ الدكتور عثمان أمين

أول من ترجم للشيخ محمد عبده، وعني بنشر آثاره هو السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار». والسيد رشيد رضا هو أول من لقّب الشيخ محمد عبده بالأستاذ الإمام. وهذا اللقب نفسه ينبئ بالصورة التي أراد أن يرسمها السيد رشيد لشيخه فيما كتب عنه، وينبئ بالفكرة السائدة في وجهة نظر التلميذ إلى أستاذه.

الشيخ محمد عبده عند السيد رشيد رضا إمام من أئمة الإسلام، له في الدين مذهب يقوم أصحابه على روايته وتدوينه كما قام أصحاب أبي حنيفة والشافعي وغيرهما على ما لأولئك الأئمة من مذاهب.

وإذا كان الشيخ عبده إماماً في الدين، فالسيد رشيد رضا لاشك صاحبه ومفسر مذهبه ومكمله. وقد بذل منشئ «المنار» – رحمة الله عليه – مجهوداً في هذه الناحية ضخماً حافلاً بالباحث الدينية والمناقشات الفقهية. وكان لهذا المجهود العظيم أثر غير ضئيل في طلاب العلوم الدينية ومن إليهم، وفي توجيه الدراسات الشرعية في بلاد الإسلام المختلفة.

ثم نهض بعض الكتاب والباحثين لدراسات تتصل بالشيخ محمد عبده وآثاره من غير الناحية التي كان السيد رشيد يقصر نظره عليها، وشارك في ذلك طائفة من المستشرقين، لكن هذه الدراسات لم تعدُ في جملتها أن تكون محاولات متفرقة وأن يكون حظ الأدب فيها أكبر من حظ التعمق في البحث، والاستقصاء في المراجع الآخذة في الازدياد.

* * *

ولقد رأيتك تتخذ من الأستاذ الإمام موضوع دراسة تحفز لها كل همتك، وتقبل عليها بكل قلبك، وشهدت بعض عنائك في تتبع المراجع وتمحيص النصوص، واستقراء الآثار، وحسن الانتفاع بذلك كله في الاستنتاج والحكم.

ثم قرأت رسالتك لما أتممتها، وكنت حاضر مناقشتها حين تقدمت بها لنيل الدكتوراه. فكنت من أشد الناس سروراً بك وإعجاباً بمصنفك الممتاز الذي يبرز صورة للشيخ عبده صادقة ناطقة، ويحيط بكل الجوانب من نشاطه الإصلاحي المترامي الأطراف، ويعرض أنظاره الفلسفية في اتساق ووضوح وحسن طريقة. وإن كتابك ليسد ثغرة في الدراسات المتصلة بالشيخ عبده، وفي الدراسات المتصلة بتاريخ نهضتنا الفكرية والاجتماعية الحديثة من ناحية أثر الشيخ عبده فيها.

* * *

مضى أربعون عاماً إلا قليلاً على وفاة الأستاذ الإمام، فكتابك الطيب تحية الجيل الجديد من العماء لعلم الجيل القديم. وهي تحية كريمة تتأرج بالحب والوفاء. وأي شيء في الدنيا أكرم من الحب والوفاء.

شكر الله لك وحياك.

مصطفى عبد الرازق

١ – رفقاً بنا أيها التجار

بعد انهيار الميدان الأوربي أخذ التجار يفتنون في الإعلان عن بضاعتهم ورخص أثمانها، ولكنا وجدنا أنفسنا معهم كما قيل عن «أبي معشر»: «تقرأ فتفرح وتجرب فتحزن»:

قسا تجّارُنا حتى حسبنا ... قلوبهمو حديداً أو حجاره!
إذا قلنا لهم: عطفاً علينا ... فإنا إخوة، منّوا التجاره!
وصاحوا: الحرب! ويح الحرب إنا
جنينا دونكم منها الخساره!
وما صدقوا، فإن الحرب فاءت ... عليهم بالنُّضار وبالنَّضاره
عَذيري منهمو شبعوا وجعنا ... وبعض الخُلْو يدرك بالمراره
إذا حل الوباء بأرض قوم ... فزف إلى الحنوطي(١) البشاره
سلوا الصابون كيف غدا لديهم ... يباع كأنه مسك العطاره؟!
عباد الله خافوا الله فينا ... أنشكو العرى أم نشكو القذاره

٢ – المبرد

ساق العلامة المحقق «النشاشيبي» في العدد ٦٢٣ من الرسالة

(١) الحانوتي.

(*) بمناسبة ظهور رسالته عن الامام عبده.

الفراء البيتين الآتيين فى ثنايا احتجاجه لفتح راء « المبرد » .

ومليح إذا النحاة رأوه فضلوه على « بديع الزمان »
برضاب عن « المبرد » يروى ونهود تروى عن « الرمانى »

وقد قال : إنهما لشاعر لا يتذكر الآن اسمه .

والبيتان « لابن الوردى » كما جاء فى كتاب تزيين الأسواق للشيخ داود الأنطاكى .

ومما ينتظم فى سلك ما أتحفنا به الأستاذ الكبير من الطرائف عن هذا الإسم قول أبى الحسين الجزار :

حمتْ خدَّها والثغر عن هائم شج له أمل فى مَورد ، ومُوردَّ
وكم هام قلبى لارتشاف رُضابها فأعرض عن تفصيل نحو المبرّد

وقال آخر :

ثغر ، وخد ، لجلَّ ربٍّ بتبدع الحسن قد تفردْ
فذا عن « الواقدى » يروى وذاك يروى عن « المبرد »

على الجندى

١ — أهل السنة وأهل الحديث

تعليقاً على ما جاء فى هذا الموضوع فى عدد « الرسالة » ٦٢٦ أنقل كلمة من كتاب (كشف الكربة لابن رجب) : قال الأوزاعى فى قوله صلى الله عليه وسلم : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) . أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى منهم فى البلد إلا رجل واحد . وكان الحسن يقول لأصحابه : يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس . وعن سفيان الثورى قال : استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء .

ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة طريقة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات . ولهذا كان الفضيل بن عياض يقول : أهل السنة من عرف ما يدخل فى بطنه من حلال ...

ثم صار فى عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما سلم من الشبهات فى الاعتقادات خاصة فى مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك فى مسائل القدر وفضائل الصحابة ، وصنفوا فى هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة . انتهى ما قاله الحافظ ابن رجب الحنبلى .

٢ — قبرس

ورد فى عدد « الرسالة » ٦٢١ (قبرص) بالصاد ، والصواب (قبرس) بالسين على ما فى القاموس المحيط ، ومعجم البلدان وغيرهما ، وما كنت لأنبه عليها لو كانت فى غير مقال العلامة النشاشيبى ، ولعلها من خطأ الطبع .

محمد محسن الحسينى

فى مقالى عن أحمد محرم

وقع خطأ مطبعى وسهو فى كلمتى عن المرحوم الشاعر أحمد محرم ونورد هنا صحتهما رجاء التنبه للخطأ المقابل لها :

« فى يوم الأربعاء ١٣ يونيو ١٩٤٥ م بمدينة دمنهور توفى الشاعر » وبعد ذلك بسبعة سطور :

« وانتقل به والداه وهما من أصل شركسى إلى حوش عيسى وهى إحدى القرى الكبيرة التابعة لمركز أبى المطامير » .

هذا وقد وردت إلىَّ بعض الرسائل من أفاضل القراء تفيض ألماً للفقيد وتسألنى مزيداً من التفاصيل عن حياة الشاعر . وعن مدى البؤس والإهمال الذى لقيه فى حياته . وإنى أشكر لهم ذلك الإحساس النبيل ، وأرجو أن أكون عند رغبة أصدقاء الشاعر قريباً بنشرى دراسة كاملة عنه .

كما قد علمت أن بعض أصدقاء الشاعر فى دمنهور — وما أقلهم فى ذلك البلد — يفكرون فى إقامة حفلة تأبين له وإنى إذ أحيى فيهم ذلك الوفاء أرجو أن لا يقف الأمر عند الرثاء ...

(دمنهور) **عبد الحفيظ نصار**

حفلة تأبين

ستقام حفلة تأبين للمغفور له الأستاذ الشاعر أحمد محرم بدار سينما بلدية دمنهور من الساعة الرابعة إلى السادسة من مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٤ يولية سنة ١٩٤٥ ؛

فعلى حضرات الذين يودون إلقاء كلمات فى هذه الحفلة الاتصال بمندوب اللجنة حضرة عبد الجواد أفندى غزال بمدرسة التعاون الإنسانى بدمنهور



أقصوصتان لتشيكوف

١ - ابتهاج

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

ما كادت الساعة تشرف على الثانية عشرة مساء ، حتى دلف ميتيا كلدروف إلى داره ، أشعث الشعر، منفعل الوجه ، مضطرب النفس . فهرع إليه والداه وكانا على وشك النوم ، وكذلك شقيقته وكانت قد أتت على الصفحة الأخيرة من إحدى القصص . أما إخوته التلاميذ فأغرقوا فى النوم

وصاح والداه فى دهش :

— من أين أقبلت ! ما ذا دهاك ؟ !

— لا تسألانى ... لم أكن أتوقعها ... إنها المستحيل بغير شك ... !

وعجزت ساقاه عن حمله — لما غمره من السعادة — فتهالك على أحد المقاعد ضاحكا مردداً :

— إنها المستحيل ! ... انظروا ، فأنتم لا تتصورون مبلغ ذلك ! نخفت إليه أخته — وقد أحاطت نفسها بدثار — واستيقظ الأطفال على صدى هذه الضجة .

— ما الذى حدث ؟ إنك تبدو فى غير طبيعتك !

— ذلك لأنى لا أكاد أتمالك نفسى من الابتهاج ، ألا تعلمين أن روسيا بأجمعها تعرفنى الآن ؟ تعرف ذلك الكاتب المسجل دمترى كلدروف ؟

وعاد ميتيا يهرول فى غرف المنزل من جديد ، ثم لم يلبث أن أدركه الكلل والعناء فتهالك على المقعد ثانية ، وشمك الجميع فى أنه قد أصيب بلوثة فى عقله ، فصاح ميتيا فى سخرية :

— أنتم تعيشون هنا كالوحوش ، لا تدركون مايدورحولكم لأنكم لا تعيرون اهتماماً ما ينشر فى الصحف من الأخبار الهامة ، إن الصحف تذيع ما يطرأ من الحوادث الخطيرة ، فلا تبقى خافية على الناس ... يا إلهى ، كم أنا سعيد ... ألا تدرون ؟ لقد نشرت الصحف اسمى كما تنشر أسماء العظماء المشهورين !

فهرع الأخوة نحو أخيهم وقال الوالد وقد علا وجهه شيء من الشحوب :

— ما ذا تعنى ؟ أين ذلك ؟

— ما ذا أعنى ! لقد نُشر اسمى فى الصحف وعرفتنى الآن روسيا بأجمعها ... انظروا ...

وجذب ميتيا من جيبه نسخة من إحدى الصحف وناولها والده وأومأ إلى فقرة تحتها علامة زرقاء واضحة

— هلا قرأتها ؟

فثبت الأب نظارته أمام عينيه ، أما الأم ، ففغرت فمها وقد ارتسم عليه شيء من البله ، وراحت تتمتم فى صوت خفيض .

وارتفع بعد هنيهة صوت الوالد وهو يتلو الفقرة :

« فى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٢٩ ديسمبر ، بينما كان كاتب مسجل يدعى دمترى كلدروف ... »

فقاطع ميتيا والده قائلا :

— أسمعتم ؟ استمر

« .. بينما كان كاتب مسجل يدعى دمترى كلدروف يغادر إحدى حانات الخمر فى حى « كوزهين» بمقاطعة «بورونيا » وهو فى حالة سكر »

— إنه أنا يا والدى ، وكان معى سيمون بتروفتش ، إنهم يصفون الحادث أروع وصف ... انصتوا ... استمر

« فى حالة سكر، تعثر وهوى تحت حصان عربة للثلج، يقودها رجل ريفى يدعى « إيفان دروتوف » من قرية « دريكينو » بإقليم « يونفسكى » ، فهاج الحصان ووطىء كلدروف ، ومرت العربة فوقه وانقلبت بالقرب من تاجرمن موسكو يعرف « بستيبان لكوف » ، فتحطم ما كان بها من الثلج على قارعة الطريق ، واستطاع نفر من الناس أن يقبضوا على زمام الحصان الجامح ، وحمل كلدروف فى غيبوبته إلى مركز الشرطة حيث فحصه الطبيب

٢ – فى المقـــبرة . . .

بقلم الأديب فيصل عبد الله

« الريح شرعت تهب ، والكون قد غشيه الظلام ، أفما آن أن نعود إلى بيوتنا ؟ »

لقد هبت الريح تعصف بأوراق الشجر الصفراء ، وانثال علينا من السماء هاطل من البرد ، فانزلق قدم أحدنا وكاد أن يهوى على الأرض الموحلة لولا أن تدارك نفسه فأهوى بيده على صليب أغبر كبير كى يتقى به السقوط ، ثم راح بعد ذلك يقرأ ما كتب عليه:

« إيغورغريازنوروكوف المشاور الخاص والفارس » .. إننى لأعرف هذا الرجل ، كان كلفاً بزوجه ويتقلد وسام ستانسلاف ولا يزعج نفسه بقراءة شىء ، أما ذوقه فكان جميلا ، إنها لحياة لا يأسى امرؤ على أنه حييها ، ولطالما جال فى خاطر الناس أن لم تكن بمثل هذا حاجة إلى أن يموت . ولكن للأسف ، فإن حادثاً أليماً كان فى انتظاره ، فلقد خر المسكين صريع حبه للمعرفة ، إذ بينا كان ذات يوم يختلس النظر من خصاص باب إذ صدم الباب رأسه بعنف فأفقده الوعى ثم ... مات . تحت هذا الصليب يرقد

وكانت الإصابة التى أصابته فى مؤخر رأسه ... »

وعاد ميتيا يقاطع والده :

— لقد كانت من نوتاً فى العربة ... أتمم الباقى ...

« ... التى أصابته فى مؤخر رأسه لم تكن بالخطيرة ، وقد كتب تقرير عن الحادث ، وأسعف الجريح بالمساعدة الطبية اللازمة »

وأخبرونى أنه يجب أن ينظف موضع الإصابة بالماء البارد ... أصدقتم الآن ؟ إن روسيا جلها تعرفنى ، أنا ديمترى كلدروف ناولنيها يا أبتاه!

والتقط ميتيا الصحيفة من والده وطواها ، ودسها فى جيبه ، وراح يقول :

— سأنطلق الآن إلى أصحابى ومعارفى لأنبئهم بأن ديمترى كلدروف قد ذاع صيته فى روسيا ... نعم سأريهم الصحيفة . وداعاً

وارتدى ديمترى قبعته الحمراء ... وهرول إلى الطريق وملء جوانحه الزهو والابتهاج ...

مصطفى جميل مرسى

إنسان أبغض الشعر منذ المهد ، وكأنهم يسخرون منه إذ ملأوا النصب كله بالشعر ... ها قد أقبل بعض الناس ! »

أقبل نحونا رجل بمعطف بال ووجه شاحب حليق ، يتأبط قنينة من الفودكا ، وقد برزت من جيبه رزمة من شرائح لحم مقدد ، ثم سألنا بصوت أجش « أين قبر موشكين الممثل ؟ ! » فقدناه إليه ، وكان موشكين هـذا قد مات منذ عامين ، ثم سألناه : « أأنت موظف حكومى ؟ » فأجابنا : « كلا إنما أنا ممثل ، إن المرء لا يستطيع فى هذه الأيام أن يميز ممثلا من موظف حكومى ، ولعلكم لاحظتم ذلك . إنه لشىء عجيب وإن لم يكن فيه ثمة حط من قدر الموظفين »

لقد كان عسيراً أن يجد المرء قبر موشكين ، فلقد علته أعشاب فتبدى مما كسبه أبعد ما يكون عن المقابر . كان عليه صليب رخيص صغير ومائل ، نما عليه الطحلب وعلق به الثلج ، فلاح قاتماً عتيقاً كتب عليه « الصديق المنسى موشكين » ، ولقد أزال الزمن حرفين من النصب وأصلح ضجعة الرجل . ولقد تنهد الممثل وجثا حتى مست ركبتاه الأرض الموحلة ، ثم قال : «لقد اكتتب الممثلون والصحفيون بمال ليقيموا به نصباً له ، ثم شربوه ، يالهم من صبية أبرار! »

— وماذا تقصد بقولك « شربوه » ؟

— ذلك جد بسيط ، لقد جمعوا المال ، وخطوا على الورق القوائم ، ثم شربوا المال . إننى لا أقول ذلك لألومهم على ما فعلوا ولكنه الواقع . نخب صحتكم يا سادتى ، نخب صحتكم ونخب ذكراه الخالدة . ليس ثمة صحة تنال من الأفراط فى الخمر ، والذاكرة الحافظة الدائمة أمر مؤلم ... ألا فلنرجو من الله ذاكرة لا تعيش فيها الأحداث والرؤى ، أما الذاكرة الواعية ...

— حسناً ... إن هذا لهو الحق ، لقد كان موشكين رجلا يعرفه الكل ، ولكنه الآن منسى ، نسيه أولئك الذين أحبوه ، ويذكره أولئك الذين مسهم منه الضر والأذى وبخسهم أقدارهم أما أنا فلن أنساه ، كلا ، لن أنساه ، فلم يصبنى منه غير الضر والخسران ، ولست أحبه

ثم زفر الممثل فسألناه : وأى أذى نالك منه ؟ فبان على وجهه ما كان يكابد من جراح فى قلبه وقال : « إنه لأذى بليغ ، لقد كان خبيثاً وسارقاً ، ألا فلتسكن روحه ونهدأ ... لقد صرت



شعر الطبيعة في الأدب العربي

[كتاب للدكتور سيد نوفل]

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

أظهرت مكتبة الخانجي بمصر كتاب شعر الطبيعة فى الأدب العربى للدكتور الفاضل والعالم الأديب سيد نوفل ، وهو الرسالة التى نال بها درجة الدكتوراه برتبة جيد جداً من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٤م .

وقد كان الأدب العربى فى حاجة إلى هذا الكتاب الذى عنى بتاريخ شعر الطبيعة منذ ظهوره فى شعر امرئ القيس كفن قائم بذاته من فنون الشعر ، متأثراً بالبيئة التى ظهر فيها امرؤ القيس ، معبراً فى وصفه لها عن شعور صادق بأثرها فى نفس الشاعر ، وحب لها يصل إلى درجة التدله والفناء فيها ، ويجعل ذلك النوع من الشعر هو الغرض الأهم من القصيد ، وما عداه من الأغراض كالنسيب يؤخذ على أنه وسيلة له ، وكان مظهره فى الوقوف على الأطلال ووصفها والبكاء عليها ، ووصف مشاهد الصحراء العربية من نوق وأفراس وجبال ورياح وسحب ورعود وبروق وما إلى ذلك من مشاهدها ، وهذا هو الدور الأول لشعر الطبيعة فى الأدب العربى .

ويأتى بعده الدور الثانى ، وهو دور التقليد فى شعر المرقش ومن سلك طريقته ، وفى شعر أوس بن حجر ومن سلك طريقته ، وفى شعر طرفة ومن إليه من بعض الشعراء الذين تحرروا من قيود التقليد بعض التحرر ، وفى هذا الدور حذا أولئك الشعراء فى وصف الطبيعة فى شعرهم حذو امرئ القيس ، ولكنهم جعلوه وسيلة لغيره من الأغراض ، لأن وصف الطبيعة لم يكن يعنيهم فى الشعر كامرئ القيس ، وإنما كان يعنيهم غرض المدح وما إليه من الأغراض التى دعاهم إليها التكسب بالشعر .

ثم يأتى بعد ذلك الدور الثالث ، وهو دور الجمود فى صدر الإسلام ، وعهد الخلفاء الراشدين ، وعهد بنى أمية ، لأن شعراء هذه العهود جمدوا فيها على التراث الجاهلى فى وصف الأطلال وما إليها من المشاهد البدوية ، ولم يؤثر فيهم ذلك الانقلاب العظيم الذى أحدثه الإسلام فى تاريخهم ، ونقلوا به من أمة بدوية إلى أمة حضرية ، وشاهدوا فيه من آثار الممالك المفتوحة ما لم يشاهدوه فى باديتهم ، وقد وجههم الإسلام إلى النظر فى الطبيعة فلم يتوجهوا ، ولم يجددوا فى الشعر ما يلائم ذلك التجديد الدينى ، وقد قامت فى ذلك الدور حركة للاحياء فى رجز العجاج وغيره من الرجاز ، وفى قصيد الراعى وتلميذه ذى الرُّمَّة

مثلا بالإصغاء إليه ، صرت ممثلا بالنظر إليه . لقد أغوانى بفنه وأغرانى بكبريائه فزين لى أن أهجر الأهل . لقد وعدنى بكل شيء ولكنه لم يهبنى غير الدموع والأشجان ، غير مصير الممثل ونهايته !

لقد خسرت كل شيء ... الشباب ... الوقار ... محبة الله ... ولم أعد أملك فلساً واحداً أعزى النفس به . لقد رث حذائى وبلى ، وتهرأت ثيابى وانتشرت عليها الرقع ، وبدا وجهى كما لو أن كلاباً قد تولته نهشاً وتمزيقاً ، وامتلأ رأسى بالبالى الرخيص من الفكر ... لقد سلبنى إيمانى ذلك السارق ! على أن ذلك كله ما كان ليبلغ منى مبلغه هذا لو كان لدى شبه ذكاء أتعزى به ، ولكننى قد خسرت كل شيء ، كل شيء للاشيء . إن الجو لقارس أيها السادة ، أفتأذنون بقطرة فإن لدى ما يكفينا ، فلنشرب ، ولتهدأ روحه ، إننى لا أحبه ، إنه الآن ميت ، ولكنه برغم ذلك كان الوحيد الذى كان لى على وجه الأرض ، لقد كان لى كأصابع اليد ، وهذه آخر مرة أراه فيها ، فلقد أخبرنى الأطباء بأننى سأموت قريباً لإدمانى الخمر ، ولذلك جئته اليوم لأودعه ، فإن علينا أن نصفح عن أعدائنا !

ولقد تركناه يناجى موشكين ، وسرنا خارجين من المقبرة ، ثم انهال علينا رذاذ بارد ناعم من السماء ، وعلى منحنى الطريق الرئيسى لقينا جنازة يحملها أربعة رجال عليهم أنطقة بيض من القطن ، وقد اتسخت نعالهم ونا،ت بحمل من ورق الشجر علق بها ، كانوا يحملون كفناً رمادياً ، وكان الظلام قد هم بالكون يغشيه بسدول منه سوداء رهيبة ، فكانوا يسرعون بعبئهم يتعثرون ويتأرجحون ... لم تمض علينا غير ساعتين مذ شرعنا نجول هنا وهذه ثالث جنازة يأتون بها ، ألا فلنعد إلى بيوتنا ...

القدس — فيصل عبد الله

ثم يأتى بعد ذلك الدور الرابع ، وهو دور الانتقال فى شعر أبى نواس وأبى تمام وابن الرومى والبحترى وابن المعتز وقد امتاز هذا الدور بالمنازعات التى قامت فيه بين القديم والجديد ، وثورة أبى نواس على الجمود فى الشعر على وصف الطلول ، والوقوف على الدِّمَن ، وما إلى ذلك مما لا يتأثر به الشاعر فى حاضره ، ولا يحيط به فى بيئته ، وكان لذلك أثره فيما أخذ به هو وغيره من وصف مشاهد الحضارة العباسية ، فى قصورها ومجالس لهوها ، وما إلى ذلك مما جد فيها ، ولكن الشعراء كانوا يترددون فى ذلك بين القديم والجديد ، ولم يمكنهم أن يتخلصوا فيه كل التخلص من التأثر بالقدماء .

ويأتى بعد ذلك الدور الخامس ، وهو دور النهضة ، وقد انتهى القرن الثالث الهجرى بغلبة الجديد ، فنهض شعر الطبيعة إلى أقصى ما وصل إليه فى الأدب العربى ، وصار له فى كل إقليم طابع يمتاز به ، وكان أرقى ما وصل إليه فى بلاد الأندلس ، فى شعر ابن خفاجة وغيره .

وقد آثرنا أن نلم بهذا التقسيم الذى يدل على مبلغ دقة المؤلف وتمكنه من موضوعه ، لندل به على طريقة دراسته فى كتاب تبلغ صفحاته سبع عشرة وثلثمائة صفحة من القطع المتوسط ، فهى دراسة دقيقة جامعة لهذا الشعر فى عهوده المختلفة ، وعرض حسن لنماذجه فيها ، وتحليل وشرح يدل على قوة إدراك ، وحسن فهم ، وموازنات بين الشعراء فى هذا الباب تدل على مبلغ تفاوتهم فيه ، وتضع كل واحد منهم فى درجته اللائقة به ، ونقد بصير بمواضع النقد ، وتوجيه حسن لمن يأخذ من الشعراء فى هذا الباب .

ثم ماذا بعد هذا كله فى ذلك الكتاب النفيس ؟ هناك دراسة أيضاً لشعر الطبيعة عند الغربيين ، وموازنات بينه وبين شعر الطبيعة فى الأدب العربى ، وحسن توجيه أيضاً إلى ما وصل إليه شعراء الغربيين فى هذا الباب ، لأنهم لم يقتصروا فيه على وصف مظاهر الطبيعة كما اقتصر شعراؤنا ، بل اتسع الأفق عندهم فى نظرتهم إلى الطبيعة ، واتخاذها موضوعاً فكرياً عالياً ، ينتهى بهم إلى أفكار وتصورات سامية ، وفلسفات روحية تدل على كمال تفانيهم فيها ، ولذلك نماذج أيضاً تؤيده ، فجاء الكتاب بكل هذا جامعاً فى بابه ، لا يستغنى عنه أديب فى مكتبته .

عبد المتعال الصعيدى

ديوان الشوق العائد

[للأستاذ على محمود طه]

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

فى كتاب العمدة لابن رشيق : « قال بعض الحذاق : إنه ليس للجودة فى الشعر صفة ، إنما هو يقع فى النفس عند المميز : كالفرند فى السيف ، والملاحة فى الوجه » .

هذا قول كله صدق وكله حق ، فنحن مهما اجتهدنا فى تعريف غيرنا بنواحى الجودة فى الشعر الجيد فلن نستطيع أن نأتى بصورة صادقة تامة لما نحسه فى نفوسنا من جودة ذلك الشعر .

وهـــذه حالى مع شعر الشاعر على محمود طه ، فإننى لأقرأه فإذا هو يوافق نفسى ، وإذا هو يقع منها موقعاً قلما يكون لغيره من شعر العصر . ولست أدرى مبعث ذلك على وجه التحقيق ، أهى روعة الشعر أم تجاوب الذوق أم كلاهما معاً . وها هو ديوانه الأخير « الشوق العائد » بين عينىّ ، فيا لها من عوالم حافلة بالتهاويل زاخرة بالصور الحية تبتدعها لطافة شعور الشاعر ، وصفاء فكره ، ورفيع ذوقه وبراعة فنه ؛ ولله هذه الصفحات الرائعات من حياة ذلك القلب الذى لايقر له قرار، فهو لا يكاد ينسى أمسه بآماله وآلامه حتى يعوده عيد من الشوق جديد : الله لقلوب الشعراء ! وهل كانت يوماً إلا هكذا ؟ وهل تملك إلا أن تلتفت إلى أمسها رضينا أم لم نرض ؟ . ولقد ترقرقت فى عينىّ دمعة حين قرأت قوله :

فقالت : ما حياتك ؟ قلت حلم من الأشواق أوثر أن أطيله

ما أروعها حياة ! ولكن يا رحمة للنفس الشاعرة إذا هى لم تجد لطيوف أحلامها الأفقَ الرحيب لتنطلق فيه خفيفة الاجنحة ، فما تكاد تلك الطيوف تصفق بأجنحتها وقد همت بالتحليق حتى تصدمها قيود وسدود تعترض الأفق من هنا وهنا فإذا الأجنحة تتكسر ؛ وإذا الطيوف تختنق من الضيق فتتهاوى صريعة مهيضة ، وتستيقظ النفس الشاعرة الحالمة لتواجه الحقيقة ، الحقيقة التى ترمى فتصيب ، وتصيب فتقتل . وما هى حياة الشعراء إذا حيل بينهم وبين أحلامهم وأطيافهم ؟ .

ونظرة فى قصيدة « يوم الملتقى » وهى من غرره الاجتماعية تعيد إلى أذهاننا ما تنبأ به المرحوم « الزهاوى »

لشاعرنا من أنه سيحمل بعد شوقى لواء الشعر العربى . حقاً ما كان أز كى الزهاوى رحمه الله ؛ أولا فما هذا الشعر الرصين ، وما هذه الديباجة المشرقة ، وما هذه العصا السحرية التى تمس القلوب إذا خاطب الشرق فى اجتماع زعمائه لتأليف الجامعة العربية :

قَدْ شراعك لا تسلم أزمته ... لغير كفك ، إن الريح هوجاء
ياشرق مجدك إن لم ترس صخرته ... يداك أنت فقد أخلته أهواء
ياشرق حقك إن لم تحم حوزته ... صدور قومك لم تنقذه آراء
والكون ملحمة كبرى جوانبها ... دم ونار وإعصار وظلماء

بلى ، ولئن لم ينزل الشرق هذه الملحمة ، ملحمة الكون الكبرى مزوداً بعدته ليهلكن .

ويا لتلك الريشة التى تضرب على أشد أوتارنا حساسية حين تستصرخ العصبة بشأن فلسطين فتهزنا هزاً :

أحلها ذهب الشارى وحرمها ... عصر به حرز القوم الأذلاء
حربان أثخنتاها أدمعاً ودماً ... تنزو بها مهجة كلى وأحشاء
تطلعت لكم ولهى ، أليس لها ... على يديكم من العلات إبراء
الله فيك يا فلسطين الشهيدة .

ولست هنا بسبيل أن آتى على كل قصيدة فى ديوان الشوق العائد ، وليس ما ذكرت هو خير ما فى الديوان ، كلا ، فإن قصائد الشاعر تمتاز كلها بالجمال روحاً وجسما ، فالمعنى الرائع فى اللفظ المنتخب . وإن الملاح التائه ليصور لنا بحرارة وصدق ما تهتز له خوالجه ، وإن شعره لينبض حياة بما فيه من العناصر الإنسانية التى تشيع فى كل ما ينتجه لنا من روائع، ومن هنا يتغافل شعره فى نفوسنا ومن هنا يخبأ شعره فى قلوبنا .

تحيتى إليك يا أيها الشاعر الخالد وإعجابى الذى لا ينتهى .

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**

أصــــداء بعيدة

[للاستاذ العوضى الوكيل]

للأستاذ ثروت أباظة

صدر فى الأيام القريبة الماضية ديوان « أصداء بعيدة » للشاعر العوضى الوكيل ، وصاحب الديوان غنى عن التعريف وليس غريباً عن قراء الرسالة ، وديوانه هذا الأخير يغرى بالقراءة فقد قرأته عدة مرات ، كنت أفتح الديوان عفواً فما أزال أقرأ واقرأ حتى أجدنى قد انتهيت من الديوان ، ولعل هذه القراءة الكثيرة جعلتنى ألحظ على الديوان شيئاً كنت أتمنى ألا ألحظه . فالشاعر العوضى شاعر له قصائد كثيرة تعطيك الفكرة الصحيحة الصادقة عن فن الشاعر الصادق . وبجانب هذه القصائد نجد مقطوعات لا تقل كثرة عن تلك ، كان بودى أن تنسب لغير الشاعر الذى عرفناه . فأنت حين تقرأ قصائد الديوان كأنك تقرأ لشعراء كثيرين متباينين قوة وضعفاً . فقصيدة الربيع مثلا التى يستهلها الشاعر بقوله .

عدت ياصــاحب الربيع وعدنا
فامض فى الكون كيف شئت وانا

وكذلك قصيدتا الريف الفائية والرائية من أحسن ما يمكن أن يكتب عن الربيع وعن الريف ، ولكن تعال معى مثلا إلى قصيدة الهجرة ... ...

رحلة لليقين والإيمان ، ونجاة الهوى من الطغيان
فتح القفر روحه للصديقين فأمسى باديه كالبستان
أيما ذرة من الرمل غنت ولكادت تهم بالطيران
حدثت أختها وفيها دبيب وهى نشوى بمقدم النسوان

بون شاسع بين هذا الشعر وما قدمت من نماذجه الجياد، ومن طراز هذا الشعر الأخير قصيدته فى صلاح الدين ومقطوعته التى بعنوان « قلمى » ونشيده العسكرى وغير ذلك مما لا أرضاه للشاعر . أنا لا أنكر أن كل شاعر يسف ويحلق ولكن ليس بهذه الكثرة فى الإسفاف . ولعل هذا راجع إلى أن الأستاذ العوضى سريع فى نظمه كل السرعة ، وسرعته هذه لا تعطيه الفرصة الكافية لكى يعرض القصيدة على ذوقه الأدبى مجرداً من كل عاطفة ، فهو ينظم القصيدة ثم ينظر إليها نظرة المعجب المزهو لا المنتقد المفند ، والوضع الصحيح أن ينتقد هو ليعجب به غيره . لعله يستمع لهذا الكلام فى هدوء وطمأنينة فيحاول أن يتدارك هذا المأخذ ... إذاً لأصبح العوضى فى مكانه اللائق به .

ثروت أباظة

١ — **زوبعة الدهور : تأليف مارون عبود**

فصول عن (دار المكشوف) بقلم خفيف سريع الحكم يعتصر حكمه على المعرى من عاطفته ويستدل بشعر المعرى بتزعه من قصائده ويمهد لخواطره عن الشاعر .

يدور الكتاب حول حياة المعرى أو المعضلة العلائية ويمضى الكاتب يصف عصر المعرى بعصر الأسرار ويفيض عن مدرسة أبى العلاء وصلته بالحاكم ويستطيل به القلم حتى يصل به القول إلى أن العصر ظفر منه بشاعر العقل الفاطمى .

وعند الكاتب أن المعرى لم يضرب عن الزواج لأنه لا يريد الجناية على أحد ولكنه أضرب لأنه يؤثر الصفة ويحدد النسل عند الإضطرار ولا يسمح بتعدد الزوجات ويثور للعرض المهصور ثورته للدم المهدور .

وقد أسرف الأستاذ المؤلف وزاد وأطال كى يثبت أن المعرى شيخ الفاطمية الأعظم . وإليك ما انتهى إليه (فى مذهب أبى العلاء) (من طالع سيرة المعز والعزيز والحاكم الفاطميين رأى أبا العلاء لا يخرج فى حدود تعاليمه عن تخوم آراء هؤلاء الثلاثة ، ومن أسعده الحظ وقرأ رسالة النساء الكبيرة فى كتب الدروز يرى أن النبع واحد كل يريد أن يقصى المرأة وينحيها خوفاً من الفتنة)

والمؤلف جرىء كثير التحامل والشطط ، من ذلك حكمه بأن أدب العميان جميعاً فيه رائحة عفنة لا تعجبه . وهو قد يكون على شىء ، ولكن فى أدب العميان مثل بشار سحر لا يشاب بعضه ولكنه يمزج بالسخر والصدق والصرامة ؛ وفى نظرات المعرى نفسه صدق ومضاء غاب عن المؤلف ؛ والمرارة شىء والتعفن شىء آخر .

والكتاب جميعه نسق من الخواطر الأدبية فى ثوب باحث وأسلوب يشوق القارىء بحديثه لولا الإطالة والإطناب حول المعرى والدعوة الفاطمية التى استولت على المؤلف وأضاعت عليه وقتاً كان فى حاجة إليه فى جوانب أخرى عن المعرى ...

٢ — **مرايا الناس : تأليف السيدة وداد سكاكينى**

رأيى فى الأدب النسوى لا يسر المرأة ولا يروق ربات البنان المخضب ، ولكنى أعترف كما يعترف غيرى أننا قرأنا من نتاج الأديبات فى مصر ما طربنا به شيئاً ، وإن كنت أجد فيه إلى جوار أنامل المرأة أصابع الرجل تنقيه مرة وتشجعه مرة أخرى وقد تقومه أو توجهه . والذى يؤلم أن أدب الأنوثة كنار الهشيم تعلو سريعاً ثم تهبط وإلا فأين (صوت سهير القلماوى) وأين نفحات الأنوثة فى (قلم ابنة الشاطىء) وأين طرائف المبدعات من (وداد صادق عنبر) وبيانها المنزل من موروث والدها . أين ؟ وأين ؟ أظن (البيت) هو الذى طغى على رسالة القلم عند هؤلياءئكن . ولا حرج فالطبيعة تقضى .

غير أنى اليوم أطالع مرايا الناس للسيدة وداد سكاكينى الكاتبة الشرقية فأعجب كيف أن الطبيعة لم تغلبها ، وحرفة الأمومة لم تنهنه من حماسها الأدبى، ولم تبلبل تيارها العارم ؛ أعجب ولا يدفعنى هذا إلى أن أقول كما قال الناقد القديم . (تلك التى غلبت الفحول) لا أقول ذلك وإنما أدعو القارىء إلى أن يرد مراياها ويقف على شخصيتها ويتملى من أسلوبها ليعجب بقصصها الإنسانى الذى اتخذ من صلاته بالمرأة درساً وتحليلاً ثم جاء تعبيراً سامياً فى إطار يشوق وإخراج يروق . وحتى لا أحرم القارىء أو يرمينى بمجاملة الضيفة الصديقة أضع أمامه قطعة من (شقيقة نفسى) تكشف عن جمال فى التعبير وإبداع فى التصوير ورفعة فى الأسلوب الذى تحسد عليه المرأة وتغبط السيدة وداد .

(فى صيداء مدينة الزهر والعطر ، الحالمة بمجدها على الشاطىء الأبيض الجاثم بوداعة وفطنة ليداعب مده وجزره تلك الرمال النقية ، فإذا وليت وجهك شطر البيوت تركت البحر يواجه بأمواجه القلعة العتيقة السادرة فى ذكرياتها ، ثم أقبلت بالنظر على جنات ألفاف ، وأفواف خلف أفواف ، وحدائق وراء بساتين رفافة النسيم سمراء الأديم قد شاعت فيها أنفاس الفردوس ، وليكن هذا فى الربيع حين يعبق فى هواء صيداء عطور النارنج والليمون) .

وأخشى أن أطيل وأمضى بك فى كثير من القطع الفنية التى صاغتها ريشة تغنى بعواطف المرأة وتجارب الأنثى وتأملاتها فى الحياة والمجتمع وصلات الناس .

نعم قد تمر على بعض القصص فلا تفجأ بالحادثة ، وقد تمر بك الخطرات والنظرات وأنت تقرأ كأنها النسيم يمضى رخاء دون أن يلفحك أو يعصر قلبك لأن السيدة وداد رفيقة الأنفاس هادئة البراعة تنظر بمرآة صافية لم تلعب بها الأعاصير ولم تتمايل بها الرياح . إنما هى امرأة فنانة متمكنة من قياد القلم تحمل قلباً إنسانيا ونظرة نشف وتنم عن الرحمة واليقظة . وهكذا جاءت مراياها من القصص المحلل المتأمل الذى يشهد للمرأة ويحملنا على الاعتراف بأدبها .

وقصص (هاجر العانس) و (الفرتان) و (حظها المكتوب) و (العروس) لون من نتاج المرأة الذى يضع الكاتبة فى مصاف القصاصين المبدعين .

ويكفى الأديبة أن تقبل إعجابنا بنتاجها الموفق وإلى أن أراها فى آخر يردنا إلى الإعجاب بفن الأنوثة الشرقية .

كامل محمد عجلان

سكك حديد الحكومة المصرية

تسيير قطار إكسبريس بين القاهرة ودمياط

(رأس البر)

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتدأ من ٣ يولية سنة ١٩٤٥؛ ولحين صدور إعلان آخر يسير قطار اكسبريس رأس البر يومياً بين القاهرة ودمياط وبالعكس بدلا من مسيره ثلاث مرات فى الأسبوع فيغادر القاهرة فى الساعة ٨٣٠ ويصل إلى دمياط فى الساعة ١٥ ١٢ ويعود من دمياط فى الساعة ٣٠ ١٧ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٢١١٥ وفقاً لمواعيده الحالية .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣٨ – الاثنين ٢٨ يوليو ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٥ - ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

إعلان

تعلن وزارة المعارف العمومية عن حاجتها إلى الكتب الآتية :

١ — كتب للأطفال تكون سهلة مشوقة مزينة بالصور يتراوح حجمها بين ١٠٠ و ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط .

٢ — سلسلة كتب للآباء والأمهات تفيدهم فى تربية أبنائهم وفى حل المشاكل التى تصادفهم على أن يكون كل كتاب فى حوالى ٢٠٠ صفحة .

٣ — سلسلة كتب للثقافة الشعبية تعرض الموضوعات العامة فى لغة سهلة جذابة فى حوالى ٢٠٠ صفحة لكل كتاب .

٤ — يصح أن تكون هذه الكتب مؤلفة أو مترجمة أو مقتبسة ولكل من أراد من الكتاب والأدباء والمترجمين فى مصر والبلاد العربية أن يشترك فى وضع هذه الكتب .

٥ — تمنح الوزارة مكافأة عن كل كتاب من هذه الأنواع الثلاثة تتراوح بين ٥٠ جنيه و ٢٠٠ جنيه حسب قيمة الكتاب ومقدار وفائه بالغرض المطلوب وحجمه .

٦ — ترسل الكتب إلى « إدارة الترجمة والتأليف بوزارة المعارف » مسجلة أو تسلم إليها باليد فى موعد لا يتجاوز مارس سنة ١٩٤٦ .

وتطلب التوجيهات والإيضاحات من الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف .

٣٨٠٧

وزارة التجارة والصناعة

مصلحة المناجم والمحاجر

تقبل المصلحة عطاءات داخل مظروفات مختومة عن بيع حوالى ٣ طن من معدن الفلورسبار مخزونة الآن بمنجم العجلة بالصحراء الشرقية .

ويمكن الحصول على شروط هذا البيع من مخازن المصلحة بالقاهرة مقابل مبلغ ٥٠ مليم عن كل نسخة على أن تقدم الطلبات على عرضحال تمغه فئة ثلاثين مليما .

وآخر ميعاد لقبول العطاءات فى هذه المزايدة هو ظهر يوم ٢٣ يولية سنة ١٩٤٥

٣٧٩٧

13 me Année No. 628

Lundi - 10 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٢٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ شعبان سنة ١٣٦٤ — ١٦ يوليو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الثغر يضـــحك !

نعم ، يضحك ثغر الأسكندرية اليوم بملء شدقيه ، وعلى مضاحكه الغرّ العِذاب سمات ، وفى ضحكاته المرجّعة الموقّعة دلائل ! يضحك بعد أن قضت عليه الحرب بالعبوس المظلم ست سنين لم يسكن فيها روْعه ، ولم يرْقأ دمعه ؛ فهو يضحك ضحكة الشامت بخطوب طغت ثم زالت ، ودول بغت ثم دالت ، وقوم أرادوا أن يسخروا الأقدار فسخرت منهم ، وطمعوا أن يصرّفوا الحظوظ فانصرفت عنهم ، ومغتر أشار إلى بحر العرب (١) وقال إنه بحرنا ؛ فقال له القدر الراصد : لا ، بل قل إنه قبرنا !

***

والثغر يضحك من القاهرة كما يضحك أبيقور أو أبو نواس من الكلبيين أو المتزمتين الذين اتخذوا الحياة جداً من غير لهو ، وعبوساً من غير طلاقة ، وسعياً من غير جمام ، وخصاماً من غير بُقيا ، وعراكاً من غير هدنة ؛ ويقول وهو ينظر إلى البحر للعاصمة التى تنظر إلى الصحراء : إن الحياة زبد ورمال ، وموج وجبال ؛ ففيها الصلابة والمرونة ، وفيها الرصانة والرعونة ، وفيها العبث الذى يفور ويذهب ، والجد الذى يطمئن ويمكث ؛ وفيها المرح الذى يكتسى جمال الحياة ، والوقار الذى يرتدى جلال الموت . وهيهات أن تصلح الدنيا على المعالجة ، إذا لم تساعدها الطبيعة بهذه المزاوجة !

***

والثغر يضحك للقاهريين الذين يتهالكون من جهد حتى أحضانه ، ويترامون من الكلال فوق شطآنه ، ويقول لهم : تعالوا إلى الصفاء المحض ، والسرور الخالص ، والوداد المصفق ، والشعاع الذى يعافى الجسد ، والنسيم الذى يرد الروح ؛ ودعوا القاهرة للساسة الذين أوقدوا فيها نار الخصومة فزادوا وهجها ، وضاعفوا رهجها ؛ وخلوا للزمان الحكم لهم أو عليهم ، فإنه لم يبق منهم أحد إلا اتهم الآخر ؛ فإن كان ما قالوه حقاً فليس فيهم صالح ، وإن كان ما قالوه باطلاً فليس فيهم صادق !

***

والثغر يضحك عند استانلى باى! وخليج استانلى كخليج عمان؛ إلا أن اللآلىء هناك تغوص وهى هنا تعوم . ولآلىء عمان مصونة فى الأصداف لا تنال إلا ببذل النفس ؛ أما لآلىء استانلى فعارية مبـذولة للنظر واللمس ! ومن لآلىء عمان ما يباع بخزانة فى مصرف أو مساحة فى منجم ، ولكن من لآلىء استانلى ما يباع بقدح فى حانة أو عشاء فى مطعم ! وهذه أروع ما برأ الله فى العالم الناطق ، وتلك أبدع ما صاغت يده فى العالم الصامت ، ولكنه فضل الصون على الابتذال ، وفرق ما بين الحرام والحلال !

***

والثغر يضحك فى وجوه المصطافين كما يضحك الشباب فى الأجسام ، أو الربيع فى الخمائل ! فترى الشيخ فى مرح الشاب ، والشاب فى نزق الطفل . وكلهم يجتمعون فى وحدة من الأخاء والرخاء ، والعافية والأمن تشعرهم بأنهم عبيد لإله واحد منعم ، وأبناء لوطن واحد مثيل !

(الاسكندرية) ابن عبد الملك

---

(١) بحر العرب هو البحر الأبيض ، والمغتر هو موسولينى .

كيف تنام أعين العرب

عن اخوانهم في شمال افريقية ؟

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً توطن العرب والمسلمون بلاد المغرب برقة وتونس والجزائر ومراكش . لم يذهبوا إليها مدفوعين بحب الغلبة القاهرة ، والسيطرة الغاشمة ، والفتح الذى يقصد به استغلال المغلوبين ، ولم ينتقلوا إليها ليجردوا أهل البلاد من خيراتهم ، ولا لينتزعوا منهم ديارهم وأموالهم ، ولا ليكرهوهم فى الدين ، ولا ليسلبوهم حريتهم ، ولا ليقضوا على كيانهم كأمة من الأمم التى لها حق الحرية والوجود

إنما حركتهم للفتح عوامل إنسانية ، وحفزتهم إلى الانتقال والترحل غايات نبيلة ومقاصد شريفة ، هى رفع الظلم الذى كان يرسف فيه أبناء البلاد ، وإزالة العسف الذى كانوا يلقونه من الحكام ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، إخراجهم من ظلمات الجهل والجور والفوضى والاسترقاق إلى نور العلم والعرفان والحرية والإخاء والعدل والإحسان ، ثم اندمجوا فيهم فصاروا أمة واحدة تعيش فى كنف من تعاليم الإسلام ونظمه ، بحيث لم يعد هناك فارق بين الحاكمين والمحكومين ، وكانت الشرائع والأحكام التى يرجع إليها الناس فى مكة والمدينة واليمن والبصرة والكوفة ودمشق هى التى يدين لها بالطاعة والرعاية من فى مصر وبرقة والقيروان وبجاية وتلمسان وسبته وطنجة وفاس ومراكش ، كما ازدهرت فى هذه البلاد حركة علمية عمادها ثقافة الإسلام وعلومه وقوامها اللغة العربية وآدابها وعلومها وبخاصة فى مدينة القيروان

ثم تقلبت الأحداث والغير على تلك البلاد فى مختلف الحقب والأعصار إلى أن مُنيت بالاستعمار الأوربى من الفرنسيين والأسبانيين والإيطاليين فساموا أهلها سوء العذاب ، وأذاقوهم ألوان النكال ، وهم أمة أبية لا تنام على ضيم ، ولا تخلد إلى مسكنة أو مذلة ، فثار المسلمون والعرب غير مرة على طاغوت المستعمرين وبغى الولاة الظالمين ، لأنهم سلبوهم حريتهم المدنية والسياسية ، وضيقوا عليهم الخناق فى حريتهم الدينية ، وسلطوا عليهم كل وسائل الاستعمار التى تنخر عظام الأمم وتحولها شيئاً فشيئاً إلى مصيرها المحتوم من التأخر والانحلال ثم الثبور والفناء

هل أتاك نبأ ثورة أهل الجزائر الأخيرة ، إذ هضمت حقوقهم وسلبت حرياتهم ، وحيل بينهم وبين كل مشروع من أمانيهم القومية ، فقابلتهم فرنسا المستعمرة بالأسلحة الفاتكة والقوة الباطشة حتى أهريقت الدماء الزكية ، وأزهقت النفوس الرضية ، وشرد الأحرار ، وألقى بالمجاهدين فى غيابة السجون ؟

فهل يجوز للعرب والمسلمين فى أقطار الدنيا أن يسكتوا على هذه الحوادث الجسام ، وأن يسلموا إخوانالهم فى العروبة والإسلام لغول الاستعمار ؟ ! !

كلا ، فإن سمو نفوسهم ، ويقظة وجدانهم ، وما طبعوا عليه بحكم دينهم من الغضب للحق والتواصى به ، ومن التعاون على البر والتقوى ، ومن الشعور العميق بالوحدة والتكافل ، بحيث إذا اشتكى عضو منهم تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى — كل أولئك يوجب عليهم حكومات وشعوباً أن يهبوا لنصرة الضعفاء من إخوانهم أبناء المغرب بالدفاع عن حقوقهم ورفع نير الظلم والاستعباد عنهم

وعلى الحكومات الإسلامية عامة والحكومات العربية خاصة أن يطالبوا رسمياً الدولتين الفرنسية والإسبانية بكف يد العدوان والظلم عن تونس والجزائر ومراكش ، وعلى الجامعة العربية أن تطلب إجراء تحقيق محايد عن حوادث الجزائر الأخيرة ، كما أن عليها أن تختار مندوبين عن طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ليمثلوا أممهم فى الجامعة ، وبذلك يمكن رفع الصوت بالنيابة عنها والدفاع عن حقوقها والمطالبة بحريتها واستقلالها . كذلك ينبغى أن يكون من واجبات مكتبى الدعاية المزمع إنشاؤهما بلندن وواشنطون الدعوة إلى تلك البلاد بجانب الدعوة إلى فلسطين والدفاع عن حقوق العرب فيها ، والله فى عون الأفراد والأمم ما دامت الأمم بعضها فى عون بعض . سدد الله خطى العاملين وهداهم إلى سواء السبيل « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

حسن أحمد الخطيب
المفتش العام بوزارة المعارف

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٨ —

* ج ١١ ص ٢٠٧ :

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتمُ قتل الأُسارى وطالما غدونا على الأسرى نعف ونصفح

فحسبكمُ هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذى فيه ينضح

قلت : جاءت (أبطح[1]) بضم الطاء وهى بفتحها . والشعر لسعد بن محمد .

* ج ١٧ ص ٢١٠ : قال الحاكم أبو سعد : وأنشدنى (أبو الفتح بن الأشرس) أيضاً لنفسه :

كأنما الأغصان لما علا فروعها قطر الندى قطرا

ولاحت الشمس عليها ضحى زبرجد قد أثمر الدرا

نقد الحاكم على بيته فقال : قوله : (قد أثمر الدرا) لا يستقيم فى النحو ، لأنه لا يقال : أثمرت النخلة التمر ، وإنما يقال أثمرت ثمراً بغير الألف واللام .

وجاء فى الشرح : قطر الندى : نقط المطر ، وقطر فعل ماض أى سال وسقط ، والجملة حالية .

قلت : (لما علا فروعها قطرُ الندى ثرّا[2]) .

و (نقد الحاكم بيته) لا (على بيته) وأغلب الظن أن (على) من زيادة النساخ . يقال : نقده وانتقده ، وجاء فى الأساس : أنتقد الشعر على قائله .

و (أثمر) هو فعل لازم كما قال أبو سعد ، وقد عداه المحدثون ، وكأنهم رأوا فيه استعداداً للتعدية ... وهذا ما قاله فى شأنه الخفاجى فى (شفاء الغليل) :

أثمر يكون لازماً وهو المشهور الوارد فى الكتاب العزيز ، ولم يتعرض أكثر أهل اللغة لغيره . وورد متعدياً كما فى قول الأزهرى فى تهذيبه : يثمر ثمراً فيه حموضة . وكذا استعمله كثير من الفصحاء ، كقول ابن المعتز :

وغرس من الأحباب غيبت فى الثرى

فأسقته أجفـــانى بسح وقاطر

وأثمرها لا يبيـد وحسرة لقلبى يجنبها بأيدى الخواطر

وقول ابن نباتة السعدى :

وتثمر حاجة الآمال نجحاً إذا ما كان فيها ذا احتيال

وقول محمد بن الأشرس وهو من أئمة اللغة : (كأنما الأغصان ...) وقول ابن الروى : (سيثمر لى ما أثمر الطلع حائط[1]) إلى غير ذلك مما لا يحصى . وهكذا استعمله الشيخ[2] فى دلائله والسكاكى فى مفتاحه[3] . ولما لم يره كذلك شراحه قال الشارح : استعمل الأثمار متعدياً بنفسه فى مواطن من هذا الكتاب فلعله ضمنه معنى الإفادة أو جعله متعدياً بنفسه .

ونقل (التاج) جل هذا الكلام ، وجاءت (ثرّا) فى الكتابين (نثراً) وهو تصحيف . وجاءت (ثراً ودراً) فى بغية الوعاة (سحراً ودرراً) وهو تبديل . وورد (ابن الأشرس) فى شفاء الغليل (لابن شرف) وفى التاج (ابن أشرف) وفى بغية الوعاة (ابن أشوس) وفى إرشاد الأريب (ابن أشرس) وفى دمية القصر (ابن الأشرس) .

* ج ٦ ص ١٥٤ :

والطير فوق الغصون تحكى بحسن أصواتها الأغانى

وأرسل الورق عندليب كالزير والبم والمثانى

قلت : (وراسل الورق عندليب) والشعر للجوهرى صاحب الصحاح .

فى التاج : « راسله فى كذا ، وبينهما مراسلات . والرسالة

---

(١) قلت : الأبطح : بطن المسيل ولا ينبت كما فى المخصص ، ومن جموعه الأباطح ، والأبطح كل مكان متسع كما فى المصباح . والأسارى بضم الهمزة وفتحها

(٢) الثر من السحاب الكثير الماء ، يقال سحاب ثر ، وثرت السحابة ماءها تثرثرا كما فى التاج . وعين ثرة : غزيرة كما فى الأساس .

(١) الحائط البستان من النخيل إذا كان عليه جدار .

(٢) عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز

(٣) قلت : من كلام أحمد بن يحيي البلاذرى : غرس البلوى يثمر ثمر الشكوى .

المجلة المشتملة على مسائل . وهو رسيله فى الغناء ونحوه ، وراسله الغناء . باراه فى إرساله » .

☆ ج ٢ ص ١١٩ : وأنفذا أبا بكر بن رافع إلى إستراباذ ونواحيها لاستيفاء ما يستوفيه من العاملين والتّناء فيها . فقيل : جمع الوجوه وأرباب الأحوال ...

وجاء فى الشرح : وفى الأصل العاملين (مكان المعاملين) والثناء فيها هكذا فى الأصل ولعلها والتناهى فيها أى التشدد وبلوغ النهاية فى الاستصفاء وجمع المال .

قلت : (أستراباذ) بفتح الهمزة والتاء كما ضبط ياقوت لا بكسرهما كما جاء فى الكتاب . و (العاملين) الأصل قد تكون صحيحة . و (التناء) مثل السكان جمع التانئ وهو الدهقان[(١)] كما فى القاموس . والذى هو المقيم ببلده والملازم كما فى التاج . وفى الأساس : هو من تناء تلك الكورة إذا كان أصله منها . ويقال : أمن تنائها أنت أم من طرائها .

☆ ج ٦ ص ٢٧٧ :

رسمُ دار وقفتُ فى طَلَلِه كدتُ أقضى الغداةَ من جَلَلِه

قلت : ضبط (رسم) بالضم ، وهو بالكسر لأنه مجرور برب المحذوفة . والبيت وهو لجميل بن معمر — من شواهد الجماعة . قال ابن يعيش ... والثانى ما يحذف ولا يوصل الفعل ، فيكون الحرف المحذوف كالمثبت فى اللفظ ، فيجرون به الإسم كما يجرون به وهو مثبت ملفوظ به ، وهو نظير حذف المضاف وتبقية عمله نحو ما كل سوداء تمرةً ولا بيضاء شحمةٍ[(٢)] وكقوله :

أكلَّ امرئ تحسبين امرأً ونار توقد بالليل نارا

على إرادة كل ، ومن ذلك قول الآخر : (رسم دار ... البيت[(٣)]) أراد رب رسم دار ثم حذف لكثرة استعمالها .

و (أقضى) المشددة فى الكتاب هى (أقضى) كما روتها رواة الشعر .

☆ ج ١ ص ١٢١ : ... عن النبى أنه قال للنساء : إذا جعتنّ خجلتن ، وإذا شبعتن دقِعتن .

قلت : إنكُنَّ (إذا شبعتن خجلتن وإذا جعتن دقعتن[(١)]) والحديث مصوغ .

☆ ج ١٥ ص ٣٩ : أين أنا عن ذَوب لا شوب فيه ، وعن صوب لا جدد دونه[(٢)] .

وجاء فى الشرح : الجدد الغليظ من الأرض قلت : لا حدد دونه بالحاء . يقال : دون ما سألت عنه حدد أى منع ، ولا حدد عنه أى لا منع ولا دفع كما فى التاج . والقول فى رسالة عبقرية لأبى حيان التوحيدى .

☆ ج ١٨ ص ٢٢٠ :

قرهت عينى من طول البكا وبكى بعضى على بعضى معى

وجاء فى الشرح : فى الأصل : قرهت بمعنى اسودت أوجمدت ، وفى طبقات الأطباء : شقيت . ولو أن لى حق التصرف لجعلتها قرحت ، وهى أقرب إلى قرهت .

قلت : مرهت . فى القاموس : مرهت عينه كفرح خلت من الكحل أو فسدت أو ابيضت حماليقها والنعت أمره ومرهاء . وفى مستدرك التاج : وقوم مره العيون من البكاء وهو جمع أمره[(٣)] .

---

(١) الدهقان : التاجر ، وزعيم فلاحى العجم ، ورئيس الأقليم (القاموس)

(٢) وإن شئت نصبت شحمة كما قال سيبويه .

(٣) فى أمالى القالى : فعلت ذاك لجلك وجلالك أى لعظمتك فى صدرى وأنشد الأصمعى لجميل (رسم دار) ورويت من غير هذا الوجه تفسير من جلله من أجله . يقال : فعلت ذاك من أجلك وجللك وجلالك .

(١) قلت : فى النهاية : خجلتن : أراد الكسل والتوانى لأن الخجل يسكت ويسكن ولا يتحرك ، وقيل : الخجل أن يلتبس على الرجل أمره فلا يدرى كيف المخرج ، وقيل الخجل هنا الأشر والبطر من خجل الوادى إذا كثر نباته وعشبه . وفى اللسان : دقعتن أى خضعتن ولزقتن بالتراب ، والدقع الخضوع فى طلب الحاجة والحرص عليها مأخوذ من الدقعاء ، وهو التراب أى لصقتن بالأرض من الفقر والخضوع .

(٢) قلت : فى الأساس : هو أحلى من الذوب بالاذوابة أى من العسل الذى أذيب حتى خلص من الشمع — بالزبدة التى أذيبت وخلص منها السمن وفيه : وسقاهم صوب السماء وصيبها .

(٣) فى ديوان الخنساء :

مرهتْ عينى فعينى بعد صخر عطاه
فدموع العين منى فوق خدى وكفه
إن نفسى بعد صخر بالردى معترفه

* ج ١٠ ص ١٧٧ : وقال (الحسين بن مُطَير) :

رأت رجلاً أودى بوافر لحمه
طلاب المعالى واكتساب المكارم
خفيف الحشا ضرباً كأن ثيابه
على قاطع من جوهر الهند صارم
فقلت لها : لا تعجبِنّ فإننى
أرى سمن الفتيان إحدى المشائم

وجاء فى الشرح : (ضرباً) : من ضرب فى الأرض ذهب بنفسه وخرج تاجراً أو غازياً أو إلى غير ذلك .

قلت : الضرب الرجل الخفيف اللحم كما فى الصحاح وغيره . و (المشائم) هى (المشاتم) بالتاء .

* ج ١٦ ص ٢٥٦ : قال إسحاق بن راهَـوَيه : يحب الله الحق ؛ أبو عُبيد (القاسم بن سلام) أعلم منى ومن أحمد بن حنبل ومن محمد بن إدريس الشافعى . قال : ولم يكن عنده ذاك البيان إلا أنه إذا وُضِع وُضِع .

وجاء فى الشرح : إذا وضع وضع كناية عن أنه كان كافياً فى كل شىء .

قلت : إذا وضَع وضَّح : إذا وضع أى ألّف وصنف وضح وأبان وإن لم يكن للسانه ذاك البيان .

فى (وفيات الأعيان) لما وضع كتاب الغريب (المصنَّف) عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال : إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ألا يحوج إلى طلب المعاش ، وأجرى عليه عشرة آلاف درهم فى كل شهر . قال محمد بن وهب المسعرى : سمعت أبا عبيد يقول : مكثت فى تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة .

قلت : من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان فى (دار الكتب المصرية) عمرها الله !

* ج ٩ ص ٨٧ : ومن عبث الخاطر وهوسه أبيات تشوفت فيها الحجاز ...

وجاء فى الشرح : فى الأصل : تشرفت .

قلت : تشوقت بالقاف ، يقال تشوقه وتشوق إليه ، وتشوق مثل اشتاق ومطاوع شوّق . وتشوف إلى الشىء تطلع ، ورأيت نساء يتشوفن من السطوح أى ينظرن ويتطاولن [1] كما فى اللسان

* ج ١٥ ص ١١٦ : قال الصاحب وتوفرت على عشرة فضلاء البلد ، فأول من كارثنى أولاد المنجم لفضل أبى الحسن على بن هارون وغزارته واستكثارى من روايته ... فاتفق أن سألت أول ماسمعت اللحن [2] فيه (فى شعر له) عن قائله فغضب ... وقال : تقول لمن هـذا ، أما يدل على قائله ... أما ترى أثر بنى المنجم على صفحته ، أما

يحميه لألاؤه أو لوذعيته
من أن يدال بمن أو ممن هو الرجل

وجاء فى شرح (كارثنى) أى اشتد علىّ وعارضنى وفى شرح (يدال) يدال : يقال أى يتداول الناس فيه القول والسؤال بمن وممن .

قلت : (كارث) غير معروفة . وفى اللسان كرثه الأمر ساءه واشتد عليه ، وبلغ منه المشقة ، وأكرثه كذلك . والمقام لا يقتضى مثل هذه اللفظة كما لا يقتضى (كاثره) أى غالبه أو فاخره بكثرة مال أو عدد . وأغلب الظن أن الأصل (قابلنى) أو (قاربنى) ومن معانى قاربه : ناغاه وحادثه بكلام مقارب حسن ، والمقابلة هنا أليق من المقاربة .

و (يدال) هى (يذال) بالذال ، أى يهان . والقول هو بيت لأبى تمام من قصيدة فى المعتصم بالله ، قال :

يحميه لألاؤه أو لوذعيته
من أن يذال بمن أو ممن هو الرجل

وفى هذه القصيدة :

يستعذبون مناياهم كأنهم
لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا !!!

---

(١) وربما كان الأصل : ويتطالن . فى الأساس : ورأيت النساء يتطالن من السطوح . وفى اللسان فى (طلل) : ويقال رأيت نساء يتطالن من السطوح أى يتشوفن وإن كان التطاول والتطال بمعنى واحد .

(٢) لحن الموسيقى ، مفرد ألحان .

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

— ٤ —

اللغة والسلوك والذكاء — اللغة والحب — أساطير لغوية — تعابير منتقدة .. ..

(١)

« نحن نفكر ونتبعث بالكلمات ، وسلوكنا فى البيت والشارع والحقل والمصنع هو قبل كل شىء سلوك لغوى ، لأن كلمات اللغة تقرر لنا الأفكار والانفعالات ، وتعين لنا السلوك كما لو كانت أوامر ، بل نستطيع أن نقول إن سيادة البريطانيين على الهنود ، أو المتمدنين على المتوحشين هى إلى حد ما سيادة لغوية ، أى مجموعة خصبة وافية من كلمات المعارف والأخلاق تحدث براعة فى الفن وتوجيها فى السلوك يؤديان إلى السيادة وأحياناً إلى العدوان » ص ١٠ .

« ومما لا شك فيه أن هناك بين المتوحشين والبدائيين أذكياء من الطراز الأول ، ولكن ذكاءهم يبقى عقيما ، لأنهم حين يفكرون يجدون تفكيرهم محدوداً بالتراث اللغوى المحدود الذى ينطقون ويفكرون بكلماته ، واللغة لهذا السبب هى أعظم المؤسسات الاجتماعية فى أية أمة ، لأنها الوسيلة لتحريك الذكاء فى أبنائها ، ولتوجيه أخلاقهم بكلماتها التى تعبر عن المعرفة أو العقيدة أو الحكمة » ص ٩٢ .

هنا ينظر الأستاذ إلى اللغة بعين واحدة ، لأنه رجع إليها وحدها التفكير والسلوك ، وأغفل تأثير المجتمع فيها ، فليست اللغة وحدها هى التى تحفز وتدفع ، وليس المجتمع سبيكة تصوغها اللغة وتشكلها ، لأن اللغة تؤثر فى المجتمع وتتأثر به ، بل لعل تأثرها بالمجتمع أقوى من تأثيرها فيه : لأن المجتمع هو الذى وضعها وأنشأها ونماها ورعاها ، فلا شك أن المجتمع وجد قبل أن توجد اللغة ، ولا شك أن المجتمع هو الذى صاغ هذه اللغة فى آماد متباعدة ليعبر بها عن حاجاته ، فالحاجات أسبق من اللغة المعبرة عنها ، والقول بأن اللغة وليدة المجتمع ومرآة لحياته أصدق من الزعم بأن المجتمع وليد اللغة وصورة منها .

فقد نهض المسلمون أولا ، وبسطوا سلطانهم على الشرق والغرب ، ثم تأثرت لغتهم بحياته الجديدة فاتسعت ومرنت ووجدت فيها ثقافات لم تكن لهم من قبل .

ونهضت مصر والشرق العربى فى هذا العصر ، ثم اتسعت اللغة بما طرأ عليها من فنون ، استجابة لهذه النهضة .

ومن ذلك أننا الآن نترجم ونؤلف ونضيف إلى اللغة مصطلحات جديدة فى الطب والقانون والاجتماع والاقتصاد والكيمياء وغيرها ، أفنحن استجبنا لروح النهوض ثم استخدمنا اللغة لتحقيق هذا النهوض ، أم أنا كنا نعرف هذه المصطلحات وهى التى أوحت إلينا بهذا النهوض ؟ لا شك أن اللغة هى التى خضعت لحاجتنا وتأثرت بنهضتنا .

ولو صدقنا الزعم بأن اللغة هى الخلاَّقة والفعَّالة لكانت النتيجة الطبيعية أن سكان الهند وجنوب إفريقية الذين يتكلمون بالانجليزية ، وسكان تونس والجزائر الذين يرطنون بالفرنسية — فى صف واحد مع الانجليز والفرنسيين ، لأن اللغة هى اللغة .

ثم ما للشرق تخلف عن ركب الحياة بعد أن كان الرائد والقائد ، ولغته هى لغته إن لم تكن قد زادت ثروة من الكلمات والتعابير وسعة فى الخيال ؟

وما لنا نرى كثيرين جداً من المثقفين الدارسين لأكثر من لغة يتنكبون الفضيلة وهم على علم بما يقترفون ؟ ويعدون صوالح أمتهم وأنفسهم وهم على بينة أنهم عادون ؟ إن كانت اللغة هى الحافز والملهم فلماذا لم تحفزهم إلى الخير وتلهمهم نوازعه .

إن اللغة لا تحفز إن لم يكن خلفها رصيد من قوة الخلق ، وسمو الروح ، والطموح إلى مثل أعلى . أما اللغة وحدها فزجاجات

مغلقة على معان لا ينتفع بها إلا من يتذوق مراميها ، ويفقه معانيها ولو كان الشأن للغة وحدها لسما كل من حفظ كلمات : المجد ، والشهامة ، والمروءة ، والنجدة ، والعزة الخ .

(٢)

« يجب أن نذكر أن كثيراً من توجسنا من الحب واختلاط الجنسين يرجع إلى أننا نستعمل كلمات الحشاشين سوء أكانت فصحى أم عامية في وصف هذه العلاقات الجنسية بدلا من كلمات العلماء أو المثقفين ، ولذلك كلما فكر بعضنا في الحب أو اختلاط الجنسين على الشواطئ أو العرى خطرت بذهنه كلمات توحى البذاء أو العهر فيصد ويصرخ في الدعوة إلى انفصال الجنسين » ص ٨٤ .

ما شاء الله !

هل الغُيُر على الخلق الكريم أن يتدهور ، وعلى عفاف المرأة أن يخدش ، وعلى سمعة الأسرة أن تلوث ، وعلى العرض أن يهتك ، إنما يصرخون بدعوتهم لأنهم يستعملون كلمات الحشاشين التي توحى إليهم بالبذاء والعهر والفجور ؟

وهل الذين يتوجسون من الحب أن يغلب الهوى العقل ، وأن يجر ويلات على الفتيان والفتيات ، إنما يتوجسون لأن قاموسهم اللغوى منحط ؟

ومن الظريف أن هذا الأستاذ الداعية إلى اختلاط الجنسين على الشاطئ في عرى وتهتك قد ضرب المثل على صحة دعواه بأن المثقف يرى المرأة العارية فيتذكر الرشاقة ، والجاذبية ، والصحة الخ والرجل المتأخر أو (الحشاش) يراها فيتذكر اللذة ، والأرداف ، والقبلة الخ .

فأية صيحة منكرة هذه الصيحة ؟

وماذا بقى من الدعوة الجريئة المكشوفة إلى العرى والاختلاط والإباحية ؟

هى دعوة خاطئة خاطلة بنيت على أساس خاطئ واهٍ نقدناه في تأثير اللغة . وأنا أسأل الأستاذ :

أكل من يقعون في المحرم ويسطون على الأعراض من غير المثقفين ؟

أو كل مثقف يخالط على الشاطئ امرأة عريانة لا يفكر في المتعة الجسدية ؟

أنستطيع أن ندعى أن الثقافة تميت الغريزة ؟

أيتذكر مثقف الخفة والرشاقة والجاذبية ثم ينقطع به خياله عند هذا الحد ؟ وماذا بعد الإعجاب والخفة والرشاقة والجاذبية ؟

أيرى مثقف امرأة ذات خفة ورشاقة وجاذبية ويعجب بها ثم يسجد لله إقراراً بقدرته وتفرده في صنعته ؟

وهل هذه المرأة دمية أو تمثال حتى يقنع منها بالنظر ؟

وإذا كان المثقف كثيراً ما تعجبه الوردة الناضرة فلا يقنع منها بالنظر ، بل يقطفها ويشمها ، وكثيراً ما تروقه القطة الأليفة الجميلة فلا يكفيه منها الرؤية ، بل يلمسها ويداعبها ، فلم يزعم زاعم أن المرأة الحسناء العارية أو غير العارية تروعه ثم يخالطها ، ولكنه يتبتل ويترهب !

إن الداعين إلى هذا البلاء ليسوا إلا مغالطين مخادعين يفترون على عواطفهم ؛ ويكذبون في تحليل نفوسهم ، أو تجاراً يبغون هدم ما بقى لهذه الأمة من حصن الأخلاق

— ٣ —

« ومن الأحافير اللغوية كلمات (الدم) و(الثأر) و(العِرض) في بعض مديريات الصعيد ، فإن هذه الكلمات تؤدى إلى قتل نحو ثلاثمائة امرأة ورجل كل عام » ص ٥٢

أكاد أشفق على هذا الكاتب الذى يخبط ويخلط فيما يكتب ، ويتردى ثم لا ينهض إلا ليكبو ، فإذا كانت دعوته إلى الاختلاط والعرى مستورة بستار شفيف فإن دعوته هذه مكشوفة مفضوحة تطل بقرنيها من خلال كلماته

إنه يريدنا على أن نمحو من لغتنا كلمة (العرض) فلا نغار ، وكلمة (الثأر) فنذل ولا ننتقم ، وكلمة (الدم) فنهدر حياتنا وحياة أعزائنا فلا نثأر !!

إن الديك الذى لا يعرف كلمة (العرض) يغار على دجاجاته ، ويصد عنهن الجنيب الغريب ، والديك الذى لا يعرف كلمة (الدم

أو الثأر) يصون عزته فيناضل من يعتدى عليه ، وإن كان أشد منه مراساً وأقوى شكيمة .

أفننتكس نحن فنكون أقل من الديك غيرة وحمية ؟

ولن يزعم إنسان أن لغة الشمال وبقية مديريات الجنوب خالية من كلمات الثأر والدم والعرض ، فلما ذا لا تكثر هناك جنايات القتل ؟ أنتهمهم فى رجولتهم وكرامتهم وشرفهم ؟ لا ، فليس مرد حوادث القتل إلى اللغة ، ولكن إلى ظروف أخولعل منها : الجو ، والفقر ، والضغائن الموروثة ، والضرب إلى الأصل العربى بعرق ، والاعتزاز بالشرف الذى تخدره موجات المدنية الداعرة . فلاجريرة للغة فى هذا ولا دخل

وإذا سلمنا جدلا أن الثأر للكرامة ، وأن صون العرض من جرائر اللغة فما أحبها جريرة . والخير إذن أن تبقى هذه الكلمات حية تعمل فى النفوس عملها ، لا أن تسمى (حفائر)

أيها الغُيُر على الأعراض فى مصر ! خففوا من غلوائكم ، بل أميتوا غيرتكم ، والغُوا رجولتكم ، فإنكم همج فى رأى الأستاذ سلامة موسى ! !

أيها الطامحون إلى الاستقلال التام ، الثائرون للكرامة والحرية المغصوبة ! رويدكم فإنكم متأخرون فى زعم كاتب من كتاب مصر ! !

أيها الآباء ! أيها المربون للجيل الجديد ! أيها الواضعون للقاموس اللغوى الجديد ! احذفوا من لغتكم كلمات العرض والثأر والدم وأضرابها لتنشئوا نعاجاً لا تثأر ولا تثور ولا تغار !

— ٤ —

« وما زلنا نلتزم عبارات مقتبسة يعافها الذهن الذكى ، ومرجع هذه العبارات تلك البلاغة العاطفية الانفعالية التى تعلمناها وغرست فى نفوسنا قيمة مزيفة للاستعارة والمجاز ، فما زالت صحفنا مثلا تقول :

عرض على بساط البحث ، بدلا من عرض للبحث

وخاض غمار القتال ، بدلا من قاتل

وحمى وطيس الحرب ، بدلا من حمى القتال

ودارت رحى المعركة ، بدلا من دارت المعركة

ووضعت الحرب أوزارها ، بدلا من انتهت المعركة الخ

ونحن نستغنى عن الاستعارة حين يمكن الاستغناء عنها أو حين تعكس مجتمعاً يخالف مجتمعنا » ص ٧٣

ولكن الاستعارة — ما دامت فى موضعها ، وصدى لشعور الأديب وانفعاله وخياله — جوهرية فى النص لا يمكن الاستغناء عنها ، وإلا فقد التعبير عن النفس قيمته وقوته وجماله

ولا عيب فى أن تشير بعض الاستعارات إلى حياة سابقة ، لأن الكلمات التى نكتب بها ونشعر ، لها تاريخ وأعمار وأطوار وأحوال مرت بها تخالف فى كثير أو فى قليل المعانى الجديدة التى نطلقها عليها الآن ، وما زالت اللغات الحديثة حافلة باستعارات تعكس صوراً قديمة ليست قائمة ، بل إن بعضها يشير إلى أساطير عتيقة .

وأنا أبين خطأ الأستاذ فى عيبه هذه التعابير التى تتداولها الأقلام :

١ — « عرض على بساط البحث » : يتوهم أن هنا زيادة يمكن الاستغناء عنها ، ولكن المعنى إذا حذفت كلمة بساط ليس كالمعنى بها ، فكلمة بساط أفادت أن البحث واسع ، حر ، واضح ، متكشف للباحثين جميعاً كأنه شىء على بساط أمام الناظرين ، والتركيب إذن تشبيه بليغ من إضافة المشبه به إلى المشبه

٢ — « خاض غمار القتال » : والغمار من معانيها الشدة ، والمزدحم ، وشدة الظلام ، والخوض فى الأصل للماء ، فالصورة الخيالية هنا أن الميدان غاص بالمحاربين ، وعددهم كالبحر الزاخر ، وهذا المحارب شجاع ، لأنه خاض هذا الميدان المهيب الرهيب ، وهذا معنى لا تؤديه كلمة (قاتل) ، لأن المقاتلة تكون بين اثنين وأكثر ، وتكون بحماسة وشجاعة كما تكون بجبن وفزع

٣ — « حمى وطيس الحرب » : وهى جملة ابتكرها النبى

عليه الصلاة والسلام يوم حنين لما تجالد القوم

والوطيس فى اللغة التنور ، وحفيرة تحفر فتوقد فيها النار للاشتواء ، والمراد حمست الحرب ، وعظم الخطب ، فهنا استعارة رائعة مبنية على تشبيه الحرب بالنار ، لحرارة الضرب بالسيوف أو المدافع أو القنابل ، وللحرارة التى يوقدها فى جسوم المحاربين ما عليهم من سلاح ، وما يقومون به من حركة ، ثم لأن الحرب تأكل الرجال ، وتفنى الأبطال كما تأكل النار الحطب

ولذلك قالت العرب : « أوقدت نار الحرب » ؛ وقال تعالى : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » .

وقال زهير :

متى تبعثوها تبعثـوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم

وهذه معان لا تفى بها كلة دارت المعركة

٤ — « وضعت الحرب أوزارها » : والأوزار عدد الحرب وآلاتها ، قال الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالا وخيلا ذكورا

فهذه كناية عن انتهاء الحرب ، لكنها أبلغ من الحقيقة ، لأنها أفادت الحقيقة ، وأفادت معها دليلا محسوساً على صدقها ، ثم أفادت أن الحرب كانت طاحنة ، ثم فى إسناد الوضع إلى الحرب مجاز عقلى أو استعارة أو حذف ، وكل منها جميل ، فليراجع الأستاذ ذلك كله فى كتب البلاغة إن أراد التفصيل

ولماذا لم يستغن الأستاذ عن المجاز ما دامت الحقيقة قديرة على أداء المعنى ؟

قال فى ص١٣ : « وهذا موضوع (تخصب) فيه الالتباسات» وفى ص ٢٤ : « بل كانت تبقى هذه المعانى (أجنة) تؤلمه (بالمخاض) ، ولا تجد المخرج من ذهنه أو تخرج (جهيضة) » .

وفى ص ٨٩ : « لم تجد كلمات ولسن الجوالائم لها (فذبلت) وماتت أمام (الأعشاب) التى زرعها كلنسو ولويد جورج » الخ

وأخيراً ، أسأل الأستاذ جاداً أن يكتب مقالا أدبياً واحداً باللغة الجديدة التى دعا إليها ، بحيث يكون خليطاً من الفصحى والعامية والإفرنجية ، وملغى فيه الإعراب ، وبالحروف اللاتينية ، وأساس البلاغة فى المقال المنطق وحده ، ومجرداً من كل استعارة أو تشبيه ، أو مجازاً يمكن الاستغناء عنه ، ثم لا أطالبه ولا أطالب القراء بتقدير قيمته الفنية ، بل أطالبه وحده بفهمه ، وإن كان قد حبره بقلمه

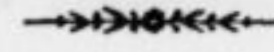
لأكاد أوقن أن دعواته لهدم اللغة ، وتقويض الأخلاق ، وازدراء الماضى المجيد ، إن هى إلا دعوات استعمارية لتبديد شمل الأمة العربية ، أو دعوات تبشيرية لقطع ما بين المسلمين ودينهم من صلة لغوية وخلقية ، ولكن لن يكون لدعواتهم صدى مادامت أقلام فى أيدى أحرار .

أحمد محمد الحوفي

المدرس بالسعيدية الثانوية

الشعر المرسل والشعر الحر

للأستاذ حسين الغنام



قرأت قصيدة الأستاذ الفاضل على أحمد باكثير المنشورة فى عدد مضى من الرسالة ، والتى أسماها شعرا مرسلا حراً ...

وقد جمع الأستاذ الفاضل بهذه التسمية بين الشعر المرسل ، والشعر الحر ، وهما ضربان مختلفان فى الشعر الأوربى ، ويسمى الأول فى الانجليزية Blank Verse ، والثانى Free Verse . ولكن الترجمة الصحيحة لهما هى : نظم مرسل ، ونظم حر ... ومعنى هـذا أنه يجب أن تتوفر الموسيقية فى هذين الضربين من الشعر أو النظم !

ولا يعنى الأستاذ باكثير جمعه بين الضربين فى قصيدة واحدة — كما سماها مجازاً — أن يهمل الموسيقية أو العروض ، وإن لم يتقيد أو يلتزم بحرا واحدا ...

فلقد أدهشنى خلو ما سماها قصيدة من أى موسيقية ، وحاولت قراءتها وتنغيمها على كل الوجوه فلم أفلح .

فهذه إذن ليست قصيدة بالمعنى المفهوم لخلوها من الموسيقية ، وهى ليست شعرا مرسلا ، وليست شعرا حرا . والخطأ الثانى هو جمعه بين الضربين فى قطعة واحدة .

أما أصدق وصف لكلمة الأستاذ باكثير فهو أن يسميها نثرا مشعَّرا ، أو شعراً منثوراً ، كما يقولون . أما أنها نظم Verse فهذا خطأ .

وإذا أراد نموذجا من الشعر فإنى أرجو من أستاذنا الزيات أن يتفضل بنشر هـذا النموذج لى ، عن الشاعر الأمريكى الفحل لونجفلو ، وهى السطور الأولى من ملحمته المسماة (أغنية هياواثا) ، وقد نظمها صاحبها شعراً حراً ، ولكنى ترجمتها شعراً مرسلا منذ بضع سنوات .

وإنك لواجد فى هذا النظم موسيقية ، لأنها من أول الشروط فيه . وقد أخطأ الشعراء فى عدم فهم هـذا الضرب ، فكان ما ينظمون منه — حتى مع التزامهم الموسيقا — متنافراً فى البحور غير منسجمة مع بعضها . ومن أولى خصائص هذا الضرب موسيقيته أولا ، ثم ائتلاف هذه الموسيقا فى بحور متقاربة ليجعل منها تجانساً وتناسقاً فنياً Harmony .

وإليك الأبيات الأولى من ملحمة لونجفلو ، كما ترجمتها شعراً مرسلا من أوزان متقاربة لا تحس فيها بتنافر أو اصطدام ، وهذه أولى خصائص ذلك النظم :

(نوازاها) المغنى العظيم

— ١ —

لعلك سائلى من أين هاتيك الأقاصيص ؟
ومن أى المصادر جئت بالأخبار ترويها
وإن لها لرائحة من الغابات منبعثه
وإن بها ندى الأعشاب فى المرجات منبثه
ندى رطب إن التما
بضوء الشمس أو سطعا
وإن لها دخاناً جاء م الأكواخ مرتفعا
وإن لها خرير الماء فى الأنهار مندفعا

— ٢ —

فإما قلت لى من أين هاتيك الأقاصيص ؟
فهاك جواب أنبائى من اللدوس أحكيها :
من الغابات والروضات جئت بكل أخبارى
وليس السامع المروى مثل الناظر السارى
فمن غابٍ ومن سهل
ومن نهر ومن تلِّ
ومن أرض يعيش بها قبائل أهل (أوجيبِ)
و (دا كوتاة) فى أرض حلت للشاة والذيب
ومن جبل ومستنقع
وأرض ثم لم تزرع

ومنبسط من الأرض

هنالك كل ما فيه — على بداوته — يُرضى

هنالك (مالكُ المحزونُ) يحيا عيشة الزهد

(شَشَهِشْتَجاهُ) كما يدعوه بعض قبائل الهند

يعيش هناك بقتات الثّمار الفجّ والقصبا

فلا عنباً وفاكهة ولا نبتاً ولا حبا

ومن شفَتَىْ (نواداها)

أغان ... كان غناها

وأعظم بالذى غنى

مغنيهم إذا افتنّا

سأرويها كما غنى

فما زال الصدى المسحور حسناً يطَّبى سمى

ويعذُب وقعُه فيه — وما أحلاه من وقع !

— ٣ —

وإما عدتَ تسألنى سؤالا عن « نواداها »

ومن أى الموارد جاء بالألحان فتانه

فألقاها وغناها

فرد الطير ولهانه

أغان من بداوات ولكن لحنُها يُصبى

فمن أطيار غابات تلوذ بصوتها العذب

على أعشاشها العلياء فى أطراف أشجار

وحسبك لحن أطيار

ومن أكواخ « كلب الماء » تحت الماء مختفياً

ومن آثار ثيران أوابد — كان مقتفيا

وعش النسر فوق شواهق الجلمود ممتنعاً

وغير النسر لم يمسسه مهما طال وارتفعا

— ٤ —

وفى واد جميل ساكن رقت حواشيه

وفوق الجدول الساجى أقام على حوافيه

« نواداها » بقرب القرية الهندية الصغرى

« نواداها » الذى غنى

وعنها لقن الفنا

وفوق المرج مخضرًّا

وبين مزارع الحنطه

فتحسب ذلك البُرَّا

تلألأ — عسجداً حرًّا

وفوق الأرض منبسطه

وعن قرب من الغيطان قامت غابة كبرى

وأحراج الصنوبر وهى كالأطيار غريده

تراها ثَمّ ممدوده

وعند الصيف تبصرها إذا ما وُردت خضراء

وفى وقت الشتاء تحول من خضراء — بيضاء

وفى الحالين تبصرها

إذا ما رحت تخبرها

تنهد قلبها آناً وآناً بالهوى غنى

وما أحلاه إن غنى ، وأوجعه إذا أنَّا

وهذا الجدول الرقراق فى الوادى قد انسابا

وفى جنباته سالا

وراح يتيه سلسالا

وعاد جداولا كُثرا

تشق السهل والأعشاب والأحراج والغابا

تراها فى الربيع تخر بالأمواج صفَّاقه

وتبصرها إذا ما كنت يوماً تقتفى الأثرا

فتافيها أوان الصيف إذ تنساب رقراقه

بأشجار من الحور الجميل مهفهفاً قاما

وإبان الخريف ترى الضباب هناك قد غاما

وإبان الشتاء يند خيط أسود داكن

يفرّع منه — قاتمةً — خيوطاً غُبراً دكنا

بجانب كل ذلك عاش « ناواداه » — من غنى

بوادٍ أخضر ساكن

— ٥ —

وغنى عن « هياواثا »

وغنى من « هياواثا »

أغانى عن ولادته العجيبة ثم تكوينه

وكيف صلاته قامت وكيف صيامه كانا ؟

وكيف حياته كانت من الآلام ألوانا

وكم كدح الشقى لكى يكون لأهله قدوه

ورائدهم إلى النجح

فإن النجح فى الكدح

— ٦ —

ألا يا من تحبون الطبيعة وهى مزدانه

وشمس المرج ساطعةً وظل الغاب ممدودا

وصوت الريح فى الأغصان تخطر وهى نشوانه

وهمس الريح مردودا

إذا حفت على الشجر

ألا يا من تهيمون بشؤبوب من المطر

يسح كدافق النهر

وعاصفة من الثلج

على الآكام والمرج

ودفع الماء فى الأنهار ينفذ من حواجزها

وصوت الرعد فى قنن الجبال وفى مفاوزها

إذا أصداؤهن عوت

تخال نسورها دوّت

ألوفاً ما لها عدُّ

وحسبك أنه رعد

تعالوا واسمعوا منى أحدثكم أحاديثا

وأغنية أغنيها كما غنى « هياويثا ! »

حسين الغنام

سيباى الكافلى

آخر نائب للمملكة المصرية بالشام

الأستاذ أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسورية ولبنان

كان ذلك فى جولة من تلك الجولات فى دمشق حين كان يحلو لى السير لمسافات بعيدة للتعرف على أحياء المدينة التى قلت عنها إنها « عاصمة وثغر ورباط »(1) . وذلك لما نقل عن أبى الدرداء من قوله : « إن أهل الشام مرابطون وأنهم جند الله »(2)

وكان ذلك فى ربيع سنة ١٩٤٣ ويد الله تحرك العالم وشعوبه وسط حرب عالية شعواء ، والشرق العربى يتأرجح بين الصليب المعكوف ورمز النصر الديمقراطى ، وكان معى صاحبى وقد انتهى بنا المطاف إلى بناء عليه مسحة القرون المصرية التى نعرفها قلت : « هذا البناء لنا » وصاحبى يعرف مقدار شغفى بكل ما يذكر بعصر العربية الخالدة من عهد الأيوبية والبحرية والبرجية ، ففتح فاه وقال : « نعم ! ألا تدرى أنك أمام جامع سيباى » قلت : « ومن هو سيباى هذا ؟ » قال : « هو نائب الشام تولى إمرة السلاح بمصر » ثم عين نائباً للسلطنة المصرية بدمشق فى عهد سلطاننا الغورى طيب الله ثراه — قلت : « إذن هو آخر من حكم هذا البلد الأمين من أمراء مصر؟» قال : « نعم ». سألته : « كم يفصلنا عنه من القرون ؟ » قال : « أربعمائة وأربعون عاماً » قلت : « لقد انتهت الفترة إذن وستبعث مصر بعثاً جديداً وستعود أيامها الخوالى وستلعب دورها التاريخى مرة أخرى » — ونظرت إليه محدقاً وقلت : « أو لم تؤمن بما أقول ؟ » . فابتسم صاحبى ابتسامة عريضة لها معناها . وتوجه إلى المسجد وقال لى : « أتدرى ماذا يقولون عن جامع سيباى ؟ يطلقون عليه اسم جمع الجوامع » قلت : « أى نعم أذكر جيداً جمع الجوامع فى أصول الفقه للسبكى المتوفى سنة ٧٧١هـ وأذكر الرواق العباسى بالأزهر وما ألقاه علينا أستاذنا الأكبر الشيخ الدجوى يوماً ما » قال : « لا ؟ وإنما أردت أن أقول إن بعض الظرفاء ، وإن كان الكرد على فى الجزء السادس من خطط الشام صفحة ٩٣ يسميهم العلماء ، يقولون إن صاحب هذا الجامع لم يدع بدمشق مسجداً مهجوراً ولا مدفناً معموراً إلا أخذ منه من الأحجار والرخام والأعمدة ما أحبه ؛ ولذلك سمى مسجده جمع الجوامع » واستمر صاحبى فى بحثه وشرحه ويقول : « استغفر الله ! ناقل الكفر ليس بكافر . كانت هناك مدرسة اسمها الخاتونية بالصالحية درست ، وأول من استفاد من أنقاضها سيباى هذا ، وكانت هناك تربة باسم الأمير بلبان المحمودى أتابك العساكر المصرية بالديار الشامية أخذ سيباى حجارة واجهتها لبناء جامعه هذا ولم يترك لصاحبها غير الضريح » واستمر يشرح لى هذه النقطة الغامضة بإسهاب جعلنى ألتفت إليه : « والله لو استعمل سيباى حجارة شارع جمال باشا بأكمله وأخذ رخام قلاع الكرك وحصن الأكراد ومصياف لما حال ذلك دون زيارتى لهذا الأثر المصرى ، فوفر عليك ما تقول وسر بنا نطوف به » . ودخلنا المسجد وأنا أطيل النظر فى الزخارف ومقرنصات الباب العليا وأترفق فى لمس الجدران والحجارة وأتأملها بين أبيض وأسود وكأنها تحدثنى وتحن إلى ، وكنت قد صعدت الدرجات واتجهت إلى الصحن فوجدت على يمينى جناحاً اتخذته جمعية الشبان المسلمين بالشام مقراً لها ، نخف أعضاؤها لاستقبالنا والترحاب بنا ، وكنت مبلبل الفكر سارحاً ، فأخذت بذراع صاحبى على جنب وهمست فى أذنه : « أبلغت القحة أن تطأ الأقدام ضريح أمير من أمراء مصر ويتخذ مدفنه مكتباً فلا ترعى لجسده أية حرمة !» فضحك صاحبى وقال : « لا بأس ! » قلت : « وما معنى هذا ؟ ». قال : « خفف عليك ! إن سيباى قتل فى معركة مرج دابق مع الغورى ولم يضم عظامه لحد ولا ضريح ؛ والذى تراه أمامك ما هو إلا تربة فارغة » .

انتصر صاحبى وعرف كيف يسكتنى وكيف يقود الزيارة للصحن الداخلى ويلفت نظرى إلى مزولة من رخام كتب عليها أنها من عمل الفقير محمد زريق الموقت سنة ٦٦٢ ، ثم أخذنى إلى المصلى واستمر يحدثنى عما يعرفه عن المحراب والمنبر الجميل وما فيه من الزخارف والنقوش الهندسية .

---

(1) راجع الرسالة عدد ٤٧٠ بتاريخ ٢٣ نوفبر سنة ١٩٤٢

(2) ابن عساكر صفحة ٥٨

مشروع السنوات الخمس

للدكتور محمد مأمون عبد السلام
وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة المصرية

تراعي الحكومات الديمقراطية في وضع مشروع السنوات الخمس أن تكون أغراضه محددة لسياسة التعمير وموجهة لزيادة الثروة الأهلية ورفع مستوى الشعب عامة من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا أن تكون نتيجته استفادة فئة قليلة على حساب أغلبية الشعب؛ لذلك توضع برامجه على ما لدى الدولة من الموارد الطبيعية والأيدي العاملة وعلى احتياجات الشعب ليعم نفعه كافة أفراده من غير تمييز.

فيجب أن يتمشى المشروع مع ازدياد عدد السكان والتقدم في الآلات الحديثة ووسائل الإنتاج، وأن يستعان في وضع برامجه بما ينبغي أن يكون لدى الدولة من أرقام إحصائية حقيقية دقيقة عن موارد ثروتها على اختلاف أشكالها وعن تعداد سكانها ومبلغ زيادتهم السنوية وعن حالتهم واحتياجاتهم أي معاملاتهم الداخلية والخارجية وعن الإنتاج المحلي ليعمل المشروع على زيادته لكفاية الشعب واستغنائه عن الاستيراد الخارجي واستقلال البلاد بنفسها لنفسها

والواجب أن تبنى أسس المشروع على تقدير مستوى المعيشة الواقعي لجمهور الشعب تقديراً صحيحاً لا اجتهاديا وعلى مدى ثقافة الشعب وحالته الصحية، وعلى كافة العيوب التي تؤثر في حياته كعيوب المدن والقرى والعزب والمساكن والطرق، وعيوب الإنتاج وبالاختصار على جميع أوجه النشاط الزراعي والصناعي والاجتماعي

فالواجب أن توضع برامج مشروع السنوات الخمس لمصر نتيجة لدراسات عميقة تشمل شتى نواحي الحياة فيها، وأن تتعاون في وضعه كافة الهيئات الحكومية والأهلية، وأن تنفذ برامجه طبقاً لدراسات صحيحة مبنية على أرقام حقيقية لكافة العيوب والأمراض التي لا بد من استئصالها لتبني الأمة المصرية حياتها الجديدة على أساس موضوع لغرض قومي معين غير متأثر بأي مؤثر داخلي أو خارجي. فيجب أن تتمشى برامج الري والصرف مع إصلاح الأراضي وزراعة البوار وتوزيع الفائض من السكان فيها توزيعاً عادلا لاستعمارها. وينبغي أن يوضع برنامج الاصلاح الزراعي للبلاد على أساس تعديل الملكية لينتفع الشعب بالأرض انتفاعاً شعبياً يؤدي إلى رفع مستوى الإنتاج بمساعدة الوسائل الحديثة الميكانيكية والكيميائية والبيولوجية فيوزع الإنتاج توزيعاً يتفق مع مجهود الأيدي التي أنتجته.

والواجب أن يضم المشروع برنامجاً خاصاً للبحوث الزراعية بحيث يكون موحداً بين الأقسام الفنية المختلفة لوزارة الزراعة والهيئات الزراعية الأخرى كالجمعية الزراعية والكليات الزراعية ومعاهدها على أن يكون الغرض الأسمى من هذه البحوث كفاية الشعب من الطعام الصحي الرخيص ومن المواد اللازمة لراحته في الملبس والمسكن وذلك بإنتاج الحاصلات الوفيرة الريع التي تقاوم الآفات والأمراض، وأن يعطى الشعب كفايته من الخضر والفواكه واللحوم والبيض والألبان ومشتقاتها بأثمان رخيصة تتمشى مع نفقات الإنتاج لا مع جشع المنتجين والوسطاء أي التجار. وأن يكون من أغراض المشروع تخزين المحصولات بالطرق الحديثة التجميعية التي تضمن سرعة علاجها وسهولة توزيعها على مناطق الاستهلاك بأقل النفقات. وأن تنشأ مصانع للآلات الزراعية التي تحتاجها البلاد في تطورها الزراعي المرتقب. وأن ينتفع بجميع موارد الطاقة الموجودة عاطلة في البلاد لمصلحة الأمة عامة وذلك بتوليدها من مجاري المياه ومن الرياح وأشعة الشمس ومن آبار البترول وأن تستخدم في الزراعة وفي تنفيذ المشروع الصناعي بصفة شعبية

كنت أسمع إليه وأنا في عالم آخر. ولما وجدني مشتت الفكر سار بي إلى إحدى الغرف المخصصة لتلقين صبية الحي بعض آيات القرآن الكريم. ورحب بنا الشيخ وأخذ يدعو أولاده لتلاوة ما حفظه كل منهم من جزء عم فسري ذلك قليلاً عني.

أما نفسي فكانت حزينة لا تفكر في شيء غير يوم مرج دابق والسلطان الغوري وسيباي وغيره من أمراء مصر الذين قتلوا وكتبت لهم الشهادة في ذلك اليوم العصيب. ونزلتُ درجات السلم وأنا أتمم بنشيد من شعر نيتشه لا أذكر منه سوى بعض المقاطع. وهو:

« إني أحبكم من عميق القلب أيها الرفاق في المعارك فما أنا الآن إلا مقاتل مثلكم كما كنت بالأمس ».

(للكلام بقية) أحمد رمزي

وأن ينتفع بفوائض الحاصلات فى التغذية وفى الصناعات كصناعة الورق والخشب الصناعى واستخراج الكحول والنشا وغاز الوقود والإضاءة فيمكن مثلا أن ينتفع ببقايا الذرة فى مناطق زراعتها فى توليد غاز الاستصباح والوقود واستخدامه فى المدن والقرى والعزب .

والواجب أن يوضع برنامج الصناعات لأغراض وطنية ولمنفعة الشعب عامة على أساس مدروس فترفع مستوى معيشته وتغنيه عن المصنوعات الأجنبية فتؤسس الصناعات التى تتوفر خاماتها فى البلاد كصناعات الزجاج والنسيج والورق وبعض الصناعات الكيميائية والطبية والصناعات المعدنية لوفرة خامات المعادن فى صحاريها وصناعة الآلات الزراعية والأسمدة الصناعية والصناعات الزراعية المختلفة وغيرها .

ويجب أن يشمل مشروع الإصلاح الاجتماعى وقاية البلاد من شرور المدنية الغربية التى أخذت تهدد كيان الأسرة المصرية بشكل واضح فيوجه الشعب ذكوراً وأناثاً التوجيه السليم الصحيح الذى يتفق مع آدابه الموروثة التى حددتها له عاداته وعقائده . وأن يوحد الزى لما له من التأثير البسيكولوجى فى داخل البلاد وخارجها . وينبغى أن تؤمن الأيدى العاملة على حياتها فى الصحة والمرض، وعلى مستقبلها ومستقبل أولادها ، وأن يوضع البناء الاقتصادى للبلاد على قواعد تمنع البطالة وتضمن تشغيل كل يد عاملة فيما تجيده من العمل المنتج . وأن يجعل مساعدة المحتاجين على أساس ما لهم عند الدولة من حقوق لا على قاعدة الإحسان . فالواجب أن تلغى الأوقاف بحيث لا يكون لها أى أثر فى البلاد وتنظم المساعدات على الأسس الشعبية الحديثة .

والواجب أن ينظم التعليم على أساس مطالب العمل والاستعداد الفطرى للأفراد فيوجه الطلبة للمهن المختلفة بحسب ميلهم الغريزى وأن تعطى كل مهنة وحرفة كفايتها من المتخرجين بحسب احتياجاتها وبذلك تعطى البلاد كفايتها من الأطباء والمهندسين الميكانيكيين والكهربائيين والمعماريين والمتخصصين فى الصناعات المختلفة وفروع المهن الزراعية والصناعية فلا تشكو البلاد قلة المتخصصين فى مهنة على حساب كثرتهم فى مهنة أخرى لا أثر لها فى التقدم الحقيقى للبلاد . والواجب أن تغير برامج التدريس تغييراً انقلابيا يتفق مع الاتجاهات الحديثة فى توجيه أفراد الأمة للانتاج المفيد .

والواجب أن يكون من أسس المشروع حل مشكلة الأجانب المتوطنين فى مصر وهم الذين انقطعوا عن بلادهم وذلك بتمصيرهم وإدماجهم فى الحياة المصرية والانتفاع بهم كمصريين فى تنفيذ المشروع . كما يجب الاستعانة بالخبراء الأجانب من الخارج المشهود لهم بالكفاية والأمانة والاستقامة .

ويجب لتنفيذ المشروع أن يستعان بالقروض الوطنية وبالاقتصاد فى مصروفات الدولة حكومة وشعباً وبتحريم استيراد الكماليات وتنظيم توزيع العمل ؛ وأن يلجأ إذا اقتضى الأمر إلى التجنيد المدنى لتنفيذ المشروع وأن يشجع الشعب على ذلك بالمسابقات المالية والمكافآت للمجتهدين والمبتدعين .

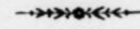
والواجب أن يكون لكل وزارة وهيئة ومنشأة بل ولكل مديرية ومدينة مشروعها الخاص ضمن المشروع العام للدولة وأن يخصص لكل منها لجنة دائمة لوضع برامجه ومراقبة تنفيذها وأن يشرف على هذه اللجان هيئة عليا « كوزارة للمشروعات » . وأن تخضع ميزانية الدولة وميزانيات الهيئات المختلفة لهذا المشروع باعتباره وسيلة لبلوغ البلاد أسمى أغراضها وهو رفاهية الشعب وسعادته وأمنه . « فوزارة المشروعات » تعتبر المسئولة عن وضع مشروعات كافة الهيئات والمدن وغيرها وعن انسجام برامج هذه المشروعات وعن إدارة تنفيذها . وهى المسئولة عن موازنة كل ناحية من نواحى الإنتاج والتوزيع والتمويل موازنة تتفق مع برامج المشروعات ، فلا تخطو أى خطوة كبيرة فى مشروعات الزراعة أو الصناعة أو النقل أو التمويل أو تجديد بناء المدن والقرى والعزب أو غير ذلك إلا بعد موافقة اللجنة العليا للمشروعات التى يجب أن يعاونها مئات من المتخصصين فى مختلف أبواب المشروع . ويجب أن يقسم مشروع السنوات الخمس إلى مشروعات سنوية ينجز كل منها فى مدى سنة واحدة ليتم المشروع كله فى المدة المقررة له .

وليعلم القائمون بالأمر بل وكل فرد من أفراد الأمة أن مشروع السنوات الخمس بالشكل الذى وصفته هو المحك الحقيقى لحيوية الأمة وهو الذى يظهر مدى استعداد أفرادها للأخذ بأسباب التقدم ومجاراة العصر .

الدكتور محمد مأمون عبد السلام

الحياة الأدبية في الحجاز

للأستاذ ابراهيم هاشم فلالي



من المؤلم ألا يجد القارئ الحجازى فى صحيفة « الرسالة » الغراء شيئاً عن أدب بلاده ، بينما هو يجد فى هذه المجلة الكريمة آداب الأمم العربية ممثلة فيها

فهل هـذا القصور ناشئ عن الرسالة ؟ أو هو ناشئ عن الأدباء الحجازيين الذين لا يتقدمون بإنتاجهم الأدبى إليها ؟ إنك تجد من الأدباء الحجازيين من يقول لك إن الرسالة ضنت بنشر ما قدمناه لها ، وقد تقول الرسالة إنها لا تضن بنشر كل ما يصل إليها من أى قطر إذا رأته صالحاً للنشر . والذى أراه أن الرسالة أصبحت لهـا من المكانة فى قلوب أبناء البلاد العربية ما تغبط عليه ، لأنها ما زالت تخدم فكرة العروبة ولغة العروبة ، حتى ظن أبناء العروبة فى شتى بلادهم أنها رسالتهم ، فهى قمينة بأن يكتب لها الكاتبون وهم قمينون بأن تنشر لهم كل ما يكتبون ، فكثرت لديها المواد ، حتى أصبحت صفحاتها لا تسع كل ما يطلب منها نشره ، وعلى الأخص بعد أن استحكمت أزمة الورق وتضاءل حجمها حتى أصبحت فى الحجم الذى هى فيه الآن ، ولم يبق لرئيسها إلا أن يتخير من المواد المتجمعة لديه ما هو أخلق بالنشر من غيره . وله الحق فى أن يختار ما يشاء ويهمل ما يشاء ، وقد تضطره ظروف العمل إلى ذلك ، فيرى الذين لم يقدر لإنتاجهم النشر أن لا باعث لهم على الكتابة للرسالة ما دام نصيبهم الإهمال — كما يخيل إليهم — وغالبية الأدباء ، كما بلوتهم ، لهم مزاج لا يقوى على الاحتمال ، ويتأثرون لأوهى الأسباب .

فى الحجاز حركة أدبية طيبة ، وقد كانت هذه الحركة تتمثل فى جريدتى أم القرى وصوت الحجاز بمكة المكرمة ، وفى جريدة المدينة ومجلة المنهل فى المدينة المنورة . وانتشر الروح الأدبى بين الناس ، فبرز بيننا أدباء جديرون بالإعجاب والتقدير ، ووجدت هذه الحركة عطفاً وتشجيعاً من حكومتنا السنية ، فحشدت كثيراً من الأدباء والشعراء فى دواوينها . وكان ولا يزال نائب جلالة الملك المعظم صاحب السمو الملكى الأمير فيصل يرعى الأدباء ويعطف عليهم ويأخذ بأيديهم ، فانتعشت الحركة الأدبية ، وافتتح لها سعادة الشيخ محمد سرور الصبان مدير المالية العام وكبير الأدباء قاعة فى إدارة الإسعاف للمحاضرات الأدبية ليجد فيها كل أديب جواً صالحاً للانتاج الأدبى القيم ، ثم أسس شركة للطبع والنشر لتقوم بنشر مؤلفات الأدباء على نفقتها ، وزود مقر الشركة بمكتبة قيمة ليسهل على الأدباء والمؤلفين مراجعة ما هم فى حاجة إلى مراجعته من الكتب وقتما يشاؤون

وحيال كل هـذه المغريات نشطت عزائم الأدباء ، فألقوا المحاضرات ، وكتبوا المقالات ، وألفوا الكتب ، وشغف الناس بالقراءة ، ولذتهم البحوث الأدبية مما دعا إلى مضاعفة الإنتاج الأدبى وإتقانه . ومن ثم ألفت كتب جمة فاز بعضها بالنشر مثل كتاب « وحى الصحراء » لمؤلفيه الأستاذ المرحوم عبد المقصود والأستاذ عبد الله بلخير ، وكتاب « محاضرات الإسعاف » ، وكتاب « المعرض » للأستاذ الكبير الشيخ محمد سرور الصبان ، وكتاب « أدب الحجاز » له أيضاً ، وكتاب « خواطر مصرحة » للأستاذ محمد حسن عواد ، و « كتابى » للأستاذ أحمد عطار ، وكتاب « محمد بن عبد الوهاب » للعطار أيضاً ، وكتاب « الأدب الفنى » للأستاذ حسن كتبى ، وكتب الأستاذ عبد القدوس الأنصارى وهى : التوأمان ، إصلاحات فى اللغة ، آثار المدينة المنورة ؛ وكتب أخرى لم تحضرنى أسماؤها الآن ، كما طبع بجانب هذه الكتب الأدبية كتب أخرى مدرسية وأخذت حركة الإنتاج الأدبى تنمو وتزدهر . ونبغ لدينا كتاب وأدباء وشعراء ، سنأتى على نماذج من إنتاجهم ليتبين لقراء الرسالة الكرام إلى أى حد من النضج بلغ الشعر والنثر عندنا

أما المؤلفات الأخرى والتى تكاد تكون قيمتها الأدبيـة أكبر من قيمة المؤلفات التى طبعت ، فإنها بقيت محفوظة فى مكاتب مؤلفيها ، لأن الحرب — خربها الله — قامت فى هذه الأثناء ، وحلت ببلادنا أزمة الورق كما حلت فى البلاد الأخرى ، فتوقفت حيال ذلك الحركة الأدبية عن السير فى طريق الذيوع

والانتشار ، ولكن الأدباء لم يقفوا عن الإنتاج ، لأن الفورة الأدبية جياشة فى صدورهم بقوة ، فهم ما زالوا ينظمون وينثرون ويؤلفون ، وهم محتفظون بذلك كله إلى أن يأتى يوم السلم المنظور وتنحل أزمة الورق ، فإذا جاء ذلك اليوم وقد جاء ، فسوف يرى الناس أدباً حجازياً له سمته وله خصائصه . وسيكون لبلادنا ذات التاريخ المجيد مشاركة أدبية فعالة فى بناء صرح الحضارة الإنسانية . وستقوم بواجبها وتؤدى رسالتها بما يتناسب ومكانتها الدينية والأدبية فى تاريخها الماضى المجيد

والآن ، سأذكر النماذج الأدبية التى تكلمت عنها آنفاً ، وسأبدأ بنماذج شعرية ليرى القارئ العربى الكريم الشعر الحجازى فى ثوبه الجديد ، وللقارئ أن يحكم له أو عليه بما يستحقه . على ألا يغرب عن باله أننى لم أتخير فى سرد هذه النماذج الشعرية أحسن ما قيل ولا أروع ما نظم ، بل ذكرت ماشاع على الألسن دون أن أتكلف عناء البحث والاختيار

قلت فى معرض كلامى إنه نبغ عندنا شعراء وأدباء جديرون بالإعجاب والتقدير ، وفى مقدمة هؤلاء كبير الأدباء وحامل لوائهم الأستاذ محمد سرور الصبان ، فمن شعره قوله يناجى الليل :

يا ليل صمتك راحة   للموجعين أسى وكربا
خففت من آلامهم   ووسعتهم رفقاً وحبا
أوما ترى حدث الزما   ن أمضهم عسفاً وغلبا؟

يا ليل إن بسم الخلى   وسادر لهواً ولعبا
فبجنبه يبكى الشجى   وربما لم يأت ذنبا
هــذا ينعم باله   وأخوه يصلى النار غصبا

يا ليل فارق محدثاً   أخبارنا غبا فغبا
فلنا بذلك حاجة   إن تقضها فرجت كربا
وابدأ حديثك بالآلى   عانوا من الآلام وصبا
فعسى بهم تأسو وعل   لنا بذلك منه طبا

يا ليل ماء للبدر ء   رح فى السما شرقاً وغربا
يبدو فيضحك ساخراً   منا وطوراً قد تخبا ...
يعلو على متن السحا   ب يسوقها سرباً فسربا
أتراه يعبث كالوليـ   ـد فليس يخشى بعد عتبا

يا ليل ما شأن الغرا   نق سيرها تيهاً وعجبا
سكرى ترنح عطفها   دلا فلا يستطيع خبا
تخذت لها مهد السما   ء كمرقص فتدب دبا
طردت إليك بناتها   فضممتهن إليك زبا
تلك النجوم المشرقا   ت وجوهها بشراً وحبا

وهكذا يمضى — حفظه الله — فى القصيدة على هذا النمط المستعذب حتى يتمها .

ومن الشعراء الذين نفتخر بهم ذلك الشاعر المتصوف الأستاذ حسين سرحان ومن شعره قوله :

أثمت والإثم من طباعى   وأنت من طبعك الكرم
هبطت بى من ذرى ارتفاعى   يا موجد الروح من عدم

أوقفتنى عند حد نفسى   وقد تجاوزت حدها ...
والنفس مرهونة برمسى   إذا اقتفى الجزر مدها ...
فكان ما شئت من صراع   وزاد ما ذقت من ألم ...
ضحية أنت : لا تراعى   يا نفسى : فاستقرى الندم

الطين ما زال يحتوينى   يرد وثبى إلى الثرى
فشاهت الأرض من قرين   وساءت الأرض عنصرا
ردت سموى إلى اتضاع   وإن تعلقت بالقمم
ظلت على أمرها المطاع   ومانتى الخصم والحكم

وشهوة سمها زعاف   تشب فى الروح والبدن
مكشوفة ما لها غلاف   وإن يكن ما لها ثمن ...
قد استجابت لكل داع   وأورت الجسم بالضرم
كأنها فى القطيع راع   فإن أبى أمرها انحطم

فى اللحم والعظم والحنايا   وفى عروق وفى عصب
تشف عن أخبث الدنايا   فإن تعجبت لا عجب
فإنهـا غاية المساعى   ومصدر الكون والأمم
لولاك يا رخوة القناع   ما جالت الروح فى نسم

إذا تخيلتنى عظيما   أريتنى أننى سقط
سبحان من ينصر الهشيما   ويخرج الحق من غلط
يا خالط الوحل بالشعاع   ونافث السم فى الدسم

والانتشار ، ولكن الأدباء لم يقفوا عن الإنتاج ، لأن الفورة الأدبية جياشة فى صدورهم بقوة ، فهم ما زالوا ينظمون وينثرون ويؤلفون ، وهم محتفظون بذلك كله إلى أن يأتى يوم السلم المنظور وتنحل أزمة الورق ، فإذا جاء ذلك اليوم وقد جاء ، فسوف يرى الناس أدباً حجازياً له سمته وله خصائصه ، وسيكون لبلادنا ذات التاريخ المجيد مشاركة أدبية فعالة فى بناء صرح الحضارة الإنسانية ، وستقوم بواجبها وتؤدى رسالتها بما يتناسب ومكانتها الدينية والأدبية فى تاريخها الماضى المجيد

والآن ، سأذكر النماذج الأدبية التى تكلمت عنها آنفاً ، وسأبدأ بنماذج شعرية ليرى القارئ العربى الكريم الشعر الحجازى فى ثوبه الجديد ، وللقارئ أن يحكم له أو عليه بما يستحقه . على ألا يغرب عن باله أننى لم أتخير فى سرد هذه النماذج الشعرية أحسن ما قيل ولا أروع ما نظم، بل ذكرت ماشاع على الألسن دون أن أتكلف عناء البحث والاختيار

قلت فى معرض كلامى إنه نبغ عندنا شعراء وأدباء جديرون بالإعجاب والتقدير ، وفى مقدمة هؤلاء كبير الأدباء وحامل لوائهم الأستاذ محمد سرور الصبان ، فمن شعره قوله يناجى الليل :

يا ليل صمتك راحة   للموجعين أسى وكربا
خففت من آلامهم   ووسعتهم رفقاً وحبا
أو ما ترى حدث الزما   ن أمضهم عسفاً وغلبا؟

يا ليل إن بسم الخلـ   ـى وسادر لهواً ولعبا
فبجنبه يبكى الشجـ   ـى وربما لم يأت ذنبا
هـذا ينعم باله   وأخوه يصلى النار غصبا

يا ليل فارق محدثاً   أخبارنا غبا فغبا
فلنا بذلك حجة   إن تقضها فرجت كربا
وابدأ حديثك بالألى   عانوا من الآلام وصبا
فعسى بهم تأسو وعل   لنا بذلك منه طبا

يا ليل ما للبدر يمـ   ـرح فى السما شرقاً وغربا
يبدو فيضحك ساخراً   منا وطوراً قد تخبا ...
يعلو على متن السحا   ب يسوقها سرباً فسربا
أتراه يعبث كالوليـ   ـد فليس يخشى بعد عتبا

يا ليل ما شأن الغزا   لة سيرها تيهاً وعجبا
سكرى ترنح عطفها   دلا فلا يسطيع خبا
تخذت لها مهد السما   ء كمرقص فتدب دبا
طردت إليك بناتها   فضممتهن إليك ربا
تلك النجوم المشرقا   ت وجوهها بشراً وحبا

وهكذا يمضى — حفظه الله — فى القصيدة على هذا النمط المستعذب حتى يتمها .

ومن الشعراء الذين نفتخر بهم ذلك الشاعر المتصوف الأستاذ حسين سرحان ومن شعره قوله :

أثمت والإثم من طباعى   وأنت من طبعك الكرم
هبطت بى من ذرى ارتفاعى   يا موجد الروح من عدم

أوقفتنى عند حد نفسى   وقد تجاوزت حدها ...
والنفس مرهونة برمسى   إذا اقتفى الجزر مدها ...

فكان ما شئت من صراع   وزاد ما ذقت من ألم ...
ضحية أنت : لا تراعى   يا نفسى : فستقرى الندم

الطين ما زال يحتوينى   يرد وثبى إلى الثرى
فشاهت الأرض من قرين   وساءت الأرض عنصرا

ردت سموى إلى اتضاع   وإن تعلقت بالقمم
ظلت على أمرها المطاع   ومانى الخصم والحكم

وشهوة سمها زعاف   تشب فى الروح والبدن
مكشوفة ما لها غلاف   وإن يكن ما لها ثمن ...

قد استجابت لكل داع   وأورث الجسم بالضرم
كأنها فى القطيع راع   فإن أبى أمرها انحطم

فى اللحم والعظم والحنايا   وفى عروق وفى عصب
تشف عن أخبث الدنايا   فإن تعجبت لا عجب

فإنها غاية الساعى   ومصدر الكون والأمم
لولاك يا رخوة القناع   ما جالت الروح فى نسم

إذا تخيلتنى عظيماً   أريتنى أننى سقط
سبحان من ينصر الهشيما   ويخرج الحق من غلط

يا خالط الوحل بالشعاع   ونافث السم فى الدسم



١٠ - الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزل

بقلم الدكتور محمد بهجت

الفصل السابع — عن الأمس وعن اليوم

منذ بضعة أيام صحبت أوجيست رودان إلى متحف اللوفر إذ كان ذاهباً لمعاينة تماثيل أودون النصفية مرة أخرى . ولم نلبث أن وقفنا أمام تمثال فولتير Voltaire النصفي وعندئذ صاح رودان :



(تمثال فولتير للمثال أودون)

« يا له من أعجوبة ! إنه الخبث والدهاء بعينه . انظر ! إن نظراته الشزراء لتبدو كأنها ترقب خصماً . أما أنفه فأنفى مستدق كأنه أنف ثعلب ليخيل إليك أنه يتشمم المثالب والمعائب من كل ناحية . وتستطيع أن تراه يدمع ... والفم ! يا له من فوز عظيم ! لقد حُدَّ بخطين من القذع والهجاء ، ويلوح كأنه يغمغم بالتهكم والسخرية . ولا يسعك وأنت تنظر إلى فولتير هذا الذى يفيض نشاطاً وحيوية ، ويَنغص سقاماً ، والذى يعوزه الكثير من سمات الرجال — لا يسعك إلا أن تقول عنه إنه محدث بارع عجوز » . وبعد فترة من التأمل عاود حديثه قائلاً :

والعينان ! إنى لأرجع دواماً لمشاهدتهما . إنهما شفافتان ، مضيئتان .

« ولكنك تستطيع أن تقول مثل هذا عن كل تماثيل أودون Houdon .لقد أدرك هذا المثال كيف يجعل حدق العيون أكثر شفافية من أى مصور . إنه يخرقها ويثقبها ويبرزها ، ويجعل بها معالى ومواطى بحيث تحدث تأثيراً فذاً عند ما يقع عليها الضوء أوينحرف عنها، ويقلد تلك اللمعة الحية التى بانسان العين . وما أعظم ما تختلف التعابير التى بعيون كل هذه الوجوه ! إنها تدل على الخبث من فولتير ، وعلى الصداقة الطيبة فى فرانكلن ، والرقة المبهجة فى السيدة هودون ، وعلى المكر فى ابنته وفى طفلتى رونيار الجميلتين . ولقد تعدل اللمحة عند هذا المثال أكثر من نصف التعبير ، فهو يقرأ الأرواح من الأعين التى لا تخفى عليه سراً . ولهذا فلا داعى للتساؤل عما إذا كانت تماثيله مشابهة لأصحابها مشابهة تامة » .

وهنا استوقفت رودان سائلاً :

« إذاً أنت ترى أن المشابهة صفة هامة لازمة ؟ » .

« لا ريب فى ذلك فلا غنية عنها » .

ومع ذلك يزعم كثير من الفنانين أن بعض التماثيل والصور يمكن أن تبلغ حداً كبيراً من الجمال من غير أن يتوفر فيها شبه قوى . وأذكر بهذه المناسبة حادثاً نسب إلى المصور إينر Henner الذى شكت إليه سيدة من أن صورتها لم تأت شبهها . فأجابها بلهجته الإلزاسية :

« هيه ياسيدتى ! بعد ما تموتين سوف يحسب ورثتك أنفسهم

سعداء لأنهم يقتنون لوحة طيبة من ريشة إينر ، ولـكنهم سوف لا يجهدون أنفسهم ألبتة ليتحققوا مما إذا كانت تشبهك » .

فقال رودان :

من المحتمل أن يكون المصور قال ذلك . وأغلب الظن أن هذا تسرع منه لا يمثل حقيقة أفكاره لأنى لا أعتقد أن له مثل هذه الآراء الخاطئة فى فن أبدى فيه براعة عظيمة وألمعية نادرة .

ولـكن دعنا نتفهم أولا مدى التشابه المطلوب توفره فى تمثال أو صورة ما .

« إذا قصر الفنان نفسه على إظهار القسمات السطحية كما هو الحال فى الفوتغرافية ، أو إذا نسخ معالم الوجه تماماً كما هى من غير ما رجوع إلى الخلق أو اعتباره فهو لا يستحق أى ثناء أو إعجاب . أما الشبه الذى يتحتم عليه إظهاره فهو شبه الروح . وهذا وحده بيت القصيد . وهو ما يجب على المثال أو المصور أن يبحث عنه تحت ستار القسمات . وقصارى القول يجب أن تـكون كل القسمات حافلة بالتعبير أو بمعنى آخر تـكون ذات فائدة فى الإفصاح عن شعور باطن » .

« ولـكن ألا يحدث فى بعض الأحوال أن يكون الوجه مناقضاً للروح ؟ » .

« أبداً » .

« وهل نسيت نصيحة لافونتين التى تقول : « لا تحكموا على الناس من ظواهرهم ؟ » .

إن هذه النصيحة موجهة لأولئك الذين لا يتعمقون الأشياء ، إذ كثيراً ما تخدع الظواهر نظراتهم العجلى . ويكتب لنا لافونتين أيضاً عن الفأر الصغير الذى حسب الهرة أعظم الحيوان حدباً وعطفاً . ولـكنه يتكلم عن فأر صغير أى عن عقل غر ضعيف تعوزه القدرة على التمييز . ولا يسع من يدرس الهرة بإمعان إلا أن يجد فى ظاهرها ما يحذره من القسوة التى تستتر وراء تناومها وتـكمن فى وداعتها .

وفى مقدور من يستطيع قراءة الوجه أن يميز بين من يصطنع الحنان وبين من طبع عليه ، وإنه لمن أخص واجبات الفنان أن يكشف عن الحقيقة ولو من تحت المظاهر الخادعة .

ولتقرير الحقيقة أقول إنه لا يوجد عمل فنى يحتاج إلى كثير من التعمق مثلما يحتاجه التمثال النصفى والصورة الإنسانية . وقد يقال أحياناً إن حرفة الفنان تتطلب مهارة يدوية أكثر مما تتطلب فطنة وذكاء . وما عليك إلا أن تدرس تمثالا نصفياً طيباً حتى تستطيع أن تدحض هذا القول وتصحح هذه الأغلوطة . إن عملا كهذا خليق بأن يترجم له . وأنت حين ترى تماثيل أودون مثلا تخالك تقرأ فصولاً من مذكرات مدونة ، فترى فيها العصر الذى عاشت فيه ، والحرف التى احترفتها ، والأجناس التى انتمت إليها وأخلاقها الشخصية ، ترى كل ذلك فيها واضحاً جلياً .

وها هو روسو قبالة فولتير . ترى فى نظرته حذقاً وذكا وفطانة بالغة . وهذه ميزة عامة امتازت بها شخصيات القرن الثامن عشر . كانوا نقدة . كانوا يناقشون ويجادلون فى كل المبادئ والمعتقدات التى كان مسلماً بها من قبل من غير ما تحقيق وتمحيص . كانت لهم أعين فاحصة باحثة نفاذة .

أما عن نشأته فهو من عامة السويسريين . كان سوقياً غير مثقف بقدر ما كان فولتير شريفاً نابهاً . وبينا ترى عظم وجنتيه البارز ، وأنفه القصير ، وذقنه المربعة تبين فيه ابن صانع الساعات والخادم الذى امتهن الخدمة من قبل .

وأما عن حرفته فهو الفيلسوف بجبهته المائلة المفكرة ، ينتمى لطراز قديم يتجلى فى العصابة التقليدية التى تدور حول رأسه . زرى الهيئة بشكل ظاهر متعمد ، أشعث أغبر مما يجعله قريب الشبه من ديوچنيس أو مِـنِيپَس (Menippus)[1] هو البشر الذى يدعو للرجوع إلى الطبيعة وإلى الحياة البدائية الفطرية .

« وأما عن أخلاقه الشخصية فترى تجهما فى وجهه ينم عن كراهية للنوع الإنسانى ، وحاجبيه القطبين وجبهته المغضنة ، ترى فيه الرجل الذى يشكو بحق ويتذمر من الظلم والاضطهاد » .

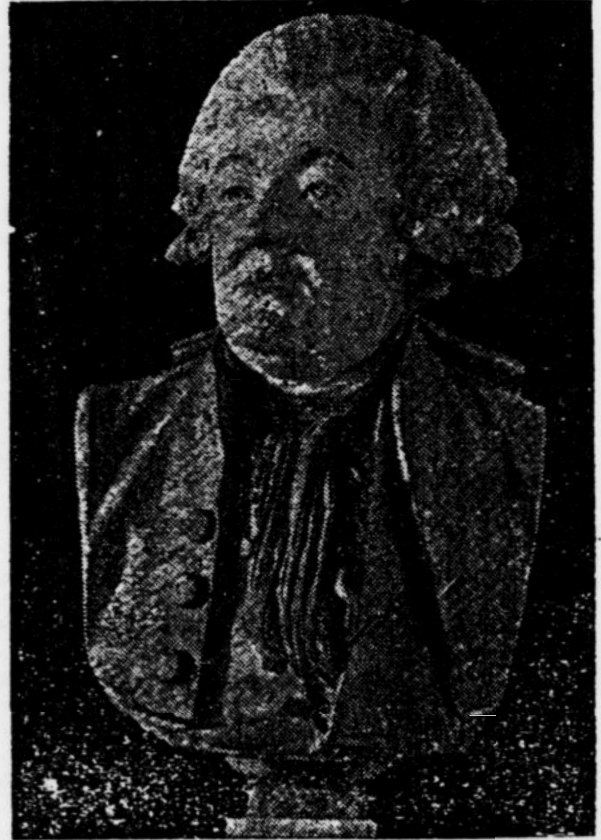
« قل لى بربك . أليس هذا التعليق على الرجل بأحسن وأدق من اعترافاته ؟

« ثم ها هو ميرابو (Mirabeau) . إنه عصر بأكله . يبدو بحالة تحد . شعره المستعار مشوش غير مصفف ، بزته غير حسنة ، وهيئته زرية ، وكأن ريحاً من عاصفة ثائرة تمر على هذا الوحش

(١) كاتبان إغريقيان أسلوبهما ساخر تهكمى

الـكاسر الذى يهم بالزئير أو يرعد بجواب على سؤال يلقى إليه .

« ولنتقص نشأته الآن : نتوسم فى طلعته المهيبة ، وحاجبيه الدقيقين المقوسين ، وجبهته المرتفعة المتعجرفة شريفا كان فى زمرة الأشراف ، ولـكن ديمقراطية خديه الثقيلين المجدورين ورقبته الغائرة بين كتفيه جعلت الـكونت دى ريكتى Comt de Riguetti — ميرابو — يجوز على تير (Thiers)[1] ويفوز بعطفه ومراحمه ومن ثم أخذ يدافع عنه .



(تمثال ميرابو للمثال أودون)

« ولننتقل إلى حرفته : إنه القاضى ، يبرز فمه إلى الأمام كأنه بوق على وشك أن ينفجر منه الصوت مجلجلا . يرفع رأسه عالياً لأنه قصير كما هو شأن جمهرة الخطباء . ونرى فى مثل هذا الطراز من الرجال أن الطبيعة تزيد فى قوة الصدر والأضالع على حساب الطول . أما العينان فلا تثبتان على شىء معين وإنما تدوران على جم غفير . يا لها من نظرة عظيمة غامضة ! ناشدتك الله خبرنى أليس من أجل الأعمال وتمام الفوز أن يمثل فى هـذا الرأس وحده جماً حاشداً بل أمة بأسرها تصغى وتستمع ؟

ولنبحث بعد ذلك عن أخلاقه : لاحظ الشفتين الحساستين ، والذقن المزدوجة ، والمنخر المرتعد فترى الآثام والانغماس فى الشهوات وطلب الملذات مرتسمة عليها جميعاً . نعم تراها كلها هناك . وإنى لمخبرك بذلك .

وإنه لمن السهل الهين أن نقرأ فى كل تماثيل أودون مختلف الأخلاق على هذا النمط .

وهنا أيضا تمثال فرانكلن : ترى فيه هيئة عظيمة ، وخدين ثقيلين متدليين فتقول هذا هو الصانع السابق . ثم الشعر الرجل الطويل الذى يشبه شعر الرسل ، وحب الخير والمعروف مرتسم فتقول هذا هو ، ربتشارد المهذب الطيب القلب .

ثم إن جبهته العالية المائلة إلى الأمام تتسم بالعناد وتنم عن الثبات والصبر الذى أظهره فرانكلن فى تحصيـل علومه ، وفى السمو بنفسه حتى أصبح معلماً نابهاً يشار إليه بالبنان ، وأخيراً إلى تحرير وطنه . ذكاء جم تفيض به العينان ويكمن فى زوايا الفم . على أن أودون لم ينخدع بجسامته فابان فيه مادية الرجل المالى الذى جمع مالا فأخلده ، ودهاء السياسى الذى استظهر بواطن السياسة الإنجليزية . فها هنا نرى أحد أسلاف أمريكا الحديثة على قيد الحياة

« عجباً ! ألا نرى فى تلك التماثيل البديعة أخباراً متقطعة عن نصف قرن ؟ وأن أكثر ما يسر النفس من تلك الذكرات المتخذة من الصلصال والرخام والشبه كما هو الحـال فى أجل القصص المـكتوبة — هو جمال أسلوبها الناصع ، ورشاقة اليد التى دونتها وفيض تلك الشخصية الساحرة — الفرنسية لحما ودما — التى خلقتها . إن أودون هو سنت سيمون[1] لـكن تنقصه نزعاته الأرستقراطية. هوفى ذكاء سنت سيمون ولـكنه أسمى منه عاطفة. آه يا له من فنان مقدس ! » .

دكتور محمد بهجت

قسم البساتين

---

(١) كاتب ، ومؤرخ ، وسياسى فرنسى ولد سنة ١٧٩٧ ومات سنة ١٨٧٧ .

(١) أحد أفراد أسرة سنت سيمون العظيمة وهو لويس دى روفرى الكاتب والفنان الذائع الصيت ولد فى سنة ١٦٧٥ ومات فى سنة ١٧٥٥ م .

صدى الحوادث

مؤتمر سان فرنسيسكو

للأستاذ على الجندى

تجمعتم من كل جنس وأمة
ولون لنشر السلم ، هل نشر السلم ؟ !
وهل رفع الحق الذليل جبينه وهل نحن بتنا لا يروعنا الظلم ؟ !
وإلا فما بال « الشآم » دماؤه تسيل ، وأنتم عن مناحته صم !
وبطلب « ديجول » تراث « أمية »
وليس له فى الشام خال ولا عم !
سمعنا كلاماً لذ فى السمع وقعه ورب لذيذ شاب لذته السم
أمانىّ كالأحلام زخرفها الكرى
وقلّ - على الأيام - أن يصدق الحلم
وحبر على القرطاس ليس بعاصم
ضعيفاً ، إذا همت به الغير الدهم
أرى الدول الكبرى لها الغنم وحدها
وقد عادت الصغرى على رأسها الغرم
يخيل لى أن « الوفود » تفرقت
ولم يندمل من طيب الكلم الكلْم
إذا ساءت النيات كانت عهودكم
« قصاصات أوراق » وللغالب الحكم
مواثيق ، معناها يكذب لفظها فظاهرها برّ ، وباطنها إثم
وتأويلها عند القوى ، فمن لنا
بأن نضمن الإنصاف ، والحكم الخصم
إذا حل منها الأقوياء نفوسهم تقيدنا الأخلاق ، والشيم الشم
وفاء بدنيا - لا وفاء لأهلها -
به شقيت فى «شرقها» العُرب والعجم
هى الحال مازالت على ما عهدته فويل لأقوام يغرهم الوهم
متى عفت الذؤبان عن لحم صيدها
وقد أمكنتها - من مقاتلها - البهم
ألا كل شعب ضائع حقه سدى
إذا لم يؤيد حقه « المدفع » الضخم

الحنين إلى الوطن (*)

للأستاذ حسن أحمد باكثير

يا بلادى ! يا بلادى ! يا فراديس البحار !
أى ذكرى منك طافت بى وقد ولى نهارى ؟
فاستثارت لوعة حرى بقلبى المستطار
وحنيناً فى جنايا الصدر مشبوب الأوار
واشتياقاً جارفاً يصدع أركان اصطبارى
واستطارت زفرات كاللظى جد حرار
من فؤاد يتلوى من جواه المستثار
واستدرّت من جفونى أدمعاً جد غزار
يا بلادى ! يا جنان الشرق ! قد طال انتظارى
يا لأشواقى للقياك ! ويا نار ادكارى !
أى وجد يتلظى فى فؤادى ؟ أى نار ؟
كلما زار خيال منك مُغرّى بازديارى
أو بدا لى فى ثنايا الأفق طيف منك سارى
طيف أحباب وخلان وأهل وديار
وربا تفتر عن أزهارها أبهى افترار
وجنان باسقات الدوح غضات الثمار
وحقول قد كساها النبت أفواف النضار
ورياض يتوشحن بأضواء النهار
يا بلادى ! يا جنان الشرق ! قد طال انتظارى
يا لأشواقى للقياك ! ويا نار ادكارى !
أين من عينى جنات وأنهار جوارى
وجبال بين وديان سحيقات القرار
وعيون فى اندفاق وزروع فى اخضرار
وطيور فى انطلاق وزهور فى ازدهار
وعذارى السَّرو يرقصن خليعات العذار
ونخيل الجوز يحملن رواقيد العقار
والقمارىّ يساوقن أغاريد الهزار
أين هن الآن منى ؟ يا فراديس البحار !
يا بلادى ! يا جنان الشرق ! قد طال انتظارى
يا لأشواقى للقياك ! ويا نار ادكارى !

(*) إحدى القصائد الفائزة فى المسابقة الشعرية التى نظمتها هيئة الاذاعة المصرية هذا العام



معجم الأدباء وهل هو لياقوت

سماه ياقوت في مقدمته إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ولكن ابن خلكان يسميه إرشاد الألبا إلى معرفة الأدباء ، ويقول بأنه يقع في أربعة مجلدات كبار .

بقى من هذا الكتاب نسخة من جزأيه الاول والثانى رديئة الخط ترجع تاريخ نسخها إلى القرن السابع عشر حصل عليها من الهند الأرشيديكون بارنس ، كبير الشمامسة في بومباى ، وبعد موته اشتراها من ورثته المستر و . ه . جى الوراق وعدا باعها إلى مكتبة بوديل في جامعة أكسفورد سنة ١٨٨٢ فوضعتها تحت رقم ٧٢٣ مخطوطات بوديل (١) .

قام بنشر هذين الجزأين المستشرق «دافيد صامويل مرجليوث» بمساعدة إبرهيم اليازجى وقسطاكى الحمصى وجرجى زيدان (٢) . فتم طبع الجزء الأول سنة ١٩٠٧ ، والجزء الثانى سنة ١٩٠٩ على نفقة تذكار جيب بمطبعة هندية بالقاهرة (٣) وهذان الجزءان يشتملان على تراجم مشاهير الأدباء من القرن الرابع بعد الهجرة إلى أيام المؤلف أثبت سيرهم على سياق حروف المعجم من حرف الألف إلى حرف الجيم (٤) .

هذا ما صح عندى من تأليف ياقوت ؛ وأما باقى أجزاء الكتاب من الثالث حتى السابع التى نشرها مرجليوث فهى دخيلة على ياقوت لم يعمل فيها فكره وهذا ظاهر بين وأول حجة أستطيع أن أتمسك بها هى أن كتاب ياقوت أربعة مجلدات كما ذكر ابن خلكان فى وفياته فإذا بطبعة مرجليوث تبلغ سبعة مجلدات ، ولقد حرص من تمم الكتاب ونسبه إلى ياقوت أن ينقل من الكتب التى نقلت عن ياقوت ككتاب الوافى بالوفيات وفوات الوفيات وبغية الوعاة وغيرها .

(١) مقدمة الطبعة الأولى لكتاب معظم الأدباء نشر مرجليوث
(٢) مجلة الشرق السنة ١٢ ص ٦٢٨
(٣) كتاب المجمع العلمى العربى رقم ٥٣٢
(٤) مقدمة الطبعة الأولى لكتاب معجم الأدباء نشر مرجليوث .

ويسوءنى بل ويسوء الأدب أن ينشر الكتاب وينسب إلى ياقوت ثم يعاد طبعه فى القاهرة سنة ١٩٣٨ فى عشرين جزءاً دون أن يشار أقل إشارة إلى أن معظم الكتاب دخيل على ياقوت .

ويجدر بى أن أشيرهنا إلى أن ما وجد من كتاب ياقوت ينتهى فى الصفحة ٢١٤ من الجزء السابع من طبعة سنة ١٩٣٨ وهى آخر حرف الجيم .

ومن البديهى أن الواضع الذى يرغب فى أن ينسب قصيدة إلى شاعر أو مقالة إلى كاتب يعمد إلى فهم روح ذاك الشاعر أو ذاك الكاتب باطلاعه على قصائده وكتاباته ، فكيف بمن أراد أن ينسب تأليفاً أو يدخل مصنفاً .

نظر صاحبنا نظرة مقلوبة ، وهذه النظرة كانت جميلة عواقبها لتفضح أمره وترجع الحق إلى نصابه . عمد إلى كتب التراجم وشغله النسخ فأعماه عن فهم روح ياقوت أو تتبع أخباره ، عمد إلى فوات الوفيات وبغية الوعاة واليتيمة ونسى كتابه معجم البلدان ، أو قل أمله تصفح هذا الكتاب الضخم فرغب عنه لزهده فيه ، فكان هذا الكتاب خير برهان أزاح الستار عن الخمسة أجزاء الدخيلة .

١ — أما البراهين فكثيرة ، ذكر ياقوت فى معجم البلدان كثيراً من الكتاب والمؤلفين فقال بأنه ذكر تراجمهم فى معجم الأدباء ، ومن جملتهم عين القضاة عبد الله بن محمد (١) ، وأبو بكر الأدفوى (٢) ، وأسعد بن على النحوى ، وابنه محمد النساد (٣) ، ولكننا إذا رجعنا إلى معجم الأدباء نراه خلواً من تراجم هؤلاء .

٢ — جاء فى أول نسخة خطية قديمة لكتاب الألفاظ الكتابية ترجمة مختصرة لمؤلف الكتاب عبد الرحمن الهمذانى نقلا عن معجم الأدباء ونرى أن لا أثر فى معجم الأدباء لهذه الترجمة

٣ — وأبلغ برهان ساطع ومضحك فى الوقت ذاته هو أن ياقوت ذكر فى معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٥ قصيدة لأبى العيناء فى دربا شهرا من رواية الشابشتى ولكنه أردفها بقوله : إن صح — أى شعر أبى العيناء — فهو عندى غريب لأن أبا العيناء قليل

(١) انظر معجم البلدان ج ٨ ص ٢٢٠
(٢) ج ١ ص ١٠٦
(٣) ج ٣ ص ١٥٦

الشعر جداً لم يصح عندى له شىء من الشعر ألبتة » وفى معجم الأدباء نرى لأبى العيناء نسم قطع من الشعر ، ولا يخفى أن ياقوتاً ألف معجم الأدباء قبل تأليفه معجم البلدان ، فهذا تناقض لا يمكن أن يصدر عن مثل ياقوت .

٤ — قال ياقوت فى مقدمة معجم الأدباء إنه جمع فيه من غلب عليه النثر والتأليف وأما من غلب عليه الشعر ولم يشتهر بكتابة الكتب وتأليفها فقد ذكره فى معجم الشعراء، وإننا لنرى فى الخمسة الأجزاء الأخيرة كثيراً من الشعراء والشاعرات الذين لم نعرف عنهم سوى بضع قطع وليس لهم فى عالم النثر والتأليف ذكر ، وهذا تناقض فى الكتاب نفسه .

والآن أستطيع أن أقول لكاتب السيد محمد فهمى عبداللطيف الذى ركن إلى رأى المؤرخ ياقوت فى كيفية ضبط لفظ لقب « المبرد » فى الصفحة ٩١٦ من السنة الخامسة من سنى هذه المجلة ، أستطيع أن أقول له الآن إنه أجهد نفسه فى غير طائل لأن الضبط الذى وجده فى كتاب ياقوت لم يجر ياقوت فيه قلمه وإنما نقل إلى الكتاب حديثاً فى جملة ما نقل إليه من كتاب بغية الوعاة للسيوطى .

(حلب) آملن

جاء الإشكال من الإشكال

أشكل شطر ذاك البيت فى (إرشاد الأريب) بهذه الصورة :

حالى بحمدِ اللهِ حالٌ جيِّدهْ

فجاء الإشكال من الشكل أو من الإشكال ، وما كان لى أن يشكل علىّ . والحق مع الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد يوسف نجاتى فى الذى قاله فى الرسالة الغراء ٦٢٦ فى هذا الوقت .

محمد اسعاف النشاشيبى

تحية الى « الرسالة » وكتابها

أثلج منا القلوب ، وأبهج النفوس ، أن نرى « الرسالة » المجيدة فى أعدادها الأخيرة تفسح صدرها كله لأبحاث قيمة تمت إلى مأساة سوريا الشقيقة ، ومأساة لبنان من قبلها ، حتى أن الرسالة كانت أوسع الصحف والمجلات المصرية طراً للدفاع عن حقوقنا واستنكار اعتداءات فرنسا الشنيعة بين الآونة والأخرى على استقلالنا ، على الرغم من أن هذه المجلة أدبية قبل كل شىء ، ونحن لا ندخر وسعاً فى الثناء على موقف الصحافة المصرية بالإجمال ، اليومية منها والأسبوعية ، لما تلقاه بلادنا من عطف وحب ودفاع عنها ، فأحر بنا أن نخص « الرسالة الأدبية » بثنائنا وشكرنا وتحيتنا الخالصة أن تهتم لنا هذا الاهتمام البالغ ، وتمنى بأنبائنا هذه العناية ، فلقد كنا — والحق يقال — نتهافت على أعدادها الأخيرة لترضى — قبل كل شىء — عاطفتنا الوطنية الثائرة ؛ ولكن لم يكن ليغرب عن أذهاننا أن هذه المجلة العزيزة ترمى إلى تحقيق هدف سام يخيل إلينا أن الأدب العربى قصر حتى الآن فى السير إليه ، وأقصد به « الأدب القومى العربى » . فالرسالة تشعرنا اليوم أنها تقصد إلى إيقاظ هذه النزعة القومية العليا فى الأدب العربى ، فتزيد إلى صفاته لوناً جديداً يميزه كل الميزة ويبرز خصائصه إلى حد بعيد . وبذلك تحقق هدفين فى آن واحد : تشاركنا عواطفنا ووطنيتنا . وتساعد على خلق الروح القومية فى الأدب العربى الحديث الذى يفتقر — ولا شك — لمثل هذه الروح . فشكراً لك أيتها « الرسالة » . وتحيتنا لكتابك الأفاضل

(بيروت) سهيل إدريس



من أروع القصص الانكليزي

مغامرات ممثـــل جوال

للكاتب الشاعر الانكليزي كولد سمث

بقلم الأستاذ يوسف روشا

ولد أوليفر جولد سمث في ١٧٢٨ وتوفي في ١٧٧٤ وكان أحد أعضاء « النادي الأدبي » الذي كان يرأسه الأديب الانكليزي الكبير الدكتور جونسون.

ولأوليفر جولد سمث أسلوب في الكتابة يتميز برقة وعذوبة، وان مؤلفاته على قلتها تعتبر من أروع الأدب الانجليزي

أنا شديد الكلف باللهو أنى وجدته، وإن النكتة البارعة وإن ألقيت في ثوب خلق، فهي أبداً حبيبة إلى نفسي. ذهبت منذ بضعة أيام إلى متنزه « سانت جيمس » في الوقت الذي يتركه زائروه لتناول العشاء. ولم يكن هناك سوى أناس قلائل ممن كانت تبدو على ملامحهم آثار الفقر والمسغبة، فخططت نفسي على أحد المقاعد، بينما جلس على الطرف الآخر من المقعد رجل في ثياب رثة جداً

ظللنا نهمهم ونغمغم ونسعل كما هي العادة في مثل هذه الحالة، وأخيراً اجترأت على الكلام مخاطباً إياه: « معذرة يا صاحبي، ولكن يخيل لي أني رأيتك من قبل. إن ملامح وجهك ليست غريبة عني ». فأجابني قائلا: « أصبت يا أخي كبد الحقيقة. إن وجهي لا يكاد يجهله أحد، كما يزعم أصدقائي، وإن شهرتي في جميع أنحاء انكلترا لا تقل عن شهرة الجمال والتماسيح. ولا يخفى عليك يا سيدي بأني كنت طيلة الست عشرة سنة الأخيرة، أقوم بدور البهلول في فرقة تمثيلية. ولقد نشب بيني وبين أستاذي خلاف افترقنا على أثره فراح هو ليبيع أشياءه في شارع « روزماري » وأنا جئت لأموت جوعاً في متنزه « سانت جيمس »

« يؤسفني جداً يا سيدي أنك تعاني كل هذا الضيق، وأنت على ما أنت عليه من نباهة الذكر وذيوع الصيت ». فرد على مواصلا الحديث: « نباهتي في خدمتك يا مولاي، ولكن على الرغم مما أنا عليه من إملاق، فإن ثمة قليلا من الناس هم أمرح مني نفساً، فلو قدر أن يكون لي عشرون ألفاً من الدنانير لكنت من أسعد الناس. وأنا الآن، والحمد للمقادير، لا أملك فلساً واحداً، ومع هذا، فإني لا أزال سعيداً، ذلك لأني لا أقيم وزناً للمال، فهو عندي وسيلة لا غاية، فإذا ما حرمته لا أجد غضاضة من قبول دعوة الكرماء إياي للطعام. والآن ما رأيك يا سيدي في لحم حنيذ مع قدح من الشراب؟ فإن أنت أطعمتني اليوم، فلسوف أطعمك يوماً من الأيام عند ما أجدك في المتنزه وأنت أشد ما تكون رغبة في الطعام، وليس لديك من المال ما تدفع به ثمن العشاء »

ولما كنت لا أبخل أبداً بدريهمات أنفقها في سبيل رفيق طروب قصدنا تواً حانة مجاورة، ولم تمض سوى دقائق معدودات حتى كان الطعام والشراب مصفوفين على المائدة أمامنا. وإنه لمن العسير جداً أن أصف مبلغ طربه وانشراحه لرؤية الطعام والشراب فقال: « أنا استمرئ يا سيدي هذا العشاء لأسباب ثلاثة: أولا: لأني أحب لحم البقر؛ وثانياً: لأني جوعان؛ وثالثاً: لأني أحصل عليه بلا ثمن؛ إذ ليس هناك أشهى من اللحم الذي لا تدفع ثمنه »

لم ينته من كلامه هذا حتى أقبل على الطعام والشراب بنهم فائق، فلما انتهى العشاء أشار إلى أن اللحم كان نيئاً، ثم استطرد وقال: « ومع هذا فقد وجدته لذيذاً سائغاً، ما أفسح حياة الفقير وما أعظم شهيته! نحن معشر الشحاذين لقطاء الطبيعة نهيم في كل سرح، ونأخذ الحياة على علاتها. فإن هي أقبلت علينا فرحنا بها واغتبطنا، وإن هي أدبرت عنا لم نشتك ولم نتذمر. أما الأغنياء، فالطبيعة تعاملهم كما تعامل الربة أولاد زوجها، فهم أبداً يرمون بها ساخطون عليها، أعطهم قطعة من غريض اللحم، فإذا هي عندهم صلبة عسيرة الهضم، أمزجها بالتوابل، حتى التوابل لا تستطيع أن تشحذ شهيتهم، على حين أن الطبيعة شديدة الحدب على الشحاذين ترعاهم بعنايتها

وتكلؤهم برحمتها . إن الخمر المعتقة لأحلى مذاقاً من الشمبانيا ... السرور ... السرور ... تلك هي فلسفتي في الحياة ، وهي قطعة من لحمي ودمي ، فإن فاض النهر وغرقت نصف أراضي « كورنوول » ألفيتني مطمئن النفس مرتاح البال ، إذ ليس لي أملاك هناك ، وإن ساءت أحوال السوق وتدهورت الأسعار ... نمت ملء جفوني ، فما أنا ممن تهمهم هذه الأمور ، إذ لست يهودياً » .

ولقد أغراني مرحه وخفة روحه ، على الرغم من فقره المدقع ، أن أعرف شيئاً من حياته ؛ فقلت ملتمساً منه تلبية طلبي فأجاب : « بكل سرور يا مولاي ، ولكن على شريطة أن نشرب قليلا لندفع عن أعيننا النعاس . لنشرب قدحاً آخر قبل أن يهجم الكرى على أجفاننا ... آه . . ما أجمل منظر القدح وهو ملآن!

« يجب أن تعلم إذن أني أنحدر من أرومة طيبة وأن أسلافي قد أحدثوا بعض الضجة في العالم ، ذلك لأن أمي كانت تبيع « المحار » وأن أبي كان طبالاً . ولقد قيل لي إنه قد كان في عائلتي أيضاً بعض البواقين . فهل تراني بعد هذا مبالغاً إذا قلت إن قليلا من الأشراف من يضاهونني في الحسب والنسب ؟ ولما كنت الابن الوحيد لوالدي فقد أرادني ، على أن أكون طبالاً مثله ، وعلى الرغم مما كان يبذله معي من الوقت والأناة ، لتعليمي الأناشيد العسكرية ، لم أتقدم خطوة واحدة ؛ ذلك لأني لم أكن ميالا إلى الموسيقى ، فانخرطت في الجيش وأنا في الخامسة عشرة من عمري . ولم ينقض يوم واحد حتى تبين لي أن كراهيتي لحمل البندقية لم تكن لتقل عن كراهيتي لدق الطبل ، ذلك لأن الطبيعة قد أعدتني لأكون سيدا لا مسوداً . إن وجودي في الجيش يحتم على إطاعة أوامر رئيسي التي يفرضها عليّ ، وليست أوامره إلا ظلا لأهوائه ورغباته ، وإنه لمن الأجدى على الشخص أن يطيع رغباته لا رغبات سواه .

« لذلك لم يمض وقت طويل حتى أصبحت ضيقاً بحياة الجندية شديد المقت لها فعولت على الاستقالة ، ولكن الرئيس رفض استقالتي ، لأني كنت طويل القامة مفتول العضل ، فاسودت الدنيا في عيني ولم يبق أمامي إلا الاستنجاد بوالدي فبعثت إليه برسالة ، كلها شكوى واستعطاف ، طلبت فيها منه أن يجمع المبلغ الكافي لإخراجي من الجندية ولكن الرجل الطيب القلب كان شديد الولع بالخمر ، كما كنت أنا حينئذ ، (في خدمتك يا مولاي) وأن الذين هذا شأنهم لا ينتظر منهم أن يدفعوا رسم التسريح من الجندية — وقصارى الحديث ، لم يرد والدي على رسالتي ألبتة . ما العمل إذاً ؟ قلت لنفسي : لما كنت لا أملك المال الكافي لشراء حريتي فما عليّ إلا أن ألتمس وسيلة أخرى وهي الهرب ، وفعلا هربت .

وهكذا تخلصت من الجندية وبلائها فبعت ثيابي العسكرية واشتريت أسوأ منها وسلكت ما أمكن سبلا غير مطروقة . في أمسية يوم من الأيام ، بينما كنت أدخل إحدى القرى ، إذ أبصرت رجلا — علمت فيما بعد إنه قسيس القرية — قد وقع عن فرسه وغاص في الوحل . فتقدمت لمساعدته وانتشلته بمشقة فشكرني على صنيعي ، إلا أني لحقته إلى داره إذ كنت أحب دائماً أن يشكرني الناس عند أبواب دورهم ، فألقى على القسيس مائة سؤال وسؤال : ابن من أكون ؟ ومن أين جئت ؟ وهل أكون أميناً ؟ فأجبته كما يجب مؤكداً له بأني لم أذق الخمر في حياتي قط (لي الشرف يا مولاي أن أشرب نخب صحتك) ، وبأني من أتقى خلق الله نفساً وأرجحهم عقلا . وقصارى الكلام ، لقد كان بحاجة إلى خادم فاستخدمني ولكني لم أعش معه إلا شهرين ، ذلك لأنه لم يكن يحب أحدنا الآخر . فقد كنت أكولا وهو لم يكن يطعمني إلا ما يسد الرمق . وقد كنت مغرماً بالجواري الرعابيب على حين أن خادمته العجوز كانت شرسة الطباع قبيحة الصورة . ولقد تآمرا فيما بينهما على قتلي جوعا فعقدت العزم على أن أحول دون اقترافهما جريمة القتل . كنت أسرق البيض حال وضعه ، وكنت أفرغ في جوفي ما يتبقى في قناني الشراب التي تقع في يدي ، وكان كل ما أصادفه في طريقي من الأكل لابد أن يختفي في لمح البصر . وقصارى الحديث لقد رأيا أن لا فائدة من بقائي ففصلت صباح يوم من الخدمة ودفع لي ثلاثة شلنات وستة بنسات لقاء أجور شهرين كاملين .

« وبينما القس يعد الدراهم كنت أنا أتهيأ للرحيل . كانت ثمة دجاجتان تبيضان فدخلت عليهما كالعادة وأخذت البيضتين . ولقد عز على أن أفرق بين الأم وولدها فأخذت الدجاجتين أيضاً ووضعت الكل في حقيبتي وقفلت راجعاً لتسلم أجوري . فلما

أزف الرحيل وقفت ، والحقيبة على ظهرى والعصا فى يدى ، أودع الشيخ والعبرات تنهمر من عينى . لم أبتعد عن الدار إلا خطوات حتى سمعت صوتاً من ورائى يصيح « اقبضوا على اللص » ولكن الصوت زاد فى سرعتى فانطلقت كالسهم ، وإن كنت أعلم علم اليقين أن الصوت لم يكن موجهاً ضدى . ولكن مهلا ... يخيل لى أنى قضيت ذينك الشهرين بلاشراب . هات ياصاح ، فإن الأيام عصيبة وليكن هـذا الذى أحتسيه سماً فى جوفى إن أنا قضيت شهرين آخرين من حياتى فى ورع مصطنع وزهد سخيف .

« لم أترك خدمة القس حتى أخذت فى التطواف ، وبعد أيام من تجوالى عثرت على جوقة من الممثلين المتجولين فما رأيتهم حتى هفا لهم قلبى ، ذلك لأن حبى للتشرد والمتشردين طبيعى لا تكلف فيه . كانوا منهمكين فى ترتيب حقائبهم التى انقلبت فى طريق ضيق فعرضت عليهم مساعدتى فقبلوها . وما أسرع ما تعارفنا وتآلفنا فأخذونى خادماً لهم . كانت الحياة مع هؤلاء جنـــة حقا فهم لا ينفكون يغنون ويأكلون ويقصفون ويطوفون فى آن واحد . وحياة الأنبياء ما كنت أحسبنى أعيش قبل ذاك ، فقد أصبحت من أمرح الناس طراً ؛ وكنت دائم الضحك لسبب أو لغير سبب . ولقد أحبونى كما أحببتهم وكان لى ، كما ترى ، شأن كبير ولكنى على فقرى ، لم أكن معتدلا فى حياتى .

« إن حياة التشرد كما أسلفت أحب إلى من كل شىء فى العالم . فاليوم حر وغدا قر ، واليوم عسر وغدا يسر . آكل متى وسعنى الحصول على الطعام ؛ واشرب (القدح فارغ) متى وجدت الخمر إزائى . لقد وصلنا « تنتردن » ذلك المساء فاستأجرنا غرفة واسعة حيث عزمنا على إخراج رواية « روميو وجولييت » فقام بدور « روميو » أحد الممثلين من مرسح « دروری لين » وقامت بدور « جوليت » سيدة لم يسبق لهـا الظهور على المرسح ، بينما أخذت أنا على عاتقى إطفاء الشموع . كان التمثيل بالنسبة لنا ، رائعاً على الرغم مما كان ينقصنا من وسائل ، فإن الثوب الذى كان يرتديه « روميو » كنا نقلبه على بطانته الزرقاء فيصلح لباساً لصديقه « مركوتيو » وأن قطعة من « الكرب » كبيرة كانت تكفى فى آن واحـد فستاناً « لجوليت » وغطاء للنعش . ولم يكن لدينا ناقوس فاستعضنا عنه بهاون استعرناه من صيدلية مجاورة ثم جمعنا عائلة صاحب الدار فدثرناهم بملاءة بيضاء لإكمال الموكب . وقصارى القول ، لم يكن ثمة سوى ثلاثة ممثلين نستطيع أن نقول بأنهم كانوا يرتدون ألبسة لا غبار عليها وهم الممرضة والصيدلى الجوءان وأنا . كان التمثيل ، كما قلت ، رائعاً ؛ ولقد هتف لنا الجمهور طويلا ، ولا عجب ، فإن لسكان « تنترن » ذوقا .

« فإذا أراد الممثل الجوال لنفسه النجاح فما عليه — على حد تعبيرنا — إلا أن يبالغ فى محاكاة الشخصية التى يقوم بتمثيلها . ذلك لأن مراعاة الدقة فى الكلام والحركة ومحاولة إبراز الشخصية على صورتها الطبيعية لا يسمى تمثيلا ولا هو مما يأتى الناس لشاهدته . أن الحوار الطبيعى الذى لا تكلف فيه هو كالسلاف الحلو المذاق ينحدر إلى الحلق بسهولة دون أن يترك وراءه طعماً ، على حين أن الإمعان فى المغالاة والمبالغة كالخل يثير الإحساس ويشحذ الذوق ولا يشعر به إلا شاربه . وعليه فإن رمت إرضاء الناس وجب عليك أن تصرخ وتتلوى وتنطع بكلامك وتضرب جيوبك وتظهر أمام النظارة كأنك تعانى آلاماً مبرحة ؛ فإن أنت عملت كل هذا فزت باستحسان الناس وأصبحت ممثلا يشار إليك بالبنان .

« ولما كان التوفيق حليفنا كان من الطبيعى أن أعزو قدما من النجاح لنفسى . لقد أطفأت الشموع ؛ ودعنى أقول لك إنه لولاى لفقدت القطعة نصف رونقها .

« ظللنا نمثل على هذه الصورة أسبوعين كاملين كانت الدار فى أثنائها تكتظ بالنظارة . وقبل الرحيل بيوم واحد أعلنا على الملأ بأنا سنختتم موسمنا بأعظم رواياتنا التى سنبذل فى سبيل إخراجها كل ما لدينا من جهد ومال . ولقد كنا نعلق آمالا جساماً فضاعفنا الأجرة . وبينا نحن فى نشوة الأمل غارقون إذا بكبير ممثلينا يصاب بحمى صالب ؛ فذعرنا وشق ذلك على جماعتنا الصغيرة فقررنا الذهاب إليه جميعنا لتوبيخه وزجره لمرضه فى وقت غير مناسب كهذا ، وخاصة لابتلائه بمرض قد يحتاج لمعالجته مالاوفراً . فانتهزت أنا هذه الفرصة وعرضت نفسى لأحل محله فقبلونى ، فجلست تواً ، والدور فى يدى والكأس أمامى ، (نحب صحتك مولاى) أدرس الشخصية التى سأؤدى الامتحان عنها غداً وأقوم بتمثيلها بعد ذلك بقليل .

« ولقد وجدت أن ذاكرتى تسعفنى كثيراً وقت الشراب إذ تعلمت دورى بسرعة مدهشة فطلقت دور « إطفاء الشموع » منذ ذلك الحين لأن الطبيعة قد أعدتنى لوظيفة أسمى من هذه وأشرف ، ولقد قطعت على نفسى عهداً ألا أخيب ظنها بى .

« فلما كان الغد اجتمعنا لأجراء « البروفا » فأخبرت زملائى ، وقد كانوا أساتذتى بالأمس ، عن التغيير العجيب الذى طرأ على وقلت : ليطمئن المريض فى فراشه ولا يشقين نفسه فى أمر الشفاء فإنى سأقوم بدوره أحسن قيام ، وسيدهش الناس من براعتى ونبوغى وليمت إن شاء فإنى أعده بأنه سوف لن يفتقد .

« ابتدأنا بالبروفا ، فرحت أتبختر أمامهم وألغط بكلام غير مفهوم فيعج المكان بالتصفيق والاستحسان وسمعت ، أو يخيل لى أنى سمعت صوتاً يقول : « ها قد بزغ نجم متألق فى سماء التمثيل » فلم يعد السكون يسعنى فقررت بينى وبين نفسى على أنى لما كنت السبب فى استدرار المال على الجمعية فيجب أن يكون لى فى الربح نصيب . فأنشأت أخاطب الجماعة قائلا : « أيها السادة ، إن الذى سأقوله لكم ليس أمراً أريد فرضه عليكم كلا . فلست والحمد لله ناكراً للجميل إلى هذا الحد . ولكن لما كنتم قد تفضلتم على بنشر اسمى فى الإعلانات ، وتلك منة لن أنساها ما حييت ، فلا يسعكم والحالة هذه الاستغناء عنى . ولذلك فإنى أرجو أن تدفعوا لى جعلا أسوة بكم . وإلا عدت إلى دورى القديم وهو « إطفاء الشموع » . لقد كان هذا الاقتراح شديد الوطأة عليهم ، ولكن لا بد مما ليس منه بد ، فأذعنوا وأنوفهم فى الرغام . فلما حان الوقت ولجت المرسح فى ثياب الملك « بجازات » وحاجباى القطنيان قد شد طرفهما بجورب دس فى عمامتى ويداى المغلولتان تلوحان بالسلاسل . لكأن الطبيعة قد اختارتنى لهذا الدور فقد كنت مديد القامة جهورى الصوت . وإن مجرد دخولى المرسح آثار عاصفة من الهتاف والتصفيق ، فدرت بنظرى على الجمهور مبتسما وانحنيت أمامهم انحناءة كاد فيها رأسى يلمس الأرض ، فتلك عادة شائعة بيننا . ولما كان الدور عاطفيا للغاية ، فقد أنعشت نفسى بثلاث كئوس ملآى (الكأس موشكة على النفاد) من الكونياك . لله ما أروع الدور الذى قمت به ! إن « تامرلين » يكاد يبدو ضئيلا بجانبى . وهو وإن كان صوته يرتفع أيضاً فى بعض الأحيان ، إلا أن صوتى كان يعلو عليه ، كان لى ثمة مواقف كثيرة مجيدة ، منها أنى كنت أطوى يدى هكذا فوق سرتى ، وهى عادة مستحبة فى « دروري لين » وإذا أنا رحت فى تعداد مزاياى لنفدت الكأس قبل أن أنتهى من سردها . وقصارى الكلام ، إن تمثيلى كان أعجوبة الأعاجيب مما جعل أعيان البلد من الرجال والنساء يتهافتون على بعد انتهاء التمثيل لتهنئتى على نجاحى الباهر ، فمنهم من مدح صوتى ، ومنهم من أثنى على قامتى ، ولقد سمعت امرأة العمدة تقول : « أقسم لكم بشرفى إنه سيصبح من أقدر الممثلين فى أوربا ، أقول ذلك عن علم ودراية ، وإن لى فى هذا الفن لذوقاً »

« إن المديح الذى يغمرنا به الناس فى أول عهدنا بالتمثيل شىء طبيعى ومقبول ولا يقصد منه سوى التشجيع ، ونحن نتقبله شاكرين ، ونعده فضلا منهم علينا ، أما إذا استمر المديح وكثر فنحن والحالة هذه نعتبره ديناً لنا عليهم نتقاضاه منهم بمقدرتنا ونبوغنا ، وعليه عوضاً عن أن أشكرهم كنت فى داخلى أثنى على نفسى . ولقد طلب إلينا الجمهور إعادة القطعة للمرة الثانية فأجبناه إلى طلبه ، وكان نصيبى من الثناء أكثر من ذى قبل

وأخيراً تركنا المدينة لنحضر سباقاً للخيل ، وسوف لا أذكر « تنتردن » إلا انهمرت من مآقى دموع الامتنان والاحترام ، ذلك أن السيدات والسادة هناك كانوا على جانب عظيم من الدراية بالتمثيل والممثلين . هات لنشرب ، نشدتك الله نخب صحتهم ؛ قلت تركنا المدينة ، ولقد كان ثمة فرق عظيم بين دخولى إليها وخروجى منها ، دخلت المدينة ممثلا حقيرا وخرجت منها بطلا كبيرا ، تلك هى الحياة ، تقبل يوماً وتدبر يوماً ، وإن شئت لتوسعت فى الموضوع ولذكرت لك شيئاً كثيراً عن تصاريف الزمان وتقلبات الأيام ، ولكن ما لنا ولهذا ، فإن فى إثارته ، إثارة لكامن شجوننا .

« انتهى السباق قبل أن نصل المدينة الثانية التى خذلتنا جميعاً ، ولكن لس من السهل قهرنا ، ذلك أننا عزمنا على أن نجرب حظنا عسى أن نظفر منها ببعض الذى ظفرنا به فى المدينة الأولى . وقمت أنا بالأدوار الرئيسية وارتفعت فيها إلى الذروة كالعادة . وإنى لا أزال أعتقد لو أن مسكانى أعطيت ما تستحقه من العناية

والرعاية لأصبحت اليوم من أبرز الممثلين فى أوربا ، إلا أن عاصفة هوجاء اقتلعتنى فى مهدى وردتنى إلى مستوى النوناء . كنت أمثل دور السير «هاردى ولدن» فأدهشت السيدات براعتى وأطربتهن . فإن أنا أخرجت علبة الشمس ضجت القاعة بالضحك ، وإن أنا لوحت بهراوتى فى السماء سرت فى النظارة قشعريرة الخوف والفزع .

« وكان ثمة سيدة سبق لها أن تثقفت فى لندن لمدة تسعة أشهر فأخذت تزعم لنفسها الإلمام بالمسائل الفنية مما جعلها قبلة الأنظار فى أى محفل حلت . وقد أخبروها عنى وعن موهبتى ولكنها رفضت ، أول الأمر ، الذهاب لمشاهدة تمثيلى ، زاعمة أنها لا تتوقع من ممثل جوال ضئيل الشأن مثلى أن يجيد التمثيل . ثم مالت بالحديث إلى الممثل الذائع الصيت «كاريك» فأطرته وعددت مزاياه وأدهشت السيدات بنبراتها العذبة وصوتها الرصين . ولقد أقنعوها آخر الأمر بمشاهدتى ، وترامى إلى سراً أن جهبذة من أبرز جهابذة العصر فى شئون المسرح ستحضر الحفلة المقبلة ، ولكن ذلك لم يخفنى فظهرت فى ثياب السير « هاردى » واضعاً يداً فى جيب البنطلون والأخرى على صدرى ، كما هى العادة فى «دروري لين» . إلا أن النظارة ، عوضاً عن أن ينظروا إلى ، اتجهوا بأنظارهم إلى السيدة التى قضت تسعة أشهر فى لندن ، ليتلقوا حكمها الذى إما سيرفعنى إلى مصاف النابغين من الممثلين أو سيدفعنى إلى الحضيض . أخرجت علبتى ، فأخذت منها نشقة ، ولكن السيدة لم تحرك ساكناً وكذلك النظارة . فأخذت عندئذ هراوتى وأهويت بها على ظهر العمدة المهرب حتى تكسرت ، فما تململ أحد ، كأنما الوجوم قد نشر أطنابه على الحاضرين فدمدت السيدة وغمغمت وهزت كتفيها استخفافاً ، فحاولت بضحكى أن أفوز منهم ولو بابتسامة ولكن وجوههم الباسرة ازدادت إغراقاً فى العبوس ، فدارت بى الدنيا وأصبحت حركاتى مصطنعة وضحكاتى « هستيرية » . ومهما تكلفت إذ ذاك من المرح وخفة الروح ، فإن عينى كانتا تفيضان بما كان يجثم على صدرى من الهم والغم . وقصارى الكلام ، لقد حضرت السيدة وفى عزمها إيذائى وقد فعلت ، سامحها الله ، وهكذا انتفت شهرتى ونفد شرابى بينما أنا لا أزال ، كما ترى ، حياً أرزق .

يوسف روشا

إنه فى يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٤٥ إبتداء من الساعة ٨ أفرنكى صباحا والأيام التالية بورشة الخواجة أبادير بشاى بشارع الركبى نمرة ٢ بحوض الزهور قسم بولاق .

سيباع بالمزاد العلنى عدد ٤ ماكينة لعمل المسمار الابرة وعدد ١ مخرطة ٦ قدم وميزان طبليه مبينة الوصف بمحضر الحجز المتوقع بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٤ ملك الخواجة ليون أبو العافية نفاذاً لحكم فى القضية رقم ٣٦٣٧ سنة ١٩٤٤ كلى مصر وفاء لسداد مبلغ ٢٦١ ج و٨٨٥ مليم قيمة المحكوم به والمصاريف وأتعاب المحاماه وأجرة النشر مرتين ورسم التنفيذ وكالة الرسم وما استجد من الإيجار لغاية أغسطس سنة ١٩٤٥ ورسم إعادة الاجراءات وذلك بعد خصم مبلغ الثلاثون جنيها مصريا المدفوعة عند البيع الأول .

وهذا البيع بناء على طلب الخواجة أبادير بشاى التاجر بشارع السبتية ن ١٤ بمصر والمتخذ له محلا مختاراً مكتب حضرة الأستاذ زكى أفندى ميخائيل المحامى بشارع شبرا ن ٤٧ بمصر .

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة ما

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٢٩ — الاثنين ٢٣ يوليو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ . ٧

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 629

Lundi - 23 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٢٩ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الصوت والشخصية

للأستاذ عباس محمود العقاد

بحث أصحاب الموسيقى فى الصوت الإنسانى من نواحيه الفنية فقالوا فيه كل ما يعنيهم أن يقولوه ، ولكننى لا أظنهم وفوه بحثاً من ناحية فيه جديرة بالدراسة الطويلة ، لأنها تفضى بنا إلى استطلاع أسرار النفس وتركيب الشخصية الإنسانية ، ونعنى بها ناحية العلاقة بين الأصوات والشخصيات

تلقى إنساناً فى الطريق فتتوقع أن تسمع له صوتاً معيناً يناسب ما رأيته من ملامحه الشخصية ، ثم يتكلم فتسمع منه ذلك الصوت الذى توقعته ، أو تسمع صوتاً لا يلفتك إلى غرابة فى التوفيق بين ما رأيت وما سمعت

وتلقى إنساناً آخر فيتكلم ، فإذا أنت قد فوجئت بصوت لا تنتظره ، ولا يبدو لك أنه يناسب تلك الشخصية فى جملة مظاهرها ، ولا يرجع الأمر إلى القوة والضعف أو الارتفاع والهبوط ، فقد يكون الصوت قوياً كما توقعته ، ولكنه من معدن غير معدن الشخصية التى وزنتها بالعين والبديهة والخيال

برزت هذه المسألة عندى بروزاً واضحاً بعد انتشار الصور المتحركة الناطقة وظهور الساسة والعظماء فيها متحدثين أو خطباء أو منشدين ، ولم يلفتنى الأمر من جانب الممثلين والممثلات ، لأن الذين يختارونهم يتعمدون اختيارهم وفاقاً لوقع الصوت والمنظر فى نفوس المشاهدين ، وإنما لفتنى من جانب الوزراء والقواد والرؤساء ، لأن أصواتهم بعيدة من توفيقات ذلك الاختيار المقصود

فمن الأصوات التى قرأت عن أصحابها ورأيت صوراً لهم ، وعرفت أخباراً عنهم ، ثم سمعتهم فلم أشعر بالغرابة فيها ، سمعت صوت فرنكلن روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق وهو يخطب فى البرلمان ويتحدث إلى الصحفيين ، فلم يكن فى حديثه ولا فى خطابته يخالف ما توقعت من صفة الصوت ولا من نبرته وإيقاعه ، بل خيل إلى أن صوت روزفلت لا يمكن أن يكون إلا على هذه الصفة وهذا الإيقاع

أما الأصوات التى استغربت أن تكون لأصحابها ، فمنها صوت شرشل وصوت مصطفى كمال ، وليس ذلك لضعف فيهما أو مناقضة لصفات الرجلين الرفيعة ، ولكن لأنها من معدن لا يطابق ما ترتسم فى نفسك من صورة الشخصية كما تتخيلها وأنت تسمعها . ويزيد دلالة هذه الملاحظة أن الصوت ليس هو الشىء الوحيد الذى تستغربه من شخصية بطل الترك أو بطل الإنجليز ؛ فإن عزيمة شرشل الحديدية تتراءى لك كأنها فى قناع وراء ملامحه الممزوجة بملامح الطفولة والوداعة ، وتتراءى لك طبائع مصطفى كمال الغلابة وكأنها

تتردد فى اتخاذ تلك المعارف الوجهية التى تطل منبا فى بعض حالاته.

فإذا أردنا أن نقول إن العلاقة بين الصوت والشخصية لا تختلف عرضاً واتفاقاً وجدنا الشواهد على ذلك ماثلة فى أحوال الاتفاق وأحوال الاختلاف بين الأصوات والشخصيات

ومن المحقق أن قوة الصوت أو ضعفه لا ترتبطان بالحنجرة وحدها ، أو بأجهزة الصوت المحلية فى مجارى التنفس بين الحلق والرئتين . فإن هذه الأجهزة المحلية قد تكون على ضعف ظاهر من الوجهة الصحية ، ولكنها تعطيك صوتاً قوياً يروع السامع وينقل عن « شخصية » صورة تنم على القوة والتأثير . ولا شك أن مئات بين النساء أصح حنجرة وصدراً من مئات بين الرجال ، ولكنك تسمع هؤلاء الرجال وأولئك النساء ، فلا تخطىء الفرق بين قوة الأصوات هنا وقوة الأصوات هناك . ولعلك لا تخطىء الاستدلال على القوة من صوت المرأة نفسه إذا كانت على نصيب من قوة الشخصية وصدق العزيمة . مما يوحى إلينا أن الرخامة لا تحرم الصوت مزية التعبير عن الصفات الشخصية ، حيث تغلب الرخامة على أصوات النساء

وعندك أناس تنطمس فيهم معالم الشخصية . فلا تستغرب لهم صوتاً من الأصوات كائناً ما كان ، ولكنك لا تحس أمامك شخصية واضحة المعالم إلا قرنتها بصوت تتوقعه واستغربت أن تسمع لها صوتاً آخر غير الصوت الذى يناسبها فيما يبدو إليك . ودع عنك دلالة الصوت على التهذيب والتربية ، فإن هذا قد يرتبط بأداء المعانى وانتقاء الكلمات وصقل المخارج والعبارات ، ولكنك إذا أغضيت النظر عن هذه العوارض التى تكتسب بالتعليم بقيت للصوت صفة أصيلة تنم على العقل ولا يسهل أن تختلط فيها أصوات العارفين وأصوات الجهلاء ، أو أصوات العقلاء وأصوات المجانين

والمسألة فيما أراه قابلة للتعميم فى أوسع نطاق ، فإن ارتباط الصوت بالخصائص البدنية والخلقية يعم سائر الأحياء ولا ينحصر فى الإنسان وحده ، بل ربما تجاوزنا الأحياء إلى كل كائن من الكائنات له صوت معروف ومعهود

ما قولك مثلا إذا سمعت زئير الأسد من الحصان ؟ أو سمعت مواء الهرة من الخروف ؟ أو سمعت عواء الذئب من الثعبان ؟

ليس من اللازم أن يكون صوت الأسد مطابقاً للزئير الذى عرفناه وعهدناه ، غير أننا إذا سمعنا الزئير من الحصان وسمعنا الصهيل من الأسد شعرنا بالغرابة ولا مراء ، وشعرنا بين الصوتين والحيوانين باختلاف يحتاج إلى تصحيح ، ويبدو لنا أننا نشعر بهذا الاستغراب وإن سمعنا الصوتين لأول مرة بمعزل عن أثر العادة وطول التمييز بين مصدر الزئير ومصدر الصهيل

ولماذا مثلا لم توهب ملكة التغريد إلا للمخلوقات التى تطير فى الهواء ؟ ولماذا كانت هذه الملكة فى تلك المخلوقات وقفاً على الطيور الصغيرة الوديعة دون الطيور الكبيرة الكاسرة ؟ ولماذا هذا الاختلاف بين النسور والبلابل ، أو بين الصقور والقمارى ، أو بين العقبان والعصافير ؟

إن الخلائق التى تمشى على الأرض تعبر عن خوالجها ببعض الأصوات المعهودة ، ولكنها لا تحسب من قبيل التغريد والغناء ، وكذلك النسور والصقور والعقبان تدلك بأصواتها على رضاها وغضبها وعلى مناجاتها وندائها ، وتقصر عن تمثيل تلك الأصوات فى أنغام كأنغام الطيور التى تحسن الصفير والهديل . فهناك ارتباط وثيق إذن بين تكوين الجسم كله وتكوين الخلق فى صميمه ، وبين طبيعة الصوت وقدرته على ترجمة « الشخصية » لمن يصغى إليه .

وليس اتفاقاً ولا خلواً من المعنى أن يغنى البلبل والعصفور ، ولا يغنى الأسد والثعلب ، وأن يكون التغريد على العموم مرتبطاً بالقدرة على الطيران ، فإن الصوت هنا ترجمان صادق يلخص لنا كثيراً من الخصائص المتفرقة التى تتغلغل فى طبيعة البيئة وطبيعة البنية وطبيعة الشخصية فى أوسع حدودها ، وتلهمنا المعانى التى يمكن أن نستخرجها من تحقيق العلاقة بين أصوات الناس ومعالم الشخصيات ، فتفتح لنا فتحاً موفقاً فى عالم النفس وأسرار الأخلاق ، وتنشىء لنا فراسة جديدة تنم على السريرة بالسماع

ومن الأصول التى يعتمد عليها البحث فى هذا الموضوع أننا كما قدمنا نربط بين الصوت والشخصية ونتوقع من كل شخصية معروفة صوتاً يناسبها ويعبر عنها ، وإن اتفاق الصوتين بين الآدميين

فى إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٩ —

* ج ٧ ص ٨ :

لا زال شكرى لها مواصلا دهرىَ أو يعتاقنى صرف الفنا

قلت : البيت من (المقصورة) المشهورة ، وقد حرص ابن دريد على أن تشمل جميع المقصور . و (الفنا) هنا — وهو من الممدود (الفناء) لا من المقصور — إنما هو (المنى) أى القدر كما فى الصحاح . وفى شرح المقصورة (طبعة الجوائب) : « المنى بفتح الميم القدر ، قال :

ولا تقولن لشيء سوف أفعله حتى تبَيَّن ما يَمنى لك المانى

أى حتى تعرف ما يقدر لك المقدر . وفى هذه الطبعة (ممدودة) منسوبة إلى ابن دريد مطلعها :

لا تركنن إلى الهوى واحذر مفارقة الهواء

ومنها :

وأرى الفنى يدعو الغنى (م) إلى المــلاهى والغناء

* ج ١٦ ص ٣١١ :

فى موقف يسلب الأرواح سالبها حيث المواضى قواض والقنا سَلَبَ

قلت : جاءت (سلب) بفتح السين واللام وهى (سُلُب) بضم الأول والثانى جمع سلوب أى مستلبة للنفس كما فى (المخصص) وبيت القطامى[1] :

ومن ربط الجحاش فإن فينا قنا سلباً وأفراساً حسانا[2]

يروى على وجهين : قال التبريزى فى (شرح الحماسة) : فالسلب بكسر السين الطويل صفة الواحد ، وقد يوصف الجمع بصفة الواحد إذا كان على بنائه ، وسُلُب جمع سلوب أى تسلب الأنفس .

قلت : وهذا ما قصده (القاسم بن على الواسطى) فى بيته . والسلب بالتحريك ما يُسلب أى الشيء الذى يسلبه الإنسان

(١) بفتح القاف وضمها ، وفى إحدى مقالاتى (فى العقد) فى الرسالة ٤٠٢ بحث فى هذا الاسم .

(٢) يقول : من ربط الحمر واقتناها وكان عيشه منها فانا أرباب الغزو (التبريزى) .

أندر من اتفاق الوجهين ، وهو خلاف المشاهد بين الأحياء الدنيا التى تكاد تتشابه فى أصواتها ولا يشذ منها واحد فى العشرات أو المئات ، ومعنى ذلك أن المسألة أقرب إلى العلاقة النفسية أو العلاقة المعنوية منها إلى العلاقة الجسدية ، لأن الاختلاف الجسدى قوة وضعفا وصحة ومرضاً ، موجود بين الأحياء الأخرى ، فلو كان هو المرجع فى اختلاف الصوت لكان التفاوت فى الصهيل بين مئات الخيل كالتفاوت فى نغمة الصوت وإيقاعه بين مئات الآدميين ، وإنما يقع هذا التفاوت البعيد بين الشخصيات الآدمية من جانب الفوارق العقلية والنفسية وفوارق الملكات والأخلاق ، فإذا استطاع باحث من علماء الصوت وعلماء النفس معاً أن يعقد الصلة بين مقومات الشخصية ومقومات الصوت الإنسانى ، فقد ترجم الإنسان للآذان ، فضلا عن ترجمته أو تفسيره للبداهة والأذهان وهذه دائرة من دوائر البحث الفنى أو العلمى تتسع لمن يشاء من المعنيين بالأصوات أو بالحقائق النفسية ، فليس منا إلا من يقابل أناساً يسمع أصواتهم ويستغرب بعضها أو يمر به بعضها الآخر مرور المألوفات التى لا غرابة فيها ، فإذا شغل نفسه قليلا بتفسير أسباب الموافقة والمخالفة بين الشخصيات وأصواتها ، فلا شك أنه مهتد إلى شيء يفيده فى هذا الباب ، وإذا تجمعت هذه الملاحظات وحسن التعقيب عليها والاستخلاص منها ، فقد تتقرر بها بعض القواعد التى تقيم لنا علماً صحيحاً عن العلاقة بين الصوت الإنسانى والشخصية الإنسانية ، وييسر لنا البحث فى هذا الصدد أننا نعيش فى عصر المذياع والصور المتحركة ، ونستطيع أن نمتحن الفراسة بسماع الصوت دون رؤية الشخصية أو بتغيير الأصوات والشخصيات بالحيل الفنية المعروفة ، وليس فى المباحث النفسية أو الموسيقية ما هو أحق بالعناية من هذا البحث الطريف

عباس محمود العقاد

من الغنائم ويتولى عليه كما في التاج . قال أبو تمام في البائية العبقرية :

لم ينفق الذهب المربى بكثرته على الحصى وبه فقر إلى الذهب
إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

* ج ١٢ ص ٨٥ : وذكره (أي ابن جنى) أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي في (دمية القصر) فقال : ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ماله ، فقد وقع عليها من ثمرات الأعراب ، ولا سيما في علم الإعراب . ومن تأمل مصنفاته ، وقف على بعض صفاته .

قلت : هذا ما جاء في الدمية بعد (ماله) : « ولا سيما في علم الأعراب فقد وقع عليها من ثمرة الغراب » .

قلت : والصواب : « .. ماله ولا سيما في علم الإعراب فقد وقع منها على تمرة الغراب » بالتاء لا بالثاء . والقول من المثل : « وجد تمرة الغراب » قال الميداني في (مجمع الأمثال) : يضرب لمن وجد أفضل مايريد ، وذلك أن الغراب يطلب من التمر أجوده وأطيبه[1] . وضمير منها يعود إلى المشكلات والمقفلات .

* ج ٦ ص ١٦ : وأنت مالك والغناء ، ومايدريك ما هو؟

قلت : جاءت (والغناء) مجرورة وحقها النصب ، والقاعدة معروفة . ومن أبيات (الكتاب) والشعر لمسكين الدارمي :

فما لك والتلدد حول نجد وقد غصت تهامة بالرجال[2]

قال الشنتمري : الشاهد فيه نصب التلدد بإضمار الملابسة إذ لم يمكن عطفه على المضمر المجرور .

* ج ٣ ص ٤٣ : إني أخاف عليه لَفْعة العين .

قلت : لقمة العين ، بالقاف لا بالفاء . في الأساس : لقمه بعينه إذا عانه . وفي اللسان : في حديث سالم بن عبد الله (بن عمر) أنه دخل على هشام بن عبد الملك ، فقال : إنك لذو كِدْنة ، فلما خرج من عنده أخذته قفقفة أي رعدة ، فقال : أظن الأحول لقمني بعينه أي أصابني بعينه يعني هشاماً ، وكان أحول .

والكدنة كثرة الشحم واللحم ، غلظ الجسم وكثرة اللحم كما في التاج . وفي الكامل : نظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة فقال : يا هذا ، إني لأرى عليك قطيفة[1] من نسج أضراسك .

* ج ٢ ص ٢٨١ : قال جحظة : دعوت فَضيلا الأعرج ، وكان عندنا جماعة فكتب إلينا :

أنا في منزلي وقد رزق الله (م) نديماً ومُسمعاً وعُقارا
فاعذروني بأن تخلفت عنكم شغل الحلي أهله أن يعارا

قلت : لا مسمّى بفضيل — كسميع — عندهم . هناك فضل وفُضَيل وفضالة — كسحابة ويضم — و (شغل الحليُ أهلَه أن يعار) برفع الحلي ونصب أهله ، وهو من أمثالهم[2] .

* ج ١٧ ص ٢١٠ :

يا عجباً لشيخنا الأهوازى يُزهى علينا وهو في هَوَانِ

وجاء في الشرح : الهوان : الذل .

قلت : (يا عجبا) غير منون لأنه ينادي عجب نفسه ، لا عجبا نكرة غير مقصودة ، والأصل (يا عجبي) أبدلت أو قلبت ياء المتكلم ألفاً . وقد تكررت الكلمة بذلك الضبط في الكتاب . و (هوان) هو (هوّاز) بالزاي . يُزهى علينا وهو جاهل ، مبتدئ ، في التهجي . والبيت لابن الأشرس في أبي الحسن الأهوازي .

* ج ٤ ص ١٥١ : ... ثم ضرب الدهر مَن ضَرَبه فرأيت ابن ثَوابة قد دخل إلى أبي الصقر بواسط فوقف بين يديه .

قلت : (ضرب الدهر مِن ضَرِبه) في النهاية : فضرب الدهر من ضرَبانه ويروى من ضربه أي مر من مروره وذهب بعضه . وفي التاج : وضرب الدهر ضربانه : أحدث حوادثه . ومن سجعات الأساس : لحا الله تعالى زماناً ضرب ضربانه ، حتى سلط علينا ظَرِبانه . وقد منع (واسط) من الصرف هنا وفي مواضع كثيرة من الكتاب . وسيبويه يقول : وأما واسطٌ فالتذكير والصرف أكثر .

---

(١) الأساس : وجد عنده تمرة الغراب أي ما أرضاه . التاج : وجد تمرة الغراب وذلك أنه يتبع أجود التمر فينتقيه . قلت جاءت تمرة والتمر في التاج بالثاء ، وهما بالتاء .

(٢) يقول : مالك تقيم بنجد وتتردد فيها مع جدبها وتترك تهامة خصبها . والتلدد الذهاب والمجيء حيرة وأصله من اللديدين وهما صفحتا العنق (الشنتمري) .

---

(١) دثار مخمل .

(٢) أي أهل الحلي احتاجوا أن يعاروه على أنفسهم فلذلك لا يعيرون ، وهذا قريب من قولهم : شغلت شعابي جدواي . يضربه المسئول شيئاً هو أحوج إليه من السائل . الجدوى : العطاء . أي شغلتني النفقة على عيالي عن الأفضال على غيري (الميداني) .

* ج ١٩ ص ١٨٩ :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثروا

للموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان بقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف

وجاء فى الشرح : كانت هذه الكلمة بقائه (لقائه) . قلت : « الحياة فاسرفوا » « فى الموت » « منها أمان لقائه بلقائه » كما روى الثعالبى فى « الإيجاز والإعجاز » والبيتان لمنصور بن اسماعيل المصرى الفقيه الضرير . ذكره ابن خلكان وسرد شيئاً من أخباره ، منها أنه أصابته مسغبة فى سنة شديدة القحط فرقى سطح داره ، ونادى بأعلى صوته فى الليل :

الغياث الغياث يا أحرار نحن خلجانكم وأنتم بحار

إنما تحسن المؤاساة فى الشدة (م) لا حين ترخص الأسعار

فسمعه جيرانه ، فأصبح على بابه مئة حمل برّا (قمحا) قلت : فى الأساس : وأطعمنا ابن برّة وهو الخبز .

* ج ١٤ ص ٢٤٦ : ولقى (على بن محمد بن دينار) المتنبى فسمع منه ديوانه ، ومدحه بقصيدة أولها :

ربّ القريض إليك الحل والرّحَلُ

ضاقت على العلم إلا نحوك السبُلُ[1]

تضاءل الشعراء اليوم عند فتى صعاب كل قريض عنده ذُلُلُ

قلت : الرّحَلُ جمع رحلة .

* ج ٧ ص ٢٠٠ : وله (لجعفر بن محمد الموصلى) :

وما الموت قبل الموت غير أننى أرى ضرعاً بالعسر يوماً لذى اليسر

قلت : ربما كان الأصل بهذه الصورة :

وما الموت قبل الموت عندىَ غير أن

أرى ضرعاً بالعسر يوماً لذى اليسر

* ج ١٦ ص ٤٤ : وتصدر (ابن العديم) وألقى الدرس بجنان قوى ولسان لوذعى فأبهر العالم ، وأعجب الناس .

قلت : الظن أن (العالم) هى (العلماء) و (أبهر) إنما هى (بهر) وهذه تتعدى و (أبهر) فعل لازم . فى اللسان والتاج : أبهر الرجل : جاء بالعجب ، وأبهر إذا تلون فى أخلاقه دماثة مرة وخبثاً أخرى . وأبهر إذا تزوج بهيرة مهيرة[1] ...

* ج ٢ ص ١٣ : وأنشدنى أبو البركات لوالده :

أنا ابن سادات قريش وابن من لم يبق فى قوس الفخار منزعا

وابن علىّ والحسين وهما أبر من حج ولبى وسعى

من كل بسام المحيا لم يكن عند المعالى والعوالى ورعا

طابت أصول مجدنا فى هاشم فطال فيها عودنا وفرّعا

قلت : ضبطت (ورعا) بكسر الراء وإنما هى بفتحها هنا . والورع بالتحريك الجبان والورع بكسر الراء الرجل التقى كما فى الصحاح . والفعل للتقى ورع يرع رعة وورعا . والفعل للجبان ورع يورُع ورْعا بالضم ساكنة الراء .

* ج ١٦ ص ١٤ :

سقت عهودهم غداء واكفة تهمى ولو أنها من أدمعى تكف

وجاء فى الشرح : الغداء : الغادية وهى السحابة تنشأ غدوة .

قلت : الغادية كما فسرت . ولم أقف على الغداء فى معجم أو كلام . وعندى أنها (عزّاء) . فى اللسان : العز المطر الكثير ، أرض معزوزة أصابها عز من المطر . والعزاء : المطر الشديد الوابل .

* ج ١٦ ص ١١٦ : وإنما كان مقصودى أن أدعك تعيش خائفاً فقيراً ، غريباً ممجّجاً فى البلاد : وجاء فى الشرح : ممجحاً أى مشرداً .

قلت : تمجّجا . فى التاج : أمج الفرس جرى جرياً شديداً ، وأمج زيد ذهب فى البلاد ، وأمج إلى بلد كذا انطلق . وهذا ما قاله (التاج) فى مجّج : (ومجج تمجيجاً إذا أرادك بالعيب) هكذا فى سائر النسخ (نسخ القاموس) ولم أدر ما معناه ، وقد تصفحت غالب أمهات اللغة وراجعت فى مظانها فلم أجد لهذه العبارة ناقلاً ولا شاهداً ، فلينظر .

* ج ٥ ص ٦٢ :

لو كان ينطق قال من تحت الثرى فليحسن العمل الفتى ما استطاعا

قلت : (ما اسطاعا) للضرورة ولأن ذلك جائز ، حذفت التاء لمقاربتها الطاء فى المخرج ، فاستخف بحذفها كما استخف بحذف أحد اللامين فى ظَلْت .

(١) قلت : حكم المقصور عليه بألا أن يؤخر تالياً لها وقد جوزوا التقديم وجاء فى أشعارهم . وأما (إنما) فتأخير المقصور عليه معها واجب ، ولا يجوز تقديمه .

(١) البهيرة — كسفينة — السيدة الشريفة ؛ والمهيرة الحرة والجمع المهائر وهى الحرائر وهى ضد السرارى (التاج) .

على هامش « حادث الشام »

نحن المذنبون ! ...

للأستاذ علي الطنطاوي

— ١ —

اهتزت الأرض لما كُرِث دمشق ، وزلزلت الدنيا لما أصابها ، وانبرت أقلام بواتر تناصرها في محنتها . وازدلفت إليها الوفود تمسح جراحها ، وتأمن جراحها ، ولم تبق في الشرق والغرب صحيفة لم تتل أخبارها ، وتصف حريقها ودمارها ، وأنا في فراشي قد ملكتني الحمى فلم أشارك قومي في جهاد ، ولم أبذل لهم (وطالما كنت باذلاً) قلمي هذا الضعيف ولساني .

وكنت أطل من شباكي على دمشق (وداري كما يعلم من يعلم من القراء تعلو عن دمشق ضاربة في الجبل مائتي متر) فأرى مساقط القنابل . وأشاهد مواقع القذائف ، وأبصر النار تأكل بلدي الحبيب . والرصاص يحصد حصداً قومي ، فأحس في أعصابي فوق الحمى حميات ، ولكني لا أقدر على شيء .

ولم أقرأ في هذه البرهة الطويلة مجلة ولا أبصرت (رسالة) ، ولا رأيت ممن وفد على دمشق من (الإخوان) الكرام أحداً ، ولا حضرت (وقد دعيت) لتكريمهم احتفالا . قد قيدني المرض بفراشي فلا أستطيع له براحا ... وهذي أول ساعة أقدر فيها على القلم ، وأتمكن من خطامه ، رأيت فرضاً عليّ فيها فرض الاعتراف والوفاء ، أن أكتب للرسالة التي أحببتها محبة العاشق ، لا أصبر على فراقها ، ولا أطيق هجرها . وأحببت صاحبها وأجللته قبل أن أراه ، فما رأيته بعد اثني عشر عاماً تشرفت فيها بمراسلته ، والكتب في رسالته ، وحضرت مجلسه ، ورتعت شهرين في جنة نبله وفضله ، وأخذت من ماله ومن أدبه ، ازددت له حباً وإجلالا . وما رأيت في مصر أديباً ، هو أعرب عربية ، وأنقى طوية ، وأقل لمصر عصبية ، وأخلص لبلاد العرب كلها نية ، من الثلاثة الأخيار : الزيات وعزام وخلاف . وإن في مصر لكراماً كثيرين وأدباء عرباً مخلصين ، وما شحت مصر بالرجال ولكني أشهد بما رأيت .

***

جلست لأكتب في محنة دمشق ، فرأيتها قد سارت بحديثها الركبان ، وامتلأت بها الآذان ، ومشت على كل لسان ، فكدت أدع القلم ، ثم قلت لنفسي ، لئن تأخرت اليوم فلقد كنت يوماً سباقة ، يوم هوت تحت السنابك (باريس) ، وقام كتاب (منا ...) يبكونها ، وما يبكون إلا لذات لهم فيها محرمة فقدوها ، ومفاسق خسروها ، وكنا وكان سيف فرنسا العادية مسلولا علينا ، فكتبت في الرسالة (٣٦٨) في ٢٢ يولية ١٩٤٠ كلمة قصيرة ولكنها كسنان الرمح لا يضيره مع مضائه قصره ، صغيرة ولكنها كالقنبلة إذا تفجرت دمرت ، ولقد شرقت شظاياها وغربت فأصابت فيمن أصابت مستشار المعارف الفرنسي ، حملها إليه بعض (الأذناب ...) ممن تبدل اليوم لأن الدهر تبدل ودار . فدعاني وكان بيني وبينه كلام لو أنا نشرته خفت ألا يصدقه من لا يعرف قائله ، من القراء . لا أقول ذلك فخراً ولكن ليعلم الناس ، أنا — بني الشام — ما ذللنا قط ولا خنعنا ، ولا أخافتنا فرنسا يوم كانت فرنسا وكان لها في الأرض سلطان ، وبين الأعزة الأقوياء مكان !

***

ولئن فاتني الكلام في (حادث الشام) فما فاتني أن أكتب (على هامشه) ، وإن لديّ صوراً ، وإن في يدي عبراً ، إذا وفق الله وواليت نشرها في الرسالة ، اجتمع منها كتاب . ولست أعيد ما قاله الكتاب ، ولا أحب أن أعرّف المعروف . ولقد فرغ الناس من الحكم على فرنسا ومدنيتها ، وخرست ألسن كانت تسبح بحمدها ، وتمجد حضارتها ، وما تحمد منها (وآباء القراء) إلا مطارح الهوى الفاجر ، ومسارح الفن الداعر ، وجفت أقلام كانت في أرضنا « جيشاً خامساً » وما حديث الجيش الخامس ببعيد ... فلم يبق إلا أن نسوق صوراً لا يراها إلا القريب الشاهد ، وعبراً لا يتنبه لها إلا الرقيب المفكر ، وأن ننذر قومنا يوماً أشد ، وخطباً أعم ، إذا لم يقطعوا أسبابه ، ولم يغلقوا بابه ...

وإن أول ما ينبغي أن نخرج به من هذا الذي كان أن نعلم

إن الله عادل لا يصيب قوماً إذا بما قدمت أيديهم ، وإن من بديع سننه لهذه الأمة أن يبعث لها هذه الشدائد تنبهها من غفلتها كلما غفلت ، وتوقظها إذا نامت ، وإن من أسرار هذه العربية أن الابتلاء هو الامتحان ، وأن الله يمتحننا ليرى أنفوز فى الامتحان أم نكون من الخاسرين ... فتعالوا يا إخواننا نحاسب أنفسنا وننظر من أين أُتينا ؟

أما أنا فلقد فكرت فرأيت أن الذنب ذنبنا ما هو بذنب الفرنسيين ، وأنك إن عانقت الحية فلدغتك فما تلام الحية بل تكون أنت الملوم ، إن الفرنسيين قد جروا على سنتهم ، واستجابوا لطبيعتهم ، ففاض إناؤهم بالذى فيه ، وما فيه إلا الطيش والحرق والغرور والتبجح وعشر أخر من هذه الصفات ، ولقد بلوناهم ربع قرن فما رأينا من حضارتهم إلا البارود والنار وآلات القتل والدمار ، ولا أبصرنا من فنهم إلا الفسوق والعرى والاستهانة بالعرض وإضاعة الذمار ، ولا شاهدنا من قوتهم إلا العدوان على الأطفال والنساء والعجائز الكبار ، ولقد طالما تبدلت علينا الوجوه ، ولكن السنَّة السنَّة ، والطبع الطبع ، كل فى الحماقة سواء .

ولكنا مع ذلك واليناهم وقد نهانا الله عن موالاتهم ، وقلدناهم وقد منعنا ديننا من تقليدهم ، وتركنا بياننا لرطانتهم وفضائلنا لأزيائهم ، وشريعتنا لقوانينهم ، ومساجدنا لملاهيهم ، والقادسية لأوسترلتز ، وعمر لنابليون ، ومكة لباريس ؟

نحن أعطيناهم هذا السلاح الذى قاتلونا به : جاؤونا بالخمور تهرى أمعاءنا ، وتمزق أكبادنا ، فشربناها ودفعنا الثمن . وجاؤوا بالكتالوجات فيها الأزياء العارية التى تذهب فضيلتنا ، وتفسد شبابنا وبناتنا ، فعملنا بها وتركنا لها قرآننا ودفعنا الثمن . وجاؤونا بالأرتستات يخربن بيوتنا ، ويعرضن جسومنا ، ويسممن أرواحنا ، فهبطنا على أقدامهن ودفعنا الثمن ، وجاؤونا بكل بلية فيها الأذى وفيها الهلاك ، فدفعنا الثمن ، فأخذوه فجعلوا منه دبابات وطيارات ثم أتوا فقالوا هذا لجيشكم السورى . أليس جيشكم قلنا : بلى ، وهل فى ذلك شك . قالوا : هاتوا ثمنه فدفعناه مرة ثانية ، فقاتلونا بسلاح شريناه نحن ودفعنا ثمنه مرتين !

نحن أعطيناهم الجنود الذين حاربونا بهم : أبناؤنا ، قلنا لهم خذوهم وخذوا بناتنا فعلموهم فى مدارسكم ، ونشئوهم على مبادئكم ، واستعمروا عقولهم كيف شئتم ، فجعلوا من أبنائنا عدواً لنا ، يا أيها القراء فى مشارق الأرض ومغاربها اعلموا أن الذى ضرب الشام بالمدافع (بإذن أوليڤا روجه وأمره) إنما هو رجل شامى ومسلم وابن شيخ واسمه (علاء الدين الإمام) !

* * *

فهل استيقظنا ؟ إذا لم توقظنا هذه المدافع المدوية ، إن لم ينبهنا لذع النار . فما والله يوقظنا شىء ؟

هل علمتن يا آنساتى ويا سيداتى الآن . أن هذا (الكتالوج) إنما هو (ديناميت) إن تحتفظن به فى دوركن دمر الدور وأهلها ؟ ولكن حين تكشفن عن شىء من مواطن الفتنة فى أجسامكن إنما تكشفن للعدو قلعة من قلاع الوطن . لأن كشفها يفسد أخلاق الشباب فتذهب رجولتهم ويفقدهم روح الكفاح ، ويشغلهم عن الحرب بالحب ؟ وأن هذا الأحمر على خدودكن وشفاهكن إنما هو دم الشهداء ، لولاه ولولا أشباهه ما تمكن العدو منا ، وما كان ليغلبنا لولا أن أضاع علينا أخلاق صحرائنا ، وشغلنا عنها بكن ، وشغلكن بهذا الأحمر عن كل واجب عليكن ؟

هل علمتم أيها الآباء أن من يضع ابنه فى مدرسة عدوه ، إنما يخون وطنه ودينه وربه ؟

وهل سمعتم أيها القراء اللعنة التى أطلقها فى الشام ، خطباء على المنابر ، وأئمة فى المحاريب ، فتجاوبت بصداها الأودية والشعاب :

ملعون كل من ينسى ما صنع بنا الفرنسيون ، ملعون كل من يحب فرنسياً أو يتزوج بعد اليوم فرنسية ، أو يشترى بضاعة فرنسية ، ملعون من يدخل ابنه أو بنته مدرسة فرنسية ، ملعون كل شركسى أكل خبزنا وحاربنا ، ملعون كل سورى أعان على بلده عدواً ، ملعون علاء الدين الإمام ، لعنة مجلجلة صارخة مستمرة متجددة ، متنقلة فى البطون ، ماشية فى الذرارى ، لعنة الأم التى فجعها الفرنسيون بوحيدها ، واليتيم الذى أفقدوه أباه ، والزوجة التى أيَّموها بعد زوجها ، والأسرة التى قتلوا ربها وخربوا دارها ، والتاجر الذى أحرقوا دكانه وسرقوا متاعه ، لعنة مغموسة بالدم ، مغسولة بالنار ...

(دمشق) علي الطنطاوي

المنطق الوجدانى والعقيدة

للأستاذ ســـيد قطب

— ٢ —

البداهة والبصيرة طريق الإيمان ، والمنطق الوجدانى أداته فى القرآن ، كما أقول أنا ؟ أم الذهن المجرد طريقه ، والمنطق الذهنى أداته ، كما يقول الأستاذ عبد المنعم خلاف ؟

أحب قبل أن أمضى فى البحث أن أقرر : أنه لا يجوز أن يجرفنا الجدل إلى تقسيمات جدلية حتمة لطرق الإيمان وأدواته فى النفس البشرية ؛ فإننا لن نجد حالة نفسية واحدة تتم بهذه السذاجة فى التقسيم . وأبسط الحالات النفسية الساذجة معقد كل التعقيد ، ولا بد فيه من شتى الاحتمالات

وليست المسألة بينى وبين الأستاذ عبد المنعم قضية جدلية على طريقة المناظرات ؛ إنما هى حقيقة نود تجليتها . وإنه ليسرنى من غير شك أن ألتقى بالصديق فى الطريق

لذلك أحب — قبل كل تعليق — أن أستعرض ما قلته أنا فى كتابى « التصوير الفنى فى القرآن » عن المنطق الوجدانى ؛ وما قاله الأستاذ عبد المنعم فى مقاله الأخير عن « المنطق الذهنى » ، فمن يدرى ، فلعلنا متفقان فى جوهر الموضوع ولبه ، وإن اختلفنا فى التعليل وتقرير المصطلحات ، وإن يكن يبدو لى أن الخلاف فى أساسه خلاف طبيعتين وطريقتين فى الإحساس !

* * *

استغرق فصل « المنطق الوجدانى » من كتابى عشر صفحات ، ووردت فيه هذه الفقرات فى مواضع متفرقة :

١ — « لقد جاء القرآن لينشئ عقيدة ضخمة — عقيدة التوحيد — بين قوم يشركون بالله آلهة أخرى ، ويكون من العجب العاجب عندهم أن يقول لهم قائل : إن الله واحد : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشئ عُجاب ! وانطلق الملأُ منهم : أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم ، إنّ هذا لشئ يُراد ، ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ، إنْ هذا إلا اختلاق ! »

٢ — « كانت وظيفة القرآن إذن أن ينشئ هذه العقيدة الخالصة المجردة . وموطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان — موطن كل عقيدة لا العقيدة الدينية وحدها — وأقرب الطرق إلى الضمير هو البداهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس . وما الذهن فى هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ؛ وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً .

« وبعض الناس يكبرون من قيمة هذا الذهن فى هذه الأيام ، بعدما فتن الناس بآثار الذهن فى المخترعات والمصنوعات والكشوف ، وبعض البسطاء من أهل الدين تبهره هذه الفتنة فيؤمن بها ، ويحاول أن يدعم الدين بتطبيق نظرياته على قواعد المنطق الذهنى ، أو التجريب العلمى !

« إن هؤلاء — فى اعتقادى — يرفعون الذهن إلى آفاق غير آفاقه . فالذهن الإنسانى خليق بأن يدع للمجهول حصته ، وأن يحسب له حسابه . لا يدعو إلى هذا مجرد القداسة الدينية . ولكن يدعو إليه اتساع الآفاق النفسية ، وتفتح منافذ المعرفة . « فالمعقول » فى عالم الذهن ، أو « المحسوس » فى تجارب العلم ، ليس هو كل « المعروف » فى عالم النفس . وما الفكر الإنسانى — لا الذهن وحده — إلا كوة واحدة من كوى النفس الكثيرة ؛ ولن يغلق إنسان على نفسه هذه المنافذ ، إلا وفى نفسه ضيق ، وفى قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم فى هذه الشؤون الكبار .

« فلندع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الواقعة ، أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة . فأما العقيدة ، فهى فى برجها العالى هناك ، لا يرقى إليه إلا من يسلك سبيل البداهة ، ويهتدى بهدى البصيرة ، ويفتح حسه وقلبه لتلقى الأصداء والأضواء .

« ولقد آمن بالبداهة والبصيرة — وما زال يؤمن — العدد الأكبر من المؤمنين بكل دين وعقيدة فى الوجود ؛ ولقد ظل علماء الكلام فى الإسلام قروناً كثيرة ، يبدئون ويعيدون فى الجدل الذهنى حول مباحث التوحيد ، فلم يبلغوا بذلك شيئاً مما بلغه المنطق القرآنى فى بضع سنين » ...

٣ — « لقد عمد القرآن دائماً إلى لمس البداهة ، وإيقاظ

الإحساس ، لينفذ منهما مباشرة إلى البصيرة ، ويتخطاهما إلى الوجدان . وكانت مادته هى المشاهد المحسوســة ، والحوادث المنظورة ؛ أو المشاهد المشخَّصة والمصائر المصوَّرة . كما كانت مادته هى الحقائق البديهية الخـالدة ، التى تتفتح لها البصيرة المستنيرة ، وتدركها الفطرة المستقيمة »

٤ — « كانت المشكلة الأولى التى واجهها الإسلام — كما قلنا — هى مشكلة التوحيد مع جماعة تنكر هذا التوحيد أشد الإنكار ، وتعده إحدى الأعاجيب الكبار . فلننظر كيف حاجّهم فى هذه القضية المعقدة :

« لقد تناولها ببساطة ويسر ، وخاطب البداهة والبصيرة ، بلا تعقيد كلامى ولا جدل ذهنى : (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنشِرون ؛ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . فسبحان الله رب العرش عما يصِفُون ؛ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة ؟ قل : هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى . بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) أو : (ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه إلـه . إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض)

« هكذا فى بساطة البداهة التى لا ترى فى السموات والأرض فسادا ، إنما ترى نظاماً محكما ، لا يكون إلا حين يكون المدبر واحداً قادراً عالماً حكيما .

« وهذه الصورة التى يخيلهـا — لو كان هناك آلهة — « إذن لذهب كل إلـه بما خلق » وإنها لصورة مضحكة : أن ينحاز كل فريق من المخلوقات إلى إلـه ، وأن يأخـذ كل إلـه مخلوقاته ويذهب . إلى أين ؟ لا ندرى ! ولـكننا نتخيل هذه الصورة فنضحك من فكرة تعدد الآلهة إذا كانت نتيجتها هى هذه النتيجة ! »

وهكذا وهكـذا إلى آخر ما ضربت من الأمثلة ، على سائر ما واجه الإسلام من مشاكل العقيدة ، وطريقته فى مواجهتها ...

***

أما الأسـتاذ عبد المنعم فيناقش المسألة على النحو التالى ، الذى تثبته فقرات من مقاله ننقلها هنا :

١ — « كل ما فى القرآن من « منطق » الوجدان فى إثبات عقيدة التوحيد أنه ساق القضايا العقلية بتعبير جميل أخاذ حرك به الوجدان والمشاعر مع تحريك الذهن والحكم لصلب كل قضية ، ولم يسقها بأسلوب جاف كأسلوب المناطقة الرياضيين الذى تتزاحم فيه المعانى فى ألفاظ ضيقة . وأى كلام اعتمد على « الحقائق البديهية الخالدة » وعلى مقدمات ونتائج صحيحة ، سواء أكانت محسوسة ومنظورة أم غير محسوسة ومنظورة ، فهو منطق ذهنى . فإذا جمع إلى صحة المقدمات والنتائج جمال التعبير وروعة الأسلوب وإشراق الطلعة فهو منطق « وجدانى » كذلك . منطق الوجدان — وإطلاق « المنطق » هنا تجوز فى التعبير — هو الذى يتأثر بالخطابيات والشعر والموسيقى وغير أولئك من ألوان الفن التى لا تعتمد على الحقائق الثابتة ، « ونقط الارتكاز الواضحة فى عالم البداهة و « الحكم العقلى » . والتأثر بهـذا المنطق تأثر وقتى لا يترك رواسب فى الذهن ، ومقاييس تملأ اليد ، يستطيع الفكر أن يتحاكم إليها ، ولأنها ألوان وظلال ونغمات وأعراض غير مـلازمة تنفعل لها النفس انفعال الانقباض أو الانبساط وقتا ، ثم يزول تسلطها عليها .

« وليست هـذه الأعراض هى طريق إقرار « العقائد » ودعائم الفكر والحياة عند الراصدين المتيقظين الواعين . وخصوصاً الدعامة الأولى ، والقضية الـكبرى ، قضية « التوحيد » التى هى قضية الـكون كله وأعظم شئونه ! إن الوجدانيات من الخطابيات والشعر والموسيقى وسائل إقناع وقتى للبسطاء ، وليست وسائل يقين ثابت للذين يبحثون لعقولهم عن عواصم تستند إليها من طوفان الأهواء ، والنوازع والوجدانات المتقلبة ... وما كان للقرآن وهو يتصدى لإثبات القضية الـكبرى أن يعتمد على « المنطق » الوجدانى . وإنى أرى الذهن فى إثبات العقائد وخصوصاً « التوحيد ، هو أوسع النافذ وأصدقها وأدقها »

٢ « قلنا إن مسألة المسائل التى دار عليها أكثر جدل القرآن هى عقيدة التوحـيد . وأنسب الآيات التى تناولت هذا الموضوع هى آيات سورة الأنبياء ، وقد ساقها المؤلف كدليل على ما ذهب إليه ، فلنقرأها معاً (وذكر نص الآيات المذكورة هنا فى هذا المقال) ثم قال :

« وهل ترى هذه الآيات تركت حجة « ذهنية » يمكن إيرادها لمنكر على مزاعم القوم ثم لم تفعل ؟ « أم اتخذوا آلهة

من الأرض هم ينشرون » فالإله هو وحده الذى يخلق ويحيى وينشر الخلائق من الأرض ، فهذا مقطع من مقاطع الاستدلال بكلمة واحدة يدور بها الذهن فى استعراض سريع للأرض وكائناتها للبحث عن حى مخلوق واحد لغير الله فلا يجد . وإنه للدليل الاستقرائى بعينه ! ذلك الذى بنى عليه (بيكون) الفلسفة الاستقرائية الحديثة . وإنه للدليل المفضل عند المربين وعلماء النفس»

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، وهذا مقطع آخر من مقاطع الاستدلال فى كلمة واحدة أيضاً ... وإنه للدليل التطبيق بعينه ! أحد ضروب الأدلة الكبرى ، يطبق فيه العقل فى ظروفه المتسعة ، ما يدركه من لوازم تعدد الرياسات وفساد الأمور إذا تولتها أيد متعددة سيكون بينها بالطبع ما يكون بين المتعددين ، ولا يمنع خلافهم وتحاسدهم أنهم آلهة فى طباع مختلفة عن الآدميين . فإن التصور البشرى لا يستطيع أن يجرد الآلهة من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطقه فهو معذور ! »

« فسبحان الله رب العرش عما يصفون » ! ذلك موقف وجدانى فيه انفعال وتقزز من تلك الدعوى ، وتنزيه لله عما وراءها من أزمات ومحرجات . وهو موقف معترض للاسراع بالتنزيه تعود الآيات بعده إلى الاستدلال : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » وهذا مقطع آخر فيه ضرب عظيم من ضروب الاستدلال هو الدليل العملى الواقعى ، وهو كذلك أحد ضروب الأدلة الكبرى ، وله فى الفلسفة العصرية المقام الأول ، إذ به تسير الحياة العملية ، وهو محور الاجتماع ...

« فما دام الواقع أن جميع الآلهة المزعومة مَثَلَ الناس أن يواجهوها بالمسئولية والمحاكمة ، فلا يصح أن تكون آلهة مادامت تقع عليها الدينونة ... ولكن الذى خلق السموات والأرض ، لا يملك عابد له أن يرفع عينه إليه بمسئولية ، بل ليس له إلا التسليم والإذعان ما دام عاجزاً عن الهرب من أقطار السموات والأرض »

« أم اتخذوا من دونه آلهة ... قل هاتوا برهانكم ! » ...

« هذا ذكر من معى وذكر من قبلى » وهذا مقطع عظيم أيضاً من مقاطع الاستدلال هو ما يسمونه « الدليل التاريخى » إذ أن التاريخ لم يثبت حياة رسول جاء قومه بغير الوحدانية ... إذا فقد سد القرآن مجالات القول والاستدلال أمام المشركين حتى أثبت أنهم لا يستندون فى دعواهم إلى أى حق ، وإنما إلى التكبر والجهل والإعراض . وكان هذا الختام « بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » نتيجة منطقية ذهنية واضحة لمقدمات واضحة أخذت بضروب الأدلة جميعاً ولم تترك مفراً لجدل مجادل »

* * *

١ — وبعد : فلا بد أن يكون القارئ قد لاحظ اختلافاً فى تعريف « المنطق الوجدانى » حسبما بسطته وعنيته ، والتعريف الذى يضعه له الأستاذ عبد المنعم ليبنى عليه اعتراضاته . ولا شك أننى غير ملزم بتعريف الأستاذ ، فأنا لم أترك الاصطلاح الذى وضعته بلا شرح معيّن ، وعلى هذا الأساس يجب أن تدور المناقشة .

فهو يعرفه بأنه « الذى يتأثر بالخطابيات والشعر والموسيق وغير أولئك من ألوان الفن التى لا تعتمد على الحقائق الثابتة ونقط الارتكاز الواضحة فى عالم البداهة والحكم العقلى » .

بينما أنا قد أسلفت أنه يعتمد — فيما يعتمد عليه — على الحقائق البديهية الخالدة ، التى تتفتح لها البصيرة المستنيرة وتدركها الفطرة المستقيمة . كما كررت أنه يلمس البداهة ويوقظ الحس ، ليتصل منهما بالضمير وبالوجدان .

فالأستاذ عبد المنعم يرتب مثالبه كلها للمنطق الوجدانى على أساس صورة خاصة فى تعريفه لهذا المنطق غير التى عنيتها بوضوح . ولست أنا المسئول طبعاً عن ترتيب الأمور على هذا النحو الذى يبدو واضحاً عند الموازنة بين ما قلت هنا وما قال !

على أننى أحب أن أقول له هنا : إن الشعر والموسيقى والفنون ليست خواء كلها من الحقائق الخالدة — كما يصورها — ولو خلت من هذه الحقائق ما عاشت وما حسبت فناً صادقاً ، فنحن فى حاجة إلى أن نوسع آفاقنا عند النظر للفن الصادق ، فنجده يلتقى فى النفس بينابيع العقيدة على نحو من الأنحاء ، وإلا كان فناً مزيفاً لا يعيش ، وزخرفاً ظاهراً تزيفه الحياة

٢ — وأما الاستدلال المنطقى كما أورده فى الآيات ، فأحب أن أقول عنه : إن القرآن كان أعرف بالنفس البشرية من الأستاذ عبد المنعم ، فلم يسق الأدلة كما ساقها هو ، وإلا لكانت متهافتة من وجهة المنطق الذهنى نفسه . فهى فى سياق القرآن شيء يتصل

بالفطرة على استقامتها ، فترفض الأوجه المنطقية الزائفة ، وتؤمن بالوجه الواحد الصحيح منها إيمان اقتناع وتسليم ، وهى فى سياق الأستاذ عبد النعم محاولات ذهنية لا تستقيم على الجدل كما يأتى :

(ا) يقول الأستاذ عن مقطع الآية الأول : « فلاإله الواحد هو وحده الذى يخلق ويحيى وينشر الخلائق من الأرض . الخ » أفلا يعلم أن قضية البعث كانت من القضايا الكبرى التى تولى القرآن إثباتها لهؤلاء القوم . فكيف يجعل منها دليلا على وحدانية الله هنا — ولو كان منطق الذهن الجدلى هو المحكّم — بينما هى نفسها موضع جدل طويل، وليست لإحداهما سابقة على الأخرى بل هما مظهران لقضية واحدة تثبت بطرفيها ، أوتتهافت بطرفيها.

(ب) ويقول عن فساد الأرض لو تعدد الآلهة : « فإن التصور البشرى لا يستطيع أن يجرد الآلهة من صفات الناس لأنه لا يملك غير منطقه هو فهو معذور » ... أفلا يعلم أن القرآن ذاته قد كلف التصور البشرى أن يؤمن بأن الله « ليس كمثله شىء » ! فكيف كان يكلفه هذا لو لم يكن فى طاقة الإنسان أن يتصوره بوسيلة من الوسائل ، وإنه ليؤمن بهذا لا عن طريق المنطق الذهنى ، ولكن بالبداهة ، وبالصلة الخفية بين الإنسان المحدود والإله غير المحدود . تلك الصلة التى يعتمد القرآن على إيقاظها فى الحس كالومض السريع فيؤمن المؤمن ويستريح ! ولو عهد بها إلى الذهن لما استطاع تصورها كما يعترف الأستاذ عبد النعم .

(حـ) وعن مسئولية الآلهة . أفلا يرى الأستاذ أن كلامه لا يثبت شيئاً ولا ينفيه ، فمسئولية الآلهة أمام عبادها هى مسئولية نظرية من جانب واحد ، لا تحفل بها الآلهة ولا تجيب سائليها . وكثير من الناس يحاكم الله مثلها — والله تعالى عنها — ولم يذكرها القرآن للجدل هنا . ولكن ذكرها للتقرير والتأثير الوجدانى بهذا التقرير .

(د) ثم الدليل التاريخى كما يراه فى « هذا ذكر من معى وذكر من قبلى » فلو سرنا فى الاستدلال على طريقة الأستاذ عبد النعم لقلنا : إن هؤلاء القوم لم يؤمنوا لا بهذا الذكر ولا بذكر من قبله . فكيف يحاسبون بما لم يؤمنوا به ، وهو نفسه موضع الجدل ؟

* * *

إن القرآن ياسيدى لم يرد الأمر على النحو الذى تريد ... وإنه لأفطن للنفس البشرية وأعرف بدروبها ومسالكها ، وإنه ليأتى هذه النفس من منافذها الواسعة جميعاً ، لا من كوة الذهن المحدود وحدها عدا ، الذهن الذى يعجز عن تصور صفات الإله لو عهد بها إليه ! وإن فى كل نفس بشرية — ما لم تفسد فطرتها — لمنافذ ومسارب تصلها بالحقيقة الأزلية الكبرى ، والأديان وحدها هى التى تلتفت لهذه المنافذ والمسارب جميعاً ، فتصل الناس بالخالق فى يسر جميل ، معتمدة على البداهة والبصيرة والحس والوجدان وسائر القوى الإنسانية ومن بينها الذهن الذى هو إحدى هذه القوى وبعدها جميعا فلا نكبر من قيمة هذا الذهن المحدود ، ولا نتجاوز به الحدود ... والسلام :

سيد قطب

الأذان في الإسلام

للدكتور جواد علي

تتطلب بعض الأديان من المرء الحضور إلى المعبد لتأدية فريضة الصلاة مع إخوانه المؤمنين؛ والصلاة في هذه الحالة « صلاة جماعة ». وإلا لن تتقبل له صلاة . ولم تشترط الديانة اليهودية هذا الشرط في أداء صلاة « التفيلة » . واليهودي مخيّر بين أداء هذه الصلاة في بيته أو في حديقته أو في العراء أو في أي مكان آخر، وبين أدائها جماعة في « الكنيس »[١] مع إخوانه وأبناء دينه[٢] . على أن من المستحب في الديانة اليهودية حضور المؤمن صلاة الجماعة لما في ذلك من ثواب عظيم وأجر عند الله كبير[٣] .

وقد حثت البركة الثامنة من البركات الثماني عشرة[٤] المؤمنين من الإسرائيليين على حضور صلاة الجماعة في الكنيس « توراة » « Thora » جاء « من قرأ التوراة وقام بالأعمال الحسنة المحبوبة ، ومن أدى الصلاة جماعة اعتبره الله في جملة عبيده وخدمه وفي جملة أولئك الذين يساعدون أبناءه في الخلاص من أيدي أبناء الشعوب الأخرى »[٥] وجاء في الحديث المأثور « من أحجم عن زيارة كنيس مدينته عدّ جار سوء لهذا الكنيس »[٦] .

أما في الإسلام فالمسلم مخير بين أداء صلاته جماعة وبين أدائها منفرداً في أي مكان شاء . وقد راعت من هذه الناحية الحكمة العملية التي تتطلب التساهل في هذا الباب . ولكنها حثت من جهة أخرى على صلاة الجماعة ورغبت المسلمين في ثوابها وفي التسابق إليها[٧]

(١) الكنيس ومعناها المجمع أو المجلس وهو المحل الذي كان يجتمع فيه اليهود لدراسة الكتاب المقدس والقيام بواجب العبادة بعد خراب المعبد على يد الامبراطور الروماني « تيتوس » فصار اليهود يجتمعون في محل واحد في المدن الكبرى . « مدراش » .

(٢) راجع mittwoch. P, 21 . راجع دائرة المعارف اليهودية في مادة « Prayer » .

(٣) mittwoch. P, 21 .

(٤) بركوت شموتة عشرة : mixhnà Beràkhòth .

(٥) Beràkhàth. 8 a mittwoch. P, 21 .

(٦) راجع wittwoch. P , 21 Beràkhoth. 8 a .

(٧) راجع كنز العمال جـ ٤ صـ ١١٨ نمرة ٣ ٤ ٢ ٢ mittwoch .2P, 2

واعتبرها الفقهاء « فرض كفاية »[١] و « فرض الكفاية » غير « فرض الوجوب أو العين » طبعاً .

ولا تقام صلاة الجماعة عند اليهود إلا بشروط ، ومن جملة هذه الشروط هو « العدد القانوني » أو « نصاب الجماعة » ، ولا يتم « نصاب صلاة الجماعة » إلا بحضور عشرة رجال بالغين ، وهذا هو الحد الأدنى ، ومتى كمل هذا العدد جاز أداء الصلاة جماعة[٢] . ولم يشترط المسلمون في صلاة الجماعة أي شرط من هذا القبيل فما زاد على الواحد عدّ جماعة وجازت لذلك صلاة الجماعة إلا في صلاة الجمعة إذ جعل العدد أربعين فما فوق وهي صلاة جماعة طبعاً[٣] .

ويحتاج المصلون في صلاة الجماعة إلى إمام يؤم المؤمنين في الصلاة. ويطلق المسلمون عليه كلمة « إمام » أو « إمام الجماعة » ويطلق اليهود عليه لفظة « شليح صبور » أو « حزان » ومعنى الكلمتين « المندوب عن الجماعة »[٤] . وليست الإمامة في الصلاة عند اليهود وظيفة دينية رسمية في الأصل ؛ إذ يستطيع أي مصل من المصلين إمامة إخوانه في الصلاة إذا كانت له المؤهلات الكافية والصفات التي يجب أن تتوفر في الزهاد والمؤمنين[٥] . ثم خصصت الإمامة « شليح صبور » (حزان) في أشخاص معينين يمارسون هذه المهمة ويقومون بتنفيذ طقوس الصلاة . وهذا التخصيص هو من قبيل العرف والعادة فقط إذ لا يتيسر في الغالب لجميع المؤمنين معرفة قواعد الديانة ولاسيما بعد القضاء على المملكة اليهودية وبعد تشتت شمل اليهود وتكلمهم بلغات جديدة هي لغات البلاد التي رحلوا إليها وإغفالهم أمر اللغة العبرية حتى غدت لغة غريبة بالنسبة لأكثر العبرانيين الذين ارتحلوا إلى البلاد الأجنبية فاحتاج اليهود بحكم الضرورة لا بحكم الدين إلى « إمام » يحسن اللغة العبرية القومية ويحفظ القطع المقدسة التي تتلى في الصلاة وأصبح هؤلاء الذين لم ينسوا لغتهم وأمور دينهم بمرور الزمن أئمة ورجال دين .

(١) راجع الكتب الفقهية . أيضاً mittwoch. P, 21 Juynboll. P 81

(٢) mittwoch. P, 21 . راجع تاريخ اليهود في فصل School and Synagogue. Vol. 2 P. 44 .

(٣) راجع الكتب الفقهية في بحث الصلاة . أيضاً mittwoch. P, 21

(٤) راجع mittwoch. P. 22 أيضاً كراتس: تاريخ اليهود في فصل School and Synagogue. Vol P, 44 وفي The Priesthood P, 3, 7

(٥) mittwoch. P, 22

وهذا هو عين ما حدث فى الإسلام . فالديانة الإسلامية لم تعين مبدئياً طبقة خاصة لتقوم بواجب « الإمامة » فى الصلاة . ولم تعترف بطبقة « كهنونية » تحتكر لنفسها تعليم الدين وإقامة شعائره من دون سائر الناس . ولا إمامة الناس فى الصلاة دون سائر المؤمنين المصلين . وقد كان النبي (ص) نفسه يأتم بغيره كما كان الصحابة يأتم بعضهم ببعض . نعم قد كان الرسول ينص على صحابى معين بامامة الناس فى الصلاة ؛ ولكن ذلك لا يعنى حصر الإمامة فيه ما دام حيًّا بل كان ذلك فى ظروف خاصة وأحوال معينة . جاء عن مالك بن الحويرث أنه قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نفر من قومى فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رحيما رفيقاً ؛ فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا ؛ فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم »[1] .

وحدث مثل ذلك من الخلفاء الراشدين : كانوا يعينون رجلا بعينه مع الأمير أو القائد لإقامة الصلاة . أو كانوا ينصون على الأمير نصاً بإمامة الناس فى الصلاة . غير أن ذلك لا يعنى كما قلنا آنفاً أن الأمامة مرتبة من المراتب الدينية أو وظيفة معينة لا يتقلدها إلا بعض الأشخاص من ذوى الرتب والدرجات الروحية . وإذا كانت الإمامة فى المساجد اليوم تعيينا — فى بعض البلاد الإسلامية فإن ذلك لا يعنى شرعاً أن الإمامة فى المساجد لا تكون إلا لهؤلاء الأئمة فقط ، بل من الجائز لأى شخص آخر ولو كان من غير رجال الدين أن يؤم المسلمين فى نفس ذلك المسجد . وتعيين هؤلاء الأئمة ليس إلا ضماناً لإمامة المصلين فى الصـلاة حين خلو المسجد ممن يحسن قواعد الصلاة وأمورها كما يجب وفق أحكام الشرع .

***

ولتسهيل تعيين مواقيت الصـلاة ولدعوة الناس إلى عبادة ربهم فى الأوقات الخاصة اتخذت الأديان طرقا مختلفة للدعوة إلى الصلاة . من هـذه دق الناقوس أو التبويق أو إشعال النار إلى آخر ماهنالك من علامات . وقد شعر المسلمون بهذه الحاجة حينما تكاثر عددهم وتزايد جمعهم حتى شمل أكثر أهل المدينة . وشعر النبى (ص) نفسه بهذه الحاجة ، وتشاور مع أصحابه فى المسألة فقيل له « انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رآها الناس آذن . فلم يعجبه ذلك ؛ فذكر له بوق اليهود ويقال له الشبور أو القُبع وهو القرن الذى يدعون به لصلاتهم ؛ فقال هو من أمر اليهود . فذكر له الناقوس الذى يدعو به النصارى لصلاتهم فقال هو من أمر النصارى . فقالوا لو دفعنا نادا فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، فقال ذلك للمجوس »[1] .

وجاء فى الأخبار أيضا أن الرسول (ص) قال : « أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة ؛ ففعلوا ذلك »[2] وكان اللفظ الذى ينادى به بلال قبل رؤيا عبد الله : « الصلاة جامعة »[3] وجاء أيضاً : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة . فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحرث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يارسول الله إنه طاف بى هذه الليلة طائف : مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فى يده ؛ فقلت له ياعبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ قال وما تصنع به ؟ قلت ندعو به إلى الصلاة . قال أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت وما هو ؟ قال تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله . حىّ على الصلاة ، حىّ على الصلاة ، حىّ على الفلاح ، حىّ على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها لرؤيا حق إن شاء الله . فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتا منك . فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله وهو يجرّ رداءه وهو يقول : يا نبى الله ! والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى . فقال رسول الله فلله الحمد على ذلك »[4] .

تلك هى قصة الأذان فى الإسلام . وهى قصة تناقض رأى من قال من المستشرقين بأن الأذان فى الإسلام إنما هو ترديد لأذان اليهود أو لأذان النصارى وهو دق الناقوس[5] .

أما فى مكة وقبل الهجرة فلم تكن هنالك ضرورة للأذان ، لأن الحكم كان للوثنية ، ولأن الجماعة الإسلامية لم تكن سوى أقلية لا قبل لها بالتظاهر أمام الوثنيين . فلما استقر النبى (ص) فى المدينة وتكاثر عدد المسلمين أصبح الأذان ضرورة لا بد منها ، ولم تعد

(١) راجع التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح . جـ ١ ص ٥٥ .

(١) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٤٨٢ .

(٢) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح . للحسين بن المبارك الزبيدى جـ ١ ص ٥٤ .

(٣) السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٤٧٢ .

(٤) سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ٣٠٦ فى باب خبر الأذان — السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٤٨٠ . الطبقات جـ ١ ص ١٦٠ .

(٥) mittwoch. P, 22

كلة « الصلاة جامعة » تكفى لأداء وظيفة إسماع الناس فى أقاصى المدينة وكل المسلمين شوق لأداء الفرائض مع النبى (ص) فصار بلال يدعو إخوانه من عل إلى الصلاة بالشكل المعروف . واقتصرت كلة « الصلاة جامعة » على صلاة العيدين حتى ينادى بها إلى اليوم (١)

وكانت هنالك كلة أخرى بسيطة يرددها المسلمون قبل معرفتهم الأذان ؛ والظاهر أنها كانت أبسط شكل من أشكال الأذان هى « الصلاة . الصلاة » (٢) ولعلها أقدم عهداً من كلة « الصلاة جامعة » وهذا الشكل البسيط من الدعوة إلى الصلاة كان يردده الخلفاء أنفسهم حين مجيئهم إلى المسجد صباحا على الأخص لتنبيه النائمين . وطالما قرأنا فى كتب التاريخ كلة « الصلاة . الصلاة يرحمكم الله » لتنبيه الغافلين إلى الصلاة ولا زالت مستعملة إلى الآن فى صلاة الصبح جماعة على الأخص .

ويتألف الأذان الذى أقره الرسول (ص) من سبع فقرات ، السادسة منها تكرار للأولى . وتردد العبارة الأولى أربع مرات متتاليات ، والمالكية ترددها مرتين ، كما تردد كل عبارة من العبارات الأخرى مرتين ما عدا العبارات الأخيرة فينادى بها مرة واحدة فقط . وبعد أن يؤذن بالعبارتين الثانية والثالثة مرتين يرفع الصوت بها عند المرة الثالثة. وقد أوصى بهذا الترجيع الشرع . أما الحنفية فترفضه . ويضاف إلى أذان الصبح عبارة « الصلاة خير من النوم » عند أهل السنة ، وتردد مرتين « تثويب » بين العبارة الخامسة والسادسة (٣) .

ويتفق المسلمون جميعاً على صيغة الأذان ؛ وهذا يدل على أنه كان على هذه الصورة منذ عهد الرسول . غير أن هنالك خلافاً بسيطاً بين أهل السنة وبين الشيعة فى عبارة « أشهد أن علياً ولى الله » (٤) التى تردد مرتين بين الفقرتين الثالثة والرابعة ؛ وفى عبارة « حى على خير العمل » التى تردد مرتين بين الفقرتين الخامسة والسادسة (٥) .

(١) mittwoch. P, 26 الام . ص ٢٠٨ ويرد أيضاً إلى الصلاة . أو هلم للصلاة .
(٢) كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٥ (نمرة ٥٤٦٩) . mittwoch. P, 25 .
(٣) راجع دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية ج ١ ص ٥٦١ فى مادة الأذان .
(٤) راجع الكتب الفقهية الشيعية مثل شرح اللمعة ومن لا يحضره الفقيه .
(٥) Snuk Hergronie mekka. Vol. 1 P, 63 De Sacy Grest . Arab Vol 1 P. 160 — 169

ويعاد الأذان فى داخل المسجد بصورة مختصرة إذ تذكر عبارات الأذان مرة واحدة قبل المباشرة بالصلاة ، ويطلق على هذا الأذان كلة « إقامة » (١) .

فالأذان كما رأيت ضرورة من الضرورات التى اقتضتها الظروف الاجتماعية والسياسية التى نشأت فى المدينة . ويقول المستشرق بيكر « Beckar » : « الأذان فى الإسلام لا يمثل فكرة الدعوة إلى الصلاة ، أو بتعبير آخر: الاذان تماماً لأن عناصر الدعوة إلى الصلاة فيه قليلة أو تكاد تكون معدومة ؛ فهى لا تتمثل فيه تمام التمثيل (٢) . وليس الأذان على رأيه إلا قطعة من القطع الكنائسية التى يرددها الكاهن والشماس حيث الترجيع الدينى بين الاثنين . يقوم الإمام فى الإسلام مقام الكاهن ؛ أما المؤذن فيؤدى واجبات الشماس (٣) .

وهذه النظرية خاطئة طبعاً ؛ فالأذان وإن كان يعيده الإمام إقامة . فإن المصلين يعيدونه أيضا. ولا وجه للشبه أبداً بين الترجيع الدينى فى الكنائس وبين الأذان عند المسلمين (٤) .

وذهب المستشرق اليهودى ميتوخ إلى أن الأذان فى الإسلام مأخوذ من الأذان عند اليهود . وحجته فى ذلك هو دعوة المؤذن « اللاويين » إلى الصلاة وعادة النفخ فى الصور (البوق) . تلك العادة التى لا زال اليهود يمارسونها حتى اليوم فى طقوسهم الدينية فى نهاية السنة ، والتى كانوا يمارسونها سابقاً فى عهد الهيكل لإعلان أوقات الأضحية ، وفى أيام الجمع قبيل قدوم المساء لإعلان قدوم السبت إلى الجمهور . وفى عهد التلمود المتأخر (٥) .

أما حجته فى أن اليهود يدعون طبقة اللاويين إلى أخذ محلاتهم قبل البدء فى الصلاة وتلك الدعوة هى علامة الأذان أو الأذان بعينه ، فإن تلك الدعوة هى دعوة خاصة فى داخل « الكنيس » بينما الأذان دعوة عامة لجميع المصلين السامعين . وعبارات الأذان الإسلامى تختلف كل الاختلاف عن عبارات دعوة اللاويين . وإليك هذه الدعوة : أيها الكهنة استعدوا لأعمالكم . أيها

(١) mittwoch. P, 26
(٢) Becker Kultus. P, 387 wittwocp. P, 23
(٣) نفس المصدر .
(٤) mittwoch. P, 23 f. .
(٥) mischna Sukkà. 5, 5 mittwocp 23

اللاويون قفوا فى مصاطبكم . أيها الاسرائيليون خذوا مواقعكم »[1]

وهذه الفقرات هى فقرات خاصة بطبقة كما ترى .

وأما قضية «التبويق» فقد رأيت أن النبى (ص) كرهها كما كره استعمال الناقوس . وليس هنالك بين الأذان وبين التبويق أى وجه من أوجه الشبه ، اللهم إلا الفكرة والفكرة عامة فى جميع الأديان .

يقول المستشرق ميتوخ : « يظهر من عبارة وردت فى كتاب المقريزى[2] أن الأذان إنما كان تنبيها للرسول عليه السلام وإخباره بحلول وقت صلاة الجماعة ، كما كان تنبيهاً لخلفائه من بعده بحلول وقت الصلاة[3] . وقد نبه إلى هذه الفكرة المستشرق بيكر أيضا . وأما الإقامة فأنها علامة لبدء الصلاة أو مقدمة قصيرة للصلاة[4] .

جواد على

(١) راجع التلمود (تاميد) عن هذه العادات The Priesthood. P, 207. School and Synagogue. uol 2 P, 44 Life onder the Law Vol 2 P, 96 .

(٢) mittwoch P' 2, 1 الخطط جـ ٢ ص ٢٦٩ .

(٣) mittwoch. P ,45

(٤) mittwoch. P, 25 عن الأذان فى كتب الفقه المختلفة mischcat mosabih — ul — masabip Vol 1 P, 141 دائرة المعارف .

سيباى الكافلى

آخر نائب للمملكة المصرية بالشام

للأستاذ أحمد رمزى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

كان سيباى من تلك الزمرة الممتازة من الرجال الذين تملأ قلوبهم الدوافع النفسية للعمل والحركة ولا ترضى بغير المعالى والقيادة والسيادة ، وكان شجاعاً إلى أقصى حدود الشجاعة لا ترهبه الأخطار ، وصريحاً إلى أقصى حدود الصراحة لا يبالى بما تأتى به صراحته من خير أو شر ، ما دام فى ذلك إرضاء لنفسه . فكان لا يلين إذا قام عالم من الناس يحاربه أو يؤذيه أو يحط من قدره . ولا يهمه إذا وجد نفسه وحده ، يدافع ويناضل عما يقول ما دام الحق فى جانبه .

وبهذا وحده يمكن تفسير مواقفه مع الغورى ورسائله إليه وصراحته ؛ فلولا قوة أخلاقه وجرأته لأظهر ليناً وسياسة وكياسة ولانطوى انطواء الغزالى وخير بك وغيرهما وترك العاصفة تمروا كتفى بفتات الموائد ؛ ولكنه كان قوة والقوة تنتصر ولا تلين .

ولم يكن ينقصه شيء من الذكاء والنجابة ليحل المكانة الأولى بين رجال الدولة المصرية . ولو قدر لها وعاشت لكان لبطلنا شأن فيها ولذكر اسمه فى التاريخ بين الخالدين من رجالنا .

ولم تحرمه الدنيا فى السنين التى قضاها فيها من شيء ، فقد أوتى من الهيبة والقوة والنفوذ والاحترام والعلم الشيء الكثير ، كما ابتلته الأيام فلم يسلم من كيد الناس ودسهم ولا من نكد الدنيا ومقارعة الزمن وكان فى كلتا الحالتين صبوراً :

وقد أجمع المؤرخون على أنه رجل يعد برجال .

* * *

أصل سيباى من رجال قايتباى وأعتقه وجعله من أمراء جند مصر ، ثم أخذ يرقى إلى أن تولى وظيفة كافل الممالك الحلبية وهى بدرجة أمير ألف ، وذلك فى عهد الغورى . وكان الأتابكى قيت[1] الرحبى يوم بويع الغورى بالسلطان أمير سلاح ، وهو الذى تقدم ومعه الأمير مصرباى وأخذا بيد السلطان بالبيعة وناديا باسمه وهو يمتنع ، فبايعه الأمراء والقضاة وغيرهم[2] — فحدثته نفسه بعد حين أن يتسلطن ، وكتب إلى نواب مصر بالشام ، وإلى سيباى بحلب . فاشتبك الأخير مع نائب القلعة وحاصره وقاتله فاحترقت بسبب الحصار المدرسة الظاهرية الشهيرة بالسلطانية وقتئذ ، فنذر سيباى أن يبنى مدرسة مثلها . وقدر بوعده وبنى جامعه الذى زرناه . فى إبان هذه الفتنة تغير قلب الغورى من جهة سيباى فعزله ثم عاد فضمه إليه وأنعم عليه بأمرة السلاح بالقاهرة .

وفى شوال ٩١١ عين سيباى ثانياً بالشام ، وكان الغورى فى نفسه أشياء منه ؛ فهو يعلم بأنه بطل من أبطال الحروب لا يخطر الموت على باله ، علاوة على أنه من أشجع فرسان مصر وأنجبهم

(١) كان قيت الرحبى فى حملة الأمير أزبك الأتابكى ضد العثمانيين سنة ٨٩١ هجرية فى عهد قايتباى وبا يزيد وهو الذى حمل أخبار انتصار الجيش المصرى وجاء بالأعلام التى أخذت ودخل بها العاصمة وسط أفراح الشعب .

(٢) إبن إياس طبعة استامبول حوادث ٩٠٦ هجرية

ومن ذوى العزم الشديد[١] ولكنه كان يتخوف منه ويخشاه ولذلك رسم له أن يتوجه إلى دار الأمير أزدمير الداودار وأن يقابله هناك أمير المؤمنين الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وبعض الأمراء ، فإذا انعقد المجلس أخذوا عليه المواثيق والأيمان بالطاعة لسلطانه ؛ وقد تم ذلك . ثم لبس الخلعة وخرج بموكب من القاهرة وهو يحمل التقليد بنيابة دمشق .

ويرجع ذلك الشك لأمرين ماسبق من تحالف سيباى وانضمامه لحركة قيت الرجبي الطالب بالعرش ، وبما اتصل إلى علم الغورى من بعض المنجمين من أن الذى يلى الحكم بعد الغورى يبدأ اسمه بحرف السين . فأخذها السلطان على سيباى وتطير من اسمه ، وأصبح لا يأمنه ولا يصغى لنصائحه ولا يأخذ بأقواله .

* * *

ولما تولى سيباى النيابة عن مصر بالشام واضطلع بالأمور حتى علم بما بين خير بك نائب مصر بحلب والسلطان سليم العثمانى من اتصالات مكتومة وبالمكاتبة ، فأبلغ الخبر فوراً إلى بلاط القاهرة ؛ ولكن الغورى لم يأخذ الأمر جدّياً بل اعتمد على قوة المصريين فى الحروب وثقته بما سبق أن أبدوه من البسالة فى حروبهم أيام قايتباى وانتصاراتهم المتتالية بقيادة (أمير الجيوش) أوزبك أتابك العساكر المصرية . ثم لعدم ارتياحه لكل ما يأتى من حامل حرف السين . وأخيراً لأن خير بك نائب حلب وسيباى كان يشغل هذا المنصب قبله ولا بد أن بين الأميرين أشياء .

ولم يكن ذلك من المصلحة لأن التغاضى عن نائب حلب جرّأ الغزالى نائب حماه الذى قلّد زميله فى الشمال ولم يحدث طول تاريخ مصر أن تجرّأ العمال والنواب على الاتصال بالأعداء كما حدث فى تلك الأيام ، بل يذكرلنا التاريخ بعض الأمراء الذين حاولوا شيئاً من ذلك فعوقبوا بما يستحقون .

* * *

وقد ظهر علمه وفضله أيام نيابته بالشام ، فكان يجمع العلماء عنده فى كل ليلة جمعة يتذاكرون بين يديه فى أنواع العلوم والفقه وأعدّ لهم سماطاً كبيراً . ولما توترت العلائق مع العثمانيين كان من رأيه ألا يخرج السلطان من مصر ، بل يبقى بها يمد الجيوش وهو فى مأمنه حتى لا تتعرض البلاد للأخطار . وفى سبيل ذلك تحمل الكثير ، وجاءت النتائج محققة لظنه مؤكدة حسن فراسته وبعد نظره ، ولو أخذ برأيه لما وقعت الكارثة ولما زالت عظمة مصر والشام من التاريخ

وقد ذكر ابن إياس وغيره شيئاً من ذلك فقال إنه بعث إلى الغورى برسالة جاء فيها: « يامولانا السلطان، إن الغلاء شديد بالبلاد الشامية وفيها نقص العليق والتبن ، والزرع فى الأرض لم يحصد ، وليس ثمة عدو متحرك فلا يترك السلطان سره ولا يسافر ، وإن كان ثمة عدو فنحن له كفاية » فلم يلتفت السلطان لكلامه واستمر على رأيه

ولم تكن القاهرة مرتاحة لخروج السلطان ، فأخذوا يعيبون عليه أنه خالف ما اعتاد عليه الملوك السابقون فى أشياء كثيرة من ترتيب الجيوش وجمعها . وأخيراً قالوا إنهم كانوا يخرجون فى فصل الربيع والوقت رطب . أما الغورى فقرر سفره فى فصل الصيف والجو فى شدة حرارته . ثم أذاعوا أن الملوك إذا ذهبوا للجهاد كانوا يخرجون من الجهات النائية ولا تشعر القاهرة بموا كبهم إلا فى عودتهم من ميادين القتال . وقد خالفهم الغورى فى ذلك فشق العاصمة بموكبه عند سفره[١] .

ولكن السلطان لم يكن ليلتفت لشىء من ذلك بل بقى متمسكا برأيه فى جميع الأمور ونفذ ما يريد .

* * *

وتحرك ركاب آخر سلاطين مصر والشام ومعه الجيوش المصرية فى يوم الجمعة ٢٠ ربيع الآخر سنة ٩٢٢ هـ قاصداً الشام عن طريق الريدانية فسرياقوس ثم الصالحية فقطيا إلى غزة التى أقام بها ثلاثة أيام .

ويقول الحلى : « ولما كان السلطان فى غزة وردت إليه مكاتبة من الأمير سيباى يذكر فيها[٢] : الذى يعرضه المملوك على المسامع العالية أعلاها الله تعالى وأدامها أن العبد سمع بأن السلطان يريد السفر لقتال ابن عثمان، وأن المملوك يقوم بهذا الأمر ويكون السلطان مقيما بمصر ويمد المملوك بالعساكر المنصورة . والذى يعلم به مولانا السلطان أن خير بك ملاحى علينا ومكاتيبه لا تنقطع من عند ابن عثمان فى كل حين » فرد عليه الغورى ها نحن قد جئنا كم بأنفسنا. ثم أمر برحيل الجيوش والعساكر وهم يموجون كالبحر الزاخر .

* * *

فى يوم الإثنين ١٨ جمادى الأولى سنة ٩٢٢ استقبلت دمشق

(١) أحمد بن سنبل

(١) تجد تفاصيل خروج الغورى فى ابن إياس

(٢) عن تاريخ حلب للطباخ

العاصمة الثانية الملك الأشرف أبا النصر قانصوه الغورى ، وقد حفظ لنا التاريخ وصف ذلك اليوم الخالد فقالوا : إن موكبه دخل من باب النصر وشق المدينة وخرج منها إلى ناحية القابون العليا ، حيث كان معسكر الجيش وأقام تسعة أيام بمصطبة السلطان . ولم يتفق مثل موكبه لسلطان من سلاطين مصر بعد الأشرف برسباى سنة ٨٢٦ هجرية فدقت البشائر بقلعة دمشق — وكانت عامرة — وزينت المدينة أجمل زينة وفرشت شقق الحرير تحت أرجل خيله ابتداء من جامع سيباى ، ويذكر ابن إياس أن قنصل الفرنجة بدمشق وتجارهم اشتركوا مع الأهلين فى الترحيب بملك مصر ونثروا دنانير الذهب عليه وجاء رئيس دار الضرب بدمشق المحروسة المعلم صدقة الإسرائيلى ، فنثر نقوداً من الفضة جديدة ضربت لهذه المناسبة السعيدة

وكان سيباى قد خف إلى ناحية سعسع[1] على طريق مصر ، وقيل إلى طبرية لاستقبال الغورى ، ولما دخل دمشق كان بجوار السلطان يحمل له القبة والجلالة ، كما جرت بذلك المراسم المعتادة للملوك المصريين

وسار الغورى إلى حلب ومعه سيباى وأمراء الشام ، وهناك تجمعت جيوش ممالك مصر والشام وحلب استعداداً ليوم مرج دابق — وليس هنا موضع درسه ولا بحثه — وإنما نذكر حادثة وقعت هناك إن دلت على شيء فهو جرأة سيباى وصراحته المتناهية ، وهى أن والى عينتاب[2] ، وكانت من أعمال مصر ، انضم إلى العثمانية ، فلما رأى أهبة المصريين ندم على ما فعله ، وجاء إلى السلطان منضما إليه تائباً ، فلم تجز عليه حيلته ، وأعدم لتسليمه المدينة ، وكان ذلك بحضور الأمراء والنواب والأعيان ، فقام من بينهم سيباى وقبض على خير بك نائب حلب وجره بين يدى الغورى وقال : « ياmولانا السلطان إن أردت أن ينصرك الله على عدوك فاقتل هذا الخائن » فقام الغزالى وقال « يامولانا لا تفتن العسكر ونبدأ فى قتال بعضنا بعضاً : وتذهب أخباركم إلى عدوكم ويزداد طمعه فيكم وتضعف شوكتكم والرأى لكم ! »

والتفت السلطان نحوهم وطلب إليهم « بأن يتحالفوا ثانياً ، وألا يخون منهم أحد ، والخائن يخونه الله تعالى وعليه لعنة الله » ثم أمر بأن ينادى بالرحيل ، وتحركت القوى إلى حيث تلقى جموع العثمانيين فى شمالى حلب على بعد ثلاثين كيلومتراً فى وسط سهل مرج دابق ليوم من أيام مصر السود ، وهو يوم الأحد ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ ، وهناك كان مثوى ملك الأمراء سيباى آخر من حكم دمشق باسم مصر

***

فى يوم شديد الحر وقد انعقد الغبار حتى صار لا يرى القاتلون بعضهم بعضاً خطت الأقدار حكما ضد مصر وجندها فخسروا المعركة بعد يوم لعبت فيه البطولة والخيانة وعظمة النفس مع الكيد وسوء الظن معاً ، وكان على رأس جند الشام سيباى فى ميمنة الجيش يقاتل قتال المستميت ، ويصادم مع أمراء مصر لكسب معركة خاسرة . قال المحلى : « ولكنهم مع قلتهم أوقفوا هذا الجيش العظيم ولم يقدر أحد منهم أن يتقدم » . وفى مواجهة العدو وتحت لأمة الحرب سقط أمير الأمراء سيباى الكافلى مع من استشهد فى وطيس ذلك النهار

ماذا كان من أثر ذلك اليوم ؟ كان أن أصبحت مصر العظيمة[1] تحت الجزية بعد أن أمضت القرون تفرض الجزية على غيرها

وفى حارة من حارات دمشق على رأس شباك من زاوية يطلق عليها اسم زاوية السلطان عمر بن عبد العزيز أبقى الزمن هذا المرسوم بالخط النسخ المملوكى منقوشاً على الحجر

« مما رسم بالأمر الكريم العالى المولوى السيفى سيباى مولانا ملك الأمراء كافل الشام المحروسة أعز الله أنصاره بأبطال المظلمة المحدثة على حارة القنوات بسبب واقع فى النهر وبأبطال الجبايات والحماية وشيخ الحارة » . تلك تحية من الزمن لمصر الخالدة !

***

أين عظامه ؟ أين تراثه ؟ أين الأوقاف التى أرصدها على مدرسته بدمشق ؟ أين آثاره بحلب ؟ كل ذلك ذهب مع الريح !

لا لم يذهب شيء ، إن سيباى وغيره باقون مع الزمن ، لأن الدروس التى نتلقاها من الموت والهزيمة أقوى وأشد وقعاً من دروس النصر والغلبة ، وراحة البال والطمأنينة .

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسورية ولبنان

(حاشية) : سقطت كلمة الأستاذ إمام كرد على ، وهو العالم الكبير ذى الفضل المظيم فى العدد السابق .

---

(١) هكذا ورد رثاء أورشليم فى العهد العتيق .

(١) اسمها الحالى حازى عينتاب وهى داخل الأراضى التركية التى كان جزء كبير منها داخل الأراضى المصرية أيام الغورى .

(٢) بلدة على الطريق .

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

الفيتامينات تغذى عقلك أيضا

سمعت طبعاً عن الفيتامينات وضرورتها للحياة السعيدة وللصحة الجيدة . وعرفت أن الجسم الذى يعانى نقصاً منها يعانى من الآلام والعلل ما لا يتيح له مواصلة الحياة . ولكنك لم تعرف أن العلماء اكتشفوا أخيراً أنها غذاء العقل أيضاً . وأن نقصها يؤدى إلى حالات مختلفة من الاضطراب العقلى فيصاب الإنسان بالقلق وضعف الذاكرة وسرعة التعب وعدم الرغبة فى العمل كما يحس بآلام خفية فى مفاصله وظهره ويفقد شهيته .

وقد يكون الضعف التناسلى نتيجة لنقص أحد أنواع الفيتامينات المتعددة . بل هناك نوع من الفيتامين ينظم قدرة الإنسان الجنسية . وأولئك الذين يعانون نقصاً فى الفيتامينات هم فى الواقع أقل قدرة على مواجهة الحياة وأكثر تعرضاً للفشل لأنهم محرومون من صحة الجسم وسلامة العقل .

ولكى ندرك تأثير الفيتامينات على العقل يجب أن نعرف عملها فى الجسم . فالفيتامينات إحدى الهبات التى نجدها فى منتجات الطبيعة من الأغذية والخضروات التى نأكلها مثل البيض والكبد واللبن والقمح والطماطم والفواكه وغيرها . وتيسر منذ سنوات قلائل الحصول على هذه المواد بالطرق الصناعية فانتشرت مركباتها فى الصيدليات كحبوب أو كحقن تستخدم لعلاج حالات نقصها أو للتغلب على بعض الأمراض الناشئة .

ولا يحتاج جسم الإنسان إلى مقادير كبيرة من هذه المواد الضرورية فما نحتاجه من فيتامين (ب) المعروف باسم الثيامين لا يتجاوز جزءا من ألف من الأوقية فى اليوم الواحد ، أى أن أوقية واحدة من الفيتامين تكفيك ثلاث سنوات أو تكفى ألف شخص ليوم واحد .

وعمل الفيتامينات فى جسم الإنسان أنها تساعد على تحويل المواد الغذائية التى تتناولها إلى نشاط جسمانى وعقلى . وبغيرها لا يستفيد الجسم شيئاً من المواد التى نأكلها . وقد اكتشف الطب والكيمياء عشرة أنواع من الفيتامينات مرتبة على الحروف الهجائية تبعاً لوقت اكتشافها . ولا يزال العلماء منهمكين فى اكتشاف أنواع أخرى منها .

وأكثر الفيتامينات تأثيراً على العقل هو فيتامين ب بأنواعه الستة ، ولاثنين منها تأثير خاص على العقل وهما الفيتامين والنيكوتين . وتوجدان بكثرة فى الخمائر والكبد والبيض . وأيسر طريق لتعاطى هذين النوعين هو الإقبال على حبات الخمائر المجهزة المعروفة فى الصيدليات ، فإن تعذرت فعليك بإحدى خمائر الأفران الأفرنجية أذبها فى قليل من الماء المحلى بالسكر واشربها فى الصباح وفى المساء فتحصل على كمية وافرة من الفيتامينات التى يحتاج إليها جسمك وعقلك .

وظواهر نقص الفيتامين تبدو من تنمل الأطراف ، فإن كانت الحالة حادة شعرت بألم فى يديك وقدميك . ويبدو هذا الألم فى الغالب كأنه التهاب لا تعرف سببه . وأحياناً يخطىء فيظنه نوعا من الروماتزم . ويلاحظ فى الوقت ذاته أن الإنسان يحس بالتعب السريع والضعف إن هو أجهد نفسه .

ومن نتائج نقص الفيتامين أيضاً المرض المعروف بالنورستانيا . وظواهره مختلفة متباينة من ميل إلى الخمول أو فقدان الشهية والذاكرة والأرق ، كما يبدو الإنسان مغموماً ورأسه مثقل بالهواجس ، ولا تكون هذه الظواهر شديدة حادة ولكنها تكفى لأن يشعر الإنسان أنه مريض أو متوعك المزاج .

فإن أقبل المريض على تعاطى نوع جيد من مركبات الخمائر فأنه لن يلبث أن يدهش للتقدم السريع الذى يحصل عليه فى أيام قلائل فأنه سيحس بانتعاش عاجل ، وبتطور غريب يعيده إلى حالته الطبيعية .

وثانى أنواع الفيتامين تأثيراً على العقل هو المعروف باسم حامض النيكوتين وتركيبه الكيماوى قريب من نيكوتين التبغ . وقد تكلمنا عن نقصه فى مقال سابق عن البلاجرا وذكرنا مدى انتشارها فى بلادنا .

ولم يكشف العلم الغطاء تماماً عن أسرار فيتامين حامض النيكوتين وإن كانت ظواهر البلاجرا من إسهال وميل إلى النحافة وظهور الالتهابات الجلدية وغيرها من الآلام التى يعانيها الجسم من النتائج الثابتة لنقصه .

ولا يعنينا فى هذا المقال أن نتحدث عن الظواهر الجسمانية بل إن ما يهمنا هو الظواهر العقلية التى يحس فيها المصابون بقلق

وعدم اطمئنان فهم يخشون شيئاً لا يعرفون ما هو ويغلب عليهم الاضطراب والميل إلى التقلب وصعوبة التفاهم ولايستطيعون السيطرة على عواطفهم ، فما أسرع ما تبكيهم وما أسرع ما تضحكهم ، تغضبهم ضوضاء حركة المرور، وإقفال الأبواب بعنف . وقد يثيرهم سماع الراديو ويتعب أنظارهم الضوء الوهاج .

فإذا كانت الحالة حادة أوجدت فيهم استعداداً للجنون فلا مفر من نقلهم إلى المستشفيات العقلية . وعلاج هذه الحالة إذا لم تؤد إلى حالة أخرى هو طبعاً تعاطى فيتامين حامض النيكوتين .

والمواد الكحولية والمسكرات تؤدى إلى نقص الفيتامينات فى الجسم لأن المعدة تستهلك كمية أكبر لتوازن كيماويات الكحول ولتعادل تأثيرها فضلا عن أن الجسم نفسه يحتاج إلى مقدار أوفر من فيتامينات ب . فإن وصلت حالة النقص إلى تأثيرها الحاد اختلط العقل ورأى المصاب أشباحاً وحيوانات مخيفة تسبح فوق رأسه وتكتنفه من كل جانب ، ومن الضرورى فى هذه الحالة حقن المصاب بكميات كبيرة من فيتامينات ب . وهذا العلاج فى الغالب يؤدى إلى تحسن ملموس .

ومن الخطر أن يهمل الإنسان نفسه إن أحس بنقص هـذه المواد الحيوية لأن النتائج تكون فى الغالب وبيلة . وقد تنفع فى علاجها فى أول الأمر بضع حبـات من الفيتامين المطلوب فإن أزمنت فإنها ستنقلب إلى أمراض أخرى يتعذر شفاؤها ولا سيما أن الأمراض العقلية من أعسر الأمراض علاجاً ، وقال بعض الإخصائيين إن علاجها ليعود الإنسان إلى الحالة الطبيعية لايتجاوز الثلاثة فى المائة .

الأشرطة السينمائية واختبار نجاحها

توصل الدكتور جورج جالوب إلى اختـراع آلة تسجل استجابات الجمهور من نشوة أو ابتهاج أو استسخاف حيال مسرحية أو شريط سينمائى وتسجل هذه الآلة إحساسات كل فرد من الشاهدين على لوحة من الورق حيال كل منظر من مشاهد الشريط . وبتطبيقهـا على مفتاح للشريط يعرف منتجوه أى أجزائه حاز القبول أو الاستهجان .

وبعد انتهاء عرض الشريط أو المسرحية تجمع الآلة استجابات الجمهور وتوضحها فى خمس درجات وهى « مقبول » و « مقبول جداً » و « محايد » و « سخيف » و « سخيف جداً » .

وطريقة استخدام هذه الآلة أن يجلس الجمهور فى الحفلات الأولى كالمعتاد ويمسك كل مشاهد بيده آلة صغيرة متصلة بالآلة الكبيرة فتسجل إحساسه فى كل مشهد يراه على شريط من الورق . وتعتمد الآلة فى تسجيل هذه الإحساسات على اهتزازات الإنسان المختلفة حيال المشاهد المختلفة ، فللفرح هزته ، وللانتعاش هزته أيضاً .

وقد توصل العلماء الأمريكيون من زمن إلى تحليل ظواهر الإحساسات النفسية . ويقسم الدكتور جالوب رواد الملاهى أيا كانت ثروتهم أو فقرهم إلى ٤٢ قسما من مختلف الأعمار والميول .

ويتوقع أصحاب الملاهى لهذه الآلة مستقبلا باهراً كما يتوقعون انتعاشاً كبيراً لأعمالهم فعلى هديها يتاح لهم أن يقدموا للجمهور ما يحتاج اليه من متع . وغنى عن القول أن هـذه الآلة سوف تطلعهم على مواطن الضعف فى مباهجهم فيعدلونها بما يناسب طلبات الجمهور وذوقه .

وقد اختبرت هـذه الآلة حتى الآن ٤٥ شريطاً سينمائياً . وصححت بعض الأشرطة بعـد اختبارها بهذه الآلة فارتفعت من مرتبة ضعيف جدا إلى نجاح كبير .

فوزى الشتوى



١١ - الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

عن الأمس وعن اليوم (تابع)

فقلت وأنا أطبق ما شرحه صديق على التماثيل التي أمامنا :

« لابد وأن يكون صعباً على المرء أن ينفذ إلى أعماق نفوس الآخرين على هذا النحو » .

« نعم لاريب في ذلك » ثم عاود حديثه في شيء من التهكم :

« ولكن أكبر الصعاب التي تصادف الفنان الذي يمثل تمثالا أو يصور صورة لا تأتي من ناحيته ولكن من ناحية العميل الذي يعمل له الفنان . إن الإنسان الذي يطالب الفنان بعمل مثال له يشابهه تمام المشابهة لهو الذي يعنت الفنان عنتاً شديداً بقانون عجيب قاتل . إذ قلما يستطيع امرؤ أن يرى نفسه على حقيقتها ، وإن هو استطاع ذلك فإنه يأبى على الفنان أن يظهره على تلك الحقيقة . بل يريد منه أن يظهره بمظهر مبتذل تافه . إنه يود أن يبدو كاللعبة التي تحركها الخيوط ، يسره أن يظهر بالوظيفة التي يؤديها أو بالمركز الذي يشغله في الهيئة الاجتماعية ، وأن يمحى الرجل الذي فيه محواً تاماً . فيرغب الحاكم في أن يرى ثوبه المنمق ، والقائد عباءته الموشاة بالذهب ولكن قلما يعنى أحد منهم بأن تقرأ أخلاقه ونفسيته من صورته .

وفي هذا ما يفسر نجاح الكثيرين من أوساط المصورين والمثالين الذين يقنعون بإبراز المظهر الذي لا يدل على شخصية عملائهم كملابسهم المزخرفة وهيئاتهم الرسمية . أولئك هم الفنانون الذين لهم الحظوة الكبرى لدى الجمهور لأنهم يسدلون على مثلهم ستراً من العظمة والأبهة . وكلما زادت تهاويل الصورة وتزايينها كانت أقرب إلى اللعبة الجامدة المزوقة ، وازداد ارتياح العميل إليها .

ربما لم يكن هذا كذلك في كل الأحوال . إذ يظهر أن بعض سادة القرن الثامن عشر مثلا كانوا يطربون لرؤية أنفسهم مصورين على هيئة ضباع أو نسور على ظهر أنواط من تلك التي كان يصنعها بيزانللو . كانوا ولا شك فخورين بشخصياتهم أو بالحرى كانوا قد أحبوا الفن وأجلوه ، واستساغوا صراحة الفنان الجافة النابية كما لو كانت جزاء موقعاً من رئيس روحي .

لم يتردد المصور تيتيان في إظهار أنف البابا بولس الثالث على هيئة فنطيسة ابن عرس ، ولم يحجم عن إيضاح غطرسة شارل الخامس الجافية ، أو عن تبيان شهوانية فرانسوا الأول . ومع كل ذلك لم يفقد مكانته أو شهرته لديهم . كذلك كان شأن فلا سكويز الذي لم يملق الملك فيليب الرابع فصوره كرجل غفل خامل برغم ما يبدو عليه من الظرف وحسن الشمائل ؛ ولم يتحرز من إظهار فكه المتدلي ، ومع ذلك استبقى حظوته لديه فاستحق بذلك الملك الإسباني الإجلال والإكرام من الأجيال القادمة لأنه كان نصير العبقرية وملاذها .

أما رجال اليوم فقد أصبحوا يخشون الحق ويحبون الكذب . ويبدو منهم أنهم يمقتون رؤية أنفسهم على سجيتها في الصور والتماثيل . كلهم يريد أن تكون عليه سيما التجمل والتزين .

حتى أكثر النساء جمالا ممن لهن قسمات مليحة ممتازة يستبشعن جمالهن وينكرنه عند ما يبرزه مثال نابه . فتراهن يضرعن إليه أن يجملهن دميات بأن يضفي عليهن ملامح كالتي تبدو على عرائس الأطفال ودماهم .

وعلى ذلك ، فعلى المثال الذي يشرع في عمل تمثال أن يخوض غمار معركة طويلة مضنية . وكل ما يهم في الأمر ألا ينكص على عقبيه أو يضعف أو يهن بل يظل ثابتاً مخلصاً لنفسه . فإذا ما رفض عمله زاد الطين بلة . وربما كان الخير في ذلك لأنه غالباً ما يكون لذلك العمل مزايا عظيمة .

أما العميل الذي يقبل قطعة طيبة على غير مشتهاه ورضاه ، فإنه لايلبث أن يغير شعوره نحوها عندما يمتدحها الهواة ، وينتهي به الأمر أخيراً إلى الإعجاب بها ، وبعد ذلك يعلن في صراحة أنه كان يحبها ويقدرها دائماً

وفضلا عن ذلك يلاحظ أن أروع التماثيل وأجلها هي ماصنعت للأهل أو للأصدقاء بلا مقابل ، وليس ذلك لأن الفنان يعرف مثاله معرفة طيبة من طول النظر إليه ومحبته له فحسب ، بل لأن مجرد شعوره بإهداء عمله إليه يطلق له عنان الحرية في العمل

ومع ذلك فقد رفضت أحسن التماثيل عندما وهبت للأصدقاء بغير مقابل ، وعلى الرغم من أنها قطع خالدة ، فقد أعدت إهانة للمهدى إليهم . ينبغي على الفنان أن يسير في طريقه قدماً ، ويجد تمام لذته وحسن جزائه في أن يقوم بعمله على خير الوجوه وأحسنها »

لقد تابعت باهتمام كبير نفسية الجمهور الذي يتصل به الفنان ولكن يجب على أن أثبت هنا أن كثيراً من المرارة كانت تمازح تهكم رودان ، قلت له :

« ولكن يظهر يا أستاذ أنك أغفلت تجربة من تجارب حرفتك ، وهي أنك تصنع تمثالا لعميل لا يحوى رأسه تعبيراً ما أو ينطوى على غباوة ظاهرة . فضحك رودان من قولي ثم أجاب :

« هذا لا يمكن أن يحسب في عداد التجارب . ثم لا يجب أن تنسى مبدئي الذي أستمسك به دائماً وهو : أن الطبيعة جميلة أبدا . وليس علينـا إلا أن نفهم ما تظهره لنا . إنك تتكلم عن وجه بلا تعبير . وفي الواقع لا يوجد مثل هذا الوجه لدى الفنان الذي عنده أن كل رأس يدعو إلى الاهتمام . دع مثالا يلحظ وجها غفلا ساذجا ، أودعه يظهر لنا معتوهاً منصرفاً إلى العناية بظاهر دنياه فترى منه تمثالا جميلا رائعاً .

« ثم ان ما يسمى (بالسطحية) غالباً ما يكون شعوراً غير مكتمل بالنسبة لنقص التعليم والتهذيب وفي تلك الحالة يتخذ الوجه مظهراً غامضاً جذابا لعقلية تبدو كأنها مقنعة بقناع شفاف » .

« وأقول أخيراً -- ولا أدرى وايم الله كيف أفصح عما أريد أن أقول — إن أحقر الرءوس شأناً ، وأقلها خطراً ما هو إلا مستكن لتلك القوة السحرية العجيبة — الحياة . وعلى ذلك فهو معين لا ينضب لعمل الطرفة الفنية الفذة » .

شاهدت بعد عدة أيام بمرسم رودان في ميدون صبائب لكثير من تماثيله البديعة . وهناك انتهزت الفرصة وسألته أن يوقفني على الذكريات التي تبعثها تلك التماثيل . كان هناك تمثال فيكتور هوجو — غارقا في بحار التأمل ، جبهته المجعدة كأنها البركان ، وشعره الأشعث كأنه ألسنة لهب أبيض تندلع من جمجمته ...

إنه تمثيل صادق للشعر الفناني الحديث من حيث عمقه واصطخابه . قال رودان :

« إن صديق بازير Bazire هو الذي قدمني لفيكتور هوجو وعرفني به . وكان بازير كاتم سر جريدة المارسييز ثم جريدة الانترانسيجان فيما بعد . وكان يعبد فيكتور هوجو . وكان أول من فكر في عمل حفل سنوى للشاعر العظيم بمناسبة عيد ميلاده الثمانين . وكان الحفل كما تعلم هادئاً رائعا . فقد أشرف الشاعر من شرفة منزله يحيي الجماهير الغفيرة التي قصدت منزله تطلب مشاهدته . فكان كأنه البطرق يبارك شعبه . ومن أجل ذلك اليوم احتفظ هوجو بامتنان عظيم لذلك الرجل الذي دعا إلى الحفل ونظمه . وهكذا استطاع بازير أن يقدمني إليه في غير مشقة . ولسوء الحظ كان فيكتور هوجو موتوراً من مثّال وسط إسمه فيلان Villain اضطره إلى جلوس ثمان وثلاثين جلسة أخرج له بعدها تمثالا رديئاً . ولهذا فإني عندما تقدمت إليه متعثراً بأذيال الخجل ، مبدياً له رغبتي في تخليد قسمات مؤلف « التأملات » قطب حاجبيه الأولمبيين وقال : « أنا لا أستطيع أن أمنعك من العمل ، ولكني أصارحك القول إنني سوف لا أجلس إليك وسوف لا أبدل عادة من عاداتي من أجلك ، فدبر أمرك وتخير أداتك .

(يتبع) دكتور محمد بهجت

قسم البساتين

من وحي انجلترا [1]

نهر الجمال

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

في مقاطعة دڤونشير الجميلة بانجلترا مفاتن من الجمال الطبيعي ؛ وأحد هذه المفاتن نهر « الأكس » الذي ينبع من مرتفعات ديڤون مارا بمدينة إكستر . وهنا يناجيه الشاعر بهذه الأبيات : —

ألفيتُ في واديك أُنسا وصفاء عيش ليس يُنسى
أمسٌ طويته يدُ الغيـوب فمن يردُّ إليَّ أمسا ؟
أودعتُ تلك الذكريا تِ لديك بالكتمان رمسا
فاحفظ وديعتك التي خُلِسَت من الأيام خلسا ..

خلتْ الحياةَ على ضفا فك لا تزولُ ولا تضيعُ
فإذا الحياةُ قصيرةٌ وإذا البطىء بها سريعُ ..
وإذا الليالي الذاهبا تُ لديك ليس لها رجوعُ
لا دامَ يا نهرُ الشتا ء بها . ولا بقيَ الربيعُ

سيَّان منبعكَ الموشَّى بالبدائع أو مصبُّك
أين الذي روَّيتَه ماء الحياةِ ولا يحبُّك ؟
وعلى ضفاف النيل ظَمْآن مُناهُ لو يعبُّك !
القلبُ بَاحَ بسرّه أفهل يبوحُ اليومَ قلبُك ؟

تلك الهضابُ الحانيا تُ على ضفافك لا تزال ؟
وعلى صحيفتك المُفضضـة لم تزل تلك الظلالُ ؟
وهل الليالي المُقْمِرا تُ هناك يُحْيِيها الوصال ؟
حيث القلوبُ تشبُّ جذ وتها ويستعرُ الخيال ؟

أين الطيورُ الرائحا تُ على مياهك والغوادي ؟
تلهو الصغارُ بها وتُطـ عمها الوليدةُ بعضَ زادِ
هي آمناتُ السرب تمـ رح تحت أكناف العباد
هل فرَّقتها اليومَ غا رات الوحوش على البلاد ؟؟

هل ظلَّ منبعك الغزيـ ر من الشَّمال كما رأينا ؟
وهل المصبُّ كما افترقـ نا في رُباه أو التقينا ؟
والصخرة الحمراء هل بقيتْ كما كانت علينا ؟؟
أين السبيلُ إليك يا نهر الأحبة أين أينا ؟؟

محمد عبد الغني حسن

(١) من ديوان للشاعر تحت الطبع بهذا العنوان .

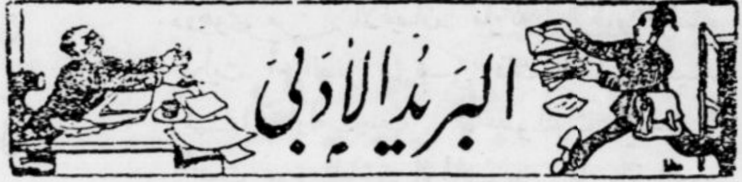
يا شعر !

للمرحوم أبي القاسم الشابي

يا شعر ! أنت فم الشعور ، وصرخة الروح الكئيب
يا شعر ! أنت صدى نحيب القلب ، والصب الغريب
يا شعر ! أنت مدامع علقت بأهداب الحياة
يا شعر ! أنت دم تفجـر من كلوم الكائنات
يا شعر ! قلبي — مثلما تدرى — شـقى مظلم
فيه الجراح النجل يقطر من مغاورها الدم
جمدت على شفتيه أوزار الحياة العابسه
فهو التعيس ، به مرارات القلوب البائسه
أبداً ينوح بحرقة بين الأماني الهاويه
كالبلبل الغريد ما بين الزهور الذاويه
كم قد نصحت له بأن يسلو وكم عزيته
فأبى وما أصغى إلى قولي ، فما أجديته
كم قلت : صبراً يا فؤاد ! أما تكف عن النحيب !
فإذا تجلدت الحياة تبددت شمل اللهيب
يا قلب . لا تجزع أمام تصلب الدهر الهصور
فإذا صرخت توجعاً . هزئت بصرختك الدهور
يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديع
يصغى لضجات العواصف قبل أنغام الربيع
يا قلب لا تقنع بشوك اليأس من بين الزهور
فوراء أوجاع الحياة عذوبة الأمل الجسور
يا قلب لا تسكب دموعك بالفضاء فتندم
فعلى ابتسامات الفضاء قساوة المتهكم

لكن قلبي وهو مخضل الجوانب بالدموع
جاشت به الأحزان إذ طفحت بها تلك الصدوع
يبكي على الحلم البعيد بلوعة لا تنجلي
غردا كصداح الهواتف في الفلاة يقول لي :
طهر كلومك بالدموع وخلها وسبيلها .
إن المدامع لا تضيع حقيرها وجليلها
فمن المدامع ما تدمع جارفاً حسك الحياة
يرمى لهاوية الوجود بكل أشواك الطغاة
فارحم مضاضته ونح معه على أحلامه
فلقد قضى الحلم البديع على لظى آلامه
ردد على سمع الدجى أنات قلبي الواهيه
واسكب بأجفان الزهور دموع قلبي الداميه
فلعل قلب الليل أشفق بالقلوب الباكيه !
ولعل جفن الزهر أحفظ للدموع الجاريه !
كم حركت كف الأسى أوتار ذياك الحنين
فتهاطلت أحزان قلبي في أغاريد الأنين
ولكم أرقت مدامعي حتى تقرحت الجفون
ثم التفت فلم أجد قلباً يقاسمني الشجون
فعسى يكون الليل أرحم فهو مثلي يندب
وعسى يصون الزهر دمعي فهو مثلي يسكب
قد قنعت كف السماء الموت بالصمت الرهيب
فغدا كأعماق الكهوف بلا ضجيج أو وجيب
يأتي بأجنحة السكون كأنه الليل البهيم
لكن طيف الموت قاس والدجى طيف رحيم
ما للمنية لا ترق على الحياة النائحه ! ؟
سيان أفئدة تئن أو القلوب الصادحه ؟
يا شعر ! هل خلق المنون بلا شعور كالجماد ؟
لا رعشة تعرو يديه إذا تملقه الفؤاد ؟
أرأيت أزهار الربيع وقد ذوت أوراقها
فهوت إلى صدر التراب وقد قضت أشواقها ؟
أرأيت شحرور الفلا مترنما بين الغصون
جد النشيد بصدره لما رأى طيف المنون ؟
فقضى وقد غاضت أغاريد الحياة الطاهره
وهوى من الأغصان ما بين الزهور الباسره
أرأيت أم الطفل تبكي ذلك الطفل الوحيد
لما تناوله بعنف ساعد الموت الشديد ؟
أسمعت نوح العاشق الولهان ما بين القبور
يبكي حبيبته فيا لمصارع الموت الجسور ؟
طفحت بأعماق الوجود سكينة الصبر الجليد
لما رأى عدل الحياة يضمه اللحد الكنود
فتدفقت لحناً يردده على سمع الدهور
صوت الحياة بضجة تسمى على شفة البحور
يا شعر ! أنت نشيد أمواج الخضم الساحره
الناصعات ، الباسمات ، الراقصات ، الطاهره .
السافرات ، الصادحات ، مع الحياة ، إلى الأبد !
كعرائس الأمل الضحوك يمسن ما طال الأمد
ها إن أزهار الربيع تبسمت أكمامها
ترنو إلى الشفق البعيد تغرها أحلامها
في صدرها أمل يحدق نحو هاتيك النجوم
لكنه أمل ستلحده جبابرة الوجوم
فلسوف تغمض جفنها عن كل أضواء الحياة
حيث الظلام مخيم في جو ذياك السبات
ها إنها همست بآذان الحياة غريدها
فتلت عصافير الصباح صداحها ونشيدها
يا شعر ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمه
يا ليتني مثل الزهور بلا حياة واجمه
إن الحياة كئيبة مغمورة بدموعها
والشمس أضجرها الأسى في صحوها وهجوعها
فتجرعت كأساً دهاقا من مشعشعة الشفق
فتمايلت سكرى . إلى كهف الحياة ولم تفق
يا شعر ! أنت تحيها لما هوت لسباتها
يا شعر ! أنت صداحها ، في موتها ، وحياتها
يا شعر ! يا قيثارة الأحلام يا ابن صبابتي
لولاك مت بلوعتي وبشقوتي وكآبتي
فيك انطوت نفسي وفيك سكبت كل مشاعري
فاصدح على قمم الحياة بلوعتي . يا طائري

أبي القاسم الشابي



في (طبيعي لا طباعي ولا طبعي)

جاء في (اللسان) : « والطباع واحد طباع الإنسان على فعال مثل مثال »

وقد ضبطت (طباع) الثانية في هذا الكتاب بالكسر ، فتوهني هذا الضبط ، وظننت اللفظة المفردة جمعاً ، فقلت في كلمتي (طبيعي لا طباعي ولا طبعي) : « والأزهري أو غيره يقول : — كما نقل اللسان والتاج — الطباع واحد طباع الإنسان على فعال قلت : فهوعنده كهجان وهجان ودلاص ودلاص » . وقد أخطأ ضابط الطباع هنا بالكسر ، وأخطأت أنا في ظني أنها جمع ، ومن دأب (اللسان) تكرير العبارات التي ينقلها دون تبيين كاف ، والصواب هوضبط (الطباع) الثانية بالضم ، وهي تفسير لقوله (الطباع واحد) ، فليست الطباع في هذه الجملة جمعاً .

محمد اسعاف النشاشيبي

بمارستان قلاوون

في الأسبوع الماضي أقام اتحاد خريجي الجامعة في ناديهم حفلة تأبين للدكتور الراحل محجوب ثابت ، وقد قام أصدقاء الفقيد وزملاؤه وطلبته يعددون مآثر الفقيد ويترحمون عليه بما هو أهل له . ولست بصدد الكلام عن الحفلة ، بل أقول إن الكلمة الختامية لهذه الحفلة كانت للأستاذ عبد العزيز عبد الحق أستاذ التربية بكلية الشريعة ، وقد بين فيها ما كان للفقيد من مشروعات وبرامج إصلاحية من الوجهة التعليمية ، وذكر منها : أن الفقيد كان يرمي إلى إنشاء كلية إسلامية للطب يكون مقرها مستشفى قلاوون (البيمارستان) ، تلك المستشفى التي زارها كثيرون من الأجانب ، والتي وعت كتب التاريخ عنها الشيء الكثير ، فقد ذكرت أن الذي كان يقوم بالتدريس في هذا البيمارستان شيوخ معممون من الذين تشبعوا بالثقافة الشرعية والعلوم الإسلامية ، وتكون تلك الكلية تابعة للأزهر ، وهو بذلك العمل يريد أن يعيد لذلك البيمارستان ما كان له من المجد الغابر والمكانة العظيمة أيام المماليك

تلك بعض معلومات تناولها الأستاذ عبد العزيز في كلمته ولما كان بعض القوم ليس لهم علم بهذا المشروع ، وتساءلوا عنه حين سمعوه ، وود البعض الآخر لو يعرفه حق المعرفة ، ويفهم مراميه حق الفهم ، فإننا نتقدم إلى الأستاذ راجين منه أن يوضح لنا هذا المشروع الذي خفي على بعضهم ، والذي أنتجته رأس مفكرة ، وقريحة متقدة قبيل الوفاة !

حسين عبد اللطيف السيد

الماركسية والحرية الفردية

يقول الأستاذ العقاد في مقاله « السلفية والمستقبلية » إن الحرية الفردية والتبعة الشخصية هي مقياس التقدم التاريخي ، وأن الماركسية تقضي على هذه الحرية كما تقضي على التبعة الشخصية ، وهو اتهام قديم طالما وجه إلى الماركسية . فالماركسية لا تنفي الفردية وإنما تنفي الانفرادية ، وهي لا تهدم الشخصية ولكنها تهدم الانعزال . والانفرادية معناها تجريد الفرد من المجتمع ، وعزلته عن الجماعة التي يعيش بين ظهرانيها ، ومعناها إنكار أثر المحيطات والظروف الاجتماعية في حياة الفرد ، ومعناها أن الدوافع الحقيقية التي تسيطر على الإنسان تظل مجهولة له ، فيتخيل دوافع زائفة أوظاهرية ، ليست في الحقائق المعقولات ، ولكنها المثاليات التي يحتفظ بها لا بلا شعور ، ولكن بشعور زائف . وعند ما تقول الماركسية بأثر التطور في وسائل الإنتاج في التطور التاريخي وفي الروابط القائمة بين بعض الأفراد ، وبين الطبقات وبعض ، أو على الأصح بين الطبقتين اللتين يتكون منهما المجتمع ، فإنها تبني هذا القول لا على تضارب الترهات ، وإنما تبنيه على أن الطبيعة ليست أحداثاً فجائية ، لا رابطة تقوم فيها بين الشيء والظاهرة ، ولكنها كل مرتبط ببعضه ، فيه الأشياء والظواهر مرتبطة حيوياً ارتباطاً يجعل كلا منها أساساً للآخر ومعتمداً عليه ومكيفاً له ، وعلى هذا لا يمكن تجريد أي شيء في الطبيعة وأخذه لبحثه في ذاته ، وعلى هذا فالانفرادية شيء يتعارض مع قوانين الطبيعة

والماركسية تؤكد الشخصية والفردية ، كما تؤكد الحرية

حين تقول إنها تقدير الضرورة ، وحين تقول إن الضرورة عمياء ما دامت غير مفهومة ، وحين تبنى التحول فى فهم ماهية الأشياء من كونها ذات قيمة ذاتية إلى كونها ذات قيمة لنا ، وحين تقول إن الحرية الفردية إذا لم يدعمها استقلال مالى ، ومستوى معيشة مرتفع ، وإلغاء للملكية الفردية لوسائل الإنتاج ، ولاستغلال اقتصادى ، تصبح لا قيمة لها. وحين تعمل على دعم الحرية بعناصرها الحقة ، فإن تساوى الفرص وتكافؤها هى عنصر الحرية الأول .

أما الانفرادية البرجوازية ، انفرادية الأبراج العاجية والأرستقراطية الفكرية والجهل المطبق بروح الجماعات وميزات الشعوب ، وأما الاستقلالية البرجوازية ، استقلالية الاستغلال والرجعية ، وأما الحرية البرجوازية حرية الأقلية فى سلب الأغلبية ثمار عملها ، هذه الانفرادية، وهذا الاستقلال، وهذه الحرية، هى التى تنادى الماركسية بهدمها وتكافح لإلغائها ، لأنها تتعارض مع اجتماعية الإنسان .

إبراهيم عامر

إلى الدكتور مأمون عبد السلام

أعجبنى مقالك فى الرسالة (البحث العلمى) بقدر ما أفادنى . إنها ملاحظات عميقة وإرشادات سديدة لا غنى عنها لكل باحث متتبع . ولا سيما تلك الشروط الحكيمة التى لو سار عليها العلماء والمتعلمون فى بلادنا لتقدموا فى مضمارى العلم والعمل على سواهم .

ذلك قولك : (فإن كشف فى بحثه نقطة تخص أحدهم فليبادر بإطلاعه عليها لأن التعاون من روح العمل . وإن عثر على كتب أو نشرات تفيد أحدهم وجب إرسالها إليه لأن ذلك يبعث على توثق العلاقة ومحو التنافر وغرس المحبة والوئام بين أفراد يجب أن يكونوا أدعى الناس إلى التضامن فى خدمة العلم والإنسانية) .

من ذلك المقال النفيس زدتنى تفاؤلا بعدم انعدام الإنسانية وكونها فى نفوس لا تزال نبراساً يستضاء به ، وبلسما للجروح المتسممة وعوناً على نهوض الضعفاء والعاجزين ...

(ثمانية) **عبد الجبار محمود**

جائزة (الكاتب المصرى) للقصة

قررت إدارة (الكاتب المصرى) للطبع والنشر التى يشرف عليها الدكتور طه حسين بك من الناحية الثقافية إنشاء جائزة سنوية للقصة قدرها مائة جنيه .

وهى تدعو الكتاب والمؤلفين إلى الاستباق لنيل هذه الجائزة . وستحكم بين المستبقين لجنة مكونة قوامها خمسة من كبار الأدباء المتازين فى مصر — وقد حددت آخر موعد لتقديم القصة يوم ٣١ يناير ١٩٤٦ .

وهذه هى أصول المسابقة .

١ — المسابقة مفتوحة للكتاب العرب جميعاً على اختلاف الأقطار العربية فى الشرق والغرب .

٢ — الكاتب حر فى اختيار الموضوع الذى يكتب فيه لا يقيد بزمان ولا مكان ولا بيئة ولا اتجاه .

٣ — يجب أن تمتاز القصة بالابتكار وقوة الخيال وجمال اللغة العربية فى الشرق والغرب .

٤ — القصة التى تظفر بالجائزة ملك لشركة الكاتب المصرى — إدارة الطبع والنشر تطبعها وتذيعها على أن تحتفظ لصاحبها بحق المؤلف وقدره عشرون فى المائة من ثمن البيع الفعلى بعد الخصم — وهذا الحق مستمر مهما تتعدد الطبعات . وكل ذلك يجرى طبقاً للنظام المعمول به فى شركة الكاتب المصرى والذى يستطيع كل كاتب أن يطلع عليه .

٥ — يجوز لشركة الكاتب المصرى أن تطبع القصة الثانية إذا أوصت بذلك لجنة التحكيم وقبله صاحب القصة فى حدود النظام الذى أشير إليه فى البند السابق .

٦ — يرسل الكاتب نسختين من قصته مكتوبة على الآلة الكاتبة بعنوان شركة الكاتب المصرى ٢٦ شارع جلال — القاهرة — إدارة الطبع والنشر — ولا تقبل أى قصة تصل بعد تاريخ ٣١ يناير ١٩٤١ .

القصص

أم ...

للكاتب النمسوى فستر شبافكي

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

[هذه قصة أم — فرقت عن زوجها — فخاوت وجاهدت وضحت فى سبيل رفع ولدها إلى ذروة المجد ... فهل وفقت ؟ ... ذلك ما أبانه « فستر شبافكي » فى سياق هذه القصة ، وهى من روائعه . ويعد « شبافكى » من كتاب « النمسا » المبرزين فى فن القصة ، إذ يمتاز بطلاوة أسلوبه وصدق وصفه وسمو معانيه] (مصطفى)

فى ضحوة يوم رائع من خريف سنة ١٨٤٤ وقفت سيدة فى نافذة دارها المعروفة باسم « ستاج هوس » فى حى « ليبولد ستادت » ترنو بنظرات حائرة قلقة إلى الطريق ؛ وكانت تبدو فاتنة حسناء على الرغم من أنها تدنو من عقدها الرابع ... أما وجهها فكان مجالاً لانفعالات شتى تعانيها امرأة طلقها زوجها ، فاضطرت إلى إعالة بنيها ... وأخذت على عاتقها تربيتهم وتنشئتهم ...

ويغلب على أخلاق تلك السيدة ـ وهى من الطبقة المتوسطة ـ الرزانة والتواضع والهدوء ... ومع بساطة ثوبها شاعت فيه الأناقة والبهاء ... وينبعث من عينيها شعاع يعبر عما تستران من قلق ، ويجول فيهما التوسل إذا ما انحسرت أهدابهما ...

حانت ساعة الغداء فطُرِح على المائدة خوان ناصع نظمت فوقه ست صحاف — صنعت فى « فينا » — وتوسط المائدة زهرية محلاة بالزخارف وصفت فى أنحاء الغرفة أريكة وستة مقاعد — كسيت بالمخمل — وقام فى أحد جوانبها صوان بأدراج نحاسية الحلقات ... استقرت فوقه ساعة فوق قاعدة من الرخام ... أما فى الجانب المقابل فصوان آخر عليه صليب غطى بزجاج — رسمت عليه بعض الطيور المائية والبرية — ويوجد فى ركن متطرف « بيان » وضعت عليه زهرية فيها زهور ذابلة أما جدران الغرفة فزينت باللوحات الزيتية ... والصور التذكارية ...

جلس فى الحجرة التالية غلام فى السادسة عشرة : باهت الوجه ، يعلوه الشحوب ... مكباً على لوحة للرسم وقد انصرف إلى عمله بكل حواسه . بينما جلست على مقربة منه فى النافذة فتاتان تحيكان فى صمت ، وبعد هنيهة اندفع طفل فى الثامنة من عمره إلى أمه ودفن رأسه بين ثنايا ردائها ... وراح يئن ويصيح : « إنى جائع يا أماه » فقالت الأم فى تهكم وقد أضجرها بنواحه : تناول شيئاً من الملح فسوف تغدو عطشان أيضاً ... » وراحت تحدث نفسها : « لست أدرى ما الذى يفعله إلى الآن ، وهو يعلم أنى سأقدم إليه اليوم « طبقه المحبوب » . لابد أن شيئاً مهماً عاقه عن العودة ... »

وفى هذه اللحظة دخلت خادمة العائلة العجوز « وابى » تحمل باقة من الزهور وضعتها على المائدة ، فسألتها سيدتها فى دهشة :

— من ذا الذى بعث بتلك الزهور الجميلة ؟ !

— إنها من لدنى ياسيدتى ، وسأهديها إلى سيدى « جونى » ... فاليوم من أدق أيام حياته ، ولكنى متأكدة من رضائه ... لقد قال لى عند ما تركنا هذا الصباح « انظرى يا بتى » فهو ينادينى « بيتى » لا « وابى » كالآخرين ، فهو طيب القلب ... قال : « انظرى يا بتى » إذا عدت بأقدام ثابتة راسخة وفى سترتى زهرة فاعلمى أنى نلت ما كنت أطمع إليه ، وإذا كانت ساقاى متخاذلتين والزهرة فى قبعتى ... فهذا معناه الفشل والإياب بخفى حنين ... »

فقالت سيدتها : « ولكنه لم يطلعنى على شيء مما تقولين ... يا إلهى لو أنه نال الإذن الذى يوده ! إنى لخائفة من رفض طلباته لأنى سوف أكون الملومة ، فقد كنت أستحسنه وأقف إلى جانبه ضد أبيه ... »

— انت مخطئة فى زعمك ... فسوف يجاب إلى طلبه وينال بغيته .

— إنى لست خائفة من ذلك ، فهو لا يهتم بالجيش كاهتمامه بتكوين فرقة موسيقية ... ولكن .. ماذا سيؤول إليه أمره

إن هو فشل ؟ سوف يفقد آماله فى العثور على وظيفة فى الجيش ... ويعود إلى البحث عن عمل موسيقى حقير فى المطاعم ... وهذا النوع من الأعمال ... آه طالما حذره والده من ذلك ... إن تلك الأعمال شاقة جداً وأفقها ضيق ، فواحد فى المائة هو الذى ينال مأربه ويرتقى إلى ذروة المجد ... » فقاطعها يوسف بعد أن ترك لوحة الرسم قائلا :

— ولكن جونى سيكون ذلك الشخص ... فهو عبقرى ... وقد عزف لى لحنه « الولس » الجديد البارحة ... ولم أسمع من قبل شيئاً يسيطر على النفس ويملك الفؤاد كذلك اللحن ...

— أصبت يا بنى ، فهذا اللحن جعلنى أضحك وأبكى فى آن واحد ... إنه ليذكرنى بلحن أبيه ... ولكن لحن جونى يداخله شىء من الحرارة ... شىء من — لا أدرى بماذا أعبر . من المؤكد أنى لم أكن مخطئة عند ما تشاجرت مع أبيه فى هذا الشأن ... لأنى أعتقد أن جونى لا يقل عن أبيه عبقرية ونبوغاً ... إنى أعرف بعض الشىء عن هذا اللحن ؛ لأن أباك كان يعزف لى أحياناً أنغامه الجديدة فى ركن من الحديقة عند ما خطبنى ... كنت أصاحبه بالعزف على قيثارتى ... وكان يرجّع تلك الأنغام ويعيدها حتى تبلغ شأو الإتقان .

— لست أدرى سبباً لتلك القسوة التى يصبها والدنا على « جونى » ! ؟

— ليس من شأنك أن تتحدث عن أبيك أيها الأحمق ... ربما كان على حق ؛ ولكن قلبى لا يدعنى فى سلام . إن ذلك يعنى كل السعادة لذلك الفتى . فبهذا يخبرنى قلبى ... » فصاحت « وابى » فى اضطراب .

— هه ... ها هو سيدى جونى ينحدر إلينا فى الطريق ... ولكن لا أستطيع أن أتبين إن كانت الزهرة فى سترته أو فى قبعته ! » فقالت الأم فى مرح :

— إنها لا شك أنباء سارة ... فها هو يشير بيده إلى .

— الزهرة ؟ ! أين الزهرة ؟

— إنها من المؤكد فى سترته ...

وبعد لحظات هرول « جونى ستروس » وهو شاب فى التاسعة عشرة ذو قوام نحيف وشعر أسود وعينان براقتان ... وصاح وهو يمسك بورقة فى يده : « نلته ... نلت الإذن .. » فقالت الأم وهى تتهالك على مقعد :

— « شكراً ! شكراً يا إلهى ... » فركع جونى إلى جانب كرسيها ... وراح يمطر يديها بالقبل . وصاح فى حماسة :

— آه يا أماه ... إن ذلك كله يرجع إلى فضلك أنت ... أيتها الأم العزيزة . سترين كيف أنى سأشرف لقب العائلة ... إنى لتجرى فى عروقى دماء آل « ستروس » إن رأسى يموج بالأنغام ، منها ما يحزن ومنها ما يفرح ... إن عائلة ستروس ستفخر بى ... ولن تهدأ ثائرتى حتى أضيف إلى مجدها التالد مجداً طريفاً ...

— « إذن فقد نلت الإذن للظهور أمام الجمهور ... » ولكن ما لبثت الأم أن قالت فى لهجة حزينة : « لست أدرى كيف يتلقى أبوك ذلك النبأ ! » فأجاب جونى فى غير مبالاة :

— ليس هناك من يكترث لما يقوله أبى ... كم كنت حزيناً عند ما أخبرونى أنه يجب أن أحوز موافقة والدى ... لولا أن السيد « بال » ذلك الحاكم الطيب جعل الأمر فى غنى عنها ... والآن ليس هناك ما يعوق ظهورى أمام الجمهور مديراً لإحدى الفرق الموسيقية ... أتعلمون ما الذى سيعود علىّ من ذلك ؟ ! الحرية ... الشهرة ... المجد ، حياة ترفع الإنسان فوق ذلك العالم الخامل . وداعاً أيتها السجلات ... لقد حطمت قيودى بعزمى الراسخ واعتدادى بنفسى ... ضعونى على منصة المدير ودعونى أنصت إلى التصفيق ... ثم استمعوا إلى تلك الألحان العذبة الشجية التى ستنساب فى تسلسل ... »

وأخذ — فى نشوة تلك الحماسة — يراقص والدته ثم خادمته العجوز « وابى » .

خيّم الصمت على الجميع حول المائدة ما عدا جونى الذى طفق يتحدث عن مشروعاته : —

سأطلق على لحنى الجديد إسم « قلب أمّ » وسنعزفه فى صالة « دمرير » ذلك المطعم الشهير ... والكل يدرك ماذا أعنى بذلك الإسم ... إنه أنت ... أنت وحدك يا أمّاه ... يامن عاونتنى على صعود أولى درجات المجد ... ولكن والدته كانت فى شغل عنه ،

متجهة بتفكيرها إلى والده ، وانتبهت واقترحت على جونى أن يسمي اللحن الجديد « الأمر بالمعروف »

* * *

وأخيراً حل اليوم الخامس عشر من أكتوبر ، وعلم الجمهور من الإعلانات الضخمة مدار الحديث في الأندية والحوانيت والمقاهي ... أدرك أن « جونى ستروس » كوّن فرقة موسيقية يديرها لعزف لحنه الجديد في صالة « دمرير » في « هتزنج » ...

واجتمع جميع أهالى « فينا » لمشاهدته : إمّا نصراً يسمو إلى أوج المجد ، أو فشلاً يهبط إلى الحضيض ... وبلغت حالة التوتر أقصاها بين ذلك الجمع الحاشد ، ... وكان لظهور ذلك الفتى الفنّان بمظهر الفنّان بتجاعيد رأسه وبريق عينيه أجمل وقع متباين فى النفوس ... وتمتمت النساء وقد استخفهن الإعجاب فرحن يهتفن ويشدن بعبقرية ذلك الفنان ... بينما جعل فريق المعضدين يصفقون ويصفرون ... وقوبل لحن المقدمة بشيء من الفتور وتصفيق ضئيل خلو من حرارة الإعجاب ...

وجلست فى المطبخ — المجاور للصالة — امرأة تحاول أن تسيطر على أعصابها التى شملها الاضطراب ... فقالت « وابى » العجوز ـ وكانت جالسة بالقرب منها : « ما هذه إلا المقدمة ... ولحننا هو التالى ... »

وكانوا إذ ذاك قد بدأوا فى عزفه ... وانتهى لحن « الأمر بالمعروف » ... انقضت لحظة من الصمت ... لحظتان ... ثلاث ، ثم إذا بعاصفة من التصفيق ترجّ أنحاء الصالة ... وكان ذلك باعثاً على تورّد وجنتى الأم بعد أن علاها الشحوب ... كانت تقدّر مبلغ الإخلاص الذى يقابل به الجمهور لحن ولدها ... وفجأة سكنت الضجة وأعيد عزف اللحن من جديد وعادت عاصفة التصفيق أشد من الأولى ... كانت تزيد كلما أعيد عزف اللحن حتى لكأن ليس لها نهاية ...

جلست الأم فى مكانها الخفى — وقد ارتضته لنفسها — ترتجف من الابتهاج ... وأبكمها الفرح فعجزت عن النطق ... وكانت نيران المطبخ تلقى على وجهها ظلالاً أرجوانية ... وبغتة اندفع « جونى » إلى ذراعيها واحتضنته ، وتدفقت دموع الفرح على وجنتيها فى انفعال ظاهر ... فصاح جونى : —

أسمعت يا أمّاه ؟ ! لقد كنا على حق دائماً ... والآن يجب أن نعمل على إغاظة ذلك الرجل العجوز ... والدى ... »

واندفع خارجاً ... وبُدىء فى عزف لحن « لوريا ولس » الذى ألّفه والده ... فثار الجمهور وأخذ يصيح ويطلب إعادة لحن « الأمر بالمعروف » فكان هذا فوزاً له ... وانتصاراً على أبيه .

وتنهدت « وابى » العجوز واغرورقت عيناها بالدموع وقالت « آه ... لو يرتد لى شبابى وأعود جميلة ... لقبّلت سيدى جونى مراراً ، وتكراراً ... »

* * *

وفى طريق العودة فى عربتهم ... مالت الأم على ولدها وطبعت على جبينه قبلة مترعة بالحنان ... وقالت :

جونى ... إن هذه ساعة حزنى وسعادتى التى لا تقدر يابنى ... إنى لأشعر كأنى ولدتك من جديد ... »

وكانت هذه هى الكلمات الحقة التى قدّر لأم أن تعثر عليها ... أم ضحّت بنفسها فى سبيل ولدها ... تجلّدت أمام المشقات وذلّلت ما عَرض لها فى سبيل تحرير عبقرية ولدها من الاندثار ...

(طنطا) **مصطفى جميل مرسى**

مركز مديرية الغربية

يعلن عن توريد خامات المؤسسات (جلود — خيزران — حدايد وبويات) وتطلب الشروط على عرضحال دمغه مرفقاً به إذن بريد بمبلغ ٢٠٠ مليم وتقدم العطاءات لغاية يوم ١٨ (ثمانية عشر) أغسطس ١٩٤٥

٣٨٥٨

مصلحة الأملاك الأميرية

تشهر للبيع بالمزاد العلنى والشروط الموضوعة لذلك مواشى (أثوار وبغال وحمير وخيول وأغنام) وذلك بالجلسات العلنية التى ستعقد بديوان التفاتيش حسب الموضح بعد ابتداء من الساعة الحادية عشرة

١ — جلسة ٢٨ - ٧ - ١٩٤٥

بديوان تفتيش دسوق . محطة القصابى دلتا

٢ — جلسة ٢٩ - ٧ - ١٩٤٥

بديوان تفتيش بلقاس . محطة بسنديلة

وتطلب الاستعلامات اللازمة من مصلحة الأملاك الأميرية بمصر أو التفاتيش المذكورة . وللمصلحة الحق فى قبول أو رفض أى عطاء بدون إبداء الأسباب

٣٨٤٦

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣٠ — الاثنين ٣٠ يوليو ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥٠٩

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 630

Lundi - 30 - 7 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٣٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٣٠ يوليو سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

أحمد محرم (*)

لصاحب المعالي إبراهيم دسوقي أباظة باشا

أيها السادة الأماثل:

حياكم الله، فلقد اجتمعتم في هذا الحفل الحاشد لتكريم سيرة راحل خالد كنت أحب أن أشارككم في الاحتفاء بها، فأحضر بنفسي لأرد بعض الصنيع الأدبي الذي عليّ لفقيد الشعر العربي المغفور له الأستاذ أحمد محرم؛ فكم له من أياد خالدات على مصر والمصريين، سوف يذكرها له تاريخ الأدب الحديث. فقد أضاف الشاعر الكبير ثروة ضخمة إلى تراثنا الأدبي كنا في أمس الحاجة إليها منذ أن ألقى سامي باشا البارودي بأعنة القيادة إلى خلفائه الفحول: شوقي وحافظ ومحرم ومطران والكاشف. رحم الله من رحلوا، ومتع الباقين بالصحة والعافية

كان شاعرنا الكبير أحمد محرم بين هؤلاء الأعلام علماً بارزاً ساهم بأوفى نصيب في بناء صرح الشعر الحديث، فتجاوبت أرجاء وادي النيل بأصداء قصائده الجياد قرابة نصف قرن، وشعره يعتبر سجلا زاخراً بشتى ألوان السياسة والاجتماع، لم يفرط في صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها من شئون القومية الصادقة والوطنية الكريمة العاملة

وشيء واحد أريد أن أقرره لشاعرنا الكبير، كثيراً ما دار بخلدي، ولعله من خصائص شاعريته — رحمه الله — وهو بهذا الشيء يقف وحده بين سائر أئمة الشعر العربي الحديث، ذلك أنه شاعر الإسلام غير منازع في عصرنا هذا

فلقد توفر منذ حداثته على دراسة آثار الإسلام من علوم ومعارف، ولم يدرج في بيئة دراسية توجهه وتبصره بمناحي الدراسة والتحصيل

... فلم نسمع أنه درس في الأزهر أو أي معهد آخر، بل عكف وحده على المنابع الثرة للغة العربية من كلام الله وكلام العرب، يهديه وحي الفطرة النقية، وتدفعه نوازع المواهب الأصيلة، فشب نبتاً كريماً رويه هذا الورد المورود حتى أينع وأخرج شطأه واستوى على سوقه

وكان لكل ذلك أعمق أثر اضطرب في نفس شاعرنا الكبير مما حداه في أخريات أيامه إلى نظم ملحمته الكبرى (الإلياذة الإسلامية) التي عارض بها (إلياذة هوميروس)، وهو بهذا العمل المجيد الذي جاء نتيجة موفقة لنشاط المواهب التي استوعبت أمجاد الإسلام ومفاخره وأزهى أيامه وعهوده ...

(*) ألقيت في الاحتفال الذي أقيم بدار سينما بلدية دمنهور لتأبين الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم يوم الثلاثاء ٢٤-٧-١٩٤٥

هو بهذا العمل يقف وحده فى الطليعة بين قادة الشعر الحديث . وليس هذا المجهود على ضخامته ونخامته لشاعرنا فحسب ، بل أذكر أننى قرأت له فى إحدى المجلات الأدبية الكبيرة ثلاث قصائد فى موضوع واحد وغرض واحد متباينة فى سمو معانيها ، وصفاء ألفاظها ، ودقة أساليبها ، فلا تكرار فى المعانى ، ولا تشابه فى الأساليب والألفاظ ... تلك قوة منقطعة النظير ، لا تواتى إلا من هو فى مواهب شاعرنا الممتازة ، وعبقريته النادرة ، التى تعاونت فى تكوينها أسباب الثقافة الإسلامية ، ولكن ذلك الموضوع الذى أحدثكم عنه هو (غزوة بدر الكبرى)

تلك ناحية باقية تكفى وحدها لتخليد ذكره بين عظماء الفكر الحديث ، فهو الشاعر الإسلامى العربى فى كل ما ينتجه ذهنه الخصب وخياله الواسع

ديباجة مشرقة ، وأداء محكم ، وأسلوب أنيق ، كل ذلك يصدر عن طبع أصيل فى نفس شاعرة تستلهم أصدق مصادر الشعر العربى ، وكان يتجلى ذلك حينما تستثار شاعريته الفياضة فى موضوع يتصل بمذخوره العربى الخالص

فشاهد الحركة الإسلامية الأولى ومجالى طبيعتها الشاعرة فى عصورها الناصعة تسيل لها نفسه معانى وأخيلة فى كثير من الدقة والجمال . تلكم الصحراء ، يزورها الشاعر مع رفقة من أصدقائه وأحبائه ، فتجرى على لسانه قصيدته البارعة الرائعة التى حلت بها جريدة الأهرام جانباً كبيراً من صفحتها الأولى استهلها رحمه الله بقوله :

هى الدنيا التى تسع الجمالا فسر إن شئت أو ألق الرحالا
هى الدنيا التى وسعت خيالى مررت بها فظنتنى خيالا

هذا ، ولقد مر شاعرنا الكبير يعبر دنياه كما يقول كالخيال الخاطف ، لم يخلف من آثاره العديدة شيئاً مذكوراً ، وأرجو أن أوفق فى رجائى زميلى صاحب المعالى وزير المعارف ليصدر أمره بطبع أثره الفنى القيم الماثل فى (الإلياذة الإسلامية)

وبذلك تكون الحكومة قد أدت بعض الحق للشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محرم ، عوض الله اللغة العربية عنه خيراً ، وأجزل له بقدر ما أدى إلى وطنه العزيز فى نهضته الفكرية الحديثة إنه سميع مجيب .

إبراهيم دسوقى أباظة

عم يتساءلون ؟

للأستاذ أحمد رمزى

إن الذين رأوا حربين عالميتين ، أطلقوا على الأولى « الحرب العظمى » ، وعلى الثانية « الحرب العالمية » ! يتساءلون اليوم عما يأتى به الغد لهذا البلد الأمين

لقد تبلورت أمانينا عند نهاية الحرب الماضية فى كلمة « الاستقلال التام » ، نخيل إلينا أنها سلَّم النجاة ، وتلقينا من قادتنا أن علة بلادنا هى سيطرة الغالب على مرافق الحياة فيها ، وأن العلاج الشافى هو « الاستقلال » !

وها نحن أولاء اليوم — كما بدأنا بالأمس فقط — تغير الاسم ، فأصبح « الأمانى القومية » بدل عنوان « الاستقلال » ، ولكن هناك فارق ، ففى الماضى كنا نصدق ونؤمل وننتظر . كنا ننظر إلى القادة نظرة ملؤها الإجلال . أما اليوم ، فإننا نجر وراءنا ربع قرن من التجارب القاسية ، والأحلام الضائعة ، والآمال التى لم تتحقق . فهل لدى هذا المجموع اليوم من القوى الروحية الواقعة ما يجعله يترقب طلوع شمس الحقيقة ، كما تطلع إليها الجيل السابق وعمل للوصول إليها ؟

من واجب الجيل الناشئ والمخضرمين أن يوجهوا هذا السؤال إلى أنفسهم أولا ، وأن يعلموا يقيناً أنه قد يسهل تحريك الشعور الوطنى أو القومى أو العاطفى ، كما حدث عام ١٩١٩ ، ولكن لا نريد أن تتكرر أخطاء ٢٥ عاماً مرة أخرى ، فما العمل ؟

يجب أن نعرف مقدار ما لدينا من عوامل البناء قبل أن نحرك القوى الدافعة ، لكيلا تعرض مشروعاتنا دائماً للفشل والتراجع كما حدث فى الماضى ، وكما يحدث فى الوقت الحاضر

ولنا أن نتساءل : إلى أى مدى يمكن أن تسير بنا القوى الروحية والمقاييس العليا والسياسة العاطفية ؟ ولماذا تتبخر هذه القيم وتفنى لدى الصدمة الأولى ؟

إذا عدنا إلى أنفسنا وجدنا أننا نشأنا على النمط الذى وجدنا عليه آباءنا من قبل ، فحملنا أخطاءهم ومزاياهم ، وجاء التعليم

الحديث الأوربى ، فتعلمنا على القدر الذى سمح لنا به ، كما صيغت نفوسنا فى القالب الذى أراد واضعوهذا التثقيف أن نصاغ عليه ، فما ذا كانت النتيجة ؟

جاءت أذواقنا مختلفة ، وثقافتنا واهية ، ونظرتنا للأشياء ناقصة ، وهذه مجتمعة علة هذا التبلبل والتفكك القائم اليوم

واكتفينا بالسير على قدر ، والنوم على الأمجاد الماضية ، وكانت الوعود غير المعقولة تغذينا ، والعبارات المسجعة تشبعنا ، وطالما خدرتنا الألفاظ والمقالات المنمقة ، فلهونا بالمظهر عن الجوهر وعما ينفع الناس ويمكث فى الأرض ؟

وأخوف شيء على مستقبل هذه الأمة أن تنشئ الجيل الجديد على هذا النسق ، فهل لدينا من الشجاعة والإخلاص الصحيح ما يدفعنا إلى إنقاذه وحمايته من الأقدار التى لم تنصفنا ؟

سؤال تصعب الإجابة عليه ، ولكن فلنجتهد أن نواجه أكبر أزمة مرت بالبلاد منذ قرون طويلة ، ذلك لأننا نعيش فى عالم يتطور بسرعة غريبة لم نعهدها من قبل ، وسيصيبنا منه الكثير من الخير والشر معاً

أضف إلى ذلك أن القيم الروحية والقيود الخلقية التى عشنا أجيالا تحت أكنافها ، قد أخذت تنهار ولم تترك ما يحل مكانها ، ورأينا فى خمس سنوات الحرب ، وهى تعدل خمسين عاماً تقدماً مادياً يكاد يكون خاطفاً ، وتسابقا إلى إحراز الغنى والثروة فى أى طريق ، ويصحب كل هـذا تدهور أخلاقى ، وفقدان للثقة ، وسخرية من كل من يؤمن بالصالح العام ، أو يدعو إليه

وأمامنا جيل ناشئ يرجو لأمته حياة أرق وأعلى وأسعد مما نعيش عليه الآن ، وهو جيل سيحاسب ويناقش ، وبما أنه إنسانى ، فمن الطبيعى أن يتعجل الخطوات ، بل يخلق الظروف لاستعجالها ، وسيتوهم فى نفسه القوة والمقدرة ، وسيكافح إلى مدنية جديدة أقرب إلى أحلامه وأكثر طلاوة ونفعاً مما ألفناه ، وسيقول : إنى أريد أن أحيا حياة أقرب إلى حياة البشر . فما ذا أعددنا لهذا اليوم ؟

أنا لست بمتشائم ، ولن أحاول أن أقلل من طاقة مصر ، أو من قيمة القوى الإنسانية والخلقية ، ولكنى أخشى الأخطار التى تواجه هذا الجيل ، وأولها الغرور الذى يتملك الأفراد والجماعات على السواء ، وقد أصبح علة من علل المجتمعات الشرقية الناشئة .

إننا ندعوه أن يتعرف على نفسه ، فإذا عرف ما ينقصه أسرع إلى استكماله ، وإذا اكتشف نواحى القوة الكامنة التى لديه أخذ فى تقويتها . ثم ليعرف تماماً أن مقدرات هذا الوطن ليست ملكا له وحده ، بل هناك من الآباء والأعمام والأخوال والأخوة من لهم الحق معه ، وهناك قوى أخرى غير ظاهرة لها وزنها .

وليعلم أيضاً أن المسائل السياسية إذا حلت على حسب رغباته فإنها لا تكفى لإسعاد الأمة ، بل إن العمل بعد تصفيتها أخصب فى المطالبة بها : لأن قدرة هذه البلاد محدودة ، وقوة الأفراد الإنشائية ومقدرتهم على التنظيم محدودة ، فلا يمكن أن نبالغ فيما يمكن عمله ، وما يمكن أن نصل إليه

احمد رمزى

طلائع المجـــد الطريف

فى أفريقيا الشمالية

ماذا فعلنا من أجلهم ؟

للأستاذ توفيق محمد الشاوى

دعك من حديث ماضينا المجيد الخالد ، فإن التاريخ الأمين لن ينسى هذه القرون الطويلة التى حملنا فيها لواء الحضارة ، ورفعنا راية الإنسانية السامية ، وانتقل معى إلى حديث طريف ، لا نذكره للتاريخ فحسب ، ولكن ليسمع كل عربى يؤمن بقوميته وعروبته ، وكل مسلم ثابت على عقيدته ورسالته ، فينفض عن نفسه غبار الذلة ، ويلحق بركب المجاهدين فى سبيل دينهم وقوميتهم ، قبل أن يسجل التاريخ علينا معرة التفريط والعجز .

هذه صورة مجيدة من صور الجهاد العربى ، فى شمال أفريقية ، ثغر العروبة وحصنها الغربى ؛ على سفوح جبال الجزائر الشماء ، حركة دائبة ، تجمع فيها أسود العروبة وأبطال الكفاح يرقبون مطلع نجم جديد ، يسمونه نجم أفريقيا الشمالية ، اتخذوه شارة لوحدتهم ، وعلامة لاستقلالهم ؛ وقد علموا أنه لا يشرق إلا مخضباً بالدماء ، ولا يسبح إلا فى مجرة من نور التضحية والاستشهاد . من حولهم مدن الجزائر المحبوبة لا يكدر صفوها إلا عبث هؤلاء المستعمرين مستكلبين على شهواتهم ، مغرورين بسلطانهم ، يحتفلون بما يسمونه يوم « النصر » ، النصر الذى لم يستحقوه بجهادهم ، ولم ينالوه بتضحياتهم ، ثم أبوا إلا أن يحتفلوا به أسبوعاً كاملاً أرادت فرنسا أن تبيح لشعبها فيه ما شاءت من طعام وشراب لا تملك منه شيئا ، فبعثت وكلاءها وأذنابها يغتصبون طعام العرب فى شمال أفريقية مستعملين فى ذلك أساليبهم الاستعمارية الرجعية ؛ كما أنهم عادوا إلى سياستهم العتيقة لمحو القومية العربية ومحاربة عناصرها من دين ولغة وآداب وتقاليد ووحدة ، حتى نفد صبر العرب المجاهدين . وهاهم أولاء يبدأون كفاحهم فى يوم « النصر » حاملين سلاحهم العزيز ، كما حمله أسلافهم من قبل أمثال عبد القادر وابن عبد الكريم . وهذا سيلهم ينساب على مراكز المستعمرين ومراتع لهوهم وعبثهم ، فألقوا عليهم درساً جديداً فى بطولة العرب وإبائهم ، وشجاعتهم وثباتهم ، وذكروهم بأن حرية العربى أغلى من أن تختلس فى غفلة ، وأن دمه العزيز لا يهدر إلا فى ميادين القتال فداء الوطن والدين ...

ولا يزال صدى هذه المعارك يرهب الفرنسيين ويقض مضاجعهم ، وقد جعلهم يفكرون مرتين قبل أن يقدموا على ما أرادوه من استئناف سياسة الاستعمار الوحشية البالية ، وزاد غيظهم أنهم لم ينالوا من المجاهدين نيلاً يروى حقدهم ، فسلطوا فلولهم — التى فرت من ميدان الكفاح الشريف أمام الألمان — على المدن الآمنة والسكان المسالمين فضربوهم بمدافعهم وطائراتهم وقتلوا آلاف المدنيين الذين لا ذنب لهم ، وانجلت الثورة عن هالة حمراء من دماء العروبة الزكية أطل منها النجم المرتقب ، نجم المجد العربى الطريف ، نجم وحدة أفريقيا الشمالية واستقلالها يرقب من بعيد هلال الوحدة العربية فى الشرق ، لعله يستجيب فتجمعها جامعة العروبة وروح الإسلام فى سماء العزة والسيادة .

ونحن فى المشرق ، ما ذا فعلنا من أجل هـذا النجم العزيز وهذا الأمل المشترك ؟ هل مددنا أيدينا إلى هؤلاء العرب المجاهدين فى المغرب لنربط جهادنا بجهادهم ، ونشد أزرهم فى كفاحهم ؟ ستجيب « الجامعة العربية » عن ذلك ؛ ولكنى أسائل المصريين الكرماء الذين ساعدوا منكوبى الإنسانية من كل جنس ولون : من الحبشة إلى اليونان إلى اليوغوسلاف والهولنديين والبلجيكيين بل والروسيين فى ستالينجراد ، ألم يعلموا أن هذه الثورة العظيمة فى الجزائر قد أسفرت عن منكوبين لا يقلون عن خمسة آلاف وأسرهم ، بين قتيل وجريح وسجين باعتراف الحكومة الفرنسية نفسها ، وإن كانوا لا يقلون عن ثلاثين ألفاً فى تقدير المصادر المحايدة ؟ فأين ذهبت النجدة والكرم ، وأين حكومتنا التى تدفع الملايين من الجنيهات لتعمير بلاد أوربا « المحررة » أنيس من الأولى أن نفكر فى تحرير أوطان العروبة المستعمرة ، أو إنقاذ إخواننا المنكوبين فى تلك البلاد الشقيقة ؟

توفيق محمد الشاوى
مدرس بكلية الحقوق — بجامعة فؤاد

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ١٠ —

* ج ١٧ ص ٢٦٠ : وله (للأبيوردى) :

ما للجبان ألان الله ساحته ... ظن الشجاعة مرقاة إلى الأجل
وكم حياة جبتها النفس من تلف ... ورب أمن حواه القلب من وجل
فقت الثناء فلم أبلغ مداك به ... حتى توهمت أن العجز من قبلى
والى أن يصف الورقاء مادحها
بالطوق أو يمدح الأدماء بالكحل (١)

وجاء فى الشرح : ألان الله ساحته : أى سهل الله حياته (جبتها) : جمعتها ، وهى فى الأصل (حبتها) تحريف

قلت : (ما للجبان ألان الله جانبه) ذلله . و (كم حياة جنتها النفس من تلف) جنى يجنى . و (بالطوق أو يمدح الأدماء بالكحل) .

* ج ١٤ ص ١٩٩ : ومن مستحسن شعره (يعنى أبا الفتح ابن العميد على بن محمد) :

عودى وماء شبيبتى فى عودى ... لا تعمدى لمقاتل المعمود (٢)
وصليه ما دامت أصائل عيشه ... تؤويه فى فىء لهـا ممدود
ما دام من ليل الصبا فى فاحم ... رجل الذرا فينان كالعنقود (٣)

قتل الزمان فطارقات جنوده ... يبدلنه يققاً بأربد سود

قلت : فى اليتيمة ، ومنها نقل ياقوت :

قتل المشيب فطارقات جنوده ... يبدلنه يققاً بسحم سود

والخصومة اليوم بين الشاعر وبين المشيب (١) ، وهو إنما يدعو عليه . والمعروف قولهم : شعر أسحم - والأسحم الأسود - لا شعر أربد . والربدة هى نحو الرمدة وهى لون الرماد كما فى الأساس . أو نحو الطحلة وهى بين الغبرة والبياض بسواد قليل ، وهو طحل والأربد نحوه كما فى المخصص . قال الحماسى (بكر بن النطاح) :

بيضاء تسحب من قيام فرعها
وتغيب فيه وهو وحف أسحم (٢)
فكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم

وقال أبو الطيب :

راعتك رائعة البياض بعارضى ... ولو انها الأولى لراع الأسحم (٣)
ولقد رأيت الحادثات فلا أرى ... يققاً يميت ولا سواداً يعصم (٤)

وقال الأبيوردى :

لك من غليل صبابتى ما أضمر ... وأسر من ألم الغرام وأظهر
وتذكرى زمن العذيب يشفنى ... والوجد ممنوٌ به التذكر (٥)
إذ لمتى سحماء مد على النقا ... أظلالها ورق الشباب الأخضر

وقد ذكرنى بيت ابن العميد وقوله فيه : (بسحم سود) بنكتة مهمة لغوية فى (المخصص) وهى هذه :

فأما قوله تعالى : ومن الجبال جدد (٦) بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ... فلا أعلم لأحد فيه مزيداً على أن سماه تأكيداً ؛ والتأكيد ساذجاً غير مزيد عليه لا يقر عين الفهم بالنظر إليه ، بل هو فرع دانى الجناة ، وشرط يدركه طالبه

---

(١) الأدماء : السمراء . اللسان : الأدمة فى الانسان السمرة . فى التهذيب : السمرة لون الأسمر ، وهو لون يضرب إلى سواد خفى ، وفى صفته (صلى الله عليه وسلم) كان أسمر اللون . السمر ظل القمر والسمرة مأخوذة من هذا .

(٢) العميد والمعمود : الذى بلغ به الحب مبلغاً . وقلب عميد هده العشق وكسره (اللسان) .

(٣) شعر رجل — بفتح الجيم وكسرها وسكونها — بين السبوطة والجعودة ، وفى صفته (صلى الله عليه وسلم) كان شعره رجلا أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما (اللسان) .

(فينان) له أفنان كأفنان الشجر ، وقد منع الشاعر صرفه وهو مصروف كما قال سيبويه ، رجل فينان وامرأة فينانة .

(١) بين تكرر مع الظاهر كما تكرر مع المضمر ، وقد أخطأ الحريرى وغيره فى تخطئة ذلك .

(٢) شعر ونبات وحف ، وقد وحف — بضم الحاء — وحافة : كثف واسود (الأساس) .

(٣) لا يرعك شيبى فلو كان أول لون الشعر بياضاً ثم اسود لراعك الأسود إذا ظهر ، ولا تراعى للبياض فانه كالسواد (العكبرى) .

(٤) أبيض يقق : شديد البياض .

(٥) منى بكذا : بلى به ، وهو ممنو به (الأساس) .

(٦) ومن الجبال طرائق وهى الجدد وهى الخطط تكون فى الجبال بيض وحمر وسود كالطرق واحدتها جدة (الطبرى) .

بالتؤدة والأناة . فنحن نلتمس له طبيعة تمده ، ومعنى يجلو من صدئه فيجدده ، إلا أن تدفع داعية الضرورة ، إلى أن يكون بخلاف هذه الصورة . فأما ونحن نجد عن ذلك متندحاً عريضاً ، ومنفسحاً أربضاً ، فإنا لا نفرغه ، من فائدة تمرنه وتسوغه . وهذا التأكيد الذى فى هذه الآية مما يقبل التعليل ، ويسع التأويل ، فلا تقبلنه ساذجاً ، ولا تستعملنه خارجاً ، فأقول : إن فى هذه الآية ثلاثة أنواع من اللون محمولة بالاشتقاق على موضوعاتها ، وهو الأبيض والأحمر والأسود ، ولهذه الأنواع الثلاثة فى هذه اللسان العربية أسماء مستعملة قريبة ، وأخر بالإضافة إليها وحشية غريبة ، لا تدور فى اللغة مدارها ، ولا تستمر استمرارها ، ألا ترى أن قولنا أبيضُ وأحمرُ وأسودُ من اللفظ المشهور ، وقد تداولته ألسنة الجمهور ، وقولنا فى الأبيض ناصع ، وفى الأحمر قُمدٌ ، وفى الأسود غربيب ، من الأفراد التى رفعت عن الابتذال ، وأودعت صواناً فى قلة الاستعمال ، مع أنك لا تجدها فى غالب الأمر إلا تابعة للألفاظ المشهورة ، يقولون أبيض ناصع وأحمر قمد وأسود غربيب ، وإن كان قد يستعمل مفرداً كقوله : (بالحق الذى هو ناصع) و (يعصر منها مُلاحىَّ وغربيب) و (بقمد كسائل الجريال) لكننى إنما قلت بالأغلب والأذهب . فلما ذكر تعالى هذين النوعين المشتقين بالإسمين المشهورين الأبيض والأحمر ، وشفعهما باللفظ الغريب الذى لا تكاد تراه إلا تابعاً وهو الغربيب قرنه بالإسم المشهور الذى هو الأسود ، وصار بمنزلة صفة .

قلت : وابن جرير الطبرى فى (جامع البيان) وهو تفسيره المشهور يقول : وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب .

* ج ١٨ ص ١٧١ : الله المستعان ، أساء سمعاً فأساء إجابة .

وفى الحاشية : فى الأصل فأساء جابة . قلت : الأصل صحيح . وهذا من أمثالهم . وقد رواه الصحاح والأساس واللسان والتاج ، وقال الجوهرى : هكذا يتكلم بهذا الحرف ، وقال الزمخشرى : أى إجابة كالطاعة والطاقة . وفى (مجمع الأمثال) فى شرحه : يقال : أجاب إجابة وجابة وجواباً وجيبة ، ومثل الجابة فى موضع الإجابة — الطاعة والطاقة والغارة والعارة[1] .

(١) اللسان : العارية منسوبة إلى العارة ، وهو اسم من الأعارة تقول أعرته الشيء ، أعيره إعارة وعارة ، قال ابن مقبل :

فأخلف وأتلف إنما المال عارة وكله مع الدهر الذى هو آكله

وفى الصحاح : العارية بالتشديد كأنها منسوبة إلى العار لأن طلبها عار وعيب

* ج ١٣ ص ٢٨٩ : قال (على بن عبد الله بن وصيف الناشىء[1]) لما وفدت على سيف الدولة وقع فىَّ أبو العباس النامى[2] [3] ، وقال : هذا يكتب التعاويذ . فقلت لسيف الدولة : يتأمل الأمير فإن كان يصلح أن يكتب مثله على المساجد بالرَّيج فالقول كما قال . وأنشدته قصيدة أولها (الدهر أيامه ماض ومرتقب) وقلت فيها :

فارحل إلى حلب فالخير منحلب
من نيل كفك إن لاحت لنا حلب

فقال : يا أبا الحسين ، بيت جيد لكنه كثير اللبن ...

وجاء فى الشرح : الريج فى الأصل الدبخ . والريج والرويج : الدرهم الصغير الخفيف .

قلت : (يكتب مثله على المساجد بالزاج) فى التاج : والزاج ملح معروف ، وقال الليث : يقال له : الشب اليمانى ، وهو من الأدوية وهو من أخلاط الحبر . وفى (الألفاظ الفارسية المعربة) : الزاج تعريب زاك أى ملح يصبغ به .

* ج ٣ ص ٢٥١ : والمنجم أبو الفتح أحد من سلك سبيل آبائه فى طرق الآداب (واهتدى بهديهم فى تلك إلى الفضائل من كلٍّ) روى عنه أبو على التنوخى فى نشواره فأكثر ، ووصفه بالفضل وما قصّر .

قلت : ربما كانت الجملة التى وضعتها بين قوسين بهذه الصورة : واهتدى بهديهم من تلك الفضائل إلى كل باب .

* ج ١٧ ص ١٦١ : أحسنت والله يا أبا الندى ، وأحسنت .

قلت : وقد وردت هاتان الجلتان أنفسهما فى ص ١٦٢ من هذا الجزء ، ومعهما هذه الواو العاطفة ، واليقين أنها من زيادة الناسخين ، إذ بين الجلتين كال الاتصال ، وهو مانع من مثل هذا العطف .

* ج ١٧ ص ١٦١ :

يا قبر بجدة لم أهجرك مَقلِية ولا جفوتك من صبرى ولا جلدى

قلت : مقلية — بفتح الميم لا ضمها كما ضبطت فى الكتاب —

(١) الأصغر ، والناشىء الأكبر عبد الله بن محمد .

(٢) فى وفيات الأعيان كنيته أبو الحسن .

(٣) احمد بن محمد الدارى من فحولة شعراء عصره وخواص مداح سيف الدولة وكان عنده تلو المتنبي فى المنزلة والرتبة (ابن خلكان)

وليس فى العربية أقلاه حتى تجئ مقلية . فى اللسان : قليته قِلى وقَلا ومَقلية : أبغضته . وفى الأساس : وهو يقليه ويقلاه ، وفعل ذلك عن قلى ومقلية .

* ج ٢ ص ٩٣ : وله (للصابى) :

وجع المفاصل وهو أيسر (م) ما لقيت من الأذى
جعل الذى استحسنته والناسُ من حظى كذا
والعمر مثل الكاس يرسب (م) فى أواخرها القذى

وجاء فى الشرح : من حظى متعلق باستحسن ، وكذا إشارة إلى وجع المفاصل ، والناس ترفع عطفاً على فاعل استحسن وبنصب مفعولاً معه وهو أرجح :

قلت : واليأسَ بالنصب عطفاً على الذى ، و (كذا) كناية عن حالته هنا .

* ج ١٦ ص ١٦٥ : لا تتصدّ إلى فائق أو مائق .

قلت : (لا تتصدَّ لفائق أو مائق) لأن الأول يغلبك والثانى يتعبك .

* ج ١٥ ص ٦٩ : ومن كتابه[1] (كتاب سرعة الجواب ومداعبة الأحباب) أنشدنا الإمام أبو الحسن على بن أبى زيد فى المذاكرة وقد رُقى إليه كلام قبيح عن بعض أصدقائه فقال مستشهداً :

إنى إذا ما الخليل أحدث لى صَرماً ومل الصفاء أو قطعا
لا أحتسى ماءه على رنق ولا يرانى لبينه جزعا
اهجره ثم ينقضى زمن الهجران (م) عنا ولم أقل قذعا
احذر وصال اللئيم ، إن له عَضهاً إذا حبل ذكره انقطعا

وجاء فى الشرح : عضها أى تمزيقاً وتفريقاً .

قلت : الأبيات للمتوكل الليثى فى (الحماسة) وفيها (غُبّر الهجران[2]) مكان (زمن الهجران) و (حبل وصله انقطعا[3]) .

* ج ٧ ص ١٥٨ : ومن شعر (جعفر بن أحمد السراج البغدادى) :

دع الدمع بالوكف يُنكى الخدودا فإن الأحبة أضحوا خمودا

وجاء فى الشرح : من نكأ الرجل القرحة: قشرها قبل أن تبرأ.

قلت : (تنكى) بفتح التاء ، نكاه ينكيه لا أنكاه ، ولم يكن قبل البكاء فى الخدود قرحة حتى يدعو الدمع إلى نكئها . وإنما يدعوه اليوم إلى نكايتها : إلى جرحها وتعذيبها ...

* ج ١٨ ص ١٤٣ : وقال ابن دريد فى النرجس :

عيونٌ ما يلم بها الرقاد ولا يمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت وتضحك حين ينحسر السواد
لها حدق من الذهب المصفى صياغةَ من يدين له العباد
وأجفان من الدر استفادت ضياء ، مثله لا يستفاد
على قضب الزبرجد فى ذراها لأعين من يلاحظها مُراد

قلت : (مَراد) بفتح الميم هنا لا ضمها . أى مجال . فى الأساس : وراد رَوَداناً : جاء وذهب ، وراد النعم فى المرعى : تردد ، وهى فى مَرادها . وفى التاج : مراد الريح : حيث تجىء وتذهب .

☆☆☆

فى الرسالة ٦٢٥ فى القسم ــ ٦ ــ يروى البيت الآتى بهذه الصورة :

بل ثياب القين بزكم وثياب القين مشتهره

بيت أبى تمام فى القسم ــ ٨ ــ فى آخره ، هذه روايته :

يحميه لألاؤه ولوذعيته من أن يذال بما أو ممن الرجل

ولم يجىء (فى طبعة إرشاد الأريب) بيتاً وإنما جاء كلاماً منثورا .

---

(١) الحسن بن جعفر بن عبد الصمد .

(٢) الغبر : البقايا واحدتها غبرة (التبريزى)

(٣) يقول : احذر مواصلة اللئيم ومؤاخاته لأنه إذا انقطع حبل وصله تكذب عليك وتخلق من الافك فيك ما لم تكسبه . ويقال : عضهته إذا رميته بالزور ، وعضه الرجل أتى بالعضيهة وهى الافك (التبريزى) .

محالفة ثلاثية ضد العالم

للأستاذ نقولا الحداد

بعد أول اجتماع بين تشرشل وروزفلت ألقى تشرشل خطبة فى مجلس العموم ، قال فيها إنهما اتفقا على أن يكون فى العالم هيئتان دوليتان كبريان تحلان محل جامعة الأمم المرحومة : الأولى غربية لجميع دول أوروبا وأميركا . والثانية شرقية على مثالها . والهيئة الأولى تؤلف من روسيا وانجلترا والولايات المتحدة كدول أساسية ، ثم تنضم إليها الدول الأخرى تابعة أو ثانوية لها. ولم يقل شيئاً عن الشرقية .

ووافق ستالين على هذا .

ومن ثمَّ نشأت عبارة « الأقطاب الثلاثة » فقلنا حينئذ إن هذا النظام هو تحالف ثلاثة ضد العالم كله لأنه فهم من نحو تلك الخطبة أن الكلمة النافذة فى تلك الهيئة الغربية هى لهذه الدول الثلاث وأن للدول الصغرى رأياً استشارياً فقط . فما تقرره دول الأقطاب ينفذ .

ولما صدر ميثاق سان فرنسيسكو الأخير وفيه دستور « مجلس الأمن » ظهر أيضاً أن الرأى الأول الأعلى هو لهؤلاء الدول الثلاث . وأما سائر دول الاتحاد الدولى وعددها ٤٨ دولة فتعتبر ثانوية ورأيها ثانويا . وقد أضيف إلى الدول الثلاث الرسمية فرنسا والصين . وبهذه الإضافة سقط مشروع « الهيئة الدولية الشرقية » التى نوه بها تشرشل فى خطبته المشار إليها . وكان يظن أن الصين تكون رئيسة هذه الهيئة الشرقية .

وقد ألحقت الصين وفرنسا بهذا المجلس كدولتين دائمتين كدول الأقطاب الثلاثة لا لأنهما دولتان كبريان فلابدَّ من أن يحسب حسابهما إذا اختلفت دولات الأقطاب فتعدّلان الميزان — ليس لهذا السبب فقط ، بل لأن فرنسا المخلَّفة التى قوَّمتها انجلترا على قدميها ، وهى على أنف ألمانيا من جهة الغرب ، لازمة لكل من الدولتين روسيا وانجلترا اللتين تخشيان مناوءة ألمانيا لها إذا استطاعت أن تعود إلى المناوءة.. ولهذا تجاذبتها روسيا من ناحية وانجلترا من ناحية أخرى كل منهما تخطب ودها . فغريبٌ أن قوتين تتنافسان فى الالتجاء إلى ضعيفة . فمن حسنات الخلاف القائم الآن بين الأقطاب أو من مساوئه أن الضعيفة استقوت وتدلَّلت وعادت تشمخ بعد أن تمرَّغ أنفها فى حمأة الذل والهوان .

وأما الصين فتجاذبها دول الأقطار جميعاً لأنها المرعى الخصيب للاستعمار التجارى فلابدَّ من التملق لها . على أن النفوذ الأول والاخر لدول الأقطاب الثلاثة أولا وآخراً .

وكان من مناقضات الديموقراطية أو مفارقاتها فى « مجلس الأمن الدولى » السانفرسيكى أن المجلس يرفض أية شكوى من أية دولة صغيرة أو ثانوية ضد دولة كبرى رئيسية إذا كانت واحدة من الدول القطبية ترفضها — هذا بحسب دستور المجلس المذكور .

وقيل إن سبب هذا الرفض المخالف للعدل والحق والديمقراطية أن الدولة الرافضة قد تطلب النزال إلى الميدان . فتحاشيا للجنوح إلى الحرب سنَّ هذا القانون الغريب العجيب . وهو موافقة الدول الكبرى للدولة الرافضة على الرفض حتما .

إذاً لا ينظر مجلس الأمن فى شكوى دولة صغيرة من دولة كبرى بل ينظر فقط فى شكوى صغيرة من صغيرة . والدولة الكبرى فوق القانون أو فى حصانة القانون .

إذن فمجلس الأمن هذا هو مجلس تحكُّم الأقوياء بالضعفاء . هو محالفة ثلاثية قوية ضد جماعة من الدول الصغرى . ولا يؤمن ظلم هذا المجلس إلا إذا وقع خلاف شديد بين الأقطاب الثلاثة أو الأقطاب الخمسة . فأين الأمن الذى ينتمى له هذا المجلس القطبى العظيم ؟ وكيف يطمئن العالم إلى أمن دولى يترنَّح بخيطٍ واهٍ فى الهواء ؟

إذا كان لمجلس الأمن شأن فى فض مشاكل الدول فما معنى أن يجتمع الأقطاب الثلاثة الآن لكى يفضوا مشاكل الأمم الشرقية: طنجة ، والدردنيل ، وأردهان ، والبلقان ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين الخ فضلا عن مشاكل أوروبا نفسها ؟ إذن ما هى وظيفة « مجلس الأمن » الذى يحسبونه أعظم نتاج لمؤتمر سان فرنسسكو إذا لم يكن من شأنه أن ينظر فى هذه المشاكل ؟

نرى أن مصالح العالم كله أصبحت رهن قرارات مؤتمر الأقطاب الثلاثة . ومن يدرى أن هذا المؤتمر الثلاثى لا يعقد كل حين بعد آخر تسوية مشاكل الأمم ما دام أعضاؤه متفقين . فيكون أمره الأمر .

تطور بلاد العرب الشمالية (*)

وتأثير ذلك فى علاقاتهم الخارجية

الميجر ج . ب . كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

أريد أن أقسم موضوع مقدار الرقى والتغير فى بلاد العرب الشمالية إلى قسمين : أولا بحث الموضوع من الوجهة الجغرافية ؛ ثانياً بحث قابلية سكان تلك الأقطار للرقى . وفى النهاية نستخرج خلاصة هذين القسمين فى نتيجة لنكون لنا فكرة عن المستقبل .

العوامل الجغرافية الخارجية

يجدر بنا عند بحث الوجهة الجغرافية أن نقسمها إلى فصلين : عوامل خارجية وأخرى داخلية . إن أول ما يلفت نظر الإنسان فى بحث أهمية الأقطار العربية فى السياسة الدولية من وجهة جغرافية خارجية هو كونها ممراً بين أوربا وآسيا . وإذا ما رجعنا إلى الوراء نجد أنه منذ بدء التاريخ لم توجد طريق بين الهند والشرق الأقصى وبين أوربا — طريق يمكنها أن تحتل بالفعل مكانة الطريق التى تمر من الأقطار العربية . ويرجع ذلك لكون بلاد فارس والأناضول تحتل جانباً من جانبى هذه الطريق، والسودان والحبشة والصحراء الكبرى تحتل الجانب الآخر . ونظرة إلى الأناضول وبلاد فارس ، وهما بلدان جبليان ، وإلى الحبشة والسودان والصحراء وهى بلاد صحراوية ، ترينا أنهما يشكلان حاجزين فى طريق الشرق وبينهما مصر وسوريا الطريق الوحيد للشرق . لقد حفرت قناة بين النيل وبين البحر الأحمر لتحمل التجارة منذ زمن الفراعنة . وعند قيام البتراء كانت البضائع تحمل على الجمال على طول الشاطئ الحجازى لتوزع على الإمبراطورية الرومانية ، كما نقلت التجارة على الفرات قاطعة بادية الشام إلى تدمر . وفى زمن النبى (صلعم) كانت لمكة أهميتها التجارية الخاصة إذ كانت

(*) محاضرة ألقاها الميجر ج . ب . كلوب فى تشاتام هاوس بلندن فى اجتماع ترأسه السير رونالد ستورس .

لسنا والله على أمل ورجاء فى الأمل والسلام إذا كان الأقطاب يضطرون أن يجتمعوا لكى يدبروا أمور الأمم حسبما يروق لهم وحسبما تقضتيه مصالحهم من غير اعتبار للعدل والحق . وقد صدر قانون مجلس الأمن باستهلال نذير بأنه ليس إلا ألعوبة سخرية أو مهزلة تمثيلية لأنه فى ساعة ما كانت فرنسا توقع على ميثاق الأمن والسلام كانت تغدر بسوريا وتنكل وتفظع فيها بلا حياء ولا خجل وهى عزلاء . فإذا كانت فاتحة نظام الأمن هكذا فأى مهزلة أقبح من هذه المهزلة ! وما قيمة هذا الميثاق إذا كان أحد أركانه وقطب من أقطابه يفتتح العمل به ، بهذا التمثيل والتفظيع .

وإذا كان مجلس الأمن يؤلف من خمسة أعضاء دائمين وستة ينتخبون بالتناوب ، وإذ كان فصل الخطاب للدائمين والطاعة العمياء للستة المتجددين ، فأين الديمقراطية وأى قضاء هذا ؟ وكيف يكون عادلا ؟ هل قضاته ملائكة فى السماء لا مطامع لهم على الأرض ؟

وما معنى أن يقتصر مؤتمر الأقطاب على الثلاثة فقط ولا يشمل الأقطاب الخمسة جميعاً ؟ هل العضوان الآخران « طرطوران » ؟ لم نخطئ فى قولنا أن مصالح العالم كله أصبحت فى أيدى ثلاثة رجال فقط وهو أمر من أغرب أمور التاريخ الجديد .

ترانا أمام عدة هيئات :

١ — الأقطاب الثلاثة .

٢ — الأقطاب الخمسة .

٣ — مجلس الأمن ذى الأقطاب الأحد عشر .

٤ — جمعية الدول العمومية ذات الـ ٥١ عضواً .

فبأى هذه الهيئات يتعلق مصير الأمم الصغرى يا ترى ؟ وأيها أحق بفض مشاكل الأمم وأصلح لها ؟

نرى أننا فى فوضى من الأنظمة الدولية المتضاربة المتعاكسة المنذرة دائماً بالاضطراب العالمى . الأمن فى يدها تحت خطر .

أضف إلى ذلك خوف العالم من عقبى اختلاف الأقطاب . وهو شر نذير بالخطر المخيف . فإذا اختلفوا يحتدم الخطر ويقع القضاء والقدر . اللهم انقذنا من اقتداح الشرور ، حسبنا ما كان وما غبر .

نقولا الحداد

البضائع تحمل على الجمال وتقطع الحجاز إلى الأمبراطورية الرومانية ليستفيد الرومان منها دون الاضطرار إلى مرورها بالمناطق الفارسية. وقد حاول البرتغاليون فى القرون الوسطى تأسيس مراكز تجارية فى الخليج الفارسى والبحر الأحمر ثم فى عدن — كما أن البريطانيين اتخذوا الفرات لتأسيس مصلحة مراكب بخارية تنحدر من سوريا الشمالية عليه . وفى هذه الفترة حفرت قناة السويس فعادت طريق التجارة إلى مصر . ومن الحرب الكبرى نرى أن سيارات الصحراء والمواصلات الجوية حولت قسما من التجارة إلى سورية وفلسطين والعراق . ولكن مهما تأرجحت طريق التجارة نجدها دائماً بين أيد عربية — مصر من جانب ، وبلاد الرافدين (الجزيرة) من جانب آخر .

إن أهمية البلاد العربية لا تنحصر فى كونها ممراً بين أوربا والشرق فحسب ، بل لأنها أيضا الجسر البرى الوحيد إلى أفريقيا . ولقد مر كثير من الجيوش المغيرة عن طريق سورية - فلسطين - سينا إلى أفريقيا . لقد حاول الفراعنة احتلال سورية عن هذه الطريق ، ومنها انحدر الاسكندر الكبير لاحتلال مصر ، والرومان يوليوس قيصر — أوغستين مرا من هذه الطريق . ومنها خرج العرب إلى أفريقيا بعد قطع سينا وسار الصليبيون إلى مصر ، كما أن حملة أخرى منهم نزلت مصر للسير منها إلى فلسطين . وقد هاجم نابليون مصر لفتح آسيا . وفى الحرب العالمية السابقة نرى كيف سار الأتراك لمهاجمة مصر ، وكيف دخل الانكليز فلسطين عن طريق سينا . إن الأقطار التى نتحدث عنها حافظت على أهميتها الدولية السياسية أكثر من أى قطر آخر فى العالم . لهذا يمكننا القول بأن أهمية هذه الأقطار ترجع لكونها المعر إلى الشرق الأقصى أولا ، ولأنها الجسر البرى الوحيد لإفريقيا ثانياً .

العوامل الجغرافية الداخلية

إن جغرافية هذه الأقطار الداخلية لا تقل أهمية عن جغرافيتها الخارجية. وعندما أتكلم عن البلاد العربية الشمالية أعنى (سورية وشرق الأردن وفلسطين والعراق . والنصف الشمالى من جزيرة العرب) فإذا ألقينا على خريطة هذه البلاد نظرة نجدها تشكل مثلثاً رأسه حلب ويخترق ضلع المثلث سورية وشرق الأردن وفلسطين وشمالى الحجاز ، كما يخترق الضلع الآخر العراق حيث ينتهى برأس الخليج الفارسى ، وتمتد قاعدته من البحرين حتى المدينة المنورة . أما قلبه فهو الصحراء . إن القسم الأهم من تاريخ هذه الأقطار يرتكز على هذا التكوين الجغرافى الخاص فضلا عن كون الصحراء فرقت هذه البلاد ، فقد وضعت سورية والعراق على اتصال بالبلدان الخارجية (استعمل الآن كلمة سورية لأعنى الأقطار المعروفة الآن بسورية وفلسطين وشرق الأردن) ، وهذا ما جعل هذين القطرين عرضة للمؤثرات الخارجية ، وبقيت حضارة نجد والحجاز — فقط — حضارة عربية محضة . وكانت نتيجة هذه الحضارات المتباعدة أن نرى الحجاز ونجدا عربيتين فى حضارتهما ، بينما نرى أن أوربا وبلاد فارس والأناضول ومصر قد أثرت على حضارتى جانبى المثلث الشماليين .

الهجرة من وسط الجزيرة العربية

بينما نجد بادية الشام التى تشكل قلب المثلث تكوّن حاجزاً فى طرق المواصلات بين سوريا والعراق ، نراها واسطة الاتصال والنقل لسكان نجد أو البلاد السعودية . وأن تلك البقعة الممتدة من الحجاز إلى الخليج الفارسى آهلة بقليل من السكان يعيشون على زراعة النخيل فى واحات متفرقة ، وهم على الأرجح ينتمون إلى شعوب ما قبل التاريخ . وبالرغم من معيشتهم فى أراض زراعية نراهم يجوبون الصحراء ويقطعونها ، وبالعكس نرى أن أهالى سوريا والعراق الذين يعيشون فى مناطق مملوءة بالسكان لم تبق لهم حاجة لقطع الصحراء لاستقرارهم فى البلدان التى يقطنونها. وهكذا نجد أن الصحراء التى تقف فى طريق المواصلات بين سورية والعراق هى طريق المواصلة بين سكان قلب الجزيرة وبين الأقطار الشمالية ، وهى بالنسبة لهم كالبحر بالنسبة إلى الشعوب البحرية .

توجد مقابلة شيقة بين بادية الشام وبين القسم الشرقى من البحر الأبيض المتوسط . توجد على شواطىء الجانب الشرقى من البحر الأبيض المتوسط موانىء تحمل كلها طابعاً مدنياً واحداً. فإذا سرت من الاسكندرية إلى حيفا فبيروت فأزمير فالقسطنطينية تجد شبهاً كبيراً بين هذه المدن ؛ مع أن هناك بونا شاسعاً بينها وبين المدن الداخلية . إن مصر وبلاد العرب وتركيا واليونان

بلدان مختلفة ولكن ثغورها متشابهة . كما أن العرب قطعوا الصحراء وأنشئوا مدناً هي عمان ودمشق وحماه وحلب ، وهي تحمل المدنية والطابع العربي . ولذلك فإن الإنسان يقدر أن ينظر إلى بادية الشام كبحر يقابل البحر الأبيض المتوسط الذي تحمل ثغوره مدنيته الخاصة ، تقابلها مدنية عربية محضة على أطراف المثلث المحيط ببادية الشام أو الصحراء السورية .

الصحراء كحاجز حربي

إن هذه الصحراء التي رأيناها في بحثنا واسطة اتصال — نوعا ما — لسكان قلب الجزيرة العربية ، نراها تقف حجر عثرة في سبيل الأعمال الحكومية أو العسكرية ؛ فبينما نجد أن سوق جيش من الأناضول إلى سورية أو العراق سهل ، نجد الصعوبة كلها في سوق جيش من قلب الجزيرة يقطع مئات الأميال من القفار . وإذا ما ألقينا نظرة إلى تاريخ سورية والعراق نجد أنهما من بدء الميلاد حتى سنة ٦٥٠ للميلاد حكمها الرومان والفرس . ومع أن الهجرة الفردية من الجزيرة إلى هذين القطرين لم تنقطع فقد كانت تقوم صعوبات جمة في وجه أية حملة حربية يراد سوقها من الجزيرة إليهما . هذا فضلا عن سهولة الاحتفاظ بسوريا على الرومان من آسيا الوسطى ، وبالعراق من إيران على الفرس .

لقد كان سكان تلك الأقطار عربا ، وبالرغم من حكم الرومان والفرس فقد كانت ثقافتها عربية محضة ؛ وقد قامت فيهما إمارات عربية صغيرة كأمارات الغساسنة في سوريا واللخميين على الفرات . إن ثقافة بلاد العرب كانت مستمدة من الجزيرة ، وكانت القوة السياسية والحربية مستمدة من الأناضول وإيران . وهذا الموقف الذي لم يتغير أبداً يتلخص في أن العرب أقوياء بثقافتهم ضعاف بقوتهم الحربية، وهذا أمر يعزى أكثره إلى جغرافية الصحراء السورية

لقد غير الإسلام الوضعية ، وذلك بتأثير الروح التي أثارها في العرب ، فتمكنوا من التغلب على هذه الصعوبات وفتحوا سورية وإيران ، ولكن لم تنقض فترة حتى ظهرت هذه الصعوبات مرة ثانية . لم يتمكن الخلفاء من البقاء طويلا في الحجاز واضطروا عند قيام الأمويين لنقل عاصمة ملكهم إلى دمشق ، وعند قيام العباسيين الذين لم يرضوا ببقاء العاصمة في دمشق نقلت إلى بغداد[1] وهكذا نجد أن العرب عند ما كانوا حاكمين على المثلث بأجمعه ، وعند ما كان الإسلام في القمة عملوا على مقاومة هذه الصعوبات الجغرافية ، أي الصحراء التي تلتف البلدان العربية الهامة حولها

رأس حلب

عند سقوط الامبراطورية العربية وقيام الأتراك ظهرت حقيقة أخرى تتعلق بالمثلث ، وهي ما يمكننا أن نسميه « رأس حلب » إن جانبي المثلث (جانبي العراق وسورية) يلتقيان في حلب ، فإذا ما أراد أحد هذين القطرين مساعدة الآخر وجب عليه قطع الممر الضيق المأهول بالسكان حول حلب ، إذ لا طريق غيره — خلا طريق الصحراء — وبذلك نرى أن أي قوة حربية تنحدر من الأناضول إلى حلب يمكنها قطع خط المواصلة بين القطرين ، أو أن أي قوة حربية يمكنها الدفاع عن حلب تقدر أن تقطع خط الرجعة على أي جيش يسير من سوريا إلى العراق وبالعكس . ومن المؤكد أن الهجوم على جانبي المثلث واحتلالها من قبل قوة تعسكر شمالي حلب ، أسهل بكثير من سوق قوة من العراق إلى سورية أو بالعكس للدفاع عن أحد هذين الجانبين

وإذا لاحظنا أن الأتراك حكموا البلاد مدة تزيد على ٦٠٠ سنة نرى أن الأثر الذي أبقوه وراءهم بسيط جدا ؛ إذ لم يتمكنوا من التأثير على الثقافة العربية — وبالرغم من مرابطة الفيالق في أكثر المراكز الهامة ، ومن وجود موظف أو موظفين كبيرين من الأتراك فقد كان أكثر الموظفين الصغار عربا وكانت أكثرية أهل البلاد يحكمهم الزعماء لا الحكومة ؛ هذا عدا عن بقاء اللغة العربية اللغة المستعملة في البلاد . وهكذا نضطر أن نعود إلى معادلتنا الأولى وهي أن العرب ضعفاء بقوتهم الحربية أقوياء بثقافتهم .

أرجو إن سمحتم لي أن أعدد نتائج العوامل الجغرافية التي وصلنا إليها مرتبة كما يلي

---

(١) أن نقل العاصمة إلى دمشق كان لسبب آخر وان جاء موافقاً لما أورده المحاضر لقد نقل معاوية العاصمة إلى دمشق لأنها كانت معقل الأمويين ومصدر دعوتهم ؛ ونفس السبب دفع العباسيين لنقل مركز الدولة إلى بغداد . (المترجم)

العوامل الجغرافية الخارجية

١ — إن بلاد العرب ممر بين أوربا وآسيا يحيط به بلاد فارس والأناضول من جهة ، والصحراء الكبرى والسودان من جهة أخرى .

٢ — إن البلاد العربية هي الجسر البرى الوحيد بين أفريقيا وبين بقية أقطار العالم الأخرى

٣ — إن بلاد العرب نقطة الاتصال بين ثلاث قرات ، وهي قلب العالم القديم

العوامل الجغرافية الداخلية

١ — إن بلاد العرب تكوّن مثلثاً تتوسطه بادية الشام

٢ — إن بادية الشام فرقت بين الأقطار العربية ، كما أن سورية والعراق اتصلتا بحكم مركزهما الجغرافي بالأناضول ومصر وإيران وأوروبا ، وهذا الاتصال جعل لهما ثقافة خاصة تختلف عن ثقافة قلب الجزيرة العربية

٣ — إن بادية الشام هي طريق الاتصال لسكان قلب الجزيرة العربية الذين ما زالوا على اتصال بالأقطار الشمالية ، والذين حافظوا على ثقافتهم العربية

٤ — بينما نجد بادية الشام واسطة نقل وبث للثقافة العربية نراها تقف حجر عثرة في سبيل الأعمال الحربية ، ولذا نرى أن العرب وجدوا من الصعب حينما تولوا الحكم أن يحكموا سورية والعراق وقلب الجزيرة العربية من عاصمة واحدة

٥ — إن التقاء جانبي المثلث في رأس حلب يجعل أية قوة حربية في الأناضول قديرة على مهاجمة كل من سورية والعراق دون أن تتمكن إحداها من مساعدة الأخرى

قابلية العرب للرقى

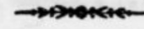
إن بحثنا عن قابلية العرب للرقى أعمق وأصعب من بحثنا عن الموقع الجغرافي الذي يمكن تحديده إذا ما نظر الإنسان إلى الخريطة والذي يتلخص في سرد الحقائق . وتزداد الصعوبة على الأخص عند ما نرى أنفسنا مضطرين أن نخمن درجة قابلية العرب للرقى بالوقت الحاضر ، ودرجة استعدادهم وقابليتهم مستقبلا ، لأن كلا منا متأثر بعقائده ودراساته الخاصة ، وقد يكون متأثراً بدرجة قابليته بنفسه . وعلى كل حال فإذا لم أتمكن من إقناعكم بعقائدي فلعلي أتمكن من فتح باب للمناقشة بإعطائكم آراء جديدة . وقبل الدخول في بحث استعداد العرب للرقى علينا أن نعرف ونحدد الرقى . أظن أن الرجل الأوربي ينعت الرقى بالنجاح المادي ، وقد ينعته بالنجاح الفكري إذا ما طلب إليه تعريفه ، ولكن النجاح الفكري يتوقف على النجاح المادي الذي نتمكن بواسطته من تأسيس جامعات ومختبرات تساعد على تهذيب الإنسان ، ولذلك يمكننا في بادئ الأمر أن نعرّف الرقى بأنه القوة والثروة والاستقلال السياسي والمؤسسات الحكومية الأخرى كمصالح الصحة والمعارف والأشغال العامة الخ . ولهذا أرى أن أضع سؤالا في الصيغة التالية : « هل يمكن أن يصبح العرب القاطنون في البلاد العربية الشمالية ، وهل يريدون أن يكونوا في عداد الأمم الأوربية الحديثة ؟

الديانة

سنتناول في البحث عن هذه المسألة مظهراً أو مظهرين كلا على حده . أولهما : هل يؤمن المسلمون والمسيحيون حقاً بتعاليم أديانهم أم لا ؟ كلنا يعلم بطبيعة الحال أن أدياننا أثرت في حياتنا الاجتماعية وطرق معيشتنا ، ولذلك فإن العلاقات بين الإسلام والمسيحية تدخل في موضوع بحثنا . ولا أدرى إن كنتم تعرفون أن الإسلام والمسيحية متقاربتان كل التقارب برغم ما قام بينهما من نزاع في الماضي . وهذه الحقيقة يؤكدها المسلمون أكثر من المسيحيين . ويعتبر المسلمون من زمن النبي (صلعم) إلى يومنا الحاضر أن المسيحيين أقرب إليهم أكثر من أتباع أي دين آخر . إن العقائد الروحية السامية المتشابهة بين الديانتين كثيرة ، فكلتاهما أسستا على اليهودية ، أو بالأحرى إن الإسلام أسس على اليهودية والمسيحية ، وكلا الإسلام والمسيحية خرجا من بلد واحد ولهما نفس الأنبياء . وكلاهما يعترف بالعهد القديم « التوراة » ، وقد حدثني قس مسيحي عمل في بلاد العرب سنين عديدة قائلا : إن الإسلام شكل من أشكال المسيحية باستثناء الاعتقاد بالعجائب . وقد اتضح لي أن هنالك مظهراً آخر للتشابه بين الديانتين ، وهو

الأدب العربي في الهند

للأستاذ محمد يوسف البنوري



ربما يظن أن تقدم الهند فى صناعة الأدب العربى والشعر ليس كتقدمهم فى علوم الحديث والفلسفة ، والمنطق ، والرياضة ، والطب ، وما إلى ذلك من الفنون العقلية

حقيقة أن تقدمهم فى كثير من العلوم العقلية القديمة قد أصبح منذ عهد قديم ، بحيث لا يبارى ولا يجارى ، وأضحت عبقريتهم فى علوم الحديث مثلا فى العهد الحديث منذ أوائل القرن العاشر للهجرة حين سرى الوهن فى المجتمعات العلميـة الدينية فى البـلاد العربية ، غير أن ميزتهم الأدبية وبراعتهم فى الشعر العربى على رغم أن البلاد أعجمية قد خفيت على كثير من رجال الادب فى البلاد العربية ، مع أن مآثرهم الراقية المزدهرة فى خدمة اللغة العربية وتاريخ اللغـة العربية ، والأدب العربى لا تنكر ومقامهم فيها مشهود .

ومن العجيب أننا مهما حدثنا أحداً منهم بشئ عن رقيهم الحاضر فى اللغة العربية والأدب العربى ، سمع ذلك وهو فى حيرة مطبقة يكاد يسرع إلى الرد بالنفى لو لم تحل دونه رزانة العقل

وما من شك فى أن العصبية القومية إذا حلت مكاناً رحلت عنه فكرة الوحدة الإسلامية ، فإذا باتت آراء قوم مقصورة على مفاخر قومهم ولم تعد مطالعة مزاياهم الخاصة ، وعرتهم غفلة أو غفوة من أن يقفوا على مزايا إخوانهم فى البلاد ، انقطعت صلة الأخوة العالمية ، ورابطة الوحدة ، وتفككت عرى المواساة .

ففكرة العروبة التى نشأت حديثاً فى الأفكار ، وتتجلى بين حين وآخر على صفحات المجلات ، كما أنها تنتج فوائد خاصة ، تمنع كذلك من ناحية أخرى فوائد هامة بلاد العروبة أحوج إليها منهـا إلى تلك الفوائد الضئيلة أمامها ؛ فلا يستتب نظام عام بين الأمم الإسلامية المبثوثة فى أنحاء البسيطة الذى جاء به سيدنا الرسل إلى كافة الناس عجمهم وعربهم صفرهم وبيضهم عليه أزكى صلوات وتحيات مباركة . فمن الحتم اللازم أن يكون هناك نظام آخر يلوذ إلى كنفه وأحضانه سائر أقوام الأمة الإسلامية

إصرار كل من المسلمين والمسيحيين على ضرورة الإيمان بحوادث تاريخية معينة ، كما وإن لـكل من الديانتين شعائر وقواعد يجب إعادتها كل يوم ، ونحن قد اعتدنا هـذا المظهر من الايمان فى الدين ، حتى إنه لم يعد يخطر لنا ملاحظة أهمية ذلك بالنسبة إلى الإسلام والمسيحية .

أنا لست ثقة فى البـوذية أو الـكنفوشية أو الهندوكية ، ولـكنى أرى وأتصور أنهم لايتشددون فى أهمية الإيمان ، كمايتشدد المسلمون والمسيحيون ، وأرى أن هذا المظهر الذى اتخذته الديانتان أوجد شبهاً كبيراً بين الأمتين

كثيراً ما نسمع أن الإسلام عائق لرقى العرب ، وبدون شك وجد كثير من المسلمين الذين اعتقدوا بأن الأرض منبسطة ، وبأن الاختراعات العلمية من عمل الشيطان ، ولـكن يجب أن لايغرب عن بالنا بأن كثيراً من المسيحيين اعتقدوا نفس الشيء ، وكانوا هم الذين أجبروا غاليلو على التراجع عند ما قال إن الأرض تدور حول الشمس . ومن الإنصاف أن أقرر أن الإسلام دين عملى أكثر من المسيحية من جهات عديدة — فالمسيحية هى التى نطقت بعدم جمع الثروة وفرضت حياة الزهـد والتقشف ، ولذلك فإننا نجد قول المسيحيين بأن الإسلام دين غير عملى للآراء غريباً — وإذا نظرنا إلى مبادئه الأولية يظهر لنا أنه دين عملى أكثر من المسيحية ، لأن المسيح (عليه السلام) لم يتفق والدرهم أبداً

المناخ

كثيراً ما يكون هواء البلاد وحالتها الجوية مفتاحاً لمعرفة أخلاق السكان ، وإذا نظرنا إلى مناخ بلاد العرب نتحقق أنه لايمكن أن ينبت أمة خاملة . ولا مراء فى أن مناخ الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط هومناخ البحر الأبيض المتوسط ، ولـكن إذا ما تجاوزت الشواطئ إلى شرق لبنان والأردن تجد الجو بارداً جداً ، وبشاهد الثلج والصقيع بكثرة فى أماكن عدة ، كما أن الجو غير رطب فى الصيف ، فهو بالعكس يلتهب حرارة ، ومثل هذا المناخ يحتاج لأمزجة متينة وأجسام قوية لمقاومته

(البقية فى العدد القادم)

جميل قبعين

على حد سواء ، حتى تمنح بلاد العروبة فوائد عظيمة وتنتظم قوى الأمة فى الأنحاء قاطبة ، فتصبح الأمم كأمة واحدة ، وتدعم أركانها بدعائم الأخوة الموطدة كبنيان مرصوص لا يتزعزع بالقواصف الهوجاء والعواطف النكباء

ويكاد يكون عدم وقوفهم على الأدب العربى فى الهند أثرا من آثار هذه الفكرة أو مثلها . كنت أردت أن أكتب كلمة فى الموضوع هذا منذ نزلنا القاهرة من نصف عام ، بل أكثر ، ولكن حالت دونه الأمور التى لأجلها امتطينا صهوة الرحيل إلى مصر ، وكتبت شيئاً فى بعض المجلات والجرائد عن الحركة الدينية والنهضة السياسية فى الهند ، فوددت أن تكون رسالتى هذه إلى إخواننا المصريين وطلبة الأدب بموضوع مقالتى فى مجلة «الرسالة» الزهراء ، وقد أزفت ساعة تقويض خباء الإقامة ، فتكون مقالتى هذه فى الرسالة رسالة وداع ، والأمر كما قال النابغة :

أفد الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

لست أريد فى هذه النهزة ذكر الأدباء والشعراء فى الهند ، أو سرد تآليفهم فى الأدب وتاريخ الأدب العربى وسمو مكانتهم فى التفكير الأدبى ، أو البحث عن شعر نوابغ الشعراء منهم ، والموازنة بين أشعار هؤلاء وهؤلاء فى هذا الصدد ؛ فإن ذلك يستدعى نطاقاً أوسع مما عندى ، غير أنى أذكر شيئاً من شعر بعض علماء المعهد الدينى القديم فى الهند ، وأم المعاهد الدينية فيها (أريد بها دار العلوم) بديوبند بالقرب من عاصمة الهند « دهلى » .

إن هذه الجامعة العربية الدينية ، كما أصبحت مثلا أعلى فى نهضة الدين والعلوم الشرعية ، كذلك أصبحت قدوة فى الحركة الأدبية وثقافة اللغة العربية ، فظلت بقعة ديوبند ، تلك الأريضة الطيبة ، مرتعاً خصباً لطلبة الأدب ، ونبغت فيها نوابغ الأدب وجهابذة اللغة ورجال الشعر . وكثير من السياحين الناطقين بالضاد والزائرين لهذا المعهد من علماء البلاد العربية ، لما نزلوا هناك شاهدوا للأدب فيه وجوهاً باسمة ، وطلعات وسيمة ، ورأوا فيه للشعر العربى ارتياحاً ، ولاقوا فى ترحيبهم نغمات ترق لها قلوب من قصائد عربية أنطقتهم بكلمات طيبة تبدى شعورهم وتأثر نفوسهم بتأثرات دقيقة نحو هذه النهضة

وأخيراً ، هذه البعثة الأزهرية قوبلت هناك بحفاوة واحتفال هز أعطافهم ، وقام خطيبهم رئيس البعثة ، فأثنى جميل الثناء على ما شاهد من نهضتهم وأبدى إحساسه العميق نحوهم على الرغم مما أبداه فى تقرير البعثة لمصالح سياسية أدركناها

هذا المعهد العظيم بلغ شعره ألوف الأبيات عالم من علمائه فى شتى نواحى الشعر ، وهو إمام العصر الأستاذ المحدث الشيخ محمد أنور الكشميرى رحمه الله . ومن الغريب أن هذه الناحية لم يتخذها كمالا علمياً عكف عليه طول عمره ، أو عرف به ، لا بل مزيته هذه لا تعد مزية إلى ما خصه الله بجلائل النبل وآيات الفضل التى أصبح فيها نسيج وحده . ومع هذا له شعر بارع مطبوع عليه أبهة الشعر القديم بمتانة وفخامة مع انتقاء فصح الكلمات بانسجام رائق ، مصوغ فى قالب بديع ، فترى له روعة وجمالا فى حسن السبك ، وصياغة الألفاظ ، وأبعد به عن ركاكة فى اللفظ ، أو سماجة فى التعبير ، أو تفكيك فى التركيب والنسق ، أو اختلال فى النظم والانسجام

نعم ، إن شعره ترى فيه بريقاً يتألق من الشعر القديم ، ولمعة من شعر المخضرمين ، وربما تبدو فيه آثار من كلام المولدين مع نخافة فى اللفظ وجزالة فى المعنى

أجل ، إنما الشعر لوعة فكر ، ولمعة خيال ؛ ولكل فكر منزع ، ولكل خيال مذاق ، وذلك أمر لا مندوحة عنه . ومن خصائص شعره أنه قلما تخلو قصيدة له عن عواطف حزينة تثير فى القلوب رقة ، كأن نفسه تذوب حسرات ، ولا بدع ، فكان عميق الشعور ، دقيق القلب ، ومن ثم نجد أكثر شعره وألطف شعره فى الرثاء والبكاء ، فكان كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم :

إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

لا يتسع النطاق لذكر سائر النواحى من شعره إلا أنى أقدم هنا شيئاً من شعره فى الرثاء وغيره لتنم نفحاته المسكية على حديقته الزهراء . قال رحمه الله فى رثاء شيخه الإمام الأستاذ محمود حسن الديوبندى المعروف بشيخ الهند .

قفا نبك من ذكرى مزار فند معا مصيفاً ومشتى ثم مرأى ومسمعا

قد احتفه الألطاف عطفاً وعطفة وبورك فيه مربعاً ثم مربعا

إلى أن قال :

وكان حشا أذنىّ درّا وحكمة فتخرج من عينىّ دمعاً مرصعاً

وقال :

فوافيت دهراً ثم دهراً بجنيتى والفيت عمراً ثم عمرا ممتّعاً

وقال :

فلله درّ الحبّ حتى أقامنى
أقول وأحكى أن فى المض مطمعاً (١)

وقال :

وأذكر أيام المزار وأنثنى على غصص فى القلب حتى تصدّعا

وقال :

بضيق نطاق فى المراثى لحقّها وثمّ مجال كيفما شئت فاصنعا

وقال فى مطلع قصيدة عصماء له فى مديح رسولنا العربى الهاشمى عليه صلوات الله وسلامه :

برق تألق موهنا بالوادى فاعتاد قلبى طائف الإنجاد (٢)
أسفاً على عهد الحمى وعهاده تولى على الإبراق والإرعاد (٣)
رِهَمٌ تناوح تارة ديم لها حتى غدا الأيام كالأعياد
هبّ النسيم على الربى فتضاحكت بشرى العميد عرارها والجادى
سنح الظباء فكاد يهلك مغرم حور العيون وعطفة الأجياد
وأكاد أشرق بالدموع إذا بدا هجر فتبكى الورق بالأسعاد
أسقى التلول وأستحثّ ركائبى وجدا على التأويب والإسآد

ومن شعره :

إمن عهد ربع طالما كان أبكما أجبت بدمع حين حيا وسلما
ووجد تراه زورة بعد زورة على غصص الأزمان نادى وأبرما
وقفت بها صحبى وجددت عهدهم عسى إن عهداً ناء أن يتوسما
تهلل وجه الصبح يفتر ضاحكا عن الثغر حتى كاد أن يتكلما
تباشير صبح أو تباشير مبسم تنفس عن روح وبشر تنسما
وما ثم إلا من حديث قديمه وتحديث أشجان ووجد تكلما
وربع قواه كاد مما أبثه وأسقيه دمع العين أن يتبسّما
ولم ألق إلا ريب دهر تصرّما فقدت به قلبى وصبرى وحيلتى
ومن غلبات الوجد ما كان همهما ومن عبرات العين ما لا أسيغه
ومن نفحات الدهر ما قد تهجما ومن نفثات الصدر ما قد بثثته
على كبدى من خشية أن تحطما فأذكر أزمان الرفاق وأنثنى
وصار يجارى الدهر حتى تقدما تكففت دمعى أو كففت عنانه
يجاملنى شيئاً دعا أو ترحما فهل ثم داع أو مجيب رجوته

وأظن ، أن فى هذا القدر الآن كفاية للبصير . وقد عزم « المجلس العلمى » بالهند أن يجمع كلام إمام العصر المرحوم ويرتب ديوانه ويطبعه نرجو الله له التوفيق .

ومن فحول شعراء هذا المعهد العظيم الشيخ حبيب الرحمن المرحوم مدير المعهد وله شعر رقيق اللفظ منسجم رائق جزيل المعنى . ومن العجيب أنه كان شديد الاشتغال بشئون المعهد الإدارية ولكن مع هذا له شعر غزير يربو على أربعة آلاف بيت فى غاية من اللطافة وحسن السبك ودقة النسيج وحلاوة اللفظ يكاد يظن أنه طول عمره كان عاكفاً على الشعر العربى ، ويمتاز شعره عن شعر إمام العصر المذكور بالرقة والانسجام ، وشعر إمام العصر يمتاز بالجزالة وفخامة الأسلوب ، وشعره أقرب إلى شعر المولدين ، كما أن شعر إمام العصر يشبه كلام المخضرمين . وأرى نفسى موفقاً فى الفرق بين شعرهما إن قلت إن الشيخ المدير كان بحترى عصره ، وإمام العصر فرزدق وقته . وديوان شعره مطبوع وإن لم تحل أشغالى دون مرامى عسى أن أنتهز فرصة وأقدم شيئاً من شعره لأخوان القاهرة والله الموفق .

محمد يوسف البنورى

الأستاذ بالجامعة الاسلامية بالهند .
وعضو « المجلس العلمى » نزيل القاهرة

(١) المض حكاية صوت يراد بها الانكار ومع هذا لا ينقطع به الطمع فى الاجابة ومن هذا يقال فى المثل « إن فى مض لمطمعا » .

(٢) الموهن : منتصف الليل الاعتياد : الانتياب . الطائف الخيال . الانجاد : الذهاب إلى نجد الجادى : الزعفران .

(٣) الرهمة : المطر الضعيف الدائم . العهاد : أول المطر « تولى » من الولي » المطر بعد المطر . العميد : الحزين التأويب : سير النهار كله إلا سآد سير الليل كله .

محرم الحكيم الاجتماعى

بمناسبة مرور الأربعين على وفاته

للأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

هى سنة واحدة قضاها احمد محرم فى المدرسة ، أو على الأدق فى مدرستين : العقادين الابتدائية ، فمدرسة الجيزة بالقاهرة ، بعد أن تلقى مبادئ القراءة والكتابة فى مكتب قرية الدلنجات من أعمال مديرية البحيرة وحفظ القرآن الكريم فى الثانية عشرة من عمره .

وبعد هذه السنة جاءه أبوه التركى المرحوم حسن افندى عبدالله بطائفة من علماء الأزهر يدرسون له النحو والعروض وسائر علوم العربية ، وعكف من ثم على التراث الأدبى العربى فى مختلف عصوره دارساً وحافظاً . هذه هى دراسة الشاعر الأولى ، أو هذه هى مدرسته الأولى التى هيأته للشعر بقوله ... ومنها انتقل إلى المدرسة الأخرى ، مدرسة الحياة الكبرى التى كونته حكيماً اجتماعياً إلى أن انتقل إلى العالم الباق ...

وللحكمة فى قيثارة الشاعر وتر واحد ، عن هذا الوتر تصدر الحكمة والاجتماعيات فى نغمة واحدة أو فى أنغام مختلفة ... سهمان ينطلقان إلى هدف واحد ، هو تعمق الحكيم وشمول نظره ، وما يكون المرء اجتماعياً إلا لأنه حكيم ، وما يكون حكيما إلا لأنه اجتماعى .

وفى المدرسة الكبرى ، مدرسة الحياة راح الشاعر — من جديد — يدرس ويتعلم بالكثير من راحته ، وسكون نفسه واطمئنان باله ، وينفذ وراء بصره إلى أعمق ما تعرض الحياة من قضايا ، وما تكنّ زوايا البشر من خبايا ... كانت هذه الدراسة ، وهى قطعة من حياته ، أو هى حياته كلها — تأملا ، وشعوراً يستحيل عند فيضانه إلى تعبير جلىّ قوى تتمشى الحرارة فى ثناياه ، وتنبض الروح بين طواياه ...

وكان جل ما تعرض عليه الحياة ، تحت شجرة إلى جانب مقهاه الأثير فى دمنهور أمام المحكمة الأهلية ، حسبه منها ، ومن الحياة ، أن تفىء عليه ظلها ساعات فى الصباح ، ومثلها فى المساء . لم يكن يحتمل جو المقهى إلا ريثما يأخذ الصحف والبريد بنظرة خاطفة ، يهتز بعدها من الضيق فيحمل كرسيه ويطلب إلى الانتقال إلى « شجرة العرش » باسما !

وننتقل إلى ظلال « شجرة العرش » لنراجع النفس فيما سمعنا ورأينا وعلمنا ، ثم لنسكت ، أنا فى شأنى ، وهو فى تأمله الهادئ العميق .

وكثيراً ما كنت أستحضر فكرة ما — فى موضوع الساعة ، لأحدثه بها ، فأتعقب ما لا أرى ببصرى فى الأرض وفى السماء . فكان يهز رأسه ويقول : قيدْ ما يحضرك . فانه يقرها ساكنة ، حتى تطلبها فتجدها فى مكانها « مقيدة » !

ورغم ذلك فقد كان رحمه الله على قوة فى الإرادة ، ونفاذ فى البصر ، ويقظة فى الشعور ، إلى درجة تريح نفسه من العمل بهذه النصيحة ، فكان أبدا على ثقة من العثور على « الفكرة » أو قل من « اصطيادها » أسمن وأغنى مما كانت حين سنحت له وخلاّها ...

فى ظل هذه « الشجرة » وهى كالمرصد للفلكى ، والمعمل للكيمائى ، جعل الشاعر « يصطاد » عناصر حكمته الاجتماعية ، ويتأمل فى هذا النبع الفياض ، من نفسه ومن الحياة ويشعر به شعوراً قوياً جياشاً ، ثم يسوق تأمله وشعوره فى حكمة هى الشعر ، وفى شعر هو الحكمة ، فيتقدم على كثير من الشعراء — أمام الناس جميعاً ، حكيماً اجتماعياً يضع أصبعه على أخطر الأدواء ، ويصف بالساحر من بيانه أنجع الدواء ...

وما أريد أن أعود بالقراء إلى يومه الأول لأعرض عليهم فنون حكمته فيه ، فلذلك مكانه من الكتاب إن شاء الله . وإنما أريد أن أعرض عليهم أبياتاً من قصيدة حديثه ، هى قصيدة العصر ، أو هى آلامه وآماله . .

وسبب هذه القصيدة — ومعذرة إلى القراء — مناظرة على صفحات « البلاغ » الأغر فى حياة صاحبها المغفور له عبد القادر حمزة باشا عليه رحمات الله ورضوانه — بينى وبين صديق الأستاذ محمد السوادى فى « العبقرى ، فى الثراء ، والزواج ، والحب » من هو العبقرى ، وما شأنه ؟ قلت يومذاك إنه رجل طليق ، فى الثراء والزواج والحب والحياة كلها ... أو أنه بشر فوق البشر ...

ورمى الشاعر ببصره فماذا وجد ؟ وجد الوسط الأدبي في مصر يزخر بطوائف من المخبولين والممرورين والحالمين ... هذا يستنشق الأثير ، وثان يكرع الخمر الرخيص ، وثالث يتعاطى الأفيون ، ورابع يدخن الحشيش ، وخامس يتمرغ في أوحال الرذيلة ، وسادس وسابع . باسم العبقرية ، أو وراء «أشباح العبقرية» كما يسميها جورج دهامل يجرى كل هؤلاء الرضى والضعفاء . ولم يقل أحد إن العبقرية صحة ، وصحيح — كما يقول المدافع عن الأدب — أن هذه السموم تولد عند آلاف البؤساء شعوراً ذاتياً بالعبقرية ، ولكنها لم تهب العالم البشرى كتاباً واحداً ممتازاً .

العبقرية تصيح كل يوم : « رباه ! رباه ! ... لم تركتني وحيداً » ! ؟

هذا هو العبقرى في رأى جورج دهامل الأديب الفرنسى ، وهذا هو أسلوبه ، فانظر إلى العبقرى في رأى شاعرنا الحكيم المصرى ، وهذا هو بيانه :

يقول القوم هذا عبقرى ... وذاك مثقف وأقول : واها !
عيوب العبقرية من قضاها ... وآثام الثقافة من جناها ؟
وهذا النور كيف تراه عيني ... ظلاماً يسلب الدنيا سناها ؟

بهذا البيان نفى حكيمنا الاجتماعى احمد محرم ، من العبقرى والمثقف ما يحاول الجهل أو الخبل أن يلصقه بهما من عيوب وآثام ...

ولم يقف عند هذا الحد ، فنظر إلى الشعوب ماضياً وحاضراً ومستقبلا نظرة هذه ترجمتها في الحكمة شعراً :

أرى ملك الشعوب يقوم فيها ... على أخلاقها ، وعلى نهاها

ولنمض مع الشاعر إلى ما مضى إليه ... هى فكرة قرنها إلى فكر ، وحقيقة صارخة تصيدها فقيدها بحقائق أخرى . قال :

رأيت نساءكم غلبت عليكم ... فأمسى الخزى قد وسم الجباها
عجبتُ لذى الحليلة راودته ... عن الشرف الرفيع ، فما عصاها
وللأب مال بابنته هواها ... عن السَّنن السوىّ فما نهاها

إهابة جازع على أول وأهم ركن في المجتمع ... وأى خير في الأسرة إذا كان هذا حالها ، أو إذا انتهت إلى هذه الحال ؛ ولماذا لا ينعى دولة الرجال فيقول مقرراً في أسف وألم لا يحس بهما غير الرجال :

وما عند الرجال قضاء أمر ... إذا قضت النساء على لحاها

وما ذا بعد هذا مما يرضاه الحكيم الاجتماعى ؟ لا شىء إلا أن يقول :

رثت إلى المروءة من بلاد ... تبلد شيخها ، وغوى فتاها

ولكن هذا هو الداء ، فما هو الدواء ؟ هو أن :

أعيدوا الدين سيرته وشدوا ... عرى الأخلاق إذ وهنت عراها
وردوا بالزواجر كل غاد ... إذا وضحت له المثلى أباها

فبهذه الوسائل مع الدين ، أو في الدين تعاد إلى الرجل دولته ، وتحل المرأة في محلها ، ويساق الأبناء إلى الجادة في أثرها ...

ولكن كيف ذلك وهو يقول ولا ينكر عليه أحد ما يقول :

لبئس القوم ما حفظوا كتاباً ... ولا عرفوا رسولا أو إلها

ولم يكن يقصد مصر وحدها ، فالعروبة كلها قصده ، وهذا العالم الإسلامى المترامى هو — كقصيدته — مجال آلامه وآماله ... لذلك يتساءل بعد هذا كله ولكل جوابه عليه :

وما تبغى العروبة من شعوب ... إذا ذكرت لشاعرها بكاها ؟

***

هذا هو « محرم الحكيم الاجتماعى » في أبيات من الشعر ، و« لشاعر العروبة » قصة أليمة ، محيرة ، في ديوانه « مجد الإسلام » نرجو أن نقدمها إلى الرأى العام في فرصة أخرى إن شاء الله .

(دمنهور) ابراهيم عبد اللطيف نعيم

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

أعصابك ولماذا تثور؟

كيف تنشأ إحساساتنا المختلفة من حب وحقد وغضب أو قلق واضطراب؟ كل هذه الإحساسات منشأها تكوين المخ، فى وسطه فص صغير فى حجم البندقة اسمها السلامى. وهى قديمة جداً فى تركيب أجهزتنا العصبية ورثناها فيما ورثنا عن أجدادنا الأول الذين كانوا يعيشون بشريعة الغاب.

ويقابل السلامى فى المخ ويحاول السيطرة على إحساساتها قشرة رفيعة تغطى المخ وفصوص صغيرة موزعة خلف الجبهة، وهذان الجهازان حديثان فى التركيب العصبى للانسان. وبهما نفكر ونتنبأ ونتغلب على إحساسات السلامى التى وهبتنا إياها الطبيعة فى بدء الخليقة لتكون بمثابة جرس الإنذار ينبهنا إلى الخطر أو الجوع.

والسلامى دائمة الطلبات فهى تدعوك دائما إلى الإقبال على الخمر والميسر أو ما يطابق طبيعة الغاب الأولى من تخلص من القيود؛ فإذ طلبت السلامى كأس خمر تصدت لها قشرة المخ وفصوص الجبهة قائلة حذار فإنك تعرف أن الخمر منكر وأنك تفقد وعيك وترتكب أعمالا شائنة إن سكرت.

وإن أغلق الباب بعنف وأنت فى ظلام الليل الرهيب صرخت السلامى «عفريت قادم لقتلك»، فتجيبها الأخريان: «كلا ... إن هذا إلا ريح عاصف» وهكذا دواليك؛ فالسلامى تدفعك إلى عالم الخيال والخزعبلات، بينما قشرة المخ وفصوص الجبهة تعيدك إلى عالم الحقيقة والمنطق.

ويقول العلماء إن الموسيقى تخفف من حدة السلامى وتهدىء إحساساتها؛ ولهذا فإن الأنشودة العاطفية تثير فينا إحساسات الحب والصداقة بينما الأنغام العسكرية القوية تثير فينا الشجاعة والتضحية. وهذه الإحساسات تظل مسيطرة إلى أن يعيدها إلى الواقع شىء من منطق القشرة وفصوص الجبهة.

دراسة تربة النيل

تجرى كلية العلوم بإشراف بعض إخصائييها دراسة تفصيلية لتربة قاع نهر النيل وشواطئه، واستلزم الحصول على عينات من النهر سفر الدكتور رشدى سعيد فى باخرة خاصة مسافة عشرة آلاف ميل إلى أعالى النيل حصل منها على ٤٠٠ عينة من مختلف أنحائه، واستغرقت الرحلة ٤٥ يوماً

والطريقة التى اتبعها هى الحصول على عينة من قاع النهر بأدوات خاصة، ثم عينة أخرى من الشاطئ. وفى المناطق الهامة كان يأخذ عينة كل خمسة كيلومترات، وبالأخص كلما تغير شكل التربة

والغرض الأساسى من هذا البحث معرفة الزمن الذى فيه اتصل نهر النيل بمنابعه فى أعالى السودان، فإن علماء الجيولوجيا يقولون: إن منابع النيل فى أوغندا والسودان كانت منفصلة عن النهر، ولعوامل جيولوجية خاصة التقى المجرى المقبل من الحبشة بزميلة المقبل من السودان

وتفرع عن هذا البحث دراسة أخرى، فإن إحدى شركات الأراضى الكبيرة فى الصعيد المصرى تملك قطعة أرض مساحتها عشرون ألف فدان. لوحظ أن مستوى الماء فى باطنها يرتفع ويفسد الزرع، وأجرت الشركة عدة مشروعات لتصريف المياه، فلم توفق، وظلت الأرض تفقد حيويتها حتى قدرت الخسارة فى السنوات الأخيرة بمائة ألف جنيه

واستعانت الشركة بأحد الإخصائيين ولكنه امتنع عن إبداء رأيه حتى يحصل على دراسة تفصيلية لتكوين هذه الأرض الجيولوجى.

سيشمل إجراء هذه الدراسة والغرض منها معرفة خير الوسائل لتصريف الماء من باطن الأرض. وهل هذه المياه متسربة من النيل أو من مياه الأمطار أو الآبار؟

وستحلل عينات الأرض والنهر لمعرفة تركيبها الكيماوى وصلة الواحدة منها بالأخرى. وينتظر أن يكون لهذه الدراسة بجوار أهميتها العلمية فائدة عملية لأنها تؤدى إلى تحسين الزراعة ووسائلها.

ديدان الأرض تضاعف منتجاتها

عرف داروين منذ قرن مضى أن ديدان الأرض تقويها على إنتاج المحاصيل الزراعية . وقد تيسر أخيراً استخدام هذه الديدان فى تقليب التربة . وينتظر باحثو هذا الموضوع أن يتضاعف محصول الأرض من مرة إلى ثلاث مرات .

وقد وجدوا بالتجارب أن القدم المربع يحتاج تقليبه إلى عشرة ديدان أى أن الفدان يحتاج إلى مليون دودة تقلب من أرضه ما يقدر بمائتى طن من التربة الجافة التى تساعد على تهوية جذور النبات . وهى تضيف إلى فائدة التهوية فائدتين أخريين ، لأن تأكل الجذور الميتة كما تبتلع البقايا النباتية والحيوانية المختلفة تعطى الأرض كمية طيبة من السماد العضوى بما تفرزه فى الأرض من بقاياها مما يغذى النبات ويزيد نموه .

ويقول الدكتور توماس بارت إن الفلاح يستطيع الحصول على عدد وفير من هذه الديدان بتوليدها . وليبدأ أولا ببعضها فى صندوق صغير ، فعند ما تبيض الدودة يستمر بيضها من ١٤ يوماً إلى ٢١ ثم يفرخ وهذه الأفراخ بدورها تبيض فى فترة تتراوح بين ٦٠ و ٩٠ يوماً .

ويقول هذا الأخصائى فى الديدان الأرضية أن تزويد الأرض بها يفيد صاحبها فوائد جزيلة . وقد اهتم بعض التجار فى الريف بهذا الديدان وجعلوها من المواد التجارية التى تباع وتشترى مثل ديدان القز .

ذكاء طفلك وموعد حمله

أثبتت الاختبارات التى أجراها بعض العلماء أن النظرية القائلة أن الأطفال الذين يتم بهم الحمل أثناء فصول الشتاء أكثر ذكاء ممن تم بهم الحمل فى فصول الصيف .

وفى مدينة باث اختار العلماء ٣٣٦١ طفلا من طلبة المدارس وأجروا عليهم تجارب الذكاء وفحصوا أحوالهم فوجدوا أيضاً أن الأطفال الذين يتم بهم الحمل فى الشتاء أقل أخوة أو أخوات من الذين يتم حملهم فى فصل الصيف .

وكتب الدكتور فريزر روبرت مدير مصلحة الأبحاث الطبية فى المجلة الطبية البريطانية فقال إن الأبحاث أثبتت أن الوالدين الأكثر ذكاء أكثر ميلا إلى الحمل أثناء فصول الشتاء ، وأن الوالدين الأقل ذكاء أكثر ميلا إلى الحمل أثناء فصول الصيف .

أحدث أنباء العلوم والمخترعات

قد لا ينتهى هذا العام ، حتى تنتهى هذه الحرب ، ويبدأ العالم ثورته الاجتماعية والاقتصادية ، ويقفز بنا تقدم العلوم والمخترعات إلى بيئات جديدة ، ويفتح لنا مجاهل لم تطرق من قبل

وهدف هذا الباب من « الرسالة » اطلاع القارئ العربى على آخر أنباء تقدم العلوم والمخترعات التى نجزم على ضوء ما عرفناه عنها أننا مقبلون — بعد الحرب — على عالم جديد يختلف كل الاختلاف عن العالم الذى عرفناه

والعالم العربى بحكم مركزه الجغرافى يربط ثلاث قارات تعتبر من أهم مراكز النشاط فى العالم كله ، فجدير بالعالم العربى أن يدرك الانقلاب المقبل ويستعد له

سيارة بدون سائق

يستطيع سائقوا السيارات إذ انتشر الطراز الجديد من السيارات الأمريكية أن يتركوا سياراتهم تسير وهم نيام فى الطرق القليلة الزحام . فإن أحد المخترعين تمكن من تجهيز السيارات بآلة كهربائية تسيطر على عجلة القيادة

وهذه الآلة عبارة عن عينين كهربائيتين تصحح وضع السيارة إذا انحرفت عن الخط الأبيض الذى يرسم عادة فى منتصف الطريق ، فإن أراد السائق التخلص من سيطرة هذا الجهاز فى الطرق المزدحمة فإنه يضغط على زر صغير أمامه ليسير سيارته كما يريد

عصا تكشف ملكة النحل

اخترع أحد مهندسى محطة الإذاعة البريطانية عصا سحرية يسهل بها العثور على ملكة النحل ، ولو كانت مختفية بين ٥٠ ألف نحلة ، كما اخترع أيضاً جهازاً يعرف به أن خلية نحل على وشك التمرد وهجر مسكنها ، فيقودهم إلى خلية أخرى

وسر هذين الجهازين مادة خاصة كثيرة النشاط يصبغ بها ظهر الملكة فترسل إشعاعاً غير منظور ، فإن أردت العثور على ملكة النحل وإخراجها من جوعه قربت العصا المجهزة بأدوات كهربائية خاصة من جموع النحل ، حتى تسمع صوتاً قوياً يرشدك إلى مكانها ، فإن أرادت الملكة هجر الخلية تحركت من مكانها ، فتسمع أجراس الإنذار المعدة لذلك

فوزي الشتوى



١٢ ـ الفـــن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

عن الأمس وعن اليوم (تابع)

« وعلى ذلك ذهبت عنده وعملت منه عـدة دراسات سريعة بالقلم الرصاص ليسهل على عمل التمثال فيما بعـد . ثم أحضرت منصتي وشيئاً من الصلصال . ولما كان من عادة الشاعر أن يجلس فى البهو مع أصدقائه كان من الطبيعى ألا أجد مكاناً سوى الشرفة أضع فيه تلك الأدوات القذرة . وإنك لتستطيع أن تدرك صعوبة واجبي . كنت أدرس الشاعر العظيم فى انتباه كبير وأحاول أن أطبع شخصه فى ذاكرتى ثم أجرى فجأة إلى الشرفة لأطبع فى الطين ما لاحظته والتقطته ذاكرتى من هنيهة . ولـكن كثيراً ما كانت تخبو ذاكرتى وأنا فى طريقى إلى الشرفة . فإذا ما وقفت أمام المنصة لم أجد فى نفسى القوة على لمس الطين . وكان يتحتم على أن أقفل راجعاً إلى مثالى مرة أخرى . « وعند ما قاربت النهاية من عملى سألنى دالو (Dalou) أن أقدمه إلى فـكتورهوجو : فأجبته إلى ذلك فى حينه . ولم يعش الرجل العظيم الهِمّ بعد ذلك كثيراً . وما استطاع دالو أن يبلغ غايته إلا من صبيبة أخذت للشاعر بعد موته » .

قادنى رودان وهو يتكلم إلى ظرف من الزجاج بداخله قطعة واحدة من الحجر . إنه الحجر الأوسط من عقد ، الحجر الذى يضمه المهندس وسط العقد ليدعم به منحناه . نحت على واجهته قناع مربع من ناحية الخدين والصدغين ، متمشياً فى ذلك مع شكل الحجر المربع . رأيت ثمت وجـه فيكتور هوجو . وعند ذلك قال المثال الـكبير : « كثيراً ما أتخيل مثل هذا الحجر يتوسط بناء يوهب للشعر »

وكان من السهل على أن أتخيـل ذلك . فإن جبين فـكتورهوجو وهو يدعم فى ذلك الوضع حنية تذكارية فكأنما يرمز بذلك إلى العبقرية التى ارتكزت عليها آراء وجهود عصر بأكمله . ثم عاود رودان حديثه قائلا :

إنى لأعطى هذه الفكرة أى مهندس يستطيع أن يخرجها إلى حيز التنفيذ » .

وقريبا منا قام التمثال النصفى لهنرى روشفور ، وهو معروف تمـام المعرفة ؛ فرأسه رأس ثائر تعلوه خصله شعثاء من الشعر تموج كأنها شارة التسليم ، وبجبينه عجر كثيرة كأنه جبين طفل مشاغب ، دائم الشجار مع أترابه ، له ثغر قلصته السخرية ، ولحية نافرة صاخبة . إنه ثورة لا تهدأ ، وروح النقد والـكفاح بعينها . إنه قطعة فنية رائعة نستطيع أن نرى فيها ناحية من نواحى ذهنيتنا المعاصرة . وهنا قال رودان :

« وكانت معرفتى بهنرى رشفور عن طريق بازير أيضا ، فقد كان رئيساً لتحرير الجريدة التى يعمل بها . ورضى هـذا الناظر الشهير أن يجلس إلى . كان ذا روح مرحة حتى ليحس المرء منه السحر عندما يصغى إليـه وهو يتكلم . ولـكنه ما كان يستطيع الجلوس ساكنا لحظة واحدة . وكان يؤنبنى فى رفق لأنى أنصرف بكليتى إلى مهنتى ؛ حتى لقد قال لى مرة وهو يضحك إنى قضيت جلسة بأكملها فى إضافة قطعة من الطين إلى التمثال ، وجلسة أخرى فى رفعها عنه .

« وفيما بعد ، عندما رأى أن تمثاله حظى باطراء ذوى الذوق الرفيع وثنائهم جاراهم فى ذلك الاطراء غـير متحفظ ، ولـكنه ما كان يعتقد أن تمثاله ظل على حاله الأولى من ساعة أن حملته من منزله ، وكان يكرر ويعيد على هـذه العبارة : « لقد أعملت يدك فيه كثيراً . هذبته تهذيباً . وحقيقة الواقع أنى لم أمسـه حتى بظفرى » .

وعند ذلك أخذ رودان خصلة الشعر باحدى كفيه واللحية بكفه الأخرى ثم سألنى عما يمكن أن يشبهه إذ ذاك » . فقلت :

« تستطيع أن تقول عنه إنه قيصر من قياصرة الروم »

« هذا ما أردتك أن تقوله تماماً ، إذ أنى لم أستطع أن أجد الطراز اللاتينى القديم نقياً خالصاً كما وجدته فى روشفور »

وإذا لم يدر عدو الامبراطورية الألد للآن وجود تشابه بين وجهه ووجه القياصرة ، فإنى أراهن أن مجرد علمه بذلك سيبعثه على الابتسام

وعند ما تكلم رودان من لحظة عن دالو ، صورت فى مخيلتى تمثاله الذى صنعه لذلك المثال والمودع الآن بمتحف اللاوكسمبورج إنه رأس متكبر عات يقوم على رقبة رفيعة معروقة كأنها رقبة طفل . له لحية كثة كأنها لحية صانع ماهر ، وجبهة مغضنة متجهمة ، وحاجبان أشعثان كأنهما حاجبا شيوعى قديم ، وهيأة متكبرة محمومة ترى فيها الديمقراطى الذى لا يحول . أما العينان الكبيرتان والتقعر البسيط الذى بالصدغين ، فتنم كلها عن الشغف العظيم بالجمال

سألته عن هذا التمثال فأجابنى بأنه عمله عند ما عاد دالو من انجلترا بعد أن شمله العفو السياسى وقال :

« إنه لم يأخذه قط ، لأن علاقتنا انصرمت من بعد أن قدمته لفيكتور هوجو بقليل .

كان دالو فناناً عظيما ، ولكثير من أعماله قيمة زخرفية رائعة تجعلها من أجمل مجموعات القرن السابع عشر . ولو لم تتملكه شهوة الحصول على وظيفة حكومية لكان كل ما أنتجه قطعاً خالدة ؛ ولكنه جهد ليكون لوبران جمهوريتنا ، وليكون زعيما لكل فنانينا المعاصرين . لقد مات قبل أن تتحقق أمنيته ؟

« إنه ليستحيل على المرء أن يمتهن مهنتين فى وقت واحد . فكل الجهد الذى بذله لكسب أنصار وأعوان يركن إليهم ، وفى محاولته أن يكون ذا شأن وخطر — كان كل هذا خسارة للفن . ليس أصحاب الدسائس أغراراً مغفلين ؛ فعند ما يريد الفنان مناهضتهم أو يهز معهم بدلوهم فإن عليه أن يكيد لهم بقدر ما يكيدون ، وبذلك لا يبقى له وقت ينصرف فيه لعمله .

« ومن يدرى فلو كان دالو لزم مرسمه دواماً ومضى فى سبيل فنه هادئاً وادعاً لأنتج روائع يخطف جمالها الأبصار ، ولربما أجلسه الإعجاب العام على عرش الفن وتوجه ملكا على الفنانين —

وذلك هو الذى بذل فى سبيله كل ما فى وسعه لتحقيقه ، ولكن فى غير طائل .

ومع كل ذلك لم يذهب طموحه سدى ؛ لأن نفوذه وحظوته فى الأوتيل دى فيل [1] كانا سبباً فى إخراج قطعة خالدة من أعظم قطع عصرنا الحاضر . فهو الذى مكن پوفى دى سافان من أن ينال الإذن بزخرفة جانبى السلم بمدخل الأوتيل دى فيل ، وذلك رغم مناهضة أعضاء اللجنة الإدارية مناهضة علنية وأنت تعرف بأى شعر سماوى أنشأ المصور العظيم حوائط البلدية » .

وقد استرعت هذه الكلمات انتباهى إلى تمثال پوفى دى شافان Buvis de Chavanres الذى قال عنه رودان :

« لقد رفع رأسه عالياً . أما جمجمته فصلبة مستديرة وكأنما خلقت لتلبس خُوذَة . وأما صدره المقوس فيظهر كأنه اعتاد لبس الدروع . ولقد يسهل على المرء أن يتصوره فى بافيا [2] يحارب ذياداً عن شرفه إلى جانب فرنسيس الأول » .

ترى فى التمثال أرستقراطية شعب قديم . فالجبهة والحاجبان المرتفعان تدل على الفيلسوف . وتشف النظرة الهادئة التى تشمل أفقاً كبيراً بعيداً عن ذلك الزخرف العظيم والمصور الطلى [3] السامى . هذا ولا يوجد فنان معاصر يمكن له رودان من التقدير والإعجاب بقدر ما يكنه لمصور القديسة جنيفيف . ثم صاح رودان:

« أ كان هذا الرجل يعيش بيننا ويخالطنا ، أ كان هذا العبقرى الخليق بأزهى عصور الفن يتكلم معنا ! وإننى شاهدته ووضعت يدى فى يده ! ليخيل إلىّ أننى صافحت يد نيقولا پوسان Nicholas Poussin [4] »

(يتبع)

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين

---

(١) دار البلدية بباريس

(٢) بلدة بمقاطعة لياردبا بشمال إيطاليا .

(٣) الطل الحسن المعجب من كل شىء كالمنظر والماء ونحوه وقد استعملت هذه الكلمة لتؤدى معنى الكلمة الانجليزية lan dscape والفرنسية paysage . فاذا أقرها اللغويون كان بها وإلا فنحن فى مسيس الحاجة إلى كلمة خاصة تؤدى هذا المعنى

(٤) مصور فرنسى عظيم ولد فى سنة ١٥٩٤ وتوفى سنة ١٦٦٥

على الشاطئ . . .

للأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

أى سحر يفيض من ناظريك   حبس الفكر والفؤاد عليك
روعة تسلب العقول هداها   فتذيب القلوب فى عينيك
ملأ الشط فتنة وحياة   رائع اللمح من سنا وجنتيك
وأشاع الضياء والبشر نور   من شعاع الخلود فى شفتيك
عالم أنت من فتون وسحر   لهفات القلوب جُنّت لديك
قد حسدت الرمال تحنو عليك   وحسدت النسيم يهفو إليك
وحسدت المياه والموج يسعى   قِبَل الشط لاثماً قدميك
عبد الحسن فيك قلبى وعينى   أحرام أن ترحمى عابديك

آه لو تصدق الأمانى يوماً   والأمانى عصيها فى يديك

مصطفى على عبد الرحمن

الظـــلام* . . .

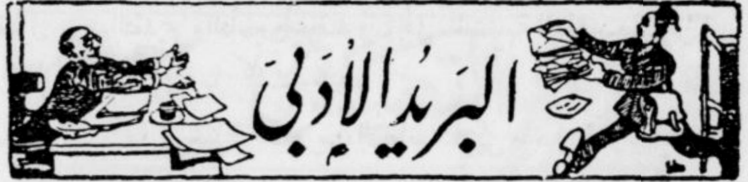
للأستاذ أحمد مخيمر

الظلام العظيم يهبط فى بط   ء ، ويلق عصاه فوق الروابى
زاحفاً للوهاد كاليم ما جـــف بدفق ولا انطوى بانسكاب
الذرى فيــه مغرقات تبدى   بعد حين فى وحشة واكتئاب
كسهام إلى السموات تعلو   وقفت فى الهواء دون السحاب
ما لها كلما نظرت إليها   أنذرتنى برحلة واغتراب ؟
أترى لست بالغريب...ونفسى   شرهتها خطوبها فى اليباب
لم تجد فى الأنام خلا فلاذت   بقلال الربا ، وشم الهضاب
يا لها من حمامة ذات حسن   هجرت عشها لوكر العقاب !
وحياتى–يا للأسى!–فى يد الأقـــدار كنز تسوقه للتراب
إنما الموت كان أجمل لولا   ماطوى القلب من رفيع الرغاب
أنا يقظان كالنجوم ، عميق   كالظلام العميق، رحب الجناب
تتمشى بى السكينة كالجد   ول زحفاً بين الغصون الرطاب
وتغنى بكل قلـــبىَ أشوا   ق بلحن مزمجر صخاب
جائشات جميعها بفؤادى   جيشة الموج واصطخاب العباب
ليس إلا الظلام تسكن فيه الـــروح مما تحس من أوصاب
فيـه ترقى إلى معارج حب   لم تنلها قبلى يد الأحباب
تكشف الحسن والحقيقة والغيـــب وتسرى وحيدة فى الشعاب
وتلبى النـــداء تحمله الريـــح ، نناى الرعاة بين الغاب
جلسوا القرفصاء حول لهيب الـــنار يشدون فى حنين عجاب
ويبثون للظلام أقاصيـ   ـص ، طوتها سريرة الأحقاب
وحفيف الظلام والريح والغا   ب رهيب ينساب أى انسياب
يترك الجالسين فى شبه حلم   وحنين خاف إلى الغياب
ويطيل السكون فيهم إلى النا   ر ورقص اللهيب رقص السراب
يقلبون اللظى بعود ، وفيهم   تقلب الروح ذكريات الشباب
والقطيع الوديع يمضغ فى النا   ب ندياً من ناضر الأعشاب
مصغياً للرعاة : ذهلان ، تبدو   فى محيـاه نشوة التطراب
ساهماً كالغريق فى ذكر المر   عى مطلا فى هدأة واكتئاب
ناظراً فى الظلام للأفق النا   ئى وللمكمن فى طريق الذئاب

إيه يا ليـل لو دعيت نجائى   حين يسرى ولو رثيت لما بى
أنا فى هـــذه الحياة غريب   ووحيد الأشواق بين الصحاب
غربة ما يزال دمعى منها   فى جفونى مرقرقاً لانسراب
وأمانى فى الضلوع صبيا   ت إلى الورد عاريات الإهاب
خافقات وما خفقن بريب   هاتفات وما هتفن بعاب
دائرات يلهثن من طول ما ذقـــن من الشوق لانسكاب الشراب
بذراعين خشنتين سأصـــعد للنبع فى الصخور الصلاب
إنما النبع فى القلال فمن يبـــغ يجده وراء ألف حجاب
ثم يخطو إليــه ألف سبيل   حين يخطو محفوفة بالصعاب
إيه يا ليـل كل سر سرى فيـــك مطل بعينه لاقترابى
قد حملت الأجيال يا ليل فاحمل   هتفات الأجيال فى محرابى
وافتح اليوم شاطئيك لقلبى   إن كل الحياة بين ثيابى ... !

أحمد مخيمر

(*) هذا هو نشيد عاشر من كتاب « أحلام نبى » المعد للطبع وهو قصة فى أناشيد متسلسلة وضعت على لسان نبى من الأنبياء .



من وحي المرأة

أخي صدق ...

... إنك لتعلم رأيي في دموعك هذه التي نظمتها قصائد . تعلمه من هذه الانفعالات التي كنت أحاول أن أخفيها عنك فتظهر، وأنت تسمعني هذه القصائد قبل نشرها فأسمع ، وأنا أحس أنك تعيش في أثناء قراءتها وتتألم !

ولقد كنت أستزيدك منها كلما هممت أن تطوى أوراقك الحبيبة في صدرك ، وأنت تضمها إليك ضمة الحب والأسى ، ربما تردد عيناك دمعة ندت ، فلم تشأ أن تطلقها على سجيتها ، لأننا لسنا وحيدين ، بل حولنا الناس في المقهى أو في الطريق !

كنت أشفق عليك أن تقرأها ، وكنت أستزيدك من قراءتها... لأنني أعلم — وقد جربت من قبل تجربة شبيهة بتجربتك في الأم الصديقة — أن هذا الألم النبيل الكريم الذي تحسه وأنت تستعيد هذه الصور العزيزة ، هو ألم كذلك عزيز مريح !

والألم النبيل الكريم يا صديقي نادر في هذه الدنيا الحافلة بشتى الآلام ! وما أحوج الإنسانية إلى مثل هذا الألم بين الحين والحين ، يطهرها وينقيها ، ويرفعها من ثقلة الأرض ، ويطلقها ترفرف في السماء

ولكن الذين يعرفون مثل هذا الألم ويقدرونه نادرون مثله في هذا الوجود . وأنت الذي تقول في صدق مفجع حزين :

كأنيَ بالأحزان غيّرنَ طابعي وأن بوجهي ما تجن أضالعي
ظلال جحيم من دخان ولاعج وأشباح تعذيب دوامٍ دوامع
وإلا فما للناس يجتنبونني وقد كنت منشودا بتلك المجامع؟
وإني لألقاهم كعهدي مرحباً وأبسط كفي في سلام مسارع!
أفرّج ما بين الشفاه تبسما ! وأدعو أساريري وأجلو مطالعي!
وأضحك أحياناً وأظهر ناجذي ! وآخذ في أسمار غرٍّ وخالع!
فما لهم لا يطمئنون ؟ ما لهم ؟ وتحكي عالٍ مسمع ذو قعاقع
إبشريَ غير البشر في عين ناظر !
أضحكيَ غير الضحك في سمع سامع ؟
أجل صدقوا ، مذ مت يا سر فرحتي
طبعت كتمثال على الحزن فاجع

أجل يا صديقي ، لأن الناس في هذا الزمان يريدون أن يضحكوا دائماً ، ويا ليتهم يعرفون كيف يضحكون !

أما أنا فلست بناصح لك أيها الصديق — كما لم أنصح لك في فورة الألم — أن تتسلى . فما أرخص السلوى في الحياة ، وما أعز الألم الصادق النبيل ؟ وما أفدح الخسارة حين نمسي ونصبح ، فإذا أيدينا خالية من هذا الألم الذي يربطنا بأعز أحبابنا ، ويصلنا بذلك الماضي الذي لن يعود

وإنني لأقرأ ثم أقرأ في احترام بالغ قصيدتك « تساؤل » :

أتعهبني هذي الحياة على حزني
فأصبح مثلوج الحشى ضاحك السن ؟
أيأتي زمان تخطرين بخاطري فلا يستبق الدمع الهتون إلى عيني؟
أيجري لساني باسمك الحلو صادحاً مبيناً فلا يومي إليه ولا يكني؟
وقد كان في حلق يجف ويلتوي
ويهمس مبحوح الصدى مجهش اللحن !
أيخلو لطرفي أن يطالع صورة
لحسنك من بعد القجيعة في الحسن ؟
وقد كنت أخفيها وكانت بناظري
إذا عرضوا عفوا — كغاشية الدجن
أيخلو مكان من خيالك ماثلا
بكل مكان — أينما سرت — أو ركن ؟
ويطغى على نفسي شعور وفكرة
ولم تشركيني في شعوري وفي ظني ؟
ويشغلني شيء ولو بعض ساعة فلا أنت في قلبي ولا أنت في ذهني؟
نشدت زماناً يورث الناس سلوة ليكفيني برد السلو ويستأني
بديلي منك الحزن لم يبق غيره فلا حبذا السلوان غبناً على غبن
وإني لأستحييك إن غب مدمعي وأحزن يوماً إن غلبت على حزني

إنك لغني يا صديقي بهذا الكنز من الألم الرفيع النبيل ، فكن أميناً عليه ، فمثله نادر في هذا الوجود !

سيد قطب

كلمة هادئة - إسكان أواخر الكلمات

ألمع ابن خلدون في مقدمته الشاملة إلى اقتراح إسكان أواخر الكلمات تخلصاً من حركات الإعراب فقال : (ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد — عهد ابن خلدون — واستقرينا أحكامه نعتاض من الحركات الإعرابية في دلالتها بأمور أخرى) .

وقال أيضاً : (ولم يفقد منها — أي من لغة مصر مقارنة بلغة

عهد ابن خلدون — إلا دلالة الحركات على تعين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن) . ومن الملاحظ أنه لم يشرح شيئاً من « الأمور الأخرى » فى قوله الأول ولا شيئاً من « القرائن » فى قوله الثانى بحيث لا يمكننا أن نستنبط منهما وسيلة تنفيذية إلا التقديم والتأخير أى تقديم الفاعل وتأخير المفعول مثلا للتمييز بينهما وأظن أنها وسيلة غير كافية لأن اللغة ليست قاصرة على حالتى الفاعلية والمفعولية وليست قاصرة على حركتى الرفع والنصب وليس حتما أن تشتمل الجملة على اسمين اثنين لا غير

مع هذا لا يزال ينادى بهذا الاقتراح الطريف باحثون معاصرون يرون فى اللغات الأوروبية المسكنة الأواخر برهاناً تطبيقياً نافذاً .

والذى يخيل إلى أنهم لم يبحثوا الموضوع على الأقل من الناحية الشكلية التى يبدو فيها خلاف كبير بين اللغة العربية واللغات الأوروبية يستعصى معه إتباع هذا الاقتراح .

فأولا : صلب اللفظ العربى يحتاج إلى ضبط كامل لا يفيد معه إسكان الآخر لأنه يتكون من حروف ظاهرة فى الكتابة وحروف أخرى تظهر فى النطق . ولا زلت أذكر قصة لأحد الظرفاء إذ شاهد مع بعض ضيوفه من الريف حيواناً عجيباً فى حديقة الحيوان فسألوه ما هذا ؟ فحار فى قراءة كلمة (الببر) على قفصه لا لجهله بحركة آخرها طبعاً بل لجهله بحركات سائر الحروف .

وثانياً : استقلال اللفظ . فنجد أن اللفظ فى اللغة الأوروبية منفصل قائم بذاته فى كل معانيه بينما هو فى العربية خاضع لغيره أو متصل به . فنحن نقول : كتابهما — كتابهم — كتابهن ... فأين الحرف الذى يسكن ؟ الأخير أصلا أم الأخير رسماً ؟ اللفظ الأصيل ! كتاب وآخره الباء فحينما أسند إلى غيره تغير آخره بالاندماج فيه . بينما الإنجليز مثلا يقولون : Their book لهذه الحالات الثلاث . ولست بصدد القول بأن أساليب التعبير عندنا أدق وأوفى وهذا ربح لا يهون بجانب تسهيل النطق عندهم .

وثالثاً : حركة الآخر ليست خاضعة لاتصال اللفظ بغيره اتصالا مباشراً فحسب بل أيضاً تخضع للاتصال غير المباشر بالألفاظ المجاورة . فإسكان الأواخر يكثر من « التقاء الساكنين » أو تعذر النطق لتعاقب حركتين .. فإذا تعمدنا الوقوف عند كل كلمة قطعنا فى النطق تقطيعاً مضحكا مرهقاً وإذا استرسلنا بغير ضوابط خرجنا على القاعدة خروجاً همجياً ، وإذا اعتمدنا على التقديم والتأخير أخفقنا فى الجمل المتشابهة الكلمات والجمل التى تتكرر فيها كلمات معينة .

ورابعاً : كثير من الألفاظ ساكن ما قبل الآخر . فإسكان الآخر أيضاً ثقيل جداً . وهو بالغ الثقل عندما نصل مثل هذه الألفاظ بألفاظ ساكنة الأول أو طيعة الأول على الأصح .

وخامساً : بعض الألفاظ مبنى على حركة تدل دون غيرها على معنى خاص . مثل : أنتَ — أنتِ فإسكان (أنت) يحرمنا من فهم المعنى إلا بالسياق والإطناب حيث يغنى الإيجاز .

إلى غير ذلك من الأحوال الخاصة بطبيعة لغتنا وحدها .

والعجيب أن اللغات التى تلائم طبيعتها قاعدة إسكان الآخر قد تجنح إلى أدوات شاذة لتعذر إطرادها . مثل إقحام حروف غريبة لا تمت إلى الأصول والأصلاب بصلة ما كالحرف T فى il — T — ya أى : (هل هناك...؟) والجواب : il ya بلا وجود للحرف T الذى وجد لتحاشى التعقيد بالتخلص من تعاقب a ، i . ولا أعرف لذلك ضريباً إلا فى لغة بعض قبائل النوبيين فهم يقولون مثلا : (إِتْرِكْ ا كَرِى) (إتر : طعام — ا كرى : هات — الكاف : زائدة لهذا الغرض . وللنوبيين عذرهم فى لغة لا تكتب ولا تطرد لها قواعد مدونة .

وعلى العموم فإن إسكان الآخر عامل من عوامل إضعاف اللغات . حتى الأوروبية بدليل الاختلاف بين سماعها وقراءتها إلى حدما . فمعظم حروف الآخر فيها صامتة مثل : perp — beaux وسيؤدى ذلك مستقبلا إلى ضمورها كما أدى تمهيدياً إلى انقطاع الصلة بين المكتوب والمنطوق . لذلك يلتزم بعض الفقهاء فى فن القراءات ضرورة الاتكاء على الحرف الأخير فى حالة السكون بالقلقلة والغن والتنوين حتى لا يعتريه ضمور أو إبهام أو إضنام .

وهب أننا سنهتدى إلى قواعد للغة المقترحة فلا بد من بذل مجهود ضخم فى تعليم العامى أن كلمة (مستأبل) خطأ وأن صوابها (مستقبل) بإسكان الآخر وأنها تقدم فى حالة الرفع وتؤخر فى النصب . بمثل هذا المجهود تقريباً يمكن تعليمه أن الصواب (مستقبلٌ) ، (مستقبلا) . والفرق بين المجهودين بسيط لأن القواعد التى تسرى على كلمة واحدة تسرى على أشباهها جميعاً .

وليس الإعراب بهذه الوعورة التى تنتهى بنا إلى القنوط . والذين لا تحتمل عقولهم بعض القيود المادية كالإعراب لا يرجى أن تحتمل آراء وعلوماً وفنوناً .

عبد الفتاح البارودى



ابن . . .

الأستاذ لبيب السعيد

كان ذلك فى مطالع شبابى غب تخرجى فى مدرسة التجارة ، حين آثر أبى أن ينشئ لى متجراً ، وكان هو وجدى وقتئذ يرعيان تجارتى الناشئة ، ويقضيان معى الساعات ، يوجهان العمال ، ويشاركان فى استقبال الحرفاء ، وينيران لى فى كل مناسبة طريقى الجديدة . وكنت يومئذ شديد الرغبة فى النجاح ، فكنت أستدفع الضجر ، وأطامن من اعتزازى بآرائى ، وأتقبل توجيهات أبى وجدى راجياً أن أتنور على هديهما مقصدى

وكان أبى لا ينفك يوصينى بألا أبيع بالنسيئة أبداً ، ويقول لى : يا بنى ! خير لك أن تبقى بضاعتك أمام عينك من أن تعطيها الناس ثم تظل فى انتظار ثمنها يدفع أو لا يدفع . وكنت أعرف ما جرته النسيئة على أبى من متاعب ، فبدا لى أن أتخذ وصاته مبدأ أساسياً لمتجرى لا أنحرف عنه

ووقفت عصر يوم بجانب مكتبى النصف دائرى ، وأنا جذلان بنظام محلى ووفرة محتوياته وبشائر النجاح بادية فى إقبال الحرفاء ورضاهم ... وقفت أقبض أثمان المبيعات ، وأوجه للعمال أمراً بعد أمر ، وأنطلق بين لحظة وأخرى مع مرسلات الأمانى . وفيما أنا كذلك ، إذ أقبل علىّ شيخ حطمه الشلل يتحامل على عصا غليظة ، وعليه ملابس بلدية موشكة على البلى وإن تكن فاخرة الصنف ، وفى صحبته طفل فى نحو الخامسة يلبس جلباباً قصيراً خفيفاً ، ويحمل وجهه سمات حزن لا يكون فى أمثاله

وقال الشيخ فى لهجة عزيزة ومنكسرة معاً : « أعطنى يابنى عشر أقات دقيقاً » ، فهتفت حالا بالعامل القريب : « زن لحضرته ما يطلب وخذ منه ثلاثين قرشاً » ؛ وأجاب الرجل وهو يتكلف الابتسام : « بل زن المطلوب ويكتب علىّ ثمنه » ، فما أسرع ما اندفعت قائلا فى تصميم قطع : « مستحيل هذا » ؛ وابتسم الرجل ابتسامة واهنة ، وقال وهو يتلفت كأنه يتحرى ألا يسمعه أحد : « بل ليس مستحيلا ، ولا تمنع عمك أحمد الناجى ما يطلب ، لا ضاعتك الأيام » ، ولكنى نظرت إليه نظرة لا رفق فيها ، وقلت كأنى أستعجله مغادرة المتجر : « مستحيل جداً يا عمى ، وبالله دعنا فى شغلنا »

ونظر الشيخ إلىّ ثم إلى طفله نظرات المغضب المغلوب المتحسر فكدت لفرط ما تأثرت بهذه النظرات أستجيب لطلبته لولا أن ذكرت أن الأمر أمر مبدأ ، وإنى إن بذرت اليوم للنسيئة حبة فسأبذر غيرها غداً ، وإذن فسأجنى الثمرة المرة التى جناها أبى ، والتى حذرنى منها تحذيرا . واستدار الرجل فى صعوبة وهو يتكئ ببدنه كله على عصاه ، وجر رجليه جراً إلى الطريق ومعه طفله الذى كان يحكى هزاله وحقارة ملبسه حكاية البؤس مؤثرة وجيعة

ونزل جدى فى هذا الوقت من عربته يصلح وضع مُطرَفه ، ويلقى السلام على جيران المحل ، وما بصر بالشيخ حتى وقف يصافحه بحرارة مبادلا إياه تحيات أيدتهما لى كشقيقين على صفاء ومحبة ، وأسرعت فقدمت لجدى كرسياً ، ولكنه قدمه إلى الشيخ فى اهتمام وهو يقول : « أيها الأخ ! إنى سائل عنك ، قلبى معك » ونادى صبياً يعمل فى المتجر أن يحضر قهوة للشيخ . وإذ رأيت عواطف جدى نحو الشيخ تولانى خجل شديد لما فعلت معه ، ولكن تولانى أيضاً خوف من أن أورط فى هذه العشر الأقات . وتحدث جدى مع الشيخ لحظات فى صوت خفيض ، فما لبث جدى أن صاح بى فى لهجة ناهرة : « أهكذا يا محمد تفعل مع الشيخ ؟ ! زن له عشرين أقة » وصدعت بالأمر كارهاً !

أمر جدى أحد العمال بنقل الدقيق إلى بيت الشيخ الذى علا البشر صفحته ، والذى قال وهو قائم يخطو إلى الشارع : « أكتب عندك ستين قرشاً على أحمد الناجى » ؛ وانطلق متحاملا على نفسه وأنا أتبعه بنظراتى غضبان أسفاً لكسر مبدئى التجارى ، وأهمس لعامل قريب معرضاً بجدى : « شيوخ طيبون ، يصدقون كل شىء ، ويدخل الاحتيال عليهم »

وقعد جدى يردد أدعية بالستر الجميل له ولذريته ، ثم قال مسمعاً إياى والأسف ظاهر فى وجهه : « إنها الدنيا ! الشيخ أحمد الناجى تعوزه أقات من الدقيق ! الشيخ الناجى الذى كان يتصدق بالقمح أرادب ! قضاء الله ! ضاعت أمواله الضخمة ، وأصابه الكبر والشلل ، وتخطف الموت امرأته وهو أحوج ما يكون إليها ، وله كما رأيت طفل ضعيف تعوزه التربية ! »

وجعل جدى يحرك قبضة عصاه فى شبه حركة عصبية ، وهو يبدى ويعيد فى الحديث عن صديقه الشيخ مظهراً غضبه منى إذ لم

أسارع إلى تنفيس ضائقته ، ولم أقدم إليه من الاحترام ما هو كفاء منزلته وعرلقته

وجاءنى أبى مساء ، فحدثته بالذى كان ، وكأنما كنت أريد أن أقول له : أنظر ما ذا فعل أبوك ! فكان يضحك للهجتى ، ولكن وجهه كان ينم عن تأثره لمأساة الشيخ الناجى ، ومضى يحكيها لى مفصلة وهو يحوقل ويسترجع ، على أنه ما لبث أن قالهابينة صريحة : « ومع ذلك فلا تعط أحداً بعدها شيئاً بالنسيئة »

ومرت أيام ، فجاء الشيخ الناجى بوجه فيه الأسى ، وكعهدى به اتخذ من عصاه رجلا بعد رجل ، وتكلف لى ابتسامة جاءت خجلى منكمشة وقال : لا تضق بى يا بنى ، إن لى إليك رجاء يسيراً ... أتأذن بقرش حلاوة لهذا الصغير ؟ (مشيراً إلى ولده).

وعض الحزن على قلبى للطفل الشاخص ببصره إلى الحلاوة ، واستحييت لكرامة جدى ، فأسرعت بنفسى وقدمت إلى الطفل قطعة من الحلاوة ، ثم التفت إلى الشيخ أسأله مجاملا : ثم ماذا ؟ فأجاب : « لا شيء ، جعلك الله من السعداء »

وجلس على كرسى وأمارات التعب الساغب عليه ، واحتضن ولده فى حنان وأسف وهو يقول له بنبرة حزينة : يابنى المسكين ! تأكل مما يقترض أبوك ؟ !

وسمعت عاملين يتهامسان بما ينقض عوز الشيخ ، وبأنه يقول ما يقول ليسرق عطفى . ولينفى عنى كل شك ، فهمت نفسى بتصديقهما لولا أن ذكرت تفاصيل ما قصه على أبى وجدى

ومضى الشيخ يجر جسمه وطفله . وانقضت أشهر وأنا لا أراه حتى كان يوم وردت فيه جنازة إلى المسجد القريب من المتجر ليصلى عليها ، ووقف المشيعون ينتظرونها عن كثب من المحل ؛ وقال قائل : يرحم الله الشيخ أحمد الناجى ! وقال آخر : ياما أحرز! فقال ثالث : ويا ما أضاع !

وسعى أمامى الركب الذى لا يعود صاحبه ، وأنا أتمتم فى غير اكتراث كبير : « الله يرحمه ... ويعوض على ما فى ذمته ! »

وغبرت سبع سنين ورد فيها جدى حياض المنون ، ولم يفسح بعده لأبى فى رحاب العمر ، بل عاجله الأجل الصارم ، وتحلبت على أموالنا أشداق الطامعين من الأقارب والأباعد ، حتى ليخيل إلىّ أن لو كنا نؤكل ما عفوا ولا شبعوا .

وكنت رشيد إخوتى فألقيت على كتفى أثقال الأسرة . وكان أمدح هذه الأثقال أن أسترد ما لأبى وأقضى ما عليه . لقد كان أبى يكره أن يستدين أو يدين : ولكن التجارة أركبته برغمه هذا المركب

واتصلت بالمدينين فهالنى الأمر . هذا معدم يقول : كان بودى ... ؛ وهذا منكر يقول : أمامك المحاكم ... ؛ وهذا مخاتل يكتب أملاكه لزوجه فراراً من العدل . فأما الموسر ذو التقوى فيريد أن يدفع المائة الجنيه عشرين . فأما الدائنون ، فقد حسبوا لنا اللئام عن بطش وكيد . فإنذاراتهم ما تنفد وعنتهم ما ينتهى .

ودخلت المحاكم فكم أموال أنا فى حاجة إليها أخذتها منى ، وكم قال لى المحامون : هات .

وأدركنى اليأس من طهارة الذمم ، وروعنى خراب الضمائر ، وثقلت علىّ وطأة الحياة ، وأصبحت لا أتبين فى غمرات المظالم طريقاً

وقعدت يوماً فى متجرى أرسل فكرى فى ظلمات الأحداث المحدقة ، وأنى متوجعاً على المحيط الذى أنا فيه خلوه من رجل يستوحى الضمير ويقدر الشرف ، وأدير عينى فى مكان أبى وجدى فلا أراهما ، وغشينى همّ أذهلنى عما حولى فترة ، فما نبهنى غير صوت غلام فى نحو الثانية عشرة يلبس جلباباً قذراً وطاقية رخيصة ويحمل علبة صفيح صدئة يقول لى وهو يمد يده إلى بالعلبة : ياعمى محمد ! خذ حقك واحداً وستين قرشاً . قلت مستغرباً : أى حق يابنى ؟ قال : حقك ... ثمن الدقيق الذى اشتراه أبى أحمد الناجى ، وثمن الحلاوة الطحينية التى أعطيتنيها .

وغمرتنى الدهشة ، فقد طوى النسيان صاحبه منذ سنين على احمد الناجى ، ولكنى سرعان ما ذكرته . ذكرت لهجته ، وذكرت فقره ، وذكرت جدى وأبى وما قالا فى شأنه وما فعلا ، وذكرت الدقيق والحلاوة ، وذكرت قوله لابنه وهو يحتضنه فى حنان وأسف : يا بنى المسكين ... تأكل مما يقترض أبوك .

ذكرت هذا كله ، وتفكرت فيما أرى من الغلام ، فهزنى هذا التصرف الكبير منه ، وكأنى أمام حادثة من خيال الشعراء ، وقلت جاداً : خل هذا المبلغ لك يا بنى ؛ فأجاب فى تمرد وقد اربد وجهه : أتريد أن يدخل أبى النار ؟ ... لقد قال لى وهو فى أشد التعب قبل أن تصرخ عمتى بأنه مات بوقت قصير ، قال لى : يا على ! إذا أراد الله لك أن تشب وتجتاز السنين وتكسب شيئاً فلا تنس أن تسدد ثمن الدقيق والحلاوة . وما دمت كبرت واشتغلت فى مصنع السجاد بخمسة قروش فى اليوم فلا بد أن أقضى دين أبى ليدخل الجنة ...

وأشرق وجه الغلام وهو يضع النقود على مكتبى فى عزم وإصرار ، وابتسم ثغره ثم مضى فى قوة شامخة .

لبيب السعيد



الترجمة وأثرها في النهضة الفكرية

[تصدير معالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا لكتاب « المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية » ترجمة الأستاذ محمد يوسف موسى ، وسيظهر هذا الأسبوع]

لقد كانت الترجمة — وما تزال — دعامة من دعائم النهضات الفكرية والثقافية للشعوب ، وبالترجمة بدأت النهضة الثقافية فى عصور الإسلام الأولى ؛ إذ أدرك الخلفاء المسلمون حاجة الأمم إلى استتمام غذائها الفكرى من كل سبيل ، فتدفقت إلى النهر العربى وديان من مختلف الثقافات العالمية ، وظهر من بينها هذا اللون العربى الإسلامى على خير ما يكون الاستواء .

وعند ما نهضت أوربا من سباتها ، ونفضت الكرى عن عيونها ، رأت أن أقوم وسيلة لانتعاشها أن تنحو نحو الترجمة ، فاندفع الناقلون يترجمون أمهات الكتب اللاتينية واليونانية ، وتناولت أيديهم وأقلامهم كذلك أصول الكتب العربية التى عملت على ازدهار الثقافة الأوربية الحديثة .

وحين أسفر فجر هذه النهضة المصرية ، وأدرك رجل مصر الحديثة رأس الأسرة المالكة محمد على باشا ، ما للترجمة من أثر فعال فى إنعاش البلاد وإحيائها ، هداه نظره الثاقب إلى إرسال البعوث العلمية إلى أوربا ، لنقل معارف الأوربيين وثقافتهم إلى مصر باللغة العربية ، فأرسل ثلاثة بعوث علمية فى أزمنة مختلفة ، كونت ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والضباط والمهندسين ، فنقلوا إلى العربية مئات من الكتب فى العلوم والمعارف المختلفة . ولقد كان لذلك — بلا ريب — أثره الملموس فى اللغة العربية والثقافة العربية .

ومما هو قمين بالذكر أن كل المدد الذى استمده محمد على باشا لتلك البعوث لم يكن إلا من الأزهر ، تلك الجامعة التى نشرت النور والمعرفة فى أرجاء العالم الشرقى . وكان من أظهر هؤلاء الأزهريين وأبعدهم صوتاً ، المرحوم رفاعة بك الطهطاوى ، الذى عهد إليه برياسة الطلبة المبعوثين إلى باريس ، فقام بهذه المهمة خير قيام ، واتصل فى فرنسا برجلين عظيمين هما السيو جومار [1] والبارون ده ساسى [2] ، فأفاد من صحبتهما خيراً كثيراً ، واستقدمه محمد على إلى مصر فى سنة ١٢٤٦ هـ وعينه مترجماً فى مدرسة طرة ، ثم وكل إليه إدارة مدرسة الألسن ووضع نظام لها ؛ وكان لتلك المدرسة فضل فى نبوغ جماعة من فحول المترجمين .

وكان المرحوم رفاعة بك بطبعه ميالاً إلى الترجمة ، فعرب مدة إقامته بباريس وبعد رجوعه منها كثيراً من الكتب والرسائل ؛ منها تعريب قانون التجارة ، وتعريب القانون المدنى الفرنسى ، ورسالة المعادن ، والمنطق وهو ترجمة لكتاب دومرسيه ، وهندسة سانسير ، وغيرها ، حتى ليقال إنه ترجم بنفسه وبإشرافه ما يربو على سبعمائة كتاب .

على أن هذه النهضة التعريبية التى كان زعيمها رفاعة بك ، سرعان ما سلط على دوحتها أعاصير من جو السياسة عبثت بأصولها ، وأصابتها بما أوقف نموها واطرادها ، وهى بين الفينة والأخرى ما تزال بين النماء والذبول ، إلى أن استقر أمرها فى وقتنا الحاضر عما نرجو له دوام الإطراد والتقدم والتحرر ، بفضل جهود العاملين على رفع مستوى الثقافة من رجال العلم ورجال الحكم .

لقد خطر لى أن أتحدث عن رفاعة بك هذا الحديث الذى أسجل به فضله وسبقه ، عند ما أردت أن أقدم هذا السفر النفيس الذى وضعه المستشرق الفرنسى الأستاذ جوتييه ، وقام بترجمته الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى . لقد سرنى أن يصل هذا الأستاذ الأزهرى ما بين ماضى رجال الأزهر وحاضرهم فى تعريب الثقافات الأوربية التى نحن فى أشد الحاجة إليها وإلى من يحسن نقلها ، وأعجبنى أن ينهض الأستاذ بإكمال ما بدأ به رفاعة بك . وعسى أن يكون فيما أدرك من نجاح وتوفيق فى تعريب هذا الكتاب حافز له ولأمثاله من نابهى رجال الأزهر ، على إتمام تلك السلسلة

(١) Jomard (٢) Sylvestre de Saçy

من رسالة إلى صديق

ساعات بين الكتب

[للأستاذ العقاد]

للأستاذ حسين الغنام

عندما زرت أخى الأستاذ الأديب محمد محمد يوسف وهو مريض ، لم يمنعه مرضه أن يسألنى عن الكتب الجديدة ما ظهر منها وما قرأته ، فلما آنست فيه قدرة على القراءة بعد مرضه ارسلت إليه كتاب العقاد مع رسالة جاء فيها عن هذا الكتاب الجديد مايلى : —

تذكر يا أخى الدراسة المطولة التى كتبتها عن رسالة العقاد « مجمع الأحياء » ، عند ما قرأتها لك ، وتذكر الجزء الذى نشرته منها فى مجلة « الرسالة » وقلت فيه : « كان فرحى بظهور هذا الكتاب فرحاً عظيما ، لأن إعادة طبعه كانت رغبة ، بل أمنية ، اشتهيتها منذ بضعة عشر عاماً ، وظهوره فى طبعته الثالثة يسد نقصاً فى المكتبة المصرية »

وهذه الأمنية وهذا الكلام ينطبقان على كتاب العقاد الجديد وهو الجزء الثانى من « ساعات بين الكتب » ، حتى لقد هممت — كما تعلم — مرات عديدة أن أكتب إلى العقاد ليجمع تلك المقالات وينشرها فى كتاب ، فى زمن كادت تنعدم المقالة فيه ، إلا بعض مقالات للعقاد نفسه ، وللزيات ، ولطه حسين ، وآخرين قليلين

والذى طالع الجزء الأول من كتاب العقاد « ساعات بين الكتب » ، طالع فيه جديداً ، ولا شك فى الأدب العربى ، حتى أن الكثيرين من الكتاب أخذوا يقلدونه ، ولكنهم عادوا فانصرفوا عنه يائسين !

وهذه الدراسات التى جمعها العقاد مما نشر فى البلاغ الأسبوعى والضياء ، والدستور ، وطبعها فى كتاب ، فصارت أشبه بالجامعة التى تفرقت كلياتها ثم اجتمعت فى بقعة واحدة !

وفى الحق أن مقالات العقاد ، أو كتبه ، هى مدارس أو كليات قائمة بذاتها ، ففى كل مقالة منها ، وفى كل رأى له ، درس جديد ...

وكتابة العقاد تمتاز بميزات كثيرة ، أولها :

١ — الثقافات الواسعة المهضومة على تعددها، مع استقلال الرأى

٢ — التركيز والإلمام بالموضوع من أطرافه

٣ — نفاذ البصيرة وإشاعات الذكاء العبقرى

٤ — قوة التركيب ومتانة الأسلوب وحلاوته

هذه هى الخصائص الأولى فى كتابات العقاد ، وهذا مايطالع القارئ فى هذا الكتاب ، وهذا ما سوف يطالعك عند قراءته !

* * *

وإذا كان لى أمنية أخرى ، فهى طبع المقالات العديدة المتفرقة للعقاد ، فى الرسالة وغيرها من المجلات ، ثم تدريس هذه المقالات المستقلة لطلبة الجامعتين المصريتين ، فإن فيها فناً أدبياً قائماً بذاته ، ولا نظن أحداً يستطيع أن يجارى العقاد فيه ...

التى صاغ حلقتها الأولى سلفهم الكريم .

إنى إذ أهنئ الأستاذ بإخراج هذا الكتاب فى ثوب عربى فائق ، لأهنئه أيضاً بحسن اختياره للموضوع ؛ إذ أن كتاب الأستاذ جونييه هذا يعد من الكتب ذوات الخطر فى دراسة الفلسفة الإسلامية .

ولقد كان من حسن حظ هذا الكتاب أن يجد من أبناء العربية رجلا فاضلا مثل الأستاذ المعرب ، له من الإلمام الواسع بالعلوم الفلسفية ما مكنه من أن يحسن عمله ، فيستحق منا ومن قراء العربية شكراً موفوراً .

إعلان

كتاب مدخل إلى دراسة الطب التجريبي

قامت وزارة المعارف العمومية بتعريب وطبع الكتاب المذكور الذى ألفه بالفرنسية (كلودبرنار) وذلك جريا على الخطة التى انتهجتها فى نقل طائفة من عيون الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية لتيسر على الراغبين فى الاستفادة من قراء العربية الاطلاع على أحدث الآراء الغربية وهذا الكتاب معد الآن للبيع وثمن النسخة منه ٦٠ مليما (ستون مليما) ، ويمكن الحصول عليه من المخازن العامة بديوان الوزارة بشارع الفلكى ومن مخازن الوزارة الفرعية بالأسكندرية طنطا ، الزقازيق ، بنى سويف ، أسيوط قنا .
٣٨٨٨

إدارة البلديات العامة - تنظيم

تقبل العطاءات بمجلس طوخ البلدى حتى ظهر يوم ١٥ - ٨ - ١٩٤٥ عن توريد ١٢٠ أردبا من الشعير ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ من قيمتها .
٣٨٧٠

مجلس مديرية الغربية

يعلن عن توريد خامات المؤسسات (جلود - خيزران - حدايد وبويات) وتطلب الشروط على عرضحال دمغة مرفقاً به إذن بريد بمبلغ ٢٠٠ مليم وتقدم العطاءات لغاية يوم ١٨ (ثمانية عشر) أغسطس ١٩٤٥
٣٨٥٨

نشر بالعدد ٦٢٩ بالإعلان ٣٨٥٨ « مركز مديرية الغربية » والصواب : « مجلس مديرية الغربية »

محكمة ههيا الجزئية الأهلية

إعلان بيع عقار نشرة أولى فى القضية ن ١٠٧٨ سنة ١٩٤٣

أنه فى يوم الثلاثاء ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بقاعة البيوع والمزايدات بسراى المحكمه الموافق ٢٧ رمضان سنة ١٣٦٤

سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد والمملوك إلى / ١ على محمد خليل من الرباعى مركز كفر صقر وغير معلوم له محل إقامة بالقطر المصرى / ٢ نبوية محمد خليل من الناحية المذكورة بصفتهما وارثين لأخيهما المرحوم السيد أحمد خليل / ٣ محمد رجب محمد خليل بصفته وارثاً لوالده المرحوم رجب محمد خليل الوارث لأخيه المرحوم السيد أحمد محمد خليل ومقيم بحارة الشرابية جامع أزبك ن ١١ بركة الفيل قسم السيدة زينب ن ٤ محمد محمد خليل بصفته وارثاً إلى أخيه المرحوم السيد أحمد محمد خليل من الابراهمية مركز ههيا شرقية .

وهذا البيع بناء على طلب الحاج محمود منصور بسيونى من الابراهمية مركز ههيا شرقية - وفاء لمبلغ ٥ ج م ٧٤٠ مليم بثمن أساسى قدره ٥ ج ٥٠٠ مليم وما يستجد من المصاريف : بناء على حكم نزع الملكية الصادر من محكمة ههيا الأهلية فى ٢٠ - ٣ - ١٩٤٥ ومسجل فى ٢٧ منه ن ١٣٢ تسجيلات الزقازيق الكلية

بيان العقار

٨٧ سنتى و٤٣ متر بحوض أم الرقيص قسم ثانى ن ٣ ضمن القطعة ن ٢٣٧ هذا القدر عبارة عن أودة مبنية بالطوب الأخضر ومؤسسه بالطوب الأحمر كاملة الأبواب والعروشات والشبابيك وبينها فضاء من بحرى شارع ص ٢٣٧ وطوله ٦ و٧٥ متر وغربى باقى ملك محمود منصور بسيونى ص ٢٣٧ وطوله ٦ و٥٠ متر وقبلى كذلك ص ٢٣٧ وطوله ٦ و٧٥ متر وشرق بعضه ورثة نفيسة خليل قطورة وبعضه خديجة عبد الغفار سيد أحمد ص ٢٣٧ وطوله ٦ و٥٠ متر

٨٧ و٤٣ فقط ثلاثة وأربعين متر وسبعة وثمانين سنتى بناحية الابراهمية مسكنة ههيا .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين للمزايدة ومن يرسى عليه آخر عطاء يدفع بالجلسة عشر الثمن والمصاريف ورسم مرسى المزاد ويقوم بدفع الباقى فى الميعاد القانونى وإذا تأخر يعاد البيع على ذمته ويلزم الفرق . وشروط البيع وجميع الشهادات مودعه بملف الدعوى بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها

كاتب البيوع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣١ — الاثنين ٦ أغسطس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ , ١١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 631

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 6 - 8 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٣١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٦٤ — ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

دفــــاع بليــــغ

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرف الأستاذ صاحب « الرسالة » ما يعنيه بالبلاغة تعريفاً بليغاً حين قال في كتابه الجديد الذي جمع مقالاته في الدفاع عن البلاغة : « إنما هي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، إذ الكلام كائن حي ، روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفساً لا يتمثل والجسم جماداً لا يحس »

وليس بهذا التعريف من ضير في معناه لأنه بليغ ، وليس به من تقصير في الإفادة لأنه جميل ، وليس به من نقص ، لأنه زاد على الغرض منه أنه أدى هذا الغرض في نسق سائغ وبيان رائق . فما ذنب البلاغة إذن عند من ينكرونها ، لأنهم كما يزعمون يدينون بمنفعة الكلام ، ولا يدينون بالزخرف المضاف إليه ؟

إن جماعة « النفعيين » في مذاهب البلاغة العصرية يدعون أن العصر عصر سرعة ، وأن الزمن الذي تمتطى فيه السيارة غير الزمن الذي تمتطى فيه الإبل والخيل ، فمن أجل هذا ينبغي أن يكون له كلام غير كلام الأقدمين ، وبلاغة لا تجرى على أسلوب البلاغة قبل ألف عام

وهذا قول صحيح في كل شيء إلا في النتيجة التي يسحبونه إليها سحباً وهو كاره شديد التبرم والالتواء . فإن عصر السيارة الذي يعرفون به لم يعلمنا شيئاً إن لم نتعلم منه أن الفائدة لا تغني عن الجمال ، لأنه لا يصنع السيارة للسرعة وكفى ، ولا يصنعها للراحة دون غيرها ، ولا يصنعها للمتانة ثم لا يبالي بما عداها ، بل يصنعها أول ما يصنعها لجمال المنظر وأناقة الصورة والافتنان في النموذج ولطف الحركة والأداة . وما من معمل في الأرض زاحم غيره في سوق السيارات إلا جعل الزينة مقدمة على الغرض المفيد كما يسمونه ، وهو غرض السرعة في الانتقال أو الراحة التي يستمتع بها المتنقلون . ولا تنزل المصانع إلى التزام المنفعة دون غيرها إلا في أحط السيارات وأقربها إلى الابتذال ، وهي السيارات التي يعدونها لنقل الحجارة والتراب ، أو نقل البضاعة على أحسن احتمال ، وإنها مع ذلك لتنتقل إلى الحوذي الأنيق فيزينها ببعض الأصباغ والتعليقات ، ويدل بذلك على ذوق في الحياة أرفع من ذوق البلاغة العصرية والبلغاء العصريين

فالسيارة ، أو عصر السيارة ، يعلمنا أن الفائدة ليست هي كل ما نتوخاه من الكلام ، وأنه إذا وجب على الإنسان وهو ينتقل من مكان إلى مكان في عصر السرعة أن يزيد شيئاً على فائدة المركبة المقصودة ، فأحرى به أن يصنع ذلك وهو يمثل ذوقه وفكره وشعوره وجملة قدرته على التعبير ، لأنه قد ينتقل في سيارة شائهة المنظر ، وهو مضطر إلى ركوبها كما قيل إن مضطر يركب

الصعب من الأمور ، ولكنه لا يضطر يوماً من الأيام إلى إهمال مزاياه التي يتفاضل بها المعبرون في الإبانة والجلاء والتأثير

ولقد تحدث أولئك البلغاء العصريون عن بلاغتهم العصرية ، فإذا بهم كالذي يتحدث عن السيارة فيعيب على الناس أن ينتقلوا في مركبة غير مركبة الحجر أو مركبة التراب ، لأن الغرض المفيد من صنع المركبات هو الانتقال السريع ، فما لهم إذن لا يجتزئون عن النماذج الفاخرة بهذه النماذج المبذولة ، وهي أقل في الثمن وأيسر في التكاليف ؟

لو كان هذا الكلام معقولا لكان تصرف الإنسان كله في تاريخه القديم وتاريخه الحديث غير معقول ، لأنه لا يكتفي بالفائدة في مطلب من المطالب ولا في عمل من الأعمال ، ولا يزال ينسى الفائدة في سبيل الجمال

وأغلب الظن أن تعريفات هؤلاء البلغاء العصريين للبلاغة لا تنتهي في حقيقتها إلا إلى تعريف واحد يصدق عليهم وعلى ما يلفقون من ذلك اللفظ الرخيص ، وهو أن البلاغة هي ما يستطيعونه ولا يعجزون عنه ، فما استطاعوه من كلام ، فهو بليغ مقبول ، وما عجزوا عنه فهو من البلاغة السلفية ولو دارت ألفاظه وعباراته على أحدث الآراء

وستمضي العصور وراء العصور ، وتنتقل الكتابة من أسلوب إلى أسلوب ، ومن موضوع إلى موضوع ، ولكن العصور كلها عصر واحد في هذه الحقائق التي لا تقبل الشك ولا تأذن بالتبديل

وهي « أولا » أن الكلام الجميل مطلوب كما يطلب الجمال في كل غرض من أغراض الإنسان

وهي « ثانياً » أن البشر لن يستغنوا في زمن من الأزمان عن لغتين إحداهما تحتاج إلى درس وتعليم ، والأخرى تكتسب بالتلقين من الأفواه ، وإحداهما تصلح للتعبير عن معاني العلوم ولطائف الذهن وبدائع الخيال ، والأخرى لا تصلح لغير البيت والسوق

وهي « ثالثاً » أن التراث الأدبي تراث باق يتجاوز عمر الجيل والجيلين والثلاثة الأجيال ، وما كان كذلك لا يكتب باللهجة التي تتبدل كل جيل وتختلف من بلد إلى بلد ، وتستخدم بغير قاعدة ولا أصل تتفق عليه

ومتى كانت هذه الحقائق من وراء الشك والجدل ، فالدنيا لن تخلو من لغة خاصة ولغة عامة ، أو من لغة المفكرين وأصحاب القرائح والأذواق ، ولغة الجهلاء الذين لا يخلقون الصور الذهنية ولا يحسنون فهمها إذا خلقها لهم الآخرون

وإنه لأرحم بالناس وأكرم لهم أن يتعلم العامة كيف يفهمون الخاصة من أن يحرم على الخاصة أن يكتبوا شيئاً يعلو على مدارك العامة . إذ الواقع أننا لو استطعنا أن نكتب العلم والفلسفة بلغة السوق والبيت لم نرفع الصعوبة التي تحول بين الجهلاء وبين فهم تلك الموضوعات كائناً ما كان أسلوب الكتابة فيها

وأعجب العجب أن يقال أن الإنسان يتعلم ليحسن الطبخ واللبس والركوب ، ولا يتعلم ليحسن فهم جلائل الأفكار ومحاسن القرائح وروائع الفنون ، بل يخلق مستعداً لفهمها بما تلقاه من لهجات البيوت والأسواق

ويخطئ من يعتقد أن العامة من الأعراب كانت تفهم أقوال البلغاء ولا تتكلف دراسة لفهمها والنفاذ إلى معانيها ؛ فإن الذين فهموا تلك الأقوال البليغة كانوا أناساً يتعلمون ويحفظون الأمثال ويروون السير والأخبار ، ويعرفون الأنواء والنجوم ، ولا فرق بينهم وبين متعلمي العصور الحديثة ، إلا أن هؤلاء يتلقون دروسهم مكتوبة ، وكان أولئك يتلقونها منطوقة لا تثبت في كتاب . أما الذين لم يتعلموا على هذا النمط ، فقد كان يفوتهم فهم الشعر السهل فضلا عن الشعر البليغ ، ومن أمثلة ذلك تلك الأعرابية التي لامت زوجها على مدح الناس والترفع عن مدحها والتشبيب بها فقال :

تمت عبيدة إلا من محاسنها
فالحسن منها بحيث الشمس والقمر
قل للذي عابها من عائب حنق
أقصر فرأس الذي قد عبت والحجر

ففرحت بهذا الهجاء وحسبته من أجمل المدح والتشبيب ، وهكذا يفهم مثلها من تسمعه أبياتاً من الزجل السهل ، وهو عيي الفهم ردئ المزاج ، فإن العامية لا تنفعه في فهم ما ينظم بها من زجل ، ولو كان قريباً إلى الأذهان

***

ولقد أصاب الأستاذ الزيات كل الإصابة حين أبطل قول المتحدثين عن البلاغة المصرية إنهم يدعون إلى مذهب جديد ؛ فقال : « ربما يزعم زاعم أن هذه العامية الأدبية ترجع إلى مذهب من مذاهب الكتابة دعت إليه حال وبعث عليه تطور . فإذا جاز أن يكون هذا الزاعم ، فالغالب فى الظن أنه لا يعلم إذا كان يجدّ، أو لا يجد إذا كان يعلم . ذلك لأن المذهب الكتابى والشعرى ، إما أن يكون مرحلة تطور لمذهب يتقدم به مبتدعوه ، وإما أن يكون رد فعل لمذهب يغلو فيه متبعوه ... »

وليس فى دعوة البلغاء المصريين إلى اللغة العامية أو إلى ما يسمونه بالأسلوب التلغرافى فكرة تسمى مذهباً أو تطوراً لمذهب ، بل ربما كان التطور الذى حدث فى العصور الأخيرة من أسباب سقوط الدعوة والعدول عنها إن كانت قائمة قبل ذلك ، لأن العامة يتعلمون فى العصور الأخيرة بعد أن كان التعليم فى العصور الغابرة وقفاً على السراة وذوى الأموال ، فلا حاجة إلى الإسفاف باللغة من أجل العامة كما يزعمون ، لأنهم فى طريق المعرفة إن لم تتم لهم المعرفة جميعاً فى هذه الآونة ، وأياً كان الزمن الذى ينقضى قبل شيوع المعارف الأدبية بين سواد الناس ، فما نعلم من أحد من أولئك القائمين القاعدين باسم أولئك السواد يمشى حافياً اليوم ، لأن فقراء العامة يمشون حفاة ، وينقضى زمن قبل أن يتوافر لهم جميعاً لبس الحذاء !

فالتطور الذى أشار إليه الأستاذ الزيات يرتد على البلغاء المصريين ، ولن يزال مرتداً عليهم فيما يلى من السنين ، وكلما ازداد نصيب العامة من العلم والدراسة قلت اللغة العامية وقل البلغاء المصريون وازدادت البلاغة التى دافع عنها صديقنا صاحب الرسالة فأحسن الدفاع

لقد كان دفاعاً جميلا ، فلم يضره الجمال ولم يصبه من ناحية الإفادة والإقناع . وقد دافع أناس عن بلاغتهم المصرية ، فإذا هو دفاع غير جميل وغير مفيد ، وإذا بهم يتكلمون باسم العصر وهم لا يفهمونه ولا يفهمون عصراً من العصور التى سبقته ، لأن العصر الحاضر لم تعجله السرعة عن طلب الجمال ، بل هو يسرع ويغلو فى سرعة ليدرك الجميل ولو تيسر له المفيد

عباس محمود العقاد

عم يتساءلون ؟

للأستاذ أحمد رمزى

مشاكل العالم الجديد — حواجز اللون

فى برقية من لندرة خبر سار يتلخص فى أن بعض الجمعيات وجهت نداء قوياً يدعو لإزالة حواجز اللون فى المستعمرات ، وفى ذلك بشرى للأمم المهيضة الجانب ، المغلوبة على أمرها

وإنا معاشر المصريين ، كأمة عربية ، مهما قيل فى أنسابها وأحسابها — نفرح ونتهلل لهذا النبأ إن صدق ما يدعون — نفرح لأننا من أنصار الحرية ، ومن عشاق المساواة بين الأجناس ، ونتهلل لأننا من دعاة الحق ، ومن العاملين على نصرة الأمم المضطهدة ، ورفع الحيف والظلم عنها

فنحن نعضد هذه الحركة ، ونعدها من بشائر الدنيا القادمة ، ونرى فى نجاحها دعامة من دعائم إنشاء العالم الجديد ، وندعو لها بالنجاح ، ونصادق كل من يقول بها ، ويكافح من أجلها ، ويدعو بقلمه ولسانه إليها

لقد قرأنا الكثير مما كتب عن الشعوب الملونة ، وضرورة إخضاعها لسلطان الأمم المتمدينة ، وخلصنا بنتيجة هى أن تقسيم العالم وشعوبه إلى أبيض وأسود وأسمر ، وإقامة الحواجز بينها ، وحرمان الإنسانية من مجهود بعض الشعوب ، إنما هو من عمل الإنسان وحده ، ولا شأن للقوانين الطبيعية فيه

وإن النظريات التى تدعو إلى وضع فريق من البشر ، فى وضع لا يليق بالإنسان ، مقضى عليها بالفشل ، لأنها من بقايا عصور قد انتهت ...

ولا محل لها فى العالم الجديد ، الذى قيل عنه لنا ، إنه يسير نحو الديمقراطية والتفاهم والتعاون ، وإن الإنسانية تتقدم فيه نحو التساوى فى إعطاء الفرص ، للفرد وللجماعة بل وللشعوب ، بدون نظر إلى جنس أو لون أو دين — فلا فضل لمسيحى على مسلم ، ولا مزية لأوروبى على أسود

فهل سيقدر النجاح لهذه الدعوة الصالحة ؟

هذا ما ستظهره الأيام فى المستقبل ، وإن شك الكثيرون فى ذلك ، وجاهروا بأن ظروف العالم وما يحيط بنا من دلائل تجعل الشك أقوى من الأمل ، ولكن المؤمنين بالمساواة يقولون بأن الظروف السائدة ليست بدائمة ولا هى أبدية ، بل كل ما عليها يتحرك ويتطور : حتى إذا سلمنا بضعف أنصار الفكرة وقلتهم ، وإذا تطرق الشك إلى قلوبنا وقلنا إن الملأ قد يجاهرون ويتظاهرون بما ليس فى قلوبهم ؛ فإن الفكرة فى حد ذاتها سامية ، ولها من حيويتها ومنطقها وقوة تأثيرها ما يجعلها من ألزم ضرورات هذا العصر ، بل تحمل وحدها ما يهيئ لها النجاح ...

ولقد دعا الإسلام إليها ، وكانت إحدى دعائم القوى التى قام عليها ، حينما كانت المثل العليا للاسلام ظاهرة واضحة ملموسة ، لا يطمسها جمود رجال الدين وتشاغلهم بأمور الدنيا .

ولقد عجبت كيف يمر هذا الخبر على المسلمين فلا يتحرك منهم عالم أو كاتب أو مجاهد ، فيقول فيه قولا يتفق مع تقاليد السلف الصالح وحميتهم — ومصر التى ورثت الشافعى وحملت أرضها طائفة من علماء الدين ، كانت عزائمهم تهز الدنيا ؟ لِمَ لا تتكلم بما أنزل الله ؟

أما نحن ، فواجبنا فرض كفاية علينا أن نعطى فكرة مهلة ، تثير فى النفس رغبة الاستزادة فى المعرفة والسعى وراء الحقيقة ، وغايتنا أن نضع المتناقضات ملموسة أمام نظر القارئ الواعى ، ولذلك نتساءل :

هل صحيح أن بعض الحكومات تفرض على ذوى اللون قيوداً لا يحتملها الأوروبى ، فتضع فريقاً من بنى آدم فى موضع المنبوذين ؟

أحق ما يقال من أن فى القارة الأفريقية ملايين من الناس محرومون من حق الملكية الفردى والإجماعى فى أراضى بلادهم ، وبعد مضى قرن ونصف على إعلان حقوق الإنسان ؟

أصحيح أن حريات السكان الوطنيين ومساكنهم ومعابدهم لا يحميها القانون العام فى بعض المستعمرات ، فيحرمهم الحماية التى يتمتع بها بقية السكان ؟

إذا كان هذا من المبالغة فى القول كما يدعون ، فهل الحرية الشخصية وما يتبعها من حرية التملك والعبادة والتعليم والثقافة وتعاطى المهن وحق الانتقال ، أمور معترف بها للجميع فى القوانين المعمول بها للبيض والسود والسمر على السواء ؟ أم هناك تفاوت فى المعاملة ؟

هذه أسئلة عارضة تزيد من أهميتها ما أذيع أخيراً من أن فى القارة الأفريقية مساحات شاسعة من الأراضى ، منها ما هو خاضع للدول الأنجلوسكسونية ، وما هو مملوك لدول أخرى ، وأن المعاملة السيئة التى يلقاها سكان المستعمرات الأفريقية ، أو التى تحت الانتداب لدى هذه الدول الأخرى ، أثارت اشمئزاز رجال الاستعمار الأنجلوسكسونى وسخطهم ، فهل هذا صحيح ؟

إننا نتساءل عن هذا ، وبقدر ما تزداد رغبتنا فى التأكد ، بقدر ما تنكشف لنا بعض الحقائق الكونية ، وإلا فما هى هذه الحواجز التى تتحدث عن إزالتها تلك الجمعيات المحبة للخير والإنسانية ؟

أيتها الشعوب الغالبة التى سكرت بخمر انتصاراتها : اعلمى أن السلم العالمى لن يتحقق لغير العدالة ، ولا عدالة مع بقاء حواجز اللون ، وإلا فقد ذهبت سدى أرواح ثلاثين مليوناً من ضحايا الحرب العالمية الثانية ، أو كجزية أولى للحرب العالمية الثالثة !

احمد رمزى

المراجع Stoddovd

1 — The Revolt againsr Civilisation The Menace of the Undesman.
2 — The Rising Tide of Colour against white World - Supremacy.
3 — Le Crepuseie dés hateins Blauehes Hawice Hweh.

الاستعمار الفرنسي في الجزائر

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

الأمة الفرنسية — منذ ثورتها الكبرى قبيل نهاية القرن الثامن عشر — تدعى أنها الحفيظة على الحرية البشرية ، وواضعة الحقوق الإنسانية ؛ بذلت فى سبيلها أغلى المهج والأرواح وسطرتها بدماء أبنائها الأحرار ، وأعلنتها ديناً ومذهباً فى فرنسا ، وبشرت بها فى سائر الأمم الغربية وغيرها ، وزعمت أن غراس الحرية نبت فى بلادها ، ثم زكا وترعرع ، حتى استوى شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين ، فيقطف منها الناس جميعاً دانى الثمر وطيب الجنى

ولقد غلت فى حبها وأفرطت فى تقديسها ، حتى اتخذها مفكروها محوراً لتفكيرهم ومصدراً لوحيهم وإلهامهم ، وتغنى الخطباء والكتاب والشعراء بالحرية والإخاء والمساواة شعار الثورة ودثارها ، ودين فرنسا الجديد وإنجيلها ! !

فهل كان ذلك حقاً ؟ هل كان ذلك ناجماً عن خليقة مستعدة للخير وطلب الكمال ، أو نحيزة تحفز لرعاية الفضائل ، أو قلب مؤمن بأسمى المبادئ ، أو عقيدة دفعت المصلحين إلى نقض بناء الظلم وتقويض دعائم الجور والثورة على القاسطين ، وتطهير الأرض من الظالمين ؟ ؟

نقول — والأسف يملأ جوانحنا — إن موقدى الثورة وحاملى بنودها والداعين إلى مبادئها ، لم يكونوا مؤمنين بها ، فلم تخالط بشاشتها قلوبهم ، ولم تمتزج بها نفوسهم ، إنما هى شقشقة هدرت ثم قرت ، وصيحة دوت فى الجو برهة ثم لم تنشب أن ذهبت أدراج الرياح ، ولم يلبث كبراء فرنسا وحكامها أن عادوا إلى سابق عهدهم ، وثابوا إلى ما كانوا عليه من استبداد ظالم ، وغشمرية يختنق فيها الحق ويضيع فيها الضعفاء ، ورجع الأقوياء فيها أشد صيالا ، وأقوى طماحاً . وإلا فما بال الفرنسيين رضوا بنقض عهد الثورة وميثاقها فى أنفسهم ، وفى أبناء البلاد التى وقعت فى حبائلهم ، فأذاقوهم عذاب الهون ، وصبوا عليهم صواعق غضبهم وهم ما اجترحوا سيئة ، ولا ارتكبوا أمراً إدّا

ومَن هم أولئك الذين يُسامون هذا الخسف ويعانون هذا الظلم من مصادرة للحرية ، وإنكار للحقوق الشرعية ، وهدم لاستقلال البلاد ، وإضاعة لمعالم العدل والمساواة ؟

هم عرب المغرب ومسلموها فى الجزائر وغيرها . هم أنسال أولئك الأمجاد الذين وطنوا بهذه البلاد وبالأندلس منذ آماد طويلة ، فنشروا فيها مبادئ العدل والحرية ، والمساواة والتسامح ، وحملوا لواء العلم والعرفان ، وأرسخوا فيها دعائم المدنية وأركان الحضارة

هم سلالة أولئك الهداة والرائدين من عرب المغرب والأندلس الذين علّموا أبناء فرنسا وغيرهم من أمم أوروبا ، وأيقظوهم من سباتهم العميق ، وأخرجوهم من ظلمات الجهل والجور إلى نور العلم وضياء الحرية يوم أن كانوا يهيمون على وجوههم يتخبطون فى دياجير الجهل ، ويرزحون تحت آصار الجنف والاستبداد

لقد شهد المنصفون من علماء أوروبا ومؤرخيها بعدل العرب وإحسانهم ، ورحمتهم وتسامحهم ، حتى قال جوستاف لوبون : «ما رأيت فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب» ، كما اعترفوا بأن نهضة أوربه إنما نبعت من معين العرب ، وشيدت بطلبة البعوث العلمية الذين ارتووا من مناهل علومهم ومعارفهم فى طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة ومراكش وصقلية وغيرها . كذلك اقتبسوا من محاسن عاداتهم وقوانينهم ، وانتفعوا بما شاهدوه من زراعتهم وصناعاتهم ، وتنافسوا فى ذلك تنافساً عجيباً ، حتى انتشرت هذه المعارف والعلوم ، وبزغت شمسها فى أوروبا ، ولا سيما فرنسا وإيطاليا وجرمانيا وانجلترا ، وذلك فى القرون الوسطى ، فنقلوا عنهم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والبصريات والرياضة والكيمياء والطب والصيدلة والزراعة ، وتعلموا منهم الفروسية ، وأخذوا عنهم عمل الورق والبارود ، ونسج كثير من المنسوجات وكثيراً من الحبوب والأشجار

جاء فى صحيفة مدرسة أدنبره :

« إنا لمدينون للعرب كثيراً ، فإنهم الحلقة التى وصلت مدنية أوربا قديماً بمدينتها حديثاً ، وبنجاحهم وسمو همتهم تحرك أهل أوروبا إلى إحراز المعارف ، واستفاقوا من نومهم العميق فى الأعصار المظلمة ، ونحن مدينون لهم بترقية العلوم الطبيعية والفنون النافعة

فى إرشاد الأريب
إلى معرفة الاديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ١١ —

* ج ١٨ ص ١٦٨ :

لو سعت بقعة لإعظام أخرى لسعى نحوها المكان الجديب

قلت : (لو سعت بقعة لإعظام نُعمى) والبيت لأبى تمام من قصيدة فى محمد بن عبد الملك الزيات ، وقبله :

ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب

وبعد ذاك البيت :

لذَّ شؤبوبها وطاب فلو تسـ طيع (؟) قمت فعانقتها القلوب

* ج ١٩ ص ٢٠٨ : قال المؤيد الألوسى فى صفة القلم :

ومثقف يغنى ويفنى دائماً فى طورَى الميعاد والإيعاد

قلم يفل الجيش وهو عرمرم والبيضَ ماسُلّت من الأغماد

وُهِبَتْ به الآجام حين نشابها كرم السيول وهيبة الآساد

قلت : (والبيضُ) وهذا ظاهر .

(وهَبَت له الآجام حين نشابها) وقد جاء (الألوسى) بفتح الهمزة فى الكتاب ، وهو بضمها كما ورد فى (وفيات الأعيان) . قال ابن خلكان : هذه النسبة إلى ألوس ، وهى ناحية عند حديثة عانة على الفرات . وفى (معجم البلدان) : (ومهفهف[1]) مكان (ومثقف) وفيه وفى (الوفيات) : (يغنى ويقنى) ويقنى مثل يغنى ، وعندى أن الأصل (يقنى ويفنى) قال ابن خلكان : ولقد رأيت هذه الأبيات منسوبة إلى غيره (إلى غير المؤيد) ولم يقل فى القلم أحسن من هذا المعنى

ولبعضهم فى القلم أيضاً وهو من هذا المعنى :

وأرقش مرهوب الشباة مهفهف يشتت شمل الخطب وهو جميع

تدين له الآفاق شرقاً ومغرباً وتعنو له ملاكها وتطيع

حمى الملك مفطوماً كما كان تحتمى به الأسد فى الآجام وهو رضيع

(١) فى الشرح فى الكتاب (إرشاد الأريب) ذكرت هذه الرواية .

وكثير من المصنوعات التى نفعت أوروبا كثيراً علماً وتمديناً »

وقال المؤرخ الفرنسى لافاليه فى وصف مدنية العرب والمسلمين :

« إنهم فى جميع الفنون فاقوا المسيحيين ، وبلغوا الدرجة القصوى فى الحضارة ، حينما كان أقرانهم من الأوروبيين هائمين فى أودية الجهالة والوحشية ، فكانوا فوقهم فى العلم ومثلهم فى البأس ، وكانوا حكماء فى المجالس أشداء فى المآزق »

فكيف يجوز لفرنسا أن تعامل فى القرن العشرين أمة ماضيها المجيد حافل بالمكرمات والمآثر معاملة العبيد الأرقاء ، وقد كان أسلافها بالأمس معلميها ومعلمى سائر الأمم ، كما كانوا ناشرى لواء الحرية والعلم فى أوروبا وسائر أنحاء الدنيا ؟ وكيف سمح لها ضميرها الحى ووجدانها اليقظ أن تنكل بالجزائر فى شهر مايو الماضى فتضرب أبناءها ومدنها وقراها بمدافع الطائرات ، وتصب عليها من سفنها الحربية وابلا من النيران وحمما من سعير الجحيم ، وتسوق الأحرار من بنيها إلى المحاكم فتحكم عليهم بالفناء والموت الزؤام!

ما ذا صنع أولئك المساكين ؟ وما ذا نقم منهم الفرنسيون ؟ لم ينقموا منهم إلا أنهم آمنوا بحقوقهم وشعروا بالظلم الفادح ينقض ظهورهم ويثقل كواهلهم ، فرغبوا فى حريتهم وفى حياة الكرامة والاستقلال ، وأبوا حياة الضيم والهوان ...

يا فرنسا : خففى من غلوائك ، واذكرى ما كنت فيه بالأمس القريب يوم الاحتلال الألمانى ، واعلمى أن فى بلاد المغرب بسلاء لا ينامون على ضيم ، قد انحدروا من سلالة شرف ومجادة ، وجرت فى عروقهم دماء سُلالة فهم الأولين الذين جاهدوا فى سبيل إعلاء كلمة الحق وتوفير العزة للمؤمنين

يستعذبون مناياهم كأنهمُ لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

لا جرم أنه من الخير لفرنسا أن تنظر فى سياستها الاستعمارية القديمة فتتنكب سبيلها ، وترد إلى تلك الشعوب حقوقها ، فبذلك وحده تبقى السلم ، ويعم العالم الأمن ، وإلا فبواعث الحرب قائمة ، ونذرها ماثلة ، ولن تكف الشعوب المهتضمة عن المطالبة بحقوقها ، ولن تنى فى الجهاد والاستشهاد فى سبيل حريتها

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى شىء حقير كطعم الموت فى شىء عظيم

حسن أحمد الخطيب
المفتش العام بوزارة المعارف

قلت : فى (حياة الحيوان الكبرى) للدميرى : (مرهوف الشباة[1]) وهى أصح ، وكانت (ملا كها) فى طبعة (الوفيات) (أفلا كها) .

* ج ١٠ ص ٧٧ :

عناء مُعنٍ وهو عندىَ راحة وسم زعاف ، طعمه فى فمى حلو

قلت : (مُعَنٍّ) وهو من (عنّى يعنّى) فى القاموس فى (عنى) : وعناء عان ومُعَنٍّ مبالغة . وفى اللسان : وعناء عان ومعن كما يقال : شعر شاعر وموت مائت ، قال الأعشى :

لعمرك ما طول هذا الزمنْ على المرء إلا عنـاء مُعنْ

والبيت الواوى هو لصاحب اللامية التى يقول فيها :

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل

* ج ٤ ص ٥٤ : وله (لأحمد بن على الأسوانى) تآليف ونظم ونثر التحق فيها بالأوائل . قتل ظلماً وعدواناً فى محرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة : وله تصانيف معروفة لغير أهل مصر ، منها كتاب مُنْيَةِ الألمعى و بُلْغَةِ المدعى : تشتمل على علوم كثيرة .

قلت : فى الصحاح : والمحرم أول الشهور . وفى المصباح : أدخلوا عليه الألف واللام لمحاً للصفة فى الأصل ، ولا يجوز دخولها على غيره من الشهور عند قوم وعند قوم يجوز على صفر وشوال . وفى شفاء الغليل : محرم بدون الألف واللام نصوا على أنه ممنوع لأنه علم بالغلبة فتلزمه اللام أو الإضافة واستعمله ابن الرومى مضافاً فى قوله (محرم الحول فى تقدمه) .

وكتاب الأسوانى اسمه (أُمنيّة الألمعى ومَنيَّة المدعى) وهو مقامة طويلة وصف فيها منشيها عشرين علماً وشرحها[2] .

وقد « اختصر هذا الشرح من الأصل مع زيادات فى بعض المواضع » العلامة الكبير المصلح الأستاذ الشيخ طاهر الجزائرى .

* ج ١٧ ص ٩١ : أنشدنا (المحسن بن الحسين العبسى الوراق) لنفسه فيه (فى مبارك الكاتب) :

مباركُ بورك فى الطول لك فأصبحت أطول من فى الفلك

ولولا انحناؤك نلت السما ء ولكن ربك ما عدّلك

قلت : مبارك — بضمة واحدة وهو منادى — والوزن ، والهمزة فى أول العجز فى البيت الثانى ، مكانها فى الصدر فى السماء .

* ج ١٨ ص ١٣١ : كان ابن دريد قد أملى الجمهرة فى فارس ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه ... فلذلك قلما تتفق النسخ ، وتراها كثيرة الزيادة والنقصان ، ولمّا أملّه بفارس غُلامُه تَعَلَّمَ من أول الكتاب ، والنسخة التى عليها المعول هى الأخيرة .

قلت : ولما أمله[1] بفارس غلامةٌ تَعَلَّمُ من أول الكتاب .

* ج ١٦ ص ١٨٤ : وللفتح بن خاقان (وزير المتوكل العباسى) :

أيها العاشق المعذب صبراً فخطايا أخى الهوى مغفوره

زفرة فى الهوى أحط لذنب من غزاة وحَجّة مبروره

قلت : حجة بالكسر فى الفصيح والصحاح واللسان والقاموس . وفى اللسان : روى عن الأثرم وغيره : ما سمعنا من العرب حج حَجة . وروى عن الكسائى مثل ذلك . وفى النهاية : الحجة بالفتح المرة الواحدة على القياس . وقال الجوهرى الحجة بالكسر وهو من الشواذ . وفى التاج : فتبين أن الفعلة تقال بالوجهين الكسر على الشذوذ . وقال القاضى عياض لا نظير له فى كلامهم ، والفتح على القياس .

قلت : الكسر خير .. وقد قال الأثرم والكسائى ما قالاه . ثم استغفر الله من رواية البيتين .

* ج ٤ ص ٢٣١ : تقدم رجلان إلى القاضى أبى أحمد بن أبى علان — رحمه الله — فادعى أحدهما على الآخر شيئاً فقال المدعَى عليه : ما له عندى حق . فقال القاضى من هذا ؟ فقالوا : ابن هارون النحوى العسكرى . فقال القاضى : فأعطه ما أقررت له به ...

قلت : (ما لَه عندى حق) بضم اللام ، وقد قالها عامية ، فورّط المسكين نفسه فى بلية . وما كان له — وهو العالم اللغوى النحوى — أن ينطق بغير صحيح . وإنى لأتيقن أنه راح يردد

---

(١) رهف السيف كنع يرهف رهفاً رققه كأرهفه فهو مرهوف ومرهف (التاج)

(٢) الكتاب مخطوط فى (المكتبة الخالدية) فى بيت المقدس كتبت سنة ٨٩٤ وطبع مع شرحه المختصر و « تتمة تكمل بها أمنية الألمعى وتشتمل على مسائل » سنة ١٣٢٠

(١) قال الفراء : أملّلت لغة أهل الحجاز وبنى أسد ، وأمليت لغة بنى تميم وقيس ، ونزل القرآن العزيز باللغتين معاً

— وهو يحمل تسجيل القاضي — هذا المثل : « إن البلاء موكل بالمنطق » ويلعن لغة العامة ودعاتها — إن كان لها فى ذلك الزمان دعاة ... — لعناً كبيراً .

* ج ٤ ص ٦٨ : ولم أزل منذ حرمت التشرف بخدمته أنطوى على مبايعته ، وأتلظى شوقاً إلى التسعد بخدمة حضرته التى هى مجمعُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وعصرِ ه المحمودِ .

وجاء فى الشرح : (المحمود) فى الأصل المنجود ، فأصلحت إلى ما ذكر .

قلت : وعُصرةُ المنجود . فى اللسان : قال أبو زُبيد :

صادياً يستغيث غيرَ مغاث ولقد كان عصرة المنجود

أى كان ملجأ المكروب . وفى الأساس : هو منجود : مكروب . وتقول : عنده نصرة المجهود ، وعصرة المنجود .

و (التسعد) طلب مرعى السعدان . فى اللسان : خرج القوم يتسعدون يطلبون مرعى السعدان ، وهو نبت ذو شوك ، وهو من أطيب مراعى الإبل ما دام رطباً . وفى المثل مرعى ولا كالسعدان .

فهل قاس الكاتب وهو « أحمد بن على الصفار من فضلاء خوارزم » التسعد على التشرف أم كان الأصل (التيمن برؤية حضرته) أو الاستسعاد أو ما شابه ذلك .

* ج ١٧ ص ٢٥١ :

فأبيتُ مُختَـضَر الجوى قلق الحشا
وأظـل أعذِر فى هواكَ وأُعذر

وجاء فى الشرح : محتضر أى كالمحتضر القريب من الموت ، وأعذر : أى أقبل عذرى فى هواك ، واعذر مجهول : يقبل منى العذر .

قلت :

فأبيت محتضِنَ الجوى قلق الحشا
وأظـل أعذَل فى هواك وأعذَر

* ج ٥ ص ١١٤ : قال أبو العباس : هذا خطأ ألبتة .

وجاء فى الشرح : فى الأصل بتة فجعلتها ألبتة .

قلت : بتة صحيحة . فى الصحاح : لا أفعله بتة ولا أفعله ألبتة لـكل أمر لا رجعة فيه ، وفى النهاية : يقال : بتة وألبتة . وفى المقامة الرملية :

طيرى متى نقّـرت — عن نخلة وطليقها بتـــة بتله

وفى إرشاد الأريب (ج ١٤ ص ٢٢٠) ولئن استفتى الفقهاء لم يكن عندهم منه إلا التعجب . واقتصر المصباح على بتة . ونقل اللسان والتاج كلام الصحاح ولم يدفعاه ، وذكرا قول سيبويه : « قعد ألبتة مصدر مؤكد ، ولا يستعمل إلا بالألف واللام[1] » ولم يؤيداه .

* ج ١٧ ص ٢٧٣ : ومن شعر (محمد بن أحمد بن حمزة شرف الـكتّاب)

أما والعيونُ النجل تُصمى نبالـها
ولمـــعُ الثنايا كالبروق تخالها
ومنعطفُ الوادى تأرج نشره
وقد زار فى جُنح الظلام خيالها[2]
وقد كان فى الهجران ما يَزع الهوى
ولـكن شــــديد فى الطباع انتقالها

قلت : (أما والعيونِ النجل تصمى نبالها) (ولمعِ الثنايا كالبروق تخالها) (ومنعطفِ الوادى تأرج نشره) (لقد كان فى الهجران ما يزع الهوى) . فالواو واو القسم .

* ج ١٩ ص ١٢٦ : أبو القاسم (محمود بن عزيز العارضى) الخوارزمى الملقب[3] شمس المشرق كان من أفضل الناس فى عصره فى علم اللغة والأدب لـكنه تخطى إلى علم الفلسفة فصار مفتوناً بها ممقوتاً بين المسـلمين . وكان سكوتاً سكوتاً وقوراً يطالع الفقه ويناظر فى مسائل الخلاف أحياناً . وكان الزمخشرى يدعوه الجاحظ الثانى لـكثرة حفظه وفصاحة لفظه . أقام مدة بخوارزم فى خدمة خوارزم شاه مكرماً ، ثم ارتحل إلى مرو فذبح بها نفسه بيده فى أوائل سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، ووجد بخطه رقعة فيها :

(١) فى الاقتضاب في شرح أدب الـكتاب : عول ابن قتيبة فى هذا الذى قاله على قول الفراء فلذلك قال : بتة بغير ألف ولام ، وكان سيبويه يقول لايجوز إلا البتة ، وذكر الفراء أنهما لغتان ، وقد جاء ذلك فى بعض ما خرجه مسلم فى الصحيح .

(٢) جنح : بالـكسر وضم

(٣) فى كتب اللغة : (لقبه بكذا فتلقب به) وكتاب السير مثل ابن خلكان وياقوت وطائفة من الأدباء يجردون الثانى كثيراً من تائه .

(هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ به غيرنا) .

قلت : وكان سا كناً سكوناً وقوراً ، فى الأساس : فلان سا كن وهادئ ووديع . و (سكون) لم أجدها فى مكان . وليس هناك إلا (السكون) حيّ من العرب كما قال التاج .

ذكرتنى قصة (شمس المشرق) بهذين الخبرين .

جاء فى (المقابسات) لأبى حيان التوحيدى :

شاهدنا فى هذه الأيام شيخاً من أهل العلم ساءت حاله ، وضاق رزقه ... فلما توالى عليه هذا دخل يوماً منزله ، ومد حبلا إلى سقف البيت واختنق به ، وكانت نفسه فى ذلك . فلما عرفنا حاله جزعنا وتوجعنا وتناقلنا حديثه ... فقال بعض الحاضرين : لله دره ! لقد عمل عمل الرجال . نعم ما أتاه واختاره . هذا يدل على عزازة النفس وكبر الهمة . لقد خلص نفسه من شقاء كان طال به ... مع فاقة شديدة ... ووجه كلما أمه أعرض عنه ، وباب كلما قصده أغلق دونه ، وصديق إذا سأله اعتل عليه . فقيل لهذا العاذر : إن كان قد تخلص من هذا الذى وصفت على أنه لم يوقع نفسه فى شقاء آخر أعظم مما كان فيه وأهول ... فلعمرى نعم ما عمل ! لله أبوه ! ما أحسن ما اهتدى إليه ، وقوى عليه . وينبغى لكل عاقل أن يدفع إلى ما دفع إليه ... وإن كان قد سمع بلسان الشريعة... النهى عن هذا وأشباهه فقد أتى بما عجل الله به العقوبة والعار ... سبحان الله أما كان يسمع من كل عاقل ... ومن كل من يرجع إلى مسكة ... النهى عن مثله والزجر عن ركوب ما هو دونه بكثير . فكيف لم يتهم نفسه ، ولم يتعقب رأيه ، ولم يشاور نصيحاً له ... لأنه أمر متى ركب بالظن والتوهم اللذين لم يؤيدا ببصيرة من عقل ولا عرضا على عاقل ، ثم استبان له فى الثانى ... خطأ ما عمل فاته التلافى ولم يمكنه الاستدراك ... وقد قضى العقل قضاء جزماً ، وأوجب النظر إيجاباً حتماً ، أنه يجب ألا يفرق الإنسان بين هذه الأجزاء الملتحمة والأعضاء الملتئمة ، وليس هو رابطها ، ولا هو على الحقيقة مالكها ، بل هو ساكن فى هذا الهيكل لمن أسكنه فيه ، وجعل عليه أجرة السكنى بعمارة المسكن وحفظه وتنقيته وإصلاحه وتصريفه على ما يعينه على طلب السعادة فى العاجل والآجل . وكان سعيه مقصوراً على التزود إلى مبوَّأ صدق ، ولا بد له من المصير إليه والمقام فيه ... على خير غامر وراحة متصلة وغبطة دائمة ، حيث لا آفة ولا حاجة ولا أذىً ولا حسرة ... فأما إذا كانت الحال على خلاف هذا ، فالشقاء الذى يتردد فيه .. يكون فى وزن ذلك ومقابله .

وجاء فى (يتيمة الدهر) لأبى منصور الثعالبى :

لما عاود أبو أحمد بن أبى بكر الكاتب بخارى من نيسابور ... وقاسى من فقد رياسته وضيق معاشه قذاة عينه وغصة صدره استكثر من إنشاد بيتى منصور الفقيه :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا ... فى الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه ... وفراق كل معاشر لا ينصف

وقال فى معناهما :

من كان يرجو أن يعيش فإننى ... أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا

فى الموت ألف فضيلة لو أنها ... عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وواظب على قراءة هذه الآية فى آناء ليله ونهاره : (وإذ قال موسى لقومه : يا قوم ، إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم ، فاقتلوا أنفسكم) . فقال بعض أصدقائه : إنا لله ! قتل أبو أحمد نفسه . فكان الأمر على ما قال ، فشرب السم فمات[1] ! !

قلت : مقالة (الإسلامية) فى الانتحار والمنتحرين بليغة . روى محمد بن اسماعيل فى جامعه :

« من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبدا . ومن تحسى سماً فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يجأ بها بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا[2] »

والقوم فى الغرب فى هذا الأمر مختلفون ، فمنهم من يجبّن المنتحر ويضعفه وينتقص خليقته ويعده مسيئاً إلى المجتمع وإلى

(١) قال الثعالبى فى حقه : كان أبو أحمد ربيب النعمة ، وغذى الدولة ، وسليل الرياسة ، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر بما وراء النهر ، وحذا فى قرض الشعر حذو أهل العراق ، وسار كلامه فى الآفاق..

(٢) كان فى الجاهلية الاعتفاد « وهو أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً قال محمد بن أنس : كانوا إذا اشتد بهم الجوع أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجر يدخلون فيها ليموتوا جوعاً ، ولقى رجل جارية تبكى فقال لها : مالك ؟ قالت نريد أن نعتفد » (اللسان)

تطور بلاد العرب الشمالية
وتأثير ذلك فى علاقاتهم الخارجية
للميجر ج . ب . كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

الوجهة التاريخية :

عند انتقالنا من بحث النظريات المتعلقة بالوجهة الدينية ومناخ البلاد لبحث الوجهة التاريخية — يحسن بنا أن نبدأ بحثنا منذ حكم الرومان والفرس أى من السنة الأولى للميلاد حتى سنة ٦٥٠ منه . وإن من الخطأ كله الظن بأن العرب قبل الاسلام كانوا قوماً متوحشين . إن موقف العرب فى ذلك الوقت كان صعباً جداً حيال أكبر امبراطوريتين عرفهما ذلك العصر . وموقفهم هذا جد شبيه بموقف جرمانيا فى القرن السابع عشر أو الثامن عشر عند ما كانت بين الامبراطورية الفرنسية والامبراطورية النمساوية . ان اضمحلال هاتين الامبراطوريتين مكن جرمانيا من الاستقلال والوحدة كما أن نفس السبب أى اضمحلال الامبراطوريتين الرومانية والفارسية مكن العرب من تأسيس وحدتهم عند ظهور الاسلام[١] واننى لا أظن بأن أحداً يحلم بأن يقول إن الجرمان لم يتمكنوا من الاستقلال قبل ذلك الوقت لأنهم شعب منحط . ولذلك يجب أن نعترف بأن العوامل الجغرافية قديرة على تأجيل اتحاد واستقلال أمة ما مدة طويلة .

بظهور الاسلام فى القرن السابع ابتدأ الفتح الاسلامى العربى الذى اجتاح أكثر البلدان المعروفة فى ذلك الزمان بمدة تقل عن مئة سنة . كما أن العرب تمكنوا من فتح بلاد وجد فيها أوربيون مثل شمال أفريقيا حيث سكن الوندال ، وأسبانيا حيث سكن القوط . ان هذه الفتوح التى تعتبر من أعظم الأعمال التى عرفها التاريخ أدت إلى تأسيس امبراطورية دامت ٣٠٠ سنة ؛ وقد حافظت على كيانها بالرغم من انقسامها فيما بعد وبقيت قوية وعمرت أكثر من الامبراطورية البريطانية الحالية .

عند قدوم العثمانيين بعـد سنة ١٣٠٠ للميلاد لم يبق للعرب تاريخ[١] ولـكن هنا نقطة واحدة يجدر بنا بحثها لتعلقها بسؤالنا حول قابلية العرب للرق .

إن العرب لم يعيشوا فى خلال السبعمائة سنة الماضية فى جو مثبط للعزيمة أو فى عصر مدنية راقية وقصروا عنها حتى يمكننا القول بأن طينتهم فسدت وفقدوا مزاياهم . ان الاتراك استولوا على الوظائف الرئيسية ابان حكمهم وقطعوا صلات العرب بالعالم الآخر ومع ذلك يصح أن أقول إن العرب الذين نراهم اليوم عاشوا مئات السنين الماضية نفس المعيشة التى عاشها الأشخاص الفاتحون الذين قاموا بتأسيس تلك الامبراطورية الـكبرى — طبعاً هم جهلة ومتأخرون لحد ما — ولـكن لا يوجد شىء يجعلنا نعتقد بأنهم فقدوا صفات الشجاعة والذكاء التى مكنتهم من القيام بفتوحهم وتأسيس امبراطوريتهم العظيمة .

حيوية العرب العصريين :

دعنا ننتقل الآن برهة وجيزة لبحث حيوية العرب العصريين . وبما أن الوقت لا يتسع لبحث هذه القضية بحثاً واسعاً فسأقصر كلامى على وجهة أو وجهتين بالنسبة للوضع الحاضر .

إننى لم أصادف فى تجاربى وأعمالى ما يحملنى على الاعتقاد بأن العرب غير قادرين على تيسير الأمور من وجهة حكومية أو إدارية

(١) الاسلام هو الذى وحـد العرب ومكنهم من اكتساح الامبراطوريتين الرومانية والفارسية . (المترجم)

(١) استولى السلطان سليم العثمانى على البلاد العربية سنة ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م بعد أن انتصر على الملك الأشرف قانصوه الغورى فى وقعة مرج وابق قرب مدينة حلب . (المترجم)

نفسه ، ومنهم من يراه مسيئاً إلى المجتمع أو الدولة لا إلى نفسه ، ومنهم من يشجع على الانتحار ، ويرى أن المرء إنما يكون عرضاً ولا يكون قصداً ، فالأمر فى نفسه له .

وروى آرثر شوبنهور فى كتابه (فى الدين) لأحد حكماء الإغريق ستوبى Stobée هذا القول :

على الأخيار أن يعتزلوا الحياة إذا اشتد شقاؤهم ، وعلى الأشرار أن يفارقوها إذا عظمت سعادتهم ...

كالحكام الاعتياديين فى أوربا أو الاضطرابات والقلاقل التى تقوم عادة عند استقلال أى بلد عربى أمر طبيعى كما حدث فى سوريا أو العراق عند انتقال الإدارة من السلطات الأوربية إلى السلطات العربية . وهنا أحب أن أذكر نقطتين : الأولى ان انتقال الإدارة من يد إلى أخرى لابد أن يوجد فترة عدم استقرار ؛ فعند ما تسلم البريطانيون والفرنسيون إدارة هذه البلاد من الأتراك حدثت اضطرابات أعظم من هذه ودامت سنين عديدة ؛ ولكن الآن وبعد مضى هذه المدة الطويلة على حكمهم يمكنك أن تجد إدارة منظمة كالآلة وموظفين قديرين . الثانية ، وربما كانت الأهم أن أهل البلاد التى تحت انتدابنا يعرفون أن من وراء كل بريطانى أو فرنسى قوة عسكرية عظيمة ، ومهما حاولنا أن نخدع أنفسنا بقدرتنا فعلينا أن نعترف بأن كثيراً من أعمالنا لا يعزى إلى شخصياتنا بل إلى القوى البرية والجوية التى تزيد من هيبتنا . فاذا ما أخذ عربى مسؤلية الحكم عرف الجميع بأن لا قوة ولا أساطيل وراءه تحميه .

سأقدم إليكم مثلا من وجهة ثانية على قدرة العرب العصريين فى تطبيق النظم الفنية والعلمية الحديثة والاستفادة منها . وبهذه المناسبة سأذكر عملا أشرفت عليه بنفسى : عند ما أنشأتُ قوة البادية حاولت أن يكون أفرادها من البدو الرحل — وهذه الفئة من العرب أجهلها — ولكن بعد مضى أربع سنين أو خمس تمكن هؤلاء الجهلاء من القيام بقسم النقل الميكانيكى لتأمين مواصلات القوة كما تعلموا استعمال المدافع الرشاشة ؛ وهم الآن يتدربون على إجراء المخابرات اللاسلكية . إن عدداً من هؤلاء أرسل إلى مشغل فورد بالاسكندرية ودرسوا جنباً لجنب مع إيطاليين ويونان ومصريين وجنسيات أخرى وعادوا يحملون كغيرهم شهادات فنية فى « الميكانيك » . ولقد قرأت حديثاً فى كتاب أن البدوى يذبل ويموت — كالهنود الحمر — عند احتكاكه بالمدنية . فعدا عن خطل هذا الرأى أقرر بأن البدوى — إذا ما أعطى الفرصة — يمكنه أن يصبح متحضراً ومدنياً بكل ما فى هاتين الكلمتين من معان .

انقسام الشعوب العربية :

إن الصعوبة التى يواجهها العرب الآن هى عدم التجانس . وقد سبق أن قلت إن سوريا والعراق معرضتان للمؤثرات الخارجية من جهة ، وللتأثير العربى الخالص من جهة أخرى . وقد كانت تقوم فى أواسط هذه الأقطار وعلى الأخص سوريا وفلسطين وشرق الأردن منافسة شديدة بين ثقافات متباينة . وقد ظهرت هذه المنافسة جلية واضحة بسبب تشدد الأمم الأوربية فى مسألة القوميات .

لقد كان ظهور القومية فى أوربا سبباً فى ظهور القومية العربية . ومثل هذه الفكرة كانت مفقودة فى زمن الامبراطورية العثمانية عند ما كان العرب لا يعرفون قضية كهذه قبل ٥٠ سنة . لقد كان الولاء زمن الإمبراطورية العثمانية ولاء دينياً لشخص الخليفة أو للامبراطورية نفسها التى كانت خليطاً من أجناس متعددة . وقد كان العرب لا يهتمون بالقضية القومية حتى احتكوا بالأقوام التى حافظت على قوميتها فقاموا ينادون بأنهم أمة واحدة ذات قومية خاصة . وقد كان عرب فلسطين وهم مختلفو الجنسية والدين — لا يعرفون القومية حتى احتكوا باليهود والانكليز فقاموا ينادون بأنهم عرب وأتحدوا [1] . ومن ثم بعد أضحوا يفهمون القومية شعروا باشمئزاز مما يتخيلونه أو يتحققونه من استخفاف الشعوب الأخرى بأمرهم — والخطوة التى تلت ذلك أن الشباب المتعلم قام يعمل ليتعرف إلى الأسباب التى مكنت الأوربيين من حكم بلادهم فوجدها العلم والمال والقوة ، أو بالأحرى ما هو عليه المجتمع الأوربى الحالى ، فقام يقتبس كل ما هو أوربى ويعمل على السير وأوربا فى مضمار واحد . إن أمام هذه الفئة طريقين مختلفين: الأول أن تجرب أن تعلم العامة فتسير الأمة وتنهض كلها دفعة واحدة . وتطبيق هذا عملياً جد صعب — والثانى أن يقتبس المتعلمون وحدهم كل ما هو أوربى — وهذا ما فعلوه — فيتركون بذلك طبقة العامة من الأمة — وهم الأكثرية — وراءهم وبذلك يفتحون ثغرة واسعة بين طبقات الأمة . وأرى أن هذا سبب ضعف كبير .

---

(١) لقد عرف العرب القومية ونادوا بها منذ فجر تاريخهم، وقد كانت حرب ذى قار بين العرب والفرس زمن الجاهلية مظهراً عظيما من مظاهر العروبة. وما قضايا العرب والموالى ودعاة الشعوبية (الأقوام غير العربية من المسلمين) إلا قضايا العروبة والعجمة . وقد جاهر ونادى العرب بعروبتهم منذ بدء الفتح العثمانى أيضاً حتى نهاية الحرب الكونية وما الثورات العديدة التى قامت بجبل الدروز واليمن والحجاز على الحكم التركي إلا مظاهر رائعة من مظاهر العروبة . وقد استمرت هذه الثورات حتي الحرب الكونية حيث شنق جمال السفاح كثيراً من العرب لأنهم كانوا ينادون بعروبتهم وبحقهم فى حكم أنفسهم . (المترجم)

التطورات الحديثة

رأينا في بحثنا عن قابلية العرب للرقي أن الإسلام لا يقف حجر عثرة في سبيل رقيهم ، وأن جو بلادهم لا يوجد أمة خاملة ، بل على العكس رأينا أنهم شعب قوي حيوي شديد المراس ، وأن تاريخ بلاد العرب الشمالية يرينا أنهم أهل عزم وقوة ، وقد قاوموا جغرافية بلادهم الشاذة التي جعلت أقطارهم الهامة على الأطراف وأوجدت بادية الشام في الوسط فاصلة أقطارهم عن بعضها البعض — ورأينا كيف أنهم قديرون على الحكم والاستفادة من العلوم والفنون الحديثة كما وجدنا الروح القومية تساعدهم وتسيطر عليهم ولكنها لا تزال الآن محصورة في طبقة خاصة كما أن الأمة غير متجانسة .

عليّ أن أذكر تحت هذا العنوان نقطتين وهما الموارد المعدنية وتحسين طرق المواصلة الحديثة . لقد سبق أن قلت إن أمماً كثيرة حاولت أن تحكم البلاد العربية الشمالية ولكن لم يكن القصد من ذلك استثمار موارد البلاد الطبيعية نفسها ولكن لأنها الممر إلى الشرق والجسر البري الوحيد لأفريقيا .

وقد بقيت أواسط الجزيرة العربية حرة في كل أدوار التاريخ إذ كان يظن أنها فقيرة لدرجة أنها لا تساوي كلفة فتحها . لقد اكتشف النفط – البترول وزيوته – في عدة مواضع من هذه الأقطار ، ولكن لم تعرف مناطقه وكميته بوجه التحديد . وكذلك يظن وجود بعض المعادن الثمينة فيها ، ولكن لا يمكن لأحد أن يتكهن الآن عما ستكون نتائج هذه الاكتشافات — فهي إما أن تدر الثروة — التي هي أساس القوة في العالم على البلاد وإما أن تنبه أطماع الأمم الأوروبية .

بقيت هناك قضية طرق المواصلات الحديثة . لقد سبق أن تكلمت بهذه المناسبة عن صعوبة اتحاد الأقطار العربية ثقافياً أو إدارياً أو عسكرياً بسبب الصحارى التي تباعد بينها ، وقد استغرقت رحلة تمت بها قبل ١٥ سنة على ظهور الجمال من العراق إلى شرق الأردن ثلاثة أسابيع ، ولكن قطع هذه المسافة الآن لا يستغرق أكثر من ٢٠ ساعة بالسيارة أو ساعتين ونصف ساعة بالطائرة . يجوز أن يكون للتحسين الذي طرأ على طرق المواصلات أثر بعيد في توحيد الثقافة بأقطار كالأقطار العربيــة التي تعد صعوبة المواصلات بينها من أكبر الموانع للقيام بأي عمل من الأعمال . ويجوز أن يقضي هذا التحسن على أهمية مركز حلب الحربي قضاء كلياً — فقد سبق أن تعرضت بكلامي لهذا الموضوع وقلت إن من يتمركز في حلب يمكنه أن يعزل سوريا عن العراق عزلاً تاماً — ولكن إذا أمكن تعبيد طرق جيدة وكثيرة في وسط البادية فإن أهمية هذا المركز تزول .

وأخيراً أرى من الأهمية بمكان أن أذكر شيئاً عن الإذاعة واللاسلكي — مع العلم بأن هذين الفنين متأخران في الأقطار العربية . لا ريب أنه سيكون للاذاعة واللاسلكي أثر بعيد في تقدم التهذيب السياسي بين الشعوب المتأخرة كما أن الإنسان يمكنه إهمال إرسال الجرائد لأناس أميين ويمكنه أيضاً الاستغناء عن البريد ولكن من السهل عليه أن يبث أية آراء سياسية بين سكان أقصى واحة من واحات الجزيرة مهما بلغ سكانها من الجهل وذلك بواسطة الإذاعة اللاسلكية .

هذه نهاية ما أردت أن أقوله وأحب إن سمحتم لي أن أقرأ عليكم قبل الختام النتائج التي وصلنا إليها في بحثنا .

١ — إن موقع بلاد العرب الشمالية وتكوينها الجغرافي ، كممر إلى الشرق وجسر بري يؤدي إلى أفريقيا جعلها عظيمة الأهمية — وستبقى على الأغلب كذلك مستقبلاً .

٢ — إن تباعد الأقطار العربية الشمالية وتكوينها مثلثاً تتوسطه الصحراء جعل الاتحاد السياسي والعسكري بينها صعباً جداً

٣ — إن البلاد المجاورة للصحراء من سوريا والعراق وشرق الأردن كان يؤمها ويتوطنها العرب النجديون على مر العصور بينما نرى بلدان الساحل من سوريا وفلسطين — وحديثاً — المدن العراقية خاضعة للتأثير التركي والأوروبي وبذلك وجدت ثقافات متباينة في البلاد .

٤ — إن روح القومية التي اكتسحت أوروبا خلقت مثلها في الأقطار العربية وقد غذيت هذه الروح باتباع نفس الطرق التي اتبعتها أوروبا للحصول على القوة ونتج عن ذلك أن الفئة الراقية من العرب التي أرادت أن تجاري أوروبا بسرعة لم تتمكن من النهوض بسواد الشعب الجاهل مما سبب حدوث فروق ثقافية واسعة بين طبقات الشعب .

لا يا معالى الوزير ...

لقد أخطأك التوفيق !

الأستاذ سيد قطب

فى جلسة مجلس النواب التى نظرت فيها ميزانية وزارة الشئون الاجتماعية وقف النائب المحترم عبد الفتاح عزام ليقول :

« إننا فى حاجة إلى حماية أخلاق أبنائنا وبناتنا مما تحمله إليهم الإذاعة فى بيوتهم من عبارات جارحة من « ياحبيبى » و« ياروحى » ويجب أن نحذف اعتماد الإذاعة ، ما لم تكف عن هذا الذى تذيعه ولا نستطيع حماية بيوتنا منه ... »

ووقف معالى وزير الشئون الاجتماعية ليقول :

« إن فى كلام حضرة النائب المحترم مبالغة ، وإن هذا الذى يشكو منه له نظائره فى بلاد العالم المتمدن ... »

أما أنا فأكاد أجزم بأن معالى الوزير لا يستمع لكل ما تذيعه محطة الإذاعة ، وإلا لكان رده على النائب المحترم غير هذا الرد . فما يستطيع إنسان سليم الفطرة أن يستمع لهذا الذى يذاع ، ثم لا يدركه شعور الاشمئزاز ، حتى ولو كان لا يقيم وزناً للأخلاق !

وأحب قبل كل شىء أن أقرر أن الأخلاق التى أعنيها ليست هى الأخلاق التقليدية التى يتحدث باسمها بعض الجامدين والتقليديين ، والتى لا تتعدى ظواهر السلوك ، وشكليات التقاليد ... إنما أعنى بالأخلاق ذلك الشعور الطبيعى السليم الذى ينفر من التخنث كما ينفر من الفحش . وهذا الشعور فى أبسط صوره هو الذى يخدشه ما تذيعه محطة الإذاعة المصرية فى أغلب الأحيان

والحب الإنسانى الرفيع ليس عيباً ، والتعبير عنه ليس عاراً .. ولكن الحب — كما يبدو فى محطة الإذاعة — هو حب التخنث مرة ، وحب التبتك مرة ، وكلاهما ليس هو الحب الفطرى السليم الذى يقوم بين الرجل والمرأة لتبنى عليه دعائم الحياة

ولعل أشنع بدعة تكثر منها المحطة فى الأيام الأخيرة خاصة ، هى الإذاعة من الصالات والإذاعة من الأشرطة السينمائية . وهو تصرف غير مفهوم ، ما لم يكن القصد هو ملاحقة الناس فى بيوتهم بما يقال فى أوساط وأماكن يعف كل إنسان مهذب عن الذهاب إليها ، ويعف بصفة خاصة أن يسمح لبناته وأهل بيته بمشاهدتها.

وكلنا نعرف رواد الصالات ، ونعرف ما يجرى داخل هذه الصالات ... نعرف أن جماعة غير مهذبين يرتادون هذه الأماكن ، وقد استعدوا للسهرة بالخمر كيما تنطلق فى أجسادهم أقصى حيوانيتها ، وكيما يستثير حيوانيتهم ما سيشاهدونه من اللحم الرخيص فى هذه الصالات ... ثم هذا اللحم الرخيص يعرض فى أضواء حمراء مهيجة على أوضاع لا يرضاها إلا « الرقيق الأبيض » الذى يقتات

---

٥ — بعد درس مناخ وتاريخ وديانة ونفسية سكان الأقطار العربية الشمالية يمكننا أن نقرر بأن ليس فى الإمكان وضعهم فى عداد الأمم غير القابلة للرقى ؛ فقد ظهر لنا جلياً أن العرب يملكون كل المؤهلات التى تمكنهم أن يكونوا شعباً عاملا كأى شعب أوروبى .

٦ — إن وجود النفط ومعادن أخرى فى بلاد العرب أوجد احتمالات لا يمكن التكهن بنتائجها فقد تدر الثروة على العرب فيضحون قوة عالية أو تكون مرتعاً جديداً لأطماع الأمم القوية الأخرى .

٧ — إن صعوبة المواصلات كانت تقف فى وجه الوحدة العربية ولكن استمرار تحسين طرق المواصلات الحديثة قد يساعد فى وصول البلاد العربية إلى اتحادها ونهائياً إلى وحدتها .

المستقبل :

يمكننا حصر منهج الرقى فى البلاد العربية بما يلى .

١ — ستمضى برهة غير قصيرة حتى يتمكن سكان الأقطار العربية الشمالية من الحصول على تجانس سياسى وثقافى ويجوز أن تعجل طرق المواصلات الحديثة إنجاز هذا العمل .

٢ — إن وسائل الدفاع عن الأقطار المذكورة صعبة ولكن تحسين طرق المواصلات فى البادية قمين بتخفيف هذه الصعوبة .

٣ — إن العرب يملكون المؤهلات الكافية لصيرورتهم أمة عصرية هامة ولكنهم لا يقدرون على السير وحدهم الآن .

٤ — يتوقف الاستقلال السياسى فى كثير من الأحوال على العوامل الخارجية ولذلك لا يمكن التكهن من الآن عن الوقت الذى يمكن للعرب فيه أن يصلوا إلى وحدتهم وينالوا استقلالهم السياسى .

المترجم

جميل قبعين

من هذه الموائد القذرة ... ثم يهيج السعار الحيوانى ... يهيجه النور الأحمر، والرقص الخليع، والكلمات المكشوفة، والحركات الداعرة، والنبرات المتخلعة، ويهيجه السُّكْر المسرف، والدم المتنزى فى أجسام جائعة ... فينطلق ذلك كله فى جو معربد صاخب داعر تشمئز له الفطرة السليمة

... ثم تأتى محطة الإذاعة — الإذاعة الحكومية — فتنقل ذلك كله إلى البيوت الطاهرة ... إلى الزوجات الفاضلات، وإلى العذارى، ونحب أن نقول للمحطة: (إنه لا يزال هنالك عذارى ولو قليلات ... !) وإلى الصبية والأطفال والمراهقين، وإلى جميع أولئك الذين عفّوا عن مشاهدة هذا الفحش الداعر فى مكانه، فانتقل إليهم فى بيوتهم، وتسور الجدران عليهم، لا لذنب جنوه إلا أنهم يقتنون جهازاً للاستقبال، وأن محطة الإذاعة الحكومية تريد لهم هذا الفحش الذى يفرون منه، فيلاحقهم إلى البيوت!

فأما الأشرطة السينمائية، فلا نستطيع الحديث عنها، فأصحابها يملكون من السلطة فى الدوائر الرسمية ما يسمح لهم بأن يخرجوا لنا ألسنتهم إذا نحن حاولنا مقاومة الفساد النفسى والخلق الذى يبثونه فيها، من ذلك الغزل المخنث يتطرى به رجل رقيع فى أغانيه، أو ذلك الفحش الواطى تتخلع به امرأة هلوك فى نبراتها ... ثم يدعون ذلك حباً ... !

وإنه لحب، ولكنه ليس حب الرجل السليم الفطرة للمرأة السليمة الطبع ... هو حب المخنثين والسواقط من الرجال والنساء. ذلك الحب الذى تعرفه المواخير ولا تعرفه البيوت، بل لا تعرفه الشوارع ذات الهواء الطلق. فما يتم حب من هذا الذى تعرضه الأفلام فى الهواء الطلق ... إنما يتم فى جو راكد حبيس يغشيه دخان النرجيلة، وسرحان الأفيون فى ماخور ...

ومع هذا كله، فنحن لا نطمع فى أن تراقب هذه الأشرطة قبل إخراجها، ليحذف منها ما يخدش الطبع السليم، حتى لا نصور الحب — وهو عامل البناء والخلق فى هذه الحياة — تلك الصورة المريضة المتخاذلة الرخوة الرقيعة ...

لا نطمع فى هذا لأننا نعرف مدى نفوذ أصحاب هذه الأشرطة فى الدوائر الرسمية وغير الرسمية! ولكننا نطمع على الأقل فى أن تصان أسماع البقية القليلة الباقية فى البيوت من العذارى والسيدات عن أن تلوث وتخدش بالأغانى المائعة الهابطة الداعرة المخنثة، يتطرى بها رجل رقيع، أو تتخلع بها امرأة هلوك ... وذلك أبسط مظاهر الحماية لمن يعفّون عن مشاهدة هذه الأفلام واستماع هذه الأغانى، فإذا بها تتسور عليهم الجدران خليعة ماجنة مخنثة، فى حين لا يملكون لأنفسهم منها حماية، لأنهم إن أغلقوا جهازهم الخاص حملتها إليهم أجهزة الجيران!!

وكل ما يحتج به مروّجو هذا « الأفيون » الخطر الذى يقتل فى الشعب كل شعور فطرى سليم، ويحيله جماعة من مخنثى الشبان، ومبتذلات الفتيات، وداعرات النساء ... كل ما يحتج به تجار هذه « المخدرات » أن الشعب يقبل عليها، فهى إذن تلبى رغباته الحقيقية

الشعب يقبل عليها ... هذا صحيح، لأن الحيوان الهائج كامن فى كل إنسان، فإذا نحن ظللنا دائماً نهيج سعار هذا الحيوان، ولم نحاول مرة أن نرتفع به إلى مستوى الآدميين، فلا بد أن يأتى اليوم الذى لا يبدو فيه إلا هذا السعار

والناس يقبلون على « الأفيون » وسائر المخدرات، ولكن السلطات تكافح الأفيون وسائر المخدرات ... ذلك أن هنالك رجلا إنساناً فى حكمدارية القاهرة قد آمن بفكرة المكافحة وأصبحت جزءاً من دمه — (وهو أجنبى، وأنا لا أستريح لبقاء الأجانب فى وظائفنا الكبرى ... ولكن الحق حق) !

فهل يتاح لمصر من أبنائها رجل يؤمن بخطر مثل هذه الأفلام والأغانى التى تأكل نفوس الشعب! كلا، وتفسد فطرته الإنسانية، بل تفسد فطرته الحيوانية، حين تصور له الحب فى ذلك المظهر المترهل الذميم؟

هل يتاح لمصر ذلك الرجل الذى لا تخدعه كلمات « العالم المتمدين » عن الشعور الفطرى السليم، والذى يرصد لمكافحة هذا « الأفيون » الخطر جهده وقواه؟

على أية حال هذه أمنية لا نخدع أنفسنا بتحقيقها، ولكننا نقنع فقط بأن نطلب لأنفسنا الحماية من محطة الإذاعة الحكومية على النحو الذى اقترحه النائب المحترم، أو على نحو سواه

وهذا الذى نطلبه هو أضعف الإيمان!

سيد قطب

الحياة الأدبية فى الحجاز

للأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم

كتب الأستاذ « إبراهيم هاشم فلالى » مقالا تحت هذا العنوان فى عدد سابق من « الرسالة » عرض فيه صوراً جميلة من الأدب الحجازى الحديث ، فرأيت إتماماً للفائدة أن أتبع مقاله بكلمات عن النهضة الحديثة لهذا الأدب حتى يدرك قراء الرسالة شيئاً من أسباب هذه النهضة والاتجاهات الأدبية فى هذه البلاد المقدسة .

ولست أريد فى هذه الكلمات أن أتتبع النهضة من لدن وجودها فى الحجاز على يد أحمد بن زينى دحلان المتوفى سنة ٨٨٦ م ولكنى سأكتفى بالنهضة السعودية القائمة فإذا ما انتهيت من عرضها بسطت الكلام فى الشعر والنثر وبينت خصائصهما واتجاهاتهما .

النهضة السعودية

الحجاز الحديث قطر متوثب للرقى مؤمن بقدمه العريق وواثق بالنجاح ؛ فهو يبذل الجهد ويواصل العمل لمسايرة الأمم العربية التى سبقته فى النهضة . وقد بعث فيه هذا الروح القوى ملك عربى واسع الآمال يجيد العربية ويطرب للشعر البارع والنثر البليغ ويستحث الأدباء للاجادة ويدفعهم إلى العناية ، فهو يكافئهم على إحسانهم ويحلهم من نفسه منزلة سامية ، ويكفى أن يقرأ الزائر لهذه البلاد ثبتاً بأسماء المستخدمين فى الإدارات والمصالح ، فيؤمن بعد ذلك أن الحكومة السعودية لم تخترهم عبثاً وإنما كشفت فيهم البراعة فى الأدب فأرادت أن تكافئهم عليها بهذه المناصب ليعيشوا راضين مطمئنين منصرفين إلى الإجادة والإنتاج : فالشيخ محمد سرور الصبان ، والغزاوى ، وعلى حافظ ، وعبد القدوس الأنصارى . كل أولئك وغيرهم من الأدباء يتولون كثيراً من مناصب المملكة وينهضون بأعبائها وينالون فوق ذلك عطف جلالة الملك وإحسانه ، ولهذا وغيره من الأسباب الثقافية والقومية رأينا الأدب الحجازى فى هذه الفترة الوجيزة من الزمان يثب وثبة توشك أن تكون طفرة .

ومن أسباب النهوض فى العهد السعودى العناية بالقومية العربية بعد أن أغفل الناس شأنها ردحاً طويلا من الزمان ؛ فقد جاء العهد الجديد يحمل الطابع العربى الخالص من كل شائبة ودخيل ، ويحمل القوم على التعصب لكل مظاهر العروبة حتى لا تفنى شخصيتهم وتتضاءل ذاتيتهم ، عندئذ أدركوا أن فى الحياة الجديدة مغزى سامياً لم يدركوا إلا أوائله فى الثورة الحجازية ، ولا شك أن ارتباط الأدب بهذه القومية ارتباط متين فهو يقوى بقوتها ويضعف بضعفها . ويكفى أن يشعر الناس أن مليكهم مَعْنِىّ بنهضة عربية تعيد إلى الحاضر سيرة عهود أجدادهم السابقين ؛ حينئذ يعملون جاهدين لينسجوا على منوالهم ويتأثروهم فى كل شىء : فى أخلاقهم ولغتهم ومظاهر حياتهم .

والقارىء لشعر الحجازى فى النهضة السعودية يجد ظاهرة التعصب للقومية العربية واضحة جلية : فالشعراء كثيراً ما يذكرون ما كان للشرق والعرب من مجد سابق ويتحسرون على هذا المجد الذى ضاع واندثر وحل محله التأخر والجمود . وفى هذه المعانى يقول الشاعر الغزاوى شاعر الملك ابن السعود :

أجلْ . تقهقر هذا الشرقُ فانغمزَتْ ... قناته بعد أن صالت بها الأمَمُ

واندكّ مجدُ بنيه مند أن غفلوا ... عن الحياة وزلّتْ منهمُ القدمُ

وخالفوا فطرة الأخلاق واختلفوا ... فسامهم كلّ خسفٍ من رقى بهمُ

وهو يقول أيضاً فى موضع آخر مبيناً أن العرب قد عرفوا الحضارة وسبقوا إلى النهضة قبل الغربيين :

هل كان للغرب المصوّتِ نأمةٌ ... أيام كان الشرق لا يستنمْ

أو كان للغرب المدل بعلمه ... بَصرٌ بما أمسى به يتنعمَ

فى هذه الأبيات وأمثالها نرى اعتداداً بالمجد التليد الذى تركه العرب باقياً على الزمان كما نرى اعتزازاً به وحرصاً على إعادته ففيه البطولة وفيه المجد والمعانى السامية . وقد قال أحدهم وهو عبد الوهاب آشى فى هذا المعنى :

بلادٌ سمتْ بالألى عرفوا ... طريقَ المعالى ومضمارَها

سمى المجدُ طوعا إلى بابهم ... وأولتهم الأرضُ أمصارها

إذا جَد جِدّ الوغى يمموا ... ميادينها وجلوا عارها

وما عن ونى يؤثرون السلام ... ولكن يريحون ثوارها

بهذا الإيمان الصادق بمجد الأسلاف يتدفق شعر الحجازيين المحدثين ويرون أنهم لن ينجحوا فى حاضرهم إذا لم يقتفوا آثار السابقين ويعملوا على غرارهم فإذا فعلوا ذلك كان المجد قريباً منهم لأنهم أهل له من قديم الزمان وفى ذلك يقول عبد الله بلخير :

بوركتَ يا عزم الشباب وقدستْ روحُ الشجاعة فيــك والإقــدامُ
أملُ الجزيرة قد أنيط بعزمكم بغـدادُ ترقب نورَه والشامُ
متطلعين إلى الحجاز فإنه فى كل عصرٍ قائدٌ وإمامُ

ومن الخير فى هذا المقام أن ننقل إلى القارىء ما كتبه معالى الدكتور هيكل باشا فى نهضة الحجازيين عن طريق الالتفات إلى الماضى والاعتزاز بالقومية العربية فهو يقول : « وما دام شباب العرب قد بدأوا نشاطهم الفكرى على هذه الصورة الواضحة فى (أشعارهم) فمن حقهم وحق كل عربى أن ينفسح أمامهم ميدان الأمل فى المستقبل ، فالأدب نواة كل عمل وكل حياة بل هو رحيق الحياة وروحها ، والروح ما قويت قديرة على كل شىء ، ولقد أتيح لى أن أتعرف إلى كثيرين (منهم) فرأيت فيهم طموحا وأملا وحرصاً على تحقيق هذا الأمل ، أما وهذا شأنهم وهذه عزيمتهم الصادقة فلهم أن يصوروا مستقبل بلادهم كما يشاءون ، فإذا جاء الوقت الذى تدوى فى العالم صيحته كان هذا طليعة العظمة العربية المقبلة وكان التقدم الذى يسير فى أثر أمجاد أبناء أمجاد يعيدون لبلادهم عظمتها ومجدها » .

والحجازى خليق ببلوغ هذه الغاية التى يسعى إليها لأنه جلد صبور ، قد أوحت إليه الحياة الخشنة فى الصحراء كثيراً من أخلاق الصرامة والثبات والعمـل المتلاحق الذى لا يدركه فتـور ولا كلال .

ولا شك أن هذا الاتجاه العربى القوى قد أفاد اللغة والأدب أجل الفوائد ، ولا شك كذلك أن هذه الآمال التى استمدوها من الماضى العريق قد دفعت الأدب دفعاً قوياً ظهرت ثمراته فى عهد قليل ، ولن يتوانى هذا الأدب عن تقدمه السريع وإمعانه فى التجديد والرقى ما دامت القومية العربية طابعه وفسحة الآمال تستحثه وتنهض به . وتاريخ الآداب فى الأمم المختلفة يوضح لنا هذا القول ؛ فما قوى أدب أمة من الأمم إلا فى ظلال قوميتها وعلى أساس من آمالها المتوثبة الجريئة ، وما ضعف إلا فى العهود التى تخاذل فيها الناس وتناسوا قوميتهم وفقدوا آمالهم ؛ لأن الأدب يتمشى مع القومية والآمال ويستمد منهما معانى الحياة الباقية الخالدة

الثقافة

الثقافة عماد الأدب ومادته ولا ينهض أدب فى أمة من الأمم ما لم يتهيأ لها من وسائل العلم مايقدرها على إدراك الحق والجمال ، وبهذه الثقافة يتسع أفق الأديب فإذا ما تناول موضوعاً تناوله عن بصر به وعلم بدقائقه ونواحيه المختلفة .

وقد منيت الثقافة فى الحجاز فى العهد العثمانى بما جعلها ضئيلة متأخرة ومحدودة تافهة لا تغنى ولا تنفع فى إعداد الأديب المثقف ؛ فقد اقتصر التعليم فى ذلك العهد على التعليم الابتدائى وهو كما نعلم لا يعد شاعراً ولا يخرج كاتباً ، فإذا عرفنا مع هذا أن العناية باللغة التركية قد فاقت العناية باللغة العربية وأن المواد المختلفة فى هذه المدارس كانت تدرس بالتركية ؛ أمكننا أن ندرك إلى أى حد ضعفت العربية فى هذه البلاد .

نعم كان فى الحجاز الحرمان الشريفان يقوم فيهما العلماء بتدريس الدين واللغة العربية على الطريقة التى كانت تتبع فى الأزهر الشريف وهى طريقة لم يظهر فضلها إلا فى حفظ العلوم اللسانية والدينية من الضياع ولكنها لم تجد فى تخريج الأدباء والشعراء .

لهذا كله أشفق المصلحون فى الحجاز من ذوى المروءة على اللغة العربية ومصيرها فهبوا لإنشاء المدارس التى تنهض بالدين والأدب وكان أسبقهم إلى هذا العمل السيد محمد زنيل فقد أنشأ مدارس الفلاح فى جدة ومكة سنة ١٣٢٦ للهجرة وجاهد فى سبيل نهضتها وبقائها على الرغم مما أثير حولها من الشكوك والأوهام ، وكان لهذه المدارس الحرة الفضل الأكبر فى تخريج طائفة من الشبان هم الآن حملة لواء النهضة الأدبية والفكرية فى البلاد الحجازية .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أبو بكر ابراهيم

النظـــام الزراعى
في بلاد السوفييت

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

اتساع الروسيا وأثره فى الزراعة

ليس فى العالم دولة باتساع الروسيا ، فمساحتها ٨٫٧٦٤٠٠٠ ميل مربع ممتدة من أواسط أوربا غرباً إلى المحيط الهادى شرقاً ، ومن المنطقة المتجمدة الشمالية شمالا إلى البحر الأسود وبحر الخزر والقوقاز وإيران والصين جنوباً . فبلاد مثل هذه تختلف أجواؤها من البرد القارس فى الشمال إلى الحر اللافح فى الجنوب ، ومن غزارة الأمطار وما يتبعها من الرطوبة إلى الجو الصحراوى الجاف ذى الرياح الحارة . فتكاد تكون روسيا سلسلة من السهول المتسعة الأرجاء تفصلها سلاسل من الجبال وعدة من الأنهار ، فالزراعة فيها إذن تمثل زراعة المناطق شبه الحارة ، وكذلك الزراعة الصحراوية الجافة ، وزراعة المناطق المعتدلة الرطبة والمناطق الباردة الثلجية . وكان يسكن هذه البلاد نحو ١٧٠ مليون نسمة منهم نحو ٨٠٪ من الفلاحين المسخرين لأسيادهم من أسرة القياصرة والنبلاء والأشراف الذين كانوا وحدهم يمتلكون الأرض

حالة الفلاح قبل عهد السوفييت

نعم كان هؤلاء الفلاحون عبيداً أرقاء ينتقلون من سيد إلى سيد ، وكان الفلاح يسمى « موجيك » ، وهى تصغير كلمة « موج » أى الإنسان بالروسية . ومعنى ذلك أن الفلاح الروسى كان فى نظر مستعبديه فى عهد القياصرة مخلوقاً أدنى من الإنسان كالمنبوذين فى الهند ، فلا عجب أن وصموه بما يوصم به الفلاح المستعبد فى أى بلد آخر بالوحشية والقسوة والكسل واللصوصية والنفاق والغش وغير ذلك من الصفات المنفرة ، ونسوا ما وضعه الله فيه من المحاسن الخلقية التى برزت فى أوضح شكل بعد نيله حريته . فالفلاح الروسى كغيره من أبناء الطبيعة ماهر فى الاستفادة من كل ما حوله فتراه فى الغابات الشمالية الروسية يصنع قوارير السوائل من قلف الأشجار ، ويجدل الألياف الداخلية لهذا القلف ويصنع منها أحذيته. وتراه فى بلاد أكرانيا ، حيث تنعدم الأشجار الخشبية يبنى أكواخه من قصب الغاب والطين . وترى الفلاح الروسى يصنع سروج خيله بنفسه من الجلود التى يدبغها ، فهو لا يترك من منتجات بيئته شيئاً إلا استغله لمصلحته

حالة الفلاح فى عهد السوفييت

فلما نشر السوفييت حكمهم فى هذه الامبراطورية الواسعة الأرجاء ، حرروا الفلاح من عبوديته ، وعاملوا كافة الشعوب والجنسيات التى كانت تحت حكم القياصرة على قدم المساواة ، فجعلوا الامبراطورية الروسية القديمة التى تضم ١٨٠ جنسية فى إحدى عشرة جمهورية وطنية و ٢٢ جمهورية مستقلة لكل منها دستورها الخاص مع تمتعها بكامل استقلالها وحريتها ومساواتها مع كافة جمهوريات الاتحاد السوفيتى الأخرى ، ولكل من هذه الجمهوريات مطلق الحرية فى الانفصال عن الاتحاد السوفيتى متى شاءت . فالاتحاد السوفيتى إذن عبارة عن مجموعة من الأمم المستقلة المرتبطة برباط الثقافة والمصلحة الاقتصادية ، وهذه الجمهوريات هى جمهوريات الاتحاد الروسى فى أوروبا ثم أكرانيا وبيلوروسيا وكاريليا الفلندية ومولدافيا ولتوانيا ولاتفيا والجمهوريات الاستونية وأذربيجان وجورجستان واريفان أى أرمينيا وتركمنيان والأزبك والتادجيك والقازاق والكرغز ، وذلك عدا المقاطعات المستقلة داخل هذه الجمهوريات التى تمثل نحو أربعين جنسية تتمتع كل منها بكامل حقوقها فى إدارة نفسها بنفسها

استصلاح الأراضى والتوسع فى الزراعة

مساحة الأراضى المزروعة

كانت مساحة الأراضى المزروعة فى الروسيا القيصرية (فى سنة ١٩١٣) ٢٥٢ مليون فدان . فلما تولى السوفييت الحكم رأوا أن السكان فى الروسيا يزيدون سنة عن سنة حتى أن تعدادهم بلغ فى يونيو (سنة ١٩٤١) ١٩٠ مليون نسمة فعملوا على استعمار الموات من الأراضى باستصلاحها ونشر الزراعة شمالا وشرقاً فى مساحات هائلة لم تمسها يد الزارع من قبل فبلغت مساحة الأراضى الزراعية بجهودهم (فى سنة ١٩٢٩) ٢٨٣ مليون فدان وبلغت

٣١٧ مليون فدان فى سنة ١٩٣٥ أى بزيادة قدرها نحو ٦٥ مليون فدان . وقد استصلح السوفيت فى ثلاث سنوات من سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٥ خمسة ملايين فدان كانت من قبل مستنقعات ، وأربعة ملايين فدان أخرى فى سنة ١٩٣٦ . وقد استمروا فى التوسع فى الزراعة فى المناطق الشمالية النائية ، وفى الشرق فى الأراضى شبه الجافة حتى بلغت مساحة الأراضى الزراعية فى سنة ١٩٣٧ (٤٢٨ مليون فدان) أى أن مساحة الأراضى الزراعية زادت فى حكمهم عما كانت عليه فى سنة ١٩١٣ (١٧٦ مليون فدان أى بزيادة نحو ٧٠ ٪ وقد ازدادت المحصولات بهذه النسبة وكانت الزيادة واضحة بصفة خاصة فى المحصولات الصناعية كحاصلات الألياف مثل القطن والكتان والقنب والرامى وغيرها، وفى حاصلات الزيت كالسمسم والفول السودانى وعباد الشمس والسلجم والخروع وبذر الكتان والقرطم وغيرها وفى بنجر السكر . وقد اهتموا بصفة خاصة بالتوسع فى الخضروات فزادوا مساحتها بنحو ضعفين ونصف ، وبمحصولات العلف إذ ازدادت مساحتها بنحو أربعة أضعاف ، وأدخلوا محصولات منها جديدة مثل حشيشة السودان وأنواع من الخندقوق والقضب (البرسيم الحجازى) والفصفصة والجلبان وحشيشة التيف وأنواع مختلفة من البرسيم والحشائش النجيلية .

إلغاء الزراعة الفردية وإنشاء الزراعة التجمعية

وقد وضع السوفيت نظامهم الزراعى على أساس جعل موارد الإنتاج ملكا للدولة ، وهم ينفذون إصلاحاتهم طبقاً لمشروعات موضوعة لصالح الشعب عامة لا لمصلحة طبقة خاصة على حساب باقى الطبقات، وبرامجهم موضوعة بحسب الأصول العلمية الحديثة ؛ ولكن مشروعاتهم تتبدل وتتغير طبقاً لتبدل الظروف والأحوال . كما أنهم لا يتقيدون لإتمامها بميعاد خاص ، فهم بذلك يتبعون تعاليم زعيمهم لينين الذى قال : « ليست تعاليمنا قانوناً ثابتاً فستعلمنا الحياة والتجربة لنهتدى إلى الطريق المستقيم ، نخبرة الملايين من الناس وهم يسمون ويعملون تنير لنا الطريق » .

وقد وضعوا نظامهم الزراعى على أساس إلغاء الزراعة الفردية لأنها لا تتفق مع التقدم الزراعى الميكانيكى الحديث ولا تصلح لبلاد متسعة الأرجاء مترامية الأطراف مختلفة الأجواء كالروسيا وعلى إحلال نظام الزراعة الواسعة بالآلات الميكانيكية الحديثة محلها .

وقد دخل السوفيت فى تجارب قاسية لبلوغ هذه الغاية كلفت البلاد الروسية عشرات الملايين من الضحايا وأموالا لا تحصى . فبنوا سياستهم الزراعية على إلغاء الملكية الفردية واستبدالها بإنتاج تجمعى لكيلا يضيعوا المجهود الآدمى من غير مبرر فى الزراعات الفردية الصغيرة . فأنشأوا المزارع الحكومية الواسعة والمزارع التجمعية ومحطات للجرارات والآلات الزراعية لتقوم بجميع العمليات الزراعية .

المزارع الحكومية (مزارع السوفهوز)

رأى السوفيت أن ازدياد مساحة الأراضى وامتداد الزراعة فى المناطق النائية لا يتأتى إلا بإنشاء المزارع الحكومية الواسعة التى سموها باسم «سوفهوز» ، وقد بدأوا إنشاءها من مبدأ حكمهم فبلغ عددها فى سنة ١٩٢٢ ألف مزرعة تقريباً . ومن سياستهم أن يعمل فيها العمال الزراعيون كوظفين بمرتب ثابت ، وكونت حكومة السوفيت لجنة للحبوب غرضها تنمية مزارع الحبوب الحكومية للحصول على كميات من الحبوب تزيد قليلا فى السنة عن مليون ونصف طن، فأنشأوا ١٥٠ مزرعة حكومية جديدة مساحة أراضيها ١٢ مليون فدان فى جمهورية قزاقستان ، وفى الفولجا الأوسط والسفلى وفى الأورال وشمال القوقاز واوكرانيا وجمهورية البشكير وأنشأوا بعض المزارع الكبيرة فى المناطق الجافة وشبه الجافة ، وكانت أراضى هذه المزارع قبل الانقلاب الزراعى الميكانيكى فى الروسيا لا يمكن الانتفاع بها فى الزراعة .

وتعتبر هذه المزارع محاولة من حكومة السوفيت لاستعمار هذه المناطق التى كانت فيما سبق مراعى طبيعية للخيل والأغنام ، ولكى ينتفع بهذه المساحات الهائلة من الأراضى التى طردت منها الأغنام والخيل اعتمد السوفيت اعتماداً كلياً على استعمال الآلات فى الزراعة ليتجنبوا بذلك فعل الرياح الحارة الجافة المحرقة للمحصولات . ولا جدال فى أن رى هذه الأراضى إذا أمكن يأتى بالفائدة المطلوبة ، ولكن هناك صعوبات تجعل ريها باهظ التكاليف ، لذلك اعتمد السوفيت فى سقيها على ثلوج الشتاء ، فهم يحرثونها بعد إزالة المحصول الصيفى ، ثم يزرعونها فى الربيع بعد ذوبان الثلج زراعات متعاقبة من القمح . وقد أنتجت هذه

الأراضى البكر محصولا فاق كل متوسط فى الأراضى الروسية الأخرى .

وقد بلغ عدد العمال الزراعيين فى هذه المزارع الحكومية فى موسم سنة ١٩٣٤ ثلاثة ملايين نسمة فيما يزيد قليلا عن أربعين مليون فدان زرع ثلاثة أرباعها حبوباً . وبلغ عدد المزارع عشرة آلاف مزرعة مساحتها ٢٨ مليون فدان منها مساحات كبيرة لم تزرع بل تركت للرعى

وتتبع المزارع الحكومية أكثر من عشر من الإدارات الحكومية المختلفة ؛ لذلك اختلفت طرق إدارتها والنتائج المتحصلة منها ، فكانت مصلحة المزارع الحكومية تدير ١٧٣ مليون فدان لا يزرع غير تسعها فقط ، وتدير قومسيرية الزراعة ٥٣١ مزرعة مساحتها ١٧ مليون فدان يستغل ثلثاها فى تربية الخيل وكذلك لإكثار التقاوى ولزراعة القطن والكتان والقنب والحاصلات البقولية والأرز ونباتات المناطق شبه الاستوائية وتربية الحرير والماشية والأغنام والماعز ، ويتبع قومسيريات الزراعة فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى المختلفة ٦٠٠ مزرعة للخضروات والدجاج والفواكه وكروم العنب ؛ ولقومسيرية صناعات الأغذية نحو هذا العدد من مزارع بنجر السكر والخضروات والبطاطس والدخان والدجاج والخنازير والزيوت العطرية عدا مساحات هائلة من الصوبات الزجاجية . وقد أعطى السوفيت عناية خاصة لصناعة الزيوت العطرية التى تستعمل فى الروائح العطرية تخصص لزراعة محصولاتها ٦٠٠٠ فدان فى سنة ١٩٣٦ ولا يقوم بهذه الزراعة والصناعة إلا النساء .

وكان لقومسارية التجارة الخارجية ٢٨ مزرعة مساحتها ٧٠٠٠ر٠٠٠ مليون فدان خصصت لتربية الثعالب الفضية والأغنام الفارسية والأرانب وحيوانات الفراء المختلفة .

وكانت قومسارية الصناعات الثقيلة تزرع المحصولات التى يستخرج منها المطاط فى مساحة ١٣٠ ألف فدان موزعة فى مناطق واسعة وخاصة فى مناطق قازاقستان وبحر أزوف والبحر الأسود .

وكان ١٣ مليون فدان تتبع ست قومسريات مختلفة تمد هيئات مختلفة تعاونية وغير تعاونية مثل مطاعم المصانع والحوانيت ولتزويد المصالح الحكومية الأخرى المختلفة باحتياجاتها من المواد الخام ، ولم تتعد مساحة الأرض المزروعة فى المزرعة الواحدة ألفى فدان

وقد راعت حكومة السوفيت أن تجعل مساحة المزارع الحكومية (السوفهوز) كبيرة جداً لتخفض بذلك نفقات الإنتاج فكانت تتراوح مساحة المزرعة بين ٨٠ — ١٠٠ ألف فدان ولكن منها ما كان أكبر من ذلك كثيراً مثال ذلك المزرعة المسماة Gigant أى الضخمة ومساحتها ٦٠٠ر٠٠٠ فدان .

ولكن نظام مزارع السوفهوز أخذ يظهر عيوبه ابتداء من سنة ١٩٣١ فقد اتضحت خطورة الاعتماد على نظام زراعة محصول واحد والتمسك به تمسكا شديداً ولذلك عدل باتباع دورة زراعية منظمة . وقد اتضح أيضاً أن مزارع الحبوب متسعة جداً لدرجة يصعب معها إدارتها إدارة ناجحة . لذلك خفضت مساحة المزرعة الواحدة منها فى سنة ١٩٣٢ بحيث لا تزيد عن ١٠٨ر٠٠٠ فدان على أن تقسم داخليا إلى عدة مزارع صغيرة يدير كل منها مساعد مدير . وقد نتج عن إنشاء مزارع تربية الحيوان العظيمة الاتساع أن الحيوانات كانت تتجمع فى قطعان كبيرة مما ساعد على انتشار الأوبئة بينها ، فقد كانت مساحة مزرعة تربية الماشية ٦٣ ألف ميل مربع ومزرعة تربية الأغنام تزيد عن ٤٦ ألف ميل مربع فقسمت هذه المساحات الهائلة إلى مساحات أصغر منها لتسهل إدراتها . وكان من أكبر الأخطاء التى ارتكبت أن استولى عمال الحكومة على الماشية قبل أن تنشأ لها الحظائر اللازمة لإيوائها ويعين لها الكلافون اللازمون للعناية بها . وقد عاقبت حكومة السوفيت الموظفين المسئولين عن هذه الأخطاء بإعدام ثلاثين منهم .

وقد اتضح فى النهاية أن تجربة إقامة مزارع السوفهوز قد فشلت تماماً فأعلن ستالين فى سنة ١٩٣٣ أنها لا تغطى نفقاتها فيما عدا بضع عشرات منها . وفى نهاية سنة ١٩٣٥ أعلنت الحكومة السوفيتية حل عدد كبير منها وإضافة أراضيها إلى المزارع التجمعية ، ولم يستبق من مزارع السوفهوز غير التى رأوا ضرورة إبقائها للاستغلال على أساس تجارى ، وقد وضعت تحت إدارة ثلاث قومسيريات هى : قومسيرية المزارع الحكومية ، وقومسيرية صناعة الأغذية وقومسيرية الزراعة .

(البقية فى العدد القادم)

دكتور محمد مأمون عبد السلام
وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة المصرية

التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

— ٧ —

يَسُر الباحث فى مسائل تربية الجيل الجديد وتعليمه أن يرى آراءه التى يدلى بها بين آن وآن موضع عناية وتقدير من الجهات ذوات الشأن ، فإن التصريحات التى فاه بها معالى وزير المعارف عن مشاكل التعليم الأصيلة والمؤقتة ، وعن الخطوط الأولى للسياسة التعليمية العامة ، وعن ضرورة توحيد المرحلة الأولى فى التعليم العام ، وعن العمل لتحسين حال المعلمين ورفع الغبن عنهم . وأن ما قرأناه فى الصحف عن التفكير فى ضم طوائف المعلمين بعضها إلى بعض ، وتوحيد صفوفها لتدل كلها دلالة واضحة على صحة الاتجاهات التى اتجهنا إليها فى إثارة هذه المسائل وبحثها .

كما وأن ذلك مما يشجعنا على المضى فى بحوثنا عسى أن نساعد على إنارة الطريق أمام العاملين على النهوض بالتربية والتعليم عندنا وعند الأمم العربية الشقيقة التى قد زادت رابطتنا بها وبنهضتها وبثقافتها هذه الجامعة العربية الفتية . وعسى أن يمكن ذلك من إيجاد أسس قوية موحدة فى بناء نهضة هذه الأمة ، وتوحيد صفوفها ، ورفع شأنها بين الأمم عن طريق العناية بناشئتها ، وتسليحهم فى مستقبل حياتهم بأسلحة العلم الحديث والتفكير السليم مع تقوية أسباب التناصر والتعاون بينهم آملين ألا يمضى وقت طويل حتى تجتمع لجنة الثقافة فى الجامعة العربية لبحث هذه المسائل الهامة ، كما اجتمعت لجنتا الزراعة والاقتصاد فإن توحيد الثقافة هو أساس التفاهم والتعاون كما أنه هو أساس التكوين والتدعيم .

إن اتجاهات الإصلاح التعليمى فى مصر لم تتناول فى مختلف أطوارها مع الأسف التفكير الجدى فى تنشئة المعلم وتكوينه واختياره والعناية به إلا فى حدود ضيقة جداً ؛ فقد اعتدنا ألا نفكر فيه إلا إذا اضطرتنا الحاجة الملحة إلى ذلك التفكير ولم توضع سياسة ما من قبل لإعداد المعلمين المتآخين المتحابين المتجانسين المتعاونين وتنشئتهم بل كان أمر إعدادهم يتبع ظروف إنشاء المدارس الجديدة أو فتح فصول فى القديمة ، فإذا وجدنا ضغطاً فى هذه الناحية قمنا على وجه السرعة بإيجاد معهد ما لتخريج عدد من المعلمين ، ثم لا نلبث أن نستغنى عنه ، ونغلق أبوابه إذا ما خف الضغط وقل الطلب ، ولذا نرى معاهد ومدارس لتخريج المعلمين كثيرة وُجدت ثم أغلقت حسب الظروف . ومن هنا نشأت هذه التشكيلة المختلفة من المعلمين فى التعليم العام التى لا نظير لها فى تعدادها وتفاوتها وتنافرها وقلة انسجامها وعدم تعاونها فى أى بلد آخر من بلاد الله مما كان له الأثر الملموس فى جمود المدرسة وخمود روحها ، وضعف أثرها فى أبنائها ، وانعدام روح التعاون بينهم مع ضعف الروح العلمية ، وقلة الإقبال على الاستزادة من العلوم والفنون إلا ما كان خاصاً بالامتحان وضعف روح الإقبال على العمل الحر المنتج إذا هم انتهوا من الدراسة وحصلوا على الأجازة التى تسلمهم إلى الوظيفة خصوصاً بعد أن وضعت لها التسعيرة الجديدة المغرية .

فإذا كان معالى وزير المعارف قد ذكر فى بياناته أن نجاح المشروعات الجديدة فى التعليم يتوقف أساسياً على المدرس فإن هذا هو الحق لا ريب فيه . ولذا فقد ذكر معاليه أنه قد عُنى عناية شديدة بأمور المعلمين ، ولديه مشروعات عديدة لترقية معاهد إعداد المعلمين ، وتهيئة الوسائل لتكميل ثقافة الحاليين منهم ، وأنه حفظه الله يعمل على إزالة الشعور بالغبن المستولى على نفوسهم . وإن فى هذا كله ما يدل على الروح الطيبة المحبة للإصلاح والخير التى أملت على معاليه هذه العناية وهذا التقدير وهذا الاتجاه المستقيم . فما أقسى هذا الشعور بالغبن الذى يحز فى نفوسهم . وما أشد أثره فى أعمالهم ومسئولياتهم ! وما أعمق تأثيره فى الرسالة الملقاة على المدرسة وواجباتها ! وإذا كان معاليه قد سبق أن قسم مشاكل التعليم إلى أصيلة ومؤقتة ؛ فإن مشاكل المعلمين وهى فرع هام من مشاكل التعليم فيها كذلك الأصيلة وفيها المؤقتة ، فأما مشكلتهم الأولى الأصيلة فى رأينا فقد سبق أن تناولناها بالبحث وهى تنحصر فى تعدد طوائفهم ، واختلاف ثقافاتهم ، وتباين تفكيرهم ، وتنوع نظراتهم إلى واجباتهم وأعمالهم وإلى

الحياة العامة كلها ، ولعل هذا هو السبب الأساسى فيما نلمسه من انعدام فكرة التعاون فى المدرسة ، ومن جمود فى حركتها ومن انحطاط فى روحها ، ومن خمود فى اتباع أساليب التربية الحديثة فيها . ومن تجاهل لرسالتها الحقيقية التى لاتتعدى النجاح فى الامتحانات والعمل لها .

من أجل ذلك سرنا ذلك الاتجاه الجديد الذى أخذت الوزارة فى بحثه وبدت بشائره على صفحات الجرائد من الميل إلى ضم طوائف المعلمين بعضها إلى بعض فى اتحاد واحد ثم ظهر أثره فعلا فى ضم نادبى دار العلوم وتوحيدهما فى ناد واحد . ولعل هذه الخطوة الطيبة تتبعها خطوات أجرأ منها وأعظم فى وضع أساس الوحدة المنشودة التى يجب أن تمتلئ بالإيمان بها قلوبنا وعقولنا ، والتى بها نستطيع أن نرفع مستوى المدرسة رفعاً يليق بكرامتنا ونهضتنا .

لهذا نرى أن من واجبنا الأول أن نضع فى رأس سياستنا التعليمية الجديدة توحيد معاهد تخريج المعلمين لأنا نؤمن أن فى هذا التوحيد الخير كل الخير لمعاهدنا العلمية . فإذا كنا قد آمنا بأن التوحيد ضرورى وأنه لازم لمدارس المرحلة الأولى من التعليم الإلزامى والأولى والابتدائى فإنه لاشك ألزم لمعاهد المعلمين المكلفين بالسهر على تكوين النشء وتثقيفهم حتى تتركز فى تضافر المعلمين وتآزرهم وتعاونهم تلك المعانى السامية العظيمة التى ننشدها فى مدارسنا ومعاهدنا وأبنائنا بل وفى وحدتنا العامة وجامعتنا العامة وأخوتنا العامة .

أما المشكلة الأصيلة الثانية فى تكوين المعلم فتنحصر فى العمل الجدى على تقوية روحه وشخصيته وخلقه وضميره والسمو بها جميعاً إلى المكانة التى تشعرها حقاً بجليل رسالتها وعظيم مسئوليتها أمام الله وأمام الوطن وأمام الأمة جمعاء . ولن تتمكن من السمو بالمعلم هذا السمو المنشود إلا بتمهيد السبيل الحق إلى انتقائه من بين الصفوة الممتازة بخلقها وبحبها الحقيقى للمهنة ، ولن نستطيع أن نصل إلى هذه الأمنية مطلقاً إلا إذا سوينا على الأقل بين المعلمين وبين زملائهم وإخوانهم من رجال القضاء والمهندسين والأطباء وغيرهم من أرباب المهن المحترمة الأخرى . صحيح أن هذا سيكلف الدولة بعض المال ولكنه فى الوقت ذاته كفيل برفع مستوى المعلمين رفعاً يؤثر فى الجيل الناشئ تأثيراً كبيراً لأن هؤلاء المعلمين الذين يلجون المهنة حباً فى المهنة والذين نختارهم من الصفوة سيدفعهم حبهم لعملهم دوماً إلى بذل الجهود الحقة فى تنشئة الجيل الجديد على المبادئ السليمة التى تنشئ أبناءها عليها الأمم القوية العزيزة فيكون مكسبنا من وراء عملهم مكسباً لايقدر بمال ، فعلينا أن نبنى سياستنا الجديدة على تكوين هؤلاء الرجال حتى نضمن لمصر والأمة العربية كلها نهضة رائعة تعيد إليها سالف مجدها وغابر عزها .

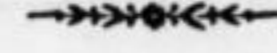
هاتان هما المشكلتان الأساسيتان من مشاكل التعليم والمعلمين وحلهما كفيل برفع مستوى المعاهد الدراسية وبحل مشكلة تكوين الجيل الجديد . فإذا عملنا حقاً على حلهما فقد ضمنا لهذه الأمة حياة مستقبلة سعيدة وقوة حافزة جديدة تضعها فى مصاف الأمم المحترمة العزيزة ، أما المشاكل المؤقتة فى حياة المعلم فسنفرد لها مقالا آخر إن شاء الله .

عبد الحميد فهمى مطر

عود على بدء

الفردوس المفقود

للأستاذ عبد الرحمن صدقي



[أصدر الشاعر منذ شهر وبعض شهر ديوانه الذى أسماه « من وحى المرأة » لأنه — كما قال الأستاذ العقاد — لم يكن إلا وحياً فاض به حزنه على زوجته الفقيدة ، فخرج في جملته منظوماً كأنه لا يحتاج إلى نظم ، وجاء فيه بقصائد ومقطوعات ستبقى فى عداد الشعر الخالد ، سواء منه ما نظم فى هذا الموضوع أو غير هذا الموضوع . ويبلغ الديوان نحو الألف بيت . وقد جاءتنا من الشاعر القصيدة التالية — ولم يسبق نشرها — وهى فى الموضوع نفسه ، يذكر فيها كعهده شريكة حياته ورفيقة دراساته] .

بحبىَ وحدى كان قلبُك يهتف
ولى كان منكِ الناظرُ المتشوِّف (١)

وبى دون أهل الأرض أنسُك كلُّه
كأن رحابَ الأرض دونىَ صفصف (٢)

تحورُ على الدنيا بأنك زوجتى
وما أنا قارونٌ ولا أنا يوسف (٣)

تصبّاك منى ما يُحبِّب ذا الهوى
ويَزْوِى قلوبَ الغانيات ويصدف (٤)

تصبّاك أنى ذو حديث وأنه
علومٌ وفنٌّ لا مجونٌ وزخرف

وأنك قد طالعتِ أسفار مكتبى
إذا لىَ فيها حيث وقّفتِ موقف

نظرتِ إشاراتى هناك وها هنا
تحدث عن أغوار نفسى وتكشف

لدى كلّ تعقيبٍ وكلّ إشارة
تصافح روحانا فكان التعرف

وعهدى للأنثى مدارٌ ، وللفتى
مدارٌ ، ولولا النسلُ ما كان مألف

فوافرحتا أن قد تعانق عالمى
وعالمها ، فالشمل نظمٌ مؤلف

ويا فرحتا أُطلقتُ من سجن وحدتى
فروحى مع الروح الأليف ترفرف

نحلق فى الآفاق طوراً ، وتارة
نسِفُّ إلى روض الغرام فنقطف

نضاعفُ بالكتب الحياة ، فحظنا
من الحسّ والتفكير حظٌّ مضعّف

ونعرض للعقل الفنونَ فتنجلى
وندرس بالقلب العلومَ فتلطف

نمارس هذا العيشَ بالقلب والحجى
معاً ، مثلما طابت على المزج قرقف (١)

حبيبان بين الكتب عشُّ غرامنا
نديمان فى حضن الهوى نتفلسف

نذوق كطعم الخلد أعيت صفاته
بيانى ، وطعم الخلد هيهات يوصف

فواحسرتا أن قد خلدنا هنيهةً
هى الخلد لكن من سنا البرق أخطف (٢)

ويا حسرتا أنى إلى سجن وحدتى
رجعت ، وذكرى الخلد بالقلب تعنُف

فلا القلب عن ذكرى هواكِ بمُرعو (٣)
ولا الدمع عن سُقْيا ثراك مكفكف

(١) المشوف المتطلع .
(٢) دونى أى من غيرى . الصفصف الفلاة .
(٣) يقال « قارون » و « قارونا » ، والنصب على أن « ما » عاملة عند الحجازيين ، والرفع على أنها غير عاملة عند غيرهم ، وفى البيت إشارة إلى غنى قارون وجمال يوسف
(٤) تصبى المرأة استمالها وفتنها . زوى أبعد ونحى . يصدفه يصرفه ويرده .

(١) القرقف من أسماء الخمر (٢) أخطف : أسرع
(٣) مرعو من ارعوى أى كف .

نهـــاية المطاف...

للأستاذ سيد قطب

تنشد السلوان من حب عقيم وتروم البرء من داء قديم
ها هو السلوان فانظر: أترى شارة الموت على تلك الرسوم؟

شاه فى خاطرك السكون ومات وتخلت عنك أحلى الذكريات
وبدا العمر حزيناً عاطلاً كامد السحنة يخفو السمات

قدمضى الحلم، تخفق فى العيان هل ترى إلا خواء فى الزمان؟
وتهاويل الرؤى... يا ويحها! غالها الصحو فماتت منذ كان!

نم قرير العين إن كنت تنام لفك الصمت وغشاك الظلام
يأمن الدنيا ويخلو للكرى معدم الكفين مفقود الحطام!

قد خلا الهيكل من وحى الصنم وغدا معبودك الأسنى حطم
أتطيق الآن تحيا ملحدا أم ترى تخلو لشيطان الندم؟

ضقت بالخوف ودنيا الاضطراب أترى الأمن هنا بين اليباب؟
أيها المنكوب فى أحلى المنى الحياة الحب والحب العذاب!

ضقت بالقيد! فها أنت طليق! ما يباليك إذن حادى الرقيق!
فهو يخلى فى الفيافى كل من لا يساوى ثمن القيد الوثيق!

عمرك الفارغ، كالثقل زهيد ليس فيه من طريف أو تليد
وهى الأيام تقضى مثلما تنقضى أيام مأجور شريد

أين أحلامك بالعش الجميل؟ أين آمالك فى الظل الظليل؟
قد مضى الحلم وولى موهنا فاركن الآن إلى الصحو الطويل!

نم يا منكود ما كنت تروم ومشى السلوان فى الحب القديم
نم قرير العين واهنأ بالكرى الكرى الميت فى القلب المقيم!

يا رمال الشط...

للأستاذ مصطفى عبد الرحمن

يا رمال الشط بالله أجيبى؟ أين غاب اليوم عن عينى حبيبى
يا رمال الشط ... ...

جئت والبسمة تعلو شفتيا لأرى بسمة آمالى عليك
لم أجد يا شط من يهفو إليا مثلما أقبلت لهفان إليك
غير موج يتلوى لبكائى
كلما رددت فى الشط ندائى

يا رمال الشط بالله أجيبى أين غاب اليوم عن عينى حبيبى

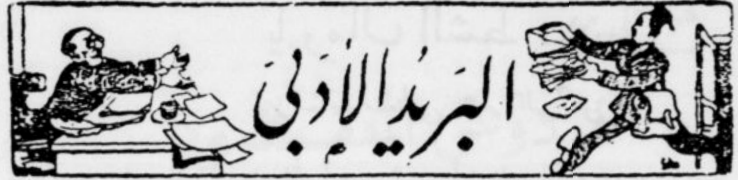
ها هنا يا رمل كان الموعد ما الذى أنساه صفو الموعد
إننى وحدى غريب مبعد هائم بالغائب المبتعد
جئت ألقاه. فلم ألق سوى
خافق يهتف من مر الجوى

يا رمال الشط بالله أجيبى أين غاب اليوم عن عينى حبيبى

أترانا نلتقى قبل الرحيل نستقى الفرحة فيما نستقى
ونرى الدنيا سنا صبح جميل ليت أنا يا ليالى نلتقى
طال شوقى وحنينى فأتيت
لم أجد أحباب قلبى فهتفت

يا رمال الشط بالله أجيبى أين غاب اليوم عن عينى حبيبى

أيها الرمل إذا مر حبيبى كالندى فى ومضة الفجر الرطيب
سله عن أمسى وأفراحى وكوبى وارو عن يومى وحدث عن نصيبى
كل من حولى يلهو ويغنى
وأنا من ذا الذى يسأل عنى
يا رمال الشط ... ...



حول ترجمة كتاب :

نقل الأستاذ محمود محمود للعربية كتاب « وسائل وغايات » لألدوس هكسلي ، وهو اختيار موفق وجهد مشكور ، فالكتاب من أجل كتب الفكر والمؤلف في طليعة مفكري هذا العصر . ولكني لا أريد هنا أن أتكلم عن الكتاب نفسه ولا عن مؤلفه ، وإنما يدعوني للكتابة أمر هام يتعلق بمبدأ من مبادئ الترجمة حقيق بالعناية والرعاية ، خصوصاً ونحن بصدد نهضة الترجمة آخذة بأسباب التعضيد والقوة والانتشار . أعني بهذا المبدأ روح الأمانة التي ينبغي أن يأخذ المترجم بها نفسه متوخيا الدقة البالغة في نقل روح المؤلف وأفكاره كي يحسن التعريف بالمؤلف وكتابه ويعطي القارئ حقه من الثقافة والاحترام . هذا مبدأ هام لا يجوز أن يغيب لحظة واحدة عن انتباه المترجمين ، فليس المترجم مطلق الحرية في التصرف فيما يترجم . حقاً هو حر فيما يختار من المؤلفين والكتب كيفما تراءى له وجه الحق والفائدة ، فإذا اختار فلا معدى له عن أداء الأمانة لأهلها وإلا صار عمله افتئاتاً وتشويهاً وعبثاً بالمؤلف والقارئ على السواء . خطر لي أن أقول هذا عندما قرأت ما كتبه الأستاذ محمود محمود في مقدمة كتابه إذ يقول : « ... وقد عرضناه على القارئ العربي مسهبين حيناً وموجزين أحياناً . وقد أوجزت بصفة خاصة في الفصول الأخيرة من الكتاب التي بحث فيها هكسلي المعتقدات والأخلاق لأنه كان فيها هداماً أكثر منه منشئاً » . فعلمت محزوناً أنه أباح لنفسه أن يوجز وأن يسهب ، وأن يوجز بصفة خاصة في الفصول الأخيرة من الكتاب لأن المؤلف — على حد قوله — كان فيها هداماً . عجبت أيما عجب وساءلت نفسي مغيظاً محنقاً إذا كان المؤلف هداما فكيف يتحايل المترجم لتقديمه للقراء منشئاً أو شيئاً بين المنشئ والهدام ؟ إذا أراد الرجل أن يعلن نفسه للعالم هداما فكيف تداري أنت صفته وتقدمه في صورة أخرى ؟ هذا كما قلت عبث ، وفيه روح استعلاء توهم المترجم بأن له حق الوصاية على القراء ، فمتى يحق لجمهور القراء — وقراء مثل هذا الكتاب من المثقفين عادة — أن يطلعوا على الحقائق كما هي ! وحتام يعاملون معاملة الأغرار ؟ !

ويزيدني أسفاً أن مؤلف الكتاب يقول في نهاية الفصل الأول « ... ولذا فقد بدا لي من الضروري أن أختم كتابي هذا الذي أقترح فيه علاجا عملياً لأمراض المجتمع ببحث في المبادئ الأساسية والمعتقدات . فالفصول الثلاثة الأخيرة قد تكون أكثر فصول الكتاب خطراً ، بل إنها من ناحية عملية بحتة قد تكون أهم ما فيه » . فترى من ذلك أن المترجم قد استباح التصرف في أخطر فصول الكتاب بحكم المؤلف نفسه ، وأن ترجمته لم تعد بمغنية عن الأصل بحال ، وأن تعبه يوشك أن يكون مجهوداً قليل الثمر .

ماذا نقول بعد ذلك ؟

كلمة واحدة . فأما ترجمة صادقة ، أو لا ترجمة على الإطلاق . ولنمحق عهد الوصاية إلى الأبد .

نجيب محفوظ

الترتيب التاريخي للزوميات المعري

كتب إلينا من بيروت الدكتور عمر فروخ رسالة مطولة حول هذا الموضوع يقول فيها :

طالعت المقالاتِ التي كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام عن لزوميات المعري وعن ترتيبها التاريخي في مجلة الرسالة الغراء ، ولقد لفت نظري أمران :

أولهما — أن الدكتور عزام قال في آخر المقال الثالث : « هذا ما بدا لي في تاريخ اللزوميات وترتيبها ، فمن بدا له ما يؤيد رأيي أو ينقضه ، فليتفضل مشكوراً بالإدلاء برأيه والإبانة عن حجته » ومعنى ذلك أنه أول من فعل ذلك

وثاني الأمرين — أنني وجدت شبهاً عظيما بل تطابقاً بين الأسس التي اتخذها الدكتور عبدالوهاب عزام لترتيب اللزوميات وبين الأسس التي كنت قد استخرجتها ثم جعلتها أساساً لكتابي « حكيم المعرة » الذي صدر في بيروت في فبراير من عام ١٩٤٤ أي منذ عام ونصف عام ، وذلك لمناسبة مرور ألف عام على ولادة أبي العلاء المعري (٣٦٣ — ١٣٦٣ هـ)

فى هـذا الـكتاب عنيت عناية بالغة بوضع أسس لترتيب اللزوميات ، إذ أننى كنت أحاول حل قضية معقدة ، هى ماينسبه بعض الـكتبة المتأدبين الذين يتعرضون لمعالجة الموضوعات الثقافية من التناقض إلى حكيم المعرة . وبعد تدبر هذه القضية بدا لى أن ذلك راجع إلى أن ترتيب اللزوميـات على حروف الروى ليس الترتيب التاريخى لها مما بسطته فى موضعه ، وليس هذا موضعه . ولقد كانت دراستى كلها مبنية على هذه الفكرة الأساسية .

ثم ذكر الدكتور فروخ طريقته فى ترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً ...

وخرج من ذلك إلى أن الدكتور عزام قد اطلع على كتابه الذى نشره منذ عام ونصف واستفاد من طريقته ونتيجته ، ثم لم يشر إلى ذلك فى بحثه ، والقارئ المنصف لايرى فى ذلك التشابه مظنة للاختلاس أو الاقتباس ، إذ ليس من البعيد أن يقع كاتبان فى موضوع واحد على نتائج متشابهة إذا كان البحث قائماً على الاستنباط والاستنتاج من نصوص واحدة . وترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً يقتضى النظر فى تتبع حوادث التاريخ وتحقيق أقوال الناظم ، فلا بد أن تتقارب النتائج ما دام النظر سليما ، والبحث قويماً ، والغاية واحدة

عمر فروخ

حول « أصداء بعيدة »

قرأت فى « الرسالة » كلة عنيفة وجهها إلىّ صديق الـكاتب الأديب الأستاذ ثروت أباظة لمناسبة صدوردوانى الجديد « أصداء بعيدة » ؛ ولست أدرى ما الذى دفع صاحبنا إلى كتابة ما كتب ولا أود أن أقول « من الذى » ، فأنا أثق فى نزاهته واستقامة فطرته الأدبية

وفى ديوانى مقال طويل عن فنى فى الهجاء وبراعتى فى ذلك الفن ، واستقامة الفكرة والتعبير بين يدىّ ، وسهولة النظم وعذوبة العبارة مما أوشك أن يذهب بشعرى كله مذهب السهل الممتنع

أتدرى — أيها القارئ الكريم — من الذى كتب ذلك التمجيد ؟ إنه ثروت أباظة بعينه ...

قال صاحبنا : إن فى الديوان إسفافاً وسقوطاً ... ثم أخذ القارئ ليضرب له مثلا ، مثلا على الإسفاف والسقوط ... فما ذا صنع ، وعلى أى شىء وقع ؟ وقع على الأبيات الآتية ، وهى من قصيدة فى الهجرة المحمدية :

فتح القفر روحه للصديقيـــن فأمسى باديه كالبستان
أيمـا ذرة من الرمل غنت ولـكادت تهم بالطيران
حدثت أختها وفيها دبيب وهى نشوى بمقدم نشوان

وأول ما ألاحظه عليـه أنه روى البيت الأخير خطأ فقال « بمقدم النسوان » ، ولعل له غرضاً فى إيراده على تلك الصورة !

وثانياً : رواها وصمت ... فلم يبين لنا مواضع الإسفاف الذى ادعاه ، وإنى أشكره أن هيأ لى فرصة بيان معنى هذه الأبيات :

أقول : إن القفر الجديب تلقى الصـديقين المهاجرين تلقى الشوق ، ففتح لهما روحه ، ونسمت عليهما منه نسمات لا تهب إلا من أعطر الرياض وأندى البساتين ، فهما إذن فى بستان معطار وليسا فى بطائح ولا قفار ... والرمل ... إنه ابتهج بهذا القدم السعيد ، حتى لـكأن ذرات الرمال أمست تغنى فرحاً بالضيفين المعظيمين ، واستولى على تلك الذرات شـعور الفرح والغبطة ، فكادت تطير ! !

وتحدث الرمل ، معجباً . مزهواً . بأن يكون موطئ قدم ذلك النبى العبقرى وصاحبه ، وأخذته نشوة بذلك القدم النشوان!

أفهمت يا صاحبى ثروت ما وراء هذه الأبيات من معنى ضخم وخيال واسع ؟ !

وينصحنى أخيراً بالتروى ليبرر ما كتب ، ولعله لا يعلم أننى معجب غاية الإعجاب بموهبتى فى سرعة النظم ، وقد نص معالى والده الشاعر دسوق باشا على إعجابه بهذه الموهبة فى المقدمة القيمة التى كتبها لهذا الديوان عنى كما شاركه هذا الإعجاب معالى الدكتور هيكل باشا ، الذى تفضل فسطر هـذا الإعجاب فى تقديم لفنى وشاعريتى إلى جمهور القارئين بالعربية فى مصر وفى غير مصر كما يقول معاليه

هذه كلة هادئة أرجو أن تنال من ضميره النزيه قبولا

(مصيف ابى قير) **العوضى الوكيل**

القصص

قصة مصرية

راهبـــة بلا دير

للأستاذ إدوار حنا سعد

كان ظهور حمدى فجأة فى أفق حيــاة سنية إعصاراً مدمراً قلب كل شيء وجعلها تضيق بحياتها وتسأل نفسها فيمَ إصرارها على العزوبة وفيمَ تحاشيها للرجال . وأخذت تستعرض صور حياتها التى تجردت من كل ما يبعث فى النفس البهجة ، وأطياف ماض كان حافلاً بالأسى والحزن .

إنها عندما وُلدت ووطأت قدماها الصغيرتان شاطىء الحياة أقلعت سفينة المــوت تحمل أمها بين الراحلين ، والذين حضروا ساعة الميلاد ورأوا أضواء الحياة ترقص فى عينى الطفلة البريئة وظلال المــوت تجثم على وجنتى الأم الشهيدة ، أحسوا فى بكاء الطفلة رثاء لأمها وندباً لحظ وضع عليه اليتم ميسمه .

غير أن السماء لم تكن قد أرادت بسنية يتماً كاملا ، فقد أبقت لها أباها العطوف وجعلت من شقيقتها الكبرى (إنعام) ملاكا حارساً يملأ بنور الحنان لياليها ويجمل بزهر العطف أيامها وينسيها ما استطاع مرارة اليتم وشقوة الحرمان . وكانت إنعــام تحس — وهى ترعى شقيقتها الطفلة — زهو الأمومة المبكرة وسعادة الوفاء بالجميل نحو أمهما التى كانت دنيــا من الشباب والحسن والعطف فلم يبق منها إلا صورة معلقة على جدار ، وقبر نائى المزار، وذكرى ما تزال تغدو فى خيالها وتروح .

وتوالت مواكب الأيام ومرت على البيت الصــغير وسنية سادرة فى غى الطفولة وإنعام حالمة أحــلام الشباب ، وأبوهما منصرف إلى عمله الذى يستغرق سحابة أيامه وصدر لياليه .

وأخذت الطفلة تنمو وتترعرع وبدأت الغشاوة تنجاب عن عينيها وعرفت أن إنعام ليست أمها بل شقيقة وافرة الحنو . على أن ذلك لم يقلل من حبها البنوى لهــا ، بل لعله زاد عنفاً واتسع أفقاً ، وأصبح نوعاً من العبادة الصامتة وعرفان بالجميل وأخذ يطغى عليها الشعور بالرغبة فى خدمتها وتوفير الراحة لها .

***

إن سنية الآن عذراء وافرة الأنوثة قد لمس الحب قلبها لأول مرة ، وإنها لتستعرض حياتها الجرداء التى ولت هباء لم يورق فيها الحب من قبل ، وتذكر أنها كانت فى الثانية عشرة من عمرها حين تقلدت الدار عقود الزهر ورفرفت عليها الأعلام وتوافد الناس وعزفت الموسيقى معلنة أن حياة إنعام قد ارتبطت بحياة رجل كان غريباً فأضحى أقرب إليها من كل قريب . ثم هى تذكر أنها كانت فى الثالثة عشرة من عمرها حين اتشحت الدار بالسواد وتوافد الناس وتعالت الأصوات بالندب والبكاء معلنة أن الأب الحزين قد لحق بالزوجة الراحلة .

ومنذ ذلك الحين أقامت سنية بصورة مستمرة فى بيت إنعام وأخذت عيناها تتفتحان على أمور كثيرة غريبة . رأت سامى زوج أختها قد أشهر الحرب على زوجه وساقه إلى ذلك طمعه فى الميراث الضخم الذى خلفه أبوها وأطمعه فيها ضعفها وقلة حيلتها وانفرادها ، فما كان لها من الأقارب إلا عم يقيم فى السودان . وكانت إنعام مضطرة إلى مداراته وإعطائه ما يطلب ، وأسرف فى شرب الخمر وساءت أخلاقه وزاد طلبه للمال ، والمال كماء البحر كلما شرب منه الإنسان زاد عطشه وكانت الزوجة البائسة تسرف فى البكاء والتفكير إسرافها فى منحه المال ، وكانت تشحب وتزداد نحولاً بالرغم من تأكيد الطبيب بأن ضعفها يضر بالجنين الذى كان يتحرك فى أحشائها .

وعلى صدر سنية كانت تنهدات إنعام تترامى فى يأس مرير فتجد لها فى ذلك الصدر الشفوق صدى وبلسما ؛ ولطالما مرَّ الليل أوائله وأواخره على الشقيقتين كبراهما تقول بشجوها وتبكى، والصغرى تحاول أن تمسح بيد العزاء أحزاناً قاسية حتى إذا أجهدها ذلك فيئست أخذت تبكى فعانقتها أختها وتعانق الدمع فوق خدود لم تخلق للدموع .

وكانت إنعام تزداد نحولا ، وسنية تزداد بغضا لسامى وللرجال على وجه العموم، وساعد على ذلك أنها لم تكن قد خبرت من الرجال إلا أباها ، وكان على حنانه كثير الانصراف إلى عمله ، وإلا هذا الرجل النذل الذى استغل ضعف امرأتين فأقبــل يسرقهما كلما طاب له أن يسرق ، وساء ظنها فى الرجال ، ولم تكن هى اللومة على أية حال .

وتتابعت أمواج الذكريات على خيال سنية وهى ساهدة تفكر وتذكرت كيف أبى القدر إلا أن يكرر المأساة فى هـذه الأسرة للمرة الثانية فى تاريخها القصير ، فعندما أنجبت إنعام ضيفاً جديداً فى ذلك المنزل ، غادرته هى على الأعناق ، وكان هذا المولود فتاة هى عدالات .

***

تولى الأستاذ عبد المجيد القلينى المحامى الكهل الشهير ، شؤون الوكالة عن سنية وإدارة أملاكها ، وكان رجلا أميناً ، وزاد من عطفه عليها عرفانه بحالتها وصداقته القديمة الوطيدة لوالدها . وتفرغت هى إلى تربية عدالات والقيام بذلك الواجب المقدس نحو أختها والوفاء بذلك الدين القديم .

إن التاريخ قد أعاد نفسه سريعاً والحنان الذى شربته سنية من يدى إنعام قد عادت تسقيه إلى ابنة إنعام ، وأضحت لها هذه الطفلة الجميلة بمثابة الكأس والخمر والحلم والنـور الذى أفلت من يد الحزن وكف القدر لـكى تعيش على ضوئه ذكريات تلك الشقيقة الراحلة .

وكأن الطفلة كانت قد سرقت من أمها وهى تموت كل جمالها : شعرها الكستنائى وعينيها المعسولتين ، وذكاءها الوقاد وروحها الخفيفة ونظراتها الحالمة ، وغدت سنية تشرب هذا الحسن فى كأس القبل وتخال أنها تقبل الإبنة والأم معاً .

والشقة التى كانت تسكنها فى أحد البيوت التى تملكها ، قد غدت صومعة أقامتها لتتعبد فيها ذكريات إنعام ولتحرق لابنتها حياتها بخوراً وتقضى العمر فى هذه العبادة .

والبسمة البريئة على ثغر عدالات والنظرة الشاكرة فى عينيها واللثغة الساحرة فى شفتيها كانت العزاء الوحيد للحسناء الزاهدة فى متع الحياة .

وكان الأستاذ عبد المجيد المحامى الذى يحضر ليعطيها نصيبها من إيراد الأملاك ، وسامى زوج أختها الذى نسى زوجه وتزوج من أخرى والذى يحضر ليرى ابنته حيناً ولـكى يقترض منها النقود أحياناً ولم يفكر فى رد ما اقترض ولن يفكر فى ذلك على التحقيق . هذان كانا الرجلين الوحيدين اللذين تطأ أقدامهما هذه الصومعة .

وظل نهر الأيام يجرى وعلى صفحته تسبح سنية وعدالات ، وكانت الأخيرة تتفتح كالزهرة وتنمو كالغصن النضير وسنية تظللها وتحنو عليها كالسرحة الزكية وتتعجل الأيام كى تراها عروساً ذات بعل وأماً لأولاد .

وحين بلغت عدالات السادسة عشرة ، وانقطعت عن الدراسة أضحت الثياب الأنيقة والعطور الغالية من نصيبها ، ولطالما تمنت على خالتها أن تشاركها استعمال العطور أو أن تجاريها فى أناقة الملبس فكانت تبتسم لها وتقول : « لقد كبرت يابنيتى العزيزة » فتضحك عدالات وتقول : « حقاً ، لقد نسيت إنك هرمت وبلغت الثلاثين » .

***

كان بين سكان « العمارة » التى تسكنها سنية مهندس أعزب يدعى حمدى ، يقيم مع أمه العجوز وخادم ، ولم تكن سنية قد رأته لأنها كانت قليلة الفضول قليلة الزيارة لجيرانها .

وذات مساء سمع رنين الجرس فى مسكن سنية وفتحت الخادم الباب فوجدت حمدى أمامها يطلب مقابلة « الهانم » باعتبارها المالكة ليشكو إليها سوء أدب البواب فى معاملة والدته المريضة ، وترددت سنية هل تسمح له بالدخول أم لا ؟ ووجدت من الأذوق أن تستقبله فإنه جارها وهو فيما تعلم رضى الخلق .

ووطأت قدما هذا الرجل الغريب بيت الأنثى الزاهدة ورأت سنية أمامها شاباً طويل القامة قوى الجسم فتان الطلعة جرىء النظرات يناهز الخامسة والثلاثين ويبدو عليه عدم الاكتراث بشىء ما . ومدت يدها تصافحه فضغطها فى كفه الغليظة كأنما يصافح رجلا ، وجلس قبل أن تسأله أن يجلس وخلع طربوشه ووضعه على مقعد بجانبه فتهدلت خصلة من شعره الفاحم السبط فوق جبينه الأسمر العريض ، ووضع ساقاً فوق أخرى وأشعل سيجارة ونفث دخانها عقداً فى الهواء وبدأ يتكلم ، وأخذت سنية تصغى لـكلماته ثم تعلقت نظراتها بشفتيه الممتلئتين الحمراوين تلتقيان وتنفرجان وهو يتكلم ولم تعد تنصت إلى الألفاظ أو تفهمها ولـكنها غرقت فى بحار من التيه عميقة وكانت ألفاظه تنساب كأصابع رفيقة تمزق عن ذاكرتها ستار الإهمال والـكبت وتعرض عليها أحلام الشباب وتعيد إليها الشعور بتفاهة حياتها وحاجتها إلى الحياة الحافلة المليئة بحنان امرأة وعطف رجل .

وشعرت بالخجل واحمر خداها وخشيت أن يكون قد اطلع على مجرى أفكارها ولـكنه كان ما يزال يتكلم وينفث الدخان من أنفه الجميل وفمه الممتلىء بعد أن يكون قد ملأ به صدره العريض وأحست أنها رأته قبل ذلك ، من سنين عديدة بل من أجيال عديدة ، إن صوته ليس غريباً عنها ، وهذه الملامح طالما رسمتها يد

أمثل على لوح خيالها . وعادت تنظر إلى شفتيه تنفرجان وتلتقيان وخيل إليها أنهما فى كل انفراجة والتقاء إنما تتهيآن لقبلة أو تفرغان من قبلة . وكبحت جراح نفسها وأنصتت إلى كلامه وسمعته يسألها هل يرضيها ما فعله البواب ، ولم تكن قد فهمت شيئاً مما قال ، ولكنها وعدته بأنها ستنزل به العقاب ؛ ونهض قائماً وهو يعتذر من إزعاجه إياها ، ولكنها أكدت له العكس ورجته أن يبلغ تحياتها وأسفها وتمنياتها إلى والدته . فى تلك الليلة لم تنم ، بل عادت بذاكرتها إلى حياتها كلها الفارغة من المتع وظلت تستعيد منظر الشفتين الممتلئتين والعينين اللامعتين الواثقتى النظرة . إن عينيه تلقيان بذور الهناءة فى حقل عمرها الأجرد ، وشفتيه ترسمان بحركتهما السريعة خطوط حياة راقصة سعيدة تتمناها . لماذا ولدت ولماذا تعيش ؟ لقد طالما حيرها هذا السؤال فكانت تجيب بأنها تعيش لعدالات . أما الآن فقد اهتدت إلى الجواب الصحيح . لقد قرأته فى عينيه وسمعته فى رنين ألفاظه ، إنها خلقت له وإن حياتها وجدت لكى ترتبط بحياته .

واندفعت إلى خاطرها صور كثيرة ، إن نظراته إليها كانت أكثر من مجرد نظرات ، كان فيها توسل وأمر، وطاعة وعصيان، ومنى وأمل، وفيها دليل هوى ونجوى غرام . وسألت نفسها هل يتزوجها ، وضغطت قلبها أصابع الفرح حين طاف به هذا السؤال وأجابتها نفسها : ولم لا ؟ لعله لم يحضر إلا ليراك . وقد اتخذ من قصة البواب ذريعة لذلك . تذكرى نظراته وابتسامته وضغطه يده على يدك وعادت تتساءل « وهل أرضى به » فأجابتها نفسها « نعم ، أتظلين عانساً طول العمر ؟ أم هل تظنين أن كل الرجال أدنياء كسامى زوج إنعام . أما تتوقين إلى رؤية أطفال لك يملأون بيتك بهجة . « ولكن أهذا هو الحب من أول نظرة » فوجمت نفسها قليلا وأجابت « نعم . بل كلا . هذا ليس حبا . إنه اللهفة التى تغمر الظمآن إذا أشرف على النبع الفرات ، والنشوة التى تغمر قلب الضارب فى الصحراء إذا اهتدى إلى الواحة ، والراحة التى تفيض على الساهد إذا أوشك الكرى أن يغمض جفنيه . « وعدالات ما يكون شعورها إذا تزوجت ؟ » وللمرة الأولى تغيرت نظرتها إلى عدالات . لماذا تحطم هى حياتها لكى تسعد عدالات ؟ إن إنعام لم تظل عانساً وهى تربيها ، فلماذا تبقى هى عانساً من أجل ابنة إنعام ؟ يكفى عدالات مارأت من حنان ، ويكفيها أنها ستظل لها كما كانت دائما ولكنها لن تحرم نفسها ليشبع الآخرون ، ولن تكون الشمعة التى تحترق وعلى نورها تنصب العناكب شباكها وفى نارها تموت الفراشات الراقصة . وأغمضت عينيها ونامت ورأت نفسها فى المنام تزف إلى حمدى .

* * *

وتكررت زيارات حمدى تصحبه والدته ، فنجلس الجميع ومعهم عدالات يسمرون ويتحدثون . وأخذت سنية تبالغ فى التأنق وامتلأت ثقة بنفسها فتوردت وجنتاها وزادنشاطها والتماع عينيها الجميلتين وطفقت تلقى على حمدى نظراتها الحنون وتوسد نظراته إليها أجفاناً ذابلة يقظة . وكأنت تتلقى ضغطة يده على كفها كأنها تأكيد لعهدهما وميثاق أبدى .

وفى ذات أصيل جاءت أم حمدى بمفردها وحيت وقالت : إن حمدى يسره أن يصاهر أسرتها الكريمة . فتوردت وجنتا سنية وخفق قلبها وكادت تثب من الفرحة الكبرى التى غمرت كيانها وواصلت أم حمدى الحديث قائلة «وهو لذلك يطلب يد عدالات» .

ووجمت سنية وأصابها تبلد غريب ، ولأول مرة أحست أن عدالات الطفلة الشادرة قد أصبحت مزاحمة خطيرة . وعجبت من نفسها كيف قابلت النبأ بهدوء ، وكيف ودعت الضيفة فى ثبات ووعدتها وعداً جميلا بعد أن تخاطب أبا عدالات فى الأمر . وعادت إلى غرفتها وسبحت فى يأس مرير . إنها تمنت أن تعيش بين يديه فكيف فر منها إلى طفلتها الصغيرة ؟ أتكون عدالات زوجة أفضل منها وهى الفتاة الطائشة الرعناء وكبحت جماح غيرتها العنيفة أن شقيقتها إنعام قد أطلت من وراء الغيب تسألها الرفق بابنتها وتنهدت سنية وملأ رأسها عزم جديد .

« لقد تمنيت أن أرى أولاده منى ، وقد استجاب الله نصف الأمنية . إن أبناءه من عدالات سيكونون أبنائى ، وسأشرف على تربيتهم كما أشرفت على تربية أمهم »

« ما الذى تغير فى حياتى ؟ سأعيش بقربه ، وسأراه دائماً ، وسأحنو عليه حنوى على عدالات . إن الحجر الصغير الذى ألقى فى نهر حياتى الهادى، قد انداحت له الدوائر ، ولكن سطحه سرعان ما عاد إلى هدوئه وسيظل يجرى فى الصحراء التى قدر له أن يجرى فيها حتى المصب » . « لقد عشت شبابى زاهدة ، وكثيرات غيرى قد فررن من مثل هذا الألم إلى الدير، فلِمَ لا أصبح راهبة بلا دير ؟ »

(إسكندرية) **إدوار حنا سعد**

محكمة ميت غمر الأهلية

إعلان بيع . نشرة ثانية فى القضية المدنية ن ١١٢٧ سنة ١٩٤٥

فى يوم الاثنين ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى بسراى محكمة ميت غمر الأهلية سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه ملك إبراهيم السباعى عباس من بشلا مركز ميت غمر دقهلية وفاء لمبلغ ٢٠ و ٧٦٤٠ قرشاً صاغ وما يستجد من المصاريف بثمن أساسى قدره ٢٠ جنيه مصرى بخلاف ما يستجد من المصاريف وقدرها ٦ ج و ٢٠٠ مليم

وهذا البيع بناء على طلب الشيخ إسماعيل محمد وحسن من بشلا مركز ميت غمر ونفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٣ ابريل سنة ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة المنصورة المكلية الأهلية بتاريخ ١٨ ـ ٤ ـ ١٩٤٥ ن ١٨٥ جزء ٨٤ . وهذا بيان العقار الكائن بزمام بشلا مركز ميت غمر ٤٠ دار السياحة ش ٣ ص ١٧٤ على الشيوع فى منزل مسطحة ٨٩ متر مربع بزمام بشلا مركز ميت غمر يحد من بحرى محمود سعيد سليمان وشرق أحمد لطف الله وقبلى شارع خصوصى وغربى شارع وفيه الباب ٤٠ متر فقط أربعون متراً لاغير على الشيوع فى المنزل السالف الذكر

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه وشروط البيع وجميع الأوراق مودعة بملف القضية لمن يريد الإطلاع

كاتب البيوع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣٢ — الاثنين ١٣ أغسطس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١٣ • ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 632

Lundi - 13 - 8 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٥ رمضان سنة ١٣٦٤ — ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

روســـيا والشرق
في السياسة الدولية

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

إن لآسية شأناً عظيما في حياة أوربة التي تنتفع بثروات هذه القارة وتعرف قيمتها؛ ولذا كثرت مسائل الشرق الأدنى والشرق الأوسط وتشابكت، وأصبح فهمها على حقائقها وإدراك أخطارها يوجبان النظر في أصلها القديم وفي ما يؤثر فيها من عوامل لمنافع الدول المستعمرة المختلفة ومصالحها ومطامعها وتنافسها، وفي تعارض مسامي هذه الدول أو توافقها في مواقف السياسة الدولية تبعاً للأحوال والضرورات

فما يقع في هذين الشرقين من الحوادث السياسية ليس يتبين على حقيقته كلها للنظر السطحي في صورته الظاهرة المزخرفة بألوان من الدعايات ومن وحي الأغراض أو الأهواء أو المحازبات أو المسايرات. ولا بد لمعرفة الحقيقة المنشودة من تأمل هذه الحوادث في ضوء ينشره عليها البحث في الدوافع الطبيعية وفي تنافس المستعمرين ومصالحهم الأساسية

يزحف الأسيويون إلى الغرب والغربيون إلى الشرق من القدم. ولهذا التزاحف أسباب طبيعية وفطرية، ودواع من مصالح أساسية حيوية وراء العلل الظاهرة والحجج السياسية.

ومن هذه الأسباب والدواعي والعلل نشأ ما سموه مسألة الشرق. ويمكن رد نشأتها إلى العصر العهيد الذي وقعت فيه حرب طروادة، وقد اختلفت أوضاعها في مجرى التاريخ، وهي من أجل مسائل السياسة الدولية شأناً منذ فتح العثمانيون قسطنطينية عام ١٤٥٣. وكان موضوع المسألة في ذلك العهد دفع العثمانيين عن أرض أوربة إلى آسية، فلما بدأ ضعف امبراطوريتهم صار موضوع المسألة: لمن يكون إرث استنبول العظيم؟

أهمت مسألة الشرق في أول الأمر دول النمسا وروسيا والفاتكان، ثم أخذت من صدر القرن التاسع عشر تهم فرنسا وانجلترا رأساً، فقد قوي موقف النمسا أمام العثمانيين في الثلث الأول من القرن الثامن عشر، ونالت منهم روسيا في ذلك القرن منافع كبيرات، فصار موضوع المسألة: هل تحفظ أوربة كيان الدولة العثمانية أو تتركها للتهديم؟ لأن التهديم معناه الانتهاب وطغيان المنتهب وسيادته، أو خطر الاختلاف في الاقتسام. وقد عظم شأن هذا الأساس من المسألة بالتضاد الدائم بين الترك والعناصر المسيحية البلقانية التي كانت خاضعة لحكمهم ثم حررت تباعاً، وبالنزعة الروسية إلى الاستيلاء على استنبول

فمن المأثور عند الروس ما يجمل لهم هذه النزعة المزمنة إلى الاستيلاء على استنبول، وأقدم حججهم في ذلك أن بوزنطة آلت إليهم بالإرث، وأن روسيا الأرثوذكسية هي حامية الأرثوذكس: لأن إفان الثالث غراندوق روسيا [1] تزوج عام ١٤٧٢ الأميرة

(١) أما لقب قيصر، فان أول من اتخذه في روسيا إفان الرابع

ـوف بليلوج ابنة أخى قسطنطين آخر أباطرة قسطنطينية العاصمة الأرثوذكسية ؛ ولما تزوج إفان هذه الأميرة ادَّعى للساعة أنه وارث هؤلاء الأباطرة ، واتخذ النسر ذا الرأسين شعاراً له ، وأعلن أنه سينتقم من الترك للأرثوذكسية ، وبهذه الصورة بدت مسألة الشرق المشهورة فى صدر التاريخ الحديث . والحقيقة أن استنبول فى موقعها الجميل وصلة كبيرة الشأن بين أوربة وآسية ، وإن من أكبر مصالح روسيا الوصول إلى البحر المتوسط ، لأن منافذها الشمالية إلى البحار تجمُد ثمانية أشهر فى العام . ولكن الدول الغربية ، وخصوصاً انجلترا حالت دون وصول الروس إلى استنبول والبحر المتوسط . والسبب هو أن زحف دولة كروسيا فى البلقان وامتلاكها مفتاح هذا البحر يردّانها دولة بحرية ويزيدان شوكتها وسيادتها ، وقد تتوغل بعد ذلك فى الأنضول ووادى الفرات . وتصل إلى الخليج الفارسى ، وفى هذا كله خطر على الهند وشرق البحر المتوسط ، وطرق الامبراطورية البريطانية

وقد طرحت مسألة الشرق مراراً من أوائل القرن السابق ، وخفف من خطرها تقرير الدول مبدأ حفظ كيان الامبراطورية العثمانية وقيام دويلات البلقان حواجز بين النمسا وروسيا وتركيا . لكن المسألة لم يزل خطرها ، بل ظل كامناً يبدو بين حين وحين

ولما هزمت الدولة العثمانية فى الحرب الكبيرة الماضية ، واحتلت انجلترا مع حلفائها استنبول انعكس وضع المسألة : إذ لم يبق الغرض إخراج الترك من أوربة ، بل عاد إبقاؤهم فيها لصيانة حرية المضايق تحت حكمهم — مع بعض الضمان منهم — ومنعاً لدولة عظيمة أن تتسلط ، مباشرة أو بوساطة ، على العالم بأسره

من ذلك الماضى تسلسلت مسألتا عراقية وأرمينية ، ومسائل سورية وغيرها من بلاد الشرقين الأدنى والأوسط

وحقيق بالذكر هنا أن مسألة الشرق جاوزت حدود أوضاعها المتقدم بيانها ، إذ « كانت منذ انتهاء القرن الثامن عشر كأنها مسألة اقتسام الدول الأوربية لآسية واستعمار هذه القارة ؛ فصارت بعد قهر اليابان لروسيا عام ١٩٠٥ مسألة ثورة آسية على سادتها الأوربيين . فلم يكن الشأن هزم اليابانيين للروسيين ، أو كسر دولة لدولة ، بل كان شيئاً عظيما غريباً هو انتصار عالم على عالم آخر ، وثأرا بالإذلال الذى أريدت آسية أجيالا مديدة على احتماله ، وأول أمل الشعوب الشرقية » . وقد أفاضت الصحف اليابانية يومئذ كلامها فى هذا المعنى حتى قالت إحداها : « كان المسلم به حتى الأمس القريب أن مسألة الشرق يجب ألا يحلها سوى الأوربيين أو الأمريكيين ، ونحن نعرف من الآن فصاعداً أن اليابان تحلها والأوربيون والأمريكيون ملازمون المقام الثانى »

ذهبت الدول فى الاستعمار إلى البلاد النائية . أما روسيا ، فإن محلها الجغرافى جعلها تستعمر ما يجاورها متدرجة من بلاد جار إلى بلاد جارة ، متجهة بحسب تقاليدها إلى الشرق الأسيوى وإلى الجنوب ، ولم يعترض هذا التوسع عائق ذو شأن جدى حتى أوائل القرن التاسع عشر

كان الذى يهم امبراطورية القياصرة ، قبل كل شىء ، هو الزحف التقليدى إلى قسطنطينية ، وكان يبدو أن انتصاراتها على العثمانيين تضمن لها الفوز فى نهاية الأمر بتركة الرجل المريض[1] ، فظنت روسيا بعيد منتصف القرن الماضى أن الفرصة سانحة وأثارت حرب القرم ، لكن انجلترا وفرنسا اعترضتا لها ، فتقهقرت وانقطع عليها أحد سبيليها القديمين

ذلك سبب الجهود المتواصلة التى بذلتها روسيا فى دعم سيادتها نهائياً على آسية الوسطى القريبة من الهند ، لتحتفز وتتوثب على عدوتها انجلترا ، وفى توطيد سلطانها على القوقاز القريب من آسية التركية ليقصر طريق غزوها . ولما خابت الجامعة الصقلبية فى البلقان اتجه الاستعمار الروسى إلى إيجاد جامعة أسيوية ليعتز بوحدة من القوميات ، ثم ترددت روسيا بين أن تفتح نوافذها فتحاً تاماً على أوربة وأن تتوغل فى آسية ، وعالجت أن تقوم بالأمرين ، فصادفت فى زحفها إلى الشرق الأقصى خصما جديداً هو اليابان ، على حين أخذت المنافسة الإنجليزية الروسية فى الهدوء ، حتى سكنت بعد انتصار اليابان على الروس ، فجاءت معاهدة عام ١٩٠٧ التى قسمت إيران ثلاث مناطق : واحدة شمالية للنفوذ الروسى ، وأخرى جنوبية للنفوذ الإنجليزى ، والثالثة حيادية فاصلة بينهما ، والنفط فى كل منهما ، وكان ذلك تأميناً لحدود الهند واستعداداً لمواجهة الألمان قبل الحرب الكبيرة الماضية التى جاء بنذرها منطق الحوادث الدولية ، ثم دخلت روسيا تلك الحرب إلى جانب الحلفاء لقمع الجرمان

وقد ورد فى مذكرات السير بكنان سفير انجلترا فى روسيا يومئذ أن الملك جورج الخامس قال فى ١٢ نوفبر عام ١٩١٤

(١) الرجل المريض استعارة عنى بها اسكندر الثانى الدولة العثمانية مستضعفة

للكونت بركندورف السفير الروسي : « يجب أن تكون استنبول لكم » Constantinople must be yours ، وإنه على وفاق مع وزرائه في ذلك

وهذه كلمة توافق حلم الروس الدائم ، وتشجعهم وتقوى ثقتهم بحلفائهم ، وكان الإنجليز قد عزموا على اقتسام الامبراطورية العثمانية والحصول منها على نصيب الأسد بسبب انضمامها إلى الألمان في الحرب ونفوذ هؤلاء فيها ونيتهم في بلاد الرافدين التي تغنيهم إن هم استعمروها وتدنيهم من الخليج الفارسي والهند ، فوافق الإنجليز على تحقيق أمنية الروس ، وشرطوا لذلك إنشاء دولة عربية إسلامية كبيرة ، أو جامعة دول عربية إسلامية يقيمونها في الشرق الأدنى صيانة بمعاونتهم للطرق إلى الهند وسداً ، في زعمهم ، أمام الترك على حين يعترض الروس باستنبول في طريق زحف الألمان إلى الشرق العربي ، بل سداً أمام الروس أنفسهم في حقيقة الأمر ، لأن ذلك الاقتسام يحصر الترك في منطقة على البحر الأسود تحدق بها أنصبة المقتسمين

لكن حدث في فبراير عام ١٩١٥ أن تردد في لندن وباريس كلام في صلح منفصل مع تركيا ، وقيل في الدوائر الميالة للجرمان في بتروجراد بشأن مشروع حملة الدردنيل أن الغرض منها إنما هو التفادي من وقوع المضايق في قبضة روسيا ، فرابها ذلك كله ، وزاد ارتيابها أن فنزيلوس عرض على انجلترا وفرنسا استعداد اليونان للمعاونة في الحملة ، فأخبر سزانوف وزير خارجية روسيا السير بكنان بأنها تعارض في قبول العون اليوناني ، وأبلغ الملك قسطنطين أن روسيا لا تسمح في أية حال بدخوله استنبول على رأس جيشه ، وعرفت ألمانيا هذه الأمور فعرضت على روسيا صلحاً منفصلا مقابل إعطائها استنبول والمضايق — كأن هذه المنطقة الحيوية ليست ملك الدولة العثمانية المحاربة في جانب الألمان .

أصبح الحلف الثلاثي حينئذ في خطر حقيقي حتى أن الأمير تروبتسكي قال لسزانوف : « يجب أن نملك المضايق ، فإذا أمكن أن نحصل عليها مع انجلترا وفرنسا ضد ألمانيا ، فهذا حسن ، وإلا كان الأجدر أن نقبلها من ألمانيا ضدهما » ؛ ولذا طلبت روسيا إتمام الاتفاق مع حليفتيها على اقتسام الامبراطورية العثمانية طبقاً للأسس التي كانوا ارتضوها باتفاقات ومذكرات دبلوماسية متبادلة بينهم ؛ وأكدت أن كل حل للمسائل المتعلقة بالاقتسام سيكون مزعزعاً إن لم يدخل في نصيب روسيا : استنبول وضفة البسفور الأوربية وبحر مرمرة والدردنيل وتراقيا الجنوبية إلى خط يمتد في شمالها بين إينوس وميديا ؛ وكذلك جزء من الضفة الأسيوية بين البسفور ونهر سقاريا وموقع يُعيَّن بعد خارج الدردنيل ؛ ثم جزر بحر مرمرة وجزيرتا إمبروس وتينِدوس ، إذ لا غناء لروسيا في زعمها عن هذا كله من الجهة الاستراتيجية

قبل كل من انجلترا وفرنسا إتمام الاتفاق ورفضتا العون اليوناني في حملة الدردنيل التي أخفقت في النهاية

ثم سلّم كل من الدولتين ، بعد المفاوضة ، بسائر طلبات روسيا أمام خطر التطور في الرأي الروسي بسبب خيبة الأمل في بتروجراد لإخفاق جميع المحاولات الإنجليزية الفرنسية في الدردنيل .

وقد أظهر الروس غيظهم من توقع الجلاء عن شبه جزيرة غاليبولي ، وسمع في بعض البيئات الروسية تلميح إلى أن الجيوش المسكوفية سوف لا تُجلى بعد الحرب عن الأراضي التي كانت تتأهب يومئذ لغزوها في أرمينية وجهة الموصل ، وهي من بلاد البترول

ومما شرطته روسيا في اتفاقاتها مع حليفتيها أن تضم مناطق ارضروم وفان وبتليس ، حتى أردو على شاطئ البحر الأسود غربي طرابزون ؛ وتضم قسما من أرمينية وقسما من كردستان .

هذا ، وفي ٨ مارس عام ١٩١٤ صرح نقولا الثاني وسزانوف لموريس بُجبار سفير فرنسا بأن روسيا تترك لها حرية التصرف في سورية وقيلقية ؛ ولكنها لا تترك أبداً لدولة غير أرثوذكسية أن تجعل تحت حمايتها القدس والجليل والأردن وبحيرة طبرية

وقد تم اقتسام الامبراطورية العثمانية بين الحلفاء في ثلاثة أعوام هي ١٩١٥و١٦و١٧ ، ولم يتركوا لتركيا غير أرض شكلها شبه منحرف رؤوس زواياه أردو على البحر وسيواس وافيون قره حصار وبرصة ، ومنه قوس تمتد حول ركن البسفور ، ولولا الثورة الروسية ، ثم الثورة الكمالية ، لنفذت الاتفاقات التي تضمنت هذا الاقتسام . ولقد أسفت انجلترا لتركها استنبول لروسيا ساعة الخطر ، لكن حكومة الثورة الروسية أرضت انجلترا إذ وعدتها بالعدول عن طلب استنبول

***

بعد الثورة الروسية أصبحت السلطة كلها في يد حزب واحد يتولاها لنفعه ، وكانت من قبل بيد طبقة تباشرها في سبيل مصلحتها . أما الحرية ، فلم تكسب شيئاً ولم تخسر شيئاً في روسيا بانتقالها من القيصرية إلى الشيوعية ، وقد اتجهت سياسة التوسع

الروسية إلى البحث عن الأربح للاتحاد السفيتي من الأسواق فى ادّخار المواد الأولية وترويج مصنوعات بلاده

بحث الاتحاد عن هذه الأسواق فى آسية وفى أوربة ، فجرّه ذلك إلى إخفاء دعايته السياسية الشيوعية ، وإلى الوقوف فى العلاقات الدولية موقف دولة كالدول الأخر قدرة على تدبير شؤونها تدبيراً برجوازياً . ولقد أهمل الشيوعيون عدداً من مثلهم العليا التى أحدثوا ثورتهم باسمها ، ومن أعلى ما أهملوا المبدأ المسالم المضاد للنظم العسكرية والمبدأ المحبذ لاشتراكية دولية على حساب الوطنية . وروسيا اليوم أكثر الدول اعتماداً فى نظامها السياسى على الجيش ، وحكامها الشيوعيون محتفظون بما كان للقياصرة من أقوى روح وطنى فى العالم

ومن أقوى أسباب التطور السفيتي خيفة الحرب مع ألمانيا واليابان التى انتهزت فرصة ضعف روسيا العسكرى بعد ثورتها وقبل استعدادها ، فغزت منشوريا شيئاً فشيئاً ، وهذه داخلة كالوتد بين ثغر فلادفستوك وشرق منطقة بايكال ، ثم أعلنت اليابان استقلال منشوكو وأرغمت موسكو على الاعتراف به ، وهدد تقدم اليابان منغوليا التى يحميها السوفيت ، حتى توترت العلاقات بين الدولتين عام ١٩٣٤ ، وبدا أن نشوب الحرب بينهما كرة ثانية وشيك . لكن الاتحاد سلم مرة أخرى وترك اليابان تعمل ما تشاء فى منشوريا ، على أنه أنشأ جيشاً خاصاً للشرق الأقصى وقاعدة جوية قوية فى فلادفستوك يقى بهما ولايته البحرية القصية من طمع اليابان

عاد الاتحاد السفيتي فى ميدانه الأسيوى إلى العمل بالمأثور عند الروس ، فشابه حكومة روسيا القيصرية المقدسة فى أمانيها وطمعها بإيجاد جامعة أسيوية تتحد فيها الشعوب الصقلبية والشرقية لتصبح مجموعاً عظيما أوربيا أسيوياً سمى أوراسيا Eurasie

وقد قال لنين فى مؤتمر الشعوب الصقلبية والشرقية الذى عقده فى باكو عام ١٩٢٠ : « إنكم بالشرق تبلغون الغرض من الغرض »

وجملة القول أن الاتحاد السفيتي الوارث لمذهب آل رومانوف التسلطى قد استأنف الزحف إلى الشرق والتصوب إلى الجنوب منتظراً أن تمكنه الأحوال من العودة إلى محاولة نشر الشيوعية فى العالم

لقد وصل الاتحاد إلى برلين واحتل جزءاً عظيما من أوربة ، وإن أتيح له الاستيلاء على استنبول وما حولها ، فقد يحاول الزحف إلى العراق ومصر والهند ، لكنه كمن سبقه يحتك فى الشرق والجنوب بمنافسين وخصوم لم تخمد حماستهم ، والجامعة الأسيوية السفيتية تتهيأ إذن للهجوم أو لصد هجمات عنيفة

فهل يواجه الاتحاد خصومه فى آن معاً ، أو يساوم كل خصم فى الاستعانة ببعضهم على بعض ، أو يؤثر التسويات مؤقتاً مسترسلا فى سياسة فتح الأسواق وادخار المواد ريثما يستجمع له الأمر لقهر الغرب بالشرق والشرق بالغرب ؟ وما ذا تهيئ له الأقدار ؟ أخيراً أم شراً ؟

ويأمل أناس كثيرين أن يجمع الأقطاب فى بتسدام على أساليب عملية ينفذون بها النظام الموضوع فى سان فرنسيسكو ، ولكن هذا الإجماع معلق بالطبع على التوفيق أولا بين مصالح دولهم الحيوية . ومثل هذا التوفيق ، إذا تيسر ، إنما يكون اقتساماً للبلاد يقال أن شعوبها سينعم عيشهم فى ظله ، وتسعدهم سياسة الجوار الحسن التى ابتدعتها أمريكا بديلا من الامبراطورية ، فتتعاقب أجيال الإنسانية سامية فى بلهنية إلى ذروة مثلها الأعلى من السلام الأبدى إن شاء الله !

محمد توحيد السلحدار

الفلسفة الاسلامية المتأخرة

للدكتور جواد علي

— ١ —

يختم أكثر المستشرقين بحوثهم عن الفلسفة الإسلامية بفلسفة المؤرخ والفيلسوف العربي ابن خلدون[(١)] ، كما فعل المستشرق دى بور « de Boer » في كتابه « تاريخ الفلسفة في الإسلام[(٢)] » وهو كتاب سلس سهل بسيط لا يوجد مثله في البساطة والسهولة في اللغات الأوربية[(٣)] . وكما فعل أغلب من بحث في هذا الموضوع إذا ما استثنينا كتاب المستشرق ماكس هورتن « Max Horten » عن « الفلسفة في الإسلام » وهو كتاب لا يستعرض الفلسفة الإسلامية عرضاً تأريخياً بل يتتبع الترتيب الفلسفي ، ويعالج المواضيع معالجة خاصة لا تخلو من نواقص وهفوات[(٤)] .

على أن هنالك طائفة غير يسيرة من الفلاسفة ظهرت بعد ابن خلدون تركت تراثاً فلسفياً مهماً وآثاراً خالدة في عالم الحكمة نبعت في أرض الشرق الأدنى ، وفي القرن الحادي عشر الهجري وما بعد كونت جيلاً خاصاً عليه طابع فلسفي خاص .

وفي طليعة أسماء رجال هذا الجيل عربي سوري من جبل عامل هو الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الجباعي العاملي المعروف « بالشيخ البهائي »[(٥)] « المتوفى عام ١٠٣٠ للهجرة و ١٦٢٢ للميلاد »[(١)] والمير باقر الداماد « المتوفى سنة ١٠٤١ للهجرة و ١٦٣١ — ١٦٣٢ للميلاد » والحكيم الشهير الملا صدرا « المتوفى سنة ١٠٥٠ للهجرة و ١٦٤٠ — ١٦٤١ للميلاد » والملا محسن فيضي « المتوفى حوالي سنة ١٠٩١ للهجرة ١٦٨٠ للميلاد » والملا عبد الرزاق اللاهيجي والحاج ملا هادي السبزوادي « المتوفى سنة ١٢٩٥ للهجرة و ١٨٧٨ للميلاد »[(٢)] .

وتغلب على فلسفة هذا الجيل الفلسفة الإشراقية الصوفية ، ولذلك عدهم العلماء في عداد الفلاسفة الصوفيين الذين جمعوا بين الرياضة والمجاهدة وبين الحكمة الإشراقية التي ينسبها المسلمون عادة حين ينسبون هذه الفلسفة إلى أفلاطون[(٣)]

والإشراقيون هم أتباع المذهب القائل بحكمة الإشراق من تلاميذ المتصوف الإسلامي الشهير السهروردي المقتول عام ١١٩١ للميلاد ؛ غير أن الفلسفة الإشراقية تسبق عهد السهروردي بزمن طويل[(٤)] . وهذه الفلسفة « هي فلسفة روحانية لها في نظرية المعرفة مذهب صوفي وتعبر عن الله وعالم العقول بالنور . والمعرفة الإنسانية في هذا المذهب عبارة عن إلهام من العالم الأعلى يصلنا بواسطة عقول الأفلاك . وأكبر أصحاب هذا المذهب هم : هرمس وأجاثوديمن وانبدوقليس وفيثاغورس وغيرهم . ولأفلاطون صلة بهذا المذهب أكثر من صلة أرسطو به . وهؤلاء الفلاسفة يوصفون غالباً بأنهم أنبياء أو حكماء ملهمون . وقد تأثرت الفلسفة الإسلامية بهذا المذهب منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر تأثراً كبيراً . وأتباع مذهب المشائين في الإسلام متأثرون بالفلسفة الإشراقية بعض الشيء . وربما كان أقلهم تأثراً بها الفيلسوف ابن رشد »[(٥)] .

نبغ رجال هذا الجيل في عهد الدولة الصفوية . والدولة الصفوية دولة قامت على أسس صوفية ؛ ولذلك راج التصوف في هذا العهد رواجاً عظيماً واكتسب صبغة رسمية ! فلا عجب أن رأينا

(١) ولد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بتونس عام ٧٣٢ للهجرة ١٣٣٢ للميلاد وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨ للهجرة ٦ ١٤ للميلاد .

(٢) راجع De Boer - History of Philosopfy in Jslam ترجمه إلى الانجليزية E. R. iones ونقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده وطبعه سنة ١٩٣٨ بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

(٣) راجع Brown-A. Literary History of Persia Vole. 4 1928 P, 425 .

(٤) راجع Phlosophy of islam max Harten

(٥) عن العاملي راجع روضات الجنات ج ٤ ص ٥٢٢ وفي Brown literary history of Persia. Vol. 4 P, 425. Sir John Malcolm History of Persia ed 1815 Vol 1 PP, 559 - 9.

(١) نفس المصادر أيضاً كتاب عالم آراي عباسي في بحث شاه عباس .

(٢) Brown Vol 4 PP, 425 .

(٣) عن الحكمة المشرقية راجع كتب ماكس هورتن عن السهروردي وعن الشيرازي وكذلك بحث Carra de Vaux في المجلة الأسيوية المجموعة التاسعة ج ١٩ (١٩٠٢) ص ٦٣ .

(٤) راجع كتبه وتراجمه في طبقات الصوفية .

(٥) نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ص ٢١٢ عدد ٣ مجلد ٢ .

فلاسفة هذا العهد فلاسفة صوفيين يأخذون بطريقة الإشراقيين ويروّجون الفلسفة الإشراقية التي هي أقرب فلسفة إلى مذاق وعقول المتصوفين[(١)] .

أما أولئك الذين حملوا البذرة الأولى للحركة العلمية والفلسفية إلى هذه الدولة فقد كانوا من العلماء العرب من سوريا ومن العراق ومن البحرين لاقوا ترحاباً والحكومة في حاجة إلى أنصار يؤيدون حركتها ووجدوا تشجيعاً في كل مكان ومقام . وكان على رأس من هاجر من سوريا إلى إيران الشيخ الحسين بن عبد الصمد بن شمس الدين العاملي الحارثي من قبيلة بني همدان . هاجر على عهد الشاه طهماسب الصفوي فأسند إليه منصب "شيخ الإسلام"[(٢)] والشيخ زين الدين علي العاملي المعروف بعنشار[(٣)] وكان على رأس من جاء من البحرين الشيخ ماجد البحراني المشهور في علم الحديث والفقه[(٤)] .

درس على أيدي هؤلاء العلماء جماعة من المهاجرين العرب ، ومن الوطنيين الفرس . وانتشرت بفضل هؤلاء الكتب العربية وتوسعت حركة التأليف بلغة القرآن . وظهرت طبقة فاقت مشائخها في العلم والشهرة على رأسها الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد العالم السوري المعروف المتوفى سنة ١٠٣١ للهجرة[(٥)] . ورث هذا العالم من أبيه الميل إلى التصوف والرياضة حتى عد في قائمة المتصوفين . ونبغ في العلوم الشرعية وفي الفروع الفلسفية على الأخص[(٦)] . وكتب في المعارف الإنسانية التي كانت شائعة في ذلك الوقت فهو دائرة معارف عامة جمعت كل فن وموضوع .

والبهائي صاحب الكشكول وإن كان حكيماً ومتصوفاً إلا أنه لم ينصرف إلى معالجة الفلسفة وقضايا التصوف انصرافاً كلياً بل عالج المسائل معالجة « الأنسكلوبيدي » الذي يهتم بكل شيء ويبحث عن كل شيء . لم يفعل ذلك في معالجة القضايا الفلسفية والمسائل الصوفية فقط، بل كان ذلك شأنه في كل المواضيع تقريباً « ولذلك كانت كل طائفة من طوائف المسلمين تنسبه إليها »[(١)] « تراه يعظم كثيراً من الصوفية الأغوياء والملاحدة الأشقياء في جملة من مؤلفاته »[(٢)] مثل مدحه الحسين بن منصور الحلاج وجماعة من المتصوفة الذين تحوم حولهم الشبه . وهذا ما جعل بعض المتعصبين المحافظين أمثال المحدث الشيخ عبد الله ابن صالح البحراني والعلامة المجلسي وفيض الله التفرشي وأمثالهم يضعّفونه في كتبهم ولا يأخذون بروايته[(٣)] . ويغمزون في بعض ميوله ولا سيما في ميوله إلى المتصوفة والتصوف[(٤)] . على أن الرجل ثقة جليل القدر ولا يشك في وثوقه أكثر العلماء[(٥)] .

أما المير محمد باقر الاسترآبادي المعروف بالداماد وهو لقب ورثه من أبيه السيد محمد الذي تزوج من ابنة العالم العربي السوري الشيخ علي بن عبد العال الكركي فعرف به ومعناه « الصهر » فهو فيلسوف عميق التفكير قوي العقل تدل أبحاثه في كتابه « القبسات »[(٦)] على علم غزير في الحكمة والفلسفة ومواضيع علم الكلام[(٧)] .

أما فلسفته فهي فلسفة إشراقية وقد عرف لذلك «بالإشراق» أو « الإشراق » وأما أشعاره فهي مشرقة الديباجة مسبوكة

---

(١) عن الفلسفة الاشراقية راجع كشاف اصطلاحات الفنون الشيخ محمد علي التهانوي في Bibliothic Indica nr 88. 1854 A. Spreoger
Dictionary of the Tecbnical Terms Vol 1. P, 371.
(٢) روضات الجنات جـ ١ ص ١٩٤ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) روضات الجنات جـ ١ ص ١١٥ .
(٥) راجع عنه روضات الجنات جـ ٤ ص ٥٢٣ وما بعد .
Dwight Donaldson Tbe Shi'ite Rcligion London 1933 P 300
Brown A Litarary History of Persia Vol 4 P, 424 Sir Jobu malcslm Histoy of Persia Vol 1 PP, 558 - 559.
عن كتبه راجع روضات الجنات جـ ٤ ص ٥٢٢ وبراون طبع بطهران سنة ١٣٢١ .
(٦) الكشكول طبع بمصر سنة ١٣٠٥ ولكن حذفت منه الأشعار الفارسية .

---

(١) راجع روضات الجنات جـ ٤ ص ٥٢٣ وهذا القول يمثل وجهة نظر بعض الأشخاص وقد ذكرها مؤلف كتاب روضات الجنات .
(٢) كذلك نفس المصدر .
(٣) كذلك .
(٤) كذلك أيضاً Brown Vol 4 P, 424 .
(٥) روضات الجنات جـ ٤ ص ٥٣٥ . راجع رجال التفرشي .
(٦) راجع كتابه وقد طبع بطهران سنة ١٣١٤ طبعة حجرية وقد تم تأليفه في عام ١٠٣٤ للهجرة سنة ١٦٢٥ للميلاد راجع أيضاً الكنتوري ص ٢٢ و ٥٩ روضات جـ ١ ص ١١٦ .
(٧) Brown Vol 4 P, 428 عن كتبه راجع روضات الجنات ص ٢٣١ أيضاً المقال الذي كتبه أبو عبد الله الزنجاني في مجلة المجمع العربي سنة ١٩٢٩ المجلد التاسع جـ ١١ — ١٢ ص ٦٦١ وما بعد بعنوان صدر الدين الشيرازي .

الأسلوب على طريقة الصوفيين الإشراقيين[١] . وقد أثرت هذه الفلسفة على نفسية تلميذه الشهير المعروف بالملا صدرا وهو صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازى أعظم الفلاسفة المتأخرين[٢] .

يقول صاحب كتاب روضات الجنات عن الملا صدرا « كان الملا صدرا فائقاً على سائر من تقدمه من الحكماء إلى زمن الطوسى منفخاً أساس الإشراق ومفتحاً أبواب النصيحة على طريقة الشائين والرواقيين »[٣] . ويقصد صاحب روضات الجنات بالشائين الفلاسفة الأرسطو طاليسيين[٤] ويمثلهم كما يقول المستشرق الإنكليزى براون ، ابن سينا خير تمثيل . وعلى هذا فتكون فلسفة الملا صدرا فلسفة معاكسة لفلسفة أرسطو وابن سينا كل المعاكسة[٥] . أما المستشرق الفرنسى كوبينو « Gobineau » فكان قد ذكر عنه أنه كان من الفلاسفة الذين استمدوا فلسفتهم من الفلسفة الأرسطوطاليسية ومن فلسفة ابن سينا الفيلسوف الذى كان بارعاً فى هذه الفلسفة دارساً لها وإن لم يكن مقلداً لها تمام التقليد[٦] .

والحقيقة أن رأى كوبينو الذى انتقده المستشرق براون هو المذهب الصحيح .فقد استمد الملا صدرا من المنبع الأرسطوطاليسى ومن فلسفة ابن سينا ما شاء أن يستمد ؛ وقد سعى فيما بعد لبث فلسفة ابن سينا التى كانت قد اندثرت وماتت فى نواحى إيران حتى وجه أنظار الطلاب والباحثين إليها[٧] . وقد كان أستاذه المير باقر الداماد من الحريصين على هذه الفلسفة فلا يستبعد أن يكون هذا الحب الذى نجده فى كتب الملا صدرا من أثر ذلك التوجيه الذى رسمه أستاذه فى كتبه ولا سيما فى كتابه الفلسفى الشهير « القبسات »[١] . يستمد الملا صدرا فلسفته فى الواقع من منابع كثيرة أهمها آراء اليونانيين ولا سيما آراء أرسطو وتلميذه ابن سينا ومن أفكار المتصوف الشهير محيى الدين بن العربى ومن تعاليم الدين الإسلامى . من القرآن والحديث والسنة النبوية وما جاء عن الأئمة من أقوال[٢] .

ولابن عربى المتصوف الشهير وصاحب الآراء المعروفة فى عالم التصوف مثل رأيه فى « وحدة الوجود » وأفكاره الأخرى التى تعارض ظاهرها الشريعة الإسلامية[٣] منزلة عظيمة فى نظر الملا صدرا وفى نظر الفلاسفة الآخرين من أهل هذا الجيل . وقد تكون وحدة الرأى ووحدة المشارب والأفكار هى التى جمعت بين الإثنين بين محيى الدين بن العربى وبين الملا صدرا فى المذهب الصوفى على تباعد الشخصين . وقد اتهم الملا صدرا نفسه بمثل ما اتهم به ابن العربى ؛ ففى كتاب « الأسفار » وهو من أهم كتبه فى الفلسفة « كلمات لا تلائم ظاهر الشريعة »[٤] . وقد دافع عنه أتباعه وأنصاره بمثل ما دافع أتباع محيى الدين بن العربى وأنصاره عنه[٥] .

(يتبع) جواد على

(١) نفس المصادر .
(٢) المجمع العلمى المجلد التاسع سنة ١٩٢٩ عدد ١١ — ١٢ ص ٦٦٣ .
(٣) روضات الجنات ص ٣٣١ .
(٤) Brown Vol 4 P, 428 .
(٥) نفس المصدر .
(٦) Gobineau Les Religius et les Philosophies etc
Brown Vol 4 P, 431. Igbal, أيضاً , 1966 PP, 80 — 92
Development of meta physics of muslim Philosophy London Lumjoc 1908 P, 75
(٨) مجلة المجمع العلمى العربى ج ١٢ ص ٨ ٧ .

(١) راجع كتاب القبات المطبوع سنة ١٣١٤ بطهران الفصول الأولى — القبات الالهية .
(٢) مجلة المجمع العلمى العربى المجلد التاسع عدد ١٢ ص ٨٢٨ .
(٣) عن ابن عربى رلجع الكتب المؤلفة فى التصوف لاسيما كتاب المستشرق الانجليزى « نيكلسون » عن التصوف الاسلامي ودائرة المعارف الاسلامية فى مادة « ابن عربي » وكتب التصوف . وكان معاصراً للشيخ عبد القادر الجيلانى له خصوص الحكم والفتوحات المكية ومواقع النجوم . ومشكاة الأنوار فيما يروى عن الله سبحانه وتعالى من الأخبار الخ . روضات ج ٤ ص ١٩٣ .
(٤) روضات ص ٣٣٢ .
(٥) روضات الجنات ص ٣٣١ .

إعجـــاز القرآن
والمقاييس البشرية

للأستاذ عبد المنعم خلاف

طال الجدل بينى وبين الأستاذ سيد قطب فى مسألتى التصوير الفنى فى القرآن ، واستخدام المنطق الوجدانى فى إقرار عقيدة التوحيد

وأنا من زمن أعلنت أنى أكره الجدل العلنى فى الصحف ، ولا أرتاح إلى نتائجه على النفس والحق ، لأنه كثيراً ما يجر إلى مواقف لايدفع إليها إلا التبرير الجدلى وحب انتصار الشخص لا انتصار الحق

وقد أثرت هذين الموضوعين فى نقدى لكتاب الأستاذ سيد برفق وهوادة ؛ فقلت بعد أن وفيته حقه من الثناء : « غير أننى أخشى أن تكون قد أفلتت لفظة أو اثنتان من قلم المؤلف فى أهم فصل من فصول الكتاب خرجت بهما فكرته الأساسية فى جو من المبالغة والتعميم» . هكذا أثرت هذا النقد بهذا التعبير المتواضع الذى يكاد يكون استفهاماً ، حتى أجنب الموضوع مزالق الجفوة ، ولا أجره إلى بعض النوازع النفسية التى لا تتصل به ، إذ الجدل فى المسائل العلمية خاصة يجب أن يكون خالياً كل الخلو من الملابسات الغريبة ، وأن يكون العقل فى بروده وصرامته وحيدته هو المتكلم وحده

ولكن انظر أيها القارئ كيف انتهى جدل الأستاذ سيد معى فى المقال الأخير حين يقول : « وأما الاستدلال المنطقى كما أورده فى الآيات (آيات سورة الأنبياء « أم اتخذوا آلهة من الأرض ...» الخ) . فأحب أن أقول عنه : إن القرآن كان أعرف بالنفس البشرية من الأستاذ عبد المنعم ، فلم يسق الأدلة كما ساقها هو ، وإلا لكانت متهافتة من وجهة المنطق الذهنى نفسه ، فهى فى سياق القرآن شىء يتصل بالفطرة على استقامتها ، فترفض الأوجه المنطقية الزائفة ، وتؤمن بالوجه الواحد الصحيح منها إيمان اقتناع وتسليم ، وهى فى سياق الأستاذ عبد المنعم محاولات ذهنية لا تستقيم على الجدل » . « إن القرآن يا سيدى لم يرد الأمر على النحو الذى تريد » . « فالأستاذ عبد المنعم يرتب مثالبه كلها للمنطق الوجدانى »

ألا يشعر القارئ أن عنصراً دخيلا يتطرق إلى طريقة الجدل فيرفع حرارة المجادل ويفسد هدوء المناقشة ؟

لا يا أستاذ سيد ! أنا غير مستعد أن أسير فى هذا الطريق ... وقد سرنى كثيراً أن أقرأ من قولك فى مقدمة مقالك الأخير هذه العبارة : « وليست المسألة بينى وبين الأستاذ عبد المنعم قضية جدلية على طريقة المناظرات ، وإنما هى حقيقة نود تجليتها ، وإنه ليسرنى من غير شك أن ألتقى بالصديق فى الطريق »

سرنى هذا ، ولكن ساءنى ذاك ، لأنه لا يعين على تجلية الحقيقة كما نود ...

ولولا أن الموضوع يتصل بإعجاز القرآن من جهة ، وبتجديد الدعوة الإسلامية والدينية الصحيحة عامة لنفضت يدى من هذا الجدل فى الصيف ، ولآثرت أن أترك لك الكلمة الأخيرة تدافع بها عن رأيك بأى الأساليب تختاره ، ولكن الموضوع موضوع قضية إعجاز كتاب الإسلام والعربية ، وقضية أساس الفكر الإسلامى والدينى الصحيح عامة ، بل قضية الكون كله وأعظم شئونه ! قضية الوصول إلى عقيدة التوحيد...فلا عجب ولا ضير أن يطول الجدل بينى وبينك فى هذا الشأن الخطير ما دمنا نحتفظ فيه بالهدوء وضبط الكلمات حتى لا تشذ كلمة جارحة ...

— ٢ —

أما القضية الأولى ، وهى قضية « التصوير هو الأداة المفضلة فى القرآن » ، فقد وصل الحديث فيها بيننا إلى غايته بعد تكرار الأستاذ سيد اقتناعه برأيه فيها مرة ومرة ، وبعد عجزى طبعاً عن نقل كثير من الشواهد هنا للاستشهاد بها ، كما فعلت بنقل النصوص التى وجهت نظره إليها ، وأنا بالطبع ما أردت محاكمته إلى تلك النصوص وحدها ، وإنما أحاكمه إليها وإلى أمثالها ، وأمثالها هى الأكثر فى القرآن

أما الربط بين « التصوير الفنى » ، سواء كان هو القاعدة العامة أم لم يكن ، وبين سر الإعجاز فى تعبير القرآن ، فهو مكان الخطر فى هذه القضية ، لأنه يفسر إعجاز القرآن بأمور فى مستوى الصنعة البشرية التى واتت وتواتى كثيراً من عباقرة البيان الذين يستخدمون التصوير الفنى فى مستوى رفيع فيه الوحدة والتناظر

والتناسق وتقسيم الأجزاء وتوزيعها فى الرقعة المعروضة ، إلى آخر ما هنالك من سمات الطريقة ، ولأن الربط بينه وبين سر الإعجاز يؤدى حتما إلى القول بأن المواضع الخالية من استخدام التصوير ، سواء أكانت هى الكثيرة أم القليلة فى القرآن ليس فيها إعجاز !

ذلك مفهوم كلام الأستاذ سيد ، وهو مفهوم خطر !

ولا يقولن رداً على هذا : « أحسب أن ليس هكذا تكون مقاييس الفنون ! » كما قال إزاء الأمثلة التى ذكرته بها ، لأننا لسنا أمام « كتاب فنى » يقدر بمجموعه لا بأجزائه . بل أمام كتاب يتحدى بسورة واحدة منه « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله »

وليس بذى خطر فى الموضوع أن يكون التصوير هو القاعدة العامة أو لا يكون ، فإنه إذا صح فلن يضير القرآن ، وإذا لم يصح فلن يضير . ولكن الخطر الذى يضير ، هو ذلك الربط بينه وبين سر الإعجاز ، فواجب الأستاذ سيد كما أرى — وله رأيه — أن يراجع هذا الموضع ، ويحذف كلمة « الإعجاز » من الجملة الأخيرة من صفحة ٣١ ، ويضع بدلها كلمة أخرى مناسبة

* * *

سيقول الأستاذ سيد فى الرد على التعليل الأول لرفض الربط بين سر الإعجاز وبين التصوير ما قاله سابقاً « إن العبرة ليست باستخدام التصوير ، ولكن بمستوى هذا التصوير من التناسق والحياة ... »

وأرد عليه بما قاله الأستاذ الكبير العقاد فى مناسبة شبيهة بهذه المناسبة ، حينما كان ينقد كتاب المرحوم الرافعى « إعجاز القرآن » قال[1] :

« وإنما الأساس فيها (المعجزة) ، والحكمة الأولى أنها تخرق النواميس المعروفة وتشذ عن السنن المطردة فى حوادث الكون ، وعلى هذا الوجه يجب أن يفهمها المؤمنون بها والنكرون لها على السواء ، فيخطئ المؤمن الذى يحاول أن يفسر المعجزة تفسيراً يطابق المعهود من سنن الطبيعة ، لأنه بهذا التفسير يبطل حكمتها ويلحقها بالحوادث الشائعة التى لا دلالة لها فى هذا المعنى ، أو بأعمال الشعوذة والتمويه التى تظهر للناس على خلاف حقيقتها »

والأستاذ سيد يحاول أن يفسر سر الإعجاز فى تعبير القرآن بهذا التصوير الفنى فيطابق بهذا التفسير بين القرآن وبين المعهود من سنن الطبيعة فى البلاغة البشرية العبقرية ، ويلحق القرآن بالآثار البلاغية الشائعة

(١) أنظر (ساعات بين الكتب) الجزء الأول .

وما أشبه ما حاوله فى بيان الإيقاع الموسيقى فى القرآن على أنه لون من ألوان التصوير الفنى الذى يرتبط به إعجاز القرآن بما حاوله الرافعى فى فصل « الكلمات وحروفها » . وقد علق الأستاذ العقاد على هذا النحو الذى نحاه الرافعى فى هذا الفصل بقوله : « هذا نموذج من شواهد الرافعى بنصه ترى أنه قد علق فيه بلاغة القرآن على شيء هيهات أن يكون مقصوداً أوسارياً فى كل آية على النحو الذى يحكيه ، وإلا فما يقول الرافعى فى هذه الآية التالية من سورة هود « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم »

« فإن كانت بلاغة الكتاب الكريم مرتهنة بذلك النسق الذى تصوره الأديب ؛ فهل يناقض البلاغة فى رأيه توالى الميمات الكثيرة والنون والتنوين فى هذه الكلمات المتعاقبة ؟ أو يظن الرافعى هذه الآية بدعاً من الكتاب ؟ »

* * *

ما أردت بنقل هذين النصين وخصوصاً النص الثانى من كلام الأستاذ العقاد الذى يجل آراءه الأستاذ سيد ونجلها جميعاً ، إلا أن أبين أن السر فى إعجاز القرآن لا يمكن أن يخضع لمقاييس شائعة ، ولا لقواعد بشرية يتناولها الجهد البشرى بالتعديل والتغيير والتنقيح والنقد والرفض

فالحيرة القديمة التى كانت تمتلك عقول القدماء فى فهم سر الإعجاز القرآنى لا تزال تتجدد وتمتلك عقول المحدثين ، ولن تزال كذلك ما دام القرآن معجزاً ، وما دام الشرط فى المعجزة أن تكون شاذة عن حوادث الكون الشائعة ولا يستطاع تفسيرها .

وحسن جداً من الأستاذ سيد ، وتوفيق يهنأ عليه أن يكشف عن معالم للجمال الفنى فى القرآن يجليها وأن يصف آثارها فى النفس وعجبها منها وانفعالها لها ، ولكن من غير الحسن فيما أرى أن يربط بينها وحدها وبين سر الإعجاز

وموعدنا المقال الآتى فى الرد على اعتراضات الأستاذ سيد على ما أسماه « المحاولات الذهنية » التى حاولت بها أن أكشف ما فى آيات الوحدانية بسورة الأنبياء من استخدام ضروب الأدلة الذهنية جميعها . وأشكر الأستاذ سيد أن أتاح لى فرصة الكشف عنها صدفة لأول مرة فيما أعلم ، لتضاف إلى أسرار القرآن الكثيرة التى تكشف عنها الأيام فيما تحت « سطحه التعبيرى »

عبد المنعم خلاف

الحياة الأدبية في الحجاز

للأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ظل حال التعليم هكذا حتى تولى أمر الحجاز عاهل الجزيرة العربية الملك عبد العزيز فعمل جاهداً على نشر الثقافة في هذه البلاد لتساير النهضة القوية في البلاد العربيـة الشقيقة ، وقد استطاع في هذه الفترة الوجيزة من الزمان أن يخلق في الحجاز جواً علمياً حديثاً يغبط عليه الحجاز الآن فهو يبشر بمستقبل قريب محقق .

والذى يدعو إلى الغبطة أن التعليم الأساسي (الأولى) والتعليم الابتدائى قد أديا رسالتهما في الحجاز في المدن على الوجه الأكمل حتى إنك لتجد الـكثرة الغامرة من البنين والبنات في هذه المدن يجيدون القراءة والـكتابة ، فإذا نحن تجاوزنا هذا النوع من التعليم إلى ما هو أرقى منه وجدنا ابن السعود يجاهد في إحيائه ويعمل على نشره ليخرج من الحجازيين صفوة صالحة تبنى الحضارة الجديدة على أسس صالحة قوية ، وقد عارض في هذه السياسة الحازمة الرشيدة في بادئ الأمر المغرضون من أهل نجد ، ولعل جلالة الملك قد لقى في هذا الصدد ما لاقاه محمد على باشا في بداية النهضة المصرية حينما كان يحمل الناس على التعليم حملا فيلاقى منهم انصرافاً وإعراضاً .

ومن ثم صار في الحجاز في العهد السعودى مدارس ثانوية متعددة تسير مناهجها على غرار المناهج المصرية وتعد الطلبة لتحاق بالجامعتين المصريتين ، ويقوم بتدريس بعض المواد فيها أساتذة مصريون ليوحدوا بين الثقافتين ويؤلفوا بين الاتجاهين حتى إذا ما وفد الطلبة الحجازيون إلى مصر وجدوا أنفسهم بين إخوان لهم قد اتحدت ثقافتهم وتقاربت مداركهم .

وفي الحرمين الشريفين الآن تدريس للعلوم الشرعية واللسانية يقوم به علماء مصريون وحجازيون ونجديون وعلماء من شنقيط ويسير التدريس فيهما على نظام الحلقات حيث يلتف الطلبة حول أستاذهم يستمعون إليه وهو يلقى درساً في الحديث أو التفسير أو الفقه أو النحو والصرف . وهذا اللون من التعليم يكاد يكون عاماً شاملا لأهل مكة والمدينة ، وينتظم في الحلقة الواحدة الـكثير منهم على اختلاف أسنانهم وتباين أعمالهم ؛ فتجد تلميذ المدرسة بجانب التاجر أو العامل قد أصغى كل واحد في اهتمام إلى ما يلقيه الأستاذ في وقت الفراغ من العمل . والجميل في هذا النوع من التعليم أن الحجازى لا يحجم عن الانتظام في سلـكه مهما تقدمت به السن ، وهو كذلك يتعلم رغبة في العلم ، وطلباً لإدراك أسراره ولا يريد من وراء ذلك عملا ولا شهادة .

والنقص الظاهر في علوم الحرمين خلوها من الآداب فليس من بينهم من يتصدى لتدريس النقد والسرقات أو تاريخ الأدب والنصوص حتى يأخذ بيد المتعلمين إلى فهم الأدب وتذوق أسراره ومعرفة مواطن الجمال فيه .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن التعليم على اختلاف أنواعه في الحجاز يخرج علماء حفظة ، ولا يخرج أدباء قادرين .

فـكيف إذاً استطاع أدباء الحجاز أن ينهضوا هذه النهضة وأن يبلغوا هذه المنزلة في الشعر والنثر ؟

إن الفضل الأكبر في ذلك راجع إلى الاطلاع الحر والمجهود الذى يبذله الأديب معتمداً على نفسه في قراءة الـكتب التى تحلو له وتتفق وذوقه . وهذا المجهود ملحوظ ظاهر في ناشئة الحجاز إذ لا يكاد الطالب في المدارس الابتدائية وغيرها ينال قسطاً من التعليم حتى تتوق نفسه إلى الاستزادة من الأدب العربي والثقافة العامة الواسعة ، وغاية ما يأمل الشادى في الأدب منهم أن يستطيع بعد القراءة الدائمة أن يصل إلى نظم الشعر ليلقى في المحافل أو كتابة النثر في الجرائد فإذا ما وصل إلى هذه الغاية تجددت له آمال أخر فواصل القراءة ودأب على التحصيل حتى يصبح من الشعراء المعدودين في هذه البلاد .

هذا الروح وهو الاطلاع الحر ولده في الحجازيين إكبارهم لماضيهم وعنايتهم بمجدهم السابق وأملهم الواسع العريض في أن يعود ذلك المجد قوياً ثابتاً كما بدأ في هذه البلاد ، فقد علموا أن أقرب طريق يوصلهم إلى بغيتهم إنما هو طريق الاعتماد على النفس في استيعاب الآداب القديمة والحديثة والمعارف المنقولة إلى لغاتهم .

ولعل الذى مهد لهم سبيل الاطلاع ، فراغهم في كثير من

الأوقات ، وبخاصة فى غير موسم الحج — عندئذ يجدون عندهم الوقت متسعاً للاستزادة واستيعاب ما حوته الكتب . وثمة سبب ثالث هو خلو بلادهم مما يشغل الناس فى الأقطار الأخرى من ضروب اللهو ومفاتن المدنية ؛ فأعمال الحجازى مقسمة بين العمل والعبادة والتعلم .

والكتب التى يطلع عليها الحجازيون كثيرة متنوعة : فهم يقرءون الكتب العربية القديمة ليتأثروا صياغتها وأساليبها ويجدون هذه الكتب هناك فى المكتبات العامة التى احتوت على كثير من الكتب وبعضها فريد نادر ، وهم كذلك مولعون بشراء ما يطبع منها فى بلادهم وفى الأقطار الأخرى .

غير أن عنايتهم بالكتب الحديثة تفوق عنايتهم بالكتب القديمة ؛ فهم يقرءون كل ما يصدر منها فى مصر والشام والعراق وأمريكا وإقبالهم على هذه الكتب بالغ حد الإعجاب ؛ فلا تجد هناك شادياً فى الكتابة ولا بادئاً فى الشعر إلا وهو يعلم عن أدبائنا المصريين ما يجهله كثير من المصريين المتعلمين ، ثم هو يحيط بإنتاجهم ومؤلفاتهم إحاطة وافية ويدرك منازعهم وطرائقهم : فليس منهم من يجهل مؤلفات الدكتور طه حسين بك ، والدكتور هيكل باشا ، والأستاذ العقاد ، والأستاذ أحمد أمين بك ، والأستاذ « الزيات » ، والدكتور زكى مبارك وغيرهم . بل ليس منهم من يجهل أسلوب كل واحد من هؤلاء وخصائصه والموضوعات التى أجاد فيها وهو يحدثك عن كل أديب حديث الواثق الملم بما يقول . ولا تقف معرفتهم هذه عند حد الإعجاب بالأدب : فهم يختلفون إزاءه أحزاباً ؛ هذا يفضل أسلوب الزيات لروائه ورونقه ، وبراعة تصويره ؛ وذلك يفضل أسلوب العقاد لدقة تعبيره ، وتسلسل معارفه وقوة حجته ، وآخر يتحيز لأسلوب الأستاذ أحمد أمين بك لعمق الفكرة والاستقصاء ، والدقة فى الأداء ، وغيره يؤثر أسلوب الدكتور طه حسين بك معجباً بسهولته وتجليته للحقائق . وهكذا، وقد يتخذون من أدب هؤلاء وغيرهم مجالا للنقد والتحليل فتزخر صحفهم ومجلاتهم بنقدهم للأدب المصرى . وما قلناه فى تأثرهم بالأدب المصرى نرى مثله فى تأثرهم بالأدب الشامى والعراقى ، وأدب المهجر بأمريكا .

ولكن أى هذه الآداب أشد تأثيراً فى أدب الحجازيين ؟

يقول الدكتور هيكل باشا : « إن عنايتهم بالأدب المصرى تفوق عنايتهم بالآداب الأخرى » .

وهذه العناية التى يذكرها هيكل باشا لم تكن إلا فى السنين القليلة الأخيرة حينما فاقت مؤلفات المصريين مؤلفات غيرهم فى بلاد الحجاز وحينما راجت صحفهم هناك ، ولكن الأساس الذى بنى عليه الحجازيون أدبهم والمعين الذى استمدوا منه مناهجهم إنما هو أدب المهجر ؛ ولذلك نراهم إلى الآن متأثرين أشد التأثر بأساليب هذا الأدب وطرائقه وإن مالت طائفة منهم إلى اتباع طريقة المصريين وفى بيان هذه الحقيقة يقول الأستاذ أحمد العربى : « أما أدب اليوم فهو وإن كان أدبا فنيا ما يزال فى الطور الأول من أطوار نموه ونضوجه ، فهو ماض فى طريقه إلى الأمام ، سائر بخطوات ناجحة موفقة لا يسع المنصف تجاهلها أو الغض من شأنها . ويرجع الكثير من الفضل فى ذلك إلى آثار أدباء العربية المصريين التى تجاوب صداها فى الشرق العربى فكان لها أحسن الأثر فى توجيه الأدب العربى وتلقيحه بلقاح الحياة والطرافة والتجديد ، وقد كان أثر أدباء المهجر من السوريين أقوى وأظهر فى أدبنا الحديث حتى عهد قريب . أما الآن فقد بدأ يتحرر قليلا من قيود التقليد وأخذ يستد ساعده وإن كنا نجد لنفثات أقلام الأدباء المصريين أثراً متميزاً فى هذه السنوات الأخيرة » ومع أن ثقافة الحجازيين لا تعدو الثقافة العربية ، لأنهم لم يختلطوا بالأوروبيين كما اختلط غيرهم إلا أنهم فى العهد الأخير قد استطاعوا أن يستوعبوا الكثير من ألوان هذه الثقافة استيعابا يغبطون عليه : فهم يقرءون الكتب المترجمة عن هذه اللغات ، وهم يقرءون إنتاج المتأثرين بالثقافات الأجنبية من أدباء مصر والشام والعراق وأمريكا فى شوق وعناية ، وقد استطاعوا باطلاعهم الحر على هذه الثقافة أن يثبوا وثبة فكرية موفقة بدت آثارها فيما يكتبون ويشعرون .

وإلى عهد قريب لم يكن لتعليم اللغات الأجنبية نصيب فى مناهج التعليم الحجازى ، فأحس الأدباء حاجتهم إلى معرفة هذه اللغات ليتصلوا بالنهضة المتوثبة فى بلاد الغرب . ويعبر عواد عن هذه الحاجة قائلا : « كم هى شديدة حاجتنا فى الحجاز إلى اللغة الإنجليزية خصيصاً وإن علينا لعولا ضخما فى استعمال العلاقات

عم يتساءلون ؟

للأستاذ أحمد رمزي

مشاكل العام الجديد — التوازن بين الكتل الثلاث الكبرى التي تسيطر على العالم — نظرة شرقية ...

حينما ندرس حالة العالم بعد هذه الحرب يتبين لنا بوضوح أن تاريخ الإنسانية لم يعرف عهداً مملوءاً بالانقلابات المتتابعة والتغييرات السريعة التي تتميز بخروجها عن كل قاعدة، وبمخالفتها المألوف والمعهود مثل ما نراه أمام أعيننا اليوم

فهل بوسعنا أن نستخلص، بعض القواعد العامة، أو الاتجاهات ؟ أو نضبط شيئاً من العلائق التي تربط بين الأسباب وبعضها، أو بين الأسباب والظواهر ؟ أو نستبق الحوادث فنكتشف شيئاً مما قد تأتي به الأيام المقبلة ؟

يصعب ذلك علينا نظراً لتتابع الحوادث، ولكن الظروف التي مرت بالعالم بين حربين، والدروس التي ألقاها علينا تاريخ المائة سنة الماضية، قد تمهد لنا الطريق، وتسهل لنا السبل لتكوين فكرة تقرب من الصواب، بل يمكن أن تساعدنا على تحديد بعض النتائج التي حصلت عليها الإنسانية بعد خروجها من حربين عالميتين

كانت المائة سنة التي سبقت الحرب الماضية مملوءة بالحوادث الكبرى، فهذه الفترة التي تقع بين ١٨١٥ — ١٩١٤، أي بين مؤتمر فينا وإعلان الحرب العظمى الأولى، فترة فذة في تاريخ البشرية: لأنها بدأت بتأكيد مبدأ القوميات والمناداة بتحرير الشعوب واستقلالها، ثم خضعت لفكرة حفظ التوازن بين الدول الكبرى الأوروبية، وكانت هذه المائة سنة فترة الثورات التي نقلت أوروبا من عهد الإقطاع وبقايا القرون الوسطى، إلى عهد الصناعة الآلية وما يلازمها من تنازع الطبقات وتضخم المدن ونمو الرأسمالية وبروزها كعامل أساسي في حياة الشعوب الأوربية

كانت هذه الفترة كل هذا، ولكن ما هو أكبر مظهر لهذه المائة سنة ؟

لا يتردد الآن أي مخلوق في أن يعترف أن هذه الفترة من الزمن كانت عصر التوسع الاستعماري الجارف

وما معنى هذا ؟ الذي يبدو لنا في سنة ١٩١٤ ويمكن إبرازه ظاهراً ملموساً هو ما يأتي :

إن الدول التي توسعت في أملاكها وازدادت علاقاتها بالأمم

بيننا وبين هذا الشعب الإنجليزي الهائل، فيجب أن نفهم كيف نستفيد من تلك العلاقات على اختلافها وتنوعها وكيف نستخدمها في مصالحنا فردياً وأممياً.

إلى أن يقول: من العبث أن يستغنى الحجاز عن رواج اللغات الأجنبية ولا سيما الفرنسية والإنجليزية في مدارسه ومجتمعاته ونواديه رواجاً لا كرواج العربية لغة حياتنا الأولى، لغة سيرنا إلى الأمام وإنما أقول: لنتكلم اللغة العربية ولكن لنتعلم اللغة الأجنبية أيضاً لنستفيد منها حضارة وعلوماً وأفكاراً » وقد تعلم بعض الحجازيين في العهد الأخير بعض هذه اللغات ولكن هؤلاء لا يزالون أقلية، وقد اعتمد كثير منهم في تعلم اللغة الإنجليزية على السفر إلى الهند والإقامة هناك، كما أن أهل المغرب الذين استوطنوا الحجاز حديثاً يعلمون اللغة الفرنسية إلى درجة يستطيعون بها الترجمة عن هذه اللغة.

وقد جعل جلالة الملك عبد العزيز تدريس اللغة الإنجليزية من منهجه الإصلاحي فاستقدم المدرسين المصريين لتدريس هذه اللغة بمدارس الحجاز، واستطاع الطلبة هناك أن يعلموا منها ما يعلمه الطلبة المصريون في المدارس الثانوية. ولكن هذا كله لا يعدو في حاضره البذرة التي ستنمو وتثمر في مستقبل الأيام، ولم يظهر لتعلم هذه اللغة أثر يذكر فيما نحن بصدده وهو نقل الثقافات الأجنبية إلى اللغة العربية نقلاً يتجلى فيه الإلمام والبراعة، ولذا نستطيع أن نقول: إن ثقافتهم الأجنبية لا يقمون عليها بأنفسهم ولكنها تصل إليهم في الكتب المصرية وغيرها. وسوف ينهض بهذا العمل الخطير في المستقبل أعضاء البعثات الحجازية بعد أن يعودوا إلى بلادهم، فيتحقق بذلك للبلاد المقدسة أملها البعيد ورجاؤها المحبوب

(الفيوم الثانوية) **أحمد أبو بكر ابراهيم**

المحكومة ، قد أخذت تتحول من دول أوروبية إلى دول ذات صبغة عالية !

كيف تم هذا التحول ؟ وكيف دخلت الدول الكبرى ميدان الاستعمار فأصبحت غير قادرة على التراجع والانكماش بعد أن ذاقت طعم حلاوته ؟ كل هذا يمكن درسه وبحثه إذا عرفنا شيئاً عن أثر المائة سنة الماضية وتطوراتها

فمن المسلم به أن بعض الدول كانت تملك المستعمرات ، وكانت تعرف طريقة الاستغلال — قبل المائة سنة التي أشرنا إليها — ولكن نشاطها كان محدوداً ، وفي دائرة ضيقة ، ولم يكن اتصال هذه الدول بمستعمراتها أو اعتمادها عليها بالقدر الذي وصلت إليه في الفترة الأخيرة . بل حصل ما هو أكثر من ذلك ، إن البشرية لم تعرف زمناً ، في كل عصورها السالفة بلا استثناء . خضعت فيه شعوب العالم المختلفة بمدنياتها وتقاليدها ، بل وبمعاشها لحكم الأوربيين مثل العهد الذي جاء بين ابتداء القرن التاسع عشر وابتداء القرن العشرين

ففي هذه اللفتة من الزمن ، اشتد التنافس والتسابق والتزاحم بين دول أوربا الكبيرة والصغيرة ، القديمة منها والناشئة ، لدرجة أن وصل إلى المناطق المتجمدة والصحاري القاحلة ، فأصبح الجليد والصخر والرمال ميداناً لكل هذا

فكل بحث أو دراسة لشئون العالم ، وكل قاعدة نستخلصها يجب أن يسبقها تعرف هذا التوسع وأثره وأهميته ، ولكي تعرف بالضبط العلاقة بين الشعوب المحكومة والحاكمة ، ولكي نحدد مركزنا وموقف الأجيال القادمة من هذه السيطرة وعلاقتها بآمال الشعوب ومقدراتها ومستقبلها

فلنتساءل عن أول أثر لهذا التحول أو التطور العالمي الذي أوجد أمماً قوية سائدة وأمماً ضعيفة خاضعة ؟

كان من أثر هذه السيطرة الأوربية أن فنيت بقايا المدنيات القديمة التي حملتها أراضي الشرق الأوسط والأدنى والأقصى ، بل اندثرت وتلاشت أمام مدنية الأوربيين وتفوقهم المادي والعسكري

هذا هو الأثر السلبي ، أما الإيجابي ، فقد كان من أثر هذه السيادة أن ازداد سكان المعمورة ، لأن سكان المستعمرات قد تكاثروا وتناسلوا فكثر عددهم وأصبحت هذه الزيادة في السكان مظهراً من مظاهر هذا الاستعمار الأوروبي ، والذي يدعو للدهشة أن هذه الزيادة في السكان لم تعرفها الإنسانية من قبل في أي عصر من عصورها السالفة

ثم كان من نتيجة هذه السيطرة وما تبعها من تنافس وتصادم أن ارتبطت أنحاء العالم بطرق مواصلات سهلة تعذر القيام بالثورات ، كما أثر على علاقات الشعوب المحكومة ، لأن هذه الأمم التي جهلت نفسها ، وجدت أمام سهولة الانتقال والتعارف في مركز يسمح لها أن تستعيد العلاقات والروابط التي كانت قائمة بينها ثم انقطعت

ولما استقرت سيادة الاوربيين وسيطرتهم على أنحاء الدنيا وأمنوا أن تقوم الشعوب ضدهم ، وظهر التفوق العسكري ، وعرفوا طريقة تجنيد المرتزقة وكتائب الجنود الملونة ، فألقى عليها عبء القتال واستتباب الأمن ، انتقل الاستعمار من ميدان الفتح واستعمال العنف إلى ميدان جديد : نعم اتجهت في النصف الثاني من القرن الماضي إرادة الدول المستعمرة إلى الاستعانة بالعلم والاقتصاد على تنظيم استغلال ثروات ومرافق هذا الكوكب الأرضي ، واقترن ذلك باندفاع نحو السير بهذا التطور الجديد نحو أهداف عالية ، أي اتجهت هذه الحكومات وهيئاتها الاستعمارية إلى تحقيق فكرة سيطرة الإنسان على أفق الحياة وإخضاع الطبيعة لسلطانه وإرادته بكل ما في العلم من قوة ثائرة وما في الاقتصاد من قوة منتجة

أما من الناحية السياسية ، فقد أخرج القرن الماضي لدى الدول التي تقدم لديها الوعي الاستعماري نشاطاً أشد خطراً وأعمق أثراً وهو الدراسات العلمية والنفسية وتطبيقها على إدارة المستعمرات وفي حكم الشعوب المغلوبة على أمرها

لقد أصبحت هذه الدراسات أقوى دعامات سيطرة الأوربيين ودليل تفوقهم ، بل برهان تمكنهم من قيادة الشعوب التي يحكمونها ، أو كاحدى مظاهر الطبيعة التي ألانوا قناتها وأخضعوها لمشيئتهم في عالم الجماد والحيوان

(للكلام بقية)

أحمد رمزي

النظـــام الزراعى
في بلاد السوفييت
للدكتور محمد مأمون عبد السلام

بقية ما نشر في العدد الماضي

المزارع التجميعية

كان تسعة أعشار الروسيين إلى عهد قريب فلاحين ، وفى سنة ١٩٢١ كان الثلثان من سكان الروسيا السوفييتية يعيشون فى القرى ، وكان أكثر من نصف السكان يعيشون على فلاحة الأرض ، فالزراعة فى الروسيا كما فى غيرها من البلاد سبيل للحياة لا وسيلة للعيش فقط كما يقول بذلك بافلوفسكي المؤرخ الزراعى الروسى ، وقد استمرت الزراعة فى الروسيا وسيلة لعيش ملايين من الخلق وسبيلا لحياتهم ، أما الحياة الصناعية فإنها لا تزال وسيلة إضافية

وكان الفلاح الروسى قبل الثورة عبداً مسخراً لطبقة النبلاء والأشراف ، فحرره السوفييت ووضعوه على قدم المساواة بسكان البنادر ، ولا يزال الفلاح الروسى العمود الفقرى للهيكل الاقتصادى السوفييتى ، فهو الذى يدفع نحو ثلاثة أسباع مصروفات الدولة غير ما يدفعه من الضرائب غير المباشرة ، وقد ضمنت له الحكومة مقابل ذلك حقوقه كاملة فى نظام المزارع التجميعية التى هو عضو فيها ، وفتحت له أبواب الفرص على مصراعيها لتثقيف نفسه وأولاده وأبعدت عنه مشاق العمل الجسمانى المضنى فى الزراعة بإدخال الزراعة الآلية الحديثة ونظمت له الإدارة تنظيما جعله يستفيد من أوقات فراغه الكثيرة بالثقافة الريفية العامة والتعليم الزراعى . فالفلاح فى نظر السوفييت عامل كعامل المصنع لا يختلف عنه فى شيء إلا فى كونه يعمل فى الهواء الطلق على نظام حساب القطعة فيختلف ما يتقاضاه من الأجر باختلاف مقدرته على الإنتاج .

وغرض السوفييت من إلغاء الزراعة الفردية التى كانت من خصائص النظام القديم القيصرى وتحويلها إلى النظام الزراعى التجمعى هو أن تحول المزارع إلى مجموعة من مصانع زراعية يعمل فيها العمال تحت قبة السماء . وهذا النظام الجديد إنما هو وليد عبقرية مبتدعة لأنه نظام يجمع بين قوة الفردية ومزايا الاشتراكية ، وهو نظام غير ثابت فى تفاصيله لأنه يتكيف حسب نتيجة التجارب والتعلم من الأخطاء طبقاً للعقيدة السوفيتية المشهورة المحببة إليهم . وقد استفاد السوفييت من المفعول السحرى للألقاب على عقول الجمهور فاستبدلوا بألقاب الفلاحين التى كانت تشعرهم بالمهانة والتحقير أخرى ترفع نفسيتهم وتشعرهم بعزة النفس والأنفة ؛ فسموا « كلاف الخنازير » باسم « خبير الخنازير » ولقبت زوجته « باللبانة » وسمحوا لها بالالتحاق بالمجموعة النسوية فى المزرعة التجمعية . ويعتبر السوفييت المزارع التجمعية فى حرفة الزراعة كاتحادات العمال فى الصناعة ؛ فهى عبارة عن هيئة تنظيم الفلاحين وتوحدهم لمصلحتهم ؛ وهى فضلا عن كونها هيئة تعاونية للانتاج فإنها تعمل فى الوقت نفسه لمصلحة أعضائها من الفلاحين فتزودهم بإعانات أثناء مرضهم ، وبمعاشات عند بلوغهم السن ، وبالتعليم المجانى وتنظيم ساعات فراغهم من حيث الانتفاع بها فى النوادى والرحلات والسياحات ، وتحصل لهم على خدمات خاصة من الحكومة كتعليم الأطفال والعناية بصحتهم وإنشاء مدارس الحضانة ورياض الأطفال وبيوت المساحات وإعطائهم أجازات سنوية أسبوعين فى السنة بأجر كامل والقيام بجميع التأمينات لهم مجانا . ولا يشتغل الفلاح فى هذه المزارع التجمعية أكثر من ثمانى ساعات فى اليوم .

أشكال المزارع التجميعية

والمزارع التجمعية على ثلاثة أشكال ، أبسطها ما كان عبارة عن شركة لزراعة الأرض أو رعى الماشية وتربيتها كما هو موجود فعلا فى مناطق البدو فى جمهورية قازقستان وفى بعض مناطق شمال القوقاز .

وأعقدها هى المزارع الشيوعية الكاملة التى تكون فيها الأرض والآلات والماشية وكافة المنشئات مندمجة فى بعضها البعض ومشاعا بين أعضائها فيعيش الكل فيها معيشة شيوعية فى مبان شيوعية ويأكلون من مطبخ واحد وفى غرفة طعام واحدة ، وليس لأحد منهم شيء خاص يمتلكه لنفسه اللهم إلا حوائجه الشخصية . ولا تزيد عدد هذه المزارع الشيوعية المطلقة عن ١ ٪ من المجموع الكلى للمزارع التجمعية . أما النوع الثالث وهو يكون الأغلبية الساحقة من المزارع التجمعية فهو المسمى « كلهوز » وفيها يحتفظ الأعضاء بمساكنهم الخاصة لكل عائلة بيتها وقطعة أرض ملحقة به تزرعها العائلة لحسابها وتربى فيها الدواجن والحيوانات الصغيرة لا يشاركهم فيها أحد ؛ وبذلك تحافظ كل عائلة على استقلالها فى

معيشتها . أما ما يتبقى من أرض المزرعة وحيواناتها فتستغل على الشائع فيعطى كل فرد حقه من الإنتاج حسب مقدار عمله . وفى هذا النوع الأخير من المزارع التجمعية تظهر فردية المزارع وشخصيته ومقدرته على أوضحها . ويسمى السوفييت هذا النوع من المزارع التجمعية باسم « كلهوز » ومعناه بالروسية منشأة أو مزرعة اقتصادية تجمعية ، ويدل هذا التعريف على أن المزارع التجمعية ملك للدولة ولكن لأعضائها حق الانتفاع الدائم بها فى حدود قيامهم بالالتزامات التى يحتمها عليهم الدستور والقانون .

وقد بدأ عهد المزارع التجمعية فى سنة ١٩٢٩ ولم يمض عليه ثلاث سنوات إلا وأصبح ٦١٫٥ ٪ من الأراضى الروسية مزارع تجمعية وفى سنة ١٩٣٨ ارتفعت هذه النسبة إلى ٩٩٫٣ ٪ إذ بلغ عدد المزارع التجمعية فى جمهوريات الاتحاد السوفييتى ٢٤٢٫٠٠٠ مزرعة . وقد أصبحت بلاد السوفييت فى بدء هذه الحرب أكثر بلاد العالم مساحة فى الأراضى الزراعية وأعظمها تقدماً فى وسائل الزراعة الآلية الحديثة وذلك بفضل نظام الزراعة التجمعية . كما ازدادت بفضله مساحة ما يخص العائلة من أرض الزراعة من نحو ١٧ فداناً فى المتوسط فى العهد القيصرى (مع مراعاة أن نحو ٥٠ ٪ من فلاحى ذلك العهد لم يخص العائلة الواحدة منهم أكثر من ٢٫٥ إلى ٥ فدادين) إلى متوسط ٤٨ فداناً فى عهد المزارع التجمعية وإلى نحو ١٢٠ فداناً فى بعض المناطق مثل سيبيريا العربية .

وتختلف مساحة مزرعة الكلهوز كثيراً من منطقة لأخرى ، فتبلغ مساحة الأرض المزروعة فيها أقل من ٦٠٠ فدان فى المناطق الشمالية وفى روسيا البيضاء والقوقاز وآسيا الوسطى الإسلامية . وتزيد عن ١٣٠٠ فدان فى أكرانيا وتبلغ نحو ستة آلاف فدان أو أكثر فى حوض الفولجا . وعلى العموم تبلغ مساحتها فى المتوسط نحو ١٦٠٠ فدان . ومتوسط عدد بيوتها أى عائلتها ٩٥ بيتاً ولكنها تكون أقل من خمسين بيتاً فى الشرق الأقصى والمناطق الشمالية النائية و١٣٣ فى أكرانيا و٥٢ فى شمال القوقاز

وقد زادت مساحة الأراضى المزروعة فى بلاد الاتحاد السوفييتى بفضل هذا النظام بمقدار ١١٠ مليون فدان فى سنة ١٩٤٠ عما كانت عليه فى العهد القيصرى فى سنة ١٩١٣ ، وهذه الزيادة تشمل نحو ٤٠ مليون فدان من الغلال ونحو ١٨ مليون فدان محصولات صناعية ونحو ١٥ مليون فدان بطاطس وأكثر من ٣٨ مليون فدان من محصولات العلف .

ويتراوح عدد بيوت (أى عائلات) المزرعة التجمعية الواحدة بين ٥٠ بيتا فى الشرق الأقصى والمناطق الشمالية النائية و١٣٣ بيتا فى أوكرانيا و ٥٢ بيتا فى شمال القوقاز . ولكن متوسطها كان قبل هذه الحرب ٧٨ بيتا وعدد أعضائها ٣٤٢ شخصا منهم ١٤٩ من العمال الشغالين الذين لا يقل عمر الواحد منهم عن ١٦ سنة

ويعمل عمال المزارع التجمعية فى نظام يشبه نظام عمال المصانع ؛ فمواعيدهم محددة ، ولكل فرقة رئيسها . ويعاقب المذنب بعقوبات تتناسب مع جرمه وذلك طبقا لأوامر الحكومة الصادرة فى أبريل سنة ١٩٣٨ التى تنص على أن أى عامل ذكراً كان أو أنثى يرتكب ما يخل بالنظام الداخلى للمزرعة يعاقب بالتوبيخ العلنى أو بالتشهير بكتابة اسمه على السبورة السوداء ، أو بتغريمه ، أو بإنزاله إلى عمل أدنى من عمله ، أو بتشغيله مدة معينة بدون أجر ، أو بالطرد من المزرعة بعد موافقة جمعيتها العمومية بأغلبية ثلثى الأعضاء .

وتقبل المزارع التجمعية النساء فى عضويتها على قدم المساواة مع الرجال على أن يقمن بالعمل الذى يتفق مع طبيعتهن وأن يرتقين كما يرتقى الرجال وأن تقبض المرأة أجرها بنفسها ، فترتب على إعطاء الحرية للمرأة الفلاحة الروسية عدم تقيدها بقيود المعيشة المنزلية فأنشئت من جراء ذلك المطاعم العامة الشيوعية والمغاسل العامة وبيوت الحضانة ومعاهد الأطفال للعناية بهم أثناء عمل أمهاتهم فى النهار وأنشئت مدارس للأولاد الأكبر سناً .

وتدفع المزارع التجمعية ضريبة دخل للحكومة ، ولكن الضريبة الحقيقية هى ما يعود على الخزانة من البيع الجبرى لمحصولاتها ومنتجاتها . والواقع أن الفلاح الروسى يدفع الآن ضريبة مباشرة للحكومة بين ١٥ ٪ و ١٨ ٪ من مجموع محصولاته عدا الضريبة غير المباشرة التى يدفعها بالنسبة لاستهلاكه . وتجبى الحكومة الضريبة المباشرة عيناً فترتب على ذلك أن أنشأت الحكومة أهراء (Silo) للغلال التى تجبيها ليس لها مثيل فى العالم . ولا يمكن لأى دولة غير شيوعية أو اشتراكية أن تشيد مثلها . وأقامت الحكومة السوفييتية وسائل ومصانع للانتفاع بالمحصولات المختلفة الأخرى التى تجبيها عيناً كالألبان مثلا ؛ فأنشأت مصانع هائلة للألبان ومشتقاتها فى مناطق تربية الماشية ومصانع السكر فى مناطق زراعة البنجر وهلم جرا .

من هذا يتضح لنا أن نظام الزراعة التجمعية يتطلب دقة فائقة وعناية للانتفاع بمحصولات البلاد على أكمل وجه وتوزيعها توزيعاً اقتصاديا يعود بالنفع على كل فرد من أفراد الأمة . كما أنه تمكن

البلاد من الانتفاع بفضلات المحصولات انتفاعاً علمياً . والدليل على ذلك أن قومسارية الأغذية تنتفع بفضلات المحصولات إلى أقصى حد فى صناعة الأغذية فتحسنت بسبب ذلك حالة الأغذية في المدن بعد سنة ١٩٣٣ .

ولا جدال فى أن جباية الحكومة ضريبة عينية من اللبن عن كل بقرة قد أدى إلى اهتمام الفلاحين بتحسين البقر الحلوب وإيجاد عشرات منه أكثر إدراراً . كما أن ازدياد حاجة الزراعة إلى الأسمدة أدى إلى الإكثار من الماشية وإلى إنشاء مصانع الأسمدة الكيميائية على نطاق واسع .

وقد أدت طريقة دفع الأجور على حساب القطعة إلى تسابق الفلاحين فى العمل ومباراتهم فى ابتداع الوسائل الكفيلة بسرعة إنجازه وإتقانه فزادت غلة المحصولات فى كثير من الحالات زيادة مدهشة

وقد أقام السوفييت فى سنة ١٩٣٩ — ٤٠ معرضا زراعيا عاما فى موسكو استعرضوا فيه أوجه نشاط المزارع التجمعية وإنتاجها ودرجة تقدم الحياة الاجتماعية فيها فاتضح منه جليا أن المزرعة التجمعية وحدة زراعية نموذجية للانتاج كاملة بعمالها وآلاتها الزراعية ومبانيها ومواشيها فهى تضم كل مستحدث فى الفنون الزراعية مما يسهل العمل لعمالها ويجلب الراحة والهناء والسعادة والرخاء والصحة لهم . وقد بلغ عدد حظائر تربية الماشية التابعة للمزارع التجمعية عند بدء الغزو الألمانى لبلاد السوفييت ٦١٨٠٠٠ حظيرة تحوى نحو ١٨ مليون من حيوانات الفصيلة البقرية و ٧ ملايين خنزير و ٣٣ مليون من الغنم والماعز . وفى كل مزرعة مهندس زراعى وخبير للتقاوى وخبير لتربية الماشية وطبيب بيطرى وخبير لفلاحة البساتين وميكانيكيين ، وقد بلغ عدد المتخصصين تخصصاً عالياً فى فروع الزراعة المختلفة فى المزارع التجمعية ببلاد السوفييت ٣٢٢٠٠٠ من مهندسين زراعيين وخبراء فى شتى شؤون الزراعة وبيطريين

وليس أدل على نجاح نظام المزارع التجمعية مما وصل إليه رخاء أعضائها . فقد وصل دخل الفلاح السنوى فى بعض المزارع التجمعية إلى ٢٤٠٠ روبل علاوة على ثلاثة أرادب مصرية وثلث أردب من القمح و ٦٠٠ رطل من الخضروات و ٣٠٠ رطل من البطاطس و ٣٠ لتر من الخمر بخلاف ما يحصل عليه من مزرعته الخاصة الملحقة ببيته وما يكسبه من إيوائه فى بيته للنزلاء الذين يفدون إلى الريف طلباً للنزهة والراحة .

ومما يدل على رخاء الفلاحين فى المزارع التجمعية نوع البضائع التى تعرض فى المخازن التعاونية فى القرية مثل : الجوارب والأحذية وأحمر الشفاه ، واسطوانات الجراموفون ، وساعات الحائط ، والدراجات ، والراديوات وغير ذلك من الكماليات التى لم يسبق للفلاح الروسى أن تمتع بها من قبل .

ويرجع رخاء الفلاح السوفيتى إلى عدة عوامل أخرى نذكر منها زيادة مساحة الأراضى الزراعية بالنسبة لعدد السكان ، وزراعة محصولات أخرى أكثر ربحاً ، وزيادة المنتجات الحيوانية ، وتحسن التسويق ، ونظام الأسواق ، وازدياد الدخل من موارد غير زراعية ، ونقص أثمان البضائع المصنوعة مقدرة على أساس أثمان المحصولات الزراعية ، ونقص الضريبة المفروضة على الفلاح وتخلصه من أثقال الربا وإيجارات الأرض والوصول إلى طريقة تقلل الفقد فى المحصولات فى عمليات الضم والدراس والتخزين وغيرها فقد أمكنهم باستعمال آلة الضم والدراس المزدوجة أن يقللوا الفقد فى محصول الحبوب بنسبة قد تصل إلى ٣٣ ٪ فى القمح

وقد أثرى الفلاحون فى المناطق الشمالية الوسطى من إنشاء مصانع الألبان ، ومن زراعة الخضروات والبطاطس والمحصولات الصناعية . كما أنهم استفادوا من امتداد منطقة زراعة القمح شمالا فى أراض كانت تعتبر فى الماضى غير صالحة لإنتاج المحصولات الغذائية

ويدل ما تخطه أقلام الكتاب السوفيتيين على أن الفلاح الروسى قد أصبح سيد نفسه له حق التمتع بما تنتجه عبقريته ويداه لا يشاركه فى إنتاجه أحد . فقد كتب بوريسوف عن الفلاح وهو يخاطب القديس نقولا العجائبى : « لمن أيها القديس العزيز يجب أن تكون الأرض والحقول والقرى » فأجابه القديس نقولا : « إليكم يا إخوتى وإلى أبنائكم ، نعم إليكم دون غيركم ».

ويقول الكتاب الروس بلسان رجل المستقبل وهو يخاطب الشعب : « أنا لا أتكلم إليكم عن الجنة التى وعدكم بها المسيح بل أكلمكم عن جنة الدنيا التى هى للجميع ماعدا ضعفاء النفوس »

ويقول الكتاب بلسان الفلاحين الروسيين : « نحن الذين لم نكن شيئاً فأصبحنا الآن كل شىء » . ويقولون أيضاً : « الأرستقراطية الحديثة هى أرستقراطية العمال المهرة الفنيين ، فهؤلاء هم الذين يجب أن يتمتعوا بحقهم من الراحة والرياضة والتعليم والعناية بهم وبأطفالهم » .

محطات الجرارات والآلات الزراعية M. T. S.

رأى السوفييت أن تقدم الزراعة ووصولها إلى الذروة العليا

التى يرمون إليها لا يتم فى بلادهم المتسعة الأرجاء الفسيحة السهول بغير استعمال الآلات الزراعية الميكانيكية الحديثة ، ولذلك أنشأت الحكومة نظام محطات الجرارات والآلات الزراعية (M. T. S.)

وتتوقف طبيعة المحطة على نوع المحصول الأساسى لكل منطقة سواء كان من الغلال أو القطن أو بنجر السكر أو غير ذلك . ولما بدأت الحكومة السوفيتية التحول الجبرى فى سنة ١٩٣٠ من الزراعة الفردية إلى النظام التجمعى كان فى الروسيا ١٥٨ محطة من هذه المحطات ملكا للحكومة و ٤٧٩ محطة تعاونية وكان عدد الجرارات فى الروسيا أربعين ألف جرارة صالحة للأعمال الزراعية منها عشرة آلاف جرارة تابعة لمحطات الآلات الزراعية الحكومية . وهى صالحة لفلاحة المزارع التجمعية التى أنشئت فى البلاد حديثاً .

ومن الدوافع الأساسية التى حدت بالسوفيت إلى تعميم نظام المزارع التجمعية هو جعل الزراعة بالآلات الميكانيكية الحديثة ممكنة واقتصادية ، ولذلك أنفقوا ملايين الجنيهات فى بناء مصانع إنتاج هذه الآلات التى خرجت من طور التجربة إلى الإنتاج فى نهاية سنة ١٩٣٣ إذ كان لديها مائة ألف جرارة . وجميع هذه المحطات حكومية تؤدى جميع ما يطلب منها من العمليات الزراعية فى المزارع التجمعية التى أصبحت تعتمد عليها فى ذلك فهى تقوم بالحرث والضم والحصاد والدراس وغير ذلك مقابل نسبة مئوية من محصول المزرعة تتراوح بين ١٠ — ٢٠ ٪ حسب قلة المحصول أو وفرته .

وقد كان نصف العمل الزراعى قبل الهجوم الألمانى فى الحرب الأخيرة يؤديه الخيل والنصف الآخر تؤديه الآلات . وقد بلغ عدد الخيول فى المزارع التجمعية ٨ر٥ مليون حصان بمتوسط ٢٥٠ حصانا للمزرعة ، ولكل حصان ٢٩ فدانا ، ولكل مائة فدان من الأرض الزراعية ١٢ عاملا زراعياً عضواً فى المزرعة التجمعية. وفى سنة ١٩٣٥ أصبحت محطات الآلات الزراعية تخدم نحو ثلاثة أرباع المساحة المزروعة فى الاتحاد السوفيتى .

وقد بلغ عدد محطات الآلات الزراعية M. T. S. فى بلاد السوفييت فى سنة ١٩٤٠ مقدار ٦٩٨٠ محطة خدمت نحو ٩٤/٥ ٪ من الأراضى المزروعة بالمزارع التجمعية ، وقد وفرت بعملها عمل ١١ مليون عامل . وقد بلغ عدد الجرارات فى سنة ١٩٤٠ فى الزراعة السوفييتية ٥٢٣٠٠٠ جرارة وآلات الضم والدراس المزدوجة ١٢٨٠٠٠ . وقد تمكن السوفييت بفضل محطات الآلات أن يدربوا فى المدة بين سنة ١٩٣٣ — ١٩٤٠ عدد ٦٠٢٠٨ ميكانيكى و١٠٦٣٠٢ رؤساء فرق سواق الجرارات و٢ر٣٦٥ر١٢٧ سواق جرارات و٣٠٥ر٥٦٢ سواق لآلات الضم والدراس و٢ر١٦١ر٢٦٨ مساعد سواق و ١٩٦٣٤٣ ميكانيكى لآلات الضم والدراس و ٢٠٧٢١ سواق أتوموبيل ، وقد التحق كثير من هؤلاء بالفرق الميكانيكية فى الجيش السوفييتى خلال هذه الحرب وكانوا من أقوى العوامل فى النصر

والسبب فى تركيز الآلات الميكانيكية الزراعية فى محطات هو سبب اقتصادى ، لأن إدارة هذه الآلات وصيانتها تتطلب خبرة ومهارة خاصة لا تتوفر إلا فى أناس يتخصصون لها ويكونون خاضعين لسلطة واحدة مكلفة بهذا العمل ومسئولة عنه فى كل منطقة زراعية ويكون فى متناولها كل وسائل إصلاح الآلات وصيانتها ، وهذا من مستلزمات الاقتصاد فى المال والوقت والمجهود . وإشراف الحكومة الأشراف الكلى الكامل على كافة الأعمال الزراعية فى البلاد لأن هذه المحطات ملك للحكومة وهى التى تقوم بجميع العمليات الزراعية فى كافة البلاد مقابل جزء معين من المحصول يذهب طبعاً إلى الحكومة .

ونقطة الضعف الوحيدة فى نظام محطات الآلات هى تأثر زراعة المنطقة تأثراً يتمشى مع سوء إدارة محطة الآلات فى المنطقة .

وجميع سائقى الجرارات وميكانيكى الآلات المزدوجة للضم والدراس هم غالباً من الأعضاء العاملين فى المزرعة التجمعية تدربهم محطة الآلات ليقوموا بالعمل فى اشتداد الموسم ، وبهذه الطريقة تمكنت حكومة السوفيت من غرس العقلية الميكانيكية فى الفلاح الروسى الذى أخذ ينظر إلى جرارته نظرة صوفية لأن عليها رزقه كما ينظر الفلاح المصرى إلى ماشيته . وقد علمت التجارب حكومة السوفيت أن من الأفضل لها اتباع سياسة المكافأة لكل عمل حسن يقوم بة العامل بدلا من التهديد عن كل عمل ردىء يقوم به ولكنها لا تغفل فى الوقت نفسه عن معاقبة المهمل والمخطئ والمذنب فى كل ما يعرض زراعة الدولة للخطر . ففى نهاية السنة يمنح مدير المحطة رؤساء العمل فيها مكافآت تتراوح من شهر إلى ثلاثة شهور ماهية إذا كانوا قد نفذوا مشروعهم وكان محصول المزرعة التى اشتغلوا بآلاتهم فيها قد وصل إلى معدله أو زاد عنه .

الدكتور محمد مأمون عبد السلام
وكيل قسم النباتات بوزارة الزراعة المصرية

الشرق كما يراه الغرب

المـــوالد المصرية

للأستاذ أحمد أبو زيد

كتاب الموالد الذى نلخصه لقراء الرسالة كتاب طريف وجليل يتناول ناحية طريفة وجليلة من حياتنا الشعبية . ومؤلف هذا الكتاب البمباشي ماكفرسون أمضى ما يزيد على ربع قرن فى مصر تقلب خلالها فى عدة مناصب إدارية ، فاشتغل زمناً بوزارتى المعارف والزراعة ، ثم انتقل إلى وزارة الداخلية وشغل منصب (مأمور ضبط) برتبة بمباشي ، وظل فى هذا المنصب عدة سنين. فهو إذن بحكم السنين الطويلة التى أمضاها فى مصر ، وبحكم منصبه فى البوليس على الخصوص من أفضل من يمكنهم الكتابة فى موضوع الموالد

وينقسم الكتاب إلى قسمين : فى القسم الأول تناول المؤلف الموالد على العموم ، فتكلم فى نشأتها ومصادرها ومظاهرها الدينية والدنيوية وما إلى ذلك . أما القسم الثانى ، فقد تكلم فيه المؤلف عن بعض الخصائص التى يتميز بها كل مولد على حدة ، وينفرد بها دون غيره من الموالد

ولكن الكتاب على قيمته لا يخلو من بعض العيوب ، وأظهر هذه العيوب هو عدم تسلسل أفكار الكاتب تسلسلا منطقياً ، فنجده ينتقل من فكرة لأخرى بدون سابق تمهيد ، ثم ما يلبث أن يعود ثانية إلى الفكرة الأولى مما قد يوقع القارئ فى شيء من الاضطراب . كذلك يكثر من الاستطراد والتكرار فى ثنايا الكتاب ، وقد يبلغ أحياناً إلى حد الإملال . ويأخذ عليه الأستاذ إيفانز بريتشارد أستاذ علم الاجتماع السابق بجامعة فؤاد الأول — وهو الذى كتب مقدمة الكتاب — أن المؤلف لم يلتزم فى كتابه أصول المنهج الاجتماعى الدقيق الذى يوجب على الباحث أن يكتفى بوصف ما يقع أمام ناظريه وصفاً دقيقاً دون أن يجعل شعوره الخاص يطغى على ما يكتب ويوجه كتابته ناحية معينة ، وألا يسمح لنفسه بالحكم على الظواهر الاجتماعية التى يراها حكما أخلاقياً ، فيصفها بالخير أو الشر ، بالصحة أو الخطأ ، كما حاول ماكفرسون أن يفعل وخاصة فى الفصول الأولى ، ولكن مهما يكن من شيء ، فإن هذا الكتاب يسد فراغاً هائلا فى دراسة مظاهر الحياة الشعبية عند المصريين المحدثين

— ١ —

يرى ماكفرسون أن الموالد ظاهرة اجتماعية عريقة فى القدم ، ترجع أصولها إلى احتفال المصريين القدماء بأعياد آلهتهم — مثل أوزيريس وعيد عروس النيل وغير ذلك من الأعياد السنوية التى يمكن اعتبارها موالد من باب التجوز . إنما ظهرت الموالد — بمعناها المتعارف عليه الآن — فى مصر الإسلامية فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ؛ وقد كانت فى أول أمرها احتفالات دينية شعبية محضة ، ثم أخذت تكتسب الصفة الرسمية بعد ذلك شيئاً فشيئاً ابتداء من القرن التاسع الهجرى حتى لم يعد يباح الآن الاحتفال بمولد أحد الأولياء إلا بعد الحصول على ترخيص خاص من وزارة الداخلية (وزارة الشئون الاجتماعية الآن) ؛ بل أخذت الهيئات الحاكمة ذاتها تشارك الشعب فى هذه الاحتفالات — وخاصة الاحتفال بمولد النبى (صلعم) إذ يشترك فيه رجال الإدارة ويحضره الملك نفسه أو من ينوب عنه . ومن هنا يتضح أن الموالد مظهر شعبى عظيم يمثل ناحية هامة من الحياة الروحية عند الشعب المصرى . ولكن مع أهمية هذا المظهر الذى يطبع مصر بطابع خاص فريد نجد أن هناك بعض حركات مضادة ترمى إلى القضاء على الموالد ومنع الاحتفال بها .

ولعل أكبر حركة ضد الموالد هى الحركة التى يقوم بها جمهرة المتعلمين فى مصر ممن تشبعوا بروح الثقافات الأوربية المختلفة حتى أضلتهم وأعمتهم عن مظاهر الحياة الشرقية وما هى عليه من روعة وجلال ؛ فشوهت نظرتهم إلى الموالد حتى اعتبروها مظهراً من مظاهر الحياة البدائية المتأخرة التى يجب أن تتخلص مصر منها سريعاً إن أرادت لنفسها أن تساير ركب الحضارة الحديثة ولا تتخلف عنه . وينعى ماكفرسون على المتعلمين هذه النظرة الخاطئة المشوهة ، فالموالد قبل كل شيء وعلى الرغم مما قد يشوبها من ضروب الرقص وأفانين الشعوذة البدائية تمثل ناحية لها خطرها من حياة الشعب وأفكاره وأعياده ، تنفرد بها مصر دون

غيرها من الأمم — حتى الأمم الإسلامية نفسها التي لا تتمثل فيها الموالد بمثل هذه الروعة التي تظهر بها في مصر . أضف إلى ذلك أن هذه الموالد ليست بدعة جديدة في مصر حتى نقضي عليها ونستريح منها ، إنما هي — كما ذكرنا من قبل — أعياد قديمة تمت إلى تاريخ مصر القديم بصلة قوية ، فهي بالتالي جزء جوهري من مقومات الروح المصرية ، وعلى ذلك فلا شك أن مصر لا بد أن تخسر خسراناً مبيناً وتفقد جزءاً هاماً من ملامح حياتها الشعبية التي ينبغي أن تتمسك بها في عزة وفخر لو أنها تابعت تلك الحركة الهوجاء التي يقودها المتعلمون .

وهناك فريق آخر من المتزمتين الرجعيين ، يتخذ من اسم الدين سلاحاً لمحاربة الموالد ؛ ويحتجون بأن الرسول (صلعم) لم يحتفل قط بمولد أحد من الصحابة ولم يأمر غيره بذلك ، وكل ما لم يأمر به الرسول فهو بدعة وضلالة يجب محاربتها حتى توأد . — ولكن ما كفرسون يرى أن هذه الحجة لا تكاد تقوى على الوقوف على قدميها حتى تتهافت ، فالمسلمون اليوم يحيون حياة لم يحيها الرسول العظيم ولم يأمر الناس بأن يحيوها ؛ والمسلمون اليوم يتخذون كثيراً من وسائل الحضارة الأوربية الحديثة لم يتخذها الرسول قط ، ولم يأمر الناس بأن يتخذوها . فماذا يكون من أمر المسلمين إذن لو أنهم نفضوا أيديهم من كل ما يباشرونه اليوم من أعمال ، وما يتخذونه من وسائل للحياة لم تكن على أيام (الرسول) ؟ لا شك أن طائفة الرجعيين الذين يهاجمون الموالد بهذه الحجة هم من أبعد الناس عن أن يفكروا في نبذ وسائل الحياة الحديثة التي لم يأمر الرسول بها ويعيشوا عيشة العرب على أيامه (صلعم) . وإذا كان أنصار الرجعية هؤلاء يحتجون أيضاً بضرورة القضاء على الموالد نظراً لما تحويه من ضروب الإغراء والإغواء من رقص وموسيقى وغناء وما إليها ، فإن ما كفرسون يرى أن هذه الجوانب لا تمثلها إلا ناحية واحدة من الموالد لا يقاس ضررها إلى ما يلحق مصر من ضرر لو أنها منعت الاحتفال بالموالد أصلا . ويضيف ما كفرسون إلى ذلك أن الرقص والموسيقى والغناء كانت دائما عناصر جوهرية من عناصر الدين في كل عصوره ، فالنبي داود كان ينشد الأناشيد ويعزف على المزامير ؛ والمسيحية لا تزال تعتمد في كنائسها على أنغام الموسيقى لإثارة كوامن الشجن في قلوب الناس ؛ ولا يزال هناك بعض الصبية يرقصون في دير سانت كاترينا في شبه جزيرة سينا ؛ فالصلة بين الدين والموسيقى صلة وثيقة في الواقع على عكس ما يظنه بعض الناس — ونحن هنا نجد أن ما كفرسون لم يفهم طبيعة الشريعة الإسلامية حق الفهم ويخلط بين تعاليم الدين الإسلامي وغيره من الأديان والملل ، فتعاليم الإسلام تنهى صراحة عن الرقص والموسيقى والغناء إذا ترتب عليها مفسدة أو شغلت القلوب بغير ذكر الله .

وهناك أخيرا حركة ثالثة يقوم بها العلماء والفقهاء ضد الدراويش ؛ وأصل هذه الحركة هو اختلاف فهم العلماء عن فهم الدراويش للدين ؛ فالعلماء يأخذون الدين على أنه مجموعة القوانين والشرائع التي جاء بها القرآن الكريم والسنة ، وبذلك يعتبرون أعمال الدراويش أنها نوع من الدجل والشعوذة . والواقع غير ذلك ؛ فإن للدين مظهرين : مظهراً خارجياً أو ظاهرياً هو الذي يتمثل في الشرائع ومختلف الأعمال التي يقوم بها الإنسان باسم الدين ، وهذا هو المظهر الصوري الذي يتخذه العلماء لأنفسهم ؛ ومظهراً باطنياً داخلياً يعتمد على حال القلب والوجدان في التقرب إلى الله ، وهذا المظهر يتخذه الدراويش . والمظهران في الواقع متكاملان ؛ فالدين حالة عاطفية في القلب ، كما هو أوضاع ظاهرية تظهر في مختلف العبادات ، وفي ذلك يقول بليس Blies : « إن الدراويش يبحثون عن الله في قلوبهم ، أما العلماء فإنهم يبحثون عنه في نصوصهم » . فأعمال الدراويش ليست إذن بعيدة تماماً عن الدين كما يزعم الفقهاء ، وإلا فبماذا نفسر سكوت الخلفاء وسكوت نقباء الأشراف — ومنهم نقيب الأشراف الحالي — طيلة القرون الماضية على أعمالهم لو لم تكن من الدين ؟

وعلاوة على ذلك ، فإن للموالد فائدة أخرى توجب على المصريين أن يحافظوا عليها ويتمسكوا بإقامتها دائما ، وهي فائدة اجتماعية سياسية لها أهميتها القصوى في بلد مثل مصر بلغ فيه مستوى المعيشة حدا من الانحطاط لا يبشر بخير لو لم يكن هناك ما ينفس عن الشعب الفقير المحروم بعض ما يعاني من ألم الفاقة والحرمان ويدخل عليه شيئاً من السعادة . إن الروح المصرية روح مرحة بطبيعتها تميل إلى الانطلاق واللهو والعبث . والموالد هي الفرصة الوحيدة التي يتاح فيها لعامة الشعب الفقراء أن يتناسوا

همومهم وضيقهم من حياتهم الحالكة . فمنع الاحتفالى بالموالد ليس من الحكمة فى شىء إذن ، لأنه سيحرم الشعب مصدر سروره وبذلك يزيد من ثقل وقع الفقر على نفوسهم ويشعرهم بوطأة الحرمان مما قد يدفع بهم إلى الثورة على حكامهم الذين جمعوا فى أيديهم كل الثروة وتركوا لهم الفقر كله . وفى التاريخ شواهد كثيرة على أن الأعياد الشعبية كانت أبداً عاملا يلطف حدة وقع الظلم على نفوس الطبقات الدنيا ، وأن منع الاحتفال بهذه الأعياد ساعد على انفجار مشاعر الحقد الدفينة ؛ ومن أكبر الأمثلة على ذلك الثورة الفرنسية الكبرى .

وعلى العموم فإن ماكفرسون يرى أن الحكمة تقضى على المصريين بأن يحتفظوا بأعيادهم وبمظاهر حياتهم الشعبية الأخرى ويعتزوا بها كل الاعتزاز ويضنوا بها عن أن تضيع وتتلاشى من موجة الحضارة الأوربية الجارفة ؛ فإن هذه المظاهر تبين تماماً خصائص الروح الشرقية ، فلو أن المصريين سمحوا بضياعها وتلاشيها لكان ذلك نذيراً بضياع مصر وتلاشيها كدولة شرقية لها خصائصها ومميزاتها الذاتية التى تطبعها بطابع خاص يميزها عن غيرها من الدول .

— ٢ —

للمسلمين والنصارى فى مصر موالدهم الخاصة ؛ إلا أن كلمة (مولد) تنطبق على أعياد المسلمين الدينية أكثر مما تنطبق على أعياد المسيحيين ؛ لأن المسلمين يهتمون فى الواقع أكبر الاهتمام باليوم الذى ولد فيه (الولى) ، ويعتبرونه حادثاً جليلا يستحق التمجيد والاحتفال بعكس المسيحيين الذين يهتمون بيوم الوفاة ويعتبرونه يوم الميلاد الأبدى .

ولم تظهر الموالد الإسلامية — كما قلنا من قبل — إلا فى القرن السابع الهجرى بعد موت السيد أحمد البدوى . وقد كان السيد البدوى ولياً من أشهر أولياء مصر ، عُرف بكراماته الباهرة حتى اعترف له أولياء مصر لعهده بالزعامة عليهم . وقد كان للسيد البدوى شهرة مدوية ليس فى مصر وحدها بل فى سائر البلدان الإسلامية الأخرى ، وخاصة البلدان التى زارها ؛ فقد جاب السيد شمال إفريقية ، ورحل إلى مكة وأمضى هناك عشرين عاماً يعظ الحجاج ويهديهم سواء السبيل ؛ ثم سافر إلى العراق فالتف الناس حوله وأحاطوه بمظاهر الإجلال والإكبار حتى كان بعضهم يعده فى منزلة الأنبياء . ولما رجع السيد إلى مصر ومات بها شاع خبر موته فى أرجاء العالم الإسلامى ، فتوافد الناس على مصر من جميع الأنحاء . وفى طنطا احتفلوا بجنازته احتفالا رهيباً ؛ وفى العام التالى ، بدلا من أن يحتفلوا بذكرى وفاته احتفلوا بيوم مولده . ولقد كان لاحتفال أهالى طنطا بمولد السيد أثر عظيم فى نفوس أهالى دسوق ودمنهور ، فأثار فيهم شيئاً من الغيرة مما دفعهم إلى الاحتفال بمولد وليهم « سيدى ابراهيم الدسوقى » ، على غرار ما فعل أهل طنطا . وبهذه الطريقة انتشرت الموالد من مكان لآخر حتى عمت مصر كلها وخاصة القاهرة .

وتعتبر القاهرة أسعد مدن مصر ، بل أسعد مدن العالم الإسلامى أجمع نظراً لكثرة ما تضمه من رفات الأشراف والأولياء من نسل النبى (صلعم) وغيرهم ؛ فالقاهرة فى ذلك لا يضارعها حتى مكة نفسها؛ ففيها يوجد رأس الحسين ورأس ابنه زين العابدين ورفات فاطمة وسكينة ابنتى الحسين أيضاً ، ورفات السيدة زينب شقيقته ، وجثمان السيدة فاطمة النبوية وأختها عائشة بنتى الإمام السادس جعفر الصادق ، ورفات السيدة نفيسة حفيدة الإمام الحسن (وقد أمضت السيدة نفيسة ستة أعوام فى القاهرة قبل أن تنتقل إلى الرفيق الأعلى) ؛ كما يوجد بها أيضاً قبر سيدتنا رقية وسيدى هارون ، والشيخ عبد الله الحجر من نسل الحسين ، وغير هؤلاء كثيرون من نسل النبى (ص) . ولقد كان للفاطميين (الذين حكموا مصر من القرن السابع الهجرى إلى القرن السادس) اليد الطولى فى العناية بمقابر آل البيت ومخلفاتهم بعد أن أسسوا القاهرة وجعلوها عاصمة ملكهم ، وبذلك صار للقاهرة مكانة ممتازة فى العالم الإسلامى كله . ويحتفل المسلمون فى مصر اليوم بأعياد كل هؤلاء الأشراف وغيرهم لتمجيد ذكراهم واكتساب رضوانهم وشفاعتهم فى الآخرة .

فالدافع الأول إذن على الاحتفال بالموالد كان فى الأصل دافعاً دينياً بحتاً الغرض منه تمجيد ذكرى أولياء الله الصالحين ، ولكن لم تلبث أن داخلتها بعض المظاهر الدنيوية ، وشابتها بعض عناصر اللهو والتسلية ، وأخذت تتغلغل فيها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت الموالد احتفالات شعبية أكثر منها دينية ، وأخذ الشعب كله يشارك فيها على اختلاف طوائفه الدينية ، فيشترك الآن بالاحتفال بالموالد الإسلامية كثير من غير المسلمين من أقباط مصر ويهودها

بل ومن الأجانب أيضاً ؛ كما أصبح المسلمون يشتركون مع المسيحيين فى أعيادهم (وموالدهم) مثل عيد القديسة تيريزا فى شبرا ، وعيد الشهيد مارجرجس وغيرهما . ولا شك أن هذه الظاهرة الجميلة ترجع إلى ماعرف بين المصريين من روح التسامح وعدم التعصب الدينى وروح الصداقة التى يحسونها نحو النصارى كما أمرهم القرآن الكريم .

— ٣ —

من أصعب الأمور على المرء أن يحاول تحديد مواعيد الاحتفال بالموالد فى مصر تحديداً دقيقاً ؛ وتزيد هذه الصعوبة بالنسبة للأجنبى عن البلاد الذى لا يعرف أصول التقويم القمرى الذى يسير عليه المسلمون . فالسنة القمرية تقل عن السنة الشمسية بأحد عشر يوماً، والموالد الإسلامية تتبع التقويم القمرى ، وذلك يستدعى وجود تغير كل عام فى موعد الاحتفال بالنظر إلى التقويم الشمسى . واتباع التقويم القمرى يحدث أحياناً شيئاً غير قليل من الالتباس على الأجانب على الخصوص . ومن ألطف ما حدث فى هذا الصدد أن الجرائد طلعت على الناس (فى عام ١٩٤٩) بأن مصالح الحكومة ودواوينها سوف تعطل يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الأول الموافق ٣ مايو بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى ؛ وفى اليوم المذكور توجهت جماعات كبيرة من نزلاء مصر من الأجانب للاشتراك فى الاحتفال ولمشاهدة (الزفة) ولكنهم لم يجدوا شيئاً ، لأن (الزفة) كانت قد تمت فى مساء اليوم السابق (الإثنين ١١ ربيع) ؛ وأخيراً عرفوا أن المسلمين يعتبرون الليل — وليس النهار — هو بداية اليوم الجديد ؛ فمساء يوم ١١ ربيع يعنى يوم ١٢ ربيع !

وتواريخ الموالد ذاتها تواريخ فضفاضة متذبذبة وعرضة للمد والجزر بشكل غريب بحيث يكاد يستحيل على الإنسان أن يضع تاريخاً صحيحاً ثابتاً لأحد الموالد ؛ بل إن شيخ الجامع نفسه لا يستطيع أن يحدد التاريخ بالضبط . والظاهر أن ذلك يرجع — كما يظن ما كفرسون — إلى عدم التثبت من يوم ميلاد الولى مما يدعو الناس إلى اختيار أى يوم كان . بل إن ذلك اليوم الذى يختارونه اعتباطاً يخضع هو أيضاً للتغيير إذا طرأ طارئ مثل موت أحد كبار المحسنين أو عدم جمع المال الكافى لإقامة الحفلات والزينات وغير ذلك من الأسباب التافهة . ويذكر ما كفرسون أنه فى عام ١٦٣٨ منعت الحكومة الاحتفال بمولد الشيخ مظلوم لأن يوم الاحتفال كان يوافق ذكرى المغفور له الملك فؤاد[1] . ويقص الناس حكاية عن أن الشيخ مظلوم استاء من فعل الحكومة أبلغ الاستياء فتراءى فى المنام لبعض ولاة الأمور وهددهم بالويل والمصائب إن لم يحتفلوا بمولده كما جرت العادة ؛ وقد كان للشيخ ما أراد !

إلا أن بعض الموالد تتبع الآن التقويم الشمسى أو التقويم القبطى دون التقويم القمرى ؛ ومن هذه الموالد مولد السيد البدوى نفسه إذ يقام فى شهر بابه دائماً (اكتوبر) ومولد سيدى ابراهيم الدسوقى ، وسيدى البيومى ، وسيدى الامبابى وغيرهم ؛ ومع ذلك فأن هذه التواريخ ذاتها تتعرض للتغير كل بضع سنوات ، ذلك لأنه لما كان التقويم القمرى يفترق عن التقويم الشمسى بأحد عشر يوماً فى كل عام ، فانه يحدث أن يأتى عام يصادف وقوع الاحتفال فيه بالمولد وجود شهر رمضان ؛ وفى شهر رمضان لا يحتفل المسلمون بأى مولد من الموالد ، وبذلك لا يكون ثمة مندوحة عن تغيير تاريخ المولد ! — أما موالد المسيحيين فى مصر فلعلها أكثر ثباتاً من موالد المسلمين لأنها تتبع دائماً التقويم القبطى ؛ فمولد مارجرجس يحتفل به دائماً فى برمودة (ابريل) عند الكاثوليك ، وفى بشنس (مايو) عند الأرثوذكس ؛ ومولد ستنا دميانة يحتفل به دائماً فى بشنس ، ومولد ستنا مريم فى مسرى (أغسطس) ومولد سيدى برسوم العريان يحتفل به فى توت (سبتمبر) وهكذا .

ولكن الموالد الإسلامية مع تعرضها لتغير تاريخ الاحتفال بها ، تتم دائماً فى يوم معين بذاته من أيام الأسبوع دون أن تحيد عنه قط . فمولد السيدة فاطمة النبوية مثلا يتم دائماً فى يوم الإثنين (وفى العادة يكون يوم الإثنين الأخير من ربيع الأول) ، ومولد السيدة فاطمة النبوية بنت جعفر الصادق يقام دائماً يوم الثلاثاء (أى يوم ثلاثاء من شعبان) وكذلك يحتفل بمولد سيدنا الحسين يوم الثلاثاء دائماً (آخر يوم ثلاثاء من ربيع الآخر فى العادة) ويقام مولد السيدة زينب فى يوم الثلاثاء أيضاً (أقرب ثلاثاء من منتصف رجب) وهكذا . فليس هناك إذن أى تغير أو اختلاف فى يوم المولد ذاته على الرغم من تغير التاريخ .

(يتبع) **أحمد أبو زيد**

(١) ويذكر ما كفرسون أن من أسباب تغير تاريخ الموالد هو أن وزارة الداخلية كثيراً ما تعين بنفسها يوم الاحتفال حسب أهوائها .



١٣ - الفن

للكاتب الفرنسي بول جيزيل

بقلم الدكتور محمد بهجت

يا لها من بشارة بارعة ! أيمكن أن يكون ولاء أعظم وأوقع في النفس من أن يرجع بمعاصر إلى طيات الماضي حيث يقرنه إلى رجل من رجالاته الأفذاذ الذين لمع نجمهم وتألق تألقاً فريداً ثم يبلغ منه التأثر لمجرد شعوره بالاتصال الحسي بهذا العبقري الشبيه بأنصاف الآلهة (بوسان) . وعاود روادن حديثه قائلا :

لم يرض يوفى دي شافان عن التمثال الذي عملته ، وكان ذلك من أمرّ ما غصني في حياتي الفنية . لقد ظن أني صنعت له تمثالا مسخاً . ومع هذا فأني مؤمن أني أودعت في التمثال كل الحماس والإجلال الذي شعرت به نحوه » .

ودفعني يوفى دي شافان إلى التفكير في تمثال جان بول لوران Jean Paul Tauren الذي يوجد بالمكسمبورج أيضاً . إنه ذو رأس مستدير ووجه يهم بالحركة ، ويفيض منه الحماس يكاد لايتردد فيه نفس — إنه من مواطني الجنوب ، عتيق غير مصقول تظهر عيناه كأنهما مأهولتان بأخيلة بعيدة — ذلك هو مصور العصور التي كانت أدنى إلى الهمجية حيث كان الرجال أقوياء زاخري العواطف . قال رودان :

« كان لوران من أقدم أصدقائي . وقفت له كتمثال لواحد من ميروفيين[1] الذين كانوا يعاونون ساعة موت القديسة جنيفياف ، وذلك بلوحته الموجودة الآن بالبانتيون « كانت محبته لي خالصة على الدوام . وهو الذي تحصل لي على الأذن بعمل رهائن كاليه . ومع أن الصفقة لم تعد علي بنفع مادي إذ أني قدمت ستة من التماثيل المعدنية بالثمن الذي عرض لواحد منها فقط ، فإني مدين له بالامتنان العظيم العميق لأنه حفزني لخلق عمل من أجل أعمالي .

« وكم كان سروري عظيما بأن أعمل له تمثالا . ولكنه عتب على عتابا رقيقاً لأنني أظهرته بفم مفتوح ، فأجبته بأني رأيت من تصميم جمجمته أنه ربما انحدر من سلالة القوط الأسبان . وأن هذا الضرب من الناس يمتاز بكبر الفك الأسفل . وإنني لست على بينة مما إذا كان اقتنع بصحة ملاحظتي العلمية التي ترتكز على علم الأجناس » .

وأبصرت في تلك اللحظة بتمثال لفا لجويير Falguière أنه متوقد ، ذو خلق ثائر ، بوجهه كثير من التجاعيد والعجر كأنه أرض اجتاحتها العواصف . أما شاربه فشارب امرئ متذمر ، وأما شعره فكث قصير . قال عنه رودان إنه كان ثوراً صغيراً . لاحظت فيه غلظ الرقبة حيث تبدو أثناء الجلد وتضاعيفه كأنها غبب الماشية ، وكذلك جبهته المربعة . أما رأسه فمائل عنيد ، على وشك أن يشيح بحركة إلى الأمام . حقاً إنه ثور صغير ! كثيراً ما كان رودان يتمثل بتشبيهات من المملكة الحيوانية . فمثلا إذا كان الإنسان ذا رقبة طويلة وحركات آلية فهو الطائر يتذبذب يمنة ويسرة ، وإذا كان جد ظريف كثير الحركات الرشيقة فهو كلب الملك شارل وهكذا . ومن شأن هذه التشبيهات أن تسهل العمل لمن يبحث وفي تقسيم سحن الناس وسيماهم أقساما عامة . ثم طفق رودان يشرح لي الظروف التي أدت به إلى فالجويير قال :

« كان ذلك عندما رفضت جمعية الآداب قبول تمثالي « بلزاك » أصر فالجويير الذي تولى عمل تمثال آخر لبلزاك من بعدي على أن يبين لي بحافز من صداقته أنه لم يضلع بتاتاً مع أولئك الذين أرادوا النقض من قدري وسمعتي . فدفعني حدبه إلى عمل تمثال له . وعند ما انتهيت منه ورآه قدّره تقديراً وعدّه فوزاً عظيما . وإني لأعلم أنه كان يدفع عنه نقد الناقدين في حضرته . وفي مقابل ذلك عمل لي تمثالا بدوره فجاء جد ظريف » .

(١) نسبة إلى ميروفث إسم مؤسس أول أسرة حكمت دولة الفرانك بغرب في القرن الخامس .

وعنـد ما كنت أهم بالانصراف وقعت عيني على نسخة شبهية [1] لتمثال برتلو (Berthelot) الذى عمله رودان قبل وفاة الـكيميائى العظيم بسنة واحدة فقط

كان العلامة الـكبير يبدو كأنه مطمئن إلى تأدية رسالته . إنه يتأمل . إنه منطو على نفسه ، وحيداً يواجه العقائد البالية المتداعية ، وحيدا قبالة الطبيعة التى نفذ إلى بعض أغوار أسرارها ولـكنها ما زالت جد غامضة ؛ وحيداً على حـدود الآفاق النير محدودة . جبينه معذب ، وعيناه المسبلتان مليئتان بالهموم وكأن هذا الرأس الجميل رمز للفـكر المصرى وقد ازدحم بالعـلم والمعرفة وأضناه التفكير ، ينتهى به الأمر إلى التساؤل « وما جدوى كل ذلك » .

احتشدت برأسى الآن كل تلك التماثيل التى كنت أعجب بها والتى كان يتكلم عنها رودان ، وقد بدت لى كأنها وثائق قيمة عن عصرنا الحاضر ثم قلت :

« إذا كان رودون كتب مذكراته عن القرن الثامن عشر ، فقد كتبت أنت مثلها عن أواخر القرن التاسع عشر . أما أسلوبك فأخف وأغلظ من أسلوب سلفك ، وأما تعابيرك فأقل رشاقة ، ولـكنها طبيعية صادقة — إذا جاز لى أن أقول ذلك إن الشك والإلحاد الذى كان واضحاً بيناً فى القرن الثامن عشر ، والذى كان مليئاً بالتهكم والسخرية أصبح فيك اليـوم عنيفاً حاداً . كانت أشخاص أودون أميل إلى الاجتماع والتمازح والتنادر ، أما أشخاصك ، فأكثر انصرافاً إلى أنفسهم . كانت أشخاص أودون تنتقد عورات أنظمة الحكم ، أما أشخاصك فيظهرون كأنهم يتساءلون عن قيم الحياة الإنسانية نفسها ويشعرون بالآلام والرغائب التى لم تتحقق »

فأجابنى روادن رداً على ذلك :

لقد بذلت كل ما فى وسعى ، لم أكذب ولم أغرر بمعاصرى قط . لم ترق تماثيلى فى أعين الناس ، لأنها على جانب كبير من الإخلاص ، ولـكن مما لا ريب فيه أن بها حسنة واحدة هى الصدق ، فليعوضهم هذا من الجمال »

(انتهى)

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين

(١) نسبة إلى الشبه أو الشبه وهو ضرب من النحاس المخلوط .

اللحن الحزين!

للأديب إبراهيم محمد نجا

[قيلت في رثاء فقيد العروبة والاسلام الأستاذ أحمد محرم بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته] .

نبأ ألمَّ فهاج كامن دائي … إذ كنت أستشفي من الأدواء
متعزيا بمواجعي ، متفرداً … بمدامعي ، متوحداً بعنائي
نبأ به تدمى النفوس ، وإنما … تدمى النفوس بفاجع الأنباء
قالوا لقد ذهب الردى بمحرم … في غير ما ريث ولا إبطاء
عجلا به إذ كان يحمل مهجة … كالشمس قرب سنًى وبعد سناء
والأهل يبكون الفقيد ، وإنما … يبكون خير مشيَّع ببكاء
ما بال هذا النعش يسرع بالخطى … في لهفة محفوفة برجاء ؟
كمسافر نضو السِّفار بدت له … وقت الهجيرة واحة الصحراء
والناس أنضاء الحياة ، وإنما … تلك المقابر واحة الأنضاء
ما بال هذا الجمع يرجع مطرقا … في وحشة وكآبة خرساء ؟
أين الفقيد ؟.. لقد نأى متغربا … وا رحمتاه للغريب النائي
تركوه في قلب الثرى متفرداً … إن التفرد شيمة الشعراء

***

يا شاعراً عرف الحياة مآسياً … مصبوغة بمدامع ودماء
يا شاعراً عرف النفوس وما بها … من جامح النزعات والأهواء
ورأى الزمان وكيف يخترم الورى … بفواجع النكبات والأرزاء
ورأى الفناء حقيقة عُلْويَّةً … ورأى البقاء ضلالة الأحياء
فأتى يصور في القصائد ما رأى … ببراعة عزت على النظراء
في كل طارقة ، وكل مُلِمَّة … غراء تخلب أنفُس الفصحاء
معنى كنور الشمس … فيه من السنى … روح الحياة ، وجوهر الأشياء
يوحى إلى النفس العلاء ، وإنما … تعلو النفوس بقوة الإيحاء
وكريم لفظ صيغ من محض الشذى … ومن السنا والظل والأنداء
طوراً كرقراق النسيم ، وتارة … كالعاصفات يثرن في البيداء
وخيال منشور الجناح محلِّق … كالنسر فوق القمة الشماء
شعر يخلَّد في الصدور ، وغيره … يفنى كما يفنى حَباب الماء
أبقى لنا الصوت القوى ، وغيره … لم يُبق إلا خافت الأصداء
وهدى إلى سبل السلام مباركا … كمنارة في ليلة ظلماء
والشعر مثل النفس … منه مظلم … يعمى القلوب ، ومنه ذو أضواء
يا شاعراً مسَّ القلوب بشعره … فإذا بها تصحو من الإغفاء
كالغيثُ باكر في الصباح سباسباً … فتألقت برياضها الغناء
شعر كما تهوى النفوس ، موكل … بالنفس يكشفها لعين الرائي
أبصرت فيه سرائرى فعشقته … عشق النفوس لغادة حسناء
وجعلته سلوى حياتي كلها … وملاذ أحلامي ، وحصن رجائي
من أي شيء صغت شعرك ، إنه … طب الجراح وبلسم الأدواء ؟
إني عرفتك في الحياة مجاهداً … بعزيمة وقادة ومضاء
تمضى على الأحداث تدفع موجها … عن منكبيك بهمة قعساء
ولقد أراك — وأنت نهب للأسى — … تخفي الهموم ببسمة غراء
كالسيف يبدو في غبار عجاجة … متألقاً كالكوكب الوضاء
ماهنت يوماً في الحياة ، وإن تكن … قد عشت بين براثن اللأواء
يا للحياة ، وما يكلف حبها … من جمل مكروه ، وبذل فداء
عجباً لنا نهوى الحياة ، وإن تكن … بالغدر مولعة وبالإيذاء
كالغادة الحسناء تذكي حبها … في القلب بالهجران والإقصاء
سيان في حب الحياة منعَّم … جمُّ الثراء ، ومعدم البؤساء
سيان في شرع الحياة وذنبها … حزن الشقي ، وفرحة السعداء
وإذا طلبت من الحياة عدالة … فلقد طلبت قلائد الجوزاء
ما العدل من شيم الحياة ، وإن تكن … تخفي مظالمها على الفطناء

***

إيهاً فقيد الشعر في البلد الذى … لم يرْعَ حق الشعر والشعراء !
وأساء عيش ذوى البصائر والنهى … حسداً ، وأحسن عيشة الدهماء !



إلى الأستاذ العقاد

أستاذى الكبير :

قرأت كتابكم الأخير « فى بيتى » ، وأنا أقرأ كتبكم لأفيد منها علماً بالحياة وبالنفس الإنسانية ، ومتعة فنية عظيمة . وقد وجدت العلم والمتعة فى كتابكم هذا كما وجدتهما فى كتبكم الأخرى

ولكن ليسمح لى الأستاذ أن أخالف رأيه الذى جاء فى الكتاب عن القصة ، فقد جاء فى ص ٢٧ ما يأتى :

« ثم راح (الصديق) يجول ببصره (فى رفوف المكتبة) وهو يقول : ما أصغر نصيب القصص من هذه الرفوف !

« قلت : نعم . وإنه لو نقص بعد هذا لما أحسست نقصه ، لأننى — ولا أكتمك الحق — لا أقرأ قصة حيث يسعنى أن أقرأ كتاباً أو ديوان شعر، ولست أحسبها من خيرة ثمار العقول »

ولا شك عندى فى أن الشعر فن أرق من القصة ، لأنه تعبير جميل عن النفس الإنسانية فى أصفى حالاتها ، بل أنا أحب أن أزيد يقيناً بذلك ، لا إيماناً بالفن الرفيع فحسب، ولكن اعتزازاً كذلك بما أكتبه من الشعر بين الحين والحين !

ولكنى أخالف الأستاذ فى قوله : إنه لو نقص ما نقرؤه من القصة لما أحسسنا بهذا النقص ، فالقصة دراسة نفسية لا غنى عنها فى فهم سرائر النفوس ، وليس الشعر أو النقد أو البيان المنثور بمغن عنها ، لأنها فى ذاتها أحد العناصر التى يحتاج إليها قارئ « الحياة »

وقد قرأت « سارة » ، وقرأت فى الديوان ما يقابلها من شعر ، وهو شعر جيد رفيع ، ولكنى لا أستطيع مع ذلك أن أقول إننى استغنيت به عن قراءة « سارة » ، أو إن « سارة » ليس فيها جديد مفيد من الدراسات النفسية العميقة فوق أنها من خيرة ما أخرجه الأستاذ ، ولكنى أقول إن هذا طعم وذلك طعم آخر ، وكلاهما جيد مفيد

ويقول الأستاذ — فى تقليل شأن القصة — « فكلما قلت الأداة ، وزاد المحصول ، ارتفعت طبقة الفن والأدب ؛ وكلما زادت الأداة وقل المحصول مال إلى النزول والإسفاف

« وما أكثر الأداة وأقل المحصول فى القصص والروايات ! إن خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذى يعطيكه بيت كهذا البيت :

« وتلفتت عينى فذ بعدت عنى الطلول تلفت القلب ».

ثم أورد الأستاذ أمثلة أخرى من الشعر

ولكنى أحسب أن « التركيز » ليس فى كل الحالات خير ما فى الأدب ، وأنه لا يغنى فى كل حالة عن التفصيل والتطويل ، وليست التفاصيل الدقيقة التى تعرضها القصة لغواً باطلا يمكن الاستغناء عنه ، أو أنها « كالخرنوب الذى فيه قنطار خشب ودرهم حلاوة » ! فهى تؤدى مهمة فنية كبيرة ، هى إعطاء صورة حية مفصلة من الحياة الإنسانية

والعقل يشبه الجسم فى تمثيله للغذاء واستفادته منه ، والجسم حين يقدم له من الطعام ما يمضغه ، ثم يبتلعه ، ثم يهضمه ، ثم

ويموت فيه الماجدون فيحتمى ... بالسيئين : الصمت والإغضاء!

ما أنصفوك من الزمان إذا همو ... جعلوا نصيبك منه حفل رثاء

هل ينصفونك فى الممات ، وإنهم
ما أنصفوك وأنت فى الأحياء ؟

جهلوك إذ كانت حياتك بينهم ... والدر مجهول من الدأماء

لا تعتبن على الزمان وأهله ... ما دمت لا تحظى بطول بقاء

وكفاك أنك قد فرغت من الأسى ... وسلمت من حسد ومن بغضاء

وخلصت من قيد السنين ، وإنه ... صنع الحياة ، ومن قيود الداء

ولقيت ربك ذا الجلال ، وعنده ... ما شئت من أجر وحسن جزاء

ثم فى رحاب الخلد ، وانعم بالرضى
فى ظل تلك الجنة الفيحاء

واذكر مريديك الذين تركتهم ... حتى يكون الموت يوم لقاء

(دمنهور) إبراهيم محمد نجا

يمثله ، ثم ينفي ما فيه من فضلات غير نافعة ، يكون أنشط وأكثر استفادة مما لو أخذ مادة هذا الطعام بعينها «مركزة» في قرص صغير

والأستاذ يشير إلى مثل هذا المعنى حين يقول :

ليست خلاصة كل شيء غنية عنه ولو كانت خلاصة ماهر

ثم أحسب أن الأستاذ يكاد يستدل على إسفاف القصة بأن قوماً كالشيوعيين قد استغلوها في دعوتهم إلى أقصى حدود الاستغلال ، وقالوا إنها أشرف أبواب الأدب

ولكن الشيوعيين قد استغلوا كل أنواع الأدب ومن بينها الشعر ، وهذا شاعرهم الكبير « بوشكين » شاهد على ذلك ، فلا يقال إن الشعر أو القصة فن غير رفيع لأن الشيوعيين قد استغلوه ، وإنما يقال بحق إن القصة في إنتاج ما بعد الثورة قد هبطت كثيراً عما كانت عليه أيام تولستوي ودستيوفسكي لأنها اتخذت مظهر الدعاية وحادت عن الأدب الرفيع

ولا شك في أن القصة تستطيع أن تسف أكثر مما يستطيع الشعر أو غيره من الفنون الرفيعة ، ولكن ذلك لا يعني أن القصة الجيدة ليست فناً رفيعاً ، أو أنها لا تحتل مكانة عالية بين الفنون الإنسانية الكبيرة

وليس دفاعي عن القصة ومكانتها اندفاعاً مع العصر الحديث ، فإن هذا العصر قد بالغ في شأنها أكثر مما ينبغي ، ولكن إذا كانت مهمة القراءة كما قال الأستاذ في كتابه هي « الاستزادة من الحياة » ، فإن القصة الجيدة كالشعر الجيد والفنون الأخرى ضرورية لتلك الاستزادة لا يغني عنها غيرها من الفنون

محمد قطب

خادمك المليونير

[للأستاذ عثمان نويّة]

هي قصة تجمع بين الجد والفكاهة في أسلوب رشيق ، وعبارة أنيقة ، وهي أيضاً تحليل عميق لشخص غريب الأطوار ، هو مادة الفكاهة في القصة ، وهو في الواقع مورد للفكاهة لا ينضب

ولا تخلو القصة بعد هذا من ناحية الجد ، إذ نجد أنها تتناول شخصية شاعر حساس ، يصارع موجة من الحب العنيف العفيف ونشهد نحن هذا الصراع ، متنقلين مع الشاعر في جولاته وخطراته إلى أن ينتهي هذا الصراع ... ينتهي فلا يموت الشاعر ، ولا تموت الحبيبة ، ولا تفصم عراهما ، بل ينتهي بكل ما تريده النفس الطيبة ... نعم ، لم يركن الكاتب إلى الدرامة العنيفة ، أو النهاية المؤلمة التي يقصد إليها الآخرون لوجه الإيلام فحسب ، وإنما نجده يركن إلى الصفاء والسرور والمرح ... وما أحوجنا في هذه الأيام إلى الصفاء والسرور والمرح ! وحبذا لو جرى الجميع على هذا النهج ... حبذا لو عرفوا أن السرور يهز المشاعر كما تهزها الفجيعة تماماً ... مع الفرق الشاسع بعد هذا بين السرور والفجيعة

وكاتب هذه القصة فنان مطبوع ، يتحامل على نفسه ، فيرى الحسن في كتابه سيئاً ، ولا يرضى عنه إلا بعد أن يصير إلى أحسن

ولكن لي على الكاتب نقداً أرجو أن يتقبله هادئاً كما عهدته ؛ ذلك أنه يختم الحلقة الثالثة من عمره ، وروايته هذه هي أول مؤلفاته ، ومعنى هذا أنه قضى هذه الحلقات الثلاث في إحدى اثنتين : إما أنه كان يحشد نفسه لهذه الرواية ، وإما أنه كان يهمل الكتابة طول هذه المدة ، وفي كلتا الحالتين يكون قد أساء إلى الأدب كثيراً ، وفي كلتا الحالتين يكون أنانياً لا يحب إلا نفسه ، فهو يقرأ ويقرأ ولا يكتب ، فيسر هو وحده ، دون أن يتيح للقراء أن يسروا بما ينفحهم به من ثمرات قلمه ، التي عرفنا قيمتها في (خادمك المليونير)

لعل الأستاذ عثمان يصلح ما قد جنته أنانيته فيطالعنا دائماً بمثل هذه الرواية الممتعة

ثروت أباظة

إلى الأستاذ العوضي الوكيل

يظهر أن الأستاذ العوضي الوكيل قد كتب مقاله هذا بنفس السرعة التي ينظم بها قصائده ، أرجو أن يقرأ مقالي مرة أخرى .

ثروت

الترتيب التاريخي للزوميات

وُضع سهواً اسم الدكتور عمر فروخ في ذيل الكلمة التي نشرت تحت هذا العنوان في بريد العدد الماضي ، لأن التلخيص والتعليق (للرسالة)

القصص

الخطيب ...

لأنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

« كتب هذه القصة الممتعة أنطون تشيكوف أمير القصصيين فى روسيا ، منذ حوالى نصف قرن ... ويسرنا أن نقدمها إلى قراء الرسالة مثالا للحياة الاجتماعية فى ذلك العهد المظلم ... ولعل تلك القصة من القلائل التي أجاد فيها قلم تشيكوف الفكاهى فى أسلوب ممتع ومعنى ظريف ، يتخللها نقد صريح للتقاليد والعادات التى كانت تغل الناس فى ذلك الحين ... »

مصطفى

... فى صبيحة يوم مشرق كان « كيريل ايفانفتش بيلونوف » كاتب الجامعة على وشك أن يُدفن ، وهو رجل مات متأثراً بالآفتين الشائعتين فى بلادنا : زوجة سيئة الخلق ، وإدمان للخمر وبينما كان موكب الجنازة يجتاز الطريق إلى المقبرة قفز أحد رفقاء المرحوم ويدعى « بيلافسكى » إلى عربة ، وراح يركض بها منقباً عن « جرجورى بتروفتش زبوكين » ، وهو رجل — مع حداثته — يتمتع بهيبة ومحبة من معارفه ، ويحيط بقسط وافر من العلم — كمعظم قرانى — وقد خلع الله عليه موهبة نادرة فى ارتجال الأحاديث التى ينطلق لسانه بها فى الأعراس والأعياد والجنازات ، وفى قدرته أن يتحدث كيفما وحيثما يشاء ... فى نومه ، فى خواء معدته ، عند ما ينتشى لكثرة ما نهل من الخمر ، عندما تعتريه الحمى فتسيل الألفاظ من فمه فى سلاسة ولطف كما تنساب المياه فى الجداول ، ويعج قاموسه الخطابى بكلمات لا تدانيها « صراصير » المطاعم فى الغزارة والوفرة . أما أسلوبه ففصيح بليغ يفيض بالإطناب والإسهاب ، ولذا يلجأ القوم — فى بعض أعراس التجار — إلى الاستعانة بالشرطة لإيقاف ذلك السيل المتدفق ...

وابتدره بيلافسكى حينما عثر عليه فى داره قائلا : « لقد أتيت فى طلبك — أيها العجوز — هيا ارتد قبعتك وسترتك على عجل واصحبنى ... فقد مات أحد رفقائنا ونحن على وشك أن نشيعه إلى الآخرة ، ولذا وجب عليك أن تودعه بكلمة من كلماتك الرائعة فأنت أملنا الوحيد ، ولولا أن ذلك الفقيد له مقام فى المجتمع ويستحق ما يقال فى تأبينه لما أتعبناك وأزعجناك ، ولكنك تعلم أنه كاتب الجامعة وناموسها والدعامة الراسخة التى كانت تعتمد عليها الإدارة ، فينبغى أن نشيعه ولو بحديث لائق ... » فقال زبوكين بغير اكتراث : « هه ... كاتب الجامعة ! أتعنى ذلك الرجل السكير ؟ ! »

— « نعم . سيكون ثمت فطائر وغذاء ، وستنال أجرة العربة ... هيا ، عجّل يا عزيزى ، يكفيك أن تلقى ببعض الألفاظ الحزينة عند القبر كما كان يفعل سيكرو العظيم ... آه كم ستحوز من الشكر والثناء ! »

فوافق « زبوكين على الفور وراح يعبث بغدائر شعره وجعل على سحنته مسحة كآبة وحزن ، وانطلق فى الطريق بصحبة « بيلافسكى » ، وقال وهو يهم بركوب العربة : « إنى أعلم من هو كاتبكم هذا ... رجل شرير خبيث ، وحش لم أصادف نظيره فى حياتى ... فليكن الله فى عونه » .

— « آه ... « جريشيا » هيا معنا فليس من العدل أن نسىء إلى رجل ودع الحياة » .

— « لا مجال للشك فى ذلك : « فما يُذكر للميت سوى حسناته » ولو كان شريراً ... » .

وأدرك الرفاق الثلاثة موكب الجنازة ، وراحوا يسيرون معه . أما النعش فكان يتقدم وئيداً وعلى مهل حتى أنهم استطاعوا — قبل وصولهم إلى المقبرة — أن ينسلوا ثلاث مرات إلى حانة خمر وينهلوا بعض الأقداح « نخب » حياة الراحل « الكريم » .

وفى المقبرة راح الجميع يصلون إلى جانب اللحد ... أما حماته وزوجته وأختها فأخذن يذرفن الدمع — مراعاة للتقاليد والعادات — وعندما واروا النعش فى التراب صرخت الزوجة فى لوعة وأسى « دعونى أرحل معه » ولكنها لم تصحب زوجها إلى القبر فقد تذكرت ما ستنال من معاش الفقيد ...

ولبث « زبوكين » حتى خيّم الصمت على الجميع ... فخطا إلى الأمام ... وراح يقلب طرفه فى الحاضرين ... وبدأ يقول :

« أصدق ما تراه مقلتاى ، وما تسمعه أذناى ؟.. لا . إنْ هـذا إلا أضغاث حلم مزعج ... هذا القبر ، هذا الدمع الذى يتألق على الوجنات ... هـذه الأنات وهذه الزفرات ... أهذا كله وهم ؟ لا وا أسفاه ما هذا بحلم ... إنما هى الحقيقة وأعيننا لا تخدعنا ... لقدقضى نحبه من كان بيننا منذ لحظات ، من كان أمام أعيننا كالنحلة الدؤوب ... لا يقرّ قرارها حتى تخرج العسل شهياً لصالح الخلية الاجتماعية ... لقـد ارتد الآن إلى التراب ... إلى التراب الخداع ، لقداختطفته يد المنون القاسية الجبارة فى لحظة كان يفيض فيها — مع تقدمه فى العمر — بالحياة والقوة والطموح . إنها لعمرى خسارة لا تعوض ... ترى من سيخلفه فى منصبه ، لا شك أن فى حوزتنا من هو كفء لها ، ولـكن « بر كوفى اسبتسن » معدوم النظير ... لقد كان منصرفاً إلى تأدية واجبه بما وسع مقدوره ... لم يضنّ بقوته بل كان يجهد نفسه فى العمل إلى لحظات متأخرة من الليل ... كان مثلا عالياً لقلب الطيب والضمير النزه عن الرشوة ، كم كان يحتقر أولئك الذين يأكلون مال الناس بالحق وبالباطل ... لا يفتأون يحللون له الضلال ليحيدوا به عن السبيل السوىّ ... نعم أمام أبصارنا « بروكوفى اسبتسن » الذى يجود براتبه لإخوانه التعساء ... كم ستطرق آذاننا تلك الأنات التى تطلقها الأرامل واليتامى بعد أن قضى نحبه من كان يحسن إليهم ، من كان منصرفاً إلى أعمال البر وإلى تأدية واجبه ... من كان عزوفاً عن ملذات الحياة وبهجتها ... من نبذ سعادة هذا المجتمع ... بل نبذ الزواج وجانب النساء إلى آخر أيامه ... مَن ذلك الذى فى قـدرته أن يخلفه كرفيق جُبِلْنا على حبه ... وكأنى أنظر إلى وجهه الحليق تعـلوه الرحمة يلتفت إلينا وعلى ثغره ابتسامة مشرقة ... وكأنى أنصت إلى صوته الحنون الشفيق . أسأل الله أن يشملك برحمته يا بروكوفى أسبتسن فقـد كنت شريفاً أميناً مع ما فى ذلك من عناء ... » .

وواصل زبوكين حديثه ... بينما شاع الهمس بين المنصتين ، لقد أرضى حديثه الجميع . بل وجعل بعض الدموع تنهمر من المآق ... ولـكن بدت معظم الفقرات الخطابية غريبة ؛ فأولا : لم يدركوا السبب الذى دعا الخطيب من أجله الفقيد باسم « بروكوفى اسبتسن » مع أن اسمه « كيريل ايفنفتسن » . ثانياً : أن الجميع يعلم ما كان ينشب بين الراحل وزوجته من الشجار . فمن المؤكد إذن أنه لم يكن أعزب كما نعته « الخطيب » . ثالثا : كان ذا لحية كثة حمراء وهـذا يتنافى مع قول الخطيب من أنه كان « حليق الوجه » . ولهـذا أعجز الجميع فهم معظم أقوال الخطيب ... وعلا وجوههم الوجوم ، وبهتوا وأخذ يتلفت بعضهم إلى البعض ، بينما راح فريق منهم يهزّ أكتافه فى ملل وضجر .

واستمر الخطيب فى خطبته — وقد اتخـذ فى وقفته هيئة الحزين . فقال : « بر كوفى اسبتسن ... لقد كان وجهك وضاحا مع أنه قبيح ... كنت عبوساً مقطب الجبين ، ولـكن كلنا يدرك أن تحت هـذا المظهر الخارجى قلباً يغلب عليه الشرف والشفقة والحنان ... » . وفجأة لحظ المستمعون أن الخطيب نفسه بدأ يعتريه شىء من الاستغراب كان يتفرّس فى جهة معينة من الجمع الغفير . ولم يلبث أن كفّ عن الحديث وفغر فاه فى دهشة ... ثم مال على صديقه بيلافسكى وقال وهو يحملق فى فزع « هه . لقد رأيته ... إنه ما زال على قيد الحياة ؟ ! » .

— « من هو الذى لا زال على قيد الحياة ؟ ! » .

— « بروكوفى اسبتسن !! ها هو قائم عند حجارة القبر !! »

— « إنه لا زال على قيد الحياة ... إنما الذى مات كيريل ايفانفتسن أما بروكوفى اسبتسن فقد كان كاتب الجامعة منذ حين وقد نُقِل إلى المنطقة الثانية رئيساً للمكتبة ... » .

— « يا للشيطان الذى أوحى إلى بذلك ! » .

— « لِمَ وقفت عن الحديث ... انطلق عجباً ! ! إنك مضطرب » . والتفت زبوكين إلى القبر ، وفى فصاحته المعهودة تابع حديثه . أما بروكوفى اسبتسن كبير المكتبة الـكهل ذو الوجه الحليق فقد كان قائماً حقاً قرب حجارة القـبر ... كان ينظر إلى الخطيب شزراً ... وقد انتابته موجة من الغضب .

أخـذ رفقاء زبوكين يتغامزون عليه فى عودتهم « هه ... هه ... يا لك من غر ! عجباً ! أتود أن تدفن رجلا وهو يفيض بالحياة ؟ » ودنا منـه بروكوفى اسبتسن وراح يقول فى تذمر : هذا لا يليق أيها الشاب ، إن حديثك هذا له قيمته إن كان فى رجل قد ودع الحياة ، أما إذا كان يمت إلى رجل حى فهو كلام فارغ وتهكم واستهزاء ... كم تحدثت طويلا عن روحى وعن نفسى ! أيها الأبله ! ماذا كنت تقول ؟ ! مثلا عالياً للقلب الطيب والضمير النزه عن الرشوة .. إنها كلمات تقال للأحياء على سبيل التهكم ، ومع ذلك من الذى دعاك إلى التحدث بإطناب عن وجهى ؟ ! قبيح عبوس ، ولنفرض أنه كذلك ، ما الذى عاد عليك أيها الأبله من وصف محياى على ذلك الملأ ... إنها والله إهانة لن أغفرها لك

مصطفى جميل مرسى

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

المناقصات العامة

إعلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل المعارف المساعد بشارع الفلكى بمصر بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميها فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٩/٩/٩٤٥ عن توريد أدوات ألعاب رياضية لازمة لمدارس البنين والبنات لسنة ٤٥ و١٩٤٦

ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الفلكى بمصر نظير دفع مبلغ ١٠٠ مليم

٣٩١٣

افتتاح الموسم الجديد — لسينما ستوديو مصر

يوم الاثنين ١٣ أغسطس

ستوديو مصر يقدم

عقيلة راتب — أنور وجدى — فى قصة الشباب

الحياة كفاح

مع

سليمان نجيب — علوية جميل — زكى رستم

إخراج كمال مدكور

إعلان بيع

فى يوم الأحد ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحاً بادمو مركز ومديرية المنيا وفى يوم الثلاثاء ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحاً بسوق دمشير سيباع بالمزاد العلنى زراعة ٢٢ ط و٤٤ ف ذرة صيفى المحجوزة تحفظياً بتاريخ ١٥/٨/١٩٤٤ و٥٦ ف قمح وفدان شعير و٢ ف حلبة وفول و٨ ف ربيع و٤ ف ربيع المحجوزة تحفظياً بتاريخ ١٩/٤/٩٤٤ و٣٠ ف قمح و١٠ ف فول و١٠ ف حلبة المحجوزة تنفيذياً بتاريخ ١٨/٣ سنة ١٩٤٥ وعدد ١٠ أرادب فول وحمارة ركوب وبقرة صفراء ودكتين خشب عادة وعدد ١ جرن قمح مدروس محصول ٣٠ ف ثلاثين ملك أحمد عبد الله عبد الله المقيم بناحية أدمو مركز ومديرية المنيا

نفاذاً للحكم الصادر من محكمة مصر فى القضية ن ٧٥٢٧ سنة ١٩٤٤ كلى وفاء لمبلغ ١٢١٠ ج و١٦١ مليم من المحكوم به والمصاريف

وهذا البيع كطلب حضرة صاحب العزة الأستاذ عبد القادر بك فؤاد الناسترلى ناظر وقف المرحوم حسن باشا فؤاد الناسترلى ومحله المختار مكتب إدارة الوقف رقم ٤٦ بشارع القصر العينى بمصر ومكتب حضرة الأستاذ أحمد مختار حسين المحامى بشارع عبد العزيز ن ١٥ بمصر

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين بعالية

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣٣ – الاثنين ٢٠ أغسطس ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١٥ ، ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 633

Lundi - 20 - 8 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٣ «القاهرة في يوم الإثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٦٤ — ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

الحرية والقنبلة الذرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

ختمت الحرب بالقنبلة الذرية

فعسىَ أن يبدأ بها عهد سلم موفور الأمن، مكفول الحرية

ولست ضعيف الأمل في بلوغ الغاية من هذه الطريق المرهوبة، لأن الاستعمار والاستغلال هما آفة هذا العصر في علاقات الدول وعلاقات الأفراد. ولا بد أن يتأثر الاستعمار والاستغلال معاً بعد انطلاق قوة المادة من خزائنها التي كانت محبوسة فيها. فنرجو أن يكون التغير المنظور للتحسين لا للتسوئة، فإن التسوئة لا تنفع أحداً من المستعمرين ولا المستغلين، وفيها ضير محقق عليهم أجمعين

ينشأ الاستعمار من الحاجة إلى الخامات والوقود والأسواق، ومن أجل هذه المطالب تسيطر الدول الكبرى على سبل المواصلات وتحتل المسالك البعيدة وتجور على سيادة الأمم الضعيفة بما تشاء من المعاذير والتعلات

وينشأ الاستغلال من احتكار أصحاب الأموال الوافرة لموارد الصناعة والوقود، وقدرتهم على تسخير الأيدي العاملة في صنع أدوات المعيشة بأرخص الأجور

فإذا استغنت الدول عن النفط والفحم وسائر أنواع الوقود، أو خفّت حاجتها إليها، وإذا أمكن تحويل العناصر بالطاقة الهائلة التي تنطلق من خزائن الذرات على اختلافها، وإذا تيسر استبدال بعض المزروعات ببعض المصنوعات، أو تيسر الحصول على المزروعات بجهد قليل ونفقة أهون من نفقتها اليوم، وإذا صحب هذا الانقلاب ما سيصحبه حتما من تغير العلاقات بين الأمم، فهل نغلو في الرجاء إذا قلنا إن الأقوياء يستغنون يومئذ عن التحكم في الضعفاء، وإن الاستعمار ينقضي شيئاً فشيئاً، لأنه عدوان لا تدعو إليه الضرورة ولا يساوي ما فيه من عنت وما يدور حوله من نزاع؟

كذلك نرجو أن يبطل الاستغلال إذا أمكنت إدارة المصانع بغير الحاجة إلى رؤوس الأموال الكبيرة، أو بغير الاعتماد على شركات الاحتكار والاغتصاب. فلا حاجة إذن إلى إرهاق العمال في استخراج الثمرات والمصنوعات، ولا حاجة بالعمال أنفسهم إلى العناء الشديد لاستحقاق الأجور الكافية لتحصيل أسباب المعيشة الرخية، فقد تتيسر الأشياء لطالبيها بأرخص الأثمان وأيسر الوسائل، لأن الطاقة الذرية كفيلة بتيسيرها من غير إرهاق في العمل ولا إغلاء للتكاليف

نعم، إن فلق الذرة لا يزال وديعة مكتومة بين أيدي فئة قليلة من رجال الدولتين الأمريكية والبريطانية، ولكنه سر

الحكومات والعلماء وليس بسر المحتكرين وأصحاب الأموال ، ولا مصلحة لحكومة من حكومات هذا العهد فى تسليم هذا السر إلى شركات الاحتكار لاستخدامه فى تسخير الملايين من الصناع والأجراء ، وإذا تسرب السر إلى الصناعات السلمية ، فلا موجب لانحصاره فى أيدى أصحاب الأموال وأنصار الاستغلال ، لأنه قد يتاح لأصحاب الأموال القليلة كما يتاح لأصحاب الأموال الكثيرة ، وقد ينتفع به الأفراد كما ينتفع به كبار المساهمين فى الشركات . ولا شك أن تكاليف العدد والأجهزة التى تستخدم فى شق الذرة ستنقص مع الزمن وتدخل فى متناول العدد الأكثر فالأكثر من المنتفعين بها ، وبخاصة إذا تعدى الأمر معدن الأورانيوم إلى غيره من المعادن التى قد تجدى فى توليد الطاقة وإن لم تبلغ فى قوتها مبلغ هذا المعدن النزور

ونود أن نتفاءل ولا نود أن نتشاءم ، لأن التشاؤم هنا عبث ضائع على كل حال ، فمتى وقعت الطامة الكبرى التى لا طامة مثلها ولا طامة بعدها ، فإن غناء الباكيات قليل كما قال الشاعر القديم

* * *

وللقنبلة الذرية علاقة أخرى بقضية الحرية غير هذه العلاقة ، وهى توكيد العقم الذى تصاب به العقول المنتجة فى بلاد الاستبداد ، أو فى غير البلاد الديمقراطية على الإجمال

فليس أكثر من معامل التجربة فى ألمانيا وإيطاليا واليابان وروسيا الشيوعية ، وبعض الحكومات التى تخضع للحكومة الإجماعية

وليس فى العالم دولة تهتم باختراع الأسلحة الجائحة كما تهتم بها دول المحور ولا سيما الألمان واليابان

كل جهود هذه الدول منصرفة إلى استكمال العدة بكل وسيلة من وسائل الغلبة وكل حيلة من حيل العلم والصناعة

والعلم الإنسانى بين أيديها كما هو بين أيدى الأمم الديمقراطية فى الولايات المتحدة أو فى بلاد الإنجليز

وربما استطاعوا أن يحيطوه بالأسرار ويهيئوا له جو البحث فى أمان من عيون التجسس والاستطلاع ، ولم يتيسر ذلك بمثل هذه السهولة فى بلاد البحث الحر والصحافة الطلقة والمناقشات التى لا تنقطع فى الأندية العامة والمجالس النيابية

وكان فلق الذرة عند الألمان واليابان مسألة حياة أو موت ، لأنهم لا ينتصرون بغيره كما ظهر من وقائع الحرب التى شهدوها قبل أن نشهدها ، ولم يكن فلق الذرة مسألة حياة أو موت عند الديمقراطيين ، لأنهم قد انتصروا بغيره أو انتصروا قبل القنبلة الذرية وتلقوا عروض الصلح من اليابان قبل استخدام القنبلة الأولى ببضعة أسابيع

ومع هذه الضرورة الملحة ، وهذه العناية البالغة ، وهذه اللهفة العاجلة ، حصرت العقول فى بلاد الاستبداد فلم تصنع شيئاً فى هذا الباب ولا قريباً من شىء ، وعمل الديمقراطيون للحرب بعدهم بسنوات ، فإذا بهم يستعدون لها بهذا السلاح ويشهرونه على أعدائهم وهو عندهم فضول وعند أولئك الأعداء طريق النصر — بل طريق النجاة الوحيد .

لم خابت عقول المخترعين فى بلاد الاستبداد وأفلحت فى بلاد الحرية ؟ ألاختلاف فى طبائع العقول ؟ أهناك تفاوت فى مواهب الأجناس ؟

كلا ، لأن العلماء الذين عملوا لفلق الذرة منهم ألمانيون وروسيون وإيطاليون ودنمركيون ، ومنهم من بدأ البحث ومن تقدم به إلى ختامه الموفق ومن كان له فضل الاقتراح الناجح منذ سنوات .

فليس المرجع فى هذا إلى اختلاف فى طبائع العقول ، أو تفاوت فى مواهب الأجناس ، ولكنما المرجع فيه إلى سبب واحد جامع شامل وهو جناية الاستبداد على العقل البشرى بجوه الخانق وسيطرته الغاشمة وسوء التوفيق بينه وبين الكرامة الفكرية التى يشعر بها المخترع ولا غنى له عنها فى معرض من معارض التفكير .

ولم يكن هذا المخترع فلتة أو مصادفة بين المخترعات الأخرى حربية كانت أو سلمية ، ولازمة كانت فى موعدها المطلوب أو غير

لازمة ... لأن القاعدة مطردة بغير استثناء يذكر فى مخترع واحد من مخترعات هذا الزمن الحديث . وحسبنا أن نلحظ الفارق بين الطائرات الألمانية أو الإيطالية وبين الطائرات الأمريكية والإنجليزية مع استغناء الإنجليز والأمريكيين بالأساطيل البحرية واعتماد الألمان على الطائرة والغواصة لمقاومة المدرعات والسفن الكبيرة . فإن الديمقراطيين دخلوا ميدان الاستعداد متأخرين فبلغوا بالطائرات على اختلافها أقصى حدود الإتقان فى وقتنا هذا ، وأصبحت قاذفاتهم ومقاتلاتهم وحارساتهم وناقلاتهم راجحة فى مجال العمل على أمثالها عند المحوريين كل الرجحان .

وما من شىء سمعناه عن أخبار الأمم التى لا تدين بالديمقراطية يدل على كساد العقول فى ظل الاستبداد كما تدل عليه تلك الأخبار التى ينشرونها عن ملايين الكتب والتصانيف التى تطبع بالملايين وتوزع كما يقولون بين الملايين . فإن تلك البلاد كانت تنجب النوابغ النابهين فى العلوم والآداب ولم يكن يطبع فيها عشر معشار هذا المقدار . فإذا توافر الغذاء وساءت « الصحة العقلية » فالجو إذن هو المسئول عن هذا الهزال ، وعليه اللوم وحده وليس اللوم على القرائح والعقول .

***

على أن القنبلة الذرية ستخدم الحرية الديمقراطية من طريق غير هذه الطرق التى قدمناها . لأنها ستحطم مذهب « كارل ماركس » كما تحطم الحصون والمعاقل التى تنقض عليها ، وهو أخطر المذاهب التى تناضل الديمقراطية فى عهدها الأخير .

ولسنا نعنى بذلك أن الديمقراطيين يحاربون الماركسيين ، وإنما نعنى به أن ظهور هذا العامل الجديد فى أطوار الصناعة يقطع السلسلة التى صاغ كارل ماركس حلقاتها وجعل الحلقة الأخيرة منها اجتماع الثروة كلها فى أيدى ملوك الصناعة واصطلاح الفاقة كلها على العمال .

قال : ومتى صار العمال إلى هذا المأزق الضنك فلا مناص لهم من الموت جوعاً أو الثورة الدموية على ملوك الفحم والحديد وأشباه الفحم والحديد .

فأقل ما تصنعه القنبلة الذرية أنها تقطع هذه السلسلة قبل حلقاتها الأخيرة ، لأنها توهن قبضة المحتكرين على عناصر الصناعة الكبرى وتخلق لهذه الصناعة عنصراً غير الفحم والحديد وغير العناصر التى يقوى على احتكارها أولئك المستغلون .

فما أضخمها من قنبلة تلك القنبلة التى نجمت من أصغر الأشياء فى هذه الدنيا .

إنها قنبلة ناسفة عاصفة ولكنها فى عالم الأفكار والآراء أفعل ما تكون ؛ لأنها إذا فعلت فعلها فى آراء الناس وأخلاقهم لم يقف لها عائق ولم يكن تعويقها من المفيد ، ولكنها إذا أرادت أن تفعل فعلها فى عالم الأجساد وقف الناس لها أجمعون أو وجب عليهم أن يقفوا لها هناك ... وإلا فهى القيامة لا مراء .

عباس محمود العقاد

الفلسفة الإسلامية المتأخرة

للدكتور جواد علي

— ٢ —

وكتاب الأسفار من الكتب الفلسفية المهمة، وقد أكسب مؤلفه شهرة عظيمة جعلته في عداد كبار فلاسفة الإسلام . فإنك إذا ما قرأت الكتاب شعرت بأهمية المؤلف وبالمسائل العويصة المدونة فيه . وبالأفكار والنظريات الفلسفية العويصة المسطرة في صحائف السفر العظيم . تذكرك بكتب ابن سينا أو محي الدين بن العربي أو الطوسي وبأمثالهم من فلاسفة المسلمين . وقد غلط المستشرق كوبينو « Gobineau » في ترجمة عنوان الكتاب إذ توهم فظن أن المقصود من «الأسفار» السياحات ولذلك اختار كلمة «Voyage» والحال أن مقصود المؤلف من كلمة « أسفار » جمع «سفر» ومعناها الكتاب . ومقصود المؤلف من « الأسفار الأربعة » الكتب الأربعة لا السياحات الأربعة كما ظن ذلك هذا المستشرق المذكور[١]

راجت كتب الملاصدرا رواجاً عظيما وشرحت عدة شروح وظلت آراؤه فيما وراء الطبيعة تحتل مكاناً بارزاً في عالم الفكر الإسلامي حتى اليوم . ولا زالت كتبه تستعمل في الجادة القديمة لمن تقدم في موضوع الفلسفة كما تستعمل كتب ابن سينا أو ابن رشد . وقد أثرت آراؤه هذه على الأخص في الهند وإيران والأفغان فأوجدت بعض المذاهب الإسلامية التي لم تلبث أن أصبحت مذاهب دينية ذات مناهج مستقلة مثل مذهب « الشيخية » المنسوب إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي المتوفى سنة ١٢٤٣ للهجرة ولسنة ١٨١٧ — ١٨٢٨ للميلاد[٢] .

تأثر الشيخ أحمد الإحسائي بآراء الملا صدرا كثيراً فشرح

(١) Brown Vol 4 P, 430 راجـع Gobineau Rel' et. les Philos. 1866 P, 81. كذلك مجلة المجمع العلمي العربي عدد ١١ — ١٢ مجلد ٩ ص ٦٠٣ وما بعد .

(٢) عن الشيخ أحمد الاحسائي راجع روضات الجنات ج ١ ص ٢٥ وما بعد — أيضا رجال النيسابوري . وكان النوري ينكر فضله .
nicolas, Essai sur le Cheikhisme, Port 1, P 60, Port 2 PP, 32 — 36.
cl. Huart, in the Encyclopaedia of Islam Vol 4 P, 279.

بعض كتبه مثل كتاب «الحكمة العرشية» وكتاب «المشاعر»[١] وهو عيال على الملا صدرا على الأخص في موضوع ما وراء الطبيعة . وبالنظر إلى ما كان يظهره من غلو في بعض الآراء نفر الناس منه والتمس الشيخ حامياً له ومعينا ، وكان ذلك الحامي هو الأمير محمد علي ابن فتحعلي شاه حاكم مدينة « كرمانشاه » . ولما توفي هذا الحاكم اضطر إلى مغادرة إيران والالتجاء إلى « الحائر » المقدس في العراق حيث ألف كثيراً من كتبه وشرح ما راقه من كتب الملا صدرا المهمة وبعض الكتب الأخرى[٢] . وقد عرف إتباع الشيخ أحمد باسم « الشيخية » وهم جماعة خاصة ظهرت في جماعات الشيعة في إيران . تزعمهم تلميذ الإحسائي ومنظم صفوف الشيخية « السيد كاظم الرشتي » أبرز تلاميذ الإحسائي على الإطلاق[٣] . (توفي سنة ١٨٤٤ م) . وكان هـذا السيد من أردبيل ملجأ الشيخ صفي الدين الأردبيلي المتصوف المشهور وجد الأسرة الصفوية والذي ينسبه الكتاب إلى الإمام موسى الكاظم الإمام السابع على ترتيب الشيعة الأثنى عشرية من آل البيت[٤] .

يروي عن الشيخية أن الإمام تجلى للسيد كاظم الرشتي في ليلة من الليالي وكان عمره إذ ذاك اثنى عشر عاماً وأشار عليه بوجوب الذهاب إلى مدينة « يزد » إحدى مدن إيران والالتحاق بحاشية الشيخ أحمد الإحسائي الذي كان يعظ ويدرس في تلك المدينة . وقد اتبع السيد أمر الإمام وذهب إلى المدينة وأصبح من تلاميذ الشيخ وأصحابه ومن أقرب الناس إليه[٥] . ولما غادر الإحسائي إيران ثم ترك العتبات المقدسة في العراق لأداء فريضة الحج توفي في الحجاز ودفن بالمدينة في جوار قبور الأئمة بالبقيع سنة ١٢٤٣ للهجرة[٦] . وأصبح السيد كاظم الرشتي خليفة الإحسائي والنائب

(١) Donaldson, The Sbi, ite Religion PP, 360 — 361 .

(٢) روضات الجنات ج ١ ص ٢٥ — ٢٧ . Brown Vol 4. PP, 410. Brown Travelleis narrative PP, 197 — 8 PP, 278.

(٣) نفس المصادر . Donaldsou The shi'ite Religion P, 361.
Huert. Art Shaibhis Vol 4 P, 279.
Harten The Philosophi of islam P, 142.

(٤) Donaldson The Shi'ite Reli PP, 278 .

(٥) راجـع nicolas Essai sur le cheikhisme Part, 22, PP, 32 — 36.
Donaldson the Shi'ite Religion P, 361.

(٦) راجع روضات الجنات ج ١ ص ٢٥ — ٢٧ Brown P, 410 .

منا به فى الأمور . فنظم شئون « الشيخية » وألف فى الدفاع عن عقيدة أستاذه وفى توضيح قواعد المذهب الجديد إلى أن توفى بمرض أصابه ببغداد دون أن يتمكن من النص على تعيين شخص يكون خليفته من بعده وزعيم الشيخية الدينى المطاع بالنص والتعيين[1] .

فانصرفت جماعة منهم إلى الميرزا على محمد الشيرازى (ولد سنة ١٨٢٠ م — قتل سنة ١٨٥٠ م) الذى جاء بتعاليم جديدة تلتقى فى الفكرة التى استقى منها الملا صدرا تعاليمه والشيخ أحمد الإحسائى والبابية عيال على الشيخية فى آرائها وفى أفكارها المغالية ولا سيما فى نظرتها إلى الإمام المهدى وعلاقة الإمامة بالإنسان[2]

ومن أقوال الإحسائى فى الحشر والمعاد قوله « إن هذا البدن المحسوس المركب من العناصر الأربعة يفنى ويزول ولا يعود والمحشور فى القيامة هو البدن النومى الذى تراه فى منامك . كما يقول إذا دخلت فى النوم خلعت الجسد العنصرى وبقيت فى الجسد الهور قلياني وجميع أجسام الجنة والنار من قبيل الصور النومية[3] وقد أنكر معراج النبى بالبدن العنصرى البشرى المحسوس « مستدلا بأن الصعود بهذا البدن يلزم منه الخرق والالتئام تبعاً للفلاسفة »[4] وفسر المعراج تفسيراً يختلف عن التفاسير المألوفة التى تحاول التوفيق بين العقل والنقل .

وينسب إليه الغلو فى الأئمة حتى إنه أشركهم مع الله فى الخلق وفى القدرة وفى مسائل أخرى هى من صفات الألوهية والربوبية ؛ لذلك حكمت عليه طبقة العلماء بالكفر والخروج عن الدين وكتبت بذلك وثيقة وضعتها فى كربلاء إحدى المدن المقدسة فى العراق[5] .

ولم يكتب الرواج للمذهب « الشيخى » على عكس « البابية » التى نشأت فى أحضان « الشيخية » ونمت بتربتها . والظاهر أن للتنظيم وقدرة زعماء البابية على إحكام أساليب الدعاية وتوجيه أنظارهم نحو العالم الخارجى المتعطش لكل فكرة غريبة هى التى دعت إلى رواج هذا المذهب الغريب . أما المذهب « الشيخى » فلم يظهر فى وسطه زعيم قوى بعد وفاة خليفة « الإحسائى » السيد كاظم الرشتى يستطيع الاستمرار على دعاية ذلك المذهب على الرغم من الجهود التى بذلها بعض علمائهم من أمثال الحاج محمد كريم خان الكرمانى والملا محمد المامقانى (Mâmaqâni)[1] . ومع ذلك فلا زالت هنالك جماعة صغيرة مشتتة بين العراق وإيران وسواحل الخليج تنتمى إلى مذهب الإحسائى ولكنها لا تتظاهر بذلك ولا تجهر به .

وأكثر الكتب المؤلفة فى عقائد « الشيخية » هى من تأليف الشيخ أحمد الإحسائى نفسه الذى كان مؤلفا وكاتباً نشطا فى التأليف ، ومن تآليف تلميذه وخليفته السيد كاظم الرشتى والكرمانى والمامقانى ومن ظهر من رجالهم . وقد طبع بعضها ولاسيما كتب الشيخ أحمد الإحسائى فى إيران والهند . ولدى الأستاذ المؤرخ المحامى عباس العزاوى وهو عالم ومن الهواة فى جمع الكتب مجموعة مهمة من كتب الشيخية منها ما هو بخط الإحسائى نفسه ، ومنها ما هو بخط السيد كاظم الرشتى أو بخط الزعماء الشيخيين[2] .

حاول الملا صدرا كما حاول جماعة إخوان الصفاء وبقية الفلاسفة الإسلاميين وقبلهم الفلاسفة المسيحيون التوفيق بين الفلسفة والدين ، وبين العقل والنقل ، وبين فلسفة اليونان وبين دين الإسلام . والملا صدرا ميال إلى آراء اليونانيين بل هو مؤمن بها إيماناً كلياً ولكنه مسلم من جهة أخرى ، وفى محيط إسلامى كانت الصوفية فى ذلك الوقت تتحكم فيه . هو صوفى فى التفكير والحياة والميول . ويذهب مذهب محى الدين بن العربى فى آرائه ولا سيما فى فكرة « وحدة الوجود »[3] .

ولعل وحدة المزاجين مزاج ابن العربى ومزاج الملا صدرا هى التى جمعت بين الملا صدرا وبين التصوف الشهير على تباعد الوقت واختلاف العقيدتين — وهى التى جمعت بين الملا صدرا وبين بقية المتصوفة عموماً . والظاهر أن الملا صدرا كان يؤمن بعقائد ابن

---

(١) نفس المصادر Huort, Shaikpis Ency of islam Vol 4 P, 279

(٢) راجع Donaldson The Shi'ite P, 363 Brown Vol 4. 421 Travelelr PP, 197. 310 — 312. راجع الكتب المؤلفة عن البابية .

(٣) راجع رسالة كشف خطأ الخونارى فى معرفة الاحسائى ١٣٣٤ .

(٤) نفس المصدر .

(٥) راجع روضات الجنات جـ ١ ص ٢٥ — ٢٧ .

---

(١) Brown Vol. 4 P, 422 Traveller's narrative pp, 278 .

(٢) عن كتب الشيخ أحمد الاحسائى راجع روضات الجنات جـ ١ ص ٢٥ — ٢٧ ، أيضاً Donaldson pp, 360 و Brown Vol 4 p, 421 nicolas, Essai Sur le cheikhisme part 1. p, 60

(٣) روضات الجنات ص ٥٤٢ ، وكتبه المختلفة

العربى وبآرائه إيمان المقلد المعجب تراه يقتبس كلمات ابن العربى وأمثاله وأفكاره ويبثها فى كتبه كما لو كان يقتبس من كتاب من الكتب المقدسة السماوية . ويدل ذلك فى الوقت نفسه على اطلاعه الواسع على كتب ابن العربى ومؤلفاته على غموض العبارة وصعوبة الافكار والأسلوب[١] . وابن العربى من مبدعى مذهب « وحدة الوجود » فى الإسلام والملا صدرا ممن يعتنق هذا المذهب ويدين به . يروى عن ابن العربى أنه كان يقول « كفر النصارى ليس بقولهم إن المسيح هو الله بل كفرهم لقولهم إنه ابن الله »[٢] .

وقال صدر الدين فى أول رسالته سريان الوجود « ثم اعلم أن ذلك الارتباط كما مرّ ليس بالحالية ولا بالمحلية بل هى نسبة خاصة وتعلق مخصوص يشبه نسبة المعروض إلى العارض بوجه من الوجوه وليس هى بعينه كما توهم . والحق أن حقيقة تلك النسبة والارتباط وكيفيتها مجهولة لا تعرف »[٣] . وقال « الأقرب فى تقريب تلك النسبة أعنى إحاطته ومعيته بالموجودات ما قال بعضهم من أن من عرف معية الروح وإحاطتها بالبدن مع تجردها وتنزهها عن الدخول فيه والخروج عنه واتصالها به وانفصالها عنه عرف بوجه ما كيفية إحاطته تعالى ومعيته بالموجودات من غير حلول واتحاد ولا دخول واتصال ولا خروج وانفصال وإن كان التفاوت فى ذلك كثيراً بل لا يتناهى ولهذا قال من عرف نفسه فقد عرف ربه »[٤] .

وما الناس فى التمثال إلا كثلجة وأنت لها الماء الذى هو فيه[٥]

فالملا صدرا على جادة ابن عربى فى «وحدة الوجود» ويشاركه فى آرائه الصوفية الأخرى . ولكنه كان من جهة أخرى حذراً جداً فى كلامه لبقا فى أساليب التعبير . وكان إذا أراد البحث فى قضية من القضايا الحساسة تعمد التعقيد والأبهام والإجمال خوفاً من الاصطدام بطبقة « المجتهدين » الذين ناهضوا التصوف والفلسفة والمتفلسفين واستحوذوا على الشاه وعلى بطانة الشاه .

استحوذ رجال الدين و « أصحاب الاجتهاد » على الرأى العام وتدخلوا فى شؤون الحكومة حتى أصبحت الحكومة لهم والحكم فى القضايا الدنية إليهم . وتغلبوا شيئاً فشيئاً على أصحاب الذوق وعلى رجال التصوف الذين استأثروا بالحكم فى بادىء الأمر حين تشكلت الدولة الصفوية ، تلك الدولة التى نشأت على أسس صوفية وعلى دعوة منظمة سياسية تسترت باسم التصوف والدروشة وذكر الله العظيم . ولكنها كانت تبث الدعوة وتوجه الأنظار سراً إلى عمل سياسى منظم قام به أبطال صفى الدين الأردبيلى الصوفى والزاهد المشهور وجد السلاطين الصفويين[١] .

ومما ساعد تفوق رجال الدين على طبقات المتصوفة الفوضى الأخلاقية التى انتشرت فى نوادى المتصوفة وأوكارها من « تكايا » و «خانقاه» وفى صفوف « القلندرية » و « الدراويش » إذ تحول « الذكر » الدينى إلى رقص إيقاعى خليع ، وتحول « الغزل الإلهى » إلى غزل شهوانى مبتذل حتى اضطر المتصوفة أنفسهم إلى مكافحة هذه الطرق فيها كما فعل الملا صدرا نفسه وهو فى عداد المتصوفة فى رسالته « كسر أصنام الجاهلية »[٢] .

وصبغ متصوفة إيران ممن سبقوا الملا صدرا أو ممن جاءوا من بعده ابن العربى وإخوانه المتصوفة بصبغة شيعية فجعلوه من كبار المجاهدين فى خدمة التشيع وآل البيت وأحاطوه مع أمثاله كما أحاطه متصوفة السنة بهالة من التبجيل والتقديس . وكان الأحرى بهؤلاء أن يعدوه مع إخوانه فى قائمة خاصة لا هى سنية ولا هى شيعية ؛ قائمة يسجل فيها مع أهل الباطن وأهل الآراء الخاصة على أن أهل الفقه من رجال الدين ممن اشتركوا فى محاربة التصوف ورجاله لم يرضوا عن ابن العربى ولا عن زملاء ابن العربى ولم يخفوا حنقهم عليه . وقد حار المترجمون فيما بعد واضطروا إلى نقل الرأيين المدح والذم على الجمع بين الضدين فى مكان واحد[٣] .

(يتبع) جواد على

---

(١) روضات الجنات ص ٥٤٢ ، وما بعد . iqbal Development of metaphysics in persia London Luwoe 1908

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق جـ ١٢ ص ٧٢٩ بقلم الشيخ أبو عبد الله الزنجانى .

(٣) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق جـ ١٢ ص ٧٤٠ .

(٤) نفس المصدر جـ ١٢ ص ٧٤١ .

(٥) نفس المصدر جـ ١ مجلد ١٠ ص ٣٠ .

(١) توفى سنة (٧٣٠ هـ — ١٣٣٤ م) راجع Donaldson p, 262. Browne persian Literatwre in modern Tines p, 33 ff صفوة الصفا طبعة بومى سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م .

(٢) Brown Vol 4 p, 430 عن كتبه راجع أيضاً مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق جـ ١١ — ١٢ . روضات الجنات ص ٥٤٢ .

(٣) راجع كتب التراجم مثل روضات الجنات ، وقصص العلماء ؛ حيث تجد أسماء المتصوفة فى ضمن أسماء الشيعة . وفى المدح والذم .

القضاء فى الإسلام

قطعة من محاضرة ألقيت فى دمشق سنة ١٩٤٢ ولم تنشر

للأستاذ على الطنطاوى

[مهداة إلى الرجل الذى أرانا فى شخصه صفحة حية من أمجاد قضاتنا الأولين ، وفخر به عصرنا العصور السالفات ... عارف النكدى]

يا سادتى ! أحب أن أكون هذه العشية مؤرخاً لا شاعراً ، وأن أعرض عليكم حقائق ثابتة بأسلوب هادئ ، فلا أفخر ولا أبالغ ، ولا أملأ الآذان إغراقاً وتهويلا ، فإذا سمعتم مبالغة فاعلموا أن الواقع هو الذى يبالغ ، وما هو ذنبى إذا كان قضاتنا الأولون قد نظموا بأعمالهم قصائد دونها فى الفخر معلقة ابن كلثوم ، وجعلوا من مناقبهم مفخرة خالدة لكل من قال « أنا عربى » ، أو قال « أنا مسلم » ... وكانوا أعلام الهدى فى طريق العدالة ، وكانوا الدرارى فى سماء القضاء ، قد بذوا كل سابق وفاتوا كل لاحق ، وما كان مثلهم ، ولا أحسبه يكون !

إنى والله آخذ تاريخهم فأختصره وألخصه وأعرضه عليكم ، وربما أشرت إشارة عابرة إلى القصة لو سمعتموها على أصلها مادريتم لفرط مايخالطكم من السمو والزهو وهزة الطرب وأخذة العجب! أفى أرض أنتم أم فى سماء ... لا تعجبوا ، ففى تاريخنا من الأمجاد ما لو أفيض على أفراد البشر لجعلهم كلهم عظماء !

وبعد ، يا سادتى ، فإن القضاء أعلى درجة استطاع البشر الارتقاء إليها . ارفعوا القضاء من تاريخ الإنسان يهبط إلى درك البهائم ، ويأكل القوى من بنى آدم الضعيف ، وإن معنى الإنسانية وحقيقتها فى الحياة المجتمعة الهادئة الآمنة ، التى لا يطغى فيها أحد على أحد ، والتى تصان فيها الحيوات والحريات ، وتحفظ الدماء والأعراض ، ويتحقق فيها التعاون على جلب المصالح ودرء المفاسد ، ولا يكون ذلك كله إلا بالقضاء

والقضاء — عند المسلمين — أقوى الفرائض بعد الإيمان ، وهو عبادة من أشرف العبادات ، لأنه إظهار للعدل ، وبالعدل قامت السموات والأرض . وصف الله به نفسه إذ قال (فالله يحكم بينهم) و (إن ربك يقضى بينهم) ، وأمر به نبيه فقال (وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) ، وجعل أنبياءه قضاة بين خلقه (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون) ، وبه أثبت الله اسم الخلافة لداود حين قال له (يا داود ، إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى) .

والقضاء أول ما تعقد عليه أمة خناصرها ، إذا عددت أمجادها ومفاخرها . وإذا استدل بفرد على سلائق جيل ، كان القاضى العالم العادل أظهر دليل على مكارم شعبه ونبل أمته . وإذا كان بين الشعوب اليوم من يفخر باستقلال قضائه ، وعزته ومضائه ، ففاخروه يا شبابنا بقضائكم يكن لكم الفخار ، وتنعقد على جباهكم تيجان (الغار) ، ولكن لا تناموا على هذا المجد التليد ، بل انهضوا فصلوه بمجد لكم جديد !

***

يا أيها السامعون ! إنى لا ألقى خطابيات ، ولكن أسرد حقائق: هذا قضاؤنا ، فمن عرف قضاء أشد منه استقلالا ؟ هل نال قاض فى أمة من الحرية مثل ما كان لقضاتنا ؟ لم يكن القاضى مقيداً بمذهب بعينه لا بد له فى مخالفته ، ولا مربوطاً بقانون بذاته لا يملك الخروج من ربقته ، وليس لخليفة عليه فى حكمه سلطان ، ولا لأمير معه فى قضائه كلام . تبدلت على المسلمين دول ، واختلفت حكومات ، وقام قاسطون ومقسطون ، وخيّرون وشريرون ، والقضاء فى حصن حصين ، لا تبلغه يد عادل ولا ظالم ، ولا يمسه خليفة حق ولا سلطان جائر ... القاضى واجتهاده ، مرجعه كتاب الله وسنة نبيه ، ورقيبه ضميره ودينه ، ووازعه إيمانه ويقينه . وسيأتى الكلام فى صفات القاضى ، وأن الأصل فيه أن يكون من أهل الاجتهاد لا من المقلدين . ولقد رأيت فى تراجم بعض القضاة أنهم كانوا يرجعون إلى الخلفاء يسألونهم ويستفتونهم ، وإن من الخلفاء من كان يذيع من (البلاغات) ما ظاهره إلزام القاضى بقول أو مذهب . وتحرير الكلام فى هذه المسألة أن من أعمال الخلفاء الاجتهاد والفتوى والقضاء وقيادة الجيوش وسد الثغور ، ومن شرائطهم العلم ، فإذا رجع القضاة إلى الخلفاء ، فإنما يرجعون إليهم لعلمهم وفقههم لا لسلطانهم

ومنصبهم ، وأكثر ما رأيت من السؤال إنما هو لعمر بن عبد العزيز وأمثاله . ولقد كانوا يقولون : « العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة » ... ولم يكن القضاة ملزمين بالعمل بجواب الخليفة أو بلاغه . ولقد رد القاضي المصري بكار بن قتيبة بلاغ الموفق العباسي ، لما ثبت عنده أنه مخالف للحكم ، مناهض للدليل وأسقط العمل به[1]

ولعمر الحق ما فرط قضاتنا بهذه الأمانة ولا أضاعوها ، بل كانوا أمناء عليها ، قائمين بحق الله فيها ، لا يعرفون في الحق كبيراً ولا صغيراً ، يقيمونه على الملوك قبل السوقة ، ويأخذون للضعيف الواني من القوى العاتي ، لم تكن تنال منهم رغبة ولو جئتهم بكنوز الأرض ، ولا تبلغ رهبة ولو لوحت لهم بالموت منشورا ، بل كانوا في الحق كالجبال هيبة وثباتاً ، وفي إنفاذه كالصواعق مضاء وانقضاضاً ، وسيأتيكم حديث محمد بن عمران قاضي مكة ، الذي ادعى لديه جمال على أمير المؤمنين ، العظيم المخيف ، أبي جعفر المنصور ، فبعث إليه (مذكرة جلب) ، فجاء به في خف وطيلسان ما عليه من شارات الإمارة شيء ، حتى وقفه بين يديه مع الجمال .

وشُرَيْك قاضي الكوفة حين ادعت لديه امرأة مجهولة على الأمير الخطير ابن عم الخليفة وثاني رجل في الدولة بعده عيسى بن موسى ، فحكم عليه حكما غيابياً ، فامتنع الأمير من إنفاذه وتوسل إليه بكاتبه ، فحبس القاضي الكاتب لأنه مشى في حاجة لظالم ، فاستعان عليه بجماعة من وجوه العراقيين من إخوان القاضي ، فساقهم جميعاً إلى الحبس ، فغضب الأمير وبعث من أخرجهم . عند ذلك — أيها السادة — عصفت نخوة الشرع في رأس القاضي ، وأخذته عزة الإيمان فقال : « والله ما طلبنا هذا الأمر (يعني المنصب) ، ولكنهم أكرهونا عليه ، وضمنوا لنا فيه الإعزاز إذ تقلدناه لهم » . ثم ختم قمطره ، وجمع سجلاته ، واحتمل بأهله ، فتوجه نحو بغداد ، ووقعت الرجفة في الكوفة حين مشى فيها خبر خروج القاضي ، حتى خاف الأمير على سلطانه ، فلحق بالقاضي يناشده الله أن يرجع ، فقال القاضي : « لا والله حتى يرد أولئك إلى الحبس ، فما كنت لأحبس أنا وتطلق أنت » ؛ فبعث الأمير من يرجعهم إلى الحبس ، والقاضي واقف ينتظر حتى جاءه الخبر بأنهم قد أرجعوا ، فقال القاضي لغلامه : خذ بلجام دابة الأمير وسُقه أمامي إلى مجلس الحكم ، إلى المسجد ، أيها السادة ، وهناك أجلسه بين يديه مع المرأة ، فلما انتهت المحاكمة وحكم لها عليه ، نهض إليه فسلم عليه بالإمارة وقال له : هل تأمر بشيء ؟ فضحك الأمير وقال : بماذا آمر؟ وأي شيء بقي؟ قال له شُريك : أيها الأمير ، ذاك حق الشرع ، وهذا حق الأدب . فقام الأمير وهو يقول : من عظم أمر الله ، أذل الله له عظماء خلقه !

هذا قضاؤنا ، فهل سمعتم عن قضاء أنه بلغ في التسوية بين الخصوم مبلغه ؟ لقد سووا بينهم في المجلس والخطاب والبشر ، واللفتة العارضة ، والبسمة البارقة ، بله الحكم . وقد بلغ التدقيق في تحقيق هذه التسوية مبلغاً لا غاية وراءه ، فاقترن في هذه المسألة العلم بالعمل ، وحقق القضاة ما دوّن الفقهاء ، فافتحوا أقرب كتاب فقه إليكم تروا ما ذا دوّنوا ...

وقف بين يدي المأمون وهو في مجلس المظالم رجل يتظلم منه نفسه ، فترادا الكلام ساعة فما اتفقا ، قال المأمون : فمن يحكم بيننا ؟ قال : الحاكم الذي أقمته لرعيتك يحيى بن أكثم ، فدعا به المأمون فقال له : اقض بيننا ؛ قال : في حكم وقضية (أي في دعوى) ؟ قال : نعم ؛ قال القاضي : لا أفعل . فعجب المأمون وقال : لما ذا ؟ قال يحيى : لأن أمير المؤمنين لم يجعل داره مجلس قضاء ، فإن كانت له دعوى فليأت مجلس الحكم (أي المحكمة) ؛ قال المأمون : قد جعلت داري مجلساً للقضاء . قال : إذن فإني أبدأ بالعامة ليصح مجلس القضاء (وتكون المحاكمة علنية) ؛ قال المأمون : افعل ؛ ففتح الباب ، وقعد في ناحية من الدار ، وأذن للعامة ، ونادى المحضر ، وأخذت الرقاع (أوراق الدعوة والإعلان) ، ودعى الخصوم على ترتيبهم حتى جاءت النوبة إلى المتظلم من المأمون ، فقال له القاضي : ما تقول ؟ قال : أقول أن تدعو بخصمي أمير المؤمنين المأمون . فنادى المحضر : « عبد الله المأمون » ! فإذا المأمون قد خرج في رداء وقميص وسراويل في نعل رقيق ومعه غلام يحمل مصلى حتى وقف على يحيى ، ويحيى جالس ، فقال للمأمون : اجلس ! فطرح الغلام المصلى ليقعد عليه ، فمنعه القاضي حتى جاء بمصلى مثله ، فبسط للخصم وجلس عليه ، والقصة طويلة عجيبة ، تتمتها أعجب من فاتحتها ، فاقرءوها في (المحاسن والمساوئ)

---

(١) راجعوا الكندي وذيوله

للبيهقى ، الجزء الثانى الصفحة ١٥١ ، وإنكم لتحارون بعدُ ثم تعجبون : من جراءة الرجل ، أو من صلابة القاضى ، أو من أخلاق المأمون !

ومن قبله غضب علىّ — كما قيل — حين كانت له دعوى مع اليهودى ، لأن القاضى ناداه : يا أبا الحسن ، ودعا اليهودى باسمه ، فرأى فى ذلك تعظيما له وإخلالا بالمساواة بين الخصوم ، والله أعلم بصحة ما قيل . ونزل ضيف بخير بن نعيم قاضى مصر فأطعمه وأكرمه ، ثم علم أن له خصومة لديه ، فتركه فى الدار ، وذهب يفتش عن خصمه حتى جاء به فأجلسه معه على المائدة . وقد حدثنى عمى القاضى النزيه صلاح الدين الخطيب عن عمه قاضى يافا فى زمانه للعالم الجرىء المشهور صاحب النوادر الشيخ أبى النصر الخطيب بمثل هذه القصة ... وما كان الخير لينقطع فى أمة محمد إلى يوم القيامة !

هذا قضاؤنا ، فهل سمعتم أن قضاء أسرع فى إحقاق الحق منه ، وأبعد عن التعقيد والالتواء والتسويف والتأجيل ؟ إن الحق اليوم لا يكاد يصل إليه صاحبه حتى تنقطع دونه الأعمار ، وما جدى حق يأتى من دونه المدى الأطول ؟ لقد كانت بيننا وبين آل الصلاحى فى دمشق دعوى على أرض لبثت فى المحاكم ثلاثاً وثمانين سنة وخمسة أشهر ... أقامها على جدهم جدى الذى قدم من (طنطا) ، وانقرض منا ومنهم بطنان والدعوى قائمة ، وقد خسرناها أخيراً . وصدقونى إذا قلت لكم إنى لم أدر إلى الآن مع من منا الحق ، ولم أفهمها . وكيف أدرس ملفاً فيه من الأوراق المكتوبة بالعربية والتركية والفرنسية أكثر مما فى تاريخ بن جرير الطبرى ؟ أما قضاؤنا ، فكان يبت فى القضية مهما عظمت فى جلسة أو جلستين ، لا يعرف هذا التطويل وهذا التأجيل . ولقد حكم قاضى مصر محمد بن أبى الليث فى دعوى بنى عبد الحكم المشهورة بمبلغ مليون وأربعمائة وأربعة آلاف دينار ذهبى فى جلسة واحدة يوم السبت ٨ جمادى الأولى سنة ٢٣٧ هـ ، ورضى بحكمه الفريقان . روى ذلك الكندى

وهل مثل قضاتنا فى التنزه عن كل ما يقدح بحشمة القاضى ووقاره ، وفى التحرز من أدنى التهم ، وأضعف الميل؟ وهل للقضاة فى أمة اليوم مثل ما كان لقضاتنا من رفيع الشأن وعظيم القدر ؟

يا أيها السادة ! اذهبوا إلى سوق الكتب فاطلبوا كتاب « الخراج » الذى ألفه القاضى الإمام أبو يوسف للرشيد واقرؤوا مقدمته ، واذكروا عظمة الرشيد وكبر نفسه وجلال ملكه ، ثم انبشوا تواريخ الأمم الماضية وأخبار الأمم الحاضرة ، وانظروا .. هل تجدون قاضياً ، أو عالماً ، يقول لملك دون الرشيد بمائة مرة مثل هذا الكلام أو قريباً منه : « الله الله ، إن البقاء قليل ، والخطب خطير ، والدنيا هالكة وهالك من فيها ، والآخرة هى دار القرار ، فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين ، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم ، وقد حذرك الله فاحذر ، فإنك لم تخلق عبثاً ، ولن تترك سدى ، وإن الله سائلك عما أنت فيه ، وعما عملت به ، فأعد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها ، فإن ما عملت قد أثبت فهو عليك غداً يقرأ ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله فى مجمع الأشهاد »

أيها السادة ، هذا بعض ما خاطب به أبو يوسف القاضى هارون الرشيد أمير المؤمنين والحاكم المطلق فى ست عشرة حكومة من حكومات هذه الأيام !

على الطنطاوى

العلوم الاجتماعية

التاريخ ... ما هو؟

« إذا أراد العالم أن يكون مؤرخاً ،
فعليه أن يكون رجل اجتماع ... »

للأستاذ فؤاد عوض واصف

التاريخ ... ما هو ؟ عنوان سبقنا إليه العلامة الألمانى لامبرشت ؛ فلعله كان من بين الذين أثارهم ذلك التضارب المثير والاختلاف الكبير بين اتجاهات التاريخ المختلفة ، حتى لقد احتار طلاب العلم ولم يدروا ، أهو أنف كليوباترا الدقيق الذى غير مجرى التاريخ المصرى القديم ، أم هى عوامل طبيعية وجغرافية لم يكن لسحر كليوباترا وجمالها دخل فيه ، أم هو الشعب أقام التاريخ المصرى القديم كما أقام كليوباترا وأقعده كما أقعدها ؟

التاريخ ... ما هو ؟ هل هو الإنسان بما ركب فيه من ميول ونزعات تنمو تارة فيزدهر التاريخ ، وتضمحل أخرى فتضيع أصداؤه ؟ أم هى الطبيعة بجبالها وأنهارها بغاباتها وأشجارها ، ينمو التاريخ فى أحضانها مزوداً بأعاصيرها ورياحها بثورتها وهدوئها ، أم هو المجتمع يتمخض عنه التاريخ « كما يتمخض الناتج الكيميائى عن مزيج من العناصر » ، دون أن يكون للفرد فيه أو للعوامل الطبيعية غير دور ثانوى ؟ ...

التاريخ ... ما هو ؟

***

كان التاريخ فى عهوده الأولى عبارة عن مقطوعات نثرية لا تقرر الواقع ، وكانت أغلب القصص التى تروى فى ذلك الحين مختلفة ، وكانت المعابد مكاناً تسجل فيه بعض الأحداث ومعجزات الآلهة . أما فى روما ، فكان أكثر ما يشغل الشعب الأخبار السياسية ، ولذلك كانت تدون على جدران المعابد

وجاء المؤرخون الأول من بلاد أيونا ، واشتهروا بأسفارهم ورحلاتهم العديدة التى كانت عمادهم فى جمع الأخبار وتسجيلها . ومن هؤلاء هيرودوت أبو التاريخ الذى طاف بعدة بلاد ، وزار مصر حيث تعرف إلى كهنتها ، فكانوا له أكبر العون ، وأمدوه بالقصص المختلفة وأخبار الآلهة ووقائع الحروب . وجاء بعد هيرودوت توكيديدس واكزنوفان وغيرهما ، ومجموع ما خلفه لنا هؤلاء وإن يكن يحوى الكثير من الحقائق ، فإن الطابع الأدبى والشعرى غالب عليه(١)

وفى القرون المسيحية الأولى كان التاريخ مقصوراً على مجرد ذكر الوقائع والأخبار المسيحية المختلفة ، وحتى القرن الثالث عشر الميلادى كان التاريخ فى معظمه وقائع وأخباراً دينية ، وكان غرض المدرسين أن يبينوا كيف أن الأحداث التاريخية تتابع فى نظام إلهى ؛ فالحياة الإنسانية سلسلة عجائب ومعجزات إلهية ، هى تجليات لله فى خيرها ، وتجليات للشيطان فى شرها(٢)

والنهضة الأدبية التى ظهرت فى القرن الثالث عشر قادت إلى الكشف عن كثير من النصوص المفقودة ، وأمدت التاريخ بعناصر جديدة ، فظهرت لأول مرة مؤلفات تاريخية منظمة مثل مؤلفات مكيافيلى

وفى القرن السادس عشر أصبح المؤرخ بعد حركة الاكتشافات الكبيرة ، على علم ببلاد جديدة وشعوب جديدة ؛ فاتسعت بذلك معلوماته واتجه إلى البحث فى فروع جديدة من أفرع التاريخ كاللغة والديانات وغيرها ...

وبعد الثورة الفرنسية ظهرت القوميات فكانت دافعاً كبيراً للبحث عن منابع التاريخ القومى لرغبة الناس فى التغنى بماضى أوطانهم وتفوق عناصرهم ، فظهرت الكتب التاريخية حافلة بالوقائع الحربية وتراجم مشاهير الرجال . ولا يزال التاريخ يتقدم حتى بلغ المرحلة التجريبية ؛ وظهرت الخطوط الأولى لهذا التقدم الهائل فى مؤلفات بارتسولد نيبورر الذى يعد واضع منهج التاريخ العلمى ، ومن عهده أصبح التاريخ يستند إلى مناهج شبيهة بمناهج العلوم الطبيعية ، وأصبح المؤرخ يتخذ من نفسه موقف الباحث العلمى الذى يبحث عن الوقائع مجرداً عن كل غاية ، وانحصر عمل المؤرخين فى هذا الدور على جمع الوقائع والأخبار وتحديدها تحديداً

---

(١) Encyclopoedia Britannica : History .

(٢) The Spisituel interpretation of History : mathews p. 11.

علمياً وتنسيقها فى مجموعات منظمة ؛ ولم يكن المؤرخ يرمى إلى تفسير الوقائع أو بيان الرابطة العلية التى ترتبط بهـا الأحداث التاريخية لرغبته فى الابتعاد كل البعد عن النزعة الذاتية

ولكن هل من الممكن أن تكون هذه المجموعة الكبيرة من الوقائع المحددة تحديداً علمياً دقيقاً ، هى كل عمل المؤرخ ينتهى عندها نشاطه ؟ لا بد للمؤرخ من أن يخطو خطوة أخرى حتى يجعل من الوقائع حقائق يقبلها العقل ، ذلك لأن الواقعة التى تريد أن تؤكد نفسها من غير تفسير أو علة ، لا يمكن أن تكون حقيقة مقبولة ، لأنها وهى تقرر وجودها تنكر شرطاً أساسياً للوجود الحقيقى (١) . إن الوقائع المنفصلة — كما يقول كروتشه — جافة وثقيلة ، ولا بد للفكر من أن يغمرها بقبسه حتى تكتسب الصفة العقلية : « إن الوثائق والآثار تعود إلينا رجالها ، فنتمثلهم أحياء عاملين منفعلين ، نتمثلهم بأصواتهم وهيئاتهم وعاداتهم ، وكأنهم عابرو سبيل التقينا بهم منذ فترة قصيرة ... ولكن تبقى خطوة ثانية ، هى البحث عن الرجل الخفى وراء الرجل الظاهر ، البحث عن المركز ومجموعة الأعضاء والعوامل الداخلية التى كانت علة حدوث الوقائع ... تلك هى الدراما الداخلية ، شىء يختلف عن جمع الأخبار » (٢) . والقاعدة الأساسية التى يعرفها المؤرخ الآن « اجمع الأخبار ثم اربطها علمياً وفسرها » (٣)

الخطوة الأولى إذا فى العمل التاريخى هى جمع الأخبار وتحديدها تحديداً علمياً دقيقاً . والخطوة الثانية ، وهى التأريخ بمعناه الحقيقى تتجه إلى تفسير الوقائع والكشف عن الروابط العلية التى ترتبط بها الأحداث التاريخية

ولما كانت عملية التفسير التاريخى عملية ذاتية Subjective تعددت النظريات واختلفت الاتجاهات ، ومن هنا جاءت كتب التاريخ مصبوبة فى قوالب مختلفة وفى كثير من الأحايين متناقضة

والذى نبغيه من هذا البحث العلمى هو تحديد هذه الاتجاهات المختلفة ، وبيان أوجه النقد فيها ، ثم نحاول أن نكشف عن هذا الاتجاه الجديد الذى يمكن رد الأبحاث التاريخية فتسلم من وجوه النقد . وسنرى أن هذا الاتجاه هو علم الاجتماع الحديث ، فموضوع التاريخ وعلم الاجتماع واحد ، وهو الإنسان فى نشاطه الاجتماعى .

***

والاتجاهات المختلفة فى التفسير التاريخى يمكن أن تنقسم إلى قسمين :

١ — نظريات متيافيزيقية أوميتافيزيقية مقنعة بحجاب علمى

٢ — نظريات علمية

أولا : النظريات الميتافيزيقية

١ — النظرية الدينية : تتلخص فى القول بوجود علة متعالية هى رائدة الأحداث التاريخية تحددها وتقودها نحو غاية يعلمها الله . وهذا التفسير لا يزال له أنصار معاصرون مثل لورنت البلجيكى وروخول الألمانى وفلنت الإنجليزى ؛ فعند هؤلاء علة الوقائع التاريخية هى إرادة الله ، والتاريخ سلسلة من معجزات الله

٢ — النظرية العقلية : تتجه هذه النظرية فى تفسيرها لعلل الوقائع التاريخية اتجاهاً يرمى إلى القول بأن هذه الوقائع تتم تبعاً لنظام عقلى مرسوم ، وكل واقعة تاريخية لها غرض وجودى ، ومن شأنها أن تحدث تقدماً فى المجتمع

ولإثبات خطأ هذه النظرية يكفى أن نقول إن الأبحاث التاريخية العديدة تثبت لنا أن الوقائع التاريخية تتم فى أغلب الأحايين إن لم يكن فى كلها بعكس ما تزعمه هذه النظرية . فليست الصفة العقلية بملازمة للوقائع التاريخية ، فالمؤسسات وغيرها لا تقوم فى الغالب إلا لإشباع رغبة منشئيها وأصحابها ، وإن الحصر ليقصر عن تعداد الأحداث التاريخية التى كانت سبباً فى تأخر المجتمع لا فى تقدمه تبعاً للصفة العقلية التى تزعمها هذه النظرية

٣ — النظرية الهيجلية : وهى نظرية الأفكار التى تلاحظ من خلال (١) الشعوب كرائدة وقائدة لها . وقد ظهرت هذه النظرية فى ألمانيا بشكل « الرسالة » Beruf التى توكل إلى الشعوب والأفراد فيكون الزمام بأيديهم فتحقق الأحداث التاريخية تبعاً لمشيئتهم وتوجيههم

---

(١) Reasorn in politics : K. B. smellie p. 175 .

(٢) History and Historiography : B. Croce p 66 .

(٣) Ibid p. 72

(١) Intrsduction ts the Study of hiotory : Langlsis Seignodos p. 286.

وهذه النظرية شبيهة بالنظرية السابقة ، لأنها تفترض أن الأحداث التاريخية تتحقق بطريقة عقلية ومن شأنها تقدم المجتمع ، فما قيل فى نقد النظرية السابقة يمكن أن يقال فى نقد هذه النظرية

٤ — نظرية التقدم المستمر والضرورى للانسانية ، وقد اعتنقت هذه النظرية من بعض الوضعيين وترد إلى العلامة سبنسر . فسبنسر فى كتابه « مبادئ علم الاجتماع » يزعم أنه بدراسته للأحداث التاريخية قد استنبط قوانين عامة تتحكم فيها وتعمل باستمرار على تقدم الإنسانية ورقيها . وفى نظره أن الإنسانية تتقدم من البسيط إلى المركب ، ومن المتجانس إلى اللامتجانس ، وإنها تتطور أيضاً من الحالة الأنانية إلى الحالة الغيرية

ولكن البحوث الحديثة قد أثبتت خطأ نظريات اسبنسر كلها ، فالأنانية موجودة فى عصرنا الحالى ، وفى كثير من الأحايين لا تختلف عن أحط أنواع الأنانية الموجودة فى الشعوب البدائية ؛ وحسبنا ما هومشاهد فى استراليا من قيام بعض الجماعات الأوربية بصيد الزنوج فى عطلة الآحاد كأنهم يتصيدون حيوانات لا حق لهم فى الحياة . فالأنانية والغيرية موجودة فى الشعوب البدائية والحديثة بدرجة تكاد تتشابه فى كثير من المواطن[١]

٥ — النظرية الحيوية : هذه النظرية استعارت تفسيرها من عالم الكائنات الحية ، فقد أراد أصحابها أن يدرسوا فروع التاريخ المختلفة من لغة وقوانين وعادات ... الخ . كما لو كانت كائنات عضوية حية تملك قوة وراثية كامنة فيها هى علة النشوء والتطور فيها . ونضرب مثلا لنظرية التطور الحيوى Entuickelung بأبحاث برونتيير فى تاريخ الأدب ، وهى أبحاث شهيرة استعارت تفسيراتها من عالم الكائنات الحية

وسينوموس يرد على هذه النظرية بالقاعدة الآتية : « إذا أردت أن تبحث عن علل حادث تاريخى فابدأ بتفسيرها تجريبياً ، وإذا أردت أن تستعمل تجريدات بعد ذلك فابتعد عن كل مجاز يظهر هذه العلل فى صورة موجودات حية ... »

هذه هى أهم النظريات الميتافيزيقية والشبه ميتافيزيقية التى تناولت تفسير الأحداث التاريخية والكشف عن عللها بوجهات

(١) L' Origine et le deueloppemenl desidées morales : E. Weslermarcq Tome I (hommicide) .

نظرها المختلفة . وقد بينا وجوه النقص فى هذه النظريات المختلفة وقصورها الواضح فى بيان التفسيرات الصحيحة للأحداث التاريخية ...

ثانياً : النظريات العلمية

١ — النظرية الجغرافية والظروف الطبيعية المحيطة بالإنسان : ترتبط الوقائع التاريخية تبعاً لهذه النظرية ارتباطاً علمياً يقوم على الظروف الإقليمية والاختلافات الجغرافية والطبيعية . فعند راتزك ، الجبال والأنهار والبحار وغيرها من العوامل الجغرافية هى العلة المباشرة للوقائع التاريخية . فمثلا متشنيكوف يقول : « إذا تساءلنا عن العامل الذى كان سبباً لأن تصل المدنية إلى درجة النضوج فسيكون الجواب : إنه المكان الذى هيأ أكثر من غيره مجالا لتكاثف الناس »[١]

والآنسة سمبل تقول : « إن انتقال المخترعين الأول من الشرق إلى الغرب إنما كان للتخلص من كلاب جيرانهم ونباحهم المزعج »[٢]

وهذه النظرية شائعة فى الكتب التاريخية إلى حد كبير ، وتحمس لها الكثيرون من أئمة التاريخ كمونتسكيو[٣] وابن خلدون[٤] . والواقع أنه إذا كان للظروف الجغرافية والطبيعية الأثر الذى لا ينكر ، فإن الإنسان بما امتاز به من قوة فكرية يخضع فى الطبيعة فى أغلب الأحايين ويسيطر عليها ، وهذا ما جعل كلودبرنارد يقول عن الإنسان : « إنه السيد الآخر للطبيعة » Le contremaitre de le nature[٥] .

٢ — النظرية المادية التاريخية : هذه النظرية تنظر إلى الحياة الاقتصادية كعلة للوقائع التاريخية . فالطاحونة التى كانت تدار بالهواء

(١) The new History and Sociol Studies : H. E. Barnes p. 48

(٢) The Spirituel interpretation of history : Mathews p. 18

(٣) راجع كتابه « روح القوانين » : Lésprit des Lois .

(٤) راجع محاضرات الأستاذ على عبد الواحد وافى للسنة الثالثة فلسفة بجامعة فؤاد الأول .

(٥) Intrsduction à l'étude experimentale de la medecine : C. Bernard p. 25.

قد أوجدت مجتمعاً « يتحكم فيه أمراء الأقطاع »، وأما الطاحونة التى تدار بالبخار فقد أوجدت مجتمعاً رأسمالياً » ؛ فالتحول الاجتماعى من النظام الأقطاعى إلى النظام الرأسمالى يرجع إلى تحول الطاحونة التى تدار بالهواء إلى طاحونة تدار بالبخار (١) ...

وأهم من قال بهذه النظرية هو كارل ماكس . فكارل ماركس جعل الحياة الاقتصادية هى العامل المحرك للحياة الاجتماعية والأحداث التاريخية وموقف الإنسان ما زاد الحياة الاقتصادية موقفاً « سلبياً Passif » .

وهذه النظرية برغم شهرتها حافلة بالأخطاء النظرية والعملية . فأتباع كارل ماركس أنفسهم فى عصرنا الحالى فى روسيا وإن اتفقوا مع أستاذهم فى كون العامل الاقتصادى هو أهم العوامل الاجتماعية ، فهم يخالفونه فى نظرته إلى الإنسان باعتبار موقفه من الحياة الاقتصادية موقفاً سلبياً ؛ فالاشتراكية الحديثة تقرر أن الإنسان عامل إيجابى actif وأن الحياة الاقتصادية ترتد إليه ، فهو الذى ينميها ويوجهها سواء السبيل (٢) .

وإن المقام ليضيق بنا إذا أردنا تعداد الأخطاء النظرية والعملية من النظرية المادية التاريخية التى سلبت الحياة والفكر من الإنسان الناطق وأعطته للمادة الصماء ...

٣ — النظريات النفسية : أهم هذه النظريات بالنظريات بالنسبة للتاريخ نظريتان :

(ا) نظرية التقليد . (ب) نظرية الدوافع .

(ا) نظرية التقليد : أول من قال بهذه النظرية جبرائيل تارد وتتلخص فى أن ظهور فرد قوى أو قائد شجاع يكون عاملا على انبثاق حضارة جديدة . فنظرية تارد تنسب كل الأحداث التاريخية إلى أفراد وهم الرجال العظماء « The great men » ، فتراهم يقولون « نابليون فعل كذا وكذا ... » . والعلة التى جعلت انجلترا فى عهد الملكة (آنا) تختلف عن انجلترا فى عهد الملكة اليزابيث، والتى جعلت جامعة هارفرد اليوم تختلف عنها منذ عشرات السنين إنما ترجع إلى أفراد « إنه الفرد منبع الأفكار الجديدة ، والاختراعات والقواعد القضائية وغيرها من عوامل الإصلاح ... » (٣) .

(١) The Spirituel interpretation of history : mathews p. 33

(٢) political Theories : Barnes Bolhhevism .

(٣) The new Histoay and Sscial Saenees : Barnes p. 104

وظاهرة التقليد عند تارد تقوم على ثلاثة عناصر :

١ — التكرار .

٢ — المعارضة .

٣ — القبول .

وتكون هذه العناصر الثلاثة حلقة دائرية ، تبدأ محدودة ثم تأخذ فى الاتساع بسرعة وبدون توقف . وعنصرا التكرار والقبول هما العنصران البارزان فى هذه العملية ، وعنصر المعارضة يهيأ ، فى هذه الحركة الدائرية لظهور عباقرة مخترعين . ويمكن أن تفهم العلاقة بين هذه العناصر الثلاثة عندما تعتبر أن عنصر التكرار المستمر يعمل بنفسه على مضاعفة القبول وازدياده ، وفى حالة المعارضة يعمل على ظهور وسائط أخرى من شأنها أن تحدث اتجاهات جديدة وتضاعفها بدورها ... (١)

ولعل نظرية التقليد هى أكثر النظريات العلمية شيوعاً فى مناهج البحث التاريخى ، مع أن التقليد كما يقول العلامة دركيم « هو توليد أوتوماتيكى ناتج عن فعل بدون أن يتدخل فى هذا الفعل أية عملية عقلية واضحة أو غير واضحة » (٢) فانتشار عادة من العادات فى مجتمع ما لا ترد إلى تقليد الأفراد الذين بدأوا بممارسة هذه العادة تقليداً إرادياً كما يزعم تارد ، وإنما يرجع انتشار العادة إلى الشعور الجمعى المتولد والذى كان هؤلاء الأفراد أول من استجاب له » فالتقليد هنا بمعنى آخر تماماً غير هذا الذى يعنيه تارد .

(ب) نظرية الدوافع : يقول ميرفى ونيوكمب فى كتابهما « علم النفس الاجتماعى التجريبى » ، إنه إذا كانت ظاهرة التقليد قد حظيت بالأنصار العديدين فى أواخر القرن التاسع عشر وأواخر القرن العشرين ، فإنه لم يعرف حتى الآن انتصار لنظرية كذلك الذى حظت به نظرية الدوافع التى كان أول من قال بها ماكدوجل الأمريكى . فماكدوجل يقول « إن مظاهر الأفراد بعضهم مع بعض فى المجتمعات ، ترجع بعد تحليلها إلى الدوافع الفطرية » ، وهذه الدوافع عند ماكدوجل أربعة عشر أهمها الجوع والعطش والغريزة الجنسية وغريزة الأمومة (٣) .

(البقية فى العدد القادم) **فؤاد عوض واصف**

(١) Ibie p. 174 .

(٢) L' annèe Sociologique I p. Durkhein .

(٣) Ekperimental Social psychology : murphy and neuwmb p. 9

الحديث المحمدى

لمعة من تاريخه

للأستاذ محمود أبو رية

[عن لنا أن نبحث عن تاريخ الحديث ،
وبعد درس طويل تهيأ لنا من هذا التاريخ
كتاب سنقدمه للطبع وهذه كلمة صغيرة عنه]
« أبو ريه »

لما أنشأت أدرس دينى درس العقل والفكر بعد أن آخذته تلقيناً من نواحى العاطفة والتقليد رأيت أن أرجع إلى مصادره الأصلية ومراجعه الأولى ، ولما وصلت من دراستى إلى كتب الحديث كنت أجد فيها بعض أحاديث لا تسكن نفسى إليها ولا يطمئن قلبى لصحتها ، ذلك بأنها تحمل من المعانى ما لا يتقبله عقل سليم أو يقربه علم ثابت أو يؤيده حس ظاهر أو كتاب متواتر[١] ، وكنت أجد مثل ذلك فى كثير من الأحاديث التى شحنت بها كتب التفسير والتاريخ وغيرها .

وكان أكثر ما يثير عجبى أنى إذا قرأت كلمة لأحد أجلاف العرب أهتز لبلاغتها وتعترينى أريحية من جزالتها ، وإذا قرأت بعض ما ينسب إلى النبى من قول لا أجد له هذه الأريحية ولا ذلك الاهتزاز . وكنت أستبعد أن يصدر مثل هذا الكلام المغسول من البلاغة عن النبى الذى كان أفصح من نطق بالضاد . وما كان عجبى هذا إلا لأنى كنت أسمع من شيوخ الدين عفا الله عنهم : أن كل الأحاديث التى وردت فى كتب السنة قد جاءت بألفاظها ومعانيها ، وإن على المسلمين أن يسلموا بكل ما حملت ولو كان فيها ما فيها .

ولما قرأت حديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » غمرنى الدهش لهذا القيد الذى يبعد أن يأتى من رسول جاء بالصدق وأمر به ، على أن الكذب كما قال الحافظ بن حجر[٢] :

« هو الأخبار بالشىء على خلاف ما هو عليه سواء أكان عمداً أم خطأ » .

ظللت على ذلك زمناً طويلا إلى أن حفزنى حب عرفان الحق إلى أن أنقب عن تاريخ الحديث من مصادر الدين الصحيحة ، والأسانيد التاريخية الوثيقة لعلى أقف على شىء يذهب بما فى صدرى من حرج ويصرف ما بنفسى من ضيق ، وذلك لأن هذا الأمر الجليل لم يفرد من قبل بالتأليف المستقصى أو التدوين المستفيض .

ولبثت فى البحث والتنقيب زمناً طويلا إلى أن انتهيت من أمر (الحديث المحمدى) إلى حقائق غريبة ونتائج خطيرة ، ذلك أنى وجدت أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث كلها ما سموه صحاحاً وما سموه سنناً حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه ، حتى لقد قال الإمام الشاطبى فى الاعتصام[١] : « أعوز أن يوجد حديث عن رسول الله متواتر » ووجدت أن الصحيح منه على اصطلاحهم إن هو إلا معان مما فهمه الرواة من أقواله صلى الله عليه وسلم . وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة قد بقيت على حقيقتها فى بعض الأحاديث ولكنك لا تجد ذلك إلا فى الفلتة والندرة ؛ ومن أجل ذلك جاءت أحاديث الرسول وليس فيها من نور منطقه ، أو ضياء بلاغته إلا شعاع ضئيل .

كان أول ما انكشف لى من هذه الحقائق أن النبى (ص) لم يجعل لحديثه كتاباً يكتبونه عند ما كان ينطق به كما فعل ذلك بالقرآن ، وبذلك تفكك نظم ألفاظه وتمزق سياق معانيه من أذهان السامعين . ولم يدع الأمر على ذلك فحسب بل نهى عن كتابة غير القرآن أو تدوينه فقال : « لا تكتبوا عنى شيئاً سوى القرآن ؛ فمن كتب عنى غير القرآن فليمحه » رواه مسلم وغيره ، ثم اتبع أصحابه طريقه وأطاعوا أمره فلم يكتبوا أقواله كما كتبوا القرآن . ولم يقف أمرهم عند ذلك بل ثبت عنهم أنهم كانوا يرغبون عن رواية الحديث وينهون الناس عنها ، وينتقد بعضهم بعضاً فيما يأتى منها ويتشددون فى قبول أخبارها حتى لقد كان عمر رضى الله عنه لا يقبل الخبر من أى صحابى إلا إذا جاء بشاهد يشهد أن النبى قاله .

(١) الكتاب المتواتر هو القرآن .

(٢) قصدنا أن نأتى بتعريف الكذب الذى وصفه ابن حجر لأنه شيخ رجال الحديث وإذا ذكرت لفظة الحافظ فلا تنصرف إلا إليه .

(١) ص ٣٥ ج ١

رواية الحديث بالمعنى

ولما رأى بعض الصحابة أن يرووا من أحاديث نبيهم ووجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بأصل الحديث كما سمعوه على لفظه، كما نطق النبي الكريم به، وإن الذاكرة لها حكم يجب الأذعان له والنزول عليه أباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى. ثم سار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بعدهم فيأخذ المتأخر عن المتقدم ما يرويه عن الرسول بالمعنى ثم ينقله إلى غيره بما بقى فى ذهنه من هذا المعنى. وهذا أمر معلوم بينهم حتى لقد قال وكيع كلمته المشهورة: (إذا لم يكن المعنى واسعاً فقد هلك الناس) وهكذا ظلت المعانى تتوالد والألفاظ تختلف باختلاف الرواة، وفيهم الأعاجم وغير الأعاجم ممن ليسوا بعرب. ولا يخفى ما فى ذلك من ضياع معالم المعنى الأصلى وزوال شىء كثير منه. ومن العجيب أن رواية الحديث بالمعنى قد سارت على هذا النهج قروناً إلى أن خرج الحديث فى صورته الأخيرة التى حملتها كتب السنة وخرجت بها فى القرن الثالث وما بعده. وقد قال البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ﻫ وكتابه كما يقولون أصح كتاب بعد كتاب الله: « رُبَّ حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر، فقيل له بكماله؟ فسكت »[1].

ولقد كان لرواية الحديث بالمعنى ولا جرم ضرر كبير سواء أكان من الناحية الدينية أم من الناحية اللغوية والبلاغية، وبعد أن أباحوا الرواية بالمعنى استجازوا لأنفسهم أن يأخذوا بالحديث إذا أصابه اللحن أو اعتراه الخطأ أو اختلف نظم عقده بالتقديم أو التأخير؛ وكذلك قبلوا أن يأخذوا ببعض الحديث ويتركوا بعضاً.

الموضوعات

وإن أشد ما مُنى به الحديث ولا جرم إنما كان منها (الموضوعات) التى اختلطت به وتدسست إليه فكانت مصدر بلاء كبير للمسلمين فى كل العصور، وقد تولى كبر هذه الموضوعات فريقان:

أحدهما: أحباء الإسلام من مختلف الفرق والمذاهب وأصحاب الأهواء حتى الصالحين وأهل العبادة، أولئك الذين قال فيهم يحيى بن سعيد القطان: « ما رأيت الصالحين فى شىء أكذب منهم فى الحديث » ولقد كانوا يسوغون افتراءهم بقولهم: (إنا نكذب له لا عليه) ولكى يشدوا عملهم هذا بما يؤيده وضعوا أحاديث على النبي تجيِّز لهم هذا (الوضع) مثل ما رووا « إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس ».

ثانيهما: أعداء الإسلام من الزنادقة وغيرهم من دهاة اليهود والنصارى الذين أظهروا الإسلام وأضمروا دينهم، فاغتر الصحابة وتابعوهم بإسلامهم، وأخذوا من غير بحث عنهم. ولقد كان مما وضعوه، تلك الأحاديث التى جاءت فى فضل الشام الذى كان فى عهد بنى أمية قاعدة الحكم ومصدر السلطان، وكذلك وضعوا أحاديث فى أنَّ (الأبدال) المعروفين عند الصوفية سيظهرون فى الشام!

ولئن كان قد كذب على النبي بعد وفاته فقد كذب عليه وهو حى، ولا غرو فإن الكذب عريق فى الإنسانية لا يخلو منه زمان ولا مكان.

الإسرائيليات والمسيحيات

وقد عقدنا فصلا للاسرائيليات تحدثنا فيه عما صنعه كهان اليهود فى حديث رسول الله وأثبتت فى كتب السنة وفى التفاسير ومصادر التاريخ وغيرها أمثال: كعب الأحبار، ووهب ابن منبه وغيرهما. وبينا كيف استحوذ هؤلاء الكهان على عقول المسلمين حتى وثقوا بهم ورووا عنهم، وعرضنا لأمر مؤامرة قتل عمر التى اشترك فيها كعب الأحبار، وقصة الصخرة، وبينا كيدهم السياسى الذى قام به عبد الله بن سبأ وأردفنا هذا الفصل بفصل آخر عن المسيحيات وما صنعه مثل تميم الدارى الذى كان مسيحياً وأسلم.

كثرة الأحاديث المروية

ولما كان التدوين قد تأخر وما جاء عن الرسول من قول غير القرآن قد فاته الإحصاء والتقييد ولم يرتبط فى زمن النبي وصحابته بالتدوين، فإن الرواية قد اتسعت واستفاضت، وكلما امتد الزمن زادت الرواية حتى صارت الأحاديث المنسوبة إلى النبي تمد بمئات الألوف. وقد نقلوا عن احمد بن حنبل أنه قال: صح من الحديث

(١) ص ١١ ج ٢ من تاريخ بغداد للخطيب البغدادى.

٧٠٠ ألف حديث وأكثر ، وأن أبا زُرعة قد حفظ ٧٠٠ ألف حديث .

ولما طلب إسحاق بن راهويه من تلاميذه وفيهم - البخاري - أن يجمعوا مختصراً لصحيح سنة رسول الله . ونهض البخاري لتحقيق رغبة أستاذه قال :

« إني أخرجت كتابي من زهاء ستمئة ألف حديث » ونقل عنه أنه قال : احفظ مئة ألف حديث صحيح ومئتي ألف حديث غير صحيح ! على أنك لو نظرت إلى عدد ما اختاره في كتابه لوجدت أنه لا يزيد عن ٢٥١٣ كما حرر ذلك الحافظ ابن حجر فأين ترى قد ذهبت هذه الثروة الهائلة من الأحاديث !

أبو هريرة

ولما كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية عن رسول الله في حين أنه لم يصاحب النبي إلا ثلاث سنين فحسب ، وكذلك كان أكثر من نقل عن هؤلاء اليهود فقد أفردنا له ترجمة خاصة تحرينا فيها وجه الحق ، وحق العلم ، وأوردنا فيها ما له وما عليه بغير أن نخشى أحداً في إظهار الحق أو نتحرج من شيء في بيان العلم ، وكيف يصدنا تحرج أو يمنعنا خوف وقد انتقده الصحابة أنفسهم وردوا كثيراً من رواياته ، وكذبه عمر وعثمان وعلي وعائشة وغيرهم ، بل قد ضربه عمر بالدِّرة وحذره الرواية عن النبي أو ينفيه إلى بلاده حتى لقد كان بذلك أول راوية اتهم في الإسلام .

حديث من كذب علي

أما حديث من كذب عليّ (متعمداً) فقد عُنيت بالبحث عن حقيقته عناية كبيرة حتى وصلت من بحثي إلى أن كلمة (متعمداً) هذه لم تأت في روايات كبار الصحابة ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين : عمر وعلي وعثمان ، وأن الزبير بن العوام - وهو حواري رسول الله وابن عمته - قد قال عنها : « والله ما قال متعمداً » ولعلها قد تسللت إلى الحديث من سبيل الأدراج المعروف عند رجال الحديث ليتكئ عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم ، أو الغلط أو سوء الفهم حتى يدرأوا عن أنفسهم إثم الكذب ولا يكون عليهم حرج في الرواية لأن المخطئ غير مأثوم ومن أجل ذلك وضع الرواة قاعدتهم المشهورة : إنما الكذب على من تعمده ؛ أو أن هذه الكلمة قد وضعت ليسوغ بها الذين يضعون الحديث حسبة عن غير عمد عملهم كما كان يفعل الصالحون من المؤمنين ، ويقولون : نحن نكذب له لا عليه . ومن العجيب أنهم قد جعلوا هذا الحديث من التواتر بلفظه ومعناه في حين أنه قد ورد بصيغ كثيرة كل صيغة منها تخالف الأخرى .

تدوين الحديث

ومما كشف عنه البحث أن تدوين الحديث لم يقع إلا في القرن الثاني أي بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى بأكثر من مئة سنة . ولم يكن ذلك بدافع من الرواة ، وإنما كان بوازع من الولاة ! وبدا أول ما بدا غير كامل ، ثم تقلب في أدوار أربعة ، فكان في أول أمره مشوباً بأقوال فقهاء الصحابة في التفسير وغيرها من مسائل دينية أو طرف أدبية أو أبيات شعرية أو ما إلى ذلك مما كانوا يعنون بجمعه وتدوينه من غير ترتيب ولا نظام إلى أن جاءت طبقة[1] ابن جريج والربيع بن صبيح وحماد بن سلمة وغيرهم في منتصف القرن الثامن وما بعده ، فوضعوا كتباً في الحديث ولكنهم مزجوا أقوال الرسول بفتاوى الصحابة والتابعين كما تجد ذلك في موطأ مالك[2] .

وبعد انقضاء مئتي سنة من الهجرة جرد العلماء ما كان ينسب في هذا العهد إلى النبي من أحاديث ودونوه في مسانيد بغير أن يخلطوا به شيئاً من فتاوى الصحابة والتابعين مثل مسند الإمام أحمد[3] وغيره .

وفي منتصف القرن الثالث وأول القرن الرابع وما بعد ذلك ظهر التدوين في صورته الأخيرة ، فاختار البخاري وغيره من الأحاديث التي كانت منتشرة في زمنهم وخرجوا منها كتبهم .

علماء الأمة إزاء الحديث

ولأن الحديث لم يبدأ تدوينه إلا في القرن الثاني وكتبه المعتمدة بلا خلاف بين المسلمين وهي : البخاري ومسلم وأبو داود

(١) الطبقة في اصطلاح المحدثين عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ توفي ابن جريج سنة ١٥٠ هـ والربيع سنة ١٥٠ هـ وحماد بن سلمة سنة ١٧٦ هـ .

(٢) توفي مالك سنة ١٧٩ هـ

(٣) توفي أحمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ

والترمذى والنسائى[1] لم تظهر إلا فى القرنين الثالث والرابع ، وكانت روايته قد جاءت بالمعنى من طريق الآحاد التى لا تعطى إلا الظن ـ والظن لا يغنى من الحق شيئاً ، فإن علماء الأمة لم يتلقوه بمحض التسليم والإذعان كما تلقوا ما جاءهم من محكم القرآن ولا اعتبره من الأخبار المتواترة التى يجب الأخذ بها ولا يجوز لأحد أن يختلف فى اتباعها وإنما اختلفوا طرائق قدداً فيه اختلافاً بيناً لم يستطع أحد إلى اليوم تلافيه

المتكلمون وعلماء الأصول

أما المتكلمون وعلماء الأصول فإنه لما كان (الخبر) عندهم ينقسم إلى ـ متواتر وآحاد ؛ والمتواتر إنما يعطى العلم اليقينى ، والآحاد لا يعطى إلا الظن ، ولم يجدوا فى كتب الحديث خبراً متواتراً تكون دلالته يقينية بل إنه قد جاء من طريق الآحاد التى دلالته ظنية ـ والظن لا يغنى من الحق شيئاً ـ فقد ردوا كل حديث لا يتفق مع ما يذهبون إليه من الأصول التى اتخذوها لهم. ومن القواعد التى اتفق عليها جميع النظار أن أحاديث الآحاد لا يؤخذ بها فى العقائد .

الفقهاء

وأما الفقهاء فقد كبلهم التقليد فلم يعنوا بكتب الحديث ولم يعطوها حقها من البحث والدرس كما أعطوا كتب شيوخهم ، ولم يجعلوها بعد كتاب الله من مصادرهم التى يأخذون منها أحكام دينهم ، ـ وإنهم عفا الله عنهم لم يتفقوا على الأخذ بالراجح من الأدلة فترى كل فريق قد ذهب فى طريق يغاير الآخر ـ وإذا وجد من الأحاديث حتى الواهية ما يتفق ومذهبه أخذ به ـ وقد يأخذ ببعض الحديث ويدع بعضه ، أما ما يخالف مذهبه ولو كان مما رواه الجماعة[2] فإنه يرفضه ولا يرتضيه وبهذا الصنيع كثر اختلافهم وتعددت مذاهبهم ، ومن أجل ذلك وقف سير الفقه وسكنت حركته ، ولقد أعانهم على عملهم هذا أن أحكامهم مبنية على ما غلب على الظن صدقه ولكل أحد أن يأخذ من الأدلة بما يطمئن به قلبه ، وأن أئمتهم قد ماتوا قبل ظهور كتب الحديث

(١) توفى البخارى سنة ٢٥٦هـ ومسلم سنة ٢٦١هـ وأبو داود سنة ٢٧٥هـ والترمذى سنة ٢٧٩هـ والنسائى سنة ٣٠٣ .

(٢) الجماعة هم أحمد والشيخان (البخارى ومسلم) وأبو داود والنسائى والترمذى

المشهورة[1] وأن هؤلاء الأئمة أنفسهم قد كانوا مختلفين فى الأخذ بما جاء عن الرسول من احاديث فما يأخذ به هذا يدعه ذاك وهلم جرا .

ولو أنت رجعت إلى كتب العلماء المحققين وبخاصة كتاب أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية لوجدت فيها أحاديث كثيرة جداً لم يأخذ علماء الفقه بها ولم يخالفوا مذاهبهم من أجلها ، وبذلك أصبحت كتب الحديث فى ناحية الإهمال منهم ، وإذا ما رجعوا إليها فإنما يكون ذلك للتبرك بها أو لدفع النوازل بأسرارها[2] ، ومن عجيب أمرهم أنهم وقد جعلوا حديث الرسول وراء ظهورهم لا يزالون يقولون بأنه الأصل الثانى من أصول دينهم .

علماء النحو

وأما أئمة النحو فلم يجعلوا الحديث من النصوص التى يستشهدون على قواعدهم بها لأنهم قد استيقنوا أن رواية نصوص الحديث الصحيحة قد انتثر عقد تركيبها ولم تأت عن النبى بحقيقة لفظها ولا يعلم أحد على التحقيق ما هى الصورة الصحيحة التى نطق بها وقاعدتهم التى اتفقوا عليها أنهم لا يستشهدون إلا باللفظ المتواتر والنص الصحيح ، وعلى أنهم قد تركوا الاستشهاد بالحديث الذى جاءهم عن نبيهم فإنهم يأخذون بكلام الأعراب الذين يبولون على أعقابهم .

ولما انكشف لى ذلك وغيره مما لم أذكره هنا وبدت لى حياة (الحديث المحمدى) واضحة جلية أصبحت على بينة من أمر ما جاء عن الرسول من أحاديث فآخذ منها ما آخذ وقلبى مطمئن وأدع ما أدع ونفسى راضية . ولا على مما أدع شىء ؛ وصرت متابعاً للأستاذ الإمام محمد عبده فيما يقول : « لا أومن بحديث تعرض لى شبهة فى صحته » وللسيد رشيد رضا فى قوله : لا أعتقد سند حديث ولا قول عالم صحابى يخالف ظاهر القرآن وإن وثقوا رجاله ؛ فرب راو يوثق للاغترار بظاهر حاله وهو سيئ الباطن » . ولا يتوهمن أحد أن هذا بدع فى الدين فإنهم قد جعلوا من قواعدهم

(١) مات أبو حنيفة سنة ١٥٠هـ ومالك سنة ١٧٩هـ والشافعى سنة ٢٠٤ وأحمد سنة ٢٤١هـ .

(٢) من معتقداتهم أن وجود نسخة من البخارى فى البيت تمنع عنه الحريق وغيره ، وكان شيوخ الأزهر عند ما ينزل بالبلاد نازلة يجتمعون لقراءة البخارى لكى يدفع الله عن البلاد ببركته ما نزل بها وكذلك يقرأون البخارى فى الأماكن الموقوفة (بالمقارى) ليستنزلوا به الرحمة على الأموات وينالوا به عند الله أرفع الدرجات .

وقال حجة الإسلام الغزالى : إن من يعمل بالمتفق عليه

معاهدة عربية سودانية

بين والى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح وفلدرون

ملك السودان فى سنة ٣١ هجرية — ٦٥٢ ميلادية

للأستاذ المبـــارك إبراهيم

ما كاد العرب يدخلون أرض مصر فاتحين بقيادة السياسى العربى الداهية عمرو بن العاص ، وما كاد يستتب لهم الأمر فيها ويبسطون سلطانهم الدينى عليها ، وما كاد يدين لهم المصريون بالطاعة عام ٢٠ للهجرة[1] على أكثر الروايات شيوعاً [2] ... ما كاد يتم كل هـذا حتى اتجه نظر ابن العاص رئيس الحكومة العربية المصرية الجديدة فى فسطاط مصر صوب القطر السودانى ابتغاء فتحه وضمه إلى خريطة الامبراطورية العربية الناشئة . وكان ذلك فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

ففى عام ٢١ للهجرة أعد والى مصر عمرو بن العاص جيشاً مؤلفاً من عشرين ألف مقاتل ، وسيره لفتح السودان تحت إمرة القائد العربى الشهور عبد الله بن سعد بن أبى سرح

على أن هـذا الجيش الغازى لم يستطع التوغل فى الأراضى السودانية ، وذلك لوعورة المسالك ، وللمقاومة الشـديدة التى صادفها من جيش حكومة السودان التى كان مقرها يومئذ « دنقلة العجوز » أى القديمة

ويؤخذ من رواية ابن الأثير أن هـذه الغزوة العربية الأولى للقطر السودانى لم تكن موفقة كل التوفيق ، إذ لم يتعد الفتح العربى فيها بلاد الشلال التى تقع على التخوم . ثم إن عبد الله بن أبى سرح ، ما لبث أن انسحب بجيشه عائداً أدراجه إلى مصر بناء على أمر تلقاه من ابن العاص ، وكان ابن أبى سرح قد هادن أهل البلاد المفتوحة على دفع الجزية فكانوا يدفعونها

وقد روى ابن الأثير أن عدداً لا يستهان به من المحاربين العرب قد عادوا إلى مصر وهم مثخنون بالجراح فاقدو الأحداق لكثرة ما نالهم فى أبصارهم من نبال الجيش السودانى . ولذلك كان المحاربون العرب يسمون المحاربين السودانيين برماة الحدق

* * *

ثم دارت عجلة التأريخ دورتها ، فعزل ابن العاص عن ولاية مصر فى عهد خلافة عثمان رضى الله عنه ، فآلت ولاية مصر إلى قائدنا عبد الله بن أبى سرح ، وعبد الله هو من ذوى قرابة ابن عفان ، بل ويعد أخاً له فى الرضاعة

وفى عام ٣١ الهجرى الموافق ٦٥٢ للميلاد أعاد ابن أبى سرح الكرة وهو والى مصر ، فسار فى طليعة جيشه معتزماً فتح السودان مهما كلفه الأمر . وكان السودانيون حينذاك قد نقضوا عهد الهدنة ، ورفضوا دفع الجزية وصاروا يشنون الغارة على سكان الحدود المصرية من العرب وأبناء الصعيد، ويوسعونهم نهباً وتقتيلا منتهزين فرصة انشغال رجال الحكومة العربية فى المسائل الداخلية التى تلت مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأقصت ابن العاص عن مصر ، وغير ذلك من المشاكل العربية الخامنة

* * *

(١) يوافق عام ٦٤٢ للميلاد .
(٢) فى رواية أن الفتح العربى لمصر تم فى ١٨ هجرية

المشهورة : إن من علامة الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة فى الشريعة أو للبرهان العقلى أو للحس والعيان وسائر اليقينيات .

ومن قواعدهم كذلك[1] :

« ليس كل ما صح سنده يكون متنه صحيحاً ولا كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح » .

« من بلغه حديث وثبت عنده وجب عليه العمل به ومن خالف بعض الأحاديث لعدم ثبوتها عنـده أو لعدم العلم بها فهو معذور .

« وقال حجة الإسلام الغزالى : إن من يعمل بالمتفق عليه كان مسلماً ناجياً » .

(المنصورة) محمود أبو رية

(١) لنا قواعد كثيرة غير هذه القواعد أوردناها فى كتابنا . (أبو رية)

هذا ، وبعد حروب طاحنة[1] بين جنود ابن أبي سرح وجنود قلدرون ملك دنقلة ، تمكن الفاتح العربي من احتلال دنقلة — وكانت عاصمة السودان يومذاك — بعد أن حاصرها ورماها بالمنجنيق ، ولم يكن استعماله معروفاً عند الجيش السوداني

وقد قال أحد الشعراء العرب الذين اشتركوا في معركة دنقلة الفاصلة راجزاً :

لم تر عيني مثـل يوم دنقله والخيل تعدو بالدروع مثقله !

* * *

أما المعاهدة العربية السودانية التي حررت دليلا على المهادنة والصلح بين الفريقين فاليك نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة « السودان » ولجميع أهل مملكته من حد أرض أسوان إلى حد أرض « علوة » : وهي على بعد ١٥ ميلا من الخرطوم

إن عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وصدقة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاوروهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من أهل الذمة

إنكم معاشر النوبة « السـودان » آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ألا نحاربكم ولا ننصب لكم حرباً ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم

على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وإن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ، ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره إلى أن ينصرف عنه

وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم « دنقلة » ، ولا تمنعوا منه مصلياً ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكريمه

وعليكم في كل سنة ثلثمائة رأس وستون رأساً تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلدكم غير المعيب يكون فيها ذكران وأناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك إلى والي أسوان

وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ، ولا منعه عنكم من حد أرض علوة إلى أرض أسوان

فإن أنتم أويتم عبداً لمسلم ، أو قتلتم مسلماً ، أو معاهداً ، أو تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيئاً من الثلثمائة رأس والستين رأساً ، فقد « برئت » منكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به ، والله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك[1]

* * *

هذا ، وتحفظ لنا كتب التأريخ الشيء الكثير من الحوادث والأخبار عن العهد الذي عقب توقيع هذه المعاهدة العربية السودانية

(أم درمان — سودان) **المبارك إبراهيم**

(١) ممن أصيبوا في عيونهم من رجالات العرب المشهير يوم دنقلة معاوية بن خديج . وأبرهة ابن الصباح

(١) كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة ٣١ هجرية

ذرة لا تميزهــــا العين

[كادت تجارب الذرة أن تجعل الأرض كرة ملتهبة من الغازات]

للأستاذ فوزى الشتوى

لدمار العالم أم لعمرانه ؟

قبل أن تنشب الحرب بفترة وجيزة وقف لفيف من العلماء أمام مدفع تحطيم الذرة فى جامعة كولومبيا يستعدون لأخطر تجربة. ومن يدرى بما سيحدث لو انطلقت آلاته ؟

استولى الرعب على كثير من العلماء فقالوا : إنه دمار العالم . فلن تمضى دقائق أو ثوان حتى تكون الأرض كلها كرة غازية ملتهبة لا أثر فيها لإنسان ولا لحيوان ولا نبات ولا جماد . ولكن العلماء لا يريدون إلا تحطيم ذرة واحدة من معدن الأورانيوم . ولكنهم يخشون القوة المنطلقة من هذه الذرة فتفجر ما حولها من ذرات وهذه تفجر ما يليها من أجسام وهكذا دواليك فى سلسلة تكتنف الكرة الأرضية كلها وتبيد كونها .

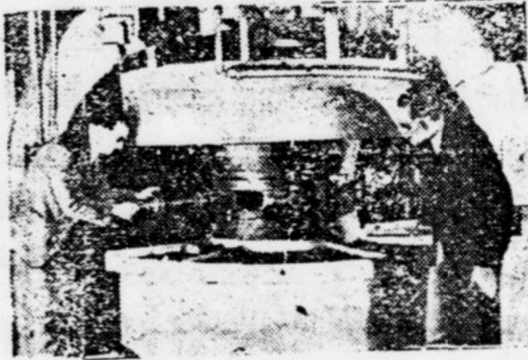
وتمت التجربة وسلمت الأرض ؛ فإن سلسلة الانفجارات الذرية لم تحدث . وربما تكون قد حدثت ولكنها لم تستمر أكثر من واحد على مليون من الثانية . أما السبب فكان عدم الدقة فى إجراء التجربة . ولو كانت دقيقة لأبيد العالم كله ولتفجرت كل ذرات قطعة الأورانيوم فانسابت قوتها تفتك بالعالم .

الذرة

فما هى الذرة وعلى أية قوة تسيطر ؟

فأما الذرة فهى وحدة الجزىء . وهو بدوره أصغر وحدة فى المادة ، وهى شىء نظرى لا وجود له فى الواقع الملموس وأصغر مادة تراها بعينك تتألف من ملايين الذرات . وهى فى جميع المواد التى تعرفها مجموعة من الكهارب بعضها موجب وبعضها سالب . ويسمى الكهرب الموجب بروتون ومنه تتألف نواة الذرة . وحول هذه النواة كهارب سالبة تسمى ألكترون .

ويترتب على عدد هذه الكهارب خواص المعدن إن كان حديداً أم نحاساً أم ذهباً . فالكهارب واحدة ولكن اختلاف عددها هو الذى يحدد نوع المعدن . ومن ثم نشأ الاعتقاد العلمى بإمكان تحويل الحديد أو القصدير إلى ذهب . وقد فشلت جميع التجارب فى هذا السبيل لأن العلماء فشلوا حتى الآن فى التغلغل فى الذرة وزيادة كهاربها أو تقليلها .



(شكل ١) مدفع تحطيم الذرة فى جامعة كولومبيا بأمريكا وفى فراغها الداخلى أجريت تجارب تحطيم الذرة

والبروتونات أو الكهارب الموجبة التى تؤلف نواة الذرة أثقل من كهاربها السالبة وإن كانت أصغر منها فى الحجم . ويساوى وزن بروتون واحد وزن ٨٤٥ الكترون ، وفى المنطقة الخارجية مجموعة من الكهارب السالبة الدائمة الحركة حول النواة . وإذا زاد عدد الكهارب السالبة أو الموجبة فى الذرة فإنه يسمى أيونا .

مائتا مليون فولت

وقدرت جامعة كولومبيا فى أمريكا ، وهى المعهد الذى تولى القيام بهذه التجربة ، مقدار الطاقة الذرية التى نتجت عن تجربتها بمائتى مليون فولت أو ما يكفى لإضاءة مدينة كاملة جزء من الثانية ، كما أن قطعة الأورانيوم وهو من أصلب المعادن المعروفة تفتتت إلى ثمانى عشرة قطعة صغيرة .

والطريقة التى اتبعتها جامعة كولومبيا فى تجربتها هى استخدام كهارب خاصة اسمها (النيوترون) تنطلق من مصادرها على مراكز الذر فتخترق تحصيناتها وتستقر فى نواتها (الكهارب

الموجبة) وعندئذ يبدأ الاضطرب فى الذرة وتصبح مثل أنبوب من المطاط والينا ملئه بالهواء فوق طاقته فيجب أن يتخلص من بعض محتوياته أو ينفجر وهو ما يحدث فى الذرة التى ترسل طاقتها .

وربما كانت سرعة الطاقة المنطلقة هى السبب الذى أنقذ الأرض من الدمار فى هذه التجربة ؛ فإن النيوترون الأصلى الذى يحطم الذرة يسير بسرعة أقل من السرعة التى ينطلق بها نيوترون الذرة المحطمة ، ولهذا فإن الأخير يمر على الذرات الأخرى ولا يفجرها وهو فى ذلك مثل حبة الحصى التى يريد طفل أن يدخلها فى حفرة على الأرض . فإن قذفها بقوة مرت من فوق الحفيرة حتى لو أجاد التصويب . ولكنه لو دحرجها بلطف فإنها تستقر فيها .

معادن جديدة ؟

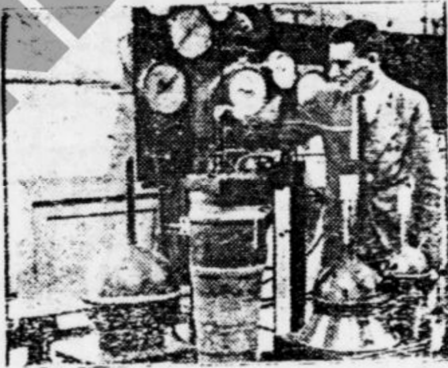
وأثبتت التجارب أن النترونات مهما كانت ضعيفة فإنها تستطيع فجر أقوى الذرات وأثقلها لأن كهاربها الموجبة والسالبة متعادلة .

وفحص العلماء بقايا قطعة الأورانيوم التى فجرت فى كل اتجاه فوجدوا أن وزنها الذرى تغير مما يدل على أن عنصراً جديداً طرأ على ذراتها وأنها أصبحت معادن أخرى؛ فبعد أن كان وزنها الذرى ٢٣٨ (وزن الأورانيوم) أصبح وزن بعضها الذرى ١٣٧ و ٢٢٠

ولسنا نستطيع التكهن بما اكتشفه العلماء بعد ذلك من خطوات حتى توصلوا إلى القنبلة الذرية ؛ ولكن الثابت أن تجربة جامعة كولومبيا وما وليها فتحت آفاقاً واسعة أمام العلم ومهدت لاكتشاف القنبلة الذرية التى نرى من المعقول جداً ألا يتجاوز حجمها حجم البيضة لتدمر بضعة أميال من سطح الأرض .

وإن كبرت القنبلة عن ذلك فى مظهرها الخارجى فإنه فى الغالب حجم الغلاف الذى يجب أن تتوفر فيه أدوات خاصة لإجادة التصويب ولمقاومة طبقات الهواء وتياراته وأداة فجر القنبلة نفسها . وبمجرد فجر مجموعة من الذرات يحدث درجة حرارة بالغة الارتفاع تحدث ضغطاً جوياً عظيما يدمر كل ما حوله ، فضلا عن إشعاله للنيران فى المواد القابلة الالتهاب ولو كانت خشباً .

وربما كان اكتشاف القوة التدميرية للذرة هو أبسط أسرارها . والمهم أن يعرف العلماء كيف يسيطرون على هذه الطاقة ويستخدمونها فى أعمال منتجة . وقد قال أحد العلماء : إن مصنعاً واحداً لإنتاج الطاقة الذرية يكفى لتغذية بريطانيا بكل ما نحتاج إليه من وقود وقوى محركة .



(شكل ٢) جزء من أجهزة تحطيم الذرة فى جامعة كامبردج وتقدر القوة التى تتولد فى الجهاز الصغير بما يكفى لإضاءة مدينة واحد إلى مئة من الثانية

ولقد فتح هذا الكشف آفاقاً بالغة السعة أمام العلم . وسنسمع فى كل سنة اكتشافات متعددة تؤسس كلها على الذرة وأسرارها ؛ فأمام العلماء شعب لا حد لها وأولاها السيطرة على الطاقة الذرية وتوجيهها ، وثانيها خواص الذرة نفسها مما سيؤدى إلى تحويل معدن إلى معدن آخر . ومن يدرى ، فقد تستغل الكهارب الحوية فى صنع المادة ؛ فالعالم كله مجموعة من الذرات .

فوزى الشتوى

في ليلة من ليالي الربيع

للأستاذ سيد قطب

في الجو رائحة توسوس في الحنايا والصدور
نشوانة خَدِرَتْ يعاودها التوثب والفتور
فتهيم كالشوق المجنَّح في متاهات الضمير
وكأن رائحة الحياة تدب في عبق مثير

* * *

وأحس بالنغمات سارية ترقرقُ في الدماء
كهتاف مشتاق تولَّه لا يكف عن الدعاء
للأرض فتنته وزهو في ابتهال للسماء!
والصمت يغمره وفي الأحناء وسوسة الغناء!

* * *

والحب والأشواق والظمأ تنغل للحياة
وعواطف الدنيا إلى القبل المبيحةِ في الشفاه
وترقرقُ الحرقات في شغف يهيم إلى مداه
وتطلُّع الصوفيّ في شوقٍ إلى ذات الإله!

* * *

هو ذا الربيع وإنه لهو الهواتف والحنين
أبداً يهيج إلى عوالم نائيات لا تبين
ويهدهد الأحلام والذكرات شتى والفتون
فإذا الحياة هوًى يرف وفتنة وشجًى دفين

عزلة . . .

للشاعر الانجليزي بوب

سعيد من تكون أمنيته وحرصه
قليلا من الأفدنة الموروثة عن الآباء، قانعاً أن يستنشق هواء بلده على أرضه؛
يمده قطيعه باللبن ومزرعته بالخبز،
ويغزل من وبر أنعامه فيكتسي.
يتفيأ ظلال أشجاره في الصيف ويوقد منها مدفأته في الشتاء

* * *

ما أسعده ... إنه يجد من غير عناء
ان الساعات والأيام والسنين تمر هادئة
وهو صحيح الجسم سليم العقل؛ يجد الهدوء بالنهار وينام ملء جفنيه بالليل ... والتأمل والهدوء
إذا ما اجتمعا ينتجان انتعاشاً حلواً وبراءة ... يسعدان دائماً بالتفكير العميق
لذلك ... دعني أعش غير مرئي وغير معروف
ولأمت غير مأسوف علي. اختلس فرص الحياة وليس من حجر يحدث أين أرقد؟!

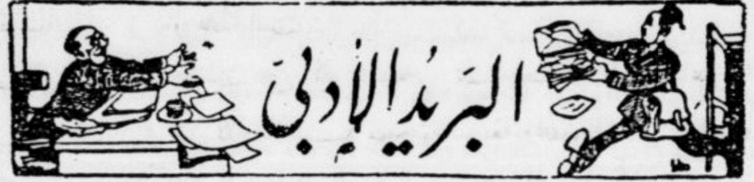
سليمان نجيب

في المصيف

للأديب محمد طاهر الجبلاوي

أنا هنا في جوار البحر ظمآن ... لا أرتوي ونسيم البحر ريان
أزاهرٌ من رياض الصيف باسمة ... تهفو فيهفو لها قلب ووجدان
من كل مفتونة بالبحر فاتنة ... لها من الموج أكناف وأحضان
يضمها منه صدر جائش أبدا ... كأنه مغرم بالحسن ولهان
تخفى وتظهر فوج الموج لاعبة ... الموج يحبو إليها وهو جذلان
أعارها البحر من أخلاقه سمة ... فلا يزال بها لين وطغيان
وهز عطفاً روياً من محاسنه ... كأنه بنسيم البحر نشوان
يا فتنة في حمى نبتون(1) أيقظها ... موكل بقلوب الخلق يقظان
أوفى على عرشه العاتي فصيره ... ملاعباً بفنون الحب تزدان
والبحر خلق عظيم في تصوره ... فكيف يركبه باللهو غزلان؟
سجا وأسلس في رفق وفي دعة ... فليس يحفزه للشر عدوان
وافتر تحت جناح الشمس ناجذه ... كأنه والد لاقاه ولدان
يا رفقة الصيف عيشوا في مراتعه ... فإنكم لكريم البحر ضيفان
أبوكم البحر لا يألوكم مرحاً ... وروضه بفنون اللهو فينان
نعم البديل إذا عهد الربيع مضى ... عهد المصيف ودنيا الحسن ألوان

(1) نبتون: إله البحر



ملاحظة وتصحيح :

جاء فى (العدد ٦٣٢) من « الرسالة » بالصفحة ٨٥٨ ، ضمن مقالة « روسيا والشرق » كلمتا مندشوريا ومندشوكو . والملاحظ أنهما اسمان لمسمى واحد يسميه الروس بالأول واليابانيون بالثانى .

وورد فى هامش (الصفحة ٨٥٦) إسم اسكندر الثانى ، عن سهو ، بدلا من إسم نقولا الأول قيصر روسيا .

ولا بأس فى هذه النهزة بزيادة بيان . ذلك أن نقولا الأول احتج بالنزاع الطويل بين اللاتينيين الكاثوليك واليونانيين الأرثوذكس فى شأن الأماكن المقدسة وهو يحاول تحقيق طمعه ببلاد الدولة العثمانية ؛ ولكن السلطان عبدالمجيد أحيا فى عام ١٨٥٢ امتيازات فرنسا الخاصة بحماية الكاثوليك وبكنيسة قبر المسيح وغيرها ؛ فعرض نقولا الأول على انجلترا ، بعد ذلك بعام ، أن يقتسما الامبراطورية العثمانية من غير إشراك فرنسا فى الغنيمة ؛ وقال يومئذ كلمته المشهورة : « على سواعدنا رجل مريض ، مريض فى خطر ، وإذا لم يكن بد من أن يُفلت منا قبل أن تؤخذ العدة الضرورية كان ذلك بؤساً عظيما » . ورفضت إنجلترا فزحف جيش نقولا إلى الأراضى العثمانية فى مايو عام ١٨٥٣ ، ونشبت حرب القرم فى العالم التالى . ثم مات القيصر عام ١٨٥٥ ، فخلفه اسكندر الثانى وعقد الصلح عام ١٨٥٦ .

محمد توحيد السلحدار

إلى الأستاذ العقاد :

قرأت « فى بيتى » لأستاذنا الكبير فرأيت هذه الأبيات فى الصحيفة الثانية :

النور سر حياة النور سر النجاة
أحسه بالروح لا بح العيون الخواة
ما تبصر العين من معناه إلا أداة

وهذه الأبيات من البحر المجتث وقد أدركت بداءة أن صدرى البيتين الثانى والثالث خارجان من البحر وأنهما لا يصحان على وجه من الوجوه ثم بحثت الأمر لأتأكده فظهر لى ما أدركته أولا .

ولما كان الروى هو التاء المكسورة وكان الوقف لا يصح عليها لأن « القصر » لا يدخل البحر المجتث ظهر لى أن فى البيت الثالث إقواء فكلمة أداه فى البيت لا يصح جرها بحال .

(والعيون الخواه) فى البيت الثانى الرأى فيها أنها الخاوية أو الخاويات .

محمد العزازى
مدرس بمعهد قنا

حول ترجمة كتاب

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ نجيب محفوظ فى العدد ٦٣١ من مجلة الرسالة نقداً لترجمة كتاب « الوسائل والغايات » لمؤلفه أولدس هكسلى . وهو ليس نقداً لترجمة هذا الكتاب وحده ، بل لكل الكتب التى تترجم على غراره ، وعلى المبدأ الذى توخيناه ولم يرض عنه

يرى الناقد أن الترجمة إما أن تكون حرفية ينقل فيها المترجم الأصل عبارة عبارة وإلا باتت عديمة الفائدة ؛ ولست أوافقه على هذا الرأى ، فمن الكتب ما ينبغى أن تنقل حرفاً حرفاً ، ومنها ما يُغنى تلخيصها عن ترجمتها ، وللناقل عند التلخيص حق التصرف فى الإيجاز والإسهاب حسبما يرى ، وليس بمخطئ فى هذا ما دام لا يحيد عن أصل الفكرة وروحها ولا يزعم أنه ينقل الكتاب كلمة كلمة ، والمفروض أن الناقد مشبع بروح الكتاب عالم بالمواطن المهلهلة التى يمكن اختصارها . وهو ناقل أمين ما دام يشير إلى خطته فى الترجمة ولا يخفيها ، وبخاصة إذا كان الاختصار مما تقتضيه الضرورة كتحديد الحيز الذى يصدر فيه الكتاب المترجم ، أو عرض الفكرة على طائفة خاصة من القراء ، وهذا ما فعلت عند ترجمة كتاب « الوسائل والغايات » ، فقد كنت مضطراً لإخراجه فيما لا يزيد عن مائتى صفحة ، فعرضت بعض فصول الكتاب عرضاً مسهباً ، وأوجزت فى بعضها الآخر ، وأشرت إلى ذلك فى مقدمة الكتاب

إننا إذا أخذنا برأى الأستاذ نجيب محفوظ ما أبحنا لأنفسنا أن نترجم فصلا من كتاب ، أو جزءاً من مقال ، فأما فصول الكتاب كلها والمقال بأسره أولا ترجمه على الإطلاق ، ولست أحسب أنه هو نفسه يوافق على ذلك . والمترجمون الإنجليز كثيراً مايتبعون طرقاً مختلفة في النقل ، فقد قرأت عيون الأدب اليونانى كلها ملخصة فى مجلد واحد وأفدت منها الكثير ، وقرأت كتباً أخرى اجتزئ فى ترجمتها ببعض فصول الكتاب دون البعض الآخر ، ووجدت فيها متعة وفائدة ، فالتلخيص جائز فى الترجمة معروف فى اللغات الأخرى ، ومن حقنا أن نستعمله فى العربية إذا اقتضتنا الضرورة ذلك

محمود محمود

بين القصة والشعر

قرأت كتاب (فى بيتى) للكاتب الكبير الأستاذ « العقاد » ولعله من أعمق ما كتب ، غير أنه لفت نظرى فيه الموازنة بين القصة والشعر . فالقصة عنده دون الشعر فى المرتبة ، وهى أهون عليه من أن يضيع فيها وقتاً يمكن أن يقرأ فيه ديواناً من الشعر ، وله فى هذه المفاضلة مقياسان يحدثنا عنهما فى كتابه فيقول : « غير أنى أعتمد فى ترتيب الآداب على مقياسين يغنيانى عن مقاييس أخرى ، وهما الأداة بالقياس إلى المحصول ، ثم الطبقة التى يشيع بينها كل فن من الفنون .

فكلما قلت الأداة وزاد المحصول ارتفعت طبقة الفن والأدب ، وكلما زادت الأداة وقل المحصول مال إلى النزول والأسفاف . وما أكثر الأداة وأقل المحصول فى القصص والروايات ؟ إن خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذى يعطيكه بيت كهذا البيت :

وتلفتت عينى فمذ خفيت عنى الطلول تلفت القلب

أو هذا البيت :

كأن فؤادى فى مخالب طائر إذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

أو هذا البيت :

ليس يدرى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لإنس

أو هذا البيت :

أعيا الهوى كل ذى عقل فلست ترى
إلا صحيحاً له حالات مجنون

أو هذا البيت :

وقد تعوضت عن كل بمشبهه فما وجدت لأيام الصبا عوضا

لأن الأداة هنا موجزة سريعة والمحصول مسهب باق ، ولكنك لا تصل فى القصة إلى مثل هذا المحصول إلا بعد مرحلة طويلة فى التمهيد والتشعيب ، وكأنها الخرنوب الذى قال عنه التركى — فيما زعم الرواة — إنه قنطار خشب ودرهم حلاوة !

أما مقياس الطبقة التى يشيع بينها الفن فهو أقرب من هذا المقياس إلى أحكام الترتيب والتمييز . ولا خلاف فى منزلة الطبقة التى تروج بينها القصة دون غيرها من فنون الأدب ، سواء نظرنا إلى منزلة الفكر أو منزلة الذوق أو منزلة السن أو منزلة الأخلاق . فليس أشيع من ذوق القصة ولا أندر من ذوق الشعر والطرائف البليغة ، وليس أسهل من تحصيل ذوق القصة الشعرى الرفيع حتى بين النخبة من المثقفين» وهذان المقياسان — كما يبدو — ليسا بالحكم الفصل فى موضوع خطير كهذا .

فالمقياس الأول تحدث عنه علماء البلاغة والنقد ، فكانوا يرون أن خير الكلام وأبلغه ، ما جمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، وهذا المقياس ، وإن صلح للمفاضلة بين عبارة وعبارة أو بين بيتين من الشعر ، أو قطعتين من النثر ، فى موضوع واحد ، فإنه لا يصلح للمفاضلة بين القصة والشعر ، وذلك أن فائدة القصة ليست مقصورة على الغرض الأساسى الذى وضعت من أجله ، ولم تكن خمسون صفحة فى قصة ما ولو بلغت الطبقة الدنيا فى القصص تمهيداً لفائدة تقال فى سطر أو سطر ، ولكن هناك التصوير الرائع والوصف الدقيق ، لحركات الأحياء ، ونوازع النفوس وهناك النقد اللاذع لأوضاع المجتمع ، وهناك الحديث اللذ الرفيع عن المشاكل السياسية والاجتماعية فى أسلوب قوى أخاذ ، وحسبنا هو من كاتب عبقرى ، ففى كل سطر بل فى كل عبارة لذة ومتعة ربما لا نجدهما فى أبيات كثيرة من الشعر ، وقيمة الأسلوب فى الآثار الأدبية ليست بالقيمة الهينة التى لا يحسب لها حساب ، وقد تكون متعة القارىء بالأسلوب وفائدته منه ، ومن هذه الأشارات العارضة فى ثنايا القصة أجل وأرفع من الفائدة الأساسية التى تهدف القصة للوصول إليها .

ولم أفهم قط المفاضلة بين بيت من الشعر وبين خمسين صفحة من قصة ، فإنه إذا كان الأثران صادرين عن نابغتين ، فلا شك

أن خمسين صفحة من قصة تعطينا من الفوائد أبلغ وأكثر مما يعطينا بيت أو أبيات كثيرة ، وإن كانت القصة ضعيفة ركيكة فلا يصح وزنها ببيت عبقرى ، ولا وجه للمفاضلة حينئذ ، على أنه إذا كان المرجع إلى الفوائد معدودة محسوبة ، فإن الخمسين الصفحة قد تعطينا أكثر من البيت الواحد مهما بلغت من الضعف

أما المقياس الثانى . فأحسبه ليس كذلك فاصلا ، فالطبقات الدنيا فى الثقافة أو فى الأخلاق لا تروج عندها إلا أنواع خاصة من القصص ليست هى التى يفاضل بينها الكاتب وبين الشعر ، وكما يروج عندهم نوع من القصص رخيص ، كذلك يروج عندهم أنواع من الشعر رخيصة ، على أننا نجد أن ميل العامة ليس دائماً إلى القصص ، فهناك من الأمم ما يميل عامتها وخاصتها إلى الشعر ويروج عندهم ، وهناك أمم يميل عامتها وخاصتها إلى القصص ؛ فميل الطبقات الدنيا ليس حكما فى المفاضلة بين نوع من الآداب ونوع آخر ، وإنما الحكم الفصل فى طبيعة الآداب أنفسها ، ولعلنا نظفر من الكاتب الكبير إلى بيان شاف فى هذا الموضوع الخطير

على العمارى
المدرس بالأزهر

ملك من شعاع

ظاهرة طيبة ، ولا ريب ، بدأنا نلحظها أخيراً ، إذ شرع الكتّاب يولون وجوههم شطر مصر القديمة ، ويمدون أبصارهم إلى تاريخها الغابر ، ينهلون منه أدباً جيلاً وقصصاً بارعة ، وأخذوا يستغلون هذا المنجم الذهبي البكر ، ويفرغون كنوزهم فى قوالب تتيح لأهل البلاد وجيرانهم أن يشاركوا الفراعين الأمجاد فيما خلّفوه من تراث أبقى على الدهر من تراث الذهب والمال .

فأصدرت سمو الأميرة شيوه كار قصة مصرية عنوانها « نفررس أس » ، وكتب الأستاذ عبد النعم محمد عمر أمين دار الكتب مسرحية عنوانها « إيزيس وأوزريس » ، وكتب الأستاذ عادل كامل قصة « ملك من شعاع » ، وأخرج الأستاذ على أحمد باكثير مسرحية « الفرعون الموعود » فضلاً عن « أحمس » للأستاذ عبد الحميد جودة السحار وو ...

وكتاب « ملك من شعاع » الذى نحن بصدده ، وضعه الأستاذ عادل كامل المحامى واتخذ موضوعه سيرة حياة أخناتون ، أسبق الناس إلى الاعتراف بوجود إله واحد ينبغى أن يعبده الجميع ، وأول من بشر بأن الله الذى خلق الكون وأبدع صوغه لا تنظره العين البشرية المجردة ، وإنما يدركه العقل ويؤمن به القلب . وكان أخناتون أول من جرؤ على هدم الأصنام والتماثيل وتحطيم معابدها ، وجاهد ليحمل شعبه القصير النظر على اعتناق دينه والخروج من أفق الملموسات الضيق إلى عالم اللامرئيات الفسيح . كان أخناتون فرعون مصر عبقرياً يعيش فى عصر لا يؤمن إلا بالحجر والشمس والنجوم ، وكان عليه أن يكافح كفاح الأبطال ليقنع القوم بما يعسر على العقل القاصر إدراكه ، ويمصى على العين رؤيته ، فوفق فى هذه المهمة أولا ، ولكن الشعب سرعان ما تألب عليه بإيعاز من كهنة الأصنام وانقلب عليه يطلب دمه ويحكم عليه بالموت ، وينعته بالخيانة وبيع الوطن ، ولكن المنيّة عاجلت أخناتون فمات حتف أنفه مغضوباً عليه من شعبه الذى أحبه وأخلص فى خدمته ، مطعوناً فى نزاهته من أصدقائه المقربين ، وعلت شفتيه وهو مسجى فى الفراش هامداً بسمة هادئة عذبة إن عبرت عن شىء فإنما تعبر عن راحة قلبية واطمئنان إلى عدالة القضية التى نافح لنصرتها .

وقد أجاد الأستاذ عادل تحليل التطور الفكرى لأخناتون ، وبيّن الخطوات التى استطاع أن يصل بها إلى الحقيقة التى غابت عن أذهان معاصريه والسالفين له . وساق القصة ، وهى مزيج نادر من الفلسفة والأدب والمنطق فى أسلوب جميل أخاذ فضلا عن أن المؤلف ضمنها دروساً فى السياسة والاجتماع فقال عن الحرب : « إنها العمى والعرج والبتر والكساح . إنها الأرملة فقدت زوجها والأم ثكلت ولدها والأخت تبكى أخاها والفتاة تندب حبيبها ... إنها الناحة العظمى تعم أرجاء الوطن ، والشقاء والحزن يخيمان على كل منزل ... إنها المجاعة والذلة والمرض ، حين تخلو الحقول من حارثيها والبيوت من عائليها ، وتنتشر القاذر والخبائث فى كل مكان ... فليست الحرب هى الشرف ، بل هى الغدر والاغتيال والخديعة . أما الوطن فإن من أحبه حقاً كره الحرب . فمن يحب وطنه يسئه أن يسلب وطن غيره ، كما أن من يحب زوجته لا يرنو إلى زوجة جاره » .

إنه كتاب جليل ، ولا غرو ، فقد فاز بالجائزة الممتازة فى مسابقة وزارة المعارف . وقد أحسنت لجنة النشر للجامعيين بنشر هذا الكتاب لأنه سد فراغاً طالما استشعرناه .

وديع فلسطين



جـــريز يلدا

للقصصي الايطالي بوكاشيو

بقلم الأستاذ فخري شهاب السعيدي

كانت عداوة المركيز جواليتري الشاب أمير مقاطعة سالوزو للنساء سافرة، يجاهر بها هو، ويعرفنها هن، لأنه ما كان مؤمناً يوماً بوجود امرأة وفية برة تصدق العهد وترعى الذمة والميثاق!!

وكان ذلك سبب ابتعاده عنهن وانصرافه إلى ضروب من اللهو بين وحوش الفلا وأزاهير الرُّبى في عيش رقيق الحواشي ندي الظل، وغبطة تسري في جوانحه وتشيع في محياه

وإذا كان هذا رأيه هو، فلم يكن هذا رأي شعبه، لأن الشعب لم يكن مجمعاً على خيانة المرأة، ولأن الشعب يريد من يتولى الأمر بعد حاكمه... هذا إذا جرى قضاء الله عليه فدرج فمات! لذلك هب أبناء شعبه يطالبونه بالزواج في إلحاح عليه شديد!

وتقدم إليه فريق من وجوه القوم بأسماء الحسان من بنات الأشراف ليقبول كلمته في إحداهن، وألحفوا عليه في ذلك، فكان جوابه:

— إنه وحده صاحب الحق فيمن يختارها زوجاً لنفسه، وأماً لولي عهده، وإذا كان للشعب أن يطالب حاكمه بولي من بعده، فليس له أن يتحكم في التي يختارها لهذا الخلف أماً!

... ثم اتفق معهم على أن يكون أمر اختيار زوجه له، لاحق لأحد أن يعارضه أو يناقشه فيه، وهكذا كان:

فإن المركيز لخارج من قصره إلى قرية قريبة منه يختال على جواده، إذ بصر بقروية من بنات الرعاة تحمل الماء من بئر قريبة إلى دارها في وداعة أخاذة استوقفته قليلا، ثم اقترب منها يسألها من عساها تكون؟!

— اسمي جريز يلدا يا سيدي!

ووقف المركيز الشاب أمام جريز يلدا هذه دهشاً قد علق قلبه، وذهل لبه، واشتغل خاطره، وأراد أن يكاشفها بدخيلة أمره، وأنه يرغب في أن تكون زوجه، ولكنه ما استطاع ثم حمل نفسه على أن يصارحها برغبته فقال:

— إنني يا جريز يلدا أبحث عن زوج برة مخلصة لينة القيادة، قريبة الارتياد، خلقها دمث، وطاعتي عليها فرض تتقبله في سرور أفأجد فيك التي أنشد؟!

— يا سيدي، أرجو أن تكون قد وفقت إلى اختيار من تريد!

ثم تم الزواج — كما أراد المركيز أن يكون — في فخامة وبهاء، وجاءت الفتاة القروية إلى قصر الأمير لتبتدئ حياة أرستقراطية غريبة عنها وعن قريتها التي أسلمتها إلى هذا القصر المنيف...

* * *

كانت الفتاة وفية حقاً للمركيز: تتحرى رضاه فتعمل به، وتتوخى هواه فتقصد إليه، وتقضي حق النعمة عليها بشكر أياديه وفضله...

وكانت برة به كما أراد، مخلصة له كأفضل ما تمنى... تعمل على إسعاده، ولو كان في ذلك شقاؤها، وتتمنى له الخير، ولو كان فيه أذاها...!

وكانت قد وهبته قلبها: فهي أبداً حريصة على رضاه، حريصة على إسعاده، حريصة على أن يكون زوجها أسعد الناس حياة...!

وكان شعب «سالوزو» يبصر هذا من الفتاة الكريمة، فيعجب بما يرى، ويغتبط بما يجد أميره من إكرام وحب ووفاء من بنت القرية «جريز يلدا»... وقد كان هذا الإعجاب الشديد سبب حب الفتاة في قلوب أهل «سالوزو» أجمعين!

وما لبثت جرىز يلدا أن وضعت بنتاً ...

فرق الخبر إلى شعب سالوزو ، وابتهج الشعب لهذا وفرح ؛ وأعلن عما فى نفسه من أسباب الفرح والحبور بالاحتفالات يقيمها ، والمآدب يولمها ، والتهانى يرفعها إلى أميره ...

ولـكن الأمير لم يُثلج بالأمر صدره غبطة ـ كما توقع الشعب ذلك منه ـ بل كان فى نفسه ما يحز فيها حزناً من سوء الظن الأثيم ! ... فإن الرجل قد خيل إليه أن من وراء هذا الذى تبديه له زوجه من الحب والوفاء ـ خيانة مستترة ـ لا يعلمها هو . ولـكن وجدانه ينبئه ... ولا يعرف عنها شيئاً ، ولـكن حسه يوقظه ... وتتعاظم هذه الخواطر فى نفسه فتطغى على كل شعور ... وإذا ما كان فى نفسه عن المرأة قد عاد إليه ... وهل تـكون « جريز يلدا » هذه إلا امرأة ؟ !

وإذاً فليتغلغل إلى دخيلة نفسها ليعرف الحق ، وليمتحنها ليطَّلع على ما عند المرأة من خيانة وفجور ..

... وأرسل إليها يطلب منها ابنتها معلناً أن شعبه لا يرضى أن تـكون ولية العهـد بنتاً من أم وضيعة الأصل ، حقيرة البيت ، من أهل القرى ...

وفهمت هذا الذى كان يدور بخلده ـ وما كان ذلك ليخفى عليها ـ وأدركت أنها مفارقة ابنتها البريئة ، ثمرة إخلاصها ووفائها وتفانيها فى الحب لمولاها وزوجها المركيز ـ فراقاً لا تعلم مداه ... بل قد لا يكون له مدى يقدر ، أو نهاية تعرف !

... وألم بالمسكينة الجزع فى شكل التـكل ، وملـكتها غموم الوالدة تفقد وحيدها ، فاشتملت عليها ، وتشعبتها آلام الفجيعة فى شكل مريع ... ولما رأت أن الأمر قد تعقد وأعضل ، ودعت ابنتها فى لوعة مريرة ويأس ... ثم تقدمت بها إلى الرسول .

* * *

ومضت بعد ذلك أعوام طوال كانت « جريز يلدا » مع زوجها على سيرتها الأولى : من طاعة وحب ووفاء ... وصبر على ما تلقاه منه من مكروه ! ثم قدر الله فوضعت ولداً ...

وكان لهذا الوضع أثره فى نفسها المحزونة ، فقد أملت منه خيراً يأتيها به أبوه ... وقالت فى نفسها : إن الشفاعة من ولى العهد ولا شك ، وكيف تشك وها قد وضعت ذكراً ينوب فى حكم الشعب مناب أبيه ؟ وكيف تشك وهذه أمنية المركيز التى يطلب ، ومراده الذى يبتغى ـ هو ومن ورائه شعب « سالوزو » الـكريم ؟ !

ولم يدعها المركيز « جو التيرى » تحلم ... وتبتعد فى حلمها عن الواقع المقدر لها ولابنها هذا ... فقد بعث يطلبه كما بعث من قبل يطلب أخته !

وتـكرر فصل « المأساة » ولـكن فى مظهر أروع ، وأعيد الحزن إلى قلب المسكينة ولـكن فى شكل أقسى ؛ وقدمت المسكينة طفلها هذا كما قدمت أخته من قبل إلى الرسول !

وإذا كان جرو السبع لا ينفعه رضاع الشاة ... وإذا كان النبت لا يُقوّم اعوجاجه حين يشتد عوده ويستأسد ، فإن المركيز لم يكن ينفعه تفانى المرأة فى إخلاصها وإظهار طاعتها له ... والطباع إذا كان فيها عوج متأصل ، لا تفيدها كل أنواع المقومات !

... وكذلك صبرت « جريز يلدا » على الخسف ستة عشر عاماً طوالا ، كانت خلالها مثال العفة فى الخدمة ، والشرف فى أداء حقوق الزوج ، صابرة على ما تلقاه من هذا الذى يدعونه زوجها ، وليس فى قلبه من معانى الزوجية التى تعتمد على الشرف والإخلاص شىء !

وعلى أن الحزن الممض لا يقوى على احتماله بشر له قلب وشعور ، فإن « جريز يلدا » كانت تحتمل ما تلقاه فى جلد واحتمال عجيب ، كأن ما تراه من عقوق ، هو عين الحق الذى يجب أن تُعامَل به الوفيات أمثالها ...

ولـكن زوجها المركيز لم يرضه هذا ... بل عمد إلى طردها من قصره إلى حيث كانت فى كوخها الريفى الحقير ...

وخرجت « جريز يلدا » فى أطمار بالية من القصر كما دخلته من قبل ؛ ورجعت إلى كوخها وليس معها من آثار النعمة التى كانت فيها غير ... أسوأ الذكريات ، وغير ما فى قلبها المـكلوم من حزوز ...

ولـكنها لا تكاد تستقر فيه حتى يأتيها رسول « المركيز » يأمرها بالرجوع إليه .

لتُبعِدَّ قصره الذى رحته لزواج جديد ! لـ من حسناء من بنات الأشراف ...

ونزل عليها الخبر كالصيبة تنال المرء بعد كثير من أمثالها ؛ لا تكاد تستقر واحدة حتى تتلوها الأخرى أشد إيلاماً وأفجع !

... ورجعت إلى القصر وإن قلبها لجازع من هذا الذى يرى؛ ولكن ستاراً من الابتسامات العذاب كان ينسدل على ذلك القلب الكسير فيخفى ما به من آثار اللوعة والشقاء ...

وتمّ إعداد القصر للزواج الجديد ...

وتمت دعوة الأشراف والنبلاء إليه فى ليلة الزفاف ...

فكان القصر ليلتئذ بحسناواته ومظاهر المسرة فيه جذوة من اللهب تتقد فى قلب جريز يلدا التى كانت تتغنى طمراً أبلاه الدهر وأخلقه ... قابعة فى زاوية من زوايا القصر ، خانسة ، فكأنها فى ذلك القصر المائج بالغيد الفاتنات تمثال البؤس الذى يتحاشى المترفون النظر إليه ... أن يشقيهم أو يكدر صفو حياتهم التى يحيون ! !

* * *

ورفعت «جريز يلدا» عينيها إلى العروسين الداخلين فحارت مما رأت ... لقد كانت ، فى يوم من الأيام ، كهذه الحسناء التى تتيه بجمالها للفتان وتزهى ... لقد كانت يوماً قبلة الأعين تستجلى جمال وجهها الباهر السنى فى إعجاب شديد !

... وجاء « المركيز » إلى زوجه القديمة البائسة يسألها رأيها - على ملأ من الحاضرين - فى عروسه الحسناء ؟ ! فأجابت :

إن فى منظرها - يا سيدى - لحسناً ... وأرجو أن يكون لها مثل ذلك فى مخبرها عند الامتحان ... ثم توسلت إليه أن يكون منصفاً لهذه الفتاة يعاملها فى رفق وإحسان ... وأردفت ذلك بجمل الدعاء والتوفيق لها ... ولعلها ساعتئذ كانت أصدق ما تكون ...

قال المركيز :

— « ولكن اغتفرى لى يا « جريز يلدا » هذا الذى رأيته منى من جور وكفران ... لم أكن معك يافتاتى من المنصفين ... لقد كنت أتهم وفاءك ، خائفاً أن تكون وراءه خيانة أو ريبة ... ولكنك الآن أمامى مجلوّة مثل كرائم الأحجار ...

« دعينى — يازوجى البرة — أقدم إليك هذه التى تحسبينها عروسى كما يحسبها غيرك من الحاضرين - على أنها .. ابنتك التى انتزعتها منك منذ أمد بعيد ... وهذا يا جريز يلدا المحبوبة ولدنا العزيز الذى أرسلت إليك فى طلبه كما أرسلت من قبل على أخته ... ضميهما إليك ... إلى صدرك ... لتقرى بذلك عيناً ولتكونى من الفرحات الناعمات ... لقد حُرِمتهما حيناً من الدهر طويلا ... فانعمى بعد ذاك الحرمان الطويل ... أقبلى عليهما التمسى العزاء عندهما عما مضى وكونى - كما عهدتك - تصفحين عن الإساءة وتتقبلين منى كل شىء بالصدر الرحب ، والغفران »

(بغداد) فخرى شهاب السعيدى

افتتاح الموسم الجديد لسينما ستوديو مصر

حالياً

ستوديو مصر يقدم

عقيلة راتب أنور وجدي في قصة الشباب

الحيـــاة كفاح

مع

سليمان نجيب – علوية جميل – زكي رستم

إخراج كمال مدكور

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣٤ — الاثنين ٢٧ أغسطس ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١٧ . ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 634

Lundi - 27 - 8 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٤ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٦٤ — ٢٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

عم يتســـاءلون ؟

الأستاذ أحمد رمزي

مشاكل العالم الجديد — التوازن بين الكتل الثلاث الكبرى التي تسيطر على العالم — نظرة شرقية ...

كان النظام السائد في عالم الاقتصاد في المائة سنة الماضية التي أشرنا إليها في مقالنا السابق ، هو نظام الباب المفتوح ، وهو يتلخص في حرية التجارة والتكافؤ في المعاملة . فالبوارج الحربية التي فتحت موانى الصين واليابان من مختلف الجنسيات ، كانت تفرض نظام الباب المفتوح ، واعتراف الدول بحماية فرنسا على مراكش المستقلة ، كان يتضمن بقاء سياسة الباب المفتوح — وفي مصر كان تساهل الدبلوماسية الأوروبية لبقاء الاحتلال البريطاني يلازمه اشتراط العمل بسياسة الباب المفتوح ، وبأخذ الضمانات على الإنجليز « ألا يكون لهم مركز ممتاز » ، أو أكثر رعاية من غيرهم . ولذلك بقيت حرية الحكومة المصرية في زيادة الضرائب الجمركية مقيدة كما كانت طول عهد الدولة العثمانية برغم وجود العامل الجديد ، وهو الاحتلال البريطاني .

وقد بقيت سياسة الباب المفتوح معمولا بها طوال القرن الماضي ، وكانت إحدى دعامات القوة البريطانية ، ولكن حينما تقدمت الدول الأوروبية في طرق استغلال أراضيها بالمستعمرات ، تطورت علاقاتها مع ممتلكاتها إلى إيجاد نوع من الوحدة الاقتصادية بين الدولة الأوروبية وما تملكه في القارات الأخرى . وأخذت كل وحدة تسير نحو الاستكفاء بما لديها — فالميزان التجاري الذي كان يعتمد على حرية التجارة ، خضع لمقدرة كل دولة واستعدادها لتصريف الفائض من منتجاتها في المستعمرات التي تملكها — كما أن المواد الأولية التي كانت تحت تصرف الدول الأخرى ، أخذت تنحصر رويداً رويداً بيد رجال الدولة الحاكمة ، وتصبح مع مرور الزمن محتكرة وفوق متناول يد الدول الأخرى

ولما كان كوكبنا الأرضي محدود المساحة ، ولم تبق بقية من أنحاء العالم خالية ، لا يرفرف عليها علم أحمر أو أزرق أو أخضر ، ولم يبق شعب من الشعوب إلا وخضع لحكم الأوروبيين ، كان من الطبيعي أن تتلاقى القوى على حدود مناطق لا تتعداها ، وإلا تصادمت مع قوة لا تقل شأناً عنها

* * *

ولقد انتهى كل هذا إلى تنافس بين الدول الاستعمارية ظهرت بوادره منذ بداية القرن الماضي ، فمشكلة فاشودة بين فرنسا وبريطانيا واتفاق سنة ١٩٠٤ بين الدولتين ، وهو الذي جعل مراكش من حصة الأولى ، وجعل مصر من نصيب الثانية ، جاء ليحد من أثر التنافس ، وليوجد حلا للمشاكل الاستعمارية بين الدولتين ،

كذلك كان اتفاق سنة ١٩٠٧ بين بريطانيا والروسيا ، جاء ليقسم إيران ، وليسد الباب على هذا التلاحق أو الاحتكاك بين قوتين يخشيان التصادم

ولقد وصل هذا التنافس بين المستعمرين إلى مداه قبل قيام الحرب العالمية الأولى ، أى فى سنة ١٩١٤ ، وكثر التحدث عن احتلال المراكز التجارية والمواقع الاستراتيجيكية التى تسيطر على طرق الملاحة والمواصلات

* * *

ولما قامت الحرب العظمى الأولى ، كانت أوروبا فى عنفوان قوتها ومجدها وسلطانها ، وقد ورثت الأرض ومن عليها ، وكانت حرباً قاسية ضروساً تحملتها أوروبا واشتركت المستعمرات فيها بأموالها ورجالها ، وكان الدور الذى لعبته الهند وأفريقيا الشمالية وغيرها هاماً ، فبقدر أهمية الخدمات التى أدتها المستعمرات ، بقدر ما زاد واستوثق اتصال الدولة الحاكمة بالبلاد الخاضعة لسلطانها ونفوذها

* * *

نتساءل بعد ذلك عما كان من أثر الحرب العالمية الأولى ونتائجها ؟

ظهر جلياً بعد الحرب أن أوروبا تحطم فيها أكثر ما خلفته المائة سنة الماضية من أنظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية

فلو قدر لمترنخ الوزير النمساوى أو لغيره من أساطين وغاردة الرجعية الذين خيل إليهم أن الاقدار بيدهم يوماً ما

نعم ، لو قدر لهم رؤية أوروبا عام ١٩٢٠ لصعب عليهم أن يجدوا أثراً من الأنظمة التى فرضوها على الشعوب فى مستهل هذا القرن الماضى

ولكن أوروبا التى تحررت من آثار القرن التاسع عشر ، عرفت - لأول مرة - عهداً من الفقر المادى والمعنوى ، ودخلت فى طور جديد من المشاكل ، إذ كانت العشرين سنة التى أعقبت الحرب العظمى ، كشريط سينمائى للحوادث ، استمر يعرض علينا مشاكل الحدود والأقليات والثورات المتتابعة ، ومسائل التسليح ومقاعد عصبة الأمم — فكانت ما أثارته الحرب من المشاكل والشكوك والريب والأطماع أضعاف ما عرفته أوروبا قبل قيامها ، بل استمرت هذه المتاعب تعمل فى أوروبا وجراحها بعد لم تلئم ، فكان من الطبيعى أن يلجأ السياسيون لكل الوسائل التى اعتادتها الدبلوماسية الصامتة من قبل بأساليبها الملتوية

ولقد كانت أكبر متاعب أوروبا مسببة من الشعوب الصغيرة التى أوجدتها معاهدات الصلح بدون أن تستند على أسس تاريخية راسخة — فهذه الدول المرتجلة ، أمضت العشرين عاماً ، تتأرجح بين التيارات المختلفة ، فلم تثبت على مبادئ واحدة ، ولم تنهج خطة معينة ، وكان تنازعها على مقاعد عصبة الأمم مضحكا ، كما كان اجتماع مجلس التحالف الصغير المكون من تشيكوسلوفاكيا ويوجوسلافيا ورومانيا للتدخل فى الشؤون الداخلية للمجر يدل على مهارة ، ولكن تفكك هذا المجلس وانكماشه أمام المصاعب الكبرى مثل مهاجمة النمسا واحتلال تشيكوسلوفاكيا كان يدعو إلى السخرية والتهكم

فهذه الشعوب والدول الصغرى كانت تسبب الكثير من الضجيج ، ولكنها لم تكن يوماً ما مستقلة فى سياستها ، أو مخلصة للمواثيق والعهود التى قطعتها على نفسها ، بل كانت أكثر الوقت ألعوبة فى أيدى الدول الكبرى التى كانت تحركها

* * *

وفى وسط هذه الفوضى الأوروبية كانت الدول الكبرى تسير بخطوات واسعة نحو تدعيم مستقبلها بالاعتماد على عوامل عالية أو كونية أكثر منها محلية أو أوروبية — وكان التفوق الصناعى والقدرة الرأسمالية والإنتاج الواسع كلها تمهد لهذا الاتصال أو الارتباط وتسير بالدول الاستعمارية وأراضيها ومناطق نفوذها نحو التركيز الاقتصادى ، أو نحو إيجاد نوع جديد من الكتل الاقتصادية ، أو الوحدات المكونة لمجموعة من الدول والأمم التى إن لم تكن مرتبطة سياسياً ، فهى مرتبطة اقتصادياً ومادياً ، وهذه كانت أول خطوة نحو ظهور الكتل الكبرى التى نراها اليوم

* * *

ولم يكن هذا التوجيه فى حلم أحد من الناس ، بل هو النتيجة الطبيعية للعوامل التى سببها هذا التوسع الاستعمارى الجارف وهذا التطور الذى محب العالم — وبينما هذه الدول تسير بخطوات واسعة نحو تأكيد سيطرتها معتمدة على تفوقها — أى بينما هذا

التحول فى الحلقة الأولى من حياته — ظهرت المتناقضات والشروخ فى هذه الأنظمة الاقتصادية

فالنظام الرأسمالى الذى بلغ أوجه ، لم يكن يفكر فى شىء من الانهيار والتفكك حينما دهمته أزمة سنة ١٩٣٠ وما بعدها ، ولم تكن هذه الأزمة أوروبية حتى يمكن تلافيها ، بل كانت عالية ، فهى أشبه الأشياء بالسنوات العجاف التى تحدثت عنها الكتب المقدسة .

كانت هذه الأزمة الواقعة بين حربين امتحاناً قاسياً للأنظمة الاقتصادية ولقوة المقاومة بين الدول الكبرى ، وكانت أكثر من ذلك ، كانت الدافع الديناميكى الطبيعى الذى أقنع الكتلتين الكبيرتين الأنجلوسكسو بأن مستقبل العالم يتطلب تفاهما وتعاوناً وارتباطاً بين أمريكا الأنجلوسكسو وبريطانيا الأنجلوسكسونية

* * *

ويحسن بنا قبل التكلم عن أثر هذه الأزمة أن نعطى فكرة أولى عن أحوال العالم الاقتصادية ، أو نظرة لرجل على ربوة رصد يسجل حوادث تمر أمامه :

كان يبدو للناظر أن الدنيا يغمرها طوفان أو فيض هائل من خيرات الله ، فلم يحدث فى العالم أن وصلت مستخرجات المواد الأولية إلى الملايين من الأطنان من كافة الأصناف التى وصلت إليها فى العشر سنوات الواقعة بين ١٩٢٠ — ١٩٣٠ وما يقال عن المواد الأولية ، يقال عن المنتجات الزراعية والصناعية ، ولكن يقابل هذا الفيض من الخيرات حالة أخرى بين سكان الأرض : فقد ذكرنا فى البحث السابق كيف ازداد عدد سكان المستعمرات . وكيف أصبح ملايين من الناس يسكنون جهات لم تكن مسكونة ومأهولة . وهذا القسم من الإنسانية امتاز بشىء واحد اسمه « الحرمان » ، أى أن الفقر والفاقة ، وأحياناً المجاعات والأوبئة اختصت بأجزاء من الإنسانية قد تقرب من نصف المجموع الآخر إن لم تزد عليه

* * *

فى الوقت الذى كانت فيه ثروات العالم وخاماته تنتقل بانتظام على البواخر بين القارات ، وفى الوقت الذى وصل فيه استغلال الشعوب الأسيوية والأفريقية بل والأمريكية إلى درجة لم تعرف من قبل — كان سكان هذه المناطق أو غالبيتهم لا يصيبهم سوى النزر اليسير إن لم يكن أقل من اليسير من الفيض الذى تخرجه أراضى بلادهم ، فهم يصدق فيهم أكثر من غيرهم قول الشاعر العربى :

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

ولعل أكبر المتناقضات التى عرفتها البشرية منذ خلق الإنسان على الأرض ، والتى لم يعرفها الحيوان فى حياته قط هو ما يأتى :

إذا كان سكان العالم يقدرون بـ ٢٠٠٠ مليون نسمة ، وإذا أخذنا معدل المستوى فى بلد أسيوى أو أفريقى ، فلا أقل من نصف العدد من هم ونساؤهم وأطفالهم فى حاجة للكساء ، بل يمكن نصفهم عراة ، ففى الوقت الذى فيه نصف ، أو قل ربع الإنسانية عارٍ ، كانت ملايين الأطنان أو آلاف الأطنان من القطن الخام يحرق فى مزارعه . لماذا يحرق ؟ من أجل نصف ريال يرتفع به سعر القطن ليدخل فى جيوب المنتجين !

هذه إحدى المتناقضات ، فلننظر إلى مثل آخر :

لا تزال مشكلة الغذاء تشغل العالم ، وهى مشكلة مخيفة إذا علمنا أن عدد سكان مصر فى القرون الوسطى هبط إلى النصف وأحياناً إلى الثلث من أثر هذه المجاعات . أما قلة الغذاء ونقصه ، فيعرفها أهل مصر أكثر من غيرهم ، فإذا كانت مشكلة الغذاء نعرفها هنا ، فما رأيك بملايين من بنى آدم فى بعض الجهات لا يلقون سوى وجبة واحدة وضئيلة فى اليوم الواحد ، أى مكونة من قليل من الأرز والماء ، ففى عالم فيه الإنسان محتاج لشىء من العطف والرحمة ، أو لقليل من الوعى الإنسانى ولشىء من التنظيم والصبر . نعم فى هذا القرن العشرين كانت ملايين من المواد الغذائية التى تصلح لتكون غذاء . أى نعم كانت تحرق فى القاطرات أو البواخر ... لماذا ؟ لكى لا يخسر زارعوها ربع ريال فقط !

* * *

هذه صورة الدنيا وهى لعمر الحق سوداء ، حينما قامت الدعوة لمؤتمر اقتصادى عالى يلتئم فى مدينة لندرة ، ولم يكن اجتماعهم إلا بعد أن توالت النكبات ، وتفاقمت الأزمات ، وشعر الرأسماليون بنقص فى الأموال ، وضعف فى الأنفس ، وإفلاس فى بيوتاتهم ،

فقرروا أن يتجمعوا وأن يتداولوا وأن يتحادثوا ، وأن يراجعوا الأرقام ويقارنوا الإحصائيات ، وكان معهم الخبراء وغير الخبراء ، وما التأم شملهم حتى أخذ كل فريق يكيل الاتهام لغيره ويحمل الأخطاء على كتف سواه !

وتعود بي الذاكرة لبعض ما وعته نفسي : فإني برغم جهلي بالتفاصيل المملة وعدم إيماني بعبقرية الاقتصاديين والخبراء ، وعيت ما ذكره بعض غلاة الرجعية في إذاعتهم : أن بقاء روسيا تحمل وحدها سبع المعمورة قد أخل بالتوازن الاقتصادي العالمي ، فهي السبب الأول للأزمة ؛ وقال آخرون : إن علاج الأزمة هو رفع مستوى الجماعات البشرية وإعطاؤها الفرص لكي تبيع وتشتري ، وكثرت المقترحات وتفرعت اللجان ، ثم توزعت الأعمال ، فكان المؤتمر كسوق قامت ثم انفضت، فقطلم يربح أحد فيها،وخسر فيها العالم كل شيء ، إذ خرج وهو مريض وقد اشتد مرضه ، وتسابقت الدول إلى التسليح ، لأن مؤتمر لندرة لم يحل مشكلة المواد الأولية ، فبقيت المواد الأولية وأصحاب المواد الأولية ، أي سكان البلاد الأصليين ، على الحالة التي وجدهم المؤتمر عليها ، أي ينتظرون تنفيذ أحكام الأقدار فيهم !

* * *

أما الأقدار ، فكانت في شغل عنهم ، لأن الأقدار تحالف القوانين الطبيعية الملازمة لطبيعة الأشياء . نعم كانت في شغل عن تقارير المندوبين والخبراء ، كان عملها بسيطاً يتلخص في نتيجة منطقية : إن الفريق الغالب في عالم الاقتصاد هو الذي يملك من القوى الإنشائية والدعامات الاقتصادية أكثر من غيره ، وهو الذي يزحزح الضعيف من طريقه وينتهي بأن يجذبه إليه ، فإما أن يندمج فيه أو يزداد ضعفاً على ضعف

وكان أن خطوات التكتل التي بدأت بعد الحرب قد أخذت تسير بسرعة عقب مؤتمر لندرة ، فهولندة والبرتقال أخذت كل منهما تتجه نحو المجموعة التي تلائمها ، وجمهوريات أمريكا الجنوبية أخذت تلتئم في النظام الاقتصادي للولايات المتحدة . وفي وسط هذا التنازع السلمي أخذت تظهر على العالم قوات متكتلة تختلف قوة وضعفاً وهي :

١ — بريطانيا العظمى وامبراطوريتها وأصدقاؤها وحلفاؤها
٢ — الولايات المتحدة وممتلكاتها وأصدقاؤها وحلفاؤها
٣ — روسيا في أوروبا وآسيا
٤ — فرنسا وامبراطوريتها تحاول أن تستكفي
٥ — اليابان والشرق الأقصى
٦ — إيطاليا وامبراطوريتها في المهد

أما بقية العالم ، فاستمر حائراً ينظر إلى المستقبل بأساليب القرن الماضي . ألمانيا تحلم بمستعمراتها ، وأسبانيا تؤمل في أيام الإرمادا ، وإيطاليا تتحدث عن الامبراطورية الرومانية ، والتشك واليوجوسلاف يحاربون مشروع عودة النمسا والمجر ، وكل بما لديهم فرحون ، حتى دهمتهم الحرب العالمية الثانية ، وسنرى ما كان من أمرها إن شاء الله

(يتبع)

احمد رمزي
القنصل العام السابق لمصر بسورية ولبنان

معركة إنسانية خالدة

فى أفريقيا الشمالية العربية

للأستاذ توفيق محمد الشاوى

لا شك فى أن جهاد العرب والمسلمين فى سبيل حريتهم وسيادتهم ضد الاستعمار الأوربى فى هـذا العصر هو معركة من أروع معارك التاريخ وأبقاها أثراً ، لا لأنها معركة عنيفة جبارة يصلى نارها ملايين من البشر ، ويمتد ميدانها إلى جميع أنحاء الوطن العربى الإسلامى فحسب ، ولـكن لأنها معركة فـذة فى أسلحتها ، خطيرة فى نتـائجها وآثارها . أما أسلحة المستعمرين فهى أسلحة فتاكة مادية ، لا تقتصر على الجيوش وسـلاحها الذى يقتل الآمنين المسالمين قبـل المجاهدين المحاربين ، ولـكنها تشمل « السياسة » بمـا تستخدمه من أحط الوسائل فى محاربة أخلاق الأمة بالفساد والانحلال ، ووحدتها بالتفريق والشقاق . وشجاعتها بالقتل والنفى والسجن والتجويع ، وإنسانيتها بمصادرة الحريات وسلب الحقوق وانتهاك الحرمات . وأما هدفهم ، فهو السلب المنظم والسرقة الصريحة باسم التعمير والاستقلال ، والهدم والإفناء باسم « التمدين » و « الإنشاء » .

أما الجانب المشرق فى هـذه المعركة الخالدة فهو جهاد العرب والمسلمين وثباتهم فى ميدان الشرف والـكفاح فى سبيل أسمى غاية ، فى سبيل الحرية الإنسانية وحقوقهم الطبيعية ، وفى سبيل المبادئ الإنسانية السامية التى تكفل لهم حقوقهم وحرياتهم . وسلاحنا فى ذلك الـكفاح هو قوميتنا ومثلنا الروحية العليا التى عوضتنا عن أسلحتهم المادية أسلحة روحية سامية ، هى الإيمـان بالحق الذى نكافح من أجله ، وحب الموت والتضحية فى سبيله ، واحتقار للحياة المادية الشهوانية التى تستسيغ الذلة والعبودية ، أسلحة قوية سيكون لها النصر رغم طول الـكفاح ، وشدة البلاء ، وكثرة التضحيات .

تأمل هذه الحقائق ناطقة فى معركة إفريقيا الشمالية بين العرب والمستعمرين من الفرنسيين والأسبانيين والإيطاليين وأشباههم . وخاصة فى الجزائر وشقيقاتها حيث يتكلم الفرنسيون عن « مشكلة » إفريقيا الشمالية ، وكلمة « مشكلة » إنما تدل على أزمة حادة تصيب سياستهم الاستعمارية وفشل خطير يهددها ، فما الذى أصابهم بهذا للفشل ورماهم بتلك الأزمة ؟ لقد صرح أحد زعمائهم فى الجمعية الاستشارية بالحقيقة مستورة ملفوفة حين قال « إن مجهود فرنسا الاستعمارى تعترضه صعوبات « خطيرة » أهمها الوحدة العربية ، والمجاعة ! أما الوحدة العربيـة فتشير إلى القومية العربية بكل خصائصها وأسسها ، وخاصة أساسها الروحى وهو الدين بمبادئه ومثله العليا التى يتسلح بها المسلمون فى كفاحهم ، فأى اعتراف بقوة هذه الأسلحة و « خطورتها » أبلغ من هذا ؟ ليس ذلك فقط ، ولـكن بجانب هذا اعتراف آخر بفشل أسلحتهم الاستعمارية الوحشية التى عبر عنها بكلمة « المجاعة » ، لأن المجاعة هى النتيجة الطبيعية للسياسة الاستعمارية الغاشمة ، والاعتراف بها أبلغ رد على ما يسمونه السياسة الإنشائية والعمل التمدينى الذى قامت به فرنسا والذى انتهى بعد قرن من الزمان بالمجاعة ، لأنه ليس فى حقيقته إلا استغلالا همجياً حقيراً

ونحن العرب والمسلمون نلمس من هذه الاعترافات بشائر نصرنا فى هذه المعركة الإنسانية الخالدة التى ستكون نقطة التحول فى الحضارة الإنسانية من المبادئ الأوربية المـادية الاستغلالية الاستعمارية الهمجية ، إلى مبادئ قوميتنا وحضارتنا الإسلامية الروحية السامية التى عبر عنها أبلغ تعبير عالم الجزائر ورئيس جمعية علمائها المسلمين بقوله : « إن الأمة الجزائرية يجب عليها بحكم دينها أن تحيا مع كل من يساكنها حياة الإحسان والخير والرحمة فتحسن وتطالب بالإحسان ، وتبذل الخير والرحمة وتطالب غيرها بالخير والرحمة ، وإذا قامت بواجب حيوى مشترك كان من الإنصاف لها أن تتمتع بالحقوق الحيوية المترتبة على ذلك الواجب ، وأن تساوى غيرها فى الحياة كما ساوته فى الواجب ، مع الاحتفاظ التام بمقوماتها الطبيعية التى هى : الإسلام والعروبة وشخصيتها كأمة مستقلة ، وهذا هو ما تقتضيه قواعد الإنسانية وقوانين العدل والإنصاف ، هـذا هو إيماننا العميق بمبادئنا الإنسانية السمحاء ، وهو الذى سيكفل لنا النصر القريب الحاسم ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

توفيق محمد الشاوى
مدرس بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

الفلسفة الإسلامية المتأخرة

للدكتور جواد علي

– ٣ –

ترك الملا صدرا طائفة من الطلاب والمتعلمين كان أبرزهم تلميذه الملا محسن فيض الكاشاني وهو محمد بن مرتضى المعروف بمحسن فيض (توفى سنة ١٠٦١ هـ)(١) . درس على الشيخ ماجد بن علي بن مرتضى البحراني المتوفى سنة (١٠٢٨ هـ) والشيخ ماجد عالم مشهور وشاعر معدود تخرجت عليه طائفة من علماء إيران والعراق اشتهر بالفقه والحديث والأصول(٢) . ودرس على الملا صدرا وعلى نفر من العماء البارزين .

غلبت على الفيض نزعتان النزعة إلى الفلسفة العالية والنزعة إلى التصوف . فدرس كتب الفلاسفة وأصبح فيلسوفاً من كبار الفلاسفة ومارس التصوف حتى أصبح صوفياً من جماعة المتصوفين فاتهم لذلك بنفس التهمة التي اتهم بها أستاذه الملا صدرا من قبل . « فنسب إليه الشيخ علي الشهيدي العاملي في ذيل رسالته في تحريم الغناء وغيرها كثيراً من الأقاويل الفاسدة والآراء الباطلة العاطلة التي تفوح منها رائحة الكفر »(٣) .

وقد ذهب مذهب أستاذه في تقديس ابن العربي والثناء عليه والنقل من كتبه(٤) . وهذا ما أهاج رجال الدين عليه . وهو صوفي بالطبع ومشربه يشبه مشرب أبي حامد الغزالي وقد توصل إلى نفس ما توصل إليه هذا العالم الأخلاقي الكبير(٥) ولكنه غالى في التصوف وفي الدفاع عن عقائد المتصوفة حتى تسمى « بالشيخ والدرويش » وحتى انتسب إلى « القلندرية » وقال

(١) روضات الجنات ص ٥٤٢ — ٥٤٩ قصص العلماء . رياض العارفين ٢٢٥ — ٢٢٦ Brown. Vol 4 p, 432. مجالس الفصحاء ج ٢ ص ٢٥ — ٢٦ .

(٢) عن الشيخ ماجد راجع روضات ج ٤ ص ٥٤١ .

(٣) راجع رسالة تحريم الغناء . وروضات الجنات ص ٥٤٣ .

(٤) نفس المصادر .

(٥) روضات الجنات ص ٥٤٣ . له ما يزيد على الثمانين كتاباً .

«وحدة الوجود»(١) . وكتب أكثر كتبه على طريقة المتصوفة والمتفلسفة حتى تلك الكتب التي ألفها في الفقه والأصول والتفسير(٢) يقول عنه صاحب روضات الجنات « ولاشتهار مذهب التصوف في ديار العجم وميلهم إليه بل غلوهم فيه صارت له المرتبة العليا في زمانه والغاية القصوى في أوانه وفاق عند الناس جملة أقرانه حتى جاء على أثره شيخنا المجلسي ، فسعى غاية السعي في سد تلك الشقاشق الفاغرة وإطفاء نائرة تلك البدع البائرة »(٣) .

والمحسن فيض فيلسوف صوفي ، فمن المعقول إذاً أن يكون لسلطان العقل عنده المقام الأول بالنسبة إلى سلطان النقل . على أننا لا نلاحظ ذلك عنده لا في كتاباته ولا في تفكيره . نراه يقدم الأخبار على الرأي ويأخذ بالحديث بدلا من الاجتهاد . ويتهجم على « الأصولية » القائلين بمبدأ الاجتهاد في الفقه وأصوله . وقد كان « إخبارياً صلباً كثير الطعن على المجتهدين ولا سيما في رسالته سفينة النجاة حتى أنه يفهم منها نسبة جماعة من العلماء إلى الكفر فضلا عن الفسق »(٤) .

والأخبارية على نقيض « الأصولية » تعتقد بالأخبار الواردة عن الرسول والأئمة الاثنى عشر المعصومين على رأي الشيعة الاثنى عشرية وتقدم الخبر مهما كانت درجته على الدليل العقلي وحجتهم في ذلك أن الاجتهاد رأي والرأي لا يجوز في الدين ولذلك لم يعترفوا إلا بالكتاب وبالأخبار المروية عن النبي والأئمة واختلفوا عن الأصولية في درجات الحديث ، أما الأصولية فأخذت بالأدلة الأربعة : الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل(٥) . وقد رفضت القياس لأن القياس في نظرها رأي والرأي لا يجوز في

(١) نفس المصدر .Brown p, 432 .

(٢) راجع قائمة كتبه في المصادر المذكورة . وله كتاب « الوافي » في ١٤ مجلداً وهو جامع الكتب الأربعة في الحديث . وله كتاب « الصافي » في تفسير القرآن ويذهب في التفسير مذهب الأخباريين حيث يكثر من الحديث طبع بطهران سنة ١٢٧٦ راجع عنه شتروتمان في كتب الأباحية نمرة ١٣

(٣) روضات الجنات ج ٤ ص ٥٤٦ ويلاحظ أن الشيخ علي الشهيدي العاملي وهو صاحب هذه الكلمات التي نقلناها عن روضات الجنات من المتحاملين جداً على الفلاسفة والمتصوفة وكان محافظا جداً في آرائه بالنسبة إلى هؤلاء .

(٤) روضات الجنات ج ٤ ص ٥٤٣ ، ٥٥٠ .

(٥) عن الخلاف بين الأصولية والأخبارية راجع روضات الجنات ج ١ ص ٥٦٩ حيث تجد الخلاف بالتفصيل وص ٥٤٤ Horten Akhbatti .

العبادة والدين[١] . ونسب إلى المحسن فيض القول « بوحدة الوجود » وقيل إنه ألف رسالة فى هـذا الموضوع[٢] . ولكنه من جهة أخرى يتحامل على الدراويش والصوفية تحاملا قاسياً وله « مقامات » على طريقة مقامات الحريرى فى وصف حالة زمانه وأوضاعه السياسية وقد تحامل فيها على المتصوفة وأصحاب الطرق تحاملا شديداً يكاد يجعله فى عداد القاومين للصوفية على أنه نفسه من المتصوفة . غير أن تصوفه من قبيل تصوف الملاصدرا بلا ذكر ولا ملابس وعلامات[٣] .

ومن الذين تأثروا بمدرسة الملاصـدرا عالم آخر وفيلسوف صوفى هو الملا عبـد الرزاق بن على بن الحسين اللاهيجى المتكلم الشاعر وصاحب التصانيف فى الحكمة والكلام[٤] . وكان كالمحسن فيض صهراً للملا صدرا وخليفة من خلفائه فى الفلسفة الأشراقية وله فى هذه الفلسفة كتاب « شرح الهياكل فى حكمة الأشراق » وكتاب « الشوارق فى الحكمة »[٥] تلك الفلسفة التى ارتبطت بالصوفى الشهير السهروردى على الأخص والتى أصبحت ذات لون إسلامى خاص — والظاهر أنه لم يصـل إلى مرتبة الفلاسفة المتقدمين بدليل ما قاله البعض عنه « من أنه كان قلندراً قبل أن يكون فيلسوفاً »[٦] .

أما الحاج ملا هادى السبزوادى (ولد سنة ١٧٩٧/١٧٩٨ م وتوفى سنة ١٢٩٥هـ) فقد كان آخر رجل من هذه الزمرة وهو شاعر فيلسوف طبعت أكثر كتبه فى إيران . مثل مدرسة الملا صدرا خير تمثيل[٧] .

رفض الملا هادى مبدأ « الاتحاد » أى اتحاد الله فى المخلوقات وفرق بين الاتحاد والحلول . فسر فكرة الاتحاد تفسيراً جديداً . إن « عقلى كل » « العقل الـكلى » معناه اتحاد « الموضوع بالمحمول » ويتمثل الله الذى هو « العقل الـكلى » فى « العقل » الذى يشع من نور « المبدأ » أو « العقل الـكلى » فالعقل الـكلى هو « العقل » أو « الـكون » بنفس الوقت . ولـكن ذلك لا يعنى على رأيه بأن الـكون ذاته هو « الله » . ولا يمكن أن يكون الـكون بجملته شيئاً يقابل « العقل الـكلى »[١] .

إن الله بحد ذاته لم يتحد بهذا العالم اتحاداً تاماً ولم يحـل فيه لأن الله مستقل بذاته والـكون مستقل بذاته ولـكنه لا شىء بالنسبة إلى ذات الله . إن الـكون حجاب « Maya » لا يمثل الحقيقة والحقيقة هى الله والله هو أساس المخلوقات ولولاه لـكان الـكون لا شىء — ولـكن الله يرسل نوره على هذا العالم فيشع عليه ويشرق الـكون ولا يكون هنالك « إشراق » لولا « النور » الذى هو الله[٢] .

وقد مزج الملا هادى على ما يظهر بين فلسفة الأشراقيين وبين فـكرة « المـايا — Maya » البراهمية وتكوّن من هـذا المزيج فلسفته الخاصة . فالـكون على نظرية البراهميين خداع فى حد ذاته يظهر لنا كأنه الستار المنقوش على المرسح الذى يرى الناظر من بعيـد كأنها أشياء واقعية ، وبفضل « المـايا » التى هى إسم آلهة من آلهة البراهميين التى تشرق بالمعارف على العالم تتم معارف الإنسان[٣] .

إن النفس الإنسانية واحدة وقدءاً قال البراهمة بوجود نفس عامة للعالم من إشعاع تكون نفوس الأفراد[٤] .

وقد فسر ابن رشد نظرية أرسطو طاليس عن « النفس الـكلية » نفس هـذا التفسير[٥] . فمن النفس الـكلية تتشعب النفوس الجزئية . وقد أيد السبزوادى هـذا الرأى وصرح به أن المادة هى التى تتجزأ فى الأفراد أما الروح أو النفس فإنها « كلية » عامة وهى وحدها التى تتصف بهذه الصفة ، صفة العموم[٦] .

(انتهى) **جواد على**

---

(١) نفس المصادر .
(٢) روضات الجنات ص ٥٤٥ وما بعد .
(٣) راجع مقامات المحسن فيض . وروضات الجنات صـ ٥٤٦ .
(٤) Brown Vol 4 p, 435 .
(٥) Brown Vol 4 p, 435 روضات صـ ٣٥٢ — ٣٠٣،٣ قصص العلماء . رياض العارفين صـ ١٦٥ — ١٦٦ مجمع الفصحاء Donaldson p, 303 .
(٦) Brown Vol 4 p, 435 — 1 أيضاً Shea an Troyeos, Dabistan. 1843 Vol 1. pp, 140 — 1. كتبه جوهرى مراد . سرماى إما ،
(٧) Brown Vol 4 p, 436 .

---

(١) راجع .max Harten p, 142 Bektaschijje Jacob 56. 4
(٢) max Harten p, 142 راجع الفلسفة الأشراقية وفكرة « المايا » فى الفلسفة البراهمية .
(٣) عن « المـايا » راجع .Smitt Hsnd Book of Pbilosophi Art. waja. أيضاً النصوص البراهمية .
(٤) Haten p, 142. a'denberg Brahmen Texts 1919 .
(٥) وقد نادى بهـذه الفكرة بعض الفلاسفة المتأخرين أمثال : بولسن — Paulsen » ، Kulpe وأمثالهم .
(٦) Harten p. 142 .

المستقر العقلى لعقيدة التوحيد

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أود قبل كل شيء أن أنبه الأستاذ سيد قطب إلى أنى قلت إن الذهن هو أوسع طريق لإثبات عقيدة التوحيد بوجه خاص. وعقيدة التوحيد واحدة من عقائد الإسلام والدين الصحيح عامة، ولم أقل إنه طريق الإيمان فى الأديان الأخرى التى ليس لها أسس عقلية والتى تدين بها ملايين كثيرة من البشر.

وهذا التوضيح قد يفيدنا فى تحديد نقطة الخلاف وينهى هذا الجدل الذى طال.

وأنا حين رأيت الأستاذ سيد يقول مقالته عن طريقة القرآن فى إثبات عقيدة التوحيد بالمنطق الوجدانى وحده خشيت أن يكون قد اتبع المقالة العامة التى شاعت فى العالم غير الإسلامى - لأن عقائده لا يسعفها الاستدلال العقلى - وانتقلت إلى العالم الإسلامى حديثاً، وهى أن الدين أمور لا يمكن إثباتها من طريق الفكر والمنطق وإنما من طريق الوجدان والعواطف التى تستمد من خوف المجهول. وطبيعى أن يستتبع ذلك نفرة كثيرين من العلماء والمفكرين أن يسلكوا أنفسهم فى هذا السبيل، وأن يربأوا بعقولهم أن تأخذ شيئاً من غير طريق الإثبات والحكم العقلى.

وما كان للقرآن وهو يعلم أنه سيجابه هؤلاء أن يغفل هذا الميزان الفكرى ويتجاهله وقد جاء لعصور فيها رشد الإنسان ونضج قواه الفكرية جميعها.

وإذا كان الأستاذ سيد يفهم من الوجدان أنه يعتمد على «الحس والبداهة والحقائق الخالدة» فالخلاف حينئذ يكون بيننا على الاسم، ولا فرق حينئذ بين المنطق الوجدانى، والمنطق الذهنى الذى يعتمد هو أيضاً على الحس والبداهة والحقائق الخالدة، ويكون الاسمان لمسمى واحد. فلا داعى إلى أن نقول إن القرآن لم يعتمد على «الذهن» فى إثبات عقيدة التوحيد.

ثم ننتقل إلى المثال الذى استشهد به الأستاذ سيد على إثبات القرآن لعقيدة التوحيد بلا جدل ذهنى، والذى بينت ما فيه من ضروب الأدلة الذهنية التى أسماها الصديق «محاولات ذهنية» ووصفها بالتهافت. والمثال هو آيات التوحيد فى سورة الأنبياء.

وقبل كل شيء أحب أن أسأل: هل حين يقول القرآن أو أى قائل لمعارضيه: «قل هاتوا برهانكم» يكون جدله خالياً من الحركة الذهنية؟ ألا يكون المقام كما قلت سابقاً بهذا الخصوص «مقام جدل كبير يتسع للرد وقرع الحجة بالحجة وتشقيق الدليل وراء الدليل، وليس مقام تسليم بوجدان عن طريق «تعريض الحس والقلب للأصداء والأضواء» والخطابيات والشعريات والنغمات؟

أظن أن هذا التحدى بطلب البرهان يكفى لإثبات أن الفكر هنا هو الأداة الأصيلة، وأن الحركة الذهنية حاضرة لاستعراض القضية وأدلتها.

وقد أغفل الأستاذ سيد استشهادى بهذا المقطع من الآية حينما سرد كلامى تمهيداً للتعقيب عليه، وما كان له أن يغفله عامداً وهو يعلم ما فيه!

يقول الأستاذ: «إن القرآن كان أعرف بالنفس البشرية من الأستاذ عبد المنعم فلم يسق الأدلة كما ساقها هو ...»

أما أن القرآن أعرف منى بكل شيء فذلك ما لا جدال فيه. وما زعمت لنفسى غير هذا وما غيرت سياق القرآن، وإنما شرحت ما فهمته من أدلته شأنى شأن أى مفسر آخر. بل شأنى شأن الأستاذ سيد نفسه حين أباح لنفسه أن يفهم فى هذا الآية كما شاء. ولما اعترضت على فهمه لم أسلك هذا السبيل الذى سلكه هو فى بيان خطئى، وإنما بينت رأيى وتركته له وللقراء، ولعلى مخطئ، وما زعمت لنفسى أنى بهذا التفسير أحدد معانى القرآن وأحمله على ما أريد، فإنى أعلم أن من إعجاز القرآن أنه يرضى العقول والعصور جميعاً لأنه حجة الله عليها جميعاً ...

ولنأخذ فى سرد اعتراضات الأستاذ والرد عليها:

(ا) يقول الأستاذ فى الاعتراض على قولى: «فالإله [الواحد] هو وحده الذى يخلق ويحيى وينشر الخلائق من الأرض»: [أفلا يعلم أن قضية البعث كانت من القضايا الكبرى التى تولى القرآن إثباتها لهؤلاء القوم، فكيف يجعل منها دليلا على وحدانية الله - ولو كان منطق الذهن الجدلى هو المحكم - بينما هى نفسها موضع جدل طويل، وليست لإحداها سابقة على الأخرى، بل هما مظهران لقضية واحدة تثبت بطرفيها أو تتهافت بطرفيها].

وفى هذا القول ثلاثة مواضع للرد:

١ - أنه زاد كلمة [الواحد] من عنده فقد قلت: «فالإله هو وحده هو الذى يخلق ويحيى وينشر الخلائق» ولم أقل فالإله

الواحد . وفرق واضح بين المعانى مع هذه الـكلمة وبدونها ؛ ولا داعى لشرح هذا الفرق ، ولست أدرى لم يزيد الأستاذ سيد هذه الـكلمة هنا، وينقص الجملة الأخرى عند«قل هاتوا برهانكم»؟

٢ — أنه فهم من كلمة (يُنشِرُون) أن الإنشار هو البعث فقط ، وليس الإحياء والخلق بوجه عام بينما المادة تفيد الإحياء عموماً ، ابتداء واستئنافاً ، وحينئذلا يكون البعث ـ وهو قضية دينية أخرى تحتاج إلى إثبات ـ مسوقاً لإثبات قضية التوحيد . وأنا قد وضحت (ينشرون) بهذا المعنى العام حين قلت : « فالإله وحده هو الذى يخلق ويحيى وينشر الخلائق من الأرض ... »

وما كان للقرآن أن يثبت « التوحيد » بالبعث مع أن الأخير لم يثبت بعد ولن يثبت فى هذه الدنيا ولم يره المعارضون حتى يساق كدليل عليهم .

٣ — قول الأستاذ : « وليست لإحداهما (قضيتى التوحيد والبعث) سابقة على الأخرى بل هما مظهران لقضية واحدة تثبت بطرفيها أو تتهافت بطرفيها » قول غريب ! فإن قضية التوحيد وقضية البعث كلتاهما مستقلة عن الأخرى . فبعض الأديان الوثنية الداعية إلى آلهة متعددة يدعو إلى الإيمان بالبعث ومصير آخر ...

وبعض مقالات المؤمنين بالتوحيد لا يحتم البعث على الله بل ترى أن ذلك محض رحمة منه تعالى ومساوقة لحكمته . « كتب ربكم على نفسه الرحمة : ليجمعنكم إلى يوم القيامة ... »

فعقيدة التوحيد هى القضية الأولى فى الإسلام ، يثبتها العقل الكامل مستقلة عما عداها ولا يقبل منها بديلا . وهى قضية لا يعتمد فى إثباتها على شىء غير هذا الكون الموجود الآن الذى يثبت ما فيه من تناسق وانسجام أنه من صنعة يد واحدة هى التى خلقت العين فى جوف الرحم باستعداد ترى معه نور الشمس فى السماء حينما تولد، وليس « البعث »من أدوات إثباتها هنا ، لأن له كوناً آخر تبدل فيه لأرض غير الأرض والسموات .

وقضية البعث قضية تتصل بالمنطق الوجدانى كما تتصل بالمنطق العقلى ، لأنها من جهة قضية « سماعية » أتى بها الدين . وأعظم أدواتها هو التعلق المشبوب بالحياة والقيمة السامية للانسان ، وانتظاره دائماً لمصير أكمل يتمتع فيه بالوجود الـكامل الذى يرضى ما فيه من آمال السيطرة والكمال والخلود ، وإنصاف الخير من الشر ومجازاة المحسن والمسىء ، ومن جهة أخرى هى قضية عقلية تقتضيها حكمة الله وتنزيهه ، والذى يرى أن الخير جزاؤه فيه والشر جزاؤه فيه فى الدنيا قبل الآخرة لا يرى حتماً على الله أن يبعث الناس فى حياة أخرى ليجزيهم ، بل يرى ذلك رحمة منه وتكرماً . وحسب الله فى استحقاقه للعبادة أنه خلقنا من العدم لهذا الوجود ، وأرانا هذا العالم العجيب ، وأدخلنا إلى هذه الدار لحظة سواء كتب لنا الحياة ثانية أم ردنا وزج بنا إلى الفناء المطلق من غير رجعة !

فها نحن نرى أن قضية البعث لون آخر غير لون قضية التوحيد الصارمة التى لا تحتمل هذا الجدل . لأنها تستمد مقدماتها من هذا الـكون المحسوس الملموس ومن الطبيعة البشرية المستقيمة التى تستجيب فى يقين واقتناع لهذا الـكون الواحد .

فالقول بالتسوية بين القضيتين فى الثبوت أو التهافت قول غريب حقاً ...

(ب) يقول الأستاذ سيد معترضاً على قولى إن التصور البشرى لايملك أن يجرد الآلهة من صفات الناس فى الخلاف بين الرياسات المتعددة « أفلا يعلم أن القرآن ذاته قد كلف التصور البشرى أن يؤمن بأن الله « ليس كمثله شىء » فـكيف كان يكلفه هذا لو لم يكن فى طاقة الإنسان أن يتصوره بوسيلة من الوسائل » .

وهنا أمر واضح فى الفرق بين المسألتين : إذ أننا حين نثبت (الإله الواحد) يجب أن نعتقد أنه ليس كمثله شىء ، وحين نرى أنه لا مانع من تعدد الآلهة نـكون بالطبع قد قبلنا جواز أن يكون له مثل وشبيه ، لأن الآلهة المتعددة أمثال وأشباه .

وحين يكلفنا القرآن أن نعتقد أن الله ليس كمثله شىء ، لا يكون قد كلف التصور البشرى أن يتصور الله بوسيلة من الوسائل كما يقول الأستاذ ؛ لأن هذا تكليف باعتقاد سلبى تجريدى مطموس الصور ، والمؤمن العالم ليس فى ذهنه مطلقاً صورة ما عن الله وإلا دخل فى دائرة التشبيه والتجسيم المؤدى حتماً إلى الـكفر والجهل . وإنما فى ذهنه إثبات الصفات الحسنى لله . استنبطها من هذا الـكون البديع ، وقال إن خالقه لا بد متصف بها . أما كيف تتعلق هذه الصفات بذات الله فذلك ما ليس للعقل البشرى سبيل إلى تصوره لأنه محدود رهين بقيود التجسيم والتشبيه ، « وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك » .

وإذا رفض الأستاذ سيد تفسيرى لدعوى القرآن بفساد العالم حينما تتعدد الآلهة فـكيف يفسرها هو ؟ يفسرها معتمداً على تلك « الصلة الخفية البديهية التى يعتمد القرآن على إيقاظها فى

الحس كالومض السريع فيؤمن المؤمن ويستريح ! » وإذا كنت أمام غير مؤمن ، فكيف يرى هذا الومض إن لم تضاعفه له حتى يصير شعلا تضيء له السبيل؟ أوعلى الأقل تقيم عليه الحجة عريضة مستعلنة لا لبس فيها ولا خفاء؟

إن المؤمن الوثني المشرك أيضاً مستريح لومض آخر في وجدانه ، فكيف تقيم عليه الحجة والتذكرة ؟ أليس بالبرهان المحسوس المستمد من استعراض الكون كله بما فيه التجربة الأزلية بفساد الأمور حينما تتعدد الرياسات وتتلاقى الأشباه والأمثال من الآلهة الذين لهم الذكاء والمهارة والقدرة وحبهم لعلو بعضهم على بعض كما يقول القرآن : « ولعلا بعضهم على بعض » ؟

(ح) يقول الأستاذ سيد : « أفلا يرى الأستاذ أن كلامه « في مسئولية الآلهة » لا يثبت شيئاً ولا ينفيه ؛ فمسئولية الآلهة أمام عبادها هي مسئولية نظرية من جانب واحد لا تحفل بها الآلهة ولا تجيب سائليها وكثير من الناس يحاكم الله مثلها ... »

كأن الأستاذ سيد فرض جدلا أن هناك آلهة أخرى فوق تناول الإنسان لها بالمسئولية ، وفرض أنها في مستوى من القدرة والعقل لا يمكن الإنسان من محاكمتها ، ولذلك رتب اعتراضه على ما قلته ... ولكن الأمر غير هذا في الواقع : فالآلهة التي عبدها أكثر البشر ، وخصوصاً العرب آلهة كانت في متناول أيدي الناس يخلقونها بأيديهم ويسألونها عن قرب ويحاكمونها وقد يأكلونها وقد يضربونها ويجعلونها جذاذاً وقد يصلبونها إذا كانت من البشر الخ . فهي كما قلت تقع عليها التبعة والدينونة « أتعبدون ما تنحتون » « كانا يأكلان الطعام » . أما الله تعالى فلا تقع عليه المسئولية حتى لو وجهت إليه لأن هؤلاء الحسيين يرون الآلهة المجسمات المزعومة ، فيحاكمونها ولا يستطيعون أن يحاكموه تعالى ويسألوه لأنهم لا يرونه ولا يدركونه ولا يحيطون به فهم يحسون أمامه أنهم أمام فراغ مطلق لا يقبض عليه !

والجدل القرآني هنا يخاطب تلك الحلوم البشرية الصغيرة الطفلية التي لا تحيط فكراً بما تقدم عليه ، ولا بد له أن يذكرها بصغاراتها وضآلة تفكيرها في معاملتها لآلهتها .

(د) أما اعتراض الأستاذ على الدليل التاريخي في (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) بأن القوم لم يؤمنوا بذكر من معه وذكر من قبله حتى يحاسبوا به . فأقول رداً عليه : إن الدليل التاريخي قد لا يخضع للمنطق العقلي ، وإيراده للاستدلال به يكون لاستيفاء ضروب الأدلة واستيفاء الحالات السلبية التي تستعرض لإثبات قضية إيجابية .

فالرسول يقول للمشركين : ما كنت بدعاً من الرسل حينما أدعوكم إلى الوحدانية . ولستم أنتم معتمدين على كتاب منير أو أثارة من علم في دعواكم تعدد الآلهة . ولو كان في رسالات هؤلاء الرسل الذين يدين لهم العالم المتمدن حولكم ما يفيد تعدد الآلهة ، إذاً لكان لكم عذركم في اعتناق التعدد . فأنتم لا تتبعون إلا الهوى والظن والجهالة . فسواء أكانوا مؤمنين بذكر من معه وذكر من قبله ، أم لم يكونوا مؤمنين فإن الدليل التاريخي قد قام على أنهم لا يعتمدون في التعدد على شيء محترم لدى موازين الآراء والمعتقدات التي كانت في العالم المتحضر حولهم . ولا يطعن في صحة الدليل أن المعارض لا يؤمن به ما دام عدم إيمانه بغير دليل

وقد كان يصح الاعتراض السابق من الأستاذ سيد على هذا الدليل لو لم يسبقه الدليل الاستقرائي والدليل التطبيقي اللذان هما جماع القياس الذهني في إثبات صلب هذه القضية بالحكم والتمييز والإدراك . ولكنه أتى بعدهما وبعد الدليل العملي ، فكان إيراده للاستيفاء الذي يسد مسالك الجدل على المعارضين .

ولست أدري ما الذي يستطيع أن يقوله الأستاذ في تفسير هذه الآيات غير ما قلت ؟ أيقول : « إنها شيء يتصل بالفطرة على استقامتها فتؤمن بالوجه الواحد الصحيح منها إيمان اقتناع وتسليم بدون أسباب وتعليل ؟ .

أم يكون القرآن قد ساقها هكذا اعتباطاً فاستشهد بالبعث على قضية التوحيد وهو لا يعلم أن البعث نفسه محتاج إلى إثبات قبل الاستشهاد به ؟ ! ويكون قد قال « لفسدتا » هكذا مع أنه يعلم أن الآلهة عقلاء هادئون متعاونون لا يختلفون فيفسدوا العالم بخلافهم ! ؟ ويقول : « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » مع أنه يعلم أن مسئولية الآلهة أمام عبادها هي مسئولية نظرية من جانب واحد لا تحفل بها الآلهة وكثير من الناس يحاكم الله مثلها ! فهو أيضاً مسئول وأنه ذكرها للتقرير « وللتأثير الوجداني » فقط ! فهي دعوى بغير دليل ، وتقرير لا يقره الواقع ! وهو يقول : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » فيحاكم المددين إلى ما لم يؤمنوا به فيكون في هذا مغالطة أو غفلة ؟ !

الحق أنني لست أدري : أيعترض الأستاذ سيد على أقوالي التي ما عدوت بها شرح ما يستفاد من هذه الآيات ولم أغير

على هامش «مادت الشام»

دموع . . . ودموع !

يا أيها العرب جميعاً !
خلدوا (يوم ٢٤ تموز) ، فانه كان
لنا يوم البؤس ، وإنه كان لنا يوم النعيم !

للأستاذ على الطنطاوى

كنت تلميذاً فى الصف الأدنى من المدرسة الثانوية ، وكان لى رفاق لهم على حداثة أسنانهم قلوب فيها إيمان وفيها حماسة وفيها وطنية ، وكنا نحس وقد ولى حكم الأتراك ، وغاب عنا شبح الذعر والهول : جمال باشا ... واختفت المشانق ، وبطل الهمس ، والتلفت كلما ذكر هذا الإسم المرعب ، وجاء الشريف فيصل ، وجاءت معه الأفراح ، وقامت الأعراس ، ودقت طبول البشائر... كنا نحس أننا نعيش فى دنيا من الأحلام ، فى أيام كلها أعياد ، وكنا إذ نجول كل خميس فى المدينة ننشد (مرسليز العرب) :

أيها المولى العظيم فخر كل العرب
ملكك الملك الفخيم ملك جدك النبى

فيردده معنا التجار فى دكاكينهم ، والباعة من وراء دوابهم ، والمارة فى دروبهم ، وترده منازل دمشق ودورها ، ومساجدها وقصورها ، وقلعتها وسورها ، وترده الأرض والسماء ... أو هكذا كان يخيل إلينا ، فيشد هذا الخيال من عزائمنا ، فننتفخ ونتطاول ، ونمد أصواتنا ونقويها لنشعر أنفسنا أننا صرنا رجالا ، وصرنا جنداً كالرجال الذين كنا نراهم يصرخون فى المظاهرات ويلوحون بالسيوف والبنادق ، ويطلقون النار من مسدساتهم كما أخذت منهم الحماسة وهزهم الطرب ، بعد أن مضت علينا أيام ما كنا نرى فيها فى دمشق رجلا إلا فاراً من الجيش مختبئاً يمشى مشية المذعور ، يخاف أن يلمحه رسول الموت (أبولبادة) فيقول له الكلمة التى حفظناها ، ونحن صغار لا ندرى معناها ، ولكنا ندرى أنها كانت تخيف وترعب ، ويصفر منها الوجه ، وترتجف الاضلاع ، كلمة : (نرده وثيقة) ؟

***

وإنا لسادرون فى أفراحنا ، ممعنون فى مسراتنا ، مزهوون باستقلالنا ، وإذا بنا نسمع الصريخ يصرخ فى الحى ، ونرى الخطباء يقومون فى الأسواق ينذرون الناس خطباً داهماً ، وشراً مقبلا ، ولم ندر نحن الفتية الصغار ما ذا جرى ؟ فسألنا : هل عاد جمال باشا ؟ هل رجعت مشانقه ؟ قالوا : لا ، جاء ما هو شر منه وأمر ، غورو ؛ قلنا : وما غورو ؟ قالوا : الأعور ... فاعتقدنا أنه الأعور الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان !

بها سياق القرآن ، أم يعترض على القرآن ذاته ! ؟

وكأنه يريد أن يأخذ ما فى هذه الآيات فى سهولة ويسر واقتناع وتسليم بدون فكر ومناقشة لأنه يراها لا تنهض ولا تستقيم على الفكر والجدل والمناقشة !

ولست أدرى ما هو « الوجه الواحد الصحيح » الذى تؤمن به النفس فى هذه الآيات إيمان اقتناع وتسليم ، وترفض بعده الأوجه المنطقية الزائفة ؟

أيكون القرآن قد عجز عن إقامة دليل ذهنى واحد على أكبر قضية من قضاياه ، قضية التوحيد ؟ !

ولست أدرى لم يسلك الأستاذ سيد الإسلام مع غيره من الأديان موحدة ووثنية ومعددة فى تلك الطريق التى ليس فيها هدى من نور العقل ، مع أن الفرض أنه يعلم أن القرآن له تفرد خاص وأنه لو لم يكن ديناً موحى به لكان المذهب العقلى الطبيعى الوحيد الذى يثبت الموجود الواحد الكامل الأزلى الأبدى كما أثبته « كانت » ونوه به الأستاذ الكبير العقاد فى كتابه «عبقرية محمد» وكما قرره فى كتابه الأخير (فى بيتى) الملخص لفلسفته وآرائه ؟

وبعد فإنه ليس وراء ما وضعنا القرآن عليه من أعماق الكون مستقر آخر يصح أن نتعمق إليه ونستقر عليه .

وليس مذهب هناك من مذاهب الفكر الخالص يستطيع أن يأخذنا إلى غير ما أخذنا به القرآن فى الطبيعة وما بعد الطبيعة . إنه أحال كل قضايا الإلهية وكمالاتها إلى قوة الحكم العقلى وحده . فكان لقاء بديع بين الدين والعقل ، وهو لقاء تحتاجه البشرية مسيس الاحتياج .

عبد المنعم خلاف

ورأينا الدنيا تقوم وتقعد ، فى كل مكان حشد ، وعلى كل منبر خطيب ، وعجت الشوارع بالناس ، ولم نكن نفهم ما يجرى من حولنا ، وإن كنا نسعى فى أعقاب الناس متسائلين مشاركين ما استطعنا ، ثم رأينا الجموع تمضى إلى النادى العربى …

النادى العربى الذى كان مثوى الوطنية ، وكان لنا نحن الصغار المنار الهادى ، من خطبه تعلمنا الخطب ، ومن بيانه قبسنا البيان ، ومن رجاله عرفنا الرجال ، هذا النادى الذى خان أهله عهده ، وهدروا مجده ، وقعدوا به بعد العز ، ونسوه بعد أن كان هو الذى يذكرهم أوطانهم ، فغدا ويا خجلتاه حانة ، أو شيئاً يشبه الحانة ، يقال له شهرزاد !

مضت الجموع إلى النادى يموج بعضها فى بعض ، ومضينا نتبعهم ، حتى إذا وقفوا أطل عليهم من شرفته أخطب خطيب عرفته ، وأطلقه لساناً ، وأشرفه بياناً ، وأشده على القلوب سلطاناً شيخنا وأستاذنا الشيخ عبد الرحمن سلام البيروتى الشاعر الفقيه رحمه الله وسيّر فى الناس طيّبة ذكراه ، أطل على بحر من البشر يزخر بأقوام برزوا للموت ، يدفعون المغير عن الحمى ، ويحمون الذمار ، فامتلأ بهم ما بين المستشفى العسكرى ، ومحطة الحجاز ، وميدان الشهداء ، وحديقة الأمة ، ولم يبق فى تلك الرحاب كلها موطئ قدم ، أطل فلما رأى الناس استعبر وبكى ، وخطب خطبة إذا قلت قد زلزلت القلوب أكون قد أقللت ، وإن قلت ألهبت النفوس لا أكون قد بلغت ، خطبة لو كانت بلاغة بشر معجزة لكانت من معجزات البلاغة ، خطبة ما سمعت مثلها ، وقد سمعت ملوك القول ، وفرسان المنابر ، حملتنى هذه الخطبة إلى آفاق المستقبل ، فنسيت أنى تلميذ صغير ، ورأيتنى رجلا ، ثم صبت البطولة فى أعصابى ، فأحسست أنى كفولغورو ، وجيشه العادى أرده وحدى ، وكبرت فى نفسى حتى صغر هذا الأعور الدجال ، الذى خافوه وخوفونا منه ، فلم يعد شيئاً ، وإنى لا أزال أحفظ منها قوله عليه رحمة الله ، وقد سكت لحظة وهو يخطب ، وسكت الناس حتى لو أنك ألقيت إبرة على بساط لسمعت لها صوتاً ، ثم ولى وجهه تلقاء المغرب ، وصرخ من قلبه الكبير صرخة لا تزال إلى اليوم تدوى فى مسمعي : « غورو ! لن تدخلها إلا على هذه الأجساد » ! وأعقبها صرخة أخرى ، تقلقل لها الفلك ، ورجف السكون ، تكبيرة واحدة انبعثت من أربعين ألف حنجرة مؤمنة !

ومضى الناس قدماً إلى ميسلون !

أما نحن فمضينا إلى بيوتنا ، فما كان فينا من بلغ سن القتال

***

ولم يكن إلا يوم وبعض يوم حتى رأينا الدنيا تتبدل غير الدنيا وأبصرنا كل شىء قد تغير ، وإذا الناس فى جمود كأنهم فى مأتم ، وإذا الخطباء الذين كانوا ملء الأسماع والأبصار قد اختفوا ، وإذا الأعلام ذوات الألوان الأربعة قد طويت ، وإذا فيصل الذى كنا نهتف باسمه ونعتزبه ، ويشعر كل واحدمنا أنه يملك فيه ملكا إذ يكون له مَلكا ، قد سافر وخلا منه قصره فى (العفيف) ، فاحتله عدوه ، ونام فيه على فرشه ، واستوى على عرشه ، فخرنا وسألنا : ما ذا جرى يا ويحكم حتى انهار الصرح فى يوم واحد ، وضاع البشر ، ، وتبدلت الدنيا ، قالوا : اذهبوا لا تسألوا ، إننا خسرنا ، ورجعنا من (ميسلون) ، وقد خلفنا فيها استقلالنا الوليد ، وقائدنا الشهيد ، وصارت الغلبة لهذا العادى العاتى الذى اقتحم علينا البلد اقتحام الغاصب ، غورو ! قلنا : الأعور الدجال ؟ قالوا : اسكتوا ، اسكتوا ، لا يسمعكم أحد

وذهبنا نستطلع حقيقة الخبر ، فقادتنا الخطا إلى (الثكنة الحميدية) ، فوجدنا عندها جنداً غرباء عنا ، سوداً برابرة ، وسمراً مغاربة ، وشقراً فرنسيين ، وإذا هم يخفضون علمنا ، ويلقونه ، ويرفعون علماً فيه ثلاثة ألوان … وتلفت فإذا رجال منا واقفون ورائى ، ودموعهم تسيل على خدودهم فى صمت وحرقة وألم خفى يأكل الأكباد ، وكان ذلك يوم ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ، وكانت تلك هى (الدموع) الأولى !

***

ومر ربع قرن ، خمس وعشرون سنة كاملة لا تنقص يوماً ولا تزيد يوماً ، حملنا فيها ألوان الأذى ، وذقنا فيها الموت من كل طبق ، وعلى كل خوان ، ورأينا النار تأكل دورنا ، والقنابل تهدم على رؤوسنا منازلنا ، فتهدمت بيوت من أبهى وأغلى وأحلى بيوت دمشق ، وقضى فتية من أجل وأكمل وأنبل فتيتها ، وأبصرنا أياماً سودا ، ومصائب شدادا ، ولكنا ما جبنا ولا خفنا ، وكنا عزلا أقلة ، وكانت قريعتنا فرنسا القوية العظيمة ذات الحول والطول ، فقارعنا فرنسا ، ولقينا بصدورنا الرصاص ، وهجمنا بالخناجر على الدبابات ، وقابلنا بالحجارة الرشاشات ، وصبرنا فانتصرنا

. وكان يوم ٢٤ تموز سنة ١٩٤٥ ، ورأيت بعينى العلم ذا الألوان الأربعة يرتفع مرة ثانية على (الثكنة الحميدية) فى دمشق ، ورأيت

في بيـــتي . . .

أحدث كتب العقاد

للأستاذ عبده حسن الزيات

هذه سياحة في مكان واحد تحققت فيها وحدات « أرسطو » الثلاث فلم نتجاوز بيت أستاذنا العقاد ، ولم نعْدُ شطراً معيناً من نهار ، وانحصر نظرنا في مشهد واحد هو مشهد الحوار بين العقاد وصاحبه ، فجاءت سياحة فريدة في بابها وكأنما حسبَ المؤلف أن تحتاج إلى دفاع فقال : « إن السياحة ياصاحبي لها حجتها الناهضة فما هي بحاجة منا إلى حجة جديدة . ولكن المكث في المكان الواحد أيضاً له حجته التي تضارِع حجة السياحة ولا تقصر عن شأوها ، فإذا كانت مشاهدة الأمصار ومداولة الديار تعلمنا الحكمة وتبصرنا بألوان الحياة فاعلم يا صاحبي أنني لا أعرف شيئاً ينفذ بنا إلى حقائق الآمال والمخاوف ، وبواطن الأفراح والأحزان ، كراسنا لها في المكان الواحد الذي يقل فيه التغيير » .

ولكنها في الواقع لم تكن محتاجة إلى هـذا الدفاع فهي سياحة حقيقية في معارض الآراء والفلسفات ومسارح الأذهان ومحافل الموسيقى ، ومواقع المذاهب ، ومماني البطولة ، ومجاني الشعر ، ومغاني الصور . ولم يكن العقاد فيها سائحاً بقدر ما كان ملاحاً وأستاذاً في جامعة من هذه الجامعات التي حدثونا أن السفينة جدرانها ، والأفق العريض سبّورتها ، وأمواج البحور مُدَرَّجاتها ؛ رحلة دسمة زاخرة بالمشاهد لا أدرى كيف استطاع هذا النوتى الماهر أن يطويها في هذا الزمن القصير وهو ١٣٢ صفحة من ورق « اقرأ » ، وذلك في طمأنينة مريحة لم تُشعر السَّفر بدوار ولا تركتهم يحسون إحساس المعجَل عن التقصى وملء النفس من روائع الجزر والمرافئ .

* * *

في هذه الرحلة أو في هذا الكتيب تعرض على القارئ أمور كثيرة منها : النور والتملى فيه وسيلة وغاية ، الروح والمادة والشأن العملي لبحوث ما وراء الطبيعة ، فلسفة النسك ، مذاهب السخط والتشاؤم وبيان ما فيها من هدم وبناء ، نقد المذاهب الشيوعية والنازية والفاشية ، الوسيقى وتصوير المعاني والنسبة بين الموسيقى الشرقية والغربية ، آداب الطرب ، الموازنة بين عظماء الفنون وعظماء الدعوات العملية ، الموازنة بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وسعد زغلول ، فلسفة التغذية وعلاقة الأطعمة برقي الأمم ، شرح بعض الصور العالمية مثل « شالومة » للفرنسي روسيير و « الزهرة » للأسباني فلاسكيه ، الفنان والعصبية القومية ، وحدة الخلق وتلاحم سلسلة المخلوقات ، البومة وشهرة الشؤم ، ابن الرومي ونحسه ، تقدير الموهبة التصويرية في شعره ، الإلمام بصور بعض المصورين المصريين المحدثين ، تقدير القصة وبيان مكانها بين سائر ألوان الأدب ، السيكولوجية والقصة ، الشيوعية والقصة ، التماثيل والأخلاق الخ .

* * *

وقد كنت أحب أن أعرض رأى المؤلف في هـذه الامور جيماً ولـكنه عمل فوق طاقة نقد قصير معجل فحسبي أن أسجل بعض الخواطر التي قامت في نفسي إثر القراءتين الأولى والثانية لهذا الكتاب النافع الممتع .

رجالا يبكون ، ولـكنهم يبكون هذه المرة من الفرح ، وكانت تلك هي (الدموع) الأخرى !

* * *

اللهم لك الحمد أن أحييتني حتى رأيت هذا المشهد ، اللهم لك الحمد فما أبالي بعد اليوم أن أموت ، لقد أبصرت وطني حراً مستقلا له راية ترفرف ، وعلم يخفق ، وجيش كان عليه فصار له ، وجند كانوا يحاربونه فصاروا يحمونه ، لقد غدوت الآن أقدر أن أقول مباهياً مفاخراً : إن لي وطناً !

اللهم علم قومي كيف يحفظون استقلالهم ، وسدد خطاهم نحو وحدتهم ، التي لا حياة لهم إلا بها ، ولا اعتماد بعد الله إلا عليها !

اللهم وارحم أولئك الأبطال الذين سقوا بدمائهم هذه النبتة الكريمة حتى صارت دوحة ، شهداء الاستقلال من لدن يوسف العظمة شهيد ميسلون ، إلى حسن الخراط شهيد الغـوطة ، إلى أخي ورفيق مدرستي شهيد الواجب ، الطبيب مسلم البارودى ، الذي أقبل أمس يسعف الجرحى من أبناء الوطن ، فقتله أعداء الوطن ... رحمة الله على الجميع

علي الطنطاوي

— ١ —

تجلت ملكات العقاد الأصيلة أو تجلى كثير منها ، فى هـذا الكتيب بصورة أخاذة رائعة ؛ وإنى أصارح القارىء أنى سألت نفسى هل انطلق قلم العقاد على سجيته أو رسم له صاحبه رسماً معيناً واختط شرعة وبذل بعض الجهد لتحقيق هـذه الغاية ؟ تساءلت ولم أقطع بجواب لأنى حين رأيت الشعر المنثور المترقرق يزكى الفرض الأول ، رأيت الجدل العلمى الدقيق المستند إلى الحجج المنطقية والمادية يؤيد الفرض الثانى :

نعمت بهذا الشعر المنثور المؤثر فى مطلع الكتاب :

«قلت لك يا صاحبي إننى أحب مدينة الشمس لأننى أحب النور أحبه صافياً وأحبـه مزيجاً ، وأحبـه مجتمعاً وأحبه موزعاً ، وأحبه مخزوناً كما يخزن فى الجواهر ، وأحبه مباحاً كما يباح على الأزاهر ، وأحبه فى العيون وأحبه من العيون ، وأحبه إلى العيون !

ويوم سكنت فى هـذا المكان ، ونظرت من هذه النافذة ، أعجبنى أننى أفتحها فلا أرى منها إلا النور ... والفضاء .

والحق أنه لا فضاء حيث يكون النور .

وكيف يكون فضاء ما يملأ العينين ويملأ الروح ويصل الأرض بالسماء ؟

قلت لك يا صاحبي إننى أحببت النور فسكنت فى مدينة النور ! فإننى لا أحبه لأنه يرينى الدنيا وما فيها أو لأنه هو واسطة الرؤية وأداتها ، ولكننى أحبه لأراه ولو لم أر شيئاً من الأشياء .

وقديماً كنت أقول إن الأرواح تخف فى النور كما تخف الأجساد فى الماء ، كأنما هى تسبح وتطفو عليه » . ثم نعمت واغرورقت نفسى رقة لقوله فى ختام رحلته :

« إذا وجل القلب فهذا الكرسى يعلمنى أن الخوف عبث وأن الذى أخافه قد يخطئنى ويسبقه إلى الذى أرجوه ، فكم من مرة جلست عليه أطيل النظر فى أعقاب الأمور وأقلب الظنون فى كل وجه من الوجوه ثم جاء الوقت المحذور ولم يجىء معه ما حذرناه !

وإذا تقطعت النفس حسرات على نعمة من نعم العيش فهذه الشرفة تقول لى : بل انتظر طويلا أو قصيراً فسترى كما رأينا وستعلم كما علمنا أنك ستعيش بغير هذه النعمة التى كنت تقرنها بالحياة .

... وهـذا المسكن قد صعدت سلالمه ثلاثاً ثلاثاً ثم صعدتها اثنتين اثنتين ثم أصعده درجة درجة على غير عجلة ولا اكتراث ، وهذا المسكن قد نزلت به والشعرات البيض يتوارين فى السواد ، وما زلت أنزل به والشعرات السود يتوارين فى البياض ... »

ولـكن هـذا الشعر المنثور وما استدعاه المقام أحياناً من الاستشهاد بشعر منظوم بعضه من شعر المؤلف القديم ، ليسا إلا « نثارة » وسط ذخائر من المناقشات الحادة والبحوث الجادة تنتظمها دفتا « السفينة » أو دفتا الكتاب :

انظر إلى هذه المناقشة لما قرره « أرثر بلفور » من نفى الصلة بين عالم المادة وعالم الروح واقرأ هذه المحاجة الدقيقة الصلبة الناعمة :

« إنما ساء فهم المادة والروح معاً من تصور الأقدمين هذه وتلك إذ وضعوهما موضع النقيضين وجعلوا المادة كثافة لا حركة فيها وجعلوا الروح حركة لا كثافة فيها . إنك حين تضرب الأرض بقدمك فتزعم أنك صدمت الحقيقة التى لا تقبل المراء إنما تصدم شيئاً غير الكثافة أو الجرم الذى يحسب عند بعض الناس وجوداً لا يقبل الإنكار . فإنما الوهم كل الوهم هذه الكثافة ، وإنما الوجود الحق هو ما وراءها من قوة تصدم القوى فتصدم الحواس . هذه الكثافة المادية لا شىء يا صاحبي لولا القوة التى تكمن فى أطوائها ... وإن شئت مصداقاً لذلك فافرض أن يدك التى تقف عند هذه الخشبة قد زادت قوتها ألف ضعف أو عشرة آلاف ثم عد إلى لمس الخشبة بتلك القوة المضاعفة فهل تقف عندها ؟ كلا إنها لا تقف عندها بل تعبرها كما تعبر الماء أو كما تعبر الهواء ، أو تعال إلى الماء والهواء ، وهما مثال التخلخل فى تلك الكثافة المادية فادفع الماء بقوة من بعض العيون ... إنك إذن لتضربه بالسيف القاطع فلا يمضى فيه ... فليست الكثافة المادية هى الحقيقة التى لا مراء فيها بل القوة هى الحقيقة الكامنة فى تلك الكثافة وفى كل مادة ملموسة أو محسوسة » .

ثم نطوى نحو ثلث الكتاب لنقابل بحثاً أعمق فى الميتافيزيقا وسر الوجود : « إن الفلسفة تعلمنا أن العدم معدوم ، فالموجود موجود . موجود بلا أول ولا آخر لأنك لا تستطيع أن تقول : كان العدم قبله أو يكون العدم بعده ! وموجود بلا نقص ، لأن النقص يعترى الوجود من جانب عدم ولا عدم هناك ... موجود بلا بداية ولا نهاية ولا نقص ولا قصور ... والوجود الكامل الأمثل هو الله »

(البقية فى العدد القادم) عبده حسن الزيات

العلية الاجتماعية

التــــاريخ . . . ما هو ؟

« إذا أراد العالم أن يكون مؤرخاً ، فعليه أن يكون رجل اجتماع ... »

للأستاذ فؤاد عوض واصف

[بقية ما نشر فى العدد الماضي]

وقد ظهر تأثر التأريخ بهذه النظرية فى عـدة كتب لمشاهير المؤرخين ، فعند كوجنوزوفسكي الروسى ارتفاع درجة الكثافة فى سكان أمة ما يرجع إلى نشاط الغريزة الجنسية والعكس بالعكس [1] . وهكذا ترد العلية فى الأحداث التاريخية إلى هـذه الغرائز والدوافع . وفى حين ترد نظرية التقليد الأحداث التاريخية إلى النفس الواعية Consciente تردها نظرية الدوافع إلى النفس غير الواعية inconsciente .

غير أن نظرية الدوافع هذه لا تلقى كبير تأييد من الأوساط . فقد انتهى علمـاء الأحياء وعلماء النفس إلى نظرية علمية جديدة تعارض نظرية الدوافع كل المعـارضة ونعنى بها « نظرية مرونة الإنسان — The Theory of human plasticity » . وتبعاً لهذه النظرية الجديدة ، الحياة الروحية والعقلية هى المسيطرة على الغرائز والميول والنزعات وهى الموجهة لها . وقديماً قال ابن باجة فى رسالته « تدبير المتوحد » إن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات بقوة فكرية من شأنها أن تخضع النفس البهيمية لأوامرها فلا تعاندها « والواقع أن اتجاه العلم الحديث فى أيامنا يرفض كل الرفض نظريات من شأنها أن تجعل الإنسان عبداً لعامل فسيولوجى أو عامل طبيعى

٤ — النظرية الفسيولوجية : تزعم هـذه النظرية وجود اختلافات وراثية بين الأجناس المختلفة ؛ فـكل جنس يولد مزوداً بصفات وراثية خاصة به تتحدد الأحداث التاريخية تبعاً لها . وأهم من قال من بهذه النظرية سنيوبوس ch Seghobos من جامعة السوربون [1] وجوستاف لوبون I. Le Bon [2] . سنيوبوس يقسم الأجناس البشرية إلى ثلاثة أقسـام الأبيض والأسود والأصفر ويقول إن الجنس الأسود لم ينتج أى حضـارة فى حين أن الجنس الأبيض أبو الحضارة .

والواقع أن النظرية الفسيولوجية أبعد ما تكون عن النظريات العلمية برغم ادعاء أصحابها [3] وفى أغلب الأحايين تقوم على نزعات قومية تعصبية .

☆ ☆ ☆

تلك هى أهم النظريات العلميـة التى تناولت تفسير الوقائع التاريخية بوجهات نظرها المختلفة ، وقد تبين لنا بوضوح وجلاء أنها أبعد ما تـكون عن طبيعة التاريخ نفسه ، ولذلك لم تسلم نظرية منها من وجوه النقد وأثبتت كل نظرية قصورها عن تفسير التاريخ ووقائعه وأحداثه . وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ظهرت مدرسة جديدة زعم أنصارها أن دراسة العلية فى التاريخ يمكن أن تخضع لمنهج علمى دقيق يجمع بين طائفة من النظريات السابقة وبمقتضاها يكون موقف المؤرخ من تفسير الوقائع التاريخية كموقف عالم الطبيعة من تفسير الوقائع الطبيعية [4] ولقد عرفت هذه المدرسة بالمدرسة المنهجية الحديثة .

وقواعد المدرسة المنهجية حتى أيامنا هذه هى رائد المؤرخين فى أبحاثهم عن علل الوقائع التاريخية ، ومعظم الـكتب التاريخية التى تدرس فى المدارس والجامعات موضوعة حسب قواعد هذه المدرسة .

ولـكن أحدث الدراسات العلمية قد تبينت فى قواعد المدرسة المنهجية أمرين :

١ — اعتبارها العلية التاريخية كالعلية العلمية .

٢ — قصورها عن إعطاء تفسيرات صحيحة للعلل التاريخية .

أولا : العلية التاريخية تختلف تمام الاختلاف عن العلية العلمية

(١) محاضرات علم الاجتماع للسنة الثانية قسم الفلسفة بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٢ .

(١) راجع كتابه «introduction to the Study of History»

(٢) راجع كتابه Barnes : new history and Social studies .

(٣) مقدمة كتاب : introduction to the Study of History Langlois.

(٤) : Bulletin de la Sociéte Française de Philosophie Sasnde mai 1906.

فالتاريخ يتكون من وقائع حدثت مرة واحدة وإلى الأبد ، فى حين أن العلوم الطبيعية تتكون من وقائع تتكرر باستمرار . والقاعدة الأساسية فى العلوم الطبيعية أن نفس العلة تنتج نفس المعلول :

$\frac{1}{2} + 1$ يعطينا دائماً $\frac{1}{2}$ ١ . أما فى التاريخ فنفس العلة لا تتكرر أبداً . فالخلاف بين العلية التاريخية والعلية العلمية ، خلاف ينشق عن طبيعة العلمين المختلفين[١] .

ثانياً : إذا كانت المدرسة المنهجية تدعى أنها تعطى تفسيرات صحيحة للوقائع التاريخية لا تقبل النقد ، فإن البحث الدقيق فى كتب المنهجية يكشف عن أخطاء كبيرة وعديدة .

فى كتاب « التاريخ السياسى لأوربا المعاصرة » لسنيوبوس أحد أعلام المدرسة المنهجية ، من الأخطاء ما يجعل المؤرخ الحق يرفض قواعد هذه المدرسة فى البحث التاريخى .

فى صفحة ٢٥٨ من هذا الكتاب يقول سيبوس : « إن جريمة الزنى التى ارتكبها بارنيل مع السيدة أوشيه كانت علة لتخلخل الطائفة الأرلندية وضعف مركزها فى مجلس النواب » .

هذا التعليل خطأ ، فجريمة الزنى فى كثير من المجتمعات لا تحدث ذلك الأثر العظيم الذى أحدثته جريمة بارنيل مع السيدة أوشيه ، وإنما التعليل الصحيح يرتد إلى الاتجاه الجمى ضد هذه الجريمة ، هذا الاتجاه هو الذى يفسر الأثر الذى أحدثه بارنيل بجريمته[٢] .

وفى صفحة ٣٣ من نفس هذا الكتاب يقول المؤلف : « الثورة الفرنسية بما أثارته من الخوف والفزع فى الطبقات صاحبة الامتيازات ، قد حالت بينها وبين القيام بأى إصلاح خلال ثلاثين عاماً ... » والعلامة سيميان يكشف لنا عن هذا الحكم التعسفى ، فالدراسة الحقيقية للظروف المحيطة بالطبقات صاحبة الامتيازات تجعلنا نتحقق من علل أخرى لعل أقلها أهمية الخوف والفزع . وفى مكان آخر من نفس هذا الكتاب : « إن قيام الصناعات الكبيرة قد ضاعف فى عدد العمال ، وكان نتيجة ذلك أن ازدادت الشقة بعداً بين طبقة الأغنياء والفقراء ... » فهذا التعليل لا يرمز إلى الحقيقة بحال من الأحوال[١] .

(١) نفس المصدر .
(٢) نفس المصدر .
(٣) نفس المصدر .

والأمثلة على أخطاء المنهجية عديدة وهى من ذلك النوع من الأحكام التعسفية البعيدة كل البعد عن روح البحث العلمى ...

***

رأينا إذاً إخفاق المدرسة المنهجية فى أبحاثها عن العلل التاريخية . وقد رأينا من قبل إخفاق النظريات الشائعة المختلفة فى توجيه الأبحاث التاريخية . ذلك لأن هذه النظريات المختلفة قد بحثت فى التاريخ قبل أن تبحث عن طبيعة التاريخ ... بحثت فى الوقائع قبل أن تبحث فى طبيعة الوقائع ، ومن هنا كان إخفاق المؤرخين وإخفاق أبحاثهم .

ولو أن المؤرخ عنى بالبحث عن طبيعة التاريخ قبل البحث فى وقائعه ، لوجد أنه الإنسان : هذا الكائن الاجتماعى .

أجل ، إن الحياة الاجتماعية هى وحدها القادرة على تفسير الأحداث التاريخية وهى علة هذه الأحداث . ويرجع تنبه المؤرخين إلى هذه الحقيقة إلى السنوات الأخيرة فقط ، فقد نشر الأستاذ جيدنجز الأمريكى فى سنة ١٩٠٣ رسالة عنوانها : « نظرية فى العلية الاجتماعية » رد فيها التاريخ كله إلى مجال علم الاجتماع . وقد قال فى هذه الرسالة : « إنه إذا كانت الصفات الفردية والخاصة للوقائع التاريخية — وهى المحددة بزمان ومكان — لا تتكرر بل تحدث مرة واحدة وإلى الأبد ، فإن هنالك اطراداً فى بعض العناصر التاريخية العامة . ولما كان العلم يعين بالاطراد والتكرار لأنه لا يستطيع أن يدرس ظاهرة لا تتكرر ، فكذلك التاريخ إذا أراد أن يكون علماً بالمعنى الصحيح فلا بد له من دراسة العناصر العامة المطردة فى الوقائع التاريخية وبعبارة أخرى : إذا أراد العالم أن يكون مؤرخاً فعليه أن يكون رجل اجتماع »[١] .

ولئن كان بعض المؤرخين المنهجيين يدافعون عن نظرتهم التقليدية بقولهم : « إن التاريخ علم لا يستطيع أن يتجنب الاتجاه الزمنى وإن الطابع المميز للمعرفة التاريخية هو اتصالها الأساسى بالزمن ، وعلم الاجتماع كسائر العلوم الطبيعية يدرس الوقائع خارج الزمن فلا يمكن رد التاريخ إلى علم الاجتماع »[٢] فمن السهل أن نرد على زعم هؤلاء المنهجيين بقولنا : « إن هذه الحقائق الجزئية

(١) The hew Hislory and Social • Saënces : Barnes P. 333 — 334.

(٢) Reason in Politics : K. B. Smellie P. 175

التى يعنون كل العناية بالكشف عنها تظل غامضة وتافهة إذا لم ترتبط بقانون معين يوضحها ويجلو قيمتها »[١] . ومن العجيب حقاً أن أكثر ما يعنى به المؤرخ حتى أيامنا هذه فى أبحاثه عن بعض المؤسسات كالمعابد الدينية مثلا ، هو وصف هذه المعابد بأصحابها وهيئاتها ووصف من أمر بإقامتها ... الخ دون أن يعنى أقل عناية بالكشف عن القوانين التى يرتبط بها تطور المعابد الدينية والتى وحدها يمكن أن تفسر لنا علة قيام هذه المعابد أو تلك فى هذا العصر أو ذاك[٢] . نحن لا ننكر أن البحث فى الوقائع الجزئية فى التاريخ على جانب عظيم من القيمة العلمية ، ولكننا ننكر كل الإنكار أن هذا البحث وحده يمكن أن يقدم لنا تفسيرات هذه الوقائع الجزئية . فلا بد من أن يلجأ المؤرخ إلى الصفات العامة فى الوقائع التاريخية ويستخلص منها القوانين التى يمكنها أن تفسر الوقائع التاريخية ، والتى يمكننا على أساسها أن نجعل من التاريخ علماً . فلا بد أن يلجأ المؤرخ إلى القوانين الاجتماعية وهى العناصر العامة المطردة فى الوقائع التاريخية ؛ وبهذا يستطيع أن يقدم لنا حقائق علمية .

ولنفترض أن أمامنا مؤرخا يبحث عن تاريخ الأزمات الاقتصادية ويقف فى بحثه عند أزمة فينا سنة ١٨٧٣ والتى بلغت نهايتها العظمى سنة ١٨٧٤ ، فيسترعى التفات المؤرخ فى وصفه لهذه الأزمة ازدياد نسبة الانتحار وارتفاع عدد المنتحرين ارتفاعاً كبيراً ، ولنفترض أن هذا المؤرخ من المدرسة المنهجية فإن التعليل الوحيد الذى سيعلل به ازدياد نسبة الانتحار فى إبان أزمة فينا هو الفقر والجوع . ولا يكون المؤرخ قد قدم لنا فى هذه الحالة إلا أوصافا أبعد ما تكون عن الصحة وعن الطابع العلمى . ذلك لأن الواقع كما يقول العلامة دركيم فى كتابه عن الانتحار[٣] هو أن الأزمات الاقتصادية كثيراً ما تنتج تأثيراً عكسياً فى نسبة الانتحار كما هو مشاهد فى إيرلندا مثلا، فعلى الرغم من هذه الأزمات الاقتصادية التى يعانيها الفلاح الإيرلندى فإنه قلما يقدم على الانتحار . ولو أن هذا المؤرخ الذى قرر أن الفقر الذى أحدثته أزمة فينا سنة ١٨٧٣ هو علة ازدياد نسبة الانتحار ، كان قد درس ظاهرة الانتحار وقوانينها الاجتماعية العامة ، وأبعد نفسه قليلا عن حادث فينا الخاص ، لوجد تفسيراً آخر لازدياد نسبة الانتحار عامة وليس فى حادث فينا الخاص فقط . وهذا التفسير نجده فى قانون الانتحار الذى استخلصه العلامة دركيم من دراسته لهذه الظاهرة[١] . وقد ربط به عدة قوانين أخرى . وخلاصة هذا أننا فى حالة التاريخ لا يجدينا البحث عن الوقائع إلا بقدر ارتباطها بقوانين عامة .

* * *

وقد تقدم العلامة سيميان فى سنة ١١٠٦ إلى الجمعية الفلسفية الفرنسية برسالته الشهيرة : « العلية فى التاريخ » أوضح فيها اتجاه التاريخ الحديث نحو علم الاجتماع . وقد عدت رسالته ثورة فى الأبحاث التاريخية وأشاد بها كثيرون من علماء فرنسا فى ذلك الحين من أمثال : لاكمب وبوخ ولالاند .

ولقد أراد العلامة سيميان برسالته تلك أن يتقدم بمنهج نظرى وعملى فى الوقت نفسه . فوضع للأبحاث التاريخية عن العلل أربعة قواعد شكلية تكون بمثابة منهج تطبيقى للمؤرخ الحديث . وقد أراد بهذه القضايا الشكلية أن يجعل من التاريخ فرعاً من فروع علم الاجتماع ؛ فهو يرى أن العلمين يتفقان كل الاتفاق فى موضوعهما وطبيعتهما ... ولا بد لنا من أن نعرض لهذه القضايا لأنها المنهج الاجتماعى فى الأبحاث التاريخية .

القضية الأولى : « يجب تفسير الواقعة التاريخية فى حدود عامة » . أعنى أن نربط الواقعة الجزئية بقانون عام يفسرها ؛ فمثلا فى وصفنا لبناء معبد دينى ، يجب أن نربط وصفنا هذا بقانون عام يفسر التطور الدينى الذى انتهى إلى بناء هذا المعبد ...

القضية الثانية : هى توكيد التفرقة بين العلل والوسائط وتصاغ هكذا : « من بين الأسباب المختلفة لظاهرة تاريخية ، نعتبره علة ذلك السبب الذى يكون مرتبطاً بالظاهرة التاريخية بواسطة الرابطة الأكثر عمومية » . والواقع أن الخلط بين العلل والوسائط شائع فى التاريخ إلى أبعد حد فلا يجب أن نعتبر فولتير وروسو ومونتسكيو عللا مباشرة للثورة الفرنسية بما أذاعوه من

---

(١) Bulletin de la Société Française . . Seance 31 mai 1206

(٢) Ibid .

(٣) راجع كتابه Le Suicide : Emile Durkheim .

(١) وراجع أيضاً : L' année Sociologique I P. 397 : Durkheim.

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

جراحة القلب ومعجزتها

هى معجزة جديدة فى عالم الطب . فلم يعد الرصاص الذى يصيب القلب من العوامل التى لا علاج لها . وقد تمت المعجزة خلال الحرب ، وصقلت تجاربها على قلوب الجنود الذين كانوا ينقلون بالعشرات إلى المستشفيات ، وفى قلب كل منهم أو فى رئتيه رصاصة أو شظية . كان الطبيب فى الماضى يكتفى من مجرد رؤياها بأنه لا أمل فى حياة المصاب .

أما الآن فتيسر للأطباء إنقاذ مئات الأرواح التى كان الطب القديم يفقد الأمل فى حياتها . وهؤلاء الأفراد الذى استخرجت الأجسام الصلبة من قلوبهم أو من رئاتهم يعيشون فى أتم صحة ويواصلون حياتهم كأن رصاصة لم تخترق قلوبهم أو تمزق أنسجة رئاتهم .

وليست معجزة اليوم جراحية فى كل تفاصيلها فجزء كبير منها من عمل المريض نفسه ، ومن المعونة التى يلقاها الطبيب من المصاب ذاته . فعند ما تخترق إحدى الرئتين مادة غريبة تتوقف هذه الرئة عن العمل . ويعيش المريض فترة يتنفس برئة واحدة . وهى سنة طبيعية فى الإنسان تمنع عنه الإحساس بالألم المبرح .

فإذا أزيل الجسم الغريب من الرئة فواجب المريض أن يتعلم كيف يحرك ذلك الجزء الذى توقف عن أداء عمله . وهى مسألة لا يتيسر لى أو لك إنجازها ، فهى تحتاج إلى بعض المران الذى عرفه الأطباء لتحريك تلك الرئة المضربة عن العمل ، فإن هى إلا فترة حتى يتعلم المصاب كيف يعيدها إلى سابق واجبها .

وعمليات القلب الجراحية من العمليات الدقيقة الشاقة فيتحتم أن يحدد الطبيب مكان الجسم الغريب من القلب تماماً حتى يصل إليه مشرطه ويقبض عليه ملقاطه من أصغر فتحة . ويستلزم هذا أن يجرى للمصاب كشف بالأشعة فى عــدة أوضاع قد تصل إلى العشرة وعلى ضوء هــذه الصور يحدد الجراح موقع الجسم الغريب وحجمه بالضبط .

ووصف أحد الكتاب إحدى العمليات التى شاهدها لاستخراج رصاصة من عيار ٣٠ ملليمترا من قلب أحد الجنود فأدهشه ما بدا

التعاليم والمبادئ ، وإنما هؤلاء الرجال وسائط فحسب ؛ بحيث أنه إذا لم يكن هؤلاء الرجال قد وجدوا فإنه لمن المؤكد أن وسائط أخرى كانت ستتولد من خميرة الثورة الكامنة فى الشعب الفرنسى . فيجب على المؤرخ أن يحترس من الخلط بين العلل والوسائط . والعلل تــكون دائماً قوانين عامة .

نتيجة أولى : « يكون من الضرورى دائماً تفسير السبب المباشر (العلة) » . أعنى أن القضيتين السابقتين ستفرضان على المؤرخ أن يحلل السبب المباشر للواقعة التاريخية تحليلا وقتياً حتى يكون تفسيره تفسيراً علمياً صحيحاً .

نتيجة ثانية : « الوصول فى أبحاثنا عن العلل التاريخية إلى قضايا تــكون الرابطة بينها صحيحة دائماً » . وهذا ما ينتهى إليه البحث العلمى وهو اكتشاف القوانين الصادقة دائماً .

* * *

تلك هى قواعد سيميان الأربع الشكلية ، وضع اثنتين منها على صورة قضايا واثنتين على صورة نتائج لتأخذ قواعده الطابع العلمى الرياضى .

وبهذه القواعد يكون للمؤرخ منهج عملى فى أبحاثه ؛ ويكون موقفه من التاريخ هو موقف العالم الاجتماعى .

* * *

التاريخ : ما هو ؟

سؤال افتتحنا به هذا البحث ؛ والآن نعلم أن التاريخ ليس شيئاً آخر غير الإنسان : هذا الـكائن الاجتماعى . ولست أزعم أننى فى بحثى هذا ـ رغم ما كلفنى من مشقة ـ قد أحطت إحاطة تامة بكل تفاصيل هذا الموضوع ، ولـكن لعلها محاولة أرجو أن تتيح لى الأيام فرصة مواصلتها لتحقيق تلك الصلة الوثقى بين علم التاريخ وعلم الاجتماع .

فؤاد عوض واصف

ليسانسيه فى الفلسفة

علية من هدوء وثقة برغم أنه كان يعرف ما سيحدث له فلما نقل إلى غرفة العمليات حقنته الطبيبة المختصة بالمخدر فلم يلبث أن راح فى سبات عميق . وعندئذ أعمل الجراح مبضعه لمدة ساعة ونصف ساعة استخرج خلالها الرصاصة وما صحبها من أنسجة القماش التى غاصت فى القلب معها .

وأتم الجراح عملية التنظيف ثم طهر كل جرح بالبنسلين قبل تضميده وإعادته إلى أصله .

وتلق أطباء آخرون المصاب يزودونه بما يحتاج إليه من دم جديد بدل الذى فقده ويعالجونه بالأكسوجين لكى يفيق وغير ذلك من الوسائل التى تحتفظ بجسمه فى حالة جيدة ، فمن العوامل الهامة أن يتمتع المصاب بحالة نفسية هادئة وقوة بنية تساعده على مغالبة إصابته . فلو توافر هذان العاملان فإن المصاب لا يلزم الفراش أكثر من يوم واحد يسمح له بعده بالتنزه فى الحديقة حتى يتم شفاؤه .

وعندما تنتهى العملية الجراحية تبدأ عملية التنفس ، وقد درب الأطباء عدداً كافياً من الجنود لكى يتولوا تدريب المصابين الجدد فيعلمونهم كيف يوقظون الاجزاء المصابة ويرسلون فيها الحركة والحياة

وتخصص فى عمليات الصدر بكافة أنواعها عدد من الأطباء والطبيبات الأمريكيين تحول إليهم جميع إصاباته فتشغلهم طول وقتهم . وقد مضت عليهم عدة شهور فلم تفشل معهم حالة واحدة بل دخل المستشفى آلاف الجنود الفاقدى الأمل فى الحياة فخرجوا منه ممتلئين بالصحة والعافية .

أما مبدأ أطباء ذلك المستشفى فكما قال الجراح هاركن « كان هدف جراحة الصدر فى الحرب الماضية إنقاذ الأرواح فحسب أما هدفنا ، فهو معرفة أحسن السبل لكى يعود المصابون إلى الحياة وهم على أحسن حال وفى أقصر وقت » .

وعلى ضوء هذا المبدأ سار الأطباء فى تجاربهم ونجحوا فى تأدية واجباتهم دون أن يصيبهم ملل أو كلل وكانت أول واجباتهم رفع الروح المعنوية فى المصابين واستغلال حبهم فى الحياة لكى يصلوا إلى الشفاء من إصاباتهم المميتة ودخلت الجراحة فى مرحلة جديدة وهى جهد المريض نفسه .

تخرج معدتها لتأكل :

من الحيوانات الغريبة نجمة البحر ولكن الأغرب هى الطريقة التى تتغذى بها لأنها لا تأكل بفمها بل تخرج معدتها للحصول على طعامها .

وعند ما تجوع نجمة البحر تزحف فى قاع البحر إلى أن تجد حيوانا يسهل عليها التهامه . ومن هذه الحيوانات المحار بأصدافه القوية . ولكن نجمة البحر تلتف حول الصدفتين ، وتثبت أقدامها بمصاصاتها على كل منها وتجذب الصدفتين لتفتحهما وتلتهم ما فى الداخل . ويصر المحار طبعا على أن لا يأكل ولكن القاومة ترهقه بعد حوالى ٣٠ دقيقة وتنفتح الصدفتان .

ولنجمة البحر فم ولكنه صغير جدا بالنسبة المحار فتخرج النجمة معدتها وتدخل فيها لحم المحارة وتتركها خارج فمها لحظة حتى يتيسر للافرازات المعدية تفتيت لحم المحار وتحويله إلى سوائل يسهل تسربها إلى داخل جسم النجمة . وعندئذ تعود معدة النجمة إلى داخل جسمها لتبحث لها عن فريسة أخرى .

مكافحة السل :

تيسر لأطباء السل سرعة الكشف على مرضاهم بفضل الجهود التى بذلها بعض المهندسين إذ أتاحوا لهم الحصول على ست صور مختلفة للصدر فى الدقيقة الواحدة أى ضعف العدد الذى كان متاحا لهم بالأجهزة القديمة . وبذلك سهل على الوحدة الطبية الواحدة الكشف على ألف مريض كل يوم وفحصه فحصا جيداً .

ولا يعجب القارىء إذا عرف أن السل وانتشاره من الأمراض التى تهدد الدول الغربية . فإن الحرب ونقص الأغذية عرضت أكثر من ٧٠ ٪ من أفراد الشعوب للاصابة بهذا المرض مما دعا المهتمين بالشئون الصحية إلى اعتبار مكافحة السل من أول أهداف البلاد القومية .

وتتلخص هذه الطريقة فى عكس صور الصدر على لوحة باستخدام عين كهربائية تضبط كمية الضوء المطلوب بطريقة آلية ويحدد التعديل الجديد أيضا زمن عرض اللوحة الحساسة للضوء

أيا كان حجم جسم المريض وأيا كانت الأجسام الغريبة أو المعتمة داخل صدره .

وتمتاز هذه الطريقة برخصها وكمال وضوحها برغم صغر الصور التى تنتج عنها .

تجارب على البنسلين :

توالى الهيئات الطبية فى الخارج تجاربها لاستخدام البنسلين فى علاج الأمراض أيا كان لونها . وقد أجرى معهد ميو الطبى تجربة جديدة على الأمراض الخطيرة التى تنتقل إلى الإنسان من الحيوان عن طريق الميكروب المعروف باسم انترا كس . وهو من الجراثيم القوية التى لم يفلح فى القضاء عليها كثير من العقاقير المعروفة مثل السلفا وسم الميكروب نفسه .

ويحمل هذا الميكروب عادة فى فراء الحيوانات ثم ينتقل منها إلى الإنسان فيصيبه بعدة أمراض خطيرة عجز الطب فى كثير من الأحوال عن شفائها .

وقد جرب البنسلين على الفيران فوجد أنها تكتسب المناعة ضد الإصابة بأمراض الانترا كس القتالة . وأثبتت التجارب أن الفيران تحتفظ بصحتها نسبيا إذا حقنت بجرعات قتالة من الانترا كس ثم عولجت بالبنسلين ولو بعد إصابتها بست عشرة ساعة فإن تلقت العلاج سريعاً بعد ساعة واحدة من الإصابة فإن نجاتها تكون أكيدة واستعادتها لصحتها كاملة .

وجرب استخدام البنسلين فى علاج الضعف والالتهاب الرئوى فشفى بعض المصابين بعد عشرة أيام من بدء العلاج .

ولا يعطى البنسلين فى هذه الحالة كما هو بل يصحن إلى ذرات متناهية الدقة على ألواح زجاجية . فإن الذرات الكبيرة يتعذر توغلها فى أجسام المرضى فلا تصل إلى الميكروبات وتقتلها .

إرسال الخطابات بالكهرباء

اكتشفت إحدى شركات الكهرباء طريقة حديثة لإرسال الخطابات من مدينة إلى أخرى فى أقصر وقت وبغير أن تقع عليها عين إنسان لأنها ترسل على الموجات الكهربائية . فعند ما يتناول مكتب البريد الراسل الرسالة يضعها داخل آلة ضاغطة من المطاط ترسل إلى المحطة المرسل إليها علامات بيضاء أو سوداء تعكس بآلات خاصة تحل رموزها وتكون الرسالة الأصلية بالشكل الطبيعى .

وليس لهذه الرسائل غلاف منفرد بل غلافها وخطابها واحد على مثال الأشكال المعروفة الآن التى تطبق وتلصق فتكون الرسالة والخطاب .

وعند ما تصل الرسالة إلى مكتب البريد المختص وتحل رموزها يتولى عامل البريد العادى إيصالها إلى أصحابها . وتمتاز هذه الطريقة عن البريد المصور بأنها لا تحتاج إلى أفلام تطبع وترسل . وهى ليست أيضاً بالراديو المصور لأن أدواتها أقل منه دقة وإن كانت تستعمل فى الغالب أكثر نظرياته .

ويتوقع مديرو الشركة التى توصلت إلى هذا الاكتشاف صقلها وتيسير استعمالها فى التجارة فى أمد قريب حتى تكون عملية الإرسال بسيطة يستطيع الموظف العادى أداءها .

سر حياة النبات

يخطو العلم خطوة جديدة لكشف أسرار الحياة النباتية بدراسة ما يحدث من تطورات داخل البذرة ، ويتولى هذا البحث أحد العامل فى جامعة كورنل بمعالجة سر الحياة النباتية بوسائل خاصة تكشف نموها وتغيرها .

وتوصل العلماء خلال دراساتهم من اكتشاف عامل يوقف نمو النبات ويجعله فى شبه حالة نوم . وهذا العامل مقيم فى الأنسجة التى تغذى الجسم الحى من النبات . وتمكنوا أيضاً من قتل هذا العامل فأدت أبحاثهم إلى نتائج ذات أهمية كبيرة . ففى بعض البذور تيسر لهم الإسراع بإنماء النبات بأن فصلوا العامل الذى يعمل على توقف الإنبات فى بعض فترات السنة .

ويعمل هؤلاء العلماء على فحص هذا العامل فى مختلف النباتات ، ومدى تأثيره على نموها ، وطرق القضاء عليه بغير أن تتأثر الأجزاء الحية من البذور . وتشمل التجارب الذى يؤديها العامل الآن على ٥٠٠ بذرة .

فوزى الشتوى

السراب الثاني

للدكتور ابراهيم ناجي

لاالقوم راحوابأخبار ولاجاءوا ... ولا لِقلبك عن ليلاكَ أنباء
جفا الربيع ليالينا وغادرها ... وأقفر الروض لا ظل ولا ماء
ياشافيَ الداءقد أوْدى بيَ الداء ... أمَا لذا الظمأِ القتال إرواء
ولا لطائر قلب أن يقر ولا ... لمركب فزع فى الشط إرساء!

عندى سماء شتاء غيرُ ممطرة ... سوداء فى جنبات النفس جرداء
هوجاء آونةً خرساء آونةً ... وليس تخدع ظنى وهى خرساء
فكم سجا الليل إلاهامس قلق ... كأنه نفسٌ فى الليل مشّاء
أأنت ناديتِ أم صوتٌ يخيّل لى؟
فلى إليكِ بأُذْنِ الوهم إصغاء
لُبيك لو عند روحى ما تطير به ... وكيف ينهض بالمجروح إعياء
لمنْ قِيامى وبعثى هذه صورٌ ... لا تصطبى وتماثيلٌ وأزياء
ومعرضٌ أجوف المعنى وأسماء ... مذ آذَنَتْنا بهذا البين أسماء
يا ليل! كل نهار ميّت فإذا ... ناديتِ قام كما للبعث إحياء
وليس يبلى نهار فى هواك مضى ... هيهات ينسيه إصباح وإمساء
طاب اللقاء به لاثنين فانفردا ... فتى به سقم بادٍ وحسناء
جمالها توبة الدنيا وغُرتها ... كفارة عن ذنوب الدهر بيضاء
وشعرها الفاحم انسابت جداوله ... تكاد تسطع حسناً وهى سوداء
نامت به خُصلٌ واسترسلت خصل
لها وللماج خلف الليل إغراء
توهجتْ شمس ذاك اليوم واتقدت
كأنها شعلة فى الأفق حمراء
تفرق الناس حول الشط واجتمعوا
لهم به صخبٌ عالٍ وضوضاء
وآخرون كسالى فى أماكنهم ... كأنهم فى رمال الشط أنضاء
تحللوا من قيود العيش وانطلقوا
لا هُمْ أسارى ولا فيهم أرقاء
تنزّل الدهر يوماً عن مشيئته ... وحكمه فلهم فى الدهر ما شاءوا
هُمُ الورى قبل إفساد الزمان لهم ... وقبل أن تتحدى الحب بغضاء
لم يُخلقوا وبهم من نفسهم عِلَلٌ
لكن حضارة هذا العالم الداء
ضاقت نفوس بأحقاد وقد سلمت ... لو أنها كسماء البحر روحاء

ما لى بهم أنتِ لى الدنيا بأجمعها
وما وعتْ ولقلبى منكِ إغناء
لو كان لى أبدٌ ما زاد عن سنةٍ ... ومُدّة الحلم بالجفنين إغفاء
أرنو إليك وبى خوفٌ يساورنى ... وأنثنى ولطرفى عنكِ إغضاء
إذا نطقتُ فما بالقول منتفع ... وإن سكت فإن الصمت إمشاء
أحبك القلب حباً ما هتكت له ... سراً ولا مستطاعٌ فيه إخفاء
وأيما خطرة فالريح ناقلةٌ ... والروض حاكٍ لها والأيك أصداء
يا ليل! مَنْ علّم الأطيار قصتنا ... وكيف تدرى الصَّبا أنا أحباء

لما أفقنا رأينا الشمس مائلة ... إلى الوداع وما للبين إرجاء
شابت ذوائب وانحلت غدائرها ... شهباء فى ساعة التوديع صفراء
مشى لها شفقٌ دام تخضّبها ... كأنه فى حواشى الشعر حنّاء
يا من تنفس حرّ الوجد فى عنق ... كما تنفّسُ فى الأقداح صهباء
ومن تنفّستُ جمر الوجد فى فمه ... فما ارتويتُ وهذا الرىّ إظماء
ما أنتَ عن خاطرى بالبعد مبتعد
ولن تواريك عن عينىّ ظلماء

ناجى

السعادة

للمرحوم أبي القاسم الشابي

ترجو السعادة يا قلبى! ولو وجدت
فى الكون لم يشتعل حزن ولا ألم
ولا استحالت حياة الناس أجمعها ... وزلزلت هاته الأكوان والنظم
فما السعادة فى الدنيا سوى حلم ... ناء تضحى له أيامها الأمم
ناجت به الناس أفهام معربدة ... لما تغشتهم الأحلام والظلم
فهب كل يناديه وينشده ... كأنما الناس ما ناموا وما حلموا

* * *

خذ الحياة كما جاءتك مبتسما في كفها الغار أم في كفها العدم
وارقص على الورد والأشواك متئداً
غنت لك الطير أو غنت لك الرجم
واعمل كما تأمر الدنيا بلا مضض والجم شعورك فيها ! إنها صنم
فمن تألم لم ترحم مضاضته ومن تجلد لم تهزأ به القسم
هذي سعادة دنيانا ! فكن رجلا
إن شئتها — أبد الآباد يبتسم !
وإن أردت قضاء العيش في دعة شعرية لا يغشي صفوها ندم
فاترك إلى الناس دنياهم وضجتهم
وما بنوا لنظام العيش أو رسموا
واجعل حياتك دوحاً مزهراً نضرا
في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم
واجعل لياليك أحلاماً مغردة إن الحياة وما تدوى به حلم !

أبي القاسم الشابي

على الشاطئ

حمام الشمس

للأستاذ إدوار حنا سعد

قف بشط الجمال واحسد رماله عانقت جسمها وضمت ظلاله
إنها كالربيع حساً ومعنى شابهت سره وحاكت جماله
غادرت ثوبها ولم تبق منه فوق بعض الأعطاف غير فضاله
وتعرت كالورد حان قطافاً أو جنى الروض إذ يوافى كماله
وتهادت بالشط تصلى العذارى غيرة مرة وتصمى رجاله

سكر الموج من صبا وجمال فلوى قيده وفك عقاله
يتبارى للشط سبقاً إليها وهي تلهو لم تحسن استقباله
لاطم بعضه من الشوق بعضاً ساكب في هديره إعواله
كلما شارف الحبيب وأوفى في حماه الرحيب يبقى رحاله
خانه صبره وخارت قواه فتولى مجرجراً أذياله

لست أدرى أمن ونى وتوانٍ أم لفرط التقديس هاب وصاله

قد أطلت التحديق في حسنك العا ري كما حاط ناحت تمثاله
وبكرهي أهواك هل في فؤادي فلذة تجهل الهوى ونصاله ؟
فاعذريني فقد أضمت شبابي شاعراً يتبع المنى وخياله
همت والقلبَ بالجمال نغني وعرفنا الغرام في كل حاله
فسئمنا صدوده ووصاله ومللنا وفاءه ومطاله
ويحَ قلبي إذا صبوت تجنى وإذا ما اعتزلت مل اعتزاله
حينما هزه الصبا وجمالٌ عبقري لم نرتقب أمثاله
سكنت نفسه وقرت مناه وجفا نسكه وعاف احتماله

هاك صدري أحنى من الرمل صدرى
آه لو ذقتِ صفوه وخلاله
إن فيه حرارة الشمس والرمـ ل وليلا مغرداً وهلاله

(الأسكندرية) إدوار حنا سعد



قصة مصرية:

حزن وسرور ...

الأستاذ نجيب محفوظ

كانت أسرة هانئة البال ، يرعاها فتى فى الخامسة والثلاثين، وتتعهدها بالعناية والتدبير أم حنون ، وتعيش فى كنفها أخت فى مراقى الشباب الأولى . لم تكن من الثروة فى شىء ، فمرتب الفتى لا يجاوز الخمسة عشر جنيهاً وهو كل مالها . ولا كانت غفل الزمان عنها ، فقد فقدت راعيها الأول الأب والابن فى المراحل الأولى من التعليم الثانوى وأخته فى مدارج الطفولة ، فلاقت متاعب شديدة من الحاجة والضنك قبل أن بلغت بر الاستقرار والأمان . إنها كانت تعودت الشدة والبؤس على عهد الكفاح الذى أعقب وفاة الأب ، فانتقلت بتوظيف الابن إلى حال من اليسر لم تكن — على بساطتها — تحلم بمثلها ، وصارت أسرة هانئة البال ، ودام لها هذا الحال خمسة عشر عاماً ، حتى آذنت مظاهرها بما هى مقبلة عليه حتما من التغيير والتطور وفق ما تقتضيه طبائع الأشياء وسنن الحياة . ففتاها بلغ حداً من العزوبة لا يجوز أن يتعداه ، وإحسان أوفت على العشرين ، فبات زواجها ينتظر اليوم أو غداً ، وبدت الأم فى شيخوختها تحث الخطو فى مفترق الطرق. حقاً إن كل شىء ينذر بالتغيير وغداً تنقسم هذه الخلية الواحدة فتصير خليتين ، وتأخذ كلتاهما نصيبها المستقل من الحياة والنمو المتكاثر . وجاء الغد ولكن بما لم يكن فى حسبان . فقدت هذه الأسرة الشاخصة إلى الأفق بعين الرجاء عاهلها الأوحد ... ذهب الرجل بأسرع مما يخطر على بال فى عزة الشباب وعنفوانه . فما كان إلا أن وجد دملا فى ساقه اليسرى ، وأهمله أياماً فبرز وغلظ ثم عالجه بإبرة محماة ففتحه . ولكنه لم يوله ما هو أهل له من العناية والتنظيف ، فورم مرة أخرى وامتد ورمه شيئاً فشيئاً ، وسرى الألم فى الساق كلها ، فمضى يتصبر على أمل أن تزول تلك الأعراض وحدها ، حتى أقعده الألم عن الحركة ، واستدعى عند ذلك الطبيب فأشار فى الحال ببتر الساق ... وحمل إلى المستشفى وأجريت العملية فانتهت بغير السلامة ، وأسلم الروح ومضى بصحته ورجولته ونفعه . وأوشكت الأم العجوز أن تجن . كانت تطمع أن يواريها فى التراب بعد عمر طويل ، فوارته فى التراب هى بعد عمر قصير . وكانت ترجو أن تودعه وهو سعيد بأسرته الجديدة ، فودعها وقد تركها للوحدة والقنوط . أما إحسان ، فكانت أشقى أخت وأشقى فتاة ، فقدت — أوهكذا خالت — الأمل الحاضر والأمل المتخايل فى غضون المستقبل . وترك الرجل معاشاً جنيهين وربع جنيه ، ولكنه أورثهما مدخره مائة وخمسين جنيهاً التى كان أعدها لنفقات زواج إحسان وزواجه هو فيما بعد . ولبست الأسرة الحداد وباتت فى حزن أليم . إلا أن الله الذى لا يرد قضاؤه خففه باللطف والرحمة . فقد كان لإحسان عمة عاقر على جانب من الثروة فآوت الشابة وأمها ، وكانت إحسان فتاة عليلة وقعت منذ الصغر فريسة لمرض عصبى طال أمده فاستفحل بالإهمال — إذ كان أخوها كأمه ضعيف ثقة بالطب — وكانت إلى هذا حولاء ، فاختفى حسنها وراء إهاب شاحب وجسم هزيل وحول ذميم : وربما أدرك الناظر إليها أن شبابها غير عاطل من جمال ، ولكنه جمال مختنق تأبى عليه آثار العلة والحول أن يترعرع ويزدهر ، فجسمها لطيف التكوين ، إلا أنه ذابل ، ووجهها مستدير حسن القسمات ، إلا أنه مصفر عليل ، وعيناها صافيتان واسعتان ، ولكن قبحهما الحول وأخفى نظرتهما الحنون . ثم جاء موت أخيها علة على علة فانهارت قواها وغلبها الحزن ، فازدادت ضعفاً على ضعف وشحوباً على شحوب ، وأوفت من مرضها على نهاية خطيرة . ذلك كانت حالها حين فتحت لها صدرها عمتها ، ثم أخذ كل شىء يتغير من بعد ذلك ، بدأ هذا التغير فى الأشهر الأولى التى أعقبت الوفاة ، ثم صار طابع الحياة الجديدة وأملها الوموق ، ووجدت الفتاة عناية لم تكن تجدها من قبل ، فأقبل آلها يدعون لها ويقولون لأمها « ربنا يفرحك بإحسان » ، وغمروها بالعطف والحب والدعاء ، ومنحتها أمها جامع قلبها وكان

لها نصفه أو أقل قليلا . أما الذى فازت به حقاً ، وكان فوزها به عظيما ، لأنه بعثها بعثاً جديداً ، فهو قلب عمتها ، تلك المرأة الطيبة المحبة التى تتفجر نفسها رحمة وحناناً ، أحبتها كما كانت تحبها ، وأحبتها كما كانت تحب أخاها ، وأحبتها كما كانت تود وتتمنى أن تحب أمثالها من الذرية التى حرمتها ، فمن آى هذا الحب أن قبلتها يوماً وقالت لها :

— لا تستسلمى للحزن رحمة بنفسك ورحمة بأمك المحزونة

وقالت لها مرة أخرى وقد آلمها ما تراه فى وجهها من الشحوب والذبول

— لا يرتاح لى بال إذا تركت هذا المرض يهتصر شبابك الغض ...

ومضت بها إلى الطبيب ، وتفحصها الرجل بعناية ووصف لها حقناً ونصحها بتبديل الهواء ، فأحضرت المرأة الحقن ، ثم شدوا الرحال جميعاً إلى بلبيس — بلدة العمة — وهناك بين أحضان الريف الحنون وهدوئه الشامل فى الهواء النقى والشمس الصاحية سارع إليها البرء ومشى فى أعصابها الشفاء ، فانتهت النوبات التى كانت تعتريها ، ونجت مما كان يشقى حياتها من القلق والمخاوف ، وسرعان ما امتلأ جسمها الهزيل واعتدل قدها وجرى فى وجهها ماء الشباب ورونق الصبا وجاذبية الأنوثة . وسرت العمة بما رأت ، وكأنها بستانى يجنى ما غرست يداه لأول مرة ، وأطمعها هذا الظفر بالمزيد ، فحدثت نفسها : « آه لو يذهب هذا الحول ... فأى عينين تكونان ! » ولكن ما الذى يمنع هذه الأمنية من أن تتحقق ... لقد سمعت أن من أطباء العيون من يعالج الحول ويرد البصر سالماً . ولم يقعدها التردد فقفلت هى وأسرتها الجديدة إلى القاهرة وقصدت إلى كبير من أطباء العيون فأملها خيراً وأجرى العملية فنجحت نجاحاً باهراً فاق كل تقدير . واستوت عينان فطرتا على الميل والانحراف ، وأخلى الحول مكانه لحور فاتن ، ونظرة حلوة تقطر ملاحة ، ونظرت إحسان فى المرآة فرأت وجهاً جميلا لا عهد لها به ، يحسد على ما حبته الطبيعة من الحسن والجمال ، فانبهرت الفتاة ، واستخفها السرور ، وتناست أحزان الماضى وهمومه ، وتفتح صدرها للحياة كما تتفتح الزهرة عانقها أول شعاع لشمس الربيع ، وابتاعت لها عمتها أبهى حلل وأليقها بجسمها اللدن ، فتبدت فى ثوبها الأسود النفيس فى بهاء العاج ورونقه ، وأبرزتها من خدرها فقدمتها إلى أبهاء الاستقبال فى بيوت المعارف والجيران ، وكانت تقول لها وهى ترمقها بعين الحب والإعجاب :

— لكم يشرح صدرى ويسر قلبى إذا جاءنا العروس المدخر غداً ... !

ولم يتثاقل هذا الغد ولا تأخر العريس طويلا ، فجاء يطلب يدها البضة ، ولما علمت الأم سر فؤادها المكلوم ، ودارت دمعة ترقرقت فى عينيها حين ذكرت ما ادخره الفقيد من مال لهذا الزواج ولزواجه هو أيضاً

وباتت إحسان تلك الليلة فى سرور عظيم بل كانت أسعد لياليها وعندما رنق النوم بجفنيها فى ساعة متأخرة ، رأت فيما يرى النائم حلماً مؤثراً ، رأت أنها عادت إلى الشقة التى كانوا يقيمون بها قبل وفاة شقيقها ، وأنها فى حجرته بالذات وعلى فراشه ، ورأت فى وسط الحجرة نعشاً ملفوفاً فى الحرير الأبيض ، يجلس على رأسه شيخ كبير فى عباءة سوداء وعمامة بيضاء ، وكانت تبكى وتكابد ضيقاً يكاد أن ينشق به صدرها ، وكأنما الشيخ رق لها فوجه إليها الخطاب متسائلا :

— لماذا تبكين ؟

فقالت وقد أثر فيها عطفه فانهالت مدامعها :

— أخى ... إنى أبكى أخى ...

فأومأ الشيخ إلى النعش وقال بهدوء :

— إنه يرقد ها هنا

فحنت رأسها حتى تساقط الدمع على حجرها وقالت بصوت تخنقه العبرات :

— أعلم ذلك وا أسفاه

فسألها مبتسما :

— أتحبين أن يعود إليك ؟

فنظرت إليه بعينين لا تصدقان وقد كفت عن البكاء وتساءلت :

— أتستطيع ذلك حقاً ؟

— نعم بغير شك

فقالت بلهفة ورجاء :

— رد إليه الحياة ... أعده إلينا

ولم تمالك نفسها ، فنهضت قائمة يلعب بفؤادها الأمل ؛ فقال الشيخ بهدوئه الذى لا يفارقه :

— ليس الأمر باليسر الذى تتصورين ، فلا بد من ثمن يؤدى

— أى ثمن ... وهل يغلو ثمن لقاء أن يعود أخى ؟ !

فهز الرجل رأسه المعمم وقال :

— إذا رد إلى الحياة ، وهذا على هين ، فستردين أنت إلى حالتك الأولى ، يعاودك المرض ويعتريك الذبول والاصفرار والحول ، ولا يلبث حتى يسترد ماله فتفقدى خطيبك !

وعلاها وجوم ، وشعرت بثقل الكابوس على صدرها ، فرشح جبينها عرقاً وزاغ بصرها . فابتسم الشيخ وسألها كالمتهكم :

— إيه ... هل أعيده إليك حقاً ؟

رباه ... ما ذا تقول ؟ هل يمكن أن تنكص عن الجواب ؟ وقالت وهى تزفر :

— نعم أعده

وتغير وجه الرجل ، فلاح فى محياه الجد والاهتمام ، ووثب قائماً ، ثم تحول إلى النعش يفك أربطته ويرفع غطاءه دون تردد وألقت الفتاة ببصرها إلى النعش لتستقبل العائد العزيز ... ولكن اشتدت وطأة الكابوس وثقله ، ورأت نفسها تتغير فى مثل لمح البصر فترد إلى حالتها الأولى ، فاستردت صورتها العليلة وبشرتها الشاحبة وعينيها القبيحتين ، وغابت كل المسرات : فلا نضارة ولا شباب ولا مال ولا زواج ... وشعرت بإعياء وخور فلم تعد قدماها بقادرتين على أن تحملاها ، فسقطت جاثية على ركبتيها ، وعيناها لا تتحولان عن النعش ... ثم غلبها البكاء ، واستيقظت عند ذاك ، فرفعت رأسها عن الوسادة ، وتحسست يداها وجهها والفراش ، لتتأكد من أنها يقظة ، وأن ما كانت تكابده حلماً من الأحلام ، وكان قلبها يدق بعنف اضطرب معه ما فوق القلب من قميصها الأبيض ، ثم أسلمت رأسها مرة أخرى إلى الوسادة وهى تتنهد تنهداً عميقاً ، وما لبثت أن أجهشت فى البكاء ، لا لأنها مسخت فردت إلى حالتها الأولى ، ولكن لأنها ذكرت أخاها الراحل ، فثارت كوامن أشجانها ...

نجيب محفوظ



أربعـــة كتب

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

الحياة الروحية فى الاسلام — اللامتية والصوفية وأهل الفتوة — نظرات فى الحياة والمجتمع — الانكليز كما عرفتهم ...

١ — الحياة الروحية فى الإسلام

[للدكتور محمد مصطفى حلمى]

فى هذه الفترة المادية التى نعيش فيها على سمع التاريخ الحديث وبصره ، وفى هذا الجو المختنق بأبخرة المادة الكثيفة التى تكاد تغشى القلوب . وفى وسط هذا الصراع الجبار بين الرغبات المادية الجامحة نقرأ هذا الكتاب الذى تجد فيه النفس اطمئنانها إلى حياة الروح فى الإسلام .

ويظهر أن المؤلف نفسه ـ على غير معرفة لنا به ـ فيه نزعة من هذه الحياة الروحية النبيلة التى تعلو عن المادة ؛ ويتبين ذلك من سطور كتابه ومن المقدمة الواضحة التى قدم بها بين يدى الكتاب . فهو لا يرمى إلى كشف النقاب عن الحياة الروحية فحسب ، ولكنه يرمى أن يكون وراء الكشف عنها « ما يعين على كبح جماح الشهوة ، وكسر حدة المادة ، وتمكين الخلف من الاستجابة لهذا الدعاء الروحى الصادق الذى ردده السلف » .

وواضح من هذا الكلام أن للمؤلف غرضين : الغرض العلمى الذى كان موفقاً فى إبرازه والنهج به على أقوم سبيل ؛ والغرض الخلقى ، وهو غرض نبيل صرح به فى المقدمة فكشف لنا عن روح نبيل فى تناول الموضوعات العلمية .

والحق أن العلم وحده لا ينفع ما لم يعن على إشاعة الخلق الجميل . ولا تكفى دراسة النظريات وتحديد المنهج والمعرفة بأصول البحث ما لم يكن هناك هدف سام من الأخلاق . وهنا تظهر القيمة العملية لدراسة العلوم .

ويرد المؤلف بدء الحياة الروحية فى الإسلام إلى تحنث محمد عليه السلام فى غار حراء قبل أن ينزل عليه الوحى ـ أى قبيل الإسلام ـ وكأنه بذلك يريد أن يجعل بزور التصوف والروحانية الإسلامية نابتة فى قلب الجزيرة العربية وفى صميم كهوفها وأغوارها . ولست أرى بأساً أن تختلف مصادر الحياة الروحية فى الإسلام ما دامت الأديان كلها تهدف إلى غرض واحد هو صفاء الروح .

وفى الكتاب فصول عن النساك والزهاد والعباد والتصوف ونشأته والنزاع بين الصوفية والفقهاء ، والغزالى وطريق المعرفة عنده ، وما إلى ذلك من الأبحاث التى تدل على أن المؤلف دارس لموضوع الروحية الإسلامية دراسة سعة وشمول .

وأسلوب الكتاب واضح ينساب فى سهولة ويسر ، وبذلك حقق غرض الجمعية الفلسفية المصرية من تبسيط هذه الموضوعات لجمهور القارئين ، إلا أن فيه تكراراً فى بعض المواطن وخاصة فى الفصل الثانى من الكتاب . وعندى أن التكرار لا يملح من كل كاتب ، فخير للمؤلف الفاضل لو أنه استقل بأسلوب يكون هو صاحبه ولا يكون فيه من المقلدين .

٢ — الملامتية والصوفية وأهل الفتوة

[للدكتور أبو العلا عفيفى]

وهذا كتاب آخر من كتب الجمعية الفلسفية المصرية التى يشرف على إصدارها الأستاذان الجليلان الدكتور على عبد الواحد وافى والدكتور عثمان أمين ؛ وهما من أكثر رجالنا نشاطاً فى التأليف وأشدهم انكباباً على العلم . والكتاب لأستاذنا الدكتور أبو العلا عفيفى أستاذ الفلسفة بجامعة فاروق الأول . وهو من سبيل الكتاب الأول ومن بابه : فلحياة الروح فيه مجال كبير . وقد وفق المؤلف فيه إلى حد كبير . فقد أزاح الستار عن طريق « اللامتية وأهل الفتوة » ورجع فى ذلك إلى طائفة من كتب التصوف بعضها بالعربية وبعضها باللغات الأجنبية .

والكتاب قسمان : قسم عن مذهب اللامتية ونشأته فى الإسلام والصلة بين تعاليم اللامتية وتعاليم الصوفية وأهل الفتوة . والقسم الثانى نص رسالة اللامتية التى ألفها أبو عبد الرحمن السلمى من العارفين بأسرارهم .

وفى القسم الأول تحقيق كثير لا يصدر إلا من رجل كالدكتور أبى العلا عفيفى له فى البحث العلمى مقام محمود . والحق أنه وفّى الكلام عن هذا المذهب التصوفى توفية منعه تواضعه من أن يعلى من قيمتها . فقد أشار فى المقدمة إلى أن الصورة العامة التى صور بها هذا المذهب «قد يعوزها الكثير من التفاصيل »

وخير فصول الكتاب هو الفصل الخاص بالتحليل النقدى لأصول الملامتية . فقد تكلم عن فلسفتهم فى النفس ومحاربتهم للرياء ، واتهام النفس ولومها ، والرياء فى الأعمال والأحوال والعلم . وهو كلام يدل على فهم صحيح للمذهب وطول تتبع له ووصول إلى أعماقه .

وإذا كان المستشرق الأستاذ ريشارد فون هارتمان قد سبق الدكتور عفيفى إلى البحث فى رسالة السلمى نفسها فإن أستاذنا المصرى قد تناول فى رسالته القيمة المذهب الملامتى نفسه والفرق بينه وبين تعاليم الصوفية ، وتاريخ هذه الفرقة ونشأتها.

وهى أبحاث تدل على سعة فى العلم وعلى صبر فى البحث وعلى قراءة كثيرة لكتب التصوف والمذاهب التى خرج منها المؤلف بهذا المحصول العظيم .

— ٣ —

نظرات في الحياة و المجتمع

[للأستاذ على أدهم]

مؤلف هذا الكتاب أديب يمتاز بمزايا كثيرة لابد منها لمن يريد أن يكون فى عالم الأدب أصيلا لامتبعاً . فهو يقرأ كثيراً فى الأدب العربى والغربى؛ وهو يهضم قراءاته ويحسن هضمها لأن معدته الأدبية صحيحة موفورة العافية ؛ وهو قادر على معالجة الأدب المقارن بحسن إدراك وصحة فهم وقوة أسلوب .

أما إدراكه فيظهر من رءوس الموضوعات التى يتناولها والتى يحسن الكلام فيها فينتقل بك من فكر إلى فكر ، ومن موضوع إلى موضوع حتى يأتى على البحث إلى آخره ولا يدع فى نفسك شهوة لاستزادة. وأما أسلوبه ففيه من القوة

مات الإمام المراغى

في ليلة الأربعاء الماضى استعز الله بالإمام الأكبر الأستاذ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، فكان نعيه الفاجئ حدثاً بارزاً فى الأحداث العالمية هفت له القلوب جزعاً ، والتاعت له النفوس حسرة . والأسى على فقد الأستاذ المراغى عِدْل ما يعرفه العالم الإسلامى عنه من رسوخ القدم فى العلم ، وعلو المكانة فى الأدب ، وثقوب الفكر فى الإصلاح ، ونفوذ الكلمة فى الدولة .

والحق أن المراغى كان عالم جيله إذا أردنا من العالم الدينى أن يكون عليما بأحوال العصر ، خبيراً بسير الزمن ، بصيراً بطبائع الناس ، يوفق بين الدين والعلم فى قصد ، ويجمع بين الشريعة والمدنية فى حكمة . وقد هيأه لهذه المزايا بعد الاستعداد الطبيعى فيه عوامل اجتماعية أهمها اتصاله المباشر بالموظفين الإنجليز فى السودان أيام كان صاحب القضاء فيه . والموظفون الإنجليز فى مصر والسودان كانوا الصورة الحقيقية للمدنية الغربية فى سمو الخلق وحسن النظام وحرية الفكر وسداد المنهج ، كما كانوا فى الإدارة والسياسة الكمال الذى يظهر لك النقص واضحاً فى شتى النواحى الاجتماعية المصرية؛ فكان من الطبيعى أن يطمح إلى هذا الكمال من طريق الإصلاح الدينى والاجتماعى بحكم منصبه . كما فعل الإمام محمد عبده حين اتصل بالفرنسيين فى المنفى وبالإنجليز بعد الاحتلال

ولقد كان موقفه فى الإصلاح الدينى من شيخه الإمام محمد عبده ، كموقف اسماعيل فى الإصلاح الدنى من جده محمد على : كان موقف المتبع من المبتدع ، والمقلد من المجتهد ، والحائر المتردد من الزميع المصمم .

وكان الظن بالفقيد الكريم وقد ورث أكثر خصائص الأستاذ الإمام أن يؤدى رسالة الإصلاح على الوجه الذى يرتضيه العلم ، ويقتضيه العصر ، ويرتجيه الناس ؛ ولكن الأسباب الموقة من مهاواة السياسة ، ومصانعة المعارضة ، ومماطلة الحزم ، واضطراب السلام فى الخارج ، وانقطاع الوئام فى الداخل ، حالت بين الشيخ وبين ما يريد حتى أتاه اليقين وهو على شك من استعداد النفوس لفكرة الإصلاح .

تغمده الله برحمته ، وجزاه أحسن الجزاء على حسن نيته ، وأخلف بالخير على أسرته وأمته .

ما يؤدى به الأغراض أحسن أداء ، فلا تحس ضعفاً هنا ولا ليناً هناك . ولكنك ترى الكلام مستوياً مع الغرض علواً واتساقاً.

وتقرأ الموضوع الواحد لعلى أدهم فتراه طائفاً معك من أبي تمام إلى المتنبي إلى فرويد من غير أن تحس تكلفاً فى الانتقال ؛ لأنه يصدر عن طبع وإحاطة .

ويغلب على كتابته ناحية الفكر والفلسفة . فهو أديب الفكرة لا أديب العبارة . وإن كانت عبارته فى مكانها العلى من لغة العرب لأنه يقرأ كما قلت لك كثيراً ويُفيد مما قرأ كثيراً

وفى موضوعات على أدهم لذة ؛ لأنه يعرف كيف يختارها ويعرف كيف يعرضها ؛ ويعرف فى النهاية كيف يقنعك برأيه ويكسبك إلى صفه . وتحس وأنت تقرؤه أنك تقرأ أفكار الحكماء مجموعة فى كتاب ومضمومة فى إهاب ، وهو مع ذلك متواضع ، لا يدعى أنه من العلماء المختصين ولا من الحكماء الموهوبين « ولكنى أحب أن أسير فى آثار هؤلاء الهواة الذين راقهم أن يعرفوا أشياء عن الطبيعة الإنسانية، وشاقهم حب التطلع والاستبانة»

وهو فى النهاية ليس خيالياً ولا « يوتوبياً » . ولكنه واقعى يصف الواقع ويعلل له .

٤ — الانكليز كما عرفتهم :

[للاستاذ أمين المميز من رجال السلك السياسى العراقي]

تفضل الأستاذ الكبير الزيات فأعارنى هذا الكتاب لقراءته والحديث عنه . ثم تفضل المؤلف الفاضل نفسه فأهدى إلى نسخة منه عن طريق صديقنا الأديب الوفى السيد محيي الدين رضا ، فأتيحت لى بذلك فرصتان لقراءة هذا الكتاب الطريف المفيد المتع

ولقد عشت فى انجلترة حقبة من الزمان ، فما أزعم لنفسى أننى عرفت من أحوال القوم وأمورهم وألوان الحياة عندهم ما عرفته من هذا الكتاب

وكان مصدر المؤلف فى كتابه شيئين : التجربة والقراءة فقد عاش فى انجلترة مدة وخالط أوساطها الراقية بحكم منصبه ، كما خالط أخلاطاً من القوم دون ذلك بحكم نيته فى التأليف . وقرأ كثيراً عن الإنجليز وبلادهم وتاريخهم وعاداتهم مما كتبه الإنجليز أنفسهم ، أو مما كتبه عنه غيرهم

ومن هنا كانت مراجع الكتاب كثيرة تبلغ بضع عشرات من الكتب لبضع عشرات من الكتاب أمثال بايكر وبرادلى وهاملتون وروم لانداو وموروتون وغيرهم

وفى الكتاب فصول عن الرجل الإنجليزى والمرأة الإنجليزية وحياة الإنجليز السياسية والاجتماعية ، فإذا شئت أن تعرف شيئاً عن الدستور الإنجليزى والوزارة والميزانية ووزارة الخارجية ومجلس العموم ومجلس الأعيان والأحزاب الإنجليزية والامبراطورية والدومنيون ، فارجع إلى الفصل الثالث

وإذا شئت أن تعرف شيئاً عن نظام الطبقات فى انجلترة والثروة والمهرجانات العامة وقصور العائلة المالكة والأعياد الدينية والوطنية والنادى وحياة الشوارع والملبس وآداب المعاشرة وغيرها فاقرأ الفصل الرابع

وليس الكتاب رحلة عابرة فى بلاد الإنجليز ، ولكنه دراسات علمية تاريخية بذل المؤلف فيها كثيراً من الجهد فى المطالعة والقراءة والرجوع إلى المصادر ، كما بذل كثيراً من الدقة فى الملاحظة والمشاهدة والمعاشرة ، حتى خرج الكتاب مرجعاً من أوفى المراجع العربية عن حياة الإنكليز وتاريخهم

وإذا كان سبيل التقارب بين الشعوب هو حسن التفاهم بينها ، فإن ذلك لا يكون إلا من فهمها ، فمتى صح الفهم صح التفاهم

ولا شك أن كتاب الأستاذ أمين المميز هو خطوة فسيحة موفقة فى سبيل فهم الإنجليز ، وبالتالى فى سبيل التفاهم معهم

فأهنئه وأشكره على هديته ، وأرجو له التوفيق فى إخراج الجزء الثانى من كتابه الذى وعد به فى هذا الجزء النفيس

محمد عبد الغنى حسن

افتتاح الموسم الجديد لسينما ستوديو مصر

يوم الاثنين ١٣ أغسطس

ستوديو مصر يقدم

عقيلة راتب . أنور وجدي . في قضية الشباب

الحياة كفاح

مع

سليمان نجيب . علوية جميل . زكي رستم

إخراج كمال مدكور

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣٥ — الاثنين ٣ سبتمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

١٩ ـ ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

إعلان

تعلن وزارة الشئون الإجتماعية عن طرح مناقصة عامة لتوريد الأصناف اللازمة لقسم الفرش بالمعهد الإصلاحي الإجتماعي بالمحلة الكبرى وقد تحدد ظهر يوم ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٥ آخر موعد لتقديم العطاءات .

وترسل العطاءات برسم حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة الشئون الإجتماعية داخل مظروفين مختومين بالشمع الأحمر ويكتب على الظرف الخارجي منهما اسم المناقصة وموعدها وتطلب الشروط من قسم المشتريات بالوزارة على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما نظير مبلغ خمسون مليما .

ويراعى تقديم تأمين مؤقت قدره ٢ ٪ من قيمة العطاء

٤٠٢٨

13 me Année No. 635

Lundi - 3 - 9 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

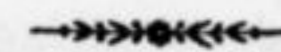
بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٣٥ — « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٤ — ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ » — السنة الثالثة عشرة

الشعر والقصة

للأستاذ عباس محمود العقاد



حين يقول القائل إن الذهب أنفس من الحديد يقرر شيئاً واحداً ، وهو أن الحديد لا يدرك ثمن الذهب فى سوق البيع والشراء ، ولكنه لا يقرر إلغاء الحديد ولا استخدام الذهب فى المصانع والبيوت بديلا منه ، ولا يعنى أن الذهب يغنى عن الحديد أو عن غيره من المعادن فى غرض من أغراضه

كل ما يقرره شىء واحد وهو أن سعر الذهب أغلى من سعر الحديد ، ولا لوم عليه فى ذلك ، وإن قيل له إن الحديد أنفع وأشيع من معادن الزينة والتجميل

ونحن قد فضلنا الشعر على القصة فى سياق الكلام عليهما من كتاب « فى بيتى » ، فكل ما قلناه إذن هو أن الشعر أنفس من القصة ، وأن محصول خمسين صفحة من الشعر الرفيع أوفر من محصول هذه الصفحات من القصة الرفيعة

فلا يقال لنا جواباً على ذلك إن القصة لازمة ، وإن الشعر لا يغنى عن القصة ، وإن التطويل والتمهيد ضرورتان من ضرورات الشرح الذى لا حيلة فيه للرواة والقصاصين

ويستطيع الأديب الأستاذ محمد قطب أن يقرر كما قرر فى (الرسالة) : « أن القصة دراسة نفسية لا غنى عنها فى فهم سرائر النفوس ، وليس الشعر أو النقد أو البيان المنثور بمغن عنها ، لأنها فى ذاتها أحد العناصر التى يحتاج إليها قارئ الحياة »

يستطيع الأديب هذا كما يستطيع أن يقول : « إن الحديد معدن نافع لا غنى عنه فى تركيب الآلات وبناء البيوت ، وليس الذهب أو الفضة أو الجوهر النفيس على اختلاف بمغن عنها ، لأنه فى ذاته أحد المعادن التى يحتاج إليها فى الحرب والسلم وفى الصناعة والتجارة »

ولكنه بعد كل هذا يذهب إلى السوق ليشترى الحديد ، فلا يبذل فيه ثمن الذهب والفضة ، ولا ينكر على التاجر أن يزن له درهماً من النقد برطل من الحديد المفيد

وقد قلنا فى كتاب « فى بيتى » إن القصاص قد يرجح الشاعر فى الملكة الذهنية والقريحة الفنية ، ولكننا لا نفضل القصة على الشعر من أجل ذلك كما لا نفضل الجميز على التفاح ، لأن الأرض التى أثمرت الجميز كانت فى حالة من الحالات أخصب وأجود من الأرض التى أثمرت التفاح

وينفعنا مثل الجماد هنا كما ينفعنا مثل النبات ، فإن تاجر الحديد قد يكون أغنى وأقدر من تاجر الذهب ، وقد يكون المنجم الذهبى أقل ربحاً ومحصولا من المنجم الحديدى فى حالة من الحالات ، ولكن تقويم المعدنين لا يتوقف على تقويم التاجرين

أو المنجمين ، لأنهما لا يرجعان إلى نوع واحد من التقدير والحساب

ويقول الأستاذ محمد قطب : « قرأت سارة وقرأت فى الديوان ما يقابلها من شعر ، وهو شعر جيد رفيع ، ولكننى لا أستطيع مع ذلك أن أقول إننى استغنيت به عن قراءة سارة ، أو إن سارة ليس فيها جديد مفيد من الدراسات النفسية العميقة ... »

فالذى نقوله إن الأستاذ غير مطالب بأن يقول هذا فى باب الموازنة بين الروايات والقصائد ، لأن موافقته على رأينا فى الشعر والقصة لا تقتضيه أن يمحو القصة وأن يثبت الشعر وحده ، وإنما يبقيهما ويبقى معهما الترجيح بينهما ، ويقدم الشعر على القصة فى هذا الترجيح

ولا حاجة به إلى جهد طويل للتسليم بفضل الشعر على القصة فى هذه الموازنة ، لأنه ينتهى إلى هذه النتيجة إذا سأل نفسه : أيهما أوفر محصولا من الشعور والثروة النفسية ؟ ألف صفحة من الشعر المنتقى ، أو ألف صفحة من الرواية المنتقاة ؟

أما أنا فجوابى على ذلك جزماً وتوكيداً أن صفحات الشعر أوفر وأغنى ، وأن معدن الشعر من أجل ذلك أنفس وأغلى من معدن الرواية

فإذا كان هذا رأيه فقد اتفقنا

وإذا لم يكن رأيه ورأيى متفقين فى ذلك ، فهذا هو الجمل وهذا هو الجمال كما يقولون فى أمثالنا الوطنية : هات ألف صفحة من رواية أو عدة روايات ، وخذ ألف صفحة من الشعر الرفيع ، وارجع إلى حكم القراء فيما شعروا به بعد قراءة القصائد وقراءة الحكايات ، أو قدر ما يشعرون به على سبيل الظن والتخمين ، واحتفظ برأيك بعد ذلك كما تشاء

إننى لم أكتب ما كتبته عن القصة لأبطلها وأحرم الكتابة فيها ، أو لأننى أنها عمل قيم يحسب للأديب إذا أجاد فيه

ولكننى كتبته لأقول « أولا » إننى أستزيد من دواوين الشعر ، ولا أستزيد من القصص فى الكتب التى أقتنيها . وأقول « ثانياً » إن القصة ليست بالعمل الوحيد الذى يحسب للأديب ، وإنها ليست بأفضل الثمرات التى تثمرها القريحة الفنية ، وإن اتخاذها معرضاً للتحليل النفسى أو للاصلاح الاجتماعى لا يفرضها ضربة لازب على كل كاتب ، ولا يكون قصارى القول فيه إلا كقصارى القول فى الذهب والحديد : الحديد نافع فى المصانع والبيوت ، ولكنه لا يشترى بثمن الذهب فى سوق من الأسواق

***

وكتب العالم الفاضل الأستاذ على العمارى المدرس بالأزهر يعقب على القياسين اللذين ذكرتهما فى الكتاب للمفاضلة بين الشعر والقصة ، وهما « أولا » أن القصة كثيرة الأداة قليلة المحصول ، و « ثانياً » أن الطبقة التى تروج بينها القصة لا ترتقى فى الثقافة والذوق والتمييز مرتقى الطبقة التى تفهم الشعر وتشعر بمعانيه

وقد قال الأستاذ : « فالقياس الأول تحدث عنه علماء البلاغة والنقد فكانوا يرون أن خير الكلام وأبلغه ما جمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، وهذا القياس — وإن صلح للمفاضلة بين عبارة وعبارة ، أو بين بيتين من الشعر ، أو قطعتين من النثر فى موضوع واحد ، فإنه لا يصلح للمفاضلة بين القصة والشعر . وذلك أن فائدة القصة ليست مقصورة على الغرض الأساسى الذى وضعت من أجله ، ولم تكن خمسون صفحة فى قصة ما ولو بلغت الطبقة الدنيا فى القصص تمهيداً لفائدة تقال فى سطر أو أسطر ، ولكن هناك التصوير الرائع والوصف الدقيق لحركات الأحياء ونوازع النفوس»

والذى نقوله للأستاذ الفاضل إن الموازنة بين الشعر والقصة لا تكون إلا بذلك الميزان الذى قال إنه لا يصلح للمفاضلة بينهما .

لأنك إذا قلت إن هذه القصيدة أبلغ من تلك لجمعها المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، فإنك لا تفاضل بين فنين أحدهما قاصر بطبيعته عن مرتبة الفن الآخر ، ولكنك تفاضل بين كلامين أحدهما فاضل فى الفن نفسه والآخر مفضول فيه

أما إذا قلت إن الشعر أفضل من القصة ، لأن الشعر من شأنه أن يجمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، فتلك هى المفاضلة بين طبيعة الشعر وطبيعة القصة ، وإن بلغت فى بابها غاية الإتقان

ونرجع إلى التمثيل بالذهب والحديد فنقول : إن ترجيح ذهب على ذهب بخفة الوزن يدل على أن أحد الذهبين ذهب ناقص وأن الذهب الآخر ذهب كامل ، ولا يفيدنا شيئاً فى الموازنة بين هذا المعدن وغيره من المعادن

ولكننا إذا قلنا إن قليل الذهب أغلى من كثير الحديد ، فلا يلزم من ذلك أن الحديد ناقص فى صفاته المعدنية ، لأنه قد يكون فى بابه على غاية من الجودة والمتانة ، وإنما يلزم منه أن معدن الذهب أغلى من معدن الحديد

وهذا بعينه الذى قصدنا إليه حين قلنا إن قليل الشعر يحتوى من الثروة الشعورية ما ليست تحتويه الصفحات المطولات من الروايات ، فإن احتياج القصة إلى التطويل لبلوغ أثر الشعر الموجز هو وحده الذى يبين لنا أن قنطاراً من القصة يساوى درهماً من الشعر ، وإن القصة فى معدنها دون الشعر فى معدنه ، لأن النفاسة هى أن يساوى الشىء القليل ما يساويه الشىء الكثير

أيقول الأستاذ إن خمسين صفحة من القصة لازمة للتصوير والحوار الذى يتحقق به سياق القصة ؟

حسن . فهذا اللزوم نفسه هو الذى ينزل بها دون منزلة الشعر فى متعة الذهن والخيال ، لأن الشعر بغير حوار وبغير تمهيد من أمثال تلك التمهيدات القصصية يعطينا فى خمسين صفحة أضعاف ما نعطاه فى تلك الصفحات ، بل هى لا تعطينا فى القصة شيئاً إلا إذا وصلت بعد التمهيد والحوار إلى مادة الشعر فى لبابها : وهى التصوير والخيال

وقال الأستاذ عن المقياس الثانى : « أما المقياس الثانى فأحسبه ليس كذلك فاصلا ، فالطبقات الدنيا فى الثقافة أو فى الأخلاق لا تروج عندها إلا أنواع خاصة من القصص ليست هى التى يفاضل بينها الكاتب وبين الشعر ، وكما يروج عندهم نوع من القصص رخيص كذلك يروج عندهم أنواع من الشعر رخيصة ، على أننا نجد أن ميل العامة ليس دائماً إلى القصص ، فهناك من الأمم ما يميل عامتها وخاصتها إلى الشعر ويروج عندهم ... »

ونقول نحن إن ميل بعض العامة إلى الشعر صحيح ، ولكن حين يكون الشعر قصة ، وحين يكون الشعر من قبيل ملاحم الهلالى والزير سالم . أما حين يكون الشعر وصفاً كوصف ابن الرومى أو البحترى ، وحكمة كحكمة أبى الطيب وأبى العلاء ، وفخراً كفخر الشريف وأبى فراس ، فالعامة لا تفضله على القصص التى تفهمها ، وإن أسفت غاية الإسفاف

ومما لا شك فيه أن عدد النسخ التى تصدر من ديوان المتنبى فى الطبعة الواحدة أقل من عدد النسخ التى تصدر من ألف ليلة وليلة ، أو من الروايات العصرية التى تتداولها الأيدى مرة فى كل شهر أو مرة فى كل أسبوع ، وهذا مع إقبال القراء على ديوان المتنبى لغرض غير لذة المطالعة ، وهو غرض الدرس أو المحاكاة ، ومهما يكن من طبقة القراء الذين يقبلون على تلك الدواوين وتلك الروايات ، فلا نزاع فى أن الروايات إنما تروج لأن تحصيل لذتها أسهل وأقرب من تحصيل لذة الدواوين ، وليس لارتفاعها عليها فى طبقة الفن وملكة التأليف

وقد يأكل الفقير اللحوم ويأكل الغنى البقول ، ولكننا لا نستطيع أن نقول من أجل ذلك إن البقول طعام الأغنياء ، وإن اللحوم طعام الفقراء

وكذلك قد يوجد من العامة من يقرأ الشعر حتى الرفيع منه ، كما يوجد من الخاصة من يقرأ القصة حتى الوضيع منها ، ولكننا لا نستطيع أن نقول من أجل ذلك إن الشعر هو قراءة الجهلاء ، وإن القصة هى قراءة المثقفين

عباس محمود العقاد

مراكش العربية تستصرخ

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

مَنْ كان يظن — فى أثناء الحرب العالمية الثانية — أن هؤلاء الغربيين الذين ملأوا الدنيا صياحاً ، ورفعوا عقائرهم بالحرية والعدالة والمساواة ، وبحقوق الأفراد والأمم ؟ مَن كان يظن أنهم يجيئون فى أعقاب حرب ضروس وهيجاء طاحنة ، قد ضَريتْ وشبّ ضرامها ، وأتت على الملايين من البشر قتلا وأسراً وتشريداً ، فلا يكون لهم منها عبرة ولا مزدجر ، ولا تؤثر فيهم المثلات ، فيسلطون جبريّتهم على الأمم الضعيفة التى منيت باستعمارهم وابتليت بدائهم ، ويحكمونها بما استطاعوا من قوة الباطل وأساليب الظلم التى لا تعرف الرحمة الإنسانية ، ولا الشفقة التى يجب أن تكون بين بنى الإنسان ! !

بالأمس رأينا كيف بطش الفرنسيون بأهل الجزائر فى شهر مايو الماضى ، فضربوا البلاد ببوارجهم الحربية وطياراتهم المدمرة ونكلوا بالأحرار من أبنائها

واليوم نقرأ فى إحدى الصحف اليومية(١) أن الحكومة الإسبانية تنهج نهج الفرنسيين وتسير على غرارهم فى التنكيل بمراكش التى أصيبت بالاستعمار الإسبانى ، كأنها سياسة مرقومة وخطة مرسومة من المستعمرين لا محيد لهم عنها ولا محيص ، وهو أن يسلطوا قوتهم الغاشمة على من يقع فى حبائلهم من الأمم الضعيفة حتى تُخبِتَ وتخشع وتضرب عليها الذلة والمسكنة ، فلا يرتفع لها صوت بحق ، ولا تجأر بدفع ظلم ، فأين مبادئ الحرية والعدالة التى أعلنها أقطاب الأمم المنتصرة ؟ وأين الوصايا الإنجيلية التى نشروها فى الخافقين ؟ بل أين الحريات الأربع التى بشروا بها العالم الجديد وزعموا أنها تكفل تحقيق عهد يسوده السلام والأمن والحرية والعدل ؟ !

إن الحكومة الإسبانية قد فتحت باب الهجرة على مصراعيه للاسبانيين يتدفقون منه على مراكش العربية الإسلامية ، ومنحتهم من وسائل التيسير والإغداق ما يمكن لهم فى أرضها ، ويجعلهم يتحكمون فى رقاب أهلها ، وما يُصيّرهم بعد قليل من الزمن أكثر عدداً من أبناء البلاد ، وأقوى عدة وأكثر مالا ، وأعز نفراً ، وبذا يتسنى لهم جعلها جزءاً متمما لإسبانيا ، وإقليماً من أقاليمها ، كما تحاول ذلك فرنسا فى الجزائر ، وليس أقوى دليلا ولا أصدق شاهداً على ذلك من أن الإسبانيين قبل الحرب الأهلية لم تكن نسبتهم فى مراكش تعدو ٧٪ من سكانها ، فأصبحوا بعد سبع سنين قد ذرّفوا على ثلث أهلها : سياسة ما أشبهها بسياسة الصهيونيين فى فلسطين ، يقصدون من ورائها التغلب على أبناء البلاد بما يكون لهم من كثرة العدد وقوة الحكم والاستعمار ، ويقصدون إلى قهر العرب والمسلمين بحملهم على التجنس بالجنسية الإسبانية مكرهين ، أو بطردهم من البلاد صاغرين !

ولكى ينفذ الإسبان تلك السياسة الباطشة ، ويحققوا مآربهم الظالمة ، ويسيروا فى سبيل الإثم والعدوان بنجوة من الرقباء ، ومنأى من الأحرار الذين يغضبون للحق ، ويثورون على الظلم — أحاطوا بالمراكشيين ، وأخذوهم بأساليب العنف والاستبداد ، وسلطوا عليهم وسائل الإخافة ، واسترهبوهم وجاءوا بأمر عظيم ، فاعتقلوا الزعماء فى بيوتهم ، ونفوا الأحرار إلى بلاد غير بلادهم ، ثم عمدوا إلى الصحف فعقلوا ألسنتها ، وحطموا أقلامها ، وقضوا على حريتها ، ثم أمعنوا وعتوا عتواً كبيراً : فألغوا كثيراً من الوظائف الشرعية ، ومنعوا الاجتماعات والمحافل العامة ، حتى المحاضرات العلمية ذادوا الشعب عنها وحالوا بينه وبين الاستماع إليها

ظلم عبقرى ، وجور ليس له ضَحىّ ، لا يصدر إلا عن نفوس قد تجردت من نوازع الخير ، وقلوب قد ران عليها ما اكتسبت من الإثم والعدوان ، وحيل بينها وبين خلال البر والرحمة والإحسان

ألم يحدثكم التاريخ — معشر الإسبان — بأن أسلاف أولئك المراكشيين من العرب والمسلمين قد فتحوا بلادكم فأنقذوكم من ظلم الونداليين ، وجور القوطيين ، ثم أظلوكم بلواء العدل والرحمة ونشروا بينكم المبادئ السامية والعلوم النافعة ، وكان شعارهم فى حكمهم : « لأهل الذمة ما لنا وعليهم ما علينا » ، فلم يستبيحوا

---

(١) المصري فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٥

بعد عيد وفاء النيل

متى نتحكم فى نهرنا ؟

للأستاذ وديع فلسطين

قديماً قالوا « مصر هبة النيل » ، وما كانوا بذلك يمزحون أو يلقون الكلام على عواهنه ، وإنما قرروا حقيقة أثبتت الأيام صوابها ، وهى أن ماء النيل أثمن شىء فى مصر ، أثمن من حديدها ومعادنها وذهبها وزيتها .

وما فتئنا نسمع من ربع قرن من الزمان أحاديث تستطيبها الأذن عن مشروعات النيل وضبط مائه والانتفاع بكل نقطة منه واستغلاله فى زراعة الصحراوات وو ... مما يروق لذوى الخيال الواسع أن ينساقوا وراءه . ولو أننا حولنا بصرنا إلى غيرنا من الدول الزراعية ودرسنا أساليبها فى الزراعة وضبط الماء ، وقلدناهم فيما نجحوا فيه لكان لنا اليوم أن نفخر بنهر أصبحنا أسياده بعد ما كان سيدنا ، وتحكمنا فيه بعد ما ظلّ أربعة آلاف من السنين أو يزيد يشمخ بتحكمه فينا .

وقد احتفلت مصر فى الأسبوع الماضى بعيد وفاء النيل .

وجدير بنا فى هذه المناسبة أن نعرض صفحة مما نهضت به دولة زراعية ، فرفعت مستوى المعيشة فيها وأصلحت أراضيها وزعمت الأمم الزراعية قاطبة .

***

هذه قصة نهر عظيم فى الولايات المتحدة يدعى نهر تنيسى Tennessee استطاع الأمريكيون أن يتحكموا فيه بعد ما كان يكتسح المحصولات والغابات ويخرب البيوت ، فأمكن الانتفاع به إلى أقصى حد ممكن ودرء خطره الذى كان يهدد الدور والحقول على ضفتيه .

يمتد نهر تنيسى من الشرق إلى الغرب فى المنطقة الوسطى من الولايات المتحدة ، وهو لا يبلغ فى طوله مبلغ نهر النيل لأن طول النهر الرئيسى ١٠٤٠ كيلو متراً بينما يزيد طول النيل على ستة آلاف من الكيلو مترات . غير أن الأراضى الصالحة للزراعة فى وادى تنيسى تبلغ مساحتها ١٠٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع فى حين أن مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى مصر لا تزيد عن ١٣٫٦٠٠ ميل مربع . ونهر تنيسى ، على النقيض من نهر النيل الذى يخلو مجراه فى مسافة طولها ١٫٦٠٠ كيلو متر من الأنهار الفرعية ، غنىّ بمئات من الأنهار الصغيرة التى ترتفع فى الجبال فى هذه المنطقة من الولايات المتحدة . وحينما يهطل المطر الغزير

لأنفسهم أن ينتهكوا حرماتكم أو يسلبوكم حقوقكم ، أو ينتزعوا منكم دياركم وأموالكم ، بل عشتم وإياهم إخواناً متساوين فى الحقوق والواجبات ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى أو بعمل صالح .

لقد شيد العرب والمسلمون فى الأندلس حضارة قامت على دعائم الحكم الصالح والعلم النافع ، حتى صارت المنارة التى يشع منها نور المدنية والعرفان فى أسبانيا وسائر أنحاء أوربة ، فلم تنكرون عارفتهم ، ولم تجحدون فضلهم وهم أساس نهضتكم وقوام حضارتكم ؟

ألا فاتركوا للمراكشيين بلادهم ، وارفعوا عنهم نير استعبادكم ، واعلموا أنهم أباة أحرار لن يكفوا عن الجهاد ، ولن يرتضوا باستقلال بلادهم وحريتها بديلا ، ولسوف يبذلون كل مرتخص وغال ، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم حتى ينالوا حقوقهم ويكتب لهم النصر المبين

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

وعلى الجامعة العربية أن ترفع الصوت عالياً بالدفاع عن العروبة والإسلام فى تلك البلاد ، فإن حقوق العرب والمسلمين لا تتجزأ ، وهى واحدة فى كل مكان ، فمراكش والجزائر وغيرهما من البلاد المهيضة الجناح يجب أن تدخل فى نطاق الجامعة لترعى حقوقها وتذود جور الغاصبين عنها ليكون التعاون شاملا ، وعمل الخير عاماً يشمل العرب والمسلمين أجمعين

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

حسن أحمد الخطيب

فى الربيع ، تمتلئ هذه الفروع وتفيض على شطآنها . وكما أن نهر النيل يخلّف وراءه مقادير وافرة من الغرين يغذى التربة ويعززها ، فإن أنهر وادى التنيسى تخلف وراءها كذلك غريناً يهب الحياة للنباتات والغابات .

وكان موضوع ضبط نهر تنيسى والروافد التى تصب فيه أساساً لمشروع كبير يعرف اليوم باسم « إدارة وادى تنيسى »(١) وقد بلغ فى مايو الماضى العام الثانى عشر من حياته . وفى الواقع أن « الإدارة » مصلحة تابعة لحكومة الاتحاد . غير أنها تختلف عن سواها من المصالح الحكومية فى الولايات المتحدة لأن سلطتها تمتد إلى منطقة معينة من البلاد ، لا إلى البلاد بأسرها . والوادى الذى يشق نهر تنيسى طريقه فيه يقع فى أجزاء لسبع ولايات فى الجزء الأوسط من ولايات أمريكا المتحدة . وتلك الولايات هى : نورث كارولينا وفرجينيا وجورجيا وآلاباما ومسيسى وكنطكى وتنيسى . وما مشروع وادى تنيسى إلا لاستثمار موارد منطقة كانت الأمطار الغزيرة تفسدها وكانت الفيضانات الكثيرة لأنهر كثيرة تصب فى وادى تنيسى فتخر به وتزيل معالمه .

وفى مستهل المدة الأولى لرياسة الرئيس الراحل المستر فرنكلن روزفلت ، أثنى الرئيس على مشروع إنشاء إدارة وادى تنيسى وقال فى رسالته إلى الكونجرس فى ١٠ إبريل ١٩٣٣ : « إذا وفقنا فى هذا ، استطعنا أن نسير خطوة خطوة فى سبيل تحسين الموارد الطبيعية الأخرى الكبيرة داخل حدود بلادنا » . وبعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ ، وضع المستر روزفلت ستة مشروعات مماثلة لمشروع وادى تنيسى .

وتقوم مشروعات روزفلت السبعة جميعاً على مبدأ مشترك وإن اختلفت فى كيفية تطبيق هذا المبدأ فى المناطق المختلفة . ويتلخص المبدأ فى أن يطبق على مجال واسع وتتولى إدارته هيئة عامة تهدف إلى استغلال الموارد البشرية والطبيعية دون أن تتأثر بالميول الحزبية .

ويجرى نهر تنيسى وكمبرلند فى منطقة مساحتها ١٠٥,٠٠٠ كيلو متر مربع ، وعند منبع فى جبال سموكى وبلورج Smoky and Blue Ridge يصب نهر تنيسى من ارتفاع ٩٠٠ متر عن سطح البحر فى نقطة تنخفض إلى ٩٠ متراً فى ولاية كنطكى حيث يتصل بنهر أوهايو . ويصب نهر أوهايو بدوره فى نهر المسيسبى . ويقدر معدل هطول الأمطار فى السنة فى الوادى بنحو ١٣٢ سنتيمتراً ويبلغ الهبوط السنوى فى بعض الجهات ٢٠٠ سنتيمتر .

وفى يوم ١٠ ابريل ١٩٣٣ ألقى الرئيس روزفلت خطاباً فى الكونجرس – وقد أسلفنا الإشارة إليه – لخص فيه المزايا المنتظرة لمشروع وادى تنيسى فقال : « إن المشروع إذا نفذ بكليته سيؤدى حتما إلى فوائد جمة ؛ فتروى الحقول التى تصل إليها مياه الفيضان ، ويمنع تآكل التربة وتعاد زراعة الغابات ، ويؤدى إلى عدم إهمال زراعة الأراضى المتطرفة كما يؤدى إلى انتشار الصناعة وتنوعها . وبالإجمال فإنه يؤدى إلى استغلال جميع مرافق الولايات المتحدة لمصلحة الملايين من الأهالى فى جميع الولايات . كما أنه يبعث الحياة فى جميع مظاهر الحياة وكل ما يهم الإنسان » .

واقترح الرئيس لإنشاء إدارة وادى تنيسى إصدار تشريع لتأليف « هيئة لها سلطة كسلطة الحكومة وتتمتع بميزتى المرونة والتوثب شأنها فى ذلك شأن الهيئات الأهلية » . وقد وافق الكونجرس على مشروع قانون تأليف إدارة وادى تنيسى يوم ١٧ مايو ١٩٣٣ وذيله الرئيس روزفلت بإمضائه .

ونص فى ديباجة قانون إدارة وادى تنيسى على أهداف المشروع . ومن تلك الأهداف تحسين حالة الأراضى الزراعية والتحكم فى فيضان نهر تنيسى وإعادة زراعة الغابات واستغلال الأراضى المتطرفة فى الوادى وتحسين حالة الزراعة والصناعة فيه . وخولت لها سلطة نزع ملكية الأراضى لبناء السدود والخزانات ومحطات توليد القوى وغيرها من المنشآت . وخول لإدارة وادى تنيسى الحق فى بيع ما يفيض من القوة الكهربائية إلى الشركات والأفراد والهيئات المختلفة فضلا عن الولايات والمقاطعات ومجالس البلديات . وتكون الأولوية فى الشراء للولايات والمقاطعات ومجالس المديريات .

ويستخدم فى الوقت الحالى ٢١ سداً لضبط الماء فى نهر

(١) Tennessee Valley Ruthovity .

تنيسى . وقد نجحت تلك السدود فى جعل المنطقة مقراً ثانى محطة لإنتاج القوة فى الولايات المتحدة . وتتمتع ٨٥٫٠٠٠ مزرعة بمزايا الكهرباء ، أى بنسبة مزرعة واحدة تضاء بالكهرباء فى كل خمس مزارع ، وأصبح سكان الوادى يعيشون عيشة جديدة نسبة لاستعانتهم بالكهرباء . فأصبحت المزارع تستخدم المضخات الكهربائية بدلا من رافعات الماء الفطرية : (كالساقية والشادوف ...) وأصبح السكان يتمتعون بمزايا آلات تجفيف الطعام والثلاجات وتوفرت لهم آلات قطع الخشب وطحن البقول للماشية . وأصبح اللبن يوضع فى ثلاجات حديثة . وأضحى أعداد اللحوم وطهى الطعام لا يستغرق وقتاً طويلا . وأصبحت ربات المنازل يستطعن استخدام المدفآت الكهربائية وآلات كى الملابس الكهربائية وغيرها من الأدوات التى توفر الوقت والجهد والمال .

ولم تتجل آثار إدارة وادى تنيسى فى أى ميدان من ميادين الحياة كما تجلت فى ميدان الزراعة . فقد أمكن للادارة – بالتحكم فى مياه الفيضان والتغلب على تآكل التربة وتوفير مواد الفوسفات للتسميد – أن تجعل المزارع فى حالة رخاء لم يسبق لسكان الوادى عهد بها ، وأخذت المحصولات التى تسمى فى الولايات المتحدة « محصولات الزراعة » كالطباق والقطن والذرة مثلا أخذت تفسح المجال للبرسيم وفول الصويا وهما من المحصولات التى تكسب التربة غنى فى المواد العضوية . وأصبح من المألوف حرث الأراضى بالآلات التى تحرثها حرثاً منتظما يعمل على توقى تآكل التربة . وأخذ الفلاحون يقومون أفراداً بفلاحة سفوح التلال وإصلاح الأراضى البور . واستطاعت إدارة وادى تنيسى بمعاونة الهيئات الأخرى المتصلة بها أن تقنع الفلاحين فى الوادى بالإكثار من زراعة أنواع شتى من الخضروات لزيادة دخلهم وتمكينهم من شراء مزيد من الملابس وغيرها من ضرورات الحياة . واستطاع الفلاحون فى منطقة وادى تنيسى أن يستخدموا الكهرباء فى إدارة الآلات التى توفر العمال والوقت والمال . وشرعوا يتعلمون كيف يستطيعون توليد سلالات أفضل من الماشية وإنتاج أنواع ممتازة من الفاكهة والخضروات ، وهى جهود تهدف إلى إنتاج مواد منوعة غنية بالفيتامينات تقوّم صحة الفلاحين وعائلاتهم ، وتكسبهم مناعة وجلداً .

وانتشرت الصناعة فى الوادى بفضل إدارة وادى تنيسى . وزاد إنتاج الألومنيوم والمطاط والدقيق والمواد الكيميائية اللازمة للحرب كنترات النوشادر وهى مادة هامة فى صناعة المفجرات القوية ، واستغل فى أثناء الحرب الأخيرة ٧٥ فى المائة من قوى إدارة وادى تنيسى فى إنتاج المواد الحربية .

وأنشئت إلى جانب هذا المشروع الضخم مشروعات أخرى تتصل بالحياة اليومية لسكان هذه المنطقة فضلا عن مشروعات توفر قوى كهربائية رخيصة وتحسن وسائل الزراعة والإنتاج الصناعى ، وشيدت آلاف من المنازل الرخيصة وانتشرت المعاهد واتخذت وسائل مكافحة الملاريا ، ونظمت الهيئات الجماعية للتسلية ، وأسست هيئة كبيرة للعناية بصحة سكان الوادى عناية تامة .

وأصبحت إدارة وادى تنيسى نموذجاً حياً للتنظيم الإقليمى ولفتت أنظار العالم كله . فزارها رجال من جميع بلدان العالم من مزارعين ومهندسين جاءوا ليتخصصوا فى أعمال الإدارة . وسعى مهندسو إدارة وادى تنيسى إلى بلدان أخرى ليقيموا فيها مشروعات مماثلة أو ليعاونوا فى حل مشكلات الزراعة وتوليد الكهرباء فيها .

وفى يونيو ١٩٤٣ كتب المستر جوليان هكسلى العالم البريطانى والكاتب المعروف مقالا قال فيه : « إن فكرة إدارة وادى تنيسى على أساس إقليمى — كاستغلال نهر فى واد مثلا — أصبحت فكرة يدين بها العالم أجمع . وإن آراء الإدارة ووسائلها تعمل على إرشاد هيئات جديدة مماثلة ونحوها ... وأجريت دراسات لتمكين تنفيذ مشروع مماثل على نطاق دولى بدلا من النطاق الوطنى الضيق ، ومن شأن هذا المشروع الدولى أن يحد من سلطة دول العالم شأنه فى ذلك شأن إدارة وادى تنيسى التى تحد من سلطة الولايات وخاصة فيما يختص بالحقوق والحدود » .

وجاء فى ختام تقرير خاص يبحث فى موضوع الإدارة : « إن بيت القصيد فى مشروع وادى تنيسى ، أنه يوفر للرجال وسائل جديدة واقعية لاستخدام الموارد الطبيعية . كما أنه يهيئ لنا طريقة جديدة لمعالجة المشكلات المرتبطة بعضها ببعض الخاصة باستغلال الموارد الطبيعية التى تهم الجميع » .

وديع فلسطين

١ ـ نظرات
في دائرة المعارف الإسلامية[1]
الترجمة العربية
الأستاذ كوركيس عواد

تمهيد :

حينما يريد المؤرخ الأمين المنصف عرض أهم المصنفات المنقولة إلى العربية في عصرنا الحاضر ، واستقصاء أنفس ما طبع منها ، يجد في طليعتها « دائرة المعارف الإسلامية »[2] التي اضطلع بترجمتها من أصولها الفرنجية لجنة عاملة ، قوامها أربعة أساتذة وهبهم الله مزايا وخلالا حسنة كالصبر والمثابرة وبعد الهمة واستسهال الصعب

وإذا ما قيل « دائرة المعارف الإسلامية » ، فذاك يعني مجموعة كبيرة من المباحث ادخرت كنوزاً من العلم بشؤون البلدان العربية والإسلامية وبشعوبها وأديانها ولغاتها ورسومها ومشاهير رجالها وأهم أحداثها التاريخية وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والدينية . وبعبارة أخرى إن هذه الدائرة احتوت على كل ما يحسن الوقوف عليه في هذه المناحي الخطيرة الشأن ، فهي وحدها خزانة شرقية حافلة تشهد لمؤلفيها — وهم أقطاب الاستشراق في هذا العصر — بالاطلاع الواسع على ما يتعلق بالشرق وبالبراعة في الجمع والتأليف والدقة في التبويب والتصنيف

ولا مراء أن الإقدام على ترجمة سفر كبير كهذا يكون محفوفاً بصعاب لا يدرك مداها إلا من يعاني أمر الترجمة . وفي تذليل أغلب تلك ، تبات ما يحملنا على الإقرار بفضل هؤلاء الأساتذة المترجمين والاع .اف بما أفرغوه من جهد محمود في إتقان عملهم والسير به إلى الأمام ما وسعهم ذلك

بيد أنه لترامي أطراف الموضوع وتشعب مناحيه لا مناص من أن يحصل هنا وهناك بعض الهفوات ، أو تقع العين على ألفاظ مصحفة أو عبارات تفتقر إلى إيضاح أو تعقيب . وهذا كله لا يحط من قدر الترجمة ولا يغض من جهد المترجمين في شيء

وقد كنا وما زلنا نترقب صدور أجزاء هذه الدائرة الواحد تلو الآخر فنتلقفها ونطالعها بشوق . وكنا نعني بوجه خاص بالمباحث العراقية المنثورة فيها ، فنعلم على المواطن التي تحتاج إلى تأمل أو إعادة نظر في ترجمتها . ولما اجتمع لدينا من هاتيك اللاحظات ما يؤلف مقالا رأينا أن نستأذن المترجمين الكرام في نشرها اليوم إظهاراً للحقيقة التي هي رائد كل نفس كبيرة وإفادة لمن يملك نسخة من هذه الدائرة بترجمتها العربية

وقد صنفنا ملاحظاتنا هذه فجعلناها على أبواب خمسة وهي : أعلام الناس ، الأمكنة والبقاع ، الكتب والمراجع ، الأعداد ، اللاحظات المتفرقة . وسنسير في إيرادها وفقاً لسياقة المجلدات والصحائف ومن الله التوفيق

أولا : أعلام الناس

ورد في ١ : ٨١ ب ١٥[1] معن بن صاعدة . وصوابه معن ابن زائدة

وفي ١:٨٢ ا ٧ البيروتي (بالتاء) وصوابه : البيروني (بالنون) . وهذا من أوهام الطبع

وقد تصحف اسم القس ميخائيل «الغزيري» اللبناني الماروني (١٧١٠ — ١٧٩٤ م) غير مرة إلى « كازيري » (انظر مثلا ١ : ١٢٠ ا ٧ ؛ ١ : ١٥٢ ا ٦ و ١٩ ؛ ١ : ٢٤٥ ب ٧) وذلك لأن اسمه يكتب باللاتينية هكذا Casiri . وللوقوف على ترجمة الغزيري نحيل القارئ إلى مراجعة : الآداب العربية في القرن التاسع عشر للأب لويس شيخو اليسوعي (١ : ١٨) ، وما كتبه

(١) يرى بعض علماء اللغة في عصرنا ، وفي مقدمتهم العلامتان الأب أنستاس ماري الكرملي وأحمد باشا تيمور ، أن لفظة (معلمة) أكثر موافقة للمطلب من « دائرة المعارف » وبهذا الوجه يقال « المعلمة الاسلامية » راجع مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٤ [١٩٢٣] ص ٥٦ — ٥٨ و١١٦ — ٢١)

(٢) ظهر من هذه الترجمة العربية حتى كتابة هذه السطور ، أربعة مجلدات كاملة وعشرة أعداد من المجلد الخامس ، تسلسلت المواد في مطويها من « ا » إلى « تفليس » والعمل ما زال جاريا

(١) نريد بذلك : رقم المجلد ، فالصفحة ، فالحقل ، فالسطور ؛ من الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية .

الأب بولس مسعد فى مجلة المشرق (٣٤ (١٩٣٦) ص ٦٠١— ٦٠٤) .

وفى ١ : ٦٣، ب ٢٥ أبرديصان . والصواب : برديصان

وورد فى السطرين الأخيرين من ١ : ١٦٣ ب ما هذا نصه : « كان أبوه (أبو برديصان) يدعى نهامة وأمه تدعى نهشيران » والصواب : « كان أبوه يدعى نوحاما وأمه تدعى نحشيرام » . ونوحاما لفظة إرمية معناها البعث والنشور

وفى ١ : ٢١٧ ب ٩ عطاء مالك الجوينى . والصواب : عطاء ملك الجوينى ، على ما هو مشهور فى المظان التاريخية

ومن الغريب أن اسم الإمام أبى منصور « الثعالبى » قد صحّف إلى « الثعلبى » فى غير موطن (انظرمثلا ١: ٢٢٣ب ١٩؛ ٣ : ٤٧٣ ا ٥ ؛ ٣ : ٤٧٣ ب ١)

وفى ١ : ٢٥٥ ب ٢ ذكر « سوش الرسى » ، ولكن هذا الإسم ورد بصورة « سوسن الرسى » فى معجم البلدان (١ : ٧٢٣ طبعة وستنفلد ؛ مادة : بلغار) .

ومن هذا القبيل تصحيف اسم صدر الدين محمد « الخجندى » الى « الخوجندى » فى ١ : ٢٩١ ب ٢٤ . والخجندى (بخاء معجمة مضمومة ثم جيم مفتوحة وسكون النون ودال مهملة) نسبة الى خجندة ، مدينة بما وراء النهر على شاطىء سيحون (راجع معجم البلدان وكتب الانساب) .

وفى ١ : ١٣٠٧ ا ٢٢ ذكر « بنى كشير » . وصوابها « بنى قشير » راجع : أخبار النحويين البصريين للسيرافى (ص ١٥ طبعة كرنكو) ونزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى (ص ٧ من طبعة سنة ١٢٩٤ هـ) .

وذكر فى ١ : ١٣١١ ا ١ عن أبى بكر بن سعد بن زنكى أتابك فارس أنه من الأسرة « السلنغورية » . قلنا : الصواب أن تكتب « السلغرية » (بحذف الواو) وهم على ماجاء فى الكامل لابن الأثير (١٠ : ٢٣٨ طبعة تورنبرج ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ) قبيل من التركمان يقال لهم سلغر.

ومن الأعلام الشرقية التى أصابها التصحيف غيرمرة (انظرمثلا ١:٣٢٤ ا ١٦ ؛ ١:٣٢٤ب٢،٤:٥٧ ا ٣ و٢٢ و٢٧) هو هرمزد « رسام » الموصلى ، المتوفى سنة ١٩١١ ، الذى نزح الى انكلترة وأحرز شهرة بعيدة بين علماء الآثار العراقية ، وألف تصانيف مختلفة بالانكليزية (راجع ترجمته فى تاريخ الموصل لصائغ (٢ : ٢٧٤—٢٧٦) . قلنا : هذا الرجل الذى يكتب اسمه بالانكليزية H. Rassam قد تصحف فى الدائرة الى «رسم» وذلك فى المواطن المشار إليها أعلاه .

وفى ١ : ١٣٣٥ ا ١٣ لابن حيان . وصوابه : لأبى حيان . وكأن هذا من أغلاط الطبع .

وفى ١ : ٤١٣ ب ٩ ؛ ١ : ١٤١٥ ا ٣ ديوان أبى نواس طبعة آصف . والذى نرى على غلاف الطبعة المذكورة من الديوان : آصاف

وقد وقع نظرنا فى ١ : ١٤٢١ ا ٢٥ على اسم « منيلوس » . قلنا : عرف اسم هذا العالم الرياضى اليونانى فى المراجع العربية القديمة بصورة «منالاؤس» أو«منالاوس» راجع: الفهرست لابن النديم (ص ٢٦٧ طبع ليبسك أو ص ٣٧٤ طبع القاهرة) ، وأخبار الحكماء للقفطى (ص ٣٢١ طبع ليبسك) وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى (ص ٦٤ طبعة صالحانى) ، وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للحاج خليفة (١ : ٢٩٠ طبعة ليبسك ، أو ١ : ١٣٤ طبعة استانبول الأولى ، أو ١ : ١٤٣ طبعة استانبول الثانية) .

وفى السطر الأخير من ١ : ٥٠٤ ب ورد اسم « البرازلى » وصوابه : البرزالى . وغالب الظن أنه من أوهام الطبع .

وقد وجدنا طائفة من أسماء المؤلفين الفرنج قد أصابها التشويه من ذلك (١ : ١٥٣٠ السطر الأخير) ريتر O. Ritter والصواب روتر O. Reuther وكذلك (١ : ١٥٣١ ا ١٨) Neibuhr صوابه Niebuhr .

ومن الأعلام الشرقية التى لم تسلم من التصحيف ماذكر فى ١ : ١٥٤٨ ا ٥ باسم « جبرييل سيونيتا » وصوابه : جبرائيل الصهيونى ، وهو كاهن مارونى من قرية اهدن فى لبنان . عاش سنة ١٥٧٧—١٦٤٨ م . وقد ترجمه الأب أغناطيوس طنوس ، فى المشرق (٣٨ «١٩٤٠» ص ٢٥٣ ـ ٣٠٤) .

ونظيره فى إبعاده عن اسمه الحقيق « يوحنا الحصرونى » (نسبة الى حصرون من قرى لبنان) المتوفى سنة ١٦٣٢ م ، فقد

تصحف اسمه فى الدائرة (١:٥٤٨ ا ٦١) الى « جون هسرونيتا » .

وفى ١ : ٥٧١ ا ١٦–١٨ وردت العبارة التالية : « كما انه حكمها (حكم مدينة إربل فى العراق) ابان الساسانيين حكام استطاعوا أن يستقلوا بحكمها فى فترات متفاوتة ، نذكر منهم قردغ الذى اتخذ حصن ملقى القريب من إربل مقراً لهم » .

قلنا : الصواب فى «قردغ» ان يكتب « قرداغ » وهو أحد مشاهير شهداء المشرق فى العهد الساسانى ، قتل سنة ٣٥٩ م . وللوقوف على ترجمته وأخباره يرجع الى المؤلفات التالية : أعمال الشهداء والقديسين (بالإرمية ٢ : ٤٤٢–٥٠٦ طبعة بيجان فى ليبسك) ؛ وشهداء المشرق لأدى شير (١ : ٣١١–٣٤٥) ؛ وتاريخ كلدو واثور لأدى شير أيضاً (٢ : ٨٧–٨٨) ؛ وبزداندوخت لصائغ (ص١١١_١٢٤،١٩٢_٢٠٢،٣٠٠_٣٠٨) و Duval: La Litterature Syriaque (P. 138) و Labourt: Le Christianisme dans L'empire Perse Sous La Dynastie Sassanide 224 - 632 (P. 49) .

وفى ١ : ٥٧١ ب ٧ مظفر الدين قكبرى . وهو تصحيف ظاهر . والمشهور فى الكتب التاريخية : مظفر الدين كوكبورى فقد ضبطه ابن خلكان (وفيات الأعيان ١ : ٦٢٤ طبعة بولاق الأولى) بضم الكافين بينهما واو ساكنة ثم باء موحدة مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها راء ، وقال إنه اسم تركى معناه بالعربى ذئب أزرق . ولم ينفرد ابن خلكان بهذا الضبط ، بل تابعه فيه غير واحد من المؤرخين ، راجع فى ذلك : تاريخ أبى الفداء (٤ : ٣٩٨ طبعة ريسكى، أو ٣ : ١٥٣ طبعة الحسينية بالقاهرة) والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى (٥ : ٣٧٨ و ٦ : ٢٨٢ طبعة دار الكتب المصرية) ، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى (٥ : ١٣٨) .

على ان هذا الاسم ورد فى بعض المراجع الأخرى بحذف واوه الثانية ، فقيل « كوكبرى » . راجع : فهارس الكامل لابن الأثير وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى (ص٤٠٤) والحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة لابن الفوطى (ص ٤٤ طبعة الدكتور مصطفى جواد) ، والبداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير(١٣ : ١٣٦) والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى (١ : ٢٤٧ طبعة الدكتور محمد مصطفى زيادة) .

وقد قرأنا فى ١ : ١٧٥٣ ا ١٠–١٥ ما هذا نصه : « وهناك مصنف يتعرض لأهمية إربل فى تاريخ بلاد الشام (كذا) الدينى قبل الاسلام ، صنفه كنسى من أسقفية إربل ، ونشره منجانا A. Mingana فى Sources Syriagues جـ ١، ليبسك ١٩٠٨ ودرسه ساخو Sachau فى Abh. der Berl. Akad. D. wissensch ص ١٩١٥ رقم٦ » انتهى .

قلنا : فى هـــذه الأسطر المنقولة أمور تحتاج الى تعديل أو إيضاح .

فلفظة « بلاد الشام » لامعنى لها هاهنا ، وهى فى الأصل الفرنسى La Syrie وهى على مايبدو لنا مصحفة عن L' Aassyrie أى بلاد آثور ، فهو مطابق للمطلب .

أما هذا الرجل « الكنسى » الذى صنف الكتاب المشار اليه ، فقد ذهب ناشره الى انه « مشيحا زخا » النسطورى ، ولكن بعض الباحثين من المستشرقين شكوا فى صحة أدلته فلم يوافقوه على رأيه .

وأما « منجانا » فحرف أيضاً . واسمه الصحيح القس (ثم الدكتور) ألفونس « منكنا » ، وهو امرؤ عراقى ولد فى قرية شرانش من أعمال الموصل فى شمالى العراق ، وبعد أن أنهى دروسه فى الموصل وعاش فيها مدة ، نزح الى انكلترة فلبث هنالك حتى توفى سنة ١٩٣٧ .

والمصنف التاريخى المشار إليه لم ينشر فى ليبسك كما ورد فى الدائرة ، انما نشر (بنصه الإرمى منقولا الى الفرنسية) فى مطبعة الدومنكان بالموصل وأمره مشهور. كما ان سخو Sachau لم يدرس هذا الكتاب فحسب ؛ بل نقله أيضاً الى الألمـــانية بعنوان Chronik von Arbela . أما الرقم ١٩١٥ المذكور فى الفقرة المنقولة أعلاه ، فلا يدل على الصفحة ، إنما يدل على سنة طبع تلك الترجمة الألمانية .

(يتبع) كوركيس عواد

فى بيتى ...

أصدرت كتب العقاد (١)

للأستاذ عبده حسن الزيات المحامى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

فإذا سأله صاحبه وهو يحاوره — وأكبر ظنى أن هذا الصاحب ليس إلا العقاد نفسه أو شخصية اختلقها من خلقه على غرار ذاته —: « وكيف توفق بين الوجود الأمثل وبين الشرور والآلام فى هذه الحياة ؟ » انفلت من هذا المأزق بقوله : « هذا سؤال غير يسير ، لأننا نحن الفانين لن نرى إلا جانباً واحداً من الصورة الخالدة فى فترة واحدة من الزمان ، ومن يدرينا أن هذا السواد الذى يصادفنا هنا وهناك هو جزء لازم للصورة كلزوم النقوش الزاهية والخطوط البيضاء ؟ بغير الألم والخسارة ما الفرق بين الشجاع والجبان وبين الصبور والجزوع ؟ » فإذا حلّق عليه مجادله بهذا السؤال المحير الخالد : « أليس عجزاً أن نشقى وفى الوسع ألا نشقى ؟ أليس عيباً أن نقصر عن الكمال وفى الوسع أن نبلغ الكمال؟ » لاذ المؤلف بإجابة صوفية « كلامية » فقال : « وكيف يكون فى الوسع أن يكمل المتعددون ؟ إنما يكون الكمال للواحد الدائم الذى لا يزول » ولكن صاحبه يضيق ذرعاً ويثور ثورة الإنسان فى ضعف إنسانيته : « قل ماشئت ، فليس الألم ممايطاق ، وليس الألم من دلائل الرحمة وآيات الخلود الرحيم » . فيطامنُ المؤلف من ثورته ويسكب عليها شآبيب الهدوء : « إن هذا لصحيح إذا كانت حياة الفرد هى نهاية النهايات ، وهى القياس كل القياس لما كان وما يكون . لكن إذا كانت حياة الفرد عرضاً من الأعراض فى طويل الأزمان والآباد — فما قولك فى بكاء الأطفال؟ إن الأطفال أول من يضحك لبكائهم حين يعبرون الطفولة ، وإنهم أول من يمزح فى أمر ذلك الشقاء ، وليس أسعد الرجال أقلهم بكاء فى بواكير الأيام ... يا صاحبى هذا كون عظيم ، هذا كل ما نعرف من العظم ، فإذا لم نسعد به فالعيب فى السعادة التى ننشدها ، ولك أن تجزم بهذا قبل أن تجزم بأن العيب عيب الكون وعيب تدبيره وتصريفه وما يبديه وما يخفيه . ولك أن تنكر منه ما لا تعرف ، ولكن ليس لك أن تزعم أنه منكر لأنه مجهول لديك »

(١) ظهر للعقاد بين كتابة هذا المقال ونشره كتاب جديد عن بلال

وعلى هذا النحو الصعب الذى يثير ملكات التفكير والنقد يقطع السائح أكثر رحلته وراء « ريس » معتز بقدرته ، واثق من نفسه ، يأبى إلا أن يقتحم قلل الصخور اقتحاماً ، ولو كانت عنها ندحة من طريق سواء وسط ريح رخاء . على هذا النحو يعرض لفلسفة النسك ، ويعرض للماركسية ودعوتها العامية ، ويعرض للنازية والفاشية والشيوعية ، ثم يضرب بسهم واحد هذه الفلسفة الماركسية وهذا المذهب الشيوعى حين يقول : « فإن كان للنبوءات الماركسية فضل بعد هذا فى ثورة الروس ، فذلك هو الفضل المعكوس ، لأن المؤمنين بها حاولوا تطبيقها كما آمنوا بها ، فضيعوا عشرين سنة فى هذه التجارب المخيبة ، وضاعت معها ملايين الأرواح التى فنيت بالسلاح أو فنيت بالقحط والوباء ، ثم آل بهم الأمر إلى إقرار ما أنكروه وحاربوه وقتلوا الملايين من أجله ، وهو اقتناء الملك وإيداع المال فى المصارف وتوريث الأبناء وإباحة الفروق فى المعاش وإعلان العصبية الوطنية »

ولا يلهيه هذا عن التنديد بالجشع الذى يتملك بعض الرأسماليين وينتهى إلى التبشير بالتعاون ترياقاً وحيداً ، وهو « التعاون بين الأمم كبارها وصغارها ، والتعاون بين الطبقات غنيها وفقيرها ، والتعاون بين السلطات والتعاون بين الأفراد » . ومن قبل رأينا العميد « ديجى » يعتنق مذهب التضامن الاجتماعى ويتخذه أساساً لكل تشريع ، ولا يرى للفرد إلا حقاً واحداً ، هو أن يمكن من أداء واجبه فى تحقيق هذا التضامن

وبمثل هذا الدرس والتقصى يعالج العقاد مذاهب التصوير ، ويتناول الإحساسيين باللوم المرير ، وهذا إن لم تخنى الذاكرة رأى له قديم سبق أن أبداه منذ نحو خمس عشرة عاماً فى بعض « ساعاته بين الكتب » أو « مطالعاته »

— ٢ —

وثانية الملاحظات التى أحب أن أدونها أنى شعرت وأنا أقرأ هذا الكتاب شعوراً قوياً بأن العقاد محام من الطراز الأول لمحامى المذكرات المتفوقين ؛ وقوته فى المحاجة ، ومصارعة الخصم تظهر على أتمها فى القضايا الصعبة حين يكون مركزه أضعف المركزين ، أو حين تكون النقطة التى يدافع عنها دقيقة مفتقرة إلى مجهود جبار فى التجلية والبيان . إنه لم يحتج إلى عناء كثير لكى ينتصر

على الدعوة الماركسية والمذهب الشيوعى ، ولا احتاج إلى عناء كبير لكى يبرهن على الفشل الختامى للطريقة التى اتبعتها النازية والفاشية لحل أزمة البطالة بإنشاء طوفان من صناعات الحرب ، ولكنه كان محتاجاً إلى قوته الجدلية « فوق العادية » فى مواقف أخرى كموقفه من أسئلة صاحبه المحرجة عما وراء الطبيعة وسر الوجود ، وموقفه فى الدفاع عن البومة المسكينة التى ظفر لها لأول مرة فى التاريخ بحكم البراءة من تهمة النحس اللاصقة بها على الأجيال ، وموقفه إزاء اعتراض صاحبه حين استمع إلى المفاضلة بين جمال الدين ومحمد عبده : قال العقاد إن الأول أعظم أثراً وإن الثانى أعظم نفساً . فسأله صاحبه بمَ ، فأجاب «بالإيثار» فقال مدهشاً : « ومحمد عبده الذى تسنم المناصب ولم يحرم نفسه متعة الأبوة والزواج أعظم إيثاراً من جمال الدين ؟ » إن الاعتراض قد أصاب المحز وظن القارئ أن المحامى قد أسقط فى يده ، ولكن المحامى القدير مستعد بالجواب : « قلت : قد تكون العزوبة مزيداً من الاعتداد بالشخصية ، وقد تكون الأبوة مزيداً من الإيثار »

— ٣ —

وإذا كنت قد أحسست فى بعض المواضع أنى أمام محام قدير فإنى قد أحسست فى مواضع أخرى أنى أمام قريحة فقهية متمكنة ، فإن من خير مزايا الفقيه أن يميز بين المتشابهات ، فلا تنبهم عليه الأمور حين تتشاكل . هذا الإحساس الدقيق بالفروق الناعمة ثم هذه القدرة الجبارة فى تجلية الفروق و « تجنيب » كل مشتبه على حدة ، هما أمران يطالعاننا فى مواضع كثيرة من الكتاب وحسبى أن أسوق أمثلة وأشير إلى أخرى : استمع إليه حين ينحى صاحبه باللائمة على الموسيقى الشرقية لأنها لا تصور المعانى ويندفع إلى حيث يقول : « إنما يسوغ التعبير الموسيقى فى معانى المذاهب الفلسفية عند طبائع الغربيين ولا يسوغ عند طبائعنا نحن الشرقيين » . فيجيبه العقاد : « لا أحب أن أظلم الطبائع الشرقية ولا أود أن أفرد الطبائع الغربية دون سواها بتلك الفضيلة ، فإن الموسيقى الغربية لم تكن من قديم الزمان على هذا الطراز الذى نسمعه من بتهوفن وأمثاله . ولعلنا نقترب إلى الإنصاف وندنو من التحقيق حين نقسم الموسيقى إلى منهجين يختلفان باختلاف الذوق والبديهة ولا نقسمها إلى إقليمين جغرافيين بين أناس فى الشرق ، وأناس فى الغرب ، أو أناس فى الشمال ، وأناس فى الجنوب » .

ثم استمع إليه يبين فضل عظماء الموسيقى إلى جوار عظماء السياسة والاجتماع : « لا تحسبنه حتماً لزاماً أن يكون زعماء الاجتماع أو السياسة أعظم من زعماء الفنون ، لأن المعول على الكفاءة اللازمة للعبقرية لا على أثرها فى مواطن الجاه والسلطان ، وليست حاجة الناس إلى الشىء هى مقياس العظمة فيه لأن الناس يحتاجون إلى سنابل القمح ويستغنون عن اللؤلؤ والزمرد » .

ثم تأمل حواره مع صاحبه فى دلالة المطبخ على الأخلاق والتمييز بين « المطبخ الذى يستخدم للغذاء والذى يستخدم للذة الطعام » وتأمل تحديده لكنه التعصب الوطنى المقبول من الفنان وتمييزه بين التشاؤم البانى والتشاؤم السلبى الهدام .

— ٤ —

ومما يأخذ نظر القارئ لهذا الكتاب وفرة الصور المادية التركيبية التى يستغلها المؤلف للإيضاح والإقناع كقوله : « أليس الذين يتعجلون النعم ، فيخيل إليهم أن ازدحامها خير من تفرقها وأجمع لمحاسنها يخطئون كما يخطئ الذين يتعجلون النغم فيحسبون أن مائة لحن فى وقت واحد خير من اللحن الفرد وأوفى ؟ شىء واحد فى وقت واحد ، وجميع الأشياء فى جميع الأوقات ، وهذا هو نظام العيش وقوام الجمال فى كل نفع وكل سرور » .

ومن هذا القبيل قوله فى معرض الفصل بين عبقرية كاتب القصة أو « الرواية » على حد تعبيره المستحدث وبين مقدار محصوله فى الرواية : « إن الحديقة التى تنبت التفاح لا يلزم أن تكون فى خصبها ووفرة ثمراتها أوفى من الحديقة التى تنبت الجميز أو الكراث ، ولكن الجميز والكراث لا يفضلان التفاح وإن نبتا فى أرض أخصب من الأرض التى تنبته وتزكيه » .

ونشير إلى مثل ثالث دون أن نقتبسه وهو مثل القطار المندفع إلى هاوية يصلها بعد زمن محسوب . وقد مثل بهذه الصورة للنتيجة الحتمية التى زعمها المذهب الماركسى ، ولكن فى هذا المثل تهكما عقادياً لاذعاً وسخرية قاتلة نقابلها مرة أخرى فى هذا الحوار الخيالى البديع الذى افترض الكاتب وقوعه بين خريستوف كولمبوس ، وبين موظف المكتب الشيوعى حين يستأذنه فى

الخروج لرحلة الكشف .

— ٥ —

ولكني أتأمل فيما كتبت فلا أجد إلا مدحاً وتقريظاً . ولقد عرف قاسم أمين قضاة حكموا ظلماً ليشتهروا بين الناس بالعدل فإن ركبت شيئاً من الحيف فليس طلباً لسمعة العدل وإنما هروباً من تهمة المحاباة . فلتدقق إذن عين النقد لعلها أن تظفر ببعض اللُّـقَى :

ا — لقد عرض المؤلف لقدرة الأمم على العمل والقول وقرر بحق أنه « لا تناقض بين القدرتين » ثم أرسلها قضية عامة حاسمة فقال : « إنه لم توجد قط أمة عرفت كيف تعمل إلا عرفت كذلك كيف تقول » فهل النسبة محفوظة دائماً بين القوتين ؟ ولقد ضرب الأستاذ مثلا من أمة الإنجليز فقال إنهم فى العصور الحديثة أطبع الأمم على مراس الواقع والعناية بالفكر العملى والخلائق العملية » ومع ذلك « فليس هناك أمة من جيرانهم ومنافسيهم سبقتهم فى مضمار الشعر ، وأنجبت نصف من أنجبوه من عباقرة الشعراء » .

ولا اعتراض لى على هذا المثل ولكن ما الرأى فى أمة اليابان ؟ أترى عندها من « منتجات القول » ما يتكافأ وما عندها من منتجات العمل ؟ وإذا وازنا بينها وبين الصين والهند من هذه الناحية فهل نصل إلى حل يعزز الأمثلة التى أوردها الأستاذ ؟

ب — وأمر آخر : لقد سبق إيراد المفاضلة بين الأفغانى ومحمد عبده ، ولكن المؤلف لم يقم الحجة فى كتابه على هذا الترجيح أى ترجيح الثانى من جهة العظمة النفسية ، وحين سيق إلى المؤلف اعتراض صاحبه الوجيه تخلص منه مجرد تخلص بارع ولكنه لم يهدم قوة الاعتراض . وأنا أعلم أن الرحلة سريعة وأن حيز الكتاب ضيق ، وأن الأستاذ المؤلف يود أن يخرج كتاباً مطولاً عن محمد عبده ، ـ ولكنى أرى بالرغم من ذلك كله أن واجب الإنصاف لشخص جمال الدين كان يقتضى المؤلف الإدلاء بحجته ما دام قد عرض للأمر وأدلى فيه بحكم .

ولم يفضل المؤلف محمد عبده من هذه الناحية على الأفغانى فقط ، ولكنه فضله كذلك على سعد زغلول . وإنى لأحس فى دخولى بين سعد والعقاد فضولا لخسب؟ والعقاد كتابه الخالد عن سعد ، ولكنى مع ذلك ظللت من الوجهة العلمية جاهلا بحيثيات الحكم فغير مسلم به . هل يكتب لهذا الاعتراض أن يكون استحثاثاً للأستاذ الكبير أن يسرع فى إخراج كتابه عن الأستاذ الإمام فنقرأ فيه بيان هذا التفضيل ؟

حـ — وعرض الأستاذ للتفسير السيكولوجى لمؤيدى الشيوعية فرد تأييدهم إلى الحسد والحقد وفسر بذلك أن « يكون فلان من الشيوعيين وهو سليل بيت قديم وصاحب مال موفور فإنه يحسد أمثاله وينقم على الدنيا لأنه لا يحسب فيهم حين يحسب ذوو الكلمة أو ذوو الرأى أو ذوو المنصب والجاه » ـ وهذه نظرة صائبة دقيقة ولكنها لا تفسر لنا شيوعية بعض الناجحين الذين طالوا من المجد والمال وبعد الصوت والنفوذ ما يحسدهم عليه أناس أجدر منهم ، ثم لا يكون الحاسد شيوعياً ، ويكون المحسودون شيوعيين . وأغلب الظن أن هؤلاء يتاجرون ليصبحوا أدنى إلى أفئدة الجماهير ومهوى قلوب وأصوات الجماعات فهى نزعة ديماجوجية يراد بها مزيد من الشهرة وفضل جديد من السلطان .

ء — وقد سبق إيراد المثل الخاص بسنابل القمح واللؤلؤ . ولكن نفاسة اللؤلؤ ليست نفاسة ذاتية وإنما هى نفاسة نسبية وعرضية مردها الندرة ؛ فلو أصبح اللؤلؤ فى كثرة السنابل فما أظنه يحتفظ بنفاسته الحالية ، ولو أصبحت السنابل فى ندرة اللؤلؤ لجاز أن تظفر بمثل نفاسته .

هـ — ونعى على القصص والروايات قلة محصولها مع كثرة أدائها ، ومثل ببعض الصور الرائعة التى تضمنها بيت واحد من الشعر « وأن خمسين صفحة من القصة لا تعطينا مثل محصوله » .

وليس لى ما ألاحظه فى هذا الشأن إلا أنه غير منطبق على نوع خاص من الأقاصيص يضخم مغزاه ويكثر محصوله فى حين أن أداته قصيرة قليلة كخرافات « إيزوب » و « لافونتين » .

و — وهذا الانتقاد الختامى لا أعرف إلى من أتوجه به ، فإن الأخطاء المطبعية كثيرة وقد أصبحت كالبقعة وسط هذا الكتاب القيم النفيس ووسط هذا الورق الأنيق ؛ لقد أحصيت بين صفحتى ٩٠ و ١٣٢ نحواً من اثنتى عشرة غلطة ، وليس هذا نقصاً كبيراً ولكنه نقص فى حق القادرين على التمام .

عبده حسن الزيات

المحامى

القصة عنـــد العقاد

للأستاذ نجيب محفوظ

الفن — أياً كان لونه وأياً كانت أداته — تعبير عن الحياه الإنسانية ، فهدفه واحد وإن اختلفت كيفية التعبير تبعاً لاختلاف الأداة ، وكل فن فى ميدانه السيد الذى لا يبارى ، فى عالم اللون التصوير سيد لا يعلى عليه ، وفى دنيا الأصوات الموسيقى سيد لا يدانى وهكذا ، فالفنون جميعاً تتفق فى الغاية وتتساوى فى السيادة كل بحسب مجاله ، وهى فى مجموعها تكون دنيا الأفراح والمسرات والحرية ، حيث يعيش أبناؤها على وفاق ومحبة وتعاون ، لا يكدر صفوهم مكدر إلا أن يتصدى رجل كبير كالعقاد لدنياهم المطمئنة ، فيرمى بحيرتها الساجية بحجر ثقيل يطين رائقها ، ويبعث الثورة فى أطرافها ، فيقول : إن هذا اللون من الفن راق وذاك منحط ، هذا عزيز وذاك مبتذل ، يقول هـذا وهو أعلم الناس بالفنون ، وأحبهم لها ، وأحقهم بأن يعرف لـكل قدره ومنزلته . ولن يفيد الفن شيئاً من تحقيره لبعض أنواعه ، إلا أن يغضب قوماً أبرياء يحبون الحق كما يحبه ويولعون بالجمال كما يولع به ، ويبذلون فى سبيل التعبير عنه كل ما فى طاقتهم من قدرة وحب . وعسى أن يقول قائل : إن العقاد ما قصد التحقير ، ولـكنه مفكر وله الحق كل الحق أن يرتب الفنون عامة أو فنون الأدب خاصة كيفما يرى . وهذا حق فى ذاته ، ولـكنى فى هذه القضية رأيت العقاد الخصوم يتغلب على العقاد الناقد . انظر إليه وقد لاحظ حواريه « فى بيتى العقاد » صغر نصيب القصص من مكتبته فأجابه قائلا : « ... لا أقرأ قصة حيث يسعنى أن أقرأ كتاباً أو ديوان شعر ، ولست أحسبها من خيرة ثمار العقول » . فالرجل الذى لا يقرأ قصة حيث يسعه أن يقرأ كتاباً أو ديوان شعر ليس بالحـكم النزيه الذى يقضى فى قضية القصة . والرجل الذى يلاحظ على مكتبته صغر نصيبها من القصة ينبغى أن تكون القصة آخر ما يرجع إليه فى حكم يتصل بها . بل إنه يفضل النقد — لا الشعر والنثر الفنى وحسب — على القصة . والمعروف أن النقد ميزان لتقويم الفنون ، فـكيف يفضل على أحدها ؟ ! وهل تنزل القصة هذه المنزلة عند شخص إلا إذا كان لها كارهاً وعليها حاقداً ؟ ! فحكم العقاد على القصة حكم مزاج وهوى لا حكم نقد وفلسفة . بيد أنى أريد أن أتناسى ذلك ، وأريد أن أنظر نقده بعين مجردة ، لأن لـكلام العقاد قيمة خاصة عندى ، ولو كان مصدره المزاج والهوى

قال العقاد لصاحبه وهو يحاوره : « ... إننى أعتمد فى ترتيب الآداب على مقياسين يغنيانى عن مقاييس أخرى ، وهى الأداة بالقياس إلى المحصول ، ثم الطبقة التى يشيع بينها كل فن من الفنون ... ما أكثر الأداة وأقل المحصول فى القصص والروايات؟ إن خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذى يعطيكه بيت كهذا البيت :

وتلفتت عينى فمذ بعـدت عنى الطلول تلفت القلب

إلى أن قال : « أما مقياس الطبقة ... فلا خلاف فى منزلة الطبقة التى تروج بينها القصة دون غيرها من الفنون الخ »

هذان هما القياسان اللذان قضىَ بهما العقاد على القصة بالهوان وما هى القصة ؟ هى سيدة فنون الآداب دون منازع لثلاثة قرون خلت من أزهى عمر البشرية ، هى الفن الذى جذب إليه أكبر عبقريات الأدب فى جميع الدنيا المتحضرة المثقفة . فما حقيقة هذين المقياسين ؟

أما عن الأداة والمحصول ، فالحق أنهما شىء واحد فى كل فن رفيع ، ففى الشعر الجيد كما فى القصة الجيدة تتحد الأداة والمحصول ، وهذا يتفق ومعنى البلاغة الذى يقول فيه الزيات : « إنها هى البلاغة التى لا تفصل بين العقل والذوق ولا بين الفكرة والـكلمة ولا بين الموضوع والشكل » . ذلك المعنى الذى أعجب به العقاد أيما إعجاب (الرسالة رقم ٦٣١) . ففى الفن الجيد — قصة كان أو شعراً — ينمحى التنافر بين الأداة والمحصول ، فإذا زادت الأداة على المحصول فذلك شاهد ضعف أو ركاكة قد يعتوران الشعر كما قد يعتوران القصة ، ولـكنه ليس صفة ملازمة للقصة دون غيرها من فنون الأدب ، فهذا القياس نافع للتمييز بين الجيد والردئ من آيات الفن الواحد ، لا للموازنة بين الفنون المختلفة ، لأن كل فن فى ذاته يشترط الانسجام الـكلى بين أداته ومحصوله . إذاً كيف يرى العقاد كثرة الأداة وقلة المحصول صفة ملازمة للقصة ؟ ! لا أجد لذلك تفسيراً إلا إذا كان العقاد يعد التفاصيل فى القصة زيادة فى

الأداة ، وإلا إذا كان يعتبر القصة عملا أدبياً مطولا ذا مغزى يمكن تلخيصه فى بيت واحد من الشعر . وهذا تفسير عجيب إن صح . فالقصة لا ترمى لمغزى يمكن تلخيصه فى بيت من الشعر ، ولكنها صورة من الحياة ، كل فصل منها يمثل جزءاً من الصورة العامة ، وكل عبارة تعين على رسم جزء من هذا الجزء ، فكل كلمة وكل حركة تشترك فى إحداث نغمة عامة لها دلالتها النفسية والإنسانية ، وكل جملة — فى القصة الجيدة — تقرأ وتستعاد قراءتها ولا يغنى عنها شىء من شعر أو نثر . ولا تحسبن التفاصيل فى القصة مجرد ملء فراغ ، ولكنها ميزة الرواية حقاً على فنون القصة الأخرى وفنون الأدب عامة . وهى لم توجد اعتباطاً ولكنها جاءت نتيجة لتطور العصر العلمى العام ، فالعلم هو الذى وجه الانتباه للأجزاء والتفاصيل ، بعد أن ركزته الفلسفة طويلا فى الكليات . اكتشف العلم لكل جزء من أجزاء المادة — حتى الذرة — حياة وأهمية ، وبدت آثار هذه النزعة العلمية فى عالم الآداب فى عناية الرواية بالتفاصيل ، لم يعد الأدب يكتفى بتحضير الأقراص المركزة ، وأدرك أن التفاتة أوفلتة لسانية أوحال إنسان وهو يتناول طعامه ، كل أولئك أمور لها دلالتها النفسية وتعبيرها الصادق عن الحياة . ومن عجب حقاً أن العقاد يعلم ذلك كله ، وأنا أذكر أنه كتب مرة — لا أدرى متى ولا أين — عن توماس مان ، فأشار إلى تفاصيله الدقيقة فى رواياته وبراعتها فى الدلالة والتأثير ، فكيف يساوى بيت من الشعر خمسين صفحة من قصة ؟ بل هل نغالى إذا قلنا إن صفحة من قصة تحتاج لعشرات البيوت من الشعر لتحيط بدقائقها وجمالها ؟ ! خذ مثلا هذا البيت من الشعر الذى استشهد به العقاد « وتلفتت عينى ... » ولنفرض أننا نريد أن نستوحيه أقصوصة ، فماذا نصنع ؟ أما الشاعر فقد تصور المعنى وليس هو بالبعيد المنال وصبه فى هذا القالب الجميل . أما القاص فينبغى أن يتصور إلى ذلك ذكراً وأنثى ، ويتخيل لكل منهما نموذجاً بشرياً خاصاً ، وعليه أن يصور زماناً ومكاناً ، وموقف وداع ، تارة محسوس تلتفت فيه الأعين ، وتارة معنوى يتلفت فيه القلب . فليس هذا العرض هو نفس البيت ولا أكثر ، ولكن العلاقة بينهما كالعلاقة بين الشجرة النامية ذات الزهر والثمر والبذرة الضئيلة . لقد رمى بعض المتعصبين للأجناس العرب

بضعف الخيال والعجز عن الإبداع والتحليل والتفصيل والاكتفاء بتصور المعانى وتركيزها ، فهل يريد العقاد أن يؤيد هذه الأقوال الجائرة ؟ ! والواقع أن الإبداع الفنى لا يتمثل فى عمل أدبى كما يتمثل فى أدب القصة . ولذلك اتخذ أغلب السفر الخالد صورة من صور القصة كالملحمة والتمثيلية . هذا بعض ما يقال فى المقياس الأول

وأما المقياس الثانى ، فهو مقياس الطبقة ، يريد العقاد أن يقول : إن القصة تنتشر فى طبقة لا يتنازل إليها الشعر ، وإذاً فالشعر أرق من القصة . وهذا قول وجيه من الظاهر ! ولكنه لا ينطوى على شىء خطير ، فمجرد انتشار فن فى طبقة لا يدل على شىء ما لم نبحث أسباب انتشاره . فالموسيقى تنتشر فى جميع الطبقات حتى بين الأميين ، فهل يقال إن النحت مثلا أرقى منها لأنه لا يكاد يتذوقه إلا رواد المتاحف ؟ ! ثم ما هى القصة المنتشرة حقاً ؟ أليست هى قصة الجريمة والمخاطرة والغرام المبتذل ؟ وكل أولئك ليس من القصة الفنية فى شىء . القصة الفنية — كما يعلم الدارسون لهذا الفن — حكاية تروى كالقصة المبتذلة ، إلا أنه يشترط فيها أن تعرض فى ثنايا روايتها قيمة إنسانية أو أكثر كتصوير الشخوص وتحليل النفس والشاعرية والفكاهة والمعانى الفلسفية والآراء الاجتماعية ، بل من القاصين المحدثين من يستهين بالحكاية ويقنع بالقيم ، فإذا خلت القصة من هذه القيم ، فهى حكاية وليست قصة فنية ، ولا يجوز لمنصف أن يحكم بها على هذا الفن وإلا جاز لنا أن نحكم على الشعر ببعض الأزجال الجنسية التى يحفظها العوام .

أجل إن القصة لا تزال أعظم انتشارا من الشعر ولكن أكان ذلك لسيئة فيها أم لحسنة ؟ إن الخاصة التى تقرأ الشعر الرفيع وتتذوقه تقرأ القصة الرفيعة وتشغف بها ، وإذا كان العقاد لا يقرأ القصة إلا مضطرا فطه والمازنى والحكيم وايزنهاور يقرءونها بغير اضطرار . ولئن انتشرت القصة فى طبقات أخرى فما ذلك لسيئة بها ولكن لحسنتين معروفتين : سهولة العرض والتشويق . فانتشار القصة الجيدة بين قوم لا يهضمون الشعر الجيد مرده الى أن القصة فى ظاهرها حكاية تروى يستطيع أن يستمتع بها القارىء العادى لسهولتها وتشويقها . وليس بالسهولة من عيب يجرح الذوق السليم . ولا بالتشويق من انحطاط يؤذى الفهم الرفيع

الشرق كما يراه الغرب

٢ - المـــوالد المصرية

للأستاذ أحمد أبو زيد

قلنا إن المولد فى أصله احتفال دينى بعيد أحد الأولياء ... ولا تزال الموالد حتى الآن — على الرغم مما طرأ عليها من التغير وما داخلها من عناصر اللهو — تحتفظ بالكثير من الملامح الدينية التى تتمثل على الخصوص فى شدة إقبال الناس على ضريح الولى صاحب الاحتفال للتبرك به والطواف حوله واتخاذ ذلك وسيلة للتزلف والتقرب إلى الله ... ومن الناس من ينتبذ من المسجد جانباً يخلو فيه لنفسه ، يرتل القرآن ، أو يتوجه بالدعاء إلى الله ؛ ومنهم من يشترك فى حلقات الذكر التى تقام كل ليلة من ليالى المولد فى المسجد ؛ ومنهم من يتخذ الإحسان وسيلته إلى الله .

والموالد سوق رائجة للاحسان يدلى فيها كل محسن محب للخير بدلوه حسب قدرته وطاقته ؛ فأغنياء الحى الذى يقع فيه ضريح الولى ينحرون الذبائح ويولمون الولائم ويوزعون الطعام والملابس والصدقات على الفقراء والمعوزين — وما أكثرهم فى مصر !.. ومن هم دون ذلك قدرة وثراء من أوساط الناس يسلكون سبلا غريبة للاحسان ؛ فبعضهم يشترى قربة ماء ليسقى الناس ، أو يشترى (دورقا) من التمرهندى أو العرقسوس ، أو (الهندرمة) يوزعها عليهم ، وهم يبتغون من ذلك رضا الولى ومرضاة الله .

ومن الطرق الغريبة التى يلجأ إليها الناس فى مصر للاحتفال بالموالد أن الحلاقين — مثلا — يتبرعون بإجراء عملية الختان لأطفال الحى الفقراء بالمجان أو بأجر زهيد جداً لا يتجاوز بضعة قروش . ويعلق كل « حلاق » من هؤلاء لوحة كبيرة على واجهة حانوته كتب عليها (الطهارة للفقراء مجاناً) ، وإلى جانبها يعلق صورة تمثله وهو يختن أحد الأطفال . ويزين الحلاقون لهذه المناسبة حوانيتهم بالمصابيح الكهربائية الملونة والأعلام الزاهية لكى يجذبوا إليهم أنظار الناس . ويذهب بعض الحلاقين إلى أبعد من ذلك ، إذ يعدون لأنفسهم حوانيت متنقلة ينتقلون بها من مولد لآخر ، بل ومن بلدة لأخرى ، لكل من يتقدم من الفقراء .

ومن الظاهرات الشعبية ذات اللون الدينية الخطابة الدينية فى الشوارع . فكثيراً ما يقوم بعض المشايخ من رجال الدين ، أو حتى بعض المتحمسين من عامة الشعب فيخطبون الناس على قارعة الطريق ، يحثونهم على الفضيلة ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، وهم فى ذلك يصدرون عن قوة إيمانهم وشدة غيرتهم على الدين . ومن هنا كانت خطبهم تأتى فى أغلب الأحيان قوية حارة عنيفة صادرة عن القلب وتجد طريقها إلى قلوب السامعين

وهى بعد ذلك تحوى قيما إنسانية كالشعر الرفيع يتذوق كل قارىء منها على قدر استعداده . وحسب القصة فخرا أنها يسرت الممتنع من عزيز الفن للافهام جميعا ، وأنها جذبت لسماء الجمال قوما لم يستطع الشعر على قدمه ورسوخ قدمه رفعهم إليها ، فهل يكره العقاد ذلك أو أنه يحب كأجداده كهنة طيبة أن يبقى فنه سرا مغلقا إلا على أمثاله من العباقرة ! !

ولعله توجد أسباب أخرى تفسر لنا انتشار القصة هذا الانتشار الذى جعل لها السيادة المطلقة على جميع الفنون الجميلة ، ولعل أهم هذه الأسباب ما يعرف بروح العصر . لقد ساد الشعر فى عصور الفطرة والأساطير ، أما هذا العصر ، عصر العلم والصناعة والحقائق ، فيحتاج حتما لفن جديد ، يوفق على قدر الطاقة بين شغف الانسان الحديث بالحقائق وحنانه القديم الى الخيال ، وقد وجد العصر بغيته فى القصة ، فاذا تأخر الشعر عنها فى مجال الانتشار فليس ذلك لأنه أرقى من الزمن ولكن لأنه تنقصه بعض العناصر التى تجعله موائما للعصر ، فالقصة على هذا الرأى هى شعر الدنيا الحديثة . وسبب آخر لا يقل عن هذا فى خطره هو مرونة القصة واتساعها لجميع الاغراض ، مما يجعلها أداة صالحة للتعبير عن الحياة الانسانية فى أشمل معانيها . لذلك توجد قصة عاطفية ، وقصة شعرية ، وقصة تحليلية ، وقصة فلسفية ، وقصة علمية ، وقصة سياسية ، وقصة اجتماعية . ولعل الشمول فى التعبير يكون مقياسا أصدق من المقياسين اللذين يقترحهما الأستاذ الكبير ، ودلالته واضحة فى أن القصة أبرع فنون الأدب التى خلقها خيال الانسان المبدع فى جميع العصور .

نجيب محفوظ

فى غير مشقة ولا عسر . ويخص ماكفرسون بالذكر شيخاً أعمى يدعى الحاج حسين له مقدرة خطابية فائقة وقدرة عظيمة على اجتذاب الناس إليه . ويذكر ماكفرسون أنه شاهده مرة فى مولد السلطان الحنفى يخطب الناس والمطر ينصب من فوقهم انصبابا ، والشيخ مع ذلك ماض فى خطابته لا يتريث ولا يتـوقف ، والناس منصتون إليه لا يفكرون فى الانفضاض من حوله .

ومن هذه الظاهرات أيضا إقبال الناس على اقتناء الأحجبة والطلاسم والرقى ابتغاء التبرك ودفع الشر والأذى . والدراويش هم الذين يقومون بكتابة هذه الأحجبة لمن يطلبها من أفراد الناس . ويشهد ماكفرسون بأن الدراويش يقومون بذلك العمل رغبـة منهم فى فعل الخير فحسب ؛ فهم لا يتخذون من غفلة الناس وسذاجتهم وسيلة لجمع المال ، إذ أن كثيرين منهم يرفضون أن يأخذوا أجراً على ما يكتبون ، والبعض الآخر لا يتناولون إلا أجراً قليلا تافها ؛ ومنهم من يقنع بكتابة عددمعين من الأحجبة لا يتعداه بأى حال ومهما اشتد عليه الإقبال .

ولـكن كل هذه الظاهرات ، على جلال معناها الدينى — ليست هى الظاهرة المميزة للموالد ؛ إنما الظاهرة الأساسية التى تمتاز بها الموالد هى سلسلة الحفلات الدينية التى يقوم بها كل ليلة من ليالى المولد جماعة الصوفية والدراويش . وهذه الحفلات يشرف عليها أحد مشايخ الطرق ؛ ويكون فى الغالب من نسل الولى نفسه . وقد يكون أحد تلاميذه الروحيين ؛ فإن تعذر ذلك عهدت الحكومة بهذه المهمة إلى أحد كبار العلماء .

ونظام الدراويش نظام قديم من نظم الصوفية كان موجوداً فى أيام أبى بكر صهر الرسول (ص) ؛ فهو بعيد كل البعد عما يلحقه النـاس إليه من ضروب الشعوذة وفنون الدجل . ونظام الدراويش نظام متماسك له تعاليم متوارثة ؛ لأن الدرويش لا يصبح درويشاً حتى يمر بمراحل معينة ؛ فهو يكون فى الأصل طالب ثم يرتقى إلى درجة أعلى فيصبح مريداً يتلقى العلم الروحى على يد مرشد يلقنه الأوراد والأذكار حتى يحصلها جميعاً فيسلمه (سنداً بسلسلة) والسند عند الصوفية بمثابة شهادة تشهد بأن السلسلة (وهى رمز التسلسل الروحى الذى يربط الدراويش بمؤسس الطريقة ثم بالنبى عليه الصلاة والسلام) وحدة لا تنقطع — ولـكن مع أن نظام الدراويش يرجع إلى أيام الإسلام الأولى ، فإن تنظيمهم ذلك التنظيم الرائع الذى ظلت عليه طول هذه القرون ، يرجع الفضل فيه إلى سيدى عبد القادر الجيلانى (من رجال القرن السادس الهجرى) . ومن هنـا كانت الطريقة القادرية هى الطريقة الأصلية ، وعنها تفرعت طريقتان رئيسيتان هما السعدية والرفاعية . ويشهر رجال الطريقة الأخيرة بوسيلتهم الغريبة فى التغلب على الآلام وقهرها ، إذ يمشون على النـار ويلتهمون الجمر ويأكلون الزجاج ويبتلعون الحيوانات السامة وما إلى ذلك دون أن يصيبهم أدنى ضرر أو أذى .

فهذه الطرق الصوفية وغيرها (وفى مصر حوالى مائة طريقة) هى التى تحتفل فى الواقع بالموالد احتفالا دينياً له صبغته الخاصة ، وهى التى تضفى على الموالد ثوباً رائعاً مميزاً . ففى كل ليلة من ليالى المولد تتوجه بعض هذه الطرق إلى المسجد فتعقد حلقات الذكر والإنشاد حتى ينقضى شطر كبير من الليل ؛ ويستمر ذلك طيلة المدة المرخص بها للاختفال — وهى أسبوع فى العادة — حتى تأتى الليلة الأخيرة — أو ليلة الخاتمة — وهى الليلة التى يفترض أنها ليلة ميلاد الولى ، فتتجمع الطرق الصوفية كلها فى إحدى الساحات أو الميادين ثم تنتظم على شكل (زفة) يتقدمها رجال البوليس وفرق الموسيقى ، وينتظم فيها (أولاد أبو الغيط) وهم يرقصون رقصاتهم الجميلة ، والدراويش بملابسهم الملونة الزاهية (وطراطيرهم) الخضراء ، كما يسير فيها أيضاً بعض الحواة والمشعوذين ... وتتقدم كل طريقة البيارق (جمع بيرق) التى تدل عليها ، وقد نقش عليها أسماء النبى (ص) والخلفاء الراشدين ، أو اسم الطريقة واسم مؤسسها والطرق الصغيرة المتفرعة عنها . وتسير الزفة — وقد توسطها الخليفة — متجهة نحو ضريح الولى فى ضجة كبيرة تختلط فيها أنغام الموسيقى بقرعات دفوف الصوفية وأصوات (الـكاسات) . (النقارات) بنغمات الأرغول و (الزمارة) وغير ذلك من الآلات الموسيقية التى يستخدمها الصوفية والدراويش . ويتوقف موكب الزفة من آن لآخر فى الطريق كى يتسنى للناس فى المنازل التفرج والشاهدة ؛ وبعد لأى تصل (الزفة) إلى المسجد ... وهكذا يختتم المولد وتنتهى لياليه ، ويصبح الصباح فإذا الزينات ومعالم الأفراح قد زالت وعاد كل شىء إلى ما كان عليه .

غير أن الناس قد يستمرون فى احتفالاتهم ومباهجهم أسبوعا

الحياة الادبية في الحجاز

نهضة الشعر

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

كان الشعر الحجازى قد أصابه الركود كما أصاب غيره فى الأقطار الأخرى ، وقنع شعراؤه بتقليد ضعاف الشعراء فى عصور الاضمحلال الأدبى ؛ فوقفت المحسنات البديعية فى طريق تجويدهم وإبداعهم ، وأضاعوا وقتهم واستنفدوا مجهودهم فى التشطير والتخميس ، وظل الشعر على هذه الحال حتى هزته ثورة التجديد فتخلص من هذه القيود التى كبلته الزمان الطويل ، وقد وصف الأستاذ أحمد العربى حال الشعر الحجازى قبل نهضته فقال :

« لم يكن الأدب الحجازى سوى بضع منظومات وكتابات سقيمة المعنى واهية السبك ملتوية الأسلوب يدور أكثرها فى نطاق ضيق من المديح السخيف والغزل والتشطير والتخميس على نمط ليس له من مبرر سوى ذلك العقم الأدبى الذى منيت به الأفكار فى تلك الحقبة المشئومة ، وإلا فأى إنتاج ينتجه أولئك الذين يتناولون بيتين أو أكثر من الشعر بالتشطير والتخميس ، فيعمدون إلى تمطيط معناها وتفكيك أواصرها وحشوها بما يناسب وما لا يناسب من الألفاظ المترادفة والتراكيب المرصوفة ... الخ »

وما كاد الحجازيون يتذوقون المناهج الحديثة فى الشعر حتى حملوا على عشاق القديم حملة عنيفة ليردوهم عن التقليد ويوجهوهم إلى الغاية التى يرجونها للشعر ، وقد جاء فى مقال للأستاذ عواد ينتقد فيه المقلدين : « ... نعم الشعر جميل ، ولكن أين الشعر الذى تنظمونه أو تروونه ؟

أألتمسه فى تخميس :

« تتيه علينا مسند رزقت ملاحة »

أم تشطير : « إذا كان لى أهلان أهل ترحلوا »

أم فى مشجر : « على جيد هذا الظبى فلينظم الدر »

أم فى تخميس آخر مطلعه :

« أنيرى مكان البدر إن فقد البدر »

أم فى مدحة أنشدت للحسين فى يوم عيد مطلعها :

« سل ما لسلمى بسوق النحس تشرينى »

أواه ! كل هذه أيها المتشاعرون صديد فكرى وقيوء (باللغة التى تفهمونها) لو أنفق العمر بأجمعه فى مثلها لما وصل الناظم إلى الشعر . الشعر جميل أما أمثال هذا فلا ... »

وبدهى أن ثورة التجديد فى الشعر الحجازى لا يمكن أن توجه الشعراء جميعاً إلى وجهة واحدة ؛ إذ لا بد له من زمن طويل يشتط فيه المجددون ويسرفون فى التجديد ، ويشعر القدامى بتأخرهم فيقتربون منهم شيئاً فشيئاً ، ويعود المسرفون فيهدئون من ثورتهم ليلتقوا بإخوانهم القدامى الذين تخلفوا عنهم وحينئذ يجتمع فى الشعر محاسن الطريقتين ، ويستقر فى طريق له معروفة مرسومة لا تكون عرضة لزعازع التغيير والتبديل الفجائيين .

حدث هذا الصراع فى الحجاز منذ أن قام الشعراء بنهضتهم الحديثة ؛ فقد حمل المجددون على الجمود والخمول وتناولوا عشاق القديم بالنقد اللاذع فأثر فيهم هذا النقد ، ولم يعد الآن فى الحجاز من يطرب للتشطير والتخميس أو يهتز لألوان البديع ، واتجهوا جميعاً إلى أغراض الحياة يبسطونها فى أشعارهم ويجلونها فى بيانهم وإن كانت ظاهرة الاختلاف لا تزال قائمة ؛ فشعراء الحجاز الآن طائفتان : طائفة مجددة ولكنها متئدة متمهلة تعنى بالديباجة القوية وتبقى على كثير من الأغراض القديمة . وطائفة متوثبة مسرفة فى التجديد قد استطاعت أن تقطع صلتها بالقديم إلا فى الألفاظ والتراكيب .

(يتبع)

أحمد أبو بكر

آخر زيادة على المدة المصرح بها رسميا ؛ ويذكر ماكفرسون أنه كان يعجب أشد العجب ويتساءل عن الداعى لذلك ، وهل هو شدة حب الناس وتعلقهم بأوليائهم ، إلى أن جاءه الجواب أخيراً بعد انتهاء مولد السيدة فاطمة النبوية بنت جعفر الصادق ... يقول ماكفرسون « ولدهشتى البالغة سمعت شيخاً يقف إلى جانب ضريحها (ضريح السيدة فاطمة) وهو يقول : إننا نحتفل بأسبوع الطفل بعد سبعة أيام من مولده ، فلم لا نحتفل بأسبوع هذه السيدة الجليلة أيضاً ؟ فلم أتمالك من أن أغمغم وراءه بصوت خفيض : نعم لم لا يكون ذلك » .

ولعل الحجازيين عند ما انفسح أمامهم طريق الرقى الأدبى وجدوا أنفسهم متأخرين ؛ وجدوا مصر والشام ثم العراق قد قطعت فى ميدان التقدم شوطاً بعيد المدى فهالهم الأمر وأرادوا اللحاق بهم ؛ فلم يكن هناك بد من أن يسرعوا الخطا ويغذوا السير فى حركة الواثب المتحفز الذى لا يبقى ولا يذر . فماذا وجدوا أمامهم ؟

رأوا دواوين الشعر القديم قد ملأت الأسواق ورأوا أدباء مصر والشام قد أنتجوا المعجب فى الأدب ، ورأوا غير هاتين الناحيتين أدباً آخر هو الأدب العربى فى أمريكا ، وهو أحدث هذه الآداب وأقربها إلى الأدب الأجنبى .

وجدوا كل هذا فمال الكثيرون إلى الآداب الحديثة وبخاصة أدب المهجر وتعشقوها وجاهدوا فى تقليدها كأنهم رأوا فيها الخلاص من الجمود والتأخر ؛ فاستطاعوا فى زمن وجيز أن يباعدوا بين مناهجهم ومناهج من سبقوهم ؛ حتى ليخيل إليك عدم الارتباط والصلة بين الأدبين .

وأما الآخرون – وهم أقلية – فقد آثروا الاعتدال والتمهل والتفتوا إلى الأدب القوى القديم يقرءونه ويحاكونه فى بلاغته ورصانته ، ومالوا إلى الأدبين المصرى والشامى ينهجون منهجهما ويلائمون بينهما وبين حياتهم ، ولم يتركوا من أدب المهجر ماراقهم من موضوعاته ومعانيه . وإنك لتلمس فى الأبيات الآتية وهى « للغزاوى » تأثراً بالأدب العربى القديم فى أساليبه ومعانيه وتجديداً فى قليل من الأخيلة والمعانى :

حمائم الأيك إن أبكاكِ ذوشجن ... أصفيته الحبَّ إسراراً وإعلانا
وبتُّ فيه على ذكرى وموجدة ... تذرين دمعكِ أسجاعاً وألحانا
وظل دأبك فى الأسحار أغنيةً ... يخالها السمع بالتوقيع عيدانا
فما بنفسى مما تشتكى حُرَقٌ ... ولا تعشقت آراماً وغزلانا
لكن سكبت دمى دمعاً على وطنى ... قد كان فى المجد والتاريخ ما كانا

على أن تأثر هذه الطائفة بالشعر القديم يبدو فى طريقة الشعر نفسه فالغزاوى فى قصيدة له عنوانها « منازه الطائف » يملؤها بذكر الأمكنة على طريقة الأقدمين فى ذكر الديار والأطلال فهو يقول فيها :

وتهفو بنا النسمات حين هبوبها
إلى فرصِ اللذاتِ تحت الكواكب
(بوجٍّ) وفى وادى (العقيق) ودونه
وفى (ليةٍ) أو بين (قرن) النجائب
وفى (الوَهطِ) المخضر أو فى (وهيطه)
وفوق (الشفا) أو فى أديم السحائب

ويقول :

ولا أنس (بالمثنات) ليلات أنسنا
وبين (الهدى) أوفى جوار (الكباكب)

وهكذا يسير الشاعر فى قصيدته معددا الأماكن التى ألفها وأقام بها . ولكن هذا التقليد للأقدمين لا يعدو الطريقة ؛ فإن الشاعر متأثر بهذه الأماكن وله فيها ذكريات ، ولا يعاب عليه أن يذكرها فى شعره ؛ لأنه ذكر العالم بها المتأثر بما فيها .

أما المدرسة المسرفة فى التجديد فقد تعلقت بالثقافة المنقولة عن الغرب ومالت إلى أدب أدباء المهجر من أمثال جبران والريحانى وأبى ماضى وفرحات وغيرهم ؛ وذلك لأن شعراء هذه المدرسة لمسوا فى أدب المهجر ثورة على القديم وجرأة فى التجديد وصراحة فى الحق ، فعكفوا على هذا الأدب لأنهم وجدوا فيه غذاء حركتهم الناشطة ومشعلا يضىء لهم جوانب الحياة التى يرجونها وهى التجديد السريع .

وجد شعراء هذه المدرسة جبران ينعى على التقليد ويحط من شأنه حين يقول : « ... ليكن لكم من مقاصدكم الخصوصية مانع عن اقتفاء أثر المتقدمين ؛ فخير لكم وللغة العربية أن تبنوا كوخاً حقيراً من ذاتكم الوضيعة من أن تقيموا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة . ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجر عن نظم قصائد المديح والرثاء والتهنئة ، فخير لكم وللغة العربية أن تموتوا مهملين محتقرين من أن تحرقوا قلوبكم بخوراً أمام الأصنام والأنصاب . ليكن لكم من حماستكم القومية دافع إلى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الألم وعجائب الفرح ؛ فخير لكم وللغة العربية أن تتناولوا أبسط ما يتمثل لكم من الحوادث فى محيطكم وتلبسوها حلة من خيالكم من أن تعربوا أجل وأجمل ما كتبه الغربيون » .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أبو بكر إبراهيم

إلى شقيق إبراهيم

أهكذا تمضي ... ؟

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

تساءل البلبل عن صنوه
في الروض ، فاستبكى عيون الزهور
وغص مما هاج من شجوه زفرة بين التراقي تمور
من صرف الشاعر عن شدوه ولفه بالصمت صمت القبور
وما الذي كدر من صفوه حتى جفا الوكر وعاف الطيور

ألم يكن والروض خصب مريع منعماً بالعيشة الراضيه
بين سنى يطفو وعطر يشيع وبهجة غامرة ضافيه
يصبي الفراشات بشدو بديع تظل من أنغامه الشاجيه
ترف كالزهر حباه الربيع أجنحة موشية حاليه

وطاف بالروض حزيناً لهيف يبحث عن شاعره في الشجر
لعله في ظل دوح وريف يرتشف الطل ويرعى الزهر
يلف عطفيه وشاح شفيف تنسجه في الليل أيدي القمر
ويبعث اللحن رفيفاً رهيف محبب الوقع ، مرن الوتر

وحين لم يلق أخاه الحبيب ولم تع الأذن أغاريده
حط على غصن أراك رطيب ومد من عليائه جيده
وأرسل الشدو حنيناً مذيب يهز في الأيك أماليده
وودع الروض بقلب كئيب إذ لم يجد في الروض غريده

أهكذا تمضي مضي الحلم طافت سراعاً وتلاشت رؤاه ؟
أهكذا تطويك أيدي العدم في عمر الزهر وفجر الحياه
ألم تكن نجماً سما واضطرم يشع في الأفق فيهدي سناه ؟
ألم تكن شعراً على كل فم منسجم اللحن ، حبيباً صداه

أي لحون رعن سمع الزمن بعثتها من خفقات الفؤاد
أودعتها الروح تناجي الوطن فيها فتهتز الربى والوهاد
ثم ترامیت صريع الوهن مخضب الجرح ، سليب الفهاد

وامتنع الشدو كأن لم يكن وجذوة القلب استحالت رماد

إذا سجا الليل فقرت عيون وأسعد الساري نجم بدا
تلفت القلب وفيه شجون مسائلا عنك ، ولكن سدى
لأذرفن الدمع شعراً حزين مرجع الأنات ، شاجي الصدى
من نور عيني ، وخفق الوتين حتى توافيني عوادي الردى !

قرد وحمار

للأستاذ محمود عزت عرفة

كنت أشهد في بعض قرى الصعيد فتى ريفياً يقتاد حماراً أسود قميئاً قد علمه بعض الأضاحيك ولقبه « ظريفاً » . وكان يومئ إليه فيلتبط بالأرض في سكون ، ثم يبدأ يعرض عليه العروض فيقول : تتزوج من جرجا ؟ تتزوج من البلينا ؟ تتزوج من سوهاج ؟ تتزوج من النخيلة ؟ تتزوج من أبو تيج ؟ تتزوج من أسيوط ؟ ... كل هذا والحمار يرفض في إباء ، ويؤكد رفضه بهزات من رأسه حاسمة . فإذا عرض عليه الأمنية النفيسة وقال : تتزوج من مصر ؟ — وثب من رقدته مرحاً خفيفاً وهو يهز رأسه علواً وسفلا علامة القبول !

كنت أعجب بحركات هذا الحمار ، لكن لا أعجب بفكرته — وهو صعيدي — من إيثاره بنات مصر على بنات موطنه الصعيد ... ثم أقول : لا جرم إنه حمار ...

وأخيراً تحقق لدي صدق حكمي على عقلية هذا الحمار ، إذ قرأت عن قرد حاذق قص حديثه القاضي التنوخي في كتابه « نشوار المحاضرة » رواية عن ابن عباس الذي حكى أنه « رأى في شارع الخلد قرداً معلماً يجتمع الناس عليه فيقول له القراد : تشتهي أن تكون بزازاً ؟ فيقول : نعم ، ويومئ برأسه ، فيقول : تشتهي أن تكون عطاراً ؟ فيقول : نعم — برأسه — فيعدد الصنائع عليه فيومئ برأسه ، فيقول له في آخرها : تشتهي أن تكون وزيراً ؟ فيومئ برأسه « لا » ، ويصيح ويعدو بين يدي القراد فيضحك الناس

كلا الرجلين يمزح في فعله ، ويحاول أن يتفكه ويفكه معه



حول الترتيب التاريخي للزوميات المعري

قلنا في عدد مضى من الرسالة إن الدكتور عمر فروخ أرسل إلينا كتاباً مطولا حول هذا الموضوع يتهم فيه الدكتور عبد الوهاب عزام بكيت وكيت، ثم لخصناه وعلقنا عليه بما رأينا أنه الحق. وفي يقيني أن الدكتور فروخاً لو عرف الدكتور عزاماً أكثر مما عرف لاستبعد عليه أن يسرق بحثاً من بيروت ليقرأه في مهرجان المعري بدمشق. ولكن الدكتور لم يرضه تلخيصنا لكتابه ولا تعليقنا عليه، فبعث إلينا بكتاب آخر رمينا في مقدمته بالتعصب للدكتور عزام والتستر على (جريمته) والخوف من (نفوذه)، وتوعد بأنه سيطلب حقه من الدكتور عزام ومنى بما طلب به التبني حقه في بيته المعروف، فرأينا تكذيباً لظنه وتبديداً لوهمه أن ننشر كتابه بنصه. قال عافاه الله بعد (الديباجة):

« طالعت المقالات التي كتبها الدكتور عبدالوهاب عزام عن لزوميات المعرى وعن ترتيبها التاريخي في الأجزاء ٦٢٤—٦٢٥ ٦٢٦ من الرسالة الغراء، ولقد لفت نظرى أمران:

أولهما: أن الدكتور عزام قال في آخر المقال الثالث: « هذا ما بدا لي في تاريخ اللزوميات وترتيبها، فمن بدا له ما يؤيد رأيي أو ينقضه، فليتفضل مشكوراً بالإدلاء برأيه والإبانة عن حجته » ومعنى ذلك أنه أول من فعل ذلك

وثاني الأمرين: أنني وجدت شبهاً عظيما، بل تطابقاً بين الأسس التي اتخذها الدكتور عبد الوهاب عزام لترتيب اللزوميات وبين الأسس التي كنت قد استخرجتها ثم جعلتها أساساً لكتابي « حكيم المعرة » الذي صدر في بيروت في شباط (فبراير) من عام ١٩٤٤

في هذا الكتاب عنيت بوضع أسس لترتيب اللزوميات، إذ أنني كنت أحاول حل قضية معقدة، هي ما ينسبه بعض المتأدبين، من التناقض إلى حكيم المعرة. وبعد تدبر هذه القضية بدا لي أن ذلك راجع إلى أن ترتيب اللزوميات على حروف الروى ليس الترتيب التاريخي لها مما بسطته في موضعه

واستطعت بعد الدراسة والمقارنة أن أضع أسس ترتيب اللزوميات على خمس قرائن (حكيم المعرة ص ٢٤ — ٣٤):

أولا: إشارة المعرى نفسه إشارة عامة إلى نظم اللزوميات وترتيبها (ص ٢٤ — ٢٥ من حكيم المعرة)

ثانياً: الإشارات التاريخية وأشهرها قصة صالح بن مرداس (٢٦ — ٢٨)

ثالثاً: إشارة المعرى إلى سني عمره في أثناء نظم اللزوميات (ص ٢٨ — ٢٩)

الناس — استدراراً لعطاياهم — باتخاذ أمثال هذه الألاعيب. ولكن للفكاهة المستحبة مظهر من الجد، ومرمى غامض من العبرة والموعظة بدونهما تكون عبثاً لا طائل تحته

ونظرية هذا القرد صائبة — أعني نظرية صاحبه — إذا نحن تأملنا منصب الوزير على عهدها، وما كان يتهدد الوزراء يوم ذاك من خلع وقتل وحبس واستصفاء، فما وجه نظرية حمارنا — أو حمّارنا — في الزواج ؟!

الحق أن هذا الفتى الريفي وحماره يعبثان بقدر ما كان الشاطر البغدادي وقرده يجدان؛ وفرق ما بين الأولين والأخيرين هو فرق ما بين المسلمين اليوم وأسلافهم في القرون الخوالي ... هو فرق ما بيني أنا — عربي القرن الرابع عشر — والتنوخي ناقل القصة وعربي القرن الرابع .. هو فرق ما بين دولة نفضت يدها من المجد أو كادت، ودولة كانت تأخذ من المجد بأوثق أسبابه. فليذهب القراد والحمار جميعاً إلى الجحيم، فما كان لهذه المقارنة العابرة بينهما أن تريبني في مستقبل الإسلام والعرب، ولكني مع ذلك رجل مؤمل ومشفق معاً، أخاف مثلما أرجو، وأتشاءم لقاء ما أتفاءل. وأحب أن نكون — حتى في مزاحنا — جادين فلا تشغلنا القشور عن تعرف اللباب، أو يصرفنا الغلاف عن تصفح الكتاب ...

ومن يدري بعد، فلعل قرويّنا معذور في فعله؟ بل لعله حكيم ثاقب الفكرة، أليس يقدم لنا مزحته الجوفاء، وما تنطوي عليه من فكرة حمقاء، على يدي حمار أسود قميء؟!

رابعاً : الإشارة إلى تقدم سنه من غير أن يذكر السنوات صراحة كأن يتكلم على شبابه وشيبه ومله من الحياة وحبه لمفارقة الدنيا ... الخ (٢٩ — ٣٠)

خامساً : تطور أسلوبه فى نظم اللزوميات من حيث النضج والقوة (ص ٣٠ — ٣١)

* * *

وجاء الدكتور عبد الوهاب عزام فسلخ القرائن الأربع وذكرها على التوالى الذى اخترته ، إنما بعد أن حذف القرينة الخامسة ، لأن البحث فى الأساليب أصعب من البحث فى غيرها . ويدهشك فوق ذلك كله أنى اعتبرت القرينة الأولى (أعنى إشارة المعرى نفسه إلى نظم اللزوميات وترتيبها) مقدمة لا غير ، لأنه لا يجوز أن أنسب إلى نفسى استخراج أساس أشار صاحبه إليه إشارة واضحة . ولقد فعل الدكتور عزام ذلك مثلى تماماً ، ثم بدأ بالإشارات التاريخية الخ على الترتيب نفسه لم يغير منه شيئاً

على أن هذا لا يمكن أن يكون توارد خواطر ، لأن الخواطر قد تتوارد فى بيت من الشعر أو فى رأى أدبى عارض ، أما فى بحث علمى طويل ذى فصول وفروع وتقسيم واستنتاج وشواهد وأمثلة فأمر مستحيل وخصوصاً إذا اتبع المتأخرُ المتقدمَ

ولقد كان توارد الخواطر ممكناً فى زمن تقطع بين أرجائه الصحارى والمدى البعيد ، أما اليوم فى عصر السيارات والطيارات والبريد السريع ، فأى عذر ينهض بالمتأخر إذ ادعى أن خاطره وخاطر المتقدم قد توارداً ؟

بقى على الدكتور عزام أن يدعى أنه لم يطلع على كتابى ، وهذا مردود من وجهين :

أول ذينك الوجهين أن كتابى صدر قبل عام ونصف عام من صدور بحثه ، وأن الناشر فى بيروت قد أرسل نسخ كتابى إلى العالم العربى ، وأرسلت أنا إلى ناشر فى لندن عدداً كبيراً . ولقد نقدت كتابى المجلات ، وبعضها أشار إلى هذا الترتيب التاريخى .

وثانى الوجهين أن العالم الحقيق لا يهجم على عمل مثل هذا إلا بعد أن يتقصى المكاتب ويفتلى الكتب والمجلات ، وخصوصاً إذا خطر له موضوع ذو خطر

* * *

وهناك أدلة أخرى على أن الدكتور عبد الوهاب عزام أخذ البحث عنى ولم يبدأه بنفسه ، منها أن نماذجه التى يدعى أنه استخرجها من اللزوميات لا تسند نظريته المدعاة ، فليس كل بيت فيه ذكر للسن راجعاً إلى سن المعرى . وكذلك ذكر الدكتور عزام فى الإشارات التاريخية أسماء « محمود ومسعود » ، وقد ذكرت أنا ذلك ولكن فى باب آخر (راجع ص ٩٤ من حكيم المعرة) للدلالة على أن عمر الخيام كان شديد التأثر بلزوميات المعرى ، فيما ذكرت من أدلة ذلك

عمر فروخ

وقد اطلع الدكتور عزام على ما نشرته مجلة (الأديب) وكتبته مجلة (الرسالة) ، فأرسل إلينا الكتاب الآتى :

الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

السلام عليكم . وبعد ، فقد اطلعت فى العدد الأخير من مجلة الأديب التى تصدر فى بيروت على كلمة عنوانها « إلى الدكتور عبد الوهاب عزام » وتوقيعها « قارئ » . وخلاصتها أن هذا القارئ أدرك تشابهاً بين مقالاتى التى نشرتها فى « الرسالة » عن لزوميات المعرى وبين بحث فى كتاب للدكتور عمر فروخ اسمه « حكيم المعرة » . وظن القارئ ، وبعض الظن إثم ، أنى أخذت « الفكرة والترتيب والأدلة والنماذج » من هذا الكتاب

وقد أرسلت إلى مجلة الأديب مبيناً أنى لم أطلع قط على بحث فى هذا الموضوع للدكتور عمر فروخ ولا لغيره قبل كتابة مقالاتى ولا بعدها . ولم أستطع أن أتكلم فى هذا التشابه بين البحثين حتى أطلع على الكتاب

ثم اطلعت اليوم فى الأسكندرية على العدد ٦٣١ من الرسالة — وقد فاتتنى قراءته حين صدوره — على كلمتكم التى نقلتم فيها نبذاً من رسالة الدكتور عمر فروخ إليكم ، وأبديتم رأيكم فى الموضوع

وقد أخذت من هذه الكلمة أن بحث الدكتور عمر الذى وقع التشابه بينه وبين بحثى يرجع إلى ترتيب اللزوميات فحسب . ومن قرأ بحثى فى « الرسالة » يعلم أن موضوعه : متى نظمت اللزوميات وكيف رتبت ؟ فهو قسمان : الأول : تحديد الوقت الذى نظم فيه المعرى لزومياته ؛ والثانى : بيان أن ترتيب اللزوميات على الروى يوافق الترتيب الزمانى أولا . والبحث الأول هو الذى

كلفنى قراءة اللزوميات كلها واستخراج الحوادث التى ذكرت فيها ، والرجال الذين ذكرهم الشاعر وتأريخ هـذه الحوادث وهؤلاء الرجال واستقصاء الأبيات التى ذكر فيها المعرى سنّه ، والتى ذكر فيها سواد شعره ومشيبه ...الخ ، وقد انتهيت إلى أن الكتاب نظم بين سنتى ٤٠٠ و ٤٢٠ من الهجرة

وأما البحث الثانى المتضمن أن ترتيب اللزوميات غير مساير للتاريخ ، فالأمر فيه أمم ، والفصل فيه يسير بعـد الفراغ من البحث الأول

فهل يدعى الدكتور عمر التشابه بين كلامى وكلامه فى البحث الأول أو فى البحث الثانى ؟ الذى يؤخذ من الكلمة التى نشرتها الرسالة أنه يجادل فيما يتصل بالترتيب التاريخى وحده ، وكل من قرأ بحثى يعلم يقيناً أن كلامى فى هذا لا يمكن أن يؤخذ إلا من بحثى فى القسم الأول ، فهو نتيجة محتومة لى ، وهو ليس بذى بال بعد البحث الأول ، ولا يقتضى الباحث عناء ولا تعمقاً ، فليس معقولا أن أنقله عن غيرى بعد أن فرغت من البحث الأعمق الأشق الذى بينت فيه متى نظمت اللزوميات

ومهما يكن ، فإنى أعيد ما أرسلته إلى مجلة الأديب ، أنى إلى هذه الساعة التى أكتب فيها هذه الكلمة لم أطلع على بحث لأحد فى هذا الموضوع ، ولا رأيت كتاب الدكتور فروخ

ولو كان الفصل فى ترتيب اللزوميات وتبيين أنها ليست مرتبة على التاريخ يعد فتحاً فى الأدب ما أجزت لنفسى أن أنتحل فيه كلام غيرى ، وأن أسوم نفسى ما لم تعوده من الاتكال على أبحاث الناس ، بله النقل أو السرقة

إن هذا البحث وما هو أعظم منه وأشق وأجدى ، ليس عظيما من رجل مثلى يقرأ اللزوميات كلها قراءة فاهم ناقد

وكان خيراً للدكتور عمر ولمن كتب فى مجلة الأديب أن يرسل إلىّ الكتاب ويسألنى رأيى ، فإن المسارعة إلى اتهام مثلى بنقل كلام الناس لا يليق بالأدباء ، ولا يلائم تثبت العلماء.

وأرجو أن تنشروا هذه الكلمة مشكورين . والسلام

(الأسكندرية ٧ رمضان) **عبد الوهاب عزام**

ملاحظة وتصحيح :

اطلعت فى البريد الأدبى بالرسالة تحت هذا العنوان على نقد للأبيات التى وردت فى كتاب « فى بيتى » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، وقد أشار فيه الكاتب إلى أن صدرى البيتين الثانى والثالث خارجان عن البحر ، وأنهما لا يصحان على وجه من الوجوه . قال : ثم بحثت الأمر لأنّنا كده فظهر لى ما أدركته أولا ، كذا !

ولما كان الروى هو التاء المكسورة ، وكان الوقف لا يصح عليها ، لأن (القصر) لا يدخل البحر المجتث ، ظهر لى أن فى البيت الثالث إقواء ، فكلمة « أداه » فى البيت لا يصح جرها بحال

وأحب أن أعفى الأستاذ العقاد من الرد على هذا النقد ، فقد كان فى استطاعة الكاتب أن يرجع إلى هذه الأبيات فى ديوان « وحى الأربعين » ، ليرى أن الشاعر قد وضع علامة السكون على القافية ... وكان فى حل من وضع هذه الإشارة ، لأن القوافى ليست من حركة واحدة . . ويحسن بى أن أطلع القارئ على هذه الأبيات كاملة كما قرأتها فى « وحى الأربعين » ليصدر حكمه عليها:

النـور سر الحياة ... النـور سر النجاة
النـور وحى النهى ... النور وحى الصلاة
النور شـوق الفتى ... النور شوق الفتاة
الحبُّ بالروح لا ... لمح العيون الخواة
ما تبصر العين من ... معناه إلا أداة
هـذا سبيل الهدى ... لا ما افتراه الهداة

ويتبين من هذه الأبيات أن وزنها :

مستفعلن فاعلن ... مستفعلن فاعلان

بسكون التاء فى القافية ، وإذ كانت الموسيقى هى رائد الشاعر فى كل ما ينظم ، فمن واجب الناقد أن يحلها المحل الأول حين يعرض لهـذه الناحية من الكلام ، فقد يعن للشاعر أن ينظم على وزن جديد ، أو أن يأتى بنظام لم يسبق إليه ، وهو بعد صحيح سليم تتقبله الأذن وتستطيبه النفس

فمن الحجر على الشعر والشعراء أن نقول لهم : قفوا عند حدكم ، فإن الأقدمين قد وقفوا عند هذا الحد . هذا لغو وجمود لا أحب أن يبتلى به الشعراء فى القرن العشرين

والمطلع على أبيات الأستاذ العقاد يجدها سليمة من ناحية الوزن قوية من ناحية الموسيقى فضلا عما بها من المعانى السامية ، ولا يطالب الشاعر بأكثر من ذلك **محمد طاهر الجبلاوي**



تــــوان

أو

عند ما تسيطر المرأة

[إلى الحزب النسائي مع تحياتي]

للكاتب الفرنسي جي دي موبسان

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

جرى على لسان كل من كان يعيش على مبعدة سبعة فراسخ من حانة « التورنفان » اسم صاحب الحانة « انتوان ماشبل » ... وقد تعددت الأسماء التي يدعوه بها رفقاؤه وخلانه ، فتارة يطلقون عليه « باتوان » وطوراً « فِيَنْ ستار توان » وحيناً ينادونه « جود أولد بنسن » ...

وكان لتوان الفضل في الشهرة التي نالتها حانة « تورنفان » ... فقد ذاع صيتها مع أنها لا تزال مزرعة فقيرة تقع في كنف متطرف من الوادي الذي يشرف على البحر ؛ وقد أحيطت ببعض الجواسق التي يتخذها نفر من أهالي « نورمنديا » مقطناً لهم ... فغرسوا ثمت الأشجار السامقة ، وأقاموا السدود ، وقد جثمت تلك القرية على جدول تخالط ماءه الرقراق خضرة النبات الذي ترعرع على شفا الجدول ... وهو ينحدر من الأكمة والتلال التي أوحت باسم « التورنفان » .

ويخيل إلى الإنسان الذي ينظر إلى تلك الجواسق في كنف الوادي ، أنها بعض الطيور وقد أوت إلى ثلم ، عند ما تعصف الرياح والأعاصير البارقة التي تكتسح ما على شاطئ « نورمنديا » من الدور الصغيرة . وقد زادت عنها السدود والأشجار ، وهذه العواصف تأتي على كل شيء فتجعله قاعاً صفصفاً ... أما المزرعة الفقيرة فكان يمتلكها « انتوان ماشبل » وأحياناً « جود أولد بنسن » وأحياناً أخرى « فِيَنْ ستار توان » أما اللقب الأخير فلعله صدى لتلك العبارة التي كان يفوه بها نادراً « إن خمر « فِيَنْ ستار » لهو أجود ما يجده المرء في فرنسا ... »

لقد ظل قرابة العشرين عاماً ينقع غلة القرويين بسلافه العذب المعتق ... وما من قادم يسأله : « ما الذي تستحسنه اليوم ، يا توان ؟ » فيجيب في غير تلعثم أو تردد « قدح من راووق المعتق يا بني ... يبعث الدفأ في جوفك ، والسكينة إلى نفسك ، وهو خير ما يرجى لصحتك » وينادي توان كل إنسان « يا بني » مع أنه لم يرزق ولداً لا في الحلال ولا في الحرام

عُرِف توان بأخلاقه الطيبة ، وخلاله الفضلى ... ولو أنه كان حادراً زهماً ، حتى أنه كان أكثر الريفيين شحماً ، هذا إن لم يكن قد فاق أهل نورمنديا قاطبة .

وكان كوخه – على النقيض من ذلك – صغيراً ضيقاً .. فمن يره وهو قائم على باب داره حيث يقضي طيلة يومه ... يتولى العجب عند ما يفكر كيف يتخطى ذلك البــاب الضيق المنخفض إلى صحن الدار ... يقف توان على قارعة الطريق يدعو كل من يتوسم فيه الأناقة والثراء إلى حانته حيث يقدم إليه بعض الخمر على سبيل التجربة والقياس . وقد علق على واجهة حانوته لوحة سطر عليها « حانة الصداقة » . وكان هشاً بشاً لكل من جاوره وأمه ...

وقد يفد عليه خلق كثير من إقليمي « فيكامب » و « مونت فليير » بغايتهم أن يروا توان ، ويتندروا بفكاهاته المستملحة ومزاحه العذب الذي يُضحك الحجر الصلد ... لقد أوتي القدرة على أن يشيع المرح حوله دون أن يضجر من يجالسه ؛ والقدرة على أن يخبط ساقه في حركة تنتزع الضحك من فيك – شئت أو لم تشأ – ، والقدرة على أن يجعل حاجبيه يعبران بما لا يستطيعه لسانه ... إن منظره وهو ينهل الراح ليبعث وحده الضحك والسرور إلى العيون الساهمة الحزينة ...

وقد يجرع توان كل ما يقدم إليه من أنواع الشراب كلها ، فيلمع في عينيه بريق الخبث ... وتتألق مقلتاه بالابتهاج الذي يجعلك تقدم إليه المزيد من الشراب . وطالما كان يسأله مواطنوه : « لم لا تلعق من ماء البحر ما يشبع شراهتك هذه ؟ » فلا يسمعه إلا أن يجيب في هُناف : « ثمت سببان . فأولا : ماء البحر أُجاج

تعافه النفس ؛ وثانياً : ينقضى تلك المدة التى يمكنها أن تسع ذلك الماء الطيسل » .

***

عند ما ينقلب توان إلى زوجته ، تدور رحى الشجار بينهما فيبدأ فصل روائى لا يقل عن الفصول المسرحية روعة وبراعة ... لقد انصرمت على زواجهما ثلاثون عاماً ، لم ينقض يوم واحد منها إلا والشجار حليفه ... والذى باعد شقة الخلاف بينهما هو الفرق البين بين روحه المرحة الطروب ، ونفسها الصاخبة الصلفة.

كانت امرأة ريفية فارعة الطول تسير فى خطوات طوال كأنها البجعة ، وقد منحها الله سحنة مقطبة عبوسة كالبومة ، راحت تمضى وقتها بين دجاجها تعنى به وترعاه فى قفصه خلف الحانة ... وقد ذاعت مهارتها فى تربية الدجاج بين جيرتها . وكانت تتطفل على الولائم دون دعوة أو خشية لائم ... ولا تجدها إلا حانقة صاخبة ساخطة على العالم بأجمعه ... أما فى الفينة الأخيرة فكل سخطها تركز على بعلها ... كانت تحقد عليه لبشاشته ومرحه ، لشهرته وصيته ، لصحته ورهله ... وطالما نعتته « بالماجن المحظوط » لأن المال يأتيه طواعية دون كد أو جد فى طلبه ... أو « الخنزير السمين » لأنه يأكل قدر ما يتناوله اثنا عشر رجلا ... وقلما ينقضى يوم دون إثارة انفعالها وحنقها ...

ابتدرته يوماً صائحة : « انظر أيها النهم الشره ... انظر إلى نفسك وأنت تسير كالكتلة البشرية ... سوف تلتهم الطعام التهاماً حتى يحل ذلك اليوم الذى تنفجر فيه بطنك كالحزمة من القمح ، وقد انقطع رباطها ... » فانطلق توان يقهقه وهو يربت على بطنه فى رفق وهوادة ، وما لبث أن قال وهو يلوح بذراعه : « آه ... أيتها « العصا الرفيعة » لست أدرى ما الذى يمنعك من أن تسمنى نفسك كما تفعلين مع دجاجك ... أنى لأتوق وأنت تقومين بذلك أيتها المرأة » ورددت الجدران بعد ذلك صدى الضحك الذى انبعث من أفواه الحاضرين ... وقد جلسوا إلى الموائد الخشبية ، فيوغر ذلك صدر المرأة بالغيظ والحنق فتندفع قائلة : « تباً لكم أيها الكسالى ... فما يرجى منكم نفع ولا ضر » ثم تغادر الحجرة شامخة بأنفها ، مصعرة خدها ، مشيعة بضحكات السخرية والاستهزاء ...

يبدو أن كل من كان على شاكلة توان ، وقد حباه الله جسداً حادراً وكان ضيق الصدر لا يلبث أن يداعبه الموت مداعبة القط للفأر ، ولا يلبث بعد هذه الضخامة أن يذبل عوده ، ويسرى الهلاك رويداً فى بدنه ، ويتسرب الموت إلى نفسه كما يسير اللص فى هداة الدجى ... فيطوح أولا بذلك الشعر المجعد ، وينثنى إلى الأعضاء الزائدة ... ثم لا يلبث أن يذهب بما بقى ... هذا ما يجعلنا نفغر أفواهنا دهشاً لنقول : « يا إلهى ! أيطوح الموت مثل هذا الحجم ! »

ولكن المنية غفلت عن توان ... غفلت عن منظره الضخم المثير للضحك ... بل حبته صحة وقوة ... حبته طلعة مبهجة مؤنسة ، فكان ذلك يثير حنق زوجته فتصيح : « رويدك أيها الرجل ، فسوف يأتيك منجله من حيث لا تدرى ... »

***

ألمت بتوان صدمة خلفته قعيد الفراش ، مصاباً بالفالج ، ولزم المارد العجوز فراشه فى غرفة صغيرة خلف الحانة ... حيث كان فى مقدوره أن يحس ويسمع ما يدور حوله ، وأن يتبادل الحديث مع خلانه وراء الحائط ... وعلى الرغم من أن جسده كان مقضياً عليه بعدم الحركة ، فقد ظلت روحه الطروب على مرحها وسرورها . وكانوا جميعاً يأملون فى أن تسترد أعضاؤه القدرة على الحركة والتنقل ولكن آمالهم ذهبت أدراج الرياح ... فحكم القدر على توان أن يمضى وقته فى فراشه لا يغادره ... ولم يحاول أن ينتقل من مضجعه إلا مرة واحدة ، حيث استطاع بمساعدة اثنين من جيرته النهوض مستنداً إليهم ... لتبدل زوجته فراشه بآخر .

لم يكن يفارق مرحه وبشاشته إلا فى حضور زوجته ، فإنه كان يبدو وديعاً رزيناً كالطفل ... كانت تقول له على الدوام « انظر إلى نفسك ... انظر إلى تلك الكتلة العديمة النفع . آه ! أنت تجلس فى الفراش مستريحاً ، وعلى أن آتيك بما تود ... » فلا يسمع غير الصمت ، وإغضاء طرفه ، ويتحامل على نفسه لكى يجلس فى فراشه . وكانت الحركة الفريدة التى يأتيها هو أن يتقلب ذات اليمين وذات اليسار ... راح يستمتع بالإنصات إلى لغط

القوم فى غرفة الشراب ، وإذا ما تعرف على صوت صاحب له صاح يناديه : « ألست « سلستن » ؟ ! إنى هنا يا بنى » فيجيبه سلستن « أنا ذا يا توان . أما تستطيع أن تنهض وتأتى إلينا ؟! » فيقول توان ثانية : « ليس فى طوقى أن أنهض ... ولكنى فى صحة جيدة . ولم أفقد عقلى بعد » وبعد هنيهة يدعو أصدقاءه القريبين إلى غرفته . ويتمتع برفقتهم حيناً ، ولو أن منظرهم وهم يجرعون الخمر دونه يثير كوامن نفسه ··· وينغصه بعض الشيء . فيقول فى تذمر : « أف لهذا الداء ، فهو الذى يمنعنى أن أتناول قطرة من راحى المعتق . يا لتعاستى » .

وتظهر زوجته بغتة من النافذة فتصيح : « انظروا إليه ··· انظروا إلى « الماجن المحظوظ » لقد أخذت على عاتقى أن أطعمه وأصنع ثيابه ··· وأنظفه وهو جالس كالخنزير » وعند ما يغيب وجه زوجته من النافذة ، يقفز إلى حافتها بعض الدجاج حيث يأخذ فى الصياح والتقاط فتات الخبز . ويبادره أصدقاؤه بعد أن يعدوه بالحضور فى عصر كل يوم للتندر معه ، ويستمعون إلى قعيد الفراش وهو يلقى عليهم فكاهاته التى تجعل الشيطان عينه ينطلق ضاحكا ···

وظل ثلاثة من أصدقائه يختلفون إليه على الدوام وهم : « سلستن مالويسل » وهو رجل معروق قصير كساق شجرة التفاح . و « روسبر هورسلافيل » وهو رجل دعوب ذو أنف محدب ، خصه الله بخبث الثعلب ولسان لاذع متهكم ، و « سيزار بومال » الذى لاينبس ببنت شفة ، ولكن يلذ له أن ينصت إلى توان . وكانوا يحضرون معهم لوحة خشبية يطرحونها على السرير ليمضوا الوقت فى لعبة النرد ··· ابتداء من العصر حتى الساعة السادسة مساء ··· لم تكن زوجة توان تطيق أن ترى بعلها مبتهجاً مستغرقاً فى اللعب ··· فكانت كثيراً ما تهبط عليهم فجأة فتقلب اللوحة ، وتصيح أنها لا تطيق رؤية ذلك النفر من الخنازير لا يجدون شاغلا سوى الحضور إلى دارها للترفيه عن زوجها « خنزيرهم الأكبر » وكأنه الأمير لا يعفر قدميه فى العمل الشاق الذى تقوم بإنجازه سحابة يومها ··· فيحنى كل من : « سلستن مالويسل » و « سيزار بومان » هامته أمام العاصفة ، أما « روسبر هورسلافيل » فيأخذ فى إثارتها ، فكانت تصب عليه جام غضبها وحنقها ···

قال لها « روسبر » يوماً وكانت فى سورة سخطها : « رويدك يا سيدتى أتدرين ما الذى أصنعه لو كنت مكانك ؟ » فتوقفت برهة عن السب واللعن ، وصوبت إليه نظرة حادة — كنظرة البومة — فواصل حديثه قائلا : « إن حرارة هذا الطفل العجوز كأنها الأتون المستعر . هذا ما أراه يا سيدتى ؟ انتفعى من هذه الحرارة بجعله « يفرّخ البيض » ! » ففغرت المرأة فاها من العجب وراحت تفكر ، ثم عاودت النظر إلى روسبر ـ ذلك الثعلب الماكر ـ فعاد يقول : « نضع تحت ذراعه خمس بيضات ··· وخمساً تحت ذراعه الأخرى ـ كما تضعين البيض تحت الدجاج ـ وعند ما يفرّخ ، نأخذ الفراريج وندعها لدجاجة ترعاها كما لو كانت فراريجها . ومن ثم يمكنك أن تحشدى قفصك بالدجاج . أما هذا بصحيح ؟ ! » فقالت المرأة وقد عراها الذهول : « أو تظن أنها ستفلح ياروسبر ؟ ! » فأجابها على الفور : « دون شك ، فكما يفرّخ الدجاج فى قفصه يستطيع زوجك أن يفرّخ فى سريره ··· »

كان لإيحاء روسبر أثره الفعال ··· فبعد أسبوع حملت زوجة توان عشر بيضات فى فضل ردائها إلى زوجها القعيد ··· وقالت : « لقد أرقدت الدجاجة الصفراء على عشر بيضات ، وها هى عشر بيضات أخرى لك ، فحاذر أن تحطمها ··· » فقال توان بعد أن أفاق من وقع هذه الصدمة : « يا لله ! ما هذا ؟ ! أأصاب عقلك لوثة من الشيطان ؟ ! » فأجابته زوجته : « عليك بتفريخ هذه العشرة كما تفعل الدجاجة أيها الأبله » فراح يضحك ، ولكن عند ما أحس لهجة الإصرار فى صوتها لم يلبث أن ثار غضبه لامتهان عزته وأخذ يلعنها ، ويعارضها فى أن تتخذ من ذراعه مصنعاً للتفريخ . فجن جنون المرأة وصاحت فى عزم وحزم : « إذن لن تعرف للطعام سبيلا ما دمت لن تفرخ البيض ··· ضمها ثم دعنا ننظر يازوجى العزيز » فراح يهددها بتحطيم البيض إن هى أدنته منه ، فنأت عنه ··· حتى دقت الساعة معلنة الثانية عشرة فصاح : « ويحك ! علىّ بالغداء أيتها المرأة ! » .

— « ليس هناك غداء لك ! أيها الخنزير العجوز » وخيل إليه أولا أنها تمزح فمكث غير طويل ··· ثم ما لبث أن راح يصب لعناته عليها وعلى النساء اللائى يتسيطرن على أزواجهن

فيجعلن منهم لعبة فى أيديهن … وأخيراً راح يتوسل إليها وهو يتلوى ذات اليمين ، وذات اليسار . بيد أنه لم يجد فى النهاية بداً من أن تضع خمس بيضات فى الفراش لصق ضلوعه اليسرى . وحينئذ أمكنه أن يتناول غذاءه … وفى المساء حضر إليه الأصدقاء ؛ فكان مسلكه غريباً حيالهم وكأن المرض يعتريه ، ولم يجدوا منه إقبالا وبهجة للعب ، فقد كان يضع يده فى حذر إلى جانبه عند ما تعنّ له الحركة . فسأله هورسلافيل : « ماذا دهاك ؟ ! أذراعك يؤلمك يا توان ! ؟ » فأجاب توان : « يخيل إلى ذلك كأنما أصاب أكتافى النقرس » وفجأة سمعوا لغط حاكم المدينة ووكيله يلجون الحانة ، ويطلبون قدحين من الخمر ، ثم راحا يتحدثان فى شئون البلدة .

وبينما هما يتحاوران فى لهجة قانونية ، مد توان أذنيه إلى الحائط ليتمكن من الإصغاء ، وقد سها عن البيض . وتحرك إلى اليسار قليلا حركة جعلت البيض يصير « كالعُجّة » . فتنهد توان فى كآبة وكدر وهو يشمّ النازلة . واندفعت زوجته إلى الغرفة ورفعت أغطية السرير . ووقفت تحدق هنيهة فى ذهول نحو الخليط الأصفر الذى أخذ يسيل من ضلوع زوجها ، ثم انهالت فى ثورة الجنون على الرقيد المفلوج لكما وضرباً فى حرارة ونشاط … أخذت يدها ترتفع وتنخفض ، وتيسّر وتيمّن فى ضربات قاسيات تهبط على بطن زوجها المنتفخ كأنها الأرنب يعمل يديه حفراً فى الأرض … وعلا هذه الضجة جرس القهقهة التى أخذ يطلقها رفقاؤه ، فى رنة فرح وابتهاج ، وحاول الزوج المنكود أن يتقى ذلك السيل من الخبط ، وقد انهمر عليه فى قسوة لحطم الخمس بيضات الأخرى مما زاد الطين بلة …

***

عاش توان بعد ذلك يعمل للتفريخ فقط … فحرمت عليه زوجته اللعب مع رفقائه ، لكى لا يأتى أى حركة طفيفة تحطم البيض فيتعرض لقسوتها فقد كانت تحرمه من وجبة الطعام إذا ما شرخ بيضة واحدة . فاضطجع فى فراشه عاجزاً عن الحركة ، تحدق عيناه فى سماء الحجرة . وقد ضم يديه إلى ضلوعه مرغماً ليجعل الدفأ والحرارة تسرى إلى البيض ذى الكرفُ الأبيض الهش ، لا يرتفع صوته إلا بالهمس … فقد كان يخشى الضجيج خشيته من الحركة …

وبعد فترة من الزمن أخذ يركز اهتمامه على الدجاجة الصفراء فى محضنها وطالما سأل زوجته فى قلق « أتناولت طعامها اليوم »

وزعت المرأة العجوز وقتها بين زوجها وفرختها وأملها الذى راودها أن ترى أفراخاً تتنسم الحياة سواء أفرخ زوجها فى الفراش أو دجاجتها فى القفص .. وذاع الخبر فى طول الريف وعرضه ، وأخذ الناس يفدون على « حانة الصداقة » من كل فج عميق ، وهم تواقون إلى رؤية توان « راقداً على البيض » . كان يتجهون إلى غرفته بأطراف ساهمة ـ شاع فيها الجد ـ وكأنهم يدلفون إلى غرفة مريض :

ـ « كيف أصبحت اليوم يا سيد توان ؟ ! » فيجيب : « على ما يرام لولا أننى أخشى الحركة فأحطم البيض الذى يلتصق بضلوعى » .

هرولت الزوجة ذات يوم إلى توان وهى تصيح : « لقد أفرخت الدجاجة الصفراء سبعة فراريخ ، ومذرت الثلاثة الباقية » فتسارع الدق فى قلب توان وهو يتبصر فى العدد الذى سيفرخه هو ! وقال فى صوت شاع فيه قلق المرأة حين ولادتها « أحسب أن نوبتى قد حانت !» فرددت المرأة فى اضطراب « أحسب ذلك »

وما كاد يذاع أن ساعة توان قد أزفت حتى توافد عليه الزوار من كل صوب وحدب ليشاركوه سعادة الفوز ، وطفق الريفيون يتحدثون عن توان ويطرقون الأبواب ليعلنوا أحدث الأنباء … وعند الساعة الثالثة مساء غفى توان قليلا كعادته … وفجأة استيقظ على أصوات غريبة ، وأخذ يحس نقراً تحت ذراعه الأيمن ، فمد يده اليسرى ، وأخرج مخلوقاً دقيقاً ، كُسى زغباً أصفر ، وراح يتلوى بين أنامله ، وكم كانت بهجة توان عندما صاح بأعلى صوته وأطلق الفرّوج على صدره ، وسرعان ما اكتظت الغرفة بالقوم أحاطوا به إحاطة النظارة ببطل من الأبطال ، وما كادت زوجته تقف إلى جانبه حتى أمسكت بالفروج الذى أوى إلى لحية توان العجوز … وتقاطر العرق على جبينه من الحيرة والعجب ، وهو يرتعد تحت تأثير شعور عميق ، وفاجأهم ثانية وهو يدمدم : « هه ! ها هو فروج آخر تحت ذراعى اليسرى ! » فخفّت يد المرأة تلتقطه من تحت الغطاء … وفى حذر ومهارة القابلة أخرجت يدها بالفروج الثانى … فتجمهرت الجيران حولها ، وأخذوا ينقلونه من كف إلى كف ، وهم يتطلعون إليه كأنه إحدى عجائب الطبيعة !

مضت عشرون دقيقة دون أن يحدث شيء، ثم أخذت أربعة فراريخ تنقر كُرفئ بيضها، وراحت صيحات العجب تتوالى من حين إلى آخر، وتوان يزهو بقدرته الفائقة بين نظرات الإعجاب، وراح يقول مداعباً: « لقد أفرخت ستة فراريج، فلي إذن كلمة « التعميد » ... » . فانطلقت عاصفة الضحك من أفواه الحضور، وامتلأت الغرفة على آخرها بالريفيين، فظل معظمهم قائماً عند الباب، وكل من يحضر يسأل في لهفة:

— كم أفرخ إلى الآن؟

— ستة فقط!

حملت زوجة توان « الأسرة الجديدة » إلى قفص الدجاجة الصفراء، حيث جعلت هذه تحبوها — مع أفراخها — بعطفها وتكلؤها بعنايتها، وتنظف ريشها، وتضمها تحت جناحها لتذود عنها غائلة المعتدى!

ثم لم يلبث توان أن صاح: « هه! هذا فروج آخر » . ولم يكن هذا فروجاً واحداً، بل ثلاثة فراريج مما جعل الحاضرين يسبغون على توان عبارات الإطراء والثناء، أما الفروج العاشر والأخير، فقد نقر بيضته في الساعة السابعة تماماً، وبذلك قدر لتوان أن يجوز ذلك الامتحان القاسي بنجاح باهر فاق فيه الدجاج نفسه، فلم يسعه إلا أن يقبِّل الفروج الأخير في رفق وحنان...

وبينا هو في نشوته يعجب من قدرته على إظهار هذه المخلوقات إلى حيز الكون، لم تمهله زوجته العجوز، بل قوضت عليه صرح هناءته « بمولوده السعيد » ... والتقطت منه الفروج لتضمه إلى « باقي الأسرة »

انحل عقد المتفرجين، وأخذوا يتفرقون إلى دورهم مبتهجين معجبين بتوان وقدرته. وكان آخر من غادر الغرفة « بروسبرهورسلافيل » فسأل توان في خبث شاع فيه شيء من التهكم: « هه! استدعوني عند ما يسلق أول فرّوج ويُقدَّم طعاماً على المائدة! » فأجابه توان ضاحكا: « بلى ... وعلى الرحب والسعة يا بني »

(طنطا) **مصطفى جميل مرسي**

سكك حديد الحكومة المصرية

خط مصر — بور سعيد

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه ابتداء من ٢١ أغسطس ولغاية ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥ تسير عربة ديزل علاوة (دوجة أولى وثانية) بين القاهرة وبورسعيد كالمبين بعد : —

١ — يغادر الدور رقم ٩٤١ القاهرة فى الساعة ١٤ ٥٠ ويصل إلى بورسعيد فى الساعة ١٨ ٥٠

٢ — يغادر الدور رقم ٩٣٨ بورسعيد ٧ ٠٠ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ١٠ ٥٠ وذلك وفقاً للمواعيد الأتية :—

المحطات		٩٤١ عربة ديزل درجة ١ و٢	المحطات		٩٣٨ عربة ديزل درجة ١ و٢
مصر	قيام	١٤ ٥٠	بورسعيد	قيام	٧ ٠٠
بنها	وصول	١٥ ٣١	الاسماعيلية . . .	وصول	٨ ٢١
	قيام	١٥ ٣٣		قيام	٨ ٢٣
الزقازيق	وصول	١٦ ٠٦	الزقازيق	وصول	٩ ٣٢
	قيام	١٦ ٠٩		قيام	٩ ٣٤
الاسماعيلية	وصول	١٧ ١٨	بنها . . .	وصول	١٠ ٠٧
	قيام	١٧ ٢٠		قيام	١٠ ٠٩
بورسعيد	وصول	١٨ ٥٠	مصر	وصول	١٠ ٥٠

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣٦ — الاثنين ١٠ سبتمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢١ ، ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 636 | الرسالة | Lundi - 10 - 9 - 1945

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ شوال سنة ١٣٦٤ — ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

تنافس المستعمرين

فى الشرقين الأدنى والأوسط

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

من توخى أن يعرف الحقيقة كلها فى حوادث هذين الشرقين السياسية استدعى هذا الغرض النبيل أن يرجع صاحبه ولو قليلا إلى التاريخ : لأن الزمن سلسلة متصلة الحلقات يرتبط فيها الحاضر بالماضى ارتباط المسبب بالسبب ، ويرتبط بالمستقبل ارتباط السبب بالمسبب ؛ ويستدعى هذا الغرض أيضاً كل الالتفات إلى عوامل المصالح الاستعمارية والسياسة الدولية فى الشرق

ومهما يكن شأن التطورات الاجتماعية والانقلابات السياسية المختلفة ، وشأن التوازن الجديد بين الدول العظمى التى تتوزع بأعيننا وأسماعنا أقطار هـذه الكرة الأرضية وشعوبها ؛ ومهما يكن لتقدم العلم والفن ولتطبيقاتهما العملية من أثر فى النفوس والعقول ، يبق التاريخ بأنواعه الشتى مرآة الحياة البشرية ، ونبراساً ينير البصائر لبقاء السنن الأساسية العاملة فى البشر ما بقيت جبلتهم على ما هى عليه منذ نشأة الإنسان الأول . وليس يوجد سبب غير وهمى ، وإن صدق أفراد فضلاء فى تمجيد المثل العليا ، وفى اعتقادهم سمو الإنسانية نحوها ، يثبت أن القوى سوف لا يستغل الضعيف ولا يحاول أن يبقيه مقيما على الضعف بالنسبة إليه ليحفظ قدرته ومصلحته بالقوة أو بالتمويه والرياء

***

فمن التاريخ أن الاسكندر الذى مزق امبراطورية الفرس لم تدم فتوحاته ، ولكن كان من نتائجها أن عرف العالم الغربى طرقاً إلى الغزو ، وقد التفت إليها نابليون وهو يضع مشروعاته المختلفة لمحاربة الإنجليز فى الهند . أما الرومان فقد أظهرت معاركهم فى الشرق الأدنى قيمة دجلة والفرات من حيث هما طريق إلى غزو فارس والخليج الفارسى والهند . وأدركوا أن الثروات الأسيوية لم تكن فى جزيرة العرب ولا فى أثيوبيا ، بل كانت تنقل من الهند فاتجهت جهودهم إلى التسلط على شواطئ هذه الجزيرة

قام اليونان والرومان وحدهم فى أيامهم بالتوسع الأوربى فى الشرق الأدنى . على أن أمم أوربة الغربية كانوا متصلين بآسية منذ عهد قديم بوساطة المسيحيين الكثيرين الذين ظلوا يحجون الأماكن المقدسة . ولما جاءت الحروب الصليبية نشأت إمارات مسيحية فى سورية ومملكة فى القدس . وكان لفرنسا شأن كبير فى هذه الحروب ، وهى تعد هذا الشأن أصل ما تدعيه سياستها من ذكرى وآثار تتعلق بآسية الصغرى وسورية وفلسطين ومصر ، ودخلت تلك الدويلات المسيحية فى معاملات تجارية ، فأخذ تجار جنوة والبندقية وبيز ومرسيلية يتاجرون فى الثغور السورية

ثم جاء استيلاء العثمانيين على قسطنطينية ضربة شديدة فى تجارة جنوة . ولم تكن فرنسا ولا انجلترا ولا هلانده ولا البرتغال

قادرات يومئذ على منافسة البندقية فى الشرق ، فاحتكرت هذه الجمهورية التجارة فى جميع البحر المتوسط احتكاراً عملياً . وقد أيد ثراء البندقية العظيم أحاديث عجائب أذاعها رجال الدين والتجار الذين حملوا أنفسهم على أخطار التوغل فى آسية من مفتتح الحروب الصليبية ، ووصفوا الوفر من الثروات فى بعض جهات القارة الأسيوية ، فحاول شعوب أخر أن يستدركوا ما أصبح عليه البنادقة من احتكار التجارة الشرقية ؛ ولذا عالجوا افتتاح طريق جديد إلى الهند من الشرق أو من الغرب . وأحدثت سياحة فسكوده جامه انقلاباً تاماً فى علاقات أوربة بآسية ، فقرر البرتغاليون أن يحتكروا كل تجارة فارس والهند وأرخبيل الملايو احتكاراً عملياً بتحويلها إلى لشبونة من طريق رأس الرجاء الصالح الجديد ، ولما ضمت أسبانيا البرتغال انتقلت تجارة المحيط الهندى شيئاً فشيئاً إلى الهلانديين ، ولم يلبث الإنجليز والفرنسيون أن نافسوهم فى الخليج الفارسى ، ثم تنافس الفرنسيون والإنجليز من ذلك العهد على طرق الشرق الأدنى التجارية

إن آسية وأفريقية أوسع ميادين الاستعمار ، وهما أسواق ومستغلات ، والهند أعزها لدى انجلترا ، وقد وضعت مشروعات فرنسية لغزوها على عهد بونابرت وقبله . فأصبحت الهند فى القرن التاسع عشر العامل الموجه للسياسة البريطانية فى الشرق الأدنى .

كانت بريطانيا تخشى على الهند غزوات المستعمرين من طرق سورية وقزوين ونهر أكسوس ، فلم تنتفع قبل الحرب الكبيرة الماضية إلا بالطريق البحرى ؛ وظلت مدة ضعف الدولة العثمانية وطيلة القرن التاسع عشر تحول دون الانتفاع بالطرق الأرضية : إذ اجتهدت فى إبعاد فرنسا عن مصر وسورية وبلاد العرب ، وفى منع روسيا من تثبيت قدمها على الخليج الفارسى ، ومن الاستيلاء على إيران والأفغانستان وبلوخستان ، ونحّت بعزم كل دولة منافسة عن هذا الخليج . وكانت فى آخر القرن الماضى قد أتمت احتلالها المواقع الحربية فيه : فجعلت خمسة عمال سياسيين من إنجليز الهند ساهرين منذ تلك الأيام على المصالح البريطانية فى مسقط والكويت والبحرين وبندر عباس وبندر بوشير ، وسلطة هؤلاء العمال تعتمد على أسطول صغير قوى وفرقة من الجنود الهندية معسكرة فى جوق بمدخل الخليج التى ردته بذلك بحيرة انجليزية ، فصار ميسوراً على الدوام أن تجتازها حملة انجليزية تسرع من الهند صوب شط العرب لتنقض من خلف وجنب معاً على كل جيش يقصد الهند من طريق الفرات . وقد حصلت انجلترا من تركيا بالمعاهدة السرية المعقودة فى ٤ يونية عام ١٨٧٨ على حق الحلول بقبرص ، وهـذه الجزيرة موقع حربى من الطراز الأول يسمح لها بمراقبة طريق الفرات والإشراف على خليج الإسكندرونة وصد الروس عن طريق فلسطين ، إذ كان الممثلون الروسيون يطلبون حماية الأرثوذكس فيها برغم معاهدة عام ١٨٥٦ التى ختمت حرب القرم

طال عهد التنافس بين انجلترا وفرنسا فى الشرق الأدنى ، ولم ينته فى مصر إلا بالاتفاق الودى عام ١٩٠٤ ، لكن هـذا الاتفاق لم يحدد مصالح الدولتين فى سورية . لذا ظل رجال الاستعمار البريطانى والوظفون الإنجليز فى مصر يعدون أن سورية سوف تصير ملحقة بمصر . وقد كانت سياحة السير ألدن غورست عام ١٩٠٩ فى سورية المطموع فيها سبب إشاعة اضطرت فرنسا إلى طلب بيان عنها من انجلترا . واتفق الدولتان فى ديسمبر عام ١٩١٢ على مصالحهما فى ذلك القطر ، وحصلت فرنسا بعد من تركيا على امتيازات أزعجت بعض الإنجليز ، فقام السير مارك سايس فى مجلس العموم يشكو من تأمين فرنسا باتفاق عام ١٩١٢ ، ومن الطريقة التى أولت بها هـذا التأمين . فأجاب وزير الخارجية البريطانية بأن الحكومة باقية على سياسة حفظ كيان الامبراطورية العثمانية ، وإن ذلك التأمين إنما كان تهدئة لفرنسا ، ولم يقصد به غير مصالحها الاقتصادية فيما يتعلق بالسكك الحديد ، ولم يكن فى الأمر تعيين مناطق نفوذ ؛ وإن الحكومة لم تفعل ذلك إلا تكذيباً لشائعة أراد بهـا ناشروها أن يثبتوا أن سعى بعض الوظفين البريطانيين مآله ضم سورية إلى مصر

ويوم نهضت ألمانيا نهضتها لم تلبث أن نظرت بعين الاستعمار إلى الشرق ، خصوصاً بعد مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨ ، حيث أيدتها انجلترا ، إذ كانت مشغولة بإبعاد روسيا عن استنبول قبل كل شىء . وسرعان ماوضعت ألمانيا برنامجها لتحقيق أطماعها على مبدأ « الزحف إلى الشرق » Drang Nach Osten . وهو برنامج بدأ يتضح منـذ حصلت على امتياز السكة الحديد البغدادية .

لم تدرك ألمانيا اقتسام أفريقية ، فاتجهت إلى آسية حيث أرادت أن تتخذ مناطق امبراطورية ، أو شبه هند ألمانية تجعل الأنضول وقيلقية وما بين النهرين جميعاً أرضاً جرمانية ومستعمرة عظيمة للاسكان يمكن أن تنتشر فيها الثقافة الألمانية ، وأن تصير أيضاً أسواقاً كبيرة الشأن لمصنوعات ألمانيا . وقد كانت مصانعها راغبة فى إنتاج أطنان من القضبان والمواد المختلفة لإنشاء سكة حديد عظيمة تخترق آسية الصغرى إلى الخليج الفارسى ، وترسل فروعها إلى البحر المتوسط والقوقاز وإيران

رأت ألمانيا ، فى سبيل تنفيذ برنامجها ، أن توحى إلى السلطان عبد الحميد أنها صديقته الوحيدة ، وأن مستقبل دولته فى البلاد العربية وفى ظل الخلافة ، إذ كان يومئذ يشعر بانهيار نفوذه فى أوربة ، ويجد أن كل دولة غربية اقتطعت حصة من امبراطوريته فسعت ألمانيا فى أن تجعل نفسها الحامية المتعينة للامبراطورية العثمانية ، وأن تجتهد فى توطيدها بتشجيع الجامعة الإسلامية ، وإعادة تنظيم الجيش التركى وإسداء المشورة للسلطان فى سياسة سكك حديد الغرض منها تسهيل التعبئة واحتشاد الجنود فى مكان الحاجة

أما الأمانى الروسية ومصالح انجلترا وفرنسا المستديمة منذ أجيال فى الشرق الأدنى ، فلم تكن نية الألمان أن يصدموها رأساً ، ولذا لم يذكروا الاستعمار ولم يكن فى كلامهم الرسمى سوى إحياء الموات فى أملاك عثمانية وتحويل ذلك القواء الفسيح ، بعد خصب واكتظاظ بالسكان إلى أراض اقتصادية ، فتستفيد حينئذ مصالح الجميع من عمل ألمانيا . ومتى يمتد الاستعمار الألمانى من بعد إلى سهول ما بين النهرين الكائنة ، وتصل السكة الحديد إلى الخليج الفارسى ينادى القيصر يومئذ بأنه السيد الحقيقى للامبراطورية العثمانية ويعلن حقوقه فى آسية الوسطى

غير أن انجلترا لم يكن فى استطاعتها أن تقبل مد السكة الحديد من بغداد إلى الخليج الفارسى ، وهى تجتهد منذ قرن فى أن تجعله بحيرة انجليزية ، ولم تكن فى غناء من جهة أخرى عن الأشراف على مصب شط العرب لضرورة أن تمر به السكة الحديد التى كانت تحلم بمدها إلى الهند . من أجل ذلك حالفت الشيخ مبارك ، شيخ الكويت ، فنزل لها سراً عن خور عبد الله . ولما كانت ألمانيا تريد أن تبلغ البحر بأى ثمن ، فقد أوعزت إلى تركيا أن توطد سيادتها الفعلية على الكويت بمساعدة ابن الرشيد . وبالغ السلطان عبد الحميد فى تقدير التأييد الألمانى له ، فحاول عام ١٩٠٠ أن يثبت سيادته عملا بتلك المشورة . لكن انجلترا كانت ساهرة ، فاضطرت الطوابير التركية إلى الانسحاب بأمر من قائد أسطول الخليج الفارسى ، وبقيت الحال على ما كانت عليه ، وعادت تركيا عام ١٩٠٢ ، فاحتلت جانباً من الشاطئ شمالى الكويت ، فقابلت انجلترا ذلك عام ١٩٠٣ بإعلان حمايتها لهذا الثغر ، وعينت وجهة نظرها بالدقة تلقاء المطامع الألمانية ، إذ قال اللورد لانسداون فى ٥ مايو عام ١٩٠٣ بمجلس اللوردات : « إنى أقول غير متردد إننا نعد قيام دولة أخرى بإنشاء قاعدة بحرية أو ثغر محصن فى الخليج الفارسى تهديداً خطيراً للمصالح البريطانية ، ونحول دونه حقاً بكل ما لدينا من وسائل »

ثم عقدت انجلترا اتفاقاً مع تركيا فى الربيع من عام ١٩١٢ عين البصرة مكاناً تنتهى فيه السكة الحديد البغدادية ؛ وشرط الاتفاق أن يكون لانجلترا فى مجلس الإدارة بشركة هذا الخط عضوان يشرفان على كل ما يتعلق بإدارة مرحلته بين بغداد والبصرة ؛ واعترفت انجلترا فى الاتفاق بسيادة تركيا على ثغر الكويت بشرط أن يحترم السلطان ما يتمتع به شيخه من الاستقلال الذاتى ، ويحترم أيضاً ما بين الشيخ وحكومة لندن من الاتفاقات ؛ ونزلت تركيا عن حقوقها على جزر البحرين وشبه جزيرة قَطَر ، وأراضى عُمّان حتى مسقط ؛ وشرط الاتفاق أيضاً لانجلترا حرية الملاحة على دجلة إلى بغداد ، وحق الإنارة ووضع علامات المخاطر ، وحق القيام بأعمال البوليس أى حفظ النظام والأمن ، وذلك كله فى النهر وفى الخليج جميعه

ولما أوضحت الاتفاقات الدولية الموقف إيضاحاً كافياً رأت الحكومة الإنجليزية أنها أصبحت بعد ذلك على استعداد لمباحثة الحكومة الألمانية رأساً ، ورغبت فى عقد اتفاق مع ألمانيا ، فكلفت هذه البرنس لِخْنوفسكى سفيرها فى لندن أن يفاوض السير جراى ، وتقارب وجهتا النظر قبيل الحرب الكبيرة الماضية

تقارباً يفتح باباً للأمل فى عقد اتفاق شرقى ومعاهدة استعمارية بين ألمانيا وانجلترا. وقد عقدت هذه المعاهدة فى ١٥ يونية عام ١٩١٤ وأشار إليها السير جراى فى مجلس العموم فى ٢٩ من الشهر عينه، وسميت معاهدة بغداد. وقد اعترفت فيها انجلترا لألمانيا بامتيازات عظيمة، إذ أصبح لها حرية التصرف فى السكة الحديد الأنضولية وسكة بغداد، مع احتفاظ انجلترا بجميع حقوقها السابقة فى هاتين المنطقتين. لكنها نجحت فى إبعاد منافستها إبعاداً مؤقتاً على الأقل عن شواطئ الخليج الفارسى. فكان من الممكن إذن أن تنجح يوماً فى تحقيق مشروعاتها المتعلق بإنشاء سكة حديد امبراطورية انجليزية تصل بور سعيد بالكويت، ثم تمتد على الشواطئ الإيرانية إلى الهند. ويقول البرنس لِخْنوفسكى فى مذكراته: « كان الغرض من هذه المعاهدة فى الواقع تقسيم آسية الصغرى « مناطق نفوذ »، غير أنه كان واجباً أن نتفادى من استعمال هذه العبارة بأعظم عناية مراعاة لحقوق السلطان »

ولا شيء أدل من اعتراف البرنس لخنوفسكى هذا على ما يجب أن يعرف الشرقيون من معنى صداقة الدول المستعمرة ومعنى التصريحات السياسية المتعلقة بحفظ كيان الامبراطورية العثمانية كتصريح وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم بشأن تأمين فرنسا فى اتفاق عام ١٩١٢ المتعلق بسورية؛ وليس أوضح من ذلك الاعتراف فى بيان ما يجب أن يفهم الشرق من معانى الاستقلال وما شاكل هذه الكلمة على ألسنة السياسات الاستعمارية

ولا شك فى أن الاتفاق الثلاثى بين فرنسا وروسيا وانجلترا جعل غليوم الثانى على يقين من أنه لا يستطيع تحقيق أطماعه فى الشرق بغير التجاء إلى القوة، لكنه مع عزمه على الحرب كان راغباً فى تأجيل موعدها إلى اليوم الذى تصبح فيه قوة الأسطول الألمانى مساوية قوة الأسطول الإنجليزى. أما الاتفاقات الشرقية التى قبل أن يعقدها، فكان غرضه منها تأخير أجل الحرب على أمل أن يفك عرى ذلك الاتفاق الثلاثى بسياسته. بيد أن الحرب البلقانية الثانية انتهت بمعاهدة بخارست المعقودة فى ١٠ من أغسطس عام ١٩١٣؛ وقد وزعت معظم الأراضى العثمانية فى أوربة على أكبر دول البلقان شأناً، خصوصاً سربيا واليونان، فسببت بذلك اندفاع ألمانيا فى سبيل الحرب وانجرار امبراطورية النمسا والمجر معها: فقد كان الامبراطوران يتوقعان أن يسحق الترك سربيا واليونان، فإذا بهاتين الدولتين تصبحان سداً أمام ألمانيا فى طريق الشرق وأمام امبراطورية النمسا والمجر فى طريق سلانيك وازدياد قدرة سربيا يمنع تنفيذ برنامج التوسع الجرمانى بالحيلولة دون كل وصلة تجتاز البلقان بين أوربة الوسطى والامبراطورية العثمانية. من أجل ذلك لم يكن فى وسع الامبراطوريتين الجرمانيتين أن تعدا معاهدة بخارست نهائية، فلم يبق بد من الحرب فى أجل قريب. ولذا اتخذتا حادث سرجيفو حجة لإشعالها، لأنهما كانتا متأهبتين لها. ويقول السفير مُرجَنتو فى مذكراته عام ١٩٠٩: « الآن يعرف العالم إن لم يعرف عام ١٩١٤ أن ألمانيا تعجلت الحرب لتهدم سربيا وتتولى الإشراف على الأمم البلقانية وتحول تركيا إلى دولة تابعة لها، وبذا تبتنى امبراطورية شرقية واسعة، لو بنيت لكانت أس سيادة عالية لا حد لها »

محمد توحيد السلحدار

أول صلاة فى الاسلام

صــلاة الركعتين

للدكتور جواد على

جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يخلو وحده بغار حراء شهراً فى السنة وكانت هذه الخلوة أحب شىء إلى نفسه[1] . « يتعبد فيها الليـالى ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق »[2] . ونزل عليه الوحى . وهى عادة على ما يظهر كانت معروفة عند المتدينين من عرب الجاهلية .

ولم تعين كتب السير والأخبار نوع تلك العبادة ولا كيفيتها ولم ترسم صورة واضحة لتلك العبادة التى كان يقوم بها الرسول فى ذلك الغار . « ولم يجىء فى الأحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام »[3] والظاهر أنها خـلوة ينقطع فيها النبى عن الناس ويقل اختلاطه فى أثنائها بأهله وكانت هذه أحب شىء إلى نفسه لينصرف بدون إزعاج مزعج إلى التفكير فى خلق السموات والأرض وحل لغز هذا الوجود »[4] .

ونزل عليه الوحى وهو بهذا الغار وفرضت عليه الصلاة مع نزول الوحى عليه مباشرة على رواية أو بعد ذلك بأيام أو بمدة على رواية أخرى[5] . قال ابن إسحق « إن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ثم صلى بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته »[1] .

وهذه الرواية هى رواية ابن إسحق — ولا يفهم منها بأن الصلاة فرضت بنزول الوحى على الرسول مباشرة أى فى اليوم الأول من نزول الوحى كما يفهم ذلك من رواية أخرى ، وقد أجملت ذكر الصلاة فلم تفصل كما فصل ذلك نافع بن جبير . وقد ذكرت الوضوء وهذا يخالف ما ذهب إليه العلماء من أن الوضوء لم يفرض مع الصلاة مباشرة كما أنه لا يتفق مع وقت نزول الآية التى شرعت الوضوء وهى آية « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنباً فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »[2] وهذه الآية هى مدنية ، ومعنى ذلك أن الأمر بالوضوء إنما وقع ذلك فى المدينة أى بعد الهجرة . وهذا ما لا يتفق ورواية ابن إسحق كما سترى ذلك فى بحث الوضوء والطهور .

وترى الرواية الثانية أن الصلاة إنما فرضت بنزول الوحى مباشرة أى فى اليوم الأول من أيام الوحى . « جاء فى سيرة الحافظ الدمياطى ما يفيد أن ذلك كان فى يوم نزول جبريل عليه الصلاة والسلام له « باقرأ باسم ربك »[3] حيث قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين وصلى فيه وصلت خديجة آخر يوم الإثنين . ويوافقه ظاهر ما جاء : أتانى جبريل فى أول ما أوحى إلى فعلمنى الوضوء والصلاة . فلما فرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها ... ... الخ »[4] .

وليس هنالك أى دليل قوى يقوى رواية من يقول بأن فرض

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٥٠ (الطبعة المصرية) .
(٢) ابن الأثير جـ ٢ ص ٢١ . راجع كتب الآخرة مثل الطبرى . واليعقوبى والمسعودى . وابن كثير وابن خلدون وغيرها وكتب الحديث .
(٣) راجع السيرة الحلبية جـ ١ ص ٢٢٦ .
(٤) راجع السيرة الحلبية جـ ١ ص ٢٢٣ وما بعد .
(٥) راجع كتب الحديث والسير .

---

(١) ابن هشام جـ ١ ص ١٥٥ . الحلبية جـ ١ ص ٢٥٥ ابن الأثير جـ ٢ صـ ٢٢ .
(٢) سورة المائدة رقم ٥ آية ٦ .
(٣) سورة العلق رقم ٩٦ آية ١ .
(٤) السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٢٥٢ .

الصلاة كان فى اليوم الأول من نزول الوحى والحديث المشهور عن كيفية نزول الوحى على الرسول ثم ذهابه إلى خديجة وانطلاق خديجة به إلى ورقة بن نوفل لا يؤيد هذه الرواية[1] ولو كان فرض الصلاة فى هذا اليوم لوجب نزول الوحى بذلك ؛ وكل الآيات القرآنية التى تشير إلى الصلاة هى متأخرة بالنسبة إلى نزول الوحى . وفى سورة اقرأ (العلق) وهى أقدم سورة من سور القرآن ولا شك ذكر للصلاة حيث ورد « أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى »[2] ولكن الذى نزل فى غار حراء من هذه السورة هو إلى « علم الإنسان ما لم يعلم »[3] أى إلى الآية الخامسة ، وأما ما بعد ذلك فقد نزل متأخراً فتكون الآية السابقة متأخرة إذاً ، ومعنى هذا أن الأمر بالصلاة لم ينزل فى غار حراء أى يوم نزول الوحى على الرسول

إذاً فنحن لا نعرف أول يوم نزل فيه الوحى بالصلاة على وجه التأكيد . ثم إننا لا نعرف كيف بدأت الصلاة . نعم هنالك روايات ولكنها متناقضة وتحتاج إلى بحث عميق . ويجب الرجوع قبل كل شيء ، ولاشك إلى القرآن الكريم . وإلى ما كتب حوله من تفاسير ومعرفة أسباب النزول وترتيب النزول والناسخ والمنسوخ وتمييز الآيات المكية من الآيات المدنية ، ووضع تواريخ ثابتة لأوقات نزول السور والآيات .

أما القرآن الكريم فكتاب سماوى مثل سائر الكتب السماوية جاء بأحكام أساسية عامة وشرعاً للناس . أحكامه أساسية عامة شرحها النبى لأصحابه وسأل الصحابة الرسول عن الآيات ومفردات الكلمات . وقد رتبه وجمعه نفر من الصحابة . لذلك كان على المسلمين معرفة ترتيب النزول . ولم يتعرض القرآن فى أى مكان منه إلى تفصيل كيفية الصلاة وعددها فى اليوم ، وقد أجهد المفسرون أنفسهم لشرح ذلك وتفسيره تفسيراً يظهر منه عدد الصلاة فى اليوم وكيفيتها ، ولكننا لا نستطيع فى هذا اليوم أن نقول بأنهم نجحوا فى ذلك ، لأن القرآن الكريم يترك أمر الشرح والتفسير إلى الرسول . وعقول الصحابة مختلفة فى الوعى والفهم والقرب من الرسول لذلك كانت شروحهم مختلفة وتفاسيرهم متباينة فى بعض المواقف وهذا مما يزيد فى موقف المؤرخ فى هذا اليوم صعوبة وحرجاً .

جاء عن نافع بن جبير بن مطعم وكان نافع كثير الرواية عن ابن عباس أنه قال « لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ثم صلى به الصبح مسفراً غير مشرق »[1]

والذى يفهم من رواية نافع هذه أن الصلاة حينما فرضت فرضت خمس مرات فى اليوم رأساً وأن جبريل عين للرسول أوقاتها ، أوائلها ومنتهاها ، كما عين ذلك الفقهاء فيما بعد ولم تعين الرواية الوقت الذى فرضت فيه هذه الصلوات الخمس وهى رواية تخالف رواية حديث الإسراء . تلك الرواية التى تكاد الأخبار الإسلامية تجمع عليها ؛ فلو حملنا رواية نافع هذه على محمل خبر الإسراء وافقت هذه تلك الرواية وإن كانت تخالفها أيضاً فى المعنى ، ففى رواية الإسراء أن الرسول حين انتهى إلى السماء السابعة فرض الله عليه خمسين صلاة كل يوم ، ثم إن الرسول سأل ربه أن يخفف عن أمته تخفف عنه وعن أمته حتى أصبحت خمس صلوات فى اليوم[2] .

فليس لجبريل فى حديث الإسراء بالنسبة إلى الصلاة مقام وليس فى هذه الرواية تحديد وقت ولا ذكر للوضوء الذى جاء متأخراً بالنسبة إلى الصلاة . وتظهر رواية نافع ضعيفة تجاه الشروح والتفاسير والأخبار التى تناولت هذه القضية .

إن أول إشارة إلى الصلوات الخمس هى تلك الإشارة التى وردت فى حديث الإسراء . جاء فى هذا الحديث أن الرسول لما انتهى إلى السماء السابعة « فرض الله عليه خمسين صلاة كل يوم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت راجعاً فلما مررت بموسى بن عمران

(١) عن الحديث راجع التجريد ج ١ ص ٥ وسائر كتب الحديث والسير .
(٢) سورة العلق (اقرأ) ٩٦ آية ١٠٢٩ .
(٣) تفسير الجلالين ج ٢ ص ٢٤٩ .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٦ . ونافع أحد الرواة المكثرين فى الحديث عن ابن عباس .
(٢) راجع التجريد الصريح ج ١ ص ٣٤ وكتب الحديث والسير .

ونعم الصاحب كان لكم سألنى كم فرض عليك من الصلاة فقلت خمسين صلاة كل يوم ، فقال إن الصلاة ثقيلة وإن أمتك ضعيفة فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك، فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عنى عشراً ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عنى عشراً ، ثم رجعت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألته فوضع عنى عشراً ، فمررت على موسى ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت إليه قال فارجع فاسأل حتى انتهيت إلى وضع ذلك عنى إلا خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، ثم رجعت إلى موسى فقال لى مثل ذلك فقلت قد راجعت ربى وسألته حتى استحييت منه فما أنا بفاعل ؛ فمن أداهن منكم إيماناً بهن واحتساباً لهن كان له أجر خمسين صلاة »[1]. وهذه الرواية هى رواية عبد الله بن مسعود[2] وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وأبو حبة الأنصارى[3].

وتختلف هذه الرواية فى تعيين منازل الأنبياء وأماكنهم فى السموات السبع حين مر النبى عليهم عن الترتيب المألوف فى سلسلة الأنبياء . يلاحظ أن الترتيب فى هذه الرواية على اختلاف الروايات لم يراع فيه ترتيب النبوة وسلسلة أوقات الأنبياء ، إذ جعلت مكان آدم فى السماء الأولى ثم انتقلت رأساً إلى عيسى مع أنه آخر الأنبياء قبل محمد فجعلته فى السماء الثانية وكان الأولى أن يكون فى السماء السابعة أو السماء الأولى إن روعى فى ذلك آخر السلسلة ، وجعلت مكان يوسف بن يعقوب فى السماء الثالثة وإدريس فى السماء الرابعة ثم هرون بن عمران فى السماء الخامسة مع أنه لم يكن نبياً من الأنبياء ، وجعلت فى السماء السادسة موسى بن عمران وفى السماء السابعة إبراهيم .

ويلاحظ أيضاً أن الرسول حينما هبط من السماء السابعة بعد أن كلف بخمسين صلاة فى اليوم لم يتكلم مع إبراهيم وهو أول نبى يمر عليه الرسول بضرورة الترتيب بل كان كلامه مع موسى وهو فى السماء السادسة كما رأيت وهو الذى أشار على الرسول بالرجوع

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢٤٧ .
(٢) ابن هشام ج ١ ص ٢٤٦ .
(٣) راجع التجريد ج ١ ص ٣٥

ليسأل الرب عن التخفيف . والظاهر أن سبب جعل ابراهيم فى السماء السابعة هو لكونه صاحب الديانة الحنيفية التى كان يدين بها من رفض عبادة الأصنام من العرب .

وقد كان الرسول يدين بدين ابراهيم « ملة أبيكم ابراهيم » وابراهيم أبو المستعربة جاء فى هذه الرواية حينما سأل النبى جبرائيل عن الشخص الذى رآه لأول مرة فى السماء السابعة « هذا أبوك ابراهيم »[1] .

وأما تخصيص موسى بالكلام فالظاهر أن ذلك كان لما عرف عن بنى إسرائيل من عقوق . ولما خالفوا به أوامر أنبيائهم كما هو معروف فى التوراة ولكثرة الصلوات عند اليهود[2] .

وأما رواية أنس بن مالك فتختلف عن رواية ابن مسعود بعض الاختلاف فى قضية ترتيب الأنبياء ، ولكنها تتفق بعد ذلك فى قضية إشارة موسى على الرسول بطلب التخفيف .

وفى هذا الحديث أول إشارة إلى الصلوات الخمس فى الإسلام ، وقد حدث الإسراء بثلاث سنين أو سنتين أو بسنة قبل الهجرة[3] أو بست ونصف ، إذاً فتكون الصلوات الخمس قد فرضت فى هذا الوقت فى الإسلام[4] ويستند قولنا هذا على حديث الإسراء طبعاً أما فى القرآن الكريم فلم يرد فى الإسراء طبعاً شىء عن الصلاة . وأما الآية الكريمة التى ذكرت الإسراء فقد تناولت الإسراء بصورة عامة ولم تتعرض إلى كل ما ذكر فى حديث الإسراء مما حدثه المحدثون ، والحديث يحتمل التصديق ويحتمل التكذيب وليس بشىء تجاه القرآن .

يقول المستشرق ميتوخ « أما متى بدأ الرسول بأول صلاة من صلواته ثم متى أصبحت الصلاة واجبة فى الإسلام فإن الإجابة على ذلك إجابة تاريخية صحيحة إن لم تكن مستحيلة فإنها صعبة حتى الآن . غير أن الرأى الإسلامى هو أن الصلوات الخمس إنما فرضت فى ليلة الإسراء أى قبل سنة ونصف من الهجرة »[5] .

وقد بذل المفسرون جهوداً عظيمة لتفسير الآيات القرآنية

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢٤٧ .
(٢) الخازن ج ٣ ص ١٤٦ .
(٣) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٨ .
(٤) و (٥) mittwoch q. 9.

التي ورد فيها ذكر للصلاة وللتوفيق بين هذه الأبيات وبين الحـديث بدون أن يتوصلوا إلى نتائج مقبولة ليس للحمل ولا التأويل فيها مقام . وذلك لأن الصلوات اليومية الخمس لم تذكر فى أى مكان ما من القرآن ذكراً صريحاً[1] فصار المفسرون يجهدون أنفسهم لتأويل الآيات تأويلا يفهم منه بأن المقصود من الآيات التي نوه فيها بذكر أوقات الصلاة الصلوات اليومية الخمس .

على أننا إذا ما قرأنا الآيات القرآنية ودققنا فى الحديث كحديث عائشة وهو : « فرض الله تعالى الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر »[2] . نتوصل إلى شيء آخر ، نتوصل إلى أن الرسول كان يصلي قبل الإسراء حتما وأن صلاته كانت ركعتين فقط فى كل صلاة[3] . وأنه كان يصلي مرتين فى اليوم ، مرة فى الغداة ومرة فى العشى[4] . كما يفهم ذلك من الآية : « يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم »[5] .

فجاء فى هذه الآية اسم صلاتين هما صلاة الفجر وصلاة العشاء . وتؤيد هذه الآية الروايات التي وردت فى الحديث والسير من أن الرسول كان يصلي مرتين فى اليوم مرة عند بدء النهار ومرة فى آخر النهار[6] .

والظاهر أن الرسول كان يتعبد طويلا فى الليل فى أيام بعثه الأولى وأنه كان « يتهجد » فى الليالى يدعو الله ويصلي إليه[7] وكان يقرن ذلك بقراءة القرآن . وقد كانت قراءة القرآن وقت الفجر من القراءات المحببة إلى الرسول « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل . وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً[1] » .

أخذت عبادة الليل وقتا طويلا من أوقات النبي حتى اجهدته . جاء فى الاخبار « لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة لا عليه ولا على أمته إلا ما وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد بقوله تعالى « ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم[2] » . وهو الناسخ لما قبل ذلك من التحديد فى أول السورة الحاصل بقوله « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا[3] » . وقد نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس ليلة الاسراء[4] .

وجاء « أول ما فرض عليه الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض عليه قيام الليل المذكور فى أول سورة المزمل ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ بالصلوات الخمس[5] » . وبعد افتراض الصلوات الخمس اقتصر العباد والزهاد من الصحابة على التهجد وقيام الليل تقربا إلى الله وتطوعا منهم وقربة .

كان « التهجد » إذاً عبادة ليلية يقوم بها الرسول « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً[6] » . مقرونة بتلاوة ما تيسر من القرآن . وهو عبادة اختيارية طبعاً يقوم بها الانسان تقربا إلى ربه لا يحاسب الانسان فيها إذا أهملها لأنها غير مفروضة كما رأيت .

(البقية فى العدد القادم)

جواد على

(١) تاريخ القرآن لنولدكه جـ ١ صـ ١٠١ .
(٢) التجريد جـ ١ صـ ٣٤
(٣) mittwoch p. 10 .
(٤) الحلبية جـ ١ صـ ٢٥٤ .
(٥) سورة النور ٢٤ آية ٥٨ .
(٦) كتب السير والحديث.
(٧) التجريد جـ١ صـ ٧٨ وما بعد .

(١) الاسراء سورة ١٧ آية ٧٨ .
(٢) المزمل ٧٣ آية ٢٠
(٣) المزمل ٧٣ آية ١ — ٤ .
(٤) الحلبية جـ ١ صـ ٢٥٤ .
(٥) الحلبية جـ ١ صـ ٢٥٤ — ٢٥٥ .
(٦) الاسراء سورة ١٧ آية ٧٩ .

حديث المــــائدة

للأستاذ زكي نجيب محمود

رحم الله يوماً كانت فيه النفس ساذجة يافعة ، تسير مطمئنة فى طريق لا تلتوى وسبيل لا تجور ، وتثب إلى الإيمان بما يروى أو يذاع وهى آمنة فى حصن منيع من الرضى ، لا تنفذ خلاله خلجة من الشك أو نزعة من الجحود والإنكار

ولعن الله يوماً أزيل فيه ما ران فوق البصيرة من غشاء ، فقد ودعت النفس عندئذ تلك الطمأنينة الراضية ، واستقبلت شكا ملحاً مضنياً يمقت راحة التصديق ، ويأبى هدوء الإيمان ، ولا يطمئن إلى ما تواضع الناس عليه ، لا يفرق فى ذلك بين معقول ومنقول ، فقد غدا كل شيء موضعاً للتفكير وخاضعاً للشك والرفض والإنكار

قال ذلك صاحبي وهو يتحدى أن يكون فى العالم حقيقة واحدة تبلغ حداً من التعيين يستعصى على الشك ولا يلين للنقد والرفض ، ويهزأ بتلك البدائه التي نزلت عند الناس منازل الإيمان . وكان يسائلنى فى شيء من السخرية : هل يمكن أن تكون للعقل كرامة موفورة فى الاستسلام والرضى ؟ ! فهو يستمرئ مرارة الشك ، ولا يعدل بعبثه المضنى جنات عرضها الأرض والسماء ، ولوأنه كان يود أن لم يكن ذلك الشك ، وأن لم تزل تلك السذاجة البريئة المطمئنة الراضية

قال محدثى : قد تظن أنك تعلم طائفة من المعارف لا يحدها حصر ولا عدد ، تبلغ ألوف الألوف ، بل ألوف الملايين ، كلها ثابت لا تزعزع يقينه عواصف الشك مهما بلغت من قوة وبأس . انظر ! هذا مقعد ، وتلك مائدة تنتثر عليها طائفة من الكتب ، وهذه نافذة تستطيع أن تشهد خلال زجاجها شمساً ساطعة وسماء زرقاء ، وسحباً وكفاء تسير الهوينا مع الريح ... نعم ، وها أنت ذا تصيخ فتسمع صوتاً ينبعث هنا وجلبة تضطرب هنالك ، هذه أبواق سيارات تصيح فيتبينها سمى وسمعك على السواء ، وذاك صراخ أطفال يلعبون ويمرحون ... هذه أصابعك تنزلق فوق المائدة فتصادف جسما صقيلا ناعماً ، ثم تمر على شعرات الفرجون فلا تشك فى خشونتها .... نعم ! لقد يخيل إليك أنك تعلم هذا كله ، وتعلم آلافاً من أشباهه علم اليقين ، بل وتعلم فوق هذا كله طائفة من الحقائق المركبة المعقدة ، أفلا تعلم أن الشمس تكبر الأرض ، وأنها تشرق كل صباح وتغرب كل مساء لدورة الأرض حول محورها مرة فى كل يوم ، وأنها ستمضى فى الشروق والغروب ما بقيت الأرض أرضاً والسماء سماء ؟ إنك لا تشك فى صحة هذه الحقائق ، ولعله لا يرضيك أن تراها يوماً موضعاً لشك ، ولكنك يا صاح لا تكاد تصوب نحو أى منها أشعة التفكير ، حتى يتبدد ذلك اليقين هباء ، وينهدك من أساسه حيث يسلم بناءه لمعول الشك يعمل فيه ، فلا يرتفع عنه إلا وهو أنقاض لا تغنى ولا تفيد .

وضرب صاحبي بقبضة يده فوق المائدة وقال : خذ هذه المائدة مثلاً ! أفتشك فى أنها مصنوعة من خشب قد طليت باللون الأصفر ، وأنها مستطيلة الشكل ناعمة الملمس ؟ فناظراك ينقلان إليك لونها وشكلها ، وأناملك تحس نعومة صقلها ، وأذناك لا يخطئان رنين الخشب إذا ما نقرت ظهرها بأصبعك ، ومن تلك الحقائق الجزئية التي سلكت إلى ذهنك هذه الطريق أو تلك تكونت فى نفسك صورة للمائدة قوية واضحة ، تستطيع أن تستعيدها على صفحة الذاكرة كاملة ، إذا ماحال بينك وبينها حائل

ولكن من أدراك ياصاح أن هذه المائدة موجودة فعلا ؟ أفلا يجوز أن تكون الحواس خادعة تبدع لك وجوداً من عدم ؟ هل يبعد أن يكون اللون من خلق البصر ، بل وأظنه كذلك عند العلم والعلماء ، الذين يستمع إلى قولهم إذا قالوا ، فهم لا يعترفون بأكثر من موجات ، تطول حيناً وتقصر حيناً ، فتتلقاها العين ثم تأخذ فى ردها إلى هذا اللون أو ذاك ، وإذن فالعلم — وهو جهينة هذا الجيل — ينكر أن يكون للون وجود فى الواقع . . . وقل مثل ذلك فى صوت هذه النقرة التي بلغت أذنيك فأنبأتك بأنها للوح من الخشب ، فهى الأخرى موجات صامتة فى الواقع ، صائتة فى أذنك أنت ! ... وهكذا تستطيع أن ترد ما تنقله إليك الحواس جميعاً عن حقيقة المائدة ، وإذن فهى وهم تآمرت على نسجه الحواس ، ليس له وجود حقيقى فى العالم الخارجي

وهبها حقيقة موجودة لا شك فى وجودها ، فهل تراك تعلم

من أمرها شيئاً ؟ أنعم النظر فى لونها الذى خيل إليك للنظرة الأولى أنه أصفر ، ألا ترى أشعة من الضوء تنعكس على سطحها الصقيل ، فانقلب فى بعض المواضع أبيض أو قريباً من الأبيض ؟ در حول المائدة ينتقل موضع الضوء ، وإذن فلون المائدة يختلف باختلاف موقفك ، فلو جلس حول المائدة عشرون شخصاً ، وأمسك كل واحد لوحة ينقل فوقها المائدة بلونها كما يراها ، لاجتمع لديك عشرون رسماً لا يشبه بعضها بعضاً ، فأين الحقيقة بين هذه العشرين ؟ إنى لأرى شفتيك تفتران عن ابتسامة ساخرة من هذا الهراء ، أو ما تحسبه أنت هراء ، ولكنه حق لا شك فيه ، فلو رضت عينك على النظر إلى الأشياء بحيث ترى ما يقع عليها من مختلف الألوان ، إذن لرأيت لكل شىء عشرات وعشرات من الألوان المتباينة ، لا يأبه لها النظر السريع ، ويدركها الرسام فى جلاء ووضوح ... لقد شاهدت مرة فى معرض أقامه مصور فنان ، لوحة تصور منظراً للنيل عند أنس الوجود ، فوجدته قد خلع على الماء مجموعة من ألوان لا تراها العين ، أو على الأصح يخيل إلى العين أنها لا تراها — فسألته : أين رأيت هذه الألوان التى صبغت بها لوحتك ، فأجاب : رأيتها على صفحة الماء ، وهو صادق فيما يقول

فليس لون المائدة أصفر وإن شبه لك أنه كذلك ، لأنه يختلف مع الضوء وحدة البصر ، كما ينعدم فى حلكة الليل ، وإذن فليس هو صفة لازمة للمائدة فى كل وقت وعند كل عين ، إنما يتوقف على موقف الرائى والضوء الساقط ، كما يتوقف على المائدة نفسها

دع اللون وابحث فى نعومة السطح ، فعينك المجردة العارية قد تراه صقيلا لامعاً ، لا غضون فيه ولا التواء ، فإذا ما نظرت إليه خلال المجهر ، رأيت سهولا وحزوناً وهضاباً ونجاداً ، وكلما ازداد المجهر حدة ازداد السطح تغضناً وخشونة ، فأين حقيقة السطح إذن ؟ أهو وعر كثير المسالك كما يبدو خلال المنظار ؟ أم مستو صقيل كما تراه العين المجردة ؟ لا أحسبك تستطيع أن تقطع فى هذا بقول صحيح !

ثم انتقل إلى شكل المائدة وحدثنى ما هو ... وإن زعمت أنه مستطيل فمن ذا أنبأك بهذا ؟ انك لا ترى استطالة السطح إلا فى موقف واحد ، وهو أن تنظر إليه من أعلى نظراً عمودياً لا يميل ، وقل أن يحدث هذا ... خذ قلما وقرطاساً وحاول أن ترسم سطح المائدة وسترى عجباً ، فلن يبدو لك السطح مستطيلا كما تظن بل ستراه يضيق من ناحية ويتسع من ناحية أخرى ، وكلما نزل مستوى بصرك أو صعد تغير الشكل المنظور ، وكلما تحركت قيد شبر واحد تغير شكل المائدة ... فلو وقف فى الحجرة ألف شخص ورسم كل واحد منهم المائدة كما يراها ، كان لديك ألف شكل لا يشبه واحد منها الآخر ، فهل لشكل المائدة حقيقة واحدة أم الف من الحقائق ؟ !

ثم تعال معى نخبرها من حيث الصلابة والليونة ... اضغطها بين أصبعيك فماذا أنت واجد ؟ لا أحسبك شاكا فى صلابتها ، فهذا ما تحسه يداك ، كما يحسه كل إنسان آخر ، ولكن هب أن الله قد أمدك بقوة تساوى ألف مثل من قوتك ، فهل ترى صلابة المائدة تظل بين أصبعيك كما هى لا يطرأ عليها التغيير والتبديل ؟ كلا ! فكلما ازدادت قوة الضغط، قلت نسبة الإحساس بالصلابة ، فهى أصلب فى ملمس الطفل منها فى ملمس الرجل ، وهى أصلب فى ملمس الرجل منها فى مخلب الأسد ! فهل ترى من حق الإنسان أن يكون حكما يقضى لهذه بالصلابة ولتلك بالرخاوة ، وهو لا يعبر إلا عن شعوره الخاص ؟ ... اقرع المائدة باصبعك تسمع لها صوتا تعهده للخشب ، فتظن أن للخشب صوتا يلازمه فى كل ظروفه ، وأنه لا زمة من لوازمه ، ولكنك ترفض هذا حين تعلم أن له رنيناً آخر إذا نقرته بمفتاح مثلا ، وثالثاً إذا ضربته بمحجاة وهلم جرا ...

إذن ليس لون المائدة أصفر على وجه اليقين ، وليس السطح مصقولا على وجه اليقين ، وليس الشكل مستطيلا على وجه اليقين وليس الخشب صلباً على وجه اليقين ، وليس له صوت بعينه ... وإذن فما نقلته اليك عيناك مشكوك فى أمره ، وما نقلته اليك أذناك مطعون فى صحته ، وما نقلته إليك أصابعك موضع للاخذ والرد ، فماذا بقى لك من مائدتك التى عهدتها وما شككت يوما فى يقينها ؟ أفلا ترى الآن أن صورة المائدة فى ذهنك قد تنقص عن الواقع ، وقد تزيد على الواقع ، وقد لا يكون لها واقع على الاطلاق ؟ !

الحياة الأدبية في الحجاز

نهضة الشعر

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

سمع هؤلاء الشعراء هذه الصيحة التي صاح بها أدباء المهجر في وجه التقليد فاستجابوا لها لأنهم وجدوا فيها دعوة إلى الصراحة والتعبير عن النفس في وضوح وجلاء ؛ والعربي أقرب الناس إلى هذه الصراحة ، كما وجدوا فيها خروجاً على التقليد الذي قعد بهم عن الرقي الزمن الطويل ، ولهذا صاح كثير منهم في الحجاز في وجه التقليد ودعوا إلى مثل هذه الدعوة التي دعا إليها جبران فقال أحدهم : « بعض من شباننا الأدباء وبعض من قراء (الكتب القديمة الجامدة) يقرض القطع الشعرية البديعة الناصعة ، ناصعة والحق يقال . ولكن ما ذا يضمنها من الأفكار ؟

ينظمها في الخمريات وفي الغزل وفي المديح وفي الحماسة وفي الحكمة ، وكل هذه من الأفكار الميتة التي دفنت مع عصور ... فلا تصلح لنا...

وقال : « أمامنا الوطن ، أمامنا العادات والأخلاق ، أمامنا الحرية بأنواعها ، أمامنا الشرق الكسول ، أمامنا التغني بأمجاد الشرق ، أمامنا العرب بحالتهم السياسية ، أمامنا الغرب باختراعاته»

هذا هو الروح الجديد المتوثب الذي يسري في شباب المدرسة الحديثة في الحجاز . ولعل القارئ يدرك التشابه بين هذا الروح واتجاه أدباء المهجر ، بل لعله مدرك التشابه في الأسلوبين وطريقتهما.

ولما كان أدباء المهجر أحراراً في كل شيء ، متمردين على القيود القديمة والأغلال المتوارثة ، فقد بدأ هذا التحرر في القافية وطريقة الوزن الشعري والموضوعات والمعاني والأخيلة ، ومن ثم تابعهم شعراء الحجاز المجددون في كل هذا : فالكثرة الغامرة من قصائدهم لا تتبع قافية واحدة ، والمربعات والمخمسات والدوبيت والموشحات تفوق عندهم القصائد وتربى عليها . ونحن نسوق هنا مثلا من الطرق التي يتبعونها في قافيتهم . فما جاء من ذلك مناجاة « لحسن فقي » يناجي فيها القمر ومنها :

حسبي من الدنيا الحقيرة أن أراك لدى المساء
تلقى بنورك في القلوب كبلسم يزجي الشفاء
فأعود بالذكرى إلى عهد اللذاذة والهناء
وأبث ما يجد الجنان

حسبي من الدنيا بقاؤك ساطعاً فوق الهضاب
مترنحاً من نشوة الحسن المسيطر والشباب
متطلعاً من عرشك العالي إلى أسرى العذاب
ترنو إليهم في حنان

بل إن الشاعر هنا لا يريد أن يعترف بشطري البيت فساقه جملة كما يفعل شعراء المهجر أيضاً .

ومن الطرائق التي يتبعونها في القافية أن يغير الشاعر القافية في كل بيت ، ولكنه يذيله بكلمة متحدة القافية مع الكلمات الأخرى وفي هذا النوع يقول الشاعر « عمر عرب » في قطعة عنوانها « عصر الشباب » .

حدثيني عن الصبا والشباب عن زمان الهناء بين الصحاب
حدثيني
حدثيني عن الهوى يا مهاتي إن هذا الحديث يحيي رفاتي
حدثيني

ويقول :

لست أسلو هواك يا هند يوما لا ولم أخش في عذابك لوما
صدقيني

أخشى أن ينتقل بنا الحديث من المائدة إلى مشكلات فلسفية عميقة ، فهي توشك أن تفتح أمامنا أبواب بحث جديد ، جدير بالتفكير . هل هناك مادة في الوجود كما يبدو أم هي بدعة أنشأها الفكر البشري إنشاء وخلقها من العدم خلقاً ؟ ! ... هل تدل مظاهر الأشياء على حقائقها وتنطبق عليها انطباق المثال على المثال أم تختلف عنها اختلافاً بعيداً أو قريباً ؟ ! ...

ثم وضع صاحبي كفه القوية فوق كتفي ، وقال في عطف ونصح : فكر في كل شيء ، وستشك في كل شيء ! !

زكي نجيب محمود

ذكريني بذلك العهد هند كيف نلنا الآمال والعيش رغد
ذكريني

وهكذا يحاول شعراء المدرسة الحديثة أن يتخلصوا من قيود القافية ؛ حتى ليسوق إليك بعضهم كلاما يخيل إليك بادىء الأمر أنه نثر ، فإذا أطلت النظر فيه وجدته شعرا ونثرا ؛ قد التزم في بعضه الوزن وأطلق الآخر حراً دون قيد ، ومن ذلك كلمة للأديب « عزيز ضياء » عنوانها « عيد » يقول فيها بعد كلام طويل وصف فيه مغيب الشمس قبلة ليلة العيد ...:

ثم لما ابتلعها لحدها وغيبها دهرها
صاح في الروض طير
لقد ماتت ذكاء
فكان يوم قديم قد مر وكان شهر قديم قد انقضى
وجن جنون السحاب الحزين
فناح نواحا يثير الحنين
وراح يناجي الربى والحزون
يمزق فوق الربى وجهه
ويهرق فوق الثرى دمعه
ولم يرث قلب لتلك الدموع
ففاض المحب بأنفاسه
وراء الجبال وراء الحبيب ... الخ

فلعلك مدرك بعد هذا أن الأديب هنا قد جمع بين الشعر المنظوم والشعر المنثور وأن الفقرة التي أولها « وجن جنون السحاب الحزين » شعر موزون من بحر المتقارب ولكن الأديب لم يلتزم فيه قافية متكررة . على أنك واجد في بقية القطعة تحرراً من الوزن والقافية معاً .

ويجب أن يستقر في أذهاننا أن تقليد الحجازيين المتئدين منهم والمتوثبين تقليد قوى لا تفنى فيه شخصياتهم وإنما يقلدون غيرهم في الطرائق والمناهج ويصورون بعد ذلك عواطفهم وبيئتهم ، فهم متأثرون بهذه البيئة أشد التأثر : متأثرون بطبيعة أرضها وعادات أهلها وآمالها وعقائدها .

والشاعر إذا شعر تجد في ثنايا شعره كل هذه الاتجاهات واضحة جلية :

يقول معالي الدكتور هيكل باشا : « ثم إن الأدب يتأثر دائما بالبيئة التي تحيط به كما يتأثر بأحداث الزمان ، وإذا كانت هذه الأحداث قد بعثته في الحجاز ، حتى جعلت أهله يتطلعون إلى غيرهم من الأمم المجاورة لهم ، فإن البيئة العربية الصحيحة التي لم تتغير ، قد بقي لها أثرها في هذا الأدب ، شأن كل بيئة في أية أمة من الأمم ، ولعل أثر البيئة الطبيعية أكثر وضوحا في شعر أدباء الحجاز منه في نثرهم .. »

ونحن إذا أردنا أن نلتمس الدليل على ذلك وجدناه واضحاً جلياً ، فهم مع اطلاعهم على الآداب الأخرى لم ينسوا أن يصفوا جبالهم وهضابهم وما ينبت في أرضهم من أثل وأراك ، فعبد الوهاب آشي يقول :

بلاد حبتها الطبيعة ما يحبب للقلب أدوارها
جبال تناطحجون السحاب وتوحي إلى النفس أفكارها
تنائف تمرح فيها الوحوش تساجل في الدوح أطيارها
ومشتبك الأثل في غابها كما جارة عانقت جارها
إذا الليل أرخى ستائره أرتك الكواكب أنوارها

وفي الأبيات الآتية ما يصور للقارىء ناحية من نواحي الحياة بالجزيرة حيث يقام استعراض عام للجيوش ، فتبدو الخيل صاهلة والإبل ترغو والأعلام خافقة ، وقد قيلت في الاستعراض الذي أقيم احتفالا بنجاة جلالة الملك ابن السعود من حادث المطاف ١٣٥٣ هجرية :

في موكب (العرضة الكبرى) وقد لعبت
فيها الرماح وقامت ترقص القضب
والخيل تصهل والأعلام خافقة
والأسد تزأر والآفاق تصطخب
والابل ترغى وأصوات البنادق
كالرعد المدمدم تروى رجعها السحب

ولما كان اتصالهم بالثقافة الحديثة اتصال الدائب المجد ، اتصال الذي لا يترك كتابا ظهر في عالم التأليف حتى يأتي عليه ، لما كان هذا فقد رأيناهم يعالجون الموضوعات النفسية ويأتون ببعض من المعاني الفلسفية التي تتصل بالروح والحياة والغرائز البشرية ، فأحمد قنديل يناجي الحياة في قصيدة طويلة جاء فيها :

أنا بين ماضى المنير وحاضرى الد　　اجى وتحت غمامة المستقبل
متفائل متشائم فى فكرى الد　　امى عراك هائل لا ينجلى
أبداً أظل برحلتى كالهائم الد　　اعى إليك بحيرة وتأمل
لا تصطفين سوى محب حام حو　　لك هائم متعززلا يستكين
ولثمت فاك فكان خمرى اللمى حلو الرحيق
لكن نشدت الطهر فيك فما وجدت له عبوق

إلى أن يقول :

من أنت ؟ بل قولى بحقك : من أنا ؟ فأنا الصديق
المكره الصادى الفؤاد ، أنا الأسير أو الرقيق
أنا من ولدت مزوداً بهواك يجرى فى العروق
سأظل حولك ساخراً دهشا بذياك البريق
متصابياً أسقى الرضا حيناً وأشوى بالحريق
حتى إذا انكشفت ستارتك الصفيقة فى المضيق
سأكون ويلك مع ضحاياك الرقود بذى الشقوق
وأعود فى كنف الخلود أو السما روحا طليق

وقد اتفقت كلمة شعراء الحجاز من المدرستين على أن يطرقوا من موضوعات الشعر ما يلامس الحياة الواقعة ، ويتصل بآمالهم ومآربهم ، فهم يتناولون الموضوعات القومية والاجتماعية التى يحتاجون إليها فى مجتمعهم ؛ فالشيخ محمد سرور الصبان يقول فى الوطن :

أنا لا أزال شقى حبك هائماً فى كل واد
زعم العواذل أننى أسلو واجنح للرقاد
كذبوا وحقك لست أقدر أن أعيش بلا فؤاد
ولسوف أصبر للمصا　　ئب والكوارث والبعاد
حتى أراك ممتعاً　　بالعز ما بين البلاد

ويقول الأستاذ احمد العربى فى قصيدته له عنوانها « أيها العيد »

أيها الموسرون رفقا وعطفاً　　وحناناً بالبائس المحزون
ربما بات جاركم طاويا جو　　عا بم تشكون بشم البطون
ربما ظل طيلة العيد يستخفى من الصحب قابعاً كالسجين
يتوارى من سوء منظره المزرى ومن حاله الكريه المهين
أى فضل للعيد يستأثر المثرون فيه بالطالع الميمون ؟ !
والفقير الكئيب يرجع منه　　بنصيب المرزأ المغبون ؟ !

وشعراء الحجاز منذ أن تفتحت أمامهم نواحى النهضة الحديثة يعالجون بشعرهم الموضوعات السياسية ويرون أن النهضة لن تكون إلا إذا تعاون العرب جميعاً فى أقطار الأرض . وفيما يلى ابيات للأستاذ الغزاوى يخاطب فيها مصر :

يامصر أنت وقد دأبت منارة　　للمهتدين وسميك المترسم

***

يا مصر ما أولى بنيك بقومهم　　فعلام يوغرك الخلاف المبهم
يا مصر قد أغضيت عمن ليلهم　　فيك السهاد وفى جمالك تيموا
يا مصر يا أم الحضارة والنهى　　مهلا فحبك فى الجوانح مدعم
يامطمح الأمل العتيد وعزة الماضى　　المجيد وما أظل ويقدم
يا ربة الأهرام والمجد الذى　　ما زال فى أمم البسيطة يكرم

إلى أن يقول :

ردى على تحيتى فلا متى　　قلب عليك مع العتاب متيم

ويقول الأستاذ عواد من قصيدة يصف فيها جندى الديموقراطية فى ميادين القتال :

يستثير المجد فى عمل　　هائل الغزى يعظمه
حيث موسيقا الخلود إذا　　طوحت بالجبن تحطمه
والصدى كالصوت صاعقة　　والصفوف السود ترجمه
يسأل الأقدار هل يده　　تغسل العدوان أو دمه ؟
فاذا بالكون ليل أسى　　تتهاوى فيه أنجمه
وإذ الأصداء قائلة :　　قول صدق لا تجمجمه
أيها التاريخ ذا بطل　　فعله للخلد مسلمه

ومن الأغراض التى نالت حظا من الرقى « الغزل » فقد اتجه الشعراء فيه إلى ذكر الهوى والشوق وتوجع الصبابة وفى وفى الأبيات الآتية وهى « لمحمد حسن فقى » ما يدل على صدق العاطفة وتدفق الشعور :

لا أنت يا قلب بالسالى فتهجره　　ولا الوصال بميسور ولا دانى

عش هكذا خافقا ياقلب مكتئبا   فليس حزنك بعد اليوم بالفانى
أواه ! إن جحيم الحب يصهرنى   فما الذى بجحيم الحب أصلانى ؟!
لا آخذ الله من أصمى بمقلته   قلبى وغادرنى نهبا لأشجانى
إليه أبعث أناتى مؤججة   ومنه أقبس أشعارى وألحانى
وفيه ألتذ بالبلوى وأحمدها   إن كان يرضيه تعذيبى وهجرانى

وليس عجيبا أن يجيد العربى ذكر الهوى والغرام ؛ فهو عفيف لم تلوثه المدنية بآثامها ، ولم يسلس قياد المرأة له حتى تنطفئ جذوة غرامه وتخبو حدة حبه . فلا تكاد فتاة المدن فى الحجاز تتجاوز عهد الطفولة حتى تحتجب عن الأنظار ويضرب الحجاب بينها وبين الشبان ، ويصبح من المحال أن يلتقى شاب بفتاة أو أن يختلس منها نظرة عابرة .

وفى الشباب الحجازى عاطفة متقدة ، أملتها عليه طبيعة هذه البلاد المتقشفة ، فهو إذا تحدث عن الهوى كان حديثه حديث من حدت شهواته ، فخرجت أبياته زفرات وآهات ملتهبة . قال الأستاذ حمزه شحاته :

بعد صفو الهوى وطيب الوفاق   عز حتى السلام عند التلاق
يامعافى من داء قلبى وحزنى   وسليما من حرقتى واشتياقى
هل تمثلت ثورة اليأس فى وجهى   وهول الشقاء فى إطراق
أى سهم به اخترقت فؤادى   حين سددتها إلى أعماق
إذ تهاديت مبدلا نظرة العطف   بأخرى قليلة الإشراق
مسرعا فى السير تنهب الخطو   فهل كنت مشفقا من لحاق
وتهيأت للسلام ولم تفعل   فأغريت بى فضول الرفاق الخ

أما سوق المدح فى الشعر الحجازى فهى نافقة رائجة ، ولهذا الغرض شعراء من المدرسة المتئدة قد أجادوا فيه وأكثروا ، ولعل الذى جعلهم يجيدون ويطيلون ماوجدوه فى جلالة ابن السعود من معان تستأهل المدح وتستحق الإطراء والثناء ؛ فهو الذى أمن البلاد بعد خوفها ، وهو الذى بعث الحياة فى نواحيها فشاد دور العلم واستحث الهمم للنهوض ، وهو الكريم الذى يولى الهبات وهو الشجاع الذى أسس الملك على أساس من القوة .

ولا يقتصر مادحون على مدح الملك وإنما يمدحون أبناءه الأمجاد فيجدون عندهم من الحفاوة والتكريم ما يرضى نفوسهم ويحملهم على المزيد . قال الغزاوى يمدح جلالة الملك بعد الحلف الذى أبرم بين الحجاز واليمن :

وأنت الذى أعلى بك الله صرحها   وأرشدها للعرف بعد التناكر
فأما بنوك الصيد فالدهر شاهدى   لديك بما قد قلدوا من مفاخر
أصاب ولى العهد أبعد غاية   تسامت فأعيت بالثنا كل شاكر

وقال أيضاً فى قصيدة طويلة يهنىء بها سمو الأمير فيصل بعودته من رحلة له فى أوروبة سنة ١٣٥١ هجرية :

بدر تم يتجلى أم فلق   أم شعور فاض فاستهوى الحدق
أم هو الفيصل ألقى ضوءه   يغمر الشعب ويستبق الرمق

* * *

أيها القادم من أقصى الورى   قد ملأت اليوم بالبشر الفلق
قد شهدت الشيخ فى حبوته   والفتى الناشىء بالحب فهق

إلى أن يقول :

فإذا ما قلت شعبى مخلص   لمليكى قالت الدنيا صدق
أى أمن نرتجيه ومنى   ونعيم فوق ما فينا بسق

ولا ضير علينا بعد الذى خصلناه فى باب الشعر أن نقرر أن الشعر الحجازى قد تقدم فى هذه الفترة القصيرة : فى أغراضه ومعانيه واستطاع أن ينأى عن التلاعب بالألفاظ وألوان الزينة . ولكن ذلك لا يمنعنا أن نقول ، إن الحجاز مهد الأدب شعره ونثره لا يزال يتطلب من شعرائه المزيد وبخاصة فيما يتصل بقوة الأساليب ورصانتها ؛ فإن الكثير منهم مع إجادته لا يهتم أحيانا بجزالة الأسلوب ورصفه شأنه فى ذلك شأن شعراء المهجر أولئك الذين يقول فى أدبهم الأستاذ العقاد : « وبين محتويات هذه المجموعة « مجموعة من أدبهم » ما يسمو معناه إلى درجة رفيعة فى البلاغة والذكاء وفيها من الابتداع ما يقل مثله بين آيات أدباء الغرب المصريين ولا يؤخذ عليها إلا ما يؤخذ عادة على كتاب العربية فى أمريكا : تساهل فى قواعد اللغة ، وضعف فى أساليب التعبير بها ، وما عدا ذلك فطرفة تستحق الثناء »

أحمد أبو بكر إبراهيم

البـــلاغة العربية

للاستاذ نقولا الحداد

البلاغة فى اللغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته . والفصاحة هى سلامة الكلام من التنافر والتعقيد ومن الألفاظ المهجورة والوحشية . واللغة العربية لا تختص بهذا التعريف وحدها ، بل هو تعريف البلاغة فى كل لغة ، لأن البلاغة عمل عقلى أكثر مما هى أداة كلامية . وهى منطق أكثر مما هى فن تعبير . بل هى فلسفة أكثر مما هى قاعدة بيان

إذن فأركانها صحة العقل وصفاء الفكرة وجمال الذوق واتساع المعرفة وطاعة الكلم للسان والقلم . فاذا اجتمعت هذه فى القائل أو الكاتب فى أية لغة كان كلامه بليغاً

أما صحة العقل فأساس المنطق لتطبيق القول على المعنى المراد بغية إقناع السامع أو القارىء بصواب القول وارتياح النفس إليه

وأما صفاء الفكرة فأساس البيان لأنه لا يمكن أن تقيم بناء بيان على فكرة مضطربة مقلقلة ، ولا يمكن أن يفهم السامع أو القارىء ماذا يعنى القائل بكلامه المضعضع . ولا يمكن أن يتم الاتصال بينهما على وثيقة

وجمال الذوق لابد منه لتبليغ الكلام البليغ إلى ذهن القارىء أو السامع أو إغرائه بمعناه وتغذية العقل بمعرفته . فاذا خلا البيان من الذوق الجميل كان منفراً . وإذا عنى به كان جذاباً ساحرا . وإن من البيان لسحراً

والمعرفة مادة الكلام . هى الجواهر التى يصاغ منها الكلام البليغ . فالكاتب الذى يكتب فى موضوع بضاعته فيه قليلة أو ضئيلة أو سقيمة لا يصوغ إلا فقاقيع زبد لا تلبث أن تذهب أمام استكناه معناها ذهاب الرغاوة مع الريح . يجب أن يلم الكاتب إلماما كبيراً بما يكتب لكى يستطيب القارىء بلاغته وإلا مله لأول فقرة ونبذه

بقى أنه لا بد للكاتب أو المتكلم أن يكون قائماً على كتب اللغة وأن تكون الكلم الفصاح فى متناول يده يختار منها أليقها لمكانها فى الكلام وأوقعها فى المسامع وأدمثها للأذهان ، ويجب أن يعلم الكاتب أن لكل مقام مقالا وأن لكل قوم كلاما موموقا وأن لكل زمان ألفاظا مأنوسة . فما أقبح أن يخاطب المتكلم أو الكاتب أناساً بألفاظ غريبة عنهم أو ناشزة فى مسامعهم أو بعبارات معقدة تستكد أذهانهم

هذه بعض أوليات البلاغة . وقد تبسط فيها الأستاذ البليغ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة فى كتابه « دفاع عن البلاغة » ، ومباحثه فى هذا الكتاب طريفة ؛ فهو يعطى للبلاغة صفة الفلسفة ويكتب فيها كفيلسوف مركبا فى فصل آلة البلاغة ، ومحللا فى فصل الذوق ، ومركباً ومحللا معاً فى فصل الأسلوب . وهو الفصل الذى أفاض فيه بتبيان صناعة القلم من جميع وجوهها . ولا بدع أن تكون البلاغة ضرباً من الفلسفة ، لأن المعنى واللفظ متلازمان ملتحمان، الثانى صورة للأول، والأول نتاج العقل، فبراعة الكاتب تظهر فى استطاعته أن يلائم المادة بالعقل وأن يلبس المعنى الثوب اللفظى الأنيق اللائق على قدره لا أضيق ولا أوسع

ولأن البلاغة ضرب من الفلسفة فهى فى رأى الأستاذ الزيات كسائر الفنون طبيعية موهوبة لا صناعة مكسوبة . ولعله تطرف فى هذه العقيدة أو غالى فى قصرها على الفن ؛ لأن هناك ضرباً من الكلام مكان الفن فيه قليل أو عديم . إذا كتبنا عن سر القنبلة الذرية لا نجد موضعاً للفن إلا إذا كتبنا عن تأثيرها فى الحرب أو الاجتماع . يكفى أن نحسن كشف السر وبسطه من الناحية العلمية لكى نجلوه للقارىء جيداً . فالبلاغة فى هذا المجال صناعة مكسوبة أكثر مما هى فن موهوب . وفى كلتا الحالتين لا غنى عن القواعد للايضاح والاحتراز من اللبس

إن تطبيق اللفظ على المعنى هو غاية البلاغة القصوى سواء كانت فنا أو صناعة . والأستاذ الزيات قد أجاد كل الإجادة فى فلسفة البلاغة وضرب بكل سهم فى مذاهبها . فهو إذن نبراس الهدى لأهل البراعة .

***

فى حين أن ظهر كتاب « دفاع عن البلاغة » ظهر كتاب « البلاغة العصرية واللغة العربية » للاستاذ سلامه موسى . وهو كتاب طريف الباحث أيضاً . لا أظن أحداً خاض فيهما قبله أو سبقه إليها . هو فلسفة الكلام أو الكلمات . أو لك أن تقول

هو فلسفة تطبيق اللفظ على المعنى بمقتضى حاجة العصر . العصر يتغير والمعانى تستجد . فبالأحرى أن تتغير الألفاظ وأن تستجد . وبالأحرى أن تلاحق الأقلام هذا التجدد والتجدد ضربة لازب للتطور . ولا يحدث تطور إلا إذا لم يعزل القديم إلى «الانتكخانة» المتحف ويؤتى بالجديد . فقطار العمران اليوم غير قطار البادية منذ قرون . وطائرة هذا القرن غير الأطيار التى كنا نحسدها على ملكية الجو . فلكل زمن تفكيره وتعبيره . ولا مناص من تغيير التعبير إذا تطور التفكير .

نحن اليوم فى جيش لجب من الأدوات والآلات . ولا غنى لنا عن أسماء لها انظر كم أداة فى الأوتوموبيل وفى المطبعة ولا سيما مطبعة الروتاتيف وفى الباخرة والبارجة والقاطرة الخ . لكل هذه الأدوات أسماء وضعها لها مخترعو الأدوات . ولم يكن عند أسلافنا لاأوتوموبيل ولا مطبعة ولا بارجة ولا قاطرة . إذاً فليس فى لغتنا أسماء لهذه الأدوات . فاذا بحثنا فى لغتنا عن لفظة تليق للاوتوموبيل كسيارة مثلا فنكون قد غيرنا معنى السيارة القديمة كما أننا غيرنا معنى القطار القديم . فالتغيير لابد منه للتطور ولذلك يعد الجديد عن القديم وصار لكل زمان لغته .

إذا كنا كلما استجد معنى استعرنا له لفظاً فى القديم التبس جديدنا بقديمنا ولا سيما إذا كان المعنى القديم نفسه قد وضع على الرف .

اللولب فى الدُم اللولبية أو الحلزونية الشكل يستعمل بدل البرغى ، هذا جديد وذاك قديم ولكن هذا درج على الألسن وذاك أهمل . وللبرغى حامولة . فإذا سألنا اللغوى أن يأتينا بلفظ عربى للحامولة فماذا يختار .

أجل لغتنا غنية بالكلم . غنية جداً . ولكنها كانت لغة العرب منذ عشرين أو أربعين قرناً فلم تعد تسعنا الآن . لغتنا غنية بالكلمات الصالحة للادب والشعر ولكنها فقيرة جداً بالكلمات الصالحة للعلوم العملية الحديثة كالكيمياء والبيولوجيا وما تفرّع منها والصالحة للفنون الآلية . فإذا أصررنا على اختيار لفظ لكل ما جد فى هذه وهو لا يحصى بالألوف بل بمئات الألوف كنا نفصل أثواب المعانى القديمة القليلة ألوفا من الملابس للمعانى الجديدة . وهو مستحيل لأننا نرى حينئذ القديم والجديد كليهما عاريين .

إذاً فلابد من أن نقتبس الكلمات الأجنبية الجديدة للاشياء التى اقتبسناها . ويكفى أن نطوعها للصياغة العربية ما أمكن . فنقتبس كلمة الاسبيرين كما أخذنا الاسبيرين من الغرب . ونقبل كلمة ياقة التى درجت على ألسنتنا لأن كلمة طوق لا تقوم مقامها لأنها تلتبس بالقلادة .

أعنى لابد من توسيع صدر اللغة لقبول بعض الكلمات الأجنبية التى جدت لأشياء جديدة لكى تجارى روح العصر . وإذا أخذنا نبحث فى لغتنا عن كل كلمة قديمة لكل معنى أو شىء جديد كنا لا نزال نلتفت إلى الوراء ونتمسك بأهداب القديم ونصر على البقاء حيث كان السلفاء . إذاً فلا نلوم الغربيين إذا استغلوا تأخرنا هذا .

هذا شىء من وحى كتاب الأستاذ سلامه موسى ولا يمكن استيفاء جميع مباحثه إلا إذا نقلنا الكتاب برمته إلى هذه العجالة فخير للقارىء الذى تطيب له هذه الأبحاث أن يطالع الكتاب نفسه

أوافق الأستاذ سلامه على مشروع تبسيط قواعد اللغة العربية لكى نقتصد بالوقت والجهد فى دراستها ونأمن الخطأ فى استعمالها لأنها كثيرة متشعبة ويستغرق وقتاً طويلا فى حفظها . ولا يمكن أن يُدرس معها الكثير من علوم العصر وفنونه . يمكن تبسيطها واختصارها جداً من غير أن ينثلم التعبير بها . وإلا نفر العدد الأكبر من طلابها منها كما هو حادث اليوم .

ولكنى لا أوافق الأستاذ على تنقيح الحروف العربية ولا إبدال الحروف اللاتينية بها . فحروفنا أفضل من كل حرف أجنبى يبدل به لها . لأنها فى القرون التى مرت انصقلت وصارت كأنها الخط المختزل . نعم إن لكل حرف صورتين أو ثلاثة . ولكن هذه الصور لا تجعل الحروف أزيد من ١٥٠ حرفاً . ومن يتعلم ٢٨ حرفاً يستطيع أن يتعلم ١٥٠ كما تعلمناها وما عانينا وتعلمها الأجانب وما تذمروا .

بقيت مسألة الحركات التى يتخذها دعاة الحرف اللاتينى سبباً لابدال الحروف . فهذه يمكن الاستغناء عنها فى كثير من مواقفها . ففى الأفعال الثلاثية لالزوم لها إلا على عين الفعل ماضياً ومضارعاً . ويستغنى عنها فى جميع مشتقات الأفعال الرباعية والخماسية والسداسية ومصادرها ، ولا حاجة لها إلا فى اسم المفعول

٢ ـ نظرات في دائرة المعارف الاسلامية

الترجمة العربية

للأستاذ كوركيس عواد

ونضيف الى ما تقدم بيانه ، ان « تاريخ إربل » هذا ، نقل أغلبه الى العربية ، ونشر هذا المنقول فى مجلة « النجم » الموصلية فى أعداد سنواتها الثلاث الأوليات (١٩٢٩ — ١٩٣١) .

كما أن المستشرق زورل F. Zorell اليسوعى، نقله إلى اللاتينية بعنوان Chronica Ecclesiae Arbelensis (Roma, 1927) .

وفى ١ : ٥٧٤ ا ٦ قرأنا إسماً شرقياً بأحرف غربية هكذا (Jabalaha III) . قلنا : الجاثليق النسطورى « يابالاها الثالث » المتوفى سنة ٧١٧ هـ (١٣١٨ م) وإسمه إرمى بمعنى « هبة الله » أو « عطاء الله » . وترجمته واردة فى كتاب « أخبار فطاركة كرسي المشرق » من كتاب المجدل لعمرو بن متى (ص١٢٢ — ١٢٥ طبعة جسمندى فى رومية) ، وذخيرة الأذهان فى تواريخ المشارقة والمغاربة السريان لنصرى (٢ : ١٢ — ٢٢) ، وسيرة مار يابالاها (النص الإرمى ، نشره بيجان فى باريس سنة ١٨٨٨ ثم سنة ١٨٩٥) . وقد ترجمها المستشرق شابو J. B. Chabot إلى الفرنسية بعنوان :

Histoire de Mar Jabalaha II [Revue de L'Orient Latin. Vol I, 1893 pp. 50 -01?, Vol II, 1894 pp. 73-143, 235-.0.].

ثم نقلها منتكومرى J. A. montgomery إلى الانكليزية بعنوان The History of Yaballaha III Nestorian Patriarch. (New York, 1927.)

وفى ١ : ٦٨٠ ب ٣ تصحف اسم شرق مشهور ، فقيل فيه « أسمانى » وصوابه « السمعانى » وهو يوسف سمعان السمعانى المارونى ، رئيس أساقفة صور ، المتوفى سنة ١٧٦٨ م ، صاحب التآليف الشهيرة ، وبالأخص تأليفه العظيم الذائع الصيت الموسوم بـ « المكتبة الشرقية » Bibliotheca Orientalis (4 vols, Rome, 1719 - 1728)

وفى ١ : ٦٨٠ ب ٩ ورد ذكر البطريق سيمون الكلدانى وصوابه : البطريرك شمعون الكلدانى .

وفى ١ : ٦٨٠ ب ٢٣ و ٢٨ الرهبان اللازاريون وكان الأحسن أن يقال الرهبان العازريون ، نسبة إلى « العازر » المذكور فى إنجيل يوحنا (١١و١٢ : ١ — ١١) .

وفى ٢ : ٩٨ ب ٦ و ٨ ثابت بن قره . والصواب : ثابت ابن قرة (بضم القاف وتشديد الراء وفتحها وفى الآخرهاء منقوطة).

وفى ٢ : ٢٢٣ ا ٧ شور بن العطاف . قلنا : الذى فى تاريخ الطبرى (١ : ٤٤١ طبعة دى غويه) : شمر بن العطاف .

وفى ٢ : ٢٢٣ ا ١٥ و ١٨ ورد ذكر دنهه . وصحة هذا الاسم « دنحا » وهو الجاثليق النسطورى المتوفى سنة ١٢٨١م . وترجمته فى كتاب المجدل لعمرو بن متى (ص ١٢١ — ١٢٢) . وقد فسر أبو الريحان البيرونى لفظة « دنحا » بقوله إنه « عيد الدنح نفسه ويوم المعمودية الذى صبغ فيه يحيى بن زكرياء المسيح وغمسه فى ماء المعمودية بنهر الأردن عند بلوغ ثلثين سنة من عمره » (انظر : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢٩٢ س ٣ — ٤ طبعة سخو) . وتفسير البيرونى لهذا الاسم يتفق وما ورد عنه فى المعاجم الإرمية المختلفة .

وفى ٣ : ١١ ا ١٢ و ٢٣ ؛ ٣ : ١٤ ب ١٨ ورد اسم « سيمون » مصحفاً من « شمعون » وقد مر بنا مثل ذلك آنفاً .

وفى ٣ : ١٤ ا ١٨ جاءت هذه العبارة : « وكذلك تفسير الإنجيل لداذيشوع[١٣] Dadjesu (وردهذا الاسم Jesudad) ، انظر Duvat ... » انتهى

قلنا : لا معنى للرقم ١٣ المحصور بين قوسين ، وفى الأصل

منها لأنها كلها معلومة النطق عند من تعلمها . وهناك كثير من الصيغ القياسية يستغنى فيها عن الحركات .

وأما أن نستعمل الأحرف الصوتية اللاتينية بدلها فى استعمال الحرف اللاتينى فتزيد الكتابة تطويلا وتعقيداً لأننا نحتاج الى ثلاثة أحرف صوتية بدل الحركات علاوة على أحرفها . فلأجل فعل ضرب نضطر أن نستعمل ستة أحرف . ولا محل هنا للتوسع فى هذا الموضوع وإنما لدى البحث الدقيق نجد أن استعمال الحرف اللاتينى لا يحل لنا مشكلة بل يزيد المشكلة تعقيداً .

نقولا الحداد

الفرنجي وضع بين القويسين إشارة الاستفهام هكذا (؟) .

ثم إن « يشوعداد » و « داديشوع » هما بالحقيقة إسم إرمى واحد ، بتقديم أحد شطريه على الآخر . فمعنى يشوع : يسوع ، أي يسوع المسيح ، ومعنى داد : حبيب أوصديق . كما أن Cuvat صوابه Duval وهو المستشرق الفرنسي الشهير روبنس دوفال ، المتوغل فى الآداب السريانية .

وفى ٣ : ٢٤٨ | ٤ ستحاريب . صوابه : سنحاريب .

وكذلك فى ٣ : ٢٤٩ ب ٢٥ ابن الفداء ، والصواب : أبو الفداء . ولعل هذا الوهم والذى قبله ناشىء عن الطبع .

وفى ٣ : ٢٦٤ ب ٨ خسرو أنو شروان . والمشهور فى المراجع العربية القديمة : كسرى أنو شروان .

ومن الأوهام التى تسترعى الأنظار ، ماورد فى ٣ : ١|٣٤٤ حيث ذكر هناك اسم يوسفوس وكتب بازائه بالفرنجية Eusébe قلنا : الصواب فى Eusébe إنه « أوسابيوس » وهو رجل نصرانى كان أسقفاً على قيسارية من بلاد الروم ، صنف تاريخاً كنسياً نفيساً عرف بـ « تاريخ أوسابيوس القيسرى » أو القيسرانى . وقد عاش سنة ٢٦٧ — ٣٤٠ م .

أما يوسفوس الذى يكتب اسمه بالفرنجية Josephe أو Josephus فمؤرخ يهودى ، دون تاريخ اليهود ، عاش سنة ٣٧— ٩٥ م . فأين هذا من ذاك ؟

ومن التصحيفات الظاهرة للعيان ، ما ورد فى ٣ : ٣٥٩ ب ٩ و ١١ فقد كتب هناك « مردويج بن زياد » . والصواب إنه « مرداويج بن زيار » (الديلمى) على ماهو مسطور فى كثير من المراجع التاريخية . انظر مثلا : صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرطبى (ص ١٥٤ طبعة دى غوية) ، وتجارب الأمم لمسكويه (٥ : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٢٨ ، ٣١٠ — ٣١٥ طبعة امدروز) وغيرهما .

وفى ٣ : ٤٢٩ | ١١ نبوشادنزر . والمشهور أن اسمه نبوخذ نصر . فقد ورد ذكر هذا الملك البابلى فى مواطن عديدة من التوراة (راجع مثلا : سفر الملوك والأيام ،وعزراء ، ونحميا،واستير وإرميا ولا سيما فى دانيال . كما أن العرب عرفوه باسم بختنصر . قال الطبرى (١ : ٦٧١) : فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل ، وهو نبوخذ نصر ، فعربته العرب » .

وفى ٣ : ٤٧٣ | ٢٤ الهمزانى . وصوابه الهمدانى (بالدال المهملة)

ومن الأعلام التى استوقفتنا أثناء المطالعة ماجاء فى ٣ : ٦٨٣ | ٢١ ـ ٢٢ حيث قال : « ووصفها نيرش Nearch ... » والذى يبدو لنا أن اللفظة الفرنجية مختصرة من Nearchus زخس أحد قادة جيش الإسكندر المقدونى فى حملته على بلاد الهند ، فانه قاد الأسطول اليونانى سنة ٣٢٥ قم من نهر السند إلى البحر الهندى ميمماً شطر السواحل الفارسية حتى بلغ مصب دجلة فى الخليج الفارسى . ثم إنه طاف حول البلدان العربية حتى بلغ برزخ السويس . وقد أودع حديث بعثته البحرية هذه فى كتاب وقفنا على ترجمته الانكليزية التى نقلها W. Vinsent من المصادر الإغريقية ، بعنوان : TheVoyahe of nearchus from the Indus to the Euphrats. (London, 1797)

وقرأنا فى ٣ : ٦٩٠ | ١ هذه الكلمة « وفهارس Chiha » وكأن هذه التسمية خفيت على اللجنة ، فأبقت على أصلها الفرنجى . والحال أنه يقصد به « حبيب شيحا » وهو رجل سورى الأصل ، أقام ببغداد مدة ، ووضع لها تاريخاً بالفرنسية وأخبار أسرة شيحا فى مجلة الآثار الشرقية (٤ «١٩٢٩» ص ٤١٨ و ٤٧٠) .

وفى ٣ : ٦٩٢ | ٧ Layand وصوابه Layard .

وفى ٤ : ١٥ | ٢٤ بكر صبيحى . والصواب : بكر سوباشى راجع تفسير لفظة « سوباشى » فى مقال للأستاذ المحقق يعقوب سركيس (مجلة غرفة تجارة بغداد ٥ (١٩٤٢) ص ١٦٩ـ١٧٠) .

وفى السطر الأخير من ٤ : ١٦ | وكذا فى بعض حواشى هذا البحث ، تصحف اسم عبد الرازق الحسنى إلى الحسينى .

وفى ٤ : ٤٠ | ٢١ زين الدين على كوجوك بن بكتكين . والذى فى الكامل لابن الأثير (راجع الفهارس) : زين الدين على كوجك بن بكتكين .

ومن الأوهام التى جاءت من الأصل الفرنجى اسم سلمنصر الثانى (٤ : ٥٧ | ٤ و ٢١) وصوابه : شلمنصر الثالث . راجع بهذا الشأن .

L W Kinc: Bronze Reiiefs from the Gates of Shalmaneser King of Assyria B.C. ٥60-825 London 1915 p. q.

(يتبع) كوركيس عواد

جزر الهند الشرقية

للأستاذ سوكارنو الصغير

نحاول فى هذه الأسطر أن نصور الحياة الحديثة فى جزر الهند الشرقية ليطلع القــارىء على حياة أمة شرقية يبلغ عددها سبعين مليونا ، تجمع شملهم وحدة الآمال والمقاصد نحو حياة حرة ! ...

يطلق التاريخ الحديث على مجموع الجزر المنتشرة بين آسيــا واستراليا ـ اندونيسيا ـ وهى كلمتان ركبتا تركيباً مزجياً . الـكلمة الأولى (Indos) وهى بمعنى الهنـــد ، والـكلمة الثانية (Nesos) بمعنى الجزائر . وفى الاصـطلاح السياسى ، تطلق على المستعمرات الهولندية سابقاً . وأشهر الجزائر الأندونيسية : جاوا وسومطرة ، وبورنيو ، وسيليبيس ، وبالى ، وسمباوا ، وغينيا الجديدة ، وجزائر المـلوك . وهناك جزر تعد بعشرات المئـات ، ويبلغ سكان أندونيسيا سبعين مليونا .

سكن الشعب الأندونيسى هـذه الجزر قبل ميلاد المسيح بخمسة آلاف سنة. شيدوا فيها حكومات ذات حضارة ومدنية ؛ وكانت ديانته البوذية التى جاءته من جنوب الهنـــد . ويرجح المؤرخون أن سكان اندونيسيا أتوا من الهنـــد ، إذ أن الجزر الجـزر الأندونيسية الدانية من البر الأسيوى كانت متصلة به . وبقوة الأمواج المتـلاطمة على السواحل الأسيوية انفصلت قطع منهـا وتـكونت عدة جزر . واللغة الجامعـة للتفاهم هى اللغـة السنسكريتية . وتوجد للآن فى جزرة جاوا آثار قديمة من العهد الهندوكى ، أشهرها (بوروبودور) وهيا كل المعابد البوذية ، وتماثيل بوذا . وقد نقبت البعثات الغربية فى جزرة جاوا فوجدت فيهـا آثار أقدم انسان نشرتها الصحف بوقتها . ومن أعظم الحكومات التى أسسها الشعب الأندونيسى ، امبراطورية مجاپاهيد وامبراطورية سريويجايا وتعدان بالنسبة للظرف الحاضر من كبريات الدول ذوات الاستعمار ! ولـما بدأ الانحلال الشرق وأفل نجمه الساطع بعد قرون زاهرة بالعلوم والآداب والحضارة والدنية أصيبت أندونيسيا بالانحلال والضعف أيضاً . وبدأ دور الغرب فى احياء العلوم وانشاء حضارة مؤسسة على المادة ! فرحل اليها الأوربيون للتجارة عن طريق رأس الرجاء .

وينقسم التاريخ الأوروبى فى أندونيسيا الى قسمين :

ا ـ العصر البرتغالى والأسبانى من ١٥٠٠ – ١٦٠٠ م .

ب – العصر الهولندى ـ من عهد الشركة الشرقية الهندية (V. O. C.) ١٦٠٠ – ١٨٠٠ ثم عصر الاستعمار من ١٨٠٠ – ١٩٤١ م .

ثم توحدت الشركات الهولندية فى شركة واحدة بأمر من السلطات العليا فى هولندا لأسباب أهمها : ـ

١ ـ افساح المجال للشركة فى انماء تجارتها والقضاء على التنافس الفردى .

٢ – التضييق على الشركات البرتغالية والانـكليزية .

٣ – مقدمة لاستعمار اندونيسيا .

٤ – القضاء على الشركات الوطنية .

وتـكونت الشركة كما ذكرنا باسم (شركة الهند الشرقية) وهى الدعامة الأولى فى هيـكل الاستعمار الهولندى ، والعامل الأساسى فى اتساع نفوذه فى الشرق الأقصى ! ...

وفى القرن التاسع عشر فرضت السلطة الهولندية نفوذها السياسى باستعمار البلاد سياسياً ، وأصبحت مستعمرة هولندية . وسارت اندونيسيا فى طريق محدودة رسمتها السياسة الهولندية وسنت نظما وقوانين تحد من سلطة الشعب ، وتضيق ميدان حياته فأمسى الشعب عاجزا عن الدفاع عن سلامة وطنه . وبرغم التضييق الشديد حدثت عدة ثورات لتحرير البلاد من النفوذ الهولندى ؛ ففى عام ١٨٢١ قام الزعيم المسلم أمام بونجول فى جزيرة سومطرة بثورة رهيبة لازالة الحكم الأجنبى عن اندونيسيا . وذهب ضحيتها عشرات الألوف من الأندونيسيين ، كما خسرت السلطة الحاكمة ما يضاهى خسارة الوطنيين . ودامت الثورة حتى عام ١٨٣٧ لوقوع مشعل نار الثورة فى يد الحكومة ، ثم نفته الى جزيرة تيمور وتوفى بهـا . أما نتائج الثورة فهى اشعار الهيئة الحاكمة أن الشعب الأندونيسى المغلول الأبدى ، يستطيع أن يتحرك ليجاهد دفاعاً عن كرامته وشرفه ووطنه .

وفى عام ١٨٢٥ اشتعلت نار ثورة أخرى بقيادة زعيم آخر، هو الأمير ديفاينغورو، وكان الشعب الأوندونيسى يعتقد أنه منقذ أندونيسيا من السيطرة الأجنبية، وقد عصفت هذه الثورة بهيكل النفوذ الهولندى وكادت تقلعه من جذوره لولا سرعة تموين الحكومة الهولندية لجيوشها المنتشرة بالذخائر، واستولى الثوار على بعض مقاطعـــات، وأدارتها الادارة الوطنية للثوار. وفى نهاية عام ١٨٣٠ قذفت السلطة الهولندية بجيوشها الى ميادين القتال وزودتها بذخائرها الكافية، فدارت معارك حامية كان الثوار يحاربون بالسلاح الأبيض أو بما غنموه ... ونجحت الحكومة فى اخماد الثورة وبلغت خسائرها خمسة عشر ألف جنـدى وعشرين مليون ربية. وأما ضحايا الثوار فبلغت ضعفى خسائر الحكومة.

وفى عام١٨٧٣ حدثت ثورة رهيبة فى جزيرة سومطرة بمقاطعة آجيه. وهذه المقاطعة معقل الاسلام فى أندونيسيا، وسكانها قوم عاشوا على الحروب والقتال كالأمة العربية. ولـما حدثت الثورة امتشق الحسام كل فرد منهم ذوداً عن كرامة الدين الإسـلامى وحفظاً لشرف البلاد. والزعيم الذى قاد هذه الثورة هو (تونكو عمر). ولم تستطع السلطة الهولندية منذ استعمرت أندونيسيا أن تخضع هذه المقاطعة لشدة شوكتها؛ وكان يحكمها أمير وطنى له السيادة التامة عليها. وفى عام ١٩٠٤ استطاع الهولنديون التغلب عليها بالقضاء على الثورة وإخمادها بعد أن ضحوا تضحيات هائلة. كما ضحى الوطنيون أضعاف ما ضحاه الهولنديون. ثم أديرت المقاطعة من قبل أمرائها تحت مراقبة السلطة الهولندية فى الأمور التى لها مساس بمصالحها.

الحركة الحديثة

فى ٢٠ مايو ١٩٠٨ تأسس أول حزب سياسى هود بودى أوتومو (Boedt oetomo) أى النزعة الفاضلة برئاسة الدكتور وحيدين. وبعاونه فى إدارته ونشر مبادئه وتحقيق غايته طلبة الطب بمدينة بتافيا. وانضمت إلى عضوية الحزب الطبقة المثقفة والأسر الراقية. وقام بالدعاية له فى غرب جزيرة جاوا الدكتور رادين ستومو، وفى شرقها الحاج شكرو أمينوتو وكلاهما من رجالات أندونيسيا البارزين.

ولتحقيق غاية الحزب أنشأ هيئات أولية للاشراف على تنفيذ برامجه الإصلاحية وأهم برامجه:

١ — إصلاح حالة الأمة الثقافية؛ فنشر المدارس والمكاتب وبعث لجانا صغيرة تجوب المدن والقرى لمساعدة المعلمين الصغار، وإرشادهم إلى الطرق التى يلزم أن يسلكوها فى أداء رسالتهم الثقافية.

٢ — إصلاح الحالة الاقتصادية، فأنشأ بنوكا ومحلات تجارية لمساعدة التجار والزراع الوطنيين وإرشادهم إلى أقوم السبل إلى استثمار أموالهم وزراعة أراضيهم

٣ — إصلاح الحالة السياسية، فأنشأ النوادى والصحف. وأقام المحاضرات فى المحلات العامة لارشاد الشعب إلى سير الحالة الخارجية وتطور السياسة العالمية وعلاقة البلاد بالحكومة الهولندية

ولما كانت الأداة الحكومية فى يد الموظفين الهولنديين سعى الحزب إلى اشتراك الأمة فى أدارة شئونها، فتعين كثير من الرجال المثقفين والشبان فى عضوية المجالس البلدية والمحلية وفى المحاكم وفى إدارة الشئون المالية والثقافية والصحية والمواصلات والتعدين. وطالب الحزب بانشاء مجلس نيابى، ولـكن السلطة الهولندية رفضت طلبه بدعوى أن الجو مكفهر فى ابتداء الحرب العالمية الأولى، ومضطرب لاشتداد الأزمة السياسية العالمية. وبعد مضى الحزب فى عمله أصبح الشعب كالبركان الثائر يطالب بحرينه التامة!

نمت الروح القومية وانتشرت انتشارا رائعاً، وكان أقوى عامل لنموها هو شعور الأندونيسى بالحب العميق لأندونيسيا الحديثة؛ أندونيسيا الكلمة الساحرة التى جذبت سبعين مليونا من النفوس نحو حبها! فسموا بجد نحو إعادة ماضيها على أساس الحياة الحديثة. وتفرق الشعب فى طرق متعددة للوصول إلى الهدف القومى. وهناك فى ميادين الثقافة والاقتصاد والتجارة والملاحة والزراعة فرق ترشد الجماهير إلى أحسن الطرق لاصلاح حالتها العامة، وقد أنشأت الحكومة الهولندية مدارس عالية ومتوسطة وابتدائية، ولكنها لا تكفى لارواء ظمأ شعب يلح فى طلب الحرية المؤسسة على العلم والعرفان. وفى أندونيسيا

كليات أسستها الحكومة الهولندية، وهى كلية الطب ، وكلية الحقوق ، وكلية الهندسـة ، وكلية التجارة ، وأكاديمية حربية ، وإزاءهـا مدارس عالية أهلية أسستها الجمعيات والأحزاب . وأشهر المؤسسات القومية التى قامت بالاصلاح الدينى والاجتماعى والثقافى مؤسسـة المحمدية والعائشية وأساسها دينى قومى ، ثم مؤسسة (تامن سيسوا) (Taman Siswa) وأساسها قومى ، ومؤسسها البروفيسوركى هاجر ديوانتارا ، ونال لقب الأستاذية من أكبر معهد للتربيـة فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٣٨ ويبلغ عدد المدارس التابعة للمحمدية والعائشية ثلاثة آلاف مدرسة ما بين عالية وثانوية وابتدائية ورياض للاطفال . ولها أيضاً مكاتب عامة ومساجد ومستشفيات وفرق كشافة تدعى باسم (حزب الوطن) ثم أبدل فى السنوات الأخيرة باسم (شباب المحمدية) . وللجمعية المحمدية والعائشية فروع كثيرة منتشرة فى كل مدينة وقرية فى أندونيسيا . وفى عام ١٩٣٨ طلبت المحمدية من السلطات الهولندية السماح لها بشراء باخرتين لنقل الحجاج الأندوسيين إلى الحجاز ، ولـكن السلطات المحلية رفضت طلبها ! وتأسست هذه الجمعية فى عام ١٦١٢ بجهود الحاج أحمد دحلان . وللجمعية أيضاً جريدة ومجلة لسان حالها . وهما (عادل) و (صوت المحمدية) وتعقد الجمعية مؤتمراً سنوياً فى كل مدينة فى أندونيسيا ، يحضره مندوبون من جميع فروعها . ويستمر فى الانعقاد أسبوعا كاملا تستعرض الجمعية خلاله أعمالها الماضية ثم درس الاقتراحات والقوانين المقدمة من فروعها . وعقد المؤتمرات السنوية سنة اتبعتها الأحزاب السياسية والجمعيات المختلفة المقاصد . وأما مدارس تامن سيسـوا فيبلغ عددها الألف . وكانت أكبر خطر على السياسة الاستعمارية كما صرح بذلك البروفيسور جب الهولندى فى كتابه (وجهة الاسلام) إذ أن هذه المدارس مؤسسة على القومية . والتعليم فيها على أحدث المناهج الغربية . وتبعث تامن سيسوا بعض متخرجيها الى الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا والفلبيين والهند لإتمام دراساتهم العالية فى جامعتها . وتصدر مجلة شهرية تعبر عن آرائها باسم (العائلة)

وأشهر الأحزاب السياسية التى ظهرت بعد حزب (بودى أوتومو) حزب الشركة الاسلامية فى عام ١٦١٢ بزعامة الحاج صكرو أمينوتو . وانتشرت فروعه فى المدن والقرى . وفى أثناء سير الحزب رفضت السلطة المحلية الاعتراف بفروعه ، لتستطيع إيجاد الخلاف بين الحزب وفروعه . ومنعت السلطة أيضاً قبوله أعضاء جددا . وتجاه هذه السياسية المحلية أضافت إدارة الحزب كلمة واحدة الى اسم الحزب وهى (سنترال) وأصبح الحزب يدعى باسم (سنترال الشركة الاسلامية) وبذلك اعترفت السلطة بفروع الحزب

وأما برامج الحزب فهى :

١ — الدفاع عن كرامة الدين الاسلامى واشتراك الشعب الأندونيسى فى تخفيف الالام والمحن النازلة بالأمم الاسلامية .

٢ — نشر الثقافة الاسـلامية والعمل بأحكام القرآن مع الاقتباس من القانون الدولى لمسايرة التطور العالمى .

٣ — إيجاد حياة اقتصادية ليستطيع الشعب أن يعيش بها فى مركز متوسط يستغل موارد البلاد .

٤ — تربية الشعب تربيـة سياسية حتى يستطيع أن يدير أموره بنفسه . وكون هيئات تشريعية وتنفيذية وقضـائية من أعضاء الحزب البارزين . ويعتبر هذا الحزب أكبر حزب سياسى إسلامى فى جزر الهند الشرقية ، وبلغ عدد أعضائه بعد الحرب العالمية الأولى مليونى عضو .

ولـما سمحت السلطة الهولندية بعقد الاجتماعات والاشتغال بالسياسة تحت شروطها المعينـة ، ظهرت على المسرح السياسى الهولندى الاندونيسىّ أحزاب كثيرة كلها ترمى إلى تحرير البلاد . وفيما يلى نضع للقارىء أهم الأحزاب التى ظهرت وتواريخ ظهورها بصورة مختصرة :

١ — الحزب الوطنى الديموقراطى برئاسة الدكتور دويزديكر فى عام ١٩١٢ .

٢ — حزب فاسوندان فى عام ١٩١٤ .

٣ — الحزب الشيوعى الأندونيسى بزعامة الدكتور سمون فى عام ١٦٢٠ .

٤ — هيئة ائتلاف الأحزاب السياسية الوطنية برئاسـة المستر ثمرين فى عام ١٩٢٧ .

٥ — الحزب الوطنى الأندونيسى برئاسة المهندس سوكارنو فى عام ١٩٢٧ .

٦ — حزب الشعب الأندونيسي بزعامة المستر محمد طبرانى فى عام ١٩٣٠ .

٧ — اتحاد الشعب الأندونيسي بزعامة الدكتور رادين ستومو فى عام ١٩٣٠ .

٨ — الحزب الأندونيسي برئاسة المستر سرتونو فى عام ١٩٣١

٩ — حزب التربية الأندونيسية بزعامة الدكتور محمد حتى فى عام ١٩٣١ .

١٠ — حزب أندونيسيا الكبرى بزعامة الدكتور رادين ستومو ، وهو مكون من حزب بودى أوتومو وحزب اتحاد الشعب الأندونيسي فى عام ١٩٣٥ .

١١ — حزب النهضة الأندونيسية برئاسة المستر أمير شرف الدين فى عام ١٩٣٦ .

١٢ — الحزب الإسلامى الأندونيسي برئاسة المستر ويبووهو النائب بمجلس النواب فى عام ١٩٣٦ .

١٣ — رابطة الأحزاب السياسية الأندونيسية (GAPI) فى عام ١٩٣٩ .

والأحزاب التى استطاعت أن تصمد أمام التيار ، وتقف كالصخرة الصماء لا تزحزحها العواصف ولا الرياح هى :

١ — حزب الشركة الإسلامية الأندونيسية .

٢ — حزب أندونيسيا الكبرى .

٣ — حزب النهضة الأندونيسية .

٤ — الحزب الإسلامى الأندونيسي .

٥ — رابطة الأحزاب السياسية الأندونيسية .

الحكومة الذاتية والبرلمان

منذ ابتدأت النهضة الأندونيسية بنمو الروح القومية فى عام ١٩٠٨ ، طالبت الأحزاب السياسية الحكومة الهولندية بإنشاء حكومة ذاتية ومجلس نيابى . وكانت أهداف الحركات القومية الوصول إلى تحرير البلاد مبدئياً عن سبيل حكومة ذاتية بمجلس نيابى ، ففى أوائل الحرب العالمية الاولى طالبت الأحزاب السلطة المحلية بإنشاء مجلس نيابى أندونيسي ، ثم أجل الطلب إلى ما بعد الحرب . ولما وضعت الحرب أوزارها أنشأت الحكومة الهولندية مجلساً نيابياً مختلطاً من الوطنيين والهولنديين والأجانب وامتاء الشعب من هذه السياسة . وأعلنت الأحزاب الوطنية السياسية اللاتعاونية ، وكان تأسيس المجلس النيابى المختلط (Volksraad) فى عام ١٩١٨ .

وفى عام ١٩٣٧ قدم النائب المستر سوترجو العضو بالمجلس النيابى مذكرة إليه بإعطاء أندونيسيا استقلالا كاستقلال الحكومات الدومنيونية فى الإمبراطورية البريطانية ، وقام بصدده مباحثات طويلة بين رجال الأمة والحكومة الهولندية ، وأخيراً رفض الطلب بدعوى أن الشعب لم ينضج سياسياً !

وفى شهر مايو ١٩٣٩ تكونت رابطة الأحزاب السياسية ، وكان أول ما قامت به هو الدعاية بين طبقات الأمة وفى دوائر السلطات الهولندية بإنشاء برلمان وطنى بمعناه الصحيح ، كما قامت واللجنة الأندونيسية الوطنية ، بالمجلس النيابى الدعاية للبرلمان بين أعضاء المجلس ... وفى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٩ أذاعت (رابطة الأحزاب السياسية) بياناً إلى الأمة تدعوها إلى بذل جهودها وإعطاء ثقتها للرابطة لإنشاء برلمان وطنى ، وفيما يلى خلاصة البيان :

« منذ تطورت الأزمة العالمية ، والرابطة الوطنية تخطو خطوات موفقة نحو رفع مستوى البلاد السياسى وإشعار العالم الخارجى أن الشعب الأندونيسي يرنو إلى حياة حرة تحت ظل حكومة وطنية متمتعة باستقلالها التام . وإن الرابطة تسعى سعياً قوياً لتحقيق مطالب الشعب الرئيسية . وهى تنظر إلى الحركات الأوروبية بعين اليقظة والحذر . وإن الظرف الحاضر الدقيق حيث يضطرب حبل السياسة العالمية يدعو الرابطة أن تضحى بمجهودات عظيمة فى سبيل تحقيق البرلمان وانشاء حكومة وطنية مسئولة أمامه

إن الرابطة تدعو كافة الجمعيات والأحزاب والمؤسسات القومية وطبقات الشعب إلى تعضيدها فى مطالبها فى إنشاء برلمان للشعب الأندونيسي المجيد ، للوطن الأندونيسي الواحد ! »

وفى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٩ أقامت الرابطة مؤتمراً شعبياً باسم المؤتمر القومى الأندونيسي بمدينة بتافيا عاصمة أندونيسيا ، للبحث عن الأسس الأولية لانشاء البرلمان ورفع مذكرة إلى الحكومة الهولندية بتأسيس البرلمان حسب رغبات الشعب . وقد حضر

الشرق كما يراه الغرب

٣ - المـــــوالد المصرية

للأستاذ أحمد أبو زيد

تضم الموالد — علاوة على الناحية الدينية — بعض عناصر اللهو وضروب التسلية التى اشتهر بها المصريون . بل إن جميع الاحتفالات الدينية فى مصر وفى غير مصر ، وفى الأزمان الحديثة والقديمة على السواء — لم تكن احتفالات دينية بحتة ، بل كان يداخلها دائماً شيء من اللهو والعبث . فهوميروس مثلا يذكر لنا الشيء الكثير عن الألعاب الشعبية ، وأنها كانت تؤلف قسما هاماً من أعياد اليونان الدينية . والمصريون معروفون بروحهم المرحة التى تحب الانطلاق ، فهم لا يتركون فرصة تمر أمامهم حتى يغتنموها ويطلقوا أنفسهم العابثة على سجيتها ، ويملأوا الدنيا لهواً وعبثاً ، ويثيروا حولهم أكبر ضجة مستطاعة ، كما هى عادتهم فى المناسبات وفى غير المناسبات

وجو الموالد جو صاخب ، كله ضجيج وترتفع فيه الأصوات المتنافرة من كل جانب . ولكنها على تنافرها يقوم بينها نوع من الائتلاف والانسجام يجعل لها وقعاً غريباً فى النفس ، ففى ناحية نجد مشارب (البوظة) تنبعث منها أصوات الغناء السودانى : أيوه أيوه من السودان :

سرجوا الصندوق يا محمد   لكن مفتاحه معايا ... الخ

يصحبه توقيع جميل منتظم على الصناجات ، ولكنه يضيع ويتلاشى أمام دوى موسيقى غريبة صاخبة منبعثة عن (شخشاخة[1]) كبيرة ، ويصحب ذلك الرقصة السودانية المعروفة باسم الرانجا أو الرانجو[2] ؛ ومن ناحية أخرى ترتفع أصوات باعة الليمونادة والتمر هندى والعرقسوس والشربات وباعة السجاير ومن ورائهم (جامعو الأعقاب) ؛ ومن هنا وهناك ترتفع أصوات باعة (عرائس المولد) يتغنون بمزايا عرائسهم ويعددون صفاتها وجمالها ، وقد زينوها بأجمل زينة ، ووضعوا إلى جانبها خليطاً كبيراً من الأرانب والكلاب والدجاج والبط (وكل ذلك مصنوع من الحلوى بلا ريب) . ويتفنن باعة العرائس فى عرض عرائسهم ، وهم فى الغالب لايكتفون بعرض العرائس وحدها ، بل يأتون لكل عروسة منها (بعريس) ويسكنان الاثنين معا فى حجرة صغيرة بها مخدع ومرايا وما إلى ذلك ... وكثيراً مايستوحى باعة العرائس القصص الشعبية مثل عزيزة ويونس أو قصة أبى زيد الهلالى أو قصة (أبو على سرق المعزة) فى عمل بعض النماذج الطريفة ... وفى هذا الجو الصاخب الرائع تنتشر روائح قوية نفاذة مستطابة وخاصة عند الاجانب ... تلك هى روائح الطعمية والفول المدمس والكفتة والشواء والارز وغيرها من الاطعمة الوطنية الطيبة النكهة .

وتنتشر المسارح و (التياترات) بكثرة فى الموالد ؛ وبعض

---

(١) يرى ماكفرسون أن الشخشاخة فى الأ ل من اختراع المصريين القدماء ، وانها انتشرت بانتشار عبادة إيزيس ، وهى لاتوجد اليوم إلا فى جنوب مصر ولا يستعملها فى القاهرة إلا السودانيون

(٢) الرنجو فى الأصل اسم آلة موسيقية وترية ، ثم أطلقت بعد ذلك على الرقصة كلها : ويرى حسن أنيس باشا ، وهو من علماء الموسيقى فى مصر — أن الرانجو تمت إلى الموسيقى البدائية بصلة وأنها قريبة كل القرب من موسيقى الجاز عند الأوربيين

المؤتمر مندوبون من كافة الأحزاب والجمعيات الوطنية . ورجال السياسة والصحافة والأدب والأعمال . ودام المؤتمر لنهاية يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ . ثم رفعت الرابطة مذكرتها الى السلطات الهولندية بأندونيسيا ومنها أرسلت إلى الهيئات العليا بهولندا لدراستها . وبعد دراسات دقيقة أشعرت الحكومة الهولندية رابطة الأحزاب بتأجيل الطلب لأن الشعب لم ينضج سياسياً أيضاً . فضلا عن أن الحرب العالمية الثانية دائرة رحاها .

ولعلنا فى هذه الكلمات الموجزة استطعنا أن نعطى القارىء صورة مصغرة مختصرة عن الحياة الحديثة فى جزر الهند الشرقية أو إندونيسيا ، وهى حياة أمة شرقية تعدادها سبعون مليوناً . لا نستطيع أن نغضى الطرف عنها وهى همزة وصل بين استراليا وأمريكا وبين آسيا وأفريقا وأوربا ، ووجودها ضرورى لتحفظ توازن القوى فى الشرق الأقصى !

سوكارنو الصغير

هذه المسارح تطلق عليها اسم (مسرح) من باب التجوز فقط لصغر حجمها ، كتلك (المسارح) الخاصة بالأراجوز وخيال الظل التي لا تزيد أجر الدخول فيها على مليمين ، ويجلس المتفرجون في (الصفة) على مقاعد خشبية ليشاهدوا (العرض) ويستمعوا إلى الموسيقى . بيد أن هناك مسارح أكبر من هذه يعرض فيها شيء لا بأس به من التمثيل والرقص . وفي خارج هذه المسارح توجد منصتان على جانبي باب الدخول ، تحتل إحداهما فرقة موسيقى نحاسية (تشنف) آذان الجمهور والمارة بنغماتها المدوية ؛ أما المنصة الأخرى فيخرج اليها من آن لآخر — خلال فترة الاستراحة — بعض الممثلين والراقصات ليعرضوا على الجمهور في الخارج شيئاً من بضاعتهم الفنية عسى أن يثيروا فيهم الرغبة والشوق للدخول .

ويعمل في هذه المسارح — علاوة على الممثلين والراقصات — نفر من الرجال قد تخصصوا في (تحريك العضلات) ، كما نجد فيها أيضاً بعض الراقصين من الرجال يأبون أن يرقصوا إلا في ملابس النساء وفي زينتهن . ومن أشهر هؤلاء الراقصين راقص اسمه حسين فؤاد ، يوزع على المتفرجين — بعد العرض — بطاقة عليها صورته في زي امرأة وقد كتب تحتها : — الراقص المصري الشهير حسين فؤاد .

وللمصريين ولع شديد بمشاهدة ألعاب القوى ، ولذا لا يخلو أي مولد من وجود بعض خيام صغيرة تعرض فيها هذه الألعاب من مصارعة رَبْع ، ومن أشهر الذين يعرضون هذه الألعاب عملاق ضخم الجثة يسمى نفسه (الأستاذ شوال) ولهذا الأستاذ شوال (جوقة) تضم بين أفرادها قزما صغير الجسم كريه المنظر ولكنه مع ذلك يتمتع بقوة جسدية هائلة بحيث أنه يستطيع أن يرفع بسهولة رجلا يكبره بثلاثة أضعاف حجمه .

ومن الألعاب الطريفة المستحبة عند المصريين في الموالد لعبة (أبوفيران) . والأدوات المستخدمة في هذه اللعبة منضدة صغيرة مستديرة مثبت على حافتها منازل صغيرة لكل منها فتحة (أو باب) تكفي لمرور الفأر ، ولكل بيت رقم خاص . ويتراهن المتراهنون على أي البيوت سوف يدخلها الفأر ، ويضع كل منهم نقوده على البيت الذي يختاره . ثم يخرج (أبو فيران) فأره الأبيض الصغير من جيبه ويطلقه يرتع ويجري على المنضدة كيف شاء ؛ فالبيت الذي يدخله الفأر يربح صاحبه الرهان ، وقد شاهد ما كفرسون صبيا صغيراً بارعا كان يكسب الرهان دائماً دون أن يفقد نقوده قط ، فراقبه خلسة حتى عرف السر في ذلك ؛ إذ كان الصبي الصغير يغافل من حوله ويضع قطعة من الجبن في البيت الذي يختاره ؛ وكانت رائحة الجبن كفيلة بجذب الفأر اليه .

ولكن ، مهما كثرت الألعاب الشعبية في مصر ، ومهما تعددت مظاهر اللهو والمرح — فانها واحدة لا تتغير في جميع الموالد ؛ فما نراه في موالد الوجه البحري نجده في موالد الوجه القبلي دون أدنى تغيير . والأعجب من ذلك أن نفس الوجوه تظهر في كل الموالد وخاصة وجوه الممثلين والأراجوزات والحلاقين الذين يختنون الفقراء مجاناً . والواقع أن هناك فريقاً كبيراً من هؤلاء يقفون حياتهم على التنقل بين البلدان للتكسب من الموالد .

***

ونحب في النهاية أن نكرر ماسبق أن قلناه من أن كتاب ما كفرسون سد فراغا كبيراً وأسدى خدمة جليلة لدراسة الحياة الشعبية في مصر الحديثة ، فالواقع أن هذه الناحية لم تحظ بكثير ولا قليل من الدراسة والعناية الجديرة بهما ، وعسى أن يقوم بعض علمائنا ممن يعنون بدراسة (الفوكلور) بمتابعة الخطوات التي خطاها ما كفرسون وغيره من أمثال إيفانز بريتشارد والأستاذ هوكارت وبذلك يقدمون أجل الخدمات للعلم ويؤدون بعض ما يجب عليهم نحو وطنهم .

(انتهى) **أحمد أبو زيد**

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزي الشتوي

ملابسك من الفول السوداني :

ولا تعجب . فيستطيع علم الكيمياء الآن أن يحول كل ما يقع تحت حسك من مواد إلى مواد جديدة لا تتصور نشوءها منها . وقد لا يطول الزمن أيضا حينما يتحقق حجر الفلاسفة فيحول الكيماويون الرصاص أو القصدير وربما التراب إلى ذهب . فلم يعد علم الكيمياء الآن ينظر إلى مظاهر المواد بل إلى خواصها وجواهرها .

والحرير والصوف اللذان تشاهدهما كل يوم ليسا إلا أنسجة زلالية أي أن أساسها مثل زلال البيض الذي لا ترى بينه وبين الصوف أية صلة . وقد ظهرت في الأسواق التجارية منسوجات صناعية . ولا تمر شهور حتى تكون بعض ملابسك من هذه المواد وأحدها النسيج الحديث المعروف باسم « الأرديل » الذي يصنع من زلاليات الفول السوداني .

وأول نسيج صناعي ظهر في المجال التجاري من أصل زلالي هو القماش المعروف باسم « لانيتال » وهو يشبه الصوف في كثير من خواصه وساعد على رواجه وصقل صناعته حرب إيطاليا والحبشة وتوقيع العقوبات الاقتصادية على الأولى وحرمانها من الخامات والمواد الأولية وقد استخرج هذا النسيج من اللبن بعد عدة عمليات كياوية تعرف باسم عملية فيرتيتي .

واشتدت الحاجة بإيطاليا إلى المنسوجات لتزويد جنودها بالملابس فسعى علماؤها إلى صنعها من « شرش » اللبن . ولا سيما أن حرمانها من تصدير الجبن وفر لديها مواد اللبن مما شجع على صقل صناعة اللانيتال .

ولفتت هذه المغامرة الإيطالية أنظار علماء العالم فعرض كورتولد في عام ١٩٣٨ في أحد معارض مانشستر أنسجة صناعية . وظهرت في أمريكا أنسجة عرفت باسم « أرلاك » .

أما نسيج الأرديل فيرجع أول عهد التفكير العلمي فيه إلى عام ١٩٣٠ حين قال الدكتور أوستبوري من جامعة ليدز بأنه من الميسور تحويل زلاليات الفول السوداني إلى أنسجة ؛ وقد أيده في قوله البروفسور سيبنل من جامعة كمبردج وكان مشهوراً بسعة معارفه عن خواص زلاليات النباتات .

وبدأت سلسلة من تجارب لإذابة زلاليات البذور واستخلاص الألياف منها حتى تكللت التجارب بالنجاح وحصلوا على ألياف تشبه الصوف في كثير من خواصها .

وانتقلت عدوى البحث إلى معهد الصناعات الكيماوية الامبراطوري وبدأ تجاربه بطرق مثالية يختبر صلاحية البذور المختلفة ليدرس كمية الزلاليات التي تصلح في كل منها لإنتاج الألياف المرموقة .

واستمرت التجارب فترة تيسر فيها فصل مواد الفول السوداني وأتيح منها الحصول على الألياف المطلوبة وعلى استخراج نوع من زيت الأراشيس الذي يصلح في عمل المسلي الصناعي . ووجد أنه يحتوي على ٢٨ ٪ من وزنه من الزلال ومن ٤٨ إلى ٥٠ ٪ من زيت الأراشيس وعلى ١١ ٪ من مواد نشوية وسكرية .

ومعنى هذا أنه يمكن استغلال كل مادة الفول السوداني لأن المواد النشوية والسكرية غذاء جيد لكافة الحيوانات كما أن الطن من الفول يصلح لإنتاج ٥٠٠ رطل من ألياف الأرديل في لون « كريم » .

واختبرت خواص الألياف الناتجة فوجد أنها تمتص الرطوبة مثل الصوف ولها قدرته على التدفئة وغيرها من الخواص التي تميز الصوف عن غيره من الألياف .

وانتقلت التجارب إلى مرحلة صنع القماش من الألياف الجديدة فأثبتت أن أفضل طريقة لاستخدامها هي خلطها بمقدار مساولها من الصوف وعلى هذا الأساس يتعذر على أي إنسان أن يفرق القماش الجديد من قماش الصوف الصافي وإن كان في الواقع يفضله لأنه أرخص منه في أسعار الإنتاج .

واتجهت تجارب الأمريكيين إلى ناحية أخرى فأقبلوا على دراسة زلاليات الذرة التي تعد قليلة القيمة من الناحية الغذائية . ومن ثم تفرعت الأبحاث في كل اتجاه وهدفها استغلال المواد القليلة الاستغلال وخاصة المواد التي تعتبر عديمة المنفعة مثل التالف من الصوف والحرير والجلود وجلود الحيوانات وريش الطيور وكل ما يحتوي على مواد زلالية .

والمعروف أن العلماء توجهوا من زمن بعيد إلى البحث عن ألياف تصلح للنسج من المعادن وهو ما يعرف « بالنيلون » وهو

يختلف عن البحث الذى نحن قبله بأن بحثنا نباتى محض .

واتجه البحث فى ألمانيا قبل نشوب الحرب إلى ناحية أخرى إذ جرب العلماء استخراج ألياف مشابهة للصوف من السمك . وكانت خلاصة أبحاثهم الحصول على خليط من الزلال والسيلولوز .

ومن الطبيعى أن جميع المواد الغذائية التى تناولها تصلح مادة جيدة لهذه التجارب وخاصة اللحوم ؛ كما حاول بعض العلماء فى النمسا . ولكن بعيدى النظر يفضلون الاقتصار فى تجاربهم على المواد القليلة القيمة الغذائية أو البقايا التى يتخلص منها الإنسان .

على أنه من الثابت أن المنسوجات الصناعية التى تستخرج من هذه المواد التالفة ستكون بالغة الأثر فى الميادين الاقتصادى والتجارى نظراً لرخص أسعارها ، وفى كثير من الأحوال لجمال مظهرها وقابليتها لإظهار مودات جديدة .

زرع بدون تربة

لم تعد رمال السحراء عديمة الفائدة من الناحية الزراعية . فبفضل الأبحاث الكيمائية الزراعيــة الأخيرة التى أجرتها بعض المعاهد الأمريكية تيسر الاستغناء عن التربة وزرع المنتجات الزراعية فى الصخر على أن تغذى البذور بالمواد الكيماوية الضروية لحياتها .

وظهرت هـذه الحاصلات بكثرة ساعدت كثيراً على توفير الموادالغذائية للقوات المحاربة. وطريقة الزراعة الكيميائية هى نثر البذور فى طبقة من الحصى والرمال والأحجار سمكها عشرة سنتيمترات تمهد مائلة وتنتهى مساحات أرضها بمجموعة من الحفر تزود بالطلمبات التى تمتص محلولها المحمل بالمواد الكيماوية اللازمة ثم ترسلها فى أنابيب تفرغها فى أعلى المنحدر الزراعى فتأخذ منه البذور كفايتها ثم يعود البـاقى إلى الحفر ليعاد امتصاصه وتفريغه على البذور عدة مرات كل يوم .

لا حرث ولا عزق

ومن فوائد هذه الطريقة الاستغناء عن حرث الأرض وعزقها كما أنها تعرض جذور النبات للهواء فيحصل على مقـدار وافر منه وتقل فى حقول النباتات الكيميائية الحشرات الضارة .

وأنتج الفدان الواحد من الأرض بهذه الطريقة ٢٥٠ طناً من الطماطم و ٥٠٠ بوشل من البطاطس ووفرت عشرة فى المائة من النفقات الزراعية التى تتكلفها الأرض العادية .

وأجريت التجارب التحليلية لمعرفة المحتـويات الغذائية للحاصلات المزروعة بالطريقة الكيميائية فظهر أن كمية الفيتامينات الموجودة فى السبانخ والطماطم توازى ثلاثة أضعاف الكمية الموجودة فى مثيلاتها من مزروعات التربة .

وبتحليل مائة رطل من التبن وجد أنها تحتوى على ١٢ رطلا من البروتينات و ٤٠ من الكربونات و ٢٠ من السيلولوز و ١٠ من الفورفورال و ٨ من اللجنين و ١٠ من الهومس وثمن هذه المواد يوازى أربعة أضعاف ثمن التبن كله .

ويسرت هـذه الطريقة على رجال الصناعة فى أمريكا سبيل الحصول على كثير من المواد الصناعية كالبترول والمطاط وغيرهما من المواد الضرورية التى ما زال أمر الحديث فيهـا من الأمور العسكرية. على أن طريقة الزراعات الكيميائية ستحدث انقلابا كبيراً فى عالم الزراعة والصناعة بعد الحرب كما ستخفض ثمن المواد الغذائية تخفيضاً كبيراً .

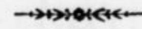
فوزى الشتوى



لؤلؤة الحب

للكاتب الانكليزى ه . ج . ويلز

بقلم الاستاذ عيسى حليم



من رأى الباحثين فى علم الأخلاق أن اللؤلؤة هى أقرب الحجارة الكريمة المتبلورة إلى النفس ، لأنها أثر من آثار الألم لكائن حى ، وليس فى طاقتى التعليق على هذا القول ، لأن سحر الجواهر لا يحرك أى وتر من أوتار روحى ، وبريقها الزجاج لا يؤثر فى على الإطلاق ، كما أنه ليس بوسعى أن أقطع برأى حول ذلك الجدال المتطاول : هل لؤلؤة الحب أشجى القصص ، أم هى خرافة شائقة عن خلود الجمال ؟

إن دارسى النثر الفارسى فى العصور الوسطى قد ألفوا هذه القصة والجدال الدائر حولها . والقصة قصيرة ، إلا أن تفسيرها يشغل حيزاً كبيراً فى أدب تلك الحقبة . فلقد عدت قطعة شعرية كما يجوز اعتبارها كناية تشير إلى هذا أو إلى ذاك . وساهم رجال الدين بنصيب وافر فى تأويلها ، وعنوا بها بوجه خاص كقصة تلقى ضوءاً على بعث الأجسام بعد الموت ، ويضرب بها المثل أولئك المشتغلون بالفن والجمال ، وكثيرون يعتبرونها مجرد تعبير جرىء عن حقيقة بسيطة

جرت حوادث القصة فى شمال الهند ، وهى أصلح تربة للحب السامى فى جميع بقاع العالم ، فهى بلاد الشمس الوهاجة والبحيرات والأدغال الكثيفة والتلال والأودية الخصبة ، وهناك توشك الجبال الشاهقة أن تنطح قبة السماء ، أجل هناك القمم والأخاديد حيث الثلج الدائم الصعب المنال . فى هاتيك الربوع كان يعيش أمير فى مقتبل العمر يطيعه الجميع . وفى يوم ما التقى بفتاة طلقة المحيا ، جمالها قيد النواظر بحيث يعجز عنه الوصف ، فجعلها مليكته واضعاً قلبه عند قدميها . كان الحب الوثيق متبادلا بينهما ، مليئاً بالمسرات وبالسعادة لدرجة لم يحلم بها أحد من قبل . ومكثا يتفيآن ظل الهناءة ، موفورى السعادة لمدة سنة وبضعة شهور ، ثم ... فجأة ماتت بلدغة سامة ، بينما كانت تطوف فى أرجاء إحدى الخمائل ... !

أجل ، ماتت ... ولبث الأمير حيناً مسجى فى حالة هامدة صامتة من جراء الحزن البالغ واللوعة الحرّى ، حتى إن البعض خشى عليه أن ينتحر، مع العلم بأنه معدوم النسل والأخوة ليخلفوه. واستمر يومين منقطعاً عن الأكل مكباً على وجهه عند أرجل السرير الذى أضجع عليه جسدها الفاتن ، ثم نهض وأصاب شيئاً من الطعام ، وانطلق فى سكون انطلاق من آلى على نفسه أن يعمل عملا عظيما ، وأمر أن يوضع جسدها فى نعش من الرصاص الممزوج بالفضة ، وأن يوضع هذا بدوره فى نعش آخر من أغلى الأخشاب التى تعبق بالعبير ، وأن يُكسى بالذهب ، وأن يكون حول ذلك كله نعش من الرخام المعرق المرصع بالزبرجد . وبينما كان العمل جارياً ، دأب على قضاء معظم أوقاته بجوار الغدران ، وفى المنازل ذات الرياض ، وفى الخيم والغابات ، وفى غرف القصر تلك التى شاهدت مراتع فتونهما ، متأملا فى حسن تلك التى فقدها ، ثم إنه لم يمزق ثيابه ولم يحث الرماد على نفسه ، ولم يتشح بالحداد كما كانت العادة ، لأن حبه كان أسمى من أن يتسع لهذا الشطط ، وأخيراً عاد إلى مستشاريه وإلى شعبه ، وأدلى إليهم بما كان مزمعاً أن يفعله

قال إنه لم يعد بمقدوره أن يقرب امرأة ، بل إنه لا يحتمل حتى التفكير فى النساء ، ولذلك سيحاول إيجاد فتى لائق ليتبناه وليدربه كى يكون خلفاً له ، وإنه سيواصل القيام بأعباء الإمارة كما يليق به ، على أنه سيركز قواه بقدر استطاعته ، وسيخصص جميع ثروته وكل ما بمكنه حشده ، ليشيد ضريحاً لمالكة فؤاده الغالية التى لامثيل لها ، وستكون بناية ذات حسن مكتمل

وجمال بالغ، بحيث تفوق أية بناية أخرى شيدت فى الماضى أوستشاد فى المستقبل ، ولتكون أعجوبة إلى الأبد ، وليحتفظ بها البشر كنزاً ثميناً ، حتى تتناولها الألسن بالإطراء ، وتشتد الرغبة فى مشاهدتها ، ولتكون نجعة الرواد من جميع أطراف الأرض ، فيظل اسم معبودته وذكراها حيين ماثلين للعيان ، وأضاف أن هذه البناية سيطلق عليها اسم « لؤلؤة الحب »

وقد رضى مستشاروه وشعبه بأن يفعل هذا وقد فعله !

وتتابعت السنون وهو قاصر نفسه على تشييد « لؤلؤة الحب » فحفر لها أساس شق بين صخور فى مكان تلوح للناظر منه الثلوج المخيفة التى تكلل الجبال ... وعلى مقربة كانت تظهر بعض القرى والتلال ونهر كثير التعاريج ، وبعيداً قامت ثلاث مدن عظيمة . وضع النعش الرخامى المعرق فى بناية شيدت بمهارة وأحيطت بعمد من حجارة جميلة غريبة المنظر، وبجدران تجلى فيها النقش ، لكنها لم تلق قبولا لدى خيال الأمير الآخذ بالاتساع ، فأمر بهدمها

فالأمير لم يعد باليافع الرشيق الحركة الذى أحب ملكته الصبية ، فقد أضحى الآن رجلا عبوساً لايستوطئ راحة ، منكباً على بناء « لؤلؤة الحب » . وأخذت السنوات المليئة بالعناء تكسبه خبرة فى فن البناء ... ورهف ذوقه للألوان ، وغدا قليل الاهتمام للتزويق والتزيين ، وكنت تسمعه يردد : « هذه أشياء كانت بديعة » . وشاهد الناس « لؤلؤة الحب » تعلو من طور الإنشاء إلى علو شاهق فى عظمة وأبهة وجلال ، فهم لم يكونوا يعرفون ما ذا يتوقعون ، لكنهم على كل حال لم يتوقعوا أن يشاهدوا مثل هذا السمو، وكانوا يقولون هامسين : « غريبة تلك العجائب التى يبدعها الحب » ! وأحبت جميع نساء العالم الأمير لولائه العميق ولوجده الدفين

ولم يأل الأمير جهداً فى التبديل والتجميل ، وإنما كان هناك شىء من النشوز فى التابوت ، إنه لم يكبر منذ الأيام الأولى للكارثة ، فبان أشبه بمستطيل صغير يجثم دون تناسب وسط « لؤلؤة الحب » الهائلة . وفى ذلك التابوت كانت علبة الرصاص والفضة الكبيرة الحاوية لجسد من أوحت بهذا الفن

وقف الأمير طويلا يتأمل وينعم النظر ، ولكن أحداً ما كان ليدرك ما ذا يجول بفكره ، وما ذا يستقر فى خياله ؟ !

وأخيراً ... تكلم مشيراً إلى « لؤلؤة الحب » وقال : اهدموها !

(بيت لحم — فلسطين) عيسى سليم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٣٧ - الاثنين ١٧ سبتمبر ١٩٤٥ - السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٣ ، ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

إعلان عن موضوعات كتب السلسلات الثلاث التى أعلنت عنها وزارة المعارف العمومية

موضوعات لمكتبة الأطفال

١ — العلوم والمعارف العامة

(١) قصة الكون وكل عوالمه العجيبة وكل قواه وطرائق استخدامها

(٢) أسرة الأحياء فى الأرض والبحر والهواء

(٣) قصة النباتات وعجائبها وأطوارها

(٤) معلومات عن أطفال العالم وعن شعوبه ونبذ من حياتهم

[فى أسلوب سهل مشوق]

٢ — الفنون

(١) قصص وتعريف بالأشياء الجميلة فى كنوز العالم من الصور والتماثيل والنقوش والآثار مع العناية بالآثار المصرية

(٢) قطع من آداب العالم وقصص مناسبة للأطفال

٣ — التاريخ

(١) عرض تاريخ أبطال العالم إسلاميين ومصريين وغربيين فى قالب قصصى جذاب

(٢) عرض فترات النهوض فى التاريخ المصرى والعربى فى صورة قصصية

(٣) عرض قصة الإنسانية من عصر البربرية إلى المدنية الحاضرة عرضاً سريعاً مشوقاً

٤ — من كتب الرحلات

(١) تبسيط أخبار الرحلات فى الآداب العربية والأفرنجية وصياغتها فى أسلوب مشوق

(٢) عرض كتب عجائب البحر والبر فى الأدب العربى والغربى مع التعليق عليها بما ينمى معلومات التلاميذ

٥ — من الأدب العربى القديم

(١) نوادر الأذكياء والظرفاء والبخلاء مبسطة فى قالب قصصى مشوقة

(٢) أشهر الأمثال وموازدها وما يدور حولها من نوادر وطرائف وحوادث فى قالب مناسب للأطفال

(٣) نصوص أدبية نثرية وشعرية مما يناسب عقلية الأطفال موضوعاً وتعبيراً على أن تساق فى ثنايا قصة أو سياق مشوق مفسر لمعانيها الإجمالية

٦ — من الأدب الشعبى القديم والحديث

(١) قصص من ألف ليلة وليلة معروضة عرضاً جديداً يناسب خيال الأطفال فى أسلوب سهل

(٢) قصص من الأبطال الأسطوريين فى الأدب الشعبى كأبى زيد وعنترة والظاهر بيبرس وغيره

(٣) القصص الشعبية المتداولة مصوغة فى قالب أدبى بسيط

(٤) الأساطير العربية والعالمية والقصص الشعبية فى العالم

٧ — موضوعات لمكتبة الآباء والأمهات

(١) معلومات عن حياة الطفل وطبيعته وأطوار نموه وغرائزه وصحته

(٢) عرض لمشاكل الأطفال والمراهقين وتجارب عائلية فى معالجتها

(٣) مشكلات الأسرة قبل الزواج وبعده على ضوء الواقع فى الحياة المصرية والشرقية واقتراحات لعلاجها فى صورة قصصية أو تحليلية

(٤) صور من حياة الأسرة فى أمم العالم المختلفة

(٥) تطور الأسرة فى المجتمع من العصور الهمجية إلى العصر الحاضر

٨ — موضوعات للسلسلة الثقافية العامة

(١) الأبحاث الاجتماعية التى تعالج شتى الاتجاهات فى العالم وفى مصر

(٢) القصص الاجتماعية مع توافر الشرائط الفنية والمستوى الأدبى المناسب

(٣) البحوث التى تتناول النقد الأدبى وتاريخه ومذاهبه

(٤) المباحث العلمية والأدبية والجغرافية والتاريخية على اختلافها على أن تكون فى متناول المثقف العادى

(٥) بحوث عن الفنون : النحت ، والتصوير ، والموسيقى ، والمسرح ، والسينما ؛ مبسطة ومفهومة للمتعلم العادى

(٥) التاريخ السياسى والاجتماعى المصرى والإسلامى الذى يصور حياة الشعب متصلة الحلقات إلى العصر الحديث

(٧) صور من حياة الأمة المصرية والشعوب الشرقية فى فترات نهضتها

(٨) البحوث السياسية والاقتصادية مبسطة

(٩) البحوث الفلسفية العامة فى أسلوب قريب المتناول

13 me Année No. 637

Lundi - 17 - 9 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٧ «القاهرة في يوم الإثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٤ — ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

درسان من دروس الحياة

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

من أول ما تعلمته في حياتي أن الدنيا لي ولغيري ، وأني لم أعطها وحدي ، ولا أعطيها سواي ملكاً خالصاً له ، ونحن جميعاً شركاء متكافئون في الحقوق ، وعلينا من أجل ذلك واجبات متماثلة . وما دمنا شركاء إلى حين ، وما دام أن المقام في الدنيا على كل حال قليل ، فإن من الحماقة أن ننغص على أنفسنا هذه الحياة القصيرة بالعنت ، أو أن نؤثر التي هي أخشن على التي هي أحسن في سيرتنا ، وقد كنت أحمق الحمقى في صدر حياتي ، وما زالت بي بقية غير هينة من الحماقة ، فما انفكت الدنيا تنفضني كما ينفض الأسد فريسته ، وتشيلني وتحطني ، وترجني وترميني من هنا وههنا ، حتى فاءت بي إلى الرفق والهوادة فأرحت واسترحت

أي نعم ، تتسع الدنيا لي ولغيري ، وتستغني عنا جميعاً ! وليس أضل رأياً ممن يتوهم أن الحياة لا تطيب له إلا إذا خلا طريقه فيها من الناس . وما أحكم قول الإنجليز في أمثالهم : « عش ، ودع غيرك يعش » ! وما على المرء إلا أن يفكر فيما عسى أن تخسر الدنيا إذا هي خلت من الناس وعادت خراباً يباباً ؟ لا شيء ! لن يكف الفلك المسيّر عن الدوران ، ولن يعوّق الشمسَ شيء عن الطلوع والأفول ، ولن تعدم الحياة على الأرض مظهراً آخر تتبدّى فيه كما تبدّت فينا نحن بني آدم ! وهل نحن إلا صورة من صور الحياة ؟ وهل أعظم غروراً أو أقل عقلا ممن يكبر في وهمه أن الحياة تنعدم إذا انقرض الإنسان وتقلّص ظله عن الأرض ؟

ولا يتوهم أحد أن هذا كلام زاهد أو متزهد ، فما أنا بهذا ولا ذاك ، وإني لمن أشد الناس رغبة في الحياة الرضية ، ونشداناً للعيش الرغيد ، وطلباً لأطايب الدنيا ، وعكوفاً على متعها المشتهاة ، وكل ما في الأمر أني لا أرى أن فوزي بما أبغي لا يستوجب أن يُحرم الناسُ غيري ما يطلبون ، أو أن يخيبوا ويخفقوا . وأي دنيا تكون هذه إذا كان نجاح فرد فيها وتوفيقه في إدراك آرابه لايتسنى إلا بخيبة الباقين ؟ ثم إني لا أحس أن الناس ينافسونني أو يزحمونني أو يضيقون عليّ المجال ، فإن الأرض رحيبة ، ومجالاتها لا آخر لها ، وما رأيتني عجزت قط عن اختراع طريق بكر ، أو الاهتداء إلى ميدان جديد ، إذا شعرت بالحاجة إلى ذلك

وصحيح أن الحياة جهاد ـ جهاد مع الطبيعة ومع الإنسان ـ ولكننا لسنا من الحيوان ، فنضالنا لا ينبغي أن يكون بالأنياب والمخالب ، بل بالعقول . ونضال العقول متعة ، وليس يعيي به أو يستثقله أو يضجر منه إلا من لا يصلح لغير حمل الأثقال كالدواب . وليس أمر الدنيا إلى هؤلاء المساكين المستضعفين الذين يساقون ويسخرون ، بل إلى أصحاب العقول . حتى حين تقوم الثورات لا تكون الثورة في حقيقة الأمر من الجمهور الأكبر والسواد الأعظم الذي يسفك الدماء ويعيث بالخراب والدماء ، بل ممن يدفعونهم إلى ذلك ويغرونهم به ويحضونهم عليه صراحة وتلميحاً ، وعفواً أو عن عمد ، أي من أصحاب العقول . ولست

تستطيع أن تعطل عقول الناس أو تعقل ألسنتهم . وخير وأرشد — لك وللناس — أن لا تفعل حتى إذا استطعت . وتصور دنيا ليس فيها من يفكر بعقله وينظر بعينه غيرواحد ليس إلا ! أى مزية يستفيدها هذا الفرد؟ وأى متعة أونعيم له فى حياته مع أشباه البهائم؟

إنما المتعة والنعيم فى هذا النضال الذى تتصفح فيه عقول منافسيك وتضيفها إلى عقلك ، وأنت بذلك تكسب أبداً ولا تخسر ، وتضم كل يوم ثروة ذهنية إلى ما أوتيت من ذلك ، وتمنع عقلك أن يصدأ ، لأنك لا تنفك بفضل النضال الذى لا مهرب لك منه ، تجلوه وتشحذه وترهفه

ولكن المرء لا يستطيع أن يناضل بعقله الفطرى . وأعنى بالفطرى الذى لا زاد له من العلم ، ولا مدد من المعرفة . وشبيه بذلك أن تقاوم مقذوفات المدافع بالحجارة . فلا معدى لنا عن تعهد ملكاتنا وتزويدها بالأداة التى تجعلها أمضى وأكثر غناء

وعلمتنى الحياة الابتسام ! وإنه لعجيب أن يحتاج المرء أن يتعلمه ! ألم يقل بعضهم فى تعريف الإنسان إنه حيوان يبتسم ؟ وأدعى إلى العجب من ذلك أن تكون المحن والشدائد هى التى علمتنيه وعودتنيه ! إى والله ! فقد كان صدرى يضيق ومرارتى تكاد تنشق ، من الغيظ ، وكنت أجزع إذا حاق بى ما أكره ، وأقنط من قدرتى على اجتياز المحنة ، حتى تلفت أعصابى واسودت الدنيا فى عينى ، بل كاد نور عينى يخبو وينطفئ لفرط ما كنت أعانيه من الاضطراب والألم والكمد ، ثم لطف بى الله فتمردت على نفسى ، وصرت إذا عرانى ما كان يعرونى من الجزع أو الخوف أو الاضطراب أقول لنفسى : قد جربت مثل هذا من قبل ، وعرفت بالتجربة أنه كله يمضى ولا يخلف أثراً ولا يورثنى إلا الأسف على ما أنهكت من أعصابى فى احتماله ، وقد لدغت آلاف المرات ، فلا يجوز أن ألدغ بعد ذلك أبداً ، وخليق بى أن أتلقى كل ما يجىء — لا بالصبر والتشدد ، فقد كان ذلك ما أفعل ولم يكن يكفى — بل بالسخرية والتهكم — سخرية العارف وتهكم المدرك للقيم الحقيقية للأشياء — وبالابتسام الذى يهون كل صعب ويحيل كل جسيم ضئيلا .

وإذا بالابتسام له فعل السحر بل أقوى . تفتح حنكك ربع قيراط ، وتكلف عينك أن تومض قليلا فتتغير الدنيا كلها ! تجف الدموع إذا كنت تبكى ، وينضب معينها ، وينشرح صدرك إذا كان منقبضاً ، وتشعر بخفة فى بدنك بعد أن كان على كاهلك وقر ترزح تحته ، ويزايلك ما كنت تحاذر كأنما كان ظلا ارتمى عليه نور فنسخه ، ويتجدد الأمل الذى كان قد استحال إلى يأس ، وتنشط للعمل والسعى والجهاد وأنت مفعم بالرجاء ، بعد أن كانت رجلاك كأنما شدتا إلى قنطارين من الحديد ، ولا تعود تبالى أنك فى ضيق ، أو أنك عاطل ، أو مريض ، أو أنك فقدت عزيزاً ، أو أن تجارتك بارت وخسرت ألف ألف جنيه ! كل ذلك الكرب الممض يصبح غير ذى قيمة لا لشىء سوى أنك استطعت أن تتبسم ! ولست أتمنى للقراء إلا الخير محضاً ، ولكنه ما من حياة تخلو من دواعى الانقباض أو الألم أو الحزن ، فليجربوا الابتسام إذا مر بهم — لا قدر الله — شىء من ذلك ، وليتأملوا فعل سحره ، فقد وجدته فى كل حال وصفة نافعة .

وليس الابتسام سهلا فى مثل هذه الحالات ، فإنه مغالبة للنفس ، ومغالبتها تتطلب جهداً عظيما ، ولكن الثمرة تستحق العناء ، والمثوبة على قدر المشقة . وأول ما يكون على المرء أن يتغلب عليه ، هو الاستحياء من أن يتبسم فى موقف حزن أو كرب شديد مخافة أن يقول الناس إنه يسرف فى التكلف . وما من شك فى أنه لا يتأتى فى أول الأمر إلا بتكلف شديد ، ولكنه لا يلبث بعد أن ينجح فى تكلفه أن يصبح طبيعياً ، لأن مجرد الابتسام يفجر ينابيع البشر فى النفس فتفيض

ولأن يتكلف المرء الابتسام خير — وأسهل أيضاً — من أن يحتمل ماهو فيه من الآلام ، وما يساوره من المخاوف والوساوس والأوهام ومتى ابتسم المرء فى الشدائد والمحن ، فإن الميزان يعتدل من تلقاء نفسه ، فيفطن المرء إلى القيمة الحقيقية — لا المتوهمة — لما هو فيه أو لما يخشى أن يكون . فتراه يقول لنفسه إذا كان قد فقد عزيزاً : « لقد مات ، وكان لا بد أن يموت يوماً ما ، وسنموت جميعاً متى وافانا الأجل ، فلا حيلة فى هذا . وصحيح أنه مات فى وقت أنا أحوج ما أكون فيه إليه وإلى عونه ، ولكن إطالة عمره لم تكن فى يدى ، واستغراق الحزن لى ليس من شأنه أن يجعلنى أقدر على النهوض بالعبء الذى انتقل إلى كاهلى »

وكان قبل أن يبتسم يقول : « يا ويلتاه ! وا مصيبتاه ! ماذا أصنع الآن ! لقد فقدت المعين ، فأنا ضائع لا محالة ! وكيف تطيب الحياة لى بعده ؟ الخ الخ » . نعم ، هو سحر ، ولكنه سحر فى وسعنا جميعاً أن نعالجه ونوفق فيه . وكل شىء فى مبتداه عسير ، ثم يهون بالدربة والمرانة ويصبح عادة وأشبه بالطباع ، ويكسب المرء مناعة وحصانة ، فلا تعود صروف الأيام قادرة على تقويض كيانها ونقض بنيانها . فجربوا هذا كما جربته ، واشكرونى

المازنى

أول صلاة في الاسلام

صـــــلاة الركعتين

للدكتور جواد على

(تتمة مانشر فى العدد الماضي)

والتهجد عبادة اختيارية فى الأديان الأخرى وكذلك عرف عند اليهود والمسيحيين. كان نساك اليهود يتعبدون ليلا ، يقيمون الصلاة تضرعاً إلى الله وخيفة ، ويقرأون شيئاً من التوراة « Thora » وكانت لهذه القراءة منزلة خاصة فى قلوب اليهود لما لها من ثواب عظيم . جاء فى المزامير : « فى منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك[١] » . وجاء عن النبي داود أنه كان ينام إلى منتصف الليـل ثم توقظه جرادة كانت تأتى فراشه بتأثير هبوب الرياح الشمالية فيستيقظ ويفيق ويقضى النصف الثانى فى القراءة وترتيل أناشيد الرب وذكر اسم الله العظيم[٢] .

وعرف عن رهبان النصارى مثل ذلك ، كانوا يتهجدون ليلا ويقضون جزءاً من الليل فى العبادة ، وفى تاريخ الأديان كفاية لمن أراد المزيد .

والآن فما دامت الصلوات الخمس لم تفرض إلا ليلة الإسراء فـكيف كان يصلي الرسول ؟ وهل كانت للرسول ولأصحابه صلاة خاصة ؟ اختلف الفقهاء فى الجواب ؛ وذهب أكثرهم إلى أنه كان يصلى وإن« أول ما افترضت الصلاة على النبي ركعتين ركعتين كل صلاة ، ثم إن الله أتمها فى الحضر أربعا وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين[٣] » .

وذهب جمع إلى أنه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة لا عليه ولا على أمته إلا ماوقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد[٤] « وفى كلام ابن حجر لم يكلف الناس إلا بالتوحيد فقط ثم استمر على ذلك مدة مديدة ، ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر فى سورة المزمل ، ثم نسخ كله بالصلوات الخمس ، ثم لم تـكثر الفرائض ولم تتتابع إلا بالمدينة . ولما ظهر الإسلام وتمكن فى القلوب كان كلما زاد ظهوراً وتمكن ازدادت الفرائض وتتابعت[١] » .

وبعد فهذه آراء فى الصلاة قبل الإسراء متباينة . أما مابعد الإسراء فالإجماع حاصل على أنها خمس لاشك فى ذلك . ولم يتمكن المفسرون على الرغم من الجهود التى بذلوها من تعيين آية صريحة فى القرآن الـكريم تشير بصراحة إلى الصلوات اليومية الخمس وتذكرها عداً دون تفسير ولا تأويل[٢]

ويظهر من أقدم الآيات والسور القرآنية أن النبي وأصحابه كانوا يصلون بين البعث والإسراء ، ففى سورة العلق وهى من السور المـكية ومن أول ما نزل من القرآن : « أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى »[٣] مما يدل على أن المسلمين كانوا يصلون . وفى الأخبار أن الرسول بعد أن صلى الصلاة الأولى أتى خديجة بنت خويلد فتوضأ وتوضأت وصلى وصلت كما صلى الرسول ؛ ثم رآه على بن أبى طالب ففعل كما رآه يفعل[٤] مما يدل على أن الصلاة كانت معروفة قبل الاسراء بزمن ؛ فالمعروف أن وفاة خديجة كانت قبل الهجرة بثلاث سنين أى فى السنة العاشرة من البعثة وهى أول من آمن به من النساء كما هو معلوم . ومن المعروف فى كتب السير أيضاً أن « الرسول كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفياً من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها ، فاذا أمسيا رجعا فـكثا كذلك ما شاء الله أن يمـكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخى ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ قال : أى عم ! هذا دين الله ودين ملائـكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم[٥] . وكانت وفاة أبى طالب قبل الاسراء فى العام الذى توفيت به خديجة[٦]

---

(١) mittursch. p, 11 المزامير ١١٩ آية ٦٢ :

(٢) mittursch. p, 11

(٣) ابن هشام ج ١ ص ١٥٥ الحلبية ج ١ ص ٢٥١،٢٥٤

(٤) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ .

---

(١) الحلبية ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) تاريخ القرآن إلى نولدكه ج ١ ص ٥١ . mittursch p, 9

(٣) سورة العلق (اقرأ) ٩٦ آية ١٠ .

(٤) اليعقوبى ج ٢ ص ١٦ وسائر الـكتب .

(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٧ .

(٦) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٩ .

فلو أخذنا بهذا الخبر وجب علينا إذاً أن نعترف بأن الصلاة كانت مفروضة منذ أيام الوحى الأولى .

إذاً كيف بدأت الصلاة وهل كانت على الطراز الذى نقوم به فى الوقت الحاضر ؟ لا . كانت تختلف بعض الاختلاف عن الصلوات الخمس ، كانت ركعتين ركعتين[١] أى أن كل صلاة هى ركعتان فقط كما هو فى صلاة الصبح فى الوقت الحاضر أو فى صلاة المسافر . وقد اختلفوا فى أول صلاة صلاها الرسول : يقول أحمد بن واضح اليعقوبى : « وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر ، أتاه جبريل فأراه الوضوء فتوضأ رسول الله كما توضأ جبريل ثم صلى ليريه كيف يصلى فصلى رسول الله[٢] » وقد ذهب هذا المذهب نفر من الرواة أيضاً[٣] .

والذى أراه أن الرواية ضعيفة لما ذهب إليه بعض المفسرين من أن صلاة الظهر هى « الصلاة الوسطى » التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين »[٤] . فاذا كانت صلاة الظهر هى الصلاة الوسطى فيجب أن تكون وسطا بين صلاتين ، وهذا مما يتعارض وكونها أول صلاة صلاها الرسول ؛ لأن كونها صلاة وسطى يستوجب وجود صلاة أولى وصلاة أخرى . ثم إن العقل لا يؤيد أن أول صلاة هى صلاة الظهر ؛ لأن الصلاة فى أكثر الأديان هى فى الصباح والمساء نظراً لسهولة معرفة الوقت ؛ فلا يعقل أن تكون صلاة الظهر هى الصلاة الأولى » ثم الآيات القرآنية السابقة لا تؤيد الرواية المذكورة أبداً ، وكذلك الآيات القرآنية التى نزلت بمكة كما سترى .

والرواية التى تقول بأن أول صلاة صلاها الرسول هى صلاة الظهر هى رواية نافع ، ورواية نافع هذه تحتمل الرفض وتحتمل القبول ، ونافع كثير السقطات فى الأخبار . على كل فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود من الصلاة الوسطى صلاة الفجر[٥]

(١) راجع سيرة أبى هشام ج ١ ص ١٥٥ . الحلبية ج ١ ص ٢٥٢ يعقوبى ج ٢ ص ١٦ وسائر الكتب الأخرى
(٢) اليعقوبى ج ٢ ص ١٦ طبعة النجف
(٣) رواية نافع فى سيرة أبى هشام .
(٤) البقرة سورة ٢ آية ٢٣٨ الخازن ج ١ ص ١٨٠ .
(٥) تفسير الخازن ج ١ ص ١٧٩ . ابن أبى زيد رسالة ص ٢٣ .

وذهب بعضهم إلى أنها صلاة العصر[١] . وحتى إذا ذهبنا هذا المذهب لا نستطيع الجزم بأن صلاة الظهر هى أول صلاة صلاها الرسول .

ولكن الذى يستنتج من مختلف كتب السير والأخبار أن الصلاة قبل الإسراء كانت فى وقتين فقط وبركعتين : صلاة بالعشى وصلاة بالغداة[٢] وهذا ما يؤيد كون الصلاة الوسطى هى صلاة الظهر . ويؤيد هذه النظرية ما ورد فى القرآن الكريم « يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم »[٣] وروى عن مقاتل بن سليمان أنه قال : « فرض الله الصلاة فى أول الإسلام ركعتين بالغداة أى قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشى أى قبل غروب الشمس[٤] » .

وهذا هو الرأى المعقول ؛ لأن وقت الغروب ووقت الشروق علامتان يمكن إدراكهما بسهولة بدون حاجة إلى تعيين وقت ولا حساب . وأكثر الصلوات فى هذين الوقتين ، حتى الوثنيين والأقوام البدائية تتخذ هذين الوقتين للاحتفالات الدينية ولإقامة الصلوات والطقوس .

ومما يؤيد هذا الرأى قوله تعالى : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » وقوله : « وسبح بالعشى والأبكار » وذهب نفر إلى أن صلاة العشى كانت قبل صلاة الغداة ، ثم حدثت بعد ذلك صلاة الغداة[٥] » .. وكان الرسول يخرج إلى الكعبة فى أول النهار فيصلى صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش ، وكان هو وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا فى الشعاب فرادى ومثنى فيصلون صلاة العشى[٦] » ويظهر من هذه الرواية الأخيرة

(١) نفس المصدر وكتب التفاسير الأخرى
(٢) تاريخ الخميس للديار بكرى ج ١ ص ٣١٧ الحلبية ج ١ ص ٢٥٢
(٣) سورة النور ٢٤ آية ٥٨
(٤) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ . الديار بكرى نقلا عن فتح البارى ج ١ ص ٣١٧
(٥) نقلا عن السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ .
(٦) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ .

أن صلاة الضحى كانت وقت الضحى لا قبل الشروق »(١) .

من الممكن إذاً تعيين صلاتين قبل فرض الصلوات الخمس : صلاة الغداة وإن شئت فسمها « صلاة الصبح وهى صلاة كان يؤديها النبي حين قيامه من الفراش وقبل شروق الشمس ، وصلاة العشى وإن شئت فسمها صلاة الغروب وهى قبيل غروب الشمس . وإذا ما وافقنا أكثر المفسرين على رأيهم من أن صلاة الظهر هى الصلاة الوسطى وهى وسط بين صلاتين فنكون بذلك قد عينا ثلاث صلوات هى الصلوات الأولى فى الإسلام . ولا شك فى أن الصلاة الوسطى وهى صلاة الظهر متأخرة نوعاً ما بالنسبة إلى الصلاتين .

قلنا إن الصلاة الوسطى هى صلاة الظهر « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين »(٢) ولكن سورة البقرة وهى السورة التى ذكرت فيها هذه الآية مدنية إلا آية ٢٨١ فإنها نزلت بمنى (٣) وهذا مما لا يتفق وما ذهبنا اليه ؛ لأن ذلك يدل على أن فرض « الصلاة الوسطى » كان بالمدينة أى بعد الاسراء ؛ فاما أن تكون الآية مكية ولكنها حسبت مدنية وتكون الصلاة الوسطى حينئذ قد فرضت بمكة فلا تحتاج المسألة عندئذ إلى تفكير ، وإما أن تكون مدنية فتحمل الآية حينئذ محمل الأمر والتذكير بشيء سابق لا نستطيع تعيينه بالضبط .

ذكر المفسرون بأن المقصود من الآية « حافظوا على الصلوات » الصلوات الخمس ، وهذا طبعاً هو تفسير المفسرين لأن الآية صريحة كل الصراحة لم تعين العدد . وإنما ذكروا العدد ليوفقوا بين حديث الاسراء وبين هذه الآية ، ولكن ما الذى يمنع إذا ذهبنا مذهباً آخر جديداً هو أن الصلوات الخمس لم تتم بهذا الشكل المألوف إلا فى المدينة وإلا بعد الهجرة ، ولأن كثيراً من الأحكام لم تأخذ شكلها النهائى إلا فى المدينة ؛ وبذلك يتيسر لنا شرح الآية بدون حاجة إلى تأويلات بعيدة لا طائل تحتها كما حاول ذلك المفسرون الذين حاروا فى تعليل العطف الذى جاء بعد « حافظوا على الصلوات » فبعد أن قالوا إن المقصود من الصلوات ، الصلوات

(١) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤

(٢) البقرة ٢ آية ٢٣٨ .

(٣) راجع السورة وكتب التفسير

الخمس اعترضهم اعتراض هام هو أن الصلاة الوسطى هى صلاة مهما قيل فى المقصود منها فنها واحدة من الصلوات الخمس ، إذاً فما معنى العطف فى قوله تعالى : « والصلاة الوسطى » بعد أن ذكر الصلوات كلها ؟ عللوا ذلك بقولهم إنه تعالى : « أفردها بالذكر لفضلها (١) » .

ثم ذهبوا مذهباً بعيداً للتفتيش عن ذلك الفضل . ولو ذهبنا نحن إلى أن الصلوات لم تكن كاملة إلى أن هاجر الرسول إلى المدينة ثم كمل ذلك فيما بعد لما احتجنا إلى كل هذه الاحتمالات . وخبر الإسراء خبر وما جاء فيه لم يذكر فى القرآن .

ولليهود فى القديم صلاتان : صلاة عند الصباح وصلاة عند المساء وتعرف عندهم باسم « شماع » أو « سماع » « Sch'ma' » تقرأ فى الصلاتين وصية إسرائيل « اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك . ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك(٢) » وتقرأ عند المساء والصباح من كل يوم « وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم (٣) » .

وفى الديانة الفارسية القديمة صلاتان : صلاة فى الصباح عند النهوض ، وصلاة فى المساء قبيل الذهاب إلى الفراش(٤) وهى تشبه صلاة « الشماع » عند اليهود . والغرض من الصلاتين التوسل إلى « مزدا » « Mauzdâh » لطرد الأرواح الخبيثة والأنفس الشريرة . وفى وسع المؤمن طرد الشيطان « Druy » بالصلاة عند الصبح ، فبعد النهوض من الفراش يتجه الإنسان إلى « Asem vohu » فيصلى له الصلوات الثلاث ثم يذكر اسم « Humatanam » مرتين واسم « Huxsathrotemai » ثلاث مرات واسم « Ahuva vairya » أربع مرات ثم يصلى الى « Yenhe—hatâm » فتهرب الأرواح الخبيثة من الإنسان ولا تمسه بعدئذ بسوء(٥) وقد نشأت من

(١) تفسير الجلالين ج ١ ص ٣٥ .

(٢) الثنية الاصحاح السادس آية ٤ وما بعد .

(٣) الثنية الاصحاح السادس آية ٨ .

(٤) Scheielowiz. p, 22

(٥) Scheltelouiw p, 23 yesua 33,4 Q-ud 18,49 Qeud 10 .

القطبان الأرضيـــيان والاسكيمو

الأديب محمد وحيد الدين المعري

الإنسان وفطرة الاكتشاف

خلق الانسان بفطرته وغريزته محباً للاطلاع والتنقيب، وهذه الفطرة والغريزة تنشآن لديه منذ ولادته، فإذا رأى الطفل شيئا نراه يسعى لمعرفة كنهه ومحتوياته؛ فان كان مثلا ألعوبة آلية يسعى ليطلع على أسرارها. وكثيراً ما يكسرها ليرى السبب الذي جعلها تقوم ببعض الحركات أو تحدث بعض الأصوات... وهذه الغريزة ضرورية للانسان إذ لولاها لعاش عمره ينظر إلى الطبيعة نظرة باقي الحيوانات لايفكر في أمرها بل ولا فيما يختص بذاته. ولو بقى على هذا الوضع لعاش حياته عيشة بهيمية يندفع للقيام ببعض الحركات أو الأعمال الضرورية كالطعام والشراب والنوم والخوف والدفاع عن النفس وغير ذلك بدافع خارجي لاعلاقة لتفكيره فيه كالجوع والعطش والنعاس والألم وغيره، إذاً فالأنسان عاقل؛ وعقله دفعه للتفكير، وتفكيره دعاه للاطلاع والتنقيب والاكتشاف والاختراع، لذلك فكر بادىء ذى بدء فى نفسه ثم فيما جاوره من الأشياء وفيما رآه قريباً منه وكذلك فقد تأمل فى هذه الأرض التى يعيش عليها وباقى المخلوقات كالكواكب والنجوم وغيرها.

العرب وكروية الأرض:

فكر الانسان فى هذه الارض التى يعيش عليها ويتنقل فيها ثم طاف بها إلى مسافات بعيدة علّه يصل إلى آخرها ولكن عبثاً ماحاول، فأينما سار وجد الطريق أمامه مفتوحة إن كان براً أو كان بحراً فاعتقد بلا نهائيتها وبأنها مسطحة لا أول لها ولا آخر، وبقيت أمامه هذه العقبة الكأداء زمناً طويلا طلسما مجهولا ولغزاً صعباً لا يستطيع حلهما. وجاء الإسلام بكتابه المجيد فنقض كثيراً من النظريات البالية التى استصعب حلها زمناً طويلا فقال: «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب». ثم ازدهر مجد العرب وأسسوا مدنيتهم الزاهرة وقام فيهم العلماء المتعددون، ودرسوا ما وضع السالفون من النظريات الفلسفية ووافقوا على ماساير العقل ونقضوا كثيراً من النظريات الأخرى التى تخالفه، وساير دينهم العلم والعقل جنباً إلى جنب، فأسسوا مدنية خاصة بهم تختلف عن باقى المدنيات وطبعوها بطابعهم الخاص واستطاعوا أن يثبتوا فى العصر العباسى فساد الكثير من النظريات كنظرية انبساط الأرض ولا نهائيتها، وقالوا إن الأرض كرة مستديرة تسبح فى الهواء شأن باقى الكواكب والنجوم المنثورة فى الفضاء. وأمر الخليفة المأمون ببناء مرصد فلكى فوق جبل قاسيون فى دمشق، وبقيت آثاره حتى دخول الحلفاء إلى ســـوريا عام ١٩٤١، إذ خربته القنابل أثناء ضرب المراكز العسكرية فوق هـذا الجبل، كما أمر بعض الرياضيين بحساب طول محيط الأرض، وقاس هذا المسافة الواقعة بين عاصمة الملك ببغداد ومصيف الخلفاء — الرقة — واستنتج منها طول المحيط. وأنكر أقوام وعلماء آخرون صحة هذه النظرية، فقال بعضهم ببطلانها وانبساط الأرض

ذلك تعاويذ خاصة يقرؤها الإنسان لطرد الخبائث والشياطين عنه[1]

وقد انتقلت مثل هذه الأفكار البدائية إلى اليهود أيضاً. فكان يوشع بن لاوى يشفى الأمراض بقراءة بعض الآيات من المزمور الحادى والتسعين، ولكن كان من المحرم قراءة شىء من التوراة على المرضى[2].

وذكر عن «هونا» «R. Huna» عن «يوسف» «R. Josef» أن الإنسان يصلى صلاة «الشماع» لطرد الأرواح الخبيثة ولأبعادها عن المصلى»[3]. وقد استخدمت المسيحية قراءة الكتاب المقدس لغرض إشفاء المرضى وكذلك الصلاة[4].

أما صلاتا الصبح والعشاء، والصلوات الأخرى فى الإسلام فإنها لم تتخذ لهذا الغرض بل جعلت واجباً دينياً على المسلم كسائر الواجبات.

جواد على

---

(١) Scheltelouiw.

(٢) Scheltelouiw p, 23 Schelu ot 15 b Jelawedcuu.

(٣) Jer. Berahot 1,1 Jeish Encycl 3 P,202 ff 10 P,204 ff.

(٤) Schefte'owiz P, 23 Schurer Husto cf the Jeuisb. natation 3 P, 4 of.

التى تنتهى شمالا بجبال « قاف » ، تلك الجبال التى كثر حديثهم عنها ، ولعلهم يقصدون بها جبال « قفقاسيا » ، لأنها وقفت أمامهم كالحصن المنيع تحول دون أطماعهم فى الفتوحات الشمالية لارتفاعها أو لكثرة الهوام والحيوانات المتوحشة فيها

وفتح العرب الأندلس وأسسوا فيها مدنيتهم الزاهرة التى ضاهت مدنيتهم فى الشرق ، وأخذ عنهم الغرب العلوم والفنون ، فاستنارت أفكارهم بعدما كانت فى ظلمة دامسة ، وقام منهم الفلاسفة الكثيرون بعضهم يدعى كرويتها والآخر ينكره ، وقاسوا فى سبيل ذلك مر العذاب ، لأن ذلك كان ينافى التعاليم الكنسية التى تؤمن ببسطها ، وحبطت الفكرة زمناً طويلا ، وحكم على الكثيرين بالموت جزاء لمروقهم من الدين ، ولكن بعض الشباب آمنوا بما آمن به أساتذتهم العرب بكرويتها وقاموا بالدعاية الواسعة لها ، وكان على رأسهم كريستوف كولومبس الذى استطاع أن يقنع الملك فرديناند وزوجته الملكة إزابيلا بما مناهما من الفتوحات العظيمة التى ترفع شأن مملكتهما الفتية وبالسيطرة على طريق الهند التى يسيطر عليها أعداؤهما المسلمون فيما إذا لاقى مشروعه النجاح . فأقدم هذان الملكان على تجهيزه بما يلزمه من السفن وتزويده بالمؤن والرجال من المحكوم عليهم بالإعدام أو السجن المؤبد طمعاً فى إعلاء اسمهما فى الوقت الذى كان فيه الاعتقاد السائد بأن هذه الطريق البحرية الذاهبة إلى الغرب ستؤدى حتما إلى جهنم حيث تنام الشمس فى مهدها . وبعد جهد وعناء وصل كريستوف الهند المزعومة وسماها « جزائر الهند الشرقية » ، وعاد منها موقراً بالهدايا الغريبة والنفائس النادرة من حلى وذهب وديكة هندية وإنسان أحمر وغيرها مما لاشى العقائد الفاسدة البالية ، ثم وشى الوشاة عند الملكين بكريستوف ، فزج فى السجن حيث قضى نحبه . وذهب رحالة إلى هذه الهند يدعى أمريكو حيث قام بالتجول فى ربوعها وأثبت أن هذه البلاد ليست سوى عالم جديد لم يكن معروفاً من قبل فسميت باسمه أمريكا ، وقام ماجلاَّن برحلته الاستكشافية الشهيرة[١] فطاف حول العالم ذاهباً من الغرب آيباً من الشرق ، عندها تلاشت نظرية انبساط الأرض وذهبت إلى الأبد

قمت الدول تتسابق فى الاكتشاف والاستيلاء على البلاد والجزر المجهولة ، حتى كادوا يأتون عليها كلها ، فعمدوا إلى اكتشاف القطبين الأرضيين الشمالى والجنوبى ، ولاقوا فى سبيلهما الأهوال لشدة الصقيع وهبوط درجة الحرارة إلى ما لا يحتمله الجسم البشرى حتى وقفوا إلى ذلك فى أواخر العصر المنصرم .

اكتشاف القطبين الشمالى والجنوبى

لما كان القطب الشمالى قريباً من البلاد المتمدنة كان غاية المستكشفين وهدف الدول الكبرى التى أحبت أن تستأثر بالفخر دون غيرها ، فهبت تتسابق إليه ولاقت فى سبيله من المشاق والمتاعب ما لا يوصف . ابتدأت الرحلات منذ نهاية القرن السادس عشر ، وبعد جهد وعناء كبيرين وعلى يد الأميرال الانكليزى « روبرجان لهميزوريه R. bert Gean le Mésurier » (المعروف بـ — ماك كلور Mac-Clnre المولود سنة ١٠٠٧ — ١٨٧٣) تم اكتشاف الطريق الأول الشمالى الغربى (بين خليج هدسن Baie d' Hudson ومضيق بيرنغ Litroit de Béring) بين سنة ١٨٥٠ و ١٨٥٤ م . وعلى يد الرائد الرحالة الطبيعى السويدى نلس آدولف إريك Nil Ado f Eric (المعروف بـ — نوردانشولد Nordnshjœ'd المولود فى هيلسينغفورس ١٨٣٢ — ١٩٠١) تم اكتشاف الطريق الثانى الشمالى الشرقى بين سنة ١٨٧٨ و ١٨٧٩ م . وفى هذا القرن بدأ العلماء بتشكيل بعثات علمية غايتها اكتشاف القطبين توسيعاً لعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) فأرسلت انكلترا بعثات اكتشفت بعض الجزر القطبية شمال كندا ، ثم كثرت الهيئات التى تقصد القطبين إلى أن خرج الدكتور « فريد جوف نانسن Fridt jof Nansen » الرحالة الطبيعى (المولود فى ستورفرون Store-Froen ١٨٦١ — ٩٣٠ .) مع اثنى عشر رجلا فى سفينة سماها (فرام Fram) صنعت خصيصاً لهذه الغاية ، فسار أولا فى الطريق الشمالى الشرقى واشترى من سواحل سيبيريا عدداً من كلاب الجليد وسار نحو

---

(١) اقرأ فصلا فى مجلة المختار — عدد ١٣ تحت عنوان « قاهر البحار »

الشمال حتى بلغ ٤َ ر٨٤° حيث اضطر إلى قضاء فصل الشتاء ؛ ثم ترك سفينته وواصل السير مع أحد رفاقه مشياً على الأقدام تصحبهما الزحافات والكلاب وبعض الآلات الفنية حتى بلغا عرض ١٣َ و ٨٦° ثم رجعا حتى وصلا أرض «فرانسوا جوزيف» حيث قضيا فصل الشتاء ؛ وهناك التقيا بسائح انكليزى اسمه « جاكسون » فتعرفا إليه وركبا معه فى سفينته حتى وصلا بلاد النرويج ، أما سفينة فرام فقد عادت بعد أن تخلصت من الجليد الذى كان محيطاً بها . وفى سنة ١٨٩٩ سافر الدوق « ده زابرزو Duc des Abruzzes » الإيطالى فدخل أرض فرنسوا جوزيف وسار فيها بالزحافات حتى وصل عرض ٣٣َ ر٨٦° متقدما نانسى بعشرين دقيقة أى ما يعادل ٣٧،٠٣٧ كيلومترا . وفى سنة ١٩٠٥ سافر الضابط الأميركى « بيارى Beary » (المولود فى كريسون سبرينغ Creson Springh سنة ١٨٥٦ — ١٩٢) نحو القطب ماراً ببحر بافن إلى أن وصل إلى شمالى غروتلنده فنظم هناك بعثة مؤلفة من أمريكيين وأقزام سار بهم ومعهم الكلاب والزحافات مدة شهر كامل ، ثم تقدمهم بخمسة من أشجع رجاله حتى وصل القطب فى مايو ١٩٠٩ ورفع عليه العلم الأمريكى . وفحص تلك الجهات فوجدها بحراً تكسوه الثلوج عمقه ٣٠٠٠ متر . وأهم الأراضى التى اكتشفت فى هذا القطب هى جزر فرنسوا جوزيف ، وزامبل الجديدة ، وسبيتزبوغ فى شمالى أوربا ، وجزر سيبريا الجديدة ورانجل فى شمالى آسيا ، وأراضى غروئنلنده وبافن غرانت والبرنس دوكال والملك غليوم وفيكتوريا وآلبيروبانكس وملفيل وبارى فى شمال أمريكا .

أما القطب الجنوبى فكان الكابتن « كوك Cook » الانكليزى أول من اجتاز مدار القطب الجنوبى أثناء بحثه عن قارة جنوبية فوصل سنة ١٧٧٤ إلى عرض ١٠َ ر٧١° حيث منعه الجليد عن التقدم . ثم أرسلت روسيا بعثة برئاسة « بلنغهاوزن Bellingshausen » فى أوائل القرن التاسع عشر فاجتازت مدار القطب الجنوبى واكتشفت أرض الاسكندر الأول (باسم القيصر) وفى سنة ١٨٣٨ اكتشف « دومون دورفيل Dumont d' urvile » الفرنسى أرض لويس فيليب (باسم ملك فرنسا) وبعد سنتين اكتشف أرض آديلى . وفى سنة ١٨٤٠ اكتشف (جمس روس James Rose) الانكليزى أرض فيكتوريا ذات البراكين المتعددة ووصل بعد سنتين إلى عرض ١٠َ ر٧٨° . وفى سنة ١٩٠٠ سافر من انكلترا « سكوت Scoutt وشاكلتون Chakleton » واكتشفا أرض إدوار السابع وواصلا السير بالزحافات إلى عرض ١٧َ ر٨٢° حيث مكثا يستكشفان ثلاث سنوات . وفى سنة ١٩١٠ سافر « آموندسن Amunden » (المولود فى بورج — فى النرويج Börje سنة ١٨٧٢ — ١٦٢٨) فى سفينة اسمها «نانسن» نحو الجنوب مخترقا بحر روس ؛ وقد اضطر إلى أن يقيم فى كوخ خشبى فوق أرض جليدية مدة الشتاء ؛ ثم أخذ أربع زحافات وكلابا ومؤنا تكفيه أربعة أشهر واتجه نحو القطب إلى أن وصله فى ديسمبر سنة ١٩١١ . وفحص تلك الجهات فوجدها أراضى جبلية بركانية ارتفاعها ٣٠٠٠ متر وهى أشد برداً من المنطقة الشمالية تهب عليها الرياح الغربية القارسة وينزل فيها الثلج أكثر أيام السنة حتى لوحظ أنه نزل فيها أكثر من ٣٠٠ يوماً فى السنة . وأهم الأراضى التى اكتشفت فى هذا القطب هى أراضى الاسكندر الأول وغراهام ولويس فيليب وجزر جوانفيل وآنفرس وشتلاند الجنوبية وأوركارد الجنوبية — جنوب أمريكا ، وأراضى آندربى جنوب أفريقيا ، وأراضى آديلى وفيكتوريا وإدوار السابع جنوب أستراليا

الأقزام الإسكيمو Esquimaunx : يطلق هذا الاسم على الأقوام التى تقطن منطقتى القطبين الشمالى والجنوبى . ومعنى كلمة « اسكيمو » فى اللغات الغربية « آكل اللحم النىء » ويسمون أنفسهم بالرجال ونسميهم بالأقزام لقصر أجسامهم التى لا تتجاوز الستين سنتيمترا ، وهم بُدْن ذوو عضلاتَ قوية وسواعد مفتولة وأرجل غليظة معوجة ، لونهم أسمر ورؤوسهم كبيرة مستديرة مغطاة بشعر أسود غليظ وأنوفهم عريضة وعيونهم سوداء صغيرة وأفواههم واسعة وشفاههم غليظة فى داخلها أسنان بيضاء لامعة وجلودهم ناعمة الملمس ، ولباس الرجل شبيه بلباس المرأة ؛ لذا كان التمييز بينهما صعباً . والفرق بينهما أن النساء يمشطن شعورهن . ثم يعقدهن تيجانا والرجال يدعونها على طبيعتها ولكنهم يقصون الغرة كيلا تحجب العيون .

بيوت الإسكيمو : فى بعض البلاد مثل شمالى سيبريا وجنوب غربى غروئنلندة تبنى قبائل الاسكيمو بيوتا من الحجر والطين ، أما فى

الأصقاع القطبية فلتعذر وجود هاتين المادتين فإنهم يسكنون بيوتا من الثلج تتسع لثلاثة أو أربعة أشخاص تقام جدرانها على جانب حفرة من الأرض ذات باب صغير يضطر الداخل إليها أن يحبو على أربعة ، وهى معتمة تتصبب بللا من حرارة ذبالات المصابيح التى يشع منها قبس ضئيل من النور توقد بزيت الحيتان وشحوم الدببة ، ولذا كانت كريهة الرائحة لا يستطيع الإنسان البقاء فيها لقذارتها ولكثرة الأكوام اللاحمية المتجمدة المكدسة فيها ، ولكونهم يبولون فيها ويضعون الجلود وما يصطادونه بها . وبفضل التضافر والتعاون بين عائلات هؤلاء الأقوام فإن أكبر قصر يمكن أن يشاد بسويعات قليلة ، فترى قوما ينشرون الجليد وآخرون يجمعون شتات النشارة وقطع الثلوج الصغيرة ، والبناء يتناول الحجارة ويضعها فى المكان المخصص لها ويثبتها بهذه النشارة بدلا من الطاين ولا تلبث بعد أن تتعرض للصقيع قليلا أن تصبح قطعة واحدة . وهذه البيوت عند ما تكون جديدة تبقى جميلة ومغرية بلونها الرخامى الفاخر ثم لا تلبث بعد قليل من سكناها حتى تصبح أنتن من أختها .

والأقزام لا يعرفون الزراعة ولا الصناعة اللهم إلا فيما ينحصر فيما يصطادونه من الحيوانات البرية والبحرية ، يأكلون لحما طريا من الحيتان المتنوعة وعجول البحر والفوك والمورس وأنواع مختلفة من الأسماك ، فتراهم جثاة على ركبهم وجذوعهم مائلة إلى الأمام لا يبدون حراكا إلا من أيديهم النهمة وأمامهم طست هائل مليء قطع كبيرة من اللحم يقبض كل منهم بيديه وأسنانه القاطعة قطعاً كبيرة من اللحم يعالجها حتى يقطعها ولا يكاد يلتهمها حتى تسرع يداه إلى قطعة غيرها . ومما يؤثر عن طعامهم هذا أنه لا يعتبر صالحاً للأكل إلا بعد أن يكدس بعضه على بعض مدة طويلة من الزمن ريثما يتفسخ وتظهر رائحته النتنة الشهية وفى هذه الحال ينشر الحرارة الكافية فى الجسم أكثر مما لو كان طريا .

والصيد هو عملهم الأول الذى يتوقف عليه مدار معيشتهم واكتساؤهم بالألبسة الفرائية المتنوعة ؛ ولهم فيه فنون وحيل لا يضارعهم فيها إنسان آخر . وكيفيته أن يأتى الصياد (وكثيراً ما يكون طفلا صغيراً لم يتجاوز الخامسة أو السادسة من العمر) ويحفر بحربته الطويلة المسنبة المربوطة من أسفلها بحبل طويل الجليد الساتر تحت سطح البحر ولا يجهد نفسه كثيراً حتى يبلغ الماء فيبدأ بتوسيع الحفرة ويقف بجانبها وقفة الهر على أبواب جحر الفأر حتى إذا ما سمع صوت سبحة الفريسة انتصب قائماً ورفع بيده إلى الأعلى وسدد السهم نحوها حتى إذا ما مرت قذفها قذفة قوية تخترق أضلاعها ، وهناك تقع الواقعة الكبرى فالحيوان يجذب الصياد تارة والصياد يجذبه أخرى ، وكثيراً مايتغلب الحيوان عليه فيجذبه نحو الحفرة ، وعندها يأخذ فى الصياح الذى يدوى فى الآفاق فيترا كض القوم رجالا ونساء لنجدته ، ولا يكادون يخرجون الفريسة خارج الحفرة حتى يستل كل منهم مديته ويغرسها فى جلد الفريسة وهى حية دلالة على مشاركته إياهم فى صيدها . وهذه العملية تخوله حق المشاركة فى لحمها فيقطع قطعة كبيرة منها ويقذفها فى فيه وبعد مضغ طويل يبتلعها ثم يربطونها بحبالهم ويسحبونها حتى يصلوا إلى بيوتهم فيقتسموها . وإذا جاء الشتاء وجمد الماء صادفوا عجول البحر وقد أحدثت فى الجليد ثغراً وطلعت تستنشق الهواء فيصوبون إليها حرابهم ويرمونها وقد يترقبون ظهورها من هذه الثغرات حتى إذا ما خرجت اقتنصوها . وكذلك يصطادون الطيور المائية المختلفة ويقتلون ذوات الفراء من الثعالب والدببة القطبية البيضاء إلا أن هذه تقطع قلوبهم من الرعب لشراستها .

* * *

التجارة عند الأقزام محدودة تقتصر على بيع جلود الحيوانات والفراء والعظام وعاج المورس ؛ ويبيعون هذه المحاصيل إلى البلاد المجاورة كسواحل أمريكا الشمالية وروسيا وسيبريا وهى تدر عليهم أرباحا طائلة يشترون بها ما يلزمهم من المواد الأولية كالحبوب والمقددات والسكر والشاى والقهوة والكاكاو وغير ذلك من المواد التى لا تتأثر بطول العهد ، والألبسة الصوفية والقطنية الجاهزة وبعض الآلات الحديثة كالحاكى والألاعيب الصبيانية وغيرها . ويندر تعاطيهم التجارة فيما بينهم لعدم وجود ضرورة للمبادلة . وينقلون هذه المتاجر من وإلى البلاد المتعددة بواسطة الزاحفات فى الأصقاع المتجمدة والزوارق فى البحار المائعة . ويعودون أولادهم منذ نعومة أظفارهم على الأسفار والأعمال الشاقة فهم يصنعون القوارب الصغيرة من جلد المورس وعظام الحيوانات

فى أيام الصيف ويسابقون بها الريح فى جريها حتى إذا ما وصلوا البر سحبوها معهم وتركوا عندها نفراً منهم يحرسها ، وكذلك الزحافات التى تجرها الكلاب فوق الأراضى المتجمدة .

***

انقطاع الأقزام فى بلادهم النائية عن العالم المتمدن ، وانزواؤهم فى الأصقاع الجامدة وتعذر الانتقال بين بعضها وبعض إلى مسافات بعيدة بالسرعة التى تقتضيها الحياة العصرية ، وعدم سلوكهم فى الارتزاق مسلك الأمم الباقية بتبادل المحصولات الزراعية والحيوانية والمعدنية وغيرها مما قد يوجد فى قسم من البلاد ويندر فى غيرها لعدم حاجتهم إلى ذلك ولتساوى أراضيهم فى منتجاتها التى تنحصر فى صيد الحيوانات البحرية والبرية والاكتساء بجلودها والتقوت بلحومها ، جعلهم يقنعون بما رزقهم الله ولا يطمعون فى الحصول على ما فى أيدى الغير من بلاد ومتاجر أو سلع وغيرها ، وجعل منهم الأمة العاملة المجدة التى تسعى للحصول على قوتها الضرورى بهمة لا تعرف الكلل دون الاعتماد على سواعد الآخرين ، لذلك لا يعرفون رابطة قومية أو دينية ولا تجمعهم عصبية أو جنسية ، هذا التفكك القوى تراه ظاهراً حتى بين أفراد الأسرة الواحدة فإذا بلغ أحد أفرادها سن الكبر أو أصيب بمرض أو عاهة تمنعه من القيام ببعض الأعمال الضرورية بحيث يصبح عالة على غيره حق للأولاد والأفراد الآخرين أن يأخذوا هذا المسكين إلى مكان بعيد مرتفع ثم يجردونه من لباسه ويتركونه عرضة للرياح القارسة إلى أن يموت . وليس هناك قيود عائلية أو زوجية قوية كما بين باقى الأمم ، بل هى شكلية من حيث المأوى والاشتراك فى الأعمال المنزلية وتربية الصغار وأعمال الصيد وغيرها . والغريزة الجنسية يمكن أن تقضى بين أى فرد من أفراد العائلة أو غيرها ، بين الجار وجارته وبين الأخ وزوجة أخيه والأخ وأخته حتى بين الأب وابنته والولد وأمه . ويمكن أن يجرى هذا العمل بحضور الزوج الأصيل وعلى مرأى منه دون أن يبدى أى اهتمام (بشرط أن يأذن بذلك) إلا أن هذه الأعمال البهيمية آخذة فى الزوال بعد اختلاطهم بالأقوام المتمدنة وخاصة بعد ما توافدت عليهم البعثات الدينية التبشيرية وبعد أن صاروا يسافرون لبيع متاجرهم إلى غروتنلنده وشمال أميركا وآسيا وهم آخذون فى الرقى والتمدن تدريجيا .

أما لغتهم فإنها ضيقة محدودة بحدود المناطق التى يتجولون فيها فهى قليلة الكلمات كثيرة المعانى، تفيد الكلمة الواحدة منها معنى عشر كلمات أو أكثر من اللغات الأخرى . لذا وضعت فى جملة اللغات الجامدة التى يحق أن تكون مثلها الأعلى فى الجمود ، وهم أميون ولا كتابة للغتهم

طبائعهم وعاداتهم : إن القزم بعضلاته القوية وساعديه المفتولين وساقيه الأعوجين يستطيع بكل سهولة أن يصعد أشهق الجبال دون أى جهد أو كثير عناء ، فيقذف بحبله على صخرة عالية حتى إذا ما علق بها جربه مراراً ، فشده بقوة وتعلق به ، فإذا تأكد من ثباته لف طرفه على ساقه وصعد عليه بسرعة ، فلا تكاد تراه فى أسفل الوادى حتى تراه يتراكض فوق قمة الجبل ، ثم ينزل ويضرب حبله حتى يسقط فيأخذه وينصرف . وهم ذوو شجاعة وصبر ورأى سديد ونفوس أبية وقلوب رحيمة شفيقة يكرمون الضيف ويؤثرونه على أنفسهم . وهم فطريون يميلون إلى النكتة واللهو والضحك والفكاهة ، فيخزون بعضهم ويثرثرون ويسحبون الزحافات إلى الخلف أثناء مسيرها ويقهقهون ، أما الكذب والمكر والخداع والبغض والضغينة ، فلا أثر لها لديهم ألبتة ، وهم يحبون استماع الحاكى التى يعيدونها كلما انتهت مراراً ، ويجلسون فى بيوتهم الجليدية المعتمة إلى جانب بعضهم وبين أيديهم الجلود والعظام والشحوم ، فهنا امرأة تلين نعل زوجها المتقلص من شدة البرد بدهنه بالشحم والشمع وبشده بأسنانها وتساعده بلبسه وشده على ساقه ؛ وهنا أخرى تعهدت المصباح تنظفه وتمده بالشحوم ، وثالثة تنظف ولدها وتمشطه بمشط مؤلف من عظم الفوك وشعر الدب ثم تبيد القمل الناتج عنه بأسنانها ثم تلحس جسمه وتدهنه بالشحوم ، وأخرى تنظف وتلين الفراء وتصنع الحراب العظمية للصيد والدفاع عن النفس ضد الحيوانات المفترسة . وهناك زوجة تمد زوجها بالطعام كلما نفد من فيه وهو مستلق على ظهره . ومما يؤثر عنهم أنهم يحيون بعضهم بحك أنوفهم ببعضها ويقال إن هذه العادة المضحكة أصبحت لا تشاهد إلا عند الأقوام النائية .

(حلب) **محمد وحيد الدين المعرى**

رسالة لبنان خلال العصور

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لا جدال فى أن موقع لبنان الجغرافى يجعل منه بلداً متعدد الرسالات . فهو قائم فى جبهة الشرق الأدنى على مفرق الطرق بين الشرق والغرب . تمتد سواحله المستطيلة على شاطىء هذا البحر الأبيض المتوسط ، بحر الحضارات والمدنيات العريقة التى تعاقبت على الجنس البشرى منذ فجر التاريخ.

وهذا يعد بالحق من أجمل بقاع الأرض ، خلعت عليه الطبيعة أبهى الحلل ، وكست ربوعه بمختلف المحاسن والمغريات ، فأضفت على جباله الشامخة روعة الجمال والجلال، تكلل نواصيها لألىء البرد وبريق الثلج ، وتجلل آكامها نواتى الصخور وبواسق الشجر ، وتتفجر فى جنباتها أنهار وجداول تتدفق باللجين المصفى وتنساب بين الصخور والمروج فى أودية رهيبة أخاذة كثيرة التعاريج فتانة الصور تبهر العين وتسحر اللب ، وتأخذ بمجامع القلب .

ولبنان فوق ذلك ، بلد معتدل المناخ طيب الهـواء والماء ، يتسربل بأروع المشاهد فى مختلف فصوله : صيفه روح للب وراح للقلب ، وخريفه بهجة للنفس وغبطة لها ، وشتاؤه شلال زاخر وثلج مندوف باهر ، وربيعه رمل مخضوضر ورجاء عابق بالشذا ، ومدنه وقراه جنان متنوعة الأشكال ، بعضها قائم على الشواطىء يهدهدها البحر ويداعبها بكره وفره . وبعضها منتشر بين السفوح والتلال انتشار النجوم فى الفضاء تحيطها هالة من الرياض الغناء المثقلة بأزكى الأثمار وأندى الأزهار .

كأن العناية الربانية قد أبدعته درة يتيمة فى جبين المشرق وجعلته قبلة للمصطافين ومحطاً لرحال الرواد والمتزلجين .

أما آثاره القديمة فترجع إلى أقدم العهود ، وكلها تدل على الدور العظيم الذى لعبه لبنان فى مجرى التاريخ البشرى ، وتعبر بأجلى بيان عن الرسالة الإنسانية البارزة التى يحملها بين جوانحه وينشرها على توالى الأجيال فى أصقاع المعمور .

وقد كانت أولى رسالاته فى عصر الظلام المطبق رسالة الدعوة إلى قدح زناد الفكر وتشغيل الذهن لأجل تمييز الإنسان عن الحيوان وتبديل حياته الوحشية بحياة أقل همجية وأكثر ائتلافاً .

فأبدع أبناؤه فى العصر الحجرى فى اختراع أداتهم الصوانية وفى صنع كهوفهم وستر عريهم وجمع شتات شملهم .

وكانوا السباقين أيضاً فى عهدهم الفينيقى إلى وضع أول حجر فى بنيان الحضارة الراهنة . فهم أول من اخترع حروف الهجاء ونشروا رسالتها بين الأمم ، وحملوا مشعلها الساطع فى متون البحار ومجاهل البوادى والقفار ، فخلقوا بها العلم خلقاً ، وأسسوا بها المدنية أساساً مكيناً .

وهم أيضاً أول من أنشأوا السفن ومخروا عباب اليم ، فربطوا العالم القديم برباط تقايض السلع والمتاجر وتبادل الأفكار والآراء ، وتقارب الشعوب بعضها إلى بعض بالصلات السياسية والاجتماعية وغيرها .

وكانت مدن لبنان من أمهات مدن العالم فى العهد القديم ، تصدر أرجوانها وأصباغها ونتاج صناعها الحاذقين كما تصدر آدابها ومعارفها إلى مختلف أنحاء الأرض .

فتاريخ صيدا وصور وجبيل حافل بالعظائم . وقد أنشأ لبنان أيضاً فى عهده الفينيقى عدة مستعمرات فى أفريقيا وجنوبى أوروبا ، غير أنه كان يرمى من انشائها إلى توطيد أسس التجارة وتعزيز تبادل المنافع بين الأمم ، لا إلى الفتح والاستئثار بحرية الآخرين كما تفعل أمم اليوم . فلبنان لم يكن فى عهد من العهود دولة مجتاحة قائمة على السيف والمدفع والقوة الغاشمة بل كان ولم يزل بلداً مسالماً حاملا رسالة العلم والأدب ناشراً لواء الصناعة والتجارة فى كل صقع وناد .

وفى العهد الرومانى لبث لبنان محافظاً على رسالتـه الأدبية فكانت بيروت عاصمته اليوم تلقب بمدينـة الشرائع والنواقيس يؤمها الطلاب من جميع أنحـاء الامبراطورية الرومانية الفسيحة الأرجاء . وفى العصر البيزنطى ثار لبنان على الجور والظلم وسجل أبناؤه الأشاوس فى تاريخ الحرية الإنسانية صفحة مجيدة حتى إنهم لقبوا بالمردة لشدة تمردهم وقوة شكيمتهم وانتقامهم .

وفى أوائل العهد العربى دخل لبنان أخـاذ من بعض القبائل العربية ومعظمهم يدينون بالنصرانيـة ونشروا بين ظهرانيه لغة الضاد ، فاعتنقها أهل لبنان عامة لأنها شقيقة لغتهم الآرامية السريانية تقرب منها حروفاً وصـوراً ، ولأنهم أيضاً يمتـون

بأنسابهم السامية إلى تلك القبائل التى أنزلوها بينهم على الرحب والسعة . فاستعرب لبنان سهلا وجبلا مندفعاً لا مرغماً . وأصبحت العربية لغته الوحيدة . أما السريانية فانكمشت ضمن جدران الكنائس والمعابد ، تستعمل فى بعض الطقوس الدينية كما تستعمل اللاتينية فى الغرب .

وكان لبنان فى خلال الحكم العربى ملتقى الشرق والغرب ، وصلة وصل بين أممهما فى عهد البيزنطيين والصليبيين . فاجتمعت فيه الحضارتان وتعانق الدينان دين الإنجيل ودين القرآن .

ولما انقرضت دولة العرب وخلفهم العثمانيون فى الحكم دانت لهم البلاد العربية من أقصاها إلى أقصاها إلا لبنان فظل وحده محتفظاً باستقلاله الداخلى يحكمه أمراؤه ومقدموه . وبقيت اللغة العربية الشريفة زاهية زاهرة ضمن جدران أدياره ومعابده وفى ظلال خلواته ومساجده ، لم تتسرب إليها العجمة والرطانة كما تسربت إليها بين اقحاح العرب أنفسهم ، حتى الحجاز واليمن وهما منبع العروبة ومعقلها لم تسلم لغتهما من حوشى التركية وغريب ألفاظها .

وقد بلغ لبنان فى عهد الأمير الكبير فخر الدين المعنى مكانة رفيعة ، فهابه السلطانى القهائى وخطب وده بعض ملوك الفرنجة وأكبروا شأنه وشأن وطنه الصغير فتبادل معهم الرسل والهدايا وحالفهم محالفة الند للند، وزار إيطاليا فقوبل بمقابلة أصحاب التيجان، واختلط بسكانها واستوعب حضارتهم . ثم آب إلى وطنه يعمل على تمكين الصلات الروحية والمادية بين الشرق والغرب ، فأوغر صدر الترك عليه وأصلوه حرباً ضروساً أقضت مضجعه وأبادت أحلامه وأمانيه . فاستسلم مرغماً إليهم وقضى نحبه شهيداً فى عاصمتهم .

وحذا خلفاؤه المعنيون والشهابيون حذوه فى العناية بلغة الضاد ، لغة الوحى والنبوة . فلم تصب بالتشويه ولم تفقد نقاء أسلوبها وصفاء بيانها ، لأن اللغة التركية لم يسعدها الحظ طوال الحكم العثمانى فى بلاد العرب بأن تخطو خطوة فى لبنان أو تعبر قدما . بل ظلت خارج حدوده عاجزة عن اجتياحه . وظل لبنان مضطلعاً أيضاً برسالته الإنسانية المجيدة رسالة تبادل المنافع بين الشرق والغرب وتمازج حضارتيهما .

وقد شعر العالم اليوم بعد طول المحن والتجارب بأن رقى البشر وسلامهم لا يأتيان بدون تزاوج الحضارتين وتوائم الثقافتين .

وعاد لبنان إلى سابق عزه وازدهاره فى عهد الأمير بشير الكبير حليف عاهل مصر الأكبر محمد على باشا رأس الأسرة العلوية المالكة سعيداً فى وادى النيل .

فوقف الأمير بجانب إبراهيم باشا فى حملته المشهورة على ربوع الشام ، وأمده بالرجال والمؤن ، فازدادت العلاقات الودية بين الكنانة ولبنان وتمكنت الصلات الأدبية والمادية بين شعبيهما تمكناً وثيقاً . والصلات بين القطرين الشقيقين قديمة العهد ترجع بجذورها البعيدة إلى الفراعنة والفينيقيين ، غير أنها بعثت بعثاً جديداً فى زمن هذين العاهلين الكبيرين .

وقد استقدم محمد على باشا الكبير بعض الأسر اللبنانية إلى مصر لإنشاء صناعة الحرير وغيرها . ثم شرع أحرار اللبنانيين منذ ذلك العهد يهبطون مصر زرافات ووحدانا فيلقون من أسرتها المالكة كل عون وتشجيع وفى شعبها المضياف كل عطف وترحاب . فاشتغلوا فى حقل الصحافة والأدب ونشر لواء العلم ، وكانوا المجلين فى هذا المضمار يشهد لهم كبار رجالات هذا القطر الشقيق وصفوة علمائه وأدبائه البارزين . وبلغوا فى حقل الزراعة والتجارة والصناعة مبلغاً مرموقاً وفى ميادين المهن الحرة والوظائف الحكومية منزلة سامية . فخدموا مصر خدمة صادقة منزهة عن الهوى .

ولما انطوى حكم الأمراء فى لبنان بعد الحوادث المشؤومة عام ١٨٦٠ صغر حجمه وانكمش فى جباله من جراء النظام الجديد الذى أعده له الداهية العثمانى فؤاد باشا بالإتفاق مع أقطاب الدول الأوروبية الكبرى . فضاق على سكانه فى عهد المتصرفين فكثرت هجرتهم إلى مصر لقربها من وطنهم وقديم صلاتهم بها . فأصبحوا فيها جالية وافرة العدد تنعم بالثروتين ، ثروة الأدب وثروة النسب .

ثم شرع اللبنانيون يهاجرون إلى العالم الجديد وذلك منذ سبعين عاماً على وجه التقريب ، فنزلوا فى شتى أقطاره مجاهدين فى سبيل الحياة ، ورأس مالهم شباب وثاب ، وذهن وقاد ، وعزم قدّ من جلاميد جبالهم وشوامخ أرزهم ، فلم يلبثوا طويلا حتى كثر عدد جالياتهم فى مختلف الجمهوريات الأميركية ، وبلغوا فيها شأواً لا يستهان به فى عالمى الصناعة والتجارة ، ونبغوا فى المهن

الحرة وفى حقل السياسة والعلم والاجتماع ، وفى إجادة لغات الأمم التى نزلوا بين ظهرانيها . وانشأوا الصحف والمجلات فى لغتهم العربية وكانوا وما برحوا فى طليعة الحاملين لواء التجديد بين أدبائها والناشرين كنوزها فى أقطار المعمور .

وهبطوا أفريقيا وامتدوا فى أصقاعها النائية امتداد النيل فى أرجاء الكنانة . وجابوا أوروبا وأرجاء الشرق وسروا فى أقاصى الأرض مجاهدين سريان الدم فى الشرايين . فأصبحوا خارج بلادهم أوفر عدداً وثروة ، وأعز نفوذاً وجاهاً ، وأرقى أدباً وعلماً منهم فى بلادهم .

فانشطر لبنان شطرين ، لبنان المغترب المنتشر تحت كل سماء ، ولبنان المقيم الرابض فى بطون أوديته ومشارف جباله .

ولا أغالى إذا قلت إن لبنان المغترب قد سجل صفحة مجيدة فى التاريخ الحديث ، فأظهر أبناؤه المشتتون فى بقاع الأرض أنهم أعلام فى كل علم ، أكفاء فى كل فن ، أقطاب فى كل صناعة ، وأنهم متى فسح لهم المجال يجارون أرقى الأمم فى جليل المآثر وغرر الأعمال .

وقد برهنوا فى هذه الحرب أيضا أنهم شعب مقدام حى جدير بالتقدير والإعجاب لم يتلكأوا عن القيام بواجبهم نحو الحرية التى يقدسونها والديموقراطية التى يتعشقونها . فتجندوا بالألوف فى صفوف الحلفاء ، وأبدوا فى ساحات الحرب شجاعة وبأساً وفى مصانع الأسلحة والمختبرات ذكاء وعلماً . فهم فى هذه الحرب قد حاربوا فى كل الجبهات متطوعين فى جحافل الأمم المتحدة بين الإنكليز والفرنسيين والكنديين والأميركيين والأستراليين والنيوزلنديين والهنود والأفريقيين وغيرهم . لقد صح فيهم المثل العربى القائل : فى كل واد أثر من ثعلبة . أجل فى كل جيش من جيوش الحلفاء مغرزة من لبنان تساهم فى إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، كما أن فى كل قطر من أقطار المعمور تقع العين على جالية لبنانية عزيزة الجانب جليلة المفاخر .

ولم ينس المهاجرون وطنهم لبنان ، فهم يساهمون على الدوام فى مساعدة أهله وتدبير عمرانه . فلهم فى كل بقعة من بقاعه آثار مخلدة ومكرمات لا تحصى . لقد أقالوا عثرته وانتشلوا أبناءه من وعثاء الفاقة والجهل ، وشيدوا فى مختلف مدنه وقراه أجمل المنازل وأفخم القصور ، فأصبح لبنان بفضلهم بلداً ديموقراطياً عامراً ، لا أمية فى أهله ولا أرستوقراطية مستأثرة فى ربوعه .

أما لبنان المقيم فهو على الرغم من رقيه الأدبى والعلمى وتقدمه الصناعى والتجارى لا يزال دون لبنان المغترب تقدماً وطموحاً ، لضيق نطاقه ، وضآلة حجمه ، وعدم اتساعه لاستثمار شتى القوى والمؤهلات الكافية فى صدور أبنائه ، ولارتطامه أيضاً فى أحضان الطائفية واشتغاله بالسياسة .

فدستور لبنان المعمول به حتى اليوم ما برح مؤسساً على الطائفية البغيضة . فالمقاعد النيابية والوزارات والوظائف الحكومية كلها موزعة على الطوائف حسب تعدادها كأن لبنان شركة استثمارية يتقاسم ريعها المساهمون لا وطناً موحداً مجموع الكلمة ، يعمل بنوه لإعلاء شأنه وإنماء موارده ويحكمه منهم من يستحق الحكم وينوب عنهم من يستأهل النيابة دون نظر إلى المذهب الذى يدين به والطائفة التى ينتمى إليها .

أما السياسة فهى داء العالم أجمع لا علة لبنان وحده ، غير أنها أمست اليوم متفشية بين سكانه تفشياً ينذر بأوخم العواقب ؛ ولبنان بلد صغير لا يتسع لميدانها ولا يتحمل مشاكلها وآفاتها . والسياسة بؤرة فساد ما دخلت أمة إلا هتكت حجابها ، وما ملكت شعباً إلا فرقته شيعاً تتنافر وأحزاباً تتقاذف وتتباغض .

إن رسالة لبنان الموروثة هى غير رسالة السياسة أو رسالة التمسك بأهداب الطائفية . هى رسالة عالية صرفة ، تشمل العلم والعمران ، وتستهدف الحضارة المتصلة بالمادة والروح المشعة فى جوانح الشرق والغرب ، المنبعثة فى الوجدان الحى فى الإنسان ، لا من الشيطان المتحفز فى غريزته .

فليس للبنان المقيم أى مستقبل مجيد بدون نبذ السياسة والطائفية معاً وبدون اهتدائه إلى حكومة رشيدة تعمل فى حقل العلم والعمران دون سواهما .

فلبنان فى الشرق كسويسرا فى الغرب بلد اصطياف واستشفاء ، ووطن علم وثقافة ، يحتاج إلى تحريج جباله ، وتجميل مدنه وقراه ، وتعبيد طرقه ، وتوفير الرى فى بقاعه ، وتعميم الفنادق الحديثة الطراز فى مصايفه ، ونشر العلم فى ربوعه .

وهو بلد عربى الوجه واللسان ، غربى الفكر والثقافة يرتبط بالشرق بروحانيته وعروبته ويتصل بالغرب بعلومه وفنونه .

وما أجمل هذا الاتصال والارتباط خيال الوحدة العالمية التى ينشدها الإنسانيون ويحلمون بتحقيقها!

توفيق حسن الشرتونى

٣ – نظـــرات
فى دائرة المعارف الاسلامية
الترجمة العربية
للأستاذ كوركيس عواد

ومن الأعلام التى تصحفت، وقد ينشأ عن ذلك التباس، ماورد فى ٤ : ٢٨٠ | ٢٤ باسم «بابويه» وكان الأحسن أن يقال فيه «بابوى» (٨١، م) وهو الإسم الذى اشتهر به فى كثير من المظان التاريخية، انظر مثلا : المجدل لمارى بن سليمان (ص ٤١ – ٤٣ طبعة جسمندى فى رومية)، والمجدل لعمرو بن متى (ص ٢٦ – ٣٤) والتاريخ السعودى (٢ : ٧ – ١٠ طبعة أدى شــير فى باريس ضمن الباترولوجية الشرقية)، وأعمال الشهداء والقديسين (بالإرمية ٢ : ٦٣١ – ٦٣٤ طبعة بيجان فى ليبسك) وشهداء المشرق (٢ : ٣٨٠_٣٨٤) وتاريخ كلدو واثور (٢ : ١٤٢ – ١٤٦)، ولابور Labourt (ص ١٢٩ _ ١٢٠، ١٤٢ – ١٤٣).

وفى ٤ : ٣٥٤ ب ٦ بهرام كور. والمشهور فى التصانيف العربية الموثوق بصحتها : بهرام جور. راجع مثلا : الأخبار الطوال للدينورى (ص ٥٧ – ٦١ طبعة جرجاس) وتاريخ اليعقوبى (١ : ١٨٣ طبعة هوتسما) والمسالك والممالك لابن خرداذبه (ص ١١٨) وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للبشارى المقدسى (ص ٣٣٨) وتاريخ الطبرى (١ : ٨٥١) ومروج الذهب للمسعودى (٢ : ٥٧ طبعة باريس) وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزه الأصفهانى (ص ٢٣) والكامل لابن الأثير (١ : ٢٨٧ – ٢٩٢) إلى غيرها مما لا يمكن حصره.

وفى ٤ : ٣٧٨ | ٢٦ بهنود بن سهوان. والذى يقرأ فى مختلف طبعات كليلة ودمنة : بهنود بن سحوان.

وفى السطر الأخير من ٤ : ٣٧٨ | على بن الشاة الفارسى. صوابه : على بن الشاه الفارسى (راجع طبعات كليلة ودمنة.

وفى ٤ : ٣٩١ ب ١٣ يوشع الاسطوانى Joshua Stylites وكان الأحسن أن يقال : يشوع العمودى وقد عرف بهذه النسبة أيضاً مار سمعان العمودى St. Simeon Stylites

وفى ٤ : ٤٠٠ | ٢٣ ظاهر الدين البيهق، صوابه ظهير الدين البيهقى، وهو الإمام ظهير الدين أبو الحسن على بن أبى القاسم زيد البيهقى، المتوفى سنة ٥٦٥ هـ، صاحب التصانيف المختلفة، كتتمة صوان الحكمة (المطبوع فى لاهور)، وتاريخ بيهق، ووشاح دمية القصر الخ ...

وفى ٤ : ٤٩٤ | ١٠ (كتاب) الاكليــل للحمدانى. والصواب للهمدانى، نسبة إلى همدان من بلدان اليمن.

وفى ٤ : ٥٠٤ | ٢٣ ابن العادم. صوابه : ابن العديم. وهو المؤرخ الحلبى الشهير المتوفى سنة ٦٦٠ هـ مؤلف كتاب بغية الطلب فى تاريخ حلب، وغيره.

وفى ٤ : ٦١٥ | ١ سيد إعجاز حسين القنتورى. والذى يقرأ على غلاف كتابه «كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار» المطبوع فى كلكته سنة ١٣٣٠ هـ : الكنتورى (بالكاف).

وقدجاء (٥ : ١٣ ب ١٩) اسم بلينى Pliny العالم الطبيعى الرومانى مصحفا إلى Bliny.

ثانيا : الأمكنة والبقاع

قرأنا فى ١٢١:١ | ١ أن ابن جزلة الطبيب «كان يعيش فى محلة الكرخ ببغداد». والصواب فى محلة الكرخ (بالكاف.

وجاء فى ١ : ١٦١ ب ١٩ «قتل ابن الدمينة فى السوق عدينة الأبلاء» والصواب «العبلاء» (راجع الأغانى ١٥ : ١٤٧ من طبعة الساسى).

وفى ١ : ٢٥٥ ب ٢٢ وجدنا مكتوباً بالحروف الفرنجية لفظة Itil وكان يجدر ذكر إسم هذا النهر العظيم بالعربية، فهو معروف فى كتب البلدان القديمة باسم «إتل» (وزان إبل) أما اليوم فيسمى نهر الفلجا Volga.

وفى ١ : ٢٥٥ ب ٢٢ باشغرد (بالغين). وبعضهم يقول : باش جرد (بالجيم) أو باش قرد (بالقاف) راجع معجم البلدان (١ : ٤٦٨؛ مادة : باشغرد).

وفى ١ : ٢٧١ ب ٧ جند يشاهبور . والأشهر فى المراجع العربية : جند يسابور (راجع هذه المادة فى معجم البلدان) .

وفى ١ : ٣٨٢ ا ١٦ الفانيكان . صوابه : الفاتيكان . وعندنا أن هذه من أغلاط الطبع .

وقال فى ١ : ٢٩٤ ب ٢٥ « دور بنى أوقر ، وهى محلة على بعد خمسة فراسخ من بغداد » . ولو إنه قال « وهى قرية » بدلا من « محلة » لأصاب المرمى . فقد ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٢ : ٦١٥ — ٦١٦) بقوله : « وفى عمل الدجيل قرية تعرف بدور بنى أوقر ، وهى المعروفة بدور الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، وفيها جامع ومنبر . وبنو أوقر كانوا مشايخها وأرباب ثروتها . وبنى الوزير بها جامعاً ومنارة ، وآثار الوزير حسنة . وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ ... » اهـ

وفى ١ : ٣٣٣ ب ١٥ نيشابور (بالشين المعجمة) . والمشهور فى التصانيف العربية . نيسابور (بالسين المهملة) . راجع هذه المادة فى معجم البلدان .

وفى ١ : ٤٥٤ ب ١٢ ورد اسم أشرسنة . والمعروف فى المراجع القديمة أشروسنة . (بواو بعد الراء) راجع مثلا فهارس تاريخ الطبرى ، وفهارس الكامل لابن الأثير ، والأنساب للسمعانى (مادة : الأشروسنى) ومعجم البلدان (فى هذه المادة) .

وفى ١ : ٥٣٠ ا ١٢ ورد اسم « شفاتيه » . قلنا : هذا من تصحيفات العوام ، نظير قولهم شفائة . والصواب فى ذلك « شفاثا » وقد ورد ذكرها فى غير مرجع قديم ، من ذلك معجم البلدان (٣ : ٧٥٩ مادة : عين التمر) والكامل لابن الأثير (٩ : ٤٢٣) ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبد الحق (٢ : ٢٠٤ طبعة جوينبول فى ليدن سنة ١٨٥٣ ، مادة عين التمر) . وقد وقفنا على بحث للأستاذ كاظم الدجيلى فى مجلة لغة العرب (٣ « ١٩١٣ » ص ٢٥ — ٣٦) بعنوان « رحلة إلى شفاثا وقصر الأخيضر وأحمد بن هاشم » .

وفى ١ : ٥٦٤ ب ٢ ترجم إسم نهر Araxes بـ « نهر أرس » فى حين أنه معروف عند كتبة العرب باسم « الرس » . راجع : أحسن التقاسيم للبشارى المقدسى (ص ٣٧٩) والأعلاق النفيسة لابن رسته (ص ٨٩) والبلدان لليعقوبى (ص ٣٦٤ طبعة دى غويه) والتنبيه والإشراف للمسعودى (ص ٦٢ طبعة دى غويه) ومعجم البلدان (٢ : ٧٧٩) وتقويم البلدان لأبى الفداء (ص ٥٩ — ٦٠) .

وفى ١ : ٥٧٠ ب ١٢ ؛ ١ : ٥٧٥ ب ١٦ ؛ ١ : ٥٧٦ ا ١٩ ألتن كوبرو . والمعروف عندنا فى العراق أنها « ألتون كوپرى » أى جسر الذهب . وفى مجلة لغة العرب (٨ « ١٩٣٠ » ص ٧٢٧ — ٧٣٠) مقالة رائعة بعنوان « التون كوپرى فى التاريخ » للأستاذ يعقوب سركيس .

ومن أعلام المواقع التى تصحفت غير مرة (١ : ٥٧١ ا ١٠ و ١١ ؛ ٥٧٢ ب ٢٦ ؛ ١ : ٥٧٣ ا ٢) اسم حدياب » . فقد كتب تارة أديابين Adiabene وطوراً حديب (عند أهل الشام) . وحدياب هى المنطقة الممتدة فى شرق دجلة بين الزاب الأعلى والزاب الأسفل (أنظر كتابنا : أثر قديم فى العراق . ص ٧٠ حاشية ٢) .

ووردت العبارة التالية فى ١ : ٥٧١ ب ٢٢ » الجزء الأسفل من إربل الواقع فى سفح الجبل الذى يقوم عليه الحصن » والحقيقة هى انه ليس هنالك من جبل ، إنما هو تل ترابى .

وفى ١ : ٥٧٤ ا ١٥ — ١٩ ورد اسم « اينكاوو » والصواب فى اسم هذه القرية العراقية : « عين كاوا » أو عينكاوا » . وأهلها ليسوا نساطرة على حد ما ورد فى الدائرة ، إنما هم كلدان .

أما « امكاباذ » فمصحفة من « عمكاباذ » على ماجاء فى التاريخ المدنى السريانى لابن العبرى (ص ٥٥٧ طبعة بيجان) أو من « عمكاوا » على ماجاء فى سيرة يابالاها الثالث (ص ١٧٣ و ١٧٦ طبعة بيجان) .

وفى ١ : ٥٧٥ ب ٢٢ — ١٣ تصحف إسم كوى سنجق أو كويسنجق تصحيفاً ظاهراً إلى سنجق خوى .

وفى ١ : ٥٧٦ ا ٢١ شملك . صوابها : شماك ، على ماهو مشهور بين العراقيين فى تلك الأنحاء .

وفى ١ : ٦٨٠ ب ١٠ خسروه . صوابها : خسراوه . وهى من أعمال سلماس فى بلاد إيران .

وفى ٢ : ٧٩ ب ١٤ ؛ ٢ : ٨٠ ب ١٨ حصن كيفى . والمشهور فى المراجع العربية الموثوق بها : حصن كيفا .

وفى ٢ : ٢٢٢ ب ١٨ رواندز . والأحسن من ذلك أن يقال : راوندوز (راجع : مفصل جغرافية العراق لطه باشا الهاشمى ، ص ٥٥٤) .

ولا نظن قوله فى ٣ : ١ ب ٢١ إن مدينة الأنبار « فى الشمال الشرقى للعراق » صحيحاً ، ولو قال إنها فى الشمال الغربى منه لأقترب من الحقيقة .

وفى ٣ : ٣ ا ١٣١ ورد اسم « كورة العلى » وهى ظاهرة التصحيف ، فقد ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٤ : ٨٤٠) .

ونظير ذلك ما ورد فى ٣ : ٢٥٠ ا ١٦ باسم كوثا . والأولى أن تكتب كوثى ، كما جاء فى مسالك الممالك للاصطخرى (ص ٨١ ، ومعجم البلدان (٤ : ٣١٧) وغيرهما من كتب التاريخ والبلدان .

وفى ٣ : ٢٦٠ ب ١٩ عمر خان . صوابها : عمر كان .

وفى ٣ : ٢٦٠ ب ٢٠ بشبيثا . صوابها . باشبيثا ، وهى تسمية إرمية معناها : بيت السبى أو مكان السبى .

ومن التصحيفات البارزة للعيان ، ما ذكر فى ٣ : ١٠٦٦ ا ١٤ باسم « نهر السراة » . وصوابه نهر الصراة (بالصاد المهملة) على ما هو مشهور فى أكثر المصنفات القديمة فى هذا الباب . راجع مثلا : كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ص ٤٢، طبعة كريمرز) ، ووصف ما بين النهرين وبغداد لابن سرابيون (ص ٢٤ طبعة لسترنج) وعجائب الأقاليم السبعة لسهراب (ص ١٣١ طبعة مزيك . ويلاحظ أن ما نشره لسترنج باسم ابن سرابيون هو قطعة من طبعة مزيك) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى (المقدمة ، ص ٦٦ طبعة باريس أو ١ : ١١٢ طبعة القاهرة) ، ومعجم البلدان (٣ : ٣٧٨ مادة : الصراة) ، ومناقب بغداد المنسوب لابن الجوزى (ص ١٨) .

ولها لا يقل شأناً عن التصحيف المار الذكر ، قوله فى ٣ : ٢٧١ ب ٧ ؛ ٤ : ٥٠ ، ا ٢٦ جبل « سنجر » . وصوابه جبل « سنجار » المسمى باسم بلدة سنجار فى شمال غربى العراق وأمر هذه البلدة ذائع فى كتب البلدان والتاريخ مما لا حاجة إلى ذكره .

وفى السطر الأخير من ٣ : ٣٢٤ ا وجدنا لفظة خنص . والوجه الصحيح أن تكتب خنس . أنظر مقالنا « الآثار فى خنس وبافيان » فى مجلة « النجم » الموصلية (٥ « ١٩٣٣ » ص ٣٠٩ — ٣١١) .

ودونك العبارة التالية الواردة فى ٣ : ٣٢٤ ب ١ — ٥ « وقرية باويان فى مقاطعة الكرد المازورية ، بين ناحية نوكر فى جبل مقلو بالقرب من الموصل وناحية عمادية ، المشهورة بالنقوش السريانية التى توجد على الصخور الموجودة فى خانق خازر القريب منها » اه .

قلنا فى هذه العبارة وحدها ثمانية تصحيفات ظاهرة وضعنا خطاً تحت كل منها . والوجه فى قراءتها ما يلى :

« وقرية بافيان فى منطقة الكرد المزورية ، بين ناحية النافكر فى جبل مقلوب بالقرب من الموصل وناحية العمادية ، المشهورة بالكتابات الأشورية التى على الصخور الموجودة فى خانق الخازر القريب منها » .

وقال فى ٣ : ٤٣٣ ب ٢ — ٣ « ودفن (جبرائيل بن بختيشوع الطبيب) بدير سرجيوس فى المدائن » . وكان الأصح فى هذه التسمية أن يقال « دير مار سرجس » فى المدائن ، وهى التسمية المشهورة فى المراجع العربية ، أنظر : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (١ : ١٠٥) وأخبار الحكماء للقفطى (ص ١٤٢) .

وفى ٣ : ٣٤٣ ب ١١ ورد اسم « بشن » . والذى رأيناه فى الترجمات العربية المختلفة للكتاب المقدس : باشان للدكتور جورج بوست ١ : ٢٠٦) .

وفى ٣ : ٤٨٣ ب ٢ باب بصره . والوجه فيه : باب البصرة .

وفى ٣ : ٥٢٧ ا ١٩ ؛ ٣ : ٥٢٧ ب ٢٤ دياله . وقد كتب اسم هذا النهر فى المراجع العربية : ديالى . راجع : معجم البلدان (٢ : ٦٣٨) ومراصد الاطلاع (١ : ٤٢٠ — ٤٢١) .

وفى ٣ : ٣٥٧ ب ٢٥ بوسبه . والصواب : بوزسيبا .

(يتبع) كوركيس عواد

الزندقة
في عهد المهدي العباسي

للأستاذ محمد خليفه التونسي

لم تكن حرية الرأى فى أوائل الدولة العباسية مكفولة فى كل النواحى الفكرية كما كانت الحال فى الدولة الأموية؛ فلم يكن الأمويون يعاقبون، إلا فيما ندر، رجلا بالقتل أو غيره لأنه يرى رأيا يخالف آراءهم فى الحكومة أو السياسة أو الدين أو الاجتماع ما دام لا يحاول الانتقاض على الحكومة أو يخل إخلالا عمليا بنظام من نظم الدولة. لم يكن الأمويون يفعلون ذلك إلا نادرا، وإلا فان عصرهم بل عصر الإمام على لم يخل من مؤاخذة بعض المخالفين فى الرأى واضطهادهم وعقابهم بالقتل أحيانا.

لكن موقف الأمويين من المخالفين وإن شابه إلى حد بعيد موقف العباسيين من مخالفيهم، لا يشابهه إلا فى الظاهر، ولكنه يختلف عنه فى الحقيقة كل الاختلاف من حيث المبدأ والتنفيذ كما سنبين ذلك فى مكانه من هذا البحث.

ولقد حاول العباسيون منذ قامت دولتهم وفى أول قيامها خاصة أن يضعوا للفكر حدودا فى بعض النواحى التى يتناولها، ومنعوه من أن يتعداها، وإلا عرض صاحبه للعقاب، كما حاولوا بالترغيب والترهيب أن يصبغوا العلوم على اختلاف أنواعها صبغة خاصة، فنجحوا فى بعض محاولاتهم وخابوا فى بعض، ونصروا بعض المذاهب الفكرية وحاربوا البعض الآخر مما يوقع الباحث فى هذا العصر فى كثير من الحيرة والاضطراب.

ورأى مؤسسو الدولة العباسية أنفسهم مكرهين على التزام هذا التدخل بين المذاهب، والحجر على الناس فى كثير مما يقولون ويعملون مما لم يكن له نظير قبلهم، ومرجع ذلك إلى أن الدولة الأموية التى قامت دولتهم على أنقاضها ظلت قرابة قرن من الزمان (٤٠ — ١٣٢ هـ) مسيطرة على العالم الإسلامى فتغلغل سلطانها فى جوانبه وألف الناس منها قواعد ونظما خاصة فى الحكومة والسياسة والاجتماع وغير ذلك فحاولوا أن يستأصلوا من العالم الإسلامى الذى اغتصبوه كل مابذرفيه الأمويون من قواعد ونظم، ويستبدلوا بها قواعد ونظما خاصة بدولتهم تحفظ عليها هذا الملك المترامى الأطراف الذى استحوزت عليه بالقوة حينا والدهاء حينا، وكان خلفاؤها - والأولون منهم خاصة - يعرفون أنهم لم يصلوا إلى ماوصلوا إلا بعد أن خاضوا إليه أنهارا من الدماء، وعبروا له على جسور من الجماجم والأشلاء، بل كانوا يعرفون حق المعرفة أنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بدولتهم إلا بالسير على الطريقة التى ساروا عليها حتى صاروا خلائف فى الأرض.

كان الأمويون فى ملكهم يعتمدون على العرب ويسيئون الظن بالفرس، ويلقونهم بكثير من ألوان المهانة والاضطهاد مما أحفظ الفرس عليهم بل على العرب جميعاً لأن هؤلاء العرب فتحوا بلادهم وثلوا عرشهم واتخذوهم موالى يمتهنونهم ويرون أنفسهم أكرم منهم عنصراً وأرفع مقاماً. ولقد ظهر حقد الفرس على العرب منذ فتحوا بلادهم فى عهد عمر بن الخطاب فالتاريخ يحدثنا أن الهرمزان حين وقع أسيراً فى يد أبى موسى الأشعرى عند فتح تستر أرسله إلى الخليفة عمر ليحكم فيه حكمه فكان ما كان من إبقاء عمر عليه وإسلامه وحياته فى المدينة كما تحيا العامة، وأنه كان، حين تأتيه فى المدينة، أخبار فتوح العرب لفارس وهزائم الفرس، يتميز من الغيظ، وإن حقده قد زاد لما كان يراه من وفود أبناء جنسه أسارى إلى المدينة واتخاذ العرب إياهم موالى وخدماً، فلما كان وفود سبى جلولاء كان الهرمزان يمسح رؤوسهم ويقول: «أكل كبدى عمر» مما يدل على أن النعرة الفارسية ظهرت منذ فتح العرب بلاد فارس، وما كان قتل عمر إلا مؤامرة فارسية لكيد العرب نفذها أبو لؤلؤة وظل الفرس ينقضون على الدولة الأموية كلما أمكنتهم الفرصة حتى كانت ثورتهم الكبرى باسم العباسيين تحت قيادة أبى مسلم الخراسانى فدكتها دكا.

وإذا كان الخليفة عمر ومن بعده عثمان وعلى قد أحسنوا السيرة فيهم اتباعاً لأوامر الدين مما خفف عن الفرس ما كان يعتلج فى قلوبهم من الحقد والضغينة — فإن الخلفاء الأمويين لم يساووهم بالعرب كما أمر الدين بل كانوا يحتقرونهم وينزلونهم منزلة العبيد بالرغم مما عرفوا لهم فى أيام استقلالهم وفى أيام الأمويين أنفسهم من حضارة ورقى فى جميع مرافق الحياة والفكر حتى فى الدين الإسلامى واللغة العربية.

كان الأمويون برغم كل الاضطرابات التي تكبدوا مشقاتها يثقون بالعرب كل الثقة فبالعرب أقاموا دولتهم ، وبهم حافظوا عليها من العرب والفرس جميعاً .

أما العباسيون فلم يظفروا باطمئنان كاطمئنان الأمويين وثقتهم بعنصر يعتمدون عليه إزاء ما يكر بهم من الخطوب في نضالهم عن دولتهم ، بل في إقامتها قبل أن تكون .

كان العلويون والعباسيون وهم آل البيت النبوي قد قاسوا زمن الدولة الأموية ألوانا قاسية من الظلم والاضطهاد ، وكان نصيب العلويين من ذلك أوفى نصيب ، فكانوا يلعنون على المنابر طيلة العهد الأموي إلا نحو عام في عهد عمر بن عبدالعزيز الأموي، وكانوا يراقبون في كل حركاتهم وسكناتهم ، ويقابلون كلما رفعوا رءوسهم بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال ، مع اعتقادهم أنهم أولى من الأمويين بخلافة النبي عليه السلام ، وكان العرب يشهدون هذه الشنع دون أن ينصروهم على هؤلاء المغتصبين بل كانوا يعينون المغتصبين على ظلمهم وقتلهم والتمثيل بهم ، وتشريدهم في الآفاق جزاء ما كان الأمويون يبذلونه لهم من العطايا السخية .

ولقد كان كل أولئك مما أحفظ آل البيت على العرب ، وأيأسهم منهم ، فلما آلت إلى العباسيين قيادة الدعوة السرية لدك الدولة الأموية كانوا يحملون في قلوبهم للعرب كل حقد وضغينة ، وليس أدل على يأس العباسيين من العرب مما أوصى به محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أول من آلت إليه قيادة الدعوة السرية من العباسيين ، حين وجه دعاته إلى الأمصار ، قال لهم : « أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف تقول : كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق نصارى ، وأما أهل الشام فليسوا يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان وعداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء، ولم يتوزعها الدغل، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة، وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق ، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق (١) » .

وهذا كلام رجل أقل ما يقال فيه إنه يتكلم عن فهم عميق واستقراء شامل ، فهو يائس من نصرة كل الأقطار التي سكانها أو معظمهم من العرب ، ولا أمل له إلا في خراسان الفارسية .

وليس أدل على بغض العباسيين للعرب وحقدهم عليهم من أن إبراهيم بن محمد بن علي السابق ذكره - لما آلت إليه القيادة بعد وفاة أبيه محمد بن علي - قال لأبي مسلم الخراساني حين أمره على خراسان : « يا عبد الرحمن ، إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي ، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت فيه ، ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء ، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله (٢) » .

وقامت الدولة العباسية ولكن لا بقوة العرب بل برغم أنوف العرب ، فزاد ذلك العباسيين حقداً وضغينة عليهم ، وأحسوا بما يحسه كل مظلوم نحو من ظلموه بعد أن انتصر عليهم ، أحسوا نحو الأمويين خاصة والعرب وهم معاونوهم في ظلمهم عامة أنهم أعداؤهم الذين لا يجوز لهم أن يراقبوا في الثأر منهم إلا ولا ذمة ، ولا ينبغي أن يرعوا لهم حرمة فأسرفوا في سوء الظن وأسرفوا في القتل وانتهاك الحرمات وإهدار الحقوق ، وأحلوا بينهم وبينهم الجفوة محل المودة ، والقطيعة محل التواصل .

ولقد يروق لبعض المؤرخين أن ينسبوا إلى العباسيين أنهم إنما اعتمدوا على الفرس بعد نجاحهم ثقة بهم أو مثوبة لهم على معونتهم ، وليس هذا من الصدق في شيء فما كان اعتماد العباسيين على الفرس قبل قيام دولتهم إلا تجنبا للعرب بعد أن

---

(١) محاضرات الخضري بك والدولة العباسية - الطبعة الرابعة - ص ١١

(٢) المصدر نفسه ص ٢١ ، وتاريخ الطبري - ج ٩ ص ٧٦ وتاريخ ابن الأثير ج ٥ ص ١٤٠

يئسوا منهم كما يظهر من كلام محمد بن على الذى نقلناه آنفا ، وإلا خوفا منهم وريبة فيهم كما يظهر من وصية ابنه إبراهيم الإمام لأبى مسلم الخراسانى ، وما اعتمد العباسيون على الفرس بعد نجاح الدعوة ثقة منهم بهم أو مثوبة لهم بل خوفا من العرب وريبة فيهم أيضا ، وهذا ما أدى إلى ضياع العرب فى الدولة الجديدة ، وما وثق العباسيون بالفرس ولا أرادوا مثوبتهم حين قربوهم فى دولتهم بل كانوا يحذرونهم كما يحذرون العرب ويرقبون الشرور منهم كما يرقبونها من العرب ، وإن كانوا لا يطيقون إبعاد الفرس كما أطاقوا تنحية العرب . وأعتقد أن هذا لم يكن يخفى بحال على مؤسس الدولة العباسية فما كان أبو مسلم الخراسانى ـ كما يظهر من حوادثه ـ بالرجل الزاهد فى السلطان ، وإعادة دولة الفرس متى أتيح له ذلك ، وما تكبد للعباسيين ما تكبد حبا فيهم ولا إيمانا بوجوب نصرتهم ، ولا ابتغاء وجه الله ورضا محمد عليه السلام ، فلم يكن العباسيون كما لم يكن الأمويون عند أبى مسلم بأحق بالخلافة من العلويين مادام الأمر أمر قرابة من النبى ، وإنما نصر العباسيين دون العلويين لأن هدم أولئك أيسر من هدم هؤلاء . والحجة التى أمكنته أن يتذرع بها لخلب ألباب الجيوش حتى هدم الدولة الأموية حجة لا تزال ناهضة تجاه العباسيين ومن اليسير أن يتذرع بها لهدمهم . تلك الحجة هى أن العلويين أمس رحما بالنبى من العباسيين ، فالعباسيون والأمويون جميعهم غاصبون .

وأعمال أبى مسلم تدل على أنه كان تواقا إلى الملك ، فالتاريخ يروى أنه خطب أمينة بنت على عمة السفاح والمنصور فردعها[1] وأنه كان فى رسائله يقدم اسمه على اسم الخليفة على غير ما جرت به العادة فى التراسل بين الخلفاء وغيرهم[2] ، وأنه لما أراد القدوم من مرو إلى السفاح كتب إليه يستأذنه فى الحج أميرا على الناس سنة ١٣٦ هـ فاعتذر إليه بأن أبا جعفر سبقه بالاستئذان ليكون أميراً على الحجيج ، وأمر السفاح أبا جعفر بأن يطلب ذلك فطلبه فوافقه عليه مما أثار اشمئزاز أبى مسلم حتى رووا أنه قال لبعض

(١) ، (٢) تاريخ الطبرى جـ ٩ صـ ١٦٧

خاصته : « أما وجد أبو جعفر عاما يحج فيه غير هذا ؟ »[1] . ودلت سيرته فى ذهابه وإيابه من الحج على كثير من مطامعه من وراء ابتغاء كسب القلوب فى إظهار القوة والكرم بالأموال[2] ، والتقدم فى الطريق على أبى جعفر[3] .

ولقد أدى ذلك وغيره إلى حسد أبى جعفر لأبى مسلم وتوجس من مطامعه حتى طلب من السفاح أخيه أن يقتاله وألح فى الطلب حتى كاد السفاح ينفذه لولا أنه خاف من جيوش خراسان التى تأتمـر بأمر أبى مسلم وتتعصب له فاضطر مرغما إلى الأناة والمهادنة[4] .

وما إن صار المنصور خليفة وفرغ من عمه عبد الله بن على حين خرج عليه حتى قتل أبا مسلم ، وأرسل إلى قواده جوائز فاخرة ، وأعطى الجند حتى أمنهم من أن يثوروا للأخذ بثأره .

قامت الدولة العباسية على القوة والدهاء ، وكان ديدن رجالها المؤسسين الحذر المفرط من العرب والفرس جميعا ، وضرب هؤلاء بهؤلاء للتمكن من السيطرة على الفريقين ، وهذا ما جعل المنصور حين رأى رجاحة الخراسانيين على العرب يصطنع كثيرا من رجال العرب لقيادة الجيوش وولاية الأقطار ، ومن هؤلاء عيسى بن موسى ومعن بن زائدة وعمر بن العلاء والهيثم بن معاوية وزيد بن حاتم ومحمد بن سليمان بن على وغيرهم .

وكان شعارهم كلمة إبراهيم الإمام لأبى مسلم « أيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله » فكانوا عاملين على توطيد ملكهم بكل الوسائل المحللة والمحرمة .

من أجل ذلك كله حاول العباسيون أن يعظموا الخلافة فى قلوب الناس وعيونهم ، وقتلوا بالشبهة كل من ظنوا به خروجا على الدولة ، أو توهموا أن فى وجوده خطراً عليها ، فأمر السفاح أبا مسلم بقتل أول وزرائه أبى حفص سلمة الخلال الذى كان يلقب وزير آل محمد[5] ، وقتل أبو جعفر قائده ومؤسس ملكه أبا مسلم الخراسانى[6] ، ولما قتل أبو حفص سلمة الخلال استوزر السفاح

(١) ، (٢) ، (٣) تاريخ الطبرى جـ ٩ صـ ١٥٩ ، ومحاضرات الخضرى بك صـ ٥٢

(٤) تاريخ الطبرى جـ ٩ صـ ١٥٣ ، ومحاضرات الخضرى بك صـ ٥٢

(٥) تاريخ الطبرى جـ ٩ صـ ١٤١

(٦) الطبرى جـ ٩ صـ ١٥٩

خالد بن برمك ، فكان يكره أن يسمى وزيرا تطيرا من قتل أبى حفص[(١)] ، ثم أعفاه المنصور فى خلافته وولى أبا أيوب سليمان ابن مخلد الموريانى فكان إذا دعاه المنصور خشيه حتى يشحب لونه وترتعد فرائصه ، ثم قتله . وفى رثائه يقول أحد شعراء ذلك العهد[(١)]:

قد وجدنا الملوك تحسد من أعـ ... طته طوعا أزمة التدبير
فإذا ما رأوا له النهى والأمـ ... ـر أتوه من بأسهم بنكير
شرب الكأس بعد حفص سليما
ن ودارت عليه كف المدير
ونجا خالد بن برمكُ منها ... إذ دعوه من بعدها بالأمير
أسوأ العالمين حالا لديهم ... من تسمى بكاتب أو وزير

ولما قتله المنصور بعد تعذيبه واستصفاء أمواله حبس أخاه وبنى أخيه سعيداً ومسعوداً ومخلداً ومحمداً ، فكانت وزارته نكبة ماحقة عليه وعلى أهله . ولما جاء المهدى استوزر يعقوب بن داود ١٦١ هـ ، ثم نكبه وحبسه سنة ١٦٦ هـ ، فظل فى السجن حتى أخرجه الرشيد .

وقد ادعت الدولة العباسية لنفسها حقاً لم تدعه الدولة الأموية إذ أقامت الخلافة على أصل من الدين — كما زعم كثير من الملوك لملكيتهم ذلك فى العصور الوسطى الأوربية ، فالخليفة مصدر السلطات وإرادته فى الأرض ظل إرادة الله فى السماء ، فهو حامى حمى الدين وله بذلك أن يقضى فيما يشاء ومن يشاء كما يشاء . فحرموا على الناس أن يتناولوا أعمالهم بالنقد أو التجريح كما حرم المنصور الطعن فى الخلافة ، وطلب من الناس ، إذا رأوه يضيق عليهم فى الرزق ، أن يدعوا الله أن يوسع المنصور عليهم لأنه هو مفتاح أرزاقهم .

ومن الحق أن المنصور برغم تشدده فى سياسة الدولة وتضييقه على أفكار الناس فيما يتعلق بأمور الحكومة ونظمها حتى ليحاسب الناس على ما فى ضمائرهم ، ويعاجل بالقتل كل خارج عليه بل كل من كان وجوده خطراً عليه ولو لم يكن يستحق القتل ، وكان فضله على الدولة عظيما — بالرغم من كل ذلك كان جشعا للمعرفة إلى حد كبير فكان يحتضن الأطباء والمنجمين ويرعى ما ينقلون من الكتب العلمية والحكمية ، ومن أجل ذلك كان مؤسس حركة الترجمة عن اللغات السريانية والفارسية واليونانية ، كما كان يرعى إلى حد ما بعض العلوم الأخرى . كان توطيد الدولة همه فلم يكن يبالى فى هذا السبيل بل فى بعض شئونه الخاصة عهداً قطعه ولا يبالى أمور الدين وما جرت عليه العرب قبله فى أخلاقها وتقاليدها .

فلما جاء ابنه المهدى سنة ١٥٨ هـ كانت الخلافة قد استتبت له فلم يكن يخشى ما خشى والده من الفتن على الدولة . لكن عهده لم يكن خالياً من فتن ذات طابع خاص يميزها من الفتن التى قامت فى عهد أبيه ، وقد جملته هذه الفتن يتجه إلى الحجر على الحرية الفكرية فى عهده ولا سيما الزندقة . إذا كانت الزندقة طابع هذه الفتن وعنوانها ، وهذا ما جعله دقيق الإحساس من ناحيتها ، كلفاً بمعاقبة من يُتهَمُون بها إن صدقاً وإن كذباً ، جاداً فى البحث عن أتباعها فى كل مكان ، فإذا وجدهم حاسبهم حتى على ما فى ضمائرهم وعاقبهم بالظنة كأبيه ولو لم يجد من أعمالهم ولا أقوالهم مستندا للتهمة فضلا عن مبرر للتعذيب والقتل ، أما فيما عدا الزندقة فكان المهدى حياله سمحاً حليما ، ولذلك تفصيل سيأتى بيانه إن شاء الله .

محمد خليفة التونسى

---

(١) محاضرات الخضرى بك ٧١

في الصـــحراء

للأستاذ سيد قطب

[فى ليلة من ليالى الخريف المقمرة ، الراكدة الهواء ، المحتبسة الأنفاس ، وفى صحراء جبل المقطم الموحشة ، وبين هذا القفر الصامت الأبيد — كانت تتراءى نخلات ساكنات فى وجوم كئيب ومن بينهما نخلتان : إحداهما طويلة سامقة ، والأخرى قصيرة قميئة .

بين هاتين النخلتين دار حديث . وكانت بينهما همسات ومناجاة !] .

الصغيرة :

ما لنا فى ذلك القفر هنا   ما برحنا منذ حين شاخصات ؟
كل شىء صامت من حولنا   وأرانا نحن أيضاً صامتات ! ؟
تطلع الشمس علينا وتغيب
ويطل الليل كالشيخ الكئيب
والنجوم الزُّهر تغدو وتثوب
وهجير وأصيل وطلوع وأفول   ثم نبقى فى ذهول
ساهمات !

***

أفلا تدرين يا أختى الكبيرة   ما الذى أطلعنا بين اليباب
أيما إثم جنينا أو جريرة   سلكتنا فى تجاويف العذاب
قد سئمت اللبث فى هذا المكان
لبثة المصلوب فى صلب الزمان
أفما آن لتبديل . . . . أوان ؟
حدثينى كم سنشقى ؟   حدثينى كم سنلقى ؟   حدثينى كم سنبقى ؟
واقفات ؟

الكبيرة :

أنا يا أختاه لا أدرى الجواب   ودفين السر لم يكشف لنا
منذ ما أطلعت فى هذا الخراب   وأنا أسأل : ما شأنى هنا ؟
فيجيب الصمت حولى بالسكون !
وأنا أخبط فى وادى الظنون
لست أدرى حكمة الدهر الضنين
غير أنا حائرات   والليالى السادرات   تتجنى ساخرات
لاهيات !

***

ربما كنا أسيرات القدر   تسخر الأيام منا والليالى !
تضرب الأمثال فينا والعبر   وإذا نشكو أذاها لا تبالى !
ربما كنا مساحير الزمن !
قد مُسخنا هكذا بين القنن
فى ارتقاب الساحر المحيى الفطن !
فإذا كان يعود   فك هاتيك القيود   فرجعنا للوجود
طافرات !

***

أو ترانا نسل أرباب قدامى   قد جفاها وتولى العابدون !
جفت الكأس لديها ، والندامى   غادروا ندوتها تنعى القرون
أو ترانا مسخ شيطان رجيم !
صاغنا فى ذلك القفر الغشوم !
وتولى هارباً خوف الرجوم !
فبقينا فى العراء   يجتوينا كل راء   وسنبقى فى جفاء
شاردات !

***

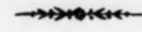
لست أدرى : كل شىء قد يكون   فتلقى كل شىء فى سكون
وإذا ما غالنا غول المنون   فهنا يغمرنا فيض اليقين !
ثم ساد الصمت كالطيف الحزين
وتسمعت لأقدام السنين
وهى تخطو خطوة الشيخ الرزين
هامسات فى الرمال   منشدات فى جلال   كل شىء للزوال
والشتات !

(حلوان)   **سيد قطب**

من الإلياذة الإسلامية

قصة أم المؤمنين السيدة عائشة

للمرحوم الأستاذ أحمد محرم



(سيد الرسل) و (أمّ المؤمنين) ... بشر الأبطال بالنصر المبين
خرجت فى الجيش ترجو ربّها ... عصمةَ الراجى ، وعونَ المستعين
بنصر الحق ، ويقضى أمره ... إن رماه كل أفّاكٍ مَهين
اصبرى إن جلّ أمر إنها ... يا (ابنة الصديق) دنيا الصالحين
أرأيت الأرض لمّا رجفت ... إذ هوى عقدك ؟ بل لا تشعرين
اقشعرّت ، وتمنّت لو هوى ... كل عالٍ من رواسيها مكين
أنتِ فى شأنكِ إذ تبغينه ... وهىَ فى همٍّ وغمٍّ وأنين
سوف يُبدى الخطب عن روعته ... بعد حين ، فاصبرى حتى يحين
رفعوا الهودج ، والظنّ بها ... أنها فيه ، وساروا مُدلجين
وانجلى الليل عن الخطب الذى ... غادر الأصباح مُسْوَدّ الجبين
أين غابت ؟ أىّ أرضٍ نزلت ... كيف غم الأمر ، هل من مستبين ؟
يا (رسول الله) صبراً إنها ... فى ذمام الله ربّ العالمين
يا (أبا بكرٍ) رويداً إننا ... لنراها فى حمى (الروح الأمين)
رجعت والليل فى بردته ... دائم الأطراق كالشيخ الرزين
ذهب الجيش ، وأمست وحدها ... غير أصداء من الوادى الحزين
خطرت فى الجوّ من أنفاسها ... خطرات للأسى ، ما ينقضين
ماج كالبحر طغت أثباجه ... وارتمت أهواله حول السّفين
نام عنها الهمّ لما رقدت ... فهو فى الأحشاء ، مكتوم دفين
وأتى (صفوان) ما يبدو له ... غيرُ شىء ماثل للناظرين
يرسل الطرف ، ويمشى نحوها ... مِشية المرتاب فى رفق ولين
عرف الخطب ، فما أصدقه ... حين يدعو دعوة المسترجعين
دعوةٌ رنّت ، فلو قيل : اسمعوا ... لسمعنا اليوم ترداد الرنين
أيقظت (عائشةً) من نومها ... مثلما يوقظها صوتُ الأذين
جفلت منه ، فغطت وجهها ... وهىَ فى سترين من عقل ودين
يصرف اللحظ كليلاً دونها ... خاشع القلب ، كدأب المتقين

قَرّبَ الناقة منها ، ودعا ... اركبى أمّاه ، لا أميتِ البنين
أخذ المقودَ يمناً ، ومضى ... يتبع الماضينَ من أهل اليمين
يتمى (يثرب) [1] بالنور الذى ... يملأ الدنيا ، ويعمى المطفئين
نشروا الإفك فساداً وأذى ... وعلى الله جزاء المفسدين
لا ينال الحقّ فى سلطانه ... كذب الحمقى ، وإفك المرجفين
يا لها من عصبةٍ فاسقةٍ ... هاجها للشر (شيخ الفاسقين) [2]
وجدت فيه زعيماً حاذقاً ... وإماماً بارعاً للمفترين
هكذا يا (ابنَ أُبىّ) هكذا ... لا يكن شأنك شأن المسلمين
انفثِ السمّ ، وخُضْها فتنةً ... تتلظى نارها للخائضين
يا (ابنه الصديق) صبراً ، ليته ... ألمّ الرضَى ، وهمّ الموجعين
يا لها من علةٍ لو تعلمين ... إنها أروح مما تشتكين
أعقبَ البشرَ عُبوسٌ وبدا ... من (رسول الله) ما لا ترتضين
كيف تيكم ؟ ليس من عاداته ... كيف تيكم ؟ يا لهم من مجرمين
غيّروه ، فلوى من عطفه ... وطوى من لطفه ما تعهدين
وهو يخفى لكِ ما لا ينقضى ... من هوى صاف ، وشوق وحنين
سجن السرّ ، وكم من روعةٍ ... لك يا أمّاه فى السرّ السجين
أنصتى ، فالليل مُصغ ، أنصتى ... وقع الخطبُ ، فما تصنعين
جاشت النفسُ ، ولجّت رعدة ... لم تدع فى القلب من ركن ركين
(مسطح) لا قرّ عيناً (مسطح) ... شبها نارا تهول المصطلين
فضحته عثرةٌ من أُمّهِ ... فانظرى كيد ذويك الأقربين
لا تلوميها إذا ما غضبت ... إنها تعلم ما لا تعلمين
أرسلتها دعوة واحدة ... ليتها زادت على حدّ المئين
تعِسَ (الثعلبُ) ما أخبثه ... فدعى (بدرا) و (آسادَ) العرين
رجعت فى غمرةٍ من همّها ... لم تبت منها بليل الراقدين
لوعةٌ مشبوبةٌ فى سقم ... فى شآبيب من الدمع السخين
يا (رسول الله) هل تأذن لى ؟ ... إن بيتى بمصابى لقمين
مُرْ ودع همى لأمى وأبى ... إنما استأذنتُ خير الآمرين
بان حسن الصبر ، والعزم انطوى ... وأرى السُّقمَ مقيماً ما يبين

(١) يقصد .
(٢) عبد الله بن أبى

قال : ما شئت . هلمي فافعلى لك يا صاحبتى ما تؤثرين
ذهبت ، يحزنها إن لم تكن طوّح الدهر بها فى الذاهبين
ثم قالت وهى تبكى : عجباً لك يا أماه ، ماذا تكتمين ؟
أفلا نبأتنى ما زعموا ؟ ويحهم : ما حيلتى فى الزاعمين ؟
ظلمونى ، ما رعوا لى حرمةً ربّ كن لى ما أقلّ المنصفين
جزع (الصديق) مما نابه إنه خطب يهول الأكرمين
قال : أفٍّ لكِ من داهيةٍ ما رُمينا بكِ فى ماضى السنين
أفلمَّا زاننا دين الهدى ساءنا منكِ حديث لا يزين ؟
(كيف تيكم ؟) يا لها صاعقة أرسلتْ من فم (خير المرسلين)
كيف تيكم ؟ كيف تيكم ؟ كلما جاء ، إن الله مولى الصابرين
اصبرى يا (ربة العقد) الذى زينَ من عينيك بالدرّ الثمين
أوجعتها من (علىّ) شدة هى من دأب الأباة الأولين
سلَّطَ الضربَ على مولاتها أىّ سرٍّ عندها للضاربين ؟
أقسمت صادقةً ما علمت غير ما يدفع دعوى الواهمين
التُقى والبرُّ فى تاجيهما هل رأى التاجين أعلى المالكين ؟
مرحباً بالحق ، يحمى جُندُه ما استباحت ترهات المبطلين
مرحباً بالوحى ، يجلو ما طوت ظلمات الشك من نور اليقين
مرحباً (بالروح) يلقى من عل رحمةَ الله ، تغيث المؤمنين
فتنة جلت ، فلما انكشفت أزلفوا الشكر ، وراحوا راشدين
وتجلت غمرة (الهادى) فلا ريبة تغشى ، ولا ظنٌّ يرين
يا (ابنة الصديق) طيبى وانعمى ذاك حكمُ اللهِ خيرِ الحاكمين
ضرب القوم بماضٍ مِخذم من مواضيه ، فولوا مدبرين
سقطوا صرعى ، عليهم غبرة من قتام البغىِ تخزى الظالمين
أمسك (الصديق) من معروفه ينكر الغدر ، وينهى الغادرين
وطوى عن (مسطح) نعمته ليرى حق الكرام المنعمين
عاله دهراً ، فلما خانه راح يجزيه جزاء الخائنين
سُنَّة العدل ، قضاها من قضى سنة الرحمة بين الراحمين
نزل (الذكر) بها قدسيةً فعفا الناقم ، وارتاح الضنين
إجعل الخير قريناً إن أبى كلّ غاوٍ ، إنه نعم القرين
جلّ ربى وعلا ، كل امرىء بالذى يكسب من أمر رهين

أحمد محرم

العلمـــاء

يتعلمون من المشعوذين

الأستاذ فوزى الشتوى

القتل بغير تسمم

منذ قرون بعيدة وكهان الطب ومشعوذوه فى غابات المناطق الاستوائية فى أمريكا الجنوبية يعمدون إلى بعض الأعشاب يطبخونها بطريقة خاصة وفى وسط مراسيم دينية . حتى إذا تمت الطقوس عمدوا إلى عيدان رفيعة غمسوا أطرافها فى المادة المطبوخة. واحتفظوا بها حتى إذا خرجوا إلى الصيد أطلقوها بدفع الهواء بأفواههم على الفرائس ولا يكاد العود يخترق الجلد ويسرى السم فى دم البقرة أو الوعل حتى تتوقف عضلات المعدة والقلب والتنفس عن الحركة فيخر الحيوان ميتا .

وليس من الضرورى أن يصاب الحيوان فى مقتل ، فالمهم أن يصل السم إلى الدم فى أى جـــزء من الجسم ليشل أعضاء الحيوان الداخلية والخارجية عن الحركة .. ولا يفسد لحم الحيوان بل يحتفظ بجودته فيقبل عليه صيادوه يلتهمون لحمه النقى الذى لايبدو فيه أى أثر للتسمم .

هذا السم الغريب هو مدار البحث والتجربة الآن عند فريق من الأطباء والجراحين الامريكيين . لأنهم يعالجون به كثيراً من الأمراض المخيفة المستعصية . ويعجلون به شفاء عدد من الأمراض العقلية المحيرة .

من أحاديث الخرافات

أما كيف حدث اكتشاف هذه المادة فأمر يوشك أن يكون من أحاديث الخرافات والقصص الخيالية ولكن الأطباء يوردون آلاف الحوادث والحالات التى شفت هذه المادة أصحابها والتى يطلقون عليها إسم كورا راى . وهوذات اللقب الذى يسميه به سكان القبائل البدائية فى مناطق أمريكا الجنوبية الاستوائية .

وليس عهد العلماء حديثاً بهذه المادة الغريبة ، فمنذ أربعة قرون أحضر السر والتر راى الرحالة الانجليزى عينات منها استغلها العلماء فى القرن السادس عشر فى علاج بعض الحالات . ولكن الكمية كانت محدودة فلم تتح لهم مواصلة تجاربهم وأوشك اسم الكورا راى أن يزول من رؤوس الباحثين .



(شكل ١) يستطيع هذا الهندى أن يقتل أى حيوان من بعد ٨٠ ياردة بقذفه بسهم الكورا راى من غابته الطويلة

وأريد لهذه المادة الحياة مرة أخرى على يدى مستكشف ناشىء مارس حياة الغابات منذ ١٩٣٠ واسمه ريتشارد جيل . وفى خلال الأعوام التى عاشها فى غابات أمريكا الجنوبية تعرف إلى مشعوذيها واكتسب صداقتهم وإعجابهم فأطلعوه على طقوس الكوراراى وطريقة تحضيره والأعشاب التى يستمد منها فأقام فى الغاب سنوات طويلة وهو يقتنص صيده بواسطته ويأكل لحمه . ولكنه لم يدرك أهمية المادة للعالم المتمدن .

المرض المحير

وجمح به حصانه مرة فسقط على الأرض وأصيب بالشلل . ونقل إلى مستشفيات أمريكا ففحصه الأطباء من قمة الرأس إلى أخمص القدم فلا يجدون به علة ولا يعثرون فى أعضائه على عطب . ولكنه كان لايقوى على الحركة . بل إن شعوره كان منهما غامضا

لا يحس حتى بالألم فأفتى أطباؤه بأنه ربما كان فريسة الشلل التشنجي .

والمصابون بهذا المرض تتولاهم هزات عضلية قاسية تنشأ من تيبس العضلات . وأخطره الطبيب بأن عـلاج حالته غير معروف . ولم يعرف الطب إلا مادة واحدة لا سبيل إلى الوصول إليها لأنها من مواد الغابات الإستوائية وهي الـكورارای .



(شكل ٢) مادة الـكورا راى التى يغمس فيها الهنود أسهم صيد الحيوانات وقتلها بغير إفساد لحمها

وسمع جيل الإسم المألوف لديه فسرى فى جسده كتيار كهربائى ساحر . فتلك المادة التى توفرت لديه فى الماضى مطلوبة الآن ليجرب بها الطبيب طريقة لعلاج علته ، وتناوشته الأفكار والآراء وعصفت به نفسه ، وهو يرى بصيص الأمل ويعرف طريقه ولـكنه لا يقوى على السعى إليه .

إنه يعرف هنود تلك المناطق ومشعوذيها . ويعرف كيف يستحضر مادة حياته . ولـكنه سجين بين جدران أعضائه النائمة . أنه يعرف الطـــريق لانقاذ آلاف الناس وإبراء ملايين العلل ولـكنه لا يقوى على الحركة .

كفاح اليائس :

وكانت الإرادة ، وكان الصبر . وكان الـكفاح . فأمضى الساعات الطوال وهو يدرب عضلاته على الحركة بمختلف الوسائل وبما أثير فى نفسه من دوافع العزم على الحياة . فلم تمض شهور بارز فيها مع أطبائه ومستشاريه العلة حتى تغلب عليها وغادر مستشفاه .

ومضت أعوام أربعة حتى استطاع زيارة مناطق خط الاستواء على رأس بعثة خشى أن تفشل . إذ توهم أن سحرة الهنود قد ينكرونه أو ينسون أمره . ولـكنه ما كاد يقابلهم حتى استقبلوه بترحاب وتقدير .

ومن هناك سارت عشرات القوارب ومئات الحيوانات فى الأنهار وفى الأدغال لتنقل إلى الطب تلك المادة الثمينة النادرة . وعاد جيل وقد حرص هذه المرة على التقاط أشرطة سينمائية تبين جميع مراحل تحضير الـكورا راى .

ولم يكن الطب مؤمناً كل الإيمان بفعله فسخر منه ولـكن أحد أطباء كلية نبراسكا احتضن البحث وأقبل على تجربته واحتضنته إحدى الشركات أيضا فخضرته مركزاً ونقيا ووزعت عيناته مجاناً على الباحثين ليجروا عليه تجاربهم ولم تمض فترة حتى ظهر فى الأسواق التجارية . واقتنع الأطباء بأنهم يستطيعون التعلم ولو من متوحشى الغابات ومشعوذيها .

سلامة الجسم أم العقل :

وواجه الأطبـاء فى تلك الفترة معضلة خطيرة ، فقد وفق بعضهم إلى علاج بعض الأمراض العقلية بأحداث صدمات عصبية فى المرضى تؤدى فى الغالب إلى الشفاء . ولـكنها تؤدى أيضاً إلى تشنجات عضلية حادة تضر أعضاء المصابين الداخلية ، وتحطم عظامهم فى بعض الأحيان . فهل لمثل هـذا العلاج أن يستمر ؟ وهل يجوز أن يكون شفاء العقل على حساب تحطيم الجسم ؟

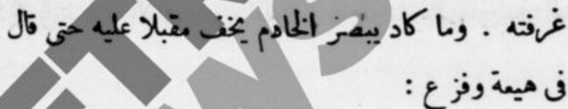
وحل الـكورا راى الأشكال وأجاب على السؤالين حينما عرف العلماء كيف يستخدمونه لأنه أتاح للطبيب إحداث الصدمة الطبية بغير أن يتعرض المريض إلى خطر تحطيم عظام جسمه ، وكان الطبيب بنت من جامعة نبراسكا أول من سلك الطريق فأجرى تجاربه على الأطفال المصابين بالشلل التشنجى .



(شكل ٣) سيقان النباتات التى يستخرج منها الخمر وإلى جوارها السهام المسمومة وفوق السيقان بعض مصنوعات الهند

بريح العضلات :

ودلت الأبحاث على الحيوانات أن الـكورا راى يريح العضلات إذ يصيب وصلات الأعصاب المحركة لها بالشلل ، أو



القصص

الحـــذاء ...

لأنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

قال « مركين » — ضابط البيان — وهو رجل ذو وجه حليق شاحب ساهم ، وأنف ملوث بالسعوط ، وأذنين محشوتين بالقطن ... صاح فى صوت أصحل وهو يغادر غرفته بالخان ، ويطؤ أرض البهو :

— « سميون ... أيها الساقى » . ولو أن إنساناً لمح وجهه الممتقع فى تلك اللحظة لظن أن نظره وقع على شبح يتراقص فى غرفته . وما كاد يبصر الخادم يخف مقبلا عليه حتى قال فى هيئة وفزع :

— « سميون ... بالله ما ذا تعنى بذلك ؟ إنى رجل منهوك ، مصاب بالنقرس المزمن ، وقد جعلتنى أسير حافى القدمين ... أين حذائى ؟ ولِمَ لَمْ تأت به ؟ ! »

فولج سميون غرفة مركين ، وراح يحملق فى المكان الذى اعتاد أن يترك فيه الحذاء بعد تنظيفه ... ثم جعل أنامله تعبث بشعر رأسه : فقد اختفى الحذاء ! وأخذ يردد فى صوت خافت :

— « كيف تأتى لتلك الأشياء اللعينة أن تختفى ؟ ! يخيل إلى أنى نظفتها فى المساء ، ووضعتها هنا ... هه ! إنى لأصرح أنى نهلت بعض الخمر البارحة ، فلعلنى تركت الحذاء فى غرفة أخرى ، وربما كان فى غرفة « أفاناسى بجورتش » . لقد كان أمامى كومة من الأحذية ... تباً للشيطان الذى يزين للانسان الشرب ، ثم يجعله بعد ذلك يفعل ما ليس يدرى ... سيدى ، لا بد أن حذاءك فى غرفة السيدة التى تليك ... الممثلة »

« والآن تدفعنى « سيادتك » إلى إقلاق سيده من أجلك ... أأوقظ سيدة فاضلة لغباوتك وحماقتك ؟ » ..ودنى مركين من باب الغرفة التالية وهو يتنهد ويسعل ... ثم طرق الباب فى حذر ... وبعد هنيهة سمع صوت امرأة تقول « من ... هناك ؟ » فراح مركين يقول فى توسل ، وقد اتخذ فى وقفته هيئة الفارس الذى يخاطب سيده أرق منه طبقة «معذرة لإقلاقك يا سيدتى ... ولكنى رجل منهوك ، مصاب بالنقرس المزمن ، وقد أشار علىّ الطبيب بتدفأة قدمىّ ... هذا إلا أنه علىّ أن أذهب فى الحال لضبط بيان قرينة الجنرال « شفليتسين » ولا يمكننى الذهاب حافى القدمين » .

— « ولكن ماذا تبغى ؟ أى بيان ؟ ! ؟ » .

— « ليس بيان يا سيدتى ... إنما أشير إلى حذائى . فإن سميون — ذلك الخادم الغبى — نظفه وتركه خطأ فى غرفتك . فاشفقى على ضعفى وناولينى حذائى » ثم تلا ذلك صوت حفيف ، ثم نهوض من الفراش ووطء نعال ، وبعد ذلك انفرج الباب قليلا ، وألقت يد نسائية مكتظة زوجاً من الأحذية إلى مركين . فشكرها « ضابط البيان » وانطلق إلى غرفته . ولكنه ما لبث

يعزلها عنها فيمتنع تهيجها . كما ثبت أنه من الميسور استخدام الكورارای فى معالجة الإنسان . وتدل التجارب الأولى على نجاحه لأن المخدر كان يمتص الصدمة العضلية فيستلقى المريض مسترخياً أثناءها بدل أن تتقلص عضلاته ويتحرك فى موجات بالغة العنف .

ومع أن الكورارای لا يفقد المريض شعوره بالألم فقد وجد فيه علماء التخدير مادة ثمينة لأنه خفف مهمة الجراحين إذ جعل المرضى يسترخون فى راحة مما يزيل كثيراً من المضاعفات التى تنتج من حركة المريض ، مما ينبىء لهذا المخدر الجديد بمستقبل جيد فى عالم الطب .

ويرى الأطباء فى هذا المخدر أنه خير علاج لمرض خطير يصيب الشبان فيشل أعصابهم وشفاؤه بالراحة التامة والاستجمام وهو ما يفعله الكورارای فى المريض ويسميه الدكتور بنت بأنه «أقوى وأكمل مخدر عرف لإراحة العضلات وانبساطها » وكلما زدنا علماً بخواصه زدنا استخداماً له فى علاج علل الإنسان .

فوزى الشتوى

أن دمدم وهو يدخل قدميه فى الحذاء : « عجباً ... يخيل إلىّ أن هذا ليس بحذائى ... ومع ذلك فكلا الحذاءين لا يصلح إلا للقدم الشمال ... سميون ما هـذا بحذائى ... فحذائى ذو لسان أحمر ... وليس به ثقوب ... أما هذا فخال من الألسنة الحمراء كما أنه ملآن بالثقوب ! » فالتقط سميون الحذاء ، وأخـذ يقلبه فى كفيه أمام عينيه ... ثم لم يلبث أن قطّب ما بين حاجبيه وقال فى تذمر هذا حذاء « باقل ألـكسندرتش »

— « أى باقل الـكسندريسن ؟ ! » .

— « الممثل ... إنه يحضر هنا كل ثلاثاء ... لابد أنه تحذى حذاءك بدلا من حذائه ... وأحسب أنى وضعت حذاء كل منكما فى غرفة الآخر » .

— « وعلىّ بعد ذلك أن أغيره !. أليس هذا ما ترى إليه ... أيها الأبله ؟ » . فقال سميون فى سخط « أصبت ... إمضى واسترد حذاءك إذاً ... ترى أين يكون الآن ؟ لقد خرج منذ حوالى ساعة .. ومن العبث أن نبحث عنه ... » . فقال مركين « ألا تدرى أين يسكن ؟ ! » .

— « ومن الذى يمكنه أن يدلك على ذلك ؟ إنه يأتى إلى هنا كل ثلاثاء . ولست أدرى أين يقطن ... إنه يمكث هنا ليلة واحدة ... فما من مندوحة سوى أن تنتظر حتى الثلاثاء القادم » . فتحوب مركين قائلا « هنا أتقول هذا أيها الوحش ؟!!. ما عساى أصنع الآن وقد أزف الموعد الذى يجب أن أكون فيه بحضرة قرينة الجنرال « شفليتسين » ؟ . أفقهت أيها الحقير ؟ . آه تكاد قدماى أن تتجمدا ... » .

— « يمكنك أن تستعيد حذاءك قبل ذلك ... احتذى هذا الزوج . وامض به حتى المساء ، ثم اذهب إلى المسرح ... واسأل عن الممثل « بليستوف » وإذا لم تسارع بالمضى إلى المسرح فعليك بالتلبث حتى الثلاثاء القادم إنه لايحضر إلا كل ثلاثاء ... » فالتقط مركين الحذاء وأخـذ يتساءل وهو ينظر إليه باشمئزاز ونفور « ولـكن كيف تعلل أن كلا الحذاءين لا يصلح إلا للقدم الشمال » .

فقال سميون وقد نفد صبره :

« أى قدر قذف بذلك الممثل ؟ إنه لأفقر خلق الله قاطبة ... وقد قال لى « أين الممثل الذى يمكنه أن يبتاع حذاء » فقلت له « ولـكن من العار يا باقل ألـكسندرتش أن تحتذى ما المبرك » فراح يصيح « أمسك لسانك ولا تجعلن أبطش بك ... ألا تدرى أنى أقوم بتمثيل الأمراء والعظماء » . ثم انصرف فى حـذائك ... إنها لعمرى شرذمة من الطغام ... أولئك الممثلين ... آه لو أنى الحاكم بأمره أو أى شخص ذو سلطة « لجمعت هؤلاء الممثلين ... وزججت بهم فى أعماق السجون ... » .

وبين الزفير والأنين ... التقط مركين الحـذاءين الشماليين ولبسهما ... ونهض وهو مقطب الجبين ، كاسف البال يعرج فى خطوته إلى دار الجنرال « شفليتسين » ... وأمضى يومه جُـلّه فى المدينة ينتقل فى أنحائها لضبط بيان كل من يود . وكان يتوهم أن الجميع يتطلعون إلى حذائه الذى عَـفَى عليه الزمان . بلى كمبه ، وذهب لونه ... وقد أصيبت قدماه بالورم من جراء ما كان يعانيه من آلام شتى قاسية ...

***

وما كاد المساء يشمل الـكون ، حتى أسرع مركين إلى المسرح حيث كانت تمثل رواية « الطائر الأزرق » . وكان التمثيل يشرف على النهاية ... فاتصل مركين بعازف الناى فى الجوقة الموسيقية — وكانت بينهما صـداقة — ليعينه على التسلل إلى ما خلف المناظر المسرحية . ثم لم يلبث أن دَنَفَ إلى « غرفة ثياب الممثلين » حيث وجد بعضهم يغير أرديته ، والبعض يدهن وجهه ، والباقى ينفث دخان لفائفه ...

ووقف الطائر « الأزرق » يعرض على « الملك بوبتس » غدارة فى يده ويقول :

— « يجمل بك أن تشتريها ، فقد ابتعتها من « كيرسك » كرهينة بثمانية « روبلات » ، ولـكنى سوف أدعها لك نظير ست فقط ... إنها رائعة بلا شك »

— « حذار ... فهى محشوة بالبارود كما تعلم »

اقترب مركين فى تؤدة وقال :

— « هل لى أن أتشرف بمحادثة السيد بليستنوف ؟ ! »

فالتفت إليه « الطائر الأزرق » وقال :

— « أنا ذا ! ما ذا تبغى ؟ ! »

فأخذ ضابط البيان يقول فى صوت شاع فيه التوسل :

— « معذرة لإزعاجك يا سيدى ، ولكن صدقنى ، فأنا رجل منهوك مصاب بالنقرس المزمن ، وقد أشار على الطبيب بتدفئة قدمى »

— « ولكن أين ما تريد ! »

فقال مركين يخاطب « الطائر الأزرق » :

— « ألست تذكر أ... أنك أمضيت الليلة البارحة فى خان « بهتياف » فى الغرفة رقم ٦٤ » ... فانفجر « الملك بوبش » صائحاً فى غضب كالح: « هه ! ما ذا تقول؟ إن زوجتى فى الغرفة ٦٤ فابتسم مركين : « زوجتك يا سيدى ، هذا يسرنى ، إن زوجتك طيبة قد أشفقت على ضعفى ، وناولتنى حذاء ذلك الرجل اللمث ، وبعد أن مضى ذلك الرجل » . وأشار مركين إلى بليستنوف : « تفقدت حذائى ، ولم أعثر عليه ، فاستدعيت الساقى وسألته عن الحذاء ، فأجابنى إنه تركه فى الغرفة المجاورة خطأ على أثر ما جرعه من الخمر . تركه فى غرفتك ٦٤ يا سيدى » . ثم التفت مركين موجهاً حديثه إلى بليستنوف : « وعندما خلفت زوجة هذا ذلك الرجل الطيب لبست حذائى » . فصاح بليستنوف وقد اجتاحه الغضب : « عم تتحدث ؟ أأتيت هنا لكى تخيل على وتتهمنى بافتراء باطل لا ظل عليه من الحقيقة ؟ »

— « لا ... لا ... يا سيدى ! حاش لله ، لقد أسأت فهمى ؛ لست أتحدث عن شىء سوى الأحذية ... ألم تمض ليلتك فى الغرفة ٦٤ ؟ خبرنى ألم تفعل ذلك ؟ »

— « متى ؟ » . فقال مركين : « ليلة أمس »

— « ما الذى جعل ذلك يدور بخلدك ؟ أأبصرتنى هناك ؟ »

فجلس مركين وأخذ ينزع الحذاء من قدمه ، ثم قال فى اضطراب وتلعثم :

— « لا يا سيدى ... لم أرك هناك ، ولكن زوجة هذا السيد الفاضل ألقت إلى بحذائك بدلا من حذائى »

— « ما الذى يثبت زعمك هذا وافتراءك ؟ لن أقول شيئاً عن نفسى ، ولكنك تمس عفاف سيدة شريفة بالقذف والتجريح وفى حضرة زوجها أيضاً »

وارتفع من خلف المناظر المسرحية عجيج وضجيج ... لقد أهوى « الملك بوبش » الزوج الجريح فى شرفه ، وقد علا سحنته اللون القرمزى ، بقبضته على المنضدة فى وقت بلغ من شدته أن ممثلتين فى « غرفة ثياب الممثلات » سقطتا فى غيبوبة ... صاح الطائر الأزرق :

— « أوَ صدقته ؟ أوصدقت ذلك الصعلوك الحقير ؟ أتود أن أبسُط به الأرض ؟ أترغب فى أن أصرعه أمامك كالكلب ؟ آه ... سأجعل جسده كشرائح اللحم ... سأهشم رأسه ! »

* * *

راح كل من كان يسير فى منتزه المدينة ذلك المساء بالقرب من « المسرح الصيفى » يذكر كيف أنه قبيل الفصل الرابع شاهد رجلا حافى القدمين، شاحب لون الوجه ، تختلج عيناه بالرعب والهلع ، وهو يهرول خارجاً من المسرح منطلقاً ، يركض فى الطريق الرئيسى ، وكان فى أثره شخص آخر مرتدياً ملابس الطائر الأزرق يحمل فى يده غدار ... ولم ير أحد ما حدث بعد ذلك

ولكن شاع بعد فترة من الزمن أن مركين « ضابط البيان » التزم فراشه لا يغادره مدة أسبوعين بعد أن قابل بلستنوف فى المسرح الصيفى ... وكذلك أضاف إلى عبارته المعهودة : « أنا رجل منهوك ، مصاب بالنقرس الزمن » . جملة جديدة : « كما أنى جريح منخوب الفؤاد » ...

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الشتاء سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٦

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الشتاء المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير وذلك اعتباراً من أول نوفمبر سنة ١٩٤٥ .

وفضلا عن أهمية الاعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيدا فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظرا إلى أن الإقبال على الاعلان فيها شديد .

ولزيادة الاستعلام إتصلوا — بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٩٣٨ - الاثنين ٢٤ سبتمبر ١٩٤٥ - السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

العدد ٦٣٨ — الاثنين ٢٤ سبتمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ و ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 638

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 24 - 9 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٨ شوال سنة ١٣٦٤ — ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

أهدافنا القومـــية والقضـــايا العربية

للأستاذ توفيق محمد الشاوى

أمة تكافح في سبيل حريتها ومجدها ، لا يكفي لكي تحقق هذه الأهداف إيمانها بحقوقها فحسب ، بل لا بد لها من الإيمان برسالة إنسانية عالية تؤديها ، وبقدرتها على انتزاع حقوقها وأداء رسالتها ، ذلك الإيمان الذي تبعثه العزة ويغذيه الطموح .

ذلك شأن شعب مصر المجيد الذي علم التاريخ في جميع العصور أن مجده لا يعرف الحدود ، وأن رسالته عالية لا تحدها الأقطار متى نهض للسيادة واستيقظ للكفاح ؛ فكيف يقنع في هذا القرن العشرين بأمل لا يتجاوز القنال ، ومجد يقتصر على ما يسمونه « الاستقلال » ؟ وقد علمته تجارب العصر أن عهد الأمم الصغيرة قد زال وانقضى عصر الدول ، وأصبحنا في عصر « الاتحادات » و « الكتل » ، ولم تعد دولة واحدة تستطيع أن تقف على قدميها وحدها ، إلا إذا احتمت بمجموعة من الدول تشاركها في المصلحة والغاية إن لم تشترك معها في الوطن أو العنصر .

هذه حقائق لا تمر بخاطر طائفة من القاعدين المثبطين ، دأبوا على نقد كل عامل والسخرية بكل داع ؛ قالوا : كيف تشغلون هذا الشعب بقضايا العروبة في فلسطين والشام والمغرب ، وكيف تطالبونه بالجهاد في سبيل هذه الشعوب ، وفي سبيل العروبة والإسلام في كل مكان ، وهو لا يكاد يطيق الجهاد في سبيل استقلاله المحدود ؟ إنكم بذلك تشغلونه عن « أهدافه القومية » بأحلام بعيدة المنال !

تلك والله آفة العاجزين المتخاذلين — يعجزون عن العمل ويجبنون عن الجهاد ، فلا يرضيهم أن يعمل المؤملون أو يتقدم القادرون . ويأبون مواجهة الناس في صورة الجبناء الضعفاء ، فيلبسون لهم مسوح الناصحين ، ويحدثونهم بلهجة الواعظين ، ويرمون سواهم بدائهم ، يزعمون أننا خياليون ، وهم هم الواهمون المتخيلون إذا كانوا يظنون أنه يتحقق لهم « استقلال » في القاهرة إذا بقي الاحتلال في القدس أو الخرطوم أو بنغازي .

كلا والله ، إنها أمة واحدة ، جمعها التاريخ المجيد والعنصر الكريم والقومية العربية ، وجمعتها رسالتها العالمية الروحية . وإنه لوطن واحد مهما تعددت أقطاره من عراق أو شآم أو حجاز أو مغرب أو سودان أو سواها . وإنها لقضية واحدة ، قضية الحرية الإنسانية ومبادئ الأخوة والسلام والعدل التي تمثلها حضارتنا المشتركة . فليسترح دعاة التفريق والتمزيق ، وليكفوا عن مواعظهم ، فإنما هي رقى الاستعمار ودعوة الاستعباد

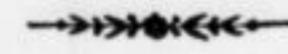
ونحن المؤمنين بحقوق هذا الشعب ، المؤمنين أيضاً بقوته

على هامش (الحادث)

كلمة إلى الجنرال ديجول!

للحقيقة وللتاريخ لا للتشفى والهجاء . . .

الأستاذ على الطنطاوى



رأيت فى سينما ديانا بالقاهرة منذ شهور جريدة الأخبار الفرنسية تعرض صوراً من انهيار ألمانيا ، فترى المهاجرين من النساء والعجائز هائمين مشردين ؛ ثم تعرض منظراً مثله كان فى فرنسا يوم انهزمت فرنسا ، ويعقب المذيع فيقول بصوت خافت رهيب : « إن فى الكون عدلا ! » وترى المدائن المخربة ، والذعر البادى ، والدمار الشامل ، ثم تعرض مثل ذلك مما كان فى فرنسا ويعقب المذيع فيقول : « إن فى الكون عدلا » !

نعم ، يا جنرال ، إن فى الكون عدلا ! ولكن قومكم ما استوفوا بعد قسطهم من عدل الله ، وآية ذلك أنكم أصبتم فبكى لكم أعداؤكم ، ورحمكم خصومكم ، وكنتم عند الناس ضحية القوة العاتية ، وشهداء العدوان المجرم ، وكنت تثير الدنيا على الألمان أن حاربوا قومك ، وقومك هم أعلنوا الحرب ، وهم تقدموا إليها ، وهم (زعموا) بنوها ، قد غدوا بلبانها ، وربوا فى ميدانها ؛ فلما نبت ريشك ، ورُدّ عنك عدوك ، وأغضى عنك الدهر إغضاءة ، نسيت كل ما كنت فيه ، وما كنت تقوله وتخطب به ، وأقبلت تجرب سلاحك فينا ، فأخذتنا على ساعة غرة بحرب ما آذنتنا بها ، ولا أعلنتها لنا ، فسخرت لقتالنا مدافعك وطياراتك ، ويا ليته كان سلاحك يا أيها المحارب الظافر، ولكنه سلاح أعطيته عارية لتحارب به عدو صاحبه وعدوك ، فحاربت به قوماً آمنين ! حاربت يا أيها البطل النساء فى الخدور ، والأطفال فى المدارس ، والمرضى فى المستشفيات ... وما هابك النساء ، ولا الأطفال ولا المرضى ، ولا رفعوا مثل العلم الأبيض ، الذى رفعه قومك حين كان لهم سلاح ، وكان لهم خط ماجينو ، لأن لهم من إيمانهم حصناً لا تهدمه قنابلك ، ولا تحرقه نارك !

وهذا الجيش (يا جنرال) الذى عقدت له اللواء ، ورفعت فوقه العلم ، وائتمنته على شرف فرنسا وتاريخها ، قد أهوى باللواء ، وطوّح بالعلم ، وعبث بالأمانة ، حين سطا على المخازن ، فكسر أقفالها وفتح أبوابها ، وأخذ ما فيها ، وذلك فعل اللصوص لا الجنود !

ثم عاد فأوقد فيها النار ، فأحالها إلى جهنم الحمراء ، ليخفى باللهب سرقته ، وذلك صنع المجرمين لا المقاتلين !

ثم وقف يتربص ، فكلما أقبل من يطفئ النار ، وينقذ الأطفال رماه فأصماه ، وذلك عمل القتلة السفاكين ، لا الأبطال المحاربين !

جيشك هاجم المستشفى الوطنى ، وسلط ناره من أفواه رشاشاته ومدافعه على الجرحى والمرضى ست ساعات متواصلات متتاليات ، ولم يقدر بعد ذلك إلا على أربع ممرضات شواب أخذهن «سبايا»!

جيشك يا رجل الديمقراطية ، يا سليل من أعلنوا حقوق الإنسان ، هاجم البرلمان وفعل به الأفاعيل ، ومثل بشرطته فبقر بطوناً ، وسمل عيوناً ، وقطع أطرافاً ، وها هو ذا البرلمان تركناه ليشهد عليكم أبداً ، فتعال تر الدماء على جدرانه المصدعة ، وأبوابه المحطمة ولقد وجدوا صندوق البرلمان وفيه المال ... وجدوه بعد ذلك فى دار القيادة الفرنسية ، وهم طبعاً لم يسرقوه ، ولكن أخذوه ليحفظوه !

جيشك رمى قنابل الطيارات على السجون ، حيث لا يملك

وحيويته ومجده ورسالته لا نفتأ نذكره بمجده العظيم الذى يعشقه ويصبو إليه ، ونذكره بقضايا الوطن العربى الواسع الذى يزيد اتساعه قوة وأملا ، وندعوه المرة بعد المرة لإنقاذ إخواننا المجاهدين فى كل قطر ، واثقين من قدرته على استعادة مجده وأداء رسالته بفضل حيويته وتضامنه مع الشعوب العربية الأخوى ، موقنين أننا إنما نعبر عن روحه الوثابة التى أنشأت امبراطورية عربية عظيمة فى بضعة أعوام فى عهد عاهله العظيم « محمد على » ، عالمين أن « الاستقلال » هو أول الأهداف لا نهايتها ، وبدء الجهاد لا غايته التى تتسع لكل ما يصبو إليه العرب والمسلمون من عزة وسيادة ووحدة ، وماينتظره العالم منهم من رسالة إنسانية سامية خالدة

تلك هى « أهدافنا القومية » ، فمن كان يقنع بما دونها فليس من سلالة الفراعنة ، ولا من روح العرب ، وليس له إلا أن يفسح الطريق لركب المجاهدين الطامحين العاملين لعزة العروبة ورسالتها .

توفيق محمد الشاوى
مدرس بكلية الحقوق — بجامعة فؤاد

من فيها فراراً ، فجعل السجن لمن فيه قبراً !

المستشفى العسكرى يا جنرال جعله جيشك قلعة فيها مدافع الهاون ، ومنه أحرق سوق صاروجا هذا الحريق الذى أكل ثلاثاً وتسعين داراً ... ومدرسة الفرنسيسكان كان فيها الرشاشات ، تطلقها بأيديها الطاهرات ، الراهبات المتبتلات ، ذوات الرحمة المسالمات !

نسخة التوراة التى سرقت من سنوات ، وهى أقدم نسخة فى العالم ، وجرت لها تلك المحاكمة المشهورة ، وقضى على طائفة من الأطناء بأشد العقاب ، وجدت فى دار المستشار الفرنسى لما كبست بعد الحادث داره ، ويقدر ثمنها بنصف مليون فرنك !

القاضى الفرنسى الذى جئتم به إلى المحكمة المختلطة ، لأن قضاتنا فى دعواكم لا يُطمأن إلى علمهم ونزاهتهم ، المسيو سيرو ، وجد فى داره رشاش كان يقتل به الناس فى تلك الأيام السود ، وهو الذى جئ به ليقضى على القتلة والمجرمين !

إن بطريرك موسكو وكل الروسيا ، كان فى فندق الشرق (أوريان بالاس) يوم الحادث ، يوم عصفت هذه العاصفة فى رأس قائدك أوليڤاروجه ، فنسى كل ما يعتز به البشر من فضائلهم — فلبث فى الملجأ المظلم تحت الأرض ليلة كاملة ، قال لما انقضت : « لقد كنت فى ستالينغراد يوم ضربها الألمان ، فما رأيت أكثر مما رأيت الليلة » !

ولما قدمت دمشق زوجة رئيس الجامعة الأميركية فى بيروت السيدة دودج ، ورأت آثار العدوان ، قالت : لقد قتل ابنى الوحيد فى فرنسا ، فكان يصبّر النفس عنه أنه مات فى سبيل الحق والإنسانية ، أما الآن ، فواطول حزنى وكمدى ، لقد أيقنت أن ابنى مات فى سبيل (لا شىء) !

* * *

يا جنرال ! لما ذهبت أزور القلعة بعد الحادث بأيام لم أستطع أن أدنو منها من رائحة الموت ، إذ تفوح من آلاف الجثث ، جثث الأبرياء التى كانت بالأمس رجالا كراماً ، كانوا ملء الدنيا حياة ونشاطاً ، وكانوا ذخر عائلاتهم وبلادهم ، فصاروا ... أكواماً من اللحم العفن الذى يؤذى العين والأنف !

لم ينج من شر جيشك الأحياء ولا الأموات . ولقد أبصرت فى (الدحداح) قبوراً قد نبشتها القنابل ، وقذفت رممها ، أفإن عجزت عن حرب أعدائك الأقوياء ، جئت تحارب موتانا ؟

لقد كان ذلك كله ، وكان أكثر منه ، أفهذا من العدل الذى تهتف به ؟ لا يا جنرال ، إن كلمة « العدل » أكرم من أن تمر على لسان مر منه ذلك الأمر الهمجى بضرب دمشق أقدم مدينة عامرة على ظهر الأرض بلا استثناء ، وأكاد أقول أجملها . إن الشفاه التى تعرف كلمة « العدوان » ، لا يمكن أن تألفها كلمة « الحق والعدل » !

* * *

ولكن « فى الكون عدلا » ! نحن نقولها الآن ! وإن من عدل الله أن جعل صبرنا نعمة علينا ، وعدوانكم وبالا عليكم !

لقد انتهت الرواية ، وأسدل الستار ، فتعال ننظر ما ذا ربحنا وما ذا ربحتم ؟ لقد خسرنا منازل من أحسن منازلنا ، ورجالا من أكرم رجالنا ، وملايين من حرّ أموالنا ، ولكنا ربحنا الخلاص منكم ، والاستقلال عنكم ، وسنبنى الدور ، ونلد الرجال ، ونعوّض المال ، فما ذا ربحتم أنتم ؟ ما ذا ؟ يا من كشفت للناس عن حقيقتك ، وأنك ما خلقت لتسوس الأمم ، ولا لتحكم الشعوب ، ربحت بغضاء لا تمحى . لقد أسأت إلى التاريخ الفرنسى والثورة الفرنسية والأدب الفرنسى ، ولطخت بالوحل أسماء كانت فينا لامعة نظيفة ، وكان لها فى النفوس مكان ، وسيتوارث العرب كلهم والمسلمون هذه البغضاء بطناً بعد بطن ، وستزيد وتعظم ، وتغدو تراثاً مقدساً ، لا يشذ عنه إلا هؤلاء النفر من الأدباء الذين باعوا دينهم وإخوانهم بذكريات غرام لهم هناك ... وهؤلاء ليسوا منا !

لقد أثمرت هذه البغضاء باكورتها ، فلم يبق فى سورية كلها لوحة عليها حرف فرنسى يقرأ فى طريق ، ولا كتاب فرنسى يدرس فى مدرسة ، ولقد كان مهرجاناً قومياً يوم أحرقت فيه الكتب الفرنسية فى مدن الشام !

وبعد يا جنرال ، إن فى الوجود شيئاً أعظم من الدبابات والطيارات والقنابل الذرية ، هو حب الموت !

فالذى لا يخاف الموت لا تخيفه آلاته مهما جلت وعظمت ، فمن يطلب الموت فهو أكبر من الموت ، لأنه أكبر من الحياة ، ونحن قوم علمنا نبينا محمد ألا نخاف الموت فى سبيل الحق ، فلن يخيفنا شىء فى الدنيا !

(دمشق)

على الطنطاوى

قاضى

قبل الكارثة :

اليـــابان الغامضة

[صورة لحياة هؤلاء الذين أقاموا أحد شعبين من أعظم شعوب العالم تعصباً]

للأستاذ ويلارد بريس

لعل أهم مايميز اليابان عنا معرفتها إيانا وجهلنا بها ، فإن من أهم مبادىء الحرب هى « أن تعرف عدوك » كما أنه من ضروريات العالم فى زمن السلم هى « أن تعرف جارك » . فاليابان هو القطر الذى لا تستطيع أبصارنا أن تنفذ إليه ، وكلما مددنا البصر نحوه لم نر غير صورة مصغرة منا ، ولعل هذه الحال قد جاءت من خلل فى المرآة التى تعكس صورتها لنا ، أو لعلها من خداع أبصارنا . فقد تتلمذ اليابانيون علينا واستمدوا منا وسائلنا وأخذوا عنا طرقنا ويخيل إلينا أنهم قد أخذوا عنا كل ما يعرفونه .

إن سر اليابان يحجبه عنا تلك المرآة التى خاتلتنا وعبثت بنا ، فقد بذل اليابانيون جهداً حثيثاً فى سبيل منعنا من التسلل إلى شعاب حياتهم ومعرفة شىء عن دنياهم الغريبة . فاليابانيون لا يسمحون إطلاقا للأجانب بأن يتسللوا إلى بيوتهم أو يتعرفوا حياتهم الخاصة ، ومهما تكن العلاقة طيبة فإن الزائر يشعر دائماً بأن هناك حداً لا يستطيع أن يتعداه . وقد تزوج بعض الأجانب بامرأة يابانية وعاش حياة يابانية فى منزل يابانى وكتب كتباً شائقة عن اليابان ، ولكنه مع ذلك يعترف فى النهاية بجهله باليابانيين ، فقد جاء فى آخر كتبه عن اليابان ما نصه : « منذ زمن بعيد قال لى أطيب وأعز أصدقائى من اليابانيين قبيل وفاته ... عند ما تشعر فى خلال السنوات القادمة أنك لم تستطع أن تفهم اليابانيين إطلاقاً ، حينئذ تكون قد ابتدأت تفهم شيئاً عنهم » .

واللغة اليابانية تجعل التفاهم عسيراً ، فقد استطعنا خلال خمس سنوات قضيتها فى اليابان مع زوجتى أن نتكلم اللغة اليابانية بقدر ولكن لم نستطع قط أن نقرأها أو نكتبها ؛ هذه الحقيقة تتمثل عند معظم الأجانب . وقد طلب بعض الأجانب من عميد أمريكى لإحدى جامعات طوكيو — وقد كان فى اليابان منذ ثلاثين عاماً — أن يكتب مذكرة له باللغة اليابانية ، فنظر إليه بدهشة ثم قال : لكن ساءه توجيه مثل هذا السؤال « إنى لا أكتب اليابانية .. نحن نتكلمها ولكننا لا نكتبها » ثم تركه واتجه نحو حجرة الدراسة ليحاضر طلبة يابانيين باللغة اليابانية .

ومن بين الصعاب التى تواجهنا أن نجد رجالا من بنى جنسنا قد تملكوا ناصية اللسان اليابانى حقاً ولا يتسرب الشك فى إخلاصهم ، وقد زار أحد الإخصائيين فى كاليفورنيا اليابان فى فترة مضت فسألته عن عدد الأمريكيين الذين صادفهم ممن استطاع أن يستوعب اللغة اليابانية ... وبعد أن أعمل فكره قال إنه يعرف ثلاثة منهم . ومن الطبيعى أن يكون هناك فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة أفراد يتقنون اللغة اليابانية ، ولكن يبدو أن هذا العدد لاحساب له إذا ما قورن بعدد اليابانيين الذين يتقنون اللغة الإنجليزية .

وقد تساءل أحد الطلبة اليابانيين فى عجب إذا لم تكن اللغة اليابانية تدرس فى المدارس الأمريكية . وقد بدت هذه الفكرة مضحكة للوهلة الأولى ، فكرة تدريس اللغة اليابانية فى المدارس الأمريكية ، ولكن بعد تدقيق النظر يبدو أنها لم تكن كذلك .

ويظهر أن للمعلومات الإنجليزية شأناً كبيراً فى الحياة اليابانية ، فهم يعتصرون من حضارتنا كل ما من شأنه أن يفيدهم . وقد رأينا كثيراً من الكتب الإنجليزية مكدسة فى نواحى غرف الدراسة فى إحدى جامعات الامبراطورية أمثال « الذوق الأدبى لأرنولدبنيت » و« بيجماليون لبرناردشو » و« دكتور جيكل والمستر هايد لستيفنسون » وقد يستطيع أصغر التلاميذ سناً فى المدارس الابتدائية اليابانية أن يكتب عن حياة وشنجتون أو أديسون أو فورد ، وإنك لترى الكثير من حيطان غرف الدراسة خالية إلا من صورة للرئيس لنكولن .

لم تعد اليابان بعد فى عزلة عن العالم فهى الآن تنظر إلى العالم كله وتحتاج إليه ، ولم يكن لمحاكاة اليابانيين لنا فى البداية أى ضرر . فقد مدحنا وكان لنا فيما وقع لبعض صغار اليابانيين من سهو تفكهة وتسرية لنا ، فمنذ ما سارت القطر الحديدية فيها للمرة الأولى وأخذوا يدفعون إلى ركوبها كانوا يتركون أحذيتهم على رصيف القطار لأنهم تعودوا ألا يدخلوا بيتاً قط وأحذيتهم فى أقدامهم . وقد حطموا زجاج النوافذ عند ما أخذوا يطلون برؤوسهم منها

غير منتبهين إلى طبيعة الزجاج الشفافة ، فكان لزاماً إذن أن يُخط عمود أبيض على لوح الزجاج حتى يشعروا بوجود شيء صلب ، كما علقت لوحات كبيرة على وجهات المحلات كتب عليها « هذا زجاج » . وكانوا يراقبون أسلاك التلغراف محاولين رؤية الرسالة وهي تسير خلال السلك ، وقد قال بعضهم إن السلك لابد أن يكون مجوفا ، وقال البعض الآخر إنه لابد أن يكون متحركا ، أما أهل القرى فقد قالوا إنه من عمل الشيطان . وعند ما أدخلت المسرات لأول مرة قيل عنها إنها السبب في انتشار مرض الكوليرا الذى ينتقل من المتكلم إلى السامع . وقد ارتكب اليابانيون أخطاء كثيرة عند ما حاولوا أن يقلدوا آلاتنا . وقد ساد الشعور بأن اليابانيين قد أصبحوا صورة لنا ولكنها صورة شاحبة جداً ، ومع ذلك فقليل من يدرك أن هذه الصورة الفطرية الأولى قد تغيرت إذا نظرنا إلى ما طرأ على الحياة اليابانية الصناعية من تطور .

وقد علَّم صناع القطن فى منشستر اليابانيين كيف يغزلون القطن ثم يبيعونه ، وسرعان ما استطاع اليابانيون أن يصنعوا منه أقمشة قطنية ويرسلوها حول نصف العالم ثم يبيعوها بثمن أقل مما تباع به تلك التى صنعت فى منشستر ذاتها ... ولكن ليس هذا أسوأ ما فى الأمر ، فقد اخترع اليابانيون نولا أوفر إنتاجا وجهود أقل ، فبينا نرى فى مصانع لانكشير فتاة واحدة تباشر ثمانى آلات نجد فى مصانع اليابان أن فتاة واحدة تباشر ستين آلة . وقد أبت لانكشير أن تصدق ذلك إلا بعد أن غمرت المنسوجات القطنية اليابانية أسواق العالم جميعه بأثمان تتراوح بين الثلث والعشر من أثمان المنسوجات القطنية المصنوعة فى لانكشير .. ومن ثم تحول قطب الصناعة القطنية فى العالم إلى اليابان حتى أن رجال الصناعة فى لانكشير قد انتقلوا إليها ليدرسوا الصناعة القطنية فيها ؛ وفى هذه المرة دفعوا مليون ين فى سبيل الحصول على حق استخدام الأنوال اليابانية فى مصانع لانكشير .

وفى نفس الوقت الذى بدأ فيه الإنجليز يستخدمون الأنوال الجديدة أخذ المهندسون اليابانيون يبذلون جهدهم فى سبيل تحسين أنوالهم وتصميمها بحيث يجعلونها أعظم كفاية ، ويتمثل مبلغ نجاحهم فى الحقيقة العجيبة الآتية ، فقبل أن توقف الحرب الحالية حركة التجارة كانت تشترى اليابان قطنها الخام من الهند ثم تدفع مصروفات شحنه إلى اليابان ثم تصنعه وترسله مصنوعاً إلى الهند وتدفع تكاليف شحنه إليها كما تدفع ضريبة الجمرك ، ومع ذلك كله فقد كانت تبيع إنتاجها منه فى الهند بأقل من أثمان تلك المنسوجات القطنية التى كانت تصنع فى الهند ذاتها . وفى منافسة اليابان للانكشير حيث مستوى أجور العمال ومعيشتهم عال شيء ، ومنافستها للهند حيث مستوى المعيشة والأجور منخفض حتى عنه فى اليابان شيء آخر ، فإن هذا يهدد الصناعة القطنية فى جميع أنحاء العالم .

وقد احتلت اليابان منذ زمن بعيد الصدر فى صناعة الحرير إذ كانت تنتج أكثر من ٧٠ ٪ من إنتاج العالم فى الحرير ، وليس هذا لملاءمة جو اليابان لصناعته فحسب ، بل لأن اليابانيين أحدثوا من الوسائل وأدخلوا من الآلات الحديثة ما مهد لهم سبيل السبق فى هذا المضمار . وقد بحث الغربيون عن وسيلة يستطيعون بها أن ينالوا من اليابان شيئا فى هذا السبيل فأنشأوا صناعة « الحرير الصناعى » ، ومن ثم رأت اليابان أن صناعتها الحريرية قد أصبحت مهددة ، ولكن سرعان ما استطاعت أن تنافسهم وأن تصدر من الحرير الصناعى أكثر مما يصدره أى قطر فى العالم ، أما تطور صناعة الجوت فى اليابان فهو يصور ناحية مدهشة لدى البحث العلمى فيها .

وإنه لتبدو لك فكرة واضحة عن صناعات اليابان إذا ما حلقت بين طوكيو وكوبى فوق العمود الفقرى للصناعات اليابانية ، وقد أطلقوا عليها « حلم قاذف القنابل » ، فليست هناك صناعات حربية لأمة من الأمم أوضح هدفاً وأسهل منالا للغارات الجوية مما هى فى اليابان ، ففى خلال ثلاث ساعات قد تستطيع قاذفة قنابل سريعة أن تصيب أهم أهدافها ، ولكن من الخطأ أن نعتقد أن سقوط بعض القذائف فوق طوكيو قد تلحق بها أضراراً بعيدة المدى ، فإنك إذا نظرت إليها من عل وأنت فى طائرتك علمت لماذا كان الأمر غير ذلك ، فترى شيئاً أشبه برقعة الشطرنج فيما عدا أن كل مربع يفصله عن المربعات التى تجاوره طرق فسيحة أو قنوات ، فإذا سقطت القذيفة فوق إحدى هذه المربعات امتد فيها اللهب جميعاً ولكن تظل المربعات الأخرى المجاورة فى مأمن منها . وقد لجأت اليابان إلى هذه الخطة على أثر زلزال عظيم لكى تحد من ضرر الحرائق وتحصرها فى نطاق ضيق . وعلى كل فإن طوكيو ليست أفضل أهداف قاذف القنابل ، ففيها حقاً مصانع كثيرة

ولكنها متفرقة ، ولكن هذه الحال تختلف فى ناجويا وأوزاكا وكوبى حيث تتجمع وتتكتل الذخائر والمؤن الغذائية والطواحين ومصانع الحديد وأحواض السفن مما لا يترك مجالا للشك فى أن تصيب القذيفة هدفاً حيويا ، وحيث يبدو للملاحظ الجوى أن كل هذه المنشئات الصناعية اليابانية الحديثة هى بنات أفكار الغرب قد انتقلت إلى اليابان واستحالت إلى صورتها الراهنة فى أقل من ثمانين عاماً .

ويشتهر عن اليابانيين أنهم يقلدون كل شىء ولكنهم لا يبتكرون شيئاً ، هذه الصفة الشائعة هى نصف الحقيقة فقط ، فهم يخترعون بالقدر الذى يقلدون به ، ففى المكتب الامبراطورى لمنح رخص الامتياز يشتغل نحو من ٨٠٠ خبير يتسلمون كل عام نحوا من مائة ألف طلب لمنح رخص الامتياز ، وفى كل عام يمنح نحوا من عشرين ألف رخصة امتياز ، وإن مصانع أوربا وأمريكا لترقب باهتمام الاختراعات اليابانية وتقتبس كثيراً منها .

وإنه ليخيل إلينا أن آلاتنا الكاتبة تلك التى تحوّل ستة وعشرين حرفاً إلى كلمات معجزة من معجزاتنا ، فما ظنك إذن بالآلة الكاتبة اليابانية التى تتجمع فيها مجموعة من الرموز لآلاف الحروف ؟

وكان من بين ما عرض فى أحد معارض الاختراع هذه الاختراعات : آلة للصور المتحركة للاستعمال المنزلى ، جهاز للتلفزيون يستخدم فى البيت ، سيارة تستطيع أن تنحرف بسرعة فى شتى الاتجاهات ، آلة تختبر بها البيضة إذا ما كانت طازجة دون أن تفتحها ، مادة للبناء مصنوعة من قشر الأرز المهمل ، آلة متحركة للتصوير تستطيع أن تلتقط ٦٠٫٠٠٠ صورة فى الثانية وهى سريعة بحيث تصور حركة الموجت الصوتية .

وهناك جامعة غريبة ليس غرضها تعليم الفنون وإنما غرضها الرئيسى الابتكار والاختراع . وقد أخذتنى الدهشة عندما دخلت بعض الدور حيث كانت تجرب وتختبر بعض الاختراعات الحديثة ؛ فهنا أحد الباحثين الذين يبحثون فى تركيب المطاط ، وباحث آخر يجرب دهاناً للتلوين لا تكون له قشرة ، وثالث يختبر مادة من الأسمنت لا تتشقق ، ورابع يجرب عضواً آليا يتحرك بنفسه دون أن يمسه أحد ، فقط إذا ما مر به أحد يده خلال الهواء . وقد دخلنا مخزناً يشبه الثلاجة كانت درجة حرارته ٤٠° فرنهيت تحت الصفر فتساءلت عن الفكرة فى ذلك فعرفت أن الغرض من ذلك هو إيجاد جو يشبه شتاء منشوريا تجرب فيه مدى تحمل بعض المواد فى مثل هذا الجو ، وقد دخلنا غرفة أخرى كانت حرارتها عالية تبلغ ١١٠° ودرجة رطوبتها ٨٥ ٪ وهى تمثل المناخ المدارى داخل أربعة جدران ، وإنك ترى أن اليابان قد امتدت إلى المنطقة المدارية . ومن يدرى لعلها تمتد فى أحد الأيام إلى المنطقة الحارة . وعلى كلٍ فيجب علينا أن نستعد علميا لذلك اليوم إذا ما جاء ، ولذلك فقد أنتجنا مواد للبناء وأطعمة وملابس وأدوية تلائم مثل هذه الجواء ، ثم ذهبنا إلى أحد أقسام الهندسة حيث كانت تمارس بعض التجارب لبناء منازل من الحجر والصلب تتحمل هزات الزلازل وضربات القنابل ، فإننا نعلم أن اليابان معرضة للغزو من الجو ولكن سيذهل العدو حينما يحس بالمقاومة العجيبة لمنازلنا الحديثة وهو فوق كبرى مدننا .

ويبدو لنا أن كل يابانى ينظر بإحدى عينيه الآلة التى فى يده وبعينه الأخرى إلى السياسة الدولية ، فقد قال الدكتور « كيفوشيتا » نحن نحب اليابان أولا ثم العلم ثانيا . هذه هى أعظم نواحى اليابان العلمية خطراً ذلك أن يقتصر العلم على نفع اليابان دون العالم ، فالعالم الحقيقى هو الذى يصادف انتشار المعرفة الإنسانية هوًى فى نفسه ولذة دون أن يحسب حسابا للحدود السياسية ، ولكن لشد ما يدهشك من العالم اليابانى أنك تراه يعتقد بهذه الأسطورة الخيالية التى تشير بأن الامبراطور هو من سلالة آلهة الشمس ، ولذلك فهو يستمد حقه الالهى فى حكم الأرض .

وقد أرهقت الحرب قوة الاختراع فى اليابان ، فقد تفادوا النقص فى الحديد بصنع الراديو والمفصلات وقبضات أيدى الأبواب بالورق المضغوط ، واستعاضوا عن اللبد بمادة مصنوعة من عشب البحر والأصداف ، وأنتجوا من قشرة السمك جلوداً يستعيضون بها عن النقص فى الجلود ، ولنقص الصوف صنعوا شيئاً يماثله من مادة السوياتين ، ولحاجتهم لإبر الفونوغراف استعاضوا عن الصلب فى صنعها بمادة البامبو ، وصنعوا الدراجات من الورق القوىّ بدلا من الحديد ؛ وقد أنشأوا سيارات تسير بفحم الحطب بدلا من الجازولين .

والبحث عن اللآلىء هو أعظم أعمال اليابانيين مهارة ، وفى العادة قد توجد فى كل بضعة مئات من ألوف الصدف صدفة واحدة

تحوى لؤلؤة ، وإنه لأيسر أن نبحث عن إبرة فى كومة من القش عنه فى بحثنا عن لؤلؤة فى داخل صدفة ، وإنها لخبرة مسلية أن تزور إحدى مناطق اللآلى ، حيث ترى الفتيات يغصن لمسافة عشرين قدما فى قاع البحر ليجلبن الأصداف التى توضع فى قصعة ثم تؤخذ إلى المعمل لفحصها .

وقد كان منزلنا المصنوع من الورق على شاطىء البحر فى هياما منزلا جميلا ولكنه لم يكن مريحاً ، وكان علينا أن نعيش فيه عاما على أقل تقدير تلك الحياة التى يعيشها اليابانيون لنستطيع أن نفهمهم حق الفهم ، ولكننا أحضرنا فى نهاية ذلك العام بعض وسائل الراحة كالأسرّة والمناضد والكراسى والمدافىء . ولتتخيل معى ليلة من ليالى الشتاء الرطبة فى بيت بابه من الورق خالٍ من المواقد اللهم إلا من موقد مملوء بالرماد الذى يعلوه بعض حطم الفحم الملتهب . ولا يمكننا أن نشعر بالدفء إلا إذا اقتربنا من اللهب ؛ فصفير الهواء لا ينقطع من خلال شقوق المنافذ ، وفى هذه الحال يمكنك أن تغلق النافذة الخشبية الخارجية ، ولكن سرعان ما يسود الغرفة بذلك ظلام حالك . ومع ذلك يظل الهواء البارد نافذاً إلى الغرفة من خلال أرضيتها . ولكى تدفأ فعليك إما أن تنام أو تظل فى حركة مستمرة ؛ ولكن الإنسان لا يستطيع أن يظل فى فراشه طويلا ، وعلى ذلك يصبح الرد الطبيعى هو العمل . وقد يكون هذا هو أحد الأسباب التى يعزى إليها نشاط اليابانيين الدائم ، فخير للياباني أن يحرث ويزرع فى الحقول الملأى بالطين من أن يستكن فى منزله ، ولكن لسوء الحظ ليس لديهم حقول يزرعونها . وإن النتيجة الطبيعية لهذه الحياة الصعبة أن العسكرى اليابانى أصبح لا يحس فى الميدان ذلك الإرهاق والضيق اللذين يحسهما الجنود الذين تعودوا حياة أرقى فى مستواها .

وفضلا عن ذلك فإن اليابان يعوزها تقدير الحياة البشرية ؛ فنحن نؤمن بأن نعيش لوطننا ولكن اليابانيين يؤمنون بالموت فى سبيل وطنهم ، فهم يتعلمون منذ نعومة أظفارهم بأن الفرد لا قيمة له . ولا يؤمنون بمذهب الفردية بل بمذهب الجماعة ، فاليابانيون يميلون إلى العمل الجمعى وقد برعوا فيه . ولا يحكم اليابان دكتاتور بل يحكمها جماعة من الأفراد ، وامبراطورها يمثل رمزاً مقدساً . وإذا ما علا صيت أحد أفراد الحكومة أو علت منزلته فإنه كثيراً ما يغتال . ويستذكر الطلبة دروسهم جماعة . وهناك مثل يابانى يقول : « إن يابانياً واحداً غبى واثنين غبيان » ، وتتكتل جيوش اليابانيين جماعات ، وهذه أحد الأسباب التى يعزى إليها بطولتهم فى الحروب . وتبدو مهارة الطيار اليابانى عندما يعمل مع سربه ولكنه حينما ينفرد يفقد ميزته كطيار ولكنه قلما ينفرد فى حرب الجو أو فى البحر والبر لأنها جميعاً تتطلب العمل الجمعى .

والانتحار شائع بينهم بكثرة ، لأن الفرد يعتقد أنه لا يستحق وجوده أو يستأهل حياته إذا لم يحتفظ بنفسه كريمة بين أقرانه . وإن من المبالغة أن نذكر أن الجندى اليابانى يرغب فى الموت ، بل إنه يفضل أن يعيش ، ولكنه قد أشرب دمه فلسفة الموت تماماً . ولم يعلّم حكمة البقاء التى تتيح له أن يحارب مرة أخرى فى يوم آخر ، فالجيوش اليابانية لم تدرب على خطط الانسحاب ، لأنه لا يدور بخلدهم أن ينسحبوا . وقد صدرت التعليمات إلى الجنود بأن خيراً لهم أن يموتوا من أن يقعوا أسرى حتى لا تلحق رعاياهم الحطة والمذلة إذا ما أسروا ، ولكن أى نخرقد يصيبهم عندما تعود أشلاؤهم إلى الوطن ، حيث تأله فى معبد «ياسوكونى» المقدس الذى يتوجه إليه الإمبراطور بنفسه ، لينحنى أمامه على روح هؤلاء الجنود الشهداء الذين ضحوا فى سبيله .

عمر رشدي

نظرية كونفوشيوس الدينية

للأستاذ أبو بكر هو غانجين الصينى

١ – هل كونفوشيوس نبى ؟

اعتقد الشعب الصينى فى ذات كونفوشيوس منذ قدم الزمن اعتقاداً جازماً ما اعتقده اليهود فى موسى والمسلمون فى نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام وعظموه تعظيما لا يقل عن تعظيم النصارى لذات المسيح والبوذيين لذات بوذا ، فأقاموا له الهياكل والمعابد يتقربون إليه فى أعياد ميلاده ووفاته ، ونصبوا له التماثيل والنصب والأخشاب التى كتب عليها اسمه يقدسونه ويعبدونه ، وخصوصاً فى الأيام الملوكية . قبل ثلاثين سنة كان الأطفال والتلاميذ الشباب يذهبون إلى المدرسة القديمة الطراز ويركعون له ركعات ويطلبون منه التوفيق والإلهام ، كما فعله المتدينون لإلههم المقدس بديع السموات والأرض وما بينهما . ولكن الواقع لم يكن كونفوشيوس نبياً مرسلا بمعنى أنه يوحى إليه بالحق ليبلغه الناس ، ولم يدع ذلك بل أنكر أن يكون نبياً وذا مروءة . قال فى الفصل السابع من كتاب الحوار :

« أما الأنبياء الحكماء وذوو المروءة ، فكيف أجترئ على ادعاء رتبتهم ؟ وغاية ما يجوز أن يقال فى حى أننى رجل يعمل جهده من غير ملل ، ويعلم غيره من غير تعب . فقال كونغ اسى هوا (أحد تلاميذه) : وهذا هو الذى لا يمكن أن نتعلمه »

غير أن المسلمين ما داموا اعتقدوا أن هناك أنبياء لم يقصص الله علينا أخبارهم ، كما نص القرآن الحكيم ، وما داموا اعتقدوا أن لكل أمة نبياً أو أنبياء يرشدونها إلى سواء السبيل ، وما داموا اعتقدوا أن الأنبياء يزيدون على مائتين وعشرين ألفاً ، فإن كونفوشيوس قد يكون منهم ، لأنه يعرف الإله مدبر الكون ، وإن لم يتصد لتعليمه الناس ، ولأنه يقيم نفسه للحق ينشره بين الناس ليرجعوا إليه فى كل معاملاتهم ، ولأنه يبين لهم الآداب الفاضلة ليتخلقوا بها ، والأعمال الفاسدة الرذيلة ليتجنبوها ، فهو مصلح للأمة متدرج من الأفراد والأسر إلى المجتمعات ، وليس كالسياسى يعالج أمراض الأمة الظاهرة من الخارج لا من الأساس ، فهو نبى من الأنبياء ، قد عمل أعمالهم وأدى واجبه كما أدوا ، بقطع النظر عن تعظيم الشعب الصينى له وإجلالهم إياه فوق ما يجب

٢ – هل الكونفوشيوسية دين ؟

اختلف العلماء فى هذه المسألة ، فقال فريق : إن التعاليم الكونفوشيوسية هى دين كسائر الأديان فى العالم ، لأنها لا تخلو عن الإرشادات القيمة التى تحض الإنسان على عمل الخير ، وترك الشر ، والتى تدعوه إلى الحياة السعيدة الهنيئة بالتحلى بالفضائل ، والتخلى عن الرذائل ، وهى تأمر الناس بالمعروف ، وتنهاهم عن المنكر ، وهى النصيحة عينها . وهذه الأشياء من خصائص الدين وغاياته ، فهى دين بلا شك ، وهذا الفريق هو الذى يريد أن يجعل الكونفوشيوسية ديناً رسمياً للحكومة الصينية والشعب الصينى

يقول الفريق الآخر : إن التعاليم الكونفوشيوسية إنما هى فلسفة عالية وحكم غالية كسائر الفلسفات فى الأخلاق والسياسة وليست ديناً ، لأنها لم تبحث عن الإلهيات كوجود الإله وصفاته وأفعاله ، ولا المغيبات كالجنة والنار والثواب والعقاب ، ولا الصلة بين الله والإنسان ولا بينه وبين الموجودات . يقول تس كونغ أحد تلاميذه النوابغ :

« يمكن أن تسمع أحاديث الأستاذ فى الفضائل والآداب ، ولا يمكن أن تسمع أحاديثه فى النفس الإنسانية والسنة السماوية[1] » . الفصل الخامس من كتاب الحوار : « كان الأستاذ قلما يتحدث عن المنفعة والقضاء والقدر والمروءة » . التاسع من الكتاب .

« كان الأستاذ لا يتحدث عن العجائب والقوى والاضطرابات والآلهة » . السابع منه

(١) السنة السماوية هي سنة الله .

يقول بعض الشراح : إن هذه الأشياء غامضة جد الغموض ، فسكت عنها الأستاذ العظيم كونفوشيوس . ويقول البعض : كان الأستاذ لا يحدث عنها إلا للنوابغ من تلاميذه ، وقد سمع تلميذه هذا ، وذاق حلاوة الأحاديث فى هذه الأشياء ، لكنه يأسف لتأخر سمعه وقلة التحدث له وعدم التحدث للتلاميذ كلهم .

فما دام كونفوشيوس لم يتحدث عن هذه الأشياء التي هي من مهمات الدين وميزاته ، أو قلما يتحدث عنها ، فكانت تعاليمه ليست بدين ، بل هي فلسفة بلا شك . وهو فيلسوف كأفلاطون وكانت وغيرهما .

وعلى كل حال ، فإن التعاليم الكونفوشيوسية مزيج من الإثنين لاهي بالمبادئ الدينية المحضة ، ولا الآراء الفلسفية البحتة ، وشأنها شأن الفلسفات القديمة التي تبتدئ بالخرافات والأساطير ، ثم تمتزج بالحكم الدينية

٣ — دين الصين القديم

إذا كانت التعاليم الكونفوشيوسية مزيجاً من الدين والفلسفة فلابد أن نعرف حقيقة الدين الصيني القديم الذي قبل كونفوشيوس حتى نتبين هل نظريته الدينية كلها نظريات قديمة أو عقائد قديمة أم للفيلسوف كونفوشيوس رأى خاص أو نظرية خاصة غير العقائد التي اعتنقها السواد الأعظم من الشعب الصيني في تلك الأزمان الغابرة ؟

يعتقد قدماء الصينيين أن السماء جوهر حي عليم قادر مدبر الكون نافذ الإرادة في النفوس وسائر الكائنات ، واعتقدوا القضاء والقدر وقالوا إن العاصفة والطوفان والقحط والزلزال والمجاعة كلها آيات السماء تنذر بها الملوك إذا جاروا على الرعية أو قصروا في حقوقهم وعبادة السماء خاصة للملوك ولا تتعدى غيرهم .

يعتقد قدماء الصينيين أن للكائنات السماوية والأرضية آلهة أو ملائكة أو أرواحا تدبرها وتصرفها كيفما تشاء ، فالشمس والقمر والسحاب والمطر والجبال والأنهار وما شاكلها من الكائنات يكون لكل واحد منها إله أو ملك أو روح يعبده الناس ، ولكن عبادة آلهة الأرض والجبال والأنهار مخصوصة للأمراء وحدهم .

وكذلك يعتقدون أن في المنزل آلهة للغرف وأرواحا للأموات ، ويزعمون أن روح الإنسان تبقى في الدنيا بعد موته ، وتشتاق إلى العودة إلى أسرته والعيش مع أفرادها في الغيب ، فهم يعبدونها ويقدسونها ويقدمون إليها القرابين ، وهي عبارة عن أنواع الأكل والشرب المشتهيين على مائدة منسقة ، وهذه العبادة يشترك فيها الشعب والملك والأمراء لا فرق بينهم إلا بالكثرة والقلة .

والصينيون القدماء لا يعتقدون الجنة والنار ، وإنما يعتقدون الجزاء في الدنيا إن خيراً فخيرا وإن شراً فشر . وقد يتعدى جزاء شخص إلى أبنائه أو أحفاده والكل يرجع إلى السعادة والشقاوة في الحياة الدنيا

٤ — نظرية كونفوشيوس في الآلهة والأرواح :

قبل أن نتكلم عن نظريته في الآلهة والأرواح يجب أن نبين للقارئ أن المصدر والمرجع فيما نقول منحصر في كتاب الحوار الذي ألفه تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه ، لأن الكتب التي صححها الفيلسوف كونفوشيوس ، ولخصها ورتبها بنفسه ، وإن كانت فيها نظريات فلسفية قيمة في مبدأ الكون ومصيره والإله وأفعاله ، كتب قديمة لايعتمد عليها فيما إذا بحث عن آرائه الخاصة وأفكاره الشخصية ، وأما كتاب الحوار ، فإنه مشتمل على أقواله وأفعاله واعتقاداته ، فإذا بحث عن نظرياته الخاصة يجب الاعتماد عليه

يعترف كونفوشيوس ببقاء الأرواح بعد خروجها من الأجساد ووجوب تقديم القرابين إليها ، فلذلك كان « إذا دخل الهيكل العظيم سأل عن كل شيء » الفصل العاشر من كتاب الحوار

« كما دخل الأستاذ الهيكل العظيم سأل عن كل شيء . قيل : من ذا الذي يزعم أن ولد الرجل المنسوب إلى بلدة تساو يعلم الآداب ؟ كما دخل الهيكل العظيم سأل عن كل شيء . فلما سمع الأستاذ هذا التهكم قال : هذا من الآداب أيضاً » . الثالث من الكتاب .

« كان الأستاذ يقدم القرابين إلى أرواح آبائه وأجداده كأنهم حاضرون ، ويقدم القرابين إلى الآلهة كذلك كأنهم حاضرون . قال الأستاذ : إذا قدم القربان أحد غيري نائباً عني فكأنه لم يقدم قط » . الثالث من الكتاب

وكان يصوم قبل تقديم القربان

« وكان إذا صام لبس ثياباً من الكتان نظيفة بهية وغير طعامه ومجلسه في الغرفة » . العاشر منه

« وكان مما يحتاط فيه الأستاذ الصيام والحرب والمرض » . السابع منه .

(بقية في العدد القادم) أبو بكر هوغانجين الصيني

الشعلة المنقذة

لمكسيم جوركي

للأستاذ محمد خليفة التونسى

[إلى الأبطال الذين يضحون بأنفسهم فى الوقت المناسب ليصونوا قومهم من الانهيار : أهدى هذه القصة آية تقدير وإعجاب] (م . خ . ت)

منذ عهد سحيق كانت إحدى القبائل الرحالة تضرب خيامها فى بقعة مجهولة تحدق بها غابات ألقاف ، لكنها تنحسر عن هذه البقعة فى جهة من جهاتها ، فتمتد أمامها فى تلك الثغرة سهول فسيحة .

كان أفراد تلك القبيلة يمتازون بالقوة والبسالة ، كما يمتازون إلى جانب ذلك بالقناعة ، فأقاموا ما أقاموا فى تلك البقعة وهم ينعمون ببسطة العيش ورغده . وذات يوم هاجمتهم قبائل أخر أقوى منهم بطشاً وأشد عتياً ، فأجلتهم عن منازلهم إلى غابة هى أكثف الغابات ، وآسنها ماء ، وأحلكها ظلاماً . فقد كانت فروع الأشجار فى تلك الغابة التى نزحوا إليها قد مرت عليها العصور تلو العصور وهى تمتد وتتشابك حتى حجبت ما بين الأرض والسماء ، حتى أن الشمس كانت إذا طلعت عليها لم تنفذ منها إليها إلا أشعة ضئيلة ، وكانت هذه الأشعة إذا هبطت على المستنقعات نفثت أبخرة قاتمة كأنها السموم .

تتابعت النكبات على القبيلة ، فكان أفرادها يتساقطون تحت أثقالها هالكا إثر هالك ، ودب الملل إلى نفوس النساء والولدان ، وران الألم على قلوبهم فضجوا بالشكوى والبكاء مما هم فيه ، وتنادوا إلى الآباء والأزواج أن يخرجوهم من هذه الغابة المنكودة التى تورطوا فيها مؤثرين الموت خارج الغابة على الموت انتظاراً فيها

كانت عزائم الرجال منحلة ، وقلوبهم قد أشربت اليأس بما تتابع عليها من الأرزاء ، ففقدوا كل أمل فى النجاة من مصيرهم المشئوم . ولقد فكروا ثم لم يقعوا على وسيلة للنجاة ، وكانت نهاية الإغراق فى التفكير أن وجدوا أمامهم منفذين عقباهما الفناء المحتوم ، فإما أن يعودوا إلى منازلهم الأولى التى أجلاهم عنها أعداؤهم فيكروا عليهم ويقاتلوهم ليخرجوهم منها كما أخرجوهم ، ولكنهم رأوا أنهم لا قبل لهم بأعدائهم ، فلا جدوى من العودة ، وإما أن يخرجوا من الغابة إلى مكان آخر ، ولكنهم رأوها متشابكة حصينة لا سبيل إلى النفاذ منها ، فلا جدوى من محاولة الخروج

لم يجدوا بداً من البقاء حيث هم ، فأقاموا فى شرحال ، وكانوا يتهاوون تحت الآلام كما تتهاوى الأصنام فى جمود أخرس كئيب ، وكانوا إذا جن الليل أوقدوا النيران لتدخل إلى قلوبهم شيئاً من الأنس والسكينة ، فلا تزيدهم إلا وحشة واكتئاباً ، فتثقل عليهم الذكريات القديمة يوم كانوا ينعمون بالطلاقة والعيش الرغيد فى جنبات السهول الفسيحة المترامية الآفاق ، وفى ظلمات الليل كانت الأعاصير تعصف بأصواتها الرهيبة المنكرة ، فتملأ جوانحهم هولا ورعباً .

إنهم لم يفروا أمام أعدائهم لنقص فى شجاعتهم ولا لجهل منهم بأساليب القتال ، بل إنهم آثروا الانسحاب حتى لا يستأصلهم الأعداء استئصالا ، فيفنى بفنائهم تراث أسلافهم لو أنهم استمروا على الحرب . لقد سحقتهم النكبات سحقاً ، غير أنهم لم يستطيعوا أن يسلوا ما نعموا به من رغد وحرية ، فأرقتهم الهموم الثقال ، وكانوا يقطعون الليالى بطيئة وهم ساهرون مفكرون فيما آل إليه حالهم من تعاسة وعذاب ، وكانت الغابات من حولهم تتجاوب بالعزيف والعويل ، وأشباحهم تتراقص حول النيران ، وتتصاعد مع الأدخنة الملتفة كأنها أرواح شريرة ، فتنخب فى عزائمهم وتوهن من شجاعتهم ، فتنطلق ألسنتهم بالسب والتجديف دون حساب . وفى نوبة من النوبات التى يطبق فيها اليأس على القلوب فيأخذ بمجامعها تشاور أفراد القبيلة ، ثم قرروا أن يرجعوا إلى أعدائهم الذين أجلوهم عن منازلهم ، ليستسلموا إليهم متنازلين عن حظهم من الحرية والكرامة ، مفضلين الموت بأيدى أولئك الأعداء القساة عن حياة الأسر فى الغابة .

وإذ ذاك برز من بين الصفوف شاب باسل وسيم كان القدر قد هيأه لهذه الساعة الحرجة كى ينقذ القبيلة من مصيرها التعس ! كان اسم ذلك الشاب « دنكان » ، وكانت تلوح على وجهه علائم البسالة والعزة والصرامة ! نهد ذلك الشاب واقفاً أمامهم وخطب فيهم قائلا :

« أيها الرفاق ! إن مشكلتنا لعسيرة ، ولن يحلها التفكير العقيم ، ولن تفتح لنا الثرثرة سبيل النجاة ، ولن تجدى الشكوى والدموع شيئاً لرفع ما نحن فيه من البلاء . حذار أن تسرفوا فى التفكير الأجوف ، والثرثرة الفارغة ، فتذهب قوتكم ، ويضيع وقتكم سدى . لنستجمع شجاعتنا وقوتنا ، ولنتهيأ للضرب فى غياهب هذه الغابة حتى نجتازها إلى نهايتها . إنها لا بد منتهية ، لأن لكل شىء فى الكون نهاية . أيها الرفاق الأمجاد ! عليكم بالصبر والإخلاص والشجاعة ، ولا سيما فى المراحل الأولى ! ولتكن عزائمكم راسخة ، وخطاكم ثابتة جبارة !

كان أفراد الغابة مقبلين بفتور عندما وقف « دنكان » ليلقى فيهم خطابه القوى . ثم رأوا فى وجهه وفى نبرات صوته آيات الثبات والإخلاص والبسالة ، فسرى فيهم الإخلاص والحماسة ، فآمنوا أنه أفضلهم وأقدرهم على قيادة القبيلة فى طريق الخلاص ، حتى أنه لم يكد يفرغ من خطابه حتى صاحوا : امض بنا راشداً فنحن على آثارك مقتدون !

حينئذ سار « دنكان » مؤمناً بالفلاح والظفر والخلاص ، واتخذ أفراد القبيلة طريقهم من خلفه وفى قلوبهم من الإيمان مثل ما فى قلبه . لم تكن الطريق بالممهدة ولا المأمونة ، بل كانت عقباتها كثيرة ، وأوحالها عميقة ، يمكن أن تبتلع فى كل خطوة بضعة أشخاص ، وكانت تعترضها الأشجار الكثيفة التى تسبح فوقها الحيات صاعدة هابطة ، وهى ترسل عليهم من فوق رءوسهم فحيحها الرهيب .

كانت جلودهم تنضح بالعرق ، وجروحهم تسيل بالدماء ، وأعصابهم وعضلاتهم تفيض بالكلال والإعياء ، ومع ذلك استطاعوا أن يقطعوا مسافة طويلة دون ضجر ولا استياء .

ولكن الأيام تتابعت فازداد بتتابعها وقع المتاعب على النفوس والأجسام ، وأحس أفراد القبيلة بخور فى عزائمهم وتهافت فى قواهم ، فتناسوا ما عاهدوا « دنكان » عليه ، وأقبلوا إليه يزفون وقد ملئت صدورهم ضغينة وحقداً ، وصاحوا فى وجهه : « أيها الشاب الطائش ! لقد لنتهى بنا حمقك إلى الخراب ، فليتنا ما سمعناك وما أطعناك ! »

لكن « دنكان » رغم سخطهم عليه ولومهم إياه وضيقهم به لم يهن ولم يفتر ، بل بقى كما كان ، عامر القلب بالأمل والإيمان ، وسار يقود الصفوف الثائرة بعزيمة وطيدة وخطاً راسخة .

ثم أقبلت أمسية ! كانت الغابة فى تلك الأمسية رهيبة قاسية ، فقد تعالى فى جنباتها هزيم الرعد ، وأطبقت عليها الظلمات الحالكة ، وقد تراكم بعضها فوق بعض كأنما احتشدت فيها الليالى جميعاً بظلامها منذ كان العالم . كان القوم التعساء فى تلك الأمسية يسيرون فى سكون كئيب ، فيتعثرون حيناً ، ويتصادمون حيناً ، وقلما كانوا يستقيمون ، وكان الخوف قد أزاغ قلوبهم ، وجمد الدماء فى عروقهم ، وخيل إليهم أن فروع الأشجار المعترضة فى طريقهم إنما هى أيد عارية تمتد إليهم فى الظلام لتختطفهم عن أيمانهم وعن شمائلهم .

وضاقوا أخيراً بما حاق بهم من كلال ولغوب ، فأقبلوا على « دنكان » يوسعونه سباً وشتماً حتى لا يعترفوا بالضعف على أنفسهم وقالوا له : « أيها الشاب الأحمق ! لقد خدعت نفسك وخدعتنا ، وإنا لنراك فينا ضعيفاً ، وما أنت بالزعيم الذى يصلح لقيادتنا والإمرة علينا »

ثم وقفوا حيث انتهوا وقد طفحت قلوبهم بالحقد والموجدة على « دنكان » ، وكانت الظلال تتراقص فى الغابة حول القوم ، والأشجار تردد أناشيد الفوز والشماتة ، بينما انصرف القوم لمحاكمة « دنكان » على ما غرر بهم ، وكبدهم من مشقات ، ثم أفضوا إليه بحكمهم قائلين : « إنك لغادر أثيم ! وقد ثبت لنا أنك امرؤ سوء بما أوردتنا من موارد التهلكة ، فجزاؤك أن تموت ! »

وأمنت أصداء الغابة وقصف الرعد وحفيف الأشجار على حكم القوم قائلة : « جزاؤك أن تموت ! » فى تلك الآونة الرهيبة الحرجة وقف « دنكان » أمام القوم فى شجاعة واطمئنان ، وكشف عن صدره ، وصاح فيهم قائلاً : « يا رفقائى : لقد طلبتم إلى أن أكون دليلكم فكنته ، وإن لدى من القوة والجرأة ما يهيئنى لقيادتكم ، ولقد أردتم منى أن أسير أمامكم فسرت ، وكنت لكم مرشداً وعليكم حفيظاً ، ثم سرتم ورائى كما تسير قطعان الغنم وراء دليلها دون أن تكون لديكم مسكة من صبر وجلد ... »

ولم يتركوه ليكمل حديثه إليهم ، بل صاحوا فى وجهه

حانقين : « لا بد أن تموت ! لا بد أن تموت ! »

كان « دنكان » ينتظر من قبيلته أن يوفوا بعهدهم الذى عاهدوه ، وأن يعرفوا له فضله ونبل مقصده ، وما كان له أن ينتظر منهم هذا الجزاء السيء الذى يدل على منتهى الكفر والكنود . لقد محضهم حبه ونصيحته ، ومن أجلهم غامر بحياته ، وضحى براحته وقوته ، ثم ها هوذا يرى نفسه فيهم وحيداً مخذولا مذموماً وهم به محدقون يطالبون بدمه دون أمل فى عدل ، ولا طمع فى رحمة . وهاج « دنكان » ولكنه سرعان ما سكن وأناب ، إذ كان ما يزال حفيظاً على حبهم حريصاً على سعادتهم ، رغم أنهم يهمون بقتله ، فتحرك حبه وإيمانه ، وبرقت عيناه بالجرأة والثبات حتى لقد ظنوا بريق عينيه آية جنونه ، فأقبلوا عليه فى قسوة وضراوة ليشدوا وثاقه ، ولاح واضحاً « لدنكان » ما يكنون له من ضغينة وبغض رغم ما يذخر به قلبه من الحب والإخلاص لهم فتهيأت له فكرة أزمع على إنفاذها

فى تلك الآونة طفقت جنبات الغابة المترامية الحالكة تردد أناشيد الموت ، وأخذت العواصف تزأر والرعود تجلجل والأمطار تنهمر فى أصوات هائلة منكرة ، غير أن « دنكان » صاح صيحة مروعة غطت على جميع الأصوات فى الغابة قائلا لقومه : « لقد عرفت الآن واجبى نحوكم ، وسأعمل حالا على إنفاذ رغباتكم ، فكونوا راضين » !

وأقبل بكلتا يديه على صدره فمزقه تمزيقاً ، ثم انتزع قلبه ، وحمله بيده فوق رأسه ، ودهش قومه حين رأوا الدماء المتفجرة من قلبه قد حالت أنواراً متوهجة كأنها الشمس ، فبهرت كل ما تضم الغابة ، حتى لقد أصيب كل ما فيها بالصمت والسكينة . وخر الرجال جثياً كما تخر الصخور ، فصاح «دنكان» فيهم صيحة أخرى قائلا : « أيها الرفاق ! سأمضى أمامكم ، فانطلقوا من خلفى صابرين ، وأشفقوا على كما كنت عليكم شفيقاً ! »

وانطلق « دنكان » أمام القوم ، فساروا وراءه فى صمت وذهول ، وكان ما يزال قابضاً على قلبه الذى اندلعت منه الأنوار فهتكت حجب الظلام وأنارت الطريق للسارين من خلفه . كانت الغابة ما تزال يتردد فيها زئير العواصف وهزيم الرعود وخرير الأمطار ، لكن وقع أقدام السارين كان يغطى على كل أصوات الغابة . لقد كان القوم منطلقين إلى الأمام ، وقد سحرتهم الأنوار الساطعة من ذلك القلب المشتعل . وكانوا يتساقطون موتى كما تتساقط الأوراق الجافة دون تذمر ولا عويل .

وما زال « دنكان » منطلقاً أمام القوم والأنوار تتفجر من قلبه الذى صار شعلة حتى بلغوا نهاية الغابة ! .

وهناك ... هناك انفتح أمامهم منفذ فسيح ، فنفذ إليهم النور الباهر والهواء الطلق ، بعد أن لبثوا ما لبثوا غرقى فى المطر المنهمر والظلام الكثيف . وأداروا عيونهم عندئذ إلى الوراء ، فرأوا الغابة يطبق عليها الظلام ، ويجلجل فيها الرعد ويلمع البرق ، ثم التفتوا أمامهم حيث انتهوا ، فرأوا أمامهم الشمس تسكب أشعتها على سهول فسيحة معبدة قد وطئت لهم ، تتخللها الأنهار التى تترقرق فيها أمواهها الفضية الصافية .

كانت الشمس عندئذ توشك أن تغيب ، وعند ما انحدرت أرسلت أشعتها الصفر على المياه المترقرقة ، فلاحت كأنها الدماء الدافقة من الجرح المنفتح فى صدر « دنكان » الجسور . وعندئذ رفع « دنكان » رأسه فى إباء ، وأجال نظره فى السهول الممتدة أمامه ، وقد تملكته نشوة غبطة ورضا وخيلاء . وخر فى تلك اللحظة صريعاً على الأرض ، وقبل أن يطلق نفسه الأخير هتف قائلا : « ما أشهى الموت فيك يا أرض الحرية والكرامة ! »

وكأنما روحه القوية حلت فى الغابة ، فارتجفت حينئذ أشجارها وسمع لها أنين وعويل

وانتشى القوم غبطة بالخلاص فى نهاية الرحلة ، حتى لقد نسوا « دنكان » وفضله عليهم ، فلم يسؤهم موته ، ولم يأبهوا حتى بقلبه الذى كان فى تلك اللحظة يشرق عليهم ويباركهم وهو مطروح بجانب جثته الساكنة الخرساء ، لولا أن واحداً منهم دلف إليه فى خوف وحذر ، وأرسل يمينه نحو ذلك القلب المشتعل ، وما قارب يمسه بإصبعه حتى انفجرت تلك الشعلة ، ثم تلاشت أنوارها فى الفضاء ...

لقد أدت الشعلة واجبها ، ثم صعدت لتستريح فى السماء !

محمد خليفة التونسى

٤ ـ نظـــرات
في دائرة المعارف الاسلامية

الترجمة العربية

للأستاذ كوركيس عواد

وجاء في ٣ : ٥٣٨ ا قوله : « الخترانية نسبة إلى الطسّوج الذى كان موجوداً بين برس وبابل وحلة » . قلنا : لا يعرف طسّوجٌ بهذا الإسم . وإنما ذُكرت « الخُطَرْنِيَّة » وقد قال فيها ياقوت (معجم البلدان : ٤٥٣) إنها ناحية من نواحي بابل العراق .

وفي ٣ : ٥٥٥ ا ١٥ كرنيكا . وكان يحسن أن يقال فيها : « القَنْبُرُوَان » فهو الإسم العربي لتلك البقعة .

وفي ٣ : ٦٨٣ ا ٨ ورد قوله : « وقد وُجد في قيونلك نقش بارز » . قلنا : الصواب « قوينجق » وهو تلٌ عظيم مرتفع في شرقيّ مدينة الموصل ، في بقعة نينوى . بدأ علماء الآثار بنقبون فيه منذ عهد بعيد ، أي منذ مائة سنة (١٨٤٢ م) وظلوا يعملون فيه سنين عديدة كانت خاتمتها سنة ١٩٣١ .

ومما قرأناه في ٣ : ٦٨٣ ب ١٧ قوله : « ومن الواضح أن هذا الخور هو عين أغما ربتا . وهي كلمة آرامية معناها البطيحة الكبرى » . ولو قال : «الأجمة الكبرى» لطابقت الترجمة اللفظة الإرَمِيَّة التي ذكرها .

وورد في ٣ : ٨٦ ، ٢١ — ٣ قوله : « واسط وموقعها الآن كوت الحيّ ؟ » هكذا بوضع إشارة الاستفهام . وكان يحسن التعليق على هذه العبارة البعيدة عن الصحة .

وفي ٣ : ٦٨٤ ا ٢٥ غفج . صوابها : عفج (بالعين المهملة) .

وفي ٣ : ٦٨٦ ا ٢٦ ؛ ٣ : ٦٨٦ ب ١ و ٢ ؛ ٣ : ٨٩ ، ١ ٥ و ١٢ و ٢٢ وَرَدَ إسم « ناحية لملون » و « بطائح لملون » . والصواب في كليهما ، على ما أفادني الأستاذ المحقّق يعقوب سركيس « لملوم » بميم في الآخر . وهذا التصحيف من كاتب المقال الأصلي لا من المترجم .

وفي ٣ : ٦٨٨ ب ١١ و ٢٣ عمارة . والأحسن أن تكتب العمارة (بزيادة أل التعريف) . وهي مدينة عراقية مشهورة في وقتنا .

وكذلك جاء في ٣ : ٦٩١ ا ١٠ كوت العمرة ، وصوابها : كُوت العمارة .

ونعلّق على ما وَرَدَ في الحاشية ٢ من ٤ : ٣ ا إنه لم يتحقق أن لفظة بغداد إرَمِيَّة الأصل ، فالمسألة ما زالت موضوع بحث بين العلماء .

وفي ٤ : ٤ ب ٦ الحِرّ . صوابها : الخِرّ (بالخاء المعجمة) .

وفي ٤ : ١٦ ا ١٨ محلة المخرَّم . قلنا : ضَبَطَها ياقوت الحموي (معجم البلدان ٤ : ٤٤١) بكسر الراء وتشديدها ، أي المخرِّم .

ووردت العبارة التالية في ٤ : ٢٠ ب ١ « ويخترقها (يخترق بغدادَ) دجلةُ ، كما كانت في السابق ، فيشطرها شطرين ، يسمى الأيمن منها بالرصافة ويدعى الثاني بالكرخ » . قلنا : الصواب بعكس ذلك ، فإن الأيمن (الجانب الغربي) هو الكرخ والأيسر (الشرقيّ) هو الرصافة .

وفي ٤ : ١٢١ ا ١٠ قوله : « وبعض غرفٍ من قصر المأمون (ببغداد) في القلعة المدفعية » . قلنا : كان يحسن القول إن نسبة الغرف إلى قصر المأمون من أوهام العامة ، وإلا فإنه لم يثبت حتى الآن في التاريخ ، صحّة نسبة تلك البناية إلى مشيّدٍ معلوم .

وفي ٤ : ٢٥٠ ا ٢٥ وادى الزرم . صوابه : وادى الززم (بتقديم الراء على الزاى) .

وفي ٤ : ٢٥٣ ا ١ — ٢ جرذاقيل وزوزانه . صوابهما : جُرْذَقِيل والزَّوْزَان .

وفي ٤ : ٢٨٠ ا ٥ و ٦ و ٢٧ بيث وأزيك . صوابها : بيث وازيق (بالقاف) وهو ما يطابق النسبة الإرَمِيَّة لهذا الموقع .

وفي ٤ : ٢٨٠ ا ١١ طهران . صوابها : الطيرهان . وشتان ما بين الوطنين . فأولهما مدينة في إيران ، والثاني بلدة كانت على دجلة بالعراق قرب تكريت ، وهي اليوم مندرسة .

ثالثا : الكتب والمراجع

كان ابتداء المستشرقين بتأليف دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٩١٣ ، وابتداء اللجنة بترجمتها إلى العربية سنة ١٩٣٣ ،

أى بعد ذلك بعشرين سنة . ومعنى هذا أن طائفة حسنة من المصنفات القديمة قد تمّ نشرها أو أُعيد طبعها خلال تلك المدة . فكان حرياً باللجنة أن تشير فى تعليقاتها إلى ما طبع منها عند التعرض لها فى المتن ، ليكون القارى على علم وثيق بما ظهر منها ، وليكون عمل المترجم جزءا متمما لعمل المؤلف ، وهو غاية ما يبتغى فى هذا الميدان .

وسنذكر فيما يلى بعض ما وقفنا عليه عرضاً ، مما قد يكون فى إضافته أو تعليقه فائدة ، فنقول :

فى ١ : ١٧ ا ١٠ يضاف إلى المراجع المذكورة بعد ترجمة أبان بن عبد الحميد : كتاب الأوراق للصولى ١ : ١ — ٥٢

كما أن بعض مؤلفات ابن أبى الدنيا ، المذكورة فى ١ : ٧٢ — ٧٣ قد نشرت ، نذكر منها : كتاب من عاش بعد الموت (القاهرة ١٣٥٢هـ) وكتاب الشكر (القاهرة ١٣٤٩هـ) .

وفى ترجمة ابن طيفور ١ : ٨١ ب ٥ تضاف المراجع التالية :

١ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٥ : ٢١١ — ٢١٣) .

٢ — معجم الأدباء لياقوت الحموى (١ : ١٥٢ — ١٥٧ مرجليوث) .

وفى ١ : ٩٥ ا ٦ كتاب روضة الجنات . صوابه : روضات .

وفى ١ : ١١٩ ا ٢١ — ٢٦ ليت المترجم قال إن كتاب النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى طبع فى دمشق سنة ١٣٤٥ هـ .

وفى ١ : ١١٩ ب ١٤ كتاب منجد المقربين ومرشد الطالبين وصوابه . منجد المقرئين الخ . وكان مفيداً أن يذكر بأنه طبع فى القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

ومما كان يجدر ذكره فى ١ : ١٢٠ ا ١٠ أن كتاب ابن جزلة الطبيب ، الموسوم بـ « تقويم الأبدان فى تدبير الإنسان » قد طبع فى دمشق سنة ١٣٣٣ هـ ، بعد أن أضحت طبعته القديمة فى ستراسبورج سنة ١٥٣٢ م أعزّ من بيض الأنوق .

وفى ١ : ١٢١ ا ١٢ ذكر لابن جزلة كتاب « منهج البيان فيما يستعمله الإنسان » . والمعروف أنه « منهاج البيان الخ » وهو لم يطبع . ونسخه الخطية كثيرة فى خزائن الشرق والغرب ، وكلها مجمعة على العنوان الذى ذكرناه .

وفى ١ : ١٠٣ ا ١ — ٢ كان من المفيد أن يذكر ما طبع من مؤلفات ابن جنى : كالخصائص (القاهرة ١٩١٤) والتصريف الملوكى (بون ١٨٨٥ والقاهرة ١٣٣١ هـ) والمبهج فى تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة (دمشق ١٣٤٨ هـ) والمقتضب (ليبسك ١٩٠٤) .

وورد فى ١ : ١٣٢ ب ٣ — ٤ اسم كتاب « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلانى . وكان ضرورياً للغاية أن يقال فى الحاشية إنه طبع فى أربعة مجلدات (حيدر آباد ١٣٤٨ — ١٣٥٠ هـ) .

ومثل ذلك ورود اسم كتاب « اللمحة البدرية فى الدولة النصرية » للسان الدين ابن الخطيب ، فى السطرين الأخيرين من ١ : ١٥١ ب ، فقد كان مفيداً أن يقال إنه طبع فى القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ .

وفى ١ : ١٥٩ ب ١٦ كان من الواجب النصّ على أن كتاب « الجمهرة » لابن دُرَيد قد طبع فى أربعة مجلدات كبيرة (حيدر آباد ١٣٤٤ — ١٣٥١ هـ) .

وفى ١ : ١٦٤ ب ٦ يضاف إلى المراجع عن « ابن ديصان » :

١ — تاريخ كلدو وآثور لأدّى شير (٢ : ٢٠ — ٢٢) .

٢ — برديصان والبرديصانية ليوسف غنيمة (المشرق ١٨ (١٩٢٠) ص ٦٧٧ — ٦٩٢) .

وفى ١ : ٢٢٨ ا ٢٠ وردت العبارة التالية : « ولهذا الكتاب (كتاب القصص المضحكة) ترجمة عربية لم تصل إلينا عنوانها كتاب دفع الهم » . قلنا : هذه القصص وصلت إلينا ، وقد نشرها الأب لويس شيخو اليسوعى بعنوان « الأحاديث المطربة لابن العبرى » فى مجلة المشرق « ٢٠ (١٩٢٢) ص ٧٠٩ — ٧١٧ ، ٧٦٧ — ٧٧٩ » ، ثم على حدة ضمن مجموعة أربع رسائل لقدماء فلاسفة اليونان ولابن العبرى » (بيروت ١٩٢٠ — ١٩٢٣ ؛ ص ٣٩ — ٦٠) .

ومما وَرَدَ فى ١ : ٢٦١ ب ٣ — ٤ قوله : « وهو (كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة) فى عشرة أجزاء ، نشر الأجزاء الأربعة الأولى منه بروكلمان » . وكان جديراً باللجنة أن تعلق فى الحاشية أن هذا الكتاب الجليل قد عُنيت دار الكتب المصرية بنشره كاملا سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٠ فى أربعة مجلدات .

وفى ١ : ٢١١ ب ٨ — ١١ ذكر « كتاب الشراب » لابن قتيبة والأصح أن يكتب عنوانه « كتاب الأشربة » على ما هو مشهور معروف (راجع : العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ : ٣٣٠ طبعة الأزهرية ، وكشف الظنون ٥ : ٤٣ لندن أو ٢ : ٢٦٢ استانبول) وكان يحسن القول فى الحاشية ، إن هذا الكتاب لم يظهر جميعه فى المجلد الثانى من المقتبس ، لأننا قابلنا ما نشر منه على نسخة خطية عندنا ، فوجدناه يبلغ نحواً من ثلثى الكتاب . وقد لاحظنا أن المنشور فى المقتبس ظهر فى أربعة أقسام ذكرت الدائرة الأول والثانى والرابع منها وأغفلت ثالثها المنشور فى ص ٤٣٠ — ٤٣٦ من المجلد المذكور .

وفى السطرين الأخيرين من ١ : ٢٦٠ ب يضاف فى الحاشية أن كتاب « المسائل والأجوبة » لابن قتيبة نشرته مكتبة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٤٩ هـ .

وفى ١ : ٢٧١ ب يبدو لنا أنه سقط سطر بين السطرين ١٧ و ١٨ قوامه ما يلى : « عيون الأنباء ١ : ١٧٥ ، — ١٨٣ (٣) القفطى » .

وفى ١ : ٢٧٧ ب ١٩ — ٢٢ وجدنا العبارة التالية : « وألف (مسكويه) كتاباً فى التاريخ عنوانه تجارب الأمم ، نشرة كيتانى L. Caetani بتمامه فى مجموعة جب التذكارية . جـ ٧ » . قلنا : لنا على هذه العبارة ملاحظتان . الأولى : إنه كان يحسن القول فى الحاشية ، إن ما نشره كتانى لم يكن سوى قسم من هذا التاريخ ، أى أنه نشر (بالفتغراف) الجزء الأول والخامس والسادس .. أما سائر الأجزاء فلم يتعرض لها . والملاحظة الثانية ، هى أنه كان مفيداً جداً أن ينوه بأن المستشرق آمدروز H. F. Amedroz قد نشر منه فى القاهرة الجزءين الخامس والسادس مع « الذيل » على تجارب الأمم للوزير أبى شجاع . وأن مرجليوث D. S. Margoliouth نقل هذه الأقسام إلى الإنجليزية ، فصار قوام المتن والترجمة والفهارس سبعة مجلدات (القاهرة — اكسفورد سنة ١٩١٤ — ١٩٢١) .

وفى ١ : ٢٨٠ ا ١١ نقول إن كتاب « فصول التماثيل فى تباشير السرور » لابن المعتز طبع فى القاهرة سنة ١٩٢٥ .

وفى ١ : ٢٩٨ ا ٢ من المهم ذكره فى الحاشية أن كتاب « التيجان فى ملوك حِمْيَر » لابن هشام ، طُبِع فى حيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ .

وفى ١ : ٣١١ ب ١ وَرَدَ ذكر كتاب جلستان . والصواب كلستان (راجع كشف الظنون ٥ : ٢٣٠ طبعة لندن أو ٢ : ٣٢٧ استانبول) .

وفى ١ : ٣٢٤ ب ٢٢ ذكر المترجمون « سفر إسحق » من أسفار التوراة . وقد استغربنا صدور هذا القول من اللجنة ، فليس فى التوراة كلها سفرٌ بهذا العنوان . والصحيح أنه « سفر اشعيا » وسبب وقوع هذا الغلط ، أن الأصل الفرنجى من دائرة المعارف الإسلامية يتخذ رموزاً مختصرة عند ذكر أسفار التوراة ، وذلك أمرٌ شائع بين المستشرقين والباحثين ، متعارف بينهم منذ عهد بعيد . فهم يرمزون لسفر اشعيا بهذا الاختصار .Is فظن المترجمون أنه اختصار Isaac يتماهى اختصار Isaiah ؟ وليت شعرى ألم تكن نظرة سريعة فى فهرست أسفار التوراة كافية للتخلص من مثل هذا الغلط ؟

وفى ١ : ٣٢٣ ب من المفيد أن يقال فى الحاشية ، إن كتاب « الأضداد » للسجستانى نشره هفنر A. Haffner فى بيروت سنة ١٩١٢ ضمن « ثلاثة كتب فى الأضداد » (ص ٧١ — ١٦٣) .

ونظير ذلك ما كان يستحسن تعليقه على ١ : ٣٣٤ ب ١٣ من كتاب « المقابسات » لأبى حيان التوحيدى ، قد نشره حسن السندوبى (القاهرة ١٩٢٩) .

وفى ١ : ٣٨٦ ا ١ تضاف المراجع التالية بعد ترجمة أبى العيناء .

١ — طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٦٦ — ١٩٧) .

٢ — معجم الشعراء للمرزبانى (ص ٣٨٤) .

٣ — مروج الذهب للمسعودى (٨ : ٢٠ ، — ١٢٥ طبعة باريس) .

٤ — كتاب الديارات للشابشتى (مخطوط . وقد حققناه وأعددناه للنشر) .

٥ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٣ : ١٧٠ — ١٧٩) .

٦ — المنتظم لابن الجوزى (٥ : ١٥٦ — ١٦٠) .

٧ — معجم الأدباء لياقوت (٧ : ٦١ — ٧٣ مرجليوث) .

٨ — نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى (ص ٢٦٥ — ٢٧٠) .

(البقية فى العدد القادم)

كوركيس عواد



من الحياة والفن

قصـــة صورة

للأستاذ نصرى عطا الله سوس

يشارك العمل الفنى الخالد الحياة فى خلودها وعمقها وتجددها ، وتعدد الآراء فيها واختلاف وجهات النظر اليها ، غير أن العمل الفنى يمتاز على الحياة باشتماله على عناصر لا تستمد من الطبيعة الخالقة الموجبة ، بل من شخصية الفنان وعبقريته . فالعاطفة الزاخرة التى تحتضن الأكوان ، والخيال المتوفز المتقد الذى يبدع من صور الجمال ما لا وجود له فى الطبيعة ، والعقل النفاذ الذى يعاون العاطفة والخيال ... كل هذه عناصر إنسانية يشتمل عليها العمل الفنى الممتاز ولاوجود لها فى الطبيعة — وسر خلوده هو أنه خلاصة فترة من حياة رجل عظيم استطاع أن يسبر من أغوار الحياة ما لم يستطعه الناس ، رجل يتيح لهم — بفنه — مشاركته عواطفه وخيالاته وأحلامه . ونحن حين نتأمل عملا فنياً كبيراً نحس أننا فى صحبة إنسان كبير يقود خطانا نحو أقاليم شاسعة لم نرها ، ويفتح عيوننا على صور من الحق والخير والجمال لم نعرفها من قبل . فالعمل الفنى الكبير يفضل الحياة لأنه منبع السرور الإنسانى النبيل فى كل حين ، والحياة تسر حيناً وتحزن أحياناً.

... ذلك هو الخاطر الذى جال بنفسى عند ما أردت أن أكتب عن « الجيوكانده » أو« موناليزا » أقيم أعمال الفنان الخالد «ليوناردو دافنشى » وأكثرها دلالة على شخصيته ومنهجه فى الانتاج .

ولقد كان ليوناردو (١٤٥٢ — ١٥١٩) نجماً لامعاً من نجوم النهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر ، ونستطيع أن ننحى التاريخ جانباً ونقول إنه أحد الأفذاذ القلائل والعبقريات الضخمة فى تاريخ البشرية كله ، لم يجد معاصره « فاسارس » وصفاً يصفه به إلا قوله إنه قدس وإنه فوق مستوى البشر ، وقال عنه نيتشه «إن فيه شيئاً صامتاً أعلى من مستوى الروح الأوروبية ، وهذه خاصية رجل تكشفت له الحياة عن محيط واسع جداً من الخير والشر » وقال هافلوك إليس : « عندما يلعب خيالنا بفكرة السوبرمان يرد لوناردو على خاطرنا كمثل من أمثلته المتقدمة »


موناليزا — متحف اللوفر

عبر لوناردو مراحل المعرفة البشرية وقد وسعها عقله الكبير المتقد شغفاً بالحياة وكلفا بأسرارها ، ووقف عند تخوم المجهول يحدق فى ظلامه وخوافيه ويرسل عليه من نور عقله وإلهام قلبه محاولا ارتياد بعض أراضيه البكر التى لم يحلق فوقها فكر أو يشرئب نحوها فؤاد ... وكان تلميذ الحياة ، الحياة كلها : خافيها وظاهرها ، نظر إلى المعرفة البشرية فى شتى فروعها وصورها نظرته الى بعض من كل ، لا يجوز الوقوف عنده والاكتفاء به ، فكان مصوراً وموسيقياً وعالماً ومهندساً وشاعراً وفيلسوفاً وفى كل حالة كان رائداً مستكشفاً . ودأب الفنان أو المفكر العبقرى أن يجعل من عقله وقلبه « حقلا للتجارب » . إن الكون العظيم أمامه فلم يعمد إلى معرفته عن طريق أفكار الناس وعواطفهم مهما عظم شأنهم ؛ إن به حاجة

للحياة فلم لا يعيش ويجرب ويتأمل ويدرك الحقائق عن طريق إحساساته ومشاعره وفكره ؟ وهكذا كان لوناردو ...

ولقد كان يؤمن كما آمن سبينوزا بعده أن الحقيقة والكمال شيء واحد . وقال مرة « إن العبقرية الإنسانية لن تستطيع أن تستنبط شيئاً أكثر بساطة وأكثر وفاء بالغرض من الطبيعة »

وأحرى بمن ينظر الى الحياة هذه النظرة ، أن ينظر إلى الإنسان نفسه نظرة عميقة فاحصة ، وجدير بمن يتأمل ذاته ويدرك ما تنطوى عليه النفس من أسرار وما يحتويه القلب من آماد لا يرتادها إلا العباقرة الأفذاذ ، ألا يقنع عند ما يعمد إلى رسم صورة إنسان بتسجيل الملامح والسمات وما قد يرتسم على صفحة الوجه من انفعالات سطحية عابرة ... إن الإنسان يولد فى الكون الرحب الفسيح وفى فؤاده كون آخر قد يكون أرحب آمادا وأبعد أغواراً من الكون المنظور ، ولكنه يعيش فى الظلام صادفا عن الكون الذى حوله والكون الذى فى نفسه ، سادرا فى التفاهات معنيا بنوافل الأمور ، ولكن هو الذى يستطيع أن يسبر الأغوار لم لا ينتشل من الأعماق بعض المعانى والأسرار التى تحفل بها النفس وتبقى دائما كالنبع المطمور الذى تمر به الأجيال غير عابئة ولا ترسل له من ينقب عنه ويرفع الأستار . ولقد قال « إن فن التصوير نوع من الإبداع أتخذه وسيلة لتطبيق الأفكار والتأملات الفلسفية على خاصيات الأشكال طبيعية أو بشرية ، فرسم صورة لم يكن لديه إلا رحلة استكشاف فى مجاهل وخبايا الطبيعة الإنسانية ، وفى مثل صوره نطالع القوى والقيم الإنسانية التى قلما نحسها أو نحفل بها لأن حياتنا السطحية الرخيصة لا تستجيشها أو تهزها من رقادها .

ولقد وهب لوناردو حياته كلها لشيئين : الحق يلتمسه من كل طريق ويضنى نفسه باحثا عنه ، والجمال ينشده ويرجوه ويتبعه ، وهام أشد الهيام بشيئين هما حركة الحياة الجارية ، وبسمات الغيد . وكأنه رأى فيهما معانى تفكيره وتأملاته وأحلامه ، أو اعتبارن فيهما رمزا للحياة وما تجيش به من معلوم ومجهول . والمياه الجارية ، كالأنهار والبحار ، حين ترفرف عليها روح الفنان وتناجيها تقول كثيراً وتفضى بأحاديث طويلة قد يفهمها القلب ولا يفهمها العقل ، ذلك لأنها لا تتكلم إلا بلغة الأبد ، إنها تلغز وترمز ولا تفصح أبداً .

... إنها ساكنة مرة وفى سكونها وداعة ، ساهمة مرة ، وفى سهومها وجوم وإطراق مثقل بالمعانى ، مترعة فى بشاشة وحبور أحياناً ، مرغية مزبدة فى ثورة وعنف أحياناً أخر — وهى سافرة فى الفجر ، يتكئ النور الوليد على صدرها مغمغما فى شوق وحنان ، متلألئة فى الضحى تتقبل قبلات الشمس فى حبور ، باكية فى المساء مع الشفق ، وقد تتدثر فى الليل قناعاً كثيفاً من الظلام ، وتتلو صلواتها فى رهبة ووجل مما يخبئه الظلام ، وقد ترتدى غلالة شفافة من ضوء القمر وتغنى جزلة طروبة — وفى كل حال لها حديث ، وفى كل مرة لها مناجاة ... وما أحلى حديثها الحافل بالأحاجى والأسرار !

وبسمات الغيد ... ؟ .

بسمات العذارى والفتيات فيها خلاصة الحياة كلها عند ما تصفو الحياة من الأكدار وتترفع عن التفاهة والدنايا والصغار ، لأنها رمز للمرأة فى حالة الإقبال والصفاء ، وإذا أقبلت المرأة ، أقبلت الحياة ، وسخت بكل غال نفيس !

ففى الشفاه والوجنات بهجة الربيع ونضرته ، وتفتح وروده وأزاهيره ، وحرارته الحلوة التى تبعث الحياة من جديد وتشعل الحيوية الراكدة

وفى العيون تحتشد الأسرار العميقة المتلاطمة التى لا يسبر لها غور ...

وفيها السحر الذى يستبينا ، ونرى فيه لمحة مما وراء الوجود من خفايا وأسرار ، وفيها الحلاوة العذبة التى ترقينا ، وفيها القوة الآسرة التى تستبد بنا

ومن معانى الابتسامة الحنان ...

والحنان آصرة تآلف وامتزاج

وأسمى لحظات العمر عند الفنان — وعند الإنسان عامة — هى تلك التى يخرج فيها عن حدود ذاته ليمتزج بقوة أخرى ويصبح بعضاً منها ، ويمتلئ خاطره ووجدانه بالمعانى المستمدة من معانيها .

ومن معانى الابتسامة الفرح ، والفرح معدن الحياة الأصيل ، وهو الإحساس الذى يتوج أعمالنا وأفكارنا عندما يسيران وفق قانون الحياة ، وهى دليل السعادة ، والسعادة قبلة الحياة !

وفى الابتسامة شعاع من نور من لدن العلى القدير فاطر الحسن وبارئ آياته يشعر الإنسان أنه على مقربة من السماء مصدر الصفاء والضياء

إن ابتسامة المرأة — أحياناً — أكبر من المرأة ومن الحياة!

* * *

وكان لوناردو لا يرسم صور الأشخاص إلا فى الضوء الباهت الخافت عندما تكون السماء غائمة ، أو قبيل الغروب حين يمتلىء الجو بالايحاءات المبهمة والنغمات الصامتة التى تغلف عواطفنا بسحابة رقيقة من الصوفية الغامضة المشوقة إلى المجهول وتكتسى الوجوه بذلك السر الذى يكسبها سحراً وحلاوة . وكان لا يتعجل ولا يعمد إلى الرسم فى كل حين ، بل كان ينتظر صابرا تلك اللحظات التى تتفتح فيها بصائرنا ونعيش فى عالم أكبر وأحفل بالإحساسات من العالم الذى نعيش فيه عادة ، كان ينتظر تلك اللحظات ، لحظات الـ bien etre وعندئذ لا يبخل بالمجهود ولا يضن بالمشقة حتى إذا كان بعيدا عن مكان عمله . وكثيرا ما كان يقطع المسافات الطويلة ليصل إلى ذلك المكان وليعمل دقائق قليلة فقط ! وفى هذه الدقائق كان الفنان يضيف إلى عمله جديدا يعتد به .

* * *

ترى لمَ اختار لوناردو « موناليزا » ليجعل من صورتها رمزاً لذلك اللغز الخالد الذى نسميه المرأة ؟

هذا ما لا ندريه .

كانت « ليزا جيرالدين » إحدى بنات الطبقة الممتازة فى فلورنسا وقد تزوجها « فرنسسكو دل جيوكندو » عام ١٤٩٥ ، ولم تكن على درجة رائعة من الجمال أو على شىء من الامتياز فى بيئتها .

وعندما شرع لوناردو فى رسم صورتها كانت فى ربيعها الرابع والعشرين ولم ينته منها إلا عندما قاربت الثلاثين !

ولعله لم يعتن بعمل من أعماله الفنية مثلما اعتنى بهذه الصورة .

وواظبت ليزا على الحضور إلى مرسم الفنان كل هذه السنوات لتجلس أمامه جلستها الخالدة ؛ وكان هو يجلب إلى مرسمه الموسيقيين والشعراء ليسمعوها أطرف ألوان الموسيقى وأبدع قصائد الشعراء حتى ينضح وجهها بذلك التعبير العبقرى الذى حفظته لنا هذه الصورة الفريدة .

والصورة تمثل ليزا جالسة أمام شرفة رخامية وقد تجردت من كل الحلى والزينة ، مرتدية ثوباً بسيطا وعلى رأسها غطاء خفيف شفاف . وقد وضعت يدها اليمنى — وهى أجمل يد رسمت فى تاريخ فن التصوير كله — فوق يدها اليسرى ومما يلاحظ خلو عينيها من الأهداب والجفون .

ونرى خلفها منظراً من مناظر الطبيعة فى جبال الألب قوامه الصخور والينابيع الجارية — وهذا المنظر فى حد ذاته لا يقل حيوية وحرارة عن الصورة نفسها وكأن لوناردو قد أراد أن يجمع كل شىء هامت به روحه فى صورة واحدة . وقد وفق ، فالصورة فيها تلك البسمة الخالدة . وما توحيه من معان، وفيها المياه الجارية وما تثيره فى النفس من إحساسات .

وكان لوناردو مشغولا بأعمال أخرى كثيرة إلى جانب صورة « لزا » ولكن هذه الصورة وحدها كانت تستبد باهتمامه وكان يعود إليها كما يعود التعب المجهد إلى ملاذه الذى يجد فيه الراحة بعد العناء ، والسعادة بعد الشقاء ، والعزاء بعد الخيبة واليأس .

ولم يفرغ منها إلا بعد خمس سنوات . وقد اعترف أنه لم يفرغ منها تماماً .

ومنذ ذلك الحين و « الجيوكانده » نبع وحى وإلهام لا يغيض ، فكم تحدث عنها واستوحاها الشعراء والفنانون والكتاب ، وكم سجل عنها الأدب والشعر من روائع باقية ، وما زالت « ليزا » توحى المعانى والأخيلة إلى عشاقها وعشاق الفن والجمال ... ولعلها — إذا أبقى عليها الزمن — ستظل مصدراً من أخصب مصادر الوحى والخيال .

ذلك لأن صورة « ليزا » خلاصة عناصر كثيرة : كان لوناردو عندما يجلسها أمامه يستنهض كل إحساساتها ويستجيش أنبل عواطفها ومشاعرها وأفكارها عن طريق ما كان يسمعها من موسيقى وشعر .

وأغلب الظن أنه لم يتقيد بالطبيعة تقيداً مطلقاً بل أضاف إلى ملامحها وتقاطيعها شيئاً من عنده ضنت به الطبيعة على « لزا » . والآلهة تحنو دائما على كل عمل فنى كبير فتنفح الفنان بعضا من روحها وتهبه من سرها .

وصورة « لزا » جمعت هذه العناصر على خير مثال .

إنها ليست صورة امرأة تعيش بعقلها وعواطفها وغرائزها فى دنيا الناس الحافلة بالصغائر — أنها امرأة ولكنها ليست كالنساء يستغرق العيش فى صورة المادية الخامدة الخاملة كل قوى الحياة فى نفسها . إنها صورة امرأة تحررت وخرجت من الوجود الضيق لتعيش فى الكون الكبير فاستيقظ كل ما فى نفسها من

عناصر وملكات ، وغدت نفسها مرآة للكون الكبير .

أترى لوناردو أراد أن يجعل منها رمزاً لخلاصة ما يعتمل فى نفسه من معان ، وبدلا من أن يكتب كتابا يضمنه فلسفته رأى أن يرسم صورة ولم يجد خيراً من ملامح « ليزا » وتقاطيعها لإبراز ما يجيش به نفسه الكبيرة من معان وأحاسيس ؟ قد يكون ..! فقد كان لوناردو كما قلنا ملاحاً متقحما يجوب بحار الحياة التى لم ترها من قبله عين ، وكان يعيش دائماً فى المنطقة الدقيقة التى تفصل بين المعلوم والمجهول يفعم قلبه الشوق وحب الاستطلاع ويبهر عقله وعينه ما يتكشف له من عظمة وجلال وجمال .

ولقد أفلح لوناردو فى أن يحيط « ليزا » بمثل هذا الجو ويثير فى نفسها كل عوامله عن طريق ما كان يسمعها من شعر وموسيقى والنتيجة هى أن ارتسم على وجهها كل معانيه : فالتعبير الذى ينطق به وجهها فيه كثير من اليقظة والحيوية ولكن فيه أيضا شىء من الدهشة كأنها تحيا حياة غريبة لا تستطيع فهمها ولكنها حياة فاتنة فيها نوع من السحر الخفى . وفى عينيها شىء من الفتور كأنها متعبة ، ولكن فيها أيضا شىء من العزم والمضاء كأنها — رغم التعب — لم تمل ، وكم تحتوى هاتان العينان من أفكار غريبة وأحلام آبدة وإحساسات رقيقة غامضة .

وكم فيهما من سخرية وترفع ، وكم فيهما من الانطواء على النفس ورباطة الجأش كأن صاحبتهما تعيش « فوق المعركة » ...

ذلك بعض ما توحيه الجيوكانده ، وهو نفسه ما توحيه حياة لوناردو . ولكم سخر « تيوفيل جوتييه » من المرأة وشخصيتها وجمالها فى قصته « مدموازيل دى موبان » ولكنه وقف أمام الجيوكانده وقفة العابد المتأمل وقال : « من أى كوكب وفد ذلك الكائن الغريب ذو النظرة التى تعد باللذات المجهولة وذو التعبير القدسى السخرية ؟ إن لوناردو يضفى على أشخاصه طابع سمو يجعلنا نحس بالارتباك فى حضرتهم . إن الضوء الخافت فى عينيها العميقتين يخفى أسراراً محرمة على الغافلين ولغة شفتيها الساخرتين تلائم الآلهة الذين يعرفون كل شىء ويحتقرون فى رفق غلظة البشر .

« أى إصرار مقلق وأية سخرية مترفعة فى هاتين العينين الداكنتين وهاتين الشفتين المتموجتين كقوس الحب بعـــد إطلاق سهمه » .

« إن جبينها يشع ذلك الصفو الذى تحسه امرأة موقنة أنها أبدية الجمال ، وأنها أبعد شأوا من كل مثل الشعراء والفنانين »[(١)] .

وقال عنها الناقد الإنجليزى ولتر باتر ما معناه « إن فى وجهها خلاصة أفكار وتجارب الدنيا : فيه حيوانية اليونان ، وشهوانية الرومان ، وصوفية العصور الوسطى وما فيها من طموح روحى وعشق خيالى ، وفيه ردة الوثنية وخطايا آل بورجيا . إنها أوغل فى القدم من الصخور التى تجلس بينها . وكأنها قد ماتت وبعثت عدة مرات وعرفت أسرار القبر وغاصت فى البحار العميقة ، واحتفظت لنفسها بسرها ، وساحت مع تجار الشرق سعيا وراء المنسوجات الغريبة . ولقد كانت — مثل ليدا — أما لهيلين الطروادية ، ومثل القديسة آن أما لمريم . ولم يكن كل هذا لديها إلا نغمات القيثار والناى وما فعلته بقسماتها وأجفانها ويديها[(٢)] »

تلك هى قصة الجيوكاندة . فيالها من درس أحفل بالمعانى من أضخم الكتب ! إنها تجعلنا نؤمن بعظمة الإنسان ومجده إذا خلص من الدنايا وشغل نفسه بالمعانى السامية التى تحفل بها الدنيا ... إنها تعلمنا إلى أى آماد تستطيع أن ترقى المرأة ... من منا يعيش مع « موناليزا » أياماً أو ساعات ولا يتبدل مثله الأعلى فى المرأة والجمال : إنها تسمو بأفكارنا وعواطفنا وتدخل على قلوبنا الفرح وتهز من قوى الحياة فى نفوسنا ما يجعلنا نستمرئ طعم العيش ونمجد قوى الحياة . وما يلبث أن يهتف فى نفوسنا هاتف يقول : لم لا نلتمس فى الحياة نفسها ماعثرنا عليه فى الفن؟ وهكذا يوجه الفن أبصارنا إلى أعلى ويعلمنا الإحساس بالجمال والتماسه فلا نقنع بما تقنع به النفوس الخاملة المستغلقة .

ولقد آلت هذه الصورة إلى الملك فرنسوا الأول واحتفظ بها فى فنتنبلو . ثم نقلت إلى قاعة لويس الرابع عشر فى قصر فرساى ثم استقر بها المطاف فى متحف اللوفر . وهناك سرقت مرة ثم أعيدت .

وآخر أخبار «الجيوكاندة» أن الهر هتلر قد نقلها إلى قصره الريفى فى برختسجادن وأنه — برغم متاعب الحرب والسياسة — يجلس أمامها كل يوم ساعات متــأملا مستوحيا ولعلها تلهمه بعض العزاء .

نصرى عطا الله سوس

---

(١) ترجمة بتصرف . (٢) ترجمة بتصرف

أشواق إلى الحرية ...

للشاعر عبد الرحمن الخميسي

هتفتُ : يا حُريتى ضُمّينى !
هُمْ فى ظلام العيشِ قيّدونى
لكنهم لن يُطفِئوا يقينى
فرفرِقى سَناكِ فى عيونى !

إنى وراء هذه القضبانِ
أرنو إلى رحابةِ الأكوانِ
أسألها عنكِ وعن هوانى !
والقيدُ يا حريّتى يُدمِينى

أنا لكِ العصفورُ يا سمائى
أعتَصِرُ الأشواقَ من دمائى
أغرودةً وقَمَها شقائى
على ربابى الشاكلِ الحزينِ

قد طالَ يا حُريّةُ اشتياقى
إلى عبورى مسبح الآفاق
يملأنى الحبورُ فى انطلاق
حتى إلى مجاهلِ المنونِ !

أضاءتِ يا حريتى تفكيرى
فأيقظى بما أرى شعورى
هاتى جناحى ! أفسحى مطيرى !
لبّيْكِ يا عقيدتى ودينى !

هذا أنا أحطّمُ الأغلالا
مُعتنِقاً حريتى ، مختالا
مبتهجاً أقتحم الأهوالا
مُغرّداً للحقِّ واليقينِ

أنتِ التى أوسعتِ لى حياتى
أشعرتِنى بأننى لِذاتى !
أقسمتُ ليسَ تنحنى قناتى
لِغير خالقى الذى يُغنينى

أيتُها الحريةُ الحسناء
ترخصُ فى سبيلكِ الدماء
وتلتقى الحياةُ والفناء
عندكِ يا أنشودةَ السنينِ

يا قوةَ التحريكِ والتحريرِ
لو كنتِ قد نبضتِ فى الصخورِ
انتفضتْ كالحىِّ بالشعورِ
حتى ... لِوقعِ النورِ والدجونِ !

لولاكِ لم ينطلقِ الهواء
ولم يطُفْ حول الدنى ضياء
ولم يكُ الوجودُ والأحياء
سوى طلول عالم سجين

يا فرحةً موصولةَ الخلودِ !
روحكِ المقدّسِ السعيدِ ،
يهبُّ طيرٌ مُلهَمُ النشيد
إلى سماء طَلْقةِ الجبينِ

يا ثورةً تطاردُ الهوانا
وتهلكُ الطغاةَ والطغيانا
وتمنحُ استقلالَهُ الإنسانا
وتبسطُ العدلَ مدى القرونِ

أيّانَ قامَ شرعُكِ الحبيبُ
تساوت الأفرادُ والشعوبُ
تخفق فى صدورها القلوبُ
بريئة من سُحُبِ الشجونِ

يا هبةَ الإلهِ للمخلوقِ
بسِرّكِ المهيمنِ الطليق
تقطعُ بى هناءتى طريقى
إلى خفايا السحرِ والفتونِ

حريتى أمستْ أعزَّ مالى
بها أحِسُّ فتنةَ الجمالِ
ولا أرى بدونها كمالى
نشأها الرحمن فى تكوينى !



إلى الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة »

كتبت الكلمة التي نشرت في العدد الأخير من الرسالة حين اطلعت على تلخيصكم كتاب الدكتور عمر فروخ. ثم اطلعت في هذا العدد على كتابه بنصه فعرفت أن الكاتب يدعي، والله يشهد أنها دعوى غير صادقة، أني سلخت من كتابه أربع قرائن: إشارة المعرى إلى نظم اللزوميات، والإشارات التاريخية وأشهرها قصة صالح بن مرداس، وإشارة المعرى إلى سنه، وإشارته إلى شيخوخته دون ذكر السن.

فأما الأولى فهي في كلام المعرى نفسه في مقدمة كتابه ولا يحتاج قارىء اللزوميات أن ينقلها عن أحد. وأما قصة صالح فيعرفها كل من قرأ تاريخ المعرى. وقد ذكرها الدكتور طه حسين في كتابه ذكرى أبي العلاء قبل ثلاثين عاماً، وفصّل القول فيها عبد العزيز الميمني في كتابه عن أبي العلاء، وذكرت في كتب أخرى. وأما ذكر المعرى سنّه وشيخوخته فكل من قرأ اللزوميات وفهمها يستطيع أن يتتبع الأبيات التي تحدث فيها المعرى عن عمره؛ فإن كان الكاتب يجادل في أني قرأت اللزوميات فمن شاء الجدال جادل، وإن كان يصدق أني قرأت اللزوميات فهل يصدق أني أمر بهذه الأشياء فلا أدركها وإنما أقرأ اللزوميات قاصداً تأريخها؟ ليعلم الدكتور عمر أني كتبت عن أبي العلاء رسالة قبل خمس وعشرين سنة وأني أكاد أحفظ اللزوميات حفظا.

ثم قد فطنت في بحثي إلى ما هو أدق وأخفى من هذه القرائن التي يدعي الدكتور عمر أني سلختها من كتابه؛ فطنت إلى ما خفي عليه ودق على فهمه، فعرفت إشارة المعرى إلى وفاة الحاكم الخليفة الفاطمي، وإشارته إلى وفاة الوزير المغربي، وبينت مَن محمود ومسعود اللذان ذكرهما ومَن آلك المذكور في قوله:

« سيموت محمود ويفني آلك ». وفطنت إلى ترتيب الأوزان في اللزوميات، وهذه هي الدقائق التي تحتاج إلى علم بالتاريخ والأدب واستنباط.

فهل يدعي أني أخذتها عنه كذلك؟ أو هل يظن أن الذي استخرج هذه الخفايا دون سلخ من كتابه يعجز عن إدراك القرائن الواضحة التي ذكرها؟

وقد تكلم عن توارد الخواطر. وليس الأمر من باب توارد الخواطر؛ بل هي معان ماثلة وعبارات واضحة في شعر المعرى يدركها كل أديب. وليس فيها خواطر أو هواجس.

وقد قلت إني لم أطلع على كتاب فروخ قط، وقال هو إن كتابه أرسل إلى العالم العربي وإلى لندن، وأن « العالم الحقيقي لا يهجم على عمل مثل هذا إلا بعد أن يتقصى المكاتب ويفتلي الكتب والمجلات ».

فأما إرسال كتابه إلى لندن أو إلى الصين فلا ينفي ما قلته صادقاً، إني لم أطلع حتى هذه الساعة على كتابه. وأما أن العالم ينبغي أن يتقصى المكاتب فقد أردت أن أستخرج من لزوميات أبي العلاء تاريخها فلم يكن لي مصدر سواها. وإن كان جهلي كتاب عمر فروخ عيباً فإنا لا أخفي عيبي وأقول خجلا: إني والله أجهل عمر فروخ أيضاً. وأقرّ بهذا الذنب، فليغفرلي ولا غضاضة عليه في هذا فقد جهلني هو فلم يعرف أخلاقي وسيرتي.

وبعد فقد كان حسب الدكتور عمر أن يقول رجل مثلي إنه لم يطلع على كتابه. كان هذا حسبه لو كانت أخلاقنا تستعظم أن يكذب باحث ديدنه طلب الحق مخلصاً. لو كان لنا نصيب من أخلاق العلماء لكان قولي فيصلا في القضية.

وأختم كلامي في هذا الموضوع بأن أقول: إني أرى من هواني على نفسي وضياع وقتي، أن أشغل نفسي بجدل ابتدأه صاحبه بهذا العدوان وهذا الافتراء وهذا التسرع. فلن أكتب من بعد في هذا الموضوع حرفاً. فمن شاء أن يجادل بالباطل ليعرّف بنفسه فلا حيلة لي فيه.

عبد الوهاب عزام

المعرى وعين سلوان:

أبو العلاء المعرى (نابغة الأدب العربي) أعجوبة من أعاجيب الزمان، فقد كان وهو منقمع قابع في حجرته يطل على الدنيا فيعلم مجهولا، ويرى خفياً.

هذه عين سلوان، قلّ من يعرف من أهل القدس خاصتهم

وعامتهم – وسلوان قرية تجاورهم – أن ماء تلك العين يقارب فى ملوحته ماء زمزم .

إن أبا العلاء قد عرف ذلك ، وذكر الماء وعينها فى شعره فقال فى لزومية :

وبعين سلوان التى فى قدسها طعم يوهم أنه من زمزم

وقال فى لزومية أخرى :

سيحان للروم عذب ، ليس مورده
ملحاً كزمزم أو عين بسلوان

هذا المعرى الضرير ، فى قلبه ألف عين .

(الوحدة) « السهمى »

رسالة إلى (الرسالة) :

عاد من رحلته إلى فلسطين صديقنا الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ؛ وقد كان فى هذه الرحلة القصيرة موضع التعظيم والتكريم والأستاذية : يُدعى فيجيب ، ويُستفاد فيفيد ، ويُستفهَم فيُفهم ؛ وفى العدد القادم سننشر أولى مقالاته بعد عودته وعنوانها : « رسالة إلى (الرسالة) » .

عتاب

قرأت بحثاً قيما للأستاذ فؤاد عوض واصف فى العددين ٦٣٣ و ٦٣٤ من مجلة الرسالة تحت عنوان « التاريخ ما هو » استعرض فيه علم التاريخ وما دار حوله من نظريات منذ العصور الأولى حتى العصر الحاضر وحاولت عبثاً أن أجد ولو كلمة عابرة عن جهود العرب وخدماتهم فى كتابة التاريخ وتطوره فلم أظفر بطائل ، ولعل ذلك راجع إلى أن الأستاذ اعتمد فى كتابة بحثه على مؤلفات أجنبية تغفل فى أكثر الأحيان فضل العرب والمسلمين . وإذا أجمع علماء الغرب مع الأسف على أمر خطأ لا يعنى ذلك أنه صار صواباً ، وإذا كانت أوربا العصور الوسطى مظلمة تمزقها منازعات الملوك والأمراء وتفتك بها حروب دينية شعواء لا يعنى ذلك أن أوربا هى العالم وأن تاريخها تاريخ العالم ، لأن العالم الإسلامى فى ذلك الوقت كان يغمره النور ويسوده الأمن والسلام ، وإذا تعامى الغرب عن هذا النور فما أجدرنا أن ننبه أنفسنا وأولادنا والدنيا إليه .

جاء فى المقال الأول « وحتى القرن الثالث عشر الميلادى كان التاريخ فى معظمه وقائع وأخباراً دينية » وهو قول ينطبق على مؤرخى أوربا المسيحية ولا ينطبق على مؤرخى العرب أمثال ابن جرير والمسعودى وابن الأثير وغيرهم كثير لأن مؤلفاتهم ليست فى معظمها أخباراً دينية ، إنما كانت تسرد أخبار الدول وأسباب قيامها وسقوطها ووصف البلاد مع صحة الأخبار ودقة الوصف ولا سيما ما اختص بالدول التى نشأت بعد الإسلام . كما أنه لم يشر إلى ابن خلدون شيخ مؤرخى العرب الذى قال عنه بحق الأستاذ « فلنت » الإنجليزى إنه « واضع علم التاريخ » مع أنه ذكر مكيافلى « واضع علم الغدر السياسى » الذى ذاق منه العالم ولا يزال الشىء الكثير . أشكر الأستاذ على بحثه القيم الشامل وآمل ألا ينسى أجداده العرب حينما يمرون به فى أبحاثه المقبلة لإنهم أهله وعشيرته وموضع فخره وعزته .

(غزة – فلسطين) حلمى أمان

تحية الشعر :

[مهداة إلى الطبيب الأديب الدكتور مصطفى الديوانى مؤلف « صديق العائلة »]

سألتك يا مصطفى فلتجبنى
كتابك من أى سحر وفن ؟

كتابك علم وشدو معاً
فهل كنت تكتبه أم تغنى ؟

كتابك فى الضاد حلم الزمان
تحقق للناس بعد التمنى

بلغت به منزلاً فى الخلود
يزيد على كل وهم وظن

وأقسم من يهتدى بهداه
فقد لاذ من كل سقم بحصن

ومن عجب أن يصوغ الطبيب
كتاباً أراه عن الطب يغنى !

(المنصورة) على منولى صلاح

وطرابلس الغرب أيضاً :

قرأت ما سجلته مجلتكم الغراء فى عددها ٦٣٥ للأستاذ حسن أحمد الخطيب بعنوان « مراكش العربية تستصرخ » فله خالص الشكر على هذه الروح العربية التى نتمنى أن نلمسها فى كل كاتب .

وأحب أن أقول : إن بلادنا طرابلس الغرب التى تتاخم مصر من الغرب لها نفس هذه الاستغاثة وهى تطلب من جميع رجالات العروبة ومن جميع من يهمهم شأن البلاد العربية المقسمة بين الدول العظمى أن يلتفتوا إلى هذا الجزء من البلاد العربية التى تعتبر

وحدة لا تنفصم ، وأن يعيروه بالغ اهتمامهم وأن يرقبوا بعين ساهرة متيقظة ما يجرى فى هـذه الأيام حول بلدنا المسكين من مساومة وجذب إلى اليمين وإلى اليسار ، وأن يعلموا أنه قطر مستقل استقلالا تاماً بمقتضى المعاهدة التركية الإيطالية سنة ١٩١٢ ، غير أن إيطاليا أضاعت ذلك الاسـتقلال وأبعدت ذلك القطر من المحيط العربى ، ويطلبوا — والحق يؤيدهم — إرجاع ذلك القطر العربى إلى ما كان عليه من الاستقلال .

وإن جميع الطرابلسيين لينظرون بتلهف إلى مجهود هؤلاء الرجال الذين نستطيع بمساعدتهم وحسن مسعاهم أن نشق طريقنا ظافرين منتصرين وهذا هو وقت العمل فإلى الأمام جميعاً .

(رواق المغاربة — الأزهر) **على محمد المسلاتى**

أول وزير

كتب الأستاذ محمود عزت عرفة فى عدد (الرسالة ٦٣٥) كلمة تحت عنوان « قرد وحمار » ، ونقل فيها حكاية تروى عن ابن عباس من كتاب « نشوار المحاضرة » للقاضى التنوخى ، وفيها كلام عن الوزارة والوزير (وما كان يتهدد الوزراء يوم ذاك من خلع وقتل وحبس واستصفاء)

وقد تكون هـذه القصة صحيحة ، ولـكن روايتها عن ابن عباس بعيدة كل البعد ، ذلك أن ابن عباس رضى الله عنه توفى فى النصف الثانى من القرن الأول ، وأذكر الآن أنه توفى فى حدود الثمانين ، وقد حضر مقتل عبدالله بن الزبير فى سنة ٧٣ من الهجرة وكان قد كف بصره فى ذلك الحين ، وأن أول من لقب بالوزارة أبو سلمة الخلال وزير عبد الله السفاح فى سنة ١٣٢ من الهجرة ، على أن ما كان ينال الوزراء من حبس وقتل واسـتصفاء لم يشع إلا فى القرن الثالث والرابع ، وإن كانت قد وقعت حوادث قبل ذلك لم تبلغ حد تبغيض الوزارة إلى الناس ، كما حدث مع أبى سلمة هذا ، ومع أبى مسلم الخراسانى ومع البرامكة

ومثل هذه الحـكايات والأضاحيك التى تروج بين العامة إنما تتناول أمراً مشهوراً واضحاً بارزاً

فلعل الأستاذ أخطأ فنسب الرواية إلى ابن عباس ، أو لعله غفل عن خطأ صاحب « نشوار المحاضرة »

(بنباقادن) **على جلال الدين شاهين**

من هو ابن الحنفية ؟

قرأت كتاب « على ضفاف دجلة والفرات » للأستاذ طاهر الطناحى ، غير أنه لفت نظرى قول الأستاذ فى صفحتى ١٥ و ١٠١ أن محمد بن على بن الحسين هو المعروف بابن الحنفية ، ولم أفهم حتى الآن أن محمد بن على بن الحسين عرف بهذا اللقب ، غير أننى أعرف أن ابن الحنفية هو « محمد بن على بن أبى طالب »

(الـكويت) **فاضل خلف**

الشيخ ثابت فرج الجرجاوى

فى ضحوة يوم الأحد ، الثـانى من سبتمبر الجارى ، توفى المغفور له الشيخ « ثابت فرج الجرجاوى » وقد جاء فى نعيه الموجز أنه ... عالم جليل وخطيب مفوه ووطنى صادق ... ولـكن قليلا من القراء من حملت إليهم هذه النعوت معنى خاصاً عن حياة الفقيد ، أو سجلت فى خواطرهم صورة واضحة من حاضره وماضيه .

عكف الفقيد منذ فجر حياته على الدراسة بالأزهر الشريف ، حتى أحرز فيه العالمية الأهلية ؛ ولـكن حماسته الفطرية ، وتحفزه ونشاطه اللذين لازماه إلى آخر أيام حياته ، ثم موهبته الخطابية الممتازة ، ونعرته الوطنية الصادقة ، الجارفة ... كل هذه الخلال دفعت به إلى الانغمار فى تيار السياسة ، انغماراً نبـه من ذكره ورفع من شأنه ، وكشف للناس عن ينبوع ثر من عبقريته ومواهبه . وقد اعتقل الفقيـد بين من اعتقلوا فى حوادث عام ١٩١٦ ، ثم نفى إلى مالطة فى ركب الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكان هذا الحادث أنصع نقطة فى صفحة حياته ، كما كان يقول — غير مرة — عن صدق ويقين ، ولما استقرت الأمور فى نصابها وعاد إلى وطنه ، كان أحد أولئك الذين لم يلتمسـوا من وراء جهادهم الثروة أو الجاه ، وإنمـا اندمج فى سلك التعليم يؤدى رسالته سا كناً متواضعاً ، حتى انتهى به المطاف بعد سنين إلى نظارة مدرسة أولية فى بلدته جرجا

وهنا تبدأ صفحة أخرى من حياته كان فيها رجلا « اجتماعياً » من الطراز الأول ؛ فما تأسس ببلده مشروع ، ولا دُعى إلى

مصلحة عامة ، إلا كان أول ملبٍّ وأسبق مؤيد ومؤازر . خطب فى مئات الحفلات ، ورثى وكرّم ، وودع ووعظ ، وصنع على يده وعينه جيلاً من الشباب كلهم يسلك نهجه ويأتم بهداه .

وكان شعر الشيخ ثابت متوسطاً فى الجودة[1] ، ولكنه كان يضفى عليه الجمال كله بحسن إلقائه وتدفق بيانه . وكان إذا اعتلى المنبر شاعراً أو ناثراً ، يهدر هدير الفنيق ، ويزأر زئير الأسد ، فترجف حوله القلوب ، وتشد إليه المسامع والأبصار . كان رجلاً خلا فى قوله وعمله وأخلاقه ... بل وفى منظره ، فهو ابن الثورة وربيبها ومذكى ضرامها حقاً . وكان — على هذا — رقيق العاطفة حلو الدعابة بارع النكتة ، سمحاً نقى السريرة لا يكنّ لمخلوق عداوة ؛ ولقد شهدته غير مرة ينشج بالبكاء فى مواقف الرثاء ، بل وفى بعض مواقف التوديع !

(١) له ديوان مخطوط يضم قصائده فى الوطنية والسياسة ، ومجموعة أخرى حديثة تشمل ضروباً من شعره أكثرها فى المراثى والاجتماعيات والاخوانيات .

ومن شعره الذى يدور على الألسنة منذ عهد الثورة قصيدته التى يقول فى مطلعها :

وطنى عزيز لا أروم سواه مهما تسوّرت العدى مبناه

ولا تتسع هذه المجالة لإيراد شىء من كلامه ، وإنما نختمها بالإشارة إلى مبلغ نشاطه حتى فى آخر لحظات حياته ؛ فقد كان رحمه الله — على إصابته بالفالج الجزئى منذ سنوات — يشغل منصب النظارة فى مدرسة أولية كما ذكرنا ، وكان وكيلا ومدرساً بالمعهد الدينى المنشأ حديثاً فى جرجا ، ومدرساً بجمعية المحافظة على القرآن الكريم ، ورئيساً لرابطة التعليم الأولى والإلزامى ، ورئيساً لجمعيتى نهضة القرى ومنع المسكرات بجرجا . والغريب أن جميع هذه المنشآت يكاد يرجع إليه وحده فضل إنشائها !

تلك نبذة موجزة عن حياة الشيخ ثابت فرج نؤدى بها حق الوطن والتاريخ . والله يرحمه ويحسن جزاءه ...

(جرجا) محمود عزت عرفة



من الفن القصصي الحديث

حينما كان طبيباً ! ...

للكاتب الفرنسي هنري افران

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

قالت مدام « دي برسي » وهي تحاور زوجها : « إذا كنت تبغى أن تلم بهذا الشأن ، فألزم أذنك الإصغاء ... فسرده يعوزه الهدوء ريثما آتي عليه ... »

فنبس زوجها في لهجة فيها شيء من الجفاء : « كمشيئتك ... إني إذن صاغ إلى حديثك ! »

فعاد صوتها يرن ، وقد شابه الارتجاف كأنما ينم عن نفس مضطربة ، قالت : « حسن! ... إن الحياة معك لايمكن أن تدوم ، وسأتجلد حتى الصباح ... إنك رجل شريف ، لا شك في ذلك ، ولا يمكنني أن ألصق بك عيباً ، فأنت لم تعمل يوماً على المخاتلة والخداع ... أما أنا فلا أقل عنك إخلاصاً ووفاء مذ ذلك اليوم الذي وقفنا فيه أمام القس يعقد لنا ... ولكنا أحسسنا بعد ذلك أن مشاربنا متباينة ، وإني لأعلم أن ثمت أناس لا يقلون عنا تبايناً واختلافاً ... بيد أن حالتنا لا تطاق ، فكل إساءة مني تكدر صفاءك ، وإني لموقنة أن هذا الشعور متبادل بيننا : عندما أتحدث يزعجك ذلك ، وإذا ما ضحكت أنت تثير حنقي ، وكذلك صمتنا يموج بالحقد والبغض ...

هذا أمر لا يحق إغفاله ، فأنت تود ما لا أستطيعه ، وإني لا أجد فيك بغيتي ومرامي ، لأنك بهلق ، لا تثبت لحديثي ولا تستملح إشارتي ، بل تعتقد أنني أنغص عليك عيشك في كل عمل آتيه ، حتى وقع أقدامي وارتداء ثيابي ! أليس هذا هو عين الحق؟

إني لألمح فيك — وأنا أتحدث الآن — نزعة إلى أن تهم بإلقائي من النافذة »

فقال زوجها في غمغمة : « حسن ! ماذا أيضاً ؟ ! »

— لقد انتهى بي الفكر إلى أنه يجب علينا أن يعيش كل منا على حدة ... ليس هذا بخطئي ولا بخطئك ... إنه خطؤنا معاً ... وعلى كل حال فهذه هي الحقيقة العارية عن كل لبس وريب ، فكلانا لم يخلق لصاحبه ، وربما كانت السعادة إذا ما انفصلنا ... ليس هناك ما يمنع من انفصالنا كأصدقاء ... فما رزقنا الله طفلا نتنازع عليه ، وكل منا له دخل يغنيه عن صاحبه

— لن أنحي باللائمة عليك ، فهذا هو السبيل الذي سلكه كل فرد من أهلك « آل برسي » من الأب إلى الإبن ، وكان والداك — كما أنبأتني — على غير وفاق ، لم يفلحا في العيش معاً أكثر من أسبوعين ، وهذه هي العلة في أنك الإبن الوحيد لهما ... وأخيراً يجب علينا أن نقلب أوجه الرأي في الطريق اللائق إلى الانفصال!

وكان « مسيو دي برسي » يتلقى ذلك السيل الجارف بهدوء وسكينة ، ويهز كتفيه من حين إلى حين ، أو يقلب شفتيه في زفرات تنم عن نفس مضطربة أو قلب مكلوم ... راح يقطع الغرفة في خطوات واسعة ، ويداه معقودتان خلفه ، كما كان يفعل « نابليون بونابرت » عند ما تسير الأمور بما لا يشتهي ... وإذا ما كفت زوجته عن الحديث واجهها ، وأخذ يصمد فيها طرفه في اضطراب من جرحت كبرياؤه ومست كرامته قائلا : أأفرغت جعبتك؟ »

— بلى ، لقد أتيت على كل ما كان يجيش في نفسي

— إذاً ، كما تودين يا عزيزتي ... أنت ترغبين في الانفصال ، وسأجيبك إلى طلبتك ، وسيعيش كل منا في عزلة عن الآخر

— أنت حري بأن تفعل ما تراه !

— شكراً ... ولكني أمنعك من الاتصال بغيري

— إن هذا لا يدور بخلدي ... إذا ما انفصلنا فسأعيش لنفسي ، ولن أجد في طلبة غيرك ... لقد كنت مخلصة لك في زواجي ، وسأظل على إخلاصي في عزلتي ... أليس هذا ما ترمي إليه ؟ !

— لا ، ليس هذا كل ما أود ، فينبغي أن يعرف كلانا مصير صاحبه !

— مصيرصاحبه ! إننا نعلمه جيداً ، راحة وهدوء ، ثم طعن في العمر ، وأخيراً إلى المقبرة حيث المثوى الأخير !

— ليس هـذا ! دعيني أتحدث ! كل منا حر في اختيار مصيره ، ولـكن هناك أمر يجب ألا نغفله ، فيحسن بنا أن نحمل هذا الانفصال بيننا فقط ، ويخيل إلى أنك تحبذين ذلك !

— حسن . ولـكن هذا السر لايلبث أن يذاع في النهاية !

— ليس طفرة واحدة ، فيخف وقعه ووطأته ، ولهذا يجمل بي أن أقول : إنه ينبغي أن نذر الرماد في أعين الأصدقاء ، لـكي لا ندع لهم مجالا للظنة والريب ؟ فقالت الزوجة وقد اعتمـدت رأسها بين يديها : « وكيف السبيل إلى ذلك ؟ ! »

— ما دمت قد صممت على الرحيل في الغد ، فلا يحسن بك أن تذهبي إلى أصحابك وأترابك في الريف أو في الخارج . إرحلي إلى بريطانيا ... هه ... ارحلي إلى « مينـو » فامكثي هناك فترة لا تجد الضجر فيها إلى نفسك سبيلا ... إلبثي شهرين إذا أمكنك ذلك ... و « مدام بنارد » — مديرة قصرنا الريفي الذي نشأت فيه أن خلقتي والداي — ستقوم على خدمتك والعناية بأمرك ما وسعها ذلك ... أرجو أن تخبريها بحضوري على الدوام

— وهذا لا تفكر في أن تأتيه ؟ ...

— بلى . ولـكن يجب أن تخبريها ، وهذا المكان يشيع فيه الجمال والإبداع في التنسيق على مبعدة فرسخين من « جوراند » وعلى صحة « باتز » ... وأعتقد أن قدميك لم تطآ هـذه البقاع ... إنها مدرج طفولتي ومهد صباي ... إنها تفوق بريطانيا حسناً وروعة ... فلا تجعلي هذه الفرصة تمضي دون انتهازها !

— لقد حدثتني في لباقة وهدوء ، وإني لا أود أن أغادر بيتك هذا على سوء ... أبرق إلى « مدام بنارد » ، فسأرحل إلى « مينو » وسأمكث شهرين !

— شكراً ... سعدت مساء !

— لا . بل قل وداعاً ... إنه فراق بيني وبينك !

ولم يرتعد صوتهما في هـذا الوداع الأخير ... ولـكن قلبيهما ... قلبيهما المعذبين ... كانا يخفقان ويرددان : « أهذا حق ؟ ! هل قطعت كل رابطة بيننا ؟ أيفارق كل منا صاحبه ؟ سترى أيتها الفتاة ... سترى أيها الفتى !

* * *

أقبل شهر مايو ، وهبّت نسمات الربيع على الـكون رخاء سجسجاً ... واتخذت « مدام دي برمي » أهبتها للرحيـل إلى « مينو » في غدوة يوم أصحيان ... والشمس تدلف في خمول ، ولم تبلغ حرارتها أوجها بعد ... بدا الساحل في فتنة وروعة لا تدانيها روعة ... كأنه يبتسم لشعاع الشرق والصبح الوليد ... والأمواج تداعب بنانه في رقة وهي تتسابق إليه كالطفل يهرع متعثراً إلى ذراعي أمه ... وتناثرت الخضرة في كل مكان ... والرمال تبرق صفحتها كالدر المنثور ... أنه لجو صحو يحلو لمن يبغي الهدوء والجمال ...

قضت « مـدام دي برمي » أيامها الأول في تعرف محيطها الجديد . كانت سكناها في حجرة ذات جدر مكسوة بستائر صفراء مزركشة ... وتطل هذه الحجرة على مناظر رائعة ... فالى اليمين السهل الفسيح وقد تناثرت فيه الصخور والنواتيء ... والشجيرات ذات العطر والبهاء ... وإلى اليسار يبصر المرء دغلاً من الأشجار « الصنوبرية » السامقة تصفر بين جذوعها الريح فـكأنها عزيف الجن بالأرض العراء ...

أرسلت « مدام دي برمي » طرفاً شارداً إلى أمتعتها المبعثرة وإلى تلك الحجرة المنسقة ... فراحت تفكر جاهدة في تدبير غرفتها على نسق يلذ لها أن تراه ...

إن الطبيعة لَتُقَدِّم إلى أولئك اللائي يجتزن — مثل « مدام دي برمي » الأزمات الزوجية أجل المنافع ... فالهدوء والسكينة والطمأنينة تعيد إلى نفوسهن شيئاً من المحبة والشوق إلى أزواجهن بعـد انفصالهن ، وتُسكن في قلوبهن ذلك الخاطر الحزين الذي طالما يطوف بهن ...

جلست « مدام دي برمي » تطوف الخواطر بخيالها ... وتعود الذكريات إلى نفسها ... فراحت تذكر أيام الطفولة البريئة الطاهرة ولُعَبها العديدة ، ثم عندما بدأت عيناها تنظر إلى الحياة ... وأول ثوب طويل لهـا ... وأول رقصة رقصتها ... ثم عندما كانت عذراء قبل زواجها ؛ وأخيراً تلك الحياة الزوجية ... كانت حياتها تنساب في غير تعثر ، فما كانت تحفل بالقصص والفجاءات ، ولا الحزن والمرح ... وإنما كانت تسير سيراً عادياً تحدده عناية الله .

ومذ تسع سنوات كانت تأوي إلى مضجعها والأمل يداعب نفسها للغد القريب ... وغابت التسع سنوات سراعاً ، وها هي ذي تعاني المرارة والألم ... كانت تبغض زوجها وكذلك هو . وكثيراً ما كانت تُبدي هـذا البغض في أعمالها ... أما هو فـكان يبدي استياء

عنـد سيرها ... أو ينفر من حديثها ... بل يتبرم به ... كانت أخلاقهما متباينة متنافرة ...

ما كان زوجها بالرجل المرح الذى تصبو إليه النساء ... بل كان جامداً عزوفاً عن المجتمع ... ولـكن فيه فطنة وحدة ذكاء مع سمو فى الخلق وجلال فى الخـلال ... ذو قلب مخلص حنون هادىء ... بيد أنها تأبى أن تعاشره لاعتزاله المجتمع ونفوره منه، بينما كان فى ريعان الحياة ... وكانت تحس أن السعادة ستواتيها رويداً فى عزلتها هذه ...

رضيت « مدام دى برسى » بصحبة « مدام بنارد » المدبرة الـكهلة التى أقامت فى القصر منذ بنائه ... وكانت موضع تبجيل الجميع ... فلم تكن بالخادمة ... لقد ربّت « مسيو دى برسى » وعنيت بنشأته ... وما لبثت أن توثقت عروة المودة بين « مدام دى برسى » وبينها ... لأن هذه العجوز كانت مع شعرها الأبيض وثوبها البسيط الأسود ذات روح طيبة مرحة ونفس مجربة مدبرة ...

* * *

نهضت « مدام دى برسى » مع السيدة العجوز للتجوّل فى أنحاء القصر فقادتها إلى غرفة بالطابق الثالث ... وقالت وهى تدفع بابها : « إنى أرجو أن أطلعك على كل ما كان يمت إلى زوجـك العزيز « مسيو دى برسى » فى صباه ؛ فهذه هى غرفة لعبه ونومه » وجذبت باباً لصوان عتيق مكتظ باللعب المختلفة وقالت : « هذه كانت لعبه عند ما كان لا يزال دارجاً صغيراً » .

ثم راحت تستعيد أغوار الماضى السحيق وتقول فى صوت خفيض : « انظرى ، يا سيدتى ... لقد كانت له عروس صغيرة يعبث بها ويقبلها ويقول : سيأتى اليوم الذى أتزوجك فيه يا عروستى . لقد كان على خطأ بلا شك ، فعنده اليوم زوجة ما كان يخطر له أن يقترن بها » فلم تنبس « مدام دى برسى » ببنت شفة !.. وعادت « مدام بنارد » تقول « إن هذا يثير كوامن نفسك بلا شك ! »

— « نعم ... يا مدام بنارد ! » فتمادت السيدة العجوز فى عرض كل ما كان يخص « مسيو دى برسى » فى غرفة نومه ... وكانت كثيراً ما يتشعب بها الفكر فتذكر اسمه القديم « لويس » فتعجبت « مدام دى برسى » من جهلها بهذا الإسم مع زواجها بصاحبه .. ثم شاهدت غرفة دراسته وكتبه وكراساته ، وتناولت « مدام دى برسى » إحداها من المرأة العجوز التى كانت تقول فى شوق وشغف « انظرى ! .. كم كان خطه جميلا عندما كان صبياً ... »

وقرأت « مدام دى برسى » فى إحدى الصفحات عبارة بخط كبير « أين هو الحب ؟ ! » ثم قالت « أود أن أخرج لأنسم الهواء ، فإنى أشعر بدوار ... » .

مضتا فى صمت إلى الحديقة ... وكان نسيم البحر يلطف من جوها ويصفر فى أنحاء الغابة الصنوبرية . وراحت السحب تمضى على مهل فى صفحة السماء ...

بلغت المرأتان شـفير بحيرة تسبح فى مائها الأزرق الساجى بجعتان ناصعتا البياض تسميان : « جوبتر » و « جنو » ... فغمغمت مدام بنارد قائلة : « هذه هى البحيرة التى كان يقطعها سابحاً زورقه ... عندما كان صبياً ... وقد كادت أن تطويه يوماً فى مائها ... إنى لأذكر هذا اليوم طيلة حياتى » ...

وأدركتا نهاية المزرعة حيث كان ثمت مقعـد قديم دارس نمت عليه الحشائش وكسته الأزهار ... قالت مدام بنارد : « هذا مقعده حيث كان يجلس للقراءة ... » .

وفى جولتهما مرّتا بفسيح من الأرض الخضراء ، فارتفع صوت « مدام بنارد » قائلة : هذه هى الحديقة التى كان يفضلها ويقوم فيها برياضته ... » .

وعندما مرّتا باصطبل للخيل ... علقت فيه السروج والحوافر والسموط قالت مدام بنارد : « كان يقطن هنا بونيفاث ! » .

— « ومن بونيفاث هذا ! ؟ . »

— « فرسه الصغير ... »

وتنقلا من مكان إلى آخر حتى أتمتا سياحتهما وشاهدتا صحن الدار والحدائق والأدغال والريف المحيط بالقصر والطريق وفروعه وكل ما كان يخصُّ « لويس » من أماكن كان يرتع فيها لاعباً أو لاهياً ، ويجلس فيها قارئاً أو كاتباً ...

كانت آثاره فى كل مكان ... فما تقدمت مدام دى برسى خطوة حتى بصرت بأثر جديد ينم عن زوجها إبان صباه ... وقد لوّحته الشمس ودرّسه صرف الدهر ...

فلمّا انقضت الجولة وآوتهما الدار من جديد ... قصدا البهو حيث جلستا فى فرجة شرفة تطل على البحر بأمواجه الراقصة ... وراحت مدام بنـارد تسرد قصة « مسيو دى برسى » فى

طفولته وصباه فى لهجة صادقة مخلصة : « لعلك تدرين أن والديه كانا على قسط وافر من الغرابة ... ولكننى أدرى منك بذلك ... فلما اتفقا على شىء ... ولم يكن أحدهما غريباً عن الآخر ، ولكن أخلاقهما كانت غريبة حتى أنهما عاشا منفردين طيلة زواجهما الذى لم يجتمعا فيه إلا أياماً معدودة ... فإذا حضر الوالد إلى هنا ، كان على المرأة أن تغادر القصر على الفور ... كان كل منهما مشغوفاً بسيدى « مسيو لويس » فهو ابنهما الوحيد ... ففضلا أن يدعاه هنا فى كنف ... فقمت أرعاه وأحدب عليه ما وسعنى ... فكان لى كل شىء فى هذه الدنيا ... وقضى والداه نحبهما وما زال فى المهد صبياً ... لحزن عليهما هذا التعس الشقى وكأنه يعرفهما حق المعرفة ، ولو أنى قضيت لما بكى علىّ بكاءه عليهما مع أنى ربيته ورعيته

إنى أحيطك علماً بذلك يا سيدتى لكى تكونى على بينة من الأمر إذا لم يكن قد أفضى إليك به ... وينبغى عليك أن تشفقى عليه فهو شقى تعس ، وأحياناً تضطرب أعصابه فيثور ويهيج ويخرج عن طوره وهدوئه ؛ وما هذا بذنبه ... ولكن يرجع إلى والديه ، وإسراع المنية إليهما وهو لا يزال فى المهد ... فلو أنه عاش فى طفولة غير هذه الطفولة ... لكان رجلا آخر ... » .

طفقت هذه الذكريات تنساب من ثغر مدام بنارد فى إسهاب وإطناب ... حتى أقبل المساء إلى السكون ، وأخذ الشفق ينشر فى الأفق رداءه الأرجوانى الرائع ... وحينئذ سألت « مدام دى برسى » عن مصباح يمزق تلك العتمة التى بدأت تثقل وتقتم ... أما « مدام بنارد » فلم تمح تلك الدمعات التى تألقت على وجنتى مدام دى برسى لجففتهما فى سكون ...

وأخيراً وجهت « مدام دى برسى » الحديث إلى المرأة العجوز وهى تنهض قائلة « يسرنى ويبهجنى ما تحدثت به عن زوجى العزيز يا مدام بنارد ... » وضغطت على يدها فى تأثر ... فعجبت مدام بنارد لهذا التأثر ، ولم يكن هذا آخر عجبها إذ أن « مدام دى برسى » بعثت معها ببرقية لترسلها من مكتب « جوراند » إلى باريس ...

ولم تكن تدرى ما احتوته هذه البرقية ... ولكن علمت أنها وصلت باريس هذا المساء وحضر « مسيو دى برسى » فى اليوم التالى

(طنطا) **مصطفى جميل مرسى**

العدد ٦٣٩ – الاثنين أول أكتوبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

العدد ٦٣٩ - الاثنين أول أكتوبر ١٩٤٥ - السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٧ . ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ولدك الذى لم يولد

أتستطيع أن تعرف جنس الولد قبل أن يولد؟ ما أمل الطفل فى الوسامة والجمال، إن كان الوالدان غير جميلين. منذ أجيال. وجميع الوالدين يسألون مثل هذه الأسئلة — ويظفرون بالأجوبة الخاطئة. أما الآن فقد كشف العلم الستار عن الحقيقة؛ مقال فاتن فيه الأجوبة الصحيحة عن الأسئلة التى تسأل دائماً عنها عن «الولد الذى لم يولد» (صفحة ٥٣)

وفى هـذا العدد أيضا

القنبلة الذرية

انفجارات زلزلت الأرض. طاقة انفجار اليورانيوم تفوق حدود التصور، وتقتضى إعادة النظر فى أساليب الحرب، ووسائل الدفاع، وسياسات الأمم، وتحتم على الإنسانية أن تسعى لتظفر فى السباق بين الحضارة والكارثة، وهى حقيقة رائعة، وليس ثم ساعة واحدة يجوز إضاعتها، ولا يوم واحد يبدد.

اقرأ:

القنبلة الذرية. طبيعتها، أثرها فى المستقبل (صفحة ٧٢)

هذا سر السعادة

ليس يكفى المرء أن يحيا وحسب، بل إننا نحتاج إلى تذوق لذة الحياة.

نأخذ هنا من العالم العظيم مؤلف كتاب، «الإنسان ذلك المجهول» — القواعد الصحية والعقلية والنفسية التى تجعل حياتك تضرة ممتعة، وعملك لذيذاً موفقاً ودنياك مشرقة مقبلة.

اقرأ:

أتعرف كيف تعيش؟ للدكتور الكسيس كاريل (صفحة ٣٧)

تشخيص المرض

ما سبب الصداع الذى تصاب به هذه السيدة؟ لماذا كان وقاد القاطرة يصاب بالإغماء كلما بلغ القطار منحنى فى الطريق؟ نوادر عجيبة من مذكرات مشاهير الأطباء.

اقرأ:

فن تشخيص الأمراض (صفحة ٢٢)

13 me Année No. 639

Lundi - 1 - 10 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٦٤ — أول أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

رســــالة إلى « الرسالة »

للأستاذ عباس محمود العقاد

في رحلتى إلى السودان ، سمعت حديث « الرسالة » فى أول مكان طرقته من السودان ، وسمعته فى الساعة الأولى بعد الفراغ من مراسم الجوازات وتسجيلات الوصول

ثم لبثت أسمعه فى أندية البلاد كلما دار الكلام على الأدب والأدباء ، ولا سيما الأدب العربى وأدبائه المعاصرين

ولم تتغير العادة فى فلسطين

فقد سمعت حديث « الرسالة » فى كل ناد من أندية الأدب ، ونمت إليها رسالة علنية فى أحفل جلسة من الجلسات الأدبية شهدتها فى مدينة يافا ، وهى مركز الحركة الصحفية والكتابية فى شواطئ أرض الميعاد

كانت الدعوة باسم اتحاد الأندية فى المدينة ، وهى تتسع منها لسبعة على ما أعلم ، تختلف أغراضها بين الثقافة والرياضة البدنية ومطالب الإصلاح والاجتماع

وكانت الدعوة إلى سهرة فى الهـواء الطلق بفناء النادى الأرثوذكسى ، وهو على ما سمعت أوسع فناء للأندية هناك

واتفقنا على أن تدور السهرة على المساجلة بالأسئلة والأجوبة فى الموضوعات التى يعنى بها الأعضاء ، وكلهم من الشبان المتعلمين أو الشابات المتعلمات

ويظهر أن الأديب الموكل بأمانة الاتحاد قد بسط على الأسئلة شيئاً من الرقابة الفكرية التى تخليها من كل شائك أو محرج من موضوعات الجدل والخلاف . فمرت الأسئلة الأولى بين سؤال لى عن أحب كتبى إلىّ ، أو سؤال عن الفرق بين فلسطين كما رأيتها فى زيارتى الأولى ، وفلسطين كما أراها فى زيارتى الآن ، أو أسئلة متعددة من هذا القبيل

ثم انتهت الأسئلة المكتوبة وبدأنا فى الأسئلة المرتجلة ، فما شككت فى أننى سأستمع على الأقل سؤالا عن الحب وسؤالا عن المنافسات الأدبية فى الأقطار العربية ، لأن الشبان كانوا أصحاب الكثرة الغالبة على الاجتماع

فأما السؤال عن الحب ، فقد كان محرجاً بعض الإحراج ، لأنه كان يتناول « الحب العذرى » ورأيى فيه ، وكان فى الجمع سيدات وآنسات ، وكان فيه شيوخ من رجال الدين ، لهم وقارهم المرعى فى كل مكان

قال السائل : يعتقد صديقك المازنى أن الحب العذرى غير موجود وغير معقول ، فما اعتقادك أنت فى هذا الموضوع ؟

فأردت التخلص وأحلت السائل إلى واجب الصداقة الذى يأبى علىّ أن أعرض لرأى أخينا المازنى بتفنيد أو تجريح ! وقلت له

فى عجلة ولهوجة : إن الحب الجنسى ينتهى إلى غاية جنسية ، وأما ما عدا ذلك من ضروب الحب فليس لها غاية غير الصداقة والولاء

ثم جاء دور المنافسات الأدبية فى البلاد العربية . فكان لها نصيب فى أكثر من سؤال واحد ، وكان أهم الأسئلة فيها رسالة إلى « الرسالة » ، أو عتباً على المجلات المصرية — وفى مقدمتها « الرسالة » — لأنها تضن بالنشر والتنويه على القصائد والفصول التى تأتيها من أدباء فلسطين

وكان صاحب السؤال خطابياً فى لهجته ، عنترياً فى حماسته ، مؤمناً بصوابه فى عتبه ، ولعله كان ينطق بألسنة غيره ممن يعتبون مثل عتبه ، ويؤمنون مثل إيمانه

فأردت أن أصحح هذا الوهم الذى يغلو فيه بعض الدعاة إلى التفرقة من أذناب الدول الأجنبية فى الأقطار العربيــة ، وقلت ما أعتقد فى هــذا الصدد ، وهو أن الديار المصرية — بقرائها وأدبائها ومجلاتها — أبعد الناس عن الأثرة العنصرية فى مسائل الثقافة ، أو مسائل المفاضلة بين الأدباء والمؤلفين ، وذكرت للسامعين شاهداً من الشواهد التى يلمسونها فى فلسطين ؛ وهو تفضيل « مفكرات دجاجة » للأديب الفلسطينى الدكتور إسحق الحسينى على سائر الأجزاء التى ظهرت من سلسلة « إقرأ » لكثير من الكتاب المصريين ، وهى لم تنل هذا التفضيل بأصوات القراء من أهل فلسطين نفسها ، ولا بأصوات القراء من أبناء البلدان العربية الأخرى ، وإنما نالتها بألوف الأصوات التى وردت من البلاد المصرية ، وهى تربى فى عدتها على كل ماعداها من الأصوات

ثم قلت : إن الديار المصرية هى الميدان الذى اشتهرت فيه مؤلفات اليازجى وصروف وزيدان والشدياق والحداد وأديب إسحاق والمعلوف وغيرهم من فضلاء سورية ولبنان والعراق ، وإنها هى الميدان الذى طبعت فيه — أو راجت فيه — مؤلفات الريحانى ونعيمة وجبران ، وسائر كتاب العربية فى المهاجر الأمريكية . فليس أسرع من المصريين إلى تقدير الأدب العربى الذى يصل إلى أيديهم وأسماعهم ، وليس عليهم من عتب إذا قامت العوائق دون وصول هذا الأدب إليهم ، فقد يكون المرجع فى ذلك إلى نظام النشر والتوزيع

ثم أردت القضاء على مظنة الأثرة العنصرية فقلت : وبعد هذا ينبغى أن نذكر أن نصيب الأدباء المصريين والأدباء السوريين من تنويه الصحافة العربية فى مصر سواء . ومن كثيراً من الصحف العربية فى مصر يديرها أناس من السلالة السورية ، فلا يتهمون فى هذا الصدد بالإجحاف والمحاباة

ولاح لى أن السامعين عارفون بمكان الصدق والصواب من هذا الجواب على ذلك السؤال ، ولكن صاحبنا السائل الخطابى لم يقلع عن عتبه ، ولم يزل مصراً على حقه هو فى نشر كل مايبعث به إلى « الرسالة » و « الثقافة » من المنظوم والمنثور ، فعاد يقول: إننا هنا لا نحفل بصحف الأخبار ولا بآراء الدهماء ، ولكننا ننتظر من أمثال الأستاذ الزيات والأستاذ أحمد أمين غير ما ننتظره من أصحاب تلك النشرات

وختمت الجواب واعداً بالتبليغ ، مزكياً موقف « الرسالة » و « الثقافة » فيما تنشران ، معتذراً من توجيه العتب إليهما فيما لم تنشراه ، لأننى لم أقرأه ولم أعرف مدى حقه من النشر والإهمال . فلعل اللوم على المرسل لا على المرسل إليه ! ... ولعل الصحيفتين المنصفتين قد أخلصتا للقراء فاستهدفتا لهــذا العتب من بعض الكتاب !

وانتهت السهرة بحادثة طريفة لا تخلو من دلالتها الأدبية . فإننا خرجنا من النادى بعد ختام الأسئلة والأجوبة ، فإذا بسيارة من السيارات التى وقفت على بابه ضائعة ، وإذا بها سيارة الكاتب المعروف الأستاذ عيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين وشيخ الصحافة الفلسطينية

قال الأستاذ : سأعود عليك بطلب التعويض ، لأنك أنت المسئول عن ضياع السيارة ، فقد ترك السواقون سياراتهم ودخلوا النادى ليسمعوك ، وكانت سيارتى مطلقة الدواليب ، فوقع عليها اختيار اللصوص دون غيرها من السيارات

قلت : بل أنت المسئول عن محبة اللصوص إياك ، واختصاصك أنت بالسرقة دون سواك ؛ فلعلهم طمعوا فى مالك إكراماً لأدبك ، ولعلهم كافأوك بما استطاعوه على تعصبك للأدب ، حتى فى اختيار السواق !

ولطف الله بعض اللطف فى مشكلة التعويض ، كائناً من كان المطالب بالعوض ، لأن الشرطة عثرت على السيارة فى اليوم التالى مزوية فى بعض الطريق ... ولكن بغير إطارات

***

ومما يذكر لفلسطين بالحمد والرجاء أن السياسة لا تشغلها كل الشغل عن مطالب الأدب والثقافة فى وقت من الأوقات

فهى اليوم لا تنى تتحفز وتتطلع ولا تكف عن التدبر فى مصيرها المنظور بعد الحرب العالمية : بين الصهيونية والانتداب والاستقلال والوحدة العربية ، وقلما تغشى مجلساً من المجالس لا يدور فيه النقاش على مسألة من هذه المسائل ، ولكنهم لا يستغرقون وقتهم فى مسألة منها إلا وجدوا بين فجواتها متسعاً لحديث اللغة العربية والأدب العربى والأدباء العرب فى مختلف الأقطار، وما إخالهم يبعدون الشقة بين موضوعات اللغة وموضوعات السياسة ، فإنما مستقبل فلسطين مستقبل العربية على أية حال

كنا نتحدث عن تقرير المصير وحرية الاختيار فى السياسة الوطنية ، فقلت : إن الله الذى حباكم بحرية الاختيار فى الجو والمناخ كفيل بأن يحبوكم بحرية الاختيار فى الحكم وشئون السياسة :

إننا فى مصر ننتظر الربيع أشهرا ، حتى نصل إليه ، ولكنكم هنا لا تنتظرونه غير ساعة واحدة تنقلكم حين تشاءون من قيظ الصيف إلى نفحات الربيع

عندكم « أريحا » التى تذكر الناس بالمظلات فى صبارة الشتاء ، وعندكم رام الله التى تذكرهم فى لياليها بالمعاطف ، ولو كانوا فى أيام المصيف

وكنا فى طريق « رام الله » هذه حين استطرد بنا حديث المصير إلى حديث المصيف ، فسألنا : أى معنى يا ترى لهذا التركيب الذى لا نعرف معناه بالعربية ؟ أهى كلمة عبرية أم آرامية ؟

ورجح الأستاذ السكاكينى أنها مخففة من « رام اللات »

وقال الأستاذ عادل جبر: إنهم جمعوا رامة على رام وأضافوها إلى الله ، وكأنها بذلك عربية أو آرامية تشبه العربية

والرامة فى اللغة العربية معروفة للمكان الذى يجتمع فيه الماء ، ولا سيما الروابى والهضاب ، وعندهم اليوم فى طريق بيت المقدس مواقع على هذه الصفة تعرف بالرامة على ألسنة السواد

بقى أنهم يعرفون الجمع فى الآرامية كما يعرف العرب جمع ساحة على ساح وراحة على راح وساعة على ساع وحانة على حان .

أما الدكتور موسى الحسينى ، فيرجح — على ما أذكر — أن أصل الكلمة « رام ايل » ، ثم تداولتها الألسنة العربية حتى صارت فى اللفظ الشائع « رام الله »

وهو رأى راجح ، لأن المواقع التى تنسب إلى « إيل » هناك غير قليلة ، ومنها « بيت إيل » الذى ينطقه العرب اليوم بيتين .

وكان القول الفصل أننا نستطيع أن نرجئ البت فى هذا الخلاف دون أن يفوتنا شىء من متاع الهواء الطلق والأصيل الجميل فى رام الله ! !

فأرجأنا البت فى الخلاف على ثقة من ذلك ، وتركناه حتى يفصل فيه أصحاب اللغات السامية ، إن راقهم أن يفضوه ولا يعلقوه مع غيره من أوجه الخلاف المعلقة فى أرض الميعاد

عباس محمود العقاد

(الرسالة) : لنا جواب عن هذه الرسالة فى العدد المقبل

الفيلسوف أمين الريحاني

قولان له في البلاغة

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

أبعث إلى الفيلسوف الأستاذ أمين الريحاني بكتابي « كلمة في اللغة العربية » ، وهو الخطبة التي خطبتها في (دار الرابطة الشرقية) في القاهرة في اليوم الأول من ذي القعدة سنة ١٣٤٣ ، فتجيئني منه رسالة في يناير سنة ١٩٢٦ (٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤) يقول فيها :

« سيدي الأستاذ إسعاف النشاشيبي (دام فضله)

وصلني كتابك (كلمة في اللغة العربية) ، قرأت (الكلمة) كلها متنها وشرحها فخيل إلى وأنا في رياضها وأدغالها ، وأغوارها وأنجادها ، ودهنائها ومفاليها (اللفظة بدوية وأظنها صحيحة)[1] أني أعيد السياحة في البلاد العربية . وما وجه الشبه ؟ إن الجمال اللغوي جمالك لمثل الجمال البدوي ، وإن الفخامة في ألفاظك لمثل الفخامة في صوت ابن البادية ، وإن الروح في مقاصدك لمثل العظمة في خطواته . وكلها يا سيدي في الكتاب وفي البادية مثل الوجوه (حال يحول) . نعم ، إن هذا الأسلوب في الأدب مثل ذاك البدوي في الحياة ، هو مظهر عجيب يسترعي الأنظار ، فيدهش ، ويطرب ، ويحزن معاً . ولماذا ؟ لأنه زائل . أحببت البدوي (والله) ، وكنت معجباً به ، ولكني لا أستطيع ولا أحب أن أكون مثله . وأحببت (كلمتك) ، وكنت وأنا أطالعها معجباً بها . ولكني لا أستطيع ، ولو أحببت ، أن أكتب مثلها . لو كان لي أن أسوح في البلاد العربية بعد خمسين سنة لما عرفت ، على ما أظن ، صديقي البدوي وقد تحضر أو تمصر . ولا أظن أن هذا الأسلوب أسلوبك يكون مألوفاً أو معروفاً بعد خمسين سنة . والحكم للمستقبل ، فقد يحكم على وعليك معاً . ولكننا في غير الأسلوب متفقان . إني مكبر أدبك ، محترم علمك ، محبذ دعوتك للمحافظة على روح اللغة والصيغة العربية فيها . وأظن أني من المحافظين ، رغم تجددي المخيف ، إذا اتخذت من ابن الأثير[1] ، وهو اختيارك ، مثالا أنسج عليه . ولكنك غاليت في حب القديم ، غاليت يا رجل ...

إذا كان المثل الأعلى الذي تنشده يقطع الحبل بيننا وبين (هنريك ابسن ونيتشه[2]) يصلانه ويوثقان العروة فيه .

والسلام عليك من (القابع[3]) في داره ، البعيد عن (شجرة البغي[4])

المخلص

أمين الريحاني

ثم نتجادل بعد رسالته هذه في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ في جريدة (الميزان) ، وهي صحيفة أدبية كان الأديب النابغ الناقد الأستاذ أحمد شاكر الكرمي — رحمة الله عليه — ينشرها في دمشق :

« زين الشباب أبو فراس لم يمتع بالشباب »

ولقد فقد الأدب بغيبة أحمد شاكر الكرمي خيراً كثيراً كان يرتجيه من ذاك النبوغ[5]

أخبرني مدير مدرسة في مدينة الناصرة أنه سأل الأستاذ الريحاني حين مر بها عن سبب (المناظرة بينه وبين النشاشيبي) ؟ فقال : « أردنا أن نعلم الناس كيف يتناظرون » . ولهذا الجواب قصة أدع ذكرها اليوم ، وفي الطبعة الأخيرة للريحانيات إرشادة إلى شيء منها . وهذه نتف مما قلته في الجدال :

« دع ذا ، وجيء الآن إلى قول الأستاذ : إن الإنشاء فن ،

---

(١) قلت : بدوية عصرية ... وفي رسالة الأستاذ ألفاظ تركت كما وردت .

(١) يشير إلى قول له في كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) أوردته في (الكلمة) .

(٢) يشير الأستاذ الريحاني إلى أشياء رويتها لفريدريك نتشه وإلى مقالات كتبتها في سيرة هنريك ابسن وآرائه سنة ١٩١٣ م في جريدة (المهذب) لصاحبها الخوري يولس الكفوري (رحمه الله) وكانت هذه الجريدة تنشر الأقوال النشوئية والحرة وما زاد على ذلك ..

(٣) يشير إلى قول لشاعر الجرمان الأعظم (غوته) رويته في (الكلمة) وهو : من أراد أن يكون حراً فليقبع في بيته .

(٤) يشير إلى مثل رويته في (الكلمة) وهو : (الناس شجرة بغي) قال الميداني : وإنما جعلهم شجرة البغي إشارة إلى أنهم ينبتون وينمون عليه .

(٥) كان الأسوف على شبابه وآدابه قد بعث إلي من دمشق سنة ١٩٢٢ م برسالة مشتملة على قول في البلاغة بليغ مبين . وسأتحف الأدباء بها إن شاء الله تعالى .

والإفراط فى الـكلف بالفن خسران . وإن اللغـة ذريعة واتخاذ الذريعةِ المقصدَ المنشود — ضلال . وقل له بعد تحية ثانية :

الحق أن اللغة لم تك إلا ذريعة ، وما هى إلا ابنة لغة الذى هواليوم أدنى من الإنسان (وإن لم يرأَدِسن الإنسان أعلى منه[١]) ولـكن المرء قد تفنن فى هذه الذريعة (كما تفنن فى ذرائع الشر ...) فجاء منها الفن : جاء الشعر ، وجاء النثر ، وجاءت تلك الصفحات العبقرية . وراح ذاك الفن يتهادى مع سائر إخوته من الفنـون الفتانة . والرقص من هذى الفنون . وإن الرقص لفتان ، إن الرقص لفتنة ، وقد أضاف الدين كاتب أفرنجى ملعون إلى تلك الفنون ..

فإن قلنا : إن من اللغة فناً وجب أن نحتفظ بذاك الفن ، وأن نعنى به عنايتنا بغيره من الفنـون ، وأنه لأحق بالترجيب والاهتمام به من غيره . وإن كان فن الموسيقى أو المصورمما يهذب نشء الأمة فالنثر القرآنى أعنى النثر العبقرى والشعر العُلْوى[٢] أثرهما فى تهذيبهم أكبر

وإن عددنا الفن (كما عده كاتب أفرنجى يوم هاجت سرقة تلك الصورة La Joconde قومه) سخافة أو هذراً ، ورحنا نقول مع الزمخشرى : (الفنون جنون والجنون فنون) . جاز لنا أن نعد كل شىء فى الوجود سخيفاً ، وألاّ نجد لهذا الـكون معنى، ولزمنا أن نبادر إلى الانتحار ، وندع الدارتنمى من بناها... لا ، لا ... إن هذا الحسبان خسران ، والرأى الحكيم الرصين أن نرى الجيد جيداً والجيل جيلا وأن نبتهج بمشاهد الـكائنات مع المبتهجين معرضين عن مقالات شـوبنهور وسائر المتشائمين منشدين فى كل حين :

« تمتع من الدنيـا فإنك فانِ »

« تمتع من شميم عرار نجد »

و (الدنيـا — كما قال جار الله — عُمرى[٣] ولا خلود إلا فى الأخرى) .

فن اللغة فن ، فى الإنشاء فن ، فلا تسألنَّ الفصيح البليغ فى المقال أن يذر فصاحته وبلاغته وذا الفن أن يهجرفنه ، وينزل من عليائه إلى فنائه ، ويزايل عزلته ، ويعاشى جماعته ، ويتبذل أسلوبه وهو يستطيع صيانته ، ودعه يفتن فى الإنشاء كيف شاء .

إن المتفنن فى الناس قليـل ، وقد مات بالأمس (أناطول فرنس) ولا خليفة فى قومه له . وهذى حالة لا يصل إليها كل ساع فلا تخف من أن يكثر المتفننون ... وهؤلاء الرهط[١] فى الأمم هم سلوى المـكروبين ، ومهذبو الطالبين ، وهداة المتأدبين ، وموقظو الهاجدين ، وقائدو الثائرين ، وبكلامهم تصقل الـكتاب قرائحها » .

« كانت اللغة فجاء منها فن ، وهو لا يكون فى كل ضرب مما تخطه الأقلام ونن يكون . وأهله اثنان: الشاعر والأديب ولا ثالث لهما ، فدعهما يحدوان مع الحاد ، ويهيمان فى كل واد .

وفضـيلة كلام (الشاعر والأديب) أو هـذين المتفننين أوالفنانين[٢] هوهذا الجمال الذى تلاقيه فيه ، ومع الجمال الوضوح كل الوضوح ، بل ليس الحسن إلا الوضوح . فرغبي ومرغب كل من يتراءى برأيى أن نصون هذا الرونق أوهذه الديباجة كما يصون الـكريم ديباجتيه فلا يبذلها ... وقد أعلن الأستاذ الريحانى فى مقاله أنه يهوى الديباجة ، ولا ريب فى ميله هذا ، فـكل شئ تتوق الطبيعة فى تجويده يستهوى العاقل . ولن ننشد إن شاء الله فى يوم بيت المتنبى الذى أومأ الأستاذ إليه فى كتابه :

زودينا من حسن وجهك مادام (م) فحسن الوجوه حال تحول

فلن يحول جمال العربية ، ولن تزول ديباجتها ، وإذا استطاع القوم

---

(١) يقول ادسن : إن الإنسان لم يزل فى الأفق الشنبنزى ...

(٢) قال الزمخشرى : غنى النعمان بشىء من دالية النابغة فقال : هذا شعر النابغة ، هذا شعر علوى أى عالى الطبقة ، وقيل من عليا نجد .

(٣) من أعمره الدار إذا قال هى لك عمرك ثم هي لى (الأساس) .

---

(١) فى التاج : الرهط عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة أو من سبعة إلى عشرة . قال ابن دريد وربما جوز ذاك قليلا . وفى الصحاح الرهط ما دون العشرة من الرجال لا تكون فيهم امرأة ..

(٢) مبالغة بنيت من فن ، وفى اللغة فن وتفنن وافتن وقد ظن أحد الفضلاء أن ليس فى العربية تفنن لأن المجد (رحمه الله) لم يذكرها فى (القاموس) وهى فى كلامهم وفي (اللسان والتاج) وفن فى (الفائق) ولم يؤخذ (الفنان) من الذى له فنون فى العدو الركض ... وهبه أخذ منه فهل فى الأمر من حرج ؟ وخطب (الفنان) أهون من خطب (السيد) وأصل هذه اللفظة فى اللغة معلوم ، ولا أحب ذكره اليوم هنا حتى لا يبرطم مبرطمون . . إن الناس ليسخطون ويلعنون حين يبحث الباحثون — والعلم الحق لا يرأف — في أصول الآدميين وأنسابهم وأصول مقالاتهم ولغاتهم . . (المبرطم) المقطب المتغضب لـكبره المتخاوص فى النظر .

فى الغرب أن يجمّلوا بالكهربا الشنيمات ، فلن نعجز فى الشرق عن الاحتفاظ ببهجة المليحات ... »

« يحمل مقتبس علم غربى يترجم مبحثاً أو يلفق قولا وهو لم يتخرج على أستاذ قادر ، ولم يقرأ كتاباً واحداً ، ولم يعرف أسلوب علمه اللغوى ، ولم يقف على ألفاظه ولا على بعض ألفاظه ، وتلفيه يزحر [١] وهو يكتب زحيراً ، ويلعن العربية التى جهلها لعناً كبيراً ، ثم يطرح بجهيض [٢] يعمى الناظرين ، فإذا عـيّيتَ جهيضه لا حاك ، وتهدَّم على اللغة بالتنقيص »

« الأستاذ الريحانى فاضل نابغة تنكب عن طريق التقليد ، وأنكرت نفسه الرق العقلى فكدحت فى تحريرها ، فلما حررها لم يستبد بخيره ، وأراد أن يشركه فى الخير غيره ، فدعا قومه إلى حريته ، وانتحال عقيدته . ثم أبصر الأستاذ الغرب يطير ارتقاء وقومه العرب قد ألفوا الحضيض « آلف للحضيض فهو حضيض » كما قال أبو تمام ، فشق عليه أن يشهد ذل جهلهم وقد اعتز بالعلم خصمهم وآكلهم ، وتحقق أن الذى أقعد فى العلياء الغرب هو علم الغرب فنادى إلى إيثار ذلك العلم ، وأشفق أن يعوقهم الاهتمام بالمهم أو غير المهم عن طلب الأهم فقال لهم : اجتزئوا من المؤنة اللغوية بزاد المسافر ، فلن يعذل وهذا قصده . والحق الذى يدريه الأستاذ الريحانى ، ولكن حرصه على الذى رآه أحق بالتقديم قد حمله على أن يتناساه هو أن الانتباه الأدبى فى الأمم يسبق الانتباه العلمى ، فهذا بناء وذاك أساس . وإن الأمم العربية اليوم هى فى وقت الترجمة . وعند الغرب علوم كثيرة ومباحث فيها دقيقة . وفرضٌ عين أن تنقلها العربية وأن يفقهها نشؤها ، ولن تفهم ولن تفيد حتى تصح ترجمتها ، ولن يستطيع احتواء تلك العلوم ومعانيها إلا اللغة القرآنية العلمية ، إلا اللغة الصحيح تركيبها الكثير لفظها التى ظل العلم القديم يلينها ويوسعها ويصقلها أحقاباً . وإذا لم توصل لغة علم اليوم بلغة علم الأمس ويستظهر بهذه فلا علم فى هذا الزمان عند العرب . ومن ظن أن اللغة العامية وهذه التى هى فوق العامية تقدران أن تعيا علوم الغرب وتضم عباراتهما تلك المعانى الحديثة أو الجديدة فظنه (والله) عجيب ! »

***

(١) زحر وتزحر وهو اخراج النفس بأنين

(٢) أصله الولد السقط .

ثم أبعث إلى الفيلسوف بكتابى « البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقى » وقد طبع سنة ١٣٥١ ، فتجيئنى منه رسالة فى ٢٦ شباط سنة ١٩٣٣ ، وقد ظهرت فى (الرسالة الغراء) ٢٦٩ فى ٣ رجب سنة ١٣٥٧ فى الصفحة ١٤١١ من السنة السادسة

ومن قرأ رسالة الأستاذ الريحانى الثانية رأى أنه (قد استطاع أن يكتب عربياً عبقرياً ويجارى البلغاء) ، وأنه قد آمن بـ (بالكلمة) وصدّق بالبلاغة وفضيلتها وجمال القول وجودته وبكلام الإمام الرازى : « رب كلمة حكيمة لا تؤثر فى النفوس لركاكة لفظها » ، فنسخ المذهب الجديد للفيلسوف مذهباً قديماً . ولو لم تفجع به العربية — وأعظم بفجيعتها بـ (بالأمين) — وعاش حتى اطلع على « دفاع عن البلاغة » لازداد إيمانه ويقينه ، وأيد (صاحب الرسالة) تأييد أنصاره .

***

(الزيات) إذا نثر، مثل (شوقى) إذا شعر . ولقد أعطى الله مصر فى هذا العصر إمارة الشعر وإمارة النثر . ولو بعث (فلوبير) القائل: (أهونُ على المرء أن يقنطر [١] ، وأن يسكن فى قصر بندقىّ (فنيسيّ) منجّدٍ من أن ينشئ صفحة واحدة عبقرية) وحذق العربية ، لأضاف إلى قوله هذا هذه الكلمات : (مثل الصفحات التى ينشئها الزيات) .

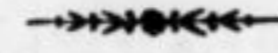
محمد إسعاف النشاشيبى

(١) قنطر الرجل ملك ما لا كثيرا كأنه يوزن بالقنطار .

من أحاديث الحبين

الموسيقى العاشق

الأستاذ على الطنطاوى



قال لى أمس صديقى حسنى : إنى لأعلم شغفك بالموسيقى ، وحبك الفن القديم ، فهل لك فى سماع رجل هو أحد أعمدة هذا الفن فى دمشق ومن أساطينه ، وهو هامة اليوم أو غد ، فاذا انهار أوشك ألا يقوم مثله أبداً ؟

قلت : ما أحوجنى إلى ذلك ، فن هو هذا الموسيقى الذى لا أعرفه إلى اليوم على ما ذكرت من إمامته وتقدمه ، وعلى معرفتى بأرباب هذا الفن ؟

قال : هو(ش) بك رجل تركى ، كان من موسيقى القسطنطينية أيام السلطان عبد الحميد ، وانتهت إليه رياسة (العود) فيها ، وله اسطوانات هى عند الموسيقيين ، كرسائل الجاحظ عند جماعة الأدباء ، واسمع فعندى واحدة منها

وقام إلى (الحاكى) فأداره ، ووضع اسطوانة عتيقة ، فسمعت شيئاً ما حسبت مثله يكون ، وبدا لى كل ما سمعت إلى اليوم من ضرب الموسيقيين كأنه إلى جانبه لعب أطفال ، وخربشة مبتدئين

قلت : ويحك قم بنا إليه الآن

فقمنا وأخذنا معنا شيخ الموشحات فى دمشق الشيخ صبحى واثنين من مجودى المغنين ، وذهبنا إليه

* * *

ضربنا فى الجبل حتى جاوزنا الدور الفخمة والقصور العامرة ، ووصلنا إلى طائفة من المساكن هى أشبه بأكواخ ، قد بنيت من الطين وقامت دُوَيْن الصخر ، فوقفنا عند واحد منها ، وقرع الباب دليلنا حسنى كنعان ، ففتح لنا رجل طوال ، عريض الألواح ، حليق الوجه محمرّه ، ولكن الكبر ظاهر عليه ، قد جعّد وجهه وإن لم يحن ظهره ، ولم يهصر عوده ، ورحب بنا على الطريقة التركية ، يخفض يده ، ويلوّح بها على أسلوب معروف ثم يمس بها طرف ذقنه ويرفعها إلى جبهته ، كأنه يقول : إنى آخذ ذيل أحدكم فأقبله وأضعه على رأسى ، وبالغ فى الترحيب بنا ودعانا إلى الدخول فدخلنا ، فإذا رحبته نظيفة ولكنها خالية من الأثاث ، ما فيها إلا أشباه كراسى ، وسدة من الخشب مفروشة ببساط هى السرير وهى المجلس ، وإذا الفقر باد ، ولكن مع الفقر ذوقاً ونظافة ... فقعدنا ، وحلفنا عليه ألا يصنع لنا شيئاً ، فما نريد إكرامنا منه إلا بأسماعنا ضربه ...

أخذ قيثارته (كمانه) وقسّم (تقاسيم) هزت حبة قلبى ، فأحسست بلذة ما عرفتها من قبل ، ومع اللذة شىء من السحر ، يجعلك تتطلع إلى المجهول ، وتسمو إلى عالم الروح ، ويوقظ فيك ذكرياتك وآمالك كلها دفعة ...

فلما انتهى ، عرض عليه حسنى العود ، فأبى واعتذر وقال : إنه لا يضرب عليه ...

قال حسنى : كيف وأنت سيّد من جس عوداً ، وأنت إمام الضاربين !

قال : إننى لا أستطيع !

فلما ألحفنا وألححنا قال : إن لذلك قصة ما قصصتها على أحد ، فاسمعوها ، ولو أنى وجدت ما أكرمكم به لما قصصتها عليكم ، ولكننى لا أملك شيئاً ، ولن أجمع عليكم حرمان السماع وكتمان السبب ... !

* * *

وهذه هى القصة مترجمة إلى لغة القلم :

قال : كان ذلك منذ أمد بعيد نسيه الناس وأدخلوه فى منطقة التاريخ المظلمة ، فلا يرون منه إلا نقطاً مضيئة مثلما يرى راكب الطيارة من مدينة يمر بها ليلا ، أما أنا فلا أزال أحس به بجوارحى كلها ، ولا يزال حياً فى نفسى ، بل أنا لا أزال أحيا فيه ، وما عشت بعده قط إلا بذكراه . لقد مر على قصتى زمن طويل عندكم لأنكم تقدرونه بعدد السنين ، نصف قرن ... أما أنا فأقدره بذكراه الحية فى نفسى فأجده ساعة واحدة ... لحظة ... إنى أنظر الآن إلى عينيها ، وأشم عطرها ، وأجلس فى مجلسها ... إن ما أراه حولى ظلال ، وتلك المشاهد هى الحقيقة . أفعلمتم من قبل أن ذكرى قد تَضِحُ وتظهر حتى تطمس المرئيات ، وتغطى على الحقائق ، هذه هى ذكرياتى ...

كان أبى من الباشوات الكبار المقربين من السلطان، فلما علم أنى اشتغلت بالموسيقى، كره ذلك منى، وصرفنى عنه، وعاقبنى عليه، فلما أصررت عليه، أهملنى واطرحنى، وطردنى من داره، فلبثت أتنقل فى بيوت أقربائى وأصدقاء أبى، أمارس تعلم الموسيقى لأبناء الأسر الكبيرة، وكان (فلان) باشا من الآخذين بأسباب الحياة الجديدة، يحب أن يقبس عن أوربة طرائقها فى معيشتها ويقلدها فى السير عليها، فدعانى لأعلم ابنته، وكنت يومئذ فى الثلاثين، ولكنهم كانوا يقولون عنى: «إنه أجمل شاب فى حاضرة الخلافة» ... وأحسب أنى كنت كذلك، ولكنى - ولست أكذبكم - ما عرفت طريق الحرام، ولا الحلال استطعت سلوك طريقه!

قابلت الباشا، فأدخلنى على ابنته لأعلمها، فنظرت إليها، فإذا هى ملتفة بـ (يشمق) من الحرير الأبيض، لا يبدو منه إلا وجهها، وإنه لأشد بياضاً وليناً من هذا الحرير، لا البياض الذى تعرفونه فى النساء، بل بياض النور، لا، لم أستطع الإبانة عما فى نفسى، إنه ليس كذلك، هو شىء ثمين عذب مقدس، يملأ نفسك عاطفة لاشهوة، وإكباراً لاميلا، وتقديساً لارغبة، وكانت عيناها مسبلتين حياء وخفراً، تظهر على خديها ظلال أهدابها الطويلة فلم أر لونها، وكانت فى نحو السادسة عشرة من عمرها، مثل الفلة الأرجة إبان تفتحها ...

وانصرف أبوها بعد ما عرفنى بها وعرفها بى، وبدأ الدرس على استحياء منى ومنها، ورفعت عينيها مرة، فمشى بى منهما مثل الكهرباء إن لمست سلكها ... عينين زرقاوين واسعتين، فيهما شىء لا يوصف أبداً، ولكنك تنسى إن رأيتهما أن وراءك دنيا... إنها تصغر دنياك حتى تنحصر فيهما، فلا تأمل إن رأيتهما فى شىء بعدهما ... العفو يا سادة! أنا لست أديباً، ولا أحسن وصف الكلم، ففسروا أنتم كلامى، وترجموه إلى لسان الأدب، وأين الأديب الذى يملك من الكلام ما يحيط بأسرار العيون؟ إنه لعلم أوسع وأعمق من الفلسفة والكيمياء والفلك ... أعندكم فى وصفها إلا أن تقولوا: عينان سوداوان أو زرقاوان، واسعتان أوضيقتان، حوراوان دعجاوان، وتخلطوا ذلك بشىء من تشبيهاتكم؟ اعرضوا عيون الفتيات تروا أنكم لم تصفوا شيئاً، هاتان عينان متشابهتان فى سعتهما ولونهما وأهدابهما، ولكن فى هذه الجمال الوادع الحالم، وفى تلك الجمال الشرس الأخاذ، وفى أخرى العمق والرهبة، وفى هذه الأمل، وعين فيها فتنة، وعين فيها خشوع، وعيون فيها شىء لا تعرف ما هو على التحقيق، ولكنه يبدل حياتك، ويقلب عليك دنياك باللمحة الخاطفة!

ولما تكلمت سمعت صوتها كأنما هو ... مالى وللتشبيهات التى لا أحسنها؟ وأين ما يشبه به صوتها، وفيه الخفر وفيه الرقة وفيه فتنة وفيه رفاهية؟ لا تعجبوا فإن من الأصوات الصوت المهذب والصوت الوقح، والصوت المرفه، والصوت البائس؛ وصوتاً خليعاً وآخر صيِّناً. إن الصوت لينطق من غير حروف. ورب ناطقة بلا إله إلا الله، وصوتها يدعو إلى الفحشاء! وقائلة كلمة الفجور وصوتها ينهى عنه! وإنك لتستطيع أن تتخيل المرأة من صوتها. ولم يكن فى زماننا هذا الهاتف (التلفون) ولكنى أعذر من أسمع عنهم أنهم يعشقون بالتلفون. فالأذن تعشق قبل العين أحياناً.

لم أجاوز الدرس ولم أقل فوقه كلمة واحدة. وكنت أشد منها حياء وخجلا، ولم يكن أبناء زماننا أولى وقاحة وجرأة كهذه الجرأة التى تراها اليوم، وندر فيهم من كان مثل (الباشا) يسمح لابنته الناهد أن تتلقى العلم عن الرجال - وهو يعلم أن الشاب والشابة فى الطريق أو المدرسة يتخاطبان بلغة العيون خطاب الرجل والمرأة، قبل أن يتحرك اللسانان بحديث المعلم والتلميذة. وانقضى الدرس بسلام، ولكنى لما فارقتها رأيت كل شىء قد تبدل، فقد تعلقت بالحياة وكنت بها زاهداً، ورأيت ضوء الشمس أشد نوراً، وأحسست بالوجود من حولى وقد كنت أنظر إليه غافلا، وكان لى أصحاب لم أكن أعدل بمجلسهم وصحبتهم شيئاً ففارقتهم تلك الليلة وهربت منهم، وذهبت إلى غرفتى فلم أطق فيها قراراً، ولا اشتهيت طعاماً ولا شراباً، ووجدتنى أخرج على الرغم منى، فأؤم دارها، فيردنى بابها فأهيم حولها أوغل السير فى التلال الشجراء عند (بيوغلى) لا أستطيع النأى عن دارها. صارت هى كونى ودنياى، قد تبدلت قيم الأشياء فى نظرى، فعزّ ما كان منها أو متّ بصلة إليها، وهان كل شىء سواه، وانطويت على نفسى أفكر فيها وأتصور أدقّ حركة أو سكنة منها. وكلما ذكرتها

يهزّ شيء قلبي فيخفق كجناح طائر علقت رجله بالفخ ، ثم يندفع الشيء إلى عينيّ فيفيضان بالدمع. ولا أدرى كيف أمضيت ليلتى، حتى إذا أزف موعد الدرس الثانى شعرت كأنى عدت إلى جنتى التى خرجت منها، وعشت ساعة فى لذة لو جمعت لذاذات الأرض كلها ما بلغت نقطة من بحرها . وعندما ودعتها نظرت إلى نظرة شكّت (وحرمة الحب) كبدى وزلزلتنى زلزالا ، وكدت من سرورى بها أطير فوق رؤوس النـاس خفة وفرحاً ، فقد علمت أن لى عندها مثل الذى لهـا عندى ، على أنى ما كلمتها فى غير موضوع الدرس كلة ولا لمست طرف ثوبها ، وما هى إلا نظرة واحـدة ولـكنها قالت فأبلغت ، وحدثت فأفهمت !

* * *

وسكت الموسيقى وجال الدمع فى عينيـه ، ثم قال وهو يكاد يشرق بدمعه وقد ضاع فى رنّة البكاء صوته :

أتدرون ما عمرى اليوم ؟ أنا فوق الثمانين ، وقد مر على هذا الحب دهر، ولـكنى أراه كأنه كان أمس ، وأنى لا أزال شاباً ينطوى صدره على قلب صبىّ . ولقد حسبت أنى أستطيع أن أتحدث عنه كما يتحدث الشيوخ عن ماضيات لياليهم — فوجدتنى لا أستطيع، لا أستطيع فاعذرونى إن هذه الذكرى قد خالطت شغاف قلبى ، ومازجت لحمى وعظمى ، وإنى لأحسّ وأنا أحدثكم أنى أمزّق جسدى لأستلّ منه هذه الذكريات !

قلت : فاخبرنا ماذا كان بعد ذلك ؟

قال : كان ما أخشى التحدث عنـه ، إنى لا أحب الذكرى وأثيرها ، إنكم لا تدرون ما ذا تصنع بى ؟ إنها تحرقنى ، تنتزع روحى ...

كان ياسادة : أنى تدلهت بحبها ، وهمت بها ، وجعلتها هى كل شىء لى ، إن كنت معها لم أذكر غيرها ، وإن فارقتها ذكرتها وفكرت فيها . فهى ماضى وحاضرى ومستقبلى ، وهى ذكرياتى كلها وآمالى ، أراها طالعة علىّ من كل طريق أسير فيه ، وأرى صورتها فى صفحة البدر إن طلع علىّ البدر ، وفى صحيفة (النوطة) إن جلست إلى (البيان) ، ومن سطور الـكتاب إن عمدت إلى القراءة فى كتاب ، فإذا جلست إليها والعود فى حجرى ، وعيناها فى عينى ، وأذناها إلى عودى ، تخيلت أنى معانقها هى لا العود ، وغبتّ عنى ، وسمتْ روحى إلى عالم أعرفه ولا أعرف ما اسمه ، فرجعت منه بالسحر فجرتْ به يدى على العود ، فمن هناك تلك (الاسطوانات) التى كنتم تعرفونها لى .

لا ، لا تلحفوا علىّ (سألتكم بالله) ، لن أذكر لكم هذه التفاصيل، إننى انتزعها من لحمى ودمى ، فدعو هالى ، إنها حظى من حياتى أتعلل بها وحدى . لا أحب أن تلوكها الأفواه ويتلهى بها قراء المجلات . لقد كانت الخاتمة أن أصدقاء أبى عطفوا على ، فخطبوها لى وكان العقد وصارت زوجتى ، ولـكن الله لم يشأ أن تتم سعادتى فرضت ثم ...

وغلب عليه البكاء ، فلم يستطع أن يخرج الـكلمة ، فأداها بإشارة مبتلة بالدمع ، محروقة بأنفاس الألم !

* * *

وسكتنا — فقال بعد هنيّة :

وقد ذهبت أودعها — فأخـذت يدها بيدى ، وكانت تلك أول مرة وآخرها ، كأنى أنازع الموت إياها — وأسحبها منه :

— إنك غداً ، تحب غيرى وتضرب لها على عودك .

قلت . لك علىّ عهد الحب ، لا نظرت بعـدك إلى امرأة ، ولا أجريت يدى على عود .

وسكت ، ونظر إلى العود كأنه يريد أن يعتنقه لينطقه بالمعجزات ، ويترجم به عن لواعجه ، ثم غلبه البكاء مرة ثانية فقام ، وانسللنا نحن واحداً بعد واحد ، وأغلقنا الباب ونحن نسمع نشيجه !

(دمشق) على الطنطاوى

من وحي جويو

الحيـــاة ...!

للأستاذ زكريا إبراهيم

هؤلاء الفلاسفة الذين طالما عنينا أنفسنا بدراسة آثارهم وتتبع أفكارهم، مابالهم قد حدثونا عن كل شيء إلا الحياة؟ لقد ملأوا أسماعنا بأحاديثهم عن الفكر والوجود والعلة والقوة واللذة والغريزة ولكن أحداً منهم لم يحدثنا عن الحياة حديثاً شاملا مفصلا. أتراهم قد توهموا أن الحياة ليست شيئاً أكثر من الغريزة، أو من حساب اللذات (على طريقة بنتام)، أو من الأنانية وتقديس الذات (على طريقة نيتشه)؟ ... ولكن، لا؛ إن الحياة شيء أكثر من هذا كله، لأنها في جوهرها فيض وتوسع وامتداد. فاذا كان أبيقور يقول: « إن الكائن يمضي حيث تدعوه لذته » فان في استطاعتنا أن نرد عليه بان نقول: « كلا، بل إن الكائن ليمضي مدفوعا من تلقاء نفسه، ثم يجد اللذة في الطريق. فاللذة ليست هي الشيء الأول، وإنما الشيء الأول والأخير هو الحياة ». والحياة تسير دون حاجة إلى قوة أعلى منها، لأنها بذاتها حركة وقوة وإندفاع. فليست الحياة حساباً للذات، كما زعم بنتام؛ بل هي فعل ونشاط وفيض مستمر.

أجل، إن الحياة لتنطوي في صميمها على مبدأ الامتداد والتوسع والخصب والانتشار. فالوجود الحقيقي إنما هو ذلك الذي يتمثل في تلك الحياة الخصبة الممتلئة، التي لا تألو جهداً في أن تفيض على الآخرين، وتبذل من نفسها للآخرين، وتشرك نفسها مع الآخرين. والكائن الحي، إذا بلغ درجة كبيرة من الرقي، فإنه يكون أشد نزوعا إلى حياة الجماعة، لأن في هذه الحياة فيضاً وتوسعاً وامتداداً.

والحياة لا يمكن أن تكون أنانية خالصة، حتى إذا أراد المرء ذلك؛ فان ثمة ضرباً من السخاء يلازم الوجود دائماً، وبدونه يموت الكائن الحي أو تذبل نفسه. فإذا أردنا أن نستبق حياتنا كان علينا دائما أن نزهر؛ ومازهرة الحياة الانسانية إلا الايثار والتضحية وبذل الذات

إن الذات التي يزعمون أنها مغلقة، هي في الحقيقة مفتوحة، وهي على إتفاق بالفطرة مع الذوات الأخرى؛ بل إنها لتنفتح شيئاً فشيئاً، وأكثر فأكثر. وإذن فالامتداد نحو الآخرين ليس معارضاً لطبيعة الحياة — كما توهم بعض الفلاسفة — وإنما هو على العكس من ذلك موافق للطبيعة، بل شرط ضروري للحياة المليئة الخصبة. — والواقع أن محبة الآخرين لا تفترق أبداً عن الحياة الحافلة الفائضة، لأن مثل هذه الحياة مثل الأمومة الواسعة التي لا تستطيع أن تقف عند حدود الأسرة. « إن ثدى الأم (كما يقول جويو) في حاجة إلى الشفاه النهمة التي تلتهمه وترتشف رحيقه الثر؛ كذلك قلب الكائن الإنساني حقاً، هو في حاجة أيضا إلى أن يرتمي الآخرون في أحضانه، لكي يجدوا فيه الغوث والنجدة. بل إن في قلب المحسن نزوعا باطناً، وميلا دفيناً، نحو أولئك الذين يتجرعون مرارة الألم ».

أليست الحياة إذن إيثاراً وتضحية وبذلا للذات؟ أليس جويو على حق حين يقول: « لي يدان: واحدة أصافح بها من أسير معه في طريق الحياة، والأخرى أنهض بها من يعثر. وفي استطاعتي أيضاً أن أمد كلتا يدي لهؤلاء. »؟ أليست الحياة العليا إنما هي تلك التي لا تألو جهداً في أن تفيض على الآخرين، كما سبق لنا القول؟

إن اللذات الدنيا هي وحدها التي تتسم بطابع الأنانية. فحينما لا تكون هناك غير قطعة واحدة من الحلوى، نجد أن الطفل يريد أن يستأثر بها. أما اللذات العليا فانها بطبيعتها لذات ليس فيها من الأنانية شيء.

قد يشعر الانسان بلذة فنية، فهنا نراه لا يريد أن يستمتع بها بمفرده، بل يريد أن يشعر الآخرين أنه يستمتع ويتذوق. فعند اللذة الفنية يريد المرء دائماً أن يعرف الآخرون أنه حي، وأنه يشعر، أو أنه يقاسي أو أنه يحب. إنه يريد أن يمزق نقاب الفردية.

والفنان الحقيقي لا يريد أن يكون بمفرده عند مشاهدته لشيء جميل أو عند اكتشافه لشيء عليه مسحة الصدق، أو عند شعوره بعاطفة نبيلة.

أليس الفن للحياة وبالحياة فكيف لا يظهر فيه طابع الحياة مع أنه هو المعنى الباطن للحياة؟ ألم يقل جويو إنني حينما أبصر الجمال، فهناك أود أن أكون اثنين (لا واحداً)»؟ إذن فكيف

من الأدب القومي :

يوم ... ويوم ... !

للأستاذ شكرى فيصل

[إلى الذين يتساءلون : أين أنا ؟ ... إلى الذين عشت معهم ، فى غفلة الدنيا ، على مقاعد الجامعة ورحابها ...]

— ١ —

شهدتك ، أيها الخفاق ، تتعالى فوق الثكنات الكبرى التى تحتاط دمشق ... واكتحلت عيناى بالأمل المزدهر على نسمات الريح وخفقات القلوب ... واستمعت إلى حفيفك الناعم يقص حديث السنين الخوالى ... ولم تتمالك عيناى ، أيها الخفاق ، أن تفترا عن الدمعات المندية التى لمحت من وراء غشائها الرقيق مراحل قصتك الدامية... لقد ذكرت فيصلا والملك، والفرنسيين والهلك، والصفحات الحلك السوداء التى جللت ثرى الوطن فاستعبرت ... والعبرات ، يا علمى ، العبرات التى كانت تنفر كالعزم الحديد فى عيون الآلاف المتحلقة من حواليك كل ما ملك الناس فى أصيل الرابع والعشرين من تموز

— ٢ —

وأين يوم من يوم ، أيها الخفاق ، منذ خمسة وعشرين عاماً آب الناس إلى بيوتهم تقطعهم الحسرات : الشهادات على أفواههم، والجراحات فى أجسادهم ، والدماء من خلفهم ومن بين أيديهم ، ومُلك فيصل النضير يجتاحه الغزاة العتاة كما تجتاح الزوبعة الروض المرع ... واليوم ، بعد هذه السنين الطوال العجاف ، لا تظل البيوتات رجلا أو امرأة ، شاباً أو فتاة ... لقد خرج الناس تهزج لهم المنى ، وتغنى لهم الأحلام : الزغردات على أفواههم ، والعزمات ملء بُرودهم ، ومجد أمية من وراء العصور يتلألأ فى أذهانهم... ومضوا يعلاُون الطرقات إلى الثكنة العسكرية الكبرى، إلى ثكنة « الحميدية » ، وانتشروا يتدفقون على عرض الدروب ، ويتدافعون على حفافى الشوارع ، ويتزاحمون على أطراف الأرصفة !

إنه يومك ، يا علمى ، كانت انتزعتك اليد الغاصبة لتحيل ألوانك ، وتخنق لمانك ، وتمزق عروتك الوثقى ... ولكن من دمائنا بعض ألوانك ، يا علمى ، ففديناك ... ومن بريق أعيننا لمانك حفظناك ... وعلى عُراك هذه الوثقى تآلفت قلوبنا والتقت أفئدتنا ... فكنت خفقتها التى لا تنى ، ونهضتها التى لا تفتر ، وعزمتها التى لا تكل !

— ٣ —

وحين وقفت هذه الجموع المؤلفة ، يا علمى ، كنا نحن ... هؤلاء الشباب المتفتحين على عبوس الأيام ، والمتقلبين فى كالحات الليالى ... نرمق ساريتك القائمة كالساعد المفتول ... إنها وحدها هى التى كانت قيد نواظرنا فلم نتحول عنها ... لم تأسرنا روعة المكان ، ولم تأخذنا ضخامة البنيان ، ولم تلهنا الآلاف المتدفقة ! فلقد استحال كل شىء فى نفوسنا ابسمة تحييك ، وخفقة تناجيك ، وذكريات تواكبك ... وركزت أبصارنا فى شرفتك العريضة فى نظرات من الرجاء العريض ، والرغبات المستوفزة ، والأمل الوثاب ... ولم نعد نحن ... نحن الذين تعاورتهم السنون بالجدب ، وتعاهدتهم الحياة بالمصاعب ، وإنما رحبت بنا مطارح الأحلام ، وسمت بنا واسعات الأمانى ، وبُدلنا دنيانا بدنيا أخرى ... فشهدنا فى نشوة لذة الأطلال الخرائب جنة ممرعة ، والأسى الغالب فرحة محققة ، والأحزان القيمة بهجة مونقة ... لقد تفتح لنا المستقبل عن وطن مهاب ، تملك ، أنت وحدك يا علمى ، أرفع ذراه ، وتتوسد أعلى رباه ، وتقف فى شم صخوره وشوامخه ، وتمر بك نسماته تضمخها بالمجد وتعطرها بالإباء ، وتبعث بها إلى هؤلاء

لا يكون الفن فى جوهره مشاركة وتوافقاً ؟

إن الحياة الخصبة الحافلة هى أولا وبالذات حياة اجتماعية؛ فأينما فتشت عن الحياة ، وجدت الإيثار والتضحية وبذل الذات والأنانية هى سلب للحياة نفسها ، وإنكار لكل خصب وامتلاء؛ لذلك كانت الحياة الفائضة الطافحة ، هى تلك التى تمثل الوجود الحقيقى .

وبعد هذا كله ليس فى وسعنا إلا أن يقول كل منا مع جويو :

« أنا لست مالكا لنفسى ، فان كل موجود بدون الكل لاشىء ! » والإنسان لا يمكن أن يحيا أو يفكر أو يعمل ، إلا إذا كان ذلك للآخرين وبالآخرين ، ومع الآخرين !

(مصر الجديدة) زكريا ابراهيم

الذين يفتدونك طاهرة لم تلوثها خفقات غاصب ولا نفثات دخيل!

— ٤ —

وحين دخلنا ، يا علمى ، باب الثكنة الكبرى ، كانت محاجرنا تفيض بالدموع ، ومن خلال ألقها الصافى كانت تنسحب الذكريات الحلوة المريرة : أولئك الذين استشهدوا على حفافى الوادى فى ميسلون ، وفى ثرى الغوطة فى دمشق ، وأرباض الجبل فى أرض بنى معروف ، ومعاقل الشمال فى حلب ... وهؤلاء الذين ذهب بهم الغدر فى الطرقات ، واستبد بهم اللؤم فى الشوارع ، وانتزعهم السلاح المعربد من فرشهم ... وجماعات وأفراد كانت السجون قبورهم ، والكهوف لحودهم ، والمنافى آخر عهدهم بالحياة ... وأمهات سبق إليهن الثكل ، وأطفال عدا عليهم اليتم ، وأسر باكرها الخراب ، وبيوت سطا عليها العذاب ... أولئك جميعاً كانوا كأنما تتمثل لنا مصارعهم فى سبيلك ، يا علمى ، فلا يبكينا الأسى ، ولا تنال منا الأحزان ، وإنما يبكينا أن تلفهم الأكفان الحمر قبل أن يشهدوا سناك الزاهى ، وجبهتك الناصعة ، ورفرفتك التى تحدث حديث المجد ، وتقص سيرة الكرامة ، وتروى نبأ الأبطال والبطولات !

— ٥ —

وفى الساحة الكبرى ، وقفنا نشهد — أيها الخفاق — ظفر الحق ، وانتصار العقيدة ... لطالما وقف فى هذه الساحة طغاة يرطنون ويعجمون ، ويصيحون ويصرخون ... لطالما جلدوا الأبرياء ، وأهانوا الأحرار ، ونكلوا بالمستضعفين ... لا النبل يهزهم ، فقد ذاب فى صدأ نفوسهم جوهر النبل . ولا الشرف يردعهم ، فقد ذهبت يد الظلم بحلية الشرف ... ولا المشاعر الإنسانية تختلج فى أفئدتهم ، فلم يبق فيهم أفئدة تختلج فيها مشاعر ، وإنما هى مغاور تنفث السم ، وتتلظى بالكيد ، وتتوسل بالانتقام ...

واليوم ، اليوم يا علمى ، تشهد الساحة الكبرى خلقاً آخر وحفلا جديداً ... إنها لا تحس وطء الأقدام ، ولا ثقل النفوس ، ولا حلكة الظلم ... إنها لا تجد زمجرة الانتقام ولا استطالة البغى ، وليس عليها الساعة أوداج تنتفخ بالغيظ ، وعروق تتغزر بالحقد ... إنها تذكر ماضيها ، وتدرك أنها تعود للشعب الخيّر ، والجماعة النبيلة ... إن رمالها تتراقص ، وإنها لتتناغى فرحة طروباً كأنما تغنى معها الريح أروع الأناشيد : أنشودة الأرض حين تظفر بأبنائها الطيبين ... !

— ٦ —

... لن أنسى ، يا علمى ، هذه اللحظات الخاطفة ، حين امتد الزمان ، فغطى دمشق : ربيبته التى عمته الخلود ، بالصمت اللذ الناعم ، ونشر عليها رداء من السكون الهادئ العميق ... ثم بعث فيها صوتاً واحداً ، فيه الحياة عريضة كريمة ، وفيه الأمل ريّان مخضلا ، وفيه الفرحة قوية عميقة ... وأثار فى ذراها خفقة عنيفة نشيطة ، خفقت معها قلوب ، وعاشت معها نفوس ، وازدهرت بها أمانىّ ، ما كان أقربها إلى الذبول ... فأما الصوت فصوت البوق البشير ، وأما الخفقة فتجاوبك مع الريح ، يا علمى الحبيب!

والآن ... حين أمضى أيها الخفاق ، فى هذا الشارع النضر المتسع الرحاب ، فى طريق « كيوان » و « الربوة » تتسق بى الخطى مع طائفة من رجالنا المخضرمين ... إنهم شهدوا فى مثل هذا اليوم وهذه الساعة وهذا الطريق ، الجيوش المعتدية الظافرة تدخل دمشق دخول الجبارين ، فأغمضوا أعينهم على القذى ، وشدوا قلوبهم على الألم ، وانطووا فى نفوسهم على حرقة لاذعة !

واليوم ... اليوم تكتحل أعينهم بالموقف الخالد ، فيشهدون الفرق الوطنية الظافرة تحفظ على دمشق جبروتها وكرامتها وعزتها . إنهم ليستعبرون عَبرة الفرح ، وتتفتح قلوبهم على شذى «الغبطة» وتعود إليهم نفوسهم راضية جذلة ...

يا ما أمتع حديثهم ، يا علمى ، إنه حديث الصبر المظفر ، والعقيدة المنتصرة !

* * *

لعينيك ، يا علمى ، لألوانك الزاهية ، ونجومك الزاهرة ، وبريقك الحلو ... هذه العزمات المتدفقة كهذا النهر ، النقية كهذه السماء ، الرائعة كهذا المساء !

إنك بضعة قلوبنا ، يا علمى ، فاخفق فى ذرى الوطن حارساً وأميناً . . ولتتحدث نسماتك إلى شهداء ميسلون تحمل لهم الحياة والفرحة ... !

(دمشق) **شكرى فيصل**

حاشية : هذا مقال كتبته وطويته ، وإنما نشره مقال الأستاذ الطنطاوي فى العدد (٦٣٤) من الرسالة الغراء .

العلاقة اللغوية

Linguistic Relatonship

بقلم الأستاذ عمر رشدى

إن السؤال الذى غالباً ما يعنى الباحث الجنسى هو : هل لهذه اللغة علاقة بتلك أم لا ؟ ونقصد بالعلاقة هنا وحدة الأصل مثلما يجيء شقيقان من أب واحد ، فإذا ما اتضح أن هناك لغات واحدة المصدر كانت الشعوب التى تتخاطب بها — فى وقت ما — تكوّن شعباً واحداً . ومن ناحية أخرى إذا ما كانت لغات شعبين جد مختلفة يتحدان من الناحيتين : الجنسية والثقافية ، كما هى الحال فى المجر وجيرانهم ، فإنه يبدو أن عنصراً من هجرة متقطعة له علاقة بذلك ، فقد يضطر جزء من مجموعة جنسية أصلية إلى إدخال بعض التعديلات فى لغته تحت تأثير المعرفة أو الحاجة أو الهجرة أو أى حادث تاريخى آخر مما يدعو إلى استبدال هذه اللغة بأخرى . وربما يكون العكس صحيحاً أيضاً ، إذ تكون المجموعتان متميزتين فى الأصل كل التميز ولكن تختلط ثقافتهما وتمتزج على أثر تجاورهما وتزاوجهما حتى يصبح الجنسان الطبيعيان جنساً واحداً بينما تظل اللغات منفصلة متباينة . والإصلاح الذى يدل على أن لغتين أو أو أكثر لها أصل واحد وليس لها علاقة ما بلغة أخرى من اللغات هو « العائلة اللغوية Linguistic Family » كما أن كلمة « الكتلة اللغوية Linguistio Stock » تستخدم مرادفة لها .

هذا هو الأساس الجوهرى فى تقسيم اللغات ، واللغات التى قد يكون فيها تشابه ما فى الأسلوب أو فى البناء كالتصريف مثلا يجب أن توضع فى عائلة واحدة . والذى يعنينا هنا هو أن يستعمل اصطلاح « العائلة اللغوية » أو مرادفه « الكتلة اللغوية » للدلالة علىَ أن مجموعة من اللغات موحدة الأصل ، أما المجموعات الأخرى فيشار إليها بعبارات أخرى .

لكى نتعرف العلاقة بين اللغات نلجأ إلى طريقة المقارنة ، فإذا تشابهت أساليب أو قواعد أو كلمات لغتين إلى الحد الذى لا يظن فيه أنه حدث لمجرد المصادفة ، فليس من شك فى أن هذه الكلمات المتشابهة ترجع إلى أصل واحد . وإذا لم يظهر بالمقارنة علاقة فيجب أن تصنف اللغات فى عائلات متميزة . وليس من الضرورى أن يدل عدم وجود العلاقة والتشابه بين لغتين على أنهما ليستا من أصل واحد ، لأن توالى الأزمنة كفيل بتغييرهما تغييراً يمحو أى تشابه بينهما ؛ وللخبير وحده أن يتبين العلاقة بينهما . وقد يبدو لنا أن بعض اللغات لا تتشابه مع أننا لو عدنا بالماضى القهقرى اتضح لنا وحدة أصلها ، وقد يرجع هذا إلى عدم معرفتنا تاريخ هذه اللغات أو كيف نحللها ونكتشف العلاقة بينها . وكثيرا ما يظهر — بعد الدراسة الدقيقة — أن مجموعة من اللغات ليس بينها تشابه ترجع إلى أصل واحد ، فى مثل هذه الحال ما كان يعتبر عائلات لغوية متعددة هو فى الواقع عائلة لغوية واحدة .

ولكى نقدر التشابه بين اللغات فإن الكلمات التى نتخذها برهاناً يجب أن يتوافر فيها شرطان : أولا التشابه فى اللفظ ، وثانياً التشابه فى المعنى ، فالكلمة الإنكليزية eel والكلمة الفرنسية ile يتشابهان فى اللفظ ولكنهما يختلفان فى المعنى ، بحيث لا يمكن أن نرجعهما إلى أصل واحد ، فكلمة ile مشتقة من الكلمة اللاتينية insula بينما كلمة eel تمت بصلة إلى الكلمة الألمانية aal ، وهاتان الكلمتان insula و eel تختلفان فى اللفظ والمعنى فلا تمكن إرجاعهما إلى أصل واحد . وإذا فرض أن ضاع الأصل اللاتينى والألمانى ولم يكن يعرف شىء عن تاريخ اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، ولم يكن معنى ile جزيرة بل سمك أو ثعبان الماء ... حينئذ يمكن أن نقول بوجود علاقة بينهما .

وهذه الحالات المشكوك فيها ناتجة عن أن تلك اللغات لم تدون عند بعض الشعوب . فى لغة أهل كاليفورنيا القدماء الذين يطلق عليهم اسم « يوكى » Yuki نجد كلمة Ko بمعنى go ، و com بمعنى come ولكن البحث أثبت أنه لا توجد علاقة ثابتة بين اللغة الإنجليزية ولغة كاليفورنيا ، فلا يدل وجود التشابه بين بعض الكلمات قطعاً على وجود علاقة بين اللغتين ، فكثيرا ما يصادف أن نشابه بعض الكلمات كلمات لغة أخرى فى اللفظ والمعنى ، وقد يرجع هذا إلى أن بعض اللغات تستعير كلمات لغة أخرى كما هى الحال فى اللغة الإنجليزية إذ نجد بها بعض كلمات فرنسية ولاتينية .

* * *

إن عدد العائلات اللغوية — من الناحية النظرية — ليس

أمراً مهماً فإن هـذا العدد لا يمكن أن يحدد ، وكلما تقدمت بنا المعرفة والعلم بدت لنا قوانين جديدة تعمل على توحيد تلك الكتل التي تبدو لنا الآن منفصلة . وفي كل من آسيا وأوربا اللتين تعتبران — من هذه الناحية — وحدة واحدة ، لا يتعدى فيهما عدد العائلات اللغوية أربعاً وعشرين ، وأهم تلك اللغات باعتبار عدد الذين يتكلمونها هي « الإندو الأوربية » Indo European أو الإندو الألمانية Indo Germanic أو الآرية Aryan Family وهذه تنتشر في جنوب غربي آسيا ، ومعظم — إن لم يكن — كل أوربا . وأعم فروع اللهجات الآرية هي الهندية والسلافية والألمانية واللاتينية . واللغات الأخرى هي : الإيرانية والأرمنية واليونانية والإغريقية ، والألبانية ، والبلطية والكلتية .

وقد انتشرت في هذه العصور الحديثة من أوربا العائلة الآرية كاللغة الإنجليزية والأسبانية والفرنسية والروسية إلى أقاليم أخرى مثل استراليا وأمريكا حيث يقطن معظم أراضيها شعوب تتكلم هذه اللغات . ويمتد توزيع اللغات الآرية على شكل حزام من غرب أوربا إلى شمال شرق الهند ، ولا يعترضها في الطريق سوى آسيا الصغرى التي حلت اللغة التركية فيها محل اللغات الآرية . كذلك احتلت اللغات التركية المنطقة التي في شمال بحر بلطق . ومما يضاهي اللغة الآرية من حيث عـدد الذين يتكلمونها اللغات الصينية Sinitic التي تنتشر في الصين الأصلية ، واللغات الألتية Altaic Stock التي تتمثل في اللغات التركية والمغولية والمنشورية وهـذه تنتشر في شمال ووسط آسيا وبعض جهات أوربا .

أما شرق أوربا وشمال غرب آسيا فهو موطن اللغات الأورالية Uralic ولغـات الفينو Finons والهنغارية المجرية Magyars Hungarian . ويوحد معظم العلماء هذه الفروع الأورالية الثلاثة مع الفينو والساموبد ويضعونها في عائلة أورالية ألتية واسعة .

ومن العائلة السامية اللغة العربيـة ، وهي من أعظم اللغات السامية حياة وتمثيلا ، ونشبها — كنصف شقيقة لها — اللغة الأمهرية في الحبشة . وكثير من الشعوب القـديمة كانت تتكلم اللغات السامية مثل البابليين والأشوريين والفينيقيين والقرطاجنيين والعبرانيين .

ومن اللغات الهامة لغة الدرافيدا في جنوب الهند ويبلغ عدد الذين يتخاطبون بها نحو من خمسين مليوناً ، وكذلك من اللغات الهامة لغة اليابان ولغة كوريا ، وقد تكون لغة أنام مستمدة من اللغة الصينية ولـكنها تعتبر إلى حد ما مستقلة عنها .

(مترجم بتصرف)

عمر رشدي
ليسانسيه في العلوم الجغرافية
من جامعة فؤاد الأول

على هامش الشعر السياسى

للأستاذ عبد القادر القط

لهذا الكتاب الذى أخرجه الأستاذ أحمد الشايب قيمة خاصة ، فؤلفه أستاذ بكلية الآداب — ومؤلفات الأساتذة فى جامعاتنا تأخذ فى أذهان الطلبة صفة المقررات ، يحتذون منهجها فيما يكتبون من أبحاث ، وينظرون إلى حقائقها نظرة فيها كثير من الإيمان بصدقها وسلامتها . وهذا ما حفزنى للكتابة عنه قبل أن يبدأ العام الجامعى الجديد .

والشعر السياسى كغيره من ضروب الشعر فن من فنون القول ، له طابعه الخاص ومقوماته البيانية التى تميزه وتكسبه صفات ليست لسواه من فنون الشعر الأخرى . فإذا ألف مؤرخ أدب كتابا عن الشعر السياسى فإن من الطبعى أن يتحدث عن هذا الفن وكيف أثرت السياسة فيه وقادته إلى صور من التعبير ينفرد بها ، وجعلت أصحابه ذوى طابع فنى واضح يعرفون به دون سائر الشعراء أو يعرف به شعرهم السياسى دون بقية شعرهم . ولكن الأستاذ عكس الآية — كما يقولون — فتحدث عن السياسة والخلفاء والولاة والأيام والأحداث وأفاض فى ذلك كله حتى خرج كتابه تاريخاً لا يمت إلى الأدب بسبب سوى أن رجال هذا التاريخ كانوا يقولون الشعر .

وقد تفاءلت خيراً حين قرأت له فى المقدمة « أما المنهج العام لهذه الفصول فقد قام على أصلين أحدهما سياسى والثانى فنى » ثم عدت فتوجست شراً حين رأيته يسهب فى هذه المقدمة عن الأصل الأول ويقتضب الكلام اقتضابا عن الأصل الثانى ، وما لبث هذا الشر أن طالعنى فى كل صفحة من صفحات الكتاب

وحسب القارئ أن يعلم أن المؤلف قد كتب فصلا طويلا عن الشعر السياسى فى الجاهلية شغل به خمساً وستين صفحة ثم لم يكتب عن جانبه الفنى إلا هذه العبارة « والوصف العام لهذا الشعر أنه شعر العاطفة الصادقة والمعانى القريبة والخيال البسيط الجميل والعبارة السهلة الخالية من التعقيد ، مع حسن اختيار البحور العروضية» . أما كيف كانت هذه العاطفة الصادقة والمعانى القريبة ، وأما مظهر هذا الخيال البسيط الجميل وهذا الاختيار الحسن للبحور العروضية فشىء لا يعنى المؤلف فى كثير ولا قليل !

وحسب القارئ أن يعلم مرة أخرى أن فصلا ملأ سبعين صفحة من الكتاب قد ختمه المؤلف فى حديثه عن الصفات الفنية للشعر السياسى فى صدر الإسلام بقوله: « أما عبارات الشعر وصياغته الفنية فقد اضطربت بين القوة والضعف لأن الشعراء الذين شغلوا هذه الفترة مخضرمون أو مغمورون — والأولون تغير عليهم الجو فلم يستطيعوا مجاراته دائماً ، ومنهم من انصرف عن الشعر إلى القرآن ، والآخرون قالوه قطعاً فى مناسبات شتى ، على أن تأثير القرآن تأخر إلى الجيل الجديد » . أما كيف كان ذلك فلا يجيب الأستاذ عنه بزعم ولا يقين .

وأستميح القارئ أن يعلم للمرة الثالثة والأخيرة ختام فصل طويل عن شعر الخوارج : « ... وكان جديداً فى أساليبه الرقيقة السلسة الجزلة التى تعتمد على القرآن الحكيم كما رأينا قبلا لعمران ابن حطان حين قال :

فنحن بنو الإسلام والله ربنا وأولى عباد الله بالله من شكر

مضمناً قوله تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وقول عيسى ابن فاتك الحبطى :

هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا

فهذا معنى قوله تعالى : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله »

وإذا كان هذان البيتان — فى ذوق المؤلف — جديدين فى أسلوبهما « الرقيق السلس الجزل » ، فقد فهمنا لما ذا يتنكب الحديث عن الجانب الفنى ويقتضبه فى عبارات مرقمة ؟ ! وما أيسر أن يقول المرء : هذا جديد ، وهذا قديم ؟ وما أيسر أن يأخذ من هذه الأحكام الشائعة فيقرر أن الأدب الجاهلى أدب الفطرة السليمة وأن أدب الشيعة أدب حزين ، وأدب الخوارج أدب رصين . ذلك كله شىء ميسور ، ولكن مناقشة هذه الآراء وبسط هذه الأحكام ومعالجتها بالذوق المرهف والإحساس اليقظ فشىء لا يتيسر لكثير من المؤلفين . واقرأ له قوله فى « تلخيص » مذهب ابن قيس الرقيات تجد مصداق ما نقوله : « (٢) وبجانب ذلك تسود شعره السياسى عاطفة حزينة تشبه عاطفة الشيعة ولكنها لا تماثلها ، إذ كان حزنه على قومه وعصبته العامة ، وكان حزنهم على أنفسهم وعصبتهم الخاصة » . فقد حكم المنطق حين كان يجب أن يحكم الذوق ، فأسلمته مقدماته الخاطئة إلى نتيجة خاطئة ؛ ولو قد قرن بين شعر ابن قيس وشعر الشيعة مقارنة فنية صحيحة لأدرك أن فن ابن قيس يفيض بالحزن الصادق واللوعة المريرة فى رثائه صرعى وقعة الحرة ، وفى بكائه أمر قريش وقد تفرق ، ولأدرك أنه فى ذلك يفوق بكثير شعراء الشيعة . ولكنه المنطق ، والمنطق الجاف !

فليس الشعر إحساساً نفسياً فحسب ، ولكنه تعبير فني عن هذا الإحساس . وقد لا يكون الشاعر أرهف الناس شعوراً ولا أعمقهم حساً ، ولكنه بموهبته يستطيع أن يحمل الألفاظ من الإيحاء ما لا يمكن أن يحملها إياه من هم دونه في الملكة والبراعة وإن كانت قلوبهم تتفتت من الحزن ! فليبك الشيمة أنفسهم وليبك ابن قيس قومه ، فذلك لا ينقص ولا يرجح في ميزان الفن ، وإنما يكون الترجيح بمقدار ما وفق الشاعر إليه من الإبانة عن فكره وعاطفته ، وما بثه في فنه من صور بيانية وعبارات موحية . وليس السبيل إلى هذا الميزان الصادق أن يقول المؤلف في الحكم على فن ابن قيس : « يمتاز أسلوبه بالجزالة فلم يكن رذلا ولا سفسافاً على الرغم من إقامته بتكريت ومن طعن اللغويين على شعره ورفضهم الاحتجاج به » . فذلك أشبه بهذه العبارات التي سئمنا سماعها من قولهم : « كثير الماء ، مشرق الديباجة ، حسن السبك » .

لقد رفض اللغويون الاحتجاج بشعر الشاعر ، فقد كان في شعره إذن خروج على ما ألفه اللغويون من الأساليب ، ورفضت أنت حكم هؤلاء اللغويين ؛ أفما كان لنا أن نسمع في إسهاب رأيك ورأى هؤلاء ؟ ! وما الذي أخذوه عليه ، وما الذي أعجبك منه ؟ ولكن الأستاذ يكتب عن الفن في عبارات مرققة !

ولما كان المؤلف أستاذاً في الجامعة كما بدأنا القول ، فذلك يمضي بنا إلى الحديث عن دراسة الأدب العربي في كلية الآداب ، فالكتاب تنقيح لما ألقى المؤلف من محاضرات في هذا الموضوع

والأدب في قسم اللغة العربية بكلية الآداب يدرس على أنه وثائق تاريخية تصور ما كان في المجتمع العربي من أحداث . لذلك يختار الأساتذة أحفل الموضوعات بهذه النواحي التاريخية من أمثال الشعر السياسي ونقائض جرير والفرزدق ، ويغفلون موضوعات لا تقل عنها شأناً وخطراً ، ولعلها تفوقها بياناً وفناً ، وتفتح للحديث عن مشاكل الشعر الفنية آفاقاً أرحب وأوسع . غاية الجهد أن يقسم الأستاذ النقيضة إلى أغراض : نسيب وفخر وهجاء . ثم يتحدث عما في هذه الأغراض من معان ويقارن بينها وبين ما ورد في القصيدة المناقضة ، كل ذلك في منطق جاف ، ونظرة عقلية محضة ، وعبارات مرققة ، لا يعرض لصور بيانية ولا لفظ جميل أو قبيح ، ولا يصف إحساساً صادقاً أو زائفاً ، ولا يوضح تقليداً ولا تجديداً

والطلبة يستمعون إلى هذه الدروس الجامدة في ضيق وملل ، وينظرون فإذا إخوانهم في الأقسام الأخرى يتلقون دراسة حية للأدب تعنى أكبر العناية بالفن ومظاهره ، وتقارن مقارنة دقيقة بين الشعراء ، وتطلع على ما تصدره المطبعة كل يوم من كتب جديدة . ينظر الطلبة إلى هذه الدراسة الحية في الأقسام الأخرى ، ثم ينظرون فإذا الأدب في قسمهم وثائق تاريخية ، وإذا دراسة النقد الأدبي تقصر على طلبة الامتياز ابتداء من السنة الثالثة ليتلقوا نظرات جزئية في تاريخ النقد عند العرب تبدأ أولاها بأن النقد مشتق من نقد الدينار ، أي اختبره ليتبين أزائف هو أم صحيح ؟

ويشتد ضيق الطلبة بهذا الجمود ، فيؤلفون من بينهم جماعات تدرس الأدب المصري الحديث وتراقب المطبعة العربية فيما تخرج من كتب ، يلقى أحدهم بحثاً ويناقشه إخوانه فيه ، ثم لا يجدون من أساتذتهم عناية ولا رعاية ، ولا يكلف الأساتذة أنفسهم مشقة الاستماع إلى مثل هذه المحاضرات من تلاميذهم ، بل إنهم ليوجسون خيفة من هذه المحاضرات ، ويعتقدون أنها تصرف الطلبة عما ينبغي لهم من جد وما يجب عليهم من إخلاص نحو دراسة الشعر السياسي ونقائض جرير والفرزدق ! راجت بينهم خرافة أن كلية الآداب تخرج علماء لا أدباء ، وفاتهم أن عالم الأدب لا بد أن يكون في قرارة نفسه أديبا ، ولا بد أن يتابع الآداب في نموها وتطورها ، ويربط قديمها بحديثها ، حتى يستطيع الحكم ببصيرة نافذة وإحساس صادق على ما يقرأ . راجت بينهم هذه الخرافة ، فهم لا يطمئنون كل الاطمئنان إلى الطلبة الذين يبدون ميلا إلى دراسة الأدب الحديث أو المشاركة فيه بالإنشاء ؛ تماما كما كان ينظر علماء الأزهر القدماء إلى الشيخ المرصفي وتلاميذه على بعد بين ما كان يدرسه تلاميذ المرصفي وما يدرسه الآن طلبة كلية الآداب . ولن يطمع طالب أن يستطلع رأى أستاذ في قصيدة نظمها أو قصة كتبها أو نقد لكتاب مما يقرأه الناس . لن يطمع طالب في ذلك ولئن فعل فلن يجد اهتماما ، ولئن وجد اهتماما فلن يجد غناء !

إن أمثال هذه الدراسات الجافة المربكة التي يمثلها كتاب « تاريخ الشعر السياسي » لتصرف الناس عن قراءة الأدب العربي القديم وتزهدهم فيه ، وخير لأساتذة الجامعة أن يروضوا أنفسهم على إرضاء النزعات الحديثة في نفوس طلابهم ، فذلك ينفض عن الأدب العربي القديم ما أورثته هذه الدراسات من جمود

عبد القادر القط

٥ ـ نظـــرات

فى دائرة المعارف الاسلامية

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة)

ونذكر تعليقاً على ما وَرَدَ فى ١ : ١٩١٤١٢ — ٢٣ أن كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى ، طبع فى عشرة مجلدات « القاهرة ١٩٣٢ — ١٩٣٨) . وكذلك كتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزى طبع فى أربعة مجلدات (حيدر آباد ١٣٥٥ — ١٣٥٧ هـ) .

وفى ١ : ١٧١٥٧٢ كان مفيداً أن يشار إلى كتاب « الحوادث الجامعة » لابن الفوطى . ففيه تفصيل وافٍ عن مجىء المغول إلى إربل .

وفى ٢ : ١٩١٨٠ يضاف فى الحاشية أن الدكتور فيليب حتى نشر كتاب « الإعتبار » لأسامة بن منقذ (برنستن ١٩٣٠) وهى طبعة تفوق طبعة درنبرج التى تقدّمتها .

وتعليقاً على ما ورد فى الأسطر الأربعة الأخيرة من ٢ : ٨٠ ب نقول إن الأستاذ أحمد محمد شاكر نشر كتاب « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ (القاهرة ١٩٣٥) .

وفى ٢ : ٩٨ ب ١٣ يضاف فى الحاشية أن كتاب « العبارة » (بارى أرمينياس لأرسطوطاليس ترجمة إسحق بن حُنَين) نشره بولاك J. Pollak فى ليبسك سنة ١٩١٣ .

ونقول تعليقاً على ما ورد فى ٢ : ٢١٢٦٤ أن النصف الأول من « كتاب الزهرة » لأبى بكر محمد بن داود الأصفهانى ، نشره نيكل A. R. Nykl وابراهيم عبد الفتاح طوقان فى بيروت سنة ١٩٣٢ بنفقة جامعة شيكاغو .

أما رحلة أبى الثناء الآلوسى (المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) المذكورة فى ٢ : ١٣١٦٠٢ — ١٩ ، المسماة « نشوة المدام فى العودة إلى مدينة السلام » فقد طبعت فى مجلد واحد مع رحلته الأولى المسماة « نشوة الشمول فى الذهاب إلى اسلامبول » (مطبعة الولاية ببغداد سنة ١٢٩١ و ١٢٩٣ هـ) .

ونعلّق على ما وَرَدَ فى السطرين الأخيرين من ٢ : ٦٠٢ ب أن الكتاب الذى نال فيه السيد محمود شكرى الآلوسى جائزة ملك السويد هو « بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » . وقد طبع مرتين ، الأولى فى بغداد (١٣١٤ هـ) ، والثانية فى (القاهرة ١٩٢٤ — ١٩٢٥) كل منهما فى ٣ مجلدات .

وفى ٢ : ١٩١٦١٩ كان مفيداً أن يقال إن كتاب « المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء » للآمدى ، نشره كرنكو F. Krenkow مع كتاب « معجم الشعراء » للمرزبانى (القاهرة ١٣٥٤ هـ) .

وفى ٢ : ٦٥٩ ب ٦ — ٨ ورد قوله : « ومما صنّفه (أمين ابن حسن حلوانى المدنى ، المتوفى سنة ١٣١٦ هـ) مَطَالع السعود بطيب أخبار الوالى داود ، وهو كتاب فى تاريخ داود باشا » . قلنا : إنه لم يصنّفه بل اختصره . فالأصل لعثمان بن سَنَد البصرى المتوفى سنة ١٢٤٦ وهو لما يطبع ، إنما طُبع مختصره لأمين حلوانى المدنى فى بومبى سنة ١٣٠٤ هـ .

وفى ٣ : ١٩١٥ قرأنا قوله : « ورسالة (من تآليف أبى البركات الأنبارى) تسمى الزهور ، ذكرها عبد القادر البغدادى فى كتابه خزانة الأدب ، بلاق ١٢٩٩ ج ٢ ص ٣٥٢ س ١٤ » انتهى .

قلنا : ولما راجعنا خزانة الأدب فى الموطن المشار إليه ، وجدناه يسميها « الزاهر » وهو ما يشاهَد أيضاً فى كشف الظنون (٣ : ٥١٩ لندن ، أو ٢ : ٣ استانبول) .

ونزيد على الأسطر الثلاثة الأخيرة من ٣ : ٤١ ا ما يأتى : وتلاه ليفى بروفنسال E. Lévi - Provençal فوضع قائمة أخرى بهذا العنوان أيضاً ، وصف فيها طائفة من مخطوطات الاسكوريال » .

ومما قاله فى ٣ : ٣٢٤ ب ١٩ — ٢٠ ولم يؤخذ صورٌ فوتوغرافية لهذه النقوش (يقصد نقوش بافيان فى شمالى العراق ، وقد مرَّ بنا ذكرها فى بعض ملاحظاتنا) بعدُ » . قلنا : كان يمكن أن يذكر فى الحاشية ما يلى : بل إنها صُوّرت بإتقان . وللاطلاع على تلك التصاوير راجع :

Bachmann : Fels eliefs in Assyrien. Bawian, *Maltai und Gundük.* (*Leipzig 1927, PP.* 1 – 22 ; PL. 1 – 17) .

Jacobsen and Seton Lloyd : Sennacherib's Aqueduct at Jerwan. (Bhicago 1935, PP. 44 — 49 ; PL. 13, 31 — 35) .

وفى ٣ : ١١٤٣٠ نقول إن قصة إشتر هى — على ما فى التوراة — قصة أو سفر استير .

وفى ٣ : ٨١٤٩١ كتاب التنبه (للمسعودى) صوابه : التنبيه .

وفى ٤ : ١٣٩٩ ، كتاب الجواهر فى معرفة الجواهر . والصواب كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر (وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٥٥ هـ) .

وفى ٤ : ١٧١٤٩٢ كتاب مغارة الكنز . صوابه : مغارة الكنوز .

وذكر فى ٤ : ٥٠٤ ب ٧ أنه « قد حال كبر حجم مؤلف الصفدى (كتاب الوافى بالوفيات) دون طبعه إلى الآن » . قلنا : نشر المستشرق ريتر H. Ritter الجزء الأول منه فى استانبول سنة ١٩٣١ .

وفى ٤ : ٥٨٨ ب ١٠ كان يحسن أن يقال فى الحاشية إن كتاب « الإشارة إلى محاسن التجارة » لجعفر بن على الدمشقى قد طبع فى القاهرة سنة ١٣١٨ هـ .

وفى ٥ : ١٣ ب ٢٠ ورد ذكر كتاب Hist. Mat وصوابه Hist. Nat وهو كتاب التاريخ الطبيعى الشهير تأليف بلينى .

رابعا : الأعداد

وَرَدَ فى ١ : ١١٦ ب ٨ « وتوفى (سبط ابن الجوزى) عام ٦٤٤ هـ » . والصواب ٦٥٤ هـ راجع : البداية والنهاية لابن كثير (١٣ : ١٩٤) والسلوك للمقريزى (١ : ٤٠١) والنجوم الزاهرة (٧ : ٣٩) وشذرات الذهب (٥ : ٢٦٦) .

وفى ١ : ١٤١١٥٠ قال : جـ ١ وصوابه : جـ ٦ .

وفى السطر الأخير من ١ : ١٣٢٤ ذكر عام ١٨٥٤ والصواب : أنه عام ١٨٩١ .

وفى ١ : ١٩١٣٨٩ قال : جـ ١ وصوابه : جـ ٥٠ وقد نشأ هذا الوهم من أن الرقم كُتِب فى الأصل رومانياً هكذا L ، فظن المترجمون أنه I .

ومما لفت نظرنا بوجه خاص قوله فى ١ : ٥٧٠ ا ١٩ — ٢٠ « وهى (يقصد مدينة فى العراق) قرية صغيرة يبلغ عدد سكانها ٣٧٥٧ نسمة » . قلنا : هذا الرقم بعيد عن الحقيقة ، ولعل كاتب المقال نقل ذلك عن كتاب كوينه Cuinet المطبوع سنة ١٨٩٢ بعنوان Turquie d' Asie ويؤخذ من الإحصاءات الأخيرة أن نفوس إربل يبلغون ١٩٠٠٠ نسمة (راجع جغرافية العراق الثانوية لطه باشا الهاشمى . الطبعة الثانوية ، بيروت ١٩٣٩ ، ص ١٢١) . أما دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الرابعة عشرة، سنة ١٩٣٧ ، مادة إربل) فتقول إن نفوس هذه البلدة ٢٥٠٠٠ نسمة .

وفى ٢ : ٧٩ ب ١٨ ذكر سنة ٤٥٤ هـ . وصوابها : ٥٨٤ هـ .

ومثله قوله فى ٣ : ٣١٦٢٩ سنة ١٨٩٦ م وصوابها ١٨٧٦م .

ومما دوّنه فى ٣ : ٦٧١ ب ٢٥ — ٢٧ هذه العبارة : « ويتراوح عدد سكان هذه المدينة (مدينة البصرة) وفقاً للتقديرات المختلفة بين ١٨ ألف و٦٠ ألف نسمة ، والراجح أن التقدير الأقل هو الأصح » . قلنا : كان ينبغى التعليق على هذا القول الذى لا يحصّل منه حقيقة يركن إليها . وعندنا أن سكان هذه المدينة يبلغون الآن زهاء ٨٥٠٠٠ نسمة وهم فى تزايد مستمر .

وفى ٤ : ٢٣١١٣ قرأنا باستغراب قول القائل « أما العراق ، فقطر مساحته ١٤٣٠٠٠ كيلو متر » . وهذا وهم . والصواب : أن مساحته ١٣٢٥٠٠ ، ٩١ ميلا مربعاً ، أى نحو ٣٧٥٠٠٠ كيلو متراً مربعاً (راجع : مفصل جغرافية العراق لطه باشا الهاشمى . بغداد ١٩٣٠ ، ص ٥٥٢) .

وفى ٤ : ٥٧ ب ٢١ ذكر ص ٢٩٦ . وصوابها : ص ٢٠٦

وفى ٤ : ٥١٤٩٣ قوله : الطبرى المتوفى سنة ٢١٠ هـ . والصواب : سنة ٣١٠ هـ .

وكذلك ذكر فى ٤ : ٤٩٩ ب ١٨ أن وفاة الشابشتى سنة ٣٣٨ هـ . والصواب : أنها سنة ٣٨٨ هـ إذا أخذنا برواية ابن خلكان (وفيات الأعيان ١ : ٤٨١ بولاق الأولى) .

خامسا : الملاحظات المتفرقة

قال فى ١ : ١٠١١٤٧ — ١٧ « فرغب الخليفة المقتدر فى العام التالى فى إقصائه وإحلال ابن أبى البغل حاكم الفارسية مكانه » .

ويلاحظ أنّ لفظة « الفارسية » فى هذه العبارة تقابل لفظة Fars فى الأصل الفرنجى . قلنا : الذى فى تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء لهلال بن المحسّن الصابىء (ص ٣٤٠) أن « محمد بن أحمد بن أبى البغل ... كان يتقلد فارس » .

وكثيراً ما استعملت اللجنة (انظر مثلا ١ : ٢٢٧ ا ٥ و ٩ ؛ ١ : ٢٢٧ ب ٢٣ ؛ ١ : ٢٨١ ب ٤ ؛ ١ : ٢٨٢ ا ٦ و ٧ و ٨) لفظة « البطريك » فى محل « البطرْيَرْك » أو إحدى اللغات الواردة فيها كالبطريق أوالبطرك أو البترك أو الفطرك أوالفطريك أو الفطريرك . فلو اتخذت أحد الألفاظ لأصابت كبد الحقيقة فى تعريبها لفظة Patriarch الدالة على الرئيس الدينى الأعلى عند النصارى . بخلاف البطريق Patrician التى تدل على رتبة شرف عسكرية عند الرومان .

وقد وقفنا فى هذه اللحظة على نبذة ثمينة كتبها العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى فى مجلة الثقافة (العدد ١٩٣ ص ٩٩١ — ٩٩٢) أوضح فيها الفرق بين البطريرك والبطريق .

وفى ١ : ٣٧٧ ب ٢٥ وَرَدَ قوله : « وقد حاول أبو العتاهية أن يجد حلاً لمعضلة الأثنينية » . وهذه الكلمة الأخيرة تعريب اللفظة Dualisme الواردة فى الأصل . قلنا : عرف الأقدمون من كتبة العرب هذه اللفظة ، فقالوا فيها « الثنوية » . راجع : الآثار الباقية للبيرونى (ص ٢٠٧) والملل والنحل للشهرستانى (١ : ١٨٨ طبعة كيورتن فى لندن سنة ١٨٤٢) واعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين للرازى (طبعة على سامى النشار ص ٨٨ — ٨٩) .

وقال فى ٢ : ١٦٤ ب ١٤ « وجعله (هرون الرشيد جعل الأصمعى) مؤدباً للأمير » . قلنا : الذى فى الأصل الفرنجى « وجعله مؤدباً لابنه الأمين » .

وقد وجدنا المعلومات الواردة فى ١ ٥٧٤ ب ١٢ — ١٦ قديمة لا يمكن أن يؤخذ بها ، وكان يحسن التعليق عليها بما يقربها من الحقائق المعروفة فى وقتنا .

وفى ٣ : ١١٢ ا ٥ الخفيض . صوابها : الحضيض وهو من أوهام الطبع .

وقد لاحظنا فى ٣ : ٢٠٠ — ٢٠١ نقصاً ظاهراً بين هاتين الصفحتين فى سياقة المتن الوارد ، فلعله سقط شىء من العبارات .

وفى ٣ : ٣٠٧ ا ١١ الثقاة . صوابها : الثقات . ولعل هذا من غلط الطبع .

وفى ٣ : ٣١٠ ا ٦ قرأنا موضوعاً بعنوان « بالية » . والذى فى الملل والنحل للشهرستانى (٢ : ٤٤٠ كيورتن) : « البَـلِيَّة » .

وفى ٣ : ٤٥٠ ا ٣ وردت لفظة بِدرى . والمشهور أنها بادرى .

وفى ٣ : ٦٨٨ ا ٢٣ المندياى . والصواب : أن يقال فيها المندائية .

وفى ٣ : ٦٨٨ ا ٢٤ ورد اسم « الصُبَّـاء » . وكان يليق القول إن هذه التسمية من تصحيفات العوام فى العراق ؛ أما فى المراجع القديمة فقد عُرفوا باسم « الصابئة » .

وفى ٤ : ٣٩٠ ب ٢٠ ضُبطت لفظة كلَّك بتشديد اللام . والصواب بالتخفيف وزان حَلَب .

وقال فى مادة « التجارة » ٤ : ٥٨١ ا ٥ : « انظر اللفظتين السريانيتين[1] تكرا و » وقدمهما عن ذكر اللفظة الثانية ، وهى على ما فى الأصل : تا كراً .

الختام

هذا أهم ما تراءى لنا مصحفاً أو مفتقراً إلى تعليق وإيضاح . وهنالك عدد لا يحصى من أغلاط الطبع ، تسربت إلى الألفاظ العربية والفرنجية ، ضربنا عن ذكرها صفحاً لضيق المقام ولعدم خفائها على أكثر القراء .

وإظهاراً للحق نقول إن ما أوردناه ليس إلا هنات هيّنات بالقياس إلى الأتعاب الكثيرة التى بذلها المترجمون الأفاضل والعناية الفائقة التى صرفوها فى إبراز هذه الترجمة بثوبها القشيب ، ذلك على كثرة ما يعترضهم فى هذا السبيل من العقبات وثقل التكاليف . ونحن نسأل الله أن توفّق اللجنة لمواصلة هذا العمل الجليل فنراه يوماً ما — وهو ليس ببعيد — قد أوفى على التمام والكمال ، وأضحى مرجعاً ثميناً ومنهلا عذباً لطلاب البحوث الشرقية .

(بغداد) **كوركيس عواد**

---

(١) هما فى الأصل بالارمية ، لكننا كتبناهما هنا بالعربية ، ظنا منا أن الحروف الارمية غير متيسرة فى مطبعة الرسالة .

نظرية كونفوشيوس الدينية

للأستاذ أبو بكر هو غانجين الصيني

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وكان يعيب على من قدم القرابين إلى أرواح غير آبائه . يقول فى الفصل الثانى من كتاب الحوار :

« من قدم القرابين إلى الأرواح التى لا تستحقها فهو متملق ، ومن رأى الصالحات ولم يعملها فهو جبان » . وكان يقدم الآلهة والأرواح على نفسه ويفاخر بمن عمل بهذا المبدأ . يقول فى الفصل الثامن من الكتاب :

« ما عرفتُ فى الملك يُو مثلبة فإنه كان يتناول من المطعم والمشرب الشىء البسيط ويقدم إلى الأرواح والآلهة ما هو فى غاية اللذة ، وكانت بذلته ثياباً أخلاقاً وكانت ملابسه الخاصة بالشعائر والطقوس فى غاية الجمال ، وكان يسكن فى بيت حقير ويبذل قصارى جهده فى حفر الترع والخنادق . ما عرفتُ فيه مثلبة .

لكن كونفوشيوس لا يحب أن يتملق الإنسان أرواح الأموات والآلهة بكثرة القرابين وشدة التقرب إليها بل يجب الابتعاد عنها :

« سأل فان جيه أحد تلاميذه عن الحكمة فقال له الأستاذ : الحكمة هى القيام بالواجبات للمجتمع الإنسانى والاحترام لأرواح الموتى والآلهة مع الابتعاد عنها » . السادس من الكتاب .

وكان يرى تقديس الآلهة بالإخلاص والامتثال لأوامرها بالتحلى بالفضائل والاجتناب عن نواهيها بالتخلى عن الرذائل :

« لما اشتد مرض الأستاذ طلب منه تس لو (أحد تلاميذه) أن يسترحم له الآلهة فقال الأستاذ هل فى ذلك أصل ؟ فأجابه : نعم ، لقد ذكر فى كتاب التكهن القديم : « أسترحمُ لك آلهة السماء والأرض . قال الأستاذ : لقد استرحمتُ منذ زمن بعيد » أى بالفضائل والآداب التى يتخلق بها (السابع من الكتاب) .

وكان يرى احترام الموتى كاحترام الأحياء بل احترام الأحياء أوجب وألزم من احترام الأموات :

« سأل جى لُو (أحد تلاميذه) عن خدمة أرواح الموتى فقال له الأستاذ : لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأموات ؟ وقال جى لو : أسأل حضرتك مجترئاً عن الممات . قال الأستاذ : لم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات ؟ » الحادى عشر من الكتاب .

٥ — نظرية كونفوشيوس فى الإله الأعلى : السماء :

يحكى كونفوشيوس عن نفسه أنه يعرف قضاء الله وقدره وهو ابن خمسين (الفصل الثانى من كتاب الحوار) فكانت أعماله حينئذ لا تخرج عن أوامر الله وحدوده أبداً ، وكان يقدسه أعظم تقديس ويتقيه أشد تقوى ، وكان يتخلق بأخلاقه ويمثل صفاته فى حركاته وسكناته ، وكان الله مثلا أعلى فى أعماله فى حياته ، وكان كل تعاليمه مبنية على معرفته فى السماء معرفة تامة واعتقاده فيها اعتقاداً جازماً ما كان يتصدى لتعليم الناس ونشر الحق فى العالم ، فالله مصدر علمه وغايته الأسمى :

« قال الأستاذ : أريد ألا أتكلم . قال تس كونغ . إن لم تكلم حضرتك فماذا نروى عنك نحن معشر التلاميذ ؟ قال : هل تتكلم السماء ، إنما تتعاقب الفصول الأربعة وتنشأ الأشياء متوالية ماذا تقول السماء ؟ » السابع عشر من الكتاب .

« قال الأستاذ : والهفاه ! لا يعرفنى أحد . فقال تسُ كونغ : ماذا تعنى حضرتك بعدم معرفة أحدٍ لك ؟ قال الأستاذ : لا أتذمر من السماء ولا أتفجر بالناس وإنما أدرس الأمور السلفية لأصل بها إلى الأمور العلوية لعل الذى يعرفنى هو السماء! » الرابع عشر منه .

يسعى الفيلسوف كونفوشيوس لتعليم الناس وهو يعلم أنه لا يعرفه إلا الله فلا يجزع ولا يغضب إذا قامت العراقيل فى نشر الحق ولا يتأخر فى ذلك ما دام الله معه .

تأسف كونفوشيوس كثيرا جداً حينما توفى يين يُون نابغة تلاميذه يقول : وا أسفاه لقد توفتنى السماء ! لقد توفتنى السماء ! وإنما قال ذلك لأن الحق قد فقد أحد ناصريه وأشد دعاته وأقوى ناشريه وأصدق عامليه لكنه يستسلم لقضاء الله وقدره لا يجزع ولا يفزع يقول فى الفصل العشرين من كتاب الحوار :

« من لم يعلم القضاء والقدر لا يمكن أن يصبح رجلا كامل الخلق » .

« يقول تسى هسيا : إننى قد سمعت أن الحيـاة والممات كلها بالقضاء والقدر ، والمال والجاه كلها فى يد السماء » . الثانى عشر من الـكتاب .

يعتقد كونفوشيوس بوجود الله القادر المريد الذى قدر الأشياء فى الدنيا لا يغيرها إلا هو :

« قال الأستاذ : إن انتشرت سنتى كان ذلك من القضاء والقدر وإن ضاعت سنتى كان ذلك من القضاء والقدر، فماذا يستطيع كُونْغ بَىْ لِيُو[1] أن يعمله مع القضاء والقدر ؟ » الرابع عشر منه .

ويعتقد الأستاذ أن الإنسان الصالح يجب أن يتقى قضاء الله وقدره ، ومعنى ذلك أنه لا يعصى أوامره ولأجل أن أقوال الأنبياء والـكبار مبينة لأوامر الله كانت الأقوال يجب أن يعمل بها أيضاً :

« قال كونفوشيوس : للرجل الـكامل الخلق مخافات ثلاث : مخافة القضاء والقدر ، ومخافة كبار الدولة ، ومخافة أقوال الأنبياء . وأما الرجل النـاقص الخلق فلا يعرف القضاء والقدر ولا يخافه ويزدرى بكبار الدولة ويستهزىء بأقوال الأنبيـاء » السادس عشر منه .

٦ — صفات الله فى نظر كونفوشيوس

إذا دققنا البحث فيما اعتقده كُونفوشيوس فى الإلـه الأعلى — السماء — فيما يحتويه كتاب الحوار وجـدناه يصف الله بالصفات الآتية :

(١) يعتقد أن الله قادر مدبر جبار عزيز لا يغير إرادته أحد ولا يقدر أحد على مخالفة القدر والقضاء :

« قال الأستاذ : قد خلقت السماء فى نفسى هذه الفضائل فأى شر يمكن أن يريده بى هوان طى[1] ؟ » السابع من الـكتاب .

« لما وقع الأستاذ فى الخوف من أهل كوانغ[1] قال :

ألم تكن الثقافات والآداب عندى هنا بعد أن توفى الملك ون ؟ إن كانت السماء تريد أن تضمحل هذه الثقافات والآداب ما كان لى نصيب منها وإن لم تكن تريد أن تضمحل هذه الثقافات والآداب فماذا يمكن أهل كوانغ أن يعملوا بى ؟ » .

تبين مما سقناه أن كونفوشيوس كان مضطهداً لأعدائه أعداء الحق لـكنه يعرف أن الله معه وأن الحق لابد أن يظهر وإن كره الـكافرون المنكرون ، وأن ما أراده الله وقدره لا يمكن أن يتغير ويتبدل ، وأن قوة الإنسان وإن بلغت أشدها لا يمكن أن تحول إرادةالله وقدره أبداً ، وهذه العقائد راسخة فى نفس كونفوشيوس دافعة إلى العمل من دون جزع ولا خوف وهى عقائد دينية متينة .

(٢) يعتقد أن الله عليم بكل شىء لا ينخدع ولا يغتر :

« لما اشتد مرض الأستاذ جعل تس لو يمثل تلاميذه خدماً له رسميين . ولما تناقص مرضه قال : طالما يخدع تس لو . ليس لى خادم رسمى فإن تظاهرت بأن لى خدماً رسميين فمن ذا الذى أخدعه ؟ هل أخدع السماء ؟ » التاسع من الـكتاب .

(٣) يعتقد أن الله يجزى الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وإن كانت الأعمال موافقة لأوامر الله وإرادته كانت خيرا وإلا كانت شراً فيجزى الأولى بالسعادة والنعيم فى الدنيا والثانية بالعذاب والشقاوة فيها :

« لما زار الأستاذ الأميرة نانْ تس (المشهورة بفسادها) سخط تس لو خلف الأستاذ قائلا : لو ارتكبت ما لا يليق غضبتْ علىَّ السماء ! غضبتْ علىَّ السماء ! » السادس من الـكتاب .

هذا الـكلام إنما يدل على أن الأمور المنكرة يجزيها الله بالعذاب والشقاوة ويقطع دابر فاعلها .

« سأل وانغ سون قائلا : ما معنى هـذا المثل : التملق لإلـه التنور أفضل من التملق لإلـه الزوية الغربية الجنوبية من البيت ؟ قال الأستاذ : كلا ! من أجرم نحو السماء فلا محل له بالدعاء[1] » . الثالث من الـكتاب .

يدل هذا القول على أن السماء لها الحق فى الجزاء بالخير والشر ، وأنها تجزى الأعمال السيئة التى تخالف أوامر السماء وإرادتها بالشر والعذاب وأنه لا يستخيرها من يخالف أوامرها ولا يستغفرها

---

(١) كونغ بى ليو وهوان طى وأهل كوانغ أعداء كونفوشيوس وتلاميذه الذين يعرقلونهم فى سبيل نشر الحق والعدل .

(١) كان وانغ سون جيا وزيراً مستبدا شبه نفسه بإله التنور وشبه أميره بإله الزاوية الغربية الجنوبية للمنزل الذى لا شأن له فى أمور الدولة ومراده أن يقول لـكونفوشيوس تملق لى إن أردت الوظيفة لأن أمور الدولة كلها فى يدى ولا تتملق للأمير الذى ليس له شأن فى الدولة فقال له كونفوشيوس : كلا ! إن الأمور كلها فى يد السماء (أى فى يد الملك) لا فى يد غيرها

ولا يطلب منها رحمة ولا نعمة .

« لما اشتد مرض الأستاذ طلب منه تس لو أن يسترحم له الآلهة . فقال الأستاذ : هل فى ذلك أصل فأجابه نعم ! لقد ذكر فى كتاب التكهن القديم : أسترحم لك آلهة السماء والأرض . قال الأستاذ : لقد استرحمت منذ زمن بعيد » . السابع من الكتاب

يدل هذا الكلام على أن الأمراض عذاب الله الذى يجزى به الأعمال الفاسدة ، كما انتشرت هذه الفكرة عند قدماء الصينيين ، وكذلك استرحام آلهة السماء والأرض عند المصائب عادة من عاداتهم القديمة . لكن كونفوشيوس يعرف أنه على حق فى كل أعماله لم يخرج عن حدود الله ولم يخالف أوامره أبداً فلذلك أجاب تلميذه بقوله : لقد استرحمت منذ زمن بعيد . لأنه ينكر فائدة الاسترحام للعاصى والشرير الذى لا يمتثل بأوامر الله ولا يجتنب عن نواهيه وهو معتقد اعتقاداً جازماً أن الاسترحام إنما بالأعمال الصالحة والأفعال الحسنة لا بالعبادة ولا بالقرابين . يقول جوانْ تسْ أحد العلماء المعاصرين لكونفوشيوس : « مرض كونفوشيوس فأراد تس كونغ أن يتكهن له فقال له كونفوشيوس : على رِسْلِكْ ! إنى لا أجترىء ولا أتقدم فى مجلس وكان اعتكافى وحياتى كما إذا كانت فى أيام الصوم وكان طعامى وشرابى كما إذا كانا للقربان فقد تكهنت منذ زمن بعيد » . هذا الكلام قريب مما فى كتاب الحوار أتينا به ليوضح المعنى الذى نحن بصدده .

٧ — الخاتمة

هذه هى خلاصة مذهب الكونفوشيوسية فى الآلهة والملائكة والأرواح والإله الأعلى وهو السماء ، وهذا المذهب ليس بجديد بالنسبة إلى عقائد القدماء الصينيين بل هو عينها ولم يكن كونفوشيوس بمجدد للدين القديم لأهل تلك الأزمان الغابرة بل هو قاص لما يحتويه وحاكيه على ضوء من العلم الذى يعرفه فى ذلك الوقت وقد قال بنفسه :

« إنى راوية غير منشىء ومصدق للسلف ولذا أشبه نفسى بجترئاً بصالحنا القديم بانغ » . السابع منه .

فهو فى هذه الناحية من المحافظين على التقاليد القديمة والمقلدين لما عليه الآباء .

والمذهب الكونفوشيوسى منتشر فى أنحاء الصين كلها معمول به إلى الآن ؛ وهو الذى يسمى بالديانة الكونفوشيوسية وهو فى الحقيقة الدين الصينى القديم كما بينا .

والآن قبل أن نختتم هذه المقالة يجب أن يدرك القارىء العزيز ثلاثة أمور متصلة بالموضوع وهى :

(١) أن ما لخصنا من المذهب الكونفوشيوسى فى الإله والآلهة كله من كتاب الحوار الذى دونه تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه. وأما الكتب القديمة التى لخصها الأستاذ الفيلسوف كونفوشيوس فقد ذكرت فيها هذه النظريات وزيادات كثيرة تبين صفات السماء وغيرها من الآلهة أكثر وأوضح ، فإذا سنحت لى الفرص فقد أكتب عنها مقالة أخرى إن شاء الله تعالى .

(٢) نظرية ألوهية السماء موجودة فى الأمم القديمة ، وكذلك نظرية وجود إله أعلى خالق الكون ومدبره موجودة فى الأديان المنتشرة ، ليست الصين هى التى تتكلم عنها وحدها ولا كونفوشيوس ينشرها وحده . لقد وجدت أيام كونفوشيوس فلاسفة كبار فى الصين وغيرها يبحثون عن هذه المسألة فإذا أتيحت لى الفرصة فسأكتب عن فلسفة لَوْزْ فى نظرية الإله الظاهر بنفسه المتبين بأفعاله وهو الطبيعة نفسها ونظرية مَيْزْ فى الإله الكامل الصفات الفاعل الأفعال العليم القدير الذى يشبه ما جاء فى الإسلام كثيراً جداً وآراء الفلاسفة الصينيين الآخرين إن شاء الله تعالى .

(٣) النقطة الأخيرة التى أريد أن أبينها هى أن عبادة الكونفوشيوسيين وصيامهم ليستا كما جاء فى الدين الإسلامى فهم يعبدون الآلهة والأرواح بثلاث سجدات مع ركعة واحدة أو تسع سجدات مع ركعات ثلاث وهم يصومون عن أكل اللحوم والأفعال الفاحشة والأقوال الكاذبة لابسين لباساً وقراً بعد غسل جديد معتكفين فى المنزل وقتاً من الزمن ثم يعبدون فى المنزل أو المعبد بعد صيام ساعات أو أيام ويقدمون القرابين وهم فى ذلك كله كالبوذيين الذين يعبدون الأصنام مع فرق أن الأولين ليست لهم التماثيل وقد ينصبون النصب الخشبية التى كتبت عليها أسماء الذين يعبدونهم أو نقشت عليها كلمة « عرش السماء والأرض والملك والآباء والأساتذة » ويعبدونهم كأنهم حاضرون .

أبو بكر هوغانجين الصينى

لا تحــزنن . . . !

[مهداة إلى صديق متشائم ...]

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه أبيات لحافظ الشيرازى الشاعر الفارسى ترجمتها نظماً. وحافظت فيها على وزن الأصل وقافيته لأجعلهما مثلا لما فى الشعر الفارسى من أوزان وقواف :

فأما الوزن فهو الرمل المثمّن أى ذو التفعيلات الثمان . والمعروف فى العربية أن الرمل لا يزيد على ست تفعيلات . وأما القافية فهى المردوفة : والرديف فى العروض الفارسى كلمة ، وكلمات تكرر فى أواخر الأبيات فيلتزم قبلها روىّ يعتمد عليه النظم :

يوسف المفقود فى أوطانه ، لا تحزنن
عائد يوماً إلى كنعانه ، لا تحزنن

بيتُ الأحزان تراه عن قريب روضة (١)
يضحك الورد على بنيانه ، لا تحزنن

رأسك الأشعث يوماً سوف يلقى ذنبه
ويُفيق القلب من أحزانه ، لا تحزنن

هــذه الأفلاك إن دامت على غير المُنَى
لا يدوم الدهر فى حدثانه ، لا تحزنن

أيها البلبــل يأتيــك ربيع ناضر
تستظل الورد فى أغصانه ، لا تحزنن

لست تدرى الغيب فى أسراره لا تيأسن
كم وراء السِرّ من ألوانه ، لا تحزنن

وإذا جُزت إلى الكعبة يوماً مهمها
فدهاك الشوك من سعدانه ، لا تحزنن

ومُحيل الحال يدرى حالنا بين العــدى
والهوى والحبّ فى هجرانه ، لا تحزنن

يا فؤادى إن يسِل بالكون طوفان الفنا
فُلك نوح لك فى طوفانه ، لا تحزنن

منزلٌ جِدّ مخــوف ومراد شاحط
لم يدُم فــجّ على ركبانه ، لا تحزنن

حافظٌ ! ما دمت فى الفقر وليل حالك
فى دعــاء الله أو قرآنه ، لا تحزنن

(١) بيت الأحزان : بيت اتخذه يعقوب ليعتكف فيه حزناً على يوسف.

السراب الأخـير . .

للدكتور ابراهيم ناجى

يا سجين الحياة أين الفرار   أو صدّ الليــل بابه والنهار
فَلِمَن لفتةٌ وفيم ارتقاب   ليس بعد الذى انتظرت انتظار
والتَّعِلاّتُ من هوى وشباب   قصةٌ مُسدلٌ عليها الستار
وَهَبِ السجن بابه صار حراً   لك ، لا حائلٌ ولا أسوار
وعفا القيد عنك كفاً وساقاً   فإذا الأرض كلها لك دار ...
أينَ أين الرحيل والتسيار   بَعُدت شقةٌ وشط المزار
والخطى المثقَلات باليأس أغلا   لٌ لساقيك والمشيب عثار
دون ما تبتغى دماء وشوكٌ   والسراب الذى ترى والقفار
ما الذى يصنع العليل المسجَّى   قد تولى العــوّاد والسمّار
طال ليــل الغريب ، وامتنــع الغمـ
ـضُ وفى المضجع الغضَى والنــار
ما انتفاع الفتى إذا عَفَت الجنـ   ـة واجتاح دوحَها الإعصار !
عشت حتى أرى خمائل حبى   تتهاوى كشامخ ينهــار
تحت عينى ! ويذبل الحسن فيها   ويموت الربيع والأنوار . . .
ما انتفاعُ الفتى بموحش عيش   بقيت كأســه وطاح العقار
وبقاء البساط بعــد الندامى   كأس سُمٍّ بها يطوف البوار
كل ما سرّ مرّ مختصراً   كالظل أوقاته قلال قصار
واستمرّ المرير دون اختصار   كيف يرجى لما يسوء اختصار
ما انتفاعى وتلك قافلة العـ   ـيش وفى ركبها الظما والدمار
الدمار الرهيب والعَدَم الشــا
ـمل والمفــزع واللظى والأوار
يا ديار الحبيب هل كان حلماً   ملتقى دون موعدٍ يا ديار !
يا عزيز الجنى عليــك سلام   كيف جادت بمثلك الأقدار
بوركَ الكَرْم والقطــوف وأوقا
تٌ كأن العناق فيها اعتصــار
كلما أطلقتْك كفى استردتْك
كما يحفــزُ الغــريمَ الثــأرُ

في العـــربة ...

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

ركبتها فقمت أسـعى إليها   وتهادت ونحن فى جانبيها
ومضت تنهب الطريق ونختا   ل عليه مثل اختيالى عليها
لم لا أزدهى وعن جانبى شمـ   ـس كأن الشموس ملك يديها
أشرقت بالجمال فى وجنتيها   وبسحر الدلال فى مقلتيها
وتجلت كربية الحسن ما أحـ   ـلى فتوناً يطل من ناظريها !

ومضينا وللعيون حوالـيـ   ـنا نطاق كأننا ما مضينا !
فى طريق تسابق الدوح صفَّيـ   ـين إلينا بالظل يحنو علينا
ونسيم يسيل كالعطر حيًّا   نابه النهر وهو يجرى الهوينى
وأصيل كوجهها خجل يفـ   ـترُّ بالحسن عسجداً أو لُجَيْنا
فتذكرت ما مضى من غرامى   أين يا قلب ما مضى أين أينا ؟

قلت مرحى يا أجمل الغادات   ألف بشرى بأجمل الساعات !
ما تزالين يا ملاكى خيالا   نابضا فى دمى بغير أناة
أشتهى أن أراك يوماً بعينى   وفؤادى يراك ملء الحياة
والتقينا وتلك أعجب لُقْيَا   جمعتْنا فى أعجب العربات
خطرت كالنسيم حيناً وكالإعـ   ـصار طوراً وكالرُّؤى الباسمات

والجواد الهزيل ذاك الذى شا   رفَ عمرا قاسى به ألف عمرِ
خفَّ يجرى كالسهم تلفحه العيـ   ـنُ سريعا ولم يكن قط يجرى !
استخفَّته نشوة فتصابى   مثلما راعنى الجمال المغرى
فتمنَّيْتُ لو أعانقها شوْ   قا إليها وإن تكن ملء صدرى
أمرَتْنِى بحسنها ، ونهتنى   بعفاف ، فضاع نهيى وأمرى !!

يا فتاتى ! أتذكرين صبيًّا   أنت علَّمْتِه غرام الغوانى ؟
كان يلقاك فى حياءٍ غرير   حالم بالجمال هشّ الأمانى
يعشق الورد فى الغصون ويغضى   خجلا منه فى خدود الحسان
ثم أصبحت من شبابى وأشجا   نى كأنى أعش فى بركان !
الصبا كالندى — سلام عليه !   والشباب العنيف كالطوفان

سألتنى : ألسْتَ أنتَ فتانا   بعد ما كان من هواك وكانا ؟!
أو لست الذى تغنى بنجوا   نا وصاغَ البيان فينا جمانا ؟
قلت : لولاك ما نظمت أغاريـ   ـدى وزقزقت هذه الألحانا
أين أيامنا وأين لياليـ   ـنا وأين المنى وأين هوانا ؟
وصِبانا والدَّهر وقفٌ علينا   ونعيم الحياة خلف خطانا ؟

وغدا الدهر شارداً معجل الأو   قات يجرى مثل الجواد الجموح
وقفةً يا جوادُ إن لهيب الشـ   ـوق يغلى به دمى وجروحى
وقفةً وقفةً أهَدْهِدُ أحشا   ئى بريَّا هذا الجمال الصَّبوح
لم لا ترتوى به كَبِدٌ حَرَّ   ى وقلب كالطائر المجروح ؟
ثم عانقتها وقبَّلْتها عشْـ   ـراً كأنى قد انتقمت لروحى !!
وانتشينا وقلت للنفس غنِّى   وافترقنا فقلت للنفس نوحى



حنين الزوج — من قصص جحا

[للأستاذ كامل كيلانى]

. صفحة مختارة من المخطوط الجحوى النفيس الذى عثرت عليه ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه .

قال : « أبو الغصن عبد الله دُجَين بن ثابت » الملقب « بجحا » :

« لم يلبث الظلام أن خيم على المدينة وساكنيها ، وأطفئت الأنوار ، وسكنت الجلبة والضوضاء ، وساد الصمت ، وتلألأت النجوم فى السماء ، ورددت الكلاب نباحها كلما طرق آذانها صوت ، أو أحست نأمة أوشعرت بقادم

أما بيت « أبى الغصن جحا » ، فقد أوحش (أى : خلا من ساكنه) ، فجلست « ربابة » زوجه ، أمام مِغزلها — بعد أن نام ولداها وجارتها — تفكر فى ذلك الغائب الذى كان يملأ بيتها بهجة وسعادة . وظلت تغزل وهى تسلى نفسها بالأنشودة القديمة التالية :

يا طير ، يا أشجار ، يا روضة فيها من الفردوس أزهارُ
يا خيط ، يا إبرة ، يا مِغزَلى ، يا نجم ، يا كوكب ، يا دار
يا نحل : طنى واملئى مِسمعى ، وحدثنى قلبى: « متى ساروا ؟ »
سافر ربُّ الدار عن داره ، وقد خلت من أنسه الدار

* * *

عنـاية الله ، وتوفيقه ولطفه ، صحب وسمار
والشمس والبدر ونجم السما تحوطه منهن أنوار
يا نحل طنى واملئى مسمعى وحدثنى قلبى : متى ساروا ؟
سافر رب الدار عن داره وأوحشت من بعده الدار

* * *

يا ورد ، يا ريحان ، يا نرجساً يحفه نور وأنوار
يا ملء دارى وفؤادى معاً قد فرقتنا عنك أقدار
يا نحل طنى واملئى مسمعى وحدثنى قلبى متى ساروا
سافر رب الدار عن داره وأظلمت من بعده الدار

* * *

عاد فراغا كل شىء هنا منذ ترامت بك أسفار
متى يرى الدار وسكانها ؟ متى تراه هذه الدار ؟
يا نحل طنى واملئى مسمعى وحدثنى قلبى متى ساروا ؟
سافر رب الدار عن داره فهل تسلى عنه ديّار ؟

كامل كيلانى

خطأ شائع :

جاء فى (الرسالة ٦٣٧) فى مقالة «القطبان الأرضيان والإسكيمو» ما نصه :

« وأمر الخليفة المأمون ببناء مرصد فلكى فوق جبل قاسيون فى دمشق ، وبقيت آثاره حتى دخول الحلفاء إلى سوريا سنة ١٩٤١ »

وهذا خطأ شائع تلقيناه قديماً عن معلمينا ، واشتهر على ألسنة عامة أهل الشام وخاصتهم ، وقد فتشت عن سند له من رواية ثابتة أو نقل يعتمد عليه فلم أجد ؛ والصواب ما ذكره ابن طولون مؤرخ الشام فى كتابه « تاريخ الصالحية » ، وهو من أجل مخطوطات المكتبة الظاهرية فى دمشق قال عند الكلام على هذه القبة :

« وهى من بناء نائب الشام برقوق الذى دخل دمشق فى ٧ جمادى الأولى سنة ٨٧٥ دخولا عظيما ، ثم خرج لقتال سوار بك فأخذه غدراً وعاد إلى دمشق ١٣ صفر ٨٧٧ وبنى هذه القبة وسماها « قبة النصر » . (أقول : وبقى ذلك اسمها إلى أن هدمت من ثلاث سنين) . وكان برقوق هذا سفاكا فتاكا مات فى ١٢ شوال سنة ٨٧٧ هـ وصُبِّر [1] وحمل إلى مصر فدفن فى القاهرة قرب الرميلة كما وصى » اهـ

وهذه القبة كانت على ظهر جبل قاسيون تعلو سطح البحر بنحو ألف ومئتى متر ، وكانت علم دمشق يراها القادم على البلد من مشارف حوران

* * *

(١) صبر : أى حنط ، وهذه الكلمة العربية باقية فى ديارنا الشامية تستعمل فى هذا المعنى (ناجى)

وفى العدد (٣٨٠ من الرسالة) سؤال عن هذه القبة ، والقبة الأخرى القائمة على الجبل المطل على وادى الربوة فى دمشق ، ولم يجب عليه أحد ، وهذا الجواب.

أما القبة الثانية المسماة (قبة السيار) ، فهى من بناء الأمير سيار الشجاعى

(دمشق) **ناجى الطنطاوى**

ابن عياش لا ابن عباس :

الاستدراك الذى أخذه علينا الأديب الفاضل على جلال الدين شاهين صحيح ومقبول ؛ ولـكن منشأ اللبس يعود إلى تصحيف وقع فى كلمتنا ولم نتكلف تصحيحه . والقصة التى سجلها صاحب نشوار المحاضرة ، عن قرّاد شارع الخلد ببغداد ، إنما تنسب إلى « ابن عياش » لا ابن عباس . وإلا فأين يقع زمن هذا الأخير أو مكانه ، من بغداد وشارع الخلد على عهد العباسيين ؟

وابن عياش كان من رجال الدولتين : ولد فى أيام سليمان بن عبد الملك (عام ٩٧ هجرية) وتوفى قبل وفاة الرشيد بشهر (عام ١٩٣ هـ) . وهو المحدث الثقة أبو بكر بن عياش الكوفى . اختلف فى اسمه ، وأشهر ما قيل فى ذلك « شعبة » ثم « مطرّف » وكان من أصحاب عاصم والكلبى ، ومن رواة شعر الفرزدق وذى الرمة ، روى عنهما شعرهما سماعاً

وامتداد الحياة بابن عياش إلى آخر عهد الرشيد لا يوجد شكا فى أنه شهد بعينيه ما كان يجرى على الوزراء فى ذلك العهد من نكبات الزمان ، مع الإقرار بأن هذه الحوادث كانت لا تزال آخذة بسبيل التزيد والانتشار ، حتى لم تبلغ ذروتها ، وتستكمل صورتها البشعة إلا فيما تلا ذلك من عصور

فقصة القراد البغدادى غير مستبعدة على هذا الوجه ، ولاسيما إذا ذكرنا أن ابن عياش كان من ثقاة المحدثين ، الذين لا يفترون ولا يفترى عليهم ، وقد وثّقه أحمد بن حنبل . كما كان من أهل الوقار والهيبة حتى لقالوا : إن الاختلاف فى اسمه يرجع إلى كف الناس عن سؤاله تهيباً له .

هذا ، ودقة العبرة ولطف المغزى فى القصة يجعلنا لا نستبعد نسبتها إلى ابن عياش ، إذ كان الرجل من أهل الفكرة العميقة ، الذين يتلمسون من صغائر الحوادث جلائل العبر . وكان لا يستنكف أن يستقصى أتفه الأمور ، ويتتبع أضيق المسالك فى سبيل الوصول إلى حقيقة صغيرة يضيفها إلى ما تستوعبه نفسه من مباهج العلم ومفاتن المعرفة . حدث أبو هاشم الدلال قال : رأيت أبا بكر بن عياش مهموماً ، فقلت له : مالى أراك مهموماً ؟ قال : سيف كسرى لا أدرى إلى من صار ! !

محمود عزت عرفة
المدرس بقوص الأميرية

من الشعر الضائع لحافظ ابراهيم

عثرت فى بعض أوراق القديمة على هذه الأبيات نقلا عن بعض الصحف القديمة لتشابه الفكرة بينها وبين ما قاله برنارد شو عن الهرم وأبى الهول . وقد راجعت الديوان فلم أجدها ، لذلك أثبتها هنا فى مجلة (الرسالة) التى تحفظ الأوابد :

سخر العـــلم لبينى آية ... فوق شط النيل تبدو كالعلم
هى ذكر خالد لـكنه ... عابس الوجه إذا الذكر ابتسم
كل ما فيها على إعجازها ... أنها قبرٌ لجبار حُطِّمْ
ليته سخّر ما فى عهده ... من قوىً فى غير تقديس الرمم
من فنون أعجزت أطواقنا ... وعلوم عندها الفهم وجم
وبنان مبدعات صورت ... أوجه العـذر لعباد الصنم
أبدعت ما أبدعت ثم انطوت ... وعلى أسرارها الدهر ختم

عبد القادر محمود



دوامة الحيـــاة

للكاتب الأمريكي الكبير أ. هنري (١)

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

عند باب مكتبه جلس « بناجا ويدب » ، القاضي ، يدخن غليونه الضخم ويرسل نظراته إلى جبال كمبرلند التي كساها ظلام الأصيل لونا أغبر يميل إلى الزرقة . ومن الطريق العام المنحدر بالمقاطعة ، جاءت دجاجة رقطاء تختال وتصيح صياحا أحمق .

وانبعث من أعلى الطريق صوت صريف مجلات ، وامتلأ الجو بغبار حجب ما وراءه من مشاهد الطبيعة ومجاليها ، ثم بدت مركبة يجرها بغل تحمل «رانسي بلبرو» وزوجته . وقفت المركبة بدار القاضي ، فترجّل عنها الرجل وزوجه . وكان رانسي أهيف القدّ ، شاحب البشرة داكنها ، ذهبي الشعر ، يبلغ طول قامته ستة أقدام ، يجلله مهابة سكان الجبال فتضفي عليه كساء شبيهاً بحلة من حلل الحرب المدرّعة . وكانت المرأة ساذجة ضجرة ، تخامرها رغبات غامضة لا تنفك تضايقها ولا تفتأ تقض مضجعها . وبدا من خلال تصرفاتها نوع من الاحتجاج الطفيف على الشباب الزائف الذي تفطن إلى فقدانه . وبسرعة دسّ القاضي قدميه في نعليه ليزداد وقاراً ؛ ثم تحرك ليفسح لهما الطريق . وقالت المرأة بصوت كصوت الريح حينما تداعب فروع الأشجار : « نريد الطلاق » . ثم رمقت رانسي بنظرة فاحصة لتتبين هل لاحظ في تصريحها هذا عيباً أو غموضاً أو مراوغة أو تحيزاً أو مشايعة لنفسها فأومأ رانسي برأسه مؤكداً وردد : « طلاق ... لم نعد نستطيع أن نعيش معاً ، الحياة في الجبال مقفرة وتقتضي أن يعنى كل من الرجل والمرأة بشؤونهما . ولكن متى شرعت المرأة تموء كالقط الوحشي ، وتنعق كالبومة النمس في كوخ زوجها ، فلن يجد الرجل سبباً يحمله على معاشرتها » .

وقالت المرأة دون اكتراث : « حين لا يعبأ الرجل بنفسه ويقضي وقته في شرب الخمور واحتساء الويسكي ومعاشرة مقطريها ، ويعنى فضلا عن ذلك بعدد من كلاب الصيد ... » . فقال رانسي : « حين أن تدأب المرأة على أن تبعثر أغطية الطعام ، وعلى صب الماء على أحسن كلب في كمبرلند ، وعلى إعادة طهي مأكولات زوجها ، وحمله على السهر ليلا متهمة إياه بتهم شتى ... ..! » . « حين يدأب على تبديد دخله والتمتع بسمعة رديئة في الجبال والسهر ليلا ... » ، فانصرف القاضي إلى مهامه . وقدّم مقعده الوحيد وكرسي مطبخ إلى زائريه . ثم فتح كتاب الأحوال الشخصية على المنضدة وألقى نظرة على محتوياته ومسح منظاره وأزاح المحبرة . ثم قال : « القوانين والأحوال الشخصية لا تقول شيئاً في شأن موضوع الطلاق . هذا فيما يتعلق باختصاصات هذه المحكمة . ولكن العدالة والدستور والقانون الذهبي تنطوي جميعها على مساومة من ناحية واحدة فقط . فبدهي أن القاضي الذي يستطيع أن يزوّج رجلا وامرأة يستطيع أن يطلقهما ، وهذا المكتب هنا سيصدر شهادة طلاق تقرها المحكمة العليا » . وأخرج رانسي بلبرو من جيب سرواله علبة طباق صغيرة ونثر منها ورقة من فئة الخمسة دولارات على المنضدة وقال : « لقد بعت جلد حيوان وفراء ثعلبين بهذا الثمن ، وهو كل ما أملك » .

فقال القاضي : « إن الرسوم العادية للطلاق في هذه المحكمة هي خمسة دولارات » وتناول الورقة المالية ودسّها في جيب الصديري المنسوج في المنزل ، وتصنّع عدم المبالاة . وكتب شهادة الطلاق على نصف ورقة فولسكاب ثم أعاد كتابتها على النصف الآخر ، وبلغ في هذا جهد جسمياً كبيراً وتفكيراً ذهنياً مبرحاً . وأنصت كل من رانسي بلبرو وزوجته إلى تلاوته للوثيقة التي سوف تمنحهما الحرية : قال : « ليعلم الناس جميعاً بمقتضى هذه الشهادة أن رانسي بلبرو وزوجته أريلا بلبرو حضرا اليوم إليّ شخصياً وتعهدا ابتداء من اليوم بأنهما لن يحبا أو يحترما أو يطيع أحدهما الآخر سواء أكان ذلك للخير أم للشر . وأقرّ بأنهما يتمتعان بجسم وعقل سليمين وأنهما قبلا شروط الطلاق حسب

(١) O. Henry

نظام الولاية ووقارها . فلا تعترا وليعينكما الرب ... الإمضاء ... بناچا ويدب القاضى لمقاطعة بيد مونت بولاية تنيسى ومن أهلها »

وهمّ القاضى بتسليم إحدى الوثيقتين إلى رانسى حينما ارتفع صوت أريلا . فنظر كلٌّ من الرجلين إليها وفوجئا بما لم يكونا يتوقعان منها . فقد قالت : « مهلا يا سيدى القاضى ، لا تسلّمه هذه الورقة . لم نُسوِّ كل شىء بعد . ينبغى أن أنال حقوقى أولا . يجب أن أحصل على نفقتى أولا ، ليس هذه هى طريقة طلاق رجل من امرأته دون أن يترك لها ما لا تعيش به . إننى سأذهب إلى أخى « إيد » فى جبل هوجباك ، وأريد أن أشترى زوج حذاء وبعض الأشياء الأخرى ، وإذا كان رانسى يقدر على طلاق ، فدعه يقضى لى نفقتى » . فصُعق رانسى بلبرو وتملكته الحيرة ولم يتكلم . فلم يشر من قبل إلى موضوع النفقة . ومن عادة النساء أن يثرن مسائل عجيبة غير مدروسة . وأحسّ القاضى بناچا ويدب أن المسألة تحتاج إلى قرار قضائى . والتزم الطرفان الصمت فى موضوع النفقة ، غير أن قدمى المرأة كانتا حافيتين والطريق فى جبل هوجباك صخر وعر . فسأل القاضى فى أسلوب رسمى : « يا أريلا بلبرو — كم يعوزك من النفقة فى القضية المنظورة أمام المحكمة ؟ » .

فأجابت : « أريد أن أبتاع حذاء ، فيلزمنى نحو خمسة دولارات ليست هذه نفقة كبيرة ، ولكنى أعتقد أنها تكفى لأتوجه إلى منزل أخى « إيد » ... » . فقال القاضى : « المبلغ معقول يا رانسى بلبرو ، المحكمة تأمرك أن تؤدى إلى المدّعية خمسة دولارات قبل أن يصدر قرار الطلاق » . فتنفس رانسى بصعوبة وقال : « ليس لدى مال ... وقد أديت إليك ما كان معى » . فحدق القاضى من وراء منظاره ، وقال بعنف : « وإلا فأنت تزدرى بالمحكمة » .

واستأنف الزوج قائلا : « أعتقد أنه يمكنك أن تقرضنى المبلغ وسأرده إليك غداً بأى كيفية ... فإنى لم أتوقع قط أنى سأطالب بنفقة » . فقال القاضى بناچا ويدب : « أجلت القضية إلى الغد حينما تأتيان إلىّ معاً وتمتثلان لأوامر المحكمة . وعقب ذلك سنصدر الطلاق » . ثم جلس إلى جانب الباب وأخذ يحلّ رباط حذائه ...

فقال رانسى : « يمكننا أن نذهب إلى منزل «العم زيا» لنقضى الليل فيه » ثم ركب المركبة من ناحية وركبتها أريلا من الناحية الأخرى . وشدّ اللجام فتحرك البغل البنّى اللون ببطء ثم أخذت العربة تنهب الأرض حتى اختفت وسط الغبار المتصاعد .

وأشعل القاضى بناچا ويدب غليونه العتيق . واشترى جريدته الأسبوعية ، فقد أوشك النهار أن ينقضى ، وشرع يقرؤها حتى طمس الظلام سطورها . ثم أشعل قنديله على المنضدة ، وأخذ يقرأ حتى طلع القمر مؤذناً بحلول موعد العشاء . وكان يسكن كوخة الخشبى فى المنحدر على مقربة من الغابة . وفى طريقه إلى منزله اجتاز منطقة تظللها أشجار الغار المتشابكة . وإذ ذاك برز من بين الأشجار شبح ملثم وسدد إلى صدره غداره ، وهو يقول : « أريد أموالك . لا أريد كلاماً . إنى عصبى وإصبعى على زناد الغدارة ... » .

فقال القاضى متلعثما : « ليس معى سوى خمسة دولارات » . ثم أخرجها من جيب الصديرى . وصدر الأمر إليه : « إطوها وضعها فى فوّهة الغدارة » . وكانت الورقة المالية جديدة رقيقة . غير أن الأصابع المرتخية المرتعشة وجدت بعض العناء فى طيّها ووضعها فى فوّهة الغدارة » . فلما تم هذا مال اللص : « الآن تستطيع أن تمضى » . فسار القاضى مهرولا ، لا يلوى على شىء .

* * *

وفى اليوم التالى جاء البغل البنّى الصغير يجرّ المركبة ووقف بباب المكتب وكان القاضى بناچا ويدب منتعلا حذاءه ، إذ كان يتوقع زيارةً . وترجّل رانسى بلبرو وزوجه ، وقدم إليها فى حضرة القاضى ورقة مالية من فئة الخمسة دولارات . فحدقت عينا القاضى فى الورقة ، وكانت مطوية كما لو كانت منتزعة من فوّهة غدارة . غير أن القاضى التزم الصمت لأنه ليس ثمة ما يمنع من أن تطوى أى ورقة مالية . وسلم كلا منهما نسخة من شهادة فى الطلاق . ووقف كل منهما صامتاً يطوى قسيمة الحرية على مهل . وحدجت المرأة رانسى بنظرة خجولة مفعمة بالعواطف ، وقالت له : « أعتقد أنك سيتعود إلى الكوخ بالمركبة . ستجد الخبز فى العلبة الصفيح الموضوعة على الرف . ووضعتُ الدهن فى إناء الغلى حتى لا تصل إليه الكلاب . لا تنس أن تملأ ساعة الحائط الليلة » .

واستفهمها رانسى فى شىء من الإهمال : « وأنتِ ، هل تذهبين ! إلى منزل أخيك « إيد » ؟ » .

— كنت أنوى أن أذهب إليه قبل حلول المساء . لن أقول ، لأنى سأزعج أهل أخى ، وأحملهم على الترحيب بقدمى ، ولست أعرف مكاناً آخر أقصده . على كل حال من واجبه أن يرحب بى إنى ماضية . هل أقرئك السلام يا رانسى هذا إذا لم تمانع ؟ » .

فأجاب رانسى بلهجة الرجل الذى ذهب ضحيـة : « ولِمَ لا أقرئك السلام ، إلا إذا كنتِ تواقة إلى الفرار منى دون انتظار

تحية ما » . فالتزمت أريلا الصمت . وطوت الورقة المالية من فئة الخمسة دولارات وقسيمة الطلاق ووضعتهما فى صدر ردائها . وراقب بناجا ويدب الورقة المالية وهى تختفى بعينين حزينتين تطلان من وراء زجاج منظاره . وهنا قالت أريلا : « ستكون وحيداً الليلة فى الكوخ يا رانسى » . وحدق رانسى بلبرو بعينيه فى الأفق إلى جبال كمبرلند ، فرآها وقد كساها ضوء الشمس لوناً أزرق قاتماً ؛ ولم ينظر إلى أريلا وقال : « لا ريب فى أنى سأكون وحيداً ، ولكن ما العمل وقد ركب الجنون عقل البعير وطلب الطلاق ؟ لا سبيل إلى حمل البعير على البقاء » . فقالت أريلا وعيناها إلى كرسى المطبخ : « إنما طلب الطلاق غيرى . وليس هناك من لا يرغب فى البقاء » — « لم يقل ذلك أحد قط » .

— « أعتقد أنه يحسن أن أتأهب لزيارة أخى إيد » .

— « ولكن أحداً لا يستطيع أن يملأ ساعة الحائط ؟ » .

— « هل تريدنى أن أعود معك فى المركبة لأملأ الساعة يا رانسى ؟ » . وكانت ملامح رجل الجبال برهاناً ضد عاطفته . غير أنه مد يداً ضخمة إلى أريلا وقبض بها على يدها الرقيقة الداكنة . فانفرجت أسارير وجهها العبوس مرة ثانية .

وقال رانسى : « لن تعود الكلاب إلى إزعاجك . فقد أدركت أنى كنت سافلا دنيئاً . ستملأين تلك الساعة يا أريلا » .

فهمست له : « إن قلبى يدق فى هذا الكوخ يا رانسى . هيا معك . لن أعود إلى جنونى ثانية . دعنا نرحل يا رانسى حتى نبلغ البيت قبل مغيب الشمس » .

وتدخل بناجا ويدب القاضى لما رآهما يتأهبان للرحيل وقد نسيا وجوده فقال : « باسم ولاية تنيسى أمنعكما جميعاً من العبث بقوانينها ونظمها . إن هذه المحكمة على استعداد كبير ، بل ويسرها أن ترى سحابات الخصام وسوء التفاهم وقد انقشعت من قلبين شابين يتبادلان الحب ، ولكن من واجب المحكمة أن تحرص على الأخلاق وعلى الاستقامة فى الولاية . وتذكركما المحكمة أنكما لم تعودا رجلا وزوجته ، وإنما أنتما مطلقين بقسيمة رسمية ، فلستما إذن أهلا للتمتع بمزايا الشركة الزوجية » . ومضى القاضى فقال : « غير أن المحكمة على استعداد لأن تلغى القيود التى فرضتها قسيمة الطلاق . فالمحكمة على استعداد لأن تعترف بمراسيم الزواج الشريفة السامية التى يبغيانها . ورسوم مراسيم الزواج قدرها فى هذه الحالة خمسة دولارات »

وتبينت أريلا فى حديثه وميضاً من الأمل . فأسرعت بوضع يدها فى صدر ثوبها وألقت بالورقة المالية على منضدة القاضى . وتلون خداها الشاحبان وقد وضعت يدها فى يد رانسى ينصتان لحديث الفقيه . ثم ساعدها رانسى على ارتقاء المركبة ، وركب جوارها ، ودار البغل البنى الصغير مرة أخرى ، واتخذ وجهته شطر الجبال وقد التقت كفاهما وتعانقتا . وعاد القاضى بناجا ويدب إلى الجلوس عند باب مكتبه ، وخلع نعليه . ثم تناول الورقة المالية مرة أخرى ودسها فى جيب الصديرى . ودخن غليونه العتيد مرة أخرى . وللمرة الثانية جاءت من الطريق العام المنحدر « بالمقاطعة »(١) دجاجة رقطاء ، تختال وتصيح صياحاً أحمق .

وديع فلسطين

---

(١) يلاحظ هنا أن كلمة مقاطعة لها أكثر من معنى واحد . وفى الانجليزية Sehlement ولها كذلك أكثر من معنى واحد (وديع)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٤٠ — الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٤٠ — الاثنين ٨ أكتوبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٩ ، ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 640

Lundi - 8 - 10 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٦٤٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

مشـــقة التحصيل

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

منذ ربع قرن تقريباً ، زارني شاب في جريدة الأخبار وشكا إليّ المرحوم شوقي الشاعر وقال : إنه ذهب إليه يستشيره فيما يحسن به أن يقرأ من الكتب العربية ، فأشار شوقي عليه بدرس كتابين وجدهما الشاب من كتب النحو وفقه اللغة ، فاعتقد أنه أضاع ماله ، وأن شوقي أخطأه التوفيق . فقلت له : إن شوقي لم يخطئ ، فإن النحو والصرف وما يجري هذا المجرى لا بد منه ، ولا غنى عنه ، ولكل لغة قواعدها وأصولها وأحكامها وفقهها ، والإحاطة بهذا كله واجبة إذا كنت تريد أن تتخذ هذه اللغة أداة للكتابة ، وإلا فكيف تكتبها وأنت لا تعرف قواعدها ؟ وصحيح أن الكتب العربية القديمة تحتاج إلى تيسير مطلبها ، ولكن التيسير ليس معناه الإلغاء ، فاعرف لغتك أولا ، وادرس أدبها ، ثم عالج بعد ذلك ما شئت من فنون الكتابة ، واعلم أنه لا مطمع لأحد في بلوغ مرتبة ملحوظة من مراتب الأدب إلا بالاطلاع الوافي ، ولما كانت لغتنا العربية ، فهي أداتنا التي لا أداة لنا سواها ، ولا سبيل لنا إلى البيان إلا بها ، فلا مهرب لنا إذن من تحصيل هذه اللغة والتوفر على درسها

وقد حدثني شوقي — رحمه الله — بهذا ، فقد كنا نلتقي في « الأخبار » ، ونتذاكر على الرغم من رأيي المعروف في شعره ، فقال لي : يا أخي لقد كنت في بداية عهدي بالشعر، بعد أن عدت من أوربة ، ألحن وأخطئ فيسلقني الناقدون بألسنة حديدة ، فالآن أنصح للشبان المبتدئين أن يعرفوا لغتهم فيشكونني ويعيبونني بذلك !

وقد قلت أيضاً لذلك الشاب المتذمر : إني لا أرى الاقتصار على درس اللغة العربية وآدابها ، فإنه لا يكفي طالب الأدب ، بل لا بد من التوفر على درس الآداب الأخرى ، ولا سيما الغربية منها . وحسب طالب الأدب لغة واحدة كالإنجليزية مثلا ، فإن براعات الآداب الأخرى مترجمة إليها ، وقد كان العرب حصيفين حين عنوا بنقل الفلسفة الإغريقية فاتسعت آفاقهم . ولسنا نستطيع في عصرنا هذا أن ننقل خارجيات الغرب في الأدب والفلسفة ، فإنها شيء لا آخر له ، ولكن في وسعنا أن نطلع عليها ونلم بها إلماماً كافياً بإحدى اللغات الغربية ، ونحن نلقح الشجر ليثمر ، ونطعمه ليؤتينا ما هو أطيب ، ويجنينا ما هو أشهى ، فلنلقح عقولنا ولنطعمها بما عند الغرب ، ليعود أوفر إنتاجاً وأحلى جنى . ونحن آدميون ، والشجر نبات ؛ ولكن سنة الحياة واحدة ، وقانونها لا يختلف ، وهو واحد في كل مظاهر الحياة على السواء ، وما

يصير به النبات أقوى وأزكى ، يصير بمثله الحيوان — ونحن منه — أقدر على معاناة الحياة وأصلح لها وأنجب . وليس مما يصح فى الأفهام أن نكون فى القرن العشرين ، ونقنع بأن نعيش بعقول القرون الخالية . وأخلق بهذا الكسل أن يحيلنا خلقاً — متخلفاً من الأزمنة البائدة ، وأن يجعلنا غير صالحين للزمان الذى خرجنا فيه

وأنا أعرف أن فى هذا مشقة عظيمة ، ولكن الثواب على قدرها ، والحياة نفسها لا متعة ولا نزهة ، بل كد ونضال وكفاح وما يبلغ المرء فى دنياه غاية أو يدرك شيئاً إلا بالكفاح وعرق الجبين المتفصد ، فلما ذا نستثنى الأدب ونراه أهون شأناً وأيسر مطلباً من أن يحتاج إلى عناء ؟

وليعذرنى القراء الأفاضل إذا رأونى ألح على شباننا أن يعكفوا على التحصيل ويجدوا فيه ويشقوا أيضاً ، فقد رأيت شباناً كثيرين فى مصر أكبر ظنى أن لهم أنداداً فى غيرها يستثقلون الطلب ويستطيلون مدته ويستكثرون الجهد الذى يقتضيه ويستخفون بالأمر كله ويحاولون أن يرقوا بغير سلم ، وأن يبلغوا الغاية بدون أداة أو وسيلة ، فلا يأتون إلا بأغث الغثاثة وأسخف السخف ، ثم يروحون يتذمرون ويجأرون بالشكوى ويزعمون أنهم مغبونون مغموطو الأقدار ، وأن الشيوخ يأخذون عليهم متوجههم ويعترضون سبيلهم حسداً ، إلى آخر هذا الهراء . ونقول لهم : إن كل علم وفن مثل الطب والهندسة والتصوير والموسيقى ، إلى آخر ذلك يحتاج إلى درس طويل وتحصيل واف ، فإن الملكة وحدها لا تكفى ، والاستعداد بمجرده لا غناء له ، ما لم تؤازره المعرفة الصحيحة ، فلما ذا يعدون الأدب بدعاً ويرونه مما يمكن الاستغناء فيه عن الآلة والأداة ؟ فلا يقتنعون ، أو على الأصح ، لا يستطيعون أن يروضوا أنفسهم ويوطنوها على احتمال المشقة

وأوثر أن أكون صريحاً فأقول : إن هذا تطرّز لا يعجبنى ، وكسل لا أراه بشيراً بخير ، فيحسن أن أورد طائفة من الأمثلة تبين أى مشقة احتملنا ، وأى عناء صبرنا عليه ، وأى جهد تكلفناه فى حداثتنا وصدر حياتنا قبل أن نتطلع إلى منازل الأدباء . وقبل ذلك أقول : إن مما نفعنى وأغرانى برياضة نفسى على التشدد والتجلد كلمة قرأتها ومنظر رأيته ، فأما الكلمة ، فقول كوبيت فى كتابه « نصيحة إلى الشبان » إن على الشباب إذا أراد أن يكون رجلا كاملا لا نصف رجل أن يحلق ذقنه كل صباح بالماء البارد فى الشتاء ، وجو انجلترا من أقسى الأجواء . فقلت لنفسى : إن مصر جوها معتدل ، فأنا أولى بهذه النصيحة وأقدر على العمل بها . وتوخيت بعد ذلك أن لا أستعمل إلا الماء البارد فى كل حال فنفعنى هذا وقوانى على احتمال المؤثرات الجوية وإن كان بدنى خرعاً . وأما المنظر ، فكان شاباً من العمال راقداً على الحجارة فى وقدة الظهر وشمس الصيف تضربه ، وكنت يومئذ فى السابعة عشرة من عمرى ، فقلت لنفسى : أنا أتململ لأن وسادتى ليست محشوة بريش النعام ، وسجادتى ليست من صنعة العجم ، وهذا الغلام ينام على الحجارة ولا يتأفف ولا يشكو ولا تمنعه خشونة المضجع أن ينام ملء جفنيه ... أما والله لا اتخذت بعد اليوم شيئاً وثيراً ! وما زلت إلى اليوم أوثر الخشن على الرقيق ، وليس فى بيتى كرسى مريح أو فراش لين ، لأنى أخجل أن أكون مترفاً .

وروضت نفسى على الجلد ، فاتفق فى أول عهدى بدرس الأدب أن وقعت فى يدى نسخة من ديوان « الشريف الرضى » مطبوعة فى الهند ، ليس فيها بيت واحد يسلم من التحريف ، فما استطعت أن أفهم شيئاً ، وكدت أيأس ، ولكنى تشددت وأقبلت عليه أعالج تصحيحه ، وقضيت فى ذلك قرابة عامين وأنا أوفق قليلا وأخفق كثيراً ، حتى هدانى الله إلى ديوانه المطبوع فى بيروت ، وهو أصح وأسلم من الخطأ ، وإن كان لا يخلو منه ، فتنهدت واسترحت .

وحبب ابن الرومى إلىّ ما قرأته له مبعثراً فى كتب شتى ، فطلبت ديوانه ، فلم أجد إلا مخطوطاً — أعوذ بالله منه — فى دار الكتب المصرية ، وكان فيها مخطوطان آخران ، ولكنى لم أعط إلا أسوأ الثلاثة وشرها ، فاستنسخته وعكفت عليه سنوات طويلات المدد أحاول التصحيح والضبط ، فلم أبلغ من ذلك ما أريد ، ولكنى بذلت غاية ما يدخل فى الوسع

وكان من أول ما اقتنيت ، الأغانى طبع الساسى ، وهى نسخة

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٢ —

* ج ١٦ ص ١٩٨ :

وإذا بلوتُ طبــاعه فالماء يشرب وهو عَذْبُ
وقصارى وصــفى أنه فبما أحبَّ كما أحبْ

قلت : (فالماء يشرب وهو عذبُ) ليكون الضرب مرفلاً ، لأن الضرب فى البيت الثانى لا يجىء بالسكون — إن فرض أن (أحب وأحب) ماضيان — إلا من الصحيح ، فيختلف الضربان . والفعلان إنما هما هنا مضارعان : (فبما أحبُّ كما أحبُّ) فالشاعر يصف حال صاحبه كما يراها هو ، ولا يقصد ما يشا كل معنى القائل : « كأنك قد خلقت كما تشاء » .

و (قصارى) فى البيت هى (قصار[1]) لأجل الوزن ، واللفظتان بمعنى واحد ، ومثلهما (قَصرك وقُصيراك) . وقد جاءت (قصار) فى كلام مأثور مشهور مظلم النسبة .

قال الزمخشرى فى شرح مقاماته : ومن توقيعات عبد الله بن طاهر فيما سمعته من أبىَ : « غرك عزك ، فصار قصار ذلك ، فاخش فاحش فعلك ، فلعلك بهذا تهدأ » .

وقال ابن خلكان فى الوفيات : كتب إلىَّ عضد الدولة أبو منصور أفتكين التركى متولى دمشق كتاباً مضمونه أن الشام قد صفا وصار فى يدى ، وزال عنه حكم صاحب مصر ، وإن قويتنى بالأموال والعدد حاربت القوم فى مستقرهم . فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات وهى متشابهة فى الخط لا تقرأ إلا بعد الشكل والنقط والضبط وهى (غرك الخ) ولقد أبدع فيها كل الإبداع .

وفى (التاج) : وروى عن على (رضى الله عنه) أنه كتب إلى معاوية : (غرك الخ) وهى رسالة تصحيفية غريبة فى بابها .

(١) بفتح أوله وبضم . فى التاج : أى جهدك وغايتك وآخر أمرك وما اقتصرت عليه .

محشوة بالغلط ، ففككت الأجزاء « ملازم » ، وجعلت أحمل الملازم معى واحدة واحدة إلى دار الكتب فى أوقات فراغى ، وأراجع النصوص نصاً نصاً ، وبيتاً بيتاً ، وأدون التصحيح . أو التكملات على ورق أبيض أعددته لذلك ، وصرت ألصق الورق المكتوب بين الصفحات المطبوعة ، حتى إذا انتهيت من جزء جلدته وانتقلت إلى ما يليه . وهكذا حتى أتممت الكتاب كله ، فصار ضعف حجمه الأصلى . وحدث لسوء حظى فى أيام الحرب الماضية أن رقت حالى فجأة ، واحتجت إلى مال ، وأنا امرؤ ربتنى أمى — رحمها الله — على الاعتماد على النفس والاستغناء عن الناس ، وبغضت إلى الاستدانة وكل ضروب الاستعانة بالغير فلم أجد لى حيلة إلا أن أبيع ما اقتنيت من كتب ، ورأى بعضهم عندى نسخة الأغانى هذه ، فألحف فى طلبها ، فأبيت أن أبيعها ، فلم يزل يزيد فى الثمن ويرتفع به ، حتى أغرانى ، وما كاد يخرج بها ، حتى طار عقلى ، وندمت أشد الندم ، فإنها ثمرة تعبى سبع سنوات ، ولكن أمى فاءت بى إلى السكينة وقالت لى : « ألست قد قرأتها ؟ انتهينا إذن ولا داعى للأسف » ! فجعلت بعد ذلك أعزى نفسى بقولى : إن فائدة القراءة كفائدة الطعام ، والمرء يأكل ليصح بدنه ، ولو أنى نسيت اليوم ما أكلت فى أمسى ، لما منع ذلك أن الفائدة قد حصلت ، وأن جسمى انتفع بما طعمت وكذلك العقل : يقرأ المرء ليستفيد علماً ويقوى مداركه وينمى ملكاته ، ولا يمنع حصول الفائدة أنه نسى ما قرأ أو أن الكتاب غير موجود .

وحسبى هذه الأمثلة القليلة ، والحقيقة أننا أعطينا الحياة لنحياها ، لا لننعم بها أو نسعد ، ومعنى أن نحيا أن نعمل ، ومؤدى العمل أن نكدح ونتعب ، والأدب مطلب كسائر المطالب له وسائله ، فلا معدى عن العناء فى سبيله .

ابرهيم عبد القادر المازني

* ج ١ ص ٤٦ : وأطوف على مصنف فيهم يشفى العليل ، ويداوى لوعة الغليل .

قلت : عندى أن الأصل : (يشفى العليل ، ويروى الغليل) أو يروى غلة الغليل .

والغليل العطشان ، والغليل حرارة العطش مثل الغلة . فى اللسان : الغُل والغُلة والغَلل والغليل كله شدة العطش قل أو كثر . رجل مغلول وغليل ومغتل بيّن الغلة .

* ج ١ ص ٤٨ : ... والإخباريين .

قلت : والأخباريين . فى التاج : والأخبارى المؤرخ نسب للفظ الأخبار كالأنصارى والأنماطى وشبههما .

* ج ١٢ ص ٧٧ :

وذاك آخر عهد من أخيك إذا ما المرء ضمّنـهُ اللحدَ الخناشير

« الواحد خنشير والجمع الخناشير ، ويقال الخناشرة وهم الذين يتبعون الجنازة .

قلت : الخناسير بالسين . فى التاج فى (خسر وخنسر) : الخناسير ضعاف الناس وصغارهم ، قال شيخنا : ووقع فى شعر حريث بن جبلة العذرى : (وذاك آخر عهد البيت) قال أبو حاتم : الخناسير الذين يشيعون الجنازة ، ونقله البغدادى فى شرح شواهد المغنى .

وفى اللسان : خناسر الناس صغارهم والخنسر اللئيم . ولم يذكر فى (خشر) إلا الخاشرة والُخشار : السفلة من الناس .

وبيت (الخناسير) هو فى أبيات رواها ياقوت فى (الإرشاد) وروى الحريرى ستة منها فى (الدرة) وذكرا قصة لها :

قال عبيد بن شرية : مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم ؛ فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

وبينا المرء فى الأحياء مغتبط إذصارفى الرمس تعفوه الأعاصير

يبكى الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور (١)

فقال لى رجل : أتعرف من يقول هذا الشعر ؟ قلت : لا . قال : إن قائله هذا الذى دفناه الساعة ، وأنت الغريب الذى يبكى عليه ، ولست تعرفه . وهذا الذى سار عن قبره هوأمس الناس رحماً به وأسرهم بموته ...

(١) قال الحريرى فى الدرة : ويقولون : هو قرابتى والصواب أن يقال : ذو قرابتى كما قال الشاعر : يبكى الغريب الخ .

* ج ١ ص ٤٨ : وكنت مع ذلك أقول للنفس مماطلاً وللهمة مناضلاً : رب غيث غب البارقة ، ومغيث تحت الخافقة .

وجاء فى الشرح : الخافقة واحدة الخوافق ، وخوافق السماء : مهب الرياح الأربع .

قلت : الخافقة هنا هى الرايات أو الأعلام . فى الأساس : وخفق العلم ، وأعلامهم تخفق وتختفق . وفى اللسان : وتسمى الأعلام الخوافق والخافقات . والمغيث هنا هو المغيث وقت القتال . والبارقة السحابة ذات برق ، والبارقة السيوف على التشبيه بها لبياضها . وفى حديث عمار (رضى الله عنه) الجنة تحت البارقة أى تحت السيوف .

* ج ١ ص ١٩٢ : قال (جرير بن أحمد بن أبى دؤاد) : كان ابراهيم (بن العباس الصولى) أصدق الناس لأبى فعتب على ابنه أبى الوليد فى شيء ، فقال فيه أحسن قول : ذمه فمدح أباه . وما أحسن هذا من جهة جرير ! :

عفت مساو تبدت منك واضحة على محاسن نقاها أبوك لـكا

لئن تقدمت أبناء الكرام به فقد تقدم آباء الكرام بكا

قلت (ذمه ومدح أباه) أى جمع بين الأمرين .

و (عفت مساوى تبدت منك ، واضحةٌ) برفع واضحة وإن جاز نصبها . وقد خفف مساوىْ وقدّر .

و (نقاها) هى (أبقاها) وعجز البيت الثانى هو (لقد تقدم آباء اللئام بكا) وهنا النكتة ، وهنا الذم البليغ .

والقاضى أحمد بن أبى دؤاد هو الذى يقول حبيب فيه :

لقد أنست مساوىء كل دهر محاسنُ أحمد بن أبى دؤاد

ولما ذكر الصفدى فى كتابه (الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم (١)) « الذين رزقوا السعادة فى أشياء لم يأت بعدهم من نالها » قال فى أحمد : « القاضى أحمد بن أبى دؤاد فى المروءة وحسن التقاضى » .

وقال ابن خلكان فى سيرته فى كتابه : « كان معروفاً بالمروءة والعصبية » يعنى العصبية العربية .

* ج ١٤ ص ٢١٧ : ... فألب الأولياء على ابن عباد حتى كثر الشغَب ، وعظم الخطْب ...

قلت : (الشغب) بالتسكين لأجل الخطب . والمجانسة بين القرائن فى السجع مطلوبة . والفتح لغة وليس بخطأ كما قال

(١) تراجم الرسالة ٦٠٧ ص ١٨١

الطهارة والوضــــوء

للدكتور جواد على

الطهارة ركن من أركان الصلاة عند جميع الأديان . وتشمل طهارة الجسم ، وطهارة الثياب ، وطهارة الأرض . فاشترطت الديانة الرومانية على المصلى لبس الملابس النظيفة « فيلبس المستغيث ألبسة نظيفة لما وقر فى الأذهان من أن الأرباب يرغبون فى النظافة »[١] . واشترطت مثل هذه الشروط سائر الأديان القديمة مثل الديانة البابلية والمصرية والهندية . ويلعب الغسل دوراً هاماً فى طهارة الجسد وفى بعض الطقوس ولا سيما فى الايانات التى نشأت على مقربة من الماء[٢] .

وجعل الغسل العام أو الغسل الموضعى كواجب من الواجبات الشرعية حتمت الديانة « البارسية » الفارسية القديمة على الفارسى عند نهوضه من نومه صباحاً وجوب غسل وجهه وعينيه ويديه وقدميه ثلاث مرّات . وتستعمل لذلك مادة « Kuhurin » وهى مادة طاهرة مقدسة تستخرج من عصير الأثمار وتستعمل بعد الغسل بالماء[٣] . ويجوز استخدام الحشائش الجافة لمسح أجزاء الجسم . أما الحشائش المبتلة فلا يجوز استخدامها لأن الماء طاهر ومقدس لا يجوز تنجيسه[٤] .

وإذا ما ابتدأ الإنسان بغسل وجهه وعينيه ويديه وقدميه ثم أعوزه الماء وجب عليه « التيمم » بالرمل فيمسح بالرمل تلك الأجزاء لأن الرمل مادة طاهرة مطهرة مالم تدنس[٥] . وقد ورد مثل ذلك فى الشريعة الاسرائيلية ، فعلى اليهودى إذا ما استيقظ فى الصباح أن يغسل وجهه وعينيه ويديه ، وإذا ما أعوزه الماء جاز له التيمم أيضاً[٦] .

(١) شارل سنيوبوس تاريخ الحضارة ترجمة محمد كرد على سنة ١٩٠٨ ص ١٢٧ .

(٢) راجع Hastings Ency of Art and Reli وكتب تاريخ الأديان .

(٣) Scheftelowitm The old Persian Rel p, 129 .

(٤) Saddar c. 50 Vend 1ª, 21 p, 129 .

(٥) Saddar C. 50. 74 Vend 18, 21 .

(٦) Sehulkan cAruk, Orah Hajjiw, 4, Sib, 3, 592

الحريرى فى (الدرة) وليس هو من كلام العامة كما ذكر ابن الأثير فى النهاية .

* ج ٣ ص ١٣١ : ... فقال (أبو العلاء) لى (للتبريزى) قم وكله ، فقلت : حتى أتمم السياق فقال : قم وأنتظر لك .

وجاء فى الشرح : السياق فى الأصل : السيق :

قلت : فى (الصبح المنبى عن حيثية المتنبى) : (حتى أتمم السبق وأنا أنتظرك) وضبط اللفظة — كما جاءت فى الصبح — الفضلاء[١] الذين جمعوا وحققوا كتاب (تعريف القدماء بأبى العلاء) وقالوا فى الشرح : السبق بالتحريك يراد به الدرس وهذه الكلمة لم ترد فى المعاجم بهذا المعنى ، وشاعت فى الفارسية بمعنى الدرس نقلاً عن العربية .

* ج ١٣ ص ٢٨٥ : كان (على بن عبد الله بن وصيف الناشئ) شيخاً طويلاً جسيماً ، عظيم الخلقة ، عريض الألواح ، موفر القوة ، جهورى الصوت ، عمر نيفا وتسعين سنة لم تضطرم أسنانه ، ولا قلع سناً منها ولا من أضراسه . وكان يعمل الصفر ويخرّمه ، وله فيه صنعة . ومن عمله قنديل بالمشهد بمقابر قريش مربع غاية فى حسنه .

وجاء فى الشرح : (لم تضطرم) فى الأصل تضطرب .

قلت : (الاضطرام) الاشتعال ، و (الاضطراب) التحرك والاختلال ، وهذا أقرب إلى المراد . وربما كان الأصل (لم تنفض أسنانه) ونفضت الثنية أو السن : تحركت واضطربت .

كان الناشئ ذا هزل ومجون فى المناظرات وغيرها ومن مجونه — كما روى ياقوت — « حكايته المشهورة مع الأشعرى الذى ناظره فصفعه فقال (الأشعرى) ما هذا يا أبا الحسين ؟ فقال : هذا فعل الله بك ، فلمَ تغضب منى ؟ فقال : ما فعله غيرك ، وهذا سوء أدب وخارج عن المناظرة . فقال : ناقضْت . إن أقمت على مذهبك فهو من فعل الله ، وإن انتقلت فخذ العوض . فانقطع المجلس بالضحك وصارت نادرة » .

« قال عبيد الله الفقير إليه تعالى مؤلف هذا الكتاب : لو كان الأشعرى ماهراً لقام إليه وصفعه أشد من تلك ثم يقول له : صدقت . تلك من فعل الله بى ، وهذه من فعل الله بك ، فتصير النادرة عليه لا له » .

(١) الأساتذة : طه حسين ، مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، ابراهيم الأبيارى ، حامد عبد المجيد .

ويبتدى المرء بالغسل عند «الفرس» باليد اليمنى وبالنصف الأيمن من الجسم دائماً . واذا أراد لبس حذائه بدأ بالرجل اليمنى ونجد مثل هذه التعاليم عند اليهود أيضاً [1].

وتتناول الطهارة طهارة الجسم من الأدران وطهارة الملابس وطهارة الأرض أو الموضع الذى يصلى عليه المؤمن . ويجب أن يتم ذلك قبل الشروع فى الصلاة وإلا عدت الصلاة شرعاً باطلة . وتختلف قواعد الطهارة طبعاً باختلاف الأديان وباختلاف وجهات نظر الشعوب . إلا أنها تتفق عموماً فى أساس الفكرة وهى فساد أية صلاة إذا كان المصلى على نجاسة . ولذلك وجب على المصلى إزالة كل أثر من آثار النجاسات .

ونجد مثل ذلك فى الشريعة الإسلامية ، فالطهارة فى الإسلام شرط مبدئى من شروط صحة الصلاة . وعلى المسلم إزالة كل أثر من آثار النجاسة عليه الغسل إن كان ذلك واجباً عليه . وعادة الغسل من الجنابة عادة كانت معروفة فى الجاهلية وقد أقرها الإسلام . وعليه فضلا عن ذلك أن يتوضأ قبل البدء بالصلاة — والوضوء ضرب من ضروب الطهارة — وإلا لن تصح له صلاة .

وقد نص القرآن الكريم على كيفية الوضوء والتيمم . وفصلت كتب الفقه ذلك تفصيلا . وبحثت بحثاً مستفيضاً فى الماء والغسل والنجاسات . وقد توسعت الكتب فى هذا الباب وتفننت كلما تقدم المسلمون فى الحضارة وأمعنوا فى المدنية . وتكاد تتقارب أفكار اليهود بالنسبة إلى الطهارة والنجاسة مع أفكار المسلمين تمام التقارب . على أن اليهود وإن تساهلوا فيما بعد فى الشروط التى تجب فى المصلى بالنسبة إلى الطهارة ، وفى كثير من القيود الثقيلة التى كانت عندهم فى عهودهم الأولى . غير أن كتبهم الدينية كانت قد امتلأت بهذه القيود . وفى « المشنا » [2] وهو الكتاب الجامع لأحكام اليهود ومعظم فقههم والمفسر لكثير من قواعد التوراة « Tarah » وتعاليم المعلمين « Tannaim » . والذى بدأ به « هيليل — Hillel » اليهودى البابلى فصول طويلة عن شرائط الطهارة فى الصـــلاة أهملت فيما بعد وسقطت عملياً من الاستعمال [1] . سقطت هـذه قبل ظهور الرسول بزمن طويل . وأغلب الظن أنها تركت بعد سقوط الهيكل بأيدى الرومان إذ تسامح اليهود منذ ذلك الحين فى كثير من أحكام دينهم الصعبة .

وإن كان المستشرق اليهودى المرحوم « ميتوخ » يؤكد أن يهود جزيرة العرب ويهود الحبشة ظلوا مخلصين لهـذه التعاليم مطيعين لها حتى زمن ظهور الرسول [2] وغرضه من ذلك على ما يظهر هو البرهنة على أن النبى كان قد اقتبس من تعاليم هؤلاء اليهود . وقد عرفنا رأى هذا المستشرق فى الموضوع .

ويقول هذا المستشرق أيضاً « وأما الشروط التى نصت على أن الصلاة يجب ألا تقام فى محل نجس ، أو فى محل قذر ، وأن الملابس يجب أن تكون وفقاً للأحكام التى حددتها والمقاييس التى وضعتها بحيث لا يجوز ظهور جزء من الجسم الذى يعتبر فى حدود العورة فإن المسلمين فى هذا الباب هم كاليهود تماماً » [3] .

أمر القرآن بالوضوء وقد ورد ذلك الأمر فى سورة المائدة [4] وسورة المائدة من السور المدنية إلا الآية الثالثة فإنها نزلت بعرفات فى حجة الوداع . ومعنى هذا أن الأمر بالوضوء إنما كان بعد هجرة الرسول إلى المدينة . أى أن الوضوء لم يكن مفروضاً بمكة ؛ وهذا ما يتعارض مع الأحاديث المعروفة والأخبار الكثيرة التى تنص على أن الوضوء قد فرض مع الصلاة .

ففى كتب السير « أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليـه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف جبريل ... » [5] وهو خبر مشهود .

---

(١) Scheftelowitm p, 129 The old Persi Reli and The Jsra Rel.

(٢) عن المشنا « misehnâ » راجـع Cohen, Everyman's Telmue Introduction p, 22.

---

(١) Cohen Cverymau's Talmud p, 2? Intr mittwoch. p, 14 B'râkhoth, 3, 4. G'mârâ, 21 b.

(٢) mittwoch p, 14 .

(٣) mischnâ, Be'rahhoth, 3, 5 mittwoch, p, 15 .

(٤) سورة المائدة ٥ آية ٦ .

(٥) راجع سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ١٥٥ السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٢٥١ لا نجد هذا الخبر فى الطبقات لابن سعد جـ ١ صـ ١٧٨ .

ويفهم من هذا الخبر أن الأمر بالوضوء إنما كان بمكة مع الصلاة . فى حين أن النص القرآنى وهو نص مدنى يأمر بالصلاة فى المدينة بعد هجرة الرسول . وهذا يعنى أن الأمر بالوضوء لم يكن قد نزل إلا بعد نزول الأمر بالصلاة بزمان . ويترتب على ذلك أن صلاة الرسول من حين أمر بالصلاة إلى حين نزول الآية كانت بغير وضوء .

وجاء فى السيرة الحلبية « ومشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التى هى غير الخمس وأن ذلك كان يوم نزول جبريل باقرأ ، وهو مخالف لقول ابن حزم لم يشرع الوضوء إلا بالمدينة . ومما يردّ ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير على أنه لم يصلّ قط إلا بوضوء »(١)

والذى يفهم من قول صاحب السيرة أن العالم ابن حزم كان يعتقد بأن فرض الوضوء كان بالمدينة لما يعرف من أن الآية مدنية . وقد انتبه العلماء إلى ذلك . ويخيل إلى أن ذلك كان متأخراً . فحاول أكثرهم التمسك بالخبر والتوفيق بينه وبين الآية وتحايلوا فى التأويل والفرضيات ليبرهنوا على أن صلاة الرسول الأولى لم تكن بغير وضوء . فقالوا « إنه لم يشرع وجوباً إلا فى المدينة وإنه كان قبل ذلك مندوباً وهو قول بعض المالكية . أى أنه مكىّ بالفرض مدنى بالتلاوة(٢) واعتمدوا فى تأويلاتهم هذه على بعض الأخبار الغامضة وهى فى حدّ ذاتها أخبار لا قيمة لها بالنظر إلى نص القرآن .

قالوا بأن « مشروعية الوضوء كانت مع مشروعية الصلاة التى هى غير الخمس وإن ذلك كان يوم نزول جبريل باقرأ »(٣) ثم تراهم يقولون « بأن الغسل كان واجباً عليه لكل صلاة فنسخ بالحدث الأصغر تخفيفاً فصار الوضوء ثم نسخ الوضوء لكل صلاة »(٤) .

وهذا ما يتعارض مع قولهم السابق بالطبع إذ يعنى هذا أن النبى كان يغتسل أولا للوضوء ولما شق عليه ذلك خفف عنه بالوضوء بالنسبة للحدث الأصغر . وظل الغسل مشروعاً بالنسبة للحدث الأكبر فقط وعلى المسلمين حتى اليوم .

(١) السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٢٥٣ .
(٢) السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٢٥٣ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) راجع السيرة الحلبية جـ ١ صـ ٢٥٣

ومعنى هذا أيضا أن الوضوء لم يكن مفروضاً مع الصلاة مباشرة ، بل كان النبى يغتسل أولا لكل صلاة ، ثم خفف ذلك عنه بالوضوء . وقد كان هذا الغسل بمثابة طهارة عامة للجسم قبل الشروع فى الصلاة . وكان عرب الجاهلية يفعلون ذلك قبل الطواف بالبيت(١) . ثم نسخ الغسل بالوضوء . والظاهر أن هذا النسخ كان بالمدينة ، فأصبح النبى والمسلمون يتوضأون من حين نزول الآية بدل الغسل .

وعند ما نزلت الآية كان النبى وأصحابه يتوضأون لكل صلاة وقد شق عليهم ذلك فيما بعد ، فلما كان يوم الفتح صلى الرسول الصلوات الخمس بوضوء واحد « فقال سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه : فعلت شيئاً لم تكن تفعله ، فقال عمداً فعلته يا عمر للاشارة إلى جواز الاقتصار على وضوء واحد للصلوات الخمس »(٢) . ثم خفف الوضوء بالتيمم عند فقدان الماء . وقد نص على ذلك القرآن الكريم . فترى من ذلك إذاً أن الأحكام الإسلامية كانت تسير من عسر إلى يسر ، ومن صعب إلى سهل ، حسب مقتضيات الظروف والأحوال .

وتشبه قضية الوضوء قضية قراءة سورة الفاتحة فى الصلاة . إذ الفاتحة فى الصلاة ركن من أركان الصلاة على أكثر الأقوال لحديث عبادة بن الصامت « لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب »(٣) ولحديث أبى هريرة « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج ... »(٤) وما دامت الفاتحة ركناً من أركان الصلاة فقد وجب أن يكون نزول الفاتحة مع نزول الأمر بالصلاة فى يوم واحد . والحال أن نزول السورة كان بعد ذلك بمدة .

فسورة الفاتحة مكية وقيل مدنية(٥) وقيل مكية مدنية ، وعلى كل فهى سورة متأخرة عن الصلاة . ولا يعقل أبداً أن تكون ركناً من أركان الصلاة قبل عهد النزول ، إذاً فالفاتحة ركن منذ

(١) راجع ولهوزن عن بقايا الوثنية العربية والكتب الباحثة عن عرب ما قبل الاسلام .
(٢) الحلبية جـ ١ صـ ٢٥٤ .
(٣) الخازن جـ ١ صـ ٢٠ .
( ) تفسير الخازن جـ ١ صـ ٢٠
(٥ الخازن جـ ١ صـ ١٢ .

القضاء في الإسلام

قطعة ثالثة من محاضرة ألقيت في دمشق ولم تنشر

للأستاذ علي الطنطاوي

ولقد اشترط القانون اليوم فيمن يولى القضاء سناً معينة لابد من إكمالها وامتحانا مسلكيا. والشرع لم يشترط إلا البلوغ. ولما قلد المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة وكان ابن ثماني عشرة تكلم بعض الناس فيه لحداثة سنه، فكتب اليه المأمون: كم سن القاضي؟ فكتب في جوابه: أنا على سن عتاب بن أسيد لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة قاضياً وأميراً. فسكت عنه المأمون وأعجبه

والامتحان المسلكي معروف عندنا، وقد دعا عمر قاضياً كان في الشام حديث السن فامتحنه بالعلم فقال له: بم تقضي؟ قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: فان لم تجد؟ قال: بما قضى به رسول الله. قال: فان لم تجد؟ قال: بما قضى به أبو بكر وعمر. قال: فان لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي. فقال له عمر: أنت قاضيها. ورده إلى عمله. وحديث عمرو بن العاص لما جربه النبي صلى الله عليه وسلم واختبره عمليا، معروف معلوم

والقاضي الشرعي اليوم لا يجرب ولا يدرب، كما يدرب (حاكم الصلح) إذ يعين عضواً ملازما ثم يبعث حاكما. بل إنه يستقل بالحكم من أول يوم. وهذا مما ينبغي النظر فيه. وليس يجوز أن ينفرد القاضي بالحكم حتى يتمرس به ويتمرن عليه مدة في محكمة من المحاكم، فاذا استأنس المفتي رشده ولمس مقدرته على القضاء، ورآه أهلا له، قيل له، اعل قوس المحكمة، وتوكل على الله، وكذلك في مصر يصنعون، على ان القضاء الشرعي فيها (إلا الجزئي منه) قضاء جماعة، فكيف وهو عندنا قضاء فرد، وان وظائف القاضي من قضاتنا في أنأى محاكم الجزيرة أوحوران وسلطانه كسلطان قاضي دمشق أوحلب ينظر نظره في كل دعوى، ويحكم حكمه في كل خلاف. والقضاء في مصر على درجتين يؤمن معهما الغلط، وهو عندنا على درجة واحدة، ما فوق القاضي إلا محكمة التمييز (النقض والإبرام) وهي تعنى بالشكل لا بالأصل وتنقض حكم القاضي ولكنها لا تحكم في الدعوى.

* * *

هذا وإمام المسلمين مأمور بأن لا يقلد أحدا شيئاً من عمل المسلمين إلا إذا علم صلاحه له. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قلد رجلا عملا وفي رعيته من هو أولى به منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين».

وكان الخليفة هوالذي يقلد القضاء، وربما قلده الوزير أوالأمير إذا ولاه الخليفة وصرح به في عهده، لأن القضاء في الأصل من حق الخليفة، وقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم واستقضى، وقضى الخلفاء الراشدون من بعده واستقضوا. وفي تاريخنا أسلوب بارع لتقليد القضاء، هوأن يدعو الخليفة أو الامير مشيخة العلماء وكبار القوم ويأمرهم أن يعرضوا عليه أسماء من يصلح للقضاء، ويذكروا لكل عيوبه ومزاياه، ثم يختار من تجمع عليه الكلمة أو من يظهر فضله على غيره ظهوراً لا خفاء فيه، وأكثر ما رأيت هذا الأسلوب في قضاة مصر. ولقد كان تقلد عيسى بن المنكدر

عهد النزول. وكذلك كان الوضوء فأهمل الفقهاء ذلك والمحدثون، وتصور الناس أن ذلك كان منذ أقدم عهود الصلاة. وهنالك إشارة وردت في الاتقان هي «أن جبريل حين حولت القبلة أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة ركن في الصلاة»(١). ونحن نعرف أن تحويل القبلة كان بالمدينة بعد الهجرة بستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً(٢). فاذا صح قول صاحب الاتقان وجب أن يكون ذلك في المدينة وبعد الهجرة كما رأيت. ولذلك فلا عبرة لكلام من قال «لم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير فاتحة»(٣). ترى من ذلك أن كثيرا من الأحكام المعروفة لم يفحص حتى الآن فحصاً تاريخياً. والحق «إن الإسلام كان كلما ازداد ظهورا وتمكن في القلوب ازدادت الفرائض وتتابعت إلى أن تمت بآخر آية من آيات القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو فوق كل مرجع آخر في الإسلام.

جواد علي

(١) الحلية ج ١ ص ٢٥٥

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦.

(٣) الحلية ج ١ ص ٢٥٥.

وأبى الذكر محمد بن يحيى بالانتخاب ، ولما كان وفد مصر فى العراق عند المنصور وجاءه نعى قاضى مصر ، قال لهم : أعظم الله أجركم فى قاضيكم أبى خزيمة . ثم التفت إلى الربيع فقال له : أبغنا لأهل مصر قاضياً ، فقال له ابن حديج (وكان فى الوفد) : ما أردت بنا يا أمير المؤمنين ؟ ! أردت أن تشهرنا فى الأمصار بأن بلدنا ليس فيه من يصلح لقضائنا حتى تولى علينا من غيرنا . قال المنصور فسمّ رجلا . فقال : أبو معدان اليحصبى . فقال : إنه لخيار ولكنْ به صمم ، ولا يصلح الأصم للقضاء . قال : فعبد الله بن لهيعة . فقال : فابن لهيعة .

انظروا أيها السادة إلى معرفة المنصور بأهل العلم من رعيته على بعد ما بين العراق ومصر ، ورجوعه عن أمره الذى أمر به الربيع لما بدا له الحق فيما قال ابن حديج . واختياره الصالح للعمل بعد الاستشارة والسؤال . وتوليته إياه القضاء من غير طلب له ولا سعى منه إليه . ولولا حق المجاملة وإنى ربما نشرت هذه المحاضرة فى الرسالة ، لقلت انظروا إلى حبّ أهل مصر بلدهم وقديم عصبيتهم له !

***

ونص الحنفية على أنه يجوز تقلد القضاء من السلطان العادل والجائر ، وإنما يجوز تقلد القضاء من السلطان الجائر إذا كان يمكنه من القضاء بحق ولا يخوض فى قضاياه بشر ولا يتداخل فى أحكامه ، ويجوز التقلد من أهل البغى كل ذلك لأن القضاء فريضة محكمة والقاضى إذا حكم بالحق فقد أقام الفريضة ، وضرر تقلده من السلطان الجائر ، أو الغاصب الباغى لا يعدل ضرر تعطيل القضاء وترك أمور الناس فوضى !

وكان أبو حنيفة يرى ولاية القاضى سنة واحدة يعزل بعدها ليعود إلى الاشتغال بالعلم فلا ينساه ، وكأن أبا حنيفة ينظر إلى ما وراء القرون فيرى هذا الزمان الذى فيه العلماء ينصرفون عن العلم إذا ولوا الولايات فكيف وقد كثر ما يتولاها الجاهلون ...

وكان طلب الرجل العمل قادحاً فى صلاحه ولم يكن الخلفاء يولون الأعمال طالبها . كان ذلك والإسلام إسلام ؛ والناس ناس ، فرحمة الله على أولئك الناس .

***

وكانت وظيفة القاضى (أى مرتبه) أجزل الوظائف ورزقه أكثر الأرزاق ، ففى العهد الذى كان عمر يلبس فيه الثوب المرقع ويقنع بالزيت ، وكان على تجزئه قصعة ثريد ، كان مرتب شريح القاضى خمسمائة درهم فى الشهر ، وكان مرتب ابن حجيرة الأكبر كما ذكره الكندى ، ألف دينار فى السنة فلا يحول عليه الحول وعنده منها شىء ، بل كان ينفقها على أهله وإخوانه وفى وجوه البر . وكان مرتب ابن لهيعة ثلاثين ديناراً فى الشهر . وأجرى مثل ذلك على القاضى المفضل به فضالة . وجعل عبد الله بن طاهر راتب القاضى عيسى بن المنكدر أربعة آلاف درهم فى الشهر ، وراتب الفضل بن غانم مائة وثمانية وستين ديناراً فى كل شهر ، وكان راتب أبى عبيد القاضى الفقيه مائة وعشرين ديناراً فى الشهر ، وكان يقول : مالى وللقضاء ؟ لواقتصرت على الوراقة ما كان خطى بالردىء !

وقد نقل الكندى فى تاريخه صورة براءة (سند راتب) من أيام مروان بن محمد فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن أبى عطاء إلى خزان بيت المال . فاعطوا عبد الرحمن بن سالم القاضى رزقه لشهر ربيع الأول وربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين ومائة عشرين ديناراً واكتبوا بذلك البراءة . وكتب يوم الأربعاء لليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين ومائة) . وهى تبين لنا أن الرواتب قد تدفع سلفاً (وهى كذلك اليوم فى بلاد الشام) وتكشف عن ناحية من الأسلوب المالى لدفع المرتبات .

نظر خلفاء المسلمين بنور الله فدفعوا إلى القضاة المال الوفير ، والرزق الكثير ، لتعفّ نفوسهم عن حرامه اكتفاء بحلاله ، وذلك ما تفعله أرقى الأمم فى زماننا وأقومها سيرة فى القضاء ، على أنهم لو تركوا قضاتنا إلى دينهم لوزعهم ، ولو خلوا بينهم وبين نفوسهم لقمعوها بخوف الله ، وأزاحوا شهوتها بانتظار جنته وخشية ناره . ولقد كانوا على هذا المرتب الكثير ، والعطاء الجزل ، أولى تقشف وزهد ، ينفقون المال يشترون به الجنة ثم يعودون إلى زهادتهم وقناعتهم : حدث إبراهيم بن نشيط قال : دخلت على القاضى ابن حجيرة الأصغر (وكان قد تغدى) فقال : أتتغدى ؟ قلت : نعم . قال : أعيدى عليه الغداء ياجارية . فأتت بعدس بارد على طبق خوص وكعك وماء . فقال : ابلل وكل ، فلم تتركنا الحقوق نشبع من الخبز !

وأى حقوق هى يا سادة ؟! حقوق الله ، حقوق الشرف والنبل والكرم . حقوق المسلمين . ابلل وكل يا إبراهيم ! هـذه لعمرى أعظم وأجلّ من موائد الملوك :

واسمعوا تتمة القصة تعلموا ما هذه الحقوق ؟ قال : وأتاه رجل يسأل حاجة . فقال : ليرجع . وسأل عنه وحقق عن فقره ، فلما عرف فاقته . أعطاه ثمانية عشر ديناراً .

هذه هى التى تركته لا يشبع الخبز !

ولقد كانوا يغرمون الغرامات فى أموالهم : كان القاضى أبو زرعة كثير الشفقة رقيق القلب ، يغرم عن الفقراء والمستورين إذا أفلسوا ، حتى كان بعضهم إذا أراد أن يتكسب أخذ بيد رفيقه فادعى عليه عند القاضى ، فيعترف ويبكى ويدعى أنه لا يقدر على وفائه فيغرم عنـه . وحصلت لبعض الشاميين إضاقة (والشامى ولا مؤاخذة بصير باصطياد الدراهم) فقال لبعض أصدقائه : قدنى إلى القاضى فلعله يعطيك عنى شيئاً أنتفع به ، ففعل وقال : أيد الله القاضى : لى على هذا الرجل ستون درهماً . قال : ما تقول؟ فأقرّ . فقال : أعطه حقه . فبكى وقال : ما معى شىء ، فقال للمدعى : إن رأيت أن تنظره . قال : لا . قال : فصالحه . قال : لا . قال : فما الذى تريد ؟ قال : السجن . قال : لا تفعل . وأدخل يده تحت مصلاه فأخرج دراهم فعدّ منها ستين درهماً فدفعها إلى الرجل .

قال صاحب القصة : وآليت ألاّ أعود لمثلها !

وكان بمصر أخوان توأمان تكهلا ولا يفرق بينهما من رآهما من قوة الشبه بينهما فوجب على أحدهما دين لحبسه القاضى أبو عبيد ، وكان أخوه يجىء زائراً له فيجلس مكانه فى الحبس ويتوجه الأول . وشاع ذلك حتى بلغ القاضى فأحضرهما وقال : أيكما فلان؟ فقال كل واحد منهما : أنا ! فأطرق القاضى . ثم طلب الغريم فدفع إليه الدين من ماله فراراً من الغلط فى الحكم . فهل سمعتم فى قضاة أمة بمثل هذا ؟

على أن فى القضاة من كان يقضى بالمجان . قال ابن خذام: ما أخذت على القضاء شيئاً إلا جوزتين فلما صرفت تصدقت بهما !

وقريب من هذا ما صنعه القاضى بكار بن قتيبة لما هم ابن طولون بخلع الموفق من ولاية العهد ، وأجابه القضاة كلهم إلا بكارا ، فطلب أن يلعنوا الموفق فامتنع بكار فألح عليه فأصرّ على الامتناع حتى أغضبه ، فقال له : أين جوائزى ؟ وكان يصله كل سنة بألف دينار ، فقال : هى على حالها ، هناك، فنظروا فإذا هى ملقاة بأ كياسها فى دهليز منزله . فبعث أحمد فقبضها .

***

على أن الغنم بالغرم . وإذا كثرت مرتبات القضاة فلقد كثرت تكاليفهم وازدادت الواجبات عليهم ، وإذا كان العرف اليوم على أن الموظف إذا قام بعمله كان حراً فى نفسه ووقته . وهو لعمر الفضيلة عرف أشبه بالنكر ، وإذا كان القانون اليوم لا (يكاد) يؤاخذ قاضياً على فسـوق فى نفسه أو عصيان لربه ما لم يتصل بعمله ، فلقد كان القاضى يؤاخذ على الصغيرة والكبيرة وتطلب منه أخلاق الملائكة ، وشمائل الصديقين ، قد بوبت فى ذلك الأبواب ، وصنفت فيه الكتب ، وشاع واشتهر ، وأغنى الخبر فيه عن الخبر ، ولم يبق للكلام فيه مجال ، ولا لقائل مقال . وإنى لأسرد طائفة من ذلك على سبيل التمثيل عليها ، والإشارة إليها ، لا أريد المتعلق منها بالمحاكمة وأصولها فسيأتى الكلام فى ذلك ، ولكن أريد شمائل القاضى وآدابه فى نفسه ، وملاكها استعار التقوى ، وإدامة المراقبة لله عز وجل . وقد امتحن على رضى الله عنه قاضياً فقال له : بم صلاح هذا الأمر ؟ قال : بالورع . قال : ففيم فساده ؟ قال : بالطمع . قال : حُقّ لك أن تقضى . ونصوا على أن من آكد الواجبات على القاضى ألا يحفل بالنـاس ، ولا تأخذه لومة من لائم ، وأن يقيم الحق ، ولو أغضب الحق أقواماً . قيل لشريح : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت وشطر الناس على غضبان .

وهذه يا أيها السادة مزلة أقدام القضاة ، ولا سيما فى أيامنا ، لأن القاضى اليوم لا يعدم فى كل قضية شفاعة ووساطة ، فإذا أمضى الحق لم يحفل بالشفاعات ولا الوساطات ، لم يخل من أعداء يشون به إلى أولى أمره ، ويسودون ما بينهم وبينه ، فيسوء رأيهم فيه ، ويطول عتبهم عليه ، ويؤخرون ترفيعه ، وربما احتالوا على قانون حصانة القاضى فنقلوه إلى مكان سحيق ، لأن العرف الحكومى اليوم أن الموظف الصالح هو الذى يألف ويؤلف ، ويرضى عنه من حوله ، ولا تثور عليه ثائرة ، ولا تضج ضجة . وهل ينال ذلك قاض نزيه لا يعرف من الطرق إلا الصراط المستقيم . وليس له

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ١ —

تمهيد

ما نحسب أن أحداً من المتقدمين أو المحدثين ، بحث فى السجون على التفصيل . فهذا مبحث بكر طريف ؛ سنحاول فيه أن نقدم إليك صورة واضحة تبين لك سبب السجن ، وتريك أنواع السجون وضروب السجن ، ثم تطوف عليهم ، فترى ما يأكلون وما يلبسون ؛ وكيف يفرون ومتى يخرجون . فإذا فرغنا عقدنا فصلاً خاصاً بأدب السجون ، فأسمعناك طرفاً من الشعر المشرق الذى قيل فى السجن المظلم . ثم استدركنا ما فاتنا من الحوادث والأخبار المتعلقة بهذا الموضوع .

أسباب السجن

يتساءل الإنسان عند البحث فى هذا الموضوع ، عن الأسباب التى كان الناس يساقون بها إلى السجن . أفكانوا ينهجون نهجاً أو يتبعون شريعة إذا خرج عنها واحد ، عوقب بالسجن ؟ الحق أنه لم يكن شىء من هذا ، فقد كان يكفى أن يقول الخليفة أو الأمير أو صاحب الشرطة « الحبس » حتى يودعوا من لفظت بسببه المطبق [١] . فقد كان الحبس سلاحا فى يد الخلفاء والوزراء ، وقوة يكيدون بها للمتمردين والعاصين والأعداء ، ويهددون مخالفيهم فيما يشتهون ويحبون .

على أننا إذا استقرينا النصوص والأخبار ، نجد أسباب السجن تتلخص فيما يلى :

(١) الوزارة سبيل السجن

ومن العجب أن نرى أن الوزارة كانت سبيلا يوصل إلى السجن فى غالب الأحيان . وندر من نجا من الوزراء ، ولم

(١) كتاب الديارات (مخطوط) انظر مثلا دير مديان

إلا وجهه الواحد الذى ركبه الله له . ولسانه الفرد الذى وضعه فيه ، وما معه إلا قانون واحد يسوق بعصاه الوجيه والخامل ، والكبير والصغير .

وقديماً نال بعض قضاتنا أذى كبير من أجل إقامة العدل ودحض الظلم ، والصدع بالحق ؛ ولكنهم صبروا فأعزهم الله بصبرهم وأظهرهم وأعلى أمرهم . هذا الحارث بن مسكين قاضى مصر يحمل إلى المأمون أيام المحنة ، محنة الدين والخلق التى جربت فيها صلابة الرجال ، وقوة العزائم ففاز فى هذا الامتحان أقوام وخسر أقوام . وكان إمام الفائزين أحمد بن حنبل — فيظل الحارث على ما يرى أنه الحق — ما لانت له عزيمة ولا وهت له قوة . وهذا عمر بن حبيب القاضى لا يسعه أن يسمع الطعن على أبى هريرة ويسكت فيحتسب دمه عند الله ويرد رأى الخليفة العظيم الذى قال للغمامة أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك : هارون الذى أباد البرامكة فى ساعة وكانوا أعزة الأرض وكرام الناس ، يرد عليه فيغضب ويعرضه على السيف والنطع ، فيغلب حقه وثباته عليه ، بطشة الرشيد البطاش ، فيلين ويعفو ويكافىء ويشكر .

***

أو سمعتم قصة سلطان العلماء العز بن عبد السلام القاضى ، أحد أفذاذ البشر علماً وحزماً وإيماناً ومضاء ، لما صح عنده أن المماليك لم يفارقهم الرق وهم حق لبيت المال ، والمماليك يومئذ هم الملوك يا سادة ! هم أصحاب الدولة والسلطان ، فنادى ببيعهم فقاموا عليه قومة رجل واحد ، وقام معهم كل متزلف من الناس لذوى الإمارة ، وهددوه وسعى ساعيهم بالسيف إلى باب داره ، فنزل إليه فأطفأ بهيبة إيمانه شعلة غضبه ، وفل بعزيمته حد سيفه . وبقى على موقفه منهم حتى باعهم فى سوق العبيد وقبض أثمانهم .. يا أيها السادة . إن منا قضاة كانوا يبيعون الملوك [١] !

(دمشق) **على الطنطاوى**

(١) اقرأوا ترجمة هذه القصة إلى لغة الأدب عند إمام البلغاء صاحب (وحى القلم) .

يسجن . وربما قتل ولم يحبس ، وربما صابه الأمران معاً . فقد سُجن يعقوب بن داوود وزير المهدى(١) ، وجعفر بن يحيى وزير الرشيد ، ويحيى بن خالد وابنه الفضل(٢) وسجن محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق بعد أن صودرت أمواله ، ونهبت دوره ، وضُمت إلى القواد ضياعه(٣) . وسجن ابن الخصيب وزير المستعين ونكب(٤) . كما حبس أبو الصقر وزير المعتمد ، وقتل(٥) . ولم ينج محمد بن عبيد الله من السجن ، فقد عزله المقتدر من الوزارة وحبسه معَ ابنه(٦) .

وسبب ذلك أن الخليفة كان يستمع إلى أقوال المنافسين ، ويصغى إلى مقالة الحاسدين ، فيأمر بعزل وزيره وسجنه . فإذا لم يسجن ، جاء خلفه فسجنه انتقاما منه ، وخشية أن يشغب فيبعده عن السلطان .

(ب) مناوئو الخلافة

أما مناوئو الخلافة ، والشاغبون عليها ، فكان مثواهم السجن . فقد سُجن عبد الملك بن صالح وقد سُعي به عند الرشيد بطلب الخلافة(٧) ؛ وسُجن العباس بن المأمون عند ما دعا إلى نفسه ، فمات فى الحبس(٨) . وحُبس الإفشين لما شق عصا الطاعة على الخلافة ، ولم يجدوا بداً من اتهامه بالزندقة ليقتلوه(٩) .

(ج) الديون والمصادرات

وكانت الديون والمصادرات تودى بصاحبها إلى السجن . وكثار من صودرت أموالهم وأودعوا السجون ، ثم أتى بهم فنوقشوا الحساب ، وطُلب منهم رد الأموال . حدّث سليمان ابن وهب قال : « كنت أنا والعباس بن الخصيب ، مع خلق من العمال والكتاب معتقلين فى يدى محمد بن عبد الملك فى آخر وزارته للواثق ، نُطالبَ ببقايا مصادرات فقُبض علىّ وأودعت الحبس . فسمعت ليلة صوت الأقفال تفتح فلم أشك فى أنه القتل وفُتحت الأبواب ... وحملنى الفراشون لثقل حديدى وحُملت إلى اسحق بن ابراهيم ، وكان صاحب الشرطة ، فإذا فيه صاحب ديوان الخوارج ، وصاحب ديوان الضياع ، وصاحب الزمام ، وبعض الكتاب . فطُرحت فى آخر المجلس . فشتمنى اسحق ابن ابراهيم أقبح شتم ، وقال : « يا فاعل ويا صانع تعرّضنى لاستبطاء أمير المؤمنين ؟ أين الأموال التى جمعتها وحُبست بسببها ؟ فاحتججت بنكبة ابن الزيات . فقال لى صاحب ديوان الضياع : أخذتَ من الناس أضعافَ أضعاف ما أدّيت ، وعادت يدك إلى كتبة إيتاخ فأخذت ضياع السلطان وأقطعتها لنفسك وحزتها سرقة إليك ، وأنت تستغلها ألفى ألف درهم ، وتتزيا بزىّ الوزراء »(١) .

وقد ذكر التنوخى كثيراً من أحاديث هؤلاء المسجونين لديون ومصادرات فليرجع إليه .

(د) الزندقة ، الشعوبية ، القرامطة ، الملاحدة ، الرافضة :

وكان الزنادقة يقتلون طوراً ويسجنون طوراً . وربما اتخذوا الزندقة سبيلا للقتل أو السجن . وكان الزنادقة يودعون سجناً خاصاً فى المطبق . ذكر أبو نواس قال : كنت أتوهم حماد عجرد إنما يُرمى بالزندقة لمجونه فى شعره ، حتى حبست فى حبس الزنادقة فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم ، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرأون به فى صلاتهم(٢) .

وقد سجن أبو نواس متهماً بالزندقة ؛ وكان قد عرّض بالأمين (صاحب التاج) وأعتقد أن تعريضه هو سبب سجنه ، وأنهم جعلوا الزندقة سبباً . فقد قال :

وقد زادنى تيهاً على الناس أننى ... أرانى أغناهم وإن كنت ذا فقر
فلو لم أنل فخراً لكانت صيانتى ... فمى عن جميع الناس حسبى من فخر
فلا يطمعن فى ذاك منى طامع ... ولا صاحب التاج المحجب بالقصر

فقال له الأمين وقد أتى به « أبلَغَ بك الأمر إلى أن تعرّض فىّ فى شعرك يا ابن اللخناء...؟ » ثم اتخذوا عليه حجة أنه زنديق؛

(١) الفخرى ص ٢٢١
(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٠
(٣) الطبرى حوادث سنة ٢٣٣
(٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٥
(٥) الآداب السلطانية لابن طباطبا : ص ٣٠٠
(٦) المنتظم لابن الجوزى : ج ٦ ص ١٢١
(٧) الطبرى حوادث سنة ١٨٧ : ١١
(٨) البدء والتاريخ البلخى : ج ٦ ص ١١٤
(٩) ابن الأثير : ج ٦ ص ١٩٠ ، والبلخى ج ٦ ص ١٢١

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخى ج ١ ص ٤٣ .
(٢) الأغانى ج ١٣ ص ٧١ .

قد شرب ماء المطر مع الخمر ، وقال : ها أنذا أشرب الملائكة ، فإن مع كل قطرة ملكا ... »(١) .

ومن الطريف أن نتابع القصة : فقد ذكروا أن خال الفضل ابن الربيع كان يتعهد المحبوسين ويسأل عنهم . وكانت فيه غفلة . فدخل على أبي نواس فقال : ما جرمك حتى حبست فى حبس الزنادقة ؟ أزنديق أنت ؟ فقال : معاذ الله ! قال أتعبد الكبش ؟ قال : ولكنى آكله بصوفه ! قال : أفتعبد الشمس ؟ قال : والله ما أجلس فيها فكيف أعبدها ؟ قال : أفتعبد الديك ؟ قال : لا والله ، بل آكله ... ولقد ذبحت ألف ديك لأن ديكا نقرنى مرة ، فحلفت ألا أجد ديكا إلا ذبحته . قال : فلأى شيء حبست ؟ قال : لأنى أشرب شراب أهل الجنة ، وأنام خلف الناس . فقال : وأنا أيضاً أفعل ذلك . فخرج خال الفضل إلى الفضل وقال له : ما تحسنون جوار الله ! تحبسون من لا ذنب له ؟ سألت رجلا فى الحبس عن خبره ، فقال كذا وكذا ، وعرّفه بما جرى بينهما ، فضحك ودخل على الأمين فأخبره الخبر ، فأمر بتخليته(٢) .

وكان الشعوبيّون يسجنون لتهجمهم على العرب ، وقد سجن الرشيد أبا نواس لقصيدة قالها وهجا العرب بها(٣) .

وحُبس فيما بعد ، محمد بن هارون الورّاق الملحد ، ومات فى السجن ، وطُلب ابن الراوندى الملحد لسجنه ففر(٤) .

وسجن المقتدر رجالا كثار من الدُعاة إلى القرامطة والذاهبين مذهبهم ، وسجن جماعة من الرافضة ، كانوا يجتمعون فى مسجد لسب الصحابة والخروج عن الطاعة(٥) .

(هـ) مخالفة رأى الخليفة ، ادعاء النبوة

وكان مخالف رأى الخليفة أو الوزير معرّضاً للسجن . وقد سُجن ألوف وقتل ألوف فى محنة خلق القرآن . وكان أحمد بن حنبل ، الذى لم يقل بخلق القرآن ، أحد من سجنوا(٦) .

وكان المتنبئون يسجنون إن لم يقتلوا . وقد كثر التنبؤ فى عصر بنى العباس وكان لأصحابه مع الخلفاء نوادر وأحاديث(٧) .

(١) الطبرى حوادث سنة ١٩٨ ج ١٠ ، والملح والنوادر ص ١٣٥ .
(٢) الملح والنوادر للحصرى ص ١٣٤ - ١٣٥ .
(٣) حديث الأربعاء : ١١٣ .
(٤) المنتظم لابن الجوزى : ج ٦ ص ١٠٢ .
(٥) المنتظم لابن الجوزى ج ٦ ص ٣١٧ .
(٦) البدء والتاريخ للبلخى ج ٦ ص ١٢١ .
(٧) مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٣٣١ ، وتاريخ بغداد لابن طيفور ص ٦٥ .

(و) المجون ، الفسق ، الشراب

وكان المستهترون والفسّاق يسجنون حتى ينالهم العفو . وذكر ابن المعتز أن إسحق بن إبراهيم لما بلغه ما فيه أبو العبر من الخلاعة والمجانة أمر بحبسه . فكتب إليه أبو العبر رقعة يذكر أنه تائب ، ويسأله أن يخرجه من الحبس حتى يعلمه رقية العقرب فأحضره وقال : هات علمنا . فقال : إذا رأيت العقرب فتناول النعل واضربها ضربة شديدة فإنها لا تعود تتحرك ...

فضحك وقال والله إنه لا يفلح أبداً(١) .

وأمر المهدى إبراهيم الموصلى ألا يشرب ولا يتبذل ولا يغنى ، فغنى إبراهيم عند إخوانه وتبذل وشرب ، فضربه ثلاثمائة سوط ، وقيده وحبسه(٢) .

ووجد العسس أبا دلامة زيد بن جون سكران فى بعض الليالى فقبضوا عليه ، وأخذوه فخرّقوا ثيابه وساجه وحبسوه . فلما أفاق قال أبياتاً وأرسلها إلى المنصور منها :

أمير المؤمنين فدتك نفسى ... علام حبستنى وخرقت ساجى
أمن صهباء صافية المزاج ... كأن شعاعها ضوء السراج
وقد طُبخت بنار الله حتى ... لقد صارت من النُطف النضاج
أقاد إلى السجون بغير جرم ... كأنى بعض عمّال الخراج(٣)

(يتبع) **صلاح الدين المنجد**

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٦٢ .
(٢) الأغانى ج ٥ ص ٥ .
(٣) ثمار القلوب للثعالبى ص ٢٠ .

الفسطاط

كيف اختير مكانها؟ ولم سميت بهذا الاسم؟

للأستاذ جمال الدين الشيال

يستطيع القارئ لأخبار الفتح العربي لمصر أن يلمح في يسر ووضوح أن الحرب لم تكن قائمة إلا بين العرب والروم، وأن القبط قد وقفوا من الجيشين موقف المحايد، وإن كانوا في سرائرهم يتمنون النصر للعرب لما سمعوه عنهم من حسن السياسة وطيب المعاملة، ولهذا استمر الروم يدافعون عن مصر وراء حصن بابليون سبعة أشهر طوالا، والعرب يستمدون من الحماسة الدينية والإيمان قوة لا تأبه للعقبات، وصبراً لا يعرف الملل.

ولما سقط هذا الحصن في أيدي العرب زالت من طريقهم أكبر عقبة من عقبات الفتح، وتراجع الروم إلى الأسكندرية فتبعهم المسلمون وحاربوهم حتى استولوا عليها؛ وبسقوط العاصمة الرومانية في أكتوبر سنة ٦٤١م. تم فتح العرب لمصر فانتشروا في ربوعها حتى وصلوا إلى الشلال الأول، وبذلك أصبحت مصر ولاية من ولايات الخلافة الإسلامية.

عمرو يريد أن يتخذ لمصر عاصمة

روى ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو ابن العاص لما فتح الأسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغاً منها، هَمَّ أن يسكنها وقال: «مساكن قد كفيناها». فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك، فسأل عمر الرسول: «هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟» قال: «نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل»، فكتب عمر إلى عمرو: «إني لا أحب أن ينزل المسلمون منزلا يحول الماء بيني وبينهم فيه شتاء ولا صيفا»(١)

قد تبعث هذه الرواية على التساؤل: لم كان عمر يخشى الماء؟ يقول بعض المؤرخين: إن العرب لم تكن أمة بحرية، وبذلك أبى بعد النظر على عمر أن يلقى بجنود المسلمين في مكان يفصل بينه وبين المدينة ماء، حتى لا يكون هذا الماء إذا حزبهم الأمر حائلا بينهم وبين الوصول إلى مركزقوتهم، وإذا أراد الخليفة أن يبعث إلى جنده بمصر مدداً لم يكن هناك ماء يعترض سبيل هذا المدد ويمنع وصولهم.

وقد ذكر السيوطي في حسن المحاضرة أن ابن عبد الحكم قد أخرج عن يزيد بن حبيب أيضا أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالأسكندرية: «أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت». فتحول سعد من مدائن كسرى إلى الكوفة، وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه، فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الأسكندرية إلى الفسطاط»(١)

من هذا نرى أن رغبة عمر في أن لا يحول بين المسلمين وبينه ماء لم تكن قاصرة على مصر، بل كان يريدها أن تتوافر في كل الأمصار التي فتحها العرب؛ ويقول فريق آخر من المؤرخين، ومنهم المستشرق الإنجليزي Lane Poole في كتابه The Story of Cairo إن عمر لم يكن قد رسم لنفسه بعدُ خطة ثابتة لتكوين امبراطورية إسلامية واسعة، ولذلك كان يريد أن يكون على اتصال دائم بجيوشه التي خرجت للفتح، وإذ كان الطريق بين بلاد العرب والاسكندرية قابلا للانقطاع في زمن الفيضان فينقطع بذلك سبيل الاتصال بينها وبين المدينة عاصمة الخلافة فقد كتب عمر إلى عمرو يأمره أن يتخذ له حاضرة أخرى غير الاسكندرية.

ويبدو عند مقارنة هذين الرأيين — أحدهما بالآخر — أنه ليس للرأي الثاني من القوة والصحة قدر ما للرأي الأول، وذلك لأن النشاط الذي أبداه عمر منذ ولي الخلافة وإرسال الجيوش تلو الجيوش إلى الشام وفارس ومصر، كل هذا يثبت بالبرهان القاطع أن المستشرق الإنجليزي لين بول إنما قال ما قال من باب التعليل والاستنتاج العقلي فحسب.

لهذا أعرض عمرو عن الاسكندرية وولى وجهه شطر الفسطاط؛ ولنا أن نتساءل مرة أخرى: لِمَ اختار عمرو هذا المكان دون غيره لبناء مدينة الفسطاط؟ وهنا تتشعب الآراء

(١) انظر المقريزي، الخطط، جـ ٢ ص ٧٥ — ٧٦.

(١) المرجع السابق ص ٧٦.

وتتعدد ، ولكنها برغم تشعبها وتعددها لاتصل بنا إلى رأى حاسم معقول ، فغالبية المؤرخين المصريين كابن عبد الحكم وابن دقماق والمقريزى وأبى المحاسن والسيوطى وغيرهم يروون حادث اليمامة على أنه السبب الأساسى لاختيار عمرو لهذا المكان ونزوله وجيشه بين ربوعه ؛ وغالبية المؤرخين الفرنجة : كبتلر ، ولين پول ، وكازانوفا وغيرهم ؛ لا يهتمون بمناقشة الأسباب التى دعت عمراً لاختيار هـذا المكان دون غيره قدر ما يهتمون بمناقشة الآراء المختلفة فى سبب تسمية هذه الحاضرة بالفسطاط .

وبرغم أنهم يستطرفون قصة اليمامة فأنهم يرجعون هذا الإسم إلى الكلمة الإغريقية Fossatum (أى المدينة) ويقولون بأن العرب نقلوها عن الروم الشرقيين عند اتصالهم بهم فى حروب الشام .

غير أننا نحب أن نعنى بالأمرين جميعا لما لكل من الأهمية ، ولذلك سنحاول :

أولا — مناقشة الأسباب التى دعت لاختيار هـذا المكان ليكون حاضرة الديار المصرية بعد إتمام الفتح العربى .

ثانيا — مناقشة الأسباب التى دعت لتسمية هـذا المكان بالفسطاط .

١ — أسباب اختيار المكان :

أما عن الأمر الأول فيقول المقريزى فى خططه : « اعلم أن موضع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليـوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية يقيم فيه ما يشاء ثم يعود إلى دار الإمارة »[1] .

من هذا يبدو أن العرب قد أنشأو مدينتهم « الفسطاط » فى الفضاء المجاور لحصن بابليون — مقر الدفاع الرومانى — ؛ وهنا نجد اختلافا آخر بين المؤرخين بشأن كلمة « بابليون » فالبعض يطلقها على الحصن فحسب والبعض الآخر يقول بوجـود مدينة

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ صـ ٥٩ مطبعة النيـل بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .

حول الحصن كانت تسمى بهذا الإسم ، وزعيم الفريق الثانى هو الدكتور بتلر ، وقد لخص رأيه فى هذه الفقرات .

١ — كانت تقوم فى زمن الفراعنة مكان مصر القديمة (الفسطاط) مدينة ذات شأن يدل عليها وجود بعض التماثيل المصرية مثل « سرية أبى الهول » the Doxy of the Sphinx ؛ وأن بعضاً من هذه التماثيل بقى حتى زمن الخليفة الحاكم الفاطمى[1] .

٢ — وفى القرن السادس قبل الميلاد اتخذ البابليون لهم فى هذا المكان معسكراً حربياً وأنشأوا هناك حصنا على المرتفعات الصخرية التى سماها العرب فيما بعد « الرَّصَد » .

٣ — ومن هـذا المعسكر انتشر اسم « بابليون » حتى شمل الإقليم المجاور وأصبح الإسم المميز لمدينة عظيمة تمتد بعيداً شمال الرصد حتى تتصل بأطراف المدينة القديمة العظيمة المنحلة وتدعى « هليوبوليس أو عين شمس » .

٤ — وعندما أراد تراجان أن يعزز قوته عنـد رأس الدلتا واعتزم أن يبنى حصناً قوياً كقلعة لبابليون ، ترك حصن الفرس القائم على الرصد وأنشأ قلعته على شاطىء النيـل وذلك ليضمن وجود المـاء بالقرب من حاميته ولتستطيع تلك الحامية الاتصال — بوساطة النيل — بسائر جهات القطر المصرى وسمى هـذا الحصن بحصن بابليون (أى حصن مدينة بابليون) أو قلعة مصر Castle of Khêmi وقد حرّف العرب هذا الإسم فيما بعد فسموه قصر الشمع .

٥ — وبذلك هجر حصن الرصد الفارسى واستولت عليه عوامل الانحلال والنسيان ، حتى إذا كان الفتح العربى بعد ذلك بخمسة قرون ونصف قرن كانت الأخبار عن وجوده عامة لا تكاد تذكر .

(١) يذكر ابن دقماق فى كتاب « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » جـ ٤ صـ ٢١ — ٢٢ بولاق ١٣٠٩ هـ عند كلامه عن الأزقة التى كانت بالفسطاط « زقاق الصنم » ويقول انه سمي بهذا الاسم لوجود صنم به كان يسمى سرية أبي الهول وقد هدمه الأمير بلاط سنه ٧١١ هـ ؛ ويؤيد بتلر فى رأيه أيضاً ما رواه ابن الفقيه فى كتابه البلدان صـ ٦٠ عن وجود تمثال آخر من الحجر لامرأة كان بالفسطاط ؛ وما رواه المقدسى فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » صـ ٢١١ ليدن سنة ١٨٧٧ إذ يقول « وفى الفسطاط عند قصر الشمع امرأة ممسوخة على رأسها سفرة من حجر ... الخ هذا وقد عثر أخيراً علي قطع من الحجر فى حفائر الفسطاط مكتوب عليها بالخط الهيروغليفى وقد نقلت إلى دار الآثار المصرية .

٦ — أن اسم بابليون الذى وجده العرب عند قدومهم يطلق على مدينة مصر قد تلاشى بمرور الزمن وحل مكانه الإسم العربى الجديد « الفسطاط » حتى إذا ابتدأ مؤرخو العرب يدونون كتبهم كان اسم « بابليون » قد أصبح يطلق على قصر الشمع فحسب بعد أن انتزع من المدينة التى أصبحت بعـد اتساعها ونموها تسمى بالفسـطاط .

٧ — ولكن هذا الاستعمال المحدود للاسم ابتدأ كذلك يتلاشى فى مصر فى الأزمنة الحديثة وغادر الإسم الأنقاض الباقية من قصر الشمع ؛ وتضاءل حتى غـدا يطلق على دير قبطى صغير يقع عند البوابة الجنوبية من الحصن ويسمى « دير بابليون » وعنـد ذلك الدير الصغير استقر ذلك الإسم التاريخى القديم بعد أن خلفه فى تسمية المدينة « لفظ الفسطاط » وبعد أن خلفه فى تسمية الحصن لفظ « قصر الشمع »[١] .

ونحن لا يهمنا من هذا التحليل كله لتطور استعمال كلمة بابليون إلا أن نعرف أن المكان الذى أنشئت عليه الفسطاط كانت تشغله منذ أيام الفراعنة مدينة كبيرة ذات شأن ؛ اتخذها البابليون مكاناً لاستقرارهم ثم اتخذها الرومان مقراً لدفاعهم يصلون به الوجهين البحرى والقبلى ويدفعون منه كل مغير على مصر .

وهذا ما يؤيد الرأى الذى نريد أن نذهب إليه من أنه كان فى مصر وقت الفتح مدينتان هامتان : إحداهما الاسكندرية وتعتبر العاصمة الأولى وذلك لقربها من الدولة الرومانية الشرقية صاحبة السيادة وقتـذاك ، ولإشرافها على البحر الأبيض المتوسط ، وبابليون أو « مصر » وتعتبر العاصمة الثانية وذلك لموضعها من رأس الدلتا بحيث تشرف على الوجهين القبلى والبحرى ، ولوقوعها على شاطىء النيل بحيث تكون سهلة الاتصال — بوساطة هـذا النهر — بكل أطراف القطر المصرى ، ولتوسطها بين النيل غربا (وهو مورد من الماء لا ينفد) وبين جبل المقطم شرقا — وهو حد طبيعى لحمايتها — ؛ ولهـذا نلاحظ أن المصريين منذ القدم كانوا يختارون هذا المكان مقراً لحكمهم للأسباب المتقدم ذكرها[٢] فاتخذوا منف عاصمة لهم مدة ليست بالقليلة ، وكانت هليوبوليس (عين شمس) كذلك حاضرة لمصر مدة طويلة[١] ، وبابليون كما ترى تقع بين المدينتين[٢]

ويؤيد هذا الرأى القائل بوجود هذه المدينة أيضا قول المقريزى : « وكان بجوار هذا الحصن (بابليون) من بحريه وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم وصار موضعها الجامع العتيق ، وفيما بين الحصن والجبل عـدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى يعرف اليوم براشدة ، وبجانب الحصن فيما بين الكروم التى بجانبه وبين الجرف الذى يعرف اليـوم بجبل يشكر حيث جامع ابن طولون والكبش عـدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى كان يعرف فى أوائل الإسلام بالحمراء »[٣] ؛ وقول ابن سعيد فى كتابه المغرب : «وأما فسطاط مصر فإن مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى عين شمس ، وجاء الإسلام وبها بنـاء يعرف بالقصر حوله مساكن »[٤] لأننا نعرف أن المعابد عامة — من هياكل وبيع وكنائس وأديرة ومساجد — منذ أقدم العصور إلى اليوم لا تبنى إلا فى المدن أو الأماكن الآهلة بالسكان ؛ فوجود هذه الكنائس والديارات فى الأماكن التى يذكرها المقريزى يثبت إثباتا قاطعا وجود مساكن آهلة ومبان عامرة فى هـذه المدينة القديمة وقت الفتح ؛ وقول ابن سعيد لا يحتاج إلى هذا الاستنتاج إذ يقول فى عبارة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام « وجاء الإسلام وبهـا بناء يعرف بالقصر حوله مساكن » .

من هذا كله نرى أن اختيار عمرو لهذا المكان لم يقع اعتباطاً ، بل كان اختياراً طبيعياً ؛ كان عمرو يريد أن يتخذ له حاضرة يستقر فيها غير أنه ما كان يريد أن يبذل جهداً جديداً فى إنشاء هذه الحاضرة بدليل رغبته فى اتخاذ الاسكندرية حاضرة ، وبدليل تعبيره عن هذه الرغبة بقوله : « مساكن قد كفيناها »[٥] ؛ ولكن عُمَر قد أمره أن يتحول عن الاسكندرية ، فكان لزاماً على عمرو

---

(١) Butler, Babilyon of Egypt, P. P. 62, 93. , 1914 .

(٢) يقارن هذا بما ذكره ابن خلدون فى مقدمته صـ ١٩٠ — ١٩١ القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ عما « تجب مراعاته فى أوضاع المدن » .

(١) وقد بنيت العواصم المصرية الأخرى كلها شمال هـذا المكان : (العسكر سنة ١٣٣ هـ والقطائع سنة ٢٥٦ هـ والقاهرة سنة ٣٥٨ هـ)

(٢) يعين ابن الفقيه فى كتابه (البلدان) موقع الفسطاط (بابليون) بالنسبة للمدينتين القديمتين فى قوله « وعين الشمس على ٣ فراسخ من الفسطاط ، ومنف مساكن بينها وبين عين شمس ٣ فراسخ » .

(٣) المقريزى . المرجع السابق ص ٦٠ .

(٤) نفس المرجع صـ ٦٢ .

(٥) نفس المرجع صـ ٧٥ — ٧٦ .

أن يحول وجهه شطر العاصمة الثانية وقتذاك وهى « بابليون » أو « مصر »[1] فذهب إليها واتخذ الفضاء المجاور لها مقراً له ولجنوده .

هذه هى الأسباب الطبيعة التى دعت عمراً لاختيار هذا المكان غفل عن ذكرها مؤرخو العرب ، ولم يعرها اهتماماً مؤرخو الفرنج

١ — لم سميت المدينة بهذا الإسم :

أما عن الأمر الثانى وهو الأسباب التى دعت لتسمية هذا المكان بالفسطاط فإن الآراء فيها وإن اختلفت وتشعبت فإنها كذلك لا تصل بنا إلى حد حاسم معقول .

أما مؤرخو العرب فيعتمدون جميعاً على قصة اليمامة ، وأما مؤرخو الفرنجة فتقول غالبيتهم بأن كلة الفسطاط قد أخذت عن الكلمة الإغريقية Fosstatum أى المدينة وأن العرب نقلوها عن اليونان عند اتصالهم بهم فى حروب الشام . غير أنا نرى أن قصة اليمامة مع طرافتها قد تبعد عن الصحة وذلك لأنهم يقولون أن عمراً قد أوصى أحد المصريين فى رواية ، أو صاحب القصر فى رواية أخرى بالمحافظة على الخيمة « الفسطاط » حتى تفرخ اليمامة وتطير صغارها ، وأنه عند رجوعه وجد الفسطاط فى مكانه فنزل هو وجنده بجواره ؛ ونحن نشك فى صحة هذا الخبر لأن عمراً ولو أنه كان قد استولى على حصن بابليون فإن مصر لم تكن قد خضعت كلها لأمره ، ولذلك لا يعقل أن ذلك الرجل المكلف بالمحافظة على الفسطاط يبقى على عهده ويحافظ على وعده مع رجل فاتح لم يثق بعد أنه قد أصبح الحاكم على مصر حتى يخشاه ويحافظ على حراسة فسطاطه من أجل يمامة طول ذلك الوقت الذى استنفده عمرو فى فتح الاسكندرية ، وما بين بابليون والاسكندرية من مدن

ويدفعنا أيضاً إلى الشك فى صحة هذه القصة ما هو معروف مشهود عن الطيور المختلفة وخاصة الحمام واليمام من أنها تتخير لأعشاشها وبيضها وفراخها الأماكن المنعزلة المهجورة البعيدة عن أن يطرقها إنسان أو تنالها الأيدى صوناً للأعشاش وحفظاً للبيض وإبقاء على الصغار .

فهل من المعقول إذن أن تترك هذه اليمامة العمرية تلك الأماكن الآمنة لتضع بيضها فى معسكر دائم النشاط دائب الحركة وفى خيمة القائد وهى أنشط أماكن المعسكر بالحركة وأعمرها بالوافدين ؟

وإذا كانت هذه القصة صحيحة ففى أى مكان من الخيمة تبنى اليمامة عشها ؟ والخيمة كما نعرفها جميعاً مصنوعة من قماش أملس وهى منحدرة الجوانب إذا نصبت[1] .

كل هذا يؤيد شكنا فى صحة هذه القصة وكونها أصلا للتسمية

أما الرأى الثانى فيبدو كذلك بعيداً عن الصحة وذلك لأن ابن قتيبة يروى فى كتابه غريب الحديث حديثاً للرسول نصه : « عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة »[2] ؛ ونحن إزاء هذا نجد أنفسنا أمام احتمالين : إما أن يكون الحديث صحيحا فيبطل الرأى القائل بأن العرب أخذوا كلة الفسطاط عن الروم عند اتصالهم بهم فى حروب الشام لأن حروب الشام واتصال العرب بالروم كان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وبالتالى بعد ذكره لهذا الحديث ؛ وإما أن يكون الحديث غير صحيح وبذلك يحتمل أن يكون رأى مؤرخى الفرنجة صحيحا .

غير أنا نحب أن ندلى برأى يخالف هذين الرأيين وقد يكون أقرب منهما إلى الحقيقة : وذلك أن كلة الفسطاط كلة عربية معناها المدينة ، فإننا إذا رجعنا إلى قاموس المحيط وجدنا أن « الفسطاط » بالضم « مجتمع أهل الكورة » ووجدنا أن الكورة هى « الصقع أو المدينة » وبذلك تكون الفسطاط هى مجتمع أهل المدينة .

ويقول ابن قتيبة تعقيبا على الحديث السالف الذكر « والفسطاط المدينة »[3] . وينقل عنه المقريزى أيضا فى الخطط

---

(١) زيادة فى الايضاح انظر St. Lane - Poole ، Ahistory of Ehypt in the middle Ages, P. 3, London, 192.

(١) يذكر هذه القصة بالتفصيل مؤرخو العرب جميعاً ؛ انظر مثلا : المقريزى . المرجع السابق ص ٧٦ ، وابن دقاق المرجع السابق ص ٢ ، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ابريل سنة ١٨٤١ ، ج ٢ ص ٣٥٤ ، وأبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٦٤ — ٦٥ ، القاهرة سنة ١٩٢٩ ... الخ غير أنه يتضح بعد مناقشتها أنها من وضع هؤلاء المؤرخين كغيرها من القصص التى تنسب لعهد الفتح وخاصة قصة الفتاة التى كانت تقدم ضحية ليفيض النيل والخطاب الذى أرسله عمر ليلقى بدلا من الفتاة .

(٢) انظر أيضاً ياقوت ، معجم البلدن .

(٣) ابن دقاق ، الانتصار ج ٤ ص ٢ .

ما يلى : « قال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط » ، ويقول المقريزى بعد هذا : « وأخبرنى أبو حاتم الأصمعى أنه قال حدثنى رجل من بنى تميم ، قال قرأت فى كتاب رجل من قريش : هذا ما اشترى فلان بن فلان من عجلان مولى زياد اشترى منه خمسمائة جريب حيال الفسطاط يريد البصرة »[١] ويشبه هذه الرواية الأخيرة ويؤيدها قول ابن الفقيه : « وإنما سميت البصرة فسطاطا على التشبيه بفسطاط مصر »[٢] ، وقريب من هذا المعنى قول المقدسى : الفسطاط هو مصر فى كل قول »[٣]

فالراجح عقلا بعد ذكر هذه الآراء جميعا أن كلمة « فسطاط » كلمة عربية خالصة معناها « المدينة » .

وخلاصة القول الذى نريد أن نذهب إليه أن العرب اختاروا هذا المكان اختياراً للأسباب السابق ذكرها وأنهم سموه « الفسطاط » أى « المدينة » أو « مجتمع أهل المدينة » يقصدون بذلك المكان الذى يجتمعون فيه حول جامعهم وحول منزل قائدهم .

جمال الدين الشيال

(١) المقريزى ، المرجع السابق ج ٢ ص ٧٥ — ٧٦ .
(٢) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ص ٦٧ .
(٣) المقدسى ، المرجع السابق ص ١٩٧ .

عرب السودان والصحراء الشرقية

للأستاذ حسن أحمد حسين خليفة

كتب جماعة من المستشرقين وبعض الكتاب كتابة خاطئة عن أنساب بعض عرب السودان والصحراء الشرقية ، فجاء فى محاضرة دخول العرب للسودان التى ألقيت فى الجمعية الجغرافية الأسيوية منذ سنوات قليلة ما ملخصه : « إن معظم سكان الجزء الشمالى من السودان على ضفاف النيل يدعون أن نسبهم يتصل ببنى العباس ، غير أن هذا محض ادعاء لم تثبت حقيقته بعد »

وزعم نعوم بك شقير صاحب كتاب « تاريخ السودان » : « إن انتساب عرب السودان للأصول التى ينتمون إليها ، لا ثبت له عندهم إلا ما حفظوه أو لفقوه من القصص الخرافية » .

ونسب المستشرق شوينفرث فى كتابه « طرق مصر المهجورة » العبابدة والشكرية وغيرهم من قبائل الصحراء الشرقية للبجة ؛ وقال : « إن العبابدة تعربت كثيراً والشكرية تعربت »

ونسب البستانى صاحب دائرة المعارف ، والمستشرق بروس العبابدة للبجة ، وزاد نعوم بك شقير على ذلك بقوله : إن فى تقاليد العبابدة أنهم قوم الزبير بن العوام ، ولعل قوم الزبير اختلطوا بهم فكانوا رؤوسهم . وإلى هنا نكتفى بهذا القدر من مزاعمهم ونرد عليها : بأن من الثابت فى التاريخ أن فريقاً من بنى العباس هاجروا من الديار المصرية إلى السودان فى القرن الثامن الميلادى[١]

وإذا كان من صفات عرب شمال وشرق السودان والصحراء الشرقية تلفيق الأنساب ، فإن فيهم الجباب[٢] من نسل أبى لهب واليزيديين[٣] من نسل اليزيد ، فكان أحرى بهؤلاء أن يلفقوا لهم نسباً غير نسبهم

أما تلك القبائل التى نسبوها للبجة ، فهى قبائل عربية صميمة فالعبابدة فى الأصل فرع من الكواهلة بنى محمد الكاهل بن عبد الله المكنى بأبى بكر بن حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى . ويحدثنا الرحالة ابن بطوطة فى كتابه « تحفة النظار وعجائب الأمصار » أنه رأى فى نحو سنة ٧٥٧ هـ حياً من العرب بصحراء عيذاب (عتباى) على بعد يومين من رأس دواير يعرفون بأولاد كاهل مختلطين بالبجاة عارفين بلسانهم ا ه

وإن كاهلا الذى أشار إليه ابن بطوطة هو محمد الملقب بكاهل الذى يرجع إليه العبابدة وقبائل أخرى فى نسبهم .

وجاء فى كتاب « صبح الأعشى » للقلقشندى ، و« البيان والإعراب » للمقريزى من مؤرخى القرن التاسع الهجرى ما ملخصه : « إن السيدة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن أبى طالب التى أمها السيدة أم كلثوم بنت السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب هى أم يحيى وأبى بكر بنى حمزة بن عبد الله بن

(١) كتاب قبائل العرب فى مصر للأستاذ أحمد لطفى السيد .
(٢) المقصود بهم قبيلة الجباب التى تقيم فى جهات طوكر وعقيق وعدوبنة ورأس كسار وقارورة وأرتاريا .
(٣) المقصود بهم اليزيديون من بنى اليزيد بن معاوية وهم جماعة متفرقة فى بعض بلاد الرباطاب والجعليين .

الزبير بن العوام وأم ابراهيم بن طلحة الجود ، وإن السيدة زينب ولدت لعبد الله بن جعفر أولاداً عرفوا بالزبانية هم جعافرة الصعيد ، ومن هذه الأخوة كانت بنوطلحة وبنوالزبير والجعافرة يداً واحدة فى صعيد مصر » . وها أنت ترى اليوم فى القرن الرابع عشر الهجرى العبابدة بنى عبدالله المكنى بأبى بكرالزبيرى يقيم أكثرهم مع الجعافرة فى صعيد مصر بمديريتى أسوان وقنا ، ومختلطين معهم فى جميع سبل الحياة كما كانوا فى القرن التاسع الهجرى

أما ذلك الحى من أولاد كاهل الذى رآه ابن بطوطة فى رحلته بالصحراء الشرقية ، فيلوح لنا أنه رحل من صعيد مصر إلى تلك الصحراء عند تفرق العرب عقب حوادث سنة ٦٥١ هـ التى حصلت بين حصن الدولة الجعفرى زعيم العرب بالقطر المصرى ، والملك المعز ايبك أول ملوك دولة المماليك البحرية كما تراه مفصلا فى كتاب السلوك للمقريزى

ورب قائل يقول : إن بعض مؤرخى القرن التاسع الهجرى بينوا فى مؤلفاتهم أسماء القبائل العربية وأماكنها بالديار المصرية فى عصرهم ولم يذكروا العبابدة . فجوابنا على ذلك هو أنهم لم يشتهروا باسمهم الحالى إذ ذاك[1] ؛ وقد اشتهروا به فى القرون الأخيرة كما اشتهر فى القطر المصرى والسودان وغيرهما من الأقطار عدة قبائل عربية بأسماء غير التى كانت تعرف بها أصولها فى القرن التاسع الهجرى وما قبله من القرون ، ومن المعلوم أنه كلما مر الزمن كثرت القبائل وتعددت أسماؤها

والشكرية عرب من خيار العرب ، وهم من آل شكر بن إدريس ، ويتصل نسبهم بالسيد عبد الله الجواد ، كما جاء فى نسخة خطية منسوبة للامام السمرقندى

ومن المعلوم أن كثيراً من العرب الذين ينتمون إلى تلك الأصول التى ينتمى إليها عرب السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة أتوا إلى القطر المصرى عند الفتح الإسلامى وفيما بعده من العصور ، وإن الكثير منهم هاجر إلى الصحراء الشرقية وبلاد النوبة والسودان ، وخصوصاً فى زمن حكم المماليك الذين أذلوا العرب واضطهدوهم فى الديار المصرية

وإن عرب السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة يحفظون أنسابهم التى توارثوها عن أسلافهم . وقد جاء فى القول المأثور : « إن الناس مصدقون فى أنسابهم » . وهذا مما يكفى لهم ، وعلاوة على ذلك فإنهم يتكلمون باللغة العربية إلا بعض قبائل فى الصحراء الشرقية ، وبلاد النوبة تعد على أصابع اليد ، اتخذت البجاوية أو النوبية لغة لها بحكم البيئة التى وجدت فيها

ومما نأسف له أن بعض كتاب مصر النابهين ممن ظهروا أخيراً وهم أحق بمعرفة السودان وسا كنيه من أولئك المستشرقين وغيرهم كتبوا عن أنساب قبائل السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة متأثرين بأقوال المستشرقين والسوريين الخاطئة ، لا كتابة من يعرف سكان تلك الجهات معرفة درس وتمحيص أعمق وأصح من الأساطير والمعلومات المتناثرة التى وضعها المستشرقون وكتاب سوريا ، وهى أقوال لا تستند إلى أى ثبت وإقامة تلك القبائل فى إقليم كان يسكنه فى القرون السحيقة أقوام ليسوا من العرب ، وإليك نبذاً من أقوال بعض كتاب مصر فى هذا الموضوع :

قال على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية : « يظن أن عرب العبابدة من البجة » . وقال الأستاذ البتنونى فى كتاب « الرحلة الحجازية ما ملخصه : « يقال إن البهجة من عرب البربر ومنهم العشاباب ، وهم فخذ من العبابدة ، ويقيم أناس من العشاباب فى اللقيطة بين قفط والقصير » . وقال الدكتور مأمون عبد السلام فى مقالة نشرتها له جريدة الأهرام فى سنة ١٩٣٩ م ما ملخصه : « إن جغرافيي العرب وصفوا الصحراء الشرقية وتكلموا عن سكانها من البجاة ، وهم البشاريون وأقرباؤهم العبابدة ، فذكرهم المسعودى وابن الأثير والمقريزى » ا ه

وأقوالهم هذه لا صحة لها ، فالظن ليس حجة ، وإن عبابدة عرب البربر هم فخذ من قبيلة هواره ، وقد ذكرهم القلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى » ، ويقيمون فى الوجه البحرى بالديار المصرية ، ولا تربطهم أى صلة نسب بالعبابدة بنى الزبير ممن يقيمون بصعيد مصر والصحراء الشرقية والسودان . وإن جغرافيي العرب الذين أشار إليهم الدكتور مأمون عبد السلام لم يذكروا البشاريين والعبابدة بين قبائل البجة التى ونحوها فى مؤلفاتهم التى اطلعنا عليها

---

(١) اشتهروا أخيرا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم عباد الصغير الذى يتصل نسبه بالزبير بن العوام فى الجد الرابع عشر .

ومما لا شك فيه أن هناك من تعرب من سكان السودان والصحراء الشرقية وبلاد النوبة القدماء ، واندمج اندماجاً كلياً فى العرب ، وأنه تجرى فى عرب هذه الجهات حفنة من دم غير عربى ، لأنه من عادة العرب أن يتزوجوا من أهل البلاد التى يحلون فيها ويتسرون ، وهذا لا يؤثر فى عروبتهم ، لأنه من عاداتهم أيضاً أن لا يزوجوا بناتهم لغير بنى جلدتهم ، مع أن سكان الأقطار الأخرى لا يتمسكون بهذه العادة ، وليس عرب السودان وحدهم الذين تجرى فى عروقهم حفنة من دم أجنبى ، فإن عرب الأقطار الأخرى هم بالمثل تجرى فى عروقهم دماء غير عربية ، وقل أن يوجد الآن على وجه الأرض أمة لم تختلط أصولها ، إذ لا جدال فى أن شعوباً غير عربية وجدت أومرت بسوريا وفلسطين والعراق واليمن ووادى النيل فى القرون الخالية ، ولكن بمرور الزمن صهرت بقاياهم فى بوتقة العروبة ، وذابت فى الأمة العربية الحديثة ، وهذا لا يضيرهم فى عروبتهم ، فإن كل من كان لسانه عربياً فهو عربى وقد منح الإسلام الجنسية العربية لكل من تكلم بالعربية ، فقد روى الحافظ ابن عساكر قال : جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى فقال : الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل (يعنى أنهم نصروا النبى لأنهم قومه) . فما بال هذا وهذا ؟ ... فسمع النبى صلى الله عليه وسلم بمقالته ، فقام مغضباً يجر رداءه حتى أتى المسجد ، ثم نودى الصلاة جامعة (فاجتمع الناس) . وقال محمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ، إن الرب واحد ، والدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية ، فهو عربى »

أما قبائل البجة التى ذكرها جغرافيو العرب كالمسعودى والمقريزى وغيرهم فهى :

البازه والباريه والخاسه والحدارب[1] والزنافج .

وإن منطقتهم كانت تمتد قديماً فى شرق أفريقيا من صحراء قوص بالقطر المصرى إلى بلاد الحبشة ، وعاصمتهم كانت مدينة هجر[2] ، وفى وقتنا الحاضر يقيمون فى القسم الجنوبى من تلك المنطقة

ومما جمعناه من المعلومات الصحيحة فى مدة إقامتنا عدة سنوات بالسودان الشرقى وجبال بنى عامر ، إنه لما كثر العرب من بنى الزبير بن العوام بصحراء مصر الشرقية فى القرون المتأخرة وقويت شوكتهم وكثرت أنعامهم ، ضايقوا البجة فى أماكنهم بتلك الصحراء[1] بسبب شح الأمطار وقلة المراعى التى لا تكفى هناك لسائمتهم جميعاً ، فاضطرت البجة تحت ضغطهم للرحيل إلى الجنوب شيئاً فشيئاً ، وأقامت فى الجبال التى حول سواكن ، وبعد ذلك حاربها الهدندوة وقتل رئيسها أحمد باركوين : شكتيل ملك البجة ، وهو من قبيلة بلى العربية ، إذ كانت رئاسة البجة لبلى وتسميهم البجة بلويب ، ويقال لهم حدارب ، وإن وجود بلى فى الصحراء الشرقية يرجع إلى زمن بعيد ، فإن التاريخ يحدثنا أن قبيلة بلى كانت تقيم فى شمال منطقة البجة على عهد ظهور النصرانية بالقطر المصرى ، حيث يقيم الآن بعض عرب العبابدة ، وتدل القرائن التاريخية أن بلى هى أول قبيلة عربية خالطت البجة ، لأنك إذا سألت البجاوى : هل تعرف العربية أجابك (بلويه كاكا) أى لا أعرف لغة بلى ، وكان الحدارب يتولون التجارة بين السودان الشرقى والحجاز واليمن ، فزاحمتهم قبيلة الارتيقة[2] فى التجارة ورئاسة القوافل ، وانتزعتهما منهم فى الخمسة قرون الأخيرة ، وأصبح اسم حدربى خاصاً بالارتيقة .

ولما قتل شكتيل ملك البجة السالف ذكره دفن فى شمال مدينة سنكات بالجبل المسمى باسمه ، وعلى أثر ذلك رحلت البجة من الجبال التى حول سواكن ، وأقامت مع بقية البجة فى المنطقة من عند مدينة طوكر شرقاً ، حتى قرية الشيخ الإمام بديار الحبشة غرباً . وجبل هجر ونهر عنصبا (عين سبأ) بارتريا جنوباً . وشمالا بخور بركه الذى يروى أراضى طوكر

وإن قبائل البجة التى تقيم الآن فى السودان المصرى الإنجليزى هى :

اللبت والكربكناب والسنكاتكنات[3] ، وفريق من الخاسه

(١) الحدارب : هم صفوة القوم

(٢) هجر : جبل شاهق جداً فيه كهوف ومغاور لا تحصى ، وهو على مسيرة يومين من مدينة « كرن بارتريا »

(١) قسم الشمالى من منطقة البجة .

(٢) وهم من الحضارم الذين هاجروا إلى السودان عن طريق البحر الأحمر .

(٣) وهم الذين كانوا يسمون قديماً بالزنافج .

هـــذا العالم المتغير

كثرة الأكل قد تسبب السرطان

للأستاذ فوزى الشتوى

منذ ٣٠٠٠ عام :

يفتك مرض السرطان بستين فى المائة من ضحاياه فى أرقى الأمم التى تهتم بعلاجه ودراسته . أما فى مصر فلا يعرف عدد المصابين به إلا الله . فإن لم يكن الطبيب على شىء من البراعة فربما اعتبره نوعاً من الأورام. تستطيع أن تتعقب المرض إلى ٣٠٠٠ سنة ، ومع ذلك فما يقال عنه ضرب من الفروض والتخمينات ، برغم مايبذل من المال لدراسته ، وبرغم الإخصائيين الذين وقفوا حياتهم وخبرتهم لكشف سره

فإن أردت أن تعرف مدى سبر غور العلم لطلاسمه ، فلست أجد أوفق مما كتب الدكتور هارولد رش مدير معهد أبحاث السرطان فى إحدى كليات الطب بأمريكا حين قال : « ليس لدينا علاج محقق للسرطان . وليس فى جعبتنا وحى يفكر فى تنفيذه . وإن كنا نتوق إلى ما يضىء لنا الطريق ، وكل عملنا يتجه إلى دراسة المظاهر الأساسية والعوامل التى يحتمل أن تغير مجراه »

« ومع هذا فقد ظفر بتقدم واسع شامل ، فعرفنا عدة وسائل لإحداث السرطان فى العمل فى أى وقت نشاء ، وعرفنا أيضاً بعض التحولات التى تطرأ على أنسجة الجسم العادية حين تصاب بالسرطان »

يبدأ كرأس الدبوس

وليس معنى هذا أن الطب يقف أمامه مكتوف اليدين ، فأربعين فى المائة من مرضاه تعالج بالعمليات الجراحية وبأشعة إكس وبالراديوم وبغير هذه العلاجات يقضى بالموت على كل المصابين به ؛ فهو ذلك المرض الغريب الذى يبدأ بورم صغير كرأس الدبوس . ثم ينمو

ويتبعون فى وقتنا الحاضر لنظارة بنى عامر . ويوجد من بقايا البجة أقليات فى قبائل عرب البشاريين والأمرار والهدندوة والحباب ، وهم معروفون لتلك القبائل

ويتكلم عرب البشاريين (١) والأمرآر (٢) والهـدندوة (٣) والحلنقة (٤) بلغة البجة (٥) بتأثير البيئة ، لأنه لما نزل فى إقليم البجة العرب الذين تكونت منهم تلك القبائل ، اضطرت بحكم الجوار والإقامة بين البجة لمخالطتها فى جميع سبل الحياة ، وزد على ذلك أنهم كانوا يتزوجون من البجة فينشأ أولادهم وبناتهم على لغة أمهاتهم ، فتغلبت البجاوية مع مرور الزمن على العربية كما تغلبت اللغة النوبية على العرب والترك الذين أقاموا بجهات دنقلة وشمالها . وتتكلم قبيلتى بنى عامر (١) والحباب (٢) بلغة يسمونها الخاساويه . وهى خليط من لغة التفرى الحبشية واللغة العربية . ولم يبق لهذه القبائل العربية الأصل ما تختلف فيه عن قبائل البجة إلا العادات ، ولذلك يحسبهم بعض المستشرقين والكتاب بجاة لتكلمهم بلغة البجة وإقامتهم فى إقليمهم . وهذا خطأ لا يتنبه إليه إلا من يتصل بهم ويجتمع بمن له معرفة منهم بحوادث قبيلته التاريخية ولا تخلو قبيلة من هؤلاء .

ولا يفوتنا أننا لم ندل بمعلوماتنا هذه إلا إظهاراً للحقيقة ، فالناس كلهم سواء ، وإن التفضيل بينهم بالفضل والتقديم بالفعل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

(بربر بالسودان) حسين أحمد حسين خليفة العبادى

(١) يرجع نسب قبيلة البشاريين إلى محمد بن وراق من نسل مصعب بن الزبير بن العوام .

(٢) يرجع نسب قبيلة الأمرآر إلى محمد بن وراق من نسل مصعب بن الزبير بن العوام ويرجع نسب بعضهم إلى العبدلاب الفواسمة .

(٣) يرجع نسب قبيلة الهدندوة إلى بنى العباس وأبى بكر الصديق والتكارنة .

(٤) ويرجع نسب قبيلة الحلنقة إلى قبيلة هوازن .

(٥) من القبائل العربية التى أثرت فيها البيئة وأصبحت تتكلم بلغة البجة قبيلة الأرتيقة وهم من عرب حضرموت . وقبيلة الكميلاب وهم من بنى مصعب بن الزبير . وقبيلة الدقنى وهم من بنى العباس وبعض الأشراف الذين يقيمون فى شرق السودان والصحراء الشرقية

(١) يرجع نسب قبيلة بنى عامر إلى الجعليين وأبى بكر الصديق وهذه القبيلة تضم الكثير من البجة .

(٢) يرجع نسب قبيلة الحباب إلى أبى لهب

ويتشعب وينتشر حتى يفسد الجسم كله . ويتفق الأطباء والجراحون على أنه كلما بكر المريض بعلاجه كان النجاح أكثر ضماناً

أما سر التبكير فى العلاج فيرجع غالباً إلى طبيعة المرض الذى يتكون من خلايا حية تختلف عن الخلايا العادية فى أنها حرة طليقة لا يحد من نموها أى ضغط . وعندما توجد خلية سرطان فى جسم الإنسان أو الحيوان فإنها تنقسم وتتوالد فى سرعة فائقة لا تحدها أية عقبة . فإن كثر عدد الخلايا وكبر حجمها انقسمت وسبحت شظاياها فى جسم العائل لتكون كل منها مستعمرتها الخاصة ، وعندئذ يتعذر على الطبيب إجراء العلاج

فما هى الخلية السرطانية ؟

سؤال يعز على العلم الجواب عنه ، وكل ما يقول إنها أصغر من أن يراها المجهر . ويواصل العلم جهوده ليعرف هذه النكبة التى لا يراها المجهر ، وليدرك كيف تتكون فى الجسم

وتنقسم دراسة السرطان فى إحدى الهيئات التى وقفت جهودها ومالها على إزاحة الغطاء عنه إلى ثلاث شعب :

أولا : تأثير الغذاء على السرطان فى نموه أو عرقلته

وثانياً : تأثير التهيج المزمن على تكوين السرطان

ثالثاً : خواص الخلية السرطانية

وفى عام ١٩٤٠ بدأ العلماء يدرسون الصلة بين التغذية وتكوين الخلايا السرطانية على الفيران ، فلاحظوا ظهور أورامها فى حالات كثيرة فى الفيران التى يحتوى غذاؤها على نسبة كبيرة من الدهن

ولكى يحددوا بالضبط تأثير التغذية على قابلية الفيران للاصابة بالمرض أحضر العلماء بضع مئات من الفيران وقسموها إلى فريقين فيعطى الفريق الأول غذاء يولد نسبة مرتفعة من الوحدات الحرارية (يتحول كل غذاء يتناوله الكائن الحى إلى وحدات حرارية هى فى الواقع الوقود الذى يسير أجهزته وتختلف القيمة الحرارية باختلاف ألوان الطعام)

حذار التهيج :

ويعطى الفريق الثانى وجبات غذائية مماثلة لوجبات النوع الأول ، ولكن كميتها الحرارية تبلغ ثلثى وجبات الفريق الأول . وكان الفريقان يعرضان للأشعة فوق البنفسجية للاسراع فى تكوين الخلايا السرطانية وتحديد مؤثراتها

وبعد تسعة شهور من التجارب أجرى الكشف الطبى على الفيران ، فوجدت الأورام السرطانية منتشرة فى الفريق الأول بنسبة ٨٦٪ ووجدت فى الفريق الثانى بنسبة ٧٪ فقط

ويقول الدكتور روش إن هذه النتيجة تتفق مع أبحاث الهيئات الأخرى ، إذ ظهرت الإصابات السرطانية فى صدر الفيران التى تتغذى بكميات مطلقة بنسبة ٦٧٪ ، ولكنها لم تظهر بتاتاً فى الفيران المحدودة الوحدات الحرارية فى الغذاء .

ويعلل هذه النتيجة بقوله : « عند ما يحتفظ الجسم بمستوى مرتفع من الغذاء ، فإنه يتيح الفرصة للخلايا السرطانية المكامنة لكى تظهر وتنمو ، بخلاف حالات قلة الغذاء التى تعد غير مناسبة لبدء حالة التورم السرطانى ولا تعطيها الفرصة لكى تبدأ عملها ، وبمجرد ظهور الخلايا السرطانية وبدئها عملها ، فإن قلة الغذاء أو كثرته تكون عديمة القيمة ولا تحد من نشاطها وتكاثرها » .

ولا يدل نجاح هذه التجارب على الفيران أنها ستؤدى إلى ذات النتيجة فى الإنسان ، ولكن الدكتور روش يرى ما يؤيد هذه النظرية فى ارتفاع نسبة إصابة الإنسان بالسرطان فى المناطق الوافرة التغذية وبين الأشخاص الثقيلى الوزن والأكولين

تأثير الفيتامينات

وتجرى الآن التجارب لمعرفة تأثير الفيتامينات من حيث القلة والكثرة على الخلايا السرطانية . كما يجرون تجارب التهيج المزمن ، ويفحصون تأثيره على ظهور عوارض هذا المرض . والمعروف أنه توجد علاقة بين تكوين الخلايا السرطانية وبين التهيج

ودلت التجارب الأخيرة على أن التهيج لا يؤدى إلى إحداث السرطان إلا إذا حدث فى المناطق التى تحتوى على خلايا سرطانية كامنة

ويفهم من التجارب التى أجريت على السرطان أن عدة عوامل متباينة تلعب دورها فى نشوئه ، فالتهيج وحده لا يسببه ، ولكن هناك أفراد لديهم استعداد للاصابة به . وهو كامن فيهم سواء بالوراثة أو بعوامل أخرى لا تزال مجهولة ، والإكثار من الأكل عند أولئك الناس يعطى المرض فرصة الظهور

تثبيت المرض

والخلاصة التى وصل إليها الباحثون فى الكشف عن أسرار هذا المرض الخبيث أنه يحتاج إلى عدة عوامل متباينة متآزرة ، تعمل كلها فى وقت واحد ، فالتهيج يجب أن يصحبه الاستعداد للمرض . والتهيج يجب أن يحدث فى أجزاء بها خلايا كامنة ،

حلم قديم ...

للأستاذ سيد قطب

طاف بى مستطلعاً حلمى القديم
فتطلعت إليه فى وجوم
قلت : من أنت ؟ فأغضى خجلا
قال لى : حلمك فى العهد الوسيم !

قلت : يا حلمُ . متى عهدىَ ذاك ؟
منذُ كمْ يا حلمُ قلو طافت رؤاك
قَال : لم يبعُدْ بأطيافى المدى
قلت : ما أبعد ما مرّت خطاك

شدّ يا حلمى ما قد حالَ حتى ؟
شدّ يا حلمى ما أنكرت نفسى !
أترى ذاك الذى تعرفه ؟
قال : ما تبصر عينى غير رمس !

ومضى عنى فى يأسٍ عقيم
سادرَ الخطوة فى الأرض يهيم
قلت : يا حلمىَ تمضى مفرداً
ليس فى الرَّمْسِ سوى قلب رميم !

وبغير هذا التعقيد فإن هذا المرض كان جديراً بأن يبيد العالم كله منذ زمن بعيد .

ونجح العلماء أيضاً فى الوصول إلى علاج لسرطان الجلد ، إذ وفق الدكتورموهز إلى ربط العلاج الكيميائى بالجراحة ، فأمكنه أن يثبت المرض فى بقعته فلا يزوغ من بين يدى الجراح عند ما يحاول إزالته بمشرطه كما هى العادة ، فالسرطان من الأمراض التى يعز على الأطباء حصرها لكثرة حركته

وخير نصيحة يوجهها الدكتور روش إلى الناس ليتقوا هذا المرض الخبيث المجهول الأصل والنشأة : « أن نكون سليمى البنية ، نقتصر على طعامنا الضرورى ، مبتعدين عن التهيج ، على أن لا ننسى فحص أجسامنا فحصاً تاماً فى كل فترة

فوزى الشتوى

أطياف ... !

الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

« لا تفتأ هذه الأطياف تخادع أوهام الشاعر فترده إلى الماضى البعيد يحلم ؟ ويأمل ؟.. ولكن هيهات ؟ ؟ »

حالمٌ بالمنى ؛ تُراه يُفيقُ ... ويحه لفّه سُبات عميق ؟!
غفوةُ الحلم ، يقظة الأمس ولّى ... موعداً يُرتجى، وذكرى تشوق
طالَ فى ظلمة من الشكّ نوى ... فتى يمسحُ الظلامَ الشروق

أشرق تُشرق الحياة ، وتصفو ... ن دُجاها ويستبينُ الطريق
أنا أشتاق ومض عينيك تسرى ... فى دجى صَيْحةٌ لهُ وخفوق
أين همسُ الجفون وهى غواف ... طالما هزّنى بهنّ بريق ؟
أين مِنى الحديثُ نجوى شفاهٍ ... تتلظّى كما تلظّى الحريق ؟
أين منى التفاتةٌ ، من معانى العُجْب فيها ، معنى كريم عريق !
أين منى انثناءةٌ نبهر العين ؛ وفى الغصن سرُّها مرموق
أين أيامُكِ التى قد تولّتْ ... بمعانٍ من الحياةِ تروق ؟

لا تظُنّى الأيامَ تمضى بعهدى ... ستطولُ الأيامُ ، وهو وثيق
كلما مرّت الليالى عليه ... كانَ كالخمر زانها التعتيق

أشرق تُشرق الحياةُ ، وتصفو ... من دُجاها ؛ ويستبين الطريق
فرغَتْ كأسِى التى ملأتْها ... فرحةُ الأمس هل لديك رحيق؟!
بين عينيكِ خمرتى ؛ فأطلّى ... أين منى صبوحُها والغبوق (١)
ذبلتْ جنتى ، وأضحتْ صحارى ... غاضَ نَبْعى بها وجفَّ الوريق
فاخطُرى بينها ترفّ زُهوراً ... فى رُباهنّ جدْولٌ مدفوقُ

صمتَ الطائرُ المغرّدُ بالأمس (م) فأين الغناء والتحليق
أطلقيه فى الروض بين الأقاحى ... هو بالرّوض والزّهور خليق
لا تنحّيه عن زهورك هذى ... مسّهُ للزّهور مسٌّ رفيق
وإذا شِئتِ فاسمعيه يُغنّى ... إنه ذلك المغنى المشوق

(١) كناية عن حظوة اللقاء صبحاً ومساء .



جواب (الرسالة) عن الرسالة :

في عددنا الماضي نشرنا (الرسالة) التي تفضل بتبليغها صديقنا الأستاذ العقاد عن بعض إخواننا الأدباء في فلسطين ؛ وهم — كما علمتَ — يعتبون على (الرسالة) أنها تضن على قصائدهم وفصولهم بالنشر والتنويه . ومثل هذا العتب طالما تردد على بعض الأفواه في سائر البلاد العربية ، وفي مصر نفسها ؛ فالرسالة هناك متهمة بإيثار مصر ، وهي هنا متهمة بالإيثار على مصر . وفي التهمتين — علم الله — مباينة لوجه الحق ، ومماراة في حقيقة الواقع . ولعل الذين يتولون كبرها من الأدباء هم الذين لم تسعد (الرسالة) بتسجيل آثارهم لأسباب ليس منها الصلة الشخصية ولا الأثرة الإقليمية على أي حال

ولقد كان بحسْب (الرسالة) في الاحتجاج لنفسها أن ترجو المتهمين أن يفتحوا عيونهم على مجلداتها العشرين ليروا أسماء كتاب العرب في جميع بلاد العرب مسجلة بالحق فهارسها الحافلة ؛ ولكن عاتب فلسطين الفاضل لا يريد أن يرى إلا اسمه ؛ فإذا رأى أسماء : النشاشيبي وطوقان وحمدان ورشدان ومخلص ، حسبها من أسماء الدلتا أو الصعيد ، وأكرِمْ بها لو كانت !

إن (الرسالة) بشهادة الواقع مجلة الأدب العربي في جميع أقطاره . لا تؤثر قائلا على قائل إلا لإجادته ، ولا تنشر مقالا دون مقال إلا لجودته . لها مستوى لا تنزل عنه ، ومقياس لا تتسامح فيه . وهي لذلك لا تؤمن بتشجيع الضعيف ، ولا تقول بمجاملة القوي . وفي سبيل هذا المبدأ السليم القويم تعرضت لمكاره الحق ، من جفاء الكريم وسفه اللئيم وصلف المغتر . و(الرسالة) بعد ذلك تشهد الله وتقسم به أنها في مدى حياتها الصحفية لم تغفل أدباً يستأهل النشر ، ولا أديباً يستحق التنويه .

من قصص مجا للأطفال

٢ – نشيد النوم

[للأستاذ كامل كيلاني]

« صفحة مختارة من المخطوط الجُحَوِيّ النفيس الذي عثرت عليه ، ولعله مكتوب بخط صاحبه « أبي الغُصْن عبد الله دُجَيْن بن ثابت » الملقب بجحا أو بخط أحد معاصريه :

***

« ... اعتذر « دُجَيْنُ بن ثابتٍ » لضيفه « أبي شَمَعْشَعٍ » عن حقارة البيت الذي ضيَّفه فيه ، ولكن « أبا شمشع » قال له : « إن القليل الذي يبذله الفقير خير من الكثير الذي يبذله الغني . لأن الأول يجود بما يحتاج إليه ولا يستغني عنه ، على حين يجود الآخر بما لا يحس فقدانه ، ولا يبالي ضياعه » .

وما زال « دجين » وصاحبه يسمران حتى قضيا من الليل أكثره ، ثم بسط النَّوْمُ على المدينة جناحيه الكبيرين ، فاستسلما للرقاد هانئَين ، وقد أنسَتهُما لذةُ الكرَى ما مرَّ بهما من أحداث الزمن ومصائبه ، ومدهشات الدهر وعجائبه .

***

وأعدت « رَبابة » حُزَماً من قش الذرة لينام عليها صاحب الدار وضيفه الذي اشتعل رأسه شيباً فأكسبه ذلك مهابة وجلالا . ثم أقامت لولديها « جَحْوانَ » و « جُحَيَّةَ » أرجوحة جيء بها من بلاد الهند ، كانا يستعملانها في أسفارهما ورحلاتهما ، فأسرع الطفلان إليها ليناما فيها .

ولو رأيتهما لخيل إليك لوفرة نشاطهما وصغر جسميهما ، أنك ترى قردين صغيرين وقد اشتبكت أذرعهما ليندمجا في الأرجوحة الصغيرة حتى تتسع لنومهما .

واستأذنت « زبيدة » جارتها في الذهاب إلى بيتها . ثم جلست « رَبابة » على خشبة صغيرة أمام الأرجوحة وظلت تهزها في رفق وانتظام ، وتغني طفليها بصوت يفيض حناناً وحباً :

ناما — حبيبيَّ — ناما واستقبلا الأحلاما
نورا وحُسْنا ورَوْضا مُعَطَّراً بساما

تخايلَ الوردُ مُعْجَبا وفتَّح الأكماما
والطير أنشد لحنا فأبدع الأنغاما

* * *

ناما هنيئاً ، وقوما متى إذا الطير قاما
عيشا بأسعد عيش رَغَادَةً[1] وسلاما
سنين عشراً ، وزيدا عاما ، وتسعين عاماً
ونصف عام ، وشهراً ونصف شهر تماما
وبعده أسبوع نزيده أياماً
وساعة من نهار تسر قوماً كراماً
تتلو دقائق عشرا هناءة وابتساما
زادت ثوانيَ خمساً فاغتنماها اغتناما
وأتبعاها ثلاثاً ثوالثاً ، ثم ناما

وعلى هذه الأغنية الجميلة نام الطفلان ، ثم نامت « رَبابة » على أثرهما ، ونام كل من في الدار .

عبد الله جحا
(وفق الأصل)
كامل كيلاني

رابطة الأدباء :

اجتمع أعضاء رابطة الأدباء وتم انتخاب الدكتور إبراهيم ناجي رئيساً ، والأساتذة : وديع فلسطين وكيلا ، وخليل جرجس خليل سكرتيراً عاماً ، ومصطفى محمد مصطفى أميناً للصندوق ، والدكتور محمد يسرى أحمد ، وسليمان نداعضوين فى مجلس الإدارة .

أما حضرات الأدباء الذين اتصلوا بالرئيس من قبل فينبغى أن يتوجهوا بطلبات الانضمام من جديد إلى سكرتير الرابطة ، ص : ب ٤٦١٠ القاهرة .

مجلة الكاتب المصرى

صدر العدد الشهرى الأول من مجلة (الكاتب المصرى) التى تصدر عن (دار الكاتب المصرى بالقاهرة) ، ويرأس تحريرها الدكتور طه حسين بك . والعدد متقن التحرير ، مونق الطبع ، متوسط الحجم ، يقع فى مائة وثمان وعشرين صفحة اشتملت على أربع عشرة مقالة لصفوة من أعيان الأدب نذكر منها : (الأدب العربى بين أمسه وغده) لصاحب العزة رئيس التحرير ، و(تكافؤ الفرصة) لصاحب السعادة نجيب الهلالى باشا ، و(الخلق فى الفن) للأستاذ توفيق الحكيم ، و(القنبلة الذرية وانعدام الذرة) للدكتور محمد محمود غالى ... فنرحب بالزميلة الكريمة ، ونرجو لها حسن التوفيق واطراد التقدم

مجلة السوادى :

رخصت وزارة الداخلية لزميلنا الكاتب المعروف الأستاذ محمد السوادى مدير شركة الصحافة المستقلة وناقد البلاغ البرلمانى بإصدار مجلة سياسية أسبوعية مصورة باسم (مجلة السوادى)

وقد قررت الشركة أن تبدأ بإصدار أول عدد من هذه المجلة فى صباح الإثنين ١٥ أكتوبر إن شاء الله وإصدار أختها (مجلة الخبر) بعد صدور الأولى بوقت قصير .

فى قصة « لؤلؤة الحب »

قرأت فى (الرسالة) قصة «لؤلؤة الحب» للكاتب الإنكليزى ه . ج ويلز ترجمة الأستاذ عيسى حليم ؛ فلفت نظرى أن فى ترجمة الجملة الأخيرة خطأ غير سياق القصة . فقد جاء فيها :

« وأخيراً ... تكلم مشيراً إلى « لؤلؤة الحب » وقال : اهدموها ! ... »

ويفهم من ذلك أن الأمير الهندى عجز عن بناء شىء يليق بعظمة التابوت المحتوى على رفاة زوجته . بينما الأصل وترجمته كما يلى :

« وأخيراً ... قال مشيراً إلى التابوت : أزيلوا هذا الشىء! »

ومعنى ذلك أن الأمير بعد أن مارس فن البناء وألم بجميع فروعه من هندسة وزخرف طوال السنوات العديدة التى تم فيها بناء « لؤلؤة الحب » ... طغى حبه للؤلؤة الحب على حبه لزوجته ورفاتها البالية ، ورأى أن بقاء التابوت وسط هذا البناء الفخم نشوز لا يقبله الذوق السليم ... وشتان ما بين النهايتين .

(الموصل) الدكتور عبد الهادى الفاعانى

تصويب :

وقع فى الفقرة الأخيرة من مقال العلامة النشاشيبى المنشور فى العدد الماضى خطآن مطبعيان نصححهما فيما يأتى :

الخطأ	الصواب
ولو بعثت (فلوبير)	ولو بعث
وحذق العربية لأضاف	ولو حذق العربية لأضاف

(١) رغادة العيش : طيبه واتساعه .

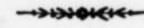


من الأدب القصصي الروسي

في الظلام ...

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي



السكون غارق فى السكون ... والفضاء العريض يموج فى رهبة ، وقد هجع كل حى إلى مضجعه يتقلب فى جنوبه ... والطير قابعة فى أوكارها تحتضن صغارها ... حتى من وُكلَ إليه الأمن قد سرت سنة من النوم إلى جفونه فراح يغط فى خفقة وسُبات .

ولف ظلام السحر كل شىء سوى غلس الصبح الوليد فى الشرق وهو يتجلبب بصفرة شاحبة ... وعلى حين فجأة ولجت ذبابة أنف « جاجن » مساعد المحصل ... لعلّ حب الاستطلاع أو نزق الطيش هو الذى دفعها إلى ذلك العمل ، أو لعلها الصدفة المحضة ...

بيد أن خياشيم الأنف ساءها ذلك الدخيل فانفكّت تعطس وتعطس ... فأفاق « جاجن » إبان هذه الموجة الحادة من العطس وقد بلغ من حدتها أنها كانت ترجّ الفراش رجاً عنيفاً ...

أما زوجة « جاجن » وتدعى « ماريا ميلوفا » — وهى امرأة مفاضةٌ فارعة حسناء الوجه — فهبّت فى هيئة وفزع ، وقلبت طرفها يضرب فى حلكة الظلام الدامسة ، وحملقت فينة ثم انطرحت على جانبها الآخر . ولم تلبث بعد فترة وجيزة أن عادت إلى ما كانت عليه ، وأرخت أهدابها عسى النوم يدبّ فى عينيها ثانية ... ولكن هيهات فقد سرى السهاد إليهما فلم يغمض لها جفن ...

نهضت من فراشها ، واحتذت نعليها وقامت إلى النافذة حيث تجول بصرها فى أكناف ذلك الليل البهيم ... وقد بدت فيه سامقات الشجر كأنها عمالقة من الشياطين ... وندّت عن « ماريا » صيحة فيها عجب وفيها فزع قطعت الصمت الذى شاع فى ثنايا الظلام . كانت تحملق أمامها وقد ثبت بصرها على شبح يتسلل فى رفق وحذر إلى صحن الدار ... فدار بخلدها أنه ربما كان جواداً نافراً ، ولكن مقلتيها ما لبث أن وضح لهما ذلك الشبح فإذا به رجل يتشح بالظلام . وأومض بعقلها أنه لص فى سبيل السرقة . فاكتسى وجهها شحوباً أضفاه عليه الذعر وصفرة الغلس ...

وفى لحظات نشط ذهنها يصوّر بيراع الخيال أوهاماً وأوهاماً . قوامها سيدة تعيش فى الريف ، ثم سارق يتلصص خفية إلى حجرة المطبخ ... ومن المطبخ إلى حجرة الطعام ... وتحت الأشياء الفضية من ملاعق وقواطع ... وبعدئذ إلى مخدع النوم وفى يده فأس حيث يعثر على الحلى والنقود ... ولم تلبث أن هوت ركبتاها ، وسرت رعدة من أم رأسها إلى أخمص قدميها ...

راحت تهزّ زوجها وتهتف فى هلع « ڤاسيا ... باسيل ... انهض ... آه يا إلهى لكأنه فارق الحياة ... استيقظ أيها الرجل باسيل أتوسل إليك ... انهض ... » فقبع مساعد المحصل فى فراشه ، وقال فى صوت شابه اضطراب فى قرارة نفسه « حسناً ! » .

— « بالله أفق ... هناك سارق تسلل إلى المطبخ ، لقد كنت قائمة عند النافذة ، عند ما لمحته يختفى فى نافذة المطبخ ... إنه بلا ريب سيجتازه إلى غرفة الطعام حيث الملاعق فى الصوان .. باسيل ! ألا تدرى أنهم هاجموا « ماڤرا يجروڤنا » فى العام الماضى ؟!»

— « هه ... ما الذى حدث ؟ ! » .

— « آه !.. يا للسماء . إنه لم يدرك بعد ما أنطق به ... انصت أيها الأبله ، هناك لص ولج نافذة المطبخ ، وسوف ينخلع فؤاد « بلاجا » فزعاً وفرقاً ... هذا مع أن الأشياء الفضية فى الصوان بغرفة الطعام ... » .

— « هذا حديث لَغَبٌ ؟.. » .

— « باسيل ... لا أطيق ذلك ... أخبرك بالخطر الجاثم ، وأنت تفحفح فى نومك غير ذى بال ؟ ! ما الذى ترجو من وراء ذلك ؟ ! أتشاء أن نجرّد من أموالنا وحاجياتنا ؟ » .

فثاب مساعد المحصل إلى نفسه وقام من فراشه يملأ صدره بنسيم السحر المنعش . ثم تثاءب فى تؤدة وَمَهَل ... وراح يتمتم :

— « ليس ثمت من يقف على سريرة تلك المخلوقات الضعيفة العجيبة ... النساء .

سوى الله !. أما بمقدورك أن تترك الإنسان يغمض جفنيه جنحاً من الليل لا تزالين تهزينه حتى يستيقظ ، فتطرق سمعه بهذا اللغو ! » .

— « ولـكن أقسم يا باسيل أنى لمحته وهو يداف إلى حجرة المطبخ ! » .

— « وما الذى يثير عجبك من ذلك ؟! إنه بلا شك الجندى الذى يعشق « بلاجا » وتعشقه ... ويسرى إليها على الدوام فى هزيع الليل ... » .

— « هه !.. ما الذى تفوه به ؟!. » .

— « ... إنه الجندى الذى يعشق « بلاجا » ... » فصاحت « ماريا ميلوفنا » فى زحير .

« علة أقبح من العذر ... إن التلصص أخف وطأة منها ... لست أرضى عن هذا الفاسق بدارى ... » .

— « عجباً ... إننا طهيرا الثوب عفيناه ... فما الذى يضيرنا من وجود هذين الفاسقين ؟! وماذا نفيد من تدويم هذه الـكلمات الجوفاء ؟ يا فتاتى إنها الحياة ... وهكذا جبل الخلق منذ فطر العالم وما هذا الجندى بملاك يعف عما درج عليه غيره ... » .

— « كلا يا باسيل ... فهذا ما لا يتفق وهواى ... إنى لا أكاد أتصور أن مثل هذا !. هذا !. يحدث فى عقر دارى ... ينبغى عليك أن تهم إلى المطبخ ، وتطرد هذا الفاسق شر طردة وفى الغداة سأنهى إلى « بلاجا » أنها ستفقد عملها إن هى عادت فسلـكت هذا السبيل الشائن ، وحين أغادرك إلى ظلمة القبر وأودّع الحياة ... فافعل ما يحلو لك ... ولـكن إياك أن تأتى ذلك ، وأنا على قيد الحياة ... باسيل ! أتوسل إليك أن تقوم إليهما ... » ، فقال « جاجن » فى تهيم وتذمر :

« عليك لعنة الله ... بالله تدرى بمنظارك النسائى الضعيف : ما الذى أفعله لهما ؟ ! » .

— « باسيل ! . إنى لأحس أن الإغماء يغشينى ... » .

فعجل « جاجن » بوضع قدميـه فى نعليه ... وراح يهمر لعنانه فى سبيله إلى المطبخ ...

وكان الظلام يطوى كل شىء تحت مطارفه السود ... فراح مساعد المحصل يتلمس طريقه فى حذر ... واتخذ وجهته نحو غرفة الأطفال ، وأيقظ الحاضنة قائلا فى نحيط :

« لقد أخذتِ معطفى لتنظيفه مما علق به !. فأين هو الآن يا « فاسيليا » ! » .

« لقد ناولته « لبلاجا » لتنظفه ... يا سيدى ! » .

— « يا للعبث ... أنت تأخذينه ثم تردينه !.. ماذا اطرح على جسدى الآن ؟ ! » .

* * *

وما كاد يصل إلى المطبخ حتى اتخذ سبيله إلى ركن قام فيه صندوق من الخشب رقدت عليه الطباخة « بلاجا » ... فقال وهو يتحسس كتفيها ، ويهزهما فى عنف « ... بلاجا !.. بلاجا !.. لا تدعى النوم أيتها الخبيثة الماكرة ... من الذى ولج غرفتك منذ برهة وجيزة ؟ ! » .

— « سى !. سى !. سيدى ! عم صباحاً : من الذى يجرؤ على ولوج غرفتى ؟ ! » .

— « آه ... دعينا من هـذا النفاق والإنكار فليس هناك مجال لتصديقهما . انهضى ... لقد أسرى ذلك الشرير إلى غرفتك ، وأنت راضية عن ذلك !. ألا تسمعين ؟ وليس هناك ما يدعوه إلى الحضور سوى أنت ! » .

— « هه !. سيدى ... أمَسَّتك لوثة من الشيطان ، فتقذفنى بهذا الهذيان ؟ !

رحماك يا رب ... أظننتنى بلهاء ساذجة ؟. أشقى هنا سحابة يومى ولا أركن للراحة ولو لحظة ... وتأتى فى هزيع الليل فتحدثنى هكذا !. ولا أتقاضى عن كدى وإخلاصى فى خدمتكم سوى أربع روبلات فى الشهر ... إنى لأرغب العيش عند تاجر من التجار على أن أقابل بمثل هذا الجحود والإهانة ! » .

— « انهضى !. انهضى .. لا سبيل إلى التنصّل بالشكوى والتذمر ... آه ... لابد أن يغادر عشيقك هذه الغرفة فوراً ..! أوعيتِ ما أقول ؟!. » .

فقالت « بلاجا » وقد هدجت من صوتها بوادر الدمع : « لابد أن هذا يخجلك يا سيدى !. أهكذا تفعلون معشر المتعلمين ؟ أتسمح لـكم أنفسكم أن تتهمونا وتقسوا علينا بدلا من أن ترفهوا عنا ، وتفرجوا عن أنفسنا ؟! نعم من السهل عليكم أن تهينونا ..

فليس هناك من ينبرى لنصرتنا ويقف إلى جانبنا » . وانفجرت الدموع من عينيها فراحت تنوح وتهنه ...

— « هيا ... انهضى ... فما يجوز على هذا الخداع ... لقد أرسلتنى سيدتك لأخبرك أنها رأت شريراً يدلف إلى غرفتك ! »

ولكن « بلاجا » راحت تديم نواحها ونشيجها ... فلم يجد « جاجن » بدا من أن يعترف من قرارة نفسه أنها مظلومة طاهرة وقد ألصق بها هذه التهمة الشنعاء إفكا وبهتاناً ...

وهمّ بالعودة إلى زوجته وهو يقول : « بلاجا ... لقد أخبرتنى « فاسيليا » أنها ناولتك معطفى لتنظيفه مما علق به فأين وضعتيه ؟! »

— « آه ... معذرة يا سيدى ... لقد غفلت عن وضعه على مقعدك ... إنه معلق هناك على المشجب القريب من الموقد ! » .

فطرحه « جاجن » على منكبيه ، ومضى فى هدوء إلى غرفة زوجه ...

* * *

أما « ماريا ميلوفنا » ، فلبثت تنتظر بعلها فى قلق وهى تهمس وتهجس :

— لقد مضى منذ حين ولم يؤب ! لعل ذلك الجندى الشرير لبط به الأرض ... لعل ... لعل ...

وعادت تصور بيراع الخيال صورة لزوجها ، وهو يمضى فى ظلام المطبخ ... ضربة على أم رأسه من فأس ... موت بلا نبس ، ودم يتدفق من جروح مثخنة ... وانقضت إثر ذلك خمس دقائق فى إثرها خمس ... ثم نصف ساعة ... وأخيراً ها هى ذى الساعة قد بلغت السادسة ودقاتها ترن فى جوف الليل البهيم فتزيده رهبة وجلالا ... فتبلبل جبينها بعرق بارد وهى غارقة فى فراشها ، وصاحت على غرة : « باسيل ... باسيل ... » فأجابها صوت زوجها على مقربة : « ما ذا دهاك ؟ ! لم تصرخين هكذا ؟ ها أنذا ... »

— أأصابك سوء ؟!

— سوء ؟ كلا ...

ومضى إلى حافة الفراش وهو يقول :

— « ليس هناك أحد على الإطلاق ! إنها أوهامك وقسوتك على هاته المخلوقات .. إن بلاجا لا تقل عنك عفافاً وصوناً ... كم أنت حمقاء ! . كم أنت ... » .

وراح ذلك السيل من السباب واللعن يتدفق من فم « جاجن » لقد داعب الأرق جفونه فعبثاً يحاول النوم ثانية ... فقال وهو يضحك :

إنك لواهمة ، مجهدة الأعصاب ... ويعوز نفسك المضطربة فترة من الراحة ... يجمل بك أن تذهبى فى الغداة إلى الطبيب فتخبريه بهذه الأوهام والخيالات ... فيتبصر فى حالتك ويصف لك ما يريح أعصابك المكدودة » ...

فقاطعته زوجه قائلة :

— « ما هذا ! ! رائحة ... قطران ! ! أو شىء آخر كالثوم أو البصل إن هذا يتخلل أنفى فى حدة ... » .

— « نعم ! ثمة رائحة غريبة ... لست بنائم ... سأشعل الشمعة ، أين أعواد الكبريت ... آه تذكرت ، سأعرض عليك صورة لمحصل قصر « جستيل » المنئيم ... فقد أعطى كل من كان فى المكتب نسخة من صورته عندما ودعنا البارحة ... » .

أشعل « جاجن » الشمعة وقبل أن يخطو خطوة لإحضار الصورة رنت فى أذنه صرخة ندّت عن زوجته ... فلما التفت إليها رآها تحملق فيه وقد اتسعت مقلتاها واستقرت عليه ... يطل منهما الفزع والهلع والعجب والسخط فى آن واحد ...

صاحت زوجته وقد علا وجهها الشحوب : « أتناولتَ معطفك من المطبخ ؟ ! » .

— « لِمَ ؟ ! » .

— « انظر إلى نفسك ! » .

وما كاد يبصر « جاجن » ما على جسده حتى راح يحدق فى عجب وذهول ... لم يكن مطروحاً على كتفه معطفه بل معطف الجندى الشرير ... ماذا أتى به إلى هنا ؟ ! ! وبينما كان يوجه إلى نفسه هذا السؤال ... قالت زوجته فى غمغمة نمت عن سخرية وسخط « أتقول ؟ إن (بلاجا لا تقل عنى عفافاً وصوناً) ... أيها الخنزير الأبله »

ثم غرقت فى شعاب الفكر وعاد يراع الخيال يرسم صورة مخيفة : ظلام ... هدوء ... همس !.. و !..

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

استدراك :

حدث خطأ مطبعى فى عنوان قصتنا التى نشرت فى العدد (٦٣٨) وهو « حينما كان طبيباً » والأصل « حينما كان صبياً » فبذلك يستقيم معنى العنوان مع سياق القصة .

محكمة المنزلة الأهلية

إعلان بيع فى القضية المدنية نمرة ٥٢٤ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الأحد ٢٨ أكتوبر سـنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنجى صباحا وما بعـدها بسراى المحـكمة : سيصير إشهار مزاد العقار الأتى بيانه بعـد المملوك إلى حسين حسن عزام من المطرية مركز المنزلة دقهلية .

وهذا البيع كطلب مصلحة الأملاك الأميرية وبناء على حكم نزع الملـكية الصادر من هذه المحـكمة بتاريخ ١١ يونية سنة ١٩٤٤ ومسجل بمحـكمة المنصورة فى ١٧ـ٦ـ١٩٤٤ ن ٣٣٤ جزء ٣٣ وفاء لسداد مبلغ ١١٦ جنيه ١٤٧ مليم بثمن أساسى قدره ٩١ جنيه ٦١٤ مليم خلاف المصاريف .

بيان العقار

س	ط	ف	
٢٣	٠	١	قطعة ضمن ١ حوض ن٢١
٨	٠٠	٣	» » ١١ » ٢»
١	٤	١	» ضمن ٢٧
١٩	١١	٠٠	قطعة ضمن » ٢٦ بحوض ن٤،٢١
٢٠	١٩	١	قطعة ضمن ن ١٠» ن٥ و٢١
٠٠	٠٠	١	» » ن٦ » ن ٦ ٢٣
١٢	٩	٢	» ن٩ » ٢٧ و ٢٢
١٠	١٩	٣	مكلفه ضمن ١ بحوض ن ٨ و ن ٢٢
٢١	١٧	١٤	فقط أربعة عشر فدانا وسبعة عشر

قيراطاً وواحد وعشرون سهماً بزمام الصلاحات مركز دكرنس . فعلى من يرغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٤١ — الاثنين ١٥ أكتوبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٤١ — الاثنين ١٥ أكتوبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٣١ ، ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 641 — Lundi - 5 - 10 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤١ «القاهرة في يوم الإثنين ٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

بول فاليري

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان كاتب الخاصة ، لأنه لم يكن كاتب العامة وأشباه العامة

وهو لم يكن كاتب العامة وأشباههم ، لأن هؤلاء يطلبون السهولة في التعبير والتفكير ، وليس هو بسهل في تعبيره وتفكيره ، بل كان لا يخلو من الغموض والتعقيد ، ولا يهبط في أسلوبه عن مرتبة الجزالة والإتقان

والعامة وأشباههم ينساقون لشيء من الرعونة والهوج في بدعة من البدع أو دعوة من الدعوات ، وليس هو بصاحب رعونة أو هوج ولا بصاحب بدعة تصدع الأسماع أو دعوة تخلب العقول وتهيج الخواطر ، بل كان أكثر ما يكون موفور الجد والرصانة ، مكبوح العنان

والعامة وأشباههم ينقسمون بين المعتركات والميادين ، وليس هو من رواد المعتركات والميادين ، بل كان كريماً على نفسه وعلى صحبه مؤثراً لعزلة الفكر وعزلة المقام

ولا أحسب أن نصيراً من غلاة أنصاره يدعي له مزية الخصب والإشراق في نتاجه ، ولكني كذلك لا أحسب أن مخالفاً من مخالفيه ينكر عليه مزية المتانة والسداد في جملة آثاره من شعر ونثر ومن قصة ومقال . فهو متين سديد رصين ، وإن لم يكن باللامع ولا بالمخصب أو المرتفع في الآفاق

ذلك بول فاليري فقيد الأدب الفرنسي في أواخر هذا العام ، بعد أن فقد في أوائله رصيفه رومان رولان

***

والخاصة التي أعنيها هنا هي الخاصة الاجتماعية ، وليست بالخاصة الفكرية أو الفنية

وشأن هذه الخاصة الاجتماعية في فرنسا ليس بالقليل ، فهي حتى اليوم صاحبة الكلمة التي لا تجهل في نصيب القادة العسكريين والقادة الفكريين . وفي الترشيح لرئاسة الجمهورية والمجامع العلمية والأدبية ، وهي بقية من بقايا النبلاء على عهد الامبراطورية قد تنزوي عن الأنظار ، وقد تغض الصوت حيناً بين جلبة السواد وصيحة المغرقين في التجديد ، ولكنها رابضة أبداً في مكمنها للوثوب إذا حانت لها فرصة الوثوب ، ولعل وثبة بيتان باسم المحافظة على القديم لم تكن إلا رجعة من رجعات هؤلاء الخاصة الاجتماعيين في عاصمة الفرنسيين

هؤلاء الخاصة الاجتماعيون « سلبيون » في أكثر الأذواق والآراء ، ولم تبق لهم قدرة قوية على الإيجاب والأنجاب

فهم مثلاً لا يعجبهم ما يعجب الدهماء والأوساط من الخفة والاندفاع ، وهم لا يشاركون الجماهير في أذواق البدع وبهارج

الحداثة ، وهم لا ينطلقون فى الضحك ولا فى الحزن ولا فى الغضب ولا فى الهياج إلا بمقدار ما يسمح لهم أدب الصالون وشعائر النبل والوقار

أما إنهم يرتفعون إلى الأفق الأعلى فى التفكير والتقدير فليس ذلك عندهم بمضمون ، وقد يضحون بالجمال الحى الرفيع أحياناً فى سبيل الجمال الذى توحى به التقاليد

وهذه كلها خصال ترشح « پول فاليرى » عند هذه الطبقة للقبول والظهور ، وتزيده قبولا عندها أن تعلو فى سماء الأدب الفرنسى نجوم باهرة لا تلتزم ذلك السمت الصحيح أو السمت المصنوع .

***

لم يقصد پول فاليرى أن يكون على شرط هـذه الطبقة فى الأساليب ، ولا أن يكتب وفاقاً لمزاجها الذى تروضه على السمت أو تصطنع فيه الوقار . ولكنه لو قصد هذا لما كان أقرب إلى مزاج تلك الطبقة مما كان ، لأنه طبع على الرصانة وجاءه التعليم برفد منها يتمم ما جادت به الطبيعة عليه . فقد تعلم الرياضة ونشأ على نظام رجال البحر وقرأ الحكمة وشغف بأسلوب الأقدمين ، فجنحت به السليقة والنشأة إلى ذلك السكون ، وأصبح كاتب العلية الاجتماعية ، شاء ذلك أو أباه ، واستفاد عند غير هذه الطبقة كرامة ومحبة لا كلفة فيها ، لأنه لم يكن يخاصم أحداً على سمعة أو شهرة ، ولم يكن يبالى الخصومة إذا عرضت له معتدية عليه !

إلا أنه كان يشعر بصفاته هذه ولا ينساها حين يقيم الموازين للشعر المأثور والأدب النفيس ، فلم يكن يغفل عن شرط «الكبح» والاحتجاز فى تعريفاته الفنية ، ولم يكن يأبى الغض من مزية التدفق والإفاضة ، لأنها تلتبس أحياناً بالتفيهق والثرثرة فى غير جدوى

فإذا عرف الشعر قال : « إنه ينبغى أن يكون عيداً للذهن ، ولا ينبغى أن يكون شيئاً غير ذلك »

ولكنه يعود فيقول : « عيد أى فرح . ولكنه رصين ، ولكنه مرتب ، ولكنه ذو مغزى . أو هو صـورة لغير هذه الطروقات الشائعة ، أو صورة للحالات والمساعى التى تقبل الانتظام والاتزان ... »

ولا يستثنى من ذلك الشعر الغنائى الذى هو أدنى أبواب الشعر إلى الطلاقة والجموح ، فهـو عنده « هتفة » ، ولكنها متطورة أو « مشغولة » بصناعة الفنان

ويقول فى التفرقة بين الملكات الكامنة والملكات المكشوفة : « فى طبع كل منا حماقة الخطأ بين المفارقة والاكتشاف ، وبين الصورة المجازية والبرهان ، وبين سيل دافق من العبارات وينبوع يفيض بالحقائق الكبرى ، وبين ما نحسه نحن وما ينطق به لسان الغيب ... »

وقد كان مزاجه من طبيعة العزلة والانطواء فيه ، فكان لانطوائه على نفسه ينتزع من أحوالها القواعد والأحكام ، ويعطيك الشواهد على سرائره الشخصية من معظم ما كتب بعد الروية والتفكير ؛ فلا أعرف فى المحدثين كاتباً تظهر أسبابه الشخصية فى أسبابه الفكرية كما تظهر فى هذا الكاتب على التفكير

رجعت إلى بعض آثاره التى عندى بعد السماع بنعيه فقرأت منها مقاله القيم عن الإنسان الأوربى وهو من تحفه المعدودة التى يقل فيها التعقيد والغموض ، وقد بدأه بكلمة عن « الإنسان » عامة قال فيها : إنه هو المخلوق الذى ينفرد بين سائر المخلوقات ويعلو على سائر المخلوقات بالأحلام ، وإنه أبداً مصروف عما هو كائن بما لم يكن بعد ، أو بما يرجو أن يكون ، وإن الخلائق الأخرى تطيع التغيير الذى يطرأ عليها من خارجها ، وهو وحده يطوّع تلك العوامل المتغيرة بما توحيه إليه بواطنه وخفاياه

ثم استطرد من هذه المقدمة إلى حصر الإنسان الذى ينشئ الأحلام فى الزمن الحديث بين سكان قارة واحدة هى القارة الأوربية ، وإلى حصر المشخصات التى خلقت قوام ذلك الإنسان فى ثلاثة مراجع ، وهى رومة أو نظم الدولة الرومانية ، والمسيحية التى ورثت كل شىء من رومة لا من بيت المقدس ، ونموذج العلم النظرى الذى يتمثل فى الهندسة الإغريقية ... »

ولا يعنينا هنا أن نناقش هذه الفلسفة من جانب النقد أو جانب الوقائع التاريخية ، وإنما يعنينا أن نعقد الصلة بينها وبين مزاج الانطواء والعزلة «والتفكير الذاتى» الذى انطبع عليه پول فاليرى

فهناك بول فاليرى الذى يتغنى بالأوربية كما تتغنى بها جميع أقوام القارة التى ضاعت عليها فرصة التغنى بمجدها القومى منذ زمن بعيد أوقريب . فهم يذكرون دائماً أنهم أوربيون حين يذكر الألمـان أنهم آريون ، أو يذكر الإنجليز أنهم من سلالة الإنجلوسكسون ، أو أنهم بريطان « غير قاريين »

وهنـاك بول فاليرى الذى يرجع بكل شيء فى أوربا وفى المسيحية إلى رومة لأنه جاء من أب فرنسى وأم إيطالية ، وكلاهما من عنصر اللاتين .

وهناك بول فاليرى الذى يجعل الهندسة الاغريقية نموذج العلم الإنسانى لأنه هو درس الهندسة واستوعب الـكثير من آثار حكماء اليونان .

وهذه هى بعض دلائل المزاج التى تنطوى بين السطور ، فضلا عن دلائله التى تبدهك منه بغير تنقيب طويل .

* * *

لست أنسى خيبة الأمل التى فجأنى بهـا بول فاليرى فى أول عهدى بالمطالعة الفرنسية ؛ فإننى تعلمت الفرنسية فى السجن فاستطعت بعـد أربعة أشهر أن أقرأ أناتول فرانس وبيير لوتى واندريه موروا بغير مشـقة أو رجوع كثير إلى المعجمات الميســورة ؛ فخيل إلى أننى قد استغنيت عن المترجمات فى قراءة الأدباء الفرنسيين من محدثين وأقدمين . ثم جربت هذه المعرفة بعد خروجى من السجن فى اندريه جيـد وبول فاليرى فاذا بى أرجع إلى المترجمات الإنجليزية ولا أزال أرجع إليها حتى اليوم .

وأحب أن أقول إننى أرى فى أدب « بول فاليرى » رأيا لا يمتزج بمرارة تلك الخيبة لأنه لم يذهلنى عن محاسنه ولم يحملنى على المبالغة فى عيوبه .

فالرجل لا شك مثل معدود من أمثلة الثقافة الفرنسية فى القرن العشرين ، وله ولا شك رأى رجيح وقول رصين وتفـكير قويم ، ولـكننى لا أذكر أننى اطلعت فى كلامه الذى قـرأته – وهو غير كثير – على فـكرة رائعة أو غوصة عميقة أو نفحة تتجاوز طاقة الأوساط من الـكتاب ، فهو متين راسخ على وجه الغبراء ، ولـكنه لا يحسب بين أصحاب الأوج ولا بين أصحاب الأعماق .

وله نظرات فى نقد الأدب والأدباء يقرأها القـارئ، فيقول صحيح صحيح ! أو جميل جميل ! ... ولـكنه لا يراع بها ولا يفاجأ بها ولا يخرج بها عن الجادة المطروقة إلى معرج غير مطروق .

ومن الأمثلة الصادقة لاسلوبه فى النقد وصفه لاناتول فرانس – وقد خلفه فى المجمع الفرنسى – فقال عن كسله الحالم « إنه كسل نجم من القراءة الواسعة التى يصعب التفريق بينها وبين الدرس والاستقصاء . أو هو كسل كراحة السائل الموقر بخيراته وبركاته يليح لك فى سكونه ببلورات على أحكم ما تـكون من كمال التركيب ... »

وأنت تقرأ هذا وتقرأ أمثاله فى كلامه على الأدب والأدباء فتقول صحيح صحيح ! جميل جميل ! ... ولـكنك لا تقف فى طريقك مرة لتقول : آه . ويح الـكاتب السـاحر . . ! من أين له هذا الـكلام ؟

عباس محمود العقاد

ليذكر الأسبان

للأستاذ توفيق محمد الشاوى

لعل الشعب الأسبانى هو آخر شعب يحتاج إلى من يثبت له عظمة العنصر العربى وسمو الحضارة الإسلامية ، لأن وجوده ونهضته التى سبق بها جميع الشعوب الأوربية ، وكانت رائد النهضة الأوربية الحالية هى ربيبة تلك الحضارة الإسلامية العربية التى نعمت بها الأندلس زمنا طويلا ، وعاشت فى ظلها عصراً ذهبيا سجل التاريخ مفاخره برغم تداول الأيام وانتقال السلطان .

لكن أسبانيا قد انساقت فى هذا العصر فى تيار الاستعمار الأوربى ، وسيطرت على قادتها المادية الاستغلالية ، وآثرت أن تنسى التاريخ ، وأن تدفن الماضى ، وأن تشترك فى الغارة الأوربية على أجزاء الوطن العربى ، فلم لها شركاؤها الاستعماريون جزءاً هاماً من وطننا الأفريقى فى المغرب ، سارت فيه على خطة جارتها فرنسا ، فحاولت أن تحطم القومية العربية بكل الوسائل الاستعمارية الوحشية ، غير عابئة بمبادىء الإنسانية والمدنية . علمت أن العربى لايقيم على الذل ولايصبر على الضيم ، فسول لها شياطين الاستعمار أن أسهل الطرق هو إفناء هذا الشعب الأبى العنيد ، وليقل التاريخ ماشاء بعد ذلك .

ثم جاءت النتيجة المحتومة للتكالب النفعى الأوربى ، أن انقلب الماديون على أنفسهم ، وأغرى الجشع بعضا ببعض ، فتفرقت الطبقات ، وتقابلت العصابات ، واشتعلت الحرب الأهلية الاسبانية ، فاستعان الجنرال فرانكو بعرب المغرب ، وبذل لهم وعوداً خلابة ، ومناهم بالاستقلال الذى جاهدوا له . ولم يقصر دعايته على المغرب ، فأرسل إلى رئيس المؤتمر الإسلامى الذى عقد بالقاهرة فى ذلك الحين ، الدكتور عبد الحميد سعيد ، خطاباً تاريخيا مؤيداً لوعوده وتصريحاته « بأنه عندما تثمر شجرة السلام فسيقدم للمغرب العربى منها أطيب الثمار » ... وظن العرب أن الواعد عربى يعرف معنى الشرف ، ويحترم قدسية العهود ، ونسوا أنه رجل أوربى ينسى كل شىء فى سبيل مطامعه وأهوائه . جاءه النصر بفضل مساعدة العرب وانتظر العرب والمسلمون طويلا تحقيق الوعود والعهود ، فإذا سياسة الاضطهاد تستأنف وتزيد ، وخطة الأفناء الوحشية تبدأ من جديد ، وإذا الشرف يتوارى وتحل محله « المصلحة » ، تتذبذب السياسة بين الشدة واللين بحسب ما توحيه ظروف السياسة ومصلحة الاستعمار . وآخر ما سمعناه أن أسبانيا لم تعد تطيق كلمة « العروبة » فهى تحاربها فى كل ناحية تتوهم أنها تذكيها ، حتى إن أعضاء البعثة المغربية فى جامعات مصر قد عادوا إلى بلادهم هناك ، فوجدوا أبواب السجون مفتحة لهم ، وسبل العمل موصدة فى وجوههم ، وكل ذنبهم أنهم عرب تعلموا فى مصر ، وأن مصر تحمل لواء العروبة وأن العروبة شجى فى حلق الاستعمار .

أيها الأسبان ! تستطيعون أن تتناسوا عهودكم ومواثيقكم التى بذلها زعيمكم وارتبطتم بها ، وتستطيعون أن تنسوا مبادىء المدنية التى تحمى حقوق الأمم وحريات الشعوب ، وأن تنسوا التاريخ وما سيكتبه عن استعماركم الوحشى الغاشم ، وأن تنسوا أيضا ما للعرب عليكم وعلى أوربا من فضل بما علموكم وبما هذبوا من نظمكم وآدابكم ... تستطيعون أن تنسوا كل هذا ، ونستطيع نحن أن نصدق أنكم نسيتموه مادمتم تتوهمون مصلحتكم فى هذا النسيان ، ولكن شيئاً واحداً لا نظنكم تستطيعون أن تنسوه ، هوقوة هذا الشعب العربى الأبى وبطولته ، واستبساله فى الدفاع عن كرامته وحريته . تذكروا أن ضربات ابن عبدالكريم لا زالت جراحها فى كل بيت من بيوتكم وكل أسرة فى بلادكم ، وتذكروا أن ابن عبد الكريم لا يزال حيا ، وإذا مات فإن الشعب الذى أنجبه لا يزال حيا قويا قادراً على استئناف جهاده وتضحياته .

أيها الأسبان ! تذكروا مرارة قتال العرب وما يكلفكم من ثمن ، وأن فرنسا التى أنقذتكم من ابن عبد الكريم قد تعجز عن انقاذكم مرة أخرى ، وأن للعالم اليوم أذنا تسمع وعينا تبصر ، فلن تسكت على وحشية الاستعمار التى تتلحمم بها لستر ضعفكم وجبنكم . تذكروا كل ذلك لا لوجه الإنسانية

على هامش « الحادث » :

دفاع عن الأدب

الأستاذ علي الطنطاوي

لقد كانت معركة (عين جالوت) مثلا، أجل خطراً، وأعظم أثراً، وأبرك على الحضارة، وأجدى على الإنسانية، من موقعة (الحدث)، ولكنها لم تجد الشاعر المارد الجبار الذي ينهض بها، ويرفعها بيمينه يلوح بها في طريق التاريخ، ليراها الناس أبداً، أمة بعد أمة، وجيلا عقب جيل، كما صنع المتنبي بموقعة (الحدث) حين فتح لها في الشعر فتحاً ولا فتح سيف الدولة في بلاد الروم، وبنى لها في البلاغة صرحاً ولا ما بناه الحمداني (فأعلى والقنا يقرع القنا، وموج المنايا حوله متلاطم)، بنى هذا البيت وإنه لقلعة باقية، على حين قد خرب الدهر تلك القلعة، فكان من معجزات الشعر (وإن في الشعر لإعجازاً) أن خلدت هذه الموقعة، وحملت وملأت الأسماع والأفواه والقلوب، ونسيت مواقع أعظم منها، ولولا قصيدة ابن الحسين ما عرفت طريق الخلود.

ولقد كان فتح عمورية عظيما في الفتوح، ولكن فتح حبيب في بائيته أعظم منه. ومن قبل خلدت بلاغة هوميروس بطولة القوم في طروادة، ولولاه لضاعت في ظلام ما قبل التاريخ. وإني لأكرم القراء أن أسيء بهم ظني فأرى بهم حاجة إلى سرد الأمثلة، وإقامة البينات، على أمر ما بهم جهله ولا نكرانه، فلولا الأدب ما خلدت المكرمات، ولا ذكرت البطولات. ورب قصيدة تجيش بها نفس شاعر منكر مجهول، قد شغل الناس عنه سناء الأمير ورواؤه، أبقى على الدهر من هذا السناء وهذا الرواء. وربما جاء زمان نسي الناس فيه الأمير نفسه، فغاص في هذا النهر البشري الذي يجري أبداً من المهد إلى اللحد، يولد أهله ويعيشون ويموتون ولا يدري بهم أحد ولا يذكرهم إنسان — ولم يمسه من الخلود إلا النفحة التي ينفحه بها الشاعر.

هذا حق لا يجهله أحد إلا ذوي السلطان منا، وكانوا هم أولى بمعرفته والاستفادة منه، والأحداث تدعوهم إلى ذلك ولكنهم لا يجيبون. وها هو ذا حادث الشام القريب، أحبوا أن يدونوا تاريخه، ويعرفوا صوره، ويعرفوا به البعيد النائي، ويذكروا به القريب الرائي، فأجمعوا أمرهم على إخراج (الكتاب الأسود) في وصف هذا الحادث، وسموا له رجالا، طيبين ممتازين، غير أنهم ليسوا من ذوي الأقلام، ولا من الأدباء، وإن في دمشق (لو كانوا يعلمون) أقلاما حداداً، إذا انتضتها الحكومة قطت بها وقدت وفرت، فإلام تدخر هذه الأقلام إن لم تستل في هذا اليوم الأسود؟ ومن يعرض على الدنيا كلها حديث (الحادث) إذا أهملت هذه الأقلام، ونسيت وتركت تصدأ في أغمادها؟ أيعرضه صحفي بمقالة تعيش ما عاش (العدد) الذي تنشر فيه، أم موظف بتقرير أسلوبه لعنة للبلاغة في عليائها؟

والمدنية، ولا خشية التاريخ وحكمه، ولا حرصاً على العهد وتمسكا بالشرف، فهذه لغة قد لا تفهمونها الآن ... ولكن اذكروه لمصلحتكم أنتم، فإن نسيانه سيكلفكم من الضحايا عدداً لا تستطيعون تقديره، وسيكون النصر أخيراً للحق والمدافعين عن حقوقهم وحرياتهم.

أيها الأسبان! تذكروا أن الجشع الاستعماري الذي يسيطر عليكم ليس إلا عرضا من أعراض الكلب المادي الذي أصيبت به أوربا، وأنكم إن لم تقضوا عليه فسيقضي عليكم، وقد بدرت بوادر الشقاق والجنون النفسي الذي سيحطم أركان حضارتكم إن لم تنقذوا أنفسكم منه. تذكروا أن القدر قد يلقي عليكم درساً عاجلا في احترام الحقوق والحريات، وأن هذا الدرس قد يكون على أيدي العرب، أساتذتكم وأساتذة أوربا منذ عرفتم النور ما

توفيق محمد الشاوي
مدرس بكلية الحقوق — جامعة فؤاد

ثم استلمنا الجيش وعرضه رئيسنا فكان يوماً أغرّ محجلاً في عمر الشام ، فمن يمسك هذا اليوم ألاّ يهوى في وادي النسيان ؟ من يحفظ له جلاله وجماله وعظمته غير الأدباء؟ فما لأولى الأمر دعوا له كل قاص ودان إلا أهل الأدب الحق ؟ أهل البلاغة ، ما دعوهم ولا سألوا عن مكانهم ولا ذكروهم ، ولو دعوا أديباً لصنع لهم بمقالة واحدة شيئاً يبقى إذا ذهب كل هذا الذي أعدوه .

وفي كل يوم تنبت أقلام غضة فلا يتعهدها أحد بسقي ولا رعاية فتجف وتموت . وتحطم عواصف الأيام وأرزاؤها أقلاما متينة كأشجار السنديان طالما أظلت وبسقت فلا يبكي عليها أحد . وتزهر أقلام ثم تؤتي أكلها ثمراً ناضجا حلواً نافعا فلا يستبشر بها أحد ، ويقولون بعد ذلك لماذا لا ينتج الأدباء ؟ لماذا لا يخلدون أيام الوطن ؟ يا ويحكم ! إننا والله لا نعرف أيام الوطن إلا على السماع، والفضل لنا إذا استطعنا أن نكتب عنها سطراً واحداً .

قال لي أديب أعرفه بليغا مبينا له قلم ماضي السنان :

« لقد أردت أن أدخل القلعة غداة يوم الحادث ، وأن أجول خلال الحرائق ، وألج البرلمان ، فمنعني جنود لا يعرفونني ولا يفهمون عني بلساني ، ولو تركت ألج ورأيت بعيني ما أصفه الآن على السماع لكتبت لكم شيئا يبكي المحب ليلة الوصال ، والعروس ليلة الزفاف ، ويرقق قلب الموتور ساعة الانتقام . ولو أشهدت هذا العرض لكتبت لكم قصيدة مجد تكون للأعصاب ناراً تشعلها حماسة ، وللقلوب خمراً تميلها طربا ، ولهـذا الجيش جيشا آخر . ولو أحضرت حفلة رفع العلم على الثكنة الحميدية لكتبت غير ما كان نشر في الرسالة[1] ، لأن الذي يتخيل ويكتب بارد الدم هادىء الأعصاب ، غير الذي تمشي الكهرباء في أعصابه فتهزها هزاً ، فيمسك قلمه ويدع روحه تملي عليه .

ولست — علم الله — أريد مالاً من أولى الأمر أو عطاء ، ولا أبتغي من مجالستهم شرفاً ، فعندي من المال ما يسد حاجتي ، ومن الشرف ما يكفيني ، وإنما آسف على قوة فيّ ، وفي أمثالي من حملة الأقلام ، تذهب هدراً ، وتضمحل ، والوطن يحتاج إليها ، وهي تستطيع أن تكسبه مجداً لا ينال بغيرها » ... انتهى كلامه .

* * *

فيا أيها الحاكمون! اذكروا أنكم تحتاجون إلى الأدباء ليكسبوكم الخلود ، وليفيضوا على أمجادكم الحياة ، أما هم فلا يحتاجون إليكم ، لأنهم يستطيعون أن يخلقوا بأدبهم ملوكا وأبطالا ، وينشئوا عالماً ، ويقيموا لأنفسهم وللناس دنيا ، إن تكن من الوهم ، فرب وهم أفعل في نفس صاحبه من الحقيقة ، وأثبت من الواقع . ورب شخص (روائي) خرج من خيال أديب ، أحيا حياة ، وأظهر وجوداً من أشخاص اللحم والدم ، أسمعتم بعطيل ودون جوان وآرباجون ؟

وبعد فهذا دفاع عن الأدب ، لا عن الأدباء ، فاقبلوه أو لا تقبلوه ، إنما علينا أن نقول ، وقد قلنا .

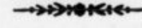
علي الطنطاوي

(١) بعنوان (دموع ودموع) العدد ٦٣٤ .

اللغة العـــربية

للأستاذ وليم مارسيه

رئيس المعهد العالى للدراسات التونسية



كان لجزيرة العرب فى شعرها الجاهلى أدب من هذا النوع الذى نسميه كلاسيكياً ، وذلك منذ القرن السادس المسيحى ، فى عصر لم تكن كبريات لغاتنا العصرية قد تجلت فيه بعد خصائصها.

وإنما أعنى بالأدب الكلاسيكى مجموعة من الآثار الأدبية تبدو لك معبرة عن قصد سام بعينه ، وعن موقف خاص من مشكلة الحياة ومصير الإنسان ، وعن ضرب من الشعور والفهم فى لغة أحاطت بها كل العناية لوضع صناعة دقيقة راقية تامة الشروط . وكان أصحاب تلك القصائد القديمة ينطقون أحياناً بالحكم ؛ لكنهم قليلا ما كانوا يفكرون التفكير المنطقى أو يستنتجون ، بل تميل نفوسهم إلى الفوران مع شرارات متتابعة من الصور الخيالية والأمثال ، ومن صيحات الحب أو الغضب التى امتزج فيها العطف بالقساوة واقترن العطف بالعنف ، وإنما يجرى تنسيق الألفاظ فيها طبق نظرية خاصة للجمال الفنى يعتبر الإيجاز من أهم قواعدها . وأسمى غايات الشاعر أن يكون لكل بيت من أبياته من التفوق فى إيجاز العبارة ومتانتها ما يجعل قوله تسير به الركبان فيصبح كالمثل عند قومه والناطقين بلغته ، ومع ذلك فلم تكن تلك القصائد الشبيهة فى قوة طابعها بضرب النقود خالية من بعض الغموض ؛ إذ لكل لغة سرها الخاص بها . بفضله لا يخلو شعرها من هـذه الميزة والطابع الخاص ...

أما فى العربية ، فللعبارة من المتانة ما لا يبقى معه شىء يحجب مصدرها عن الناطق بها أو المستمع إليها ، وبذلك كان اللفظ فى اللغة العربية يذكرك بالأرومة التى اشتق منها . ولعل هذا الشعور العميق بالمصدر يفوق شعورك باللفظ عينه

فالعبارة العربية إذن كالمزهر ، إذا نقرت أحد أوتاره رنت لديك كل الأوتار ، وخفقت وهى تبعث فى نفسك زيادة عما لها من صدى خاص ، جميع الأصداء الخفية لكل ما ينتسب إليها من مفردات أو يلتحق بها ، ثم تحرك فى أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر موكباً من العواطف والصور . وإذا نحن نظرنا إلى العربية من حيث الصناعة أدركنا فى غير عناء أن سبك اللغة العربية فيه للشعر ومادته كنوز زاخرة لا تحصى وموارد ، فلقد كان نشوء هذه اللغة وتطورها مبنياً فى أعظم قسط من مفرداتها على التداول بين المقاطيع المقصورة والمقاطيع الممدودة

وإذن يجوز لنا القول بأن اللغة العربية ذات تقاطيع شعرية فى ذاتها ، فلا غرابة إذن أن يكون واضع علم النحو هو الذى ضبط تلك المقاطيع . أما الأوزان والتفاعيل الشعرية ، فإنها مؤلفة من مجموعة متأثرة بالصيغ الصرفية . وإن لهذا الاستعداد الشعرى العظيم آثاره القوية فى توجيه الآداب العربية ، فالرأى الغالب عند جميع الناطقين بالضاد فى سائر العصور أن الأدب شعر قبل كل شىء . لذلك كان مؤرخو الآداب العربية ونقادها يقتصرون من آثارها على فن الشعر أو يكادون ، فلئن كان قدامة قد أطلق على أحد كتبه اسم « نقد النثر » ، فهو على ذلك لم يعالج فى ثلاثة أرباعه غير الشعر . وهل الجاحظ قد روى معظم كلامه الذى استشهد به فى كتاب « البيان والتبيين » إلا عن الشعراء أو عن إخوانهم الخطباء ؟ وإذا كان بديع الزمان قد تردد فى الإذعان لما للجاحظ من فضل فى الميدان الأدبى ، فما ذلك كما قال ، إلا لأن الجاحظ وإن كان ناثراً بارعاً لم يكن إلا شويعراً ، وإذن فمن الواضح أن الذى لم تكن له الأسبقية فى صناعة الشعر ليس على حسب نظرية بديع الزمان برجل الأدب حقاً . وعلى ذلك فقد أحرز النثر فى القرون الثلاثة الأولى من الإسلام مكانه اللائق به ، ووافق ظهوره — مثل ما هو الشأن عند سائر الأمم — ما حصل من تقدم فى التفكير وطرائق البحث فى المواضيع العلمية .

وفى الواقع كان أهل صناعة التفكير المنطقى الاستنتاجى والفقهاء والمشرعون على اختلاف مذاهبهم ، هم الذين سبقوا غيرهم من الكتاب بتطور النثر على أيديهم . ويحكى أن « بلزاك » كان يحمل نفسه على مطالعة كتاب « القانون المدنى » ، فيراه على أسلوب لا يجارى فى الوضوح والاقتصاد والدقة . ولا أظننى مخطئاً إن قلت : إن عدداً لا يستهان به من رجال الشرع الإسلامى وأئمة الدين كانوا فى عدد كبار الكتاب . ألا نجد مثالا من ذلك عند الجاحظ ، وهو أكبر كتاب القرن الثالث الهجرى بلا منازع ؟

فليس من شك أن الجاحظ كان قبل كل شيء من رجالات الفقه الإسلامي ، فلقد انصرف فيما لايقل عن نصف تآليفه إلى البحوث الدينية . وهل ينكر أحد أن كتاب « الحيوان » ، وهو أكبر تصانيف الجاحظ ، خاضع في جملته لشئون توحيدية ، إذ كان مصنفه يريد أن يستخلص من درس الطبيعة وبالخصوص من النظر في شؤون الحيوان ما يقوم حجة ناهضة لتأييد مذهب الاعتزال .

ومهما يكن من الأمر ، فلا مندوحة من الاعتراف بأنه قد تكون في القرن الثالث للهجرة نثر عربي يتصف بغزارة المادة وتنوع الأسلوب ، صالح للرواية وللجدال النظري معاً ، قادر على تتبع الفكرة والالتصاق بها في كل منعرجاتها ، وعلى أداء جميع دقائق المعنى . ولم تمض مائة سنة حتى زال هذا اللون من النثر العربي المتصف بانتقاء اللفظ واختياره وبانسجام عدد النغمات ، وقام مقامه النثر المسجع .

وفي الحقيقة لم يكن هذا النوع من النثر المسجوع زائراً جديداً في اللغة العربية ، بل كان عندها أسلوباً قديماً مألوفاً يرجع عهدها به إلى العصر الذي كان النثر فيه خطابياً أو شفاهياً على أقل تقدير إذ كان موجهاً في الحقيقة إلى السمع لا إلى النظر .

ويظهر أن هذا اللون من النثر المسجع قد قطع ثلاثة القرون الأولى من الإسلام يحيا حياة فاترة محدودة النطاق ، فلم يكن يستعمله إلا نفر قليل من الدعاة ، ولا تجد له من وراء ذلك أثراً إلا السجعة أو السجعتين يضيفها مشاهير الكتاب إلى جملهم المرسلة

فإذا ما حل القرن الرابع للهجرة أصبح هذا اللون من النثر هو الغالب وطغى على غيره وعم . وإذا به مستعمل في مواضيع من الأدب وأبواب لم يكن قد طرقها من قبل ، بل هو يمتد إلى ما وراء المواضيع ويقتحم إلى ما أبعد من الأبواب فيصبح متصرفاً في كامل الآداب النثرية أياً كان لونها ومهما كان غرضها سواء أكانت من آداب الخيال والقريحة ، أم من آداب الترسل ، أو من كتب الأخلاق ، أو من آداب الدواوين ، أو في المواضيع التاريخية ...

ولعل السبب في هذا التغلب القاهر راجع إلى ما كان مشهوراً في سائر الأوساط الأدبية من تفوق الشعر على النثر . وكان نثر ابن قتيبة ، وقد ظهر منبسطاً منسجم المفردات مرسلا ينظر إليه عند المولعين بفن الشعر كما ينظر إلى فتاة الأسطورة الفرنسية « ساندريون » ، فقد كانت تفوق أخواتها وأترابها جمالا وذكاء نفس ؛ إلا أن بساطة أخلاقها وتواضعها كانا يظهرانها في مظهر الفقر والخصاصة فكانت لذلك منبوذة . وقد بدا للمغرمين بالشعر أن هذا النثر المنبسط المرسل في حاجة إلى زينة وحلي ، وهكذا جعلوه نثراً مسجعاً

ومع ذلك ، فإنه يجمل بنا ألا نشدد الحكم على النثر المسجوع فهو الذي أمد العربية بعدد من جواهرها الأدبية ، وهو الذي أكسبها آثاراً فيها من جودة الصناعة ودقة النقش ما يجعلها مثالا تطبيقياً لقاعدة الفن المطلق الخالص ، أو ما يعرف عندهم بالفن للفن ... ولا يمكن مع ذلك نكران العراقيل الخطيرة التي انجرت من هذا النثر للعبارة الصحيحة الكاملة الموفية بحق المعنى بالقياس للنثر وجوهره . ولا يمكن أن نغفل عما كان لهذا النثر من سيء الأثر على الأسلوب ، فلقد جر له الفقر وحمل الكتاب على الاقتصار من أساليب الكتابة على الجمل القصيرة من شتات السجع ، فأفضى بعدد منهم إلى التضحية بالمعاني واللب في سبيل العناية بالشكل والأسلوب .

ولكن هذا النوع من النثر قد انقضى اليوم عصره وزال سلطانه . فلقد عادت الحرية المطلقة إلى النثر بفضل نهضة الآداب العربية التي بدأت منذ ثلاثة أرباع قرن تقريباً

وفي هذا الباب ذكر بعضهم مراراً عديدة ما للتأثيرات الأجنبية من فضل على هذه النهضة سواء من حيث الأسلوب وفن التعبير ، أو من حيث تجديد اللون الأدبي في ذاته ، واختيار المواضيع ، وهي عوامل لا يمكن نكرانها ، ولكنها لم تكن لتؤثر لو لم تصادف رغبة دفينة في الانبعاث ، وشوقاً إلى إحياء تراث عظيم قد وقف سيره: تراث القرنين الثاني والثالث من الهجرة. ذلك أن البشر والشعوب لا يقبلون من التأثيرات والعوامل في باب العبقرية إلا ما كان ملائماً للخلاصة الخالصة من عقليتهم مسايراً لما لها من حركة وتوثب . وباختصار لا يقتبس الناس من غيرهم ولا الشعوب من بعضها إلا ما كان حياً في قرارة أنفسهم متوثباً للوجود

٢ - الزندقـــة
فى عهد المهدي العباسى

« أيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله »

(من وصية إبراهيم الامام العباسى لأبى مسلم الخراسانى)

للاستاذ محمد خليفه التونسى

عرضنا فى المقال الماضى (الرسالة : العدد ٦٣٧) عرضا موجزا يسيرا ما كان من موقف الأمويين إزاء مخالفيهم فى الرأى والسياسة ،وعارضناه بموقف مؤسسى الدولة العباسية إزاء مخالفيهم فى الرأى والسياسة ، وبينا وجوه الخلاف بين الموقفين ، كما أوضحنا موقف هؤلاء وأولئك من العرب والفرس وما كان من اطمئنان الأمويين إلى العرب وحذر الآخرين من العرب والفرس معا وضرب كلا المنصريين بالآخر لسوء ظنهم بهما معا ، وأوضحنا أن النعرة الفارسية ظهرت منذ فتح العرب فارس فى عهد عمر الذى لم يكن قتله إلا مؤامرة فارسية لكيد العرب ، وما كان من خوف تسلط الفرس على مؤسسى الدولة العباسية فدفعهم إلى الإفراط فى الاتهام والقتل لمجرد الشبهة ، وما كان من طموح الفرس إلى الاستقلال وتطلع أبى مسلم إلى السلطان حتى قتله المنصور ، وسوء ظن العباسيين حتى بوزرائهم وقتل كثير منهم مما أدى بخالد بن برمك إلى كراهة أن يسمى وزيرا تطيرا من القتل كما قتل قبله أبو سلمة الخلال ، وما كان من إسراف العباسيين فى الحجر على الحرية الفكرية خوفا على دولتهم من الإنهيار ، وأن المنصور كان يحجر على حرية الرأى فى كل ماءس الحكومة ونظمها ليس غير حتى ليحاسب الناس على ما فى ضمائرهم ويعاجل بالقتل كل خارج عليه ، بل كل من كان وجوده خطرا عليه ولو لم يكن يستحق القتل وما كان من عدم مراعاته فى ذلك حدود الدين ولا قواعد العرف العربى ولا العهود التى قطعها على نفسه . وقلنا فى ختام المقال: « فلما جاء ابنه المهدى سنة ١٥٨ هـ كانت الخلافة قد استتبت له فلم يكن يخشى ما خشى والده من الفتن على الدولة ولكن عهده لم يكن خاليا من فتن ذات طابع خاص يميزها من الفتن التى قامت فى عهد أبيه ، وقد جعلته هذه الفتن يتجه إلى الحجر على الحرية الفكرية فى عهده ولا سيما الزندقة ؛ إذ كانت الزندقة طابع هذه الفتن وعنوانها ، وهذا ماجعله دقيق الإحساس من ناحيتها ، كلفاً بمعاقبة من يتهمون بها إن صدقا وإن كذبا ، جدا فى البحث عن أتباعها فى كل مكان ، فإذا وجدهم حسبهم حتى على ما فى ضمائرهم وعاقبهم بالظنة كأبيه ، ولو لم يجد من أعمالهم ولا أقوالهم مستندا للتهمة فضلا عن مبرر للتعذيب والقتل ، أما فيما عدا الزندقة فكان المهدى حياله سمحا كريما ، ولذلك تفصيل سيأتى بيانه إن شاء الله » .

ولتفصيل ذلك لا بد من بيان الحوادث التى حملت المهدى على تشدده فى عقاب الزنادقة ، وبيان صفاته النفسية والفكرية التى جعلته يتخذ أسلوباً خاصاً فى النظر إلى هذه الزندقة وهؤلاء الزنادقة . ولابد من عرض بعض المحاكمات التى جرت بينه وبين كبار الزنادقة والتهم التى وجهت إليهم أثناءها حتى قضى فيها بالقتل أو بغيره . ولابد لنا مع هذا كله من أن ننظر نظرة ربط إلى أمرين مترابطين بوجودهما هما الزندقة والشعوبية أو الوطنية الفارسية إذ لا حيلة لنا فى فهم

وها هو ذا اليوم النثر العربى قد تهذبت حواشيه واتضحت آياته وتم تجديده على أيدى الجيلين الأخيرين من الكتاب ، وبفضل ما بذله هؤلاء من جهود متواصلة ، وما صبروا عليه من جد وعمل ، فأصبح هذا النثر أهلا لأن يكون أداة تعبير لحضارة عصرية . وبلغ هذا المستوى من الرقى الذى به يتم تأليف الآثار الفنية الخالدة . وإنما نعنى بالآثار الفنية الخالدة آثاراً لها من قوة السبك ومن الامتلاء بالحقائق البشرية ما لا تنال منه الترجمة إلى اللغات الأجنبية أو تذهب به ؛ « فدون كيشوت » لمؤلفه « سرفانتاس » وكتاب « الحرب والسلم » لـ « تولستوى » ، وكتاب « كيم » لـ « روديارد كبلنغ » كلها كتب قد حافظت فى نصوصها الفرنسية على أوفر قسط من جمالها وروعتها

وإنى أؤمل بكل قوة أن يأتى اليوم الذى يوجد فيه تصنيف لمؤلف عربى من المعاصرين ينقل إلى اللغات الأوربية فيقيم لأبناء الغرب الدليل على أن أبناء عدنان وقحطان قادرون مرة أخرى على تنمية كنز الفكر البشرى

[عن نشرة الدراسات العربية بالجزائر. ترجمة الثريا] وليم مارسيه

الزندقة فهما صحيحا ما لم ننظر إليها مرتبطة بهـذه الشعوبية الفارسية التى كانت السبب الأهم فيما قام فى فارس من ثورات على الخلفاء من العرب أو حروب استقلالية ، فلم تـكن تلك الفورات المتتابعة إلا لطلب استقلال الفرس الذى انتزعه العـرب منهم ، ومحاولة التخلص من السيطرة العربية ولا سيما بعـد أن زاد الاضطهاد ورأى الفرس بأعينهم أنهم قادرون على هزيمة العرب بما جرى بين الفريقين من وقائع انتصر فيها الفرس على العرب ومنها المعارك التى كانت بين الجيوش الخراسانية وجيوش الأمويين وانتصار الأولين وهم فرس على الآخرين وهم عرب ، ولقد كان ما كان من ضياع أمل الفرس فى العباسيين بعد أن مكنوا لهم دولتهم ، وجحودهم الذى ظهر فى قتـل المنصور أبا مسلم ، وإخماده ثورة تلميذه سنباذ الذى ثار للمطالبة بثأره حين ثار عليه فى سنة ١٣٧ هـ وهى سنة مقتله[١] ، وما كان من قمع المنصور الراوندية حـين خرجوا عليه لقتله فى الهاشمية سنة ١٤١ هـ وقد كانوا على رأى أبى مسلم فى زعمـه تناسخ الأرواح ، وادعوا أن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية أحـد ولاته هو جبريل[٢] ، ولا بد لنا من النظر بعد ذلك فى عقائد فارس المانوية والمزدكية لفهم الآراء التى كانت تتوج هذه الفتن ولا سيما فتنتى الزنادقة المحمرة والمبيضة فى عهد المهدى ، وتحديد معنى الزندقة كما تآراها المهدى والمعانى الآخر التى كانت ذائعة فى ذلك العصر لـكلمة الزندقة وكانت تطلق على كثير ومع ذلك ظـلوا بعيدين عن العقاب بل ظلوا فى كنف الدولة ينالون خيراتها ويحتمون بها بل يلون ولاياتها من الخلفاء ويقودون جيوشها مع الثقة والتقدير ، ولا بد من الإشارة إلى دسائس البلاط ومكايد السياسة والتنافس بين رجال البلاط وما كان لـكل ذلك من الخطر فى إشاعة التهمة بالزندقة والعقاب عليها على ما سنفصله إن شاء الله .

ونـكتفى فى القول فى ثورات الزنادقة بعرض موجز لأخطر ثورتين ظهرتا فى عهدى المهدى : إحداهما ثورة الزنادقة المبيضة فى خراسان وقـد ظلت نحو عامين[١] وثانيتهما ثورة الزنادقة المحمرة بعدها وقد تم إخمادها بسرعة ويسر ، فقد كانت هاتان الثورتان هما اللتين وجهتا نظر المهدى إلى الزندقة وجهة خاصة وصبغتا عهده بها صبغة خاصة مما لم يكن له قبله مثيل . وها نحن أولاء نلخص أخبارهما مما كتب كل من الطبرى وابن الأثير فى تاريخه : ظل المنصور يدبر ملـكه قرابة اثنتين وعشرين سنة[٢] (١٣٦ — ١٥٨ هـ) وقد توفى فى يوم السبت سادس ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ ببئر ميمون محرما وهو يقوم بشعائر الحج[٣] وقـد تولى الخلافة بعده ابنه المهدى ولم تمض بضعة أشهر من سنة ١٥٩ هـ أو من خلافة المهدى حتى فوجىء بثورة سوان فى خراسان هى ثورة الزنادقة المبيضة فاضطرب لها ملـكه وزلزل زلزالا شديدا[٤] . ذلك أنه خرج فى خراسان فى هذه السنة (١٥٩ هـ) رجل من الفرس يسمى هاشم بن حكيم وهو المعروف فى التـاريخ بالمقنع الخراسانى لأنه كان يضع على وجهه قناعا من الذهب ليخفى به دمامة وجهه ولم تـكن ثورته كثورة غـيره انتقاضا على الدولة لاستبدال خلافة بخلافة أو الثأر لقبيلة من قبيلة أو نصر جيل على

---

(١) الطـبرى ج ٩ ص ١٦٩ ، وابن الأثـير ج ٥ ص ١٩٥ ، والخضرى ص ٥٦ — ٦٠ ، ودائرة المعارف الاسلامية : المادة : أبو مسلم وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١٠ ص ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

(١) الطبرى ج ٩ ص ٧٣ ـــ ١٧٥ ، وابن الأثير ج ٥ ص ٢٠٣ والخضرى ص ٧٥ .

(١) لم أجد من حملها غير ذلك وإن اختلف فى وقتها فهو عـند الطبرى من سنة ١٦١ إلى ١٦٣ وعند ابن الأثير من ١٥٩ إلى ١٦١ هـ وعند حسن خليفه فى كتابه : الدولة العباسية من ١٥٨ إلى ١٦٠ هـ .

(٢) الطبرى ج ٩ ص ٢٩٣ ، وابن الأثير ج ٦ ص ٦ ، والخضرى ص ٨٥ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ٦٥

(٣) الطبري ج ٩ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ ، وابن الأثير ج ٦ ص ٦ ، والخضرى ص ٨٥ ، والأستـاذ حسن خليفه : الدولة العباسية ـ قيامها وسقوطها (الطبعة الأولى) .

(٤) يبدأ الطبرى بذكر هذه الثورة فى أخبار سنة ١٦١ هـ وينتهى بذكرها فى أخبـار سنة ١٦٣ هـ (الطبرى ج ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٤٣) ويبدأ ابن الأثير بذكرها فى أخبار سنة ١٦ هـ (ابن الأثير ج ٦ ص ١٤ ، ١٨ ، ١٩) وقد سكت الخضرى عن توقيتها عند كلامه فيها (الخضرى ص ٨٨) ويذهب الأستاذ حسن خليفة فى كتابه (الدولة العباسية ص ٥٤) إلى أنها كانت بين سنتى ١٥٨ و ١٦٠ هـ ، وقد رجحت رأى ابن الأثير على رأى الطبرى لأن المهدى بدأ بالعقاب على الزندقة فى أوائل سنة ١٦٠ ورجحته على رأى الأستاذ حسن خليفة لأن المهدى ولى الخلافة فى ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ ، ولم يذكر الأستاذ مصدره الذى نقل عنه هذا التوقيت ، ولهذا كان التسليم برأى ابن الأثير أسلم وأوفق للوقائع بين المهدي والزنادقة حتى كما رواها الطبرى والخضري وابن الأثير نفسه

جيل[1] بالقوة فحسب ، بل كانت إلى جانب محاولة التخلص من الحكم العربى لفارس ثورة ذات آراء خاصة فى الدين والكون : كانت نزعة عنصرية فارسية بدليل أنها قامت فى خراسان ، والقائمين بها من الفرس ، وكانت ترمى لأخذ الثأر من الخليفة والعرب جميعا : فقد كان المقنع يقول بتناسخ الأرواح وأن روح الله ظهرت فى آدم ثم انتقلت إلى نوح وهكذا إلى أبى مسلم[2] ثم المقنع نفسه ، فهو إذن يدعى الربوبية لنفسه[3] ، وهذا ما لم يزعمه ثائر قبله لنفسه ، ومن أجل ذلك كانت ثورته ذات طابع خاص يميزها من الثورات التى تقدمتها وإن اتفقت معها فى كثير من الغايات . ومن أجل ذلك أيضا كان من الحزم والفطنة أن ينظر إليها الخليفة المهدى نظرة خاصة تمتاز عن نظراته إلى الخارجين عليه من طلاب الملك والمغانم وغيرهم .

نهض المقنع يدعو من حوله إلى الإيمان بربوبيته والأخذ بتعاليمه فى خراسان وما وراء النهر فاستغوى بشرا كثيرا من الصغد وبخارى وسمرقند وأتراك بحر قزوين، وامتد نفوذه فى تلك البقاع النائية ونبه أمره ، وكان أتباعه يسجدون له من أى النواحى كانوا ، وكانوا يقولون فى الحرب : « يا هاشم أعنا » وتحصنوا فى قلعة بسيام وسنجردة وهى من رساتيق كش فيما وراء النهر[4] ، وأعانه كفار الأتراك فأغاروا على المسلمين ، وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبى عليه السلام ، ويدعى أنه يقتل قاتليه ، واجتمع مع من والوه بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نواكث وحاربهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر من ولاة المهدى فى إقليم خراسان وما وراء النهر مرة بعد مرة فلم ينالوا منهم شيئا ، وقتلوا حسان بن تميم ومحمد بن نصر وغيرهما من الولاة . وعندئذ لاح الخطر على الدولة للمهدى فعبأ جيوشه ووجه بها إلى المقنع يقودها أبرع قواده فعجزوا عن إخضاعه : ومن هؤلاء معاذ بن مسلم واليه على خراسان ومعه عقبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وأخوه يزيد وليث بن نصر بن سيار مولى المهدى . ولقد اشتغل هؤلاء بقتال المقنع وزنادقته المبيضة الذين كانوا ببخارى فقاتلوهم أربعة أشهر فى مدينة بومجكت ونقبوها عليهم وقتلوا منهم سبعمائة ، ولكن منهزميهم لحقوا بالمقنع فكانوا له قوة ، ولقد تبعهم جبرئيل بن يحيى بعد أربعة أشهر فى القتال بلا جدوى . وكان ممن سيرهم المهدى إلى المقنع قائده أبوعون فلم يبالغ فى قتاله . واستمرت الحرب بين جيوش المهدى وجيوش المقنع نحو سنتين حتى عيل صبر المهدى ولقى المسلمون منه بلاء عظيما ، وكان المهدى أثناءهما يبعث بقواده على جيوشه مجتمعين، وفى نهاية الأمر أرسل معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر وعلى مقدمته سعيد الحرشى ، وأتاه عقبة بن مسلم من زم فاجتمع به بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع ، وأتى معاذ بعد سعيد لحاربهم ، ولكن كل أولئك لم ينزل الهزيمة الساحقة بالمقنع وجيوشه . وجرت فى نهاية الأمر جفوة بين القائدين سعيد الحرشى ومعاذ بن مسلم فكتب سعيد إلى المهدى يقع فى معاذ ويضمن له أن يكفيه المقنع إن أفرده بالقيادة فأجابه المهدى إلى ما طلب ، فبدأ يطارد المقنع ويضيق عليه ويحاصره وإذ ذاك شعر المقنع بالخطر فبدأ يجمع الأقوات والأسلحة عدة للحصار ، ولكن سعيداً ضيق عليه الحصار حتى أيأسه من النصر والحياة والمقنع محصور فى قلعة كش ، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساءه وأهله فمات وماتوا جميعا ، ودخل المسلمون قلعته واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدى وهو بحلب .

ولقد عرف المقنع الخراسانى هاشم بن حكيم وأتباعه بالزنادقة المبيضة لأنهم اتخذوا اللباس الأبيض شعارا لهم[1] .

---

(١) الجيل هو الأمة فيقال الجيل العربى والجيل الفارسي بمعنى الأمة العربية والأمة الفارسية ، وليس معناه العصر

(٢) يلاحظ فى هذه السلسلة ظهور اسم أبي مسلم وهو فارسى ، ويلاحظ معه ما كان من مطا معه وقتل المنصور إياه ، فهذه الثورة كان المقصود منها التخلص من الحكم العربى ، والثأر لأبى مسلم

(٣) ذلك يدل على أن من أغراضها خلع الاسلام .

(٤) المراد به نهر جيحون أو أموداريا ، وكان هناك إقليم من أقاليم الدولة الاسلامية منذ ظهور العباسيين يسمى إقليم المشرق ، قسم منه شرق نهر جيحون ويسمى ما وراء النهر (بالنسبة لعاصمة الدولة : دمشق أو الهاشمية أو الكوفة أو بغداد أو هيطل) ، والثانى غربى جيحون ويسمى خراسان .

(١) الطبرى ج ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، وابن الأثير ج ٦ ص ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ومحاضرات الخضرى بك ص ٨٨ وحسن خليفه فى كتابه : الدولة العباسية – قيامها وسقوطها ص ٥٤ — ٥٥ .

هذه هى الصدمة الأولى من صدمات الزنادقة التى أصابت الدولة العباسية فى عهد المهدى فاضطربت لها دولته جميعا وتتابعت لها الزحوف إثر الزحوف نحو سنتين حتى أخمدتها بعد لأى شديد وإسراف كثير فى الأرواح والأموال ، ولم يكن المهدى قبل ذلك إلا عالما أقوى العلم بخطر إقليم المشرق فمنه انبعثت الجيوش الخراسانية التى دكت المملكة الأموية دكا ، وأسلمت الخلافة للعباسيين ، وما كان المهدى ليجهل خطر الفرس وما أنزل بهم العرب من بلاء طوال مدة بقائهم فى الأقاليم الفارسية ، ولا حقد الفرس على العرب وتربصهم بهم الدوائر ، وما كان من قتل أبى مسلم ومطامعه وثورة تلميذه وتابعه سنباذ ثم ثورة الراوندية ، وما كان ليجهل الدوافع القريبة والبعيدة التى أثارت هذه الفتن؛ ولم يكن ينقصه سوء الظن والدهاء وقد كان الأمران من أهم الأركان فى سياسة الدولة العباسية منذ عهد السفاح بل قبله إلى عهده هو (المهدى)[1]

أما الثورة الثانية فقد جاءت إثر الأولى بعام واحد تقريبا[2] وإن لم تبلغ من القوة ما بلغت الأولى ولم تكلف المهدى من الأموال والأرواح والمتاعب ما كلفته تلك : قامت هذه الثورة فى المشرق أيضا (وهكذا المشرق دائما) فى ولاية جرجان شرقى بحر قزوين ، وكان القائمون بها يعرفون بالزنادقة المحمرة لأنهم اتخذوا اللباس الأحمر شعارهم ، ولا خلاف بين الطبرى وابن الأثير فى أن هذه الثورة كانت سنة ١٦٢ هـ[3] ، بل تكاد كلمتهما تتحد فى الرواية . قال ابن الأثير فى أخبار سنة ١٦٢ «وفيها خرجت المحمرة بجرجان عليهم رجل اسمه عبد القهار فغلب عليها وقتل بشرا كثيرا فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان فقتله عمر وأصحابه[4]»

(١) راجع مقالنا الأول فى الرسالة ــ العدد ٦٣٧ وعنوانه (الزندقة فى عهد المهدي العباسى) .

(٢) و (٣) الطبرى ج ٩ ص ٢٤٢ ، وابن الأثير ج٦ ص ٢١ . وقد ذكر كلا المؤرخين هذه الثورة في أخبار سنة ١٦٢ هـ ، ولكن يلاحظ أن الطبرى ــ كما تقدم ــ يذكر أن ثورة الزنادقة المبيضة بدأت سنة ١٦١ هـ وانتهت سنة ١٦٣ هـ فعنده أن ثورة الزنادقة المحمرة قامت أثناء قيام ثورة الزنادقة المبيضة ، ويلاحظ أن ابن الأثير يذكر ــ كما تقدم ــ أن ثورة الزنادقة المبيضة بدأت سنة ١٥٩ هـ وانتهت سنة ١٦١ فعنده أن ثورة الزنادقة المحمرة بدأت بعد ثورتهم بسنة واحدة تقريبا ، وذلك ما أخذنا به ، لأنه لا مفر لنا منه بعد أن رجحنا فيما سبق رأى ابن الأثير على رأي الطبرى فى توقيت الثورة فجعلنا مبدأها سنة ١٥٩ هـ ونهايتها سنة ١٦١ كما رأى ابن الأثير

(٤) ابن الأثير ج ٦ ص ٢١ .

وقد انتشرت تعاليم طوائف الزنادقة بين الناس فيما وراء النهر وخراسان والولايات الفارسية الغربية والشمالية ، وتسربت أيضا إلى العراق ، وكانت تعاليمها مزيجا من فلسفة مانى واشتراكية مزدك كما سنفصله إن شاء الله ، فهب علماء المسلمين ممن اشتغلوا بعلم الكلام يردون على هذه التعاليم . ولقد كان لتعاليم الزنادقة بعدئذ وقبلئذ أثر عظيم فى نظريات علم الكلام واتجاهاته بل اتجاه الفكر الإسلامى كله حينذاك وفى أقوال الشعراء الفرس ، حتى لا نستطيع أن نفهم بعض مذاهب المتكلمين وأقوال بعض الشعراء وبعض اتجاهات الفكر الإسلامى بل كلها فى ذلك العصر إلا إذا درسنا حركة الزندقة . ولا حيلة لنا كما قدمنا فى فهم معنى الزندقة بل معانيها المختلفة مالم ندرس حركة الشعوبية التى ظهرت كما قدمنا منذ وطئت أقدام العرب أرض فارس فى عهد عمر بن الخطاب ولم تظهر فى غيرها من البلاد التى فتحها المسلمون كمصر واليمن والشام وبلاد المغرب وموعدنا بذلك المقال التالى إن شاء الله .

محمد خليفه التونسى

تصويب:

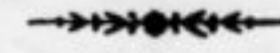
فى مقالنا الأول (الزندقة فى عهد المهدى العباسى) المنشور بعدد الرسالة ٦٣٧ وقع خطأ فى إسم أبى سلمة حفص الخلال فكتب فى صفحة ١٠١٣ أبو حفص سلمة الخلال ، وفى صفحة ١٠١٤ أبو سلمة وصوابه ــ كما قلنا ــ أبوسلمة حفص الخلال كما يفهم من الأبيات التى نقلناها هناك ، ومنها :

شرب الكأس بعد حفص سليما ... ن ودارت عليه كف المدير

الشباب الخالد

توطئة دراسات فى الأدب والنقد

للأستاذ جورج سلستى



ليس شباب العمر ما أعنى ، وعمر الشباب كعمر الورود سرعان ما تبلوه الحياة بالأعاصير فيذوى !

ولا الربيع — شباب الطبيعة — وهو ما إن يرود رونقه النضر حتى تصوّحه لافحات السمائم !

ولا شباب الدول ذوات الحول والطول وهو مهما يطل لابد له أن يدول ! فالخريف كامن فى أعقاب هذه جميعاً وإنما ثمة شباب لا يدركه خريف : شـــباب لا يعروه الهَرَم ولا يدبُّ إليه وَهَن الكبير .

شباب غيسانى ، أبدى السنى والرواء ، دائم الوضاءة والحسن ، يعدو الزمن العصيب فما يطاوله بحدثانه ، ويدور الدهر الحريب فما يديل من ريعانه !

شباب يزدرى بسطوة العفاء ، ويهزأ بعاديات الفناء ، لأنه ينبض أبداً بمضاء القوة وعزة الحياة وزهو الخلود !

شـباب شاخت الدول وباد منها ما باد ولم تدل دولته . واندرست جلائل المعالم كما عفت روائع الآثار وهو أبداً ريّق الصبا يطاول بعزته السماء ويتحدّى بخلوده الأزل !

ذلكم الشباب المؤبد هو شباب الفن الرفيع ، شباب الأدب : يَهرَمُ الكون وهو غضٌّ وتبلى جدّةُ الدهر ، وهو زاهٍ نضيرٌ ، وليس كالأدب ما يتخطى هامات الأجيال بأبهةٍ وجلال ، محتفظاً بسحره الأخاذ وروعته القدسية . وإن العلم ليتبدّل من حال إلى حال ، بل إن من نظرياته ما انقلب رأساً على عقب بتقدم العصر وارتقاء الفكر ، وإن ما كان يحسب فيه حقيقة ثابتة لا مراء فيها فى جيـل ، نقضه الجيل الذى تلاه . وقد ينقض العلم غدا ما يبرمه العلماء اليوم ، فى حين أن نفثات هوراس وهوميروس وفرجيل ودانتى وملتون والمعرى وشكسبير وأترابهم من الشعراء والأدباء الأفذاذ لتجد فيها النفوس فى اليوم الحاضر ما وجدته من قبـل نفوس الأمس البعيد الغابر من متعة ولذة وأنس ، ولسوف تتناقلها الأفواه فى مؤتنف الأيام كما كانت تتناقلها الألسن فى سالفات الأعوام ، ولسوف يظل يتلو الناس آيات الشعر والأدب ما دام فيهم من تستهويه لفتات الخاطر المشبوب، وومضات الذهن المتوقد ، وعذوبة المنطق المعسول، وستنشد أهازيج الهوى التى تغنى بها سليمان الحكيم كما تتلى غزليات ابن المعتز ووجدانيات ابن زيدون ؛ وإن العالم ليستمتع بها — على قـدم العهد — كما يستمتع بروائع دى موسه، وبدائع لامرتين ، وطرائف الأخطل الصغير ، وستبقى أبدا نزهة الأرواح .ومتعة النفوس ما دام للناس قلوب تخفق ، وأكباد تحن ، ومُهَج تشوّق .

وتقدير الأدب ليس بالبدعة المستحدثة فى التاريخ ، فقد عرف الأقدمون له جلال القدر ورفعة المنزلة فبوّأوه حرمات التقديس . ومن البداءة المأثورة أن العرب فى الجاهلية كتبت على القباطى بماء الذهب مختاراتها من روائع الشعر الحى وعلقتها بالكعبة تقديرا لها وتعظيما .

وإن الأغريق قد كتبوا بالذهب على جدران معبد أثينا فى لنوس القصيدة العصماء التى قالهـا بندار زعيم الشعر الغنائى فى مدح دياجوراس[1]

وهل كان الملوك والأمراء يبذلون المال والهبات على الشعراء الأفذاذ بمثل ذلك السخاء العظيم لولا طمعهم فى خلود الذكر فى القصائد الرنانة التى كانت على ألسنة الناس كالمثل الشرود ؟ !

وإنها والله لصفقة خاسرة للشعر أن تشترى روائعه الخالدات بمتاع منفوق .

يروى التاريخ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال لبعض أولاد سنان ممدوح زهير بن أبى سلمى :

« أنشدنى بعض مدائح زهير فى أبيك » فأنشده . فقال عمر : « إنه كان ليحسن فيكم القول » فقال ابن سنان : « ونحن كنا نجزل له العطاء » . فقال عمر قوله المأثور الخالد : « قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم ! » .

ألا طيب الله ثراك يا أمير المؤمنين وكرّم مثواك . فقد زكيت

---

(١) تاريخ الأدب العربى للأستاذ الزيات نقلا عن لاروس .

الفن الرفيع بشهادتك الخالدة التي أديتها لوجه الحق مختاراً . فشتان بين ما يذهب كالزبد جفاء وما يمكث في الأرض ويبقى ما كرَّ الجديدان .

وبعد . فسرّ خلود الأدب قائم في كونه رسائل الأرواح في جلاء الحق والحب والخير والجمال، ومرآة تتجلى فيها سرائر النفوس ونزعات الأهواء ، فهو لذلك من خصائص كل أمة في كل جيل رهفت في بنيها الأحاسيس وذكت الخواطر ، وسمت الأرواح . وإن نفس كل امرىء لتظل تهفو إلى الأدب الماتع والفن الرائع ما دامت طليقة من إسار المادة وجشع الأثرة وعبودية الروح . وما ركود الأدب في عهد من عهود التاريخ إلا دليل على فقدان القِيَم الروحية لدى أبناء ذلك العهد المشؤوم . وما ازدهار الأدب في حقبة من الحقب إلا دليل الشعور بالكرامة ، وصقل النفس ، ورهف الحس ، وسمو الروح والتقرب من بلوغ الكمال . فإن أعوز المصلح أن يتعرف إلى مقدار التهذيب عند شعب من الشعوب ، وأين هو من كرم الخلق فليسبر مدى تذوق بنيه للأدب الرفيع ، فقد كان الأدب الرفيع وسيبقى أبد الدهر مقياس الرقي عند الأفراد والأمم على السواء .

ولئن كانت النفوس تنزع بطبيعتها للشرور وتميل للغرور فإن الفنون — على أنواعها — كفيلة بالتلطيف من حدة النزوات وقمينة بتنمية الفضائل ، وإن الأدب من الفنون بنوع خاص يصقل النفوس ، ويرهف منها الأحاسيس ويحبب إليها الشهامة والإباء والعزة والنبل .

ولقد كان الخلفاء في الإسلام كما كان الملوك والأمراء في الجاهلية يوصون الآباء بتثقيف البنين الشعر والأدب لتسمو أخلاقهم وتدمث طباعهم . وقد بلغ من إعجاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب « بلامية العرب » للشنفرى الشاعر العدّاء المشهور أن قال :

« علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلم مكارم الأخلاق » .

وقال أيضاً رضي الله عنه :

« تعلّموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى » .

ولله درّ من قال :

وما هو إلا القول يسري فتغتدي ... له غُرَرٌ في أوجه ومواسمُ
ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بناةُ المعالي كيف تُبنى المكارمُ

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

« الأدب حلي في الغنى ، كنز عند الحاجة ، عون على المروءة ، مؤنس في الوحدة ، تعمر به القلوب الواهية وتنفذ به الأبصار الكليلة ويدرك به الطالبون ما يحاولون » .

وقال معاوية بن أبي سفيان :

« اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فما حملتني على الإقامة ليلة الهدير بصفين وأنا أريد الهرب لشدة البلوى إلا أبيات عمرو بن الأطنابة التي يقول فيها :

أبت لي همّتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صحيح

وهل الأمجاد لولا الأدب الحي إلا أطلال ؟

فلقد مرت بتاريخ البشرية عصور يذكر فيها الفاتح واللعنة في أثر اسمه على الأفواه ، والحاكم الداهية وبسمة الامتعاض والاشمئزاز تعلو الثغور ، والسياسي الأريب وأمارات النفور تبدو على الأسارير ، وذلك لأن أمجاد هؤلاء جميعاً لم تقم إلا على الدم المطلول أو الوعد الممطول أو العرض المبذول ، ولقد دالت هاتيك الأمجاد ولم يبق إلا مجد الأدب . ألا رحم الله ابن الرومي القائل :

« أرى الشعر يحيي الناس والمجد بالذي ... تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر إلا معاهد ... وما الناس إلا أعظم نخرات »

تلكم هي منزلة الأدب في النفوس ومكانته في القلوب ، وذلكم أثره البعيد في الناس .

فلا غرو إذن أن يخلد على الدهر ولا بدع أن يسلم على الزمن ! وكيف لا يظل غض الإهاب بيان يستروح فيه الناس أعراف الجنة وأنسام الخلد ، ويرون فيه ربيعاً سرمدياً منضر الجنبات ، منور الحواشي ؛ بيان سمح ينفس عن القلب المكروب ، ويروح عن الفكر المجهود ، ويمتع النفس اللاغبة ، ويسمو بالروح من حضيض الغبراء إلى ذرى الجوزاء ويحلق بها في دنيا غير الدنيا وعالم غير هذا العالم . دنيا زاخرة بأطياف الأماني الغرر والأحلام الوضاء . وعالم رحب الأجواء ، نير الرؤى ، رخي النفحات ، عباق النسمات

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

- ٢ -

(ز) العيارون ، اللصوص ، المجرمون

وكان العيارون واللصوص وقطاع الطريق يودعون السجن [١] وقد سجن المأمون نفراً منهم كبيراً . وقتل آخرين [٢] ، وذكر ابن المعتز أن إسحق بن خلف ، وكان أحد الشطار الذين يحملون السكاكين قتل غلاماً فحبس بذلك ؛ فما فارق الحبس حتى مات [٣] .

(١) آدم متز : ج ٢ ص ١٦٥

(٢) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٧٨ .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٣٨ .

وذكر ابن الجوزى أن المعتمد حبس ثلاثة من الجند لأنهم سرقوا [١] . وأنه وجدت فى خلافة المطيع امرأة قد سرقت صبياً ، فشوته فى تنور وهو حى ، وأكلت بعضه ، وأقرت بذلك ، وذكرت أن شدة الجوع حملتها على ذلك . فحبست مدة ، ثم ضربت عنقها [٢] .

وكان الأطباء الذين يغلطون فيودون بحياة الناس يحبسون . فقد حبس الطبيب النصرانى خصيب لأنه سقى محمد بن أبى العباس السفاح شربة دواء فمرض منها ومات وبقى فى حبسه حتى مات [٣] .

(ط) الشعر ، الضحك ، الغناء

وقد يسجن الإنسان لأسباب حقيرة لا شأن لها . فتحدثنا كتب الأدب أن أبا العتاهية سجن مرة لأنه قال :

(١) المنتظم لابن الجوزى ج ٥ ص ١٢٤

(٢) « « « ج ٦ ص ٣١٧

(٣) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ص ١٤٨

بالأرج المحيي والشذى المعطار .

وهل الدنيا إلا صحراء لاهبة واحتها المخضلة هبات الفن السامى ونتاج العبقرية الخلاقة ؟ !

وهل العيش لولا تلكم النفثات العذارى التى يطرف العالم بها أرباب الفن وعباقرة الأدب إلا الشقاء الحرور ، والعناء الفادح والوصب الممض ؟ !

كان الحسن البصرى يقول ما مؤداه :

الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس الأدباء ، ومساجلات العلماء ، ومطارحات الشعراء .

ألا قدس الله سرك يا حسن ، يا مجتلى النور فى البيان السمح والمنطق المعسول .

« اسمعوا أيها الناس وعوا » على حد تعبير خطيب العرب وحكيمها وحكمها قس بن ساعدة الأيادى .

إنما الأدب عصارة القرائح وفيه تتجلى خلاصة الثقافات ، وإنه لمستودع الحكمة والحكمة يا كرام الناس كرسالات الأنبياء من وحى السماء وما توحيه السماء لا يموت . وهل تعوزكم الأدلة والبينات وبين أيديكم الكتب المنزلة تهتفون بآياتها الساحرة آناء الليل وأطراف النهار ؟

تلك الآيات التى تخشع عند تلاوتها النفوس خشعة الإكبار والإجلال والتقدير لهيمنتها على المشاعر واستحواذها على العقول والألباب حتى لكأنها السحر ، بل إنها لكذلك وإن من البيان لسحراً .

سبحان رب العرش وتعالت كلمتك . ما كان قولك الحق ليحتاج إلى الأيمان البالغة تؤيده لولا أن فى الناس أدعياء مارقين كالوليد بن المغيرة ينكرون نعمتك ويكذبون آياتك ويقولون عنها ضلة وزيفاً « إنها أساطير الأولين » فأقسمت — وبالرهبة القسم العظيم « ن ، وبالقلم وما يسطرون » . تثبيتاً لبيانك الخالد وتنويهاً بالقلم وبأربابه رافعى علم حكمتك السامية بين الناس . وحكمتك هى الحق اليقين التى بها يهتدون .

أشهد اللهم أنك أنت الشاعر الأعظم ، وأن أنبياءك المرسلين الأطهار أئمة الشعراء والأدباء أجمعين .

وأشهد أن للفن شباباً غضيراً يتحير فى قسماته النورانية ماء الخلود .

(بيروت) جورج سلستى

ألا إن ظبياً للخليفة صادنى ومالى عن ظبى الخليفة من عذر[١]

وسجن مرة ثانية لأن الرشيد أمره أن يتغزل وهو معه فى الرقة ، فأبى[٢] وكان معه إبراهيم الموصلى ؛ وكان قد أمره أن يغنى ، وقد مات الهادى فأبى أيضاً ، فحبسه وقال: لا يخرجان حتى يغنى هذا ويشعر ذاك[٣] .

ويذكر الشابشتى صاحب كتاب الديارات خبراً يدعو إلى العجب والإعجاب فى آن معاً . قال : خرج إسحاق بن إبراهيم من عند المأمون ، حتى إذا صار إلى الدهليز الثانى وقف ، ووقف القواد والناس لوقوفه . ثم قال : أين خليفة على بن صالح ؟ وكان على ذلك الوقت صاحب أمر الدار والرسوم بالحجبة . فأتى خليفته فضربه مائة مقرعة . ثم قال : الحبس . ثم قال : هاتوا خليفة صاحب البريد ، فأتى به ، فضرب مائة مقرعة . ثم قال : الحبس. ثم دعا بعلى بن صالح ، وبصاحب البريد ، وقال لهما : تقلدان خلافتكما فى دار الخلافة من يضيع الأمور ويهملها ... كنتما بهذا الأدب أحق من هذين ! فقالا : وما كان من أمرهما الذى أنكرته أيها الامير ؟ قال : صاحب بريد ، يقعد فى دار الخلافة فيضحك ويقهقه ، وصاحب الدار جالس لا ينكر ... ! »[٤] .

وفى جميع هذه الأسباب ذكرت كتب الأدب أخباراً أخرى أخذنا منها ما يقوم به الدليل على ما ذهبنا إليه ، ولم نعمد إلى التطويل .

أنواع السجون

نستدل مما اطلعنا عليه من النصوص أنه كان فى بغداد أنواع منوعة من السجون . فهنالك المطبق وهو حبس مظلم كبير ، كان المنصور قد بناه بين طريق البصرة وطريق باب الكوفة . وباسمه سمى الشارع الذى يقع هذا السجن فيه . وكان متين البناء قوى الأساس . وبقى أهم سجون بغداد حتى عهد المتوكل »[٥] . وكان فيها سجن آخر عند باب الشام ، إذا ذكروه قالوا : السجن الذى عند باب الشام وكان يهاجم دائما . وكان عليه عثمان بن نهيك ، وقتل فى فتنة الراوندية[١] فلما كان زمن المعتصم أمر أن يبنى حبس فى بستان موسى ، كان القيم به مسروراً مولى الرشيد . يقول التنوخى « وكان هذا البناء يرى من دجلة إذا ركبها المرء وكان كالبئر العظيمة ، قد حفرت إلى الماء ، أو قريب منه ، وفيها بناء على هيئة المنارة مجوف من باطنه ، وله من داخله مدرج قد جعل فى مواضع من التدريج مستراحات ، وفى كل مستراح شبيه بالبيت ، يجلس فيه رجل واحد ، كأنه على مقداره ، يكون فيه مكبوباً على وجهه ، وليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله[٢] » .

ثم بنوا سجناً آخر سموه السجن الجديد . وكان موضعه إقطاعاً لعبد الله بن مالك[٣] وبقى حتى جاء معز الدولة فهدم سوره سنة ٣٥٠ ، ونقل آجره إلى داره وبنى به[٤] ، وفى سنة ٣٥٥ كتب إلى طاهر بن موسى أن يبنى موضع الحبس المعروف بالجديد مارستاناً[٥] .

ولا نستطيع وصف مافيها على التفصيل ؛ وإنما نعلم أنها كانت ذات أقسام ، فحبس للزنادقة ، وحبس للعوام ، وحبس للنساء ، و ...

وكان فى المطبق الغرف الواسعات والضيقة . وكان فيه الآبار يسجن فيها . حدث يعقوب بن داود وزير المهدى قال حبسنى المهدى ، وذلك فى المطبق . فدليت بحبل فى بئر مظلمة لا أرى فيها الضوء[٦] قد بنيت عليها قبة ، فكنت فيها خمس عشرة سنة[٧] .

وربما سجنوا فى أماكن ومحال أخرى . فقد سجن سليمان ابن وهب فى كنيف قال : فأخذنى اسحق (بن ابراهيم ، صاحب الشرطة) وحبسنى فى كنيف ، وأغلق على خمسة أبواب . فكنت لا أعرف الليل من النهار[٨] ، وسجن المحسن بن أبى الحسن بن الفرات فى كنيف داخل الحجرة ، ودلوا فى بئره رأسه

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٦
(٢)و(٣) الأغانى : ص ٤ ، ٥ ج ٥
(٤) الديارات للشابشتى (مخطوط) : دير مديان .
(٥) بغداد فى عهد الخلافة العباسية : لسترانج ص ٣٤ .

(١) ابن خلدون : ج ٣ ص ١٨٦
(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخى ج ١ ص ١١٩
(٣) تاريخ بغداد للخطيب ص ٨٧
(٤) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ٢
(٥) المصدر السابق ج ٨ ص ٣٣
(٦) الفخرى ص ٢٢١
(٧) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤١
(٨) المصدر السابق ج ١ ص ٣٤

بعد أن قيد وألبس جبة صوف غمست بالنفط[١] . وربما سجنوا في الحجر الضيقة المظلمة ، حدث أبو الحسن بن أبي الطاهر قال : قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته للقاهر بالله ، على أبي وعليّ معاً فحبسنا في حجرة من دار ضيقة ، وأجلسنا على التراب[٢] .

وكان الحبس الذي سجن فيه المهدي إبراهيم الموصلي مكاناً شبيهاً بالقبر مملوءاً بالأفاعي والبق[٣] . ولما سير المنصور جماعة من أبناء علي إلى الكوفة حبسوا في سرداب تحت الأرض ، لا يفرقون فيه بين ضياء النهار أو سواد الليل[٤] .

وربما سجنوا في دار منفردة ، كما فعلوا بأبي العتاهية لما طلب إليه الرشيد أن يتغزل فأبى ومنعوا دخول من يريد إليه .

ويذكر ابن الجوزي أن القاهر بنى المطامير ليحبس الجند فيها[٥]

***

وأناس آخرون كانوا لا يسجنون في هذه المحال . فقد كانوا يحبسون من يخافون عليه عند الوزراء . كما سجن عبد الملك بن صالح عند الفضل بن الربيع لما غضب الرشيد عليه[٦] ، وكما سجن ابراهيم بن المهدي بعد القبض عليه وقبل العفو عنه ، عند أحمد ابن أبي خالد[٧] . وربما أودعوا عند من يثق الخليفة به ، كما فعل الرشيد عند ما سجن موسى بن جعفر بدار السندي بن شاهك[٨] .

وكانوا يتخذون قصور الخلفاء سجوناً في بعض الأحايين . فقد حبس المستعين بن المعتصم ، المعتز والمؤيد ابني المتوكل في حجرة من حجرات الجوسق الكبير[٩] . ويقول استرانج إن الخلفاء « اتخذوا دار الشجرة التي شيدها المقتدر ، حبساً رسمياً ، وضعوا فيه أقرب أقربائهم احتياطاً من أعمالهم . وجعلوا في خدمتهم عدداً من الغلمان والخدم . وجهزوه تجهيزاً تاماً بوسائل الرفاهية والنعيم ، ومنعوهم من تخطي أسواره[١] .

ويذكر ابن الجوزي أن القاهر حبس في دار السلطان مدة إحدى عشرة سنة ، من (٣٢١—٣٣٣) ، ثم أخرج إلى دار ابن طاهر ، فكان يحبس تارة ويخلى تارة[٢] .

ومنذ القرن الرابع أخذوا يسجنون عند القهرمانات . فقد سجن ابن الفرات عند زيدان القهرمانة[٣] ، وسلم إليها أيضاً الامير الحسين بن حمدان ، والوزير علي بن عيسى[٤] .

في السجن

لا نعلم الكثير من أحوال السجناء في بدء العصر العباسي ؛ على أننا نورد لك ما كتبه أبو يوسف للرشيد عن المساجين لنصور لك ما كانوا عليه . فقد طلب أبو يوسف أن يؤمر بالتقدير لهم ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم ؛ وأن يُصَيَّر ذلك دراهم تجرى عليهم ، وتدفع في كل شهر إليهم « فإنك إن أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوّام والجلاوزة . وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح يثبت أسماء من في السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكون الأسماء عنده . ويدفع ذلك إليهم شهراً بشهر . يقعد ويدعو باسم رجل رجل ، ويكون الإجراء عشرة دراهم في الشهر لكل واحد ، وليس كل من في السجن يحتاج أن يجرى عليه » . ثم طلب أن تكون كسوتهم في الشتاء قميصاً وكساء ، وفي الصيف قميصاً وإزاراً ، وأن يجرى على النساء مثل ذلك ، وهذا يدلنا على سجن النساء ، وكسوتهن في الشتاء قميص ومقنعة وكساء ، وفي الصيف قميص وإزار ومقنعة .

(يتبع) صلاح الدين المنجد

(١) تاريخ الوزراء للصابيء : ص ٢٤٣
(٢) الفرج بعد الشدة : ج ١ ص ٥٢
(٣) الأغاني : ج ٥ ص ٥
(٤) مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٠٠
(٥) المنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ٢٦٤
(٦) الطبري حوادث سنة ١٨٧ ج ١١
(٧) تاريخ بغداد لابن طيفور : ص ١٨٥
(٨) الفخري لابن طباطبا : ٢٣٣
(٩) الطبري حوادث سنة ٢٤٨

(١) بغداد في عهد الخلافة العباسية : استرانج : ص ٢٢٠
(٢) المنتظم ج ٦ ص ٢٦٥
(٣) كتاب الوزراء للصابي ص ١٠٥
(٤) آدم متز ج ١ ص ٢٤٣ نقلا عن العيون والحدائق (مخطوط) ص ١٨٥ . برلين رقم ٩٤٩١

العـــالم الجديد

للأستاذ زكريا إبراهيم

عصرنا الحاضر عصر مضطرب ثائر، لا نكاد نجد له مثيلا في التاريخ الغابر. فنحن نواجه اليوم حالة لم تعرفها الأجيال الماضية لأننا نحيا في عالم جديد يعج بالمشاكل المعقدة والمسائل الصعبة. وهذه الحالة التي تفرضها علينا مقتضيات هذا العصر، هي وليدة التطور الذي لحق الحضارة الإنسانية الحديثة. فليس من شك في أن علينا أن نكيف أنفسنا مع العالم المتغير الذي نحيا فيه، على ضوء المعارف التي نحصلها من الحركة العلمية المستمرة. والمعرفة هي — وحدها — التي استطاعت أن تغير معالم الكون، فلابد لنا إذن أن نعتمد على المعرفة، حتى نستطيع أن نحقق التوافق بيننا وبين البيئة الجديدة التي نعيش فيها.

غير أن الخوف قد يقف حائلا دون مواجهة الموقف الحاضر في صراحة وقوة؛ فإننا نخشى أن تقتادنا النظرة الجديدة للكون إلى الخروج عن معتقداتنا المألوفة وأفكارنا السابقة، ولكن هذا الخوف نفسه دليل قوي على أننا نشك في صحة تلك الأفكار والمعتقدات، ومن ثم فإننا نخشى أن نفحصها على ضوء الحقائق الجديدة والمعارف الحديثة. وإذن فالخوف ليس إلا مظهراً للشك والجهالة، وبالتالي فإن من واجبنا أن نطرحه جانباً إذا أردنا أن نكون مخلصين لروح العصر.

لقد أصبحت الشجاعة أول ضرورة من ضرورات هذا العصر فإن قيام العالم الجديد رهن بما أوتينا من شجاعة وقوة وإقدام. وليس من واجب المفكر أن يرتد فزعاً أمام تلك التيارات الرجعية التي قد تثور في وجهه، بل إن عليه أن يجهز بكلتا يديه على تلك الجيف الحية، لكي يقذف بها في زوايا التاريخ!

وإنها لمسئولية خطيرة تلك التي تقع على عاتقنا اليوم؛ فقد مضى ذلك العصر الذي كنا فيه نعتمد على القوى المجهولة والمصادر الخفية في استقاء معارفنا ومعلوماتنا. وليس علينا الآن إلا أن نعتمد على نفوسنا ونفكر لذواتنا، في كل المسائل التي تواجهنا؛ وما أكثر هذه المسائل!

إن أسلافنا كانوا يتوهمون أنهم قد عرفوا كل شيء منذ الولادة حتى ما بعد الموت؛ أما نحن فقد أصبحنا لا ندري ماذا يحدث بعد الغد! ومما لا ريب فيه أن للحرية الفكرية تكاليفها؛ فإنها ترفع تلك اليد التي تقود زمامنا، لكي تسلمنا إلى أنفسنا، وهنا يكون علينا أن نبحث كل شيء من جديد؛ ولكن لا كما يبحث الأعمى الذي يمسك بيده آخر، بل كما يبحث المبصر الذي يتحقق من كل شيء بنفسه.

ولن يكون في وسعنا أن نحل المسائل كما كان يحلها أسلافنا لأننا لن نطمئن إلى تلك الحلول السريعة التي تثب إلى المطلوب دون بحث واستقصاء. بل إن حلاً ما، مهما كان من صحته ودقته لن يكون حلا نهائيا حاسماً، ما دامت معارفنا في تزايد مستمر وتقدم دائم...

أما النزعة اليقينية التوكيدية، فإنها لن تجد موضعاً في العالم الجديد... وكيف يمكن أن توجد مثل هذه النزعة في عالم يرى أناسه الحقائق كما هي، لا كما يقول بها مذهب معين أو رأي خاص؟

إن العالم الجديد هو عالم الفكر الحر، والبحث النزيه، والخير العام. فلن يشهد فجر الغد حجراً على التفكير، أو ميلا إلى الطعن والتشهير، أو سعياً إلى الخراب والتدمير — وما دامت تلك الأصنام التي طالما تنابذ الناس من أجلها، لا بد أن تندك يوماً، كما اندكت عروش أصحابها، فلا بد أن يأتي ذلك اليوم الذي يشرق فيه فجر الحضارة الإنسانية الصحيحة

ومن واجبنا الآن أن نعمل على هدم تلك الأصنام التي تعوق مجيء ذلك اليوم. حقاً إن الإنسانية طالما حرقت البخور لها، وعفرت الجباه أمامها، ولكنها قد أخذت تدرك اليوم أن من واجبها أن تهوى بمعولها على تلك الأصنام جميعاً، فتأتي عليها عن آخرها — وما هذه الأصنام إلا الجهل، والتعصب الذميم، والنعرات القومية الفاسدة!

ولن يقوم في العالم سلام، إلا إذا كان ذلك في أرجاء الأرض قاطبة، ولن يكون ثمة رخاء، إن لم يكن ذلك رخاء عاماً، ولن يشرق فجر العالم الجديد، إذا لم يعم نوره الشرق والغرب والشمال والجنوب!

فليعلم إذن أولئك الذين يرجون قيام عالم جديد تسود فيه الحرية والطمأنينة والرخاء، أن عليهم أولا أن يقوضوا تلك الأصنام القديمة، حتى يقيموا على أنقاضها بنيان العالم الجديد المنشود!

زكريا إبراهيم

من قصص جحا

٣ – الغريق الناجى

للأستاذ كامل كيلانى

« صفحة مختارة من المخطوط الجحوى النفيس الذى عثرت عليه ، ولعله مكتوب بخط صاحبه « أبى الغصن عبد الله دجين ابن ثابت » الملقب بجحا أو بخط أحد معاصريه » .

« ... منذ مائتين وألف من السنين كان « عبد الله دجين ابن ثابت » يسير خارج المدينة وقد ساد الظلام السكون ، فكاد يحجب الطريق عن العيون ، لولا بصيص ضئيل من ضياء النجوم ، كانت ترسله السماء إلى الأرض ، كما يرسل الرجاء نوره إلى ظلمات النفس ، فيكشف من يأسها الحالك ، ويفتح لها طريقا نيراً تسلكه فى ظلمات الحياة .

وساد الصمت وخيم السكون لولا نقيق الضفادع المرحة ، منبعثا من ضفة النهر . وجلس « عبد الله دجين » هادىء النفس مطمئنا ، برغم ما لقيه فى ذلك اليوم من الكوارث والأحداث . ولولا أن بعض ما حل به من المصائب قد أصاب غيره لما وجد العزاء إلى نفسه سبيلا ، ولضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، ودارت به الأرض قائما .

تسألنى ماذا لقى « دجين » من النكبات . فاعلم – حفظك الله ورعاك وسلمك من كل سوء – أن بعض الأشرار قد أحرق بيته . وأن الزمن تنكر له فاستهدفت أسرته للجوع والمرض . ولم يكد أصحابه يرون ما حل به من الملمات حتى هجروه وابتعدوا عنه بعد أن كانوا يتوددون إليه ويلتمسون معونته . وانقبضت أيديهم عنه بعد انبساطها ، فلم تمتد إليه بالمساعدة يد واحد من أصدقائه وأصفيائه الذين كان يدخرهم للنوائب ويستبقيهم للشدائد ولم يكن ينقصه شىء ليكون أتعس خلق الله إنسانا .

ولولا عطف جارته « زبيدة » المحسنة على زوجه وولديه لهلكوا جوعا ، ولكن الله لطف بهم فسخرها لهم لتتعهدهم فى أيام النحس والشقاء .

وقد لقى « دجين » تلك الخطوب والنكبات باسم الثغر وضاح الجبين ، مملوء القلب بنور اليقين . ولعلك تدهش إذا قلت لك إنه كان يشعر فى تلك الليلة بطمأنينة وثقة لا حد لهما .

وكانت الضفادع قد سكتت حين رأته قادما عليها ، فلما استقر به الجلوس على ضفة النهر ، عاودتها الشجاعة ، فأنست به واطمأنت إليه ، وأقبلت عليه وقد استولت عليها البهجة فراحت تقفز فى الفضاء وترفع أصواتها بما تملكه من قبيح الغناء .

وأحس « أبو الغصن » صوت جسم يسقط فى الماء ، وسمع استغاثة خافتة ضعيفة تنبعث فى أثر الصوت طالبة النجدة والغوث .

فخف « دجين » إلى النهر ، واندفع إلى مكان الغريق حتى إذا داناه ، أسرع اليه ، فألقى بنفسه إلى الماء فى غير تردد ولا وجل ، وما زال يسبح جاهدا حتى عثرت يداه بطرف ثوب فأمسك به وجذبه إليه ، وما زال به حتى أنقذ صاحبه من الغرق وحمله إلى الشاطىء .

وما كاد يتأمل وجه ذلك التاعس المشرف على الغرق ، بعد أن كتب الله سلامته على يديه ، حتى أبصر شيخا زرى الهيئة مغمى عليه . وما لبث الشيخ أن أفاق من غشيته فشخص إلى « دجين » بعينين صغيرتين يظللهما حاجبان كثيفان ، ثم قال له بصوت متهدج يكاد يختنق من البكاء :

« شكرا لك يا أخى ، على ما أسديته إلى من صنيع ، لقد خاطرت بحياتك لتنقذ حياتى ولولا ذلك لكان الهلاك نصيبى .

على أننى لا أدرى – على التحقيق – أجميلا صنعت معى أم قبيحا ؟ ولا أعلم اليقين من أمرى : أخيراً صنعت بى أم شراً ؟ »

فقال « دجين » : « أكنت تقصد عامدا إلى إغراق نفسك هذه الليلة ؟ »

فقال الشيخ : « أستغفر الله ! ذلك ما لا يدور ببال عاقل كريم ! لقد زلت قدمى وأنا أمشى على الجسر فهويت إلى النهر ، وحملنى التيار فى ظلام الليل الحالك ، فكنت لولاك من المغرقين »

فقال « دجين » : فما بالك تندم على نجاتك ، ولا تحمد الله على سلامتك ؟ »

فقال الشيخ فى أسلوب حزين يفيض مرارة وا كتئابا : الحمد لله على كل حال ! فإن كل ما ينالنا من خير أو شر مقدر

علينا لا حيلة لنا فى دفعه ، ولا سلطان لنا عليه » قال « دجين » « فما يحزنك من الدنيا ؟ »

قال الشيخ : « مثل لنفسك شيخا مثلى ماتت أسرته جميعا : زوجه وأولاده وبناته وإخوته وعشيرته ، وأقاربه الأدنون والأبعدون ، فأصبح فى شيخوخته يعيش بلا أسرة ، ولا يجد فى العالم كله قلبا يهفو إليه أو يعطف عليه ، ولا يظفر بمورد يعيش منه ، وقد حمل من أعباء السنين سبعين . كيف يكون شعور مثل هذا الرجل الفانى إذا هيأت له المصادفة أن يغرق ، ثم كتبت له السلامة مرة أخرى ؟ أتراه يسعد بذلك أم يشقى ؟ وهل يبتهج باسترداد حياته ؟ أم يأسف لخلاصه ونجاته ؟ إن للفتى والشاب — من أمثالك — آمالا كباراً يسعيان إلى تحقيقها والظفر بها فإذا بلغنا ما بلغت من السنين وذرف (أى : زاد) على السبعين فأى أمل يبقى لهما فى الحياة ، وأى مطلب يسعيان له ويتمنيانه ؟

فقال « دجين » يناجى نفسه فى صوت خافت : « ما بال هذا الشيخ يستنكر البقاء ويلعن الحياة ! »

وكان سمع الشيخ مرهفاً ، فلم تفلت منه تلك الهمسة ، فقال لدجين قولة الواثق المتثبت مما يقول : « كلا — ياصاحبى — لا تسيء ظنك بى فما أنا بمبغض للبقاء ولا كاره للحياة ! كلا لا أستنكرها كما ظننت ، ولا ألعنها كما توهمت ! بل أنا أحتقر من يفعل ذلك أشد الإحتقار . وقد عشت طول حياتى مؤمنا بالله مستسلما لقضائه وقدره ، مفوضاً أمرى له . يقبض روحى متى اقتضت إرادته ذلك . ولم يمنعنى ذلك عن السعى فى مناكب الأرض فى طلب الرزق . ولكنها تأوه محزون ، وكلمة حمقاء سبقت إلى لسانى فنطق بها فى ساعة يأس ، دون أن يتدبر عقلى مغزاها ، أو يتثبت فكرى من معناها !

ثم أطرق الشيخ ، وكأنه خجل مما فاه به لسانه من كلمات الخور والضعف فطأطأ رأسه برهة . ولكن « دجينا » قطع صمته عليه حين سأله :

« من الرجل ؟ » فقال : « أنا لعلع بن دعدع » وكنيتى « أبو شعشع » . فخبرنى أنت ما بالك منفردا فى مثل هذا الوقت وفى مثل هذه الصحراء الموحشة ؟ وما بالك تؤثر العزلة والانفراد فى ظلام الليل ، كأنما تفر من أبناء جنسك ! ولئن صحت فراستى فما أنت بسعيد فى حياتك قط » . فقال « دجين » : « كلا — يا صاحبى — فإن السعادة لم تفارق نفسى قط ، وما أذكر أننى شعرت بالتعاسة يوما واحدا طول عمرى ، على كثرة ما أصابنى من المحن والمصائب والآلام ؛ فإن الحزن والسرور — فيما أرى — يتعاقبان على الإنسان كما يتعاقب عليه الليل والنهار .

ولو أردنا أن نستديم السرور أو الحزن لعجزنا عن ذلك كما يعجز من يحاول أن يستديم الليل أو النهار . ألا ترى كيف تتعاقب علينا الفصول الأربعة فى أثناء السنة : فتمر بنا صيفا يتلوه خريف ، وشتاء يتلوه ربيع ؟

كذلك يتعاقب علينا الحزن والفرح ، والانقباض والانبساط ، واليأس والرجاء ، والشدة والرخاء ، والعسر واليسر ، والفقر والغنى ، والظلمة والنور ، والمرض والصحة » .

فقال الشيخ : « ما سمعت فى كلامى أحسن من حديثك ، ولا أحكم من رأيك . ولئن صح ظنى ليكونن لك شأن عظيم فى حياتك وبعد مماتك . فمن تكون أيها السيد الكريم ؟ » .

فقال : « أنا عبد الله دجين بن ثابت » ، وكنيتى : أبو الغصن ، ولقبى : جحا » .

فقال لعلع : « وما صناعتك ؟ »

فقال دجين : « كنت بالأمس ، تاجرا كبيرا يشار إليه بالبنان ، ولكن حريقا شب فى بيتى ومخزنى — منذ أيام — أتى على كل ما أملك من أثاث وبضائع ، فلم يبق لى — مما ملكت — كثيرا ولا قليلا . ولقد تداركنا الله بلطفه ورحمته ؛ فسلم كل من فى الدار : سلمت زوجى وولدى وابنتى . فشكرا لله على لطفه بنا . ولقد كدنا نهلك جوعا لولا جارتنا الكريمة التى مدت إلينا يد المعونة ، وتكفلت بإطعام زوجى وولدى .

أما الجانى الذى أوقد النار فى بيتى ومخزنى فقد فر ، ولم يقف له أحد على أثر :

فقال الشيخ لعلع : « لقد أنستنى مصائبك — ياأبا الغصن — كل ما لقيت فى حياتى من أحداث وآلام . ثم ارتعش جسم الشيخ ، فقال وهو يصرف نابه[1] : « كيف تكون الدنيا

(١) أى يحك ضرسه فيسمع له صوت

إذا خلت من أهل المساعدة والعون من كرام المحسنين » .

فظن « دجين » أن الشيخ يرتجف مثله ألما . لالتصاق ثيابهما المبللة بأعضاء جسميهما . وحسبه يستجديه المعونة فقال : « دعنا من حديث الأحزان ، فليس منه فائدة ، وسينقضي وقت الشدة — إذا صبرنا لها — ثم يعقبها وقت الرخاء ، فتنسينا بهجته جميع ما كابدناه من مصائب وآلام ، ومتى صبر الإنسان لجهد نازلة أصابته ، ووطن نفسه على احتمالها وابتسم للكوارث والنكبات غير هياب ولا وجل ، لم تلبث أن تنجلي عنه وينساها كما نسى غيرها من المصائب والآلام . والعاقل هو من يرضى بأحكام القضاء ، فلا يستسلم للضعف ، واثقا أن لكل شدة مدة ثم ينقضي معها ، فإذا صمد لها غلبها وانتصر عليها . ثم صمت قليلا ، واستأنف حديثه قائلا : هلم يا أبا شعشع فاتبعني إلى داري فإنك واجد فيها — على ضيقها — مكانا تأوي إليه ، وسنحضر لك بعض الحشائش والأعشاب توقدها لتجفف ثيابك المبتلة .

فأطرق « لعلع » لحظة ، ثم قال لدجين « قبلت ضيافتك ، يا أبا الغصن ، ولعل الله — سبحانه — يوفقني ذات يوم إلى أداء هذا الدين الجميل إليك » .

فقال « دجين » : « إن في صنع المعروف لذة يتضاءل أمامها كل جزاء مهما عظم ، وتصغر بالقياس إليها كل مكافأة مهما جلت . وحسبي سرورا أن يمكنني الله من القيام بواجب الضيافة ، دون نظر إلى جزاء أو شكر .

إن خير ما يكافأ به المحسن — ياسيدي — هو شعوره بأنه أدى واجبه ، وفرحه بقدرته على فعل الجميل ، وحسب الطيب مكافأة له أنه طيب . هلم فاعتمد ذراعي واتكئ عليها لتساعدك على السير » .

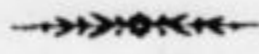
فقال « لعلع » : « ما أبعد نظرك ، وأحكم رأيك ، وأصدق نيتك ، وأسلم طويتك ! إني لأنبأ لك بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة . وسيتولى الله — سبحانه — حمايتك ، ويخلد على مر الزمان اسمك وسمعتك ، ويسخر لك الإنس والجن لمعاونتك وخدمتك ، ويجعلهم طوع مشيئتك ، ورهن إشارتك » .

ثم مشى كلاهما في ضوء النجوم المتألقة في السماء ، يلفهما ظلام الليل ، ويؤنسهما نقيق الضفادع ، ويحوطها الله برعايته ، ويكلؤها بعنايته .

كامل كيلاني

الحـكاية الأزليــة

للأستاذ إيليا أبو ماضي



[أخرج الأستاذ نجدة فتحي صفوة مدرس اللغة العربية بكلية بغداد ، الحلقة الأولى من سلسلة الشعراء المعاصرين التي اعتزم صياغتها ، وهي كتاب لطيف الحجم في (إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر) ألم فيه إلمامة بليغة حسنة بأدب إخواننا العرب المهاجرين إلى أمريكا ، ونوه بمزاياه وخصائصه ، ثم دل على مكانة أبي ماضي منه ، وذكر طرفاً من حياة الشاعر وطرفاً من أدبه في أسلوب بليغ وعرض مشوق . وقد ختمه بهذه القصيدة الجديدة لأبي ماضي ، كما افتتحه بمقدمة نفيسة للأستاذ رفائيل بطي عميد الصحافة العراقية في وجوب العناية بتراجم المعاصرين وتسجيل أخبارهم وآثارهم . والكتاب والمقدمة من خير النماذج لأدب العراق الحديث] .

توطئة

كان زمان ، لم يزل كائنا   وحالة . ما برحت باقيه
مل بنو الإنسان أطوارهم   وبرموا بالسقم والعافيه
فاستصرخوا خالقهم واشتهوا   لو أنه كونهم ثانيه
وبلغت أصواتهم عرشه   في ليلة مقمرة صافيه
فقال : إني فاعل ما اشتهوا   لعل فيه حكمة خافيه
وشاهدوه هابطاً من علٍ   فاحتشدوا في السهل والرابيه
من القرى الكئيبة العارية   والمدن الضاحكة الزاهيه
تألبوا من كل صوب كما   تجتمع الأمطار في الساقيه
يسابق الصعلوك رب الغنى   والأبله الباقعة الداهيه
ويدفع الشيخ التوق عوده   وصار مثل الرمة الباليه
فتى مضى الفجر ولما تزل   روعته في وجهه باقيه
وتزحم الحسناء ممكورة   خلابة كالروضة الحاليه
دميمة تشبه في قبحها   مدينة مهجورة عافيه
فقال رب العرش : ماخطبكم ،   ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟
هل أصبحت أرضكم عاقرا   أم غارت الأنجم في هاويه ؟
أم أقلع الماء فلا جدول   وماتت الطير فلا شاديه ؟
أم فقدت أعينكم نورها   أم غشيت أرواحكم غاشيه ؟
أين الهوى ، إن لم يكن قد قضى   فكل جرح واجد آسيه

الفتى

قال الفتى : يا رب إن الصبا   مصـــدر أحزانى وآلاى
ألبستنيه مونقاً بعـــد ما   أبلاه أخوالى وأعمـــاى
وصـــار فى مذهبهم عصره   فترة زلات وآثام
فاختلفت حالى وحالاتهم   كأننى فى غير أقواى
وصرت كالجدول فى فدفد   أو شاعر ما بين أصنام
والأخضر المورق فى يابس   أو مثل صاح بين نوام
دنياهم دنياى . . . لـكنما   أعلامهم ليست كأعلاى
عندهم الروضة أشـــجارها   والروض عندى الزهر النامى
والطير لحم ودم عنـدهم   وليس عندى غير أنغـــام
سكرى بها أو بالندى والشذى   وسكرهم بالخمر فى الجام
يسخر قلبى بلياليهم   ويسخر الدهر بأيامى
كأننى جئت لتبكيتهم   كأنمـــا جاءوا لإيلامى
عبء على نفسى هـذا الصبا   الجائش المستوفز الطامى
يزرع حولى زهرات المنى   وشـوكها فى قلبى الدامى
فان . . . له فى كل فان هوى   فان . . . ولا ينجو من الذام
خذه . . . وخذ قلبى وأحلامه   فإننى أشـــقى بأحلامى
ومر يمر الدهر فى لحظة   كالطيف . . . أو كالبرق قدامى
وازرع نجوم الشيب فى لمتى   فينجلى حندس أوهامى
وأبصر الحكمة فى ضوئها   إنى إليهـــا جائع ظامى

الشيخ

وجاء شـــيخ حائر واجف   مشتعل اللمة بالى الإهاب
كأنمـــا زلزلة تحته   لما به من رعشة واضطراب
فصاح : يا رباه خذ حكمتى   واردد على عبدك عصر الشباب
إن أمانى الروح أزهارها   وإن روحى اليوم قفر يباب
لا جدول لا بلبـــل منشد   بلى . بها الوحشة والاكتئاب
تلك الأمانىُّ . . . على كذبها   لم تكن اللذة فيها كذاب
زالت وما زلت . . . وإن الشقا   أن تطمس الآى ويبقى الكتاب
وتسلب السرحة أوراقها   ولم تزل أعراقها فى التراب
قيل لهـا فى البحر كل المنى   فلم تجد فى البحر إلا الضباب
كنت عنياً فى زمان الصبا   وكنت صفر الكف صفر الوطاب
صحوت من جهلى فأبصرتنى   كأننى سـفينة فى العباب
نأت عن الشط ولم تقترب   شبراً من السر الذى فى الحجاب
ولو ترجى أوبة لاشـــتفت   لـكنما عز عليها الإياب
مر تقف الأيام عن سيرها   فإنها تركض مثل السحاب
وضع أمامى لا ورائى المنى   وطوّل الدرب وزد فى الصعاب
ما لذتى بالمـــاء أروى به   بل لذتى فى العدْو خلف السراب

الحسناء

وقالت الحسناء : يا خالقى   وهبتنى الحسن فأشقيتنى
وجهى سنى مشرق إنمـــا   مرمى عيون الخلق وجهى السنى
حظى منـه حظ ورد الربى   من عطره الفواح والسوسن
ومثل حظ السرو من فيئه   والطير من تغريدها المتقن
ومثل حظ النجم من نوره   فى الحندس المعتكر الأدجن
للقائل الفىء . . . وللسامع   التغريد . . . والزهرة للمجتنى
والنـــور للمدلج والمجتلى   والدر للغائص والمجتنى
كم ريبة دبت إلى مضجعى   مع الجمال الرائع الممكن
إن عشقت نفسى فويل لهـا   والويل لى إن زجل حبى
السم والشوك وجمر الغضا   أهون من كاشحة الألسن
كم تقتفينى نظرات الخنا   وبلىَ من خائنة الأعين
لم يبق فى روحى من موضع   يا رب لم يخدش ولم يطعن
إن الغنى فى الوجه لى آفة   فليت أنى دميـــة ليتنى

الجارية

وسكتت . . . فصاحت الجاريه   باكية من بؤسها شاكيه :
ذنبى إلى هذا الورى خلقتى   فهـل أنا المجرمة الجانيه ؟
إن أخطأ الخزاف فى جبله الـ   طين ، فأى الذنب للآنيه ؟
أليس من يسخر بى يزدرى   بالقوة الموجدة البـاريه ؟
لو كنت حسناء بلغت العلى   فللجمال الرتبة العـاليه
وبات من أسجد قدامه   صاغرة يســجد قداميه
فإننى فى ملأْ ظالم   أحكامه جائرة قاسيه
ليس لذات القبح من غافر   وفيه من يغفر للزانيه . . .

نفسى جزء منك يا خالق — وإنها عاقلة راقيه
أليس ظلماً وهى بنت العلى — إن تك بالقبح إذن كاسيه ؟
فليكن الحسن رداء لها — ترفل به أو فلتكن عاريه

الصعلوك

وأقبل الصعلوك مسترحما — فى مقلتيه شبح اليأس
يصرخ يا رباه حتى متى — تحكم الموسر فى نفسى
وتضع التاج على رأسه — وتضع الشوك على رأسى
ويشرب اللذات من كأسه — وأجرع الغصات — من كأسى
وتنجلى النجوم فى ليله — ضاحكة كالغيد فى عرس
ويتوارى فى نهارى السنا — أو يتبدى خانق الشمس
يا رب لا تنقله عن أنسه — ولكن انقلنى إلى الأنس
فإن تشأ ألا يذوق الهنا — قلبى فجردنى من الحس
لو لم يكن غيرى فى غبطة — ما شعرت روحىَ بالبؤس

الغنى

وقال ذو الثروة : ما أشتهى — لا أشتهى أنىَ ذو ثروة
أنفقت أيامى على جمعها — وخلتنى أدركت أمنيتى
فاستعبدتنى فى زمان الصبا — وأوقرت بالهم شيخوختى
قد ملكتنى قبلما حزتها — وملكتنى وهى فى حوزتى
كنحلة أمسكها شهدها — من الجناحين فلم تفلت
حسبتها تكسبنى قوة — فافترست قوتها قوتى
جنت على نفسى وأحلامها — جناية الشوك على الوردة
ينمو فتذوى فهى عليقة — يحذرها الطائف بالروضة
من قائل عنى لمن خالنى — امرح من دنياى فى جنة
لا تنظر الأضواء فى حجرتى — وانظر إلى الظلماء فى مهجتى
ولا يغرنك قصرى فما — قصرى سوى سجن لحريتى
إنى فى الصرح الرفيع الذرى — كطائر — فى قفص — ميت
كم فى عباب البحر من سابح — قد مات ظمآنَ إلى قطرة
موت الطوى شر ولكنما — أفظع منه الموت بالتخمة
إن مهر العاشق من لوعة — أو مهر المحزون من كربة
فالشوق كالحزن له آخر — وينقضى فى آخر المدة
أما أنا فقلقى دائم — ما دمت فى مالى وفى فضتى
والخوف من كارثة لم تقع — أمض من كارثة حلت
كم من فقير مر بى ضاحكا — كأنما يسخر من غصتى
رأيته بالأمس من كوتى — فخلتنى أنظر من هوة
وكنت كالحوت رأى موجة — ضاحكة ترقص كالطفلة
أو حية تدب فى منجم — ترنو إلى فراشة حرة
قد اختفت ذاتى فى بردتى — فما يرى الخلق سوى بردتى
فهم إذا ما سلموا سلموا — على خيوط البرد والجبة
رباه أطلق من عقال الغنى — روحى فإنى منه فى محنتى
وانزع مع الدينار من قبضتى — صلابة الدينار من سحنتى
وحول المال إلى راحة — وحول القصر إلى خيمة

الأبله

وصرخ الأبله مستفسراً — ما القصد من خلق كذا والمراد؟
ألم يكن يكمل هذا الورى — إلا إذا أوجدتنى فى فساد ؟
لى صورة الناس وحاجاتهم — من مطعم أو مشرب أو رقاد
لكن لى غير ألبابهم — فإنه مكتنف بالسواد
يعجزنى إدراك ما أدركوا — كأن عقلى فحمة أو رماد
إن كنت إنساناً فلم يا ترى — لست بإدراكى كباقى العباد ؟
أو لم أكن منهم فمرنى أكن — جرادة أو أرنبا أو جواد ،
فالنبد لا يعدم من نده — ذريعة للسلم أو للجهاد
لا تسخر النملة من نملة — وليس يزرى بالقراد القراد
أم أنت كالعقل على رغمه — ينمو مع الحنطة فيه القتاد

النابغة

وجاء بعد الأبله المسترب — الألمعى العبقرى اللبيب
فقال : إنى تائه حائر — أنا غريب فى مكان غريب
أبحث عن نفسى فلا أهتدى — وليس يهدينى إليها أريب
أنا عليم حيث لا عالم — أنا لبيب عند غير اللبيب
لو أننى كنت بلا فطنة — سرت ولم تكثر أمامى الدروب
وكان عقلى كعقول الورى — وكان قلبى مثل باقى القلوب
وصار عندى كالنجوم الورى — فلا عدو فيهم أو حبيب
ولم أجد فى ضحكهم والبكا — شيئاً سوى الضحك وغير النحيب



رأى عظيم فى (دفاع عن البلاغة) :

[أرسل إلينا حجة الفقهاء، وعمدة القضاة الأستاذ عبد العزيز فهمى باشا رأيه فى (دفاع عن البلاغة) نسجله شاكرين فى (الرسالة) إجلالا لتنويهه واعتزازاً بتوجيهه] :

تفضلت فأهديت إلىّ كتابك القيم (دفاع عن البلاغة) فقرأت نصفه فى مجلس واحد ، ثم قرأت نصفه الآخر فى صباح اليوم التالى ، وخرجت من قراءة هذا الكتاب الممتع بأن دراسته لا تصلح للمبتدئين ولا لأنصاف المتعلمين ، لأنه مقارنة قوية لبلاغة العربية ببلاغات اليونانية واللاتينية والفرنسية وغيرها ؛ ودراسة هذه المقارنة إنما تصلح للمتخصصين فى علوم العربية ، ويسرنى أن أسمع يوماً أن إدارتى جامعتينا قد قررتا تدريس هذا الكتاب لطلاب التخصص فى اللغة العربية ؛ فإنهم بالمقارنة بين ما قاله علماؤنا وبين ما قاله العلماء الأجانب قديماً وحديثاً يستطيعون أن يحددوا مركز علمائنا السامى بين رجال البلاغة فى كل بلد ، وأنت سيد العارفين بأن هذه المقارنة تفتق الأذهان وتوسع الآفاق؛ وهى خطوة لابد منها لشرقنا حتى يستطيع الناقص أن يتم، والتام أن يكمل ، والكامل أن يكون على بينة من كماله .

وكتابك هذا باكورة خير ظهر معها كتاب آخر أطلعنى بعضهم عليه وهو كتاب (التصوير الفنى فى القرآن) للأستاذ سيد قطب الذى ينم عن تحرر فى العقل لم يتفق أن سمعنا بمثله من قبل . وكتابك وكتابه كوكبان يضيئان الأفق لمن يتلهف مثلى على الرؤية فى وضح النهار .

عبد العزيز فهمى

أسائل كوكباً طالعاً لماذا تبدو، ولماذا تغيب ؟
ولم أقف فى الروض عند الضحى يذهلنى لون وشكل وطيب
ولم أقل ما كنت من قبلما
كنت ، ولا ما فى سجل الغيوب ،
ما العقل يا رب سوى محنة لولاه لم نكتب على الذنوب

الخاتمة

لما وعى الله شكايا الورى قال لهم : كونوا كما تشتهون
فاستبشر الشيخ وسر الفتى والكاعب الحسناء والحيزبون
لكنهم لما اضمحل الدجى لم يجدوا غير الذى كانا
هم حددوا القبح فكان الجمال وعرفوا الخير فكانا الطلاح
وليس من نقص ولا من كمال فالشوك فى التحقيق مثل الأقاح
وذرة الرمل كمثل الجبال وكالذى عز الذى هانا

إيليا أبو ماضى

التاريخ القومى فى المدرسة الابتدائية

وزعت وزارة المعارف جدول الدراسة فى المدارس الابتدائية هذا العام على أساس ست وثلاثين حصة بدلا من تسع وثلاثين .

ولا يعنينا أمر هذا العدد فى ذاته ، ولكن الذى يعنينا أمره كثيراً هو أن الوزارة قد حذفت — فيما حذفت — حصة التاريخ الوحيدة التى كان يتلقاها تلاميذ السنة الثانية فى كل أسبوع .

وقد كان موضوع هذه الحصة قصصاً عن حياة قدماء المصريين وبعض الفراعنة المشهورين مثل بناة الأهرام وامنحتب وحتشبسوت ... الخ .

وكانت هذه القصص على ضآلتها وتفككها هى الخيط الوحيد الذى يربط التلاميذ بتاريخهم القومى العظيم ، والصورة الوحيدة التى تعرض عليهم من عصر كان أزهى العصور فى تاريخ العالم كله يوماً من الأيام .

فاليوم تريد وزارة المعارف أن تقطع هذا الخيط الضئيل وتطمس تلك الصورة الباهتة : وكان واجبها يقتضى أن تقوى كل ما يربط التلميذ بقوميته وأن تؤكده توكيداً وتلح على التلاميذ فى استيعابه بأن تخلق له الفرص خلقاً فى كل درس وفى كل مناسبة ؛ لا أن تلغى الفرصة الوحيدة التى كانت متاحة للتلاميذ .

وقد كان للوزارة مندوحة عن إلغاء هذه الحصة فلديها وفر من حصص اللغة الانجليزية التى ألغتها مشكورة لتوفر على التلاميذ الجهد وتتيح لهم الفرصة ليتعرفوا على لغتهم القومية وكيانهم القومى !

أجل ! ما كان أجدر رجال التعليم أن يستغلوا بعض هذه الحصص الزائدة فى تقوية الروابط التى تربط التلاميذ بوطنهم وقوميتهم وتنمية البذرة التى تنشيء فى المستقبل جيلا معتزا بوطنه حريصاً على وجوده .

وبدل أن تحول اثنتان من هذه الحصص الزائدة إلى « قصص » عام لا هدف له ، كان الأولى أن تكون هاتان الحصتان أو إحداهما على الأقل قصصاً قومياً يهدف إلى غاية وطنية نبيلة . وخاصة حين نعلم أن الوزارة تنوى — فى النظام الجديد — أن تجعل السنة الثانية الابتدائية نهاية لمرحلة تعليمية . فلا يجوز أن تنتهى تلك المرحلة دون أن يعرف التلميذ فيها شيئاً عن أحد المقومات الضرورية لشخصيته .

ولا أحسب أن حذف هذه الحصة أمر مقصود لذاته وإنما هى ضربة من ضربات « القص » جاءت على غير هدى !

ولكنى أرجو وزارة المعارف أن توازن جداولها على حساب أى شيء إلا الكيان القومى للتلاميذ .

محمد قطب

بين الأستاذين قطب وخلاف :

نشرت مجلة « الرسالة » الغراء فى أعدادها السابقة مناقشات علمية طيبة فى موضوع على جانب كبير من الخطورة والإجلال ، هو موضوع إعجاز القرآن بين الأستاذين الفاضلين خلاف وقطب — وكنت متتبعاً باهتمام بالغ ما كتب الأستاذان ، غير أنى لحظت أموراً فيما كتبا . ذلك أن كلا منهما قرر حقاً لا مراء فيه سوف أنبه إليه والعجب أن كليهما أخذ على صاحبه ذلك الحق ومارى فيه ، دون مبرر لذلك إلا شدة الحرص على الرأى الفردى من غير نظر أو اعتبار لرأى الآخر ؛ وهذا إسراف منهما .

١ — الأستاذ سيد قطب يقرر فى كتابه أن «التصوير الفنى» جانب كبير اعتمد عليه القرآن الكريم فيما ساق من وجوه الاستدلال فى بيان أن ديكتاتورية الأولين من الشعوب الغابرة — لم يكن نصيبها إلا الانهيار ، فهذا القصص البارع فى معرض العظة والاعتبار عن غبر من الأمم ، وهذا الحوار التمثيلى الذى دار بين الخضر وموسى فى سورة الكهف ، والذى ساقه الله بين موسى وفرعون فى سورة الشعراء ؛ كل أولئك تصوير فنى بارع معجز لأمراء البيان فى جميع العصور الغابرة « ماضية أو آتية » ؛ وإذن فهذا وجه آخر من وجوه إعجاز القرآن دون ريب ، يضاف هذا الوجه الذى زاده الأستاذ سيد إلى وجوه الإعجاز الأخرى التى دونها العلماء — وهذا سداد فى الرأى وتوفيق نهنئه عليه .

أنكر الأستاذ خلاف أن يكون التصوير الفنى وجهاً غالباً من وجوه الإعجاز — واحتج لذلك بقوله لأنه « أى الربط بين التصوير وسر الإعجاز » يفسر إعجاز القرآن بأمور فى مستوى الصنعة البشرية » . فالتصوير الفنى فى نظر الأستاذ خلاف سبيل مألوفة للأدباء من البشر ، وأسلوب من أساليبهم من الممكن أن يسلكوه وهنا كما يقول الأستاذ الخطر كل الخطر ، ثم راح الأستاذ خلاف يؤيد إنكاره بكلمة للأستاذ العقاد رداً على الأديب الفذ المرحوم الرافعى قال « وإنما الأساس فيها المعجزة ، والحكمة الأولى أنها تخرق النواميس المعروفة »

والأستاذ خلاف فى هذا الإنكار مسرف ، مجانب للحق والصواب — فليس ثمت خطورة كما يقول بل الأمر الذى أدرك منه خطورة ، وهو كون التصوير الفنى طريقاً مألوفة للبشر — ولفصحاء العرب وأبنائهم أن يستخدموه فى مستوى رفيع فيه الوحدة والتناظر » أقول هذا الأمر الذى خشيه هو الشرط الأساسى فى الإعجاز — وذلك أن القرآن نفسه جاء من جنس كلام العرب ، ومن لغتهم وعلى طرق من القول صرفها لهم ، وطائفة من الأمثال ضربها فيهم ، ومن المقطوع به ألبتة أنهم كانوا يعلمون هذه الطرائق التى سار فيها القرآن لغة ومعنى وأسلوباً وخيالا ولو من طريق الإجمال — أو قل على حد تعبير المناطقة إنهم كانوا يعلمون هذا بالقوة ، ولكنهم لا يعلمون ، هذا بالفعل ، ولعل هذا ما جعل النظام يرى أن العرب أو الناس صرفوا عن الأتيان بمثله

ومن هذا يبين ويضح أن القرآن فى إعجازه البشر وتحديه سلك طرائق مألوفة معهودة لهم . وهذا ضرورى حتى يكون التحدى ، وحتى يكون الإعجاز ، إذ لا معنى فى أن أتحداك أو أعجزك فى لغة أو شيء ما لا تعرفه ، بل يجب أن يكون موضوع التحدى والإعجاز مألوفاً معروفاً لك حتى يتم معنى الإعجاز والتحدى ؛ وإذن فلا ضير ولا خطر أن يكون التصوير الفنى فى مستوى الصنعة البشرية ثم

هو بعد وجه من وجوه الإعجاز على هذا النحو المبتدع الذي نحاه القرآن — بل هو غاية في الإعجاز وحماداه .

أقول وإذا كان التحدي من طريق ممكنة معهودة للمخاطبين كان أدخل ، وأمعن ، وأبلغ في باب الإعجاز .

وإذا كانت المعجزة يجب أن تخرق النواميس الطبيعية ، وأن تشذ عن السنن المطردة في حوادث الكون كما يذكر الأستاذ العقاد — فهذا المعنى موجود ملحوظ في الأمور التي يتحدى للاعجاز كهذا الذي نحن بسبيله — فالشذوذ هنا والخرق لناموس الطبيعة أنهم عجزوا من حيث لا ينبغي أن يعجزوا .

٢ — يرى القارئ الفاضل مما تقدم أنني انتصرت للأستاذ قطب — وأعود الآن فأنتصر للأستاذ خلاف في البيان الذي سلكه في الآيات الكريمة : « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ... الخ آيات سورة الأنبياء التي جاءت في هذا المعرض فإن الأستاذ الفاضل نهج في تحليلها نهجاً لم يسبقه إليه أحد من المفسرين . ذلك أنه حلل الآيات إلى مقاطع وجمل محدودة — كل مقطع فيه استدلال خاص — قد استوفت فيه الآيات أنواع الاستدلالات المنطقية والوجدانية — ولم تترك مؤثراً يؤثر في العقل والعاطفة إلا تناولته ، لو كان هؤلاء يعقلون . ومن الأسراف والشطط ألا يقر الأستاذ قطب هذا التفسير العلمي الحديث ، فما لا ريب فيه أن القرآن سلك في طرائق الاستدلال صوراً من المنطق فطرية سهلة تتناسب والعقلية العربية يومئذ .

(الإسكندرية) أحمد الإمبابي

مدرس بالليسيه فرانسيه

اليهود والعرب :

تطالعنا الصحف كل يوم بما يقوم به اليهود من أعمال العنف لجعل فلسطين وطناً قومياً لهم ، وقد وصلوا في ذلك إلى حد لا يقره تاريخهم الذليل ، ولعل من أعجب ما قرأت في هذا الشأن ما نشرته بعض الصحف من أن عدداً كبيراً من اليهود اجتمعوا في جنوب إيطاليا ، وهم مصممون على دخول فلسطين

وقد لفتت هذه الجملة الأخيرة نظري ، ورجعت بفكري إلى عهد بعيد يوم ضاعت جهود النبي الكريم موسى بن عمران سدى في حمل بني إسرائيل على دخول الأرض المقدسة

ذكرت ما قصه علينا القرآن الكريم في هذا الشأن ، وما سجله عليهم من الخزي والضعف والجبن ، وكيف أنهم خافوا من سكانها الجبابرة وقطعوا على أنفسهم عهداً مؤكداً أنهم لن يدخلوها ما داموا فيها : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ، يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا : يا موسى ، إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها ، فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما : ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ؛ قالوا : يا موسى ، إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون » . وكتب الله عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله

ثم ذكرت مواقف البطولة التي وقفها أجدادنا العرب مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فآزروه ونصروه وما وهنوا في موقف من المواقف (ما ضعفوا وما استكانوا ، وكيف أنهم وهبوا لدعوته أنفسهم فكانوا يقولون له : والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ؛ ولا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون . ولكنا نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون !

ذكرت هذا وذكرت ذاك ، فأيقنت أن الفوز للعرب ، وأن اليهود سيجبنون كما جبن آباؤهم من قبل ، فإن دماء الآباء لا تزال تجري في عروق الأبناء ... !

علي محمد حسن

مدرس بالمعهد الأزهري

حول شعر حافظ الضائع

قرأت بالعدد الماضي كلمة للأديب عبد القادر محمود عن شعر حافظ الضائع ، التي أثبتها في الرسالة صوناً لها من الضياع ، ولكن هذه الأبيات السبعة ، نشرها الأستاذ حسين المهدي الغنام ضمن مقالات له عن حافظ إبراهيم ، في جريدة كوكب الشرق ، وهذه الأبيات بالذات نشرت في أحد أعداد شهر يونيو سنة ١٩٣٣ ، مع قصيدة أخرى طويلة من نفس البحر والروي .



١ – خان الخليـــــلي

[للأستاذ نجيب محفوظ]

٢ – سعد بن أبى وقاص

[للأستاذ عبد الحميد جودة السحار]

للأســـتاذ وديع فلسطين

— ١ —

الأستاذ نجيب محفوظ — كما يعرفه قراء « الرسالة » الزاهرة — شاب أوتى خيالا خصباً ، وعيناً نافذة ، وقلماً طيعاً ، ومداداً وفيراً ، فسخر هذه جيماً فى كتابة القصة وتصوير الحياة الواقعية بما تنطوى عليه من نزعات متضاربات .

ومن أحدث ما جاد به قلم الفتى كتاب « خان الخليلى » الذى أصابه فيه توفيق كبير . وقد نهج فى كتابة قصته الضافية الذيول النهج الذى التزمه الكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى « ابراهيم الكاتب » . فالكتاب مقسم إلى خمسين فصلا ، كل منها صورة أحسن رسمها ، فلم تغب فى إحداها خفقة قلب أو طرفة عين أو حركة لسان أو بسمة شفتين أو زفرة نفس ، لأن الأستاذ محفوظ سكب نفسه فى كتابة كل منها سكباً ، وعاش فى روايته فعرف شخوصها معرفة قرب ، وزامل أفرادها ففهم كلا منهم على حقيقته وأدرك ما انطوت عليه نفسه وما أسفرت عنه مظاهره . وربط بين فصولها بإحكام حتى لا ينفلت أحدها من القلادة المتعددة الحلقات التى وصلت بينها وأخرجت من مجموعها صورة نابضة بالحياة تنطق صريحة سافرة بأحوال حى من أحياء القاهرة القديمة يتردد عليه الأجانب للمتعة والمصريون للتبرك « بالحسين » .

والقصيدة الثانية ، والأبيات السبعة التى ذكرها الأديب عبد القادر ، موجودتان كذلك فى كتاب الأستاذ الغنام عن حافظ إبراهيم فى الصفحات ٥٥ — ٥٧ . وهذا الكتاب صدر بالاسكندرية سنة ١٩٣٥ .

فهذه الأبيات وإن لم تجمع فى ديوان حافظ ، لم تضع . وقد نشر الأستاذ حسين غنام فى كتابه كثيراً من شعر حافظ لا تجده فى جزءى ديوانه .

عوضه الله فوزى اسكندر

من السيدة وداد سكاكينى إلى الأستاذ وديع فلسطين :

حضرة الأديب الفاضل :

بعد التحية . تلقيت « مسرحيتك »(١) القيمة بسرور وإعجاب ، وقرأتها متملية بدقة تعبيرك وبراعة ترجمتك ، وقلت : هذا أول قطرك فكيف بغيثك ؟

أرجو أن يكون لك فى دنيا الأدب منزلة تليق بنبوغك ، فإن فتى يبنى أدبه كما تبنى خليق بالمجد والإكبار .

وتقبل تهنئتى الخالصة بباكورة آثارك مقرونة بتحيتى وشكرى وإعجابى .

المخلصة

وداد سكاكينى

تصويب :

إنى برغم جزعى من (التطبيع) . ورجائى كلما بعثت بمقالة مقابلتها على الأصل ، حتى كاد ذلك الرجاء يكون روسماً (كليشيه) دائما ، فقد وقع فى مقالتى (الموسيقى العاشق) فى العدد (٦٣٩) من الرسالة ، هنات ، هذا تصويبها ، وإن تكن هينات :

ص	ع	س	خطأ	صواب
١٠٥٧	٢	٢	رحبته	رحبة
١٠٥٨	١	٥	تعلم	تعليم
«	١	١٩	أهدابها - نونها	أهدابهما — لونهما
١٠٥٩	١	١٢	لا أحب الذكرى	لاأحب أن أهيج الذكرى
«	٢	١	غبتَ	غبتْ

أما الذين ذهبوا يسألون عن (ش) بك هذا ، ويفتشون عن داره ... هل حسبونى أكتب تاريخاً ؟ إنما هى قصة ...

على الطنطاوى

---

(١) مسرحية الأب تأليف الكاتب السويدى أوجست سترندبرج وترجمة وديع فلسطين — لجنة النشر للجامعيين .

إنها قصة عائلة مصرية متوسطة ، فزعت من الغارات الجوية فانتقلت إلى حى خان الخليلى وأمضت فيه دورة كاملة من دورات الأرض حول الشمس ، شهد أفرادها فيها عجباً . فالابن الكبير — أحمد عاكف — الذى كان يركن إلى مكتبته يقلب كتبها ويدرب نفسه عبثاً على درسها وهضمها ؛ طابت له عشرة أهل الحى والسهر معهم فى قهوة الزهرة ، وخفق قلبه للحب وهو بعد كهل فى الأربعين ، ولكن المقادير شاءت ألا ينعم بالفتاة التى يهوى والأليف الذى استحوذ على عواطفه وملك جنانه . ورشدى — الابن الأصغر — شاب حديث العهد بالتخرج فى الجامعة ينقاد وراء دوافع بدنه فيقترف من اللذاذات غير عابىء بصحته التى ناءت بهذا الحمل وأخذت تتهالك تحت الضغط الشديد الذى يفرضه عليها . ولم يكتف بالحب الآثم ، بل سولت له نفسه الفتية أن يسطو على الفتاة التى كادت تصبح من نصيب أخيه أحمد ، ولكنه ظل سادراً فى غيه ، سائراً فى طرق ضلاله ، فأصيب بداء الدرن الرئوى وقضى نحبه — وهو الشاب المرح المفعم بالنشاط الدائب الحركة — ولم يستطع أبواه أو أخوه ، ولم يفلح الطب أن يحفظ زهرة حياته التى ما شرعت تتفتح حتى قطفت من كمها وطمرت بين أطباق الثرى .

والقصة التى دبجها الأستاذ نجيب محفوظ تمتاز بمزيتين عدا مزية الرواية نفسها . ففيها وصف رائع لليالى رمضان فى حى خان الخليلى ، وفيها وصف للغارات الجوية التى تعرضت لها قاهرة المعز من ثلاثة أعوام ، وهى حقبة من الزمن لم يسبق لها مثيل فى تاريخ مصر الغابر ، وعسى أن لا تتكرر فى ما يجىء من السنين . والمؤلف قدير على جلو المعانى ، خبير بخوالج النفس ، استطاع أن يجعل من كتابه تزاوجاً بين السخرية والتهكم من ناحية ، والجد من ناحية أخرى . وجمع بين اللهو والمزاح والعبرة والدروس . وهو فى هذا وذاك لا يخلو من فكاهة مستملحة ودعابة طريفة . إنها الحياة فى « خان الخليلى » كما هى بلا « رتوش » .

— ٢ —

أصدر الأستاذ عبد الحميد جودة السحار كتاباً مُترع الفصول عن « سعد بن أبى وقاص وأبطال القادسية » تتبع فيه سعداً منذ ما كان حدثاً يبرى النبل حتى انطلقت روحه إلى بارئها وقد أشرف على الثمانين أو نحوها .

سيرة رجل كفاح ورجل حرب ، قاد جيوش المسلمين فى معارك طاحنة فدمر الأعداء ، ودخل إيوان كسرى دخول المظفر المنتصر بعد ما هزم مملكة الفرس وأنزل بها أقسى الدمار . واستطاع سعد أن يتصدى لجيوش قوية بعضها معزز بعدد من الفيلة الضخمة ، وبعضها تتقدمه الأسود الضاريات ، غير أنه ما تهيب ولا جزع ، بل هجم عليها وبددها ، فسرت روح الهزيمة والهلع بين جنود العدو وردوا على أعقابهم مخذولين .

وسعد علاوة على ذلك ابن بار بوالدته مخلص لدينه الجديد . وعلى الرغم من أن أمه لم ترض له الخروج على دين آبائه وأجداده وهددته بالصوم عن الطعام إذا أوغل فى « غيه » وتبع الدين الجديد ، إلا أنه استطاع بلباقة وحصافة أن ينتزع من بين حنايا أمه غضبها ، ويوفق بين شئون الدين والدنيا .

ثم هو صديق صدوق ، لطيف المعشر ، يوثق به ويعتمد عليه . شجاع لا يهاب القوة ، ولا يخشى الضيم ، سبّاق إلى المكرمات ، عدّاء فى ميادين البطولة ، لا تلين له قناة ولا يفتر له عزم أو يصدُّ عن قرار اتخذه . وفىّ لخلانه وصحبه حتى إنه بهر معاوية لأنه شرع يسبّ علياً ، وأقسم يميناً مغلظة ألا يدخل داره مدى الحياة .

هذه الشخصية الفذة التى شهدت مولد الإسلام وعاصرت فتوته وأرست دعائمه وساهمت فى نشر رسالته فى بلدان شتى ، وهذا البطل المقدام الذى رضى طوعاً بالجهاد والنضال والصراع والتشريد والتجريح والتعرض للأخطار ، وهذا المؤمن الذى لم يدخر وسعاً فى البدن أو المال أو الوقت إلا أوقفه على خدمة دينه ، جدير ولا ريب بأن تسرد سيرته مفصلة ، وتنشر فى أسلوب عربى بليغ وإحكام روائى صادق ، وتبويب زمنى مرتب ، على أحفاد العرب الأولين .

وقد بلغ الأستاذ عبد الحميد السحار القمة فى تبيان مناحى شخصيته الفريدة ووصف ميادين الوغى وأساليب القتال ومصارع الرجال . وفى ختام كتابه أورد السحار خلاصة وافية لحياة سعد ابن أبى وقاص عرضت فى ذهن الشيخ سعد كما يعرض الشريط السينمىّ على الشاشة البيضاء ، فأغمض عينيه وقد اكتحلتا بنشوة الماضى وذكريات الشباب وأحداث الصبى ومجد الظفر « وانبهرت أنفاسه وخرج نفس ما عاد غيره ، فقضى سعد نحبه فى قصره بالعقيق على مسيرة عشرة أميال من المدينة . ولما بلغ أهل المدينة خبر موته ، انطلق الرجال إلى داره وجهزوه ... وتوجهوا إلى البقيع ليقبروا آخر أهل الشورى ودمعهم جار وحزنهم عميق » .

وديع فلسطين

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٤٢ — الاثنين ٢٢ أكتوبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٣٣ ، ٦٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 642

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi—22—10—1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

بركة « الامام » . . . !

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

كان هذا منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وكنت يومئذ مدرساً للترجمة فى المدرسة السعيدية الثانوية ، وأقبل الامتحان العام — للبكالوريا والكفاءة — وعقدت له لجان شتى عُينت ، كغيرى ، مراقباً أو ملاحظاً فى إحداها ، وكان أخى طالباً ، وعليه أن يؤدى الامتحان فى إحدى هذه اللجان .

واتفق أن دعيت أسرتنا كلها إلى عرسٍ قريبٍ لنا ، بيته مجاور لبيت صهرى ، فذهبنا مغتبطين جذلين ، ولكنى كنت فى قرارة نفسى مشفقاً من سهر الليل ، وكيف يؤدى أخى امتحانه وهو لم ينم ؟ وكيف أقوى أنا على المراقبة والكرى مرنق فى عينى ؟ غير أنى لم أر لى حيلة ، فتركت الأمر للمقادير . . .

وألفيت فى بيت قريبنا هذا نفراً من الإخوان ، فانتحيت بهم ناحية من الحديقة ، وجلسنا بين الخضرة والماء ، نسمر ونضحك ، والعريس وأبوه يلحان علينا أن نخرج فنكون مع الجمع الحاشد لنسمع غناء الشيخ يوسف المنيلاوى — بلبل زمانه — ونحن نأبى كل الإباء أن نتزحزح عن مكاننا لجماله ، ونطلب أن يقدم إلينا الطعام ، حيث كنا بلا كلفة .

وجاء — قبل الطعام — رجل من أهل طنطا لا أعرفه ، يرتدى جبة وقفطاناً وطربوشاً مثل طرابيشنا نحن « الأفندية » ، وعليه لفة مزركشة ، فحيا وقعد ، وكانت له معرفة ببعض الإخوان ، فصفق أحدهم ودعا بالقهوة — قهوة البن — فلما أقبل الخادم بإبريقها فى يد ، والفناجين فى يد ، وصب من ذلك فى هذه وناولنا ، مال أحد الإخوان على الرجل الطنطاوى وسأله : « معك خلطة ؟ »

ولم أكن أعرف ما « الخلطة » يومئذ ، فسألت عنها ، فقيل لى : إنها عنبر ومسك . . . ولا أدرى ما ذا أيضاً ، قطرات منها تطيب بها القهوة ؛ فقلت : هاتوا إذن من هذا المسك والعنبر ، فأخرج الرجل زجاجة صغيرة ، ومددنا أيدينا بالفناجين ، فجعل يصب قطرات لكل واحد منا ، فنشكره . . .

وكنا جلوساً على الحشايا والوسائد فوق سجادة على الخضرة ، فحسوت حسوة من فنجانتى ، فكرهت طعمها على لسانى ، فقد كانت كلها زيتاً ثقيلا — أو هكذا خيل إلىّ — فأرقت ما بقى فى الفنجانة على الخضرة ، وصحت بالرجل الطنطاوى :

« ما هذا يا شيخ السوء ؟ متى كان العنبر والمسك شراً من زيت الخروع ؟ »

ومضمضت فمى بالماء ، وجىء بالطعام ، فأقبلنا عليه كأن لنا عاماً ما طعمنا فيه شيئاً ، وأكلنا ما لا يحسب الحاسب ، وما كنت أنهض عن المائدة حتى شعرت بكظة مزعجة ، فذهبت أتمشى بين

الشجر ، ولكنني أحسست بدوار ، فعدت إلى مكاني وملت بشق على الأرض ، فإذا بها تدور كراسي ، وترقص أيضاً ، وتعلو بي وتهبط ، ففزعت ، وانتفضت قائماً ، وقد أيقنت أني لا محالة ميت ما لم أفرغ ما في جوفي ، وعبثاً حاولت أن أفعل ذلك ، على فرط اجتهادي ، فجزعت ، ولم يبق عندي شك في أن الذي صبه لنا الرجل الطنطاوي على القهوة من هذه « الخلطة » ، ليس إلا نوعاً من المخدرات « كالمنزول » ، فآليت لأخنقنه قبل أن أموت !

وهممت به ، وأنا كالمجنون ، فحالوا بيني وبينه ، وصرفوه ، بالتي هي أحسن ، أو بالتي هي أخشن — لا أدري — فما أخذته عيني بعد ذلك !

وجاءوني بليمون زعموا أن عصيره يفسد فعل هذه « الخلطة » فلم أنتظر حتى يعصروه ، وخطفته من أيديهم ، وجعلت آكله بجلده ، ثم قصدت إلى باب الحديقة وأشرفت على جشد المدعوين وتخت الشيخ يوسف ، وقلت أتسلى بالنظر والسماع ، ولكني كنت لا أرى شيئاً واضحاً ، وكان « قوس » الكمان يبدو لي كأنه يرسم في الجو دوائر ومربعات ومستطيلات ، وكان صوت الشيخ يوسف كالطبل في أذني . فعدت أدراجي وانطرحت على الأرض ، وكنت أغيب عن وعيي ثم أفيق ، والقوم حولي كأنهم أصنام ، لا ينطقون ولا يتحركون . فأدركت أنهم مثلي أو شر مني حالا ، سوى أنهم أقوى أجساماً أو أقدر على الاحتمال ، أو لعلهم اعتادوا هذه « الخلطة » فهم لا يتأثرون بها كما تأثرت!

ودعوت أحدهم — وكان أهل بيته مدعوين في العرس فالبيت فارغ — أن يذهب بي إلى داره ، وأن يبعث في طلب طبيب ، فهز رأسه وبقي حيث هو ، وعاودني الإغماء لحظة ، فلما أفقت ورأيت أني باق حيث كنت ، وتبينت أن لا أمل في معونة من هؤلاء القوم ، أشرت إلى خادم لمحته خارجاً وطلبت أن يجيئني « بخلطة » أخرى : سكر وخل ... فاستغرب ولكنه جاءني بما أمرت ، فأذبت السكر في الماء ، وخلطته بالخل ، وشربت وقمت أعدو إلى ركن في الحديقة ، فكان الفرج ، فقد اضطربت نفسي ورمت ما فيها يتبع بعضه بعضاً ، حتى خفت أن لا ينقطع .

ونمت بعدها ساعات ، فلما كان الفجر ، قمت إلى بيت صهري لأغتسل وأتهيأ للخروج إلى لجنة الامتحان ، ولأضمن أن لا يتخلف أخي عن امتحانه ، وخلعت ثيابي لأستريح قليلا .

وإذا بي أرى أخي كالمجنون يصيح بكلام غير مفهوم ، وكان رأسي لا يزال ثقيلا مما مر بي في ليلتي ، فسألته عن الخبر ، فإذا هو ممذور ، ذلك أن خادماً في بيت صهري سرق سترته وحذاءه ، وسرق بنطلوني وطربوشي ، فصار من المستحيل علينا أن نخرج من البيت ، فما لنا فيه ثياب أخرى ، ولا جئنا إلا بما على أبداننا فما العمل ؟ لقد ذهب اللص بثيابنا ، وكأنما تعمد أن يسرق منها ما يكفي لمنعنا من الخروج . وكيف بالله يخرج أخي بغير سترة وحذاء ؟ وكيف أخرج بغير بنطلون وطربوش ؟

وأضحكني هذا ، فإنه أشبه بالنكتة ، أو بما يسميه العامة « المقلب » .

ولم يبق إلا أن نحاول أن نستعير من بعض الجيران ثياباً نعود فيها إلى بيتنا ، وهناك نستطيع أن نرتدي غيرها ، ويذهب كل منا في سبيله .

وفعلنا بعد عناء ، فقد كان الناس نياما بعد طول السهر ، فأزعجناهم وكلفناهم شططاً ، ولكن المضطر يركب الصعب .

وقد نسيت أن أقول إن بيت صهري كان على « نجوم العالمين » وعلى مقربة من مسجد الإمام الليث بن سعد ، فارتدينا الثياب المستعارة ، وتوكلنا على الله ، ومررنا بالمسجد ، ووقف أخي يقرأ الفاتحة ، لعلها تنفعه في « الامتحان » ببركتها ، وكنت أنا مغيظاً محنقاً ، فلم يخطر لي أن أقرأ لا الفاتحة ولا سواها ، وإني لأتلفت وإذا بالخادم قاعد على باب المسجد . ولم أعرفه في أول الأمر ، لأنه كان في ثياب غير معهودة نكرته في عيني — ثيابنا المسروقة . فلما استثبت جذبته من ذراعه فنهض ، وعدنا به إلى البيت ، ونزعنا ما عليه من أشيائنا ، ثم سألناه : فاعترف أنه سرق — وهل كان ينقصنا أن يعترف ؟ — وقال : إنه لما بلغ المسجد أحس أنه مقيد ، وألفى نفسه يجلس على الباب ، ولم يستطع بعد ذلك أن يبرح مكانه !

فقال كل من سمع هذه القصة إنها بركة الإمام ؛ وقلت أنا في سري : لعل هذا هكذا ، فما أدري ، ولكني أحسب أن إيمان هذا الخادم بما لأولياء الله الصالحين من البركة والسر ، قد فعل فعله ، وكان له أثره حين مر بالمسجد ، فاضطرب وارتبك ، ولزم مجلسه حائراً ، وكبر في وهمه أن « الإمام » قيده وأقعده عن الحركة .

وقد أصرت زوجتي يومئذ — رحمها الله — على أن تصنع « خبزاً وفولا » لفقراء « الإمام » ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ فلم أعترض . وكيف كان يقبل مني اعتراض ؟

ابرهيم عبد القادر المازني

في إرشـــــاد الأريب
إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٣ —

* ج ١٨ ص ٣٩ : قال محمد بن بركات السعيدى يخاطب أبا القاسم هبة الله بن على بن مسعود بن ثابت البوصيرى الأنصارى :

فله أوامر من حجاه حكيمة ... وله زواجر من نهـاه

يقظان من فهم لكل فضيلة ... بنباهة جلت عن الأشباه

عـلامة ما مشكل مستبهم ... خاف عن الأفهام عن أساه

وجاء فى الشرح : هكذا بالأصل وترى الشطرين الثانيين من البيتين الأول والثالث ليسا بالتامين إذ الأبيات من بحر الكامل .

قلت : وله زواجر من نهاه نواه :

عـلامة ما مشكل مستبهم ... خاف عن الأفهام — عنه بساه

* ج ١٩ ص ٣٠١ :

وكنتَ كذئب السُّوء لما رأى دما ... بصاحبـه يوماً أحال على الدم

قلت : فى اللسان والتاج : تقول : هذا رجل سَوء بالإضافة وتدخل عليه الألف واللام فتقول : هـذا رجل السَّوء ، قال الفرزدق بالفتح والإضافة : (وكنت كذئب السوء . البيت) ولا يقال : هذا رجل السوء بالضم لأن السوء بالضم إسم للضر وسوء الحال . وإنما يضاف إلى المصدر الذى هو فعله كما يقال رجل الضرب والطعن فيقوم مقام قولك : رجل ضراب وطعان ، فلهذا جاز أن يقال رجل السوء بالفتح ، ولم يجز أن يقال : هذا رجل السوء بالضم . والسَّوء مصدر سؤته أسوءه سوءاً ، وأما السُّوء فاسم الفعل .

قلت : ولبيت الفرزدق قصة ، إن صحت فقد حرمه الله إياه ؛ فى أغانى أبى الفرج : عن الوليد بن هشام عن أبيه قال : أنشدنى الفرزدق وحماد الراوية حاضر (وكنت كذئب السوء) فقال له حماد : آنت تقوله ؟ قال : نعم ، قال : ليس الأمر كذلك ، هذا لرجل من أهل اليمن ، قال : ومن يعلم هذا غيرك أفأردتَ أن أتركه-وقد نحلنيه الناس ورووه لى لأنك تعلمه وحدك ، ويجهله الناس جميعاً غيرك .

* ج ١ ص ٢١٣ : ... والذى يأخذه من السلطان ينفقه فى أهل طرْسوس (المجاهدين) .

قلت : فى معجم البلدان : بفتح أوله وثانيه ولا يجوز سكون الراء إلا فى ضرورة الشعر لأن فعلول ليس من أبنيتهم .

قلت : قال المتنبى وقد سكن ضرورة :

صدق المخبر عنـك ، دونك وصفه ، ... مَن بالعراق يراك فى طرْسوسا

قال لى الأديب الكبير الأستاذ شفيق جبرى : (من بالعراق يراك فى طرسوسا) هـذا (شهود البعيد) الذى ابتدعه هؤلاء العفاريت فى هذا الزمان أو كما قال .

* ج ١٩ ص ١٤٩ : وله (لمظفر بن إبراهيم العيلانى) :

يا نائمـا أسهرنى حبُّهُ ... وعائداً أمرضـنى طبُّهُ

وخادعا رقّ لحـبى له ... كلامـه وقسا قلبـه

قلنا على حسنك عينى جنت ... جنانى النـاحل ما ذنبه ؟

قلت : إما (حبهُ وطبُّهُ) والبيت مصرع . وإما (حبهُ وطبهُ وقلبهُ وذنبهُ) .

وعجز البيت الثانى هو (كلامه لى وقسا قلبه) والشعر من بحر السريع .

* ج ١٦ ص ٣٤ : وجمع براوات الأقلام فيكتب بها تعاويذ للحمى وعسر الولادة فتعرف بركتها .

قلت : بَرْوات أو بُرايات . فى مستدرك التاج . البروة نحاتة القلم والعود والصابون ونحو ذلك . وفى اللسان : البُراية النحاتة وما بريت من العود .

* ج ٥ ص ١٩٩ : (أسامة بن مرشد بن منقذ) :

نافقت دهرى فوجهى ضاحك جـذل ... طلق وقلـبى كئيب مكمد باك

وراحـة القلب فى الشكوى ولذَّتها ... لو أمكنت لا تساوى ذلة الشاكى

قلت : (فى الشكوى ولذَّتِها) .

* ج ١٨ ص ١٢٣ : كان للرؤاسي (محمد بن الحسن) امرأة من أهل النيل[1] ، تزوجها بالكوفة وانتقلت إليه من النيل وشرطت عليه أنها تلم بأهلها في كل مدة ، فكانت لا تقيم عنده إلا القليل ، ثم يحتاج إلى إخراجها وردها ، فمل ذلك منها وفارقها وقال فيها :

بانت لمن تهوى حمولُ فأسفت في أثر الحمولِ
أتبعتهم عينا عليهم (م) ما تفيق من الهمول
ثم ارعويت كما ارعوى عنها السائل للطلول
لاحت مخائل خُلفِها وخلافُها دون القبول
ملَّت وأبدت جفوة لا تركَنَنَّ إلى ملولِ

قلت : بانت لن تهوى حمولُ :

لاحت مخايل خلفِها وخلافِها دون القبول

* ج ١٦ ص ٢٤٩ : ... لكن الحوادث قلما توافقه ، والأيام تماكسه في ذلك وتضايقه . وظني بأن الله سوف يريك .

وجاء في الشرح : تماكسه : تشاحه وتظلمه .

قلت : (وظني بأن الله سوف يديلُ) الأساس : أدال الله بني فلان من عدوهم : جعل الكرة لهم عليه . وفي الصحاح : الأدالة الغلبة ، اللهم أدلني على فلان وانصرني عليه ، و (تماكسه) : تشاكسه .

* ج ١٨ ص ١٤٤ : وكان شيلمة أولا مع العلوي صاحب الزَّنج ثم صار إلى بغداد .

وجاء في الشرح : (الزّنج) بضم الزاي مشددة : قرية من قرى نيسابور .

قلت : الزنج بفتح الزاي وكسرها — الجيل المعروف ، والعلوي المذكور هو علي بن محمد الثائر على العباسيين في خلافة المعتمد .

ذكره أبو العلاء في (رسالة الغفران) فقال :

« وأما العلوي البصري فذكر بعض الناس أنه كان قبل خروجه يذكر أنه من عبد القيس ثم من أنمار ، وكان اسمه أحمد فلما خرج تسمى عليا ، والكذب كثير جم ، وتلك الأبيات المنسوبة إليه مشهورة وهي :

أيا حرفة الزمني ، ألمَّ بك الردى
أمالي خلاص منك والشمل جامع ؟
لئن قنعت نفسي بتعليم صبية يد الدهر إني بالمذلة قانع
وهل يرضين حر بتعليم صبية
وقد ظن أن الرزق في الأرض واسع

وما أمنع أن يكون حملهم الحطام على أن غرق في بحر طام» .

وقد صِيغَ في (النهج) في (صاحب الزنج) هذا القول :

« يا أحنف ، كأني به وقد سار الجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ، ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل ، يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام (قال الشريف الرضي أبو الحسن رحمه الله تعالى يومىء بذلك إلى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام) ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من أولئك الذين لا يندب قتيلهم ، ولا يفقد غائبهم ... » .

قال ابن أبي الحديد في شرحه :

قوله لا يندب قتيلهم ليس يريد به من يقتلونه بل القتيل منهم لأن أكثر الزنج الذين أشار إليهم كانوا عبيداً لدهاقين البصرة وبناتها ، ولم يكونوا ذوي زوجات وأولاد بل كانوا على هيئة الشطار عزاباً فلا نادبة لهم . وقوله ولا يفقد غائبهم يريد به كثرتهم وأنهم كلما قتل منهم قتيل سد مسده غيره فلا يظهر أثر فقده . فأما صاحب الزنج هذا فإنه ظهر في فرات البصرة في سنة (٢٥٥) رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ في البصرة[1] . وأكثر الناس يقدحون

(١) في معجم البلدان : بكسر أوله ، في مواضع ، أحدها بليدة في الكوفة قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف .

(١) قال الطبري : ولم يزل ذلك دابه يجمع اليه السودان إلى يوم الفطر فلما أصبح نادى في أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر ، فاجتمعوا ، وصلى بهم ، وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال وأن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع من أقدارهم ، ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ، ويبلغ بهم أعلى الأمور ، ثم حلف لهم على ذلك ، فلما فرغ من صلاته وخطبته أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لا فهم له من عجمهم لتطيب بذلك أنفسهم ، ففعلوا ذلك .

فى نسبه وخصوصاً الطالبيين . وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس وأنه على بن محمد بن عبد الرحيم وأمه أسدية . ومن الناس من يطعن فى دينه ويرميه بالزندقة والألحاد ، وهـذا هو الظاهر من أمره لأنه كان متشاغلا فى بدايته بالتنجيم والسحر والاسطرلابات . وكان حسن الشعر مطبوعا عليه ، فصيح اللهجة ، بعيد الهمة ، تسمو نفسه إلى معالى الأمور ، ولا يجد إليها سبيلاً ، ومن شعره :

وإذا تنازعنى أقول لها قرى ... موت يريحك أو صعود المنبر
ما قد قُضى سيكون فاصطبرى له ... ولك الأمان من الذى لم يقـــدر

ومنه :

إنى وقـــومى فى أنســـاب قومهم ... كمسجد الخيف فى بحبـــوبة الخيف
ما عُلّق السيف منـــا بابن عاشرة ... إلا وعزمتـــه أمضى من السيف

وكانت بينه وبين عمال السلطان وقواده حروب عظيمة ووقعات كثيرة ، وكانت سجالا تارة له وتارة عليه ، وهو فى أكثرها المستظهر عليهم . وكثرت أموال الزنج والغنائم التى حووها من البلاد والنواحى ، وعظم أمرهم ، وأهم الناس شأنهم ، وعظم على المعتمد وأخيه أبى أحمد خطبهم ، واقتسموا الدنيا فكان على بن محمد الناجم صاحب الزنج وإمامهم مقيما بنهر أبى الخصيب قد بنى مدينة عظيمة سماها (المختارة) وحصنها بالخنادق . واجتمع إليه فيها من الناس ما لا ينتهى العد والحصر إليه رغبة ورهبة ، وصارت مدينة تضاهى سامرا وبغداد ، وتزيد عليهما ، وأمراؤه وقواده بالبصرة وأعمالها يجبون الخراج على عادة السلطان لما كانت البصرة فى يده إلى أن دخلت سنة (267) وقد عظم الخطب وجل ، وخيف على ملك بنى العباس أن يذهب وينقرض ، فلم يجد أبو أحمد الموفق وهو طلحة بن المتوكل على الله بدا من التوجه بنفسه ومباشرته هذا الأمر الجلل برأيه وتدبيره وحضوره معارك الحرب . وكان أبو أحمد هو الخليفة فى المعنى وإنمـا المعتمد صورة خالية من معانى الخلافة لا أمر له ولا نهى ولا حل ولا عقد ، وأبو أحمد هو الذى يرتب الوزراء والكتاب ، ويقود القواد ، ويقطع الأقطاع ، ولا يراجع المعتمد فى شىء من الأمور أصلا . ويحق ما سمى المنصور الثانى ، ولولا قيامه فى حرب الزنج لانقرض ملك أهل بيته ولـكن الله ثبته لما يريد من بقاء هذه الدولة » .

وكان (صاحب الزنج) مشعوذاً كبيراً . روى الطبرى فى تاريخه:

ذكر محمد بن الحسن أن محمد بن سمعان حدثه أن (صاحب الزنج) قال فى بعض أيامه لقد عرضت على النبوة فأبيتها . فقيل له : ولم ذاك ؟ قال : إن لها أعباء خفت ألا أطيق حملها …

وذكر عنه أنه كان يقول : أوتيت فى تلك الأيام آيات من آيات إمامتى ظاهرة للناس ، منها أنى لُقّيت سوراً من القرآن لا أحفظها فجرى بهـا لسانى فى ساعة واحدة ، منها (سبحان والكهف وصاد) ومن ذلك أنى ألقيت نفسى على فراشى ، فجعلت أفكر فى الموضع الذى أقصد له وأجعل مقامى به إذ نبت بى البادية ، وضقت بسوء طاعة أهلها ، فأظلتنى سحابة فبرقت ورعدت ، واتصل صوت الرعد منها بسمعى ، فخوطبت فيه ، فقيل : اقصد البصرة ، فقلت لأصحابى وهم يكنفوننى إنى أمرت بصوت هذا الرعد بالمصير إلى البصرة …

وجاءه رجل يهودى خيبرى يقال له (ماندويه) فقبل يده ، وسجد له — زعم شكراً لرؤيته إياه — ثم سأله عن مسائل كثيرة فأجابه عنها ، فزعم أنه يجد صفته فى التوراة ، وأنه يرى القتال معه ، وسأله عن علامات فى بدنه ، فذكر أنه عرفها فيه . فأقام معه ليلته تلك يحادثه …

لما كان فى شوال من هـذه السنة (207) أزمع الخبيث على جمع أصحابه للهجوم على أهل البصرة ، والجد فى خرابها ، وكان قد نظر فى حساب النجوم ، ووقف على انكساف القمر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة تخلو من الشهر ، فذكر عن محمد بن الحسن بن سهل أنه قال : سمعته يقول . اجتهدت فى الدعاء على أهل البصرة ، وابتهلت إلى الله فى تعجيل خرابها ، فخوطبت فقيل لى : إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها ، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت

البصرة فأولت انكسار نصف الرغيف انكساف القمر المتوقع فى هذه الأيام ، وما أخلق أمر البصرة أن يكون بعده .

قال محمد بن الحسن : ولما أخرب الخائن البصرة وانتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه سمعته يقول : دعوت على أهل البصرة فى غداة اليوم الذى دخلها أصحابى، واجتهدت فى الدعاء، وسجدت ، وجعلت أدعو فى سجودى ، فرفعت إلى البصرة فرأيتها ورأيت أصحابى يقاتلون فيها ، ورأيت بين السماء والأرض رجلا واقفاً فى الهواء قد خفض يده اليسرى ورفع يده اليمنى يريد قلب البصرة بأهلها ، فعلمت أن الملائكة تولت إخرابها دون أصحابى ، ولو كان أصحابى تولوا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذى يحكى عنها . وإن الملائكة لتنصرنى وتؤيدنى فى حربى ، وتثبت من ضعف قلبه من أصحابى ...

قال الطبرى : وكان خروج صاحب الزنج فى يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة (٢٥٥) وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة (٢٧٠) فكانت أيامه من لدن خروجه إلى اليوم الذى قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام . وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة (٢٥٦) وكان دخوله البصرة وقتله أهلها وإحراقه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة (٢٥٧) .

قلت : ومما قاله ابن الرومى فى خطب البصرة فى ميميته المشهورة :

ذاد عن مقلتى لذيذ المنام ... شغلها عنه بالدموع السجام
أى نوم من بعد ما حل بالبصرة (م) ما حل من هنات عظام
أى نوم من بعد ما انتهك الزنج (م) جهاراً محارم الإسلام
دخلوها كأنهم قطع الليل (م) إذا راح مدلهم الظلام
كم أب قد رأى عزيز بنيه ... وهو يعلى بصارم صمصام
كم رضيع هناك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطام
ما تذكرت ما أتى الزنج إلا ... أضرم القلب أيما إضرام
رب بيت هناك قد أخربوه ... كان مأوى الضعاف والأيتام
رب قصر هناك قد دخلوه ... كان من قبل ذاك صعب المرام
عرّجا صاحبىّ بالبصرة الزهراء (م) تعريج مدنف ذى سقام
فاسألاها ولا جواب لديها ... لسؤال ومن لها بالكلام
أين تلك القصور والدور فيها ... أين ذاك البنيان ذو الأحكام
بدلت تلكم القصور تلالا ... من رماد ومن تراب ركام
بل ألِمّا بساحة المسجد الجامع (م) إن كنتما ذوى إلمام
فاسألاه ولا جواب لديه ... أين عبّاده الطوال القيام ؟
انفروا أيها الكرام خفافا ... وثقالا إلى العبيد الطغام
صدقوا ظن إخوة أملوكم ... ورجوكم لنبوة الأيام
إن قعدتم عن اللعين فأنتم[١] ... شركاء اللعين فى الآثام

وقال البحترى فى مدح الموفق :

وما كان يدرى صاحب الزنج أنه ... إذا أبطرته غفلة العيش صاحبه
وكان شفاء صلبه لو تألفت ... له جثة يرضى بها العين صالبه
تعجل عنه رأسه وتخلفت ... لطيتها أوصاله ومناكبه
جبابرة الأرض استكانت لضربة ... أرت قائم النهج الذى ذاق ناكبه[٢]

محمد إسعاف النشاشيبى

---

(١) (ديوان ابن الرومى) « اختيار وتصنيف » الأستاذ كامل كيلانى .
(٢) (ديوان البحترى) « ضبطه بالشكل وعلق حواشيه » الأستاذ رشيد عطية .

قصة :

هـــذيان مجنون !

للأستاذ على الطنطاوى

ذهبت منذ أيام أزور (المستشفى الإسلامى) الكبير ، الذى تعاونت على إنشائه الجميات الإسلامية الأربع فى دمشق (الغراء، والهداية ، والشبان ، والتمدن) ، فوجدته شيئاً عظيماً يرفع الرأس ، بناء ضخماً يطل على الربوة من هنا ويشرف على سهل المزة من هناك ، قد قام حيث كانت تقوم تلك (القلاع العادية) ، فكان من تمام نعمة الله علينا به أن تخير له هذا المكان ، فأبدلنا بعمارات الموت ، وبنايات البلاء ، تلك القلاع ، هذا المستشفى ، بيت الصحة ، ودار الشفاء ...

وجعل المدير ، وهو شاب مسلم رضى الخلق ، واسع الخبرة ، يدور بى فى المستشفى ، ويمر بى على شعبه ، حتى إذا وصلنا إلى جناح الأمراض العقلية قال لى :

— إن ها هنا مريضاً يلح علينا أن ندعوك إليه ، وهو لا يفتأ ينادى باسمك ويرجو أن يراك ...

قلت : ومن هو ؟ وما شأنه بى ؟

قال : هو شاب مصاب بنوع من الهستريا (الجنسية) ، وهو يزعم أنه تلميذك ، وأنه وثيق المعرفة بك

فلم أحب أن أخيب رجاءه ، وإن كنت لا أدرى ما أصنع له ، وانطلقت مع المدير حتى دخلت عليه ، فإذا هو شاب حديث السن ، شاحب اللون ، بادى الضعف ، شارد النظرات مسجًّى ، لا يبدو منه إلا وجهه ، فتأملته ... فإذا هو قد كان تلميذاً لى ، وإذا أنا أعرفه ، فسلمت عليه فردّ السلام ، وابتدرنى فقال لى :

—أنت أستاذى، وإنى أرتقب مجيئك . إن لى إليك حاجة

قلت : مقضية إن كنت أقدر عليها

فظهر على وجهه خيال البشر ، ولاحت على شفتيه ظلال ابتسامة ... وقال :

— لقد نعشتنى وبشرتنى ، إن الذى أريده منك ، هو أن تعى حديثى وتنشره فى الناس ، أفلا تقدر على ذلك ؟

قلت : بلى ، أقدر إن شاء الله ...

* * *

قال : إنه خبر لا يكاد يصدقه أحد ، ولكنى أحلف لك أنه واقع ، وإذا شككت فاسأل القرية ، أتعرف قرية (الجالية) ؟

قلت : ما سمعت باسمها إلا الآن !

قال : لقد أردت أن أبتعد عن مرابع المصطافين ومواطن الازدحام إلى بلد أطلق فيه نفسى على سجيتها ، لا أقيدها بقيد عادة ولا واجب مجاملة ، فأممت بحيرة (العتيبة) ، ثم صعدت (جبل عيرام) ، حتى بلغت هذه القرية المختبئة فى كنف واد عميق لا يصل البصر إلى قرارته ، يجرى فى بطنه نهر (العامون) متحدراً هائجاً يقفز من صخرة إلى صخرة ، فيكون له دوىّ وخرير ، ويعلوه الزبد فتراه من خلال الأشجار ، وأنت فى القرية ، كأنه البلور المذاب ، إذا كنت قد رأيت فى زمانك بلوراً مذاباً ؛ يحمى هذا الوادى المسحور جبلان عاليان تنطح ذراهما النجم ، وقد لبست سفوحهما وحدورهما ثوباً من الشجر أخضر ، توارت خلاله هذه القرية ...

واتخذت فيها داراً سنخت فيها شهراً من شهور الصيف ، لم أعرف السعادة إلا فيه ، ولم أدر حتى عشته ما لذة العيش وما الاطمئنان ، فلقد كنت أغدو مع النور فأصعد فى الجبل أحيى الشمس البازغة حين تشرق على الدنيا ، وأهبط الضحى إلى بطن الوادى فأتخذ لى مكاناً على صخرة عالية ، أو أقعد على حافة النهر الفياض . وكنت فى أكثر الأيام أضع طعامى فى سلة وأرتاد المرابع ، فحيثما استطبت المكان أقمت . وكنت أحمل معى كتاباً أقرأ فيه مرة ، وفى مصحف الكون أخرى ، فأمتع النظر بأعجب المشاهد وأبهى المرائى ، ثم أروح العشية إلى دارى ، وقد طفحت نفسى بصور الجمال ، وفاض جسمى بالعافية ...

... حتى جاء ذلك اليوم الذى صب فى كأس حياتى العلقم !

* * *

لقد صعدت فى الجبل على عادتى حتى جاوزت حدود القرية ، وقاربت ينبوع (البارة) ، وبلغت الغابة المهجورة التى تطيف به ، فما راعنى إلا الحجارة تتساقط حولى كأنها المنجنيق ، تنزل دراكا نزول رصاص الرشاشات ، فخرت لحظة ، ثم وليت هارباً أعدو ما أطقت العدو ، حتى وصلت إلى صخرة فاحتميت بها ، وجعلت

أنظر : ما خبر الحجارة ! فأسمع قهقهة مرعبة ... فأحسب أنها الجن تروعني ... ثم أرى امرأة تخرج من بين أشجار الغابة ، وتسير حذرة تتلفت ، فلما صارت قريبة مني، رأيتها وهي لا تراني، فإذا هي فتاة سمراء محلولة الشعر ، ذات جمال يروع الناظر ويأسر القلب ، لها عينان سوداوان واسعتان ... إذا نظرت بهما إليك أحسست بهما في الفؤاد ، وجسم ممشوق قد لوحته الشمس ، وما عليها إلا أسمال بالية لا تكاد تستر إلا الأقل منها ، فكأنما جسمها فيها البدر قد حجبته قطع من المزن الرقاق . لها كتفان مدورتان ممتلئتان ، وثديان ما فهمت قبل أن أراهما كيف يكون الثديان كالرمانتين حقاً ، وصدر رحب كأنه خلق مهداً للحب ، وساقان وفخذان لا أحب أن أوذيك بوصف فتنتهما وجمالها ... !

وقد وقفت كالغزال المذعور ، لا أقولها كما يقولها الأدباء المقلدون ، بل أنا أعني ما أقول ، ولا أجد صفة هي أدنى إليها وأعلق بها ... وجعلت تنظر حواليها ... فلما اطمأنت ألقت حجارتها التي كانت تحملها ، وقعدت على الأرض . ونظرت إليها ، فإذا ذلك الغضب الفاتن يسقط برفق عن وجهها ويسدل عليه نقاب من الألم ، الألم العميق الذاهل ، فازدادت به جمالا حتى لقد تخيلتها في قعدتها تلك تمثالا للجمال الحزين قد افتنت فيه يدا عبقريّ وعقله ... فخرجت من مكاني وسرت إليها متلصصاً أسارق الخطو حتى إذا كدت أن أصل إليها وأضمها ، أحست بي فوثبت وثبة ابتعدت بها عني ، ثم عدت تلقاء الغابة ...

... وجعلت أرتاد هذا المكان كل يوم ، أفتش عنها وأطلبها حتى أنست بي واتصل بيننا الحديث ... فسمعت لهجة فتاة ليست من بنات القرى ، ولا من الجاهلات ، ولكن حديثها حديث المجانين ... !

***

سألتها ما شأنها ، وأحببت أن أعرف خبرها ، فكانت تجيبني بكلام لا يعقل :

قالت : إني أفتش عليه ، لقد دخلت المدن ، وولجت المدارس ، وبحثت في القصور، وطفت الملاهي ، وتهت في البراري ، وضربت في الجبال ، وجست خلال الخرائب ، وسريت وحيدة ، حيث لا تجرؤ النسور أن تطير ... كل ذلك أملا بلقائه !

قلت : بلقاء من ؟

قالت : بلقائه ... إني أحس بصوته أبداً يرن في أذني ، وأرى حيثما سرت عينيه ، وألمس أبداً جلده الدافئ ، فأشعر كأن الكهرباء تسيل في عروق ، ويطفرشيء إلى عينيّ ولكنه يحتبس فلا أستطيع أن أبكي ...

قلت : منذ كم فارقته ؟ وهل مات أو سافر ؟

قالت : أنت مجنون ... ما فارقته قط ولا اتصلت به ، هو معي إذا قمت ، ومعي إذا نمت ، أبكي لآلامه ، ويبتسم هو للذيذ أحلامي ، ويغضب فيخفق قلبي ، ويأكل فتذهب جوعتي، ولكني لا أقدر أن أضمه إليّ ، ولا أستطيع أن ألمسه بشفتي !

ولولم تكن أعمى لرأيته ، إن رياه في عبق كل وردة ، وصوته في كل أغنية ، وصورته في صفحة البدر ، وصفاء الينبوع ، وخضرة الروض ...

قلت : فمتى عرفته ؟

قالت : مذ كان لي قلب ، لقد همت به منذ وجدته في فكري ، وقد ملأ عليّ نفسي ، ولكني لا أدري أين يقيم ، إني أراه في اليوم على ألف شكل ، أرى في الرجل يمر بي عينيه ، وأرى في آخر قامته ، وربما استحال معنى من المعاني أحس به ولا أملك التعبير عنه ...

قلت : فمن يدلك عليه ؟

قالت : قلبي ، ألا تفهم ، أليس لك قلب ؟ يدلني على خفقانه ، هو الجمال كله ، فكل ما أرى من الجمال جماله ...

ثم سكتت وأرخت أهداب عينيها ، وغابت في ذهلة عميقة ، فدنوت منها وضممتها إليّ وأرحت ذينك النهدين على صدري ، فاستجابت لي وتعلقت بي ، ووضعت قلبها في شفتيها ، ووضعت قلبي على شفتي ، ثم ذقت منها قبلة ، ما أظن أن إنساناً ذاق مثلها. ولكنها انتفضت فجأة ، وألقت برأسي على صخرة ، فشجته وانطلقت لا تلوي على شيء ، ثم لم أرها ... وإن لم تغب خيالتها عن عيني ...

***

ولما خرجنا من حضرة المريض قال لي مدير المستشفى : لا تصدق كلمة مما قال ، إنه هذيان مجنون لم يقع منه شيء !

قلت : إن آخر ما يهتم به الأديب ، أن يقع الحادث أو لا يقع ، أني أكتب قصة لا تاريخاً ، وحسبي ما في قصته من جمال الوصف ، وإن لم يكن لها مغزى ، وإن كانت هذيان مجانين ...

قال : شأنك ... أنت أدرى به !

علي الطنطاوي

الذرة في الصناعة (*)

للأستاذ خليل السالم

بعد انفجار القنبلة الذرية وحين كان صداه يرن فى الأسماع ، اتفق رأى الرجال الذين صفت نفوسهم ونبلت مقاصدهم بالإجماع على أن الأشياء يجب أن تنتظم لئلا يسمح لهذه الآلة المرعبة أن تستعمل فى الأغراض الحربية ؛ ومعنى هذا الحيلولة دون نشوب حرب جديدة . وفى الوقت عينه حارت الأسئلة على الشفاه : ماهى أغراض الخير فى الكشف الجديد ؟ وكيف تذلل الطاقة الكامنة فى نواة الذرة لتستغل فى الأغراض الصناعية ؟

يختلف انطلاق الطاقة الذرية كما أفضت إليه ابحاث العلماء عماتتطلبه الصناعة من ناحيتين: الأولى أنه أغفل حساب النفقات ، والثانية أن انبعاث الطاقة وقتي ومفاجىء جداً . فقد بلغت النفقات نحو نصف مليار جنيه ، واشتغل فى انتاج القنبلة (١٢٥) ألف عامل لا يزال فى العمل منهم (٦٥) ألفاً بينهم نفر كبير من أفضل الادمغة العلمية فى العالم . وإنه وإن كان تقدير الطاقة المتاحة متعذر لقلة الأرقام المرشدة إلا أننا سنعطى بعض التقديرات التقريبية .

تحطم نواة الراديوم تحطما عضوياً تدريجياً ، وتمر بها ثمانية أدوارقبل أن تتحول إلى ذرة من الرصاص ، وتنطلق الطاقة الكامنة المخزونة فيها خلال هذه الأدوارفتساوى الطاقة المتحررة من أوقية راديوم الطاقة الناتجة من حرق ٣٠٠ طن فحم حجرى. قد تختلف هذه الطاقة عن طاقة أوقية من القنبلة الذرية ولكنها بدون شك من نفس الرتبة : فإذا فرضنا أن معامل القنبلة الذرية قد انتجت ١٠٠ باوند من العنصر الفعال تكون هذه المبالغ والجهود المنفقة قد قدمت لنا طاقة نصف مليون طن من الفحم الحجرى . وعلى هذا المعدل نخسر اقتصاديا كيفما كانت أشكال استثمار الطاقة . حتى لو كان تقديرنا بعيداً عن الدقة إلا إنه يضعنا أمام مشكلة اقتصادية حقيقية .

ثم إن قوة القنبلة الذرية فى التدمير والتخريب تعود فى أقوى أسبابها إلى انطلاق الطاقة الفجائى . وقد لا تزيد هذه الطاقةعن طاقة بضعة ألوف من أطنان الفحم إلا أن ظهورها فى مكان واحد خلال جزء بسيط من الثانية يبعث فى الجو حرارة وضغوطاً موضعية هائلة تثير موجة عاصفة تكتسح كل ما يقف فى طريقها .

وليس شرطاً أن تكون الطاقة عظيمة ، فمثلها مثل الطفل الذى يحرك ذراعيه وساقيه عاماً بطوله ولا يكن أى خطر من بذل طاقته بهذا الشكل ، ولكن لو تركزت جميع حركاته فى ضربة واحدة لقتلت أقوى رجل على الأرض .

هذا التركيز فى الزمان والمكان الذى يساوق انطلاق الطاقة من القنبلة الذرية أمر مرغوب فيه عندما يقصد التدمير والهدم ، وهو سيء مزعج فى الصناعة ، فتنحصر مشكلة المستقبل إذن فى السيطرة عليه وضبطه .

ويجدر بنا قبل تناول هذه المشكلة بالبحث أن ننظرفيما حصله العلماء حتى اليوم :

أكتشف(بكرل) القوة الاشعاعية فى اليورانيوم سنة ١٨٩٦ وبعد ذلك ببضع سنوات استفرد آل كورى من اليورانيوم العنصر الأكثر فعالية وهو الراديوم . وسريعاً ما عرف أن الأخير يعطى قدراً من الطاقة ناقضاً بذلك كل النظريات القديمة ، وانتظر البحث حتى سنة ١٩١٠ عندما وضع رذرفرد نظرية جديدة عن بناء الذرة ، وبرهن بالتجربة على أن للذرة نواة صغيرة وصغيرة جداً بالنسبة للذرة نفسها التى لا تزيد ابعادها عن جزء من مائة مليون جزء من البوصة ، وتكمن فى هذه النواة كل كتلة الذرة وحولها تدور الكهارب (الالكترونات) . ففى الذرات الثقيلة ، كذرات الراديوم مثلا ، تنشطر الذرة من تلقاء نفسها ، أو تتحطم كما يقول العلماء ، وتقذف دقائق مع قدر من الطاقة المخزونة فى النواة .

فالراديوم يعطى الطاقة من تلقاء نفسه ولكن ببطء شديد . وليس لدينا إلا قدر ضئيل من العنصر نفسه .

أما الخطوة الثانية فقد خطاها رذرفرد وتلاميذه ، ونخص بالذكر العلامة السر جيمس شادويك ، إذ تبين أن قذف نوى

(*) عن مقال بالانجليزية للبروفسور أندريد عضو الجمعية الملكية .

العناصر بدقائق الفا السريعة يفلق النوى ويحولها إلى نوى لعناصر جديدة . فاستعملت قذائف أخرى ؛ وفى بعض الأحيان تحررت الطاقة النووية ؛ إلا أن طريقة رذرفرد هذه لم تؤثر إلا فى الذرات المفردة ، وتم العمل فى نطاق ضيق ، وحرارة الطاقة المنطلقة لم تزد عن حرارة شرارة . بعدها أصبح انطلاق الطاقة ممكناً نظرياً ؛ ورغم أن فلق ذرات قليلة استلزم جهداً عظيما فإن لذة العلماء بالبحث كانت نظرية بحثه أكثر منها عملية تطبيقية .

وفى سنة ١٩٣٩ أحدث العلماء نوعاً جديداً من التغير النووى . ولا يمكن أن يعزى الفضل إلى شخص واحد دون غمط حق الآخرين وفضلهم ... فكانت القذائف هى النيوترونات ... فانفلقت ذرة اليورانيوم إلى شطرين أو أكثر ، وسميت هذه العملية بالإنقسام النووى Nuclear Fission . ونتج عن الانشطار نيوترونات جديدة ظن أنها تستطيع تحت ظروف مناسبة أن تشطر ذرات أخرى ... فأى عدد ضئيل من الإنقسامات الأصلية سيفضى إلى سلسلة طويلة متتابعة تهشم كل ذرات الكتلة كالنار المشتعلة التى تلتهم كل ما حولها . وحققت الأبحاث الأخيرة هذا الظن وأثبتت التجارب صحته .

لم تنجح التجارب الأولى لأن اليورانيوم ثلاثة اصناء (جمع صنو) . خواصها الكيميائية متماثلة ولكنها تختلف فى أوزانها الذرية ، ويدعو رجل العلم هذه الأصناء « النظائر » . ولمحض الصدف اكتشف أن نظيراً واحداً مقداره أقل من ١ ٪ من اليورانيوم الطبيعى تتأثر ذراته ، أما ذرات النظيرين الآخرين فلا تتأثر ، وأكثر من هذا انها تقف فى طريق التفاعل وتقطع السلسلة . فكان الواجب الباهظ الملقى على أكتاف العلماء فى أمريكا هو عزل هذا النظير المطلوب (يورانيوم ١٣٥) .

وهكذا يتلخص تاريخ ما وصلنا إليه فى خطوات ابتدأت باكتشاف المواد التى تنقسم نواها من تلقاء نفسها ، ثم تهشيم بضع ذرات هنا وهناك فى مجموعة من ملايين ملايين الذرات ، ثم فلق النواة إلى شطرين يصاحبه تحرير الطاقة . ثم تحضير مادة ما يكاد يبتدىء انشطار الذرة فيها حتى يجرى سريعاً من ذرة إلى أخرى كالنار المندلعة فى مدينة خشبية .

وسريعاً ما يلحظ أنه لا فرق كبيراً بين تحطيم بعض الذرات بعد بذل جهود مضنية كبيرة وتحطيم عدد كبير منها فى انفجار واحد متسلسل . فكأنه التفجرات التى لا تتأثر إذا أصيبت برفق ، وتنفجر ملتهبة إذا أصيبت بعنف . ولكن لا تستطيع أن تفرض عليها الإحتراق البطىء لتعطى طاقتها بطريقة مضبوطة مقيدة

وحتى الآن لم يبذل أى جهد لحل المشكلة الماثلة . فلا يمكننا تخفيف نظير اليورانيوم ٢٣٥ من السيطرة على التفاعل كما يبدو لأول وهلة ، ذلك أن النظائر الأخرى تكبح انطلاق الطاقة الذاتى . وتقترح طريقة أخرى نفسها علينا : هى سحق اليورانيوم الفعال إلى حبيبات دقيقة ناعمة نعلقها فى الهواء أو فى سائل ما وعندئذ يقتضى ترتيب هذه الحبيبات لتنفجر واحدة أو قليل منها فقط فى آن واحد . وقد يستعصى امتلاك الطاقة فى هذه الحالة أيضاً . ذلك ان انطلاق طاقة يمكنها تبخير قدر كبير من الماء لحظة واحدة يضع فى وجه المهندس الفنى مشا كل معقدة متعددة . أضف إلى ذلك أن الإشعاعات التى تتحرر كما تتحرر الحرارة من ذبذبات الإنشطار المتكررة بين جزئى النواة مجهولة الأثر فى معدن الآلة التى تحتوى على العنصر الفعال .

تدور فى ذهنى مجالات استخدام الطاقة الذرية بعد السيطرة عليها فأرى منها تدفئة المنازل وتوليد البخار والحصول على انفجار معتدل فى إسطوانة كما فى آلة الإحتراق الداخلى ، واستعمال عاصفة القوة فى محركات النسر أو تدوير المراوح ... وفى كل هذه الإمكانيات يجب الحصول على قدر ضئيل من العامل المتفجر ثم توزيع الطاقة الوضعية المنطلقة حتى يكون مقدارها عملياً فى حيز محدود دون أن تحدث كارثة .

ومن يدرى فربما يجىء استثمار الطاقة عن طريق أخرى . فمنذ ٣٠٠ سنة اكتشف البارود أول متفجر حربى ، وبذلت محاولات جمة لتشغيل آلة بقوته ولكنها فشلت ، غير أن هذا لم يحل دون أن يستعمل نوع آخر من المتفجرات لتسيير كل آلات الإحتراق الداخلى وهو مزيج من بخار البترول والهواء أو مايشبه المزيج لأننا نستطيع ضبطه والتحكم فيه بسهولة . فمن الممكن أو المؤكد ، كما يخيل لبعض الناس ، أننا سنكتشف تفاعلات ذرية تستمر وتمتد بنفسها وتكون السيطرة عليها والتصرف بها أكثر سهولة ويسراً .

الحـــديث المحمدى

تعقيب على مقال

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

قرأت بإمعان ذلك المقال الذى كتبه الأستاذ محمود أبو ريه بالرسالة العدد ٦٣٣ عن « الحديث المحمدى » ، وقد سرنى منه أنه أراد أن يدرس دينه بالرجوع إلى مصادره الأصلية . وقد ذكر أنه لما أخذ فى دراسة الحديث النبوى على هذا النحو ظهرت له حقائق وسرد بعضها ، وقد تتبعت الأستاذ فى حقائقه ، فوجدت أن منها ما يجافى الحقيقة ، ولم يكن مبنياً على دراسة عميقة راجعة إلى مصادر الحديث الأصلية :

١ — ذكر الأستاذ أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث كلها حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم ترتيبه ، حتى لقد قال الإمام الشاطبى : « أعوز أن يوجد حديث عن رسول الله متواتر » ؛ ولا أدرى ما مبعث هذا الحكم : أهو نقل أم استقراء ؟ فإن كان الأول فليدلنا عليه ، وإن كان استقراء ، فالواقع خلاف ذلك ، ونحن لا نقول بأن الأحاديث كلها رويت بألفاظها ، وكيف ؟ وقد ثبت أن القصة الواحدة ، أو الواقعة ، رويت بألفاظ مختلفة ، وأساليب متباينة وإن كان المعنى واحداً ؟ ولا نقول بأن الأحاديث كلها رويت بالمعنى ، وكيف ؟ ومن الأحاديث ما اتفقت الروايات على لفظها — وإن لم تصل إلى درجة المتواتر — ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق للبلاغة أنها من كلام أفصح العرب ؛ ومن قبل أدرك أئمة فى اللغة والبيان هذه الحقيقة ، فألفوا الكتب فى البلاغة النبوية

ولقد أدهشنى أن اتخذ كلمة الشاطبى مؤيدة لدعواه ، وأنا أقول للأستاذ : فرق بين عدم وجود حديث متواتر بلفظه ، وبين عدم وجود حديث بلفظه ، فقد ينتفى الأول ولا ينتفى الثانى ، لأن المتواتر نوع خاص « وهو حديث رواه جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب » . وهو لفظى أو معنوى ؛ وقد بحث علماء الحديث عرضاً فى التواتر وفى وجوده ؛ وبعضهم — كابن الصلاح — حكم بندرته ، وبعضهم منعه ، وبعضهم حكم بكثرته(١) . ومع هذا لم يقولوا إنه لا يكاد يوجد حديث بلفظه . ومن يشك فى أن ما روى عن الرسول الكريم مثل « المسلم من سلم المسلمون من

(١) ظفر الأمانى بحث المتواتر ومقدمة ابن الصلاح ص ٢٢٦

نحن أمام كيمياء جديدة ستبتدىء . فالكيميا القديمة المعروفة فى الكتب المدرسية تبحث الذرات واتحاد الذرات كاملة غير مجزأة . أما الكيمياء الجديدة فستبحث نوى الذرات وبنائها وفلقها . ومع أن عدداً قليلا من الدقائق يكمن فى نوى الذرات إلا أن سلوكها فرع جديد من العلم . وسترى السنون القليلة المقتبلة نتائج مدهشة جديدة باهرة .

ليست مشكلة استثمار الطاقة الذرية جديدة إذ انطوت عليها أدمغة العلماء منذ أن بين رذرفرد وأتباعه أن النواة تخزن للطاقة ينتظر طرق التحرير المناسبة .

وفى سنة ١٩٢٧ كتبت « إن دراسة النواة كيمياء وفيزياء جديدتان نطرق بابهما اليوم … حقيقة هـذا العلم يبحث أصغر الأجسام التى يتصورها العقل . ولـكنه سينتج منبعاً للطاقة يبذ كل مناجم الفحم فى العالم … فهل نستطيع تحرير هذه الطاقة بكميات وافرة وافيـة ، وإذا استطعنا فهل نستطيع ضبطها والتحكم بها ؟ » لقد أجابت الأيام عن السؤال الأول بالإيجاب والثانى لا يزال بالإنتظار .

لقد انقضى خمسون عاماً قبل أن يتقدم العلم من كشف القوة الاشعاعية إلى العجيبة الحاضرة ، وانقضى خمسة وعشرون عاماً رأت تقدمنا من تحطيم نوى الذرات على نطاق ضيق إلى هـذا التحطيم المريع الذى أذل اليابان وألقاها صاغرة راكعة . واليوم يقف تحصيلنا العلمى فى الذروة ، وتنتظم أعمال العلماء والفرق العلمية على أساس ثورى جديد . ولا يجسر أحد أن يرى بعـد احتمال استعمال القوة الذرية فى المصانع بعد خمسة وعشرين عاما أو بعد عشرة أعوام ، وإننا لنرجو أن نستعملها لترفيه سعـادة الجنس البشرى وزيادة رخائه وطمأنينته وضمانه الإجتماعى .

خليل السالم

لسانه ويده » و « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » « أرحنا بها يابلال » يعنى الصلاة . وغير ذلك كثير من كلام النبوة ، ومن ينكر ما فى هذا المنطق من نور وما فيه من بلاغة ؟ وحسب الأستاذ أن يخلو بنفسه وبكتاب كالبخارى ، وأنا واثق بأنه سيعدل عن فكرته .

٢ — تكلم الأستاذ عن الرواية بالمعنى ، وإن بعض الصحابة رأوا الرواية بالمعنى ، وكذا من جاء بعدهم ، إلى أن قال :« وهكذا ظلت المعانى تتوالد ، والألفاظ تختلف باختلاف الرواه » . وأقول « أما اختلاف الألفاظ ، فهذا ما لا ننكره ، وأما توالد المعانى ، والتزيد فيها والتبديل ، فهذا ما لا نقر الأستاذ عليه ، والصحابة الذين أجازوا الرواية ومن أخذ عنهم ، إنما أجازوها مع تحفظهم الشديد وتحوطهم البالغ فى المحافظة على المعنى . وكيف يغيرون فى المعنى ويتزيدون ، وهم كثيراً ما طرق مسامعهم قوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ؟ ولهم من عربيتهم ودقة فهمهم للأساليب وإحاطتهم بالمعنى المراد مايحول دون ذلك ، ولا سيما وأن الرواية إنما تتصل بالحديث ، وللحديث فى نفوس الصحابة ومن بعدهم من القداسة والاحترام ما له . أليس الحديث هو الأصل الثانى من أصول التشريع ؟ الحق أنى كنت أحب من الأستاذ أن يقرأ فى كتب الرجال ، وبخاصة الصحابة والتابعين ليعرف ما خص الله هؤلاء القوم من حافظة قوية وذاكرة وقادة . وعلماء أصول الحديث بعد حينما تكلموا فى الرواية بالمعنى ، منهم من منع منها ، ومنهم من بالغ فى التثبت والتحوط ، فلم يجيزوا الرواية بالمعنى إلا لعالم بالألفاظ ، عارف بمقاصدها ، خبير بما يختل بها معانيها ؛ ولو أن تدوين الحديث تأخر قروناً معدودة ، لكان هذا الفرض قريباً ، ولكن التدوين بدأ فى أوائل القرن الثانى وازدهر فى القرن الثالث ، وخصائص العروبة متمكنة من الرواة ، ولم يكن لسان أهل العلم فسد بعد ، وإن تطرقت لوثة الأعاجم إلى العامة .

ولئن كان لراوية الحديث بالمعنى ضرر من الناحية اللغوية والبلاغية — كما ذكر الأستاذ — فلا ضرر من الناحية الدينية بعد ما بينا أن لا توالد فى المعانى ولا تزيد ومن علم مبلغ ما وصل إليه علم الرواية فى الإسلام وما امتاز به من التثبت والتحوط فإنه يستبعد ما قاله الأستاذ كل الإستبعاد وقد بلغ من يقظة أئمة الحديث أنهم كانوا يعلمون اللفظ الدخيل فى الحديث من أين أتى وكيف دخل

٣ — كتب الأستاذ كلمة عن الموضوعات وأنا أوافقه فيما قال وآخذ عليه قوله ولكى يشدوا عملهم بما يؤيده وضعوا على النبي أحاديث تجيز الوضع مثل ماورووا : « إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » . وهذا الحديث بعضه لايدل على الوضع وأن فى قوله : « وأصبتم المعنى » ما يدل على أن الحديث قبل تجوزاً للرواية بالمعنى؛ وإلا فأى أصابة للمعنى النبوى إذا كان الكلام موضوعا وللحديث بقية تدل على ما سيق له . روى إبن منده فى معرفة الصحابة والطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن اكيتمة الليثى قال : قلت يا رسول الله إنى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمع منك نزيد حرفا أو ينقص حرفا ؟ فقال : « إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس[1] » . وكان الأجمل أن يمثل بما روى زورا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث » فهذا يشد أزر الوضاعين .

٤ — ذكر الأستاذ حديث من كذب على متعمداً الحديث وأنه وصل به البحث إلى أن لفظ متعمداً لم تأت فى روايات كبار الصحابة وأن الزبير قال : والله ما قال متعمدا ، ورأى أنها تسللت إلى الحديث من سبيل الأدراج الخ ما ذكر . وأقول قد روى هذا الحديث من روايات عدة عن كثير من الصحابة حتى قد أوصلها بعض رجال الحديث إلى المائة بل إلى المائتين . والحق أن الحديث روى من طرق تصل به إلى درجة التواتر بهذا اللفظ. أما وصوله إلى هذا العدد الضخم فذلك فيما ورد فى مطلق الكذب لا فى هذا اللفظ بعينه ، وقد جاءت كلمة متعمدا من رواية الصحيحين وغيرهما من الكتب المتمدة وطرق ذكرها أكثر من طرق تركها والقاعدة عند المحدثين إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى وهنا ترجح روايات ذكر اللفظ ويحمل

(١) مقدمة ابن الصلاح ١٨٦ هامش

المطلق على المقيد ، وأما تجويزه أن هذه الكلمة أدرجت فى الحديث ليتكىء عليها الرواة فيما يروون عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم الخ . فأقول رداً عليه إن رفع إثم الخطأ أو السهو ليس بهذه الكلمة وإنما ذلك بما ثبت من أدلة أخرى وتقرر فى الشريعة بأنه لا إثم على الخاطىء والناسى ما لم يكن بتقصير منه وسر الكلمة دفع توهم الإثم على الخاطىء والغالط والناسى .

وأما تجويزه أن هذه الكلمة قد وضعت ليسوغ بها الذين يضعون حسبة من غير عمد عملهم ؛ فلا أدرى كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد ، والوضع حسبة أن يقصد الواضع وجه الله والثواب وخدمة الشريعة — على حسب ظنه — بالترغيب فى فعل الخير والفضائل ، وهم قوم من الصوفية والكرامية جوزوا الوضع فى الترغيب والترهيب ، فكيف يجتمع — أيها الأستاذ — قصد الوضع طمعاً فى الثواب مع عدم التعمد ؟ وتفسير الحسبة بأنها عن غير عمد لم أقع عليه ولا أعقله

٥ — ذكر الأستاذ فى تدوين الحديث أنه كان فى أول أمره مشوباً بأقوال الصحابة فى التفسير ، وغيرة من مسائل دينية ، أو طرف أدبية ، أو أبيات شعرية الخ . فمن أين وصل إلى الأستاذ أن الحديث فى أول أمره كان ممزوجاً بالطرف الأدبية والأبيات الشعرية ، وأقدم كتاب وصل إلينا ممزوجاً فيه الحديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين موطأ الإمام مالك ، فأين ما فيه من طرف وشعر ؟ وإذا كان ذلك المزج قبل طبقة مالك ، فمن أى مصدر استقى الأستاذ هذه الفكرة ؟ والذى ذكره الحافظ فى مقدمة الفتح أن الجامعين للحديث كانوا يجمعون كل باب على حدة إلى أن انتهى الأمر إلى كبار الطبقة الثالثة ، فصنف الإمام مالك موطأه بالمدينة ، وابن جريج بمكة ، وعلى رأس المائتين جرد الحديث من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، إلى أن جاء الإمام البخارى فميز الصحيح الخ ما ذكر .

٦ — ذكر الأستاذ أن الفقهاء كبلهم التقليد فلم يعتنوا بكتب الحديث ، ولم يعطوها حقها من البحث والدرس الخ ما قال

وكلمة الفقهاء شاملة للائمة المتقدمين ، ومن بعدهم من استقل باستنباط الأحكام العملية والفروع الفقهية ؛ والثابت أن قدماء الفقهاء قد أحلوا السنة محلها الممتاز ، وجعلوها المصدر الثانى من مصادر التشريع ، وإنما اختلفوا فى الأخذ بها قلة وكثرة ، وما كان الفقيه ليصل إلى درجة الاجتهاد إلا إذا أحاط بالكثير من السنة رواية ودراية . والإمام أبو حنيفة — رحمه الله — مع التخرص عليه بقلة البضاعة فى الحديث — كان له سبعة عشر مسنداً ، أى كتاباً مؤلفاً على حسب أسماء الصحابة ، وتلميذه محمد اشتهر برواية الحديث عن مالك

وأقرب الظن أن الأستاذ أراد متأخرى الفقهاء الذين جعلوا همهم العصبية المذهبية ولم ينظروا إلى الحق فى ذاته ، وهم الذين كانوا فى عصور الجمود الفقهى

هذا ، وفى المقال بعض هنات تجاوزت عنها ، وحيث أن المقال ملخص كتاب سينشر ، فإنى لأهيب بالأستاذ أن يراجع نفسه فى بعض هذه الحقائق التى تكشفت ، وليكر على الكتاب من جديد بالتمحيص والتدقيق ، وعلم الحديث ليس بالأمر الهين والبحث فيه يحتاج إلى صبر وأناة وتمحيص وتدقيق ، ورحلة فى سبيله إلى من أحاط به خبراً ؛ وقصارى قولى : ليس الخاطىء من يظهر له الحق فيعود إليه ، وإنما الخاطىء من يظهر له الحق فيصر على الباطل .

محمد محمد أبو شهبة
عالمية من درجة أستاذ

قصة نجاة المعرى بالدعاء

هل هى خرافة ؟

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

كتاب سر العالمين :

للامام أبى حامد الغزالى كتاب صغير الحجم يسمى « سر العالمين ، وكشف ما فى الدارين » رسم فيه سياسة وافية للفوز فى الدنيا والأخرة ، جاء فى أوله : « سألنى جماعة من ملوك الأرض أن أضع لهم كتاباً معدوم المثل لنيل مقاصدهم ، واقتناص الممالك ، وما يعينهم على ذلك » .

طبع هـذا الكتاب لأول مرة فى بومباى سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) ثم طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) .

وفى هذا الكتاب ذكر الغزالى قصة نجاة المعرى بالدعاء ، ثم تناقلها المؤرخون ، والكتاب جيلا بعد جيل وعصراً بعد عصر من غير نكير ولا شك ولا ارتياب .

ولعل مما جعل المؤرخين ينقلون هذه القصة من غير ارتياب فيها ويتقبلونها على ما فيها — لعل من أسباب ذلك — فوق مكانة الغزالى فى قلوب العلماء على تعاقب الأجيال — قرب العهد بين المعرى والغزالى ، فقد ولد الغزالى بعيد وفاة المعرى والمسافة بين سنة ٤٤٩ وفاة المعرى وسنة ٤٥٠ ، سنة مولد الغزالى ليست بذات بال فى الحوادث التاريخية . فالغزالى على هـذا أول راو لهذه القصة والمصدر الذى استقى منه كل من أتى بعده من المؤرخين .

قصة نجاة المعرى بالدعاء :

بعد هذا التمهيد الوجيز نقدم للقارىء نص القصة كما ذكرها الغزالى قال :

حدثنى يوسف بن على بأرض الهركار ، قال : دخلت معرة النعمان وقد وشى وزير محمود بن صالح صاحب حلب إليه بأن المعرى زنديق ، لا يرى إفساد الصور ، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل . فأمر محمود بحمله إليه من المعرة إلى حلب ، وبعث خمسين فارساً ليحملوه ، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة ، فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان وقال : يابن أخى قد نزلت بنا هذه الحادثة : الملك محمود يطلبك ، فإن منعناك عجزنا ، وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوى الذمام ، ويركب تنوخاً العار والذلة ، فقال له : هون عليك يا عم ، فلا بأس علينا ، فلى سلطان يذب عنى ، ثم قام فاغتسل وصلى إلى نصف الليل ، ثم قال لغلامه : انظر ... أين المريخ ؟ فقال : فى منزلة كذا وكذا . فقال : زنه ، واضرب تحته وتداً ، وشد فى رجلى خيطاً ، واربط به إلى الوتد ، ففعل غلامه ذلك ، فسمعناه وهو يقول : يا قديم الأزل ، يا علة العلل ، ياصانع المخلوقات ، وموجد الموجودات ، أنا فى عزك الذى لا يرام وكنفك الذى لا يضام ، الضيوف ! الضيوف ! الوزير . الوزير ! ثم ذكر كلمات لا تفهم ، وإذا بهدة عظيمة ؛ فسئل عنها ، فقيل : وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها ، فقتلت الخمسين ، وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر : لا تزعجوا الشيخ ، فقد وقع الحمام على الوزير . قال يوسف بن على : فلما شاهدت ذلك دخلت على المعرى ، فقال : من أين أتيت ؟ فقلت : من أرض الهركار ، فقال : زعموا أنى زنديق ، ثم قال : اكتب وأملى على :

أستغفر الله فى أمنى وأوجالى … من غفلتى وتوالى سوء أعمالى (١)
قالوا هرمت (٢) ولم تطرق تهامة فى … مشاة وفد ولا ركبان أجمال
فقلت : إنى ضرير والذين لهم … رأى رأوا غير فرض حج أمثالى
ماحج جدى ولم يحجج أبى وأخى … ولا ابن عمى ولم يعرف منى خالى
وحج عنهم قضاء بعد ما ارتحلوا … قوم سيقضون عنى بعد ترحالى
فان يفوزوا بغفران أفز معهم … أولا فإنى بنار مثلهم صالى
ولا أروم نعيما لا يكون لهم … فيه نصيب وهم رهطى وأشكالى
فهـل أسر إذا حمت محاسبتى … أم يقتضى الحكم تعناتى (٣) وتسآلى
من لى برضوان أدعوه فيرحمنى … ولا أنادى مع الكفار أمثالى (٤)
باتوا وحتى أمانيهم مصورة … وبت لم يخطروا منى على بال

---

(١) رواية القفطى : أفعالى .

(٢) رواية سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : هدمت .

(٣) رواية القفطى : تعناتى .

(٤) رواية هذا البيت فى القفطى هكذا :

من لى برضوان أدعوه أرحمه … ولا أنادى مع الكفار يا مالى

وفوقوا لى سهاماً من سهامهم فأصبحت وقعاً منى بأميال
قالوا وهم كفيول فى كتائبهم ولا نجاح لأفيال كأفيال
لما هتفت بنصر الله أيدنى كأن نصرت بجبريل وميكال
وجاء إذ ذاك عزرائيل يغضب لى فيقبض الروح مغتاظاً بإعجال
فا ظنونك إذ جندى ملائكة وجندهم بين طواف وبقال
لقيتهم بعصا موسى التى منعت فرعون ملكا ونجت آل إسرال
أقيم خمسى وصوم الدهر آلفه وأدمن الذكر أبكاراً بآصال
عيدين أفطر من عامى إذا حضرا عيد الأضاحى يقفو عيد شوال
إذا تنافست الجهال فى حلل رأيتنى من خسيس القطن سربالى
لا آكل الحيوان الدهر مأثرة أخاف من سوء أعمالى وآمالى
وكيف أقرب طعم الشهد وهو كذا غصب لمكسب نحل ذات أطفال
نهيتهم عن حرام الشرع كلهم ويأمرونى بترك المنزل العالى
وأعبد الله لا أرجو مثوبته لكن تعبد إكرام وإجلال
أصون دينى عن جعل أؤمله إذا تعبد أقوام بأجعال

رأى الكتاب والمؤرخين في هذه القصة

هذه هى قصة نجاة المعرى بالدعاء كما ذكرها الإمام أبو حامد الغزالى فى كتاب سر العالمين وكشف ما فى الدارين . ثم تتابعت الأيام ، ومضت السنون والأعوام والمؤرخون ينقلون هذه القصة لا يشكون فيها ولا يرتابون فى أمرها . فقد نقلها عن كتاب سر العالمين سبط ابن الجوزى —٥٨١— ٦٥٤ هـ فى كتاب مرآة الزمان .

ونقلها عن مرآة الزمان الصفدى —٦٦٦— ٧٦٤ هـ فى كتابيه : الوافى بالوفيات ، ونكت الهميان فى نكت العميان .

كما نقلها عن الغزالى أيضاً ابن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ فى كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء .

ونقلها عن ابن أبى أصيبعة كل من صاحب سكردان السلطان والشيخ العباسى المكى من علماء القرن الثانى عشر الهجرى فى كتاب نزهة الجليس .

وذكر ابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ فى تتمة المختصر ملخص القصة ، ثم قال : فمن الناس من زعم أنه قتلهم بدعائه وتهجده ، ومنهم من زعم أنه قتلهم بسحره ورصده .

كذلك نقل القصة أيضاً عن كتاب سر العالمين العينى —٧٦٢— ٨٥٥ هـ فى كتاب عقد الجمان .

والشيخ عبد القادر السلوى فى كتاب الكوكب الثاقب .

كل هؤلاء الأعلام من رجال العلم والأدب والتاريخ رووا هذه القصة كل على حسب مزاجه ورأيه من اختصار لها أو إسهاب فيها ولكن واحداً منهم لم يحاول إنكار الفكرة الأصلية فيها أبداً .

ولما كتب الدكتور طه حسين بك كتابه « ذكرى أبى العلاء » أنكر هذه القصة من أساسها لأن عم أبى العلاء مات قبل أبيه ! ، ولأن المعرى لم يكن ينتحل السحر ، ولا يعرف الطلسمات ! ولم يرض هذا التكذيب القاطع الذى لا يستند إلى سبب معقول مؤرخ حلب الشيخ محمد راغب الطباخ فذكر فى كتابه إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ج ٤ ص ١٦٣) سبباً جديداً معقولا لانكار هذه القصة . وهو أن محمود بن صالح تولى حلب بعد وفاة المعرى بنحو أربع سنوات . فكيف تحدث هذه القصة فى عهد محمود بن صالح ؟ .

وعن الشيخ محمد راغب الطباخ — فيما أعتقد — أخذ هذه الحجة الأستاذ الشيخ الميمنى وأثبتها فى كتابه عن المعرى . جازماً بها ، راضياً عنها .

وفى عدد الرسالة : ٦٢٥ ص ٦٧٥ قرر الدكتور الفاضل عبد الوهاب عزام عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول : أن هذه القصة خرافة مروية . معتمداً فى ذلك على كتاب الأستاذ الميمنى عن أبى العلاء المعرى .

بقى أن نذكر أن عالماً فاضلا بحاثاً مدققاً هو المرحوم أحمد تيمور باشا ذكر فى كتابه الذى نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بعد وفاته الخلاصة التى أوردها ابن الوردى ثم نقل تفصيل هذه القصة عن كتاب الكوكب الثاقب للشيخ عبد القادر السلوى ولم يحاول تكذيبها ولا الشك فيها ولكنه أراد استبعاد « رصد المريخ » لأن من يقف على كلام المعرى فى المنجمين ، وتقبيح أعمالهم يحكم بأن ذلك من الموضوع عليه .

وبعد فهذه هى قصة نجاة المعرى بالدعاء ، وهذه أدوارها التى مرت بها . فهل هى خرافة مروية حقاً .

برهان الدين الداغستانى

سجون بغداد
زمن العباسيين
للأستاذ صلاح الدين المنجد

- ٣ -

ويمعن أبو يوسف فى تصوير هؤلاء العامة من السجناء فيقول : وأغنهم عن الخروج فى السلاسل يتصدق عليهم الناس ؛ فإن هذا عظيم أن يكون قوم من المسلمين قد أذنبوا وأخطأوا ، وقضى الله عليهم ماهم فيه فحبسوا ، يخرجون فى السلاسل يتصدقون . وما أظن أهل الشرك يفعلون هذا بأسارى المسلمين الذين فى أيديهم ، فكيف ينبغى أن يفعل هذا بأهل الإسلام ؟ وإنما صاروا إلى الخروج فى السلاسل يتصدقون لما هم فيه من جهد الجوع .

ولقد بلغنى ، وأخبرنى به الثقات ، أنه ربما مات منهم الميت الغريب فيمكث فى السجن اليوم واليومين ، حتى يستأمر الوالى فى دفنه ، وحتى يجمع أهل السجن من عندهم ما يتصدقون ، ويكترون من يحمله إلى المقابر فيدفن بلا غسل ولا كفن ولا صلاة [(١)] » .

وقد نجد فى كتب الأدب والتاريخ ، نبذاً عما كان يفعل بخواص المسجونين إذا دخلوا السجن . كانوا ينزعون عنهم ثيابهم فيلبسون غيرها ، ثم يقيدون ، ويقدم لهم طعام خاص :

حدث ابن وهب قال : أخذنى اسحق (بن إبراهيم) فقيدنى بقيد ثقيل ، وألبسنى جبة صوف . فأقمت كذلك نحو عشرين يوماً ، لا يفتح على الباب إلا مرة واحدة فى كل يوم وليلة ، ويدفع لى فيها خبز شعير وماء حار [(٢)] » .

وحدث سليمان بن وهب قال : « كنت فى يدى محمد بن عبد الملك يطالبنى وأنا منكوب ، وكان يحضرنى كل يوم وأنا فى قيودى ، وعلى جبة صوف [(٣)] » .

(١) كتاب الخراج ص ٨٨
(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخى ج ١ ص ٤٣
(٣) » » » ج ١ ص ٩٥

وذكر يعقوب بن داود قال : « حبسنى المهدى ... فى بئر ... وكان يدلى إلى فى كل يوم رغيف وكوز ماء [(١)] ... » ولما سجن ابن عبد الملك أمر بتقييده فقيد ، ولم يأكل فى طول حبسه إلا رغيفاً واحداً . وكان يأكل العنبة والعنبتين [(٢)] » .

وقيد جعفر بن يحيى فى حبسه بقيد حمار قبل أن يقتل ثم ضربت عنقه [(٣)] .

وسأل الرشيد جعفر بن يحى يوماً مافعل بيحيي بن عبد الله ؟ قال بحاله يا أمير المؤمنين : فى الحبس الضيق والأكبال [(٤)] .

وقيد إيتاخ فى سجنه وصير فى عنقه ثمانون رطلا وقيد ثقيل [(٥)] . وكانت وظيفته رغيفاً وكوزاً من ماء .

ولما حبس إسحق بن إبراهيم عمر بن فرج ألبسه جبة صوف وقيده بالأكبال [(٦)] .

وحبس بختيشوع المتطبب فى المطبق فضرب مائة وخمسين مقرعة وأثقل بالحديد [(٧)] .

وقد كانت جبة الصوف تدهن أحايين كثيرة بالنفط أو بماء الأكارع [(٨)] ، كما فعل بجبة ابن الفرات وغيره [(٩)] . أما القيد فربما بقيت آثاره بعد فكه . وهذا ماحدث لأبى العباس أحمد ... ابن الفرات ، فقد علق بحبال فى يديه بقيت آثارها فيها مدة حياته [(١٠)] ، وربما أصاب المسجونين الإهمال ، فلم يكسوا أو يطعموا . وقد ذكر ابن المعتز أن الرشيد أرسل مسروراً الكبير إلى البرامك ، وهم فى الحبس يتعرف حالهم . فصار إليهم فوجد الفضل ساجداً فهتف به فلم يجبه ، فدنا منه فوجده نائماً يغط . وكان فى ثوب سمل ، وذلك فى الشتاء والبرد شديد [(١١)] .

(١) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤١
(٢) الطبرى فى حوادث سنة ٢٣٣ ج ١٢
(٣) » » » ١٨٧ ج ١١ ص ٦٧٨
(٤) » » » ١٨٧ ج ١١ ٦٧٠
(٥) » » » ٢٣٥ ج ١٢ ص ١٣٨٦
(٦) » » » ٢٣٣ ج ١٢ ص ١٣٧٨
(٧) » » » ٢٤٥ ج ١٢ ص ١٤٤٧
(٨) كتاب الوزراء الصابى ص ٢٩٨ ، ٢٩٩
(٩) » » » ص ١٠٤
(١٠) » » » ص ٨ و ٩
(١١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٢١

فأنت ترى أن لباس السجناء جبة من صوف ، وأن طعامهم رغيف فى اليوم ، وشرابهم كوز من ماء ، وقيودهم السلاسل والأكبال .

وربما كان للسفهاء فى السجون العامة سيطرة وسلطان . نستدل على ذلك من أبيات قالها عبد الملك بن عبد العزيز وكان قد حبسه الرشيد ، وهى :

ومحلة شمل المكاره أهلها وتقلدوا مشنوءة الأسماء
دار يهاب بها اللئام وتتقى وتقل فيها هيبة الكرماء[١]

ولم يكن يسمح للمحبوسين أن يقابلوا أحداً . وقد يكون ذلك بالرشى . حدث محمد بن صالح العلوى قال : « وجاءنى السجان يوماً وقال إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حظر على أن يدخل عليك أحد . إلا أنهما أعطتانى دملج ذهب ، وجعلتاه لى إن أوصلتهما إليك ، وقد أذنت لهما ، وهما فى الدهليز ، فاخرج إليهما ...[٢] » .

ويقول ابن المعتز إن البرامكة كان يزورهم فى محنتهم من كان يألفهم أيام نعمتهم حتى أن الرشيد كان يقول لسعيد بن وهب « آنس القوم بحديثك ، وأكثر من زيارتهم[٣] » .

***

وهنا قد يتساءل الإنسان : أكان السجناء يتعلمون فى السجن صناعة ما أو علماً ؟ ويذهب آدم متز[٤] إلى أن المسجونين كانوا يشتغلون بنسج التكك ، مستنداً على بيت من الشعر قاله ابن المعتز ، لم نجده فى ديوانه ، وهو :

تعلمت فى السجن نسج التكك وكنت امرءاً قبل حبسى ملك

على أننا لا نستطيع أن نجزم بذلك . فابن المعتز سجن فى مكان خاص منفرد ؛ ولم تكن مدة سجنه طويلة حتى يتعلم ، على أنه إذا نفينا ذلك عن ابن المعتز ، فقد يكون للسجناء ، فى السجون العامة الأخرى .

ويحدثنا ابراهيم الموصلى أنه حبس أيام المهدى وضرب قال : فحذقت الكتابة والقراءة فى الحبس . وليس فى هذا أيضا مايوجب التعميم[١] .

***

وما كادت المائة الثانية من الهجرة تمضى ، حتى بدأت السجون تنال عناية من الخلفاء ؛ ولا سيما المعتضد . فقد أوقف لها الأموال الكبار لنفقات المحبوسين وثمن أقواتهم ومائهم وسائر مؤنهم . وقد جعل فى ميزانيته ألف وخمسمائة دينار فى الشهر لذلك[٢] . ويحدثنا القفطى أنه عين لمن فى السجون أطباء أفردوا لذلك . فكانوا يدخلون إليهم ويحملون معهم الأدوية والأشربة ، ويطوفون على سائر المحبوس ويعالجون فيها المرضى[٣] ، كما جعل للمحبسين ديوان خاص تكتب فيه قصصهم فى دفاتر خاصة يرجعون إليها دائماً[٤] .

التعذيب

وكانوا يلجأون فى بعض الأحايين إلى تعذيب السجين تعذيباً مؤلماً . وقد يخص بالعذاب الوزراء والعمال . وسنعرض عليك ألواناً مختلفات من التضييق والتعذيب ؛ فقد كان سليمان بن وهب فى أول حبسه بالبئر « يأنس بالخنافس وبنات وردان ويتمنى الموت لشدة ما هو فيه[٥] » .

وحبس محمد بن القاسم ... بن على بن أبى طالب فى الحبس الذى شيد فى بستان موسى « فلما أدخل إليه أكب على وجهه فى أسفل بيت منه : فلما استقر به أصابه من الجهد لضيقه وظلمته، ومن البرد لندى الموضع ورطوبته ، ما كاد يتلفه[٦] » .

أما الضرب والتعذيب فكثير : فقد ضرب بختيشوع المتطبب مائة وخمسون مقرعة[٧] . وضرب يحيى بن خالد ، والفضل ابن يحيى[٨] وسهر محمد بن عبد الملك ، ومنع من النوم ، وكان

(١) اللطائف والظرائف للمقدسى ص ١٢٠
(٢) مهذب الأغانى ج ٩ ص ١٣١ ترجمة محمد بن صالح
(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز : ١٢١ — ١٢٢
(٤) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع للهجرة : ج ٢ ص ١٦٥

(١) الأغانى ج ٥ ص ٤
(٢) تاريخ الوزراء للصابى ص ٢١
(٣) القفطى : ص ٢٢١
(٤) الطبرى حوادث سنة ٢٤٩ ج ١٢ ص ١٥١٠
(٥) الفرج بعد الشدة للتنوخى ١ — ٤٣
(٦) الفرج بعد الشدة للتنوخى ١ — ١١٩
(٧) الطبرى فى حوادث سنة ٢٤٥ ج ١٢ ص ١٤٤٧
(٨) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٢ ، والمحاسن والمساوى للبيهقى ٥٠٣

ينخس بمسلة « تؤلمه وتدمى جسده[١] » .

ولما سجن المعتز بعد خلعه دفع إلى من يعذبه ومنع من الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلب حسوة من ماء البئر فمنعوه منها ، ثم جصصوا سرداباً بالجص السخين وأدخلوه فيه وأطبقوا عليه فأصبح ميتاً[٢] » .

وقد كان يحدث القتل وضرب الأعناق . وأورد التنوخى قصة قتل نوردها بكاملها ، قال : « حدثنى عبيد الله بن أحمد بن الحسن ... وكان خليفة أبى علىّ على الفتيا بسوق الأهواز بإسناده عن القاضى أبى عمر قال : لما جرى من أمر عبد الله بن المعتز ما جرى حبست وما فى لحيتى شعرة بيضاء ، وحبس معى أبو المثنى القاضى ، ومحمد بن داود بن الجراح فى دار واحـدة ، فى ثلاثة أبيات متلاصقة . وكان بيتى فى الوسط : وكنا آيسين من الحياة . وكنت إذا جن الليل حدثت أبا المثنى تارة ، ومحمد بن داود تارة . وحدثانى من وراء الأبواب . ويوصى كل واحد منا إلى صاحبه ، ونتوقع القتل ساعة بساعة . فلما كان ذات ليلة ، وقد اغلقت الأبواب ، ونام الموكلون ؛ ونحن نتحدث من بيوتنا إذ أحسسنا بصوت الأقفال تفتح . فارتعنا ، ورجع كل منا إلى صدر بيته . فما شعرت إلا وقد فتح البواب على محمد بن داود ، وأخرج ، وأضجع على المذبح فقال : يا قوم ذبحاً كما تذبح الشاة ؟ أين المصادرات ؟ أين أنتم من أموالى أفتدى بها نفسى . فما التفتوا إلى كلامه ، وذبحوه وأنا أراه من شق الباب ، وقد أضاء السجن من كثرة الشموع ، وصار كأنه نهار . واحتزوا رأسه فأخرجوه معهم ، وجردوا جثته ، وطرحت فى بئر الدار وغلقت الأبواب . (قال) فأيقنت بالقتل ، وأقبلت على الصلاة والدعاء والبكاء ، فما مضت إلا ساعة واحدة حتى أحسست بالأقفال تفتح ؛ فعاودنى الجزع ، وإذا هم جاؤوا إلى بيت أبى المثنى ففتحوه وأخرجوه وقالوا له : يقول لك أمير المؤمنين ، يا عدو الله ، يا فاسق بم استحللت نكث بيعتى وخلع طاعتى ؟ فقال . لأنى علمت أنه لا يصلح للامامة ! فقالوا : إن أمير المؤمنين قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفر ، فإن تبت رددناك إلى محبسك ، وإلا قتلناك . فقال أعوذ بالله من الكفر ، ما أتيت ما يوجب الكفر . فلما أيسوا منه مضى بعضهم وعاد فأضجعوه وذبحوه وأنا أراه ، وحملوا رأسه وطرحوا جثته فى البئر . فذهب علىّ أمرى ، وأقبلت على الدعاء والبكاء والتضرع إلى الله . فلما كان وجه السحر سمعت صوت الأقفال ، فقلت : لم يبق غيرى وأنا مقتول . فاستسلمت وفتحوا الباب فأقامونى إلى الصحن ، وقالوا : يقول لك أمير المؤمنين : يا فاعل ويا صانع ، ما حملك على خلع بيعتى ؟ قلت : الخطأ وشقوة الجد . وأنا تائب إلى الله عز وجل من هذا الذنب ... فجاؤا إلى بخفى وطيلسانى وعمامتى ، فلبست ذلك وأخرجت ، فجىء بى إلى الدار التى كانت برسم ابن الفرات فى دار الخليفة . فلما رآنى ، أقبل يخاطبنى بعظم جنايتى وخطأى ، وأنا أقر بذلك وأستقيل وأتنصل فقال : « وهب لى أمير المؤمنين دمك ، وابتعت منه جرمك بمائة ألف دينار ، ألزمتك إياها[١] » .

وقد يعذبون بغير ماذكرنا . فقد روى فى أيام المقتدر ، رجل فى المطبق مغلولا على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلا[٢] . ولما حبس إيتاخ أطعم كثيراً فاستسقى فمنع الماء فمات عطشاً[٣] .

* * *

على أن هناك صلة بين التعذيب عند العباسيين ، والتعذيب على أهل أوروبة فى القرون الوسطى . وإن كان التعذيب فى أوربة يفوق تعذيب العباسيين شدة وفظاظة . فلقد بلغوا فيه مبلغاً من القسوة لا يجاريهم فيه أحد . وقد ذهبوا فى الظلم والإرهاق مذاهب شتى ، وتنافسوا فى ابتكار أشد وسائل الإرهاب فى السجن فظاعة . من ذلك أن بعض السجون المظلمة التى كان يزج فيها السجناء كانت أشبه بمغاور تحت الأرض ، يوصل إليها بسلاليم ، لا ينفذ إليها النور . وكانت السلاليم مؤلفة من عدة درجات ، يختلف بعضها عن بعض فى حجمها وارتفاعها ، والغرض من جعلها كذلك تضليل النازل حتى تزل قدمه فيهوى إلى قاع السجن الرهيب .

(يتبع) صلاح الدين المنجد

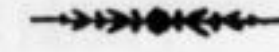
(١) الطبرى فى حوادث سنة ٢٣٢
(٢) الطبرى فى حوادث سنة ٢٥٥

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخى ١ — ١٠٨
(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخى ١ — ١١١
(٣) الطبرى حوادث سنة ٢٣٥

الحياة الأدبية فى الحجاز

نهضة النثر

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم



أثرت العوامل الثقافية والقومية والسياسية فى النثر الحجازى كما أثرت فى الشعر ، فتخلص من قيود القديم ، ولم يعد الآن بين الكاتبين فى الحجاز من يصب على قوالب الأقدمين فيطرب للمحسنات أو يتحرى موضوعاتهم فى العتاب والشكوى والمقامات .

وإنك لتعجب لهذا الانقلاب السريع الذى طرأ على النثر الحجازى ؛ فإنهم استطاعوا أن يغيروا اتجاهه فى فترة قصيرة من الزمان ، ولعل الذى مهل لهم هذا الطريق هو ماسبق أن قررناه فى الشعر من أن الأديب الحجازى وجد نفسه ـ منذ أن تفتحت أمامه سبل النهضة ـ متخلفا عن الركب العربى فدفع بنفسه دفعة قوية آملا أن يصل إلى أقصى الغايات . ثم إنه وجد أمامه طريق التجديد سهلة معبدة قد سلكها غيره من أدباء مصر والشام والمهجر فلم يتعثر طويلا فى الطريق التى تعثروا فيها قبله وصاح صيحة قوية فى وجه التقليد ودعا فى حرارة وشغف إلى التعلق الجديد ومن قول عواد فى ذلك : « إذن فما لنا نرجع إلى الوراء حتى فى الأدب ؟ ! جناية جناها على أفكارنا وأقلامنا الأقدمون نطأطأنا لها الرءوس .

كفى يا أدباء الحجاز ، ألا نزال مقلدين حجريين إلى الممات ! أقسم لولا حركة عصرية فى الأدب قائمة الآن فى الحجاز بهمة فيف من أحرار الأدب العصرى ، لما عرف العالم شيئا فى لحجاز يدعى الأدب الصحيح ...

وفى الحجاز الآن مدرستان للنثر تقابلان مدرستى الشعر ؛ إحداها متئدة وهى متأثرة أشد التأثر بأدب مصر والشام ، والثانية مجددة ممعنة فى التجديد وهى متأثرة بأدب المهجر . وكان طبيعيا أن تقوم هاتان المدرستان فى النثر بجانب مدرستى الشعر لاختلاف المصادر التى يستقى منها التجديد أدباء الحجاز وانقسامهم فريقين يختار كل منهما ما يحلو له وما يغذى اتجاهه . وثمة سبب آخر لعله أوضح من سابقه فى ظهور هذين الاتجاهين فى الشعر والنثر معا وهو أن التخصص لم يظهر بعد ظهورا واضحا عند أدباء الحجاز فأكثر الأدباء عندهم شعراء وكتاب وخطباء ، ولو أننا عددنا كاتبين كالسباعى وزيدان لم يحاولا الشعر ولم يحفلا به لوجدنا بجانبهما عشرات من الكتاب الشعراء فعبد القدوس والنقشبندى وعلى حافظ ومحمد سرور وغيرهم يكتبون ويشعرون فكان طبيعياً أن تظهر نزعاتهم الشعرية فى نثرهم وأن ينهجوا منهجين فى النثر كما نهجوهما فى الشعر .

والنثر الجديد فى الحجاز يحمل طابع الشعر وخصائصه : ففيه خياله الفياض وحماسته المتدفقة ، وفيه التعبير عن العواطف والأحاسيس حتى ليخيل إليك وأنت تقرأ نثر المجددين منهم أنك أمام شعر شاعر قد تزاحم خياله ودقت عواطفه ؛ فساق إليك المعانى فى صور من الخيال مؤثرة ، ولا تلحظ من الفوارق بين شعرهم ونثرهم إلا أن الأول موزون ، والثانى غير موزون . فتأمل قول « عزيز ضياء » فى قطعة عنوانها « وطنى » .

أنت ياوطنى ينبوع تدفقت منه أنوار المدنية والحضارة والعلم . من روابيك وربوعك ، من جبالك وسهولك ، من صحاريك وقفارك تعالى فيك صوت الدين الإسلامى الحنيف فسمعته الإنسانية ؛ فاستيقظت فيها مواضع الإحساس وانبعثت فيها روح الحياة .

منك يا وطنى انبثق الفجر الذى بدد ليل الهمجية والوحشية الذى ظلت تتخبط فى دياجيره الإنسانية قرونا طوالا .

يا وطنى يا مهبط الوحى ومشرق الإصلاح .

يا منجم الأبطال الخالدين ومنبت العباقرة النابغين

يا مهد الحرية والعدالة والمساواة .

يا مهد طفولتى السعيدة ، يا من استقبلت فيه وجه الحياة وعرفت فيه معنى الوجود .

يا جوهرتى الغالية يا كنزى الثمين ، يارمز مجد العالم ، ياشارة فخر الإنسانية .

أحبك ياوطنى .

أتفانى فى حبك كما يتفانى الفراش فى النور .

يلذ لى أن أحترق بخورا فى مجمرة الواجب الذى علىّ نحوك .

من ثدى أمى رضعت لبان حبك .

من حرارة شمسك استمددت حرارة إخلاصى .

من صفاء جوك اكتسب الصفاء ضميرى .

وسأظل يا وطنى .

سأظل وفيا مادامت لبان أمى تجرى فى دمائى .

وستظل حرارة إخلاصى ما دامت حرارة شمسك .

وسيدوم صفاء ضميرى ما دام صفاء جوك .

أحبك يا وطنى ... ... الخ »

ألسنا نرى فى هذه القطعة من الخيال وطريقة العرض ما يحملنا على القول بأنها شعر منثور قد توافرت فيه خصائص الشعر فى المعانى والأخيلة والأساليب وطريقة الأداء ؟ !

وقد يكون هذا الإمعان فى الخيال ناتجا من عدم تخصص أدبائهم فى صنعة من الصناعتين ، وقد يكون راجعا إلى قراءتهم أدب المهجر ، فإنك لا تكاد تظفر بكاتب من كتاب المهجر لا يقول الشعر ، بل إنهم ليحاولون دائما التقريب بين الشعر والنثر : فيخففون من قيود القافية ويتحرزون من التزامها ، ولكنهم فى النثر يكررون بعض الجمل ويلتزمونها بل إنهم يسجعون أحيانا لا لأنهم يريدون السجع ولكنهم يرون مثل هذا فى قافية الشعر فيريدون التقريب بينهما لتزول الفوارق .

وهذه الظاهرة يجدها القارىء لنثر الحجازيين فهم خياليون فى نثرهم ، وهم يتخيرون الألفاظ الموسيقية التى تشبه ألفاظ الشعر وهم فوق هذا وذاك يطرقون به أغراض الشعر العاطفية التى تتدفق حماسة وقوة . وهم كثيرا ما يفصلون الجمل فصلا كأن كل جملة من جمل النثر بيت من أبيات الشعر غير متصل بما بعده فى تركيبه وإن اتصل به فى معناه .

ومن الأمثلة الحديثة فى نثر الحجاز ما كتبه « حسين خزندار » بعنوان « ذراع الجبار » وقد أراد فى كلامه أن يصور بطولة جندى جاهد فى سبيل الواجب حتى قتل فهو يقول من كلام طويل :

أرأيت تلك السهول الفسيحة ؟

فهناك فى تلك الأكمة الخالدة .

وهناك حيث التضحية والشهامة .

تثوى عظام الجبار الخالد .

فهى رمز البقاء الدائم .

تنادى من أعماقها :

الحرية أو الموت .

* * *

تعالى يا فتاتى ولننشد نشيد السعادة .

مرددين مقطوعته العذبة .

الحرية أو الموت

فالحياة بدونها كابية كئيبة .

والحياة بدونها موحشة قد ارتدت سلاب الحزن .

فهى سر الحياة كالأرواح .

ومنبع الإحساس فى نفوس الأباة .

فإما الثريا وإما الثرى .

* * *

ولسنا نريد من هذا الكلام أن نقول : إن كل كتابة فى الحجاز تتبع الطريقة التى ذكرناها فإن المدرسة المتئدة تتأثر أدب مصر والشام فتتحرى الدقة فى التعبير وتحاول أن تخاطب العقل أكثر مما تخاطب العاطفة فى كلام مترابط متسلسل يتبع أساليب المنطق ، وقد رأينا من هؤلاء الأدباء « عبد السلام عمر ، وأحمد العربى ، وعلى حافظ ، وزيدان ، وأمين عقيل ، وعنبر وغيرهم » .

أما أحمد سباعى وهو أثبت الناثرين قدما فى الحجاز وأقواهم قلما فإنه يتبع المنهاجين ويسير على الطريقتين ، فتارة يكتب كما يكتب أدباء مصر وأخرى يسير كما يسير أدباء المهجر فى عرض

الموضوع وطريقة الأسـلوب ، ومثـــله فى طريقته الشيخ سرور الصبان .

قال السباعى من قطعة له بعنوان « حذار أن تكون ضعيفا » .

« ما رأيت كالقوة منعة تحصن جانب المرء وتعزز مكانته وتحفظ عليه كرامته ، وإنه يخيل إلى أن البسيطة بأهلها وأهلها بقواعدهم اصطلحوا على احتقار الضعيف وأطبقوا على الإستهانة به والسخرية منه ، فحذار يا صاحبى ، حذار أن تـكون ضعيفا .

شهدت ضعيفا يدلج فى أحد الشوارع وعاصفة من الصفير تدوى فى أذنه و كوكبة من الأطفال تعبث به ، فقلت هو الضعيف ويله من الصغار والجهلاء !

وشهدت آخر تـكالب جمع غفير على إيذائه ، هذا يصفعه ، وذاك يمتطى ظهره وغيره يدفعه ليغريه بالرقص واللعب ، وكانت زفرات المسكين تتصاعد فتتلاشى فى ضحك الضاحكين وقهقهة الصاخبين ، فقلت هو الضعيف ويله من غوغاء الشوارع وأوباشهـا ! ...

ويقول :

وسمرت ليـلة فى جمع من أرباب الحجى وذوى الفضـل ، فتصدرنا ضعيف أخـذوه بيده إلى أرفع مجلس فأوهموه العظمة وراحوا على حساب ذلك يتغامزون ويعبثون . ومضت ليلة حسبت صاحبى سيقضى فى نهايتها كداوها ، فقلت هو الضعيف ويله من أبناء الحياة صغارهم و كبارهم وغوغائهم وأشرافهم ! !

فحذار . حذار ياصاحبى أن تـكون ضعيفا ... »

ومن هذا الـكلام تستبين تأثر الـكاتب بطريقة المنفلوطى كما تستبين حماسته التى استفادها من أدباء المهجر

والشعر الحجازى لا يزال أقوى من النثر ، ويظهر أن هذه حقيقة مقررة فى كل أدب ناشىء ؛ فإن الشعر دائمـا فى بداية النهضات يطغى على النثر حتى إذا ما توافرت أسباب النهوض ونمت دوحة الأدب تقدم النثر لاهتمام الناس به وتأخر الشعر عن منزلته شيئا فشيئا ، وقد حدث مثل هذا فى نهضتنا المصرية فى العهد الحاضر .

ويعالج النثر الحجازى فى الغالب الـكثير النواحى الإجتماعية : فهو يتناول النواحى الخلقية يحاول إصلاحها وهو ينتقد ضعف الشباب وعدم طموحه ويرسم له المثل العليا ، وهو يتحدث عن المرأة الحجازية ليقوى مكانتها الإجتماعية فتصبح أما صالحة تستطيع أن تربى أبناءها وتأخذ بأيديهم إلى طريق الفلاح وهكذا ... وهو يسوق ذلك كله فى طرائق مختلفة ، وأظهر تلك الطرائق التهـكم من الحالة الإجتماعية القائمة والعرض القصصى والأسلوب الخيالى .

أما القصة العصرية عندهم فلا تزال مجهولة وذلك لأن إتقان القصة يحتاج إلى زمن طويل يتملأ فيه الأدباء مناهج الغربيين ويعرفون طرائقهم فيها ، وإذا كانت مصر إلى الآن لا تزال متعثرة فى فن القصص مع أنها بدأت تترجم هذا الفن عن الغربيين منذ عهد إسماعيل فما بالك بالحجاز ونهضته لا تعدو ثلاثين سنة .

نعم ، لقد بدأ بعض الحجازيين ممن يعلمون اللغات الأجنبية يترجمون بعضا من الأقاصيص الأوربية وينشرونها فى مجـلاتهم ليربوا الذوق القصصى فى البلاد ، ولـكن هذا العمل لا يزال فى البداية وسوف لا تظهر ثمرته إلا بعد وقت طويل من الزمان .

أحمد أبو بكر ابراهيم

من «لزوميات مخيمر»

[إلى هؤلاء الذين أرشدونى إلى ينابيع نفسى : الشبيقى والزيات ، والساعي بيومي ، والعقاد ، وهاشم عطية أهدى هذه اللزوميات]

للأستاذ أحمد مخيمر

ليلى

أتعلمُ ليلى بحبّى لها وماذا فؤادىَ منـــهُ خبَأ

تشيّعنى بالخطوب الكبا ر ، وتقتلنى قتلة لم تُبأ (١)

وتُظمئنى ، وتُوارِى (٢) انيا دَ ، وتلحظ ظمْئِىَ (٣) بالمرْتبأ (٤)

وتذهبُ أنباء حبّى لها وما جاء من هواها نبأ

وما حفلتْ بسرايا الحنيـ ـن فؤادى لها من قديمٍ عبَأ

أرأرىء (٥) فى شغفٍ للمزا ر، فياليتنى كنتُ فيه الحبَأ (٦)

سـنـنْبـدُهـا بذلت مَخْضها (٧) لتـكْرِ مَنا، أم سقتنا الكَبأ (٨) ..

خلود ليلى

أتطمعنى فى الخلد وحدى! وإنما خلودى بلا ليلى خلودٌ مضلَّلُ

إذا أشرقتْ بين الجوانح شمسها مضى القلبُ خفّاق المنى يتهلّلُ

وخف به شوقان: شوق معلّلٌ يُحَسُّ، وشوق دونه لا يعلَّلُ

وأى بقاءٍ بعد ليلى أريده وليلى خلودٌ بالنعيم مكلَّلُ

أنازِعُ قلبى عند أبياتها الخطا فأمضى، ويمضى وحده يتسلَّلُ .!

الدليل

إذا رمضتْ أقدام روحى تفيأتْ ظلال حبيب، أو فيوء (٩) خليلِ

وقد سرتُ فى وادٍ بحسنك عاطرٍ وعشتُ بأيكٍ من هواك ظليلِ

وماخفتُ يوماً أن تضلّ مسالكى وأنتِ بصحراء الوجود دليلى

وكيف يخاف الفقر من كنت عونه وما بذلت عيناك غير قليلِ

طلعت فبدّدتِ الظلام بلامعٍ مهيبٍ، وممشوقٍ أغرَّ جليلِ

وكنتِ على الأيام راحةَ مُجهدٍ، ونعمةَ محرومٍ، وبرءَ عليلِ

وينبوعَ حب، كم أتيحتِ لظامئٍ ملذّة وِرْدٍ، أو شفاء غليلِ

ألا كلّ ليلى طاولتْكِ بحسنها هوتْ بجناح للتراب ذليل ..!

(١) لم تؤخذ لها دية أو قصاص .
(٢) تخفى .
(٣) الاسم من الظمأ .
(٤) المرتفع وهو مكان الربيئة .
(٥) حرك الحدقة ونظر بحدة .
(٦) جليس الملك وخاصته .
(٧) لحمها .
(٨) اللبن .
(٩) جمع فئ .

فم النور

يا فرحةَ الحبّ قد صعدنا إلى ذرا (١) النور ، وارتقينا

وقرّبتنا لها الليالى فى جيرةِ الخُلد فالتقينا

وهيأت ظلّها فنمنا ، ومدّتِ النبعَ فاستقينا

أىّ سرورٍ نريد منها وأىّ حزنٍ قد اتقينا ..!

قد عرضتْ ذخرها فنلنا ما شاءت الروح ، وانتقينا

وحدة الخلود

ستخلد بى ليلى ، وتزخر قلبها بآباده ، ملآنَ بالنشواتِ

وما لحظات الأرض ، وهى قصيرة سوى زبدٍ طافٍ على السنواتِ

فيا أسفا إن رحتُ وحدىَ خالدا وطال اعتساف الروح فى الفلواتِ

وألقيت طرفى فى الوجود، فلم أجد وراء الدجى ليلاىَ والغدواتِ

وطال حنين القلب فى قبضة الأسى وفاضت دموع العين فى الخلواتِ

ستمسى حنايا النفس مغلقةَ الصدى ، مخوفَ الجُذا (٢) ، مطويّةَ النزواتِ

تدلّى إلى مهوًى سحيقٍ قراره بعيد الحوافى، مظلم الفجواتِ ..

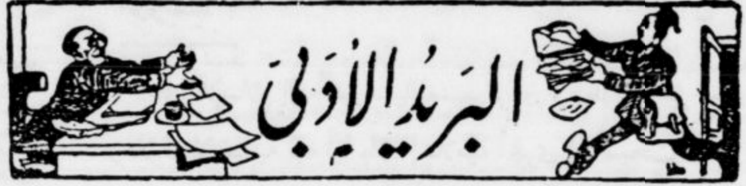
فلا تتركينى ليلَ وحدى ، فإنما لحسنك ما غنيت من صلواتِ

إذا فرقتنا بعد حين يد النوى فإن رحيلى عنك من هفواتى .!

أحمد مخيمر

(ادفو)

(١) جمع ذروة .
(٢) جمع جذوة .



الشيخ أحمد ابراهيم بك :

من الطفولة حتى الشباب فى مراحل التعليم الثلاث ، وأنا أسعد بأستاذيته — رحمه الله — وقد كان لهذه الصلة فى نفسى منذ نشأت أعمق الأثر، وكنت أشعر دائماً أن له على فضل التوجيه. وقد كان إكبارى له وإعجابى بعلمه وورعه ، وسمو نفسه وأسلوب تفكيره يحملنى على أن أحاول اتخاذه قدوة صالحة .

فما عرفت أدق منه فى سبر أغوار المشاكل العلمية ، فى يسر وسهولة ، ولا أحرص منه على شعائر الدين والتقوى ، فى نقاوة وورع ، ولا أسبق لمعانى الفضيلة ، فى جلال وجمال وروعة

ما عرفت من هو أوفر حظاً منه فى هذا كله ، نأى بجانبه عن كل ما يشوب كرامة العالم ، فأحاط نفسه بسور منيع حال بينه وبين الزلفى ، والعمل لغير وجه الله ، فى مراقبة شديدة لواجبه وضميره..

عف عن المادة فى مختلف مواطنها ، فما طلبها ولاسعى إليها ، وقد كانت سبلها ميسرة معروفة لمن يلتمس حطام الدنيا الفانية.

كرس حياته —رضى الله عنه — لاستنباط أسرار الشريعة السمحاء ، والكشف عن دقائقها ومميزاتها وذخائرها ، وما تمتاز به عن سائر الشرائع ، فكان يعنى بالمقابلات الطريفة والمقارنات الدقيقة بين المذاهب والآراء ، والعقائد وطرق التدليل والتفسير والتأويل التى تنطوى عليها مباحث علماء الإسلام ، ثم بين هذه وغيرها فى الديانات الأخرى ، كل ذلك فى تبسيط جم للمعقد ، وتذليل للصعب العسير من نظريات الشريعة ، فما كنا نلمح أثراً للجفاف الذى يبعدنا عن فهمها ، ونحن فى هذه السن الباكرة التى لا تقوى على استساغه هذه المقارنات المستفيضة الشاملة .

شغفنا بالبحث والقراءة ، وسكنا إلى هذه الدراسة على ما فيها من تشعب واسترسال بفضل معونة أستاذنا وتوجيهه — أثابه الله — وحبب إلينا درسه ، فما أذكر أننى تخلفت عنه يوماً ، ولا كانت لى رغبة ملحة ولهفة فى الإصغاء لأستاذ سواه .

طراز نادر بين الأساتذة والعلماء ورجال الدين ، ولعله كان المثل الأعلى والنموذج النادر بين هؤلاء جميعاً .

وفضيلة أخرى كانت من أخص فضائله — أكرم الله مثواه — تلكم هى الوفاء — هذه الصفة التى غاص نبعها فى نفوس الناس حتى الخلصاء منهم والأصفياء .

فلقد شاء كرم أبناء المعهد الكريم — دار العلوم — أن تقام لى حفلة تكريم منذ شهور فلم تحجزه العلة المعقدة عن الخطابة على ما كان يشعر به من ضعف وألم ، فأبحت لنفسى الكلام عنه وأنا العارف بزهده وبرمه — من أن يسمع الثناء عليه ، فسجلت فى كلمة الشكر ، ما أدين به ، وأعتقده فى شخصه الجليل ، ولست أرى ضيراً من أن أختم هذه الكلمة القصيرة بما جاء على لسانى إذ ذاك وأنا أنعم برؤيته بين المتكلمين الأجلاء ، ففيها ذكرى لحياة كانت حافلة بجلائل الأعمال ، والذكرى تنفع المؤمنين .

أما أستاذى المفضل فى سائر مراحل التعليم ، فهو العلامة الكبير والباحث المدقق أحمد بك ابراهيم ، فله على فضل الإرشاد والتوجيه والتعليم ، وقد كنت أحاول أن أتخذه قدوة ، ولواقتدى به سائر المصريين لما بكينا على العلم ، ولا على الأدب والدين .

ابراهيم دسوقي أباظة

(الرسالة) العاتبة و (الرسالة) المعتوبة

قرأنا (الرسالة) الفلسطينية العاتبة ، وقرأنا جواب (الرسالة) المصرية المعتوبة . وكانت أحكام الأولى جائرة جد جائرة ، وكانت أحجاج الثانية دامغة جد دامغة . فتلك زعمت أن مجلة (الرسالة) تؤثر الأدب المصرى فتنشره ، وتضن على الأدب الفلسطينى فتطويه . وهذا زعم — لعمر الحق — باطل . ولست هنا بصدد أن أدفع تهمة أو أرد شبهة ، ولكن العتاب الشديد والجواب السديد أثارا فى نفسى ذكرى تتعلق بأول قصيدة نشرتها لى مجلة (الرسالة) الزاهرة لا أرى بأساً فى تسجيلها على صفحاتها .

كان ذلك منذ سنوات سبع خلت ، يوم انتهيت من نظم قصيدة فى أبى الذى كان يرسف فى قيوده إبان الثورة الفلسطينية الخالدة . أخذت أنظر فى تلك القصيدة من وراء دموعى ، وكانت فى نظرى جيدة ، وأحببت أن أفاجئ بها شقيقى المرحوم ابراهيم

منشورة فى إحدى الصحف ، وكثيراً ما كان يحلو لى أن أفعل ذلك معه اعتزازاً وثقة بشعرى . ونزعت بى نوازعى إلى أن أبعث بها إلى مجلة (الرسالة) . ولكننى ترددت وجفلت ، إذ أين اسمى الخامد من تلك الأسماء الساطعة فى سماء الشعر ؟ ! وأخذت أقلب الرأى على وجوهه . وسولت لى نفسى أن أرفق القصيدة بتعريف بى يكتبه ابن عمى قدرى طوقان إلى صاحب (الرسالة) ، ولكن عزة الشعر، وللشعر والله عزة ، ربأت بى عن التوسل إلى نشر القصيدة بما يوهم معنى الالتماس ، وقلت لنفسى : وَىْ ! ما بالك يا هذه ؟ إن هذا هو الحق بعينه ، وإذا كانت القصيدة جيدة حقاً ، فلن يحول اسمك المغمور دون إنصاف المنصفين فى الحكم لها . وبعثت بالشعر وثقتى بنشره بين بين .

وظهر الشعر فى (الرسالة) ، وقد فوجئ به شقيق ابراهيم ، فكتب إلى يقول : « يا أم تمام — وكثيراً ما كان يناديني بهذه الكنية لما يعرف من حبى للشاعر أبى تمام ، ولكثرة ما أحفظ له — إن القصيدة لجميلة ، وقد حدثنى الأستاذ النشاشيبى بشأنها فأهنئك » . ولما التقينا أظهرته على ما خامرنى من شك فى نشرها لعدم معرفة الأستاذ الزيات لى . فقال : « يا أختى ، إن الشعر الجيد يعرّف بنفسه وبصاحبه عند المميز المنصف ، ولا يحتاج إلى من يعرف به » .

وكان هذا مما شد من عزمى وزادنى إيماناً بنفسى ، ولا والله ما أجحد يداً للرسالة علىّ ، ولا أنسى حقاً لها عندى

أجل ، إن (الرسالة) مجلة الأدب العربى فى جميع أقطاره ، فلا صلة شخصية هناك ، ولا أثرة إقليمية تغريان على نشر هذا وطىّ ذاك من الإنتاج الأدبى فى القطر المصرى وخارجه ، وهى — منذ كانت — ميدان للمجلّى والمصلّى من أدباء العربية على اختلاف أقطارهم ، وها هى بين أعيننا واضحة المذهب ، وقد أشهدت الله بحق : « أنها فى مدى حياتها الصحفية لم تغفل أدباً يستأهل النشر ، ولا أديباً يستحق التنويه » . وغفر الله لأخينا العاتب عتبه واتهامه ، فقد نكّب عن محجة الصواب حين أسرف فى هذا العتاب .

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

أندونيسيا :

دخل الإسلام إلى أندونيسيا منذ قرون ، وظل يتوغل فيها توغلا قد لا تدانيه فيه أية بلاد إسلامية أخرى إذ أصبحت تعاليم الدين الإسلامى والتقاليد الإسلامية هى وحدها السائدة فى أمة بلغ عدد سكانها سبعين مليونا ، تسعون فى المائة منهم مسلمون .

والمسلمون الأندونيسيون أشد ما يكون تمسكا بدينهم الحنيف فلا عجب إذا كانت الروح الإسلامية هى السائدة فى علاقاتهم فيما بينهم وفى علاقاتهم بغيرهم من الأمم ولا عجب بعد ذلك إذا كانت الأمة الأندونيسية دائما تشعر بوثيق العلاقة بينها وبين الأمم الإسلامية . وقد ربطتها وإياها الرابطة الروحية وما أشدها رابطة قوة ومتانة .

كانت أندونيسيا فى اتصال وثيق بالعالم العربى الإسلامى قبل الحرب ولا أدل على ذلك من اشتراكها فى جميع المؤتمرات الإسلامية الهامة المنعقدة فى (مكة ومصر وفلسطين) كما كانت تراقب دائما الحركات السائرة فى هذا العالم فتسر لسروره وتتألم لألمه . ظهرت سياسة التنصير البربرى فى شمال أفريقا ، فقامت قيامة الصحف الأندونيسية تحتج على فرنسا . وقامت إيطاليا فى طرابلس وبرقه بتطبيق سياسة الحديد والنار . ولعل أفظع مظاهرها شنق الشهيد عمر مختار — فقامت الأمة الأندونسية على بكرة أبيها تقاطع البضائع الإيطالية ، وبلغت شدة هذه المقاطعة أن حرق الأهالى الطرابيش على أنها صناعة إيطالية . ورمى أحدهم سيارة « فيات » الإيطالية فى قاع النهر .

اندلعت نار الحرب العالمية الثانية فانقطعت الأخبار عن هذه البلاد الإسلامية وما إن وضعت أوزارها إلا وقد زف إلى العالم العربى والإسلامى نبأ وأى نبأ ، نبأ إعلان أندونيسيا استقلالها وقيام الحكم الجمهورى فى ربوعها . لقد أثلج حقا هذا النبأ السار صدور المسلمين قاطبة ولم لا يطربهم هذا النبأ وقد قامت فى أقصى الشرق حكومة إسلامية قوامها ما يقرب من سبعين مليونا من المسلمين أقوياء الإيمان فزادت بذلك شوكة الإسلام ودانت إلى الوجود الجامعة الإسلامية القوية البنيان

على أثر ذلك سرعان ما أعلنت لجان استقلال أندونسيا فى « مصر والعراق والهند واستراليا وأمريكا وهولندة » ثقتها التامة فى الزعيم « سوكارنو » المحبوب عند شعبه رئيساً للجمهورية .

لقد شعر العالم بحق الأندونيسيين فى الاستقلال ، فبادر عمال استراليا ونيوزيلندة إلى تأييده عملياً ، فعم الإضراب فى موانى الشرق الأقصى ، وأيدت هذا الإضراب نقابات عمال الشواطئ الأمريكية كما أعلن وزير الحربية للحكومة البريطانية أن ليس فى نية القوات البريطانية التى نزلت الآن فى بتافيا مقاتلة الوطنيين الأندونيسيين فى سبيل هولندا كما نشرت كل الصحف فى حينها. ومع ذلك لم تكن الروابط التى تربط الأمة الأندونيسية وهذه الأمم أية رابطة روحية أو مادية ، اللهم إلا شعورها واعترافها بحق هذه الأمة فى تقرير مصيرها .

والآن ، نوجه نحن الأندونسيين إلى العالم الإسلامى عامة ، وإلى العالم العربى خاصة نداء حاراً ، لكى تتذكر الشعوب الإسلامية قاطبة العلاقة الروحية القوية التى تربطها وهذه الأمة الإسلامية — وهى فى أدق مواقفها وأحرجها معاً — التى قد عاهدت الله والوطن على أن تدافع عن الاستقلال الذى أعلنته للعالم فى التاسع عشر من شهر أغسطس المنصرم بكل ما فيها من عزم وقوة ، فيؤيد موقف الشعب الأندونسى المشروع فى تقرير مصير نفسه بنفسه بجميع الوسائل التى ترى أنها أمضاها فى تحقيق هذا التأييد وتعترف حكوماتها بهذا الاستقلال ، فتمد بذلك إلى الحكومة الجمهورية الأندونسية الجديدة قوة فوق قوتها فتقنع هولندا المستعمرة بعبث محاولتها فى العودة إلى احتلالها بالقوة الشنيعة .

وإنا حين نتوجه بهذا النداء إلى الشعوب الإسلامية والعربية لعلى يقين فى أنها ملبية نداءنا . وإنها حين تؤكد الحركة الوطنية فى أندونيسيا ، وحين تعترف حكوماتها باستقلال أندونسيا لا تخدم القضية الأندونسية الحقة وحدها ، ولكنها تخدم كذلك نفسها بنفسها ، إذ بوجود حكومة إسلامية قوية فى الشرق الأقصى تتقوى مراكز جميع الحكومات الإسلامية والعربية كلها ، وتتحقق لكل منها أمانيها المشروعة . والحكومة الجمهورية الأندونسية لن تنسى أبداً ما تقدمه الشعوب الإسلامية والعربية من التأييد لها وما تفعله الحكومات الإسلامية من الاعتراف بها

جمعية استقلال أندونسيا

تصويب :

التطبيمات (الأخطاء المطبعية) قبيحة ، وأقبحها ما ابدل كلمة بكلمة . ظاهرها صحيح ولكنها تجىء فى غير موضعها ، فتفسد المعنى على القارىء ، وتضيع مقصد الكاتب ، وتقوله ما لم يقل ، وتحمله ذنبا لايدله فيه ، وقد كثر ذلك فى العددين الأخيرين من الرسالة ولم يكن فيها من قبل .

فمن ذلك كلمة (المفتى) فى مقالة (القضاء فى الإسلام) العدد (٦٤٠) الصفحة (١٠٨٦) العمود (٢) السطر (٩) وقد وقفت عندها — أنا كاتب المقالة — ولم أفهمها علم الله ، واتهمت نفسى حتى رجعت إلى الأصل فإذا هى (المفتش) . ومن ذلك هذه الجملة التى جاءت عجباً فى ركاكة الأسلوب ، وضعف التأليف ، فى ص (١٠٨٧) ع (١) س (٢٧) لسقوط كلمة منها وصوابها (هذا الزمان الذى نجد فيه العلماء) كما سقطت كلمة (ذلك) من ص (١٠٨٦) ع (٢) س (٢٥) وصوابها (إذا ولاه الخليفة ذلك) وأنكى من ذلك كلمة (استعار) التى جاءت فى الصفحة (١٠٨٨) ع (٢) س (١٥) كأنها من لغة عرب مالطة وأصلها (استشعار) .

هذا وقد نشرت هذه المقالة ، وهى القطعة الثالثة من المحاضرة قبل نشر التى قبلها .

وفى مقالة (الموسيقى العاشق) تطبيع آخر شنيع نسيت التنبيه إليه هو (وصف الكلم) فى ص (١٠٥٨) ع (١) س (١٧) والصواب (رصف الكلم) .

* * *

فإذا كان يضر المصحح لو رجع إلى الأصل وقابل عليه ، وأراح الكتاب والقراء من هذا العناء الذى لا آخر له ، فيا أخى المصحح ... ارأف بنا وبنفسك ، فرب عجلة تهب ريثا ، ورب راحة تعقب تعبا طويلا !

وياسيدى الأستاذ الزيات ، إليك أشكو فأشكنى ، فإن ألمى لهذه التطبيعات أشد من فرحى بنشر المقالة ، وآثار الكاتب كولده يحبها مهما كانت — ولا يريد بها بديلا — من من الآباء يعطيك عينى ولده بعينى (بهيجة حافظ) ؟ فكيف ان أبدلته بهما عينى (الجاحظ) ! فكيف إن تركته له بلا عيون ؟ !

على الطنطاوى



بحث وتحليل :

قضية الجمال والحب

[أول تآليف طلبة قسم النقد والبحوث الفنية بمعهد فن التمثيل العربي]

للأستاذ زكى طليمات

الحب والجمال قضية شغلت الإنسان فى مختلف مداركه منذ القدم ، وستكون شغله ما دامت النفس البشرية على ما هى عليه ، وذلك أن الجمال من عناصر الوجود ، نتصيد مظاهره فى المرئيات وما يقع عليه الحس ، كما هو كامن فينا بفعل الفطرة بدليل أننا نخلعه أحياناً على ما يحيطنا ، هذا والحب رباط الحياة وقوامها وسناد التجاذب الذى تقوم عليه غريزة حفظ النوع ، وهى أقوى ما ركبته الفطرة فينا ، لأنها أساس الحياة الدنيا وسر بقائها .

فإذا شغلت هذه القضية ذهن شاب فى العقد الثالث من عمره ، وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، عصر السرعة والآلة الذى يقوم على أثر حرب طاحنة ما زال انهيار الأنقاض فيها يسك مسامعنا إذا كانت تشغله هذه القضية إلى حد إصدار مؤلف جديد يعالج دخائلها وشعابها ، فى هذا ما ينهض دليلا على أنها قضية خالدة لا تبلى جدتها أبداً .

فقد أصدر الأديب (حلمى عبد الجواد السباعى) مؤلفاً يحمل هذا العنوان تناول فيه : ماهية الجمال ، ووسائل الإحساس به ، ومظاهر تعبيره وذلك فى التصوير والنحت والرقص والموسيقى والأدب ، ثم عرج على الحب فأحاطه به إحاطة كاملة فأوضح ألوانه ، وكما تحدث عن حب الله ، وحب الكرامة والواجب ، وحب القرابة ، فأنه أجرى قلمه فى الحب المألوف وحب الشهوة ، والحب الشاذ ، أجرى كل هذا فى لفتات سريعة تشهد له ببراعة فى الإنشاء الذهنى والأسلوب اللغوى .

وبرهينى ، والمؤلف أحد طلاب قسم النقد والبحوث الفنية بمعهد فن التمثيل العربى ، أن أقدم كتابه إلى القراء ، وأن أقدمه متجرداً من عطف الأستاذ على التلميذ ، ومن هوى الزميل للزميل ، فى خدمة المبدأ والفكرة العامة .

إن المتصفح هذا الكتاب ، المتمعن عناوين أبوابه ، لا يلبث أن يحكم بأن المؤلف ما زال فى غمرة الشباب وأحلامه ، وأنه للجمال والحب ، فإذا ما قرأ الكتاب انتهى إلى أنه لم يخطىء فى حكمه ، وأن للكاتب عرقاً فى الأدب يمتد إلى القديم والحديث والشرقى والغربى فى لغانينه .

بيد أنه عرق ما زال رطب العود بدليل أن المؤلف ، وإن أحاط بما سبقت الإشارة إليه من مواضيع إحاطة شاملة تشهد له بالتقصى المحكم والاستقراء الحاذق فى الشائع من الأدبين العربى والأوربى ، إلا أنها إحاطة تكاد تخلو من كشف جديد فى أحكام قضية الحب والجمال ، وتكاد تقفر من اللفتات الأصيلة البارعة التى تشق للقارىء أفقا جديداً من التأمل .

وهذا مأخذ إذا سجلناه ، فلأننا ننفس بالمؤلف ، وهو نابه فى بدايته ، أن تقف جهوده عند السير فى السبل المعبدة المطروقة .

والمؤلف فى كتابه يوحى بظاهرة نفسية جديرة بالتأمل ، تراود الخاطر على استجلاء بواطنها ، فإذا أخذنا فى تحليلها ، برد الفرع إلى الأصل ، إذا تقصينا الحافز الباطنى الذى دفع قلم المؤلف إلى معالجة هذه القضية بهذا النفس الحار والنشوة البالغة التى لا تتوانى عن أن تمتد إلى القارىء اليقظ الوجدان ، إذا أخذنا بكل هذا فسرعان ما يتضح لنا أن المؤلف يصدر فيما كتب عن كبت حسى ، كبت له طابع خاص ، إذا تعاونت على تصفيته وتهدئته وإلجام نزواته قيود تأصلت فى نفسه ، وثقافة أمدت صاحبها بما يجعله يغلب المعنويات على الماديات فى أحاسيسه فركبت فيه شاعرية حالة تدخل فى نطاق الحديث الشريف «إن الله جميل يحب الجمال» .

المؤلف يكابد عقدة نفسية ، ومن منا ليست له عقد نفسية تسيطر على أعماله وسلوكه ، ولكن من لطف الله بالأستاذ المؤلف وبنا ، وبآنسات المعهد ، أن عقدته النفسية رهينة قيود لا تشكو أسرها ، جعلته للشباب فى أحلامه وتهاويله العذراء البكر ، وليس للشباب فى متطلباته العادية ، واستجابته لصوت الدم الدافىء ، فهنيئا له فقد كفاه الله شر القتال فى مجال قلما يكون الغالب فيه خيراً من المغلوب .

ولا يضير الأستاذ (حلمى) فى شىء أن يكون من هذه الفئة

نظرة فى كتاب:

حضارة العرب

تأليف الدكتور غوستاف لوبون

[الذى نقله إلى العربية الأستاذ محمد عادل زعيتر سنة ١٣٦٤ هـ سنة ١٩٤٥ م ، والتزمت طبعه ونشره دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى وشركاه] .

ظهر هذا الكتاب ، والشبيبة العربية حائرة ، لضعف فى إيمانها ، وعوج فى تربيتها ، ووهن فى ثقافتها ، وعجمة فى لغتها ، ويأس من أمتها ، وخجل من ماضيها ، وغموض فى حاضرها ، وخوف من مستقبلها . أجل ظهر هذا الكتاب النفيس ليقول — بلسان الأجنبى — لضعيف الإيمان هذا هو الصخر من عظمة الأجداد فابن عليه لإيمانك الوطنى الضاوى الهزيل . ويقول للبائس ! من كان لأمته مثل هذا الماضى المشرق اللامع لا يمكن أن يتسرب اليأس فى قلبه ، إلا إذا كانت قد حقت عليه اللعنة ، ويقول للخجل من أمته الذى لايحدثك إلا وهو يخلط العربية بألفاظ من لغات متعددة ، إنك من شعب لم تعرف البشرية أنبل منه ولا أشرف[1] ! وليقول للوجل من الحاضر الخائف من المستقبل « إن الخوف هو لعنة الحياة ! وإن الشك فى الانتصار هو الهزيمة العابسة النكراء ! » ...

(١) صفحة ٨٥ من الكتاب المبحوث عنه .

هذا السفر الضخم الذى يقع هو ومقدماته ، وفهرساه ، وثبت مصادره وتصحيح لتطبيعاته — وهى قليلة — فى سبمائة وخمسة وسبعين صفحة من القطع الكبير ، يسحرك ويستهويك فتمضى فى مطالعته لا تشعر بسآمة ولا ملل ، لا تحس إلا وقد قرأت آخر حرف فيه ، ولكم تتمنى وأنت تطالع الكتاب ، لو كانت أعصابك تسمح لك بقراءته فى جلسة مهما تطل .

حقا إنك لا تشعر إلا وقد اتجهت أفكارك إلى الدكتور جوستاف لوبون تحييه تحية المعجب بصدقه ، الممتن لإخلاصه وإنصافه . لأنك تجد فى الكتاب كل ما تريد أن تقول فى مثل هذه الأيام العابسة السود . فإذا اتهم قومك بالوحشية والتبربر ، وإذا أنكر فضل أمتك منكر ، وإذا قيل لك إنك من أمة ليس لها فى الدنية والعلم من أثر ، جاء الدكتور غوستاف لوبون بكتابه هذا يشهد للحق المهيض الجناح . وجاء قلم الأستاذ الزعيترى العادل بنقل تلك الشهادة لأبناء قومه بقلمه الساحر ، وأسلوبه النضر الناضر ، فإذا هو تحفة من التحف ، التى تستحق أن تقتنى بثقلها ذهباً ! لا أقول هذا مبالغة ، ولا أقوله إفراطاً منى فى تقدير مجهود الأستاذ العادل ، فأنا والله لا أعرف الرجل لكنى مجل لفضله ، محترم له لما خدم به قومه . فإذا قلت إن الكتاب يستحق أن يقتنى ولو بثقله ذهباً فما ذلك منى من الإفراط فى شىء ، فلقد كان عظماء العرب قبل اليوم يكافئون الشاعر المجيد بأن يملأوا فمه جوهراً[1] فأين أحلام الشعراء الذين يتبعهم الغاوون من الحقائق الملموسة التى توقظ فى النفس أنبل ذكرياتها ؟ !

ولو لم يكن الغرض من نشر هذا الكتاب باللغة المبينة أن يطلع عليه أعظم عدد ممكن من الناطقين بالضاد لقلت إن ثمنه نزر يسير . أما والغاية من نشره تعميمه فأقترح أن تتولى إحدى الهيئات الوطنية شراء هذا الكتاب وتخفيض ثمنه إلى أقصى حد ممكن ، حتى لا يظل بيت خالياً من نسخة منه لأنه من حق الرجل الذى أنصف العرب — يوم كان الإنصاف جريمة — من حقه أن ينشر كتابه أعظم نشر ، ومن حق المترجم الذى جعل الحقائق التاريخية الجافة — بما أضفى عليها من بيانه العذب — أنغاماً عذبة أن يروج كتابه أوسع رواج جزاء لجهوده الموفقة .

فالكتاب فى جملته وتفصيله لا غنى للأديب ، ولا للكاتب ، ولا للناشىء عنه ، وهو خير تحفة لأنه شهادة من عالم كبير يكاد

(١) راجع صفحة ١٢٧ من نخب الذخائر ، وصفحة ١٤٧ من الأغانى ج ١ وصفحة ١٧٤ ج ٦ وصفحة ١٢١ من التمدن الاسلامى ج ٥ .

المحرومة من لذاذات الواقع ، الموفورة الحظ من متع الخيال وأفاويقه فإن كتابه جاء خالياً مما يسعر الحس ، ويدفع إلى مزالق الشهوات .

ولا يهمنا إذا كان المؤلف قد انتهى إلى هذا عن عجز فى الوسائل فهو مكره لا بطل ، أو عن تعفف القادر الصادف عن وحل البهيمية ، فالعبرة بالكتاب الذى أصدره وهو كتاب يصح أن يقرأه الجيل الشاب ليستبطن دخائل ما يختلج فى واعيته من إشعاعات الحس الفائر وموحيات الدم الشاب المستعر ، وليتبصر بها ، وقد عرضها الكتاب عرضا ينشط الإيحاء العفيف ، بعد أن أضفى عليها المؤلف من روحانياته مسحة أحالتها إلى متع ذهنية تضىء ولا تحرق .

زكي طليمات

مدير معهد التمثيل العربى

قومه ينكرون على العرب كل فضيلة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان في الاطلاع على التمدن الإسلامي للمرحوم جرجي زيدان مايغني عن هذا الكتاب ، ولكن أين شهادتنا لأنفسنا من شهادة الأجنبي لنا ؟ !

هذا ولئلا يكون كلامي مقصوراً على ناحية الجمال في هذا الكتاب أرجو من الأستاذ الزعيتري النابه أن يقبل بعض الملاحظات التي تتعلق بألفاظ جرى فيها قلمه على طريقة المعاصرين من أبناء هذه اللغة الشريفة ، فجاءت بالنسبة إلى أسلوبه النضر كأنما هي الكلف في وجه الغادة الحسناء . فمن ذلك قوله : الخطأ: البطرا . الصواب: بطرا ليس غير . أذكر أن العلامة المرحوم أحمد زكي باشا طلب مني في كتابه المخطوط إلى في سنة ١٩٣٤ أن أحقق هذه النقطة ، فوجدت أن في شرق الأردن مواقع عدة خلط بينها الكتاب والمؤرخون خلطاً شنيعاً .

بطرا — وهي المعروفة بالعربية الحجرية ، وقد كان المرحوم صروف يكتبها البتراء وهو وهم ، وكتبها الحبير الجليل بولس سلمان رئيس أساقفة شرق الأردن (بطرى) وهو وهم انفرد به سيادته . أما البتراء — فماء يرده الكركيون في شرق الأردن ، وأرض معروفة هناك . وخلطوا أيضاً بين « بطرا » والرقيم — مع أن الرقيم شيء وبطرا شيء آخر ، فالرقيم موضع في مساكن عرب العجارمة التابعة لقضاء مأدبا ، وخلطوا بينها وبين « الرجيب » والرجيب — تحريف لكلمة « الرقيم » لأن عربان بني صخر يلفظون القاف جيماً والجيم ياء في بعض الأحيان ، والرجيب هذه موقع بالقرب من عمان حاضرة شرق الأردن . وخلطوا بينها وبين « بيتراس » وبيتراس آثار قرية في جهات عجلون من أعمال شرق الأردن، إذا فالكلمة « بطرا » ليس غير . ويرى العلامة الكرملي أن كتابتها « بترآء » هي الوجه .

الخطأ : البحر الأبيض المتوسط .

الصواب : هو بحر الروم ، أو البحر المتوسط ، أو البحر الشامي ، أو بحر الشام . راجع صفحة ٢١ و ٩٩ و ١٣٥ و ١٣٦ من كتاب نخب الذخائر في أحوال الجواهر تحقيق الإمام الكرملي المطبوع في مصر سنة ١٩٣٩ . الخطأ : طيبة .

الصواب : طيبة المدينة المنورة ، أما المدينة المصرية (فطيوه) ليس غير . من كتاب مخطوط وجهه إلى الإمام الكرملي . الخطأ: أمريكه . الصواب : أميركة — راجع صفحة ١٦٧ و١٠٢ و١٥٣ و ١٩٩ و ٢٠٠ من كتاب بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، تحقيق الإمام الكرملي طبعه في مصر سنة ١٩٣٩ . الخطأ : الأطلسي .

الصواب : الأطلنطي ، أو الأتلنتي ، أو الأتلنتيكي ، راجع صفحة ٣٠ و ١٤٠ من كتاب نخب الذخائر المار ذكره . ومقدمة ابن خلدون طبعة بيروت الثالثة صفحة ٤٤ . الخطأ : الامبراطور

الصواب : الانبراطور — وهو اللفظ الذي نطق به العرب ، راجع مقدمة ابن خلدون طبعة بيروت غير المشكولة ص ٢٠٤ وص ٢٣٤ من طبعة بيروت المشكولة . وقالوا الانبريارين لنبات معهود ، والسبب أن العرب تضع نوناً ساكنة قبل الباء المتحركة ولا يرد على ذلك بأن هذه النونات في مثل انبراطور ، وسبتنبر ، ونوفنبر ، وديسنبر تكتب ميمات في اللغات الغربية ، لأنها تلفظ نونات في تلك اللغات عينها ، عن رسالة مخطوطة ، إلى من الإمام الكرملي في ١٩٤٠/١١/٢٥ .

وهنالك وهم شائع لا يكاد ينجو منه مؤرخ محدث وقد تردى في هوته المؤلف نفسه وهو القول بأن الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان هو أول ضارب للنقود في الإسلام .

ووجه الصواب : أن النقود ضربت في الإسلام قبل عبد الملك بن مروان . فلقد ضرب خالد بن الوليد باسمه نقوداً في طبريه سنة ١٥ أو ١٦ للهجرة . راجع التمدن الإسلامي ج ١ ص ١٢٠ نقلا عن الدكتور مولر ، وصفحة ٩١ من كتاب النقود العربية وعلم النميات تحقيق الأب الشهير انستاس ماري الكرملي المطبوع في مصر سنة ١٩٣٩ . وضرب عمر بن الخطاب نقوداً حتى هم بأن يتخذ نقوداً من جلود الإبل . ص ١٧ و ١٨ من كتاب النقود العربية وعلم النميات ، وكان أول من ضرب النقود مستديرة عبد الله بن الزبير . راجع صفحة ٩٢ من كتاب النقود العربية . وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها تمثال متقلداً سيفاً فوقع منها دينار رديء في يد شيخ من الجند فجاء به إلى معاوية وقال : يا معاوية إنا وجدنا ضربك شر ضرب . فقال له معاوية : لأحرمنك عطاءك ولا كسونك القطيفة . صفحة ٢٣ من كتاب النقود العربية وعلم النميات . فمما تقدم نرى أن ضرب الإسلام للنقود سبق عبد الملك بن مروان اللهم إذا أردنا أن نقول : « ان عبد الملك بن مروان كان أول موحد للنقد المتداول في البلاد العربية فيحق لنا ذلك » .

هذا وأسأل الله أن يكون ما قلته خالصاً لوجه العلم والحق .

القدس — **العزيزي**

العدد ٦٤٣ – الإثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

العدد ٦٤٣ — الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ ، ٣٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 643

Lundi — 29 — 10 — 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

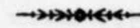
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

العـــدل الانسانى

فى جرائم الحروب

للأستاذ عباس محمود العقاد



كان بعض النقاد الأوربيين يكتبون عن حروب الإسلام الأولى فيذكرون منها فى معرض النقد أن النبى عليه السلام كان يأمر بعقاب المشركين الذين أساءوا إلى المستضعفين كلما ظفر بهم بعد معركة من المعارك ، ويحسبون أن عقوبة المقاتل لا تجوز لخصمه لأنه غير مسئول أمامه فى شرعة القانون.

ومن الواضح أن هؤلاء النقاد قد نسوا أو تناسوا أن الأنبياء مطالبون بإصلاح الفساد حيث كان وليسوا هم حكومة من الحكومات تحاط دعوتهم بالأقاليم والحدود ، فيجوز لهم على هذا الاعتبار ما ليس يجوز لساسة الدول وقواد الجيوش .

ولكن تشاء الأيام — بعد أربعة عشر قرناً — أن يأخذ الأوربيون بمبدأ معاقبة المقاتلين الذين يقترفون الجرائم سواء فى ساحة القتال أو فى غير ساحة القتال ، وأن يبنوا ذلك على قاعدة مقررة لا يكثر الخلاف عليها ، وهى أن الدول تسأل عن جرائمها وسيئاتها ، فلا موجب لأن يعفى أفرادها — أو أجزاؤها — من العقاب ، ولا يصح أن يخليهم من التبعة أنهم كانوا مأمورين مكرهين على الطاعة . فإن المتهم المكره لا يعفى من العقاب ، وإن جاز أن تلاحظ حالة الإكراه فى تقدير عقابه ، إذا ثبت أنه كان مسوقاً إلى الجناية بأمر رؤسائه وأصحاب السلطان عليه .

فالآن يجوز للخصم المقاتل الذى لا يطالب بما يطالب به الأنبياء من تعميم الإصلاح — أن يحاسب خصمه ويعاقبه على الجرائم التى تخالف القانون فى بلاده . فإن كان القانون فى بلاده لا يحرم الجرائم النكراء فقد سقط حقه فى حماية الإنسانية وحماية الشريعة ، وجاز أن ينال العقاب على هذا الاعتبار .

أما الجرائم التى يحاسب عليها المقاتلون فهى القتل والتحريض عليه ، والغدر فى طلب الإيواء أو اصطناع المرض والإصابة ، واستخدام السموم والأسلحة المتفق على منعها ، والإجهاز على الجرحى المستسلمين ، والقسوة على الأسرى والمصابين بالجروح والأمراض أو اختلاس أموالهم التى لا تعتبر من الأموال العمومية ، والتمثيل المعيب بجثث القتلى والأموات ، والاعتداء على المستشفيات والمعابد والمدارس ومخلفات الفنون والآثار ، وإغراق السفن المستسلمة وتخريب المدن المفتوحة التى لا يدافع عنها ، واتخاذ ملابس الجيش الآخر للغدر والتغرير ، ونقض العهود أو شروط التسريح .

هذه وأمثالها هى الجرائم التى تجيز الدول اليوم أن يساق مرتكبوها إلى القضاء ، وأن يتلقوا عليها عقاباً قد يصل إلى الموت

ولم يعرف عن النبي عليه السلام أنه عاقب أحداً من المشركين على جريمة غير هذه الجرائم وأمثالها ، ولا سيما الغدر ونقض الكلمة وتعذيب المستضعفين .

ونقول إن الدول الحديثة قد صنعت خيراً بتقرير هذا المبدأ السليم فى جرائم الحروب ، وأن العمل بهذا المبدأ سيفيد بعض الفائدة وإن لم تمتنع به الجرائم كل الإمتناع ، لأن الجندى الذى يستحضر هذه العقوبات وهو يحمل السلاح خليق أن يتورع عن العدوان مخافة القصاص عند الهزيمة ، وهو لا يأمن الهزيمة كل الأمان ولا يضمن النصر فى جميع الأحوال .

وليس من الظلم أن يحيق العقاب بمن يؤمر فيطيع ، لأن الرجل الذى يمثل بالأبرياء ويهتك الأعراض ويقترف المحرمات لأنه أمر بذلك فأطاع لا يعفى من العقاب فى وطنه ولا يخليه من التبعة أن يحيل الذنب على آمريه . فلا اختلاف فى الأمر إذا حمل السلاح وتجرد للقتال .

وإنما الظلم فى رأينا أن يقصر على المجرمين فى الأمم المهزومة دون المجرمين فى الأمم المنصورة ، لأن الذى يعاقب على الذنب أولى أن يتجنبه ولا يغضى عنه ، وإلا سقطت حجته فى الإدانة وتوقيع الجزاء .

نعم إنه منطق الواقع الذى تقرره القوة ، ولكن حكم القوة وحكم الشريعة لا يتفقان ، فلا شريعة حيث يفعل القوى مايشاء ، ولا قوة حيث يجرى العدل فى مجراه .

وربما تعذرت التسوية بين المهزومين والمنتصرين فى الوقت الحاضر أو فى وقت قريب ، لأننا لا نزال قريبين من أحكام الحرب التى لا تحرم على القاتل وزراً يقترفه فى حق إنسان يناصبه العداء أو يلقى له يد السلم على ملأ من الناس .

ولكننا نرجو أن تبلغ الإنسانية هذه المرتبة الرفيعة بعد خطوات لعلها لا تطول .

وأول هذه الخطوات أن تقام فى بلاد المنتصرين أنفسهم محاكم مستقلة على مثال محكمة الغنائم التى تفصل فى المنازعات بين حكوماتها وبعض الأفراد المحايدين أو المنسوبين إلى الأعداء . فقد حدث غير مرة أن قضت هذه المحاكم المستقلة على حكوماتها بالغرامة والتعويض ، فكان فخر الحكومات بقضائها المستقل أنفع للأمة من كل مال تخسره فى ساحة القضاء .

فإذا قامت هذه المحاكم وجب أن يباح لكل إنسان فى أمة مهزومة أن يتقدم إليها بالشكوى من الجنايات التى اقترفها الجنود المنتصرون ، وأن يدان الجناة بالعقوبات التى يدان بها المهزومون ، متى ثبتت جنايتهم بالبرهان الذى لا يقبل المحال .

وموضع الصعوبة هنا أن تعتبر شهادة المنهزم لتأييد دعوى المنهزم وكلاهما موتور متهم النية والشعور ، ولكن الوقائع لا تثبت كلها بالشهادات ، وليست الشهادات كلها مع هذا بالتى يلتبس فيها الحق والباطل كل الالتباس .

والخطوة الثانية فى طريق العدل الإنسانى بصدد الجرائم التى تقترف أثناء الحروب أن يؤخذ حق القضاء من الدول المنفردة ويوكل إلى هيئة عالية يتبع فى تأليفها نظام لا تغيره الهزائم والانتصارات ، ويعرف أعضاؤها وأصول المقاضاة بين يديها قبل أن تعرف مصائر الحروب .

والخطوة الأخيرة — ولعلها لا تحسب من أحلام الخيال — أن تفلح الهيئات الدولية والمواثيق العالمية فى منع الحروب وفض الخصومات من طريق التحكيم ، فلا حروب ولا جنايات فى أثناء الحروب ولا محاكمات أو عقوبات من جراء تلك الجنايات .

فإذا كان هذا حلماً من أحلام الخيال فدونه فى الطمع أن تقع الحروب ولكن على الفيصل الواضح بين المحقين والمبطلين ، فيتسنى للعالم كله أن ينصر المحق على المبطل ، وأن يحصر شرور القتال فى أضيق الحدود .

منى إن تكن حقاً تكن أعذب المنى ! وإلا فهى على كل حال خير من اليأس الدائم من كل مصير .

عباس محمود العقاد

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٤ —

* ج ١٣ ص ٣٠ :

غنينا بلا دنيا عن الخلق كلهم وإن ما الغنى إلا عن الشيء لا به

وجاء في الشرح : أن مخففة من إن ، إسمها محذوف والجملة بعدها خبر مفيدة للحصر .

قلت : وليس الغنى إلا عن الشيء لا به .

وقائل الشعر هو علي بن الحسن القُهستاني . قال ياقوت : كان يميل إلى علوم الأوائل ، ويدمن النظر في الفلسفة ، فقُدح في دينه ، ومقت لذلك . . .

* ج ١ ص ٢٥٦ : كان (إبراهيم بن محمد نِفطويه) عالماً بالعربية واللغة والحديث ، أخذ عن ثعلب والمبرد . قال المرزُباني في المقتبس : وكان يخضب بالوسْمة . وكان من طهارة الأخلاق وحسن المجالسة والصدق فيما يرويه على حال ، ما شاهدت عليها أحداً ممن لقيناه .

قلت : في (الصحاح) : الوسمة بكسر السين العِظلم يُختضب به ، وتسكينها لغة . وفي (التاج) : قال الأزهري كلام العرب الوسمة بكسر السين . قاله الفراء وغيره من النحويين .

في (الكامل) : قيل لأعرابي : ألا تخضب بالوسِمة ؟ فقال : لم ذاك ؟ فقال : لتصبو إليك النساء . فقال : أما نساؤنا فما يردن منا بديلا ، وأما غيرهن ، فما نلتمس صبوتهن ...

* ج ١١ ص ٤١ :

أقلوا عليّ اللـــوم فيها فإنني تخيرتها منهم زُبَـيريّة قَـلْباً

أحب بني العوّام طراً لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلباً

وجاء في الشرح : ولهـا قلب كقلوب آل الزبير طهارة وحفاظ عهد .

قلت : في الأساس : رجل قلب محض واسط وامرأة قلب وقلبة

قلب عقيلة أقوام ذوي حسب ترمى المقانب عنها والأراجيل

وفي النهاية : كان علي قرشياً قلباً أي خالصاً من صميم قريش .

وفي اللسان : يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع ، وإن شئت ثنيت وجمعت . قال سيبويه[1] : وقالوا هذا عربي قلب وقلباً على الصفة والمصدر ، والصفة أكثر .

الشعر هو لخالد بن يزيد بن معاوية في امرأته رملة بنت الزبير ابن العوام . وهو مقطوعة روى المبرد منها ثلاثة أبيات (منها هذان البيتان) ثم قال : وزيد فيها :

فإن تسلمي أسلم وإن تتنصري يعلق رجال بين أعينهم صلباً

فيُروى أن عبد الملك ذكر له هذا البيت ، فقال له : يا خالد ، أتروى هذا البيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، على قائله لعنة الله ...
ورواية الكامل (فلا تكثروا فيها الملام) (ومن أجلها أحببت)

* ج ١٨ ص ١٨ : أبو جعفر القـاضي الزوزني البحاتي ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفـارسي قال : هو أحد الفضلاء المعروفين ، والشعراء المفلقين ، صاحب التصانيف العجيبة المفيدة جداً وهزلا ، والفائق أهل عصره ظرفا وفضلا ، المحترم بين الأئمة والكبار لفضله مرة ، وللتوقي من حَماةِ لسانه وعقارب هجائه ثانية . ولقد رزق من الهجاء في النظم والنثر طريقة لم يسبق إليها ، وما ترك أحداً من الكبراء والأئمة والفقهاء وسائر الأصناف من الناس الاهجاه ... ومما حكاه لي (رحمه الله) أنه قال : ما وقع بصري قط على شخص إلا نصور في قلبي هجاؤه قبل أن أكلمه وأجربه أو أخبر حاله ...

وجاء في الشرح : (حَماة) جمع حمة وهي الحية أو إبرتها التي تلدغ بها .

قلت : حُمات بضم الحاء وبالتاء المطولة جمع حمة كثُبة . وفي طبعة (القاموس) : « حماة » مثل قضاة بالهاء أو بالتاء المقصرة . وهو خطأ .

والحمة هي السم كما جاء باللسان . وفي الأساس فوعة السم

(١) قلت : هذا قوله في (الكتاب) : وهذا شيء ينتصب على أنه ليس من اسم الأول ولا هو هو) وذلك قولك : هذا عربي محضاً وهذا عربي قلباً فصار بمنزلة دنيا (بكسر الدال : هو ابن عمي دنيا) وما أشبهه من المصادر وغيرها . والرفع فيه وجه الكلام ، وزعم يونس ذلك ؛ وذلك قولك هذا عربي محض وهذا عربي قح ، ولا يكون القح إلا صفة .

وسورته . وفى اللسان : قال بعضهم الإبرة التى تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك أو تلدغ بها . وفى (أدب الكتاب) لابن قتيبة :... حمة العقرب والزنبور يذهب الناس إلى أنها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التى يلسعان بها وذلك غلط؛ إنما الحمة سمها وضرها . وفى (النهاية) : ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة لأن السم منها يخرج .

* ج ١ ص ١٢٣ :

يا حياتى ممن أحب إذا ما قلت بعد الفراق إنى حييتُ
لو صدقت الهوى حبيباً على الصحة (م) لما نأى لكنتُ أموت

قلت : (إذا ما قال) (لو صدقَ الهوى) (لكنتَ تموت) كما روى الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد) ج ٦ ص ٣٨ ومثله ما رواه الخطيب وياقوت :

غابوا فصار الجسم من بعدهم ما تنظر العين له فيّا
بأى وجه أتلقاهمُ إذا رأونى بعدهم حيا ؟
يا خجلتى منهم ومن قولهم ما ضرك الفقد لنا شيا !

* ج ٩ ص ١٥٢ :... وكان (أبو على الحسن بن محمد العسقلانى) يلقب بالمجيد ذى الفضيلتين ، أحد البلغاء الفصحاء الشعراء ، له رسائل مدونة مشهورة ، قيل : إن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن البيسانى منها استمد ، وبها اعتد ، وأظنه كتب فى ديوان الرسائل للمستنصر صاحب مصر ، لأن فى رسائله جوابات إلى الفساسيرى ..

قلت : البساسيرى بالباء كما ضبط فى (الوفيات) قال ابن خلكان : أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرى التركى وهو الذى خرج على الإمام القائم بأمر الله ببغداد ، وكان قد قدمه على جميع الأتراك وقلده الأمور بأسرها ، وخُطب له على منابر العراق وخورستان ، فعظم أمره ، وهابته الملوك ثم خرج على الإمام القائم وأخرجه من بغداد ، وخطب للمستنصر العبيدى صاحب مصر ، فراح الإمام القائم إلى أمير العرب محى الدين أبى الحارث صاحب الحديثة وعانة ، فآواه وقام بجميع مايحتاج إليه مدة سنة كاملة حتى جاء طُغْرُلْبَك السلجوقى، وقاتل البساسيرى وقتله، وعاد القائم إلى بغداد ، وكان دخوله إليها فى مثل اليوم الذى خرج منها بعد حول كامل ، وكان هذا من غرائب الاتفاق .

وقال ابن خلكان فى سيرة المستنصر : وجرى فى أيامه ما لم يجر فى أيام أحد من أهل بيته ... منها قضية البساسيرى فأنه لما عظم أمره ببغداد قطع خطبة القائم وخطب للمستنصر وذلك فى سنة (٤٥٠) ودُعى له على منابرها مدة سنة . ومنها أنه ثار فى أيامه على بن محمد الصليحى وملك بلاد اليمن ، ودُعى للمستنصر على منابرها . ومنها أنه أقام فى الأمر ستين سنة ، وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بنى العباس . ومنها أنه حدث فى أيامه الغلاء العظيم الذى ما عهد مثله منذ زمان يوسف ، وأقام سبع سنين ، وأكل الناس بعضهم بعضا حتى قيل : إنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً . وكان المستنصر فى هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلين ليس لهم دواب يركبونها ، وكانوا إذا مشوا يتساقطون فى الطرقات من الجوع . وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع وذلك فى سنة (٤٦٢) وتفرق أهل مصر فى البلاد وتشتتوا ، ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدر الجمالى من عكا ، وجاء إلى مصر ، وتولى تدبير الأمور فانصلحت .

قلت : (انصلح) فى كلام المتأخرين فى الشعر والنثر كثيرة . أصلح الله الحال والأفعال والأقوال . . . !

* ج ٩ ص ١٧٥ : وكتب (الحسن بن محمد العسقلانى) إلى صارم الدولة بن معروف : أطال الله بقاء الحضرة الصارمية يجرى القدر على حسب أهويتها ، ويعقد الظفر بعزائم ألويتها ، وتحلى بذكرها ترائب الأيام العاطلة ، وتُنجز بكرمها عدات الحظوظ الماطلة .

قلت : الأهوية جمع الهواء ، واليقين أن العسقلانى لا يريد هذا المعنى بل يقصد الهوى (المقصور) ؛ ومن معانيه (مراد النفس) وهذا يجمع على الأهواء . وهو السجع ، وكم أضل ، وكم له من صريع . . .

* ج ١٥ ص ٢١٧ :

تلاحظ عن سحر ، وتسجر عن دجى
وتسفر عن صبح ، وتبسم عن عقد

وجاء فى الشرح : وشعرها السجر ليل ، وشعر مسجر : مسترسل .

القضاء في الإسلام

قطعة أخرى من محاضرة ألقيت سنة ١٩٤٢ ولم تنشر

للأستاذ على الطنطاوى

القضاء ، أيها السادة ، مركب وعر ، ومسلك خطر ، وكيف لعمرى يستطيع بشر ، لا يعرف من الأمور إلا ظواهرها ، قد خفيت عنه البواطن ، وحجبت الأسرار ... كيف يستطيع أن يقيم حقيقة العدل ، ويصيب كبد الحق ، ويقوم مقام الرسل والأنبياء ، والرسل يتصلون بالسماء بالوحي ، ويسمون من المعصية بالعصمة ، وهم مع ذلك لم يؤتوا علم الغيب ، وإمام الأنبياء محمد يقول: إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم لتحتكمون إلىّ ، ولعل أحدكما ألحن بحجته من صاحبه فأقضى له ، فإنما أقضى له بقطعة من النار[1] — وكيف يهدأ له بال ، ويقر له قرار ، ويلتذ بطعم أو مشرب ، ويطرب ويلعب ، وهو يحمل أثقل عبء حمله إنسان : يريد أن يحقق العدل الإلهى بالوسائل البشرية ، ويقول كلته هو ، فيسميها كلمة الشرع ، ويصفها بأنها حكم الله ؟

لذلك فزع الصالحون من القضاء ، وفروا منه فراراً ، ورضوا بالسجن ولم يرتضوه ، وصبروا على الضرب ولم يقبلوه . عرض على أبي حنيفة ثلاثاً ، وهو الإمام الأعظم ، فأباه ، فضرب على إبائه تسعين سوطاً وظل على الإباء . وقلد سفيان الثورى القضاء ، وشرطوا له ألا يعارَض فيه ، فألقى عهده فى دجلة واختفى . وطلب ابن وهب ليولى قضاء مصر ، فجمع إخوانه وأهله فشاورهم فقالوا: اقبله فلعل الله يحيى الحق على يديك ! فقال : أكلة فى بطونكم ،

(١) أخرجه الستة ، وقد نقلته هنا بالمعنى .

قلت : (وتسحر عن دجى) استعمل تسحر استعماله تسفر ، والسحر قبيل الصبح آخر الليل ، فى الأساس : وإنما سُمى السحر استعارة لأنه وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفس الصبح . فى التاج : السحر بفتح فسكون وقد يحرك ، ويضم : الرئة . وقيل هو كل ما تعلق بالحلقوم من قلب وكبد ورئة .

* ج ١٦ ص ٨٤ : ومن كلام الجاحظ : احْذر من تأمن كأنك حذر ممن تخاف .

وجاء فى الشرح : « فى الأصل فإنك » .

قلت : الأصل صحيح .

* ج ١٢ ص ٢٤٨ : قال أبو مروان بن حيان ... وكان (ابن حزم) يحمل علمه هذا (فى مذهب أصحاب الظاهر[1]) ويجادل من خالفه فيه ... فلم يك يلطف صدْعَه[2] بما عنده بتعريض ، ولا يُرقّه بتدريج ، بل يصك به معارضه صك الجندل ، ويُنشقه مُتَلَقَّعَه إنشاق الخردل ...

(١) مذهب داود بن على بن خلف الأصبهانى ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل (الجيانى) .

(٢) الأساس : صدع بالحق : جهر به وصرح مفرقاً بينه وبين الباطل (فاصدع بما تؤمر) .

وجاء فى الشرح : المتلقع الذى يرمى بالكلام رمياً[1] .

قلت : (وينشقه مُتَعَقَّبَه) وتلقع فعل لازم ، وتعقب متعد . فى اللسان : واستعقبت الرجل وتعقبته إذا طلبت عورته وعثرته . وفى الأساس : وتعقبت ماصنع فلان : تتبعته ، ولم أجد عن قولك متعقَّبا أى متفحصاً يعنى أنه من السداد والصحة بحيث لا يحتاج إلى تعقب .

قال ابن خلكان : قال أبو العباس بن العريف : كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف الثقفى شقيقين . قال صاعد بن أحمد الجيانى فى كتاب أخبار الحكماء — كما روى ياقوت — : أخبرنى ابنه الفضل أن مبلغ تآليفه فى الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التأريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارض نحو (٤٠٠) مجلد ، تشمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وهذا شىء ما علمناه لأحد ممن كان فى دولة الإسلام قبله إلا لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . ولأبى محمد ابن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة وقسم صالح من قرض الشعر ، وصناعة الخطابة .

(١) قلت : فى اللسان : اللقعة — كهمزة — الذى يتلقع بالكلام ولا شىء عنده وراء الكلام .

أردتم أن تأكلوا دينى ؟ ! ثم اختفى وجعل الوالى يطلبه فلا يقدر عليه ، فلما عجز عنه هدم بعض داره . وكان فى اختفائه يقول : يا ربّ ، يقدم عليك إخوانى غداً علماء حلماء فقهاء ، وأقدم قاضياً ؟ ! لا يارب ، ولو قرضت بالمقاريض !

ولم يكن الولاة يفعلون ذلك تشفياً وانتقاماً ممن أبى الولاية ، بل رغبة منهم فى صلاح الأمة بتولية خيارها قضاءها . ومن قبل هؤلاء فرّ إياس من القضاء ، فلما تعذر عليه الفرار ووقع ، نهض به نهضة جعلته علماً فيه شامخاً ، وجبلا باذخاً ، وجعلت المثل يضرب به فى إصابة قضائه ، وحدة ذكائه ، فيقول القائل : إياس ، ويكتفى

خوّفهم من القضاء أنه محنة لا يدرون ما مغبتها ، وبلاء لا يعرفون ما عاقبته ، أيفلحون فيه أم يخرجون منه وقد حبطت أعمالهم . وزاد خوفهم منه ما ورد فى أهله من الوعيد ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم شبه صاحبه بالمذبوح بغير سكين[1] ، وأنه جعل القضاة ثلاثة : قاضياً فى الجنة وقاضيين فى النار[2]

* * *

نظر هؤلاء بعين الورع ، ونظر غيرهم بمنظار الشريعة ، فرأوه كما قال عمر بن الخطاب : فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، وعبادة من أفضل العبادات ، وطاعة من أجل الطاعات ، فرغبوا فيه ، وتقربوا إلى الله به . قال مسروق ، الإمام التابعى الثقة : لأن أقضى يوماً بالحق أحب إلى من أن أرابط سنة فى سبيل الله . واستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : عدل ساعة خير من عبادة سنة . وحديث ابن مسعود : إنه لا حسد (يريد لا غبطة) إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا ، فهو ينفقه فى طاعة الله ؛ ورجل آتاه الله علماً ، فهو يعلمه ويقضى به . وقال مكحول فقيه الشام فى عصره : لأن أكون قاضياً أحب إلى من أن أكون خازناً . (قال السرخسى) : لأن الخازن يحفظ على المسلمين مالهم ، والقاضى يحفظ عليهم دينهم . وفسر على رضى الله عنه والعلماء من بعده حديث قاضيى النار أنهما : قاض علم علماً فقضى بخلافه ، وقاض جاهل يقضى بغير علم[3] . وفسروا حديث المذبوح بغير سكين بأنه القاضى الجائر ، يدل على ذلك ما رووه من قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله مع القاضى ما لم يجر ، يسدده للحق ما لم يرد غيره[1] .

وقد فصل الحنفية فذكروا أن القضاء من فروض الكفاية ، وأن طلبه تعتريه الأحكام الخمسة ، فيكون واجباً إذا لم يكن فى الأمة من يصلح له إلا واحد ، فطلب القضاء واجب على ذلك الواحد . ويكون مستحباً إن كان فيها صالحون ولكنه أصلح منهم ، ومباحاً إن كان صالحاً له ويصلح له غيره ، ومكروهاً إن كان غيره أصلح منه . وطلب القضاء حرام على من يعلم من نفسه أنه عاجز عنه ، وأن من طبعه الميل مع الهوى ، ومجاراة الناس ، واتباع المغريات .

* * *

وليس كل طالب للقضاء يولاه ، وما عمل من أعمال الدولة إلا لتوليه شروط ، ولأهله صفات ، باجتماعها تكون التولية ، وبانتفائها يكون الرد ، يعملون بها اليوم فى بلادنا حيناً وتهمل أحياناً ، خطأ أو عمداً ، فتوسد الأعمال إلى غير أهلها ، ويدخل فيها غير مستحقيها . أما القضاء عندنا ، فباب الدخول إليه أضيق وشروطه أشد ، ولولا ثغرة كانت[2] ، ربما ولج منها الضامر الهزيل الذى يمرّ من هذا الشق ، فإذا صار من داخل ترعرع وسمن وصار من أرباب السكان وخلاصة السكان ، فإذا عدونا ذلك لم نجد فى أصول تقليد القضاء عندنا مغمزاً

وتعالوا قابلوا بين شرائط تقليد القضاء اليوم ، وقد نص عليها القرار ذو الرقم ٢٣٨ وبين ما اشترطه الفقهاء فى القاضى تروا أمرها من أمره قريب ، فقد شرط القرار أن يكون القاضى سورياً ، لأن القضاء مظهر من مظاهر السيادة ، وأداة من أدوات السلطان ، فهو يوسد إلى أبناء الأمة تثبيتاً لسيادتها وتقوية لسلطانها . وشرط الفقهاء أن يكون مسلماً ، لأن الجنسية عند المسلمين هى الدين ، وقد منعوا سماع شهادة غير المسلم على المسلم ، لأنها ولاية ، والله تعالى يقول : (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ، والقضاء بذلك المنع أولى

(١) أخرجه أبو داود والترمذى .
(٢) أبو داود
(٣) وأخرج ذلك أبو داود مرفوعاً .

(١) كذلك جاء لفظه فى كتب الحنفية وأخرجه الترمذى بلفظ آخر وقال غريب .
(٢) وسدت وهي الجزيرة كانوا لا يشترطون فى القاضى يرسل إليها ما يشترط فى قضاة غيرها من ولايات الشام وبقى ذلك إلى سنوات خلت .

واشترط القرار ألا يكون القاضي محكوماً بعقوبة شائنة ، وأن يكون فاضل الخلق ، واشترط الفقهاء العدالة فيه ، وإن ذهب الحنفية إلى صحة ولاية الفاسق إن لم يجاوز في أحكامه حد الشرع مع تأثيم من يولى فاسقاً

واتفق القانون والشرع على اشتراط صحة الحواس في القاضي، لأن بها تمييز ما بين الخصوم ، وتمييز الحق من المبطل ، وعلى اشتراط الذكورة في القاضي . ولم يجوز القانون تقليد امرأة القضاء بين الناس ، وقد قال أبو حنيفة رحمه الله بجواز تقليدها القضاء فيما تصح به شهادتها ، أي في الشرعيات والمدنيات دون الجنائيات ، فمن لي بأفهام هؤلاء الذين يسمون أنفسهم أنصار المرأة أن الشرع أعطاها أكثر مما يطلبون لها ، وأن مذهبهم يقوم على واحد من شيئين : إما الغفلة وابتغاء ما لا يكون أبداً من تساوي المرأة بالرجل ، وإما المجانة واتخاذ هذه الدعوة مطية يبلغون بها حاجات في نفوسهم

ولم يرو لنا التاريخ خلال هذه العصور الطويلة أن امرأة وليت القضاء ، ولا يكاد يسيغ العقل ذلك ولا الطبع يألفه ، وقد قال الله تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) ؛ وفسروا الفضل بأنه العقل والدين

واتفقت قوانين اليوم وأحكام الفقه على اشتراط العلم في القاضي ؛ غير أن القانون أوجب نيله ليسانس الحقوق قاضياً شرعياً كان أو مدنياً

وأكثر الفقهاء شرطوا في القاضي أن يكون من أهل الاجتهاد ، واحتجوا بحديث معاذ حين أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فقال له : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ، فارتضى ذلك رسول الله ، وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى رسوله[1] ؛ واحتجوا بأنه عليه الصلاة والسلام كان يجتهد فيما لم يوح إليه حكمه ، ويقضي باجتهاده (ولكن الله لا يقره على الخطأ) ، وأن الاجتهاد كان جائزاً للصحابة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام

وجاء في المبسوط : إن للقاضي أن يجتهد فيما لا نص فيه ، وإنه لا ينبغي أن يدع الاجتهاد في موضعه لخوف الخطأ ، فإن ترك الاجتهاد في موضعه بمنزلة الاجتهاد في غير موضعه ، فكما أنه لا ينبغي له أن يشتغل بالاجتهاد مع النص ، لا ينبغي له أن يدع الاجتهاد فيما لا نص فيه

غير أن الحنفية ذكروا أن أهلية الاجتهاد شرط الأولوية لا شرط صحة التولية ، وأنه يصح قضاء المقلد إذا قضى بفتوى غيره (الهداية والهندية) ، أما المفتي ، فأجمعوا على اشتراط كونه من أهل الاجتهاد ، أو النظر في الدليل . قال أبو حنيفة : لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا حتى يعرف من أين قلنا . وهذا منتهى ما تصل إليه حرية البحث ، وما تبلغه الروح الاستقلالية في العلم

قال في المبسوط : « وإذا لم يكن القاضي من أهل اجتهاد الرأي ليختار بعض الأقاويل ، سأل المفتين (أي المجتهدين) ، ونظر إلى أفقههم عنده وأورعهم فقضى بفتواه ، وهذا اجتهاد مثله ، ولا يعجل بالحكم إذا لم يبين له الأمر حتى يتفكر فيه ويشاور أهل الفقه لأنه مأمور بالقضاء بالحق ، ولا يستدرك ذلك إلا بالتأمل والمشورة »

ومهما كان من أمر ، فالأصل في القضاء الاجتهاد ، ولا يكون إلا كذلك ، لأن النصوص محدودة ، والوقائع لا حد لها ، ولا ينقطع الاجتهاد في المسائل الجزئية أبداً ، ومن قال بسد باب الاجتهاد ، إنما أراد به الاجتهاد في غير موضع الحاجة أو الاجتهاد المطلق ، أما الاجتهاد عند وقوع الواقعة لا بد من معرفة حكم الله فيها ، أو عند تبدل العرف الذي بني عليه الحكم الاجتهادي ، فلم يمنعه أحد ولم ينقطع أبداً ، ولا يقلد في هذا الموطن إلا عصبي أو غبي كما قال القاضي أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب :

قال الطحاوي (أبو جعفر الإمام الحنفي الكبير) ، وكان كاتب هذا القاضي : كان أبو عبيد يذاكرني بالمسائل فأجبته يوماً في مسألة فقال لي : ما هذا قول أبي حنيفة ، فقلت له : أيها القاضي، أو كل ما قال أبو حنيفة أقول به ؟ ! قال : ما ظننتك إلا مقلداً ، قلت : وهل يقلد إلا عصبي ؟ قال لي : أو غبي . فطارت هذه الكلمة في مصر حتى صارت مثلا ، وكان ذلك في أول القرن الرابع

***

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وقال لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بمتصل .

سمعتم خلاصة الخلاف فى هذه المسألة ، وعلمتم أن العزيمة هى كون القاضى من أهل الاجتهاد ، والرخصة التى قال بها الحنفية هى جواز كونه مقلداً يا أيها السادة : إنهم كانوا يختلفون فى القاضى هل يجوز له التقليد ، فلم يبق خلاف بيننا اليوم فى أن القاضى لا يجوز له الاجتهاد !

ونقل الماوردى ، أن السلطان إذا قال للقاضى قد وليتك فلا تحكم إلا بمذهب فلان (من الأئمة) كان الشرط باطلا ، وكان له أن يحكم بما أداه إليه اجتهاده . ومن الاجتهاد اختيار من يفتى بقوله من المفتين كما جاء فى المبسوط .

أما القضاء اليوم فالأهلى منه على مذهب (أئمة) الأفرنج ، كأننا أمة من البرابرة لا دين لها ولا فقه ، ولا كتاب . وقد بدت فى سواد هذا الليل خيوط الفجر، وأوشك أن يفيق النائمون.

وأما الشرعى فعلى مذهب أبى حنيفة ، إلا مسائل بأعيانها جرى العمل فيها (فى مصر) على غيره ، منها ما عدل فيه إلى قول معتمد فى أحد المذاهب الثلاثة ، ومنها ما خولفت فيه المذاهب الأربعة اجتهاداً ورجوعاً إلى دليل كمسألة طلاق الثلاث دفعة واحدة ووقوع طلقة واحدة به ، ومنها ما خولفت فيه بلا دليل شرعى كمنع سماع دعوى الزواج ممن لم تبلغ سنها السابعة عشرة أو ما لم تسجل فى كتاب وقد مات أحد الزوجين — ولو أنهم اجتهدوا فى مصر ونظروا فى الأدلة لهان الخطب ، ولكن سبيلهم أن يهونوا حكما ، كتوريث ابن الابن مع الابن ، فيحتالوا عليه ، فيسموه وصية إجبارية ، أو يجدوا له مستنداً قولا لمجتهد من المجتهدين الأولين ولو كان مرجوحاً أو منقطعاً سنده ، فيأخذوا به ، وهذا ما سماه ابن عابدين فى رسالته اتباع الهوى .

أما القضاء عندنا فليس فيه ابتداع أو مخالفة إلا فى مسألة واحدة ولكنا خالفنا فيها ظاهر القرآن وثابت السنة والإجماع . لا تعجبوا يا سادة قبل أن تسمعوا البيان :

نصت المادة ٧ من قرار حقوق العائلة على أنه لا يجوز لأحد أصلا أن يزوج الصغير الذى لم يتم الثانية عشرة ولا الصغيرة التى لم تكمل التاسعة . ونص فى المادة ٥٢ منه على أن هذا النكاح فاسد . وفى المادة ٧٧ على أن البقاء على الزوجية ممنوع فى هذا النكاح فإذا لم يفترقا يفرق بينهما القاضى .

أما خلافها لظاهر القرآن (وظواهره حجة كما هو محرر فى كتب الأصول) فلقوله تعالى : (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن[1]) . ففهم من ذلك صحة زواج المرأة وطلاقها قبل بلوغها سن الحيض . أما السنة فلزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة فى السنة السادسة من عمرها ، والحديث (كما قال فى فتح القدير) قريب من المتواتر . وقد انعقد الاجماع على أن حكمه عام وليس خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بعائشة . وقد زوج الزبير ابنته لقدامة بن مظعون يوم ولدت ، ولم ينكر عليه ذلك أحد من الصحابة مع علمهم به . أفنكاح قدامة بنت الزبير نكاح فاسد يا أيها السادة ؟ أم انه يجب التفريق بين محمد سيد النبيين وإمام المرسلين ، وعائشة أم المؤمنين ، لأن قرار حقوق العائلة يمنع بقاءهما على الزوجية ؟ أم إنه يزعم أن أحكام الإسلام تتبدل ولو نطق بها القرآن وجاءت بها السنة المتواترة وانعقد عليها الإجماع ؟

سيقول قائل منكم أو من غيركم إن قانون العائلة وضعه فحول من العلماء ، وعرض على شيخ الإسلام وأمر به السلطان واستند فيه إلى اجتهاد ابن شبرمة وأبى بكر بن الأصم .

لا يا سادة ، إنه لا شيخ الإسلام ، ولا السلطان ، ولا مائة مجتهد يستطيعون مخالفة الكتاب والسنة والإجماع ، وما أحسب قاضياً يخاف الله ويعرف طرق العلم يحكم بغير ما أنزل الله فيصح فيه الوصف بالفسق والظلم والكفر ، وقد وصف الله بها من لم يحكم بما أنزل الله ، فكيف بمن يحكم بخلافه ؟!

وإنى أحب أن أسركم فأخبركم بأن هذه المادة قد وضعت من أكثر من ثلاثين سنة ، ولكن قاضياً واحداً لم يقض بها ، فلم يبق منها إلا سواد الحبر فى بياض الورق ، ذلك لتعلموا أن هذا القرآن قد تولى الله حفظه وحمايته « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وإن قلعة يدافع عنها الله لا يستطيع أن يقتحمها بشر[2] !

علي الطنطاوي

---

(١) سورة الطلاق

(٢) ونحن مع ذلك ننصح الناس ألا يزوجوا الصغيرات حتى يبلغن ، ونؤخر عقودهن فى المحكمة ، ولا نسجل عقداً إلا لبالغة مبلغ النساء ، ولكنا لا ننقض عقداً أبرمته الشريعة ، ولا نحرم ما أحل الله ، ولا يسوق أحد ما فى تزويج الصغار من مضرة يراها ، بل السبيل أن يسوق من شاء الكلام شرعياً أصولياً فينظر فى الأدلة وقوتها وما يفهم منها ؟ فإذا صحت الأدلة وكان ذلك جائزاً فى الشرع قبلناه لأن الشرع فى نظر المسلم يكفل النافع ويدرأ المفاسد كلها ، ولا يقر مفسدة ، والفرق واضح بين عدم تزويج الصغار ، وبين الحكم بفساد العقد بعد عقده ، لان التزويج للولى أو القاضى إن كانت الولاية إليه له أن يزوج أو يدع ، ولكن العقد إن أبرم لله لا ينقض إلا بموت أو طلاق أو تفريق أمر به الشرع .

ملحمة الحرب والسلام

دراسة تحليلية لفكرة الحرب وعواملها والسلام وأسسه

للأستاذ فؤاد عوض واصف

يكاد يكون الشعار الغالب فى حياة البدائى الأخلاقية هو أن يكون الإنسان سعيد الحظ فى الحرب يقتل من استطاع من الأعداء. وأنجح الكشوف هو ذلك الذى يهيىء للقبائل البدائية اقتناص أكبر عدد من الأجانب والعودة بجماجمهم، يجمعونها فى حرز حريز لأنها الثروة التى بها يتفاضلون، وهى ضمان الشجاعة والشرف التى بها يتقدم البدائى إلى عروسه فى فخر وخيلاء[١] ...

فإذا انتقلنا إلى شعوب أكثر حضارة وجدنا أن الوحدة الاجتماعية تكبر وتتميز؛ وكلما قويت الوحدة الإجتماعية ازداد الشعب استنكاراً لجريمة القتل؛ إلا أن النظرة إلى الأجنبى تظل محتفظة بآثارها الموروثة عن القبيلة. فقوانين الملك ابن iine تصور لنا كيف كانت حياة الأجنبى رخيصة فى بلاد اليونان فى العصور الأولى، فلم يكن له أى حق قانونى. وكذلك كان الحال فى الشعوب الرومانية القديمة؛ فالكلمة اللاتينية Hostis ومعناها عدو كانت تعنى الأجنبى أيضاً. فالأجنبى والعدو يدل عليهما بكلمة واحدة. والذى يدلنا على مدى نظرة هذه الشعوب — ومن شابهها فى درجة الحضارة — إلى الأجنبى، تلك السهولة التى كانوا يقابلون بها حروبهم مع الأجانب. وفى التاريخ المصرى القديم لا نشاهد أية صيحة على الحروب وأهوالها، وكأنما الحرب ضرورة مادام هنالك أجنبى. وكذلك الحال عند العبرانيين القدماء إذ كانوا يتصورون أن الحياة حق مقصور عليهم وعلى نسلهم. وعند العرب فى الجاهلية كانت القبائل تتحارب لأتفه الأسباب، ومن ذلك ما يروى عن أيامهم، فيوم النباج وثيتل مثلاً كان من الوقائع التى أثارها حب الغزو فحسب[١].

وكل هذا يدلنا على أنه إذا كان نطاق القتل داخل البلاد قد ضاق كثيراً عنه فى الشعوب البدائية، فقد ظل الأجنبى منظوراً إليه بنظرة لا تختلف عن نظرة الشعوب البدائية.

* * *

ولما دخلت المسيحية فى أوربا أشاعت احترام الحياة الإنسانية بدرجة لم تعرف فى العصور السابقة. وكان المسيحيون فى عصورهم الأولى يرون أن القتل فى جميع صوره خطيئة كبرى. وفى هذا يقول ترتيليو[٢] Tertulion : هل من الممكن أن يكون لنا حق امتشاق الحسام والسيد المسيح نفسه قد صرح لتلاميذه أن « ... كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون[٣] ».

ولئن كان السيد المسيح قد أمر بطرس بأن يرد سيفه إلى غمده عندما أراد بطرس أن يقاتل أعداء المسيح، فإنما كان يعنى المسيح بهذا أن امتشاق الحسام محرم على كل جندى فى المستقبل.

وفى سنة ٣١٤ م صدر أمر بأن يحاكم كل جندى يترك سلاحه من أجل الدين، وذلك لأن البلاد كانت مهددة بغارات الأعداء. وهكذا نرى أن فكرة الحرب بدأت تعود، وأن آباء القرن الرابع والخامس الميلادى قد أخذوا يبررون امتشاق الحسام؛ حتى إذا جاء القديس أوغسطين ذهب إلى أبعد من هذا حين أراد تفسير العهد الجديد تفسيراً لا يتعارض مع فكرة الحرب، وعنده أن السيد المسيح عند ما أمر بطرس بأن يرد سيفه إلى غمده لم يكن يعنى كل جندى وإنما كان يعنى بطرس بالذات لأن امتشاقه الحسام لم يكن قانونياً. وينتهى أوغسطين من هذا بقوله: « إذا كان السلام هو الخير الأسمى وكانت مدينة الله قد أقيمت من سلام أزلى فإن الحرب فى بعض الأحايين ضرورة لهذا العالم الممتلىء بالخطيئة[٤] ».

نجد فى كلام القديس أوغسطين تحولا جديداً فى فكرة

(١) L,origine et le developpement des Idées Morales Westermarck Tomé 1 P. 340.

(١) كتاب العرب قبل الإسلام: جورجى زيدان ص ٢٢٧

(٢) L'origine - des idées Morales : Westermarck I p. 354

(٣) انجيل متى إصحاح ٢٦ آية ٥٢

(٤) L'origine- des Morales : Westermarck I p 356

الحرب عمل أتباعه على تدعيمه قائلين إنه ليس ثمة تعارض بين أن يكون الإنسان مسيحيًا وجنديًا فى الوقت نفسه . وانتهى الأمر بأن يتناول الفارس سيفه من القسيس الذى يباركه ويقول له تلك العبارة باللاتينية :

« Serve Christi, Sismiis, In Nomene iPatris Flii Ch Spiritus Sancti Amen » أعنى : فى خدمة سيدك المسيح تتناول حسامك أيها الجندى باسم الأب والابن والروح القدس آمين . وهكذا أصبح الجندى يمتشق الحسام باسم الله ، والحرب أصبحت قضاء من الله ، والنصر هبة من هباته .

وفى العصور الوسطى أيضاً كانت الحرب قضاء من الله . فاللورد بيكون يرى أن الحرب هى الوسيلة المثلى التى يتجلى بها الحق واضحاً ، إذ يحتكم الله عز جلاله بين الأمراء المتنازعين . ويقول لاهوتى فى هذا الصدد ، إن الحرب مرآة تقرب إلينا صورة الله « فليس كرائحة البارود عطر يستطيع من يتنسمه أن يتعرف الحق السماوى فى صورته العليا ... »

ولكن النزعة السلمية لم تعدم الأنصار فى أوربا فى تلك الآونة ؛ ففى القرن الرابع عشر ظهرت جماعة اللولارد Les Lollards وقالوا إن الحرب فى جميع صورها تتعارض مع تعاليم الإنجيل . وإن سلاماً غير عادل أكرم من حرب عادلة . ويقول « ارازم » إن الحرب ليست وحشية فحسب بل هى أكثر من ذلك ، لأن الإنسان القاتل أكثر وحشية من الوحش نفسه ، لأن الطبيعة إذا كانت قد هيأت الوحوش للحرب فإنها على العكس لم تهيىء الإنسان للحرب ؛ ومن ذهب إلى الحرب فليعلمن أنه يمتشق الحسام ضد الطبيعة وضد الله وضد الإنسان ...

وجماعة الكويكرز ترى أن الحرب أيا كانت تتعارض مع تعاليم الكتاب المقدس ؛ وإذا كانت نهاية الإنسان هى الخلود فإن مستقبل فرد واحد فى الآخرة يفوق كل خير وقتى لأمة بأسرها ...

ومن هنا نرى أن الناس قد انقسموا أمام فكرة الحرب ، فى تلك الآونة ، إلى فريقين : فريق يرى أن الحرب مرآة فيها يتجلى الحق السماوى ، وفريق يرى أن الحرب تتعارض مع تعاليم المسيحية ، وأن سلاماً غير عادل أفضل من حرب عادلة .

***

وأما الحال عند العرب فقد عرفنا أن الإسلام قد أبطل الكثير من عاداتهم القديمة وجعل القتل جريمة كبرى . وقد نص القرآن الكريم على هذا بقوله : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » .

ولكن القرآن قد حث من جهة أخرى على مقاتلة الكفرة فى ظروف معينة إذ يحق للعرب أن يعتبروا « الجنة فى ظلال السيوف(١) » . وفى هذا يقول الله لنبيه : « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا » وهكذا يكون الإسلام قد أجاز الحرب فى ظروف خاصة .

***

وفى القرن السابع عشر ظهرت فى أوربا طائفة الموسوعيين Encyclopedists وعلى رأسهم ديدرو الذى استطاع أن يجمع إليه عدداً من أشهر فلاسفة أوربا من أمثال فولتير وروسو . والفلاسفة — فى الانسيكلوبديا — وإن تباينت آراؤهم قد اتفقوا فى معاداتهم للمبادىء الكاثوليكية(٢) ولم تكن إذ ذاك سلمية . ولقد قام فلاسفة الانسيكلوبدية بدعوة سلمية معتدلة تختلف عن دعوة ارازم ، ففولتير وإن يكن يعترف بأن الحرب واجبة فى بعض الأوقات إلا أنه ينعى عليها شرورها ويقول إن الذى يجر الناس إليها طمع الأمراء وجشعهم .

ونحن نجد أيضاً عند فلاسفة النهضة الحديثة من أمثال كانت وبنتام وروسو نزعات معادية للحرب . ولكن ظهر رد فعل لهذه النزعات ، فى نزعة قومية زعم أنصارها أن وحدة عالمية ليست إلا حمماً فظيعاً ؛ فليس ثمة ضمان للفضيلة عندهم إلا بوجود القوميات ؛ وهكذا أخذوا ينفخون فى نفير الحرب لأنها مقياس الحق ولأنها منبع ترتوى منه الفضيلة فيشتد عودها ويتقوى ساعدها . والحرب عند نيتشة قد جلبت للانسانية من الخيرات

(١) Ibid P. 347

(٢) تاريخ التمدن الحديث تأليف سنيوبوس وتعريب دار الهلال ص ٤٦

أضعاف ما جلبه الحب الإنسانى . وهى عنـد راسكين أم الفنون وجميع الفضائل الدنية . ولقد أصبحت الحياة عنـد هؤلاء حق يغتصبه القوى من الضعيف . وإن الصراع من أجل الحياة بين الأقوياء والضعفاء سيتمخض عن الإنسان الأعلى Superman الذى يعلو على أعقاب الضعفاء[1] ويقضى على جيلهم . ان فلسفة القوميات فى الواقع هى فلسفة قوة وحرب وسيطرة .

وبعد سقوط نابليون شاع فى العالم الرغبة فى سلام طويل . ولـكنها كانت فترة قصيرة تلك التى شـاع فيهـا حب السلام استيقظت بعـــدها صيحـة القوميات وتعطشها إلى الحرب والسيطرة .

***

عرضنا فيما سبق استقراء عاماً لفكرة الحرب وتحولها فى أحقاب التاريخ . وإن نظرة واحدة إلى ما أمامنا من العنـاصر لـكافية بأن تخرجنا بحقيقة أشبه بأن تـكون يقينية ، إن كان هنالك ثمة يقين فى مجال العلم الحديث ...

لقد وجدنا أن فـكرة الحرب من المعانى الخلقية التى لم تثبت على حال واحدة ، بل اختلفت وتبدلت باختلاف الشعوب والعصور؛ فبينا نرى الحرب فى بعض الأحايين خيراً أسمى بل وضماناً للفضيلة ، نراها فى أحايين أخرى شراً مستطيراً ، أولى بالحيوانات الـكاسرة منها بالإنسان الأخلاق ...

هذا الاختـلاف فى نظرة الإنسـان إلى معين الحرب نتيجة لعوامل اجتماعية تشـكل الوجدان الأخلاق فتارة تغلب عليه فـكرة الحرب فيراها الإنسان خيرا ، وتارة تغلب عليه فـكرة السلام فتبدو الحرب للانسان شراً ليس بعده شر .

فـكرة الحرب إذاً من المعانى النسبية ، تخضع لعوامل اجتماعية معينة تتولد منها وتزول بزوالها .

والتاريخ يدلنا على ألوان أخرى من القتال غير الحروب بصورتها الحالية وذلك مثل الحروب الخاصة Les gucrres privs والثأر للدم والمبارزة بين الأفراد وغيرها . وقد كانت هذه الأنواع من القتال تتولد تحت ظروف اجتماعية معينة ، وكانت تبدو للضمير الجمى فى صورة بطولة وشرف . حتى إذا زالت العوامل الإجتماعية المولدة زالت معها أنواع القتـال المختلفة ، وأصبحت نظرة الناس إليها غير تلك النظرة السابقة ...

لذلك ليس بصحيح ما يزعمه بعض العلماء من أن الحرب ضرورة فى فطرة الانسان ، فـكما أن خلايا الجسم تتحارب فتتولد الحياة الفردية ، كذلك يتحارب الناس فتتولد الحياة الاجتماعية . إنمـا الحرب كما أثبت الاستقراء التاريخى ، نتيجة لعوامل اجتماعية خاصة قابلة لأن تزول ، وعندئذ تصبح فـكرة الحرب من المعانى المجهولة ، كما أن الـكثير من أنواع القتل كالمبارزة بين الأفراد أصبحنا نجهله كل الجهل .

وعند العلامة وسترمارك أن أنصار السلام يزدادون يوماً بعد يوم ، وهكذا عندما ننحسر موجة القوميـات — وهى العوامل الإجتماعية المولدة للحروب فى عصورنا — ولا يعود الناس ينظرون إلى الحرب والسلام بالمنظار القومى ، فإن كل الدلائل تدل على أن الصيحة ضد الاستبداد المنبعثة من القوميات ستخفت ، كما خفت غيرها مـن صيحات الحروب الخاصة والثأر للدم ...

وإن لنـا الدليل كل الدليل فى أن العالم يتجه نحو وحدة عالية ، تتلاشى عندها الدوافع القومية وتختفى معالمها ، وذلك فى روح المذاهب السياسية للدول المنتصرة فى هـــذه للحرب . فالديموقراطية تنعت بأنها مبدأ يعلو على القومية Snper-national وكذلك الاشتراكية الحديثة فى روسيا (البلشفية) ليست مبدأ قومياً ، وإنما هى ترى فى النهاية إلى وحدة عالية شأنها فى ذلك شأن الديموقراطية . ففى حين أننـا نرى الفاشيستية والاشتراكية القومية (النازية) تنظران إلى وحدة عالية كحلم فظيع ، نرى أن الديموقراطية والبلشفية تتجهان فى جوهرهما إلى وحدة عالية يسودها الوئام والسلام ...

إن ملحمة الحرب ملحمة طويلة وحافلة ، ولـكن لهـــا — كـكل قصة فى الحياة — نهاية وخاتمة ؟

فؤاد عوض واصف
ليسانيه فى الفلسفة

(١) On uhir al maden Knouledc W. Rorc p. 36

رأى جديد في

حمـــــاد الراوية

للأستاذ السيد يعقوب بكر

١ — منهج البحث

لعل أهم ما أقصد إليه فى هذا البحث هو تمحيص رواية حماد (أعنى روايته للشعر)؛ فقد أكثرت كتب الطبقات من ذكر أخباره والأحداث التى تقلبت عليه، ولكنها لم تعرض لروايته كما يعرض العلماء لمواضيع بحثهم، ولم تمحصها كما يجب أن تمحص الأشياء، وكل ما فعلته أنها اتهمته بالوضع والانتحال وذكرت من أخبار انتحاله الشيء الكثير.

أقول: لعل أهم ما أقصد إليه فى هذا البحث هو تمحيص رواية حماد. ولكننى قبل أن أمحص هذه الرواية، يجب علىّ أن أعرض لحياة هذا الراوية فى عصره وللراوية هذا العصر؛ فلعل اكتناه حياته والرواية فى عصره يأخذ بيدنا عند تمحيص روايته؛ ولعله يكشف لنا منها جوانب ما كنا لنفطن لها لولاه؛ ولعله يكشف لنا عن الدواعى التى حدت به إلى أن يضع إن كان قد وضع حقا، أو الدواعى التى جعلت الرواة يتحاملون عليه إن كان هو من الوضع براء.

هذا منهج من البحث لا أشك فى أنه سيصل بى إلى النتيجة الحق. ذلك لأنه منهج قائم على أساس صحيح؛ فهو يربط بين حماد راوية وبينه إنسانا فى ذاته وإنسانا فى مجتمع، وهو يربط بين روايته ومجرى الرواية فى عصره. والدراسات الأدبية لا يمكن أن تؤدى إلى الحقيقة مالم تربط بين من تدرسه وبين نفسه وبيئته.

٢ — حياة حماد

يقول ابن قتيبة[١] فى كتاب المعارف (ص ١٨٣): هو حماد بن هرمز؛ وكان هرمز من سبى مكنف بن زيد الخيل، وكان ديلميا يكنى أبا ليلى. ويقول فى كتاب الشعر والشعراء (ص ١٥٧ M. I. De Goeie): وحماد الراوية مولى مكنف.

وفى الأغانى[١] (ج ٥ ص ١٦٤ ط بولاق) أن الأصمعى سأل حمادا: ممن أنتم؟ فقال حماد: كان أبى من سبى سلمان بن ربيعة، فطرحتنا سلمان لبنى شيبان، فولاؤنا لهم.

ويقول ابن النديم[٢] فى الفهرست (ص ٩١ ط فلوجل) إنه: أبو القاسم حماد بن سابور[٣] بن المبارك بن عبيد؛ وكان سابور يكنى أبا ليلى، من سبى الديلم، سباه ابن عروة بن زيد الخيل[٤] ووهبه لابنته ليلى يخدمها خمسين سنة، ثم ماتت، فبيع بمائتى درهم، فاشتراه عامر بن مطر الشيبانى وأعتقه.

ويقول ياقوت[٥] فى معجم الأدباء (ج ٤ ص ١٣٧ ط مرجليوث) إنه حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمى؛ مولى بنى بكر بن وائل، وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل الكوفى المعروف بالراوية

ويقول ابن خلكان[٦] فى وفيات الأعيان (ص ٢٤٠ ط باريس) إنه أبو القاسم حماد بن أبى ليلى سابور، وقيل ميسرة ابن المبارك بن عبيد الديلمى الكوفى.

فظاهر من هذه الروايات الخمس أن حمادا ديلمى الأصل؛ وأنه من الموالى، وإن كان قد اختلف فى ولائه: لمن. على أن هذا اختلاف فى الظاهر. فنحن إذا أخذنا برواية ابن النديم استبان لنا أن ولاء حماد كان لابن زيد الخيل (ابن عروة كما يقول ابن النديم، أو مكنف كما يقول ابن قتيبة وياقوت)، ثم كان لعامر بن مطر الشيبانى. وشيبان بن ثعلبة، وثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر. وهكذا نفهم تردد ولاء حماد بين ابن زيد الخيل وبنى شيبان وبنى بكر بن وائل. ولكننا لا نجد بعد هذا تفسيرا لما يقوله حماد من أن أباه كان من سبى سلمان بن ربيعة، فنحن لا نعرف من هم بنو سلمان هؤلاء.

والديلم — كما يقول هيـــار Huart فى كتابه: Littérature Arabe (ص ٥٨) — هم ذلك الجنس الهائل الذى كان يحتقر العرب؛ والذى كان يسكن جبال جيلان الوعرة

(١) توفى سنة ٢٧٦ أو ٢٧٠١ أو ٢٧٠ هـ

(١) توفى أبو الفرج سنة ٣٥٦ هـ
(٢) توفى سنة ٣٨٥ هـ
(٣) فى الفارسية Shahpur
(٤) كان زعيما لطيء
(٥) توفى سنة ٦٢٦ هـ
(٦) توفى سنة ٦٨١ هـ.

مستقلا غير خاضع لسلطة ما ؛ والذى استولى على بغداد باسم بنى بويه ، فجرد الخلافة من سلطتها الزمنية ، ولم يبق لها إلا سلطة روحية محضا . وكان لحن حماد ينم عن أصله الأعجمى .

وظاهر من هذه الروايات أيضاً أن هناك خلافاً حول اسم أبى حماد . فابن قتيبة يقول إنه هرمز ، وهو فى هذا يوافق الجاحظ[1] فيما يحكيه عنه السيوطى فى المزهر (ج ٢ ص ٢٠٦) وابن النديم يقول إنه سابور ؛ ويتابعه فى هذا هيار (ص ٥٨) ، وتشارلز ليال Charles Lyall فى كتابه : Translation of Ancient Arabian Poetry (القدمة : هامش ص ٣٩) وفى مقدمته لترجمة المفضليات (هامش ص ١٣) : وياقوت يقول إنه ميسرة[2] ، وهو فى هذا يوافق الهيثم بن عدى فيما يحكيه عنه أبو الفرج فى الأغانى (ج ٥ ص ١٦٤) والبغدادى فى خزانة الأدب (ج ٤ ص ١٢٩ ط بولاق) .

وقد ولد حماد بالكوفة . واختلف فى تاريخ ميلاده ؛ فهو عند ابن النديم (ص ٩١) سنة ٧٥ هـ ، وينقل عنه فى هذا بروكلمان فى كتابه : Geoch. ol. a. Litt (ج ١ ص ٦٣) وهو عند ياقوت (ص ١٤٠) سنة ٩٥ هـ ، ويتابعه فى هذا ابن خلكان (ص ٢٤١) . كذلك اختلف فى تاريخ وفاته ؛ فهو عند ابن النديم (ص ٩١) سنة ١٥٦ هـ ، وهو عند ياقوت (ص ١٤٠) وابن خلكان (ص ٢٤١) سنة ١٥٥ هـ .

وحماد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . فتشارلز ليال يقول فى كتابه الأول : (المقدمة ، هامش ص ٣٩) : « علا ذكر حماد الراوية بن سابور الفارسى الأصل وجامع المعلقات ومعظم شعر امرىء القيس فى دولة بنى أمية خاصة ، منذ عهد يزيد الثانى (يعنى يزيد بن عبد الملك) (١٠١ — ١٠٥) حتى سقوطها سنة ١٣٢ ، وبعد ذلك عاش فى عصرى المنصور والمهدى » . فالذى يؤخذ من قول هذا المستشرق أن حمادا لم يدرك عصرا بعد عصر المهدى ، وهو فى هذا يتابع ما يرويه ابن خلكان إذ يقول (ص ٢٤١) : « وقيل إنه توفى فى خلافة المهدى » . على أننا نجد فى الأغانى (ج ٣ ص ٨٠) هذه الرواية : « ذكر أبو أيوب المدنى أن حمادا الراوية حدثه ، قال : رأيت عبد الرحيم الدفاف أيام هرون الرشيد بالرقة ... » ، وهى رواية صريحة الإشارة إلى أن حمادا أدرك عصر الرشيد ، ولكننا لا نستطيع بأى حال من الأحوال أن نرجحها على سائر الروايات التى تقف بحياة حماد قبل عصر المهدى ، أو عن هذا العصر ، بل إننا لا نظن حمادا قد أدرك عصر المهدى كما تقول الرواية التى أشار إليها ابن خلكان . فحماد قد توفى سنة ١٥٦ هـ كما يقول ابن النديم ، أو سنة ١٥٥ هـ كما يقول ياقوت وابن خلكان ؛ بينما أن المهدى تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ . والرواية التى يشير إليها ابن خلكان غير صريحة النسبة ، وهى لا تذكر تاريخا معينا . وقد رجع تشارلز ليال عما قاله فى كتابه الأول (المقدمة ، هامش ص ٣٦) من أن حمادا توفى سنة ١٦٠ هـ ، وجعل يشك فى أن حمادا أدرك عصر المهدى ، وهذا فى مقدمته لترجمة المفضليات (ص ١٨) . ويبدو لنا أنه فى الكتاب الأول قد أخذ بمفهوم الرواية التى يشير إليها ابن خلكان ، فافترض سنة ١٦٠ هـ تاريخاً لوفاة حماد ، أى بعد ولاية المهدى الخلافة . وهذا افتراض محض ، لأن المراجع العربية لم تذكر هذا التاريخ .

وقال ابن النطاح (الأغانى ج ٥ ص ١٧١ ، وخزانة الأدب ص ١٣١) : « كان حماد الراوية فى أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ، فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ فى العلم ما بلغ » . وهذه الرواية — إن صحت — تدلنا على طور من أطوار حياة حماد ، لا بد أنه خلف فى نفسه أثراً ، ولا بد أنه كيف مزاجه تكييفا خاصا .

وكان خلفاء بنى أمية يقدمون حمادا ويؤثرونه ، وكثيرا ما كانوا يستحضرونه لينشدهم وليسألوه ، فكان يفد عليهم فيجزلون صلته . ويروى أنه كان منقطعا إلى يزيد بن عبد الملك فى خلافته ، فأسخط هذا هشاما أخا الخليفة وولى عهده ؛ فلما تولى هذا الخلافة خاف حماد على نفسه ، فلزم بيته سنة لا يبرحه ؛ ولكن هشاما لم يلبث أن استدعاه إلى دمشق ليسأله عن بيت من الشعر : من قاله ؟ فلما أجابه وأنشده أجازه وأحسن صلته . وهذه

---

(١) توفى سنة ٢٥٥ هـ

(٢) يبدو لتشارلز ليال فى مقدمته لترجمة المفضليات (هامش ص ١٣) أن ميسرة — وهو اسم عربى — قد أطلق على أبى حماد ، هرمز أو سابور ، حين ولائه .

القصة مذكورة فى معظم المراجع التى بين يدينا ؛ وهى مذكورة على سبيل المثال فى الأغانى (ج٥ ص ١٦٦-١٦٧)، وقد استغرق ذكرها جلَّ ما كتبه صاحب نزهة الألباء عن حماد (ص ٤٤ — ٥٠)، وذكرها السيوطى فى تحفة المجالس ونزهة المجالس (ص ٦٩ — ٧١ ط مطر السعادة). ولكن الأستاذ أرندنك Arendonk، كاتب مادة حماد الراوية فى الموسوعة الإسلامية، يشك فى صحة هذه القصة فهو يرى أنها لا يمكن أن تقع فى مثل هذا التاريخ، وأن سماتها تشبه سمات قصة تروى عن الوليد الثانى (يعنى الوليد بن يزيد) الذى كان خاصة يستمع إلى حماد كثيرا. ويشك أبو الفرج (ج ٥ ص ١٦٧) فى صحة جانب من هذه القصة، وهو أمر هشام الجاريتين المذكورتين فى القصة بسقى حماد الخمر؛ لأن هشاما — كما يقول أبو الفرج — لم يكن يشرب ولا يسقى أحدٌ بحضرته مُسكرا، وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه. كما أن ابن خلكان يشك فى جانب آخر من القصة، وهو أمر هشامٍ يوسف بن عمر الثقفى باستدعاء حماد؛ فهو يقول (ص ٢٤١): «وما يمكن أن تكون هذه الواقعة مع يوسف بن عمر الثقفى لأنه لم يكن واليا بالعراق فى التاريخ المذكور بل كان متوليه خالد بن عبد الله القسرى». وفى اعتراض ابن خلكان تفسير للشطر الأول من اعتراض أرندنك.

ويبدو لنا أن قصة حماد مع الوليد بن يزيد التى يشير إليها أرندنك فى الشطر الثانى من اعتراضه هى التى رواها أبو الفرج فى الأغانى (ج ٦ ص ١٢٨) حيث قال: «... قال (أى حماد): دخلت يوماً على الوليد، وكان آخر يوم لقيته فيه، فاستنشدنى، فأنشدته كل ضرب من شعر الجاهلية والإسلام، فما هشَّ لشىء منه، حتى أخذت فى السخف فأنشدته لعماد بن ذى كناتة مجتبذاً... فضحك حتى استاق، وطرب ودعا بالشراب، فشرب، وجعل يستعيدنى الأبيات، فأعيدها، حتى سكر، وأمر لى بجائزة، فعلمت أن أمره قد أدبر. ثم دخلت على أبى مُسلم، فاستنشدنى، فأنشدته قول الأخوة:

لنـا معاشر لم يبنوا لقومهم

فلما بلغت إلى قوله:

تُهدى الأمورُ بأهل الرشـد ما صلحت
وإن تولَّت فبـالأشرار تنقـاد

قال: أنا ذلك الذى تنقاد به النـاس، فأيقنت حينئذ أن أمره مقبل».

على أن هـذه القصة غير صحيحة فيما يبدو لنا. فإن أبا مسلم الخراسانى لم يبرز إلى الميدان السياسىّ إلا سنة ١٢٩ هـ، أى بعد وفاة الوليـد بن يزيد بثلاث سنين. وأغلب الظن أنها من وضع دُعاة العباسيين وضعوها تشهيراً بالوليد وإظهاراً لما كانت عليه دولة بنى أمية من انحلال وما كانت عليـه الدعوة العباسية من فتوّة. وهكذا يسقط الشطر الثانى من اعتراض أرندنك.

ومهما يكن من شىء، فقد كان حماد ذا حظوة لدى يزيد ابن عبد الملك، ثم لدى الوليد بن يزيد من بعـده. وتفسير هذه الحظوة يسير. فقد كان الخليفتان يحبان اللهو والمجون، وكانا يجدان فى حماد ما يوائم ذينك اللهو والمجون من شعر سافر ومذهب داعر.

على أنه لم يكن ذا حظوة لدى العباسيين. يظهر هذا مما يرويه أبو الفرج (ج ١٢ ص ١٠٢) إذ يقول: «... كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور، فطالت صحبته له من غير فائدة، فاجتمع يوماً مطيع وحماد عجرد ويحيى بن زياد، فتذاكروا أيام بنى أميـة وسعتها ونضرتها وكثرة ما أفادوا فيها وحسن ملكهم وطيب دارهم بالشام وما هم فيه ببغداد من القحط فى أيام المنصور وشدة الحر وخشونة العيش وشكوا الفقر فأكثروا ...»؛ ومما يرويه أبو الفرج (ج ٥ ص ١٦٩ — ١٧٠) والبغدادى (ص ١٣٠ — ١٣١) من أن جعفر بن أبى جعفر المنصور المعروف بابن الكردية كان يستخف مطيع بن إياس ويحبّه، وكان منقطعاً إليه، وله منه منزلة حسنة، فذكر مطيع حماداً وكان صديقه وكان مطرحا مجفواً فى أيامهم، فقال له: ائتنا به لنراه، فأتى مطيع حماداً فأعلمه بذلك وأمره بالمصير إليه ومعه، فقال له حماد: دعنى فإن دولتى كانت مع بنى أمية ومالى مع هؤلاء خير، فأبى مطيع إلا الذهاب به، فلما أتيا جعفر استنشد هذا حماداً فأنشده قصيدة جرير التى مطلعها:

بان الخليطُ برامتين فودَّعوا أوَ كلما اعتزموا لبيْن تجزعُ

فلما وصل إلى قول جرير:

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

أبدى جعفر نفوره من لفظ بوزع، وأمر غلمانه بصفع حماد

وجرّ رجله . ويقول أرندنك إنه «كان أحد الشعراء الذين خرجوا عن بغداد فى عهد المنصور فى طلب المعاش فذهب إلى الكوفة[(١)] ؛ ولكن يُقال إن المنصور استدعاه ثانية إلى بغداد من البصرة» .

ومن اليسير علينا أن نفسر إعراض العباسيين عن حماد ورفاقه . فقد كان العباسيون فى أول أمرهم يأخذون الحياة مأخذ الجد ، ويصطنعون الصرامة والقسوة ، ويعملون على تدعيم ملكهم الوليد . وما كان لمثل هؤلاء أن يُقبلوا على حماد ورفاقه ، وأن يسوغوا لهوهم ومجونهم . هذا إلى أن حماداً ورفاقه كانوا من المقربين إلى بنى أمية ، وما كان للعباسيين أن يقربوا من كان هواهم مع أعدائهم .

وقد اشتهر حماد بمجونه واستهتاره وفسقه وسكره . ونجد فى الأغانى (ج ٥ ص ١٦٩) قصة من قصص استهتاره ، كما نجد صورة من صور فسقه فى (ص ١٧٠) .

ويقول ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (ص ٣٠٢ المكتبة التجارية): «وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون : حماد عجرد ، وحماد الراوية ، وحماد بن الزبرقان النحوى ؛ وكانوا يتعاشرون ، ويتنادمون ، وكانوا يرمون بالزندقة كلهم[(٢)] ؛ وكان حماد بن الزبرقان عتب على حماد الراوية فى شىء فقال :

نعم الفتى لو كان يعرف قدرَه ... ويقيمُ وقت صلاته حمادُ
هدلت مشافره الدنانُ فأنفه ... مثل القدوم يسنُّها الحداد
وابيضّ من شُرب المدامة وجهُه
فبياضُه يوم الحساب سواد»

على أن نسبة هذه الأبيات إلى حماد بن الزبرقان فى هجاء حماد الراوية يحوطها الشك ؛ فأبو الفرج (ج ٥ ص ١٧١) ينسبها وثلاثة أبيات أخرى بعدها إلى أبى الغول الطهوى فى هجاء حماد ، والبغدادى (ص ١٣٢) ينسبها — مغيَّرة قليلا — إلى أبى الغول الطهوى أيضاً ، وابن خلكان (ج ١ ص ٢٩٥ ط مصر) ينسب البيتين الأول والأخير منها إلى بشار فى هجاء حماد عجرد وكانا يتهاجيان ، والمرتضى فى أماليه (ص ٩٢ ط صبيح) يذكر رواية تؤخذ منها أن أبا الغول النهشلى قال هذه الأبيات — مع اختلاف فى صدر البيت الثانى — وبيتاً رابعاً فى هجاء حماد عجرد .

ولما توفى حماد رثاه محمد بن كُناسة[(١)] بقوله :

أبعدْت من نومك الفرارَ فما ... جاوزت حتى انتهى بك القدرُ
لو كان يُنجى من الردى حذرٌ ... نجّاك مما أصابك الحذر
يرحمك الله من أخٍ يا أبا ... القاسم ما فى صفاته كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفنى ... العلم فيه ويدرس الأثر

وهذه الأبيات يذكرها ابن النديم (ص ٦٢) ، ويذكر ياقوت (ج ٤ ص ١٤٠ ط مرجليوث) وابن خلكان (ص ٢٤٢ ط باريس) الأبيات الثلاثة الأخيرة منها مغيّرة بعض التغيير .

(البحث بقية) **السيد يعقوب بكر**

(١) يرجع أرندنك فى هذا إلى الأغانى (ج ٢ ص ٩١) .

(٢) تجد هذا الشطر من الرواية فى ياقوت فى ترجمة حماد عجرد (ج ١٠ ص ٢٥٠ ط المأمون) ، وفى الأغانى (ج ٥ ص ١٦٦ و ج ١٣ ص ٧٣ .

(١) عالم وشاعر كوفى ، جمع أشعار قبيلته أسد ، وامتدت حياته من سنة ١٢٣ هـ إلى سنة ٢٠٧ هـ .

حول مذهب الشيخية :

بيان حقيقة وإيضاح شبهة

للشيخ عبد الله بن على الموسوى

قرأت فى الرسالة المباركة عدد (٦٣٣) ما حرره الدكتور جواد على بعنوان (الفلسفة الإسلامية المتأخرة) فرأيته ، وفقه الله وسدده ، قد خالف الحقيقة فيما نسبه إلى الشيخية ورئيسها المرحوم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى ، فتعجبت غاية العجب وقلت يا سبحان الله ؛ إن مثل الدكتور جواد على المعروف بالتتبع والصدق والأمانة كيف يكتب خلاف الحقيقة ويسىء إلى التاريخ ويشوه سمعته حتى أنى ظننت أنه ، سلمه الله ، لم يطلع على كتب الشيخ أحمد بن زين الدين ولا على كتب واحد من تلاميذه وأتباعه وما كتبه قد استقاه من عيون غير صافية . وها إنى أبين ما جاء فيما كتبه صواباً وخطأ .

أما قوله : إن الشيخية هم المنسوبون إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائى فهو حق ، لأن الشيخية هم الذين يقلدون الشيخ أحمد ويأخذون فروع دينهم عنه كما هى سيرة الشيعة الإثنى عشرية إلى يومنا هذا . وأما قوله : إن الشيخ أحمد تأثر بآراء الملاصدرا كثيراً فشرح بعض كتبه مثل كتاب العرشية والمشاعر ، وهو عيال على الملاصدرا فهو مخالف للحقيقة ، لأن الملاصدرا يقول بوحدة الوجود كمحيي الدين بن عربى ، والشيخ أحمد عقيدته التوحيد الخالص ، وقد رد على الملاصدرا فى شرحه كتابيه : العرشية والمشاعر ، لا أيده ، والشرحان مطبوعان وبإمكان كل منصف طالب الحقيقة النظر فيهما ليعرف حقيقة الأمر ؛ كما أن الشيخ أحمد فى كتابه شرح الزيارة زيّف آراء محيي الدين وعقيدته فى وحدة الوجود ، تجد ذلك فى (صحيفة ٢٢) من كتاب شرح الزيارة طبع سليمان خاقان . فالقول بأنه عيال على الملاصدرا بعيد عن الإنصاف جداً .

قوله : وبالنظر إلى ما كان يظهره من غلو فى بعض الآراء نفر الناس منه فالتمس الشيخ أحمد حامياً له ومعيناً ، وكان ذلك الحامى هو الأمير محمد على بن فتح على شاه إلى آخر عبارته

(اعلم) أن الشيخ أحمد لاغلو فى آرائه ، وكانت آراؤه مستقاة من كتاب الله سبحانه وسنة نبيه وأحاديث آل البيت الإثنى عشر ، وتلك المصادر لا غلو فيها .

نعم إن الشيخ أحمد لما كانت له درجة رفيعة فى العلم وكان ورعاً تقياً زاهداً عابداً لا همة له سوى إرشاد الناس وصلاحهم صارت له لدى الملوك والأمراء منزلة لا بأس بها ، فأحب السلطان فتح على شاه إقامته فى طهران لما زارها وألح عليه فامتنع الشيخ أحمد عليه امتناعاً شديداً ورجع إلى يزد بعد أن زار خراسان ، ثم بعد ذلك عزم السفر إلى زيارة أئمة العراق ، ولما وصل إلى أصفهان أوفد الأمير محمد على جماعة إلى أصفهان يستقبلونه وكان إذ ذاك فى كرمانشاه والياً ، ولما قارب الشيخ كرمانشاه خرج الأمير وحاشيته وجنده ورعاياه لاستقباله وقد طلب من الشيخ الإقامة فى كرمانشاه فوعده بالإقامة بعد رجوعه من العراق ، وبعد أن رجع أقام فى كرمانشاه يدرس العلوم الدينية ويوضح الشريعة المحمدية .

هذه قصة الأمير محمد على ميرزا ومن أراد الاطلاع عليها أو على غيرها فعليه بكتاب هداية الطالبين المطبوع فى إيران .

قوله : يروى عن الشيخية أن الإمام تجلى للسيد كاظم الرشتى فى ليلة من الليالى وكان عمره إذ ذاك إثنى عشر عاماً وأشار عليه بوجوب الذهاب إلى مدينة يزد والالتحاق بحاشية الشيخ أحمد ، ما أدرى من أين أخذ دكتورنا هذه الرواية وعلى من اعتمد فى نقلها ومتى كانت الشيخية تعتمد على أمثال هذه المزخرفات وإن كان ما يرويه الدكتور جواد على حقاً فليذكر الكتاب الذى فيه هذه الرواية .

قوله : ولما غادر الأحسائى إيران ثم ترك العتبات المقدسة فى العراق لأداء فريضة الحج توفى فى الحجاز ودفن فى المدينة فى جوار قبور الأئمة بالبقيع سنة ١٢٤٣ ، الصحيح أنه توفى سنة ١٢٤١ لا سنة ١٢٤٣ للهجرة .

قوله : وأصبح السيد كاظم الرشتى خليفة الأحسائى والنايب منابه . نعم إن الشيخية لما فقدوا الشيخ أحمد ورأوا السيد كاظم الرشتى عالماً فاضلا ورعاً تقياً صادقاً أميناً قلدوه وأخذوا الأحكام الفرعية عنه ، حتى أن الشيخ أحمد الأحسائى خلّف ولدين وهما :

الشيخ محمد تقي والشيخ علي وقد كانا عالمين فاضلين إلا أنهما رحمهما الله لما لم تكن درجتهما العلمية في نظر الشيخية كدرجة السيد كاظم الرشتي قلدوه وأعرضوا عن تقليدهما ، وكذلك لما توفى المرحوم السيد كاظم الرشتي خلف ولده المرحوم السيد أحمد وكان أيضاً عالماً فاضلا وله من المال ما لا بأس به ، إلا أن درجته العلمية لما لم تكن موازية لدرجة المرحوم الحاج محمد كريم خان قلدوا الحاج محمد كريم خان ، وذلك دليل تدينهم وعدم تأثرهم بالماديات وغيرها وذلك لا عيب عليهم فيه .

قوله : إلى أن توفى الرشتي بمرض أصابه ببغداد دون أن يتمكن من النص على تعيين شخص يكون خليفته من بعده وزعيم الشيخية الديني المطاع بالنص والتعيين .

يا سبحان الله ما أعظمها من فرية ما أدرى من أين اقترف الدكتور هذه التهمة التي اتهم بها الشيخية ، ومتى كانت الشيخية تعتقد بأن زعيمها الديني لا بد وأن يكون منصوصاً عليه من سابقه ؛ وفي أي كتاب من كتبهم اعتقدوا ذلك ، ولذلك فليحسن الدكتور إلى التاريخ وليوقفنا عليه من كتب الشيخية أنفسهم لا من أقوال المفترين نكن لسعادته شاكرين .

نعم عقيدة الشيخية في التقليد هي عقيدة المجتهدين من الشيعة الإثنى عشرية فكل من رأوه فقيهاً عالماً عاملا تقياً نقياً قلدوه وأخذوا أحكام دينهم عنه ، وذلك ما نص عليه الإمام جعفر من آل البيت بقوله : أما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه ، ولا أمنع أنهم يختارون تقليد الأعلم .

قوله : فانصرفت جماعة منهم إلى الميرزا على محمد الشيرازي إلى أن قال والبابية عيال على الشيخية في آرائها وأفكارها المغالية ولا سيما في نظرتها إلى الإمام المهدي وعلاقة الإمامة بالإنسان ؛ أظن أن الدكتور لم يطلع على كتب البابية وآرائها كما أنه لم يطلع على كتب الشيخية وعقائدها ، ولو اطلع على الكتبين والعقيدتين لما افترى على الشيخية ولما ألحق البابية بالشيخية ، فإن ميرزا على محمد الشيرازي ادعى البابية للامام مرة ، وادعى أنه المهدي الذي يخرج بالسيف تارة ، ومرة ادعى أنه يوحى إليه وقد أنزل عليه بزعمه كتاب كالقرآن نعوذ بالله ، وتارة ادعى الألوهية ،

ولولا الإطالة لسطرت من مزخرفاته التي أنزلت عليه في قرآنه بزعمه الذي سماه الذكر والبيان ما يهتدي به الطالبون ، وأن ميرزا على محمد أنكر شريعة سيد المرسلين وأسقط عن أتباعه الصلاة والصيام والحج والزكاة كما في قرآنه المزخرف وغيره من رسائله ، وأول من زيف مزخرفاته ورد عليه وكفره بها هو زعيم الشيخية وعالمها المرحوم الحاج محمد كريم خان ، وقد كتب في ذلك رسائل عربية وفارسية ، وقد كان الميرزا على محمد في قرآنه المزخرف يحرم على أتباعه النظر في كتب الشيخ أحمد والسيد كاظم وينهاهم عن مطالعتها ، منها قوله في أول سورة من مزخرفه : « من اليوم الذي قرئ عليكم كتاب ربكم كتاب البيان حرمنا عليكم يا حروف كلمة البيان ومظاهر النقطة السارة في هويات الظهور إلى تفسير الزيارة وشرح الخطبة وكل ما كتب الأحمد بيمينه والكاظم بيمناه كما حرمنا على الذين من قبلكم النظر إلى عورات أمهاتكم وأن هذا من فضلنا عليكم وعلى الناس لعلهم يحذرون »

فهل يا ترى من الإنصاف لمتدين يدعي الإنصاف أن يتهم الشيخية بفكرة البابية ويجعل البابية عيالا عليهم ، وما أدرى ما يجيب إذا سأله الله سبحانه يوم فصل القضاء عن ذلك فليستعد للجواب . وأما قوله : ولا سيما في نظرتها إلى الإمام المهدي ، فاعلم أن الشيخية لا عقيدة لهم في المهدي كعقيدة البابية ، بل عقيدتهم في الأئمة الإثنى عشر عقيدة الشيعة الإثنى عشر وهم : على بن أبي طالب وولداه الحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على الباقر وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلى بن موسى الرضا ومحمد بن على الجواد وعلى بن محمد الهادي والحسن بن على العسكري ومحمد بن الحسن المهدي فلا يغيرون ولا يبدلون ؛ فالشيخية إن اعتقدوا أنهم يزاد عليهم فيكونون ثلاثة عشر أو ينقص منهم فيكونون أحد عشر ، وكذلك إن اعتقدوا بأن المهدي ليس هو محمد بن الحسن وإنما هو نوعي فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وإن افترى عليهم أحد بذلك فلعن الله من افترى ، وقد جاءت الرواية عن الرسول (ص) من طريق الشيعة وطريق إخواننا السنية بعددهم وأسمائهم وأسماء آبائهم في مائة وخمسة وستين حديثاً وقد رواها التوبلي في كتابه (غاية المرام) ، وإن كان ما يقوله

الدكتورحقاً فليوقفنا عليه من كتب الشيخية لا من كتب غيرهم فإن المرء يؤخذ بمنطقه .

قوله : ومن أقوال الإحسائى فى الحشر والمعاد إن هذا البدن المحسوس المركب من العناصر الأربعة يفنى ويزول ولا يعود . الشيخية يعتقدون بالمعاد الجسمانى وأن الجسم الذى عمل فى الدنيا خيراً أو شراً هو الذى يعود فى الآخرة ؛ إلا أن المسألة مسألة علمية وقد شرحها مشايخنا ولا سيما المرحوم الحاج زين العابدين خان الكرمانى فى كتابه إيضاح الاشتباه وهو موجود ومطبوع فى العراق وإيران .

قوله : وقد أنكر معراج النبي بالبدن العنصرى البشرى . الشيخية يعتقدون بمعراج النبي (ص) بروحه وجسمه كما أوضحه صاحب إيضاح الاشتباه الذى أشرت إليه .

قوله : وينسب إليه الغلو فى الأئمة حتى أنه أشركهم مع الله فى الخلق وفى القدرة وفى مسائل أخرى هى من صفات الألوهية والربوبية ، هذه فرية أخرى .

قال الشيخ أحمد فى كتابه حياة النفس الذى صنفه فى العقائد صحيفة (٤) اعلم أنه واحد فى أربعة مراتب لا شريك له فيها (الأولى) لا شريك له فى ذاته . قال الله سبحانه وتعالى لا تتخذوا آلهين اثنين إنما هو إله واحد (والثانية) لا شريك له فى صفاته قال الله تعــالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) . (والثالثة) لا شريك له فى صنعه ، هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه (والرابعة) لا شريك له فى عبادته فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحــداً . هذا مذهبه وهذه عقيدته ولا يضره كفر من كفره إن صح ما قاله الدكتور فإن من كفر مسلماً فقــد كفر . (قوله) أما المذهب الشيخى فلم يظهر فى وسطه زعيم قوى بعد وفاة خليفــة الإحسائى يستطيع الاستمرار على دعاية ذلك المذهب على الرغم من الجهود التى بذلها بعض علمائهم من أمثال الحاج محمد خليل خان الكرمانى والملا محمد الماقانى .

بينت فيما سبق أن الشيخية لا مذهب لهم غير مذهب الشيعة الأثنى عشرية ، ومن نسب لهم غير ذلك فقد بهتهم وافترى عليهم وظلمهم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وأما علماؤها فقد ملأوا الأصقاع والبقاع بتصانيفهم ومؤلفاتهم فى أغلب العلوم والفنون حتى أنها من زمان الشيخ أحمد الأحسائى إلى الآن تزيد على ألف مصنف ومؤلف . (قوله) ومع ذلك فلا زالت هنالك جماعة صغيرة مشتتة بين العراق وإيران وسواحل الخليج تنتمى إلى مذهب الأحسائى ولكنها لا تتظاهر بذلك ولا تجهر به

هذه النبذة الأخيرة التى سجلها الدكتور يقصد بها الازراء على الشيخية والطعن عليهم فى أنهم جماعة صغيرة فأراد أن يطعن عليهم بقلتهم مع أن المناط هو الحق فلا تجدى الكثرة نفعاً إن كان أصحابها مبطلين ، كما أن القلة ليست بضائرة إن كان معتنقوها محقين . وقد مدح الله سبحانه القلة فى مواضع كثيرة من كتابه كقوله : (قليل من عبادى الشكور) وكقوله : (وما آمن معه إلا قليل) .

(وأما قوله) سلمه الله : لا تتظاهر بذلك ولا تجهر به بينت مكرراً أن دين الشيخية دين المسلمين الذى أنزله الله سبحانه فى كتابه المبين وبينه خاتم الأنبياء والمرسلين والبلاد والحمد لله بلاد مسلمة لا بلاد كافرة ، والعدالة سائدة فيها ، فعلام لا تجهر به فتلك مساجد الشيخية والحمد لله فى جميع أنحاء العراق وفى جميع بلاد إيران وفى الإحساء والبحرين والكويت وغيرها من بلاد المسلمين معمورة بالأذان والعبادات ؛ والشيخية معروفة بالمحافظة على الصلوات وأداء الفرائض فى أوقاتها والصدق والأمانة وإن خفى ذلك على الدكتور فلا يخفى على غيره من المنصفين . وأنا أعلم أن ما كتبته الآن لا يجدى نفعاً لأن المسألة لم تكن مبنية على الإنصاف :

وقد حكى أن رجلا دخل على الإمام جعفر الصادق فقال له الصادق من أنت قال : أنا رجل أحضر عند العلماء . قال له : أى شىء عندك من الأخبار ؟ قال : أخبرنى سفيان الثورى أن جعفر ابن محمد الصادق يقول : إن الله قاعد على العرش ففضل منه من كل جانب من العرش أربعة أصابع . فقال له الإمام : أخبرنى بغير هذا مما عندك فذكر له من هذا القبيل أموراً كثيرة وكلها ينسبها إلى

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

– ٤ –

وكان فى نورمبرغ سجن يتناقل الناس أشد الأخبار هولا عما كان المسجونون يسامون فيه من البلاء ، وكان يعرف بالسجن الأحمر . وكانوا يقلمون أظافير السجناء ، ويفقأون عيونهم ، ويضغطون على عظامهم بآلات حديدية فتسحق وتهرس . أو يدفعونهم ليناموا فى أسرة ذات مسامير محماة ، تنخزهم وخزاً مؤلماً فتسيل دماؤهم . وكان فى السجن نفسه كساء حديدى يُدخل فيه المسجون فيطبق عليه . وكان له من داخله مسامير حادة تنفذ فى الجسم ، فيقاسى الرجل أنواع الألم حتى يموت .

وكان فى مدينة لاهاى سجن يسمى « جيفا نجن بورث » كان المسجونون فيه يُصابون بالجنون قبل أن يموتوا لشدة ما كانوا يعانون من العذاب كالكىّ بالحديد وقطع الأعناق بحز الرؤوس حزاً بطيئاً.

وفى مدينة هاليفكس كانوا يأتون بالمسجون وهو موثق اليدين والقدمين فتوضع عنقه تحت آلة قاطعة مدلاة مربوطة إلى السقف بحبل ، إذا انقطع سقطت الآلة الحادة على عنق الرجل فمات[١] .

وفى سجن ثمة سان ميشيل فى فرنسا كان السجناء يُدفعون إلى كهوف فى بطن الأرض فيها الأفاعى وضروب الحشرات وقد ملئت بالماء الراكد القذر فيموت المسجون موتاً بطيئاً ، وربما ضُرِب أو عذب حتى يموت[٢] .

اللهو

على أننا نرى من تمام البحث ، وقد أوردنا طَرَفاً من ألوان التعذيب أن نسوق طَرَفاً من اللهو الذى كان يتمتع به بعض المسجونين فى بعض السجون . حدّث أبو على بن مقلة قال « من ظريف ما اتفق لى فى نكبتى التى أدتنى من الوزارة ، أنى أصبحت وأنا محبوس مقيّد فى حجرة من دار ياقوت أمير فارس . وقد لحقنى من الأياس من الفرج وضيق الصدر ما أقنطنى وكاد يغلب على عقلى . وكنت أنا وفلان محبوسين مقيدين فى بيت واحد ، إلا أنا على سبيل ترفيه وإكرام . فدخل علينا كاتب لياقوت كان كثيراً ما يجيئنا برسالته ، فقال الأمير يقرأ عليكما السلام ، ويتعرّف أخباركما ويعرف عليكما قضاء أى حاجة لكما . فقلت : تقرأ على الأمير السلام وتقول له ضاق والله صدرى ، واشتهيت أن أشرب على غناء طيب . (قال) والمحبوس معى يخاصمُنى ويقول: يا هذا ، والله ما فى قلوبنا فضل لهذا . ثم مضى وعاد يقول : الأمير يقول حباً وكرامة لك ، أى وقت شئت ! قلت : الساعة ، فلم يمض إلا ساعة حتى جاءوا بالطعام والمشام والفاكهة والنبيذ . وصفف المجلس ، فجلست والمحبوس معى مقيّداً ، وقلت له تعال حتى نشرب ونتفاءل بأول صوت يغنى به لنا فى هذه الساعة . وجاءت المغنية ، وغنتنا غناء طيباً ، فقطعنا يومنا بين لهو وشراب وغناء ...[٣] » .

(١) انظر مقالة عن السجون فى العصور الوسطى فى الهلال ج ٩ ، لسنة ٣٩ ، آب سنة ٩٣١ ص ١٠٦٨ — ١٤٧٢ .

(٢) انظر كتاب : Funk Brextano: Les Prisons d' Antrefcis وخصوصاً وصف سجن châtelet حيث يوضع السجناء بين السراطين والجرذان ، والروائح الكريهة والحشرات ص ٩١ وانظر صفة أقفاص الحديد ص ٢٦ ، والتعذيب ٣٠ و ٣١ .

(٣) الفرج بعد الشدة ١ — ٤٨ .

الإمام جعفر فقال له الإمام جعفر لما سمع منه كثيرا من الأكاذيب عليه يا هذا هل تعرف جعفراً إذا رأيته قال لا. فقال الإمام جعفر إذا أخبرك جعفر وقال لك إنى ما قلت كذا وأنا برىء من هذه الأكاذيب ما كنت تقول فى حق جعفر بن محمد ؟ قال أنكر عليه ولا أقبل منه وأقول له إن الذى أخبرنى أعدل منك ، فقضيتنا مثل هذه القضية وليس لنا إلا أن نفوض أمرنا إلى الله سبحانه ونتوكل عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

(البصرة) عبد الله بن على الموسوى

وحدّث أحمد بن المدبر أنه « لما أمر محمد بن عبد الملك بحبسي ، أدخلت محبساً فيه أحمد بن إسرائيل وسليمان بن وهب . فجعلت في بيت ثالث . وكنا نتحدث ونأكل جميعاً وربما أدخل إلينا النبيذ فنشرب ونلهو »[١] .

مدة السجن

ولم يكن للسجن مدة خاصة ، ولم يكن لكل جرم عقوبة ذات أجل معروف . فقد حبس إسحق بن خلف القاتل حتى مات[٢] . وهذا ما يشبه السجن مدى الحياة في أيامنا . وسجن يعقوب بن داوود خمسة عشر عاماً[٣] . وحبس رجل في كساء بدرهمين سنتين[٤] ، وسجن أبو نواس ثلاثة أشهر[٥] ، وأبو دلامة ليلة واحدة[٦] ، وحبس الرشيدُ زلزلاً المغنى لوجد عليه عشر سنين[٧] ، وسُجن القاهر إحدى عشرة سنة[٨] ، في حين سجن المتقي في جزيرة بمقابلة السندية خمساً وعشرين سنة[٩] . وهذا ما يشبه السجن مع الإبعاد في هذه الأيام .

فأنت ترى أن ليس للسجن أجل محدود وإنما كان الخروج منه منحصراً في سبل خمسة سنذكرها فيما يلي .

الخروج من السجن

أما هذه السبل فهي : (ا) الفرار ، (ب) كسر السجن ، (جـ) موت الخليفة ، (د) العفو ، (هـ) حيلة يُحتال بها .

ا — **الفرار :**

أما الفرار فحوادثه كثيرة نسوق إليك منها مثالا . حدّث محمد بن القاسم وكان المتوكل قد قبض عليه وسجنه في سجن منفرد قال : كنت أدبر أمري في التخلص منذ حبست . وكان في البيت الذي حبست فيه خلاء إلى الغرفة التي فوقه وخلاء في الغرفة إلى سطحها . وكنت قد أدخلتُ معي منذ حبست لبداً .

(١) الفرج بعد الشدة ١ — ١٤٩ .
(٢) طبقات ابن المعتز ص ١٢٨ .
(٣) الفرج بعد الشدة جـ ١ صـ ١٤١ .
(٤) تاريخ بغداد لطيفور صـ ٢٥ .
(٥) الملح والنوادر للحصرى صـ ١٣٤
(٦) ثمار القلوب للثعالبي صـ ٢٠ .
(٧) الأغاني جـ ٥ صـ ٢٢ .
(٨) المنتظم جـ ٦ صـ ٢٦٥ .
(٩) المنتظم جـ ٦ صـ ٢٦٥ .

فكان وطائي وفراشي . وكنت أرى « بفرش » وهي قرية من قرى خراسان حبالا تُعمل فيها من لبود ، كما يفعل بالسيور ، فتجيء أحكم شيء . فسوّلت لي نفسي أن أعمل من اللبد التي تحتي حبلاً . وكان على باب البيت قوم وُكلوا بي يحفظونني لا يدخل عليّ منهم أحد ؛ وإنما يكلمونني من خلف الباب ، ويناولونني من تحته ما أتقوّمه ، فقلت لهم إن أظفاري قد طالت جداً ، وقد أصبحت إلى مقراض . فجاءني رجل بمقراض وقلتُ لهم إن في هذا البيت فيراناً يؤذونني ويقذرونني إذا قربوا مني ، فاقطعوا لي جريدة من النخل تكون عندي أطردهم بها ، فقطعوا لي جريدة من بعض نخل البستان ، ورموا بها إليّ . فأخذتُ أضربُ بها في البيت وأسمعهم صوتها أياماً. ثم قشرتُ الخوص عنها ، وقطعتها على مقدار ما علمتُ أنها تعترض في ذلك الخلاء إذا رميتُ بها . فضممتُ كل ما قطعته منها بعضه إلى بعض ، وقطعت اللبد ، وضفرت منه حبلاً على ما كنت أرى يُعمل بفرش ثم شددتُ ما قطعته من الجريدة في رأس الحبل ، ثم رميت به في الكوّة ، وعالجته مراراً حتى اعترض فيها . ثم اعتمدت عليها ، وتسلقتُ إلى الغرفة ، ومن الغرفة إلى سطحها ، وفعلت ذلك أياماً ، وشددت القيد مع ساقيّ . فلما كان ليلة العيد ، وقد شغل الناس وانصرف من كان على الباب صعدتُ بين المغرب والعشاء إلى الغرفة ، ومن الغرفة إلى سطحها ، ثم تدليت بالحبل إلى بستان مجاور فغررت ... »[١] .

صلاح الدين المنجد

(١) الفرج بعد الشدة جـ ١ — ١٢٠ ، وانظر بقية الخبر هناك .

في الريف

غصون الصفصاف

للأستاذ إدوار حنا سعد

هدالك فاتن الورقات غضٌّ   يرف نضارة ويميس لينا(١)
تدنى للمياه كأن ثغراً   يقبل أويهم بأن بينا(٢)
فقولى ، إن بى شجناً شبيهاً   بأى هوى قديم تهمسينا
وما ألقى إليك الماء سمعاً   يبادلك الحنان ولا جفونا
تتابع غير مكترث وولى   وجفنك مظهر ألماً دفينا
إذا وهب الندى أجراه دمعاً   شجياً فى تسلسله سخيناً
فإن هبّ النسيمُ معطرات   غلائله يمسن ويزدهينا
ومسّكِ لهفةً وحنا غراماً   وأن بكل ناحيــةٍ أنينا
ورقرق فى غدائرك النشاوى   مع الهمسات عطر الياسمينا
رعشت لمسه ولويت عطفاً   وعدت إلى هبيرك تهمسينا
فواها للحيــاة تُعَــذِّبينا   بحب خائب وتُعــذِّبينا
وما أشقى المحبين الحيــارى   إذا نكبوا بحب المعرضينا

***

وقفت إلى جوارك نضوَ همٍ   غريب الدار أبكى الغائبينا
ترفرف ثَمَّ أطيار حيارى   ملأن الجو ترجيعاً حزينا
نطالعنى الزوارق سابحات   قبيــل الأفق تملأه فتونا
يرف بكل سابحــة شراع   رفيق الخفق يستهوى العيونا
كأن السابحات إذا تلاقت   حمائمُ قد هبطن ليستقينا
فإن لعبت بها النسمات حيناً   وشتت شملها التيار حينا
تمثل لى شيوخٌ (فى مسوح   طوال الردن بيض) راكعينا
وقد رفعوا أكفهم دعاء   وقد غضوا النواظر خاشعينا

***

أبنتَ الماء ما أوفى بناتٍ   بصفته ، وما أوفى البنينا
علوتِ وما شمخت عليه كبرا   فعدت إليه تقضين الديونا
حنوت على وسادته مسجى   وحيداً لا مهدهدَ أو معينا
لمست جبينه الساجى فأصغى   وأشرق وجنةً ورنا عيونا
فهل يرعى حقوق أب نبات   وينساهن بعض العاقلينا
إذا بلغوا رجولتهم وشبوا   تغاضوا عن حقوق الوالدينا

(١) الهدال : — ما تهدل من الأغصان ، يقال أردية ذوات هدال .

(٢) تدنى : — أى دنا قليلا قليلا .

غرام . . .

(أحبك حبين : حب الهوى)   وحبــاً لأنك لم تخضعين
تزيدين سحراً بطول الدلال   كما تعــايا على الظامئين
غزوتُ القلوبَ فمــا قاومت   ولكن قلبك حصن حصين
أهاجمــــه فى صيــال ملح   وأحميــه من كل واش ظنين
وإنى القنيص الذى تعرفين   وإنى المحب الذى تجهلين(١)
عفيف الحلال وإن شمتنى   عنيف النضــال كنسر طعين
جمال الرجولة أن تستبدَّ   وسحرُ الأنوثة أن تستكين
وما هــو ظن ولكنه   يقين الجدود وإرث القرون

***

تجــاريب آدم فى خاطرى   فيــا بنت حواء من تخدعين ؟
لبست الدلالَ ولاقيتنى   لكى تستزيدى غُرامَ الحنين
فتمشى إلى الحب مأسورة   يشــور هــواك ويعنو الجبين
وما أعذبَ القنص بعد الصيال   وأحلى اللقــا بعد صبر السنين

***

غرامى طوفان شــوق عنيفٍ   فلا تسخرى فتظنى الظنــون
طحت بابن نوحٍ وأودت به   شكوكٌ تمشت بنــور اليقين
وقال سآوى إلى قمةٍ   فضلَّ وكان من المغرقين
فإن أكُ داء فإنى الدواء   وإن أكُ ماء فإنى السفين
وإلا فمــا لك من عاصمٍ   ولا مهربٍ من سمائى الهتون

(الاسكندرية)   إدوار حنا سعد

(١) القنيص هنا بمعنى الصائد .



بين ابن الزبير وتوفيق الحكيم :

قرأت فى كتاب « محمد » للأستاذ توفيق الحكيم فى صفحة ٢٥١ قوله :

« يحمى وطيس القتال ويثخن المسلمون أعداءهم قتلا وأسراً وسلباً . ويستلب عبد الله بن الزبير أدراع أحد القتلى ويأسر أمية ابن خلف وابنه » .

عبد الله بن الزبير (رافعاً سيفه) .

هذا أنت يا أمية بن خلف ! . . . الخ .

فعجبت وحق لى أن أعجب فإنى لأعلم أن عبد الله بن الزبير كان ابن سنة واحدة يوم غزوة بدر ، فكيف استطاع الأستاذ أن يجعل من ابن السنة مارداً يرفع السيف ، ويستلب الأدراع ، ويأسر الرجال ؟

إن الذى أسر أمية بن خلف هو عبد الرحمن بن عوف ، وكان صديقاً حميما له فى مكة قبل الإسلام ، وما شهدت مكة عبد الله بن الزبير بعد .

فأخذت أحقق هذه الواقعة ، فلم أجد مؤرخا واحداً ، ولا مرجعاً واحداً قد ذكر ما ذكره الأستاذ فأسفت فقد كنت أود أن أجد للأستاذ مخرجا ، وهاك ما أورده الطبرى فى حادثة أسر أمية بن خلف :

« ... عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أمية بن خلف لى صديقاً بمكة ، وكان اسمى عبد عمرو فسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة ، فكان يلقانى ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك ، فأقول : نعم . فيقول فإنى لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال فكان إذا دعانى يا عبد عمرو لم أجبه فقلت اجعل بينى وبينك يا أبا على ما شئت قال : فأنت عبد الإله . قلت : نعم فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله فأجيبه ، فأتحدث معه حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على بن أمية آخذاً بيده ومعى أدراع قد استلبتها ، فأنا أحملها فلما رآنى قال : يا عبد عمرو ، فلم أجب فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فىّ فأنا خير لك من هذه الأدرع التى معك ، قال قلت : نعم هلم إذاً ، قال : فطرحت الأدرع من يدى وأخذت بيده وبد ابنه على وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط، أمالكم حاجة فى اللبن . قال ثم خرجت أمشى بهما » .

من هذا يتضح أن عبد الله بن الزبير قد ولد فى السنة الأولى وأن غزوة بدر قد وقعت فى السنة الثانية ، وأن عبد الرحمن بن عوف هو الذى أسر أمية بن خلف . لذلك لزم التنبيه حتى إذا ما فكر الأستاذ فى إعادة طبع كتابه القيم ، عمل على إعادة ابن الزبير إلى مهده ، واستل منه سيفه الذى رفعه قبل أوانه .

عبد الحميد جودة السحار

خطأ تاريخى فى كتاب (على ضفاف دجلة والفرات) :

قرأت فى كتاب (على ضفاف دجلة والفرات) لمؤلفه الأستاذ طاهر الطناحى قوله :

« وكانت الشيعة قد بايعت محمد بن على بن الحسين المعروف بابن الحنفية على طلب الخلافة بعد تنازل الحسن بن على عنها لمعاوية ابن أبى سفيان سنة ٤١ هجرية »[1] .

فوجدت فيه خطأين تاريخيين هما :

(١) إن محمداً المعروف بابن الحنفية لم يكن ابن على بن الحسين . بل هو ابن على بن أبى طالب « ع » نفسا وأخو الحسين بن على بن أبى طالب لأبيه .

(٢) لم تكن الشيعة قد بايعته ألبتة فى زمن الحسن بن على بعد تنازله عن الخلافة بل بايعت أخاه الحسين بعد وفاته وإذا نزلنا على قول المؤلف فعلى بن الحسين لم نعهد له ولداً فى ذلك الوقت بل لم يكن متزوجاً وإنما كان عمره لا يتجاوز الثلاث سنوات .

(الكويت) **عبد الصمد زكى الجعفرى**

(١) صفحة ١٥ .

توقيع عبد الله بن طاهر

في العدد ٦٤٠ من مجلة «الرسالة» الغراء لخاتمة المحققين، وأديب العربية — غير مدافع — في فلسطين، وأحد أفذاذها في العالم العربي الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبي أمد الله في عمره ونفعنا به، ما يلي:

قال الزمخشري في شرح مقاماته: «ومن توقيعات عبد الله ابن طاهر فيما سمعته من أبي غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك، فاخش فاحش فعلك، فلعلك بهذا تهدأ.

أقول: يغلب على الظن أن هذه (الرسالة) من وضع علماء البديع، فهم يقدمونها مثلا للجناس المصحف الذي تماثل ركناه وضعاً واختلفا نقطاً بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميز من الآخر، وفي اختلاف نسبتها إلى واضعها دليل على هذا، والراجح أن واضعها ذهب في وصفها إلى ذكر ستة جناسات مصحفات لا أربعة، وكتابتها على هذا تكون على الوجه التالي

(غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك، فعلك بهذا تهدأ) مستبدلا بكلمة (فلعلك): (فعلك) وبكلمة (تهدأ) كلمة (تهدا) دون همز، تحقيقاً لما ذهب إليه واضعها من الجناس المصحف

وفي كلمة الأستاذ الجليل نفسها تحقيق في (حركة) (الشغب) قال: «والفتح لغة وليس بخطأ كما قال الحريري في (الدرة)، وليس هو من كلام العامة كما ذكر ابن الأثير في (النهاية)».

أقول: شيخ أدباء القدس اليوم من أعظم أساطين اللغة والأدب تعلقاً بشيخ المعرة وفيلسوفها في الأمس، وهو من أكثرهم ارتياحاً لآرائه وأبحاثه وتحقيقاته، وأنا — على هذا — مورد ما ذكره فيلسوف المعرة في (الشغب) هذا

جاء في كتاب «عبث الوليد» — وهو ما علقه أبو العلاء على ديوان الشاعر المطبوع أبي عبادة البحتري — في أثناء تعليقه على قصيدته التي مدح بها أبا عيسى بن صاعد، والتي مطلعها:

كيف به والزمان يهرب به ... ماضي شباب أغذذت في طلبه

والتي منها:

إحاطة بالصواب تومن من ... لجاجه في المجال أو شغبه

قال رحمه الله:

«الاختيار عند أصحاب النقل الشغب بسكون الغين كما قال: لقمقمة المفتاح في رائد الضحى

أحب إليكم من طمان ذوي الشَّغَبِ

وقد جاء شغب في بعض الكلام، وقد شهر القول في أن الثلاثي، إذا كان أوسطه حرفاً من حروف الحلق الستة أجاز الكوفيون فيه التحريك والإسكان»

قلت: وابن جني يرى في خصائصه هذا ولا يستثني

ولما كان (الشغب) من خصائص (الشعب) وتصحيفه حار في أمره العلماء وأرباب الفكر، فرأوا أن (التسكين) ألزم من (الحركة) في هذا المعنى، حتى ولو كان فيه استثقال في اللفظ والمبنى — والفتحة أخف الحركات — ولم يحركه إلا أهل الكوفة وليس بينهم في الشعب مِلْتَبْ، وجلهم على السياسة والدولة شَغَبٌ قبل أن يكون على اللغة والنحو شغّابا، فقد خذلوا علياً (كرم الله وجهه) وغرروا بأبنائه من بعده قبل أن يودوا بواضع (الكتاب) سيبويه

(فلسطين) **رامز فاهرة**

أستاذ الأدب العربي في مدرسة غزة الثانوية



« عبث لطيف »

مسرحية فى فصل واحد

للقصصى نويل كوارد

للأستاذ أحمد فتحى عبد التواب

« ترفع الستار والمسرح مظلم . وتسمع أصوات ، ثم يدخل شاب تتبعه فتاة . يضيء الشاب الأنوار فيظهر كرسي ومائدة وأريكة ومكتبة بها كتب ودولاب وغير ذلك ... ثم بقايا نار متأججة فى المدفأة » .

هو : ألا تتفضلين بالجلوس ؟

هى : نعم أشكرك . (تدنو متباطئة ثم تجلس على الأريكة وتخلع معطفها)

— (بعد لحظة صمت) : حقا إن الجو قارس للغاية .

— (بجهد) : أليس كذلك ؟ إن الإنسان يحس الخريف فى الهواء .

— نعم ، هكذا يشعر الإنسان . (لحظة انتظار أخرى)

— (بازدراء) : إننى أحب لندن فى الخريف .

— (بنفس الازدراء) : وأنا أيضا .

— إنها تكون غاية فى الكآبة .

— نعم ، نعم ، غاية فى الكآبة ـ هكذا تكون .

— كم الساعة الآن .

— (ناظرا إلى ساعته) : الثانية عشرة ونصف .

— الوقت متأخر ، أليس كذلك ؟

— متأخر جدا .

— ما أجمل هذه الغرفة ! !

— نعم ، أعنى ، هل ترينها كذلك ؟

— أوه ، نعم ، إنها جميلة وفى غاية الأناقة والترتيب .

— إن ذلك ليسرنى .

— (تقف) : وكتب أيضا ! ! أتقرأ كثيراً ؟

— بين الفينة والفينة ، أعنى ـ أحيانا .

— (تقترب من المكتبة) كتب جميلة ، ولا سيما ذلك الكتاب

— أى كتاب تعنينه ؟

— ذاك : ستريندبرج (Strindberg) .

— أوه ، ستريندبرج ، إنه خامد العزيمة متشائم ، أليس كذلك ؟

— نعم ، ولكن الحياة ـ الحياة الحقيقية دائما ـ ليست عاطفة مزيفة و ... و ... ونفاق .

— أوه ، لا لا . وفى الحقيقة إننى لم أقرأ له كثيرا . وهذا المسكين ليس لى فى الواقع وإنما استعرته فقط .

— هذا ما يبدو لى (تجلس ثانية) .

— لم يمض على إقامتى فى هذا المسكن طويل وقت .

— إنه فى وسط المدينة .

— نعم ، هو كذلك (بعد سكوت قليل) ألا تشربين شيئا ؟

— (بسرعة) : أوه ، لا ، أشكرك (تصلح من شأنها) إنه ... عسى ... (بتصميم) نعم ، أشرب .

— أخشى ألا يوجد غير الوسكي والصودا . (يتوجه نحو المائدة)

— (بلا تكلف) : وسكي وصودا ! !

— نعم ، ألا توافقين ؟

— نعم ، بكل تأكيد .

— متى شربتيه من قبل ؟

— (بسرعة) : لم أشربه كثيرا ... قليلا جدا ... الآن ... فى ذلك الكفاية .

— (مقدما إليها الكأس عديم اللون تقريبا) : إنه ضعيف للغاية

— (مغمضة عينيها ورادة له الكأس) إذن . زده قليلا من الوسكي .

— (مأخوذاً بحدتها الفاجئة) أوه ، حسن جدا ، لك ما تريدين

— (تتناول الكأس) شكراً لك ... (ترتشف المشروب) أوه ، يا عزيزى ! !

— ما هذا ؟

— لا شيء .

(ولا يلحظ رجفة الامتعاض حينما تشرب الوسكي)

— (يجلس بجوارها على الأريكة) : لقد كان مضحكا أن أقابلك هكذا .

— (بضحكة عصبية) : نعم ، أليس كذلك ؟

— أقسم إننى رأيتك قبل ذلك فى مكان ما .

— لست موافقة لك على هذا .

— من الحماقة أن تفعلى . اسمعى ، إننى ...

— (قافزة صوب الباب) ماذا ؟

— أوه ، لاشىء .

— (بعد صمت قصير) : يسرنى ألا تنسى ذلك .

— نعم .

— (غاضة بصرها) أوه ، لاشىء .

— (بغتة) : لا فائدة ، لا يمكننى ...

— لا يمكنك ما ذا ؟

— لا يمكننى أن أذهب معك أكثر من هـذا (بحدة) اسمعى ، لا يهمنى ما تظنينه بى ، لاشك أنك تضحكين منى طول الوقت ... ولـكن هذا لايعنينى... أعنى ... اسمعى ... ألا ترحلين !

— (ويدها فوق جبهتها) ، أتعنى ؟ ... أوه ، ياعزيزى (تسقط بين ذراعيه مغشيا عليها) .

— يا إلهى (يروحها) إنه مخيف ... مخيف ! ! تنبهى ، بحق السماء ... أوه ، إنه مرعب ! (يسندها بوسادة) .

— (تفتح عينيها) أوه ، ماذا صنعت ؟

— أغمى عليك .

— (تنفجر باكية) : أوه مخيف ... مرعب ... !

(تعتدل على حافة الأريكة وتدفن رأسها بين ذراعيها) .

— أريد أن أقول ، لم كل هذا ؟ ما قصدت أن أكون نظناً ... أقولها مخلصا ...

— (متنهد) : باللعار ... باللعار ...

— اشربى هذا (يقدم لها كأسها التى لم تتذوقها بعد)

— (دافعة الكأس بعيداً) : خذها بعيدا ، إنها تتعبنى .

— حسن جدا ، أريد أن أقول ـ بكل أسف ... أرجوك أن تسكتى عن الصراخ .

— اتركنى وحيدة ... دقيقة واحدة .

وبعدها أكون على ما يرام . (تجلس)

— إننى وحش .

— لست كذلك ... شكراً لله (تقف) يجب أن أرحل حالا .

— أين تسكنين ؟ — فى كنسنجتن .

— سأوصلك حتى المنزل .

— أوه ، لا ، أرجوك لا ... ليس من الضرورى ...

— سأحضر لك سيارة أجرة ، إذن .

— حسن ... أشكرك .

— انتظرى هنا (يذهب صوب الباب)

— قف .

— (بفزع) : ماذا حدث ؟

— من فضلك تعال واجلس برهة... أريد أن أقول لك شيئا .

— ولـكن ...

— أرجوك ... سأفعل حقا... وبقولى الصدق سأخفف من شعورك بقسوتك ...

— يهمنى ألا أراك تعسة .

— (بحدة) تعسة ! ! إننى يائسة .. باللعار الأليم ... ألا أملك ذخيرة من الـكلمات أعبر بها عن ازدرائى الـكلى من نفسى .

— لم أفهم ! !

— أنا ، لست كما ظننت أن أكون بتاتا .

— (مرتبكا) : لقد تغير ظنى بعد الدقائق القليلة الأولى .

— ولهذا طلبت منى الخروج ؟

— لا ، ليس هذا بالضبط . أعنى ...

— أوه ، أشكرك كثيرا ... إنك عزيز ... إنه من حسن حظى ... إننى ...

— أقول ... من فضلك ...

— (مستجمعة قواها) . حسن جدا ... سوف لا أصرخ مرة أخرى ... يجب أن تعتقد أننى حمقاء ... إننى ... أسوأ من هذا بكثير . اصغ إلى ، إننى ، بالضبط ، فتاة عادية ... أسكن فى رتلاندجيت مع عمتى ، أذهب إلى الملاهى وأراقص وأتريض فى الحدائق وأساعد فى جمع الإحسان للمعوزين ...

— ولـكننى ...

— لا تؤخذ هكذا ... فما يزيد الأمر صعوبة أن أخبرك بكل شىء ...

إن مشكلة المرأة فى العصر الحديث ، وحياتى المعقدة الكليلة التى أحياها ـ كحياة المرأة على العموم ـ دفعانى إلى قراءة مقدار وافر مما أنتجه جميع الـكتاب المحدثين تقريبا . قرأت الرسائل والأبحاث التى تعالج شئون المرأة وتبحث فى المسائل الجنسية الحادة فشغلت نفسى ، وأهمنى هذا السؤال :

لم لا يكون للنساء من فرص التجارب ما للرجال ؟ ؟ فيحيون حياتهم ... ولا يخفى عليك ما أقصده طبعا ، وكنت أعتقد أننى

فتاة عصرية ماهرة أتمتع بالحرية المطلقة ، وعواطفي واضحة ولو أنها خامدة ... تأملني ... تأملني ... (تضحك ضحكة هستيرية)

ولقد رحلت عمتي أول من أمس إلى بورنموث لقضاء أسبوع وقد قررت أن أقوم بتجربتي ... لأرى الحياة ... الحياة الحقيقية العملية ... في الأحياء المغلقة ... فالشباب من الرجال مسموح لهم بالخروج أينما شاؤوا ليمتعوا أنفسهم ... فلم لا يتاح للشابات الفرص نفسها ؟ ؟

خرجت بالأمس وقصدت الملهى وحيدة ، وعزمت - بجسارة ملحة - على أن أعود إلى المنزل مشيا على الأقدام ، ولكن انهمر المطر غزيراً فأسرعت إلى السيارة حيث آويت إلى الفراش مباشرة والليلة أكدت العزم . فتناولت غذائي وحيدة في مطعم بشارع أكسفورد ، ثم سرت في ميدان بيكاديللي فهايماركت ثم على الشاطئ حيث عدت إلى ميدان ليستر ، وجلست على كرسي وسط الحديقة الصغيرة حتى أقبل رجل سكران قذر وجلس بجواري ، فقمت وعاودت السير متأملة الناس أجمعين . . . مئات بعد مئات منهم . . . يتدفقون خروجاً من الملاهي ويزحمون الأفاريز... فكان في الواقع شعوراً مثيراً... ولا تستطيع إدراك هذا الأمر - كما أعلم - لأنك رجل قضيت حياتك غير مراقب ولامدلل ... بل شُجِّعتَ على أن تكون طليقاً حراً... ولكن بالنسبة لي فقد هزني ذلك الأمر . وكنت وحيدة سيدة نفسي إطلاقاً ... وأدركت مبلغ جهدي وتعبي ، فعرجت على أحد المشارب وتناولت فنجاناً من الشكولاتة . وكان يشغل المائدة المجاورة لي سيدتان مزعجتان وشاب عليه سيماء المجد وقد بدأتا تمازحانه ، ولو أن ما قالتاه له كان من البذاءة بمكان إلا أنه كان مضحكا للغاية ، وفي النهاية خرجوا جميعاً وهم يتشاءمون كالمعتاد !! عندئذ خرجت ثانية وقد تبدل كل شيء ، فقد اختفى الزحام وهدأت حركة المرور اللهم إلا بضع سيارات تجرى مسرعة ، فأسرعت الخطى - لأنني رأيت النساء حولي يتلكأن - قاصدة بيكاديللي . ولم أكد أحاذي بيركلاي حتى انفجر أحد المصابيح المعلقة في وسط الشارع فأزعجني وراعني انفجاره المفاجئ فضحكت من نفسي وابتدأت أقلل من سرعتي وأخذت أراقب كل شيء حولي ،... فوجوه الناس من أغرب وأدهش ما لاحظت ... ثم ... ثم ... أوه يا عزيزي [تسبل جفونها متخيلة لمدة دقيقة] ثم ابتسم لي رجل ، وظننت لأول وهلة أنني أعرفه ، فتلفت حولي ولكنه بقي واقفاً مكانه ، ثم أخذ يتأثرني ، فأسرعت دقات قلبي وحاولت أن أستجمع شتات أعصابي النافرة عسى أن تخمد والتمس في هدوء نفسي طريق الخلاص ، ولكنني عجزت ، وعلى غير وعي مني جريت إلى الجانب الآخر من الشارع ، ومن المؤكد أنه سخر مني ، وفي شارع كرزن أخذت ألوم نفسي بعد أن استجمعت قواي... لقد كنت جبانة ... ضعيفة ... غبية ... وعلى ذلك ، وزيادة في معاقبة نفسي من أجل فقدانها الشجاعة والإقدام لا من أجل شيء آخر ، فكرت أن أستسلم لأي رجل كان ... أوه ، أنا أعلم أنه شيء مهين حقير ... لا تنظر إلي هكذا ... ولكن تذكر أن هذا كان نتيجة دراسة الشهور بل السنين الطويلة للآداب العصرية ، فرغبت في تجربة الحياة ، ولم أكن أخشى على نفسي من شيء ... فإنني قادرة كل القدرة على صيانة عفافي... وإنما أردت الاستطلاع ليس غير . . . وعند ما قابلتك في شارع داون كانت ثورة العزم مالئة جوانحي . أوه يا عزيزي ... أليس كل هذا مخيفاً ؟ [تتنهد] إنه مرعب للغاية حتى لأن يقال ...

— اسمعي ، إنها لم تكن — كما تعلمين . . ولن أفوه بكلمة .

— أعلم أنه لا يمكنك ... ولكن ... أشعر أنه لا يمكنني أن أنفي العار عن هذه التجربة .

— لا عار قط .

— كم أتمنى أن ألجأ إلى دير ، هذه اللحظة مباشرة .

— إنك تفكرين في الأمر على أنه محزن — بينما هو مضحك — حينما تحللينه .

— عند ما أتزوج ويتقدم بي العمر أستعيد ذكراها على أنها كانت فكاهة ، ولكن إلى ذلك الوقت ، سأخر راكعة على ركبتي كلما فكرت فيها .

— لم أزر لندن وحيداً حتى هذا الأسبوع . . . وطلب مني أحد الأصدقاء أن أقيم هنا في هذا الطابق وتركني منفرداً وذهب لقضاء بعض شئونه .

— هل هذا صحيح ... حقاً

— نعم ... ولهذا السبب طلبت منك في الهدأة أن تخرجي... لأنني خفت الفساد .

— أحقاً ما تقول ؟

— نعم ... بكل تأكيد ، فقد ظننت أنك تضحكين مني وتهزأين بي .

— أهزأ ... يا إله السماء ! !

— نعم ... أليس من الحق أن يخشى المرء دائماً أن يكون

موضع سخرية ؟ والواقع أنه قلما يحدث هذا .

— أقل من أى شىء .

— جميع أصدقائى يقولون مثل هذا عند ما يقضون أوقات الخلاعة والسرور بالمدينة ... كما تعلمين .

— نعم .

— أفكر فى نفسى ، إنها لفرصة عجيبة ، أن أبقى وحيداً ... وكل شىء ..

— تماما مثلما أفكر .

— نعم بالضبط .

— كم عمرك ؟

— واحد وثلاثون عاما .

— وأنا أيضاً .

— إننى جد آسف إن كنت قد أقلقتك وسببت لك الفزع .

— لقد كنتَ شفوقا وحريصاً منصفاً . ولست أدرى ؟ ماذا كنت أفعل لو كنت مع غيرك .

— وأنا أيضاً ، لست أدرى .

— كم أود أن تريق هذا الوسكى ... فإننى أكره حتى رائحته .

— لست مولعاً به ... ألا نجهز شاياً ؟

— لا . بل يجب أن أذهب الآن ... حقيقة ...

— إن هذا ليسرنى ... أمتأكدة أنت ؟

نعم كل التأكيد .. يجب أن أذهب .

— حسن . (يذهب إلى النافذة) لا بد أن تكون مركبة فى الموقف . ما هذا ؛ إن المطر ينهمر ...

— أوه ! ! ألا ترى مركبة هناك ؟

— (ينظر من خلال زجاج النافذة) : لا ... من سوء الحظ ...

— سأجد واحدة سريعا .

— لا ـ اسمعى ـ انتظرى قليلا حتى ينقطع المطر . ويمكننا تناول الشاى بعد كل هذا ...

— ولكن ... ولكن ...

— نحن أصدقاء ... ألسنا كذلك ؟ (ويمد يده)

— نعم ـ حسن ـ منذ فترة وجيزة . (يتصافحان)

— الأفضل أن تخلعى معطفك ثانية .

— حسن . (يساعدها فى خلع المعطف ويضعه على الكرسى)

— والآن فلنجهز الشاى

— أين الغلاية ؟

— فى المطبخ . سأذهب وأملؤها ونستطيع أن نغليها هنا ، فالنار فى المدفأة كافية . ويمكنك أن تخرجى فنجانين من الدولاب وكذلك بعض البسكويت .

— حسن .

(يخرج فتأخذ من الدولاب فنجانين وبعض البسكويت وتضعها على المنضدة) .

— (من الخارج) : كم ملعقة من الشاى أضعها فى الوعاء ؟

— (متجهة نحو الباب) : إثنين ونصف كما أعتقد .

— حسن . تذهب نحو المدفأة وتحرك النار . ويدخل حاملا صينية صغيرة عليها غلاية ووعاء للشاى)

لم أضع ماء كثيراً فى الغلاية حتى يغلى بسرعة (يضع الغلاية على النار)

— والآن علينا أن نأخذ أنفسنا بالصبر (تجلس على الأريكة)

— يمكننا أن لا نلقى بالاً إليها حتى ولو غلت .

— نعم ، أعتقد أن تلك هى الطريقة الوحيدة .

— ما اسمك ؟

— (مترددة) أوه ...

— (بسرعة) آسف جداً ... لقد نسيتُ ... إذا كان حَـرِيًّـا بك تبدأينى بالسؤال ... اسمى هَـجْ لومبارد .

— واسمى مارى چيفون .

— إنه اسم جيل .

— أفكر دائما فى أنه اسم إنجليزى فاتر ... ولكنه على ما ترى جيل ...

— أوه ، وقد دفعنى إلى حبه كونهُ إنجليزياً .

— وأخيراً ، يتلهف قلبى على شىء أجنبى ...

— أثراً بعيداً أحدثته الآداب العصرية فى الشباب .

— والآن ، لا تهزأ بى ...

— آسف .

— أنت تعلم من نكون ، أليس كذلك ؟

— لا ، مَـنْ ؟

— إننا ضحايا التمدين .

— أنحن هكذا ؟

— نعم ، إننا ضحايا ـ ولو أننا ـ فى الحقيقة متوسطا التفكير عاديان ، إلا أننا غصنا إلى الأعماق ، ولكن كلامنا حاول بمشقة جاهدة أن يحافظ على الأمان والسلام وسط هذه الحياة العصرية . فإن كنا قد تمادينا قليلا لكنا قد أجهزنا على فضيلتنا الحقيقية .

— أرى أنك جد ماهرة :

— (فجأة) أوه ، إياك ... إياك ...

— إياى ، ماذا ؟

— إياك أن تقودنى إلى الزلل ... سوف تقوض كل ما أسديته لى من معروف !

— المعروف الذى قت به ؟ ؟ عما ذا تتكلمين ؟

— لقد فعلتَ كل طيبة فى العالم نحوى ... إنك أمين كل الأمانة ... ولطيف ... وفى الحقيقة لم أهز شعورك بقدر ما هز إحسى

— لست أرى أى إحسان فى هذا ؟

— لقد أنقذتنى من نفسى — التى تدوى فى عواطفى الفائرة — ولكنها الحقيقة الكاملة .

— وهذا عين ما فعلته نحوى — لقد جعلتنى أحس العار من نفسى — ولا سيما حينما صرختِ .

— إننى مسرورة .

— وكذلك أنا ... ولِمَ سألتِنى ألا أقودك إلى الزلل ؟

— (بخبث) لأننى كنت ماهرة ... وكنت مفكرة عصرية .

— لا ، لم تكونى كذلك ... ولكنكِ كنتِ جميلة .

— لا تكن أحمق .

— ولكنك كنتِ ... إنه مخيف ...

— (بحدة) لا تعد إليها مرة أخرى ... مطلقاً ، مطلقاً ، إياك

— إياى أن أعود لماذا ؟

— من الآن فصاعداً سأكون على حقيقتى — نفسى الحقيقية — لا أن أكون نسخة من شلسى .

— وأنا أيضاً ... لن أكون بعد الآن صورة لابن المدينة الشاب

— يا للبلهاء ! !

— لقد طرأت علىّ فكرة ...

— وما هى . . . ؟

— اصغى إلىّ ... لِمَ لا نكون ...

— الماء يغلى .

— أوه ... (ينهض) لا ... لم يغل بعد .

— رأيتُ بعض البخار يتصاعد من الغلاية .

— قليلا جداً . حينما يتصبب الماء يكون قد تم غليانه ...

— ماذا كنتَ تريد أن تقول ؟

— سوف لا أقولها ... بعد ذلك ...

— ولِمَه ؟

— أخشى أن أهدم ما بنيتُ

— أوه ! ! (يصمتان قليلا)

— ألم ينقطع هطول المطر ؟ (تنهض وتتوجه إلى النافذة) .

— ألا تزال السماء تمطر ؟

— ليست من السوء كما كانت — ومن العسير أن نحكم ونحن هنا — وإنما يمكن المرء أن يبدى رأيه مما يرى من أوحال .

— (يقترب من النافذة بجوارها) ألا تلمع الأفاريز كالزجاج .

— حقاً ، بالضبط ... وإذا نظرت من الركن قليلا أمكنك أن تلمح المتنزه (تلصق وجهها بالزجاج) .

— نعم ، إن قربه مما يزيد البهجة ...

— من أى جهات الريف قدمتَ ؟

— من أجام كِنْت ...

— لا ! !

— ولماذا ؟

— إننى خبيرة بتلك الجهة ... بين راى وفولكستون ...

— بالضبط ... إيفيتشيرش ... إن منزلى لبالقرب من إيفيتشيرش .

— ما أحبها إلى نفسى ... بل ما أبهج شميم البحر ، ورؤية الآجام وحواجز الماء والفضاء هناك .

— كم أنا سعيد لأنك تعرفينها ... وتحبينها ...

— انظر . حقاً . إن الماء يغلى الآن .

— تعالى وامسكى وعاء الشاى .

(يتقدمان معاً بجوار النار . ويجهزان الشاى ثم يضعان وعاء الشاى على الصينية) .

لنشرب الشاى ونحن جلوس على الأريكة ... ويمكننا أن نضع الصينية على ركبتينا .

— حسن . سأجلس هنا ... ناولنيها ...

— جميل . البسكويت أولا ...

(يضع الوعاء على الأرض بجوار أقدامهما ، ثم يعطيها الصينية ويجلس بجوارها)

— كن على حذر .

— أليست جلسة مريحة ! !

— فى الحقيقة لم تستقر بعد ... ولكن لا بأس . (تصب الشاى)

— أظن أننى لم أحب إنساناً مثل هذا الحب ... وبهذه السرعة ... من قبل .

— ما هذا الهراء ! ! ... أتريد سكرا ؟

— نعم ، من فضلك ... قطعتين .

— كان يخيل إلى منذ بضعة أشهر أنى أفضل الشاى ممزوجا بالليمون ··· بدلا من اللبن .

— روسية صميمة ··· كما يظهر ! !

— (مقهقهة) : بالضبط .

— إننى أود فى الحقيقة أن أقول لك شيئــا هاماً ··· ولــكنك تمنعينى .

— أعرف ذلك .

— ماذا ··· ؟

— لنفس الأسباب التى قلتها ··· سوف تهدم كل شىء ···

— لا ··· لم أفكر فى هذا ···

— دون أن تلجئنا إلى المجازفة ، بعد ؟

— (بكآبة) : لك ذلك ··· (يرتشفان الشاى فى هدوء)

— ما ذا تعمل ؟

— ما ذا تقصدين ؟

— أعنى ما صناعتك ؟

— إننى مهيأ لأن أكون جنديا .

— أوه ···

— أسوأ ما فى الموضوع ··· إذ معنى ذلك الهند ···

— أوه ، ما أعجب حياة هذا الصنف من الجنود .

— نعم ··· الحياة وسط الأبهاء الفسيحة ، والمراوح المعلقة فى الأسقف وهى تتماوج ، وصليل الثلج فى الكؤوس ، والنساء الجميلات اللائى يتأودن فى مشيتهن كالهررة مرتديات أثوابهن البراقة اللامعة ···

— وارتداء السراويل (البنطلونات) البيضاء النظيفة ولعبة البولو والمفاجآت الشعبية والمحاورات التى تهز الشعور ··· ألا ما أحب كل أولئك إلى نفسى ! ! !

— أتظنين أنك تحبينها ؟

— أى نعم ··· ولو أنها فى البداية ··· تبدو غريبة ···

— كم يسرنى أنك لم تكرهى الفكرة ···

— كم الساعة الآن ؟

— (واضعا فنجانه) : لم يتأخر الوقت ··· انظرى ··· (يريها ساعته)

— (تضع فنجانها بشدة فتسمع فرقعته) يجب أن أذهب الآن·· حالا ··· يجب أن أذهب .

— أوه ···

— حتى ولو كانت تمطر سيولا جارفة ··· (تتوجه نحو النافذة)

— بودى أن تنتظرى بعض الوقت .

— من الحمق أن أتمهل فى الخروج ···· فانى أحس تعبا مضنيا ، كما أعتقد أنك تعب أيضا ··· ويجب أن ننام ونستريح . وقد سكن المطر تماما ··· وأرى عربة منتظرة هناك ···

— فلتذهب تلك العربة إلى الجحيم !

— والآن .

— رغبت أن أرافقك فى السير حتى تجد أخرى .

— يمكنك أن توصلنى إلى الخارج .

— حسن .

— ساعدنى على ارتداء معطفى .

— لك ذلك .

(يساعدها على ارتداء معطفها ... ثم يأخذيدها بين يديه)

كم أنا مدين لك بالشكر ··· على هذه الفترة السعيدة ···

— حقا ، ما أسعدنى بها ···

— دعينى أعبر لك ··· الآن .

— عماذا ؟

— أتقبلينني زوجاً ؟

— لا تكن أحمق .

— لست أحمق . وإنما أعنى ما أقول .

— لم يختبر كل منا الآخر .

— بالعكس ··· فقد خبر كل منا الآخر كل الاختبار .

— كلا ... لم يكن الوقت فسيحاً .

— لقد تولهت بك ...

— كلا ... بالتأكيد كلا ... إذ لا يمكنك ...

— ولم ؟

— لست أدرى .

— أتحاولين ؟

— (تطرق) : إياك ... وإلا فسأصرخ ثانية .

— ما أعزك إلى قلبى .

(يضمها إلى صدره ويهوى على شفتيها تقبيلا) .

— (مرتجفة) : والآن كادت تسقط قبعتى .

(يخرجان معاً وهو يحوطها بذراعه بحنان)

ستار ... م؟

أحمد فتحى عبد التواب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٤٤ - الاثنين ٥ نوفمبر ١٩٤٥ - السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٣٧ ، ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة الأزبكية الجزئية الأهلية

إعلان بيع نشرة ثانية

فى القضية المدنية نمرة ٢٠٢٦ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الاثنين ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٥ الساعة ٨ و٣٠ أفرنكى صباحا بقاعة المحكمة الكائن مركزها بشارع جزيرة بدران بشبرا مصر سيصير بيع العقار الآتى بيانه بعد وفاء لمبلغ ٦ جنيه و٥٣٠ مليم (ستة جنيهات مصرية و٥٣٠ مليم لا غير) بخلاف المصاريف وهذا العقار ملك سعيد رزق البقال بشارع نعوم بحارة القمرانى رقم ٨ قسم شبرا محافظة مصر .

وهذا بيان العقار

٦ ط ستة قراريط شائعة من منزل مكون من ثلاثه أدوار بمنافعهم كائن بحارة أحمد مصطفى رقم ٨ بشارع نعوم شياخة محمد عطية قسم شبرا بمحافظة مصر ومحدود بحدود أربع الحد الشرقى ملك الحاج حسان حسنين بطول ٧ مترا — والحد القبلى حارة أحمد مصطفى وفيها واجهه المنزل الثانية بطول ٢٠ و ١٢ مترا والحد البحرى ملك ورثه أحمد ابراهيم السيسى بطول ١١ مترا — والحد الغربى حارة القمرانى وفيها واجهة المنزل والباب بطول ٧ مترا وجميع مسطح أرض ذلك المنزل ٨٠ و٥٠ متراً مربعاً .

وهذا البيع بناء على طلب غريب محمد الغنام القبانى بسوق الخضار بالعتبة الخضرا ومقيم بشارع نافعى بالمنزل ٣ بالبغاله قسم السيدة زينب بمصر .

وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٩٣٥ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية بتاريخ ٣٠ / ١٠ سنة ١٩٣٥ وسيفتح المزاد بثمن أساسى قدره ١٢ جنيه و٨٠٠ مليم (اثنا عشرة جنيها مصرياً و٨٠٠ مليما لا غير) بعد تنزيل الخمس بالجلسة السابقة بخلاف المصاريف .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المعينين بمالية للمزايدة وجميع الأوراق وشروط البيع مودعة بدوسيه القضية لمن يريد الاطلاع عليها .

كاتب المحكمة

13 me Année No. 644

Lundi—5—11—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٦٤٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

نكبة فلسطين

فى أيدى العرب سلاح ماض

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

نكبت السياسة البريطانية فلسطين على الخصوص ، وبلاد العرب على العموم بوعد بلفور فى إبان الحرب العالمية الماضية ، ولم تحفل بالعهود والمواثيق التى أعطتها للمرحوم الملك حسين . وما كانت ثورة الملك حسين رحمه الله لتحرير الحجاز وحده ، ولو أن هذا كان كل ما يبغى ، لاكتفى بحصار الحامية التركية فى المدينة ، ولما كانت به حاجة إلى تسيير جيش كبير بقيادة ابنه الأمير فيصل (الملك فيصل فيما بعد) لم يزل يسير من نصر إلى نصر حتى دخل دمشق .

وقد ظهر من الصور الشمسية للمكاتبات التى تبودلت بين الملك حسين والسير هنرى مكماهون المندوب السامى يومئذ فى مصر — وقد وزعتها وزارة الخارجية البريطانية على الوفود العربية فى مؤتمر لندن الذى عقد فى سنة ١٩٣٨ من أجل فلسطين ، أن الملك حسين طالب باستقلال العرب فى سورية ولبنان وفلسطين والعراق وشبه جزيرة العرب ، وقد أجيب إلى ما طلب ، فى تحرز كان المراد منه إرضاء مطامع فرنسا فى لبنان ليس إلا ، أما فلسطين فلم يرد عليها أى تحفظ ، ومع ذلك لم تحجم السياسة البريطانية عن وعد بلفور المشهور ! ثم جاء الإنتداب البريطانى على فلسطين فى أعقاب الحرب مباشرة ، فأبى الملك حسين كل الإباء أن يعترف به ، فكان هذا من أسباب تغيّر القلوب عليه فى بريطانيا .

على أن وعد بلفور ، على ما فيه من نكث بالعهود ، ليس فيه أكثر من إقامة وطن قومى للصهيونية « فى » فلسطين . ولم يكن مقصوداً به قط أن يجعل فلسطين كلها وطناً قومياً للصهيونية . غير أن الصهيونيين الذين حاولوا أن يدركوا غايتهم فى العهد العثمانى وأخفقوا ، أرادوا أن يكون وعد بلفور خطوة أولى فى سبيل الغاية التى كانوا يضمرونها ، وهى اجتياح فلسطين والاستئثار بها دون العرب ، ولو أن كل ما يبغون هو إنشاء الوطن القومى لقنعوا بما تم لهم من سنوات ، فقد أنشئ الوطن القومى ، وانتهى الأمر ، ولكنهم أبوا أن يقفوا عند هذا الحد ، فجاءوا بالمهاجرين سراً وعلانية ، وراحوا يتوسعون فى شراء الأرض ويخرجون منها العرب ، فثار العرب ثورتيهم المشهورتين حتى كانت سنة ١٩٣٨ فدعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر مزدوج — أو مؤتمرين على الأصح ، واحد بينها وبين ممثلى فلسطين والعراق والدولة السعودية ومصر ، وآخر بينها وبين ممثلى الصهيونيين . وعقد المؤتمران فى وقت واحد ولكن فى مكانين مختلفين . وحاول ممثلو بريطانيا فى هذا المؤتمر أن يهتدوا إلى وسيلة للتوفيق بين الفريقين وإيجاد قاعدة للتعاون ، فتعذر ذلك ، فرأت بريطانيا أن تصدر كتاباً أبيض مبيناً لسياستها ، وكان من قواعد هذه السياسة

تحديد الهجرة الصهيونية فى خمس سنوات ، بحيث لا يتجاوز عدد اليهود فى فلسطين ثلث عدد السكان جميعاً أى نصف عدد العرب ، وأن يحظر بيع الأراضى فى مناطق ، ويباح فى مناطق ، ويجوز فى مناطق أخرى بإذن من المندوب السامى . ورأى العرب أن فى هذا بعض دواعى الاطمئنان فتقبلوا هذه السياسة الوقتية إلى أن يتسنى الفصل فى القضية على وجه حاسم . ثم كانت الحرب ، فأخلد العرب إلى السكينة حتى تضع أوزارها .

ولكن الصهيونيين لا يسكنون ولا يكفون عن السعى ، لأن لهم غاية أبعد من مجرد الوطن القوى الذى فازوا به ، وهى أن يستولوا على فلسطين كلها ويخرجوا العرب منها ، ويقيموا لأنفسهم فيها دولة . وحتى هذه ليست إلا خطوة ثانية فى سبيل غرض أكبر وأعظم ، فقد صرح مندوبوهم فى المؤتمر الصهيونى الذى عقدوه منذ بضعة شهور فى لندن ، بأن الشرق الأوسط كله « مجال حيوى لهم » كما كان هتلر يقول إن شرق أوربه وجنوبها الشرقى « مجال حيوى » للرايخ الثالث .

فالبلاد العربية كلها — لا فلسطين بمجردها — مهددة بالاجتياح والاستعباد الاقتصادى والسياسى إذا نجح الصهيونيون فى إقامة دولة لهم . ومن هنا كان إجماع البلاد العربية على الحيلولة دون قيام هذه الدولة ، دفاعاً واجباً عن الذات .

ولسنا ندرى هل اليهود جميعاً صهيونيون ، أو أن الصهيونيين جماعة منهم ليس إلا كما يزعم البعض ، وإنما الذى ندريه أن الصهيونيين يملكون كل وسائل الدعاية ، وإذا كان هناك يهود غير صهيونيين فإننا لا نكاد نسمع لهم صوتاً ، على أن هذا التمييز لا قيمة له ، والمهم أن الصهيونية قد استطاعت أن تحمل رئيس جمهورية الولايات المتحدة على مناصرتها ، فطلب من بريطانيا أن تأذن فى الهجرة لمائة ألف يهودى فى ألمانيا ، كأن أكثر من مائة مليون فى أوربه يعانون الفاقة والمرض لا يستحقون مثل هذا العطف . ثم إن المهم أن بريطانيا حائرة بين إرضاء أمريكا وإرضاء العرب ، وهى لا تستغنى عن أمريكا ، ولا يوافقها أن تغضب العرب عليها ، فإن بها حاجة إلى أسواقهم وبها حاجة إلى معونتهم إذا تأزمت الأمور وفسد ما بينها وبين روسيا . ثم هى تسعى للاقتراض من أمريكا لتفرج ما هى فيه من أزمة مستحكمة ، وتود أن تضمن عونها أيضاً حيال روسيا .

وهذه حيرة لا تبعث على الاطمئنان ، فيحسن بالعرب أن يتولوا بأنفسهم جميع أمرهم ، وأن لا يعولوا فى إحباط مساعى الصهيونية على أحد غيرهم ، فإذا أنصفتهم بريطانيا فبها ، وإلا مضوا فى سبيلهم حتى يقضى الله بينهم وبين الصهيونيين .

ودعوتى هى إلى المقاطعة التامة الجامعة المانعة لكل ما هو صهيونى ، لا فى فلسطين وحدها ، بل فى البلاد العربية جميعاً ، فقد غزا الصهيونيون أسواقها بسلعهم مغتنمين فرصة الحرب وقلة الواردات من الغرب . وليكن العرب على يقين جازم بأن هذا سلاح ماض ، وأنهم إذا نجحوا فى مقاطعة الصهيونية ، ارتحل القوم عنهم مؤثرين العافية .

ولا سبيل إلى نجاح المقاطعة إلا بالتنظيم وحسن التدبير ، فما تصلح الأمور فوضى . وأظن أن هذا سلاح تستطيع جامعة الدول العربية أن تشهره وتصيب به الصهيونية فى مقاتلها دون أن تحتاج إلى سلاح سواه ، ولن يلومها أحد فيه إذا هى استخدمته فإنه وسيلة سلمية للدفاع عن النفس ، وله مزية أخرى هى أنه يعلم الأمم الغربية أن العرب ليسوا كما مهملا يُقضَى فى أمرهم بغير رأيهم . والغرب يجيد فهم هذه اللغة — لغة المقاطعة — وهو أحرى بأن يكون أحسن فهماً لها بعد هذه الحرب التى هبطت بتجارته إلى الحضيض الأوهد ، وتركته أشد ما يكون حاجة إلى أسواق الشرق الأوسط خاصة .

وثم وسائل أخرى كثيرة ، ولكن هذه الوسيلة أول ما يجب البدء به ، ونجاحها مكفول فلنتوكل على الله ، فما زال صحيحاً أنه ما حك جلدك مثل ظفرك .

ابرهيم عبد القادر المازنى

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

للتشريع الإسلامى مزايا ومحاسن ، جعلت شريعته أغنى الشرائع وأوفاها بحاجات الأفراد والجماعات ، وأ كفلها بتحقيق طمأنينة الأمم وسعادتها ، وقوتها وعزتها ، بل هى إذا اتبعت مع آداب الإسلام ووصاياه الأخرى كفيلة بتكوين أمة مثالية تجتمع فيها عناصر القوة والمنعة ، والحياة الصالحة والمدنية الفاضلة ، وتهيأ لها أسباب التقدم والنهوض إلى أرفع المراتب وأعلى الدرجات، وبها تستحق خلافة الله فى الأرض لتملأها عدلا وأمناً ، وإحساناً ورحمة .

وليس فى قدرتنا أن نحصى هذه المزايا لتنوعها وكثرتها ، فحسبنا أن نذكر بعض محاسنها ليكون شاهداً يكشف عما فيها من قوة الحياة ، ونصوع العدالة ، وسمو المبادئ ، ونبل المقصد ، وشرف الغاية ، فنقول :

١ — موافقة أحكام لمقتضى العقل

إن جميع أحكام الشرع الإسلامى جرت على مقتضى العقل ، وجاءت وفق الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها قبل أن تفسدها الأهواء ، وتطغى عليها الشهوات : فما نُص عليه من الأحكام فى الكتاب والسنة معقول المعنى ، له حكم جليلة ، وأسرار تشريعية سامية ، حتى العبادات ، لها فى جملتها من الحكم والمنافع والآثار النفسية والتهذيبية والخلقية والاجتماعية ، ما لا يمكن أن يخفى على ذوى العقول السليمة ، ولا يضيرها أنها فى بعض تفصيلاتها قد يخفى علينا وجه الحكمة فيها ، فإن خفاءها لا ينفى وجودها ، وقد تكون حكمته فى العبادات اختبار قوة الإيمان فى العبد ، وامتحان طاعته وامتثاله لربه ، وما لم ينص عليه ، وهى الأحكام الاجتهادية المبنية على الرأى والقياس ، ومراعاة المصالح ، ودرء المفاسد — مصدره العقل وحرية الرأى التى لا تتقيد إلا بمراعاة العدالة ، وإقرار الحقوق ، وما ينبغى أن يراعى من أصول الاجتهاد الشرعى وقواعده .

فشريعة الإسلام شريعة العقل والفطرة ، وليس فيها شىء يخالف القياس الصحيح ، ولذا جاءت رحمة وحكمة ، ومصلحة ونعمة ، قال ابن قيم الجوزية فى كتابه الطرق الحكمية :

« ما أثبت الله ورسوله قط حكما من الأحكام ، يقطع ببطلان سنته حساً أو عقلا ، فحاشا أحكامه — سبحانه — من ذلك ، فإنه لا أحسن حكما منه سبحانه ولا أعدل ، ولا يحكم حكما يقول العقل ليته حكم بخلافه ، بل أحكامه كلها مما شهد العقل والنظر بحسنها ووقوعها على أتم الوجوه وأحسنها ، وأنه لا يصلح فى موضعها سواها »

٢ — غاية تحقيق مصالح العباد

ومن محاسنه جعل غايته من التشريع تحقيق مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، ودفع الضر والمفاسد عنهم ، وتحقيق العدالة المطلقة ، فما من حكم منصوص عليه ، أوحكم اجتهادى إلاروعى فيه تحقيق هذه الغاية . قال ابن القيم فى كتابه المذكور : « من له ذوق فى الشريعة ، واطلاع على كمالاتها ، وأنها لغاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وأنها جاءت بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح ، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها ، وفرع من فروعها ، وأن من له معرفة بمقاصدها ، ووضعها مواضعها وحسن فهمه فيها — لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة » .

وقال فيها أحد كبار الكتاب فى هذا العصر : « الأمور الشرعية التى دونها الفقهاء المسلمون قبل نحو أحد عشر قرناً تبز فى عدالة أصولها وسمو مستواها واتفاقها مع الحق الطبيعى جميع القوانين الوضعية حتى التى سنت فى القرن العشرين ، ثم قال : إن من يتأمل فى التشريع الذى استنبطه علماء المسلمين فى الرق والأرقاء ، وفى المرأة ، ومايتعلق بها من حقوق طبيعية وروحية ، وفى الأيتام والفقراء ، وفى حقوق المحاربين والمعاهدين ، والأجانب والذميين، وفى الشئون المدنية والجنائية ، وفى العقوبات والتعزير ... من يتأمل فى هذا كله يجد تفوقاً ظاهراً فى التشريع الإسلامى على التشريع الأوربى فى القرن العشرين » .

ولا شك أن ذلك هو الجدير بشريعة جاءت مكملة لما كان

في إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٥ —

ج ١٦ ص ٢٠٠ .

. ماأبو عامر سوى اللطف شيء إنه جملة كما هو روح
كل ما لا يلوح من سر معنى عند تفكيره فليس يلوح

وجاء في شرح (جملة) : الجالى من الرجال الضخم الأعضاء التام الخلق .

قلت : (فليس يروح) لا يذهب ، لا يعزب عن علمه بل يدركه ويذهنه .

ويعنى بقوله (جملة كما هو روح) أنك إن عددته إنسانا من الأناسي مؤلفا من لحم ودم أصبت ، وإن قلت : إنه روح من الأرواح كأنه ملك من الملائكة صدقت . وصدر البيت — وفيه اللطف — يساعد على هذا التأويل .

***

ج ٥ ص ١٦٨ : ودعا بقهرمانه :

قلت : ضبط اللسان (القهرمان والترجمان) بالفتح والضم .

وفى النهاية : هو كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس .

وقد أخذت العربية ذات التقدم والشجاعة هذه اللفظة الأعجمية ، ثم اشتقت منها فعلا(١) . جاء فى تاريخ بغداد للخطيب (ج ٧ ص ٣٢٠) :

الحسن بن سهل بن عبد الله أبو محمد هو أخوذى الرياستين الفضل بن سهل . كانا من أهل بيت الرياسة فى المجوس ، وأسلما وأبوهما فى أيام هارون الرشيد ، واتصلوا بالبرامكة ، وكان سهل (يتقهرم) ليحيى بن خالد بن برمك .

***

ج ١٧ ص ٢١٦ : قال (على بن محمد الجلابى الواسطى) : وأنشدنا (ابن بُشران) وقد انقطع النـاس عن عيادته والدخول إليه :

مالى أرى الأبصار بى جافيه لم تلتفت منى إلى ناحيه
لاينظر الناس إلى الميت لا وإنما الناس مع العافيه

قلت : (لا ينظر الناس إلى المبتلى) والبيتان من مقطوعة عزاها أبو الفرج فى (بعض أخبار إبراهيم بن المهدى) إلى عُلَيّة بنت المهدى . وقال : فى أخبار (علية بنت المهدى) : « الشعر لأبى العتاهية وذكر ابن المعتز أنه لعلية » وقد تمثل بالبيتين هذا العالم العظيم المحدود غير المجدود . قال ياقوت : ... صاحب نحو ولغة وأخبار ودين وصلاح ، وإليه كانت الرحلة فى زمانه ، وهو عين وقته وأوانه . وكان مع ذلك ثقة ضابطا محررا حافظا إلا أنه كان محدودا ... !

***

ج ٣ ص ١٠٠ : ... وضرب أعناقهم فيه ، وسار ، وأنكر الناس ذلك وتحدثوا به ، ونَخِبتْ قلوبهم منه .

وجاء فى شرح (نخبت) : اشتد عليهم الأمر .

قلت : (نخبت) : جبنت ، فزعت . فى الأساس : إنه لمنخوب ونخيب ونخب : لا فؤاد له . وقد نُخب قلبه ونَخِب كأنما نزع من قولهم نخبت الشىء وانتخبته إذا نزعته ، ومنه الانتخاب : الاختيار كأنك تنتزعه من بين الأشياء .

***

(١) لى مبحث فى هذا المعنى سأنشره فى (الرسالة الغراء) فى وقت من الأوقات إن شاء الله .

فى الشرائع قبلها من قصور أو نقص بعد أن استعدت أمم البشر لتلقى هذا الكمال ، ونضجت لتقبل أسمى المبادئ وأشرف الغايات والمقاصد ، وهو تمن بشريعة عامة جاءت لإصلاح البشر كافة بعد أن كانت كل شريعة قبلها خاصة بأمة معينة ومقصورة على زمن محدود : روى عن صاحب الشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها إلا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها فأعجب بها قال : ما أحسن هذه الدار إلا موضع هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، بى ختم الله الأنبياء والمرسلين »

(البحث موصول) حسن أحمد الخطيب

ج ٤ ص ٦٦ : أحمد بن علي الأسواني :

وزلت مقهور الفؤاد ببلدة   قل الصديق بها وقل الدرهم !

فى معشر خلقوا شخوص بهائم   يصدى بها فكر اللبيب و يُبهَم

فالله يغنى عنهم ، ويزيد فى   زهدى لهم ، ويفك أسرى منهم

وجاء فى الشرح : يقال : صدى الرجل يصدى صدى : عطش ، أو هو شدة العطش ، كناية عن تبلد العقل .

قلت : (فالله يغنى عنهم) و (يصدى) هى (يصدأ) نخفف وهو مثل حبيب :

لم آتها من أى وجه جئتها   الا حسبت بيوتها أجداثا

بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَل   أعنى الحطيئة لاغتدى حراثا[1]

تصدا بها الأفهام بعد صقالها   وترد ذكران العقول إناثا[2]

وروى ابنْ قتيبة فى (عيون الأخبار) لبعض الشعراء :

إنى أجالس معشرا   نوكى أخفهم ثقيل[3]

قوم إذا جالستهم   صدئت بقربهم العقول

لا يفهمونى قولهم   ويدق عنهم ما أقول

فهمُ كثير بى وأعلم (م)   أننى بهم قليل

وللأسوانى هذا البيت من جملة قصيدة :

ومالى إلى ماء سوى النيل غلةٌ   ولو أنه (أستغفر الله) زمزمُ

* * *

ج ١٩ ص ٢٧٦ : هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ كان واحد عصره فى صناعة الطب متفننا فى علوم كثيرة ... وكان عارفا بالفارسية واليونانية والسريانية متضلعا بالعربية ، وله النظم الرائق والنثر الفائق .

قلت : (متضلعا من العربية) كما جاء فى (ج ١٩ ص ٢٨٢) وهو كلام مولد غير مستنكر . والذى قالته العربية الأولى هو ما جاء فى (المصباح) : تضلع من الطعام امتلأ منه . وفى النهاية

(١) قلت فى ج ١٠ ص١٣٥ :(أرض الفلاحة) وفى الديوان وغيره (بلد الفلاحة) .

(٢) يرى بعضهم أن يكتب مثل هذا الفعل (يصدأ) إذا خفف بالياء ، وأنا لا أرى هذا الرسم .

(٣) لك أن تحرك أو تسكن .

وفى حديث زمزم فأخذ بعراقيها[1] فشرب حتى تضلع أى أكثر من الشرب حتى تمدد جنبه وأضلاعه ، وفى حديث ابن عباس : أنه كان يتضلع من زمزم . وقال الاساس : « وأكل وشرب حتى تضلع » ولم يذكره فى مجازه . وفى مقدمة (القاموس) ... بما يتضلع منه (أى من علم اللغة) قال شارحه : قال ثعلب : تضلع امتلأ ما بين أضلاعه

* * *

ج ٦ ص ٦٠ : ... وكان (اسحاق بن إبراهيم البربرى المحرر ويعرف بابن النديم) يحرر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف فى الطوامير[2] ، وكان فى نهاية الحرفة[3] والوسخ ، وكان مع ذلك سمحا لا يليق على شىء .

وجاء فى شرح (لا يليق) أى لا يمسك من جوده على شىء .

قلت : لا يبقى على شىء أو لايليق شيئا . فى الأساس : فلان لا يليق بكفه درهم ، ولا تليق كفه درهما : لسخائه . وفى اللسان قال الأصمعى للرشيد : ماألاقتنى أرض حتى أتيتك يا أمير المؤمنين . الأزهرى : العرب تقول : هذا أمر لايليق بك ، معناه لا يحسن بك حتى يلصق بك . وقول الأصمعى الذى رواه اللسان هو فى هذا الخبر ذى الفائدة ، وقد نقله ابن خلكان :

الأصمعى قال : دخلت على الرشيد هارون ومجلسه حافل ، فقال : يا أصمعى ، ما أغفلك عنا وأجفاك لحضرتنا !

قلت : والله يا أمير المؤمنين ما ألاقتنى بلاد بعدك حتى أتيتك . فأمرنى بالجلوس ، فجلست وسكت عنى . فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام فأشار إلىّ أن اجلس ، فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيرى ومن بين يديه من الغلمان فقال: يا أبا سعيد ،

(١) العراق جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعروضة على فم الدلو ، وهما عرقوتان كالصليب ، وقد عرقيت الدلو إذا ركبت العرقوة فيها (النهاية) .

(٢) جمع الطامور والطومار : الصحيفة . فى التاج : ذكرهما ابن سيده ، قيل : هو دخيل ، قال : وأراه عربيا محضا لأن سيبويه قد اعتد به فى الأبنية فقال : هو ملحق بفسطاط . وفى (صبح الأعشى) : المراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله ، وهو المعبر عنه فى زماننا بالفرخة . حكى الدورقي أن عمر بن عبد العزيز أتى بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت مال المسلمين (ج٢ص٤٩)

(٣) الحرف — بالضم — الحرمان كالحرفة بالضم والكسر (التاج)

ما معنى قولك : ما ألاقتنى بلاد بعدك ؟ قلت : ما أمسكتنى يا أمير المؤمنين ، وأنشدت قول الشاعر :

كفاك كف ما تليق درهما
جودا وأخرى تعط بالسيف دما[1]

أى ما تمسك درهما . فقال : هذا أحسن . وهكذا فكن ، وقرنا فى الملا ، وعلمنا فى الخلا ، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالما ، إما أن أسكت فيعلم الناس أنى لا أفهم إذ لم أجب ، وإما أن أجيب بغير الجواب فيعلم من حولى أنى لم أفهم ما قلت .

قال الأصمعى : فعلمنى أكثر مما علمته ...

***

ج ٩ ص ٢٣١ : (الرضى من قصيدة فى رثاء ابن الحجاج) :

لسان هــو الأزرق القعضبىّ
عضمض فى ريقــه الأفعوانى

وجاء فى الشرح : القعضبى نسبة إلى قعضب وهو رجل كان يصنع السنان . الأفعوانى منسوب إلى الأفعوان وهو الثعبان فهو صفة لريق .

قلت : (عضمض فى ريقة الأفعوان) . فى الصحاح : الريق الرضاب والريقة أخص منه . وفى (ديوان الرضى) : « من ريقة » و (فى) أصح من (من) .

***

ج ١٦ ص ١٥٠ : قال أبو العباس ثعلب : جمع الحسن بن قحطبة عند مقدمه مدينة السلام الكسائى والأصمعى وعيسى بن عمر ، فألقى عيسى على الكسائى هذه المسألة : (هَمُّكَ ما أهمَّك) فذهب الكسائى يقول : يجوز كذا ويجوز كذا . فقال له عيسى : عافاك الله : إنما أريد كلام العرب ، وليس هذا الذى تأتى به كلام العرب .

قال أبو العباس : وليس يقدر أحد أن يخطىء فى هذه المسألة لأنه كيف أعرب فهو مصيب . وإنما أراد عيسى بن عمر من الكسائى أن يأتيه باللفظة التى وقعت إليه .

قلت : هذا مما قيل فى المسألة ...

فى (التلويح فى شرح الفصيح) لأبى سهل محمد الهروى . والفصيح للامام ثعلب :

وتقول : (همُّك ما أهمَّك) فهمك مرفوع بالابتداء ، وما أهمك خبره ، وتقديره حزنك هو الذى حزنك ولم يحزن جارك ولا غيره من الناس . وأهمنى الشىء بالألف حزننى ، وهمنى بغير ألف أذابنى . (ص ٧٦)

وفى (المخصص) للامام ابن سيده :

(همَّك ما أهمك) يعنى أذابك ما أحزنك (ج ١٣ ص ١٣٨) .

وفى (مجمع الأمثال) للامام أبى الفضل أحمد الميدانى :

همُّك ماهمك ، ويقال همك ما أهمك . يضرب لمن لا يهتم بشأن صاحبه إنما اهتمامه بغير ذلك . هذا عن أبى عبيد . يقال : أهمنى الأمر إذا أقلقك وحزنك . ويقال : همَّك ما أهمك أى آذاك ما أقلقك . ومن روى همك بالرفع فمعناه شأنك الذى يجب أن تهتم به هو الذى أقلقك وأوقعك فى الهم .

وفى (لسان العرب) للامام أبى الفضل محمد بن مُكَرَّم المصرى :

قال أبو عبيد فى باب قلة اهتمام الرجل بشأن صاحبه : (همُّك ما همك) ويقال : همك ما أهمك جعل ما نفيا فى قوله ماأهمك أى لم يهمك همك . ويقال معنى ما أهمك أى ما أحزنك ، وقيل : ما أقلقك وقيل ما أذابك ...

***

ج ١٢ ص ٢٣٣ : كان ابن سيدة منقطعا إلى أبى الجيش مجاهد ...

قلت : فى (وفيات الأعيان) ابن سيده : بكسر السين وسكون الياء وفتح الدال وبعدها هاء ساكنة .

قال ابن خلكان : وكان ضريرا وأبوه ضريرا أيضاً . وكان أبوه قيما بعلم اللغة ، وعليه اشتغل ولده فى أول أمره .

ومن تصانيفه – كما ذكر ياقوت – (المخصص) وقد طبع و (المحكم والمحيط الأعظم) رتبه على حروف المعجم وهو اثنا عشر مجلدا . ومنه نسخة مخطوطة فى (دار الكتب المصرية) عمرها الله !

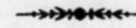
***

فى القسم –١٢– فى آخره : لم تنفض أسنانه وهى لم تنفض

(١) طارت الياء فى (تعطى) ضرورة .

الأجانب في البلاد العربية (*)

للدكتور جواد على



فى الكتب اليونانية القديمة أسماء مستعمرات أنشأتها الجاليات الأجنبية فى البلاد العربية . تقع أكثرها على سواحل البحر الأحمر أو السواحل الجنوبية . وقد عنى المستشرقون بالبحث عن هذه المستعمرات وعن مواقعها وآثارها . ومن أشهر هؤلاء المستشرق النمساوى الشهير المرحوم كلاسر فى كتابه القيم «صورة تاريخ البلاد العربية وجغرافيتها[١]» .

وقد أنشئت هذه المستعمرات على ما يظهر لتموين القوافل البحرية ولحراستها من هجمات قرصان البحر ، ولإقامة البحارة والتجار . ولما ضعفت الأم وهزلت ولم يعد فى إمكانها إمداد هذه المستعمرات بالمؤن والرجال استعرب من كان فى هذه الثكنات الحربية واندمج فى مجموعة القبائل العربية . وهذا ما يفسر لنا وجود بعض الكلمات الأجنبية فى اللغة العربية قبل ظهور الإسلام بزمان طويل ووجود بعض القبائل العربية ذات السحن الغريبة فى داخل شبه الجزيرة .

ومن جملة تلك المستعمرات مستعمرة «العيلاميين» Ailamiter المتاخمة لأرض المعينين وقد ذكرها المؤرخ « بلينيوس » Plinius الشهير فى جملة الأماكن التى ذكر أسماءها فى أرض المعينين[٢] .

ورأى المستشرق كلاسر أن هذه المستعمرة العيلامية هى من بقايا العيلاميين المعروفين سكنة عيلام « ailam » سكنوا فى هذه المنطقة بعد أن تمكن العيلاميون من الاستيلاء عليها وظلوا فيها بعد زوال دولة العيلاميين[٣] . ويأتى هذا المستشرق بدليل هو أن هذه المنطقة التى نتحدث عنها وجميع أرض عمان قد كانت فى عهد المؤرخ « بلنيوس » (Plinius) تحت سيطرة الإرشاكيين «Arsaciden»[١] وورد فى نص «Adules» الأكسومى[٢] إسم يشبه هذا الإسم هو «atalimu» «عظالم» من كلمة « عظلم »[٣] وقد وردت هذه التسمية فى كتاب «صفة جزيرة العرب» للعالم الشهير الهمدانى الإختصاصى فى تاريخ اليمن[٤] . فلا يستبعد إذاً أن تكون هذه الكلمة محرفة عن « Ailamite » التى ذكرت فى كتاب « بلنيوس » المذكور .

وتعرف المستشرق المذكور على مستعمرة أخرى هى «امبلونة» «Ampelone» وقد ذكرها بلنيوس أيضاً[٥] ورجح أن سكانها من « milesier » الملاطيين اليونانيين[٦] . وتقع فى المحل المعروف باسم وادى الممود على مقربة من السواحل التى اشتهرت بالذهب وهى بلاد العسير[٧] على رأى المستشرق شبرنكر « Sprenger » . غير أن أوصاف هذا المحل لا تنطبق على الأوصاف التى ذكرها المؤرخ بلنيوس تمام الانطباق[٨] .

والأرجح أن يكون هذا المكان فى الشمال بعيداً عن منطقة نفوذ السبئيين . وأحسن مكان يصلح لأن يكون محلا مناسباً لسكنى اليونانيين هو فى شمال الحجاز ، على سواحل البحر الأحمر حيث تبعد المنطقة عن سيطرة السبئيين وحيث يمكن الاتصال بمصر وفلسطين .

والظاهر أن سكان هذه المستعمرة من « Milethus » المكان الذى أنجب الفيلسوف طاليس « Thales » والفيلسوف انكسمندر « Anaximander » وانكسمانس « Anaximenes » وكان سكانه على جانب عظيم من الرقى والحضارة والذكاء . وقد ازدهرت فيه الحضارة فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد . غير أن الخرب دب إلى هذا المكان فيما بعد منذ سنة ٤٩٤ قبل الميلاد

(*) من كتاب « العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد علي وهو كتاب لم يطبع بعد .

(١) Glaser kizze der Gesch und Geogr Arabi 1890.

(٢) راجع تاريخ بلنيوس المتوفى سنة ٧٩ بعد الميلاد , Pliny natural History BK VII 6 sprenger p, 95

(٣) عن العيلاميين راجع The historiaus hit. of the world فى القسم الخاص عن الفرس .

(١) راجع نفس المصدر .

(٢) Sprenger ski der ges p,96

(٣) نفس المصدر . راجع النصوص اليمنية القديمة والكتب المؤلفة عن جغرافية اليمن القديمة .

(٤) الحسن بن أحمد الهمدانى المتوفى عام ٩٤٥ للميلاد مؤلف كتاب الاكليل وكتاب « صفة جزيرة العرب » طبعة ملر Müller فى مدينة لايدن « Leyden » سنة ١٨٨٤ — ٩١ فى جزأين

(٥) راجع Glaser p, 95

(٦) نفس المصدر ص ٩٧ .

(٧) نفس المصدر ص ١٥٢ .

(٨) Sprenger Alte p, 291

فارتحل أهله عنه وهاجروا إلى شتى الأنحاء حتى نسى المحل تماماً فى عهد الإسكندر المقدونى الكبير[١].

واختار هؤلاء اليونانيون فرصة مناسبة هى فرصة انتقال الملك من المعينين إلى السبئيين . فنى هذا الوقت لم يكن شمال الحجاز كله بأيدى السبئيين ولم يكن لأهل اليمن أسطول قوى يسيطر على شمال البحر الأحمر فاختار اليونان ذلك المكان .

وليس من المستبعد ذلك فقد كان سكان « Milethus » قد أنشأوا حوالى الثمانين مستعمرة انتشرت فى ساحة واسعة على البحر الأسود وعلى بحر مرمرة وعلى سواحل البحر الأبيض . وأنشأوا لهم مستعمرة فى مصر فى عهد الفرعون « Psammetich » حيث ألفوا أسطولا قوياً دخلوا به نهر النيل وسكنوا فى أرض اختاروها سميت باسم مستعمرة نكراطيس « Naukratis »[٢]

فمن الجائز كما يقول المستشرق موريتس أن يلتجئ جماعة من هؤلاء إلى الفرس بعد تخريب مستعمراتهم التى أنشأوها فى مصر وأن يطلبوا حمايتهم ، وأن ينتقلوا إلى موضع آخر فاختاروا محلا لا يبعد كثيراً عن مصر ولا يعرضهم فى نفس الوقت إلى اضطهاد المصريين ، هو المكان الذى أسسوا فيه مستعمرة « Ampelone »[٣]

وورد فى تاريخ هيرودوتس « Herodotus » نقطة مهمة جداً تخص هذا الموضوع أثناء بحثه عن داريوس الكبير ملك الفرس ذكر أن هذا الملك حمل الملطيين « Milisiaus » معه أسرى إلى سوسه « Susa » حيث عاملهم معاملة حسنة ثم أسكنهم مدينة أمب « Ampe » التى أنشأها على سواحل بحر الإريتريا Erythiraean فى النقطة التى يلتقى فيها نهر دجلة بهذا البحر[٤] . أما المدينة نفسها مدينة ملطية « Miletus » فقد استولى عليها الفرس[٥] .

أما موقع مدينة « Ampe » على حد وصف هيرودوتس فيجب أن يكون على الخليج الفارسى حيث يصب نهر دجلة فيه لا على البحر الأحمر كما يظهر ذلك من وصف الرومانى بلنيوس « Plynius » إذ من المعلوم أن مصب نهر دجلة فى ذلك الخليج .

(١) على أثر الحروب فنقل أكثر السكان قسراً من هذا المحل . راجع الكتب الباحثة عن حروب الفرس واليونان .
(٢) Moritiz Arabien p, 100 Strabo XVII 27
(٣) Herodotus 20 ampe فى Moritnz p, 100
(٤) Herodotus 6 20 moritnz p, 101
(٥) راجع تفصيل ذلك فى تاريخ الملك داريوس الأول كذلك فى Herodotus 6. 20.

على كل فسواء كان موقع « Ampe » أو « Ampelone » على الخليج الفارسى أو على البحر الأحمر فإن النتيجة واحدة وهى أن اليونانيين كانوا قد سكنوا مدينة أنشئت فى بلاد عربية وعاشوا فيها وتاجروا ، ثم اندمجوا بعد ذلك واختلطوا بالوطنيين .

والأرجح أن يكون محل تلك المستعمرة على سواحل البحر الأحمر فى شمال الحجاز . وفى أقوال ثيوفراستوس Theophrastus « ٢٨٨ ق.م » ما يؤيد هذا الرأى[١] . وأصبح هذا المحل فى عهد « بلنيوس » تحت سيطرة الحكومة السبئية . ولما ضعف نفوذ هذه الحكومة تغلبت القبائل المتوحشة على هذا المكان كما يظهر ذلك من أقوال مؤلف كتاب « Periples maris Erythraei »[٢] فصار التجار يتجنبون جهد الإمكان هذا المكان .

يقول المستشرق كلاسر : كانت هذه المنطقة ملتقى مختلف القبائل . نقطة يجتمع فيها التجار من كل مكان . وقد كانت معروفة عند الكتاب اليونانيين والرومانيين وقد ذكر بطليموس أسماء عدة قبائل نزلت هذا المحل[٣] .

وتحدث ديودورس الصقلى عن شعب دبن « Deben » كان يسكن على سواحل البحر الأحمر فى موضع يصح أن يكون فى عسير . وهذا الشعب لا يضيف أحداً من الغرباء إلا إذا كان الغريب من « Bootien » أو « Peloponnes » لاعتقاده وهذا يرجع إلى أسطورة قديمة إن هذه الشعوب الثلاثة ترجع فى النسب إلى جد واحد هو هرقل « Hercules »[٤] .

وفى العهد القديم اسم موضع دعى « ياوآن » « Jawan »[٥] ذكر فى جملة الأماكن التى كانت تتاجر مع مدينة صور[٦] . تدل القرائن على أن المقصود منه موضع من المواضع الواقعة فى جنوب البلاد العربية ولعل ذلك فى اليمن[٧] ، وقد يكون اسم قبيلة من القبائل العربية[٨] وتطلق كلمة « Jawan » فى أكثر آيات العهد

(١) Glaser p, 154 Theophrastus. Historia Plautarum.
(٢) Glaser. p, 154. Ptolemy. Geographia ed. Carolus. F. A voble.
(٣) نفس المصدر .
(٤) Glaser p, 154 Diodor. Histo. Bibli. 3, 43.
(٥) راجع حزقيال ٢٧ آية ١٩ .
(٦) راجع نفس المصدر أيضاً قاموس الكتاب المقدس ج٢ ص٩٣٤ Hastings. p, 427.
(٧) نفس المصادر .
(٨) نفس المصادر .

القديم على اليونانيين ، فهل يمكن أن نجد صلة بين الإسمين ؟

قال بعض المستشرقين : المعقول أن يكون هذا الموضع اسم مستعمرة كان اليونانيون قد سكنوا فيها بدافع المتاجرة . لا سيما وقد ثبت عندنا أن الأجانب كانوا قد أسسوا لهم المستعمرات فى مختلف أنحاء شبه الجزيرة . فمن المعقول أيضاً أن يكون موضع تلك المستعمرة فى (جينة) الذى ذكره الهمدانى فى عداد الأماكن الواقعة فى أراضى «جهينة» الواقعة بين حرّة النار وبين الربذة[١] وقد ورد ذكره أيضاً عند البكرى فى جملة الأماكن التى مرّ بها الرسول حينما غزا بنى قريظة ثم بنى لحيان[٢] .

وذكرت أسماء مستعمرات أخرى أنشئت فى مختلف أنحاء بلاد العرب . مثل أريتوزا « Arethusa » ولاريزا « Larisa » ومستعمرة كلسيس « Chalcis » وغيرها[٣] . لم يذكر « بلنيوس » أماكنها بالضبط ولم يحدد مواقعها . فلا ندرى أكان يقصد من مدينة لاريزا « Larisa » مثلا مدينة لرسا « Larsa » أو لرسام « Larsam » التى ذكرت فى النصوص الأشورية ، أو أنه قصد محلا آخر . ولا ندرى أكان يقصد من أريتوزا « Arethusa » المحل الذى ذكره هو وهو بحيرة كان نهر دجلة يعوم بالماء[٤] أم لا.

على أن هذه الأسماء الثلاثة هى من الأسماء اليونانية التى طالما يتكرر ذكرها فى الشرق ، وهى أسماء مدن حديثة أنشأها اليونانيون فى الشرق لإعادة ذكرى المدن اليونانية القديمة . فهناك مدينة أريتوزا « Arethusa » وهى مدينة أنشئت فى سوريا قديماً بين حمص وحماة . وأطلق اكزينوفون « xenophon » اسم لاريزا « Larisa » على قسم من أقسام مدينة نينوى القديمة وربما عنى بذلك ريزن « Resen »[٥] وهنالك محل آخر عرف بهذا الإسم يقع فى منطقة أبامين (Apamene) فى الشمال الغربى من (حماة) (Hama)[٦] . وأما كلسكيس « Chalkis » فهو الإسم القديم لمدينة « قنسرين » « Kinnesrin » فى جنوب حلب واسم مدينة أخرى تقع فى جنوب البقاع بيكا «Bika» يرى اصطيفان البيزنطى «Stephanus Byz.» أن مؤسسها ملك يعرف باسم موفكسوس «Movixos» العربى ، وكان يطلق على هذا المحل « عين غار » وعرفت اختصاراً فى الأيام المتأخرة باسم « عنفار »[١]

واشتهر أحد ملوك السلوقيين وهو نيكاطور السلوقى «Nikator Seleukus» ببناء المدن وقد بنى ثلاث مدن حديثة فى فلسطين حملت نفس الأسماء المتقدمة الثلاثة . ولا يستبعد أن يكون هذا الملك قد أنشأ ثلاث مستعمرات بهذه الأسماء على سواحل البحر الأحمر لحماية الخطوط البحرية ولتموين السفن . ولما انتزع البطالسة أرض فلسطين من خلفاء هذا الملك كانت هذه المستعمرات فى جملة ما أخذ منهم[٢] .

وورد فى النصوص اليونانية اسم « Insulae Dorical » أى جزيرة الدوريين . فهل لهذه الجزيرة علاقة باليونانيين الدوريين وهل حل هؤلاء فى شبه جزيرة العرب ؟

يقول المستشرق موريتس : لا نستطيع أن نقول شيئاً جازماً فى هذا الباب ، على أن هنالك جزيرة ورد اسمها فى نقشى رستم لداريوس باسم « Imykuduru »[٣] والظاهر أنها جزيرة سقطرة وهنالك جزيرة « Dioscorides » حل بها اليونانيون بقرون عديدة قبل الميلاد[٤] يرى أنها هذه الجزيرة نفسها فلا يستبعد أن تكون جزيرة سقطرة إحدى الجزر التى نزل بها اليونانيون[٥] .

ويستشهد المستشرق بدليل ما ذكره المسعودى عن استيلاء الإسكندر المقدونى على هذه الجزيرة بإشارة من الفيلسوف المشهور أرسطو إليه[٦] . وما ذكره المسعودى أيضاً من وجود النصرانية فى هذه الجزيرة أيضاً ، وهو قول يؤيده بعض الكتبة اليونانيين حتى قيل إن اللغة اليونانية كانت معروفة فى هذه الجزيرة إلى القرن السادس الميلادى[٧] .

وورد فى «نقشى رستم» اسم محل دعى بوتا « Pûta » فى ضمن

---

(١) نقلا عن صفة جزيرة العرب جـ ١ ص ١٢١ . Glaser. p,428
(٢) نقلا عن Glaser. p, 429
(٣) راجع maritnz p, 101 والمصادر التى تبحث عن المدن اليونانية
(٤) Glaser p, 157
(٥) Morituz p, 101
(٦) Moritnz p, 101 Xenophon ancle 3 4 7

---

(١) Moritny p, 101
(٢) نفس المصدر .
(٣) راجع نص «نقشى رستم» والكتب المؤلفة عن داريوس الكبير
(٤) Mortinz p, 102
(٥) نفس المصدر
(٦) Mortinz p, 102 . نقلا عن المسعودى جـ ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ الطبعة الأوربية .
(٧) نفس المصدر

جدول أسماء الأماكن التي خضعت لهذا الملك . يرى المستشرق كلاسر أنه مستعمرة من مستعمرات اليونان الأيونيين (Ionions) الذين كانوا يسمون بهذا الإسم أيضاً . وحاول التوفيق بين هذه الكلمة وبين كلمة فودا «Foda» التي وردت في نص المؤرخ بلنيوس والتي عين محلها . وعلى هذه الفرضية تكون مستعمرة « Puta » مستعمرة يونانية من جملة المستعمرات التي أنشأها اليونانيون على سواحل البحر الأحمر[١].

وفي « نقشى رستم » لداريوس أسماء أخرى كثيرة حاول المستشرق كلاسر أن يجد أماكنها في شبه جزيرة العرب من كلمة اسبردا «Sporda» حتى كلمة بوتا «Puta»[٢]. وهو يجهد نفسه في ذلك إجهاداً بيناً ، ويأتي باحتمالات قد تكون بعيدة لتأييد وجهة نظره. فيحاول مثلا أن يجد مناسبة بين عبارة «واليونانيين الذين يحملون على رؤوسهم غطاء مصنوعاً من الشعر » وهي عبارة وردت في نص « نقشى رستم » وبين عبارة وردت في كتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني[٣] عن أهل مخلاف المعافر وما والاه من استعمالهم للسكينية في الرأس[٤].

كان اليونانيون على رأي المستشرق كلاسر وعلى ما يظهر من بعض الملاحظات الواردة في المصادر اليونانية القديمة وفي جملتها « الأوديسة »[٥] على اتصال دائم بالعرب وذلك منذ أزمنة بعيدة قبل المسيح . والظاهر أن اتصالهم هذا كان عن طريق القوافل البحرية التي كانت تدخل في المياه العربيـــة ، وقد تركت تلك الرحلات البحرية انطباعات مخيفة في نفوس اليونانيين ظهرت في الأساطير التي رووها عن بلاد العرب فيما بعد[٦].

وفي المصادر العربية إشارات وردت عرضاً فيها تأييد لما تقدم . غير أن البحث لا يستقيم في الوقت الحاضر إلا بعد زمان حينما يتسنى للعلماء إجراء حفريات علمية وتنقيبات أثرية في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية ، وبعد دراسة النصوص اليونانيـــة

(١) Glaser 337

(٢) نفس المصدر

(٣) راجع كتاب « صفة جزيرة العرب » طبعة D. H. Muller 2 vols Leyden 1884 — 91

(٤) Glaser p, 432 صفة جزيرة العرب ص ٩٩ س ١٣

(٥) Glaser p, 433

(٦) نفس المصدر Glaser p, 159

والرومانيـــة والفارسية والحبشية وتحليلها وتدقيقها تدقيقاً علمياً صحيحاً . وسيظهر للأمة العربية تاريخ جديد تماماً عن العهد المظلم الذي سبق عهد الإسلام والذي نجهله تمام الجهل .

قد يحل لنا هذا البحث مشكلة عويصة قديمة هي مشكلة وجود كثير من الكلمات اليونانية والفارسية والأكسومية (الحبشية) في اللغة العربية قبل مجيء الإسلام[١]. وقد ثبت وجود ذلك ثبوتاً لاشك فيه ؛ ثم مشكلة تشابه بعض الأساطير والعقائد التي كان يدين بها العرب مع الأســاطير والعبادات المعروفة في السابق عند اليونانيين والفرس[٢].

ثم مشكلة أخرى هي وجود بعض القبائل العربيـــة القديمة التي كانت تمتاز من أغلب القبائل العربية بصفات ومميزات لا يمكن أن تكون من صفات ومميزات الجنس العربي ؛ مثل زرقة العيون وحمرة الوجه وبياضه ولون الشعر وشكل الأنف والجمجمة وطول القامة وغير ذلك مما ذكر عن بعض القبائل العربية القديمة وهي قبائل ربما كانت قد استعربت واندمجت في العرب ونسيت أصلها والوطن الذي جاءت منه .

ثم مشكلة أسماء بعض القبائل وعاداتها وتقاليدها ثم أصنامها وما شاكل ذلك ؛ فكل هذه نقاط غامضة ستحل متى ما عرفنا بأن هنالك جاليات أجنبية كانت تنزل في بلاد العرب ولكن سرعان ما تندمج في هذا المحيط الجديد وتختلط بأهله وسكانه .

وفي التاريخ أمثلة ربما تؤيد هذا الرأي وتقويه ، فقبائل اليهود التي حلت في خيبر ويهود بنو النضير وبنو قينقاع ثم قبائل اليهود التي نزلت في اليمن بعد خراب المعبد على يد الرومان ، ثم القبائل اليهودية التي نزلت على شواطئ الفرات والتي كونت مستعمرات « الكالوته » هنالك وهي أشبه ما تكون بحكومات المدن[٣] (City Kingsdoom) ثم القبائل السريانية المختلفة ؛ كل هذه استعربت وانتسبت إلى أصل عربي وافتخرت بالعرب مع أنها لم تكن من هذا الأصل .

وما بالنا نذهب بعيداً وعشائر « الصليب » أو « الصلبة »

(١) راجع الكتب المؤلفة في هذا الباب .

(٢) راجع كتاب ولهوسن Wellhaussen Rest Arab Hied

(٣) راجع Scheerer History of the Jews Dubnow Jewish history.

معلومات جغرافية عن :

الحبشة

للأستاذ عمر رشدى

الأمبراطورية الحبشية القديمة :

تحتل الأمبراطورية الحبشية ، فضلا عن الجزء الذى تحتله من حوض النيل ، أودية الهواش والأدمو والجوبا وخور الجاش وخور بركة ؛ وحوض النيل قوى الصلة ببلاد الحبشة القديمة التى يسكنها الشعب الحبشى والتى تقع فى الجزء الشمالى والشمالى الغربى من الهضبة ، وهذا الجزء الذى يرتكز على أعالى النيل الأزرق والسوباط والعطبرة هو النواة التى تكونت حولها الأمبراطورية الحبشية القديمة وتبلغ مساحته ٤٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع . ومثل معظم الأقطار الجبلية الأخرى تقسم الظاهرات التضاريسية هذا الجزء إلى وحدات سياسية مستقلة أمثال تيجرى وجوجام وشوا وامهرا ، وهذه هى الممالك الأربع الحبشية الرئيسية ويحكم كل منها رأس ، وليس من السهل توحيد هذه الأقطار تحت سيادة ملك واحد كشأن الأقطار الجبلية عموما .

الحروب والرقيق وأثرهما فى اختلاط الشعوب :

هذا القطر الجبلى قد أصبح إلى حد ما ملجأ للعناصر المختلفة ، ولذلك نجد به صفات ثقافية وجنسية متعددة . وعلى الرغم من أن بلاداً جبلية كالحبشة تساعد على أن تحتفظ الوحدات الجنسية المختلفة بمميزاتها الثقافية وصفاتها الجنسية ، فإن هناك عوامل خاصة دعت إلى الاختلاط والامتزاج من أهمها الحروب الكثيرة وتجارة الرقيق التى كانت منتشرة فى الحبشة إلى وقت قريب جداً على نطاق واسع حتى أن الفرد لم يكن يحسب لدينه حسابا بقدر ما يحسب له إذا ما كان رقيقاً أو حراً . لهذا نجد الصفات الجنسية الخليطة بين الزنجية والقوقازية هى الصفات الغالبة فى الحبشة إذ تمثل نحواً من ٧٠٪ من السكان ، وهناك حوالى ١٥٪ من السكان من الزنوج الصرف كقبائل الشنجلة Shankala « بمعنى العبيد » التى توجد فى الجزء الجنوبى والجنوبى الغربى من الحبشة . هذا بالإضافة إلى الجماعات النيلوتية الموجودة فى غمبيلا من الأتراك ثم هناك حوالى ١٥٪ من السكان من الجماعات التى تغلب فيهم الصفات الجنسية القوقازية ، وهذه توجد فى الجنوب والشرق والشمال الشرقى . والصفات الجنسية الغالبة هى القامة المتوسطة والشعر الجعد واللون الأسمر القاتم والشفاه المعتدلة .

الهجرة السامية :

الهجرية السامية التى صبغت البلاد الحبشية بالصبغة السامية التى تتصف بها الهضبة الآن ، قد دخلت البلاد قبل الميلاد بعدة قرون « حوالى القرن الخامس » فقد سمع أهل اليمن عن بلاد الحبشة وما فيها من خير وفير ، وساعدهم تشابه بيئة الحبشة ببيئة بلادهم على عبور البحر الأحمر إليها واستيطان الجزء الشمالى منها ، وكانت هذه القبائل التى هاجرت من بلاد العرب الجنوبية تعرف باسم « حبشات » ولذلك أطلق على هذا الجزء الشمالى من الحبشة اسمها ، ومن ثم عمم العرب هذه التسمية فأطلقوها على البلاد كلها الواقعة بين خطى عرض ٤°، ١٥° شمالا .

اللغة الحبشية :

كانت الجماعات اليمنية التى هاجرت إلى هذه البلاد لا تتكلم بلهجة واحدة بل بلهجات متعددة ، وكانت اللغة التى تتكلم بها تعرف باسم « الجعز » التى لا تزال لغة المعابد هناك ، ولغة الجعز لا تستعمل الآن ولكن لهجات إقليم تيجرى قريبة منها . أما

وهى عشائر تتكلم العربية وتعيش عيشة بدو العرب فى البوادى [1] على رأى أكثر الباحثين من أصل لا يمت إلى العرب بصلة قد يكون من أصل مسيحى استعرب وتبدى . وقل مثل ذلك عن الفرس والأتراك الذين اندمجوا فى العرب ونسوا أصولهم وعدّوا أنفسهم من أقحاح العرب .

جواد على

(١) راجع أبحاث العلامة الأب أنستاس و La Monde Oricnta عن الصليب .

اللغة السائدة الآن فهى اللغة الأمهرية وهى لغة سامية اختلطت بها بعض الألفاظ الحامية وتكتب بحروف تشبه الحروف اليمنية التى تكتب بها لغة اليمن والتى هى لغة حمير ، واللغة الأمهرية هى لغة التعامل والتخاطب ، ولا يزال هناك شعب الأمهرة الذى يحتل الجزء الواقع فى شرق بحيرة تانا وإلى الجنوب الشرقى منها وعاصمتهم أديس أبابا .

الديانة الحبشية :

كما أن بلاد الحبشة كانت ملتقى العناصر المختلفة من حامية وسامية فهى كذلك البقعة التى اجتمعت فيها شتى الديانات من مسيحية ويهودية وإسلامية فضلا عن الوثنية . وقد كان الدين السائد فيها هو الدين اليهودى الذى جاء من اليمن التى كان يسودها هذا الدين قبل انتشار الإسلام ، ولا يزال إلى الآن فى الحبشة جماعات تدين بالدين اليهودى وتعرف باسم « الفلاشة » ويسكنون إقليم سيمين الجبلى ، وإذا نظرنا إلى بيئتهم الجبلية المنعزلة استطعنا أن نفسر بقاءهم إلى وقتنا هذا بعيدين عن المؤثرات المسيحية التى سادت معظم تلك البلاد . ومن بين العشرة ملايين نسمة التى يتكون منها الشعب الحبشى نجد نحوا من ثلاثة ملايين يدينون بالمسيحية التى أدخلها المبشرون إلى البلاد فى القرن الرابع الميلادى وأصبحت دين الأسرة الحاكمة الرسمى سنة ٣٥٠ م عندما اعتنقها الملك « عزانا » ، أما البقية الباقية من السكان فكثرتها تدين بالإسلام ولا يقل معتنقوه عن خمسة ملايين نسمة .

وعلى الرغم من ظهور الإسلام ونفوذه فى الحبشة وقربه منها فقد ظلت الحبشة ملجأ للدين المسيحى وسط الوثنيين والمسلمين واليهود ، فتاريخ المسيحية هناك عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح لتثبيت قدمها ومقاومة انتشار الإسلام . وفى الواقع يصطبغ هؤلاء المسيحيون بالوثنية القديمة أكثر منها بالمسيحية، ويتمثل هذا فى بعض عاداتهم مثل تعدد الزوجات ، وأكل اللحم النىء ، ومع أن مسيحيتهم سطحية فاننا نجد حوالى ربع سكانهم من الرهبان ، والديانة السائدة فى الحبشة هى الديانة الأرثوذكسية .

الصلات بين اليمن والحبشة :

كانت هذه الصلات قوية فى أوائل العهد المسيحى وفى القرن السابق له مباشرة ، والدماء الحبشية متأثرة تأثرا كبيرا بدماء سكان بلاد اليمن القدماء . ومما يدل على وجود هذه العلاقة بين الأحباش والساميين تلك الأسطورة الحبشية القديمة التى تتصل عناصرها بقصة من قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم وهى قصة ملكة سبأ وسليمان ، فالأسطورة الحبشية تتحدث عن تنين عظيم كان يحكم البلاد قرونا طويلة وكان على جانب عظيم من البشاعة والشراهة إذ كان يفترس يوميا عددا كبيرا من الأبقار والثيران والماعز والضأن إلى جانب مايقدم إليه من العذارى حتى ضاق السكان به ذرعا فلجأ إلى شخص اشتهر بالقوة ليقتل التنين ويتولى الملك ففعل ، وأنجب ابنة هى التى عرفت فى التاريخ باسم ملكة سبأ ، ودخلت فى حرم سليمان وقد وضعت ولدا أطلقت عليه إسم سليا بن سليمان هو المعروف فى التاريخ الحبشى باسم « منليك الأول » الذى أسس الأسرة السليمانية التى جلست على عرش الحبشة من سنة ٩٥ ق . م إلى سنة ١٨٥٥ م .

شعوب الحبشة :

يتكون سكان الحبشة من شعوب مختلفة ، لا تختلف فيما بينها فى الجنس فحسب ، وإنما تختلف أيضا فى اللغة وفى الشكل وفى العادات وفى الدين . ويطلق خطأ على كتلة هذه الشعوب اسم « الأحباش » فهؤلاء لا يمثلون فى الواقع إلا جزءا من هذه الشعوب يبلغ ثلث عدد سكان الحبشة الذى يتراوح بين ٨ و ١٢ مليون نسمة على أرجح التقديرات . ويحتل الأحباش مقاطعتى تيجرى والأمهرة وشمال مقاطعة جوجام وجزءا من وسط مقاطعة شوا ، وتشمل هذه المقاطعات أكثر من ثلث مساحة الأقليم . ويتكون الجزء الأكبر من بقية السكان من فروع مختلفة من شعب الجلا العظيم الذى أخذ يغزو الأقليم منذ بدء القرن السادس عشر الميلادى واحتل جزءا كبيرا منه .

وتنتشر على طول الحافة الشرقية تلك القبائل المسلمة المعروفة باسم الدناقل Danakil والإيشا Issa والصوماليين ، وأخيراً توجد فى الجنوب الشرقى قبائل أوغادن . وتعيش على هامش هذه القبائل الرئيسية السابقة وفى ثناياها أخلاط غريبة من الشعوب التى تميزها صفات خاصة ، ولعل أكثر هذه الشعوب غرابة هى

الفلاشة اليهودية التى تحتل خاصة منطقة جبال سيمين شمال بحيرة نانا ، ثم الجوراج التى تعيش فى المنطقة التى تحمل هذا الإسم فى جنوب شرق أديس أبابا .

الاحباسه :

الأحباش شعب محارب وهم على استعداد دائم للحرب ، إذ يحمل كل رجل منهم بندقيته باستمرار . وهم شعب فخور باستقلاله الذى تمتع به قرونا طويلة ، فخور بدينه الذى احتفظ به خلال ألف وخمسمائة عام، فقد ظلت الحبشة أربعة عشر قرنا ، وهى أرض المسيحية فى وسط هذه البحار من الوثنية . ومن صفاتهم المعيبة غلظتهم وقسوتهم الشديدة ولا سيما على الحيوان . ويحيط بالحاكم أو الرئيس أعداد كبيرة من الجند ، وهؤلاء فى العادة كسالى ولا نفع لهم . ولا تعنى الطبقات الفقيرة بالأخلاق ، فالفجور منتشرة والأمراض الخبيثة تفتك بهم فضلا عن أمراض الجذام والعمى ، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة الذباب الذى ينقل جراثيم هذه الأمراض ، وإذا شعر الحبشى بالمرض يدب فى جسمه أيقن بأن نهايته قد دنت وفقد كل أمل فى الشفاء .

الجالا :

مجموعة الجالا هى أكثر المجموعات الجنسية عددا فى الحبشة ، وهى تسكن مساحات واسعة قد انتشروا عليها عند ما لجأوا إلى هذه البلاد فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى . ويبدو مع ذلك أنهم جنس مميز حامى الأصل قد تفرع الآن إلى فروع مختلفة على الرغم من أنهم يتكلمون لغة واحدة وأنهم قد جاءوا — حسب مايعتقدون — « عبر المياه » أى عبر البحر الأحمر أو ماهوأكثر احتمالا عبر بحيرات أفريقيا الاستوائية الكبرى ، ولكن هذه المسألة لم تبحث بحثا وافيا . وهناك رأى يقول إنهم قد جاءوا من بلاد العرب فى زمن بعيد مضى مخترقين أفريقية الشرقية البريطانية ومهاجرين إلى الجنوب الغربى إلى البحيرات الكبرى ومن هناك يمموا شطر الحبشة شمالا مخترقين بورانا Borana ، وعندما جاءوا من الهضبة الوسطى استقروا فى المناطق الجنوبية والغربية وبعضهم استقر على الحدود الشرقية بين الحبشة وصحراء آنسار .

والجلا رعاة يحبون الحرب وفيهم صفاتها ، وقد خضعوا أخيرا للامبراطور منليك وذلك لكثرة ما أمده به الفرنسيون من الأسلحة ، ومن ذلك الحين لم تجد هذه القبائل وسيلة لأشباع هذه الطبيعة فى نفسها إلا فى مقاتلة بعضها البعض الآخر ، أو فى شن الغارات على جيرانها ، ولكنهم مع ذلك لا يحتكون مع الأوروبيين أو مع غيرهم من الأجانب . والجلا عموما أكثر سوادا من الأحباش وأقل تقدما . وكلما بعدنا عن العاصمة بدت وحشيتهم التى تتمثل فتشاهد فى هيأتهم وعاداتهم خصوصا بين الجماعات الوثنية . وتوجد فى إقليم جبلى Gille أقذر جماعة رأتها العين من الجلا ، فالسواد يغشى وجوههم وملابسهم وماشيتهم أيضا ، ويتخذون بيوتا أكواخا حقيرة محاطة بزريبة صغيرة حيث تساق إليها الماشية ليلا لحمايتها . ورائحة هذا المكان وقذارته لا يمكن أن توصف ، ويبدو أن الشمس تعمل كمطهر لهذه الأمكنة ، ولهذا السبب على مايظن لا تصيبهم الأمراض على قدر ما يحيط بهم من الأوساخ والأقذار . وجماعات الجلا التى تسكن أقليم شوا أقل توحشا ، فإن تدينهم بالمسيحية جعلهم يفقدون العادات الوثنية القديمة ، كما أن اقترابهم من أديس أبابا جعلهم يتصلون بالأحباش الغازين بطريق الزواج والاختلاط .

والجلا يلبسون ملابس بسيطة فيضع الرجال قطعة من الجلد على أكتافهم أو يلتفون بقطعة من القماش القطنية ، أما النساء فيلبسن رداء من الجلد مكوناً من قطعتين إحداها أشبه «بالجونلة» والأخرى توضع على الأكتاف ، ويحلون بالأساور والعقود والخواتم المصنوعة من النحاس أو الحديد أو العاج . ويظهر أنهم يأكلون أى شىء تقع عليه أيديهم ، ويعتمدون فى غذائهم على ما يصيدونه من الحيوانات البحرية ، ويستعملون فى صيدهم للأسماك قوارب عجيبة لا تطفو فوق الماء بل تنغطس تحته وبذلك يظل السمك طازجاً .

وللجلا طريقة عجيبة فى جمع هدايا الزواج ، فعند ما يرغب

شاب فى الزواج ، يقوم والده بتوزيع بعض الهدايا كالماعز بين أقاربه لينال رضاهم ، وتأخذ المسألة هذا النحو عند ما تكون العروس المنتخبة لم تزل فى المهد صبية ، وعند ما تبلغ الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة يحدد يوم الزفاف ويذهب والد العروس إلى أصدقائه جميعاً لينتقى الهدايا ، ثم يعود إلى بيته ويصف للخادم هذه الحيوانات التى انتقاها ثم يكلفه بالذهاب لجمعها ، ويندر أن يخطىء الخادم فى معرفة هذه الحيوانات فإن ذاكرتهم قوية جداً . وعندما يتسلمها الأب يرسلها مع الفتاة كنوع من الصداق ، وهو يعلم تماما عند انتقائه لهذه الهدايا أنه سيجىء اليوم الذى يجمع فيه هؤلاء الأصدقاء هدايا لبناتهم ولذلك يختار هذه الهدايا بحذر . وإذا ما هربت امرأة من منزل زوجها وأنجبت من رجل آخر مولوداً ذكراً فإن لزوجها الحق فى أن يعتبر هذا الولد ابناً له وكثيراً ما يحدث ذلك .

بعض عادات الأحباش :

هناك عادات كثيرة للأحباش تجعلهم يختلفون تماما عن معظم شعوب أفريقيا ، فعلى الرغم من أنهم يدينون بالديانة التى أدخلها اليهود الأول إلا أن كرههم لليهود ظاهرة تستحق النظر ، ولعل ذلك الكره ناشىء عن تلك الحروب التى استمرت خلال الفترة بين القرنين الرابع والعاشر بين هؤلاء الذين تحولوا حديثا إلى الدين المسيحى وبين هؤلاء الذين ظلوا يهودا . ومن عادات المهاجرين الأول من الأحبـــاش عادة قطع اللحم وأكله من الحيوان وهو حى ، ويصف لنا « بردس » حادثتان من هذا النوع أولاهما: أن جنودا قادوا بقرة إلى مكان خال حيث أوثقوها وقطعوا منها قطعة من اللحم ثم وضعوا على الجرح بعض الطين ، أما الثانية فقد كانت فى وليمة حيث أحضرت فيها بقرة حية أخذ الضيوف يقطعون من لحمها ويأكلون إلى أن ماتت بعد وقت ليس بالقصير ، ولكن أهل البلاد الآن ينفون حدوث مثل ذلك .

والأحباش لايدخنون على الرغم من أن الدخان ينمو بطبيعته هناك ، وقد كان الإمبراطور « يوحنا » يعاقب الذين يدخنون بقطع شفاههم ، ولعل هذا المنع جاء نتيجة لإعتقادهم بأن هذه العادة هى عادة إسلامية ، ولكل منهم زوجة واحدة لفترة ما ثم يعقبها زوجات أخر واحدة فواحدة . والطلاق هناك سهل وكثير ، وإذا ما طلقت المرأة مراراً رغب الرجال فى الزواج منها لكثرة ما تملكه . وللمرأة الحق فى تطليق زوجها بنفس السهولة التى يطلق بها الرجل المرأة . والنساء هناك لا يشتغلن بعمل ما فلا يحملن الماء ولا يغسلن ولا يصلحن من ملابس أزواجهن ولا يطهين . ونساء الطبقة العليا لا يخرجن إلا نادرا وإذا خرجن خرجن محجبات على ظهور البغال ويصحبهن حارس يسير إلى جوارهن .

عمر رشدى

ليسانسيه فى العلوم الجغرافية

من خواطر « جحا » :

غداً تقوم الساعة . . .

« مهداة إلى الذين يزنون الأخبار بميزان المصلحة والهوى »

للأستاذ كامل كيلانى

بهذه القصة النفيسة التالية وأمثالها ، افتتح خواطره « أبو الغصن جحا » ، وقد أهداها إلى ولديه « جحوان » و « جُحيَّة » ، وما أجدرها أن تهدى إلى ساسة العالم وقادة الشعوب ، فى كل مصر وعصر . لما فيها من تذكرة وعبرة ، نقلا عن المخطوط الجُحوى النفيس الذى عثرت عليه . ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه . قال « أبو الغصن عبد الله دجين بن ثابت » الملقب « بجحا » :

« من الحقائق الثابتة عندى أن أكثر الناس قلما يعنيهم من الأخبار والأحاديث إلا ما يوافق أهواءهم ويلائم مصالحهم . وقد جروا على ذلك منذ بدء الخليقة ، وجاريتهم فى ذلك منذ بدء حياتى إلى اليوم . فعاملتهم بمثل حجتهم ، وأخذتهم بمثل منطقهم ، هربا من الاشتباك وإياهم فى أخذ ورد وتفاديا من التمادى معهم فى جدال عقيم .

فتم لى ما أردت ، وابتسمت لى الحياة فلم أدع للحزن سبيلا إلى نفسى : وإليكما — يا ولدىّ العزيزين — بعض ما حدث لى فى هذا الباب :

زارنى جماعة من أصحابى — ذات يوم — قبل أن تولدا بزمن طويل ، فرأوا فى دارى خروفا سمينا رائع المنظر . فتحلب ريقهم شوقا إليه ، وائتمروا بى ليأكلوه . وما لبثوا أن اجتمع رأيهم على أن يوهمونى بأنهم قد علموا من أوثق المصادر التى لا يتسرب إليها الخطأ ولا يتطرق إليها الشك أن يوم القيامة غداً . وما داموا واثقين من ذلك فما معنى الإبقاء على الخروف السمين ، ولماذا لا نسرع بذبحه وأكله قبل أن نفنى ويفنى العالم كله معنا .

فتظاهرت بتصديقهم وأعلنت الموافقة على اقتراحهم ، وقمت إلى الخروف السمين فذبحته ، وسلخت جلده ، بعد أن خرجنا معا إلى الهواء الطلق حيث أوقدت نارا عظيمة ، ثم ألقيته فيها حتى يتم شيه ونضجه .

وتخففت من ثيابى الخارجية واقتدوا بى فى ذلك . حتى لا تعوقنا الثياب عن الانطلاق والمرح والتمتع بالحياة قبل انتهاء الأجل . وتحينت فرصة انشغالهم باللهو واللعب فألقيت بثيابهم فى النار . وما كادوا يفطنون إلى فعلتى حتى انقلب فرحهم غما ، واستولى عليهم الغضب ، فصرخوا مغتاظين : « كيف تجرؤ على إحراق ثيابنا ، ما نحسبك إلا قد جننت ؟ » . فقلت لهم ضاحكا :

« ما دمنا واثقين من أن آخرة العالم غدا ، فما حاجتنا إلى هذه الثياب ! ؟ »

تقر :

النشـــيد السورى

للأستاذ على الطنطاوى

ناظم هذا النشيد أديب كبير ، وصديق كريم ، وهو يعلم أن ليس له عندى إلا الاجلال والتوقير ، وأن الشاعر (وإن نبغ) يسبق تارة ويقصر ، وإن النقد (وإن قسا) لا يصدر عن حقد ، ولا يرمى إلى تحقير ، وإن مصلحة الوطن بإصلاح نشيده تسوغ مفاجأة الصديق الكبير بنقد هذا النشيد . « على »

كانت نشأتنا الأولى فى عهد العثمانيين ، وكانت لهم أناشيد يلقونها علينا باللسان التركى ، لذا لم نكن نفهم معانيها الضخمة إلا بالترجمة ، والترجمة لا تحمل دائماً المعنى كله ، فلقد كانت تهزنا ألحانها القوية المثيرة التى وضعت لتكون لمشاة الجيش قوة وعوناً . وكنا إذا أنشدناها سائرين لا نستطيع أن نقف ، وإذا تلوناها واقفين سرنا ، وإن قرأناها قاعدين حركنا ، من غير قصد منا ، أيدينا وأرجلنا — وإنها لتحرك الحجر ! ثم جاء عهد فيصل ، وكان عهد ازدهار وحياة ، ونشاط بدا فى كل شىء ، فنشطت فيه الأناشيد العربية من عقالها ، فترجمت أكثر الأناشيد التركية ، فكان منها نشيد :

أنا أمى لم تلدنى   إلا للحرب العوان

بنغمته القوية ، ولحنه العاصف — وكان أسير أناشيد ذلك الزمان وأشهرها نشيد : (أيها المولى العظيم) ، الذى اعتبر النشيد الوطنى السورى بل العربى ، على هلهلة أسلوبه ، وضعف معانيه ، يليه فى الشهرة والذيوع نشيد :

أنت سوريا بلادى   أنت عنوان الفخامه

كل من يأتيك يوماً   طامعاً يلقى حمامه

لفخرى بك البارودى ، وهو نشيد ضعيف النسج ، متهافت البناء ، لكن معانيه فى الذروة ، واشتهرت أناشيد أخرى منها نشيد : (سيروا للمجد طراً سيروا للحرب ، واستعيدوا بالمواضى دولة العرب) ؛ ونشيد طلاب المدرسة الحربية : (نحن جند الله شبان البلاد) ، وهو من خيرها لفظاً ومعنى ، وقد جمعها (الفلاح العربى) فى رسالتيه المعروفتين فى تلك الأيام .

ثم لما قضى الله قضاءه فينا فى (ميسلون) ، ووقعت الواقعة ، ودخل العدو ديارنا ، منعت هذه الأناشيد كلها ، إلا أن تردد همساً ، واشتهر يومئذ نشيد الأستاذ أديب التقى رحمه الله : (فى كل صوب حشدت عساكر مدججون) ، الذى يصور فيه موقعة ميسلون ، فكان ينشد وراء الأبواب ، وحيث لا يسمعه الغاصبون ، وهو نشيد جيد ، لحنه حزين مؤثر .

وانقطع بعد ذلك سيل الأناشيد الوطنية ، حتى قدم علينا من العراق الكشافون فى العهد الوطنى الأول (سنة ١٩٣٦) ، فأخذنا منهم نشيدين اشتهرا فينا وسارا بيننا ، حتى كان الطفل الذى لم يتعلم بعد الكلام يدير فى حلقه كلمات منهما ، وهما (هذا الوطن حق له أن يفتدى بالدما والمهج) و (نحن كشاف العراق) ، والشعر فيهما ليس بذاك ، واللحن فظيع هو أشبه بصراخ لا دلالة له ، منه باللحن الذى يؤثر فى الأعصاب ويحرك القلب ، ولكنهما مع ذلك نشيدان قويان

ووضعت على أثر ذلك أناشيد جيدة منها (نحن الشباب لنا الغد) ، ولكن يعيب لحنه هذه الصيحة المؤنثة فى آخر البيت ، عند تكرار (نحن الشباب) ، فهى صيحة عجوز ثاكل كان لها الأمس ، لا صيحة شباب لهم الغد ، والنشيد العظيم حقاً فى نظمه ولحنه ، ولفظه ومعناه ، نشيد : (موطنى) لفقيد الشعر ابراهيم طوقان — رحمه الله — ومن أجودها لحناً نشيد الأستاذ حسنى كنعان : (أيها الكشاف بادر وارتق أوج العلا) ؛ ولحنه نموذج للألحان الحماسية — نسجل هذا للتاريخ !

وصحت النية على وضع نشيد للجمهورية السورية ، وكانت مسابقة ، ولجنة ، وجائزة ، ثم عدل عن ذلك واختير النشيد الذى قدمه هذا الأديب الكبير ، فلما قرأناه علمنا أنه لوحظ باختياره اسم الشاعر ومنزلته ، وإنه لها لا لبراعة الشعر فرض علينا هذا النشيد ، واحتملناه سنين ، غير أنه لا يصح أن نحتمله الآن ، وقد تم استقلالنا ، أو هو قد أشرف على التمام ، واستقبلنا عهداً من حياتنا جديداً ، ولا بد من بيان عيب هذا النشيد لنستبدل به :

* * *

الأصل فى النشيد الوطنى أن يكون على لسان المتكلم ، لأن الأمة هى التى تردده وتنطق به ، وهذا النشيد موجه إلى حماة الديار ، مطلعه :

حماة الديار عليكم سلام
أبت أن تذل النفوس الكرام

فمن الذى يقول هذا الكلام ، ومن المخاطب به ؟ إن كان ينطق به الشباب وهم حماة الديار ، لم يعقل أن ينادوا أنفسهم ، ويسلموا عليها ، وليس هذا من (التجريد) الذى كان يألفه شعراء العرب ؛ وإن كان يقوله غير الشعب لم يكن مقبولا ، لأن النشيد يوضع ليقوله الشعب ، ويترجم به عن آماله ومطامحه .

ثم إن هذا السلام المنكّر ، من منكر القول ، وهو بلهجة أروام الأسكندرية وأرناؤوط الشام أشبه ، وليس يليق بهذا المكان ، ولا محل له فى البلاغة ، هذا إذا كان للسلام ورده داع ولا داعى له هنا أصلا .

ثم يقول بعد هذا :

عرين العروبة بيت حرام
وعرش الشموس حمى لا يضام

فلا يعرف السامع ما عرين العروبة هذا ، أهو الجزيرة أم مصر أم الشام أم العراق ؟ ولا يعرف المسلم (بيتاً حراماً) إنما يعرف البيت الحرام ، لا ثانى له ، فهذا التنكير أولا ، وابتذال اسم البيت الحرام فى كل مكان ثانياً ، كلاهما قبيح . وما هوهذا العرش ، والنشيد نشيد جمهورية ؟ أفنظمه ليكون النشيد الرسمى لبنى أميّة ، وأى شموس هذه؟ وماهذا الإبهام حيث لايحسن إلا التصريح والتوضيح؟ يأتى بعد ذلك هذا المقطع العجيب :

ربوع الشام بروج العلاء
تحاكى السماء بعالى السناء
وأرض زهت بالشموس الوضاء
سماء لعمرك أو كالسماء

أما (بروج العلاء) هذه فتصح فى كل أرض يريد أن يبالغ فى مدحها القائل ، ولا تدل على ميزة للشام ولا تصفها بصفة فيها ، ولا تعرف بها الغريب عنها ، ولا تحببها إلى أبنائها ، فهى كرائى الأستاذ على الجارم التى تصلح لغازى وللاسكندر المكدونى وللشيخ المراغى ، لأنها تهد الجبال وتبكى السماء ، وتقيم القيامة ، أو ترسل على الدنيا قنبلة ذرية ، لا بحجم البيضة ، بل بحجم الفيل ، ثم لا تذكر المرثىّ بشىء مما كان عليه . وهذا استطراد نعتذر إلى الشاعر الكبير على الجارم بك منه ، فقد جرت المناسبة .

وما دامت الشام بروج العلاء ، وكان ذلك قد تقرر لدى السامع فما معنى كونها تحاكى السماء ، وبروج العلاء هى السماء فى أفهام الناس كلهم ، وهل السماء أسنى سنا من البروج ؟ المسألة تحتاج إلى خبير فلكى .

ثم إن الضياء هوالسنا بالقصر ، أما السناء بالمد فهو الارتفاع ، ومن هنا أطلق على المجد مجازاً ، فصار معنى قوله (بعالى السناء) برفيع الارتفاع ، وهو الحشو نفسه ، وهو إذا قبل فى القصيدة لا يقبل فى النشيد ، لأن النشيد كلمات معدودة وألفاظ محدودة ، لا يجوز أن يذهب لفظ واحد منها من غير أن يدل على شىء .

وهو بعد أن جعلها بروج العلاء التى تحاكى السماء ، عاد فهبط بها فجعلها (أرضاً زهت) ولكن بالشموس الوضاء ! وما فهمت إلى اليوم مايريد بهذه الشموس التى يرددهاولايشبع من ذكرها ، إن كان يريد الحقيقة فهى شمس واحدة ما خلق الله سواها ، وإن كان يقصد المجاز ، فليذكر ما يدل عليه ويصرف الفكر إليه ، وما كل سامع للنشيد أو تال يستطيع أن يجد له التأويل ، هذا إذا كان لهذا الكلام العجيب تخريج أو تأويل .

وأعجب العجب ، وأقبح القبح ، أن يعود بعد كل ما مر ، فيجعلها سماء ، ثم ينزل بها فيجعلها كالسماء ، وهذا ضدّ ما عليه البلغاء فى كل عصر ، وفى كل أمة ، ولا أحسب ذوقاً فى الدنيا يسيغه ، عدا عن هذا الحشو فى كلمة (لعمرك) ، وعمر من هذا الذى يحلف به ؟ ولمن هذا الخطاب ؟ والمفروض فى النشيد كما بينت أن ينطق به الشعب كله ؟ !

وما هومغزى هذا كله ، وما دلالته ، وأى مجد للشام يذكر ، وأى عاطفة تثير ؟ لا شىء ، إلا هذه المناقشة المزعجة فى الشام : هل هى بروج العلاء تشابه السماء برفيع الارتفاع ؟ أم هى أرض ولكن زهت بالشموس ؟ أم هى سماء (وحياة عمرك ...) أم

كالسماء؟ هذه هي المشكلة الوطنية الكبرى، ملأ النشيد بذكرها، وهذه هي آمال الوطن ومطامحه، والله المستعان!

***

وباقي النشيد لا يختلف كثيراً عما ذكرت منه، على حين أن النشيد يجب أن يكون موضوعاً على لسان الشعب، وأن يكون قويّ العبارة، خالياً من الحشو، واضحاً كل الوضوح، صالحاً لكل زمان، معبراً عن آمال الشعب وآلامه ومطامحه، مثيراً نخوته وحماسته، مشيراً إلى ماضيه وأمجاده، وجمال أرضه ودياره، إلى غير ذلك مما يوصل إلى الغاية من وضع النشيد، وهي إثارة العزة الوطنية في النفوس، وأن يختار له النغم القويّ من غير خشونة، العاطفي بلا ضعف. وحياة النشيد بلحنه وما يهز هذا اللحن من أوتار القلوب، ويحرك من أعصاب السامعين، فإذا كان لنا نشيد يشتمل على هذا كله ... وإلا فلا تقولوا: لنا نشيد!!

علي الطنطاوي

٣ - الزندقـــة

في عهد المهدي العباسي

الأستاذ محمد خليفة التونسي

الشعوبية:

«أكل كبدي عمر»

«الهرمزان»

«وأبي كسرى علا إيوانه أين في الناس أب مثل أبي»

«مهيار الديلمي»

«أنا ابن المكارم من آل جمّ وطالب إرث ملوك العجم»

«فقل لبني هاشم أجمعين هلموا إلى الخلع قبل الندم»

«وعودوا إلى أرضكم بالحجاز وأكل الضباب ورعي الغنم»

«الموبذ»

«بهاليل غر من ذؤابة فارس
إذا انتسبوا لا من عرينة أو عكل[1]»

(١) عرينة وعكل قبيلتان عربيتان يرمز بهما الرستمي إلى الجيل العربي كله

هم راضة الدنيا وسادة أهلها
إذا افتخروا لا راضة الشاة والإبل

«أبو سعيد الرستمي»

«عاج الشقي على ربع يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد»

«يبكي على طلل الماضين من أسد
لا در درك قل لي: من بنو أسد؟»

«ومن تميم ومن قيس ولفهما؟
ليس الأعاريب عند الله من أحد!»

«أبو نواس»

***

أشرنا في المقال الأول (الرســالة - العدد ٦٣٧) إلى أن كره الفرس العرب بدأ منذ وطئت أقدامهم أرض فارس في عهد عمر بن الخطاب، وأن الهرمزان كان - حين مقامه بعد الأسر في المدينة - حاقداً على عمر، وأنه حين وفد سبي جلولاء إلى المدينة كان يمسح على رؤوسهم ويقول: «أكل كبدي عمر»

وأشرنا في ختام المقال الثاني[1] إلى أن هناك صلة بين الشعوبية والزندقة ووعدنا هناك ببيان هذه الصلة، وها نحن أولاء نوفي بما وعدنا.

على أننا لسنا هنا في صدد الكلام المفصل في الشعوبية وكل ما يتصل بها، بل همنا أن نعرض بالإيجاز لما يوضح لنا أسباب الزندقة في عهد المهدي العباسي وآثارها وحقيقتها دون تعرض للشعوبية وما يتصل بها من سائر النواحي الأخر.

في زمن النبي عليه السلام بدأ بتوجيه كتبه إلى الملوك والأمراء في شبه الجزيرة العربية وفارس وبلاد الروم، وفيه توجهت بعض البعوث لمحاربة بلاد غير عربية، وفي زمن أبي بكر بعد انتهائه من حروب الردة انطلقت الجيوش العربية الإسلامية شرقاً وشمالا تطرق أبواب مملكة فارس والروم، واستطاعت أن تستولي على بعض بلاد الدولتين، وما كاد عمر يلي الخلافة حتى عبأ الجيوش وقذف بها الدولتين فدك مملكة فارس دكا، وفيها انساحت جيوش قائده الأحنف بن قيس حتى بلغت نهر جيحون[2]، وكاد

(١) الرسالة: العدد ٦٤١

(٢) انظر في بيان مواقع الأماكن التي ورد والتي سيرد ذكرها في هذه المقالات - مصور الممالك الاسلامية والمعجم الذي وضع للكلام في البلاد التي ذكرت فيه للاستاذ أمين بك واصف.

يعبر النهر فى مطاردته يزدجرد ملك الفرس لولا أن نهاه عمر عن عبوره اتباعا لسياسته المشهورة التى تقضى ألا تكون بينه وبين جنوش المسلمين مياه ، وفتحت جيوش المسلمين فى عهده الشام ومصر وقد كان القطران خاضعين لمملكة الروم .

كان يسكن هذه البلاد أقوام من أجيال مختلفة لهم ديانات ونحل شتى وكان منهم من رضى عن الفتح الإسلامى لبلاده ، ومنهم من قابله بالحقد والكراهية ، فقد كان معنى هذا الفتح سيطرة الجيل العربى على البلاد التى فتحها ، وسيطرة الدين الإسلامى على أديان أهل هذه البلاد .

ومن الشائع أن المسلمين فى هذه الفتوح إنما كانوا يرمون إلى نشر الإسلام تنفيذاً لفريضة الجهاد فى سبيل الله ، ولكن هناك أمراً ليس بالشائع وإن يكن غرض آخر من الفتوح ، هذا الأمر هو التوسعة بهذه البلاد المفتوحة على سكان شبه الجزيرة من العرب : هو الهجرة من شبه الجزيرة إلى البلاد المفتوحة بعد أن ضاقوا به ، ونصيحة عمر بن الخطاب لجنوده الذين وجههم إلى الفرس تؤيد هذا الرأى ، فالفتوح كانت موجة من موجات الهجرة الكثيرة من شبه الجزيرة إلى ما جاورها من البلاد ، لكن هذه الموجة تمتاز بأنها تحمل ديناً وتدعو إليه .

ونحن حريون أن ننظر إلى هذا الفتوح من هاتين الناحيتين لا من ناحية واحدة ، وألا ندعى لأنفسنا من الفهم للاسلام والعصر الذى ظهرفيه أكثر من فهم عمر الذى كان من أقرب الصحابة إلى النبى وأعظمهم فهما عنه .

ولقد نظرت الأمم التى دانت للاسلام إلى الفتوح العربية على أنها فتوح أمة تنشد لنفسها السلطان على غيرها من الأمم ، وتنشد لدينها السلطان على غيره من الأديان : لم ينظر كثير منهم إلى أن هذه الأمة العربية قد جاءت بدين عام للعربى وغير العربى ، وأنها تفتح بلادهم لتدعو إليه ، بل رأوا أنها فتحت بلادهم للتسلط والاستعمار ، وإن كان حكمها خيراً من حكم سواها ، وأنها تقصد من الدعوة إلى دينها الدعوة إلى سلطانها الدنيوى .

ولقد ساء الفتح العربى كثيراً من الأقطار المفتوحة ، ولا سيما فارس ، ولذلك سببه الذى لا بد لنا أن نكشف عنه .

كانت بلاد الشام وبلاد المغرب تحت سيطرة الروم ، فلم يكن من نتيجة الفتح العربى إياها إلا أنها استبدلت سلطان العرب بسلطان الروم ، ووجدت تحت الحكم العربى من العدل والرغد ما لم تجد تحت حكم الروم ، فاستكانت إلى العرب واطمأنت إلى حكمهم حتى فقدت قومياتها ولغاتها .

وكانت فارس قبل الفتح العربى بلاداً مستقلة ذات سيادة وحضارة ومملكة ، وكان لها سلطان حتى على العرب ، وكانت تحكم قبل الإسلام بلاد اليمن والبحرين والعراق حتى أن كسرى أبرويز حين تلى عليه كتاب النبى الذى يدعوه فيه إلى الإسلام ، غضب ومزق الكتاب وكتب إلى عامله على اليمن (بازان) يأمره بأن يأتيه برأس هذا الرجل الحجازى ، وكانت فارس تستعين بقبائل الحيرة فى حروبها مع الروم ، وتستعين بقبائل العرب على صد المعتدين على حدودها من الروم والأعراب ، وعلى خفارة القوافل أثناء مرورها فى البلاد العربية ، بل لقد استعان بهرام جور برؤساء قبائل الحيرة فى الجلوس على عرش فارس بعد أبيه يزدجرد برغم أنوف المعارضين له من الفرس ، ولقد كانت لفارس ثقافة وحضارة ، وفى اللغة العربية كثير من الكلمات الفارسية دخلتها قبل الإسلام ، وفى سيرة ابن هشام أن النضر بن الحارث كان يقول لأهل مكة : « يحدثكم محمد بأخبار عاد وثمود ، وأنا أحسن حديثاً منه : هلموا إلى أحدثكم بأخبار رستم واسفنديار والأكاسرة » وقد عرف العرب المجوسية (الديانة الفارسية القديمة) ويقال إن بعض بنى تميم قد اعتنقوها .

ولم يكن لسلطان فارس مثيل قبل الإسلام إلا سلطان الروم ، وقد وقعت بين الدولتين حروب كثيرة شهد ظهور الإسلام أواخرها ، ويقول المقريزى : « إن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وصولة الخطر فى أنفسها بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاظمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة »

ما من شك فى أن الفرس كان لهم قبل الفتح العربى سلطان واستقلال ومملكة ، وأنهم كانت لهم سيادة على بعض البلاد العربية ، وأنهم كانوا يحتقرون العرب ، وأن بلادهم هى البلاد

الوحيدة التي كانت تتمتع باستقلالها ومملكتها وحضارتها عند الفتح العربي ، فلما فتحها العرب سلبوا استقلالها ومملكتها ونظمها ،ومن أجل ذلك تعاظمهم — كما يقول المقريزي — الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وأي مصيبة أعظم من فقدان استقلالهم على أيدي أمة كانت أقل الأمم خطراً عندهم . ومن أجل ذلك لقى العرب في إخضاع الأمة الفارسية من المشقات ما لم يلقوا في إخضاع غيرهم من الأمم (١) .

ولقد بقيت فارس تتطلع إلى الاستقلال تحت الحكم العربي من أول يوم دخلت فيه تحته ، وظلت موطن كفاح دائم بين الفريقين ، واستعان الفرس في مناضلة العرب بجميع قواهم : فاستعانوا بقوة الجيوش مرارا فما أفلحوا ، وظل العرب قابضين على نواصيهم لقوة عصبيتهم ضد عصبية الفرس ، وشجاعتهم أمام شجاعة الفرس ، فلما خانتهم قوة الجيوش حاولوا التمسك بلغتهم وحضارتهم ودياناتهم فخابوا بعض الخيبة وظفروا بعض الظفر : ذلك أن اللغة العربية غلبت على لغتهم لغناها ووجوب التعبد بها ، وغلب الإسلام دياناتهم بترك بعضهم دينهم خوفا من البطش أو تزلفا إلى الدولة الإسلامية أو إيمانا به ، ووهت ثقافة اللغة الفارسية كما وهت المجوسية ، وامتزجت الحضارتان ، وأناب كثير من العامة إلى الحكم العربي والدين الإسلامي الذي جاءهم به العرب واللغة العربية ، واختفت العصبية أول الأمر كثيرا ، ومما ساعد على اختفائها عندهم حسن سيرة الحكام في العهد الأول في الرعية وتنفيذهم أوامر الدين في معاملة المغلوبين بنصها وروحها ، فكان للمغلوبين ما للغالبين وعليهم ما عليهم فيما عدا الإدلاء ببعض المناصب ، ولكن العصبية لم تذهب — وإن اختفت — من رؤوس رؤسائهم وذراري ملوكهم بل بقيت متأججة يتناقلونها خلفا عن سلف ، وقد بدأ ظهورها يزداد منذ انقسام العرب بعضهم على بعض في أثناء الدولة الأموية ، وظهور العصبيات الجزئية القبلية التي اجتهد النبي وخلفاؤه ونجحوا في إخفائها ، وظهور التفرقة في المعاملة بين العربي وغيره ممن دخل في الإسلام عند الخلفاء والولاة ، واحتقار العرب الموالي عامة .

وأول ما بدأ ظهور العصبية الفارسية في فارس ، ففيها ضعفت أول ما ضعفت العصبية العربية لظهور العصبيات القبلية ، وقلة العناصر العربية فيها لقلة العرب واندماجهم مع الفرس بالتزاوج والتناسل واستقرارهم فيهم وبعدهم عن مواطنهم التي خرجوا منها .

ولقد ظهرت حاجة العرب إلى الفرس بعد الفتح العربي بقليل ، فقد انصرف العرب إلى الفتح والجهاد ، ففغلوا عما سواه ، كما يقول ابن خلدون في مقدمته ، وانصرف الموالي من الفرس إلى الأدب واللغة والفقه والنحو فأسدوا إلى هذه النواحي أعظم الخدمات ، وكانوا فيها البرزين دون العرب ، ومما يؤثر عن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦—٩٩ هـ) قوله : « ألا تتعجبون من هذه الأعاجم ! احتجنا إليهم في كل شيء حتى في تعلم لغاتنا منهم » وقوله : « العجب لهذه الأعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا إلينا ، فلما ولينا لم نستغن عنهم » .

ومما يحكى أن عربيا وفارسيا تناظرا بين يدي يحيى البرمكي ، فقال الفارسي للعربي : « ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية ، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم حتى إن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم على ماسمينا ما غيرتموه » .

(البقية في العدد القادم) محمد خليفة التونسي

(١) في خطاب الأستاذ عبد الرحمن بك عزام أمين الجامعة العربية الذي ألقاه في أول اجتماعات الجامعة منذ شهور تعليل آخر لهذا الاختلاف بين فارس وسائر البلاد التي فتحها المسلمون وما كان من سخط الفرس على العرب واستكانة غيرهم هذا التعليل هو أن بلاد فارس كان يسكنها فرس ، وسائر البلاد كانت فيها عناصر عربية هاجرت إليها من شبه الجزيرة قبل الاسلام بقرون، فعنده أن سخط الفرس سببه اختلافهم عن العرب وأن رضا غيرهم سببه اتفاقهم مع العرب في العروبة ولم أدرسه .

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٥ —

ب — كسر السجن :

وكان يحدث كثيراً أن يكسر السجناء أو العامة السجن ويخرج مَنْ في السجون ، كلما غضبت العامة ، أو ثار الجيش ، أو قامت فتنة في البلد . وكثيراً ما نقرأ في الطبري « وفي هذه السنة كسر العامة السجن ... » فمن ذلك أنه لما خرج الراوندية على أبي جعفر المنصور ، ، وكانوا قوماً يقولون بتناسخ الأرواح ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور[١] ، أخذ أبو جعفر رؤساءهم فحبسهم . فأقبلوا يطوفون حول قصر الخلافة وقد غضبوا . وأعدوا نعشاً ، وحملوا السرير ، وليس في النعش أحد ، ثم مروا في المدينة حتى صاروا على باب السجن ، فرموا بالنعش ، وشدّوا على الناس ، وكسروا باب السجن فدخلوا وأخرجوا أصحابهم[٢] .

ولما شغب الجند على الأمين نقب أهل السجون سجونهم وخرجوا منها فلم يجازهم أحد[٣] . وحاول أهل السجن أن يشغبوا زمن المأمون ، وأن ينقبوا السجن . فسدوا الباب من داخل ولم يدعوا أحداً يدخل عليهم ، وأخذوا في نقب السجن . فلما كان الليل ، وعلا شغبهم وصوتهم ذهب المأمون ، فدعا بنفر من الشُطّار وأصحاب الشغب في السجن ، فضربت أعناقهم ، وصُلبوا على الجسر[٤] .

وفي زمن المستعين سنة ٢٤٩ اجتمع العامة في بغداد بالصراخ والنداء بالنفير ، وانضمت إليها الشاكريه ، ففتحوا سجن نصر ابن مالك ، وأخرجوا من كان فيه . وانتهب ديوان قصص الحسين ، وقطعت الدفاتر وألقيت في الماء[١] .

وفي زمن المهتدي (٢٥٥) اجتمع جماعة من الجند والشاكرية ومعهم جماعة من العامة ، حتى صاروا إلى سجن باب الشام ، فكسروا بابه في الليلة الثالثة عشرة من رمضان ، وأطلقوا أكثر من كان فيه . ولم يبق من أصحاب الجرائم إلا الضعيف والمريض والمثقل[٢] .

وفي زمن المعتمد سنة (٢٧٢) نقب المطبق من داخله وفر بعض المسجونين[٣] .

وقبيل وفاة الموفق سنة ٢٧٨ قامت العامة فانتهبت دار إسماعيل ابن بلبل ، وفتحت الجسور وأبواب السجون ، ولم يبق أحد في المطبق ولا في الجديد إلا أخرج[٤] .

وفي سنة ٣٠٦ شغب أهل السجن الجديد ، وصعدوا السور فركب نزار بن محمد صاحب الشرطة وحاربهم وقتل منهم واحداً ورمى برأسه إليهم فسكنوا[٥] .

ويذكر الخطيب البغدادي أنه في سنة ٣٠٧ كسرت العامة الحبوس في مدينة المنصور ، فأفلت من كان فيها . وكانت الأبواب الحديد التي للمدينة باقية فغلقت وتتبع أصحاب الشرط من أفلت من الحبوس فأخذوا جميعاً حتى لم يفتهم منهم أحد[٦] .

وفي زمن المقتدر سنة ٣٠٨ غلت الأسعار ببغداد ، وشغب العامة ، ووقع النهب ، وركب الجند فيها ، وشتتهم العامة ، وأحرقت الحبس وفتحت السجون[٧] .

ولعلك لاحظت أن كسر السجون كان نتيجة الشغب والفتن وعصيان الجند ، وغلاء الأسعار ، واضطراب العامة . وهذه أمور كانت مما امتاز به العصر العباسي الثاني . وقد كان للأتراك الشأن الكبير فيها . ولن نورد كل ما ذكره المؤرخون فحسبنا ما ذكرنا .

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص ١٨٨ .
(٢) الطبري حوادث سنة ١٤١ ج ١٠ ص ١٣٠ .
(٣) الطبري حوادث سنة ١٩٦ ج ١١ ص ٨٦٧ .
(٤) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٧٨ .

(١) الطبري حوادث سنة ٢٤٩ ج ١٢ ص ١٥١٠
(٢) الطبري حوادث سنة ٢٥٥ ج ١٢ ص ١٧٢٨
(٣) الطبري حوادث سنة ٢٧٢ ج ١٣ ص ٢١٠٩
(٤) مروج الذهب ٢ — ٤٦٠
(٥) المنتظم لابن الجوزي ٦ — ١٤٦
(٦) تاريخ بغداد ١ — ٧٥ ، ولسترانج ص ٤٨
(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٣

٣ — موت الخليفة :

وكانوا يطلقون السجناء لموت الخليفة أو عزل الوزير : حدّث التنوخى عن أحمد بن المدبر قال : « لما سجنت مع أحمد بن إسرائيل ، وسليمان بن وهب معاً ، قال لى سليمان ذات يوم : رأيتُ البارحة فى نومى كأن قائلا يقول لى : « يموت الواثق إلى ثلاثين ليلة . فلما كان يوم الثلاثين ، وكان الليل ، لم نشعر بالباب إلا وقد دُقّ دقاً شديداً ، وصاح بنا صائح : البشرى ، قد مات الواثق فاخرجوا[1] » .

وربما أطلق الخليفة الجديد المسجونين زمن الخليفة السابق كما فعل المهدى . فقد أمر بإطلاق من كان فى سجن المنصور . إلا من كان قبله تباعة من دم أو قتل ، أو معروفاً بالسعى فى الأرض بالفساد . فأطلقوا من فى المطبق[2] .

وأطلق المقتدر أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم ، وأمر محمد بن يوسف القاضى أن ينظر فى ذلك[3] .

وذكر ابن الجوزى أن الراضى لما ولى الخلافة أمر بإطلاق من كان فى حبس القاهر ، فأطلقوا جميعاً[4] .

وربما يطلقون لعزل الوزير أو موته . حدّث محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش قال : « قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله ابن سليمان بن وهب ، فى وزارته للقاهر على أبى وعلىّ معاً . فحبسنا فى حجرة من دار ضيقة ، وأجلسنا على التراب ، وشدد علينا . فقال لنا الموكلون بنا ذات يوم : قد عزم الوزير على قتلكما الليلة ... فتغير حالى ، وقام أبى يدعو الله ويصلى ، فلما مضى ربع الليل سمعت الباب يدق ، فذهب عنى أمرى ، ولم أشك أنه القتل . وفتحت الأبواب ، فدخل قوم بشموع ، فتأملت فإذا فيهم سابور خادم القاهر . فقال أين أبو طاهر ؟ فقام أبىَ وقال ها أنذاك فقال : أين ولدُك ؟ قال : هو ذا . فقال انصرفا إلى منزلكما . وإذا هو قد قبض على الوزير محمد بن القاسم ، وأحدره إلى دار القاهر ، وانصرفنا . وعاش محمد فى الإعتقال ثلاثة أيام ومات[5] .

(١) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤٩

(٢) الطبرى ، حوادث سنة ١٥٩ ج ١٠ ص ٤٦١

(٣) المنتظم لابن الجوزى ج ٦ ص ١٩

(٤) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٦٦

(٥) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٥٢-٥٣

٤ — العفو :

وقد يطلق المسجون بعفو من الخليفة . مثال ذلك ما حكاه المسعودى ، قال : ذكر عبدالله بن مالك الخزاعى ، وكان صاحب شرطة الرشيد قال : أتانى رسول الرشيد فى الليل . فارتعت .. فلما مثلت بين يديه ، قال : إنى رأيت الساعة فى منامى كأن حبشياً قد أتانى ومعه حربة ، فقال إن لم تخلّ عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخلّ عنه ، قال فمضيت إلى الحبس وأطلقته[1] .

ومن الطرافة أن تقرأ هذه المنامات ، وترى كيف يطلق السجناء بعدها . وقد سرد قسما كبيراً منها التنوخى فى الفرج الشدة[2] .

٥ — الاحتيال :

وقد يحتال المسجون بحيلة لينجو . ذكر ابن طيفور أن طاهر بن الحسين كان يتعشق بخراسان جارية من جيرانه يقال لها « ديذا » وكانت توصف بجمال عجيب ، وكان يختلف إليها . ولما صار إلى مدينة السلام ، وقع فى سجنه جار لديذا بجرم خفيف ، وطال حبسه ، ولم يعرف أحداً يشفع فيه ، فاحتال لرقعة لطيفة ، أرسلها إلى طاهر ، وتوسل إليه بجوار ديذا فلما قرأها كتب فى ظهرها :

ويا جار ديذا لا تخف سجن طاهر
فواليك لو تدرى عليك شفيق
أيا جار ديذا أنت فى سجن طاهر
وأنتَ لديذا فاعلمن طليق[3]

ولما سجن عزّ الدولة ، إبراهيم بن هلال الصابىء ؛ احتال هذا على الخروج بأن ألف له مصنفاً فى أخبار آل بويه وهو التاجى ، فخرج[4] .

(يتبع) صلاح الدين المنجد

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦٩

(٢) انظر الفرج بعد الشدة . ج ١ ص ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ...

(٣) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١١٨ ، وأنظر حادثة أخرى فيه ص ٢٥ .

(٤) تاريخ الحكماء للقفطي ص ٧٦ .

يا نســـيم الخريف

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

يا نسيم الخريف أحييت آما ... لى برياك يا نســـيم الخريف
لك فى كل خطرة نفحات ... من حنان الحانى وعطف الأليف
ولدى كل مهجة ذكريات ... تجتليها الأحلام مثل الطيوف
أنت حققتهـــا نجوماً وضاء ... فى ظلام النسيان ذات رفيف
يا نسيما تهلل الأيك نشـــوا ... ن طروباً يشدو له بالحفيف
وجرى النهر راقصاً يتهادى ... صـــافحته يد النسيم اللطيف
يده تملأ الفضـــاء أريجاً ... عبهرى الشذا كمسك مدوف
يا لذاك النسيم طلقاً عليلا ... سار فى حيرة القوى الضعيف
فى سهول فيح وواد فسيح ... ومروج خضر وريف وزيف
داعب الدوح باحتناق الأماليـ ... ـدوشَـمر الصفصاف بالتصفيف
وخدود الورود بالقبل الريَّـ ... ـا من الشوق والغرام العفيف
وقدود النخيل جمشها ، يحـ ... ـسب أن النخيل أعطاف هيف
عجباً يا نسيم ما زلت تسـعى ... حـدباً حانياً كقلب عطوف
كم تفانيت فى التلطف حتى ... قد وصلت المشتى بلطف المصيف
ووصلت الشتاء بالصيف والوحـ ... ـشة بالأنس والربا بالكهوف
وجعلت الضحى أصيلا وحر الـ ... ـقيظ برد المساء بالتلطيف
وبلغت الشطوط وهنان فاستلـ ... ـقيت تغفى حيناً على كل سِيف
ثم دوّيت فى الفضاء دوى الر ... عـد فى ثورة القوى العنيف
بارداً تجمد الحرارة فيـــه ... وهو ماض ببرده كالسيوف
نتمناه فى الهجير ونخشـــا ... ه شتاء متى أتى كالحتوف
يا نسيم الخريف طابت لياليـ ... ـك لقلبى طيب الجنى والقطوف
وليالى الخريف أنشودة الشا ... دى وعيد المنى وحلم الريف
هى فى الحفة الطليقة برد ... وسلام من الجمال الشفيف
كم غمام يختال فيهـا خفيفاً ... فإذا اربد لم يكن بخفيف
وسحاب كالبحر أسبح فيه ... بخيـــال يجد فى التجديف
ونجوم تجـــلو الدجى لتراها ... ولنصغى لهمسهـا المألوف
ولشدو الطنبور أدركه الأيـ ... ـن فأصغى لأنه الشادوف
عجباً للطبيعة الحسن فيها ... صور بالألوف بعـــد الألوف
كم لها من مناظر وشكول ... وصنوف تجد إثر صنوف
هى حيناً تلوح فى زرق الغر ... وحيناً فى حكمة الفيلسوف
وإذا ما تبرجت فكم استحـ ... ـيت دلالا بوجهها المكشوف
كل ما فى الطبيعة المثل الأعـ ... ـلى لنفس تحيا بحس رهيف
وأراها بمقلة الشاعر الشا ... دى وقلب المتيم المشـــغوف
من يكن يعبد المحاسن طراً ... فبحسبى هـذا الجمال الريفى

يا شـــعب صهيون

[تحدى المؤتمر الصهيونى العام
العرب فى بيانه الصادر من القدس]

الأستاذ حسن أحمد باكثير

ياشعب صهيون! لا تبطركم النعم ... ولا نفوذ لكم تعنو له أمم
ولا يغرنكم مال لكم لبد ... فالدهر يمهل حيناً ثم ينتقم
دعوا فلسطين وانأوا عن عرائنها ... فى عرائنها الآساد والبهم
إن صودقوا صدقوا أو سوبقوا سبقوا
أو هوجموا هجموا أو صودموا صدموا
لا تحسبوا أنها تغـــدو لكم وطناً
إذا ارتضت طعمة فى الغرب أو طُعَم
مصيرها فى يدى أصحابها فدًى ... ما ترجفون وما شدتم سينهدم
إن كان فى يدكم مال ففى دمنا ... بأس ورثناه عن آبائنا حطم
بأس جرى فى دم الأجداد مضطرماً
ولم يزل فى دم الأحفـــاد يضطرم
إنى لألمح خلف الأفق عاصفة ... عرباء لا تنقضى حتى يراق دم
وفتنة تتلظى فى جوانبهـــا ... حمر المنايا وتستشرى وتحتدم
أعيذكم أن تثيروها بباطلكم ... فتندموا حين لا يجديكم الندم



البحترى وإسماعيل صدقى باشا ، رؤية المكان البعيد :

١ — رُوِى لى أن الأستاذ اسماعيل صدقى باشا لما قابل (سعداً العظيم) بعد تلك الصدعات قال له : يا سعد كلما سعينا فى هدمك بناك الله . والبحترى (أحد الثلاثة) يقول :

كم حاسد لأبى العباس مشتغل بنعمة فى أبى العباس تشجيهِ
يروم وضماً له والله يرفعه ويبتغى هدمه والله يبنيهِ

فإن كان الأستاذ اسماعيل صدقى باشا قرأ ديوان (الوليد) فإنه للمفتش المطلع ، وإن كان القول من عنده فلوذعيته هى معطيته . وقد سمعت شاعرنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن يذكر (صدقياً) بخير .

٢ — جاء فى إحدى المقالات التى تنشرها (الرسالة الغراء) فى عنوان (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) :

« قال الأديب الكبير الأستاذ شفيق جبرى : (من بالعراق يراك فى طرسوسا) هذا (شهود البعيد) الذى ابتدعه هؤلاء العفاريت فى هذا الزمان » .

وقد وجدت خبرا فى (طبقات الشافعية الكبرى) للعلامة عبد الوهاب السبكى فى (رؤية المكان البعيد) فرأيت روايته ، قال :

« التاسع عشر [1] رؤية المكان البعيد من وراء الحجب كما قيل : إن الشيخ أبا اسحاق الشيرازى كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد » .

السهمى

إلى صاحب العزة الأمين العام لجامعة الدول العربية :

من أخبار بغداد الأخيرة نبأ مؤداه أن مجلس الوزراء العراقى قرر منع طلبة البعثات العلمية العراقية من الزواج بالأجنبيات مدة دراستهم . .

ولما كان القرار بالشكل الذى نشر به فى الصحف مطلقاً غير مقيد فهو يذكر الأجنبيات دون تحديد أو تخصيص

ولما كان كثير من طلبة البعثات العلمية العراقية يدرسون فى البلاد العربية الشقيقة وخاصة مصر — فقد اختلفت الآراء فى تفسير المقصود من هذا القرار وبيان مدى تطبيقه . .

ومهما يكن من أمر فلا شك فى أن من سياسة جامعة الدول العربية تقوية الصلات وتنمية الروابط بين البلاد العربية بكافة الطرق والوسائل . كما لا نشك فى أن تزاوج الأفراد من مختلف البلاد العربية هو من أنجع الطرق فى تحقيق الوحدة القومية بين هذه البلاد إذ بالتزاوج والتصاهر تقوم علاقات لا يمكن أن تنفصم بين الأفراد والعائلات وتكون هذه العلاقات الشخصية الفردية أقوى دعامة للعلاقات العامة القومية فى بناء الوحدة العربية المنشودة . . . .

فإذا نظرنا على ضوء ما تقدم إلى قرار مجلس الوزراء العراقى يكون شمول لفظ « الأجنبيات » لغير العراقيات عموما بما فيهن المنتميات إلى دول أعضاء فى الجامعة العربية موضوع نقد معقول لما فيه من تفويت للمصالح المشار إليها ومن تسوية بين رعايا الدول العربية ورعايا سائر الدول الأجنبية وهى تسوية يأباها روح ميثاق الجامعة العربية . بل ويأباه نصه الذى تناول مسألة الجنسية فيما تناوله من الأمور التى تهدف الجامعة إلى توحيدها بين الدول الأعضاء وقد خصصت لها فعلا لجنة من لجان الجامعة .

لهذا أتشرف بأن أقترح على عزتكم أن تقوم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بمباحثة الحكومة العراقية فى إصدار تفسير للقرار سالف الذكر يتحدد به المقصود بلفظ « الأجنبيات » بما يخرج من مدلوله المنتميات لدولة من الدول الأعضاء فى مجلس الجامعة مراعاة لكل ما سلفت الإشارة إليه من الاعتبارات . .

وإنى لعظيم الأمل فى أن تنال هذه المسأله التى لا تنقصها الأهمية حسن الإلتفات والاهتمام وذلك لما نعهده فى عزتكم بصرف النظر عن مهام منصبكم السامى من إخلاص صادق لقضية العروبة واهتمام دائم بكل ما يخدمها من قريب أو بعيد .

محمد عبد الجليل
رئيس رابطة العروبة بجامعة فاروق

(١) النوع التاسع عشر من الكرامات .

رأى فى الشرط الرابع فى عضو هيئة كبار العلماء :

يدور الآن بمناسبة تعيين شيخ للأزهر خلاف كبير فى الشرط الرابع فيمن ينتخب ضمن هيئة كبار العلماء ، وهو أن يكون قد اشتغل بالتدريس فى إحدى الكليات ، أو شغل إحدى وظائف الإفتاء أو القضاء الشرعى من درجة رئيس محكمة الخ الخ .

ففريق كبير من علماء الأزهر يرى أن المراد بالكليات التى يجب أن يكون قد اشتغل بالتدريس فى إحداها الكليات الأزهرية الثلاث : (كلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة ، وكلية أصول الدين) لا غيرها من الكليات الأخرى .

وقد أفتت لجنة الفتاوى بوزارة العدل أنه يدخل فى الكليات الواردة فى هذا الشرط غير الكليات الأزهرية من الكليات ، مثل كلية الآداب ، وكلية الحقوق .

وإنى أرى أن هاتين الكليتين لايمكن دخولها فى الكليات الواردة فى هذا الشرط بطريق النص كما أفتت هذه اللجنة ، وإنما يمكن دخولها فيها بطريق القياس للشبه بينهما وبين كلية اللغة العربية وكلية الشريعة ، فإذا اشتغل بالتدريس فيهما بعض علماء الأزهر ، جاز انتخابه عضوا فى هذه الهيئة ، وإنكار هذا القياس لا يصح بعد أن جاء الإسلام باعتبار القياس ، ولم ينكره إلا من لا يعبأ به من فرق الإسلام ، وهذا الشرط لا يقصد منه إلا إخراج مدرسى المعاهد الابتدائية والثانوية

وقد صار للأزهر أبناء لا يحصون يشتغلون بالتدريس فى غير المعاهد الدينية والكليات الأزهرية ، فلا يصح أن يحرموا من منصب شيخ الأزهر ؟

عبد المتعال الصعيدى

البعث :

قرأت أخيراً ديوان البعث للأستاذ الشاعر ابن محمود فوجدت فى الديوان رقة عذبة تنساب فى القصيدة التى أهداها إلى الآنسة أم كلثوم كما تظهر واضحة فى قصيدة « الإنطلاق » حيث يقول :

رب يوم أبصرتك العين فى الجو طليقا
تنشد الألحان ألوانا ، وفى الحب غريقا
ناعم البال بألف عزفى الأيك رفيقا
وهفت نفسى إلى عيشك فى شوق وحزن

أى عيش كان حلوا حينما كنت تغنى
غن لى ياطير غن ، أى لحن أى لحن

ترى معى أن الشاعر قد رق فى هذه الأبيات إلى درجة لا تملك معها إلا الإهتزاز والشوق إلى سماع هذا الطائر المغنى .

وكم سرنى أن وجدت الشاعر يبتسم للحياة ابتسامة نفتقدها على شفاه أغلب الشعراء فلا نجدها ، سرنى هذا وظلت به مسروراً إلى أن صادفته يتجهم للحياة مرة أخرى ويبرم بها فيقول : —

أنكر الناس حينما أنكروه فنأى عنهم بشتى المراحل
يا لقومى كم نابغ عبقرى فى حمى النيل ذكره اليوم خامل

أجل نجده يتابع الشعراء فى هذا المضمار ، وحبذا لو سلك الطريق المشرق الآخر . . وعلام التجهم والحياة كلها لا تساوى هم ساعة ... ابتسم ياسيدى فستبتسم لك وتلفتك إلى أفراحها .

وأعجبنى الشاعر أيضا حينما تناول ناحية القصص وعالجها ، الشىء الذى لا نكاد نجده فى شعرنا ، وهو بهذا أجرى الشعر فى مضمار المجتمع خاصة فى قصيدته « عقبى الجهل » .

ولكن يظهر أن القافية كانت تتعب الأستاذ الشاعر بعض الشىء ويبدو هذا فى قوله :

يسطع البدر بينها كمنار باهر الضوء بالسنى مستطار

وقوله فى قصيدة أخرى :

وعلى الدنيا وما أبهجها عالما يبهر أرباب العقول

ترى معى أن القافية مجهدة « فستطار » كلمة أتى بها للوزن فحسب ، « وأرباب العقول » كلمتان نسمعهما فى السوق ولا نقرأهما فى الشعر .

وكنت حينما تطول القصيدة ألمس الضعف فى الأبيات الأخيرة مع أن القصيدة قد تبتدىء قوية ثم تتدرج فى الضعف حتى تصل إلى آخرها فترى البون قد بعد بين مطلع القصيدة وختامها ولو أنها بترت لأصبحت كاملة معنى وليس بها ما يشوب ، ويبدو هذا المأخذ واضحا فى قصيدته « فى الزفاف الملكى » .

ولا بد للمتكلم عن هذا الديوان أن يذكر ما به من روح متوثبة قد تقعد بها فى بعض الأحيان وعورة اللفظ والقافية .

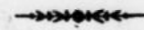
وأعتقد أن كل هذه المآخذ سهلة الاستدراك لو تفضل الأستاذ الشاعر وأولاها شيئا من التفاته .

ثروت أباظة



هتاف الجماهير

للأستاذ عبد الحفيظ نصار



(هتاف الجماهير) للأستاذ أمين يوسف غراب ، ومجموعته تشتمل على خمسة عشر قصة لن يتسع لي المجال للتعرض لها كلها ، وأعتقد أن مجموعته في الطليعة عند ما يصح أن نختار قصصاً نضمها بكل فخر جنباً إلى جنب مع القصص الأجنبية القوية ، كما أنها تتسم جميعاً بأسلوب بارع الوصف ، كما أن الكاتب متأنق في اختياره لألفاظه أناقة محببة غير متكلفة ، ويأخذك من تعبيراته عطر قوى نفاذ . . . لعله عطر المرأة التي تأخذ دوراً هاماً في أكثر قصصه .

وإليك قصة (طريق الدنس) وهي قصة امرأة ناضرة ناضجة شغل عنها زوجها بسهراته خارجا — فماذا قالت لنفسها وماذا قالت المرآة لها في خلوتها ... فكرة بسيطة في حوادثها .. ولكني أؤكد أنها في تحليلها لعواطف المرأة لا تقل عما يكتبه مارسيل بريفو ، وفي قوة وصفها تقف بكل فخار بجوار قصص موباسان . ليس في القصة حوادث أو حركة كبيرة بل تعتمد على (الحركة النفسية) التي هي موضوع القصة . وذلك شأن القصص الروسية الخالدة التي نعتبرها مثالا في القصص العالمية .

كذلك قصة (الأستاذه) وهي محامية كتبت عواطفها الحارة كامرأة ، وتجاهلت نضج ثمارها كشجرة يانعة ، فأخفت تلك العواطف وتلك الثمار ، تحت رداء المحاماة القاتم ، وتكلفت الجد الذي هو بعيد كل البعد عن طبيعتها المشرقة ومضت في الحياة عاملة كرجل ... ولكن إلى متى يمكنها أن تمضي متجاهلة النداء ؟

وأما قصة (البلبل والحمامات السبع) فتصور حياة سبع مدرسات في مدرسة إقليمية شاءت مديرتها أن تجعل منها ديرا منعزلا عن الحياة والأحياء — وعلى الأخص ذلك الجنس الآخر مصدر الشر وهو الرجال — فيعشن في سلام معيشة الراهبات .

وليست العبرة عند الكاتب في حوادث القصة . ولكنه يعالج فكرة قد تظهر بساطتها عند تلخيصها . ولكنك ترى عمقها في تحليله وروعتها في عرضه . كما أنه يرتفع في وصفه في هذه القصة إلى درجة عالية من البيان ، وقد وصف لنا الرئيسة محللا نفسيتها بأنها امرأة حلت الأيام مشاكلها مع الزمن على حسابها ، خلقة مشوهة دميمة وصوت أجش بغيض وعينان ضيقتان أكل الحقد أهدابهما ولم يبق منهما سوى نظرات نارية حادة لا تكاد تعكس مرئيات الأشياء على عينيها أبدا وإنما تعكس صفحة وجهها المشوه على خاطرها فتراه دائما وتراه مقترنا بسلسلة تلك المصائب التي جرها عليها هذا القبح طيلة الأربعين سنة التي قضتها في دنياها الشقية ..) فهي لا تكاد تطيق رؤية الفتيات السبع يخطرن أمامها في مرح وسعادة ملء إهابهن الحب والأمل ، ومن ذلك يفسر لك قسوتها عليهن وتزمتها في معاملتهن وأخذهن بالتقشف الشديد المر حتى نسين الشباب والابتسام .

وأما (البلبل ...) فهو ذلك العامل الذي تضطر المدرسة الضرورة لاستدعائه من المدينة لبعض الاصلاحات لبضع ساعات ثم تحتال الحمامات على إطالتها إلى ليلة ... وقد تيقظ الفتيات كما تتفتح الزهرات لأنداء الربيع ، حتى تلك الزهرة الذابلة .. الناظرة .

وإني لأحس بأنني أظلم القصة عندما أحاول أن أعطى منها صورة فلا أستطرد في ذكر ما كان . ولكن أحب أن أقول إنها ذكرتني بقصة (ستة وعشرون رجلا وامرأة ...) لمكسيم جوركي . والبلبل هنا امرأة ، وعند قصاصنا فتى ، ولكنها لا تشبهها في شيء من الحوادث أو طريق المعالجة ولكن في بعض الخطوط الرئيسية في الفكرة النفسية وهي شيء يتشابه فيه البشر في كل مكان .

ولكن يختلف الكتاب في تصويره . وله إلى هذا بعض قصص اجتماعية يصف فيها الريف بصميم تقاليده وعميق إحساس أفراده إلى بساطة وسذاجة هما طبائع أهله ، وقد دل على معرفة ودراسة لأحوال الريف قلما تجدها صادقة في غير تكلف كما تجدها في قصص الأستاذ أمين . ومن هذه القصص (الفطائر الثلاث) .

ومن أمتع قصصه (مفاتيح الأقفال) وإنه لعنوان رمزي لما استغلق من المرأة ، وما المفاتيح إلا الأنسان الذي جعلها تلبي نداءه في أحضان الشيطان . وإنها لمأساة قد يخيل إليك أن الكاتب يصورها بألوان زاهية فاضحة . ولكنه فنان يعرف كيف يتصرف في هدوء حتى بالألوان الحمراء ...

وقصة (هتاف الجماهير) ليست هي القصة الأولى في المجموعة

كما اعتاد بعض كتابنا فى تسميتهم المجموعة بأعظم قصة فيها ؛ بل هناك قصص أخرى تعلوها . وهى مع هـــذا ذات نزعة رومانسية عنيفة وتجمع إلى هذا جانب التهكم اللاذع وعلى الأخص فى الخاتمة ، والخاتمة عند أمين كأبسط وأروع ما يمكن أن تكون التفاتة بسيطة ذات دلالة عميقة تكفى عنده لأن تكون عقدة القصة . وقصة (طريق الدنس) التى عرضنا لها تعتبر مثالا عاليا لذلك . وتوجـــد عنده عدة قصص يصور فيها شخصية (البروجوازى) كما يسميه الاشتراكيون ، أذكر له قصة اتفق لى أن قرأتها له فى إحدى المجلات ولا أدرى لماذا لم يضمها إلى هذه المجموعة وهى (الحلوى المسمومة) فقد صور فيها مدى استغلال البروجوازى لعماله . وقد تعدى ذلك لأعراضهم، وله فى تصويرهذه الشخصية فى هذه المجموعة قصة (صفقة رابحة) و (السيد) وإنه ليعطينا صورة لا تقل عظمة عن تمثيلية (السيد) لموليير وإن كان هذا نموذج للسيد المصرى وفرق كبير بين السيدين . أقلهما البيئة وعواملها مع المزاج والثقافة . كما يوجد فرق كبير بين الكاتبين فى طريق المعالجة .

ويصدر الأستاذ أمين مجموعته بقصة (أفراح السماء) ، وهى قصة إنسانية عالية تصف الطفولة وتشردها . قصة طفلة تتضور جوعا باحثة عن لقمة ، تهديها حاستها أو معدتها إلى بائع طعمية تقف أمام دكانه تستنشق رائحتها المحببة ، ولا تسل عن خواطرها حينئذ، ولا عن تصوير الكاتب لها، ولكنها أخيراً تتشجع وتطلب منه واحدة ؛ فإذا بصاحب المحل الرجل الضخم يجيبها بصفعة هائلة فلم تولول ولم تتألم طويلا فقد تعودت مثل ذلك وكان أن جففت دموعها ، وأصلحت أسمالها ، وابتعدت عنه قليلا حيث واراها الظلام ، وحيث أسندت رأسها المثقل جالسة على الرصيف بعد أن اطمأنت على مكان كوز أعقاب السجاير بين ركبتيها . وابتدأت قصة حـــلم رائع إذ تقدم منها شاب وسيم شكت إليه جوعها فحملها إلى أحد القصور التى يعلو وصفها على قصور ألف ليلة وليلة ، وكان أن رأت هناك استقبالا واحتفاء ، ومأكلا ونعيما وسعادة بجوار ذلك الشاب الوسيم ما كانت لتحلم به أو لتفكر فيه يوما فتتمتم شاكرة له: إنك لملك كريم . وبعد فراغها من حلمها اللذيذ يكون قد جاء الصباح وعاد صاحب محل الطعمية جلادها بالأمس إلى محله ؛ فيجد هذه قريبة منه فتأخذه بها شفقة بعد أن تذكر ما كان منه بالأمس ؛ فيحركها موقظا لها فإذا بها جثة هامدة ! !

ترفرف روحها فى السماء . وهذه القصة تذكرنى بقصة (بائعة الثقاب) لهانس أندرسون الكاتب النمساوى ، وهى أيضا حلم طفلة تضورت طوال يومها جوعا فى البرد وفى ليلة عيد الميلاد ومع ذلك لم تبع شيئا من أعواد الثقاب التى تحملها تخاف أن تعود إلى أبويها ؛ فجلست بجوار جدار وجعلت تستنشق رائحة الأوزة التى تشوى خلف جدار ذلك المنزل وتركت خيالها يدور حول ما فيه من طعام ، وأخذت بوطأة البرد فجعلت تدفىء أطرافها باشعال أعواد الثقاب ، وعلى ضوئه ابتدأت قصة حلمها فقد رأت جدتها الميتة التى كانت تحنو عليها وتحبها كل الحب وصارت تستنجد الجدة أن تأخذها عندها وأخيرا تستجيب لتوسلاتها . وفى الصباح ترى طفلة ميتة مرتكنة على جدار منزل ، وما برح شفتيها ابتسامة الرضى ؛ فقد كانت تنعم هناك قرب جدتها ، ومع تقارب الفكرة فى القصتين فلكل منهما طريقته وأسلوبه ولعل قصة أمين لا تقل روعة عن قصة هانس أندرسون

ولعل كاتبنا أبعد الكتاب تأثرا بالصور التى يأخذها للحياة عن طريق الثقافة بل يلجأ إلى الحياة نفسها ويتغمر بمشاعره بين شخصياتها إذ للكاتب معالجاته الكثيرة فى الحياة وصوره التى لا تنفد من فصولها ونماذجها الإنسانية التى تحس بحرارة حياتها ولفحات أنفاسها . بل تحس بأجوائه الشعرية العاطرة كأنك تعيش فيها .

بقى أن أقول إن مجموعته جديرة بأن يحتفل بها قراء العربية وأن كاتبها جدير بأن يحتفل به نقاد الأدب والقصة إذ فى إنتاجه دليل على حيوية فى القصاص المصرى ، وأمل كبير فى أن تزاحم قصصنا الإنتاج القصصى العالمى . وما أحسبنى مغاليا فيما أقول .

(دمنهور) **عبد الحفيظ نصار**



أهذه قصة ! ؟ ...

سبيلك الجـــديد

للأديب عزيز الحاج

وأخيراً ... مزقتها ثائراً ، ثم محوتها محواً بعود ثقاب ...

***

« مسكين أنت ! لا تعرف من الحب غير اسمه الساحر الخلاب ، تتوهم أنك فائز بأطايب الحب جميعاً وأنت محروم منها ، محروم . وكيف ترضى أن تكتفي من حبيبتك بيسمتها الوضاءة ، ونظرتها الجنون ، دون أن تهفو إلى ما وراء ذلك من المتع العذاب ! ؟

« لا ، يا صاحبنا ، لا ! أضرم ثغرها بالقبلات الملتهبات ، وضمها إليك ضماً يهدهد حواسك العطاش ، وانظر إليها نظرتك إلى أنثى ناضجة ، فاتنة ، لا نظرتك إلى ملاك من نور » .

ويصغي صاحبنا إلى أحاديثهم منكراً لها ، مجدفاً بها ، حانقاً عليها ؛ ولكنه يضمر إنكاره ، ويخفي تجديفه ، ويكبت حنقه ، فيظنون أنه مقتنع ، راض ، ويتوهمون أنه سيلبي قريباً نداءاتهم المغريات ...

***

ويرحل الحبيب ، ويتصدع منه الفؤاد ، ولكن الرجاء يروح عنه . فهو يعرف أن الفراق لن يدوم ، وأن القطار الذي مضى بالتي يهوى سيرجع بها بعد أربعة شهور . فالنأى المروع ، إذن ، لا يبطن اليأس الدامس ، القتال ، وإن كان — مع ذلك — يوجعه ، ويبريه ، ويذيقه اللوعة المرة ، والهم الزعاف ...

ويجد أولئك « الأصدقاء » — وقد ظل وحيداً — مجالا أفسح ليرددوا نغمات « الوعظ » و « الإرشاد » ، ماضين في ذلك دون أن يضجروا ، أو يملوا ، أو يضيقوا صدوراً بثباته العجيب وإخلاصه المكين .

« اهتد ، اهتد ، يا صاح . فما ذا تجني من هذا الوفاء الصوفيّ غير الأشواك والسموم ! ؟ »

على أنه هو الآخر مصرّ على الوفاء ، منطلق في الاسترسال مع هواتف الحب ، واستحضار صورة الحبيب ...

***

ولكنه إنسان ! وإنسان يتعذب ويئن وينوح . فهو غير غني عن السلوى والعزاء ، إن قلبه المصدوع سيودي به حتما إن لم يلتمس ألواناً من اللهو تذهله عن هواه ولو لحين . إن الوحشة السوداء تغلف لياليه والأيام ، وإن اللقاء الموعود لن يتم إلا بعد أسابيع طوال مضنيات ، فما أحوجه إلى العزاء — أي عزاء !

إنه لا يدرك كل ذاك ، وقد ينكره إن يجابه به ، ولكنه هو هو ما تهتف به نوازعه الخفية المبهمة ، وهو هو ما أخذ يهيمن شيئاً فشيئاً على خوالجه الباطنة العميقة ، وهو هو الذي مهد سبيل « المأساة » ...

***

أجل ! لقد ضللت ، ضللت أسبوعاً كاملا ، ما كنت أصغي فيه لغير نداء الجسد الحقير .

أبعدت الروح ، فقلت للشهوات الراقدات : « هبي ! هبي ! » ؛ وخاطبت المتع الترابية مردداً : « ضميني إليك ، عانقيني ... هكذا ! » ؛ ونصحت الجسد الظمآن قائلا : « اغرف من الينبوع ما طاوعتك قواك ، واحتس من الأباريق جهد المستطاع فمن يدري ! لعل صاحبك يشمئز يوماً ما من هذه الحال ، فيرتد عن ضلاله المبين ، ويهتدي إلى الحظيرة من جديد »

***

سعال عنيف ، يتصاعد من صدر منهار ، وعلى الفراش ثمة إنسان شاحب ، هزيل ، أضناه السقام ، وشفه التبكيت ، فيا للمريض !

إنه ليزيد نفسه تعذيباً بقراءة اليوميات « العذرية » ، التي كان يخطها بدمه النثر ، ودمه النزير ، قبل فترة « الضلال » .

إن قراءتها تجسم له خطيئته ، وتكبر زلته ، وتوحى إليه أنه دنىء دنىء ، فهو يتساءل متعجباً آسفاً ثائراً : « أأنا الذى فعلت ما فعلت ؟ ! أأنا — أنا الذى ما كنت أصبو إلا إلى السمو والتحليق — أمرغ نفسى فى التراب المشوب والطين المهين ؟ !

« ويل لى ! ويل لى ! ويل لى من نفسى ! وويل لى من الحبيب الذى خنت ! وويل لى من الله ! »

أيها الجسد الظمآن : ألم أقل إن صاحبك قد يبصر بعد عماه ؟

* * *

... وهكذا مزقتك ثائراً ، أيتها الصفحات ، ثم محوتك محواً بعود ثقاب ، أوديت بك فى لحظة من لحظات ثورتى على نفسى وعلى أصدقائى الذين أضلونى ؛ وفعلت ما فعلت دون تردد أو نكوص ، أحرقتك لكى تصفيك النار ، وتعيد إليك نقاءك المفقود ، فأنت أيضاً قد دنست ، وهم ، هم أيضاً الألى دنسوك ، لقد لطخوك كما لطخوا صاحبك المأفون ، الذى كان يقدمك إليهم بين أيام وأيام ، فيقرؤونك ساخرين ، صاحبك الذى أوحت إليه الغرارة والوهم أن المفر فى التراب قدير على فهم عاشق السماء

برغمى فارقتك ، وبرغمى قضيت عليك ، ولكن هيهات ، هيهات أن أنساك !

* * *

هذا أيها العاشق سبيلك الجديد : الصمت المطبق ، والسكوت التام .

احبس عواطفك فى حناياك ، وأسدل بينها وبين الناس الحجب والأستار ، وعِ — واذكر ذلك أبداً — أن الجسد لا يريد أن يفهم الروح ، ولن يستطيع إن أراد

وأنتما ، يا قلمه ، ولسانه : صمتاً شاملا أبدياً كصمت القبر الرهيب فى الليل البهيم ، فقد جنى « المسكين » من ثرثرتكما أفانين النكد وضروب العذاب ... ارحماه ! ...

عزيز الحاج
نزيل القاهرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٤٥ — الاثنين ١٢ نوفمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ . ٣٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة طهطا الأهلية

نشرة أولى فى القضية المدنية رقم ٣٤٩٩ سنة ١٩٤١ م طهطا

إنه فى يوم الثلاثاء ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٥ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا بأودة المزايدات بسراى المحكمة .

سيباع علناً العقار الآتى بيانه المملوك إلى كل من

١ — جاب الله بدروس سعد من طهطا ن ٣ لطفى حنا عبد الملاك السمنتى بصفته الشخصية وبصفته ولى أمر أولاده حسنى وصبحى وكيله وتوحيده الوارثين عن المرحومة لوسيه بدروس سعد من طهطا ن ٤ شوقى نخلة فام بصفته وصى على قصر المرحوم كيرلس بقطر داود وهم كيل ورسمى وسمير ونعيمة المعين وصى بدلا من الوصية المتوفاه المرحومة ست بنت معوض من الشيخ زين الدين مركز طهطا ن ٥ صاباب كيرلس بقطر والغير معلوم لها محل إقامة ومعلنة للنيابة بطهطا نمرة ٦ سمنه بنت كيرلس بقطر بشارع الصبانه ن ٨ بمصر .

وبيان حدود العقار

٨٧ متر و ٢٤ سنتى مربعاً عبارة عن منزل مبنى دورين كائن بندر طهطا بدرب الشمله الحد البحرى ورثه خفاجى والحد القبلى شارع وفيه الباب يفتح والشرقى ورثة صالح فام والغربى ورثة أندراوس عبد الملاك .

٨٧ متر و ٢٤ سنتى الجملة سبعة وثمانون متراً وأربعة وعشرون سنتيمتر نفاذاً للحكم الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٩ / ١٠ سنة ١٩٤٥ القاضى ببيع هذا العقار لعدم إمكان القسمة .

وسيكون البيع صفقة واحدة وبحسب الشروط المبينة بالعريضة وبثمن أساسى للمتر الواحد ٦٠ قرشاً ستون قرشاً بخلاف المصاريف وهذا البيع كطلب لطفى أفندى حنا التاجر بطهطا .

وشروط البيع والأوراق مودعة بملف القضية بقلم كتاب المحكمة لاطلاع من يريد الأطلاع عليها .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه م

كاتب البيوع

13 me Année No. 645

Lundi—12—11—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٤٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٧ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ١٢ نوفبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفــن عام

نعم . ولكن بأى معنى ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

(سير كنيث ما كنزى كلارك) هو فى الوقت الحاضر أكبر النقاد فى فن التصوير بالبلاد الانجليزية .

وقد تولى إدارة المتاحف الوطنية الكبرى عدة سنوات وهو لم يتجاوز الثلاثين ، وبلغ هذه المنزلة الرفيعة فى عالم الفن ولما يتجاوز اليوم الثالثة والأربعين .

كتب هذا النقادة العالمي فى إحدى الصحف اللندنية بحثاً يدل عنوانه على فحواه وهو « أن الفن ليس لكل إنسان » .

ولا نطيل فى تلخيص آرائه لأننا قد نستغنى عن الإطالة فى تلخيصها بمثلين اثنين من أمثاله المتكررة فيهما الكفاية فيما أراد البيان عنه .

أحدهما أن المتحف الوطنى اشترى سنة ١٨٤٠ صورة لفان ايك بثلثمائة وثلاثين جنيها انجليزياً واشترى معها صورة لجيدو بألف وستمائة جنيه ... والآن تقدر الأولى بثلثمائة ألف جنيه لو صح بيعها ، ولا تزيد قيمة الأخرى على الثلاثين .

أما المثل الثانى فهو نتيجة استفتاء لهواة الصور فى مجموعة من القطع الفنية الخالدة ومعها بعض القطع التى لا تعلو على طبقة الصور المعدة للاعلان وترويج البضائع .

بيع من هذه المجموعة ثمانون ألف نسخة ، وكان أربعة أخماس الصور المعروضة فيها من آيات الفن الكبرى ، وما بقى من المجموعة أخلاط وأوشاب .

والذين سئلوا عن رأيهم فى أبدع هذه الصور جميعاً هم بطبيعة الحال هواة الفن الذين يسهل على أحدهم بذل الثمن الغالى فى كتب التصوير .

ومع هذه أحصيت الأجوبة فإذا بالصور الست المفضلة كلها من غير الآيات الفنية الكبرى ، مع أنها تبلغ أربعة الأخماس من صور المجموعة وليست هى بالقلة التائهة بين زحام تضل فيه الأذواق والآراء .

ونعتقد أن المثلين يتكرران فى كل بيئة وفى كل فن من الفنون الجميلة ، وأن النتيجة لا تختلف عن هذه النتيجة كبير اختلاف .

وإنما يلفت النظر فى المثلين أن الغلطة فى المثل الأول غلطة نقاد مختصين بالتقويم والتقدير فى المتاحف العالمية المدودة ، وأن الغلطة فى المثل الثانى غلطة جمهور غفير ولكنه هو جمهور الفن على كل حال .

فما الذى يفهم من هذين المثلين ؟

لا يفهم منهما أن ذوق الفن حظ شائع بين سواد الناس ، ولا أنه ذوق خاص بالعلية فى عصر واحد .

فكيف يقال إذاً إن « الفن عام » وإنه تراث عالمي أو تراث إنساني يقاس بمقياس الإنسانية جماء ؟ .

إنما يقال هذا بمعنى واحد لا معنى سواه .

وهو أن الفن « عام » بمعنى أنه للخاصة في جميع الأزمان وليس للخاصة في زمن واحد أو بيئة واحدة .

فإذا كان كذلك كان « إنسانياً » وكان عاماً بهذا المعنى دون غيره ، لأن اتفاق الخاصة على استحسانه في كل زمن هو الدليل على أنه قائم على المزايا الإنسانية التي تنال بالفطرة المهذبة ، ولا ترجع إلى الأسباب الموقوتة التي ترفع إلى منزلة الخاصة أحياناً في بعض العصور من لا يستحقون التمييز والترجيح .

فإذا كان العمل الفني يروق الخاصة في بعض العصور ولا يروق الخواص في العصور الأخرى فذلك هو الدليل القاطع على أنه لا يروقهم لمزية إنسانية باقية ، ولكنه يروقهم لسبب من سببين عارضين : أحدهما أن نزوة من النزوات التي تطغى على العقول والأذواق في بعض الأحوال قد طغت على أولئك الخاصة فأضلتهم عن سواء السبيل ، والآخر أنها خاصة مزيفة قد صعدت إلى مكان العلية والسراة لعيب من عيوب المجتمع الذي برزت فيه .

فمن قال إن « الفن عام » لا يصح أن يعني بكلامه هذا أنه خلق للعامة وكل من يعقل أو لا يعقل على السواء ، وإنما يستقيم كلامه على وجه واحد وهو أن الفن الرفيع إنساني لأنه يعجب الممتازين من بني الإنسان في جميع العصور .

ونحن نقول العامة والخاصة في مسائل الفن والأدب ، ونقصد بهما العامة والخاصة في الأذواق والأخلاق والملكات ، ولا نقصد بهما عامة العرف الاجتماعي أو خاصة الأوضاع والتقاليد .

فالغني قد يكون من أحقر العامة في أذواقه وأخلاقه وملكاته ، والفقير قد يكون من أرفع الخاصة في تلك المزايا الإنسانية العليا ، وقد يكون هو مبدع الآيات الغوالي في الأدب والتصوير والموسيقى والتمثيل كما حدث ويحدث إلى آخر الزمان .

بل نحن نرى أن العامية أوسع نطاقاً من فوارق الغنى والفقر والذكاء والغباء .

فقد يكون الرجل خاصة في الهندسة وعامة في الشعر والكتابة ، وقد يكون خاصة في الأدب وعامة في الموسيقى والتصوير ، وقد يكون خاصة في فقه اللغة وعامة في أذواق الفنون ، وقد يكون خاصة في الخلق والإنتاج وعامة في النقد والشرح والتفسير .

لأن الإنسان الذي يرتقي إلى مرتبة الخاصة في جميع المحاسن الإنسانية غير موجود ولا يتأتى له وجود .

والمقصود على هذا بخواص الفنون والآداب هم أولئك الذين يحسنون فهمها وعلكون وسائلها وموازين الترجيح فيها .

وعلى هذا الاعتبار يصح أن يقال كما قال أناتول فرانس إن الجمال الفني سهل وإنه على قدر سهولته يكون نصيبه من الجمال .

فأسهل الفنون هو أجمل الفنون .

ولكن ينبغي قبل ذلك أن تسأل : سهلٌ هو على أي الناس ؟

فلو كان المقصود أن يكون سهلا على جميع الناس لخرج من الفنون العليا فن المتنبي وأبي العلاء وابن الرومي والبحتري وهومر وجيتي وشكسبير ، وارتقى إلى ذروة هذه الفنون كل نظام من سوقة الجماهير يطربهم بالأزجال والمواويل .

ولكن المقصود بالسهولة هم أولئك الذين استعدوا بفطرتهم وتهذيبهم لفهم الجمال الرفيع في آيات مبدعيه والمعبرين عنه من الشعراء والأدباء والفنانين .

وعلى هذا المعنى أيضاً يقال إن « الفن عام » لأنه يعم كل من تهيأ له بفطرته وتهذيبه ، وكلاهما من صفات بني الإنسان ، وليسا من الصفات المستعارة للآدميين من خارج الحياة الآدمية .

والأمر بعدُ أوضح من أن يحتاج إلى عناء في إثباته وتمييز صوابه من خطئه .

لأن الحقيقة التي لا مراء فيها أن الأذكياء أكثر من الأغبياء ، وأن أصحاب الأذواق أكثر من المحرومين منها ، وأن دقائق البلاغة وأسرار الجمال أخفى من البلاغة الشائعة والجمال المبذول ، وأن الإنسان بالفطرة والتعليم معاً أرجح من الإنسان بالتعليم وحده أو بالفطرة وحدها .

ومع ثبوت هذه الحقيقة واستغنائها عن اللجاجة في إقامة البرهان على صحتها لا تكون الدعوة إلى تجريد الفنون من الخاص والعام ، ومن الرفيع والوضيع ، إلا مسخاً للمزايا وهبوطاً للصاعدين وتسوية بين الذي هو أدنى والذي هو خير .

في إرشـــــاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٦ —

ج ٢ ص ٢٢٧ : أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخَصيب كان بليغاً مترسلا شاعراً أديباً متقدماً في صناعة البلاغة ، وكان بينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة . وهو القائل :

خير الكلام قليلٌ على كثير دليلُ
والعِيُّ معنى قصيرٌ يحويه لفظ طويل
وللبليغ فصولٌ وللعيّ فضول

قلت :

خير الكلام قليلُ على كثير دليلُ
وللبليغ فصولُ وللعيي فضولُ

فالبيت الأول مقفى ، والبيت الثالث مصرع ، وليس البيتان بعصمتين[1] .

(١) التاج : واستدرك شيخنا البيت المصمت وهو الذى ليس بمقفى ولا مصرع بأن لا يتحد عروضه وضربه في الزنة أي في حرف الروى ولواحقه كما حققه العروضيون .

ج ١٨ ص ٢٣٨ : ابن التعاويذى :

وعلام أشكو والعهود نقضنها
بلحاظهن إذا لوين ديونى
هيهات ما للغيد في حب امرىء
أرب وقد أربى على الخمسين
ومن البلية أن تكون مطالبى
جدوى بخيل أو وفاء خؤون
ليت الضنين على المحب بوصله
ألف السماحة عن صلاح الدين

قلت : (وعلام أشكو والدماء مطاحة بلحاظهن) كما رُوى في (الوفيات) في سيرة بطل المسلمين صلاح الدين . وقد يكون الأصل (والدماء مفاحة) وأفاح دمه هراقه كما في (اللسان) . وتخلص ابن التعاويذى هو من التخلصات المنكرة وإن لم يبلغ في القبح ما بلغه قول شاعرنا المتنبي :

على الأمير يرى ذلى فيشفع لى
إلى التى تركتنى في الهوى مثلا[1]

قال ابن الأثير — وقد روى البيت في كتابه (المثل السائر) : والإضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره ، وما ألقاه

(١) من روى فيشفع بالرفع عطفه على قوله يرى ومن نصبه جعله جواباً للتمني كقراءة حفص عن عاصم «لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع» بالنصب (العكبرى) .

ولم تر قوياً وهب له الله الصحة يتمارض لأن في الخلق مرضى وضعفاء .

ولم تر ذكياً رفيع الذهن يحرم على نفسه الارتفاع إلى ذراه لأن في الخلق أغبياء لا يطاولونه إذا ارتفع ذلك الارتفاع .

ولم تر صحيحاً موفور الاشتهاء للمآكل يأكل أكل الممعودين ، لأن الممعودين لا يهضمون كل ما يهضم من الطعام .

فلماذا تحرم على النوابغ والموهوبين أن يفكروا في شيء لا يقوى على التفكير فيه من حرموا النبوغ وهبات الخلق والابتكار ؟

ألأن الطعام أرفع وأكل من الذوق والفكر والشعور ؟ ألأن الارتفاع والامتياز حرام والشيء الوحيد المباح هو الانحدار والتساوى بين نزلاء الحضيض ؟

ليقل ذلك من ينفعه أن ينحدر الصاعدون ، وأن تخلو الدنيا من التفوق والرجحان .

وإذا قالوه فلا سبيل لهم إلى تحقيقه إلا بقوة الحيوان دون قوة الإنسان .

أما الإنسان فهو لا يقول هذا ولا يستريح إلى سماعه ، ولا يأبى أن يكون الفن عاماً لا يستأثر به أناس دون أناس بغير الحق والاستعداد ، ولكنه يأبى أن يعم ليسقط فيه الرفيع إلى منزلة الوضيع ، لأن زواله خير من بقائه على هذه الحال .

عباس محمود العقاد

فى هذه الهوة إلا أبو نؤاس فإنه قال :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد
هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وفى (معاهد التنصيص) هذا الخبر :

حدثت رابعة البرمكية قالت : كنت يوماً وأنا وصيفة على رأس مولاى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى وبيدى مذبة أذب بها عنه ، إذ استؤذن لمسلم بن الوليد الأنصارى، فأذن له ، فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده ، ثم خلع عليه وأجازه وانصرف، فما قلت إنه جاز الستر حتى استؤذن لأبى نؤاس ، فامتنع من الإذن له حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ففعل على تكره منه ، فلما دخل سلم عليه ، فما علمت أنه رد عليه ولا أمره بالجلوس ولا رفع إليه رأسه ، فلما طال عليه الوقوف قال : معى أبيات أفأنشدها ؟ قال : افعل ، وهو فى غاية التكره والتثقل ، فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله (سأشكو البيت) قطب وجهه ، وقال : أمسك ، عليك لعنة الله ! اغرب ، قبحك الله ! وأمر بإخراجه محروماً فأخرج ، والتفت الفضل إلى أنس بن أبى شيخ وقال : ما رأيت مثل هـذا الرجل ولا أقل تمييزاً فى كلامه منه . فقال أنس : إن اسمه كبير !

فقال : عند من ويلك ؟ هل هو إلا عند سُقّـاط مثله وخلق يشاكلونه . . . ؟

* * *

ج ١٨ ص ١٥٦ : وقد خدمت سيف الدولة — تجاوز الله عن فُرُطاته — وأنا ابن تسع عشرة سنة .

وجاء فى الشرح : الفرط : الظلم والاعتداء .

قلت : لا يقصد القائل — وهو الحاتمى اللغوى — بهذا الدعاء الظلم والاعتداء . فى الأساس : وتقول : اللهم اغفر فَـرَطاتى ، ولا تؤاخذنى بسقطاتى . وفيه : ولا يخلو أحد من سقطة ، وفلان يتتبع السَّقَطات ويعد الفَـرَطات ، والكامل من عدت سقطاته . وقد روى التاج هذا القول وقال : السقطة : العثرة والزلة .

* * *

ج ٦ ص ٢١٤ : قال (الصاحب بن عباد) : ما أفظعنى إلا شاب ورد علينا إلى أصبهان بغدادى ، فقصدنى فأذنت له ، وكان عليه مرقعة وفى رجليه نعل طاقٌ ، فنظرت إلى حاجبى ، فقال له وهو يصعد إلى : اخلع نعلك ، فقال : ولم ؟ ولعلى أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلبنى الضحك ، وقلت : أتراه يريد أن يصفعنى ...؟

وجاء فى الشرح : يقال: أفظعه الأمر: اشتدت شناعته ، وجاوز قدره ، وأفظعه الأمر وجده فظيعاً . يقال : نعل طاق عطف بعضه على بعض ، وربما قيل طاق نعل ، من إضافة الصفة إلى الموصوف .

قلت : (ما أقطعنى) (وفى رجليه نعل مطرقة أو مطارقة) (أُتراه يريد) .

فى التاج : ومن المجاز : قطع خصمه بالحجة . وفى الأساس : بالمحاجة غلبه وبكته كأقطعه .

وفى الأساس : ونعل مُطـرّقة ومطارقة : مخصوفة وكل خصفة طراق . وفى النهاية : طارق النعل إذا صيرها طاقا فوق طاق وركب بعضها فوق بعض . وفى حديث عمر : فلبست خفين مطارقين أى مطبقين واحداً فوق الآخر . وروى بعضهم المطرّقة بتشديد الراء للتكثير ، والأول أشهر .

* * *

ج ١ ص ١٥٧ : الرجوع إلى الحق خير من التمادى على الباطل .

قلت : (خير من التمادى فى الباطل) فى الأساس : وتمادى فى الأمر : تمادّ فيه إلى الغاية . وفى اللسان : تمادى فلان فى غيه إذا لج فيه وأطال مدى غيه أى غايته . وفى (الكشاف) فى تفسير (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)

فإن قلت : لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ؟ قلت : اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم فى الخبث وتماديهم فى الدعارة لأن القوم كانوا يهوداً ، وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان ، وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته ، فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثاً مضاعفاً ، وكفراً موجهاً (١) لأن قولهم هـذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق ،

(١) أى ذو وجهين كل كفر له وجه من قولهم كساء موجه : له وجهان (حاشية الجرجانى) .

وعقيدتهم عقيدتهم، فهو كفر لا إيمان، فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم، وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيق كان خبثاً إلى خبث وكفراً إلى كفر.

***

ج ١٥ ص ١٩٦: وكتب (على بن يوسف القِفطى يعرف بالقاضى الأكرم) إلى القاضى الفاضل رقعة وضمنها البيت المشهور:

نميـل إلى جوانبه كأنا إذا ملنا نميـل على أبينا

قلت: الرواية (نميل على جوانبه) وبعده:

نقلبـــه لنخبر حالتيه فنخبر منهما كرماً ولينا

والبيتان لأبى الجهم العَـدَوى يقولهما فى معاوية (رضى الله عنه) وقد رواهما ابن قتيبة فى (عيون الأخبار) فى (باب الحلم والغضب).

***

ج ١ ص ١٣٨: تَنَسَّم أعلى السماء. قلت: تسم أعلى السماء. فى التاج: تسم الشىء تسماً وسنمه تسنيماً علاه. وتنسم النسيم إذا تشممه كتنسم العليل والمحزون إياه فيجدان لذلك خفة وفرحاً.

***

ج ٦ ص ١٥: ... قد والله زانيته دفعات.

وفى الشرح: فى الأصـل زنيته فاصلحتها إلى زانيته بمعنى نسبته إلى الزنا ويقال أزناه نسبه إلى الزنا.

قلت: الأصل صحيح وياقوت هنا ينقل من الأغانى واللفظة فى كتاب أبى الفرج[1] هى كما جاءت فى (الإرشاد) فى الأصل. وفى (الأغانى)[2] هذا الخبر:

المدائنى قال: قال عبدالله بن مِسْـوَر الباهلى يوماً لأبى النضير وقد تحاورا فى شىء: يا ابن اللخناء، أتكلمنى ولو اشتريت عبداً بعشى درهم وأعتقته لـكان خيراً منك؟ فقال له أبو النضير: والله لو كنت ولد زنا لـكنت خيرا من باهلة كلها. فغضب الباهلى، فقال له بشار: أنت منذ ساعة تُزَنِّى أمه ولا يغضب، فلما كلك

(١) ج ٥ ص ٢٩٨.
(٢) ج ٣ ص ٢١٢.

كلمة واحدة لحقك هذا كله. فقال له: وأمه مثل أمى يا أبا مُعاذ؟ فضحك ثم قال: والله لو كانت أمك أم الـكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كله.

وقد أورد اللفظة كما قُصد هنا الصحاح والأساس واللسان والتاج. وفى كتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٣٥: فأما خطّأته فإنما أردت سميتُه مخطئاً كما أنك حيث قلت فسّقته وزنيته أى سميته بالزنا والفسق كما تقول: حييتُه أى استقبلته بحياك الله.

***

ج ١٤ ص ١٠٧: فدخلت عليـه وهو جالس على كرسى ملوكى وعليه بغدادية مشهورة وعلى رأسه بَطيخية.

وجاء فى الشرح. يريد ثيابا بغـدادية، والبطيخية قلنسوة على شكل البطيخة.

قلت: (بِطيخية) فى المصباح: قال ابن السكيت فى باب ما هو مكسور الأول. وتقول هو البطيخ، والعامة تفتح الأول، وهو غلط لفقد فعّيل بالفتح.

***

ج ١٣ ص ٣٦: وله (لعلى بن حسن الباخرزى):

يروقك بشرا وهو جذلان مثلما تخاف شباه وهو غضبان محنق
كذا السيف فى أطرافه المـوت كامن وفى متنه ضـوء يروق ورونق

قلت: (وهو غضبان محنَق) فى الأساس: مالك مغيظا محنَقاً. وفى السيرة لابن هشام وديوان الحماسة:

هل يسمعن النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمدٌ ولأنت ضنء نجيبة فى قومها والفحل فحل معرق[1]
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنَق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه لله أرحام هنـاك تُشقق!

(١) نون الاسم المعظم (محمد) ضرورة. فى كتاب سيبويه: فلما لحقه التنوين اضطراراً (سلام الله يا مطر عليها) لم يغير رفعه كما لم يغير رفع ما لا ينصرف إذا كان فى موضع رفع ... وكان عيسى بن عمر يقول يامطراً يشبهه بقوله يارجلا يجعله إذا نون وطال كالنكرة. ولم نسمع عربياً يقوله وله وجه من القياس. ج ١ ص ٣١٣.

وهذه الأبيات من مقطوعة مصنوعة أوردها محمد بن إسحاق في (السيرة) وقال: «وقالت قُتَيلة بنت الحارث أخت النضر ابن الحارث تبكيه» وقد استجادها حبيب — وإنها والله لجيدة — فاختارها في (حماسته).

وابن إسحق هذا هو الذي يقول فيه ابن معين — كما جاء في ميزان الاعتدال في نقد الرجال —: «ما لابن إسحق عندي ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة والأشعار المكذوبة» وجاء في الميزان: «قال أبو بكر بن الخطيب: روى أن ابن إسحق كان يدفع إلى شعراء وقته أخبار المغازي ويسألهم أن يقولوا فيها الأشعار ليلحقها بها» وقد ندد محمد بن سلاّم الجمحي في (طبقات الشعراء) بابن إسحق ونقل طعنه فيه السيوطي في (المزهر).

والنضر بن الحارث أسر في بدر وقتله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) صبراً[1] عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالصفراء وقيل بالأُثيل. «وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مجلساً فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا (والله) يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم إلي، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار».

قال ابن هشام راوي خبر النضر:

«فيقال (والله اعلم) إن رسول (صلى الله عليه وسلم) لما بلغه هذا الشعر قال: لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه».

قلت: إن الذي قيل هو من الأباطيل، فما عملت قتيلة في أخيها شعراً، ولم يقل النبي ما عزي إليه، وما كان النضر المحتشد المجتهد في هدم ذلك البناء الإسلامي الإنساني العربي حقيقاً بأن يعز ذلك الباني عليه.

(١) الصحاح: قتل فلان صبراً وحلف صبراً إذا حبس على القتل حتى يقتل أو على اليمين حتى يحلف. وفي اللسان: قيل للرجل يقدم فيضرب عنقه قتل صبراً يعني أنه أمسك على الموت. وكل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فإنه مقتول صبراً.

من خواطر جحا:

الغراب الطائر . . . !

للأستاذ كامل كيلاني

[مهداة إلى نقلة الشوائع والأخبار الذين عناهم الشاعر بقوله]:

«هم نقلوا عني الذي لم أفه به
وما آفة الأخبار إلا رواتها»

يسرنا أن ننقل إلى القراء القصة البارعة التالية من المقدمة الشائقة التي صدر بها «عبد الله جحا» خواطره وقصصه نقلا عن المخطوط الجحوي النفيس الذي عثرت عليه، ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه.

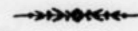
قال «أبو الغصن عبد الله دجين بن ثابت» الملقب بجحا:

«سمعت ذات يوم أن رجلا — في أقصى المدينة — تقايأ غراباً، ثم لم يلبث الغراب أن طار، وغاب عن الأنظار. فسألت مخبري عمن أخبره بهذا؟ فقال: «فلان»، فرحت إلى «فلان» أسأله جلية الخبر، فقال: «لقد رويت لصاحبي هذا الخبر، ولكنني لم أقل إن الغراب طار، بل قلت إنه سارَ (أي مشى)، فسألته عمن أخبره بذلك؛ فقال: «فلان»، فلما سألت فلاناً أخبرني أن الغراب لم يسر ولم يطر، ولكنه وقف ساكناً، ثم مات بعد قليل. وسألته عمن أخبره بذلك فسماه لي، وما زلت أتقصى الخبر من رواته — واحداً بعد الآخر —: هذا يخبرني أنه سمع أنه لم يتقايأ غراباً، بل طائراً يشبه الغراب. وما زال الخبر يتناقص كلما تتبعته وقربت من مصدره، حتى لقيت صاحب القصة نفسه، فلما أفضيت إليه بما سمعته، وسألته عن جلية الأمر، ضحك متعجباً من تحريف الأخبار ثم قال: «لقد تقايأت — منذ أيام — فقال أحد الحاضرين مداعباً: إن قيئك يشبه لون الغراب. وما زال الخبر ينتقل من واحد إلى آخر حتى زعم الزاعمون أنني تقايأت — كما سمعت — غراباً، ثم لم يلبث الغراب أن طار، وغاب عن الأبصار»...

(وفق الأصل) كامل كيلاني

التصوير الفني والعقيدة
فى القرآن

للأستاذ سيد قطب



طال الجدل بين الأستاذ عبد المنعم خلاف وبيني حول هاتين النقطتين منذ أصدرت كتابى « التصوير الفنى فى القرآن » ولم يكن بد من أن يطول ، فالوضوع فى ذاته خصب يحتمل الجدل الطويل ، والأمر بينى وبين الصديق فى هذا الجدل ليس فكرة عارضة ولا خاطرة سريعة ، إنما هما نظرتان مختلفتان للعقيدة بل للحياة . فما سجلته فى كتابى وما ناقشت به الأستاذ عبد المنعم هو خلاصة عقيدتى ورأيي وفلسفتى الخاصة المبنية على كل تجاربى النفسية والذهنية فى رحلتى على هـذه الأرض . وما كتبه فى مناقشتى هو امتداد لآرائه فى كل ما قرأت له ، وبخاصة فى كتابه القيم « أومن بالإنسان » ، ذلك الكتاب الذى أقعدنى المرض أربعة أشهر عن أن أفرغ له بما يستحق من النقد والتنويه

* * *

وقد تشعب الجدل بنا فى تفصيلات وجزئيات لا مجال لإعادة الحديث فيها بعد هذا الأمد الطويل ، فأحب أن أرد المسألة إلى أصلها الواحد الكبير لتكون لدى القراء منها صورة كلية يشارك فى دراستها من يشاء

المسألة فى صميمها تتلخص فى كلمات :

أمن الممكن أن نعهد إلى الذهن وحده بأمر العقيدة ، وأن نقيم هذا البناء الضخم فى الضمير الإنسانى على أساس القوة الذهنية ومنطقها المعهود ؟

أما أنا فلا أتردد فى الإجابة بالنفى على هذا السؤال ، فأنا لا أثق بالذهن كل هذه الثقة ، ولا أعتقد أنه ينهض وحده لحمل هذه الأمانة ؛ وإنما قصاراه فى هذا المجال أن يكون منفذاً واحداً من منافذ العقيدة إلى النفس الإنسانية — وليس هو مع ذلك أقرب المنافذ ولا أصدقها — وإنه لن يصل إلى شىء يذكر إلا بوحى من البداهة وهدى من البصيرة ، البداهة التى تدرك الحقائق الخالدة فى هذا الكون منذ النظرة الأولى وبلا فلسفة ذهنية ولا قضايا منطقية ، والبصيرة التى تتصل مباشرة بالله فتدرك وجوده إدراكا كلياً قد يعجز الذهن عنه لو تركنا له وحده المجال . ومن هنا كان « المنطق الوجدانى » الذى يعتمد على هذه الحقائق الخالدة ، وعلى إدراك البصيرة لها وإقرار البداهة بها ، هو الطريق الذى سلكه القرآن فى تقرير العقيدة الإسلامية ، لأنها « عقيدة » ، وكل عقيدة مقرها الضمير الإنسانى الكبير لا الذهن البشرى المحدود الصغير

وأما الأستاذ عبد المنعم ، فيبدو أن ثقته بالذهن كبيرة إلى حد أن يعهد إليه بالأمر كله ، ويأتمنه عليه فى النهاية !

على أنه كان يكون هناك محل للجدل ، لو أننى أخرجت الذهن كلية من المجال ، ولكننى لم أرد هذا ، وليس فى كتابى ما يدل على أننى أردته ، وقد نقلت منه فى كلماتى الماضية نصوصاً كثيرة ، ثم لقد قرأه الكثيرون أيضاً ، ولست أعتقد أن أحداً من القراء قد فهم أننى أطرد الذهن من الحلبة ؛ إنما أنا أضع الذهن فى مكانه المناسب ، فلا أغفله إغفالا فى مجال العقيدة ، ولكننى كذلك لا أتجاوز به هذا المكان المحدود

وأحب أن أصحح هنا وهماً صححته من قبل فى الكتاب فى هذه الفقرات :

« كانت وظيفة القرآن إذن أن ينشئ هذه العقيدة الخالصة المجردة — عقيدة التوحيد — وموطن العقيدة الخالد هو الضمير والوجدان — موطن كل عقيدة لا العقيدة الدينية وحدها — وأقرب الطرق إلى الضمير هو البداهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس . وما الذهن فى هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً .

« وبعض الناس يكبرون من قيمة هذا الذهن فى هذه الأيام بعد ما فتن الناس بآثار الذهن فى المخترعات والمصنوعات والكشوف وبعض البسطاء من أهل الدين تبهره هـذه الفتنة فيؤمن بها ، ويحاول أن يدعم الدين بتطبيق نظرياته على قواعد المنطق الذهنى أو التجريب العلمى !

« إن هؤلاء — فى اعتقادى — يرفعون الذهن إلى آفاق

فوق آفاقه . فالذهن الإنسانى خليق بأن يدع المجهول حصته ، وأن يحسب له حسابه . لا يدعو إلى هذا مجرد القداسة الدينية . ولكن يدعو إليه اتساع الآفاق النفسية ، وتفتح منافذ المعرفة . « فالمعقول » فى عالم الذهن ، و « المحسوس » فى تجارب العلم ، ليس كل « المعروف » فى عالم النفس . وما الفكر الإنسانى — لا الذهن وحده — إلا كوة واحدة من كوى النفس الكثيرة . ولن يغلق إنسان على نفسه هذه المنافذ ، إلا وفى نفسه ضيق ، وفى قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم فى هذه الشئون الكبار » .

والأمر الذى أريد أن أقرره ، وأصحح به وهماً قد يرد على بعض الأذهان : هو أن العقيدة أكبر من الذهن ، فلا يعيبها ألا تعتمد على الذهن وحده ، وأن يكون لها منافذ إلى الضمير الإنسانى غير هذا الذهن المحدود .

ولم يفتنى أن أشير إلى هذا فى ختام الفصل الذى عقدته فى الكتاب تحت عنوان « المنطق الوجدانى » فقد جاء فيه :

« لم يكن المنطق الذهنى ليصل إلى شىء لو اتبعه القرآن ؛ لا لأن ما فيه من حقائق لا يثبت لهذا المنطق ؛ ولكن لأن العقيدة لا ينشئها هذا الجدل . إنها دائماً فى أفق أعلى من هذه الآفاق . وما يعيب العقيدة أن يكون عمل الذهن فيها ضئيلا . فما الذهن إلا قوة صغيرة محدودة ، تتعلق باليوميات ، وما هو بسبب من اليوميات »

والذى أعتقده أن « المجهول » قسط أساسى من بناء كل عقيدة — ومن عقيدة الإسلام بالطبيعة — وحين تخلو العقيدة من روعة المجهول تستحيل رأياً ، ولا تملأ جوانب النفس الإنسانية جميعاً .

وما دامت للمجهول حصته فى العقيدة ، فهناك مجال لنير الذهن بكل توكيد . والعقيدة — أية عقيدة — كلٌّ لا يتجزأ فى داخل النفس ، وإن تجزأت قضاياها وتعددت أمام الذهن . والشك فى قضية منها معناه تخلخل جميع قضاياها

ويجهد الذهن ما يجهد فى فلسفة العقيدة فيكون له هذا ، ولكن بعد أن تكون العقيدة قد استقرت فى الضمير ، وسلكت إليه طرائق شتى ليس الذهن إلا واحداً منها ، لم يكن ذا أثر حاسم ولا أثر ظاهر فى عملية البناء .

وإنه لحسب الذهن أن تكون وظيفته هى تفسير هذه العقيدة بعد بنائها . تفسير ما يستطيع تفسيره منها ، أما ما لم يستطع ، فليقف على أبوابه هناك ، فقد استلهمته النفس من منافذها الأخرى التى لا شك فيها

أما الاستدلال بالآيات التى استدل بها الأستاذ على أن الذهن هو محور الإثبات فيها ، فلا أزال فيه عند رأيى الذى أبديته : وهو أن القرآن كان أعرف بالنفس الإنسانية من الأستاذ عبد المنعم فلم يسق الآيات سياقته لها ، بل تركها فى إجمالها الذى يخاطب قوى النفس جميعاً ، ولا ينفرد بالذهن المحدود فى نقاش جدلى قابل للردود الجدلية على طريقة الذهن المعهودة ...

على أن هناك واقعة تاريخية لا سبيل إلى الجدال فيها : هى أولئك الذين آمنوا ، أو كثرتهم التى لا يتخلف عنها إلا أفراد . وهؤلاء لم ينتظروا من يفلسف لهم الأدلة ، حتى يؤمنوا بالمنطق الذهنى ؛ إنما هم استراحوا إلى نصوع هذه العقيدة ونفاذها إلى نفوسهم من شتى منافذها ، فآمنوا مطمئنين !

* * *

أما القضية الأخرى التى يجادلنى فيها الأستاذ ، فهى قضية التصوير الفنى فى القرآن ... وهى أيسر وأوضح من القضية الأولى

فأما أنا ، فرأيى أن إدراك التصوير القرآنى فى هذا المستوى المعجز إدراك لسر الإعجاز فى تعبير القرآن .

وأما هو ، فيرى ألا أذكر كلمة الإعجاز هذه ، لأن هذا السر يجب أن يبقى مجهولا أبداً حتى يتحقق له وصف « الإعجاز »

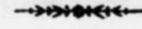
ولقد قلت من قبل ، وأكرر اليوم : إنه ليس من الحتم أن يكون الأمر المعجز هو المجهول السر ، فيكفى ألا يستطيعه أحد مع التحدى . ولم يستطع أحد أن يرقى إلى مستوى التناسق الفنى فى هذا التصوير ، فادراكه إدراك لسر الإعجاز — على الأقل فى هذا الأوان ، وليس ما يمنع من ظهور أسرار أخرى غير ما ظهر منها حتى الآن —

على أننى كنت دقيقاً فى التعبير ، فلم أقل سر الإعجاز فى

من التاريخ الإسلامى :

رجـــل وامرأة ...

للأستاذ على الطنطاوى



[يقولون : إن التاريخ يعيد نفسه
وربما كان صحيحاً هذا الذى يقولون]
« ع »

كان ذلك فى يوم من أيام سنة ٦٠٧ هـ وكانت دمشق تصارع دهرها المفاشم الحرون ، الذى رمى بلاد الشام بقاصمة الأصلاب : الصليبيين ، فنزلوا على مدنه نزول البلاء ، وفشت أجنادهم فى نابلس وعكا وبلاد أخر فشوّ الطاعون ، وكان صبرها يزيد كلما زاد الكرب ، وحزمها ينمو كلما نمت المصيبة ، شأن دمشق فى كل عصر . وكأن طوفان المغيرين يمتد ويتسع ، يحمل الموت والدمار ، يأتى على البلاد والعباد ، يجتث الحضارة من أصولها ، وأهل الشام ينهضون له فلا يملكون له دفعاً ، حتى كادت الديار تخلو من شبابها ، ولا يبقى فيها إلا شيخ أو امرأة أو صبى ... أو قَـعَدى نسىَ واجب الجهاد !

... وقد ذهب فيمن ذهب إخوة (ميسون) الأربعة ، وبقيت من بعدهم وحيدة فى دارها لا يؤنسها إلا شبابها وجمالها وذكرى إخوتها ...

***

أصبحت ميسون مهمومة ، قد تقاسم فكرها العزيزان : وطنها وإخوتها ، فما تدرى ماذا جرى لهم ، وماذا يجرى عليه ، ولقف سمعُها طرفاً من أحاديث المارة ، فعلمت أنه قد اشتد الخطر ، ودنا الهلاك ، وأن هؤلاء (الواغلين ...) لا يفتأون يركبون جناح الليل الأسود ، إلى شاطىء فلسطين ، تحملهم المواخر الهاربة من عين الرقيب ، المتسللة من وراء الحرس ، فكلما دجا الظلام نزلوا إلى الشطّ أفواجاً فكانوا للغاصبين عوناً ، وعلى أهل البلاد حرباً ، وجعلت تفكر فى هـذه العصبة المجاهدة الكريمة ، ماذا تستطيع أن تصنع لها ؟ وكيف توقد النار فى أعصاب هؤلاء الذين لا يزالون يروحون ويغدون على متاجرهم وأعمالهم ، ويأخذون حظوظهم من مفاتن الطبيعة وجمال الكون ، وتنسيهم ملذاتُ

« القرآن » إنما قلت : سر الإعجاز فى « تعبير » القرآن . وفرق كبير مابين العبارتين . فالإعجاز فى القرآن شائع ، وشامل لتعبيره ومنحاه وقضاياه ... الخ

غير أن العجيب فى الأمر أن الأستاذ عبد المنعم الذى يريد أن يمهد إلى الذهن البشرى بقضية العقيدة كلها ، لا يأتمن هذا الذهن على إدراك سر من أسرار الإعجاز فى تعبير القرآن !

***

وكلمة أخرى تتصل بالجدل وإن تكن ليست منه :

لقد شكا الأستاذ عبد المنعم من عبارات جاءت من غير قصد فى ردودى ، فأحب ألا يكون فى نفسه منها أثر ، ليظل هذا الجدل العلمى المفيد بعيداً عن جميع المؤثرات

وبدورى أشكو إليـه كلمة ظالمة قالها عن كتابى ، تاركا ماعداها مما لو رحت أعده عليه ، لأربى على مواضع عتبه :

هذه الكلمة الظالمة هى أن يقرن بين بعض عملى فى « التصوير الفنى فى القرآن » ، وبعض عمل المرحوم الأستاذ « الرافعى » فى « إعجاز القرآن » ، وإنه ليعلم ، وقراء الكتابين يعلمون أنه ما من نقطة ارتكاز واحدة بين النهجين والطريقتين . بل لقد قرر بعض النقاد المنصفين أن طريقتى فى عرض الجمال الفنى فى القرآن غير مسبوقة فى كل ما كتب عن هذا الموضوع الخالد على الزمان

وكل ناقد منصف عليه أن يسجل أولا هذه الحقيقة . ثم ليكن له رأيه فى نقد هذه الطريقة وعيبها كما يريد ؛ فهى قابلة للنقد والعيب ككل عمل إنسانى فى الوجود .

وعلى أية حال فللأستاذ عبد المنعم شكرى الخالص ، وإليه ثنائى الجم الذى أحسب القراء يشاركوننى فيه ، لإخلاصه فيما كتب وسلوكه طريق النقد الصحيح .

سيد قطب

أجسامهم ومرابعُ تجاراتهم ، هذا الخطر الذى عم البلاد ، والذى طال الزمان به ، ونشأوا عليه ، فألفوه ونسوا أيام الحرية والمجد ، وأن هذه البلاد بلادهم ، وأنهم سلائل الأبطال الفاتحين ، وحسبوا حكم هؤلاء (الواغلين ...) ضربة لازب ، وأن قضاء الله قد تم فيهم فلا ينفع معه سعى ، وأن أيام السعادة قد انتهت فلا تؤمل لها رجعة ، كيف لها وهى الفتاة المفردة بإيقاظ هذه النفوس التى امتد بها الهجوع حتى كاد يكون موتاً ؟ كيف تفهم هذه الشخوص التى تجىء وتذهب كشخوص من ورق فى ألعوبة (الكراكوز) ، أن الحياة ليست بطناً يملأ ، ولا شهوة تقضى ، ولا مالاً ينال ، ولكن الحياة المجد والتقى ، وجلائل الأعمال ، وأن يعرفوا للوطن حقه ، وأن يعلموا ، ويعلم كل عربى ، وكل مسلم ، أنه ما دام فى فلسطين (واغل ...) واحد من هؤلاء ، فحرام أن ينعم زوج بأهله ، أو غنى بماله ، أو يغلق جفن على لذيذ المنام ؟

وإنها لفى تفكيرها ، وإذا بالباب يخفق ، وإذا هو نعى إخوتها الأربعة ...

* * *

صعقت ميسون لهذا النبأ ، وعجز جسمها اللدن ، وقلبها الرقيق عن حمله ، فتضعضعت وانهارت ، ولكن الإيمان والشباب تنبها فى نفسها ، ونهضا من تحت أنقاض الصبر ، وخلال غبار المصيبة ، يوقظان اللبؤة للانتقام . لقد كان وِتراً واحداً فصارا وِترين ، وكانت تطلب ثأر وطنها فلتطلب ثأر وطنها وإخوتها ، ووضعا البارود فى أعصابها كما يوضع فى المدافع ، ثم أرسلاها فى هذا الشعب الهاجع ، تقرع أذنه بالرعود فيفيق أو ينام إلى الأبد ...

وأحست ميسون أن فى عضلاتها القوة التى تهز دمشق هزاً ، وفى حنجرتها الصوت الذى يسمع الأموات ، وفى قلبها العزم الذى لا يكلّ ، والمدد الذى لا ينقطع ، والأيد الذى يفل الجيوش ، ويدك الحصون ؛ وكذلك الإيمان إن نزل بقلب امرأة جعل منها بطلا لا يغلب ، وما أعجب ما يصنع الإيمان !

* * *

وهمت ميسون أن ترتدى ثيابها ثم تطلب ميدان العمل ، وتلفتت حولها فلم تجد لها فى الأرض قريباً ، ولا ذا رحم ، فقطعت أسبابها من الأرض ثم وصلتها بالسماء ، فشعرت كأنها مؤيدة بقوة إلهية ، اصطفتها من دون الناس ، لتعلم ، وهى الفتاة الغريضة الناعمة ، لتعلم هؤلاء الرجال ، الرجولة كيف تكون !

ولم تعلم من أين تبدأ العمل ، وجعلت تفكر ، وهى تمرّ يدها على شعرها المنسدل حولها ، المتموج كالحرير يفتن العبّاد لو أرادت به الفتنة ويأسر قلوب الفرسان ، فسطعت لها الفكرة كما يسطع البرق خلال الظلام ، إن هذا هو سلاحها ، لتشدّن الرجال بهذا الشعر الناعم ، ثم لتقودنهم من أعناقهم إلى المعمعة الحمراء ، لتجعلن من ضعفه قوى تأكل القوى .

وذهبت فنادت جارات لها كن يقتدين بها ، ويسمعن منها ، فذكرت لهن مصابها فى إخوتها ، فحسبنها قد دعتهن ليواسينها ويخففن عنها ، ولكنها مضت فى حديثها مُصَعِّدَةً ، حتى سمت إلى فلك التضحية ونسيان النفس ورفعتهن معها ، حتى إذا استوثقت منهن ، قالت : إننا لم نخلق رجالا نحمل السيوف ، ونقود الجيوش ، ولكننا إذا جبن الرجال لم نعجز عن عمل ، وهذا شعرى أثمن ما أملك أنزل عنه ، أجعله قيداً لفرس تقاتل فى سبيل الله ، لعلى أحرك هؤلاء الأموات .

وأخذت المقص فجزت شعرها وصنع الفتيات صنعها ، ثم جلسن يضفرنه ليوم الكريهة ، لجماً وقيوداً لخيل المعركة العابسة ، لا يضفرنه ليوم الزفاف ، ولا لليلة العرس .

* * *

أرسلن هذه القيود واللجم ، إلى خطيب (الجامع الأموى) سبط ابن الجوزى العظيم ، فحمله إلى الجامع يوم الجمعة وقعد فى المقصورة وقد زلزلته الحماسة فما يستقر ، ونفد منه الصبر فما يدرى أيان يصعد المنبر ، فما آن الأوان حتى أسرع بالصعود وجلس وهذه اللجم وهذه القيود بين يديه ، والدمع يترقرق فى عينيه ، ووجهه ممتقع شاحب ، والناس يلحظون ذلك كله ، وينظر بعضهم فى وجوه بعض ، فلما انتهى الأذان قام فتكلم ..

خطب خطبة حروفها من نار تلذع أكباد من يسمعها ، وكأنها سحر لم يدر هو مأتاه لأن قلبه كان يتلقاه من عالم مجهول ، فيقذف به على لسانه ، ولم يستطع أحد أن يرويها لأنها خطاب من الروح إلى الروح ، قد ذابت كلمتها فى معانيها ، ثم استحالت

معانيها إلى إيمان وتضحية وبذل ، فكانت إحدى هذه المعجزات البلاغية التي يهدر بها كل عصر مرة ، لسان محدِّث ، أو يمشى بها قلم مُلْـهَم ، كرامةً من الكرامات ، وواحدةً من خوارق العادات ، يجعل الله بها الكلمات أحياء عظيمة لها روح تجذب الأرواح ، ويد تشدّ الأعصاب ، وعيون تبصّر العيون ... وإنما حفظوا منها جملاً ، نقلوها إلى لسان الأرض ، فجاءت كتمثال الحسناء ، جميل ولكنه من الشمع ... وكان مما حفظوا :

***

«يا من أمرهم دينهم بالجهاد حتى يفتحوا العالم ، ويهدوا البشر إلى دينهم ، فقعدوا حتى فتح العدو بلادهم وفتنهم عن دينهم !

يا من حكم أجدادهم بالحق أقطار الأرض ، وحُكِموا هم بالباطل فى ديارهم وأوطانهم !

يا من باع أجدادهم نفوسهم من الله بأن لهم الجنة ، وباعوا هم الجنة بأطماع نفوس صغيرة ، ولذائذ حياة ذليلة !

يا أيها الناس :

ما لكم نسيتم دينكم ، وتركتم عزّتكم ، وقعدتم عن نصر الله فلم ينصركم ، وحسبتم أن العزة للمشرك وقد جعل الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين يا ويحكم أما يؤلمكم ويشجى نفوسكم مرأى عدوّ الله وعدوكم ، يخطر على أرضكم التى سقاها بالدّماء آباؤكم ، يذلكم ويتعبدكم وأنتم كنتم سادة الدنيا ؟

أما يهز قلوبكم ، ويُنْمى حماستكم ، أن إخواناً لكم قد أحاط بهم العدو ، وسامهم ألوان الخسف ؟! أما فى البلد عربى ؟ أما فى البلد مسلم ؟ أما فى البلد إنســان ؟ العربى ينصر العربى ! والمسلم يعين المسلم ! والإنسان يرحم الإنسان ! فمن لم يهب لنصرة فلسطين ، لا يكون عربياً ولا مسلماً ولا إنساناً !

***

أفتأكلون وتشربون وتنعمون وإخوانكم هناك يتسربلون باللهب ، ويخوضون النار ، وينامون على الجمر ؟

يا أيها الناس ، إنها قد دارت رحى الحرب ، ونادى منادى الجهاد ، وتفتحت أبواب السماء ، فإن لم تكونوا من فرسان الحرب ، فافسحوا الطريق للنساء يدرن رحاها ، واذهبوا فخذوا المجامر والمكاحل ! يا نساء بعمائم ولحى ! أوْ لا ... فإلى الخيول . وهاكم لجمها وقيودها ...

يا ناس . أتدرون مم صنعت هذه اللجم والقيود ؟

لقد صنعها النساء من شعورهن لأنهن لا يملكن شيئاً غيرها ، يساعدن به فلسطين ...

هذه والله ضفائر المخدرات التى لم تكن تبصرها عين الشمس صيانةً وحفظاً ، قطعنها لأن تاريخ الحب قد انتهى وابتدأ تاريخ الحرب المقدسة ، الحرب فى سبيل الله ، وفى سبيل الأرض والعرض ، فإذا لم تقدروا على الخيل تقيدونها بها فخذوها فاجعلوها ذوائب لكم وضفائر ... إنها من شعور النساء ، ألم يبق فى نفوسكم شعور !

وألقاها من فوق المنبر على رؤوس الناس ، وصرخ :

« تصدعى يا قبة النسر ، وميدى يا عَمَد المسجد ، وانقضّى يا رجوم ، لقد أضاع الرجال رجولتهم ... »

فصاح الناس صيحة ما سمع مثلها ، ووثبوا يطلبون الموت !

***

بلغت الحياة هذه القلوب فعاشت بحمية الإيمان ، وحماسة الشرف ، وعاش فيها إرث الجدود ، فهبت دمشق ، يستبق رجالها فى طريق الجهاد ، وتوالت الأمداد على الملك المعظم فى نابلس ، ونابلس دائماً مطلع شمس النصر ، ونابلس دمشق فلسطين ، وكانت هجمة الأسود على الأعداء (الواغلين ...) فطردوهم حتى التجأوا إلى عكا ، فحاصروهم فيها حتى أشرفوا على الهلاك ، فاستسلموا ...

وكذلك جاء النصر على يدى رجل وامرأة ، أما الرجل فقد أكرمه الله فجعله أحد العظماء الخالدين ، وأما المرأة فقد كافأها فردّ عليها إخوتها الأربعة سالمين مظفرين ، لم يصبهم سوء ...

وعلمت الدنيا أن أتباع محمد ، لا يذلون ولا يستعبدون ، ما بقى فيهم رجل واحد ، أو امرأة مفردة ، طوت صدرها على إيمان صحيح ، وأنهم قد ينامون ولكنهم لا يموتون ، وأن (الواغلين ...) عليهم ، فى فلسطين وغير فلسطين قد يقيمون حيناً ولكنهم لا يستقرون ولا يملكون !

علي الطنطاوي

من محاسن التشريع الاسلامي

المساواة فى التكاليف والأحكام

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ٣ —

أحكام الشريعة الإسلامية ، وتكاليفها مبنية على مبدإ المساواة ، كلِّف بها الأفراد والجماعات بلا تمييز : فأحكامه ، وعقوباته ، وحدوده لا يستثنى منها غنى واسع الثراء ، ولا أمير عريض الجاه ، ولا خليفة تدين له الخلائق بالطاعة والامتثال ، فالمسلمون كلهم متساوون فى الحقوق والواجبات ، وفى التكليف والأحكام والقوانين ، لا فرق بين عربى وعجمى ، ولا بين أبيض وأسود ، ولا بين حاكم ومحكوم ، تقرر هذا المبدأ من يوم أن بزغت شمس الإسلام ، وسطع النور المحمدى ، منذ نيف وثلاثة عشر قرناً ونصف

وهنا تغلبنا الدلائل والشواهد كثرة ، ولذلك سنجتزئ بذكر بعضها فنقول :

١ — من أصول التشريع الإسلامى — وهو من مميزاته كذلك — اعتبار النصوص الشرعية موجهة إلى الأمة كلها ، ما لم يدل دليل على الخصوصية ، ومن قواعد أصول الفقه عدم الخصوصية فى الأحكام التكليفية .

٢ — صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه وضع هذا الأصل ، وأقره عملا وقولا ، ودعا أمته إلى الأخذ به وعدم التهاون فيه ، فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام دعا الأعرابى الذى خدشه غير متعمد ، فقال له : اقتص منى ، فقال الأعرابى : قد أحللتك بأبى أنت وأمى ، ما كنت لأفعل ذلك أبداً ، ولو أتيت على نفسى ، فدعا له بخير .

وفى خطبته فى حجة الوداع عرض لبعض ما كان يقترف فى الجاهلية ، فحكم بأنه موضوع بالنسبة لجميع المسلمين ، وخص بالذكر ذوى القربى لإدخالهم فى الحكم الذى يؤخذ به الجميع ، حتى لا يتوهم متوهم أن لهم مزية على من سواهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « وإن ربا الجاهلية موضوع [1] ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب » ، وخرج مرة فى مرض موته ، فكان مما كلم به الناس قوله : «أيها الناس ، من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منى ، ومن كنت شتمت له عرضاً ، فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن أخذت له مالا ، فهذا مالى فليأخذ منه ، ولا يخش الشحناء ، فهى ليست من شأنى » .

ومن ذلك أن الربيّع بنت النضير لطمت جارية فكسرت ثنيتها ، فطلب أهل الجارية القصاص . فأمر رسول الله به ، فجاء أخو الربيّع أنس بن النضر ، وكان من خاصة الصحابة ، فقال : يا رسول الله : لا والذى بعثك بالحق ، لا تكسر ثنية الربيع ، فقال الرسول : كتاب الله القصاص ، فلم يزل أنس يقول لرسول الله حتى جاء أهل الجارية راضين بدفع الأرش [2] ، فقضى رسول الله به

كذلك نسوق إليك قضية ، هى أروع ما يذكر فى هذا الباب : قضية المرأة المخزومية التى سرقت حليا فى زمن رسول الله ، وكانت من بيت مجادة وشرف ، فلما أراد الرسول إقامة الحد عليها عَظُمَ ذلك على المهاجرين ، وقالوا من يشفع لها عند رسول الله ؟ فقالوا من يشفع إلا أسامة بن زيد حِبّ رسول الله ، فتكلم أسامة مع الرسول ، فغضب وقال له : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ! ثم قال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

(ح) حدثنا التاريخ أن محمد بن عمرو بن العاص زمن ولاية أبيه على مصر — كان يجرى الخيل ، فنازعه أحد المصريين السبق ، فغضب ، ووثب على المصرى يضربه بالسوط ويقول له : خذها وأنا ابن الأكرمين ، فقدم المصرى إلى الخليفة عمر يشكو ، قال أنس بن مالك راوى القصة : فوالله ما زاد عمر على أن قال له :

(١) من وضع الجناية عنه : أسقطها .
(٢) الأرش : دية ما دون النفس .

اجلس ... ومضت فترة ، إذا به فى خلالها قد استقدم عمراً وابنه ، فقدما ومثــلا فى مجلس القصاص ، فنادى عمر : أين المصرى ؟ دونك الدرة ، فاضرب بها ابن الأكرمين ، فضربه حتى أثخنه ، ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه ... قال عمرو فزعاً : يا أمير المؤمنين ، قد استوفيت واشتفيت ؛ وقال المصرى معتذراً : يا أمير المؤمنين ، قد ضربت من ضربنى ... فقال عمر: أما والله لوضربته ما حلنا بينك وبينه ، حتى تكون أنت الذى تدعه ، والتفت إلى عمرو مغضباً ، وقال له تلك الكلمة الخالدة : « يا عمرو ، متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

(د) كذلك حدثنا أن جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان حج بعد إسلامه ، فبينا هو يطوف بالبيت يجر ثوبه — وطئ رجل من فزارة ثوبه ، فلطمه جبلة فهشم أنفه ، وكسر ثناياه ، فاستعدى الفزارى عليه عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : إما أن يعفو عنك الفزارى ، وإما أن يقتص منك . فقال جبلة : أيقتص منى وأنا ملك وهو سوقة ؟ قال عمر : قد شملك وإياه الإسلام ، فما تفضله إلا بالعافية والتقوى . قال جبلة : ما كنت أظن إلا أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية ؛ قال عمر : دع عنك هذا . فلما رأى جبلة حرص عمر على القصاص ، قال : أنظر فى أمرى الليلة ؛ ورحل بليل بخيله ورواحله ولحق بالشام ، ثم بالقسطنطينية فتنصر وبقى عند قيصر ، ومما يعزى إليه قوله فى ذلك سادما :

تنصرت الأشراف من أجل لطمة
وما كان فيها لو صبرت لهـا ضرر
تكنّفنى فيهـا لجاج ونخوة
وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى
رجعت إلى القول الذى قاله عمر

ولا يخل بمبدإ المساواة تخلفها فى بعض حالات قليلة محصورة لوجود مانع جبلى أو شرعى ، ولحكم ومصالح تقتضى ذلك — على ما هو مبين فى موضعه من كتب الفروع كعدم مساواة المرأة للرجل فى استحقاق النفقة عليها ، وعدم مساواته لها فى حضانة الأولاد ، وعدم مساواة المرأة للرجل فى تعدد الأزواج وفى مقدار ما يورث .

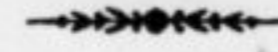
بهذا المبدإ المظيم عزّت نفوس المسلمين فى صدر الإسلام ، وسمت هممهم ، وعظمت أخلاقهم ، وبرزت فيهم قوة الشخصية والمواهب ، ونجم فيهم رجال قادوا الأمة الإسلامية إلى أوج المجد والرفعة ، وساسوا العالم كله بالقسط والمعدلة ، والرفق والمرحمة ، وتلك هى روح الإسلام التى بها دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكانوا له حماة وأنصارا : « يأيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » .

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

جيوردانو برونو

لألفرد فيبر (*)

للأستاذ عبد الكريم الناصري



ولد جيوردانو برونو Giordano Bruno فى مدينة « نولا » — القريبة من نابلى — سنة ١٥٤٨ . وقد انضم فى صباه إلى الأخوة الدومنيكية ؛ ولكن شغفه العميق بالطبيعة ، وتأثره بكتابات « نيقولا الكوسى (١) » و « ريموند لولوس (٢) » و « تيليسيو (٣) » سرعان ما حولاه عن حياة الرهبنة وعن المذهب الكاثوليكى . ثم ذهب مطوفاً فى الآفاق ، فزار جنيف وباريس ولندن ، وزار ألمانيا فشرّق فيها وغرّب . ولكن البروتستانتية لم تقنعه أكثر مما أقنعه مذهب آبائه . وعند عودته إلى إيطاليا ألقى القبض عليه بأمر من محكمة التفتيش ، وسجن عامين ، ثم أعدم حرقاً فى روما .

* * *

كان برونو أول ميتافيزيقى — فى القرن السادس عشر — قبل نظرية مركزية الشمس بلا تحفظ . وكان ينظر إلى أفلاك أرسطو وتقسيماته للعالم على أنها محض أوهام . فليس للمكان مثل هذه الحدود التى رسمها له أرسطو ، هذه الحواجز المنيعة التى تفصل عالمنا عن ملكوت علوى خاص بالملائكة ، والأرواح المحضة ، والكائن الأعلى . ما السماء إلا الكون الذى لا حد له ، وما النجوم الثوابت إلا شموس تحيط بها كواكب سيارة ، ترافقها توابع أو أقمار . والأرض كوكب من هاته الكواكب ، ليس غير ، فما تشغل مكاناً مركزياً ممتازاً فى السماء . ومثل ذلك يقال فى شمسنا ، لأن الكون نظام من أنظمة شمسية .

وإذا كان الكون غير متناه فينبغى أن نقول : إنه لا يمكن أن يكون ثمت لا نهايتان ؛ ولكن وجود العالم لا يمكن أن ينكر ؛ إذن فالله والكون شىء واحد . وبرونو — لأجل أن يتخلص من تهمة الإلحاد — يميز بين الكون والعالم : فالله ، أو الوجود اللانهائى ، أو « الكون » ، هو مبدأ « العالم » أو علته السرمدية : هو الطبيعة الطابعة (أو الطبيعة مصدراً Natura Naturanc) ؛ أما العالم فهو كلية معلولات الله أو ظواهره : هو الطبيعة المطبوعة (أو الطبيعة معلولا Natura Naturata) . وفيلسوفنا يرى أن من الإلحاد أن يعتبر الله والعالم شيئاً واحداً ، إذ ليس العالم إلا مجموع الكائنات الفردية ، والمجموع ليس بكائن ، وإنما هو لفظ فحسب . فأما اعتبار الله والكون شيئاً واحداً فليس بإنكار له ، وإنما هو ، على الضد من ذلك ، تعظيم له ، لأنه توسيع لفكرة الكائن الأعلى إلى ما وراء الحدود التى يفرضها عليه هؤلاء الذين يتصورونه كائناً « بجانب » الكائنات الأخرى : أى كائناً محدوداً .

(*) يعد « تاريخ الفلسفة » للعلامة الفلسفى الألمانى ألفرد ڤيبر (Weber) من أهم المصادر الباحثة فى موضوعه ، وقد ترجم إلى الانجليزية « فرانك تيلى » (Thilly) ، أستاذ الفلسفة بجامعة كورنل الأميركية .

وراجع الطبعات الأخيرة من الترجمة « رالف بيرى » (Perry) ، أستاذ الفلسفة بجامعة هارفرد ، وأضاف إلى الكتاب تكملة فى تاريخ الفلسفة منذ ١٨٦٠ (لأن كتاب فيبر ينتهى بشوبنهاور) . وهذا الفصل — الذى ترجمته عن الترجمة الانجليزية المذكورة ، والذى سأتبعه بفصول أخرى — هو الأول من (القسم الثالث) من الكتاب ، وهو القسم الباحث فى « الفلسفة الحديثة » التى تبدأ ببرونو . وقد أضفت إلى المتن شروحاً تتعلق ببعض الفلاسفة أو المذاهب ، وبعض هذه الشروح مقتبس — باختصار — عن مواضع أخرى من الكتاب ، ولكنى لم أشر إلى ذلك ، مكتفياً بهذا التنبيه .

(١) أو الكردينال نيكولاس كوسانوس ، إسمه الحقيق « كريبس » توفى سنة ١٤٦٤ . « كان يشتمل على سجايا برونو وديكارت ، وكان من الشجاعة بحيث ذهب ينتقد أخطاء الكنيسة علناً . ويوصى بالرجوع إلى فلسفة أفلاطون ، التى كان يراها هى ونظرية فيثاغورس فى الأعداد شيئاً واحداً » ألف فى الفلك والرياضيات ، وأبحاثه فى هذا الباب تشتمل على بدايات مذهب كوبرنيكوس وإصلاح التقويم ، كما أن له أبحاثاً فلسفية قيمة .

(٢) الدون ريموند لولوس (١٢٣٤ — ١٣١٥) من مدينة بالما « مزاج غريب من اللاهوتى والطبيعى ، من المبشر و (التروبادور) ؛ سعى إلى تبسيط علم العرب بواسطة منهج عام أسماه (ارس ماغنا أى (الصناعة الكبرى) . وقد أكبته تعاليمه — التى دونها فى تآليف عديدة — أتباعاً متحمسين فى خلال القرون التالية وكان همهم الأكبر اكتشاف حجر الفلاسفة وصنع الذهب » .

(٣) برنارد يتوتيليو (١٥٠٨ — ١٥٨٨) من كوسنزا مؤسس (الاكاديميا تيليانا) فى نابلى كان راسخ القدم فى (الانسانيات) . وهو فى تصوراته الفوزمولوجية يقترب من المدرسة (الأيونية) ومذاهبها الطبيعية .

ومن هنا كان يحلو لبرونو أن يدعو نفسه « فيلوتيوس » أى « محب الإلهى » ، إرادة أن يميز فى وضوح بين تصوره لله وبين الإلحاد . بيد أن هذه الحيطة لم تجده نفعــاً ، ولم تفلح فى تضليل قضاته .

والواقع أن إله برونو لا هو خالق العالم بل ولا هو محركه الأول ؛ وإنما هو « نفس العالم » . إنه ليس علة الأشياء التعالية Transcendent والموقتة ؛ وإنما هو — على حد تعبير اسپنوزا — علتها الحالة Immanent ، أى الباطنة الدائمة . إنه مبدؤها المادى والصورى معاً ؛ إنه المبدأ الذى يحدثها وينظمها ويحكمها « من الداخل نحو الخارج » . إنه بالإيجاز جوهرها السرمدى . إن الموجودين اللذين يميز بينهما فيلسوفنا بلفظى « الـكون » و« العالم » ليسا فى الحقيقة إلا شيئاً واحداً ، يعتبر حينا من مقام « الواقعية » (بالمعنى المدرسى) وحيناً من مقام « الإسمية[1] » .

فالـكون الذى يحوى ويحدث جميع الأشياء ماله من بداية ولا نهاية ؛ أما العالم — أى مجموع الموجودات التى يحولها ويحدثها — فله بداية ونهاية . ههنا — إذن — تحل فكرة الطبيعة والإحداث Production الضرورى محل فكرة الخالق والخلق Creation الحر ، وتعود الحرية والضرورة لفظين مترادفين ويرجع الوجود والقدرة والإرادة فى الله فعلا واحداً لا يتجزأ .

وإبداع العالم لا يكيف « الـكون الإله » على أى نحو من الأنحاء ، وهو الـكيان الواحد الثابت السرمدى اللامتناهى ، والمتنع على القياس والمقارنة . فإنه إذ يفض نفسه[1] يحدث مالا عداد له من الأجناس والأنواع والأفراد ، ومالا نهاية له من ، شتى القوانين والنسب (التى تقوّم حياة الـكون وعالم الظواهر) من غير أن يصير هو نفسه جنساً أو نوعاً أو فرداً ، أو يخضع لأى قانون من القوانين ، أو يدخل فى أية نسبة من النسب . إنه وحدة مطلقة لا تقبل الإنقسام ، ولا شأن لها بالوحدة العددية . إنه فى كل شىء وكلُّ شىء فيه . وليس من موجود إلا ويحيا ويتحرك ويتقوم فيه . إنه حاضر فى سنبلة القمح ، وفى حبة الرمل ، وفى الهباءة التى تسبح فى شعاع الشمس ، كما هو حاضر فى « الـكل » الذى لا حد له — لأنه لا يقبل الإنقسام . وحضور (الواحد) اللانهائى فى كل مكان ، حضوراً جوهرياً طبيعياً ، يفسر — وفى الوقت نفسه يهدم — الإعتقاد الدينى بوجوده الفائق الطبيعة فى « الخبز المقدس » ، وهو الاعتقاد الذى يعتبره الدومنيكى السابق حجر الزاوية فى المسيحية . وبسبب هذا المحضر الحقيقى للكائن اللانهائى فى كل مكان ، كان كل شىء فى الطبيعة حياً ؛ فلا سبيل إلى إعدام شىء ؛ وما الموت نفسه إلا تحول فى الحياة من شكل إلى آخر ... إن مزية الرواقيين تستقر فى أنهم رأوا فى العالم موجوداً حياً ؛ ومزية الفيثاغوريين تستقر فى أنهم أدركوا ما تتسم به النواميس الحاكمة للخلق السرمدى من الثبات والضرورة الرياضية .

وبرونو يسمى « اللانهائى » أو « الـكون » أو « الله » بالمادة أحياناً . وليست المادة عنده « اللاوجود » الذى قالت به المثالية اليونانية وقال به المدرسيون . فإنها عنده غير ممتدة ، أى « لا مادية » فى ماهيتها ، وليست تقبل وجودها من مبدأ إيجابى خارج عنها (الصورة) ، وإنما هى بضدذلك المصدر الحقيقى للصور كلها ، إذ هى تنطوى على أصول هذه الصور جميعاً ، وتبرزها بالتعاقب . فما كان أول الأمر بذرة يصير ساقاً ، ثم سنبلة ، ثم خبزاً ، ثم عصارة ، ثم دماً ، ثم نطفة ، ثم جنيناً ، ثم إنساناً ، ثم جثة ، ثم يعود إلى الأرض أو الحجر أو ما إلى ذلك من المواد ،

---

(١) المذهب الواقعى أو الشيئى (Realism) فى اصطلاح القرون الوسطى هو القول بأن الـكليات أو التصورات العامة أو المثل (كالجمال أو الانسان مثلا) هى حقائق أو أشيـاء (RES) قائمة بذاتها مستقلة عن أفرادها ، وليست تجريدات عقلية مستفادة من الجزئيات والأفراد ، كما يرى الاسميون (Nominaliste) . فان هؤلاء لا يرون في الـكليات أكثر من أسماء معان أو جموع ، وتجريدات فى الذهن ليس غير . ومن هنا يتضح للقارىء أن الشيئية أو الواقعية فى عرف القرون الوسطى ترادف المثالية بالمعنى اليونانى ، وتقابل (أى تضاد) الواقعية بالمعنى الحديث أما « الاسمية » فهى ترادف الواقعية بالمعنى الحديث . وقد احتدمت المساجلات بداية من القرن الحادى عشر حول هذين المذهبين . لأنه إذا كانت الاسمية على حق ، « فالـكنيسة » التى تعتبر نفسها حقيقة قائمة بذاتها فوق الـكنائس الجزئية وفوق جماعات النصارى وأفرادهم ، ترتد مجرد إسم وتـكون فى المحل الثانى بالقياس إلى الأفراد .

(١) (Unsolda itself)

ليبر بعد بالمراحل نفسها من جديد . وهكذا نجد ههنا شيئاً واحداً يتحول إلى كل شيء ، ويبقى مع ذلك واحداً فى جوهره . ومن ثم تبدو المادة وحدها ثابتة سرمدية ، وجديرة بأن تدعى مبدأ . إنها — وهى المطلقة — تتضمن الصور والأبعاد جميعاً ، وتطور من نفسها ما لا حد له من شتى الصور التى تستعلن فيها وتظهر . ونحن حين نقول إن شيئاً قد مات ، إنما نعنى أن شيئاً جديداً قد ولد ؛ فإن انحلال مركب من المركبات معنـــاه تكوين مركب جديد .

والنفس البشرية أعلى ما تتطور إليه الحياة الكونية ، فهى تنبثق من جوهر الأشياء كلها ، بفعل القوة نفسها التى تخرج السنبلة من حبة الحنطة . على أن لكل موجود فى الكون جسما ونفساً ، لجميع الموجودات « مونادات » حيـة يستعلن فيهـا « موناد المونادات » أو « الكون الإله » فى صورة جزئية وهيئة خاصة . والجسمانية هى الأثر الناشىء عن قوة الموناد التوسعية ، أو حركته نحو الخارج ؛ وفى الفكر ترجع حركة الموناد على نفسها . إن هذه الحركة المزدوجة ، من توسع وتمركز ، تقوم حياة الموناد . وهو يدوم ما دامت هذه الحركة ، ويموت حين تقف ، ولكنه يختفى ليظهر وشيكا فى صورة جديدة . وعلى هذا يمكن أن يوصف تطور الكائن الحى بأنه اتساع مركز حيوى ، وتوصف الحياة بأنها ديمومة الكرة ، والموت بأنه تقلص الكرة وعودتها إلى المركز الحيوى الذى انبثقت منه .

إننا سنصيب هذه التصورات كلها ، وخصوصاً (تطورية) برونو ، فى أنظمة (ليبنتس) و (بونيه) و (ديدرو) و (هيجل) فإن فلسفة برونو تنطوى على أصولها البدائية البسيطة . هذا إلى أن هذه الفلسفة ، من حيث هى توفيق بين الوحدية والذرية ، والمثالية والمادية ، والنظر والملاحظة ، تعتبر المصدر المشترك للمذاهب الأنطلوجية الحديثة .

(بغداد) عبد الكريم الناصرى

---

٤ ـ الزندقـــة
فى عهد المهدي العباسى
الأستاذ محمد خليفة التونسى

ولقد حاول الفرس مراراً الإستقلال عن العرب وطرح حكمهم ودينهم منذ ملكوهم ، وقد اختفت هذه المحاولات أولا بعد خيبتهم فيها — كما قدمنا — ثم عادت إلى الظهور فى أواخر الدولة الأموية . والقارىء لتاريخ عمر وعثمان وعلى والدولة الأموية فى الكتب المبسوطة كتاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى والكامل لابن الأثير وكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون وغير ذلك تهوله كثرة انتقاضات الفرس على العرب فى البلاد الفارسية ، مما يدل على أن الاستقلال كان وسواسا لازبا فى عقول سادة الفرس .

وما أظن أبا مسلم إلا بطلا فارسيا كان يرمى إلى هدم السلطان العربى والإسلام ، وما لسبب غير ذلك حول أبو مسلم الملك عن العلويين إلى العباسيين ليبقى فى يده ، إلى جانب قوة الجيوش ، قوة الحجة ضد العباسيين بأن العلويين أحق منهم بالخلافة مادام الأمر أمر قرابة من النبى [1] . وما ثار بعده تلميذه سنباذ وثارت الراوندية إلا لهذا الغرض ، وما أبرىء البرامكة من الطمع فى هذا الاستقلال مما دعا الرشيد إلى نكبتهم ، وما استعان العباسيون بهم إلا وهم يحذرونهم ، ويتخلصون منهم فى الآونة المناسبة ، ولا أهملوا العرب إلا بعد أن يئسوا منهم [2] ، ومع ذلك قربوا العرب وأنهضوهم حين خافوا نزوات الفرس ليضربوا هؤلاء بأولئك ، وأولئك بهؤلاء حذرا من الفريقين . وما كان النزاع بين الأمين والمأمون إلا نزاعا بين الفريقين ، ولا كانت استعانة المعتصم ومن بعده بالترك إلا عن سوء ظن بهما معا مما أدى إلى ازدياد نفوذ الترك على نفوذهما .

غير أن الفرس لم ينوا فى طلب الإستقلال حتى ظفروا به على يد الدولة البويهية (٣٢٤ — ٤٤٧ هـ) فقد أكثر العباسيون طوال القرن الثالث الهجرى من إقطاع الفرس ولايات المشرق طعمة لهم ولأخلافهم ، وهب دهاة الفرس ينشئون فى فارس إمارات وطنية ، ولكنهم حينما استعادوا بعض أملا كهم وجدوا الإسلام قد أتى على المجوسية ، واللغة العربية كادت تهزم الفارسية ، فأنابوا إلى الخليفة لأنه الحاكم الشرعى الذى تجب طاعته ، ودعوا إلى نصرته استدراجا للعامة تحت سلطانهم ، ومع غلبة الإسلام على مجوسيتهم لم يقض على عصبيتهم ، فلما استقلوا بالولايات شرعوا فى تجديد لغتهم ونقل الثقافة العربية إليها فنجحوا فى تجديدها كثيرا وخابوا فى نقل الثقافة إليها لأنها كانت قد انحطت بإهمالها زمنا طويلا .

ولقد كان الفرس البويهيون يحكمون بلاد الخلافة حتى بغداد عاصمة الدولة العباسية .

ويعنينا هنا أمر آخر أهم من كل ما تقدم هو أن العصبية الفارسية حملت الفرس على أن يحافظوا على كل ما هو فارسى ، ويؤثروه على كل ما هو عربى ومن ذلك دياناتهم المجوسية القديمة التى تفرقت إلى نحل مختلفة قبل ظهور الإسلام .

ما من شك فى أن كثيرا منهم قد دخلوا فى الإسلام مخلصين واعتنقوه عن إيمان ، واستطاعوا إلى حد بعيد أن يتخلوا عن دياناتهم القديمة ، ولكن مما لا شك فيه أن كثيرا منهم أيضاً أبطنوا المجوسية وأظهروا الإسلام وأسباب ذلك كثيرة لا يعنينا هنا الكلام فيها . وما من شك فى أن كثيرين دخلوا فى الإسلام مخلصين ولكنهم لم يستطيعوا التخلى عن الميراث الذى تركته فى عقولهم الديانة القديمة ، وما من شك فى أن كثيرا منهم لم يكونوا يؤمنون بالإسلام ولا بالديانة القديمة فى قلوبهم ولكنهم تمسكوا بالديانة القديمة لأنها ميراث لهم قديم يدفعهم وقوف العرب بمفاخرهم أمامهم إلى التمسك به ، فقد اعتبر العرب أنفسهم جيلا يمتاز على سائر الأجيال ، ووضعوا أنفسهم فى موضع سام ، ووضعوا كل من عداهم فى موضع وضيع ، وسموا أنفسهم العرب ، وسموا كل من عداهم العجم ، وأظهروا مفاخرهم يتحدون بها العجم جميعا ، وبرز لهم العجم فتحدوهم بمفاخرهم ، وكثر احتكاك هؤلاء بهؤلاء فى كل مكان وامتدت الملاحاة والمفاخرة حتى عاب العجم

(١) و (٢) انظر فى كل ذلك مقالنا « الزندقة فى عهد المهدى العباسى » الرسالة ٦٣٧ .

على العرب مثلا إمساك خطبائهم بالعصا ، ورد من كانوا فى صف العرب عليهم ذلك فعدوه مفخرة[١] ، وكثرت مجالس المناظرة بين العرب والموالى ولاسيما الفرس للأسباب السابقة ، ولما كان للفرس من سلطان فى أيام العباسيين وكان الفريقان يتبادلان الإحتقار والتفاخر ، وظهر ذلك على ألسنة الشعراء والعلماء ، فألف كثير من الفرس الكتب فى مثالب العرب ، وأول من شجع على ذلك الخلفاء والأمراء والعرب أنفسهم ، فنحن نعلم أن العصبيات القبلية العربية التى نجح النبى فى إسكانها قد بدأت تظهر بعده ولا سيا فى الدولة الأموية ، واستدعى هذا أن يطلب الخلفاء وأتباعهم من علماء الأنساب تأليف الكتب فى مثالب القبائل العربية التى كانت تناهضهم ، وكتب المفاخر فى مفاخر القبائل التى تناصرهم ، فلما برزت الشعوبية لمناهضة العربية وجدت فى كتب المثالب أصولا تحتذيها فى الطعن على العرب متفرقين ومجتمعين ، وإنا نجد فى كتب التراجم أسماء كتب فى مثالب العرب عامتهم أو قبائلهم لكبراء الرواة والأدباء والعلماء .

وقد شارك كثير من الشعراء الموالى قومهم فى ذكر مثالب العرب والتندر بهم حتى فى مجالس الخلفاء والأمراء العرب ، ومن ذلك ما ذكره أبو الفرج الأصفهانى ، قال : « دخل أعرابى على مجزأة بن ثور السدوسى ، وبشار عنده ، وعليه بزة الشعراء ، فقال الأعرابى : من الرجل ؟ فقالوا : رجل شاعر . فقال أمولى أم عربى ؟ قالوا : بل مولى . فقال الأعرابى : وما للموالى والشعر ؛ فغضب بشار ، وسكت هنيهة ، ثم قال : أتأذن لى يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا معاذ » فأنشأ يقول :

خليلى لا أنام على اقتسار ... ولا آبى على مولى وجار
سأخبر فاخر الأعراب عنى ... وعنه حين تأذن بالفخار
أحين كسيت بعد العرى خزاً ... ونادمت الكرام على العقار
تفاخر يا ابن راعية وراع ... بنى الأحرار؟حسبك من خسار!
وكنت إذا ظمئت إلى قراح ... شركت الكلب فى ولغ الإطار[١]
تريغ بخطبة كسر الموالى ... وينسيك المكارم صيد فار
وتغدو للقنافذ تدريها[٢] ... ولم تعقل بدراج[٣] الديار
وتتشح الشمال[٤] للابسيها ... وترعى الضأن بالبلد القفار
مقامك بيننا دنس علينا ... فليتك غائب فى حر نار

فقال مجزأة[٥] للأعرابى : « قبحك الله ! فأنت كسبت الشر لنفسك وأمثالك[٦] » .

ولقد حذا أبو نواس حذو بشار فى التعصب للشعوبية والطعن على العرب ، وديوانه حافل بالسخر منهم . وما افتتاحه قصائده بمدح الخمر دون مناجاة الديار إلا تعصب للشعوبية وليس تجديداً كما زعم أكثر من أرخوا عصره أو كتبوا فيه ، فأطنبوا فى الإشادة به ، وفواتح قصائده تنبىء عن سخره من مناجاة الديار أو بوجه أعم من العرب جميعا ، وإليك مثلا من عشرات الأمثلة قوله :

عاج الشقى على ربع يسائله ... وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكى على طلل الماضين من أسد ... لادر درك ! قل لى : « من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ولفهما[٧] ؟ ... ليس الأعاريب عند الله من أحد[٨] ! »

---

(١) أنظر « كتاب العصا » من كتاب « البيان والتبيين » ج ٣ ص ٤ — ١٠ طبعة السندوبى ، وراجع فى الشعوبية هذا الكتاب ج ١ ص ٥٩ ، ٢٩٤ و ج ٢ ص ٤ ، ٣٨ و ج ٣ ص ٤ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٦٢ و « مجموعة رسائل البلغاء » جمعها الأستاذ محمد كرد علي ومنها « كتاب العرب » لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ص ٢٦٩ و ٢٩٥ وهناك أخبار منثورة فى كتاب « الأغانى » للأصفهانى « ومعجم الأدباء » لياقوت وكتب التاريخ المبسوطة .

(١) الاطار حفرة حول البيت يجتمع فيها الماء عند المطر : فهو يريد أن يقول للأعرابى : إنك تشارك الكلب إذ تلغ مثله فى المياه الراكدة .

(٢) تدريها : تختلها وتخدعها لتصيدها .

(٣) يريد أنه لا يلحق القنافذ إذ يصيدها ، والدراج القنفذ .

(٤) الشمال : أكسية يتشح بها

(٥) أخطأ الأصبهانى فأسند القصة إلى مجزأة مع أن مجزأة استشهد فى فتح مدينة تستر قبل مولد بشار بنحو ستين سنة (إتمام الوفاء للخضرى ص ١٠٠ ويوافقه الطبرى وابن خلدون وابن الأثير) وكان مجزأة رئيسا لقبيلة بكر بأمر عمر بن الخطاب فلما استشهد جعلها أبو موسى الأشعرى والى البصرة فى عهده لخالد بن المعمر السدوسى ، ثم ردها عثمان بن عفان لشقيق بن مجزأة بن ثور (البيان والتبيين ج ٣ ص ٧٣ ، ٧٤ طبعة السندوبى) فلا بد أن القصة لشقيق لا لمجزأة .

(٦) أغانى دار الكتب ج ٣ ص ١٦٦ .

(٧) أى من ينتسب إليهما : وهو يقصد العروبة جميعا ، وقد عد الزمخشرى فى أساس البلاغة من المجاز « جاءوا ومن لف لفهم » واستشهد بقول الشاعر :

سيكفيكم أودا ومن لف لفها ... فوارس من جرم بن زبان كالأسد

(٨) ديوان أبى نواس ص ١٣٨ — ١٣٩ شرح وترتيب الأستاذ محمود كامل

فقوله : « ليس الأعاريب عند الله من أحد » طعن صريح فى العرب جميعا : ولو مضينا فى الاستشهاد بشعره على ما نقول لضاق المكان ، وما دمنا بصدد موضوع خاص فلنضرب صفحا عن الشواهد ، وحسبنا هذا الشاهد .

فهذا الطعن الصريح وغيره وليد العصبية الفارسية عند أبى نواس ومن عاصروه من الموالى ، وكان عصرهم عصر انتصار للفرس على العرب ، فتمكنوا من التصريح برأيهم حتى فى بلاط الخلفاء والأمراء العرب ، ووافق ذلك ميلا فى مزاج أبى نواس وأمثاله المستهترين الذى لا يحفلون بسنن العرف والأخلاق فجروا فى هذا المضمار شوطا بعيدا .

وأصرح من بشار وأبى نواس قول الموبد :

« أنا ابن المكارم من آل جم ... وطالب إرث ملوك العجم
فقل لبنى هاشم أجمعين : ... هلموا إلى الخلع قبل الندم
وعودوا إلى أرضكم بالحجاز ... وأكل الضباب ورعى الغنم »

وقول أبى سعيد الرستمى :

« بهاليل غر من ذؤابة فارس
إذا انتسبوا لا من عرينة أو عُكْل
هموا راضة الدنيا وسادة أهلها
إذا افتخروا لا راضة الشاة والإبل

ودون أولئك أبو الحسن (١) مهيار بن مرزويه الديلمى الذى أسلم على يد أستاذه الشريف الرضى فحسن إسلامه ، وظل بعد إسلامه حتى مات دون أن يظهر منه ما يدل على حنينه إلى ديانته القديمة (المجوسية) ؛ فهو — على الرغم من إسلامه ، وصلته القوية بالشريف الرضى — لم ينس أنه فارسى ، وأن قومه الفرس كان لهم مجد أعظم حتى من مجد العرب ، وأن ليس للعرب فضل إلا الدين ، وإليك أبياته المشهورة التى تغنى فى زماننا :

« أعجبت بى بين نادى قومها ... « أم سعد » فمضت تسأل بى
سرها ما علمت من خلقى ... فأرادت علمها ما حسبى
لا تخالى نسبا يخفضنى ... أنا من يرضيك عند النسب
قومى استولوا على الدهر فتى ... ومشوا فوق رءوس الحقب
عمموا بالشمس هاماتهم ... وبنوا أبياتهم بالشهب
وأبى « كسرى » على إيوانه ... أين فى الناس أب مثل أبى ؟
سورة الملك القدامى وعلى ... شرف الإسلام لى والأدب
قد قبست المجد من خير أب ... وقبست الدين من خير نبى
وضممت الفخر من أطرافه ... سودد الفرس ودين العرب »

هذه صورة موجزة للشعوبية وبعض آثارها وأسبابها ، ولقد دفعت الشعوبية العجم جميعا ولا سيما الفرس على المحافظة على كل ما تستطاع المحافظة عليه من تراث فارس حتى المجوسية ، وقد أشرنا فى هذا المقال إلى الصلة بين الشعوبية والمجوسية ، وسنفصل إن شاء فى المقال الآتى القول فى هذه الصلة ، والقول فى المذاهب المجوسية التى أظهرها الزنادقة أيام المهدى العباسى ، وبيان أصولها القديمة عند الفرس القدماء ، لنعرف صلة مذاهب الزنادقة المحمرة والمبيضة بالمجوسية القديمة التى دان بها أهل فارس قديما ، ثم تفرقت مذاهب مختلفة ، وتطورت أطوارا جديدة على يد دعاتهم زرادشترا ومانى ومزدك .

محمد خليفة التونسى

(١) وقيل : أبو الحسين (وفيات الأعيان لابن خلكان) وانظر ترجمته أيضاً فى « كتاب المنتظم فى تواريخ الملوك والأمم » لأبى الفرج الجوزى « ومعجم الأدباء » لياقوت ، مقدمة الجزء الاول من ديوانه (طبعة دار الكتب) للمرحوم أحمد نسيم

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٦ —

طرائف مختارة من أدب السجون

— ١ —

كتب يحيى بن خالد البرمكي إلى الرشيد من الحبس :

« ... إلى أمير المؤمنين ، من عبد أوبقته ذنوبه ، وخذله شفيقه ، ورفضه صديقه ، وزال به الزمان، ونزل به الحدثان، وحلّ به البلاء بعد الرخاء ، وافترش السخط بعد الرضا ، واكتحل السهود، وفقد الهجود ؛ ساعته شهر، وليلته دهر. قد عاين الموت، وشارف الفوت : جزعاً يا أمير المؤمنين قدّمني الله قبلك ، من موجدتك ، وأسفاً على ما حُرِمتُه من قربك . لا على شيء من المواهب ؛ لأن الأهل والمال إنما كانا لك ، وعارية في يدي منك . والعارية لا بد مردودة . فأما ما اقتصصته من ولدي فبذنبه ، وعاقبته بجرمه وجريرته على نفسه ؛ فإنما كان عبداً من عبيدك لا أخاف عليك الخطأ في أمره . ولا أن تكون تجاوزت به فوق ما كان أهله ، ولا كان مع ذلك بقاؤه أحب إلي من موافقتك . فتذكر يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ، وحجب عني فقدك ، كبر سني ، وضعف قوّتي ، وارحم شيبي ، وهب لي رضاك عني ، ولتَمِل إلى بغفران ذنبي . فمن مثلي يا أمير المؤمنين الزلل ، ومِن مثلك الإقالة . ولست أعتذر إليك إلا بما تحب الإقرار به حتى ترضى . فإذا رضيت رجوت أن يظهر لك من أمري ، وبراءة ساحتي ، ما لا يتعاظمك معه ما مننت به من رأفتك بي وعفوك عني ، ورحمتك لي . زاد الله عمرك يا أمير المؤمنين ، وقدّمني للموت قبلك :

قل للخليفة ذي الصنا   ئع والعطايا الفاشيه
وابن الخلائف من قري   ش والملوك الهاديه
ملك الملوك وخير مَن   ساس الأمور الماضيه
إن البرامكة الذين   رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة   لم تُبقِ منهم باقيه
فكأنهم مما بهم ،   أعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهمُ   خلع المذلّة باديه
متفرقين مشتتين (م) بكل أرض قاصيه
بعد الإمارة والوزا   رة والأمور الساميه
ومنازلٍ كانوا بها   فوق المنازل عاليه
أضحوا وجلّ مناهمُ   منك الرضا والعافيه
فإذا رضيت فإن أنفسهم بحكمك ، راضيه
فاليوم قد سلبَ الزما   ن كرامتي وبهائيه
واليوم قد ألقى الزما   ن جرانه بفنائيه
يا من يود لي الردى   يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك ما أبصرت من   ذلّي ، وذلّ مكانيه
يكفيك أني مستباح (م) معشري ونسائيه
ورزئت مالي كله   وفدى الخليفة ماليه
إن كان لا يُرضيك إلا (م) أن أذوق حِماميه
فلقد رأيتُ الموت (م) من قبل الممات علانيه
وفُجعتُ أعظم فجعةٍ   وفنيتُ قبل فنائيه
ولبست أثواب الذليـ   ـل ولم تكن بلباسيه
وعطبتُ في سخط الإما (م) م على رفيع بنائيه
فانظر بعينك هل ترى   إلا قصوراً خاليه
وذخائراً مقسومة (م) قُسِّمْنَ قبل مماتيه
وحرائراً من بين صا   رخة عليّ وباكيه
ونوادباً ينَدبْنَني   تحت الدجى بكنائيه
يا با عليّ البرمكيّ !   فما أجبت الداعيه
وبكاؤهن وقد سمعـ   ـتُ مقلقلَ أحشائيه
أخليفة الله الرضا   لا تُشمِتَنْ أعدائيه
اذكر عهودك لي وما   أعطيْتَني بوفائيه
اذكر مقاساتي الأمو   ر وخدمتي وعنائيه
ارحم ، جعلتُ لك الفدا   كِبَري وشدة حاليه
ارحم أخاك الفضلَ   والباقين من أولاديه

فلقد دعوك ، وقد دعو ... تُكَ إن سمعتَ دُعائيه
أخليفة الرحمن إنك ... لو رأيت بناتيه
وبكاء فاطمة الكئيبة ... والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع ... وا شقوتا وشقائيه !
مَنْ لى ، ولا مَنْ لى ... وقد قصم الزمان قناتيه
وعدمتُ صفو معيشتى ... وتغيرت حالاتيه
من لى وقد غضب الزمان ... على جميع رجاليه
يا عطفة الملك الرضا ... عودى علينا ثانيه (١)

— ٢ —

وقال مسجون (٢) :

إلى الله فيما نابنا نؤثر الشكوى ... ففى يده كشف الضرورة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ... فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا دخل السجان يوماً لحاجة ... عجبنا ، وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا ، فجُلُّ حديثنا ... إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت كان بطيئاً مجيئها ... وإن قبحت لم تنتظر وأتت عجلى (٣)

— ٣ —

قال على بن الجهم من قصيدة يذكر محاسن الحبس (٤) :

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى ... حبسى وأى مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يحمى غيله ... كبراً ، وأوباش السباع تردد
والنار فى أحجارها مخبوءة ... لا تصطلى إن لم تثرها الأزند
والبدر يدركه السرار فتنجلى ... أيامه ، وكأنه متجدد ،
غيرُ الليالى بادئات عوّدٌ ... والمال عارية يفاد وينفد
ولكل حال معقب ولربما ... أجلى لك المكروه عما تحمد
لا يوئسنك من تفرج كربة ... خطب أتاك به الزمان الأنكد
كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعوّد
صبراً فإن اليوم يتبعه غد ... ويد الخليفة لا تطاولها يد
والحبس ما لم تغشه لدنية ... تزرى فنعم المنزل المتورد
لو لم يكن فى الحبس إلا أنه ... لا يستذلك بالحجاب الأعبد
بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزارفيه، ولا يزور ويحمد (١)

— ٤ —

فعارضه عاصم بن محمد الكاتب لما حبس وقال :

قالوا حبست فقلت خطب أنكد ... أنحى على به الزمان المرصد
لو كنت حراً كان سربى مطلقاً ... ما كنت أوخذ عنوة وأقيد
أو كنت كالسيف المهند لم أكن ... وقت الشديدة والكريهة أغمد
أو كنت كالليث الهصور لمارعت ... فىّ الذئاب وجذوتى تتوقد
من قال إن الحبس بيت كرامة ... فمكابر فى قوله متجلد
ما الحبس إلا بيت كل مهانة ... ومذلة ومكاره لا تنفد
إن زارنى فيه العدو فشامت ... يبدى التوجع تارة ويفند
أوزارنى فيه الصديق فوجع ... يذرى الدموع بزفرة تتردد
يكفيك أن الحبس بيت لا ترى ... أحداً عليه من الخلائق يحسد
عشنا بخير برهة فكبابنا ... ريب الزمان وصرفه المتردد
فى مطبق فيه النهار مشاكل ... لليل ، والظلمات فيه سرمد
تمضى الليالى لا أذوق لرقده ... طعماً، فكيف حياة من لا يرقد
فتقول لى عينى إلى كم أسهرت ... ويقول لى قلبى إلى كم أكمد
وغذاى بعد الصوم ماء مفرد ... كم عيش من يغذوه ماء مفرد
وإذا نهضت إلى الصلاة تهجداً ... جذبت قيودى ركبتى فأسجد
فإلى متى هذا الشقاء مؤكد ... وإلى متى هذا البلاء مجدد (٢)

(يتبع)

صلاح الدين المنجد

(١) المحاسن والمساوىء للبيهقى ص ٥٧٥
(٢) نسبها المسعودى ٢-٢٩٥ إلى الفضل بن يحيى ؛ ونسبها الجاحظ فى المحاسن والأضداد إلى غيره .
(٣) المحاسن والمساوىء ٥٨١ .
(٤) فى اللطائف والظرائف ص ١١٩ : قال الثعالبى : وهذه القصيدة من أحسن ما قيل فى السجن .

(١) المحاسن والمساوىء للبيهقى ٥٧٨ ، المحاسن الأضداد للجاحظ ٢٨ ، مروج الذهب ٢-٣٨٧ .
(٢) المحاسن والمساوىء ٥٨٠ ، المحاسن والأضداد ٢٩ .

أشــــواق ...

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

ارجعى قبل أن تشيب الأمانى ... كرجوع الربيع فى الأغصان
صوّح الزهر ، فامنحيه رُواء ... وغفا الطير ، فانفحيه الأغانى
أنا أحيا على الأمانى ، ولكن ... أىُّ معنًى لها سوى الحرمان
طال فى ظلّها خداعى ، فحسبى ... ذلك العمر فى خداع الأمانى
نفحة من شذاك .. تعبق نفسى ... وسنًى منك .. تُبصر العينان
وهدًى منك .. يستفيق ضلالى ... وادّكاراً لذلك النسيان
شاقنى وجهك العجيب وما فيه (م) من الفيض عبقرىّ المعانى
أنا من هزّةُ الحنينُ لِلُقْيا ... يتحدّى بها غُرور الزمان
الحنينُ الذى يزلزل قلبى ... هو منْ ذلك الهوى والهوان
أىُّ لحنٍ ذاك الذى يتجلّى ... فى مُحيّاك سارياً بكيانى ؟ !
أى ومضٍ ترفُّ عيناك فيه ... فيلجّ الفؤادُ فى الخفقان ! ؟
أطفئى يا حبيبتى لهب الروح (م) وروّى لواعجَ الظمآن
فيك من سطوة الجلال أفانينُ (م) أُعانى من أسرها ما أُعانى
أسكبى النور فى متاهات نفسى ... وأجيبى هواتف الوجدان
أنا فى رحلتى إلى الغد أسعى ... ويكاد الغد البعيد يرانى
قرّبيه إلىّ ... رُبَّ زمان ... قد تأبّى فعاد طَوْعَ بنان
منك شكى ، وأنت إيمان قلبى ... ليس للشك روعةُ الإيمان
إبعثى فى غدى مسرات أمسى ... وأعيدى شباب هذا المكان
واجمعى السامر الذى كان يوماً ... بين تلك الظلال والجدران
طاب فيه اللقاء فهو صفاء ... ورخاء لخاطرى الولهان
كنتِ أنسَ الحياة فيه فلما ... غبْتِ، شاهت مجاليا ومجانى
آن أن تُملأ الكؤوس وتُسقى ... ضجت الخمرُ بين تلك الدنان
قلّ منها النصيب إن لم تكونى ... أنت راح الكؤوس والنشوان
فرحةٌ فى غدى تلوح لعينى ... تلك زاد للمُجهَد الحيران
هو ذاك الغدُ البعيدُ المرجّى ... رُبَّ ناءٍ محجَّبٍ وهو دانِ

أحمد عبد المجيد الغزالى

الأعرابية الكادحة

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

[قرأت لأعرابية قديمة قولها :

أظل أرعي وأبيت أطحن ... والموت من بعض الحياة أهون

فقرأت في إيجازه البليغ كتاب عيشها المفعم بالكدح والشقاء ، وألفيت فى وصفها لحياتها وصفاً صادقاً لحياة أعرابية اليوم هزنى هزاً فقلت :]

(أظلُّ أرعى وأبيت أطحن) ... ليلىَ كَدْحٌ ونهارى شَزَن (١)
يَطْوى حياتى بالشقاء الزمن ... (والموت من بعض الحياة أهون)
يا ليت شعرى والورى تمتحن ... تسوؤها الأيام ثم تحسن
أكلَّ دهرى أرتعى وأطحن ؟ ... يُسْلِمُنى ذاك لذا ويَقْرِنُ
ما طلعت شمس ووافى مُدجن ... أمّا بدهرى لىَ يومٌ أيمن ؟
لا أضطنى فيه ولا أُمتَهنُ ؟ ... أذوق فيه العيش وهو ليّن ؟
أَقيلُ فى هجيره وأسكن ! ... ويحتوينى الليل وهو محسن ؟
فيلقَ الراحة جسمى الضمن ؟ ... وتطعم السهاد منى الأجفن ؟
لُماظَةٌ تُريحنى يا وسن ... ولَفْتَةٌ تُسعدنى يا زمن
لم أدر ما العيش ولا ما السكن ... لكنه شىءٌ روَتْهُ الألسن
جَهِلتهُ وإن وَعَتْهُ الأذُنُ ... هل لى أن أدرى ما لا أزكن ؟
سلنى عن البؤس ، فعندى العلن ... من أمره والباطنُ المكتمنُ
إن فؤادى للهموم موطنُ ... فهْوَ بها مُحنَّطٌ مكفَّنُ
ينحت جنبى الضحى والوَهْن ... كأن صرف الدهر بى مرتهن
كم أكلتْ قلبى الرحى إذ أطحن ... وبَتَّ تأويبى هذا الشزَن ! (٢)
عشيرى البَهم ودارى الدِّمن ... وزادى الجشب وورْدى الآجن
ثوبىَ أسمالٌ وجسمى دَرِنُ ... أرْحَضُهُ بعرَق فيأْسَنُ ،
وأرفأ الجيب فيهرأ (٣) الرُّدُنُ ... لكن عرضى وافرٌ لا يهنُ

(١) شدة الاعياء من الحفا .
(٢) بت : قطع . التأويب : سير النهار أجمع
(٣) بتسهيل الهمزة .



فلسطين والنشاشيبي :

أرادت (السياسة) أن تسلها وأن تسميها (فلسطين) فسلتها وسمتها ، وقالت : هذى (تخومها)[1] وماشاها القوم فى التسمية ، وفى غير التسمية ، وقالوا : « قضاء من الله العزيز أراده » وفى الضمير أن هذه الدعوة فلسطين سوف تمسى مملكة ، وسوف يؤمرون أو يُزَرون يعودون (يصيرون) أوزارا[2] . وقال فريق : هل خلصنا من (اصطنبول) حتى نروح لـ (دمشق) تبعا . وأبى شخص أن يزل وأن يضل فيدين بما دان به غيره ، وصاح منذ أول يوم : يا قوم ، إن هى إلا أسماء سموها ما أنزل الله والعربية بها من سلطان ، وإن وراء الأكمة ما وراءها ، فاحذروا ثم احذروا ، لا تهتلكوا ، لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد[3]

(١) فى الحديث الشريف : « ملعون من غير تخوم الأرض » قال (النهاية) : أي معالمها وحدودها واحدها تخم ، ويروى تخوم الأرض بفتح التاء على الأفراد ، وجمعه تخم بضم التاء والخاء .

(٢) أوزار جمع وزير ، وزر فلان للأمير يزر له وزارة .

(٣) أمرتهم أمرى : أي ماينبغى لى أن أقوله ، والبيت والذي يجيء بعده لدريد بن الصمة . و« قضاء من الله الخ » صدر بيت للمتنبي ، والعجز : « ألا ربما كانت إرادته شراً » !

وذلك الشخص هو (محمد إسعاف النشاشيبي) وهو على ما عاهد الله عليه ، على ما واثق العربية عليه لم يتبدل ، ولم يتحول ، ولم يقل :

وهل أنا إلا من غزية ، إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ولن يتبدل ، ولن يتحول

يقول العلامة الأستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام عميد كلية الآداب فى كتاب (رحلاته) ص ٤ :

« ... وبينما نمنى أنفسنا بالمبادرة إلى الفندق للاستراحة إذا بوفد من كرام إخواننا القدسيين ينتظرنا . أبصرنا فى مقدمة المستقبلين ذلك المحب المحبوب المعروف أديب العرب إسعاف النشاشيبي. سارع الإخوان إلينا مسلمين وأخبرنا أن حفلا حاشداً ينتظرنا فى (روضة المعارف) فسارعنا إليها . نضر الله روضة المعارف وبارك فى أهلها الأمجاد ؛ لقد لقينا من حفاوتهم وإيناسهم ما هو جدير بنفوسهم الكريمة ... دخلنا الروضة والموسيقى تعزف بألحان مصرية ، ولقينا هناك جماعة من العلماء الأجلاء ، منهم الأستاذ الحسيني المفتى ورئيس المجلس الإسلامى الأعلى ، والشيخ الخالدى ، ولما اطمأن بنا المجلس خطب مدير الكلية مرحباً معرباً عما يكنه الشاميون (ولا أقول الفلسطينيون إرضاء للحق وللأستاذ النشاشيبي الذى لا يعرف إلا اسماً واحداً هو الشام لما يسمونه فلسطين وشرق الأردن وسورية ولبنان والعلويين) لإخوانهم المصريين من الحب والولاء والإكبار والإعجاب[1] ... » .

« السهمى »

(١) سنة ١٣٤٨ هـ (ديسمبر ١٩٣٠)

كيف نحتفظ بأرض فلسطين لأهلها :

ذكر الأستاذ الكبير ابرهيم عبد القادر المازنى فى مجلة الرسالة الغراء ، أنه يجب أن تقاطع التجارة الصهيونية حتى تكف عن أطماعها فى فلسطين ، وإنى أضيف إلى ذلك وسيلة أخرى لها شأنها فى قطع أطماع الصهيونية ، وهى أن يقوم كل فرد من أهل فلسطين بوقف ما يملك من عقار وقفاً أهلياً أو خيرياً ، حتى لا يصح فيه بعد ذلك بيع أو شراء ، وتقوم دول الجامعة العربية بدفع نفقات

أبيضُ لم تَلُثْ نقاءه الظِّنَنُ[1]

حَسْبُ الحصانِ[2] أن تطيب الألسُنُ

بها فلا تزنَّها[3] أو تطعن ! تجوع بنت يَعْرُبٍ وتُغبن

وهى على لؤم الزمان تحصن ! رجنت يا ليل فلست تظعن[4]

قل لى متى أنت بصبح مؤذن ؟ أأنت دهر فى الظلام ممعن ؟

أم صبحك الشرق يوم أُدْفَنُ ؟ !

محمد بهجة الأثرى

(١) لاث الثوب بالطين : لطخه به . نقاه : نقاءه ، نظافته ، خلوصه . الظنن : التهم . (٢) المرأة العفيفة . (٣) فلا تتهمها . (٤) رجن بالمكان : أقام . ظعن : سار .

تسجيل تلك الأوقاف لكل فرد ، وبذلك تنقطع أطماع الصهيونيين فى ملك تلك الأراضى ، فلا يهاجرون إلى فلسطين لتملكها ، ويستقر أهل فلسطين فى بلادهم فلا يبيعون ما يملكون فيها ويهاجرون عنها ، وإذا كان فى الوقف الأهلى بعض مضار ، فإنها لا تذكر بجانب حفظ أرض فلسطين لأهلها ، وقطع أطماع الصهيونيين فيها .

عبد المتعال الصعيدى

على هامش الأدب الحجازى :

فيما كتبه الأخ الأستاذ ابراهيم فلالى ، وفيما سطره الأستاذ الفاضل أحمد أبو بكر ابراهيم من حديث عن « الحياة الأدبية فى الحجاز » ما يعطى صورة مصغرة عامة عن الأدب الحجازى ، لكن لا يجوز لنا بحال أن نتخذها مقياساً صحيحاً لما هو عليه الأدب الحجازى اليوم

فالأول ، وهو حجازى ، قد سرد علينا قصائد ومقطوعات من هذا الشعر فى عجلة وبلا تحليل فنى يرتكز إليه القارئ المدقق ، وقد اغتفرنا له ذلك حملا على أنه فى مجال عرض لقضية الأدب الحجازى يستدعيه السرعة والارتجال ، وهو اغتفار — كما ترى — لغير النقد والمناقشة ، إذ كان الأقمن به أن يقتصر على بعض النماذج التى سردها مع تبيين القيمة الفنية لها

أما الآخر ، وهو مصرى كريم ، فقد أبت عليه أريحيته المشكورة إلا أن يعرض للأدب الحجازى منذ أدواره الأولى فى تعمق وفلسفة ، حتى الدور الذى يتمثل جله فى مجموعة « وحى الصحراء » ، فساق حديثاً عذباً طلياً ، إلا أنه انتهى إلى قوله : « ولاضير علينا بعد الذى فصلناه فى باب الشعر أن نقرر أن الشعر الحجازى قد تقدم فى هذه الفترة القصيرة فى أغراضه ومعانيه ، واستطاع أن ينأى بالتلاعب بالألفاظ وألوان الزينة ، ولكن ذلك لا يمنعنا أن نقول : إن الحجاز مهد الأدب شعره ونثره لا يزال يتطلب من شعرائه المزيد ، وبخاصة فيما يختص بقوة الأساليب ورصانتها ، فإن الكثير منهم مع إجادته لا يهتم أحياناً بجزالة الأسلوب ورصفه ، شأنه فى ذلك شأن شعراء المهجر ... »

هنا تختلف نظرتنا ، ولسنا متشيعين — عن نظرة الأستاذ الكريم ، ولكن للأستاذ العذر ، فلو قدر له الآن — لا منذ صدور وحى الصحراء — أن يدرس شاعراً كالفقى أو قنديل أو شحاتة أو عواد مثلا ، أو سوى هؤلاء من شعراء الشباب فى الحجاز — متوفراً على استيعاب أكثر شعر الشاعر الحديث ، متذوقاً أسلوبه الرائع الجديد للمس ما يطرب له ويعجب من أصالة الأفكار ونضجها والتماعها ، وروعة السبك وزخور الأسلوب بشتى الصور الشائقة الفاتنة ، ولكن أنى يتسنى ذلك للأستاذ الفاضل ، ونحن لم نر بعد شاعراً حجازياً واحداً قد أبرز ديوانه للقراء ، وما أظن ذلك بالعسير لو تضافر أدباء الحجاز على خدمة فنهم ، باذلين الجهد فى تذليل كل مشقة وعناء ليضموا إلى العربية من كنوز قرائحهم ما تظفر به وتفخر

أما النثر الحجازى ، فقد قطع مرحلة بعيدة وبلغ مستوى عصرياً عالياً ، وليس يبعيد إن شاء الله ذلك اليوم الذى تنتشر فيه صحف الحجاز الأدبية وتتألق فيه كتبه الحديثة ومنتجاته ، وحينئذ سيتذوق قراء العربية فى الأقطار الشقيقة ، ولا نخر ، من أدب إخوانهم هنا شهداً سائغاً مصفى ، يلذ لهم تناوله فى فرحة وإكبار

وبعد ، فلحضرة الأستاذ الفضال أحمد أبو بكر ابراهيم ، ولرصفائه من كرماء مصر الحبيبة ، ممن يعنون بأدب هاته البلاد ، مزيد التقدير والشكر والإعجاب ...

حسن عبد الله القرشى

عبد الله بن أبى بكر وهيكل باشا :

ذكر الدكتور هيكل باشا فى كتابه « الصديق أبو بكر » (الطبعة الثانية صفحة ٣٨٤) فى باب مرض أبى بكر ووفاته : « وضع الجثمان فى المسجد بين القبر والمنبر ، وتولى عمر صلاة الجنازة فكبر أربعاً ، ثم نقل الجثمان إلى القبر ، ودخل معه عمر وطلحة ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وأراد عبد الله بن أبى بكر أن يدخل ، فقال له عمر : كفيت » . ومن هذا يفهم أن عبد الله بن أبى بكر قد حضر وفاة أبيه ودفنه ، وهذا لم يحدث ، والذى منع حدوثه أن عبد الله كان قد توفى قبل ذلك بعامين ، وقد ذكرت جميع المظان موت عبدالله فى خلافة أبيه ، وهاك ماذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب : « ومات ، أى عبدالله بن أبى بكر ، فى أول خلافة أبيه ، وكان قد ابتاع الحلة التى أرادوا دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بتسعة دنانير ليكفن فيها ، فلما حضرته الوفاة قال : لا تكفنونى فيها ، فلو كان فيها خير كفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودفن بعد الظهر ، وصلى عليه أبوه ، ونزل فى قبره عمر وطلحة وعبد الرحمن أخوه » .

وقد ذكر الدكتور هيكل باشا نصاً فى الصفحة السابقة للصفحة التى أورد فيها النص الذى نحن بصدده ، لو أنه استقرأه ومحصه قبل أن يثبته لما وقع فى هذا الخطأ ، فقد ذكر حديثاً

على لسان الصديق إلى عائشة أم المؤمنين جاء فيه : « يا بنية ، إن أحب الناس غنًى إلىَّ بعدى أنت ، وإن أعز الناس فقراً بعدى أنت ، وإن كنت نحلتك أرضى التى تعلمين ، وأنا أحب أن ترديها على فيكون ذلك قسمة بين ولدى على كتاب الله ، فإنما هو مال الوارث ، وهما أخواك وأختاك ، ولم يكن لعائشة غير أخت واحدة فسألت أباها فى ذلك فقال : « ذو بطن أبنة خارجة ، فإنى أظنها جارية » . وهذا الذى قاله الصديق يدل على أن لعائشة أخوين اثنين لا ثالث لهما : عبد الرحمن بن أبى بكر ، ومحمد بن أبى بكر ، الذى ولد فى حجة الوداع ، أما التى كانت حبيبة بنت خارجة بها حامل ، فهى أم كلثوم ، وقد ولدت بعد موت الصديق ، فلو كان عبد الله حياً لما قال أبو بكر : « ... وهما أخواك وأختاك »

وأظن أن الذى أوقع الدكتور هيكل باشا فى هذا الخطأ هو أنه وجد النص الآتى فى كتاب الطبرى : « ... أن أبا بكر حمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وأراد عبدالله أن يدخل فقال له عمر : كفيت » .

هذا ما أورده الطبرى ، وقد أضاف الدكتور هيكل من عنده ابن أبى بكر بعد عبد الله ، فجاء هذا الخطأ ، وقد يكون عبد الله هذا الذى ذكره الطبرى هو عبد الله بن الزبير حفيد أبى بكر ، وهذا يجوز إذا أخذنا بالرأى الذى يقول : إن واقعة اليرموك قد حدثت فى أيام عمر ، لا فى أيام أبى بكر ، وعلى ذلك يصح أن يكون عبد الله بن الزبير فى المدينة لم يخرج مع أبيه بعد إلى اليرموك ليشاهد قتال الروم عن كثب ، وإلا فإن عبد الله الذى ذكره الطبرى هو أى عبد من عبيد الله خلاف ابن أبى بكر الذى كان قد قبر قبل ذلك بعامين

عبد الحميد جودة السحار

جائزة فاروق الأول للصحافة :

كان الأستاذ ادجار جلاد بك صاحب ومدير سياسة (الجورنال ديجيت) قد تبرع بستة آلاف جنيه ترصد فائدتها لإنشاء جائزة سنوية باسم (جائزة فاروق الأول للصحافة) ، وتمنح للصحفيين فى البلاد العربية الذين لا تزيد سنهم على ثلاثين سنة والذين يتفوقون فى مهنتهم

وقد تقرر توزيع ربع هذا المبلغ فى هذه السنة وقدره ثلاثمائة جنيه على ثلاث جوائز على الوجه الآتى :

١٠٠ جنيه للصحفى العربى الذى يكون قد كتب أحسن مقالة فى موضوع وطنى .

١٠٠ جنيه للصحفى الذى يكون قد قام بأوفى تحقيق صحفى فى موضوع عام

١٠٠ جنيه للصحفى العربى الذى يكون قد كتب أحسن مقالة بلغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) فى موضوع شرقى .

ويجب أن تكون هذه المقالة قد كتبت فى المدة من ١١ فبراير سنة ١٩٤٥ إلى أول يناير سنة ١٩٤٦

ويرسل منها ثلاث نسخ إلى إدارة (الجورنال ديجيت) بالقاهرة وستؤلف لجنة من كبار الصحفيين للحكم فى هذه المباراة ، وتعلن النتيجة فى ١١ فبراير سنة ١٩٤٦ يوم عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر . وحكم اللجنة غير قابل للاعتراض

مجلة « الكتاب » :

صدرت هذه المجلة الشهرية عن دار المعارف بالقاهرة يتولى رياسة تحريرها الأستاذ عادل الغضبان ، ويعاونه فى ذلك بعض الأقلام البارعة فى الأدب والفن . وهذه المجلة مثل عال للصحافة الشهرية فى جمال التبويب وحسن الترتيب وطرافة المادة وأناقة الطبع . فنرحب بالزميلة الجديدة ونرجو لها التوفيق فى خدمة العربية والعروبة .

١ — تصويب :

وقع فى مقالة (دفاع عن الأدب) تطبيعات هذا تصويبها :

صفحة	عمود	سطر	التطبيع	الصواب
١١١١	٢	٢٠	ويعزفوا	ويعرضوا
١١١٢	١	٢٧	من بمجالستهم	من مجالستهم (أو) بمجالستهم

٢ — الجيل :

جاء فى إحدى حواشى مقالة الزندقة (العدد ٦٤١) أن الجيل الأمة ، وليس معناه العصر . وإطلاق النى يوهم أن الجيل بمعنى القرن لا أصل لها ، مع أنها قد جاءت فى التاج فى مادة (جيل) ومرت على ألسنة بعض الفصحاء ، ولها مواضع لا يصلح لها غيرها .

على الطنطاوى

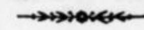


من الأدب القصصي الروسي :

عمــــل شاق . . .

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

للأستاذ مصطفى جميل مرسي



كانت ليلة من ليالى شهر مارس ، والسحب مدجنة مطلخمة ، وقد اسبطر الضباب فطوى الأرض والسماء فى مطارفه . . حتى لا يكلف المرء نفسه الخطو خيفة العثر .. وهب الحارس فجأة وقد طرق أذنيه لغط وهسيس لبعض من الناس يمضى فى مطارب المقبرة . وصاح فى هيمة وتحوّب « من ثمت يسرى ؟ » . ولكن دون مجيب . . فراح يرجّع صيحته وقد توجس همساً وهجساً « من ثمت يسرى ؟! » فأجابه صوت مختلج لرجل هرم . « أنا ذا .. أيها الرفيق . »

— ولكن من أنت ؟!

— أنا رجل جوّال .

فصاح الحارس فى صوت حاول أن يستر به رنة الفزع التى سرت إليه :

— أى شيطان رمى بك إلى هنا ؟! أتجوّل قدميك فى المقبرة ليلا ؟ أيها الشرير الخبيث !

— وَىْ ! أتقول إن هذه مقبرة ؟!

— وما فى ذاك ؟! إنها مقبرة .. ألا تلمح ذلك ؟.

فتنهد صوت الرجل الهرم قائلا : « آه .. يا للسماء . ما أقدر على إبصار شىء أيها الرفيق .. إن الظلمة لحالكة .. الظلمة .. فما يستطيع الإنسان أن يرى يده وهى أمام وجهه !

— ولكن من أنت ؟!

— أما قلت لك .. زائر .. أيها الصديق ، رجل جوّال . .

فنبس الحارس فى يقين : « إلى الشيطان . . يا لكم من معربدين أيها الجوالون ، كل منكم يظل يجرع الخمر ، ويأتى إلى هنا يقلق راحتنا وبسبب متاعبنا ليلا .. ولكن .. لقد سمعت أصواتاً تهمس معك فأين أصحابها ؟!.

— إنى بمفردى ياصديق .. إنى وحيد .. آه يا إلهى

فدنا الحارس من العجوز ووقف إزاءه وسأله :

— كيف حضرت إلى هنا ؟ !

— لقد ضلت سبيلى يا سيدى بينا كنت أروم طاحونة « ميتريافسكى » ...

— وى ... أهذا طريق طاحونة « ميتريافسكى » ؟ أيها الشرير ؟ كان ينبغى أن تسرى إلى يسارك ثم تُدوّم سيرك على استقامة ... يخيل إلىّ أنك تناولت بعضاً من أقداح الخمر ، فتنكبت سبيلك !

— نعم ... لقد أتت يداى هـذه الخطيئة ، فما ثمت سبب للانكار . ولن أعود فأركب هذا المتن الخاطئ ثانية ... بالله أين الطريق الذى علىّ أن أسلكه ؟

— امض أمامك فى هذه المطربة حتى نصل إلى باب المقبرة ، فافتحه ، وانطلق إلى حال سبيلك ... حاذر أن تعثر بالخندق فتردى فيه ... وستلاقى الطريق حيث يمكنك أن تصل إلى الطاحونة إن سلكته .

— أسأل الله أن يسبغ عليك وافر الصحة والخير ... أيها الرفيق ، ويطهرك من ذنوبك برحمته وغفرانه ... ألا يمكنك أن تصحبنى حتى الباب ... فيضاعف ثوابك ، فما أكاد ألتمس طريقى فى تلك العتمة ...

— كأنى بك ترى عندى الوقت الذى أضيعه عبثاً فى السير معك ... امض وحدك .

— كن رحيما يرحمك الله ... فسأصلى من أجلك . إنى لا أكاد أرى طريقى فالظلمة حالكة ... بالله أرنى الطريق .

— أيدور بخلدك أن وقتى متسع لصحبتك أيها الشرير الكهل !

— نشدتك الله ... قدنى إلى الباب ... لا أقدر على إبصار شىء ، كما أننى أخشى هذه المقبرة وما يجول فيها من أرواح

وأشباح ... هيا معى يا سيدى ... بالله رافقنى ...

— ليس سبيل إلى الخلاص منك ومن ثرثرتك ، هيا إذاً معى أيها العجوز ...

ومضى الرجلان متلاصقين فى صمت رهيب ... وهبت الريح صرصراً تصطك منها الأسنان ، والأشجار ضاربة فى جو السماء تصفرفى رهبة كأنها صراخ الجن ... ويساقط منها الطلل والندى ... وقد تناثرت فى ساح المقبرة الناقع الضحلة ...

وبغتة قال الحارس بعد أن طال أمد الصمت بينهما :

— ثمت شىء يثير حيرتى وتساؤلى ! كيف تسنى لك أن تدلف إلى هنا مع أن الباب مقفل ؟! أتسلقت الحائط ! ؟ ما أظن ذلك فأنت هرم ، فأنت آخر من يأتى هذا العمل ! .

— لست أدرى ! أيها الرفيق ... لست أدرى كيف أتيت إلى هنا ... لعمرى إنها مشكلة ... رحماك يا رب ... لا بد أن الشيطان مس عقلى ، ألست حارس المقبرة أيها الرفيق ؟

— بلى ...

— أنت وحدك تقوم بحراسة كل هذه المقبرة ؟!

وارتفعت حينئذ ريح عاصف كادت أن تنتزعهما من مكانهما فلما هدأت حدتها عاود الحارس حديثه مجيباً :

— إنا هنا ثلاثة رجال : واحد مضطجع فى فراشه محموم ، والآخر مستغرق فى نومه ، ونحن الإثنين نتبادل الحراسة ...

— حسن ... آه ، يالها من ريح عاصف يكاد أن يسمع صفيرها الأموات فى قبورهم ... إنها تزأر كالوحوش الكاسرة ... آه ... آه ...

— ولكن من أين أتيت إلى هنا ؟

— كنت عند صديق فى اقليم « فولجدا » على مبعدة من هنا ... إنى أتجول من مكان إلى آخر حيث أصلى وأعظ ... اغفر لى يا إلهى ...

***

توقف الحارس هنيهة ليشعل غليونه ، وقام الرجل العجوز بينه وبين الريح ... وأبرق عود الثقاب على المطربة التى يسلكانها واستقر شعاعه على بعض أحجار القبر التى إلى جانبهما ؛ فأشعل العود الثانى فتألق ضوؤه ثم خبا على حين فجأة ... أما العود الثالث فألق بشعاعه إلى اليمين وإلى الشمال، فتمكن من إشعال غليونه

قال الرجل الغريب :

— إن الراحلين راقدون ... الراحلين الأعزاء ... إنهم يرقدون سواسية لا فرق بين غنى وفقير ، حكيم وأحمق ، قوى وضعيف ، إنهم على حال واحد الآن ... وكذلك سيمكثون إلى أن ينفخ فى الصور وتبعث الأموات من القبور ... إن هذه الحياة الدنيا لفانية مضمحلة أما الحياة الأخرى فخالدة سرمدية. فقال الحارس فى جلال :

— نعم ... إننا لنسير فى هذا المكان الآن ، وبعد حقبة تطوينا هذه الأرض فنصبح نسياً منسياً ...

— لا مجال للريب فى ذلك ... كلنا جميعاً ... جميعاً إلى هذا المصير سائرون . وليس ثمت من يخلد على أديم هذه الأرض ... أوّاه ... إن أفعالنا لآثمة ، وأفكارنا تطمح إلى آمال كالسراب . إن الخطيئة لتسيطر علينا وليس ثمت خلاص من قضاء الله سواء فى الدنيا أو فى الآخرة . إنى لغارق فى خطيئاتى كالحشرة تسوى فى جوف الأرض ...

— أجل ... ورب منيتك كانت قاب قوسين منك !

— إنك لعلى صواب وحق ، أيها الصديق ...

فقال الحارس وهما يحثان الخطا نحو الباب .

— إن الموت لأدنى إليكم معشر الجوالين منا نحن من نستقر فى الأرض على الدوام ! .

— إن هناك أنواعاً متباينة من الجوالين ياسيدى . فمهم من أنزل الله السكينة على قلبه ، فراح يصلى ويعبد ربه . ومنهم من أصابه الفجور فراح يعربد ويأتى المنكرات وليس له رادع يردعه عن أفعاله . إن هؤلاء يجولون فى المقابر لتتصل أنفسهم بالشياطين .

وهناك من فى مقدورهم أن يهووا بفأسهم على هامة رأسك فتخر وقد بت على شفا الموت ...

— هه ... عم تتحدث أيها العجوز ؟ !

— آه ... لا شىء ... يخيل إلى أن هذا هو الباب ... نعم إنه هو . أرجو منك فتحه ...

فتلمس الحارس طريقه وفتح الباب ، وقاد الرجل إلى الخارج من منكبه وقال :

— هذا هو منتهى المقبرة ... وعليك بالإنطلاق عابراً الحقول حتى تدرك الطريق ، وحاذر الخندق أن تتردى فيه . وإذا مالحقت بالطريق العام ، فانثن إلى يمينك وواصل سيرك حتى تصل إلى الطاحونة التى ترومها ...

فزفر العجوز بعد فترة صمت :

— هيه ... ولكن ما الذى يدفع بى إلى الذهاب إلى طاحونة « ميتريافسكى » إنى أفضل البقاء هنا على المضى إلى هناك ياسيدى ...

— وما الذى ترجوه من اللبث هنا ؟ !

— ستجد منى من يؤنس وحدتك ، ويفرج عنك كربك .

— الملك رجل لطيف المعشر ، حلو النكتة ؟ !

— بلاشك ياسيدى ... فستظل تذكرنى ... تذكر ذلك الجوال على الدوام ...

— ولم تظل ذكرى إنسان مثلك ببالى على الدوام ؟ !

قال العجوز فى صوت أصحل ساخر :

— هه ... اسمع ... إنك تمعن فى الجفاء ... وأنا أتبسط فى الحديث ... فما أنا بجوال كما أنبأتك !

— إذن من أنت ؟ !

— رجل ميت ! لقد خرجت الآن من لحدى ... ألا تذكر « جبرياف » القفال الذى شنق نفسه فى عيد « الكرنفال » ... حسن . إنه أنا « جبرياف » .

— بالله خبرنا بشىء غير هذا ...

لم يصدق الحارس لفظة مما قاله العجوز ، ولكن سرت قشعريرة الهلع فى جسده فراح ينتفض فرقاً ... ويسرع بالنأى عن الباب ، فقبض الرجل الغريب على كتفه وهتف قائلا :

— قف ... أتمضى وتدعنى وحدى أعانى مرارة الوحدة ...

فصاح الحارس وهو يحاول نزع ذراعه من براثن ذلك العجوز :

— دعنى أذهب ! دعنى أمض بسلام !

— قف ... إنى آمرك بالوقوف ، وستقف حتماً ... لاتناضل أيها الكلب الرعديد ... إن كنت تبغى الحياة . فقف حتى آذن لك ؛ هذا لأنى لا أود أن أسفك دماً حقيراً كدمك أيها الخنزير الجبان ... قف مكانك ...

وتهاوى الحارس ، وقد سرت عنه شجاعته فأغمض جفنيه وراح يرتعد ويرتجف وقد طارت نفسه شعاعاً ... إنه يستطيع الصياح والإستغاثة ولكن عبثاً يحاول ... فليس من حى تصل إلى أذنه صيحاته ...

قام الرجل الغريب إلى جانبه وساعده فى ثبات وقسوة ... وتقضت ثلاث دقائق والكون غارق فى صمت رهيب ... فعاد الغريب يقول :

— واحد مريض محموم ، والثانى غارق فى النوم ، والثالث يلقى الجوالين بجفاء وبرود ... ألا بالله خبرنى يا سيدى الحارس كيف تستحقون مرتباتكم ، إنكم كاللصوص ولكن فى الخفاء . قف مكانك ...

* * *

انقضت خمس دقائق ثم تلتها عشر والصمت لم ينفك مخيما على المقبرة ... وعلى حين غرة ... قطع هذا الصمت صوت صفير سرى فى جنح الليل ... فقال الغريب إثر ذلك وهو يطلق ذراع الحارس : « حسن ... الآن ... امض ... امض ، واذكر أن الله يرقب أعمالك الشائنة ... »

ثم أطلق صفيراً — يشابه الذى سرى مذ هنيهة — وانطلق خارجاً من باب المقبرة ... وسمعه الحارس وهو يجتاز الخندق قفزاً ووقف الحارس هنيهة جامداً لا يتحرك ... يرتعد فرقاً ... كأن الغريب ما زال ماثلا أمامه .

ولما انقلب عقبه فى المطربة طرق أذنه أصوات لأقدام تتسارع فى سيرها ، وسؤال يجرى على لسان يقول : « أأنت «تيموفى» ؟ أين « ميتكا » ؟ » وابتعدت عنه الأصوات فراح يجد فى سيره حتى لمح شعاعاً يخفق فى الظلام ... فلما أمعن فى الدنو ، وضح له الشعاع فراح يردد :

— كأن النور يشع من الكنيسة ! . من أين أتى هــذا الشعاع يا إلهى ... فرّج كربتى . .

دار الحارس حول الكنيسة حتى وقف أمام نافذة محطمة فراح يحملق نحو المذبح ... فى هلع وفزع .. وكانت هنــاك شمعة خلفها وراءهم اللصوص تخفق فى رهبة ، وتلقى الظلال الدامسة فى الأرجاء ... وقلب الحارس طرفه فرأى الخزانة مقلوبة محطمة وقد فتحت على مصراعيها ، واختفى ما كان بهــا من كنوز وأموال ...

وكذلك ذهبت القرابين وغيرها . . وأدرك الحارس سر ذلك الرجل الغريب الذى راح يداوره ويبعده عن الكنيسة حتى يهيىء الفرصة لزملائه اللصوص ...

ومضت برهة ، وعادت الريح تعصف وتصفر فى جنون وكأنها تسخر من ذلك الحارس المسكين ؟

مصطفى جميل مرسى

سكك حديد الحكومة المصرية

عيد الأضحى المبارك عام ١٩٤٥

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه بمناسبة عيد الأضحى المبارك عام ١٩٤٥ ستسير القطارات الإضافية الآتى بيانها فى التواريخ المحددة بعد وذلك تسهيلا لحركة سفر الركاب وستكون هذه القطارات مركبة من عربات درجة أولى وثانية وثالثة :

خط مصر — اسكندرية وخط مصر — سوهاج — الأقصر

١ — يوم الاثنين ١٢ نوفبر سنة ١٩٤٥

مكرر ٢٠ طنطا — مصر
« ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٨٨ مصر — سوهاج
« ٩١ الأقصر — مصر

٢ — يوم الثلاثاء ١٣ نوفبر سنة ١٩٤٥

(عيد الجهاد الوطنى)

مكرر ١٣ مصر — اسكندرية
« ١٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنطا — مصر
« ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٨٨ مصر — الأقصر
« ٨٣ سوهاج — مصر

٣ — يوم الأربعاء ١٤ نوفبر سنة ١٩٤٥

(الوقفة)

مكرر ١٣ مصر — اسكندرية
« ١٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنطا — مصر
« ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٨٨ مصر — الأقصر
« ٩١ الأقصر — مصر

٤ — يوم الخميس ١٥ نوفبر سنة ١٩٤٥

(أول أيام العيد)

مكرر ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر

٥ — يوم الجمعة ١٦ نوفبر سنة ١٩٤٥

(ثانى أيام العيد)

مكرر ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنطا — مصر

٦ — يوم السبت ١٧ نوفبر سنة ١٩٤٥

(ثالث أيام العيد)

مكرر ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنطا — مصر

٧ — يوم الأحد ١٨ نوفبر سنة ١٩٤٥

(رابع أيام العيد)

مكرر ١٣ مصر — اسكندرية
« ١٤ اسكندرية — مصر
« ٢٠ طنطا — مصر
« ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر
ملحق ٢٤ طنطا — مصر
مكرر ٩١ الأقصر — مصر

٨ — يوم الاثنين ١٩ نوفبر سنة ١٩٤٥

مكرر ١٩ مصر — اسكندرية
« ٢٤ اسكندرية — مصر

خط طنطا — المنصورة

مكرر لقطار ٥٤ من المنصورة إلى طنطا ومكرر لقطار ٥٧ من طنطا إلى المنصورة وذلك فى المدة من ١٢ نوفبر سنة ١٩٤٥ إلى ١٩ منه

وفى نفس المدة المذكورة (من ١٢ إلى ١٩ نوفبر سنة ١٩٤٥) ستستبدل العربة الديزل الشغالة بقطارى ١٦٨ / ١٦٧ من مصر إلى المنيا وبالعكس بقطار إعتيادى مركب من عربات درجة أولى وثانية وثالثة .

تنبيهات : ١ — للمصلحة الحق فى إلغاء أى قطار من القطارات الإضافية المبينة بعالية اذا لم يتوفر العدد الكافى من المسافرين لمسيره .

٢ — المقصود بكلمة «مكرر» أن القطار المكرر يقوم قبل القطار الأصلى بنصف ساعة ويقف بمحطات وقوفه .

٣ — المقصود بكلمة «ملحق» أن القطار الملحق يقوم بعد القطار الأصلى بنصف ساعة ويقف بمحطات وقوفه .

ولزيادة الإيضاح — المرجو من الجمهور — الرجوع إلى المحطات للاستعلام منها عن المطلوب .



العدد ٦٤٦ – الاثنين ١٩ نوفمبر ١٩٤٥ – السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٤١ ، ٢٥

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محمود تيمور

فن القصص

كتاب جامع لدقائق الفن القصصي

مذيل بنخبة من أحدث أقاصيص المؤلف

النسخة ٢٠ قرشاً

يطلب من الناشر : مجلة الشرق الجديد . صندوق البريد ١٩٤٢ القاهرة . تليفون (٥٩١٨١)

ومن مكتبات القطر الشهيرة

13 me Année No. 646

Lundi—19—11—1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٤٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

خواطر...

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

كتب إليّ بعضهم يستشيرني في العيد كيف يقضيه ! حتى عن هذا يسأل بعضهم ! وقد حرت كيف، وبماذا أجيب ؟ ثم خرجت من المأزق الذي زج بي فيه سؤاله بكتاب وجيز، هذا بعض ما فيه :

« والشرط في العيد أن يشترى لك سواك كسوة، فإذا لم يوفقك الله لهذا، أو كنت ممن يَشترون ولا يُشترى لهم، فلا عيد لك. ويجب أن يكون مع الكسوة لعبة — أي لعبة — كرة ملونة مخططة، أو زمارة، أو حصان خشبي، أو ما شئت غير ذلك، على أنك سألتني فأنا أختار لك « البارود » إذا كنت غلاماً، وإذا كنت لا تعرفه فاعلم أنه « فتيل » ملفوف عليه ورق أحمر، وبعضه في سمك القلم، والبعض أسمك من ذلك جداً، والأول يُرَصّ في علبة، والثاني يستعمل فرادى لضخامته. وإذا أشعلت النار في هذا أو ذاك، انطلق منه مثل أصوات البنادق والمدافع. أما إذا كنت « بنتاً » فأنا أشير عليك بما يسمى « على لوز » وهو سكر يُحل ويُعقد، ويزين باللوز والبندق والفستق، وما إلى ذلك، وتحمله الفتاة في طبق — بعد أن يبرد لئلا تحرق أصابعها الناعمة — وتدور به على الصبيان تبيعهم منه، كل مل ملعقة صغيرة بمليم، وهذا هو السعر القديم، وزيادته جائزة.

« واحرص على أن تُعطى في العيد بلا تقتير أو حساب، فتأخذ باليمين لتنفق بالشمال، وكلما فرغت يدك وذهب ما معك، عدوت إلى أهلك تطلب منهم أن يعطوك، وتبكي وتصيح وتدبدب رجليك — وبيديك أيضاً إذا شئت — وتتمرغ على البساط، أو البلاط وهو أفضل — إذا أبطأوا وتلكئوا في العطاء، أو بخلوا به. فإذا ملأوا جيوبك قروشاً ذهبت إلى الأراجيح، وبعضها خيل تدور براكبيها حتى تدور رءوسهم، والبعض « دكك » أربع كل اثنتين منها متقابلتان، تدور كالساقية وأنت معها، فتسر أو تخاف، وتصرخ أو تغني على هواك، والدكك دائرة كالأيام، صاعدة بك طوراً، وطوراً هابطة، لا تبالي — كالأيام أيضاً — أضحكت أم بكيت، وفرحت أم جزعت. ومن الأراجيح أيضاً نوع لا أشير به عليك إذا كنت فتاة، فإنه يعرّيك ويطير ثوبك عما تحته، وهو عبارة عن لوح مشدود من الجانبين إلى حبلين معلقين، يقف عليه الفتى ويمسك الحبلين بيديه، ويروح يدفع اللوح بقدميه، فيندفع من الخلف إلى الأمام، ومن الأمام إلى الخلف، فإذا كنت قوياً أو مدرباً، بلغ بك علواً كبيراً.

« وإذا لم يعجبك هذا الذي أقترح فإنه لا يبقى لك إلا أن تذهب إلى القبور فتزور موتاك، وتترحم عليهم وتستغفر لهم، والسلام ».

وقد ندمت بعد أن وضعت الكتاب فى صندوق البريد ، لأنى خفت أن يصدر عن رأيى ، فيفعل ما أشير به ! ومن الغريب أن هذا هو الرد الوحيد الذى بعثت به على ما جاءنى من الرسائل فى شهر كامل !

صدق من قال : يُثاب المرء رغم أنفه !

***

ما أعجب غرور الإنسان ! وما أحوج الإنسان إليه !

لى صديق — وفى هذا مبالغة قليلة ولكنه لا ضير منها — ليس بينه وبين النوريللا فرق ، وقد اعتاد أن يتخذ مكانه كل يوم على مقهى يكثر مرور الناس — رجالا ونساء — على رصيفه ، وهو على طريقى فى أغلب غدواتى وروحاتى . ومن عجيب أمره أنه شديد التأنق فى ملبسه ، كأن من الممكن أن يحجب حسن الهندام قبح الوجه وسخافة القوام . وكان أولى به فى رأيى أن يتوارى عن العيون فى مقهى فى زقاق ضيق إذا كان لا بد من الجلوس فى مقهى . وقد سألته مرة وقد ألح علىّ فى مجالسته : لماذا تؤثر هذا المكان والضجة فيه عظيمة !

قال « أتفرج على الناس »

قلت « أو يتفرجون عليك ! »

فلم يسؤه قولى بل ضحك وقال « لا بأس : يتفرجون وأتفرج »

قلت «أواثق أنك تحمد العاقبة ! »

قال « لا شك ! أنظر إلى هذه الفتاة التى ترشقنى بنظرتها الحلوة »

فأحنقنى واستفزنى هذا الغرور وقلت « لعلك تظن أنك فتنتها بجمالك ؟ »

فما انهزم والله ، بل قال « وهل فى هذا شك ؟ »

فلم أطق صبرا على هذا الغرور فانصرفت عنه ، وإنى لأدرى أن بالإنسان حاجة إلى قدر من الغرور يعوذ به ويعول عليه ، ويستمد منه القدرة على احتمال حياته : ولكن هذا قد جار على نصيب جيله كله من الغرور .

وقد تعجبت فى مستهل هذه الكلمة لغرور الإنسان ، وأنا أختمها بالتعجب من المرأة ؛ فقد رأيت أجمل امرأة أخذتها عينى فى حياتى ، تتأبط ذراع هذا النوريللا ، وتثنى إليه محياها الصبيح وهو ينضح بشرا وابتهاجا ، وفى عينيها وميض الحب ، وقد خيل إلى ، وأنا أنظر إليهما كأنها تشتهى أن تأكله !

وقد سلم على يومئذ بغير استخفاف ، وبغير احتفال كذلك . ولم يتمهل إلا ريثما يهز يدى ، ويسألنى عن صحتى ، كعادته كلما لقينى ، ولم يستعجل أيضا ، ولم أر على وجهه ولا فى سلوكه ما يدل على أنه مزهو بمصاحبة هذه الحسناء الفاتنة . فكأن هذا أمر عادى جدا ! فسبحان ربى القادر .

***

وعلى ذكر التعجب أقول إن عجبى لا ينقضى من عجز الإنسان وجهله . نعم استطاع أن يخترع اللاسلكى مثلا ، فهو يرسل الموجة من جهاز فتمضى فى الجو إلى أطراف المعمورة ، ويلتقطها جهاز آخر فتستحيل كلاما وغناء وموسيقى . وهذه الأجهزة مصنوعة من مواد يستخرجها الإنسان من الأرض التى يعيش عليها ، وهو أيضا مخلوق من طينها ، وفى بدنه كل عناصر هذه الأرض ، ومع ذلك لم يخطر له أن يحتال حتى يتخذ من بدنه جهازين للارسال والتلقى ، أو أن ينمى قدرته على ذلك ، فإن الناس يتفاهمون بالنظر إلى حد ما ، فماذا يمنع أن يتسع نطاق التفاهم حتى يشمل كل شىء ، فيستغنى الإنسان عن أداة اللغة التى قل أن يحسنها والتى هى عنوان العجز والقصور ؟

وأمر آخر : حطم الإنسان الذرة ، وهى لا ترى لا بالعين ولا بالمجهر . وأطلق بتحطيمها قوة مهولة مفزعة ، استخدمها أول ما استخدمها فى التدمير ، وسيستخدمها — إذا لم تقض عليه قبل ذلك — فى التعمير . وما من شك فى أن فى الإنسان طاقات محبوسة أو مستكنة أو راكدة لو أطلقت بحساب وقدر — حتى لا تعصف به — لبلغ من القوة والإقتدار درجة يعجز الخيال عن تصورها . ولكنه لا يفعل ، ولعل العلماء الذين حطموا الذرة لم يخطر لهم أن يعالجوا القيام بشىء من التحطيم فى جسم الإنسان ، وقد يحتاج ذلك إلى زمان طويل ، وقد يستغرق الاهتداء إلى وسيلة مأمونة لتحطيم ذرات الإنسان وإطلاق طاقاتها بقدر إلى قرن أو أكثر ، ولكن ما قرن إذا قيس إلى هذه الغاية التى تقلب الإنسان ماردا جبارا ؟

ابرهيم عبد القادر المازنى

من مـــــاضى مصر
بين فرنسا وانجلترا
للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

إن ما يحدث فى الشرقين الأوسط والأدنى من الحادثات ، ويقع فيهما من تولية أو عزل للحكام والحكومات ، ويجرى من السياسات ، كل أولئك أمور يعتقد أناس كثيرون أنها جميعاً من تصرف الشرقيين وحدهم ، وأنها لا أثر فيها لنفوذ غيرهم أو لدس أو سياسة من سواهم ؛ لكنها أمور لا يستقل الشرقيون دائماً بالرأى فيها منذ ضعفت الدول الشرقية أو تخلفت ، بل يغلب أن تسببها وتلعب بها أيد صُنع أجنبية ظاهرة أحياناً وتارة خفية

وهذا مقال وجيز جاء بمثال أو أمثلة فى موضوعه ، فليس يزعم أنه يبين جميع ما وقع لمصر مع فرنسا وانجلترا من جرّاء تعاديهما ، وطمعهما وتنافسهما الاستعمارى ؛ وإنما غرضه الإشارة الخفيفة إلى أثر ذلك التعادى والطمع والتنافس فى بعض حوادث هذا القطر المتصل بالشرق الأدنى ، والمنسوب إلى البلاد العربية بخلط فى دم أهله ، وبلغتهم وتالد ثقافتهم .

***

طال العداء بين فرنسا وانجلترا دهراً تحاربتا فيه حرباً عواناً ، وخصوصاً لعهد حكومات الثورة الفرنسية الكبرى وامبراطورية نابليون ، بسبب المبادئ الثورية وأعمال أصحابها ، والسيادة الدولية والبحرية ، والتجارة والاستعمار . وقد ظلت انجلترا فى تلك الأيام تؤلب الدول الأوربية على عدوتها اللدود ؛ ودخلت الحرب فى الحلف الدولى الأول على فرنسا بعد أن أعدمت لويس السادس عشر سنة ١٧٩٣ ؛ ولم تكف انجلترا بعد انحلاله ، بل بقيت تحارب ، وألبت الحلف الثانى الذى تحطم ، ثم انتهت حربه سنة ١٨٠٢ بمعاهدة أميان Amiens بينها وبين فرنسا .

فكانت انجلترا فى حرب مستمرة مع فرنسا يوم نزلت حملة بونابرت بأبى قير عام ١٧٩٨ ، ويوم أبحر عائداً إلى فرنسا ، ثم تبعه الجنرال بليار Béliard بقسم من الحملة فى ٧ من أغسطس عام ١٨٠١ ، فتبعهما الجنرال منو Menou فى الشهر التالى بالقسم الباقى . وجاءت معاهدة اميان بعد ذلك بنحو نصف عام .

وكانت مصر على الدوام محسدة الدول التى سادت العالم القديم : لأنها كانت مركزه الجغرافى ، وإنها تمكن من السيادة على البحر المتوسط . ومفتاح هذه السيادة هو على الأصح تونس لوقوعها فى منتصف البحر وإشرافها على شقّيه الشرقى والغربى ، وعلى صقلية ومضيق مسّينا الفاصلين بينهما . بيد أن مصر أيضاً مشرفة على البحر المتوسط ومشرفة مع ذلك على البحر الأحمر ، وهى منفذ إلى الهند ووصلة بين أفريقية وآسية ، ومجاز إلى طرقها البرية . وقد اتجه نظر بونابرت إلى مصر منذ كان يحارب فى إيطاليا حيث انتصر وعد انتصاره طالع سعده ، ومنها كتب إلى تالّيران Talleyrand سنة ١٧٩٧ : « لن نلبث مليّا حتى نُحِسّ أنه ليس بد من أن نمتلك مصر لتحطيم انجلترا » . ولما عهدت إليه حكومته فى الاستعداد لغزو الإنجليز شرع يستعد ؛ غير أنه وضع مشروعاً للاستيلاء على مصر ، وشرح لحكومته ما تجنيه فرنسا من الثمرات إذا هى استبدلته بغزو انجلترا فوكلت إليه قيادة الحملة وفتح القطر .

وملخص الأسباب التى شرحها بونابرت فى إيثار مشروعه أن مصر أخصب أرض وثروتها الزراعية والحيوانية عظيمة ؛ وإنها كانت هُرْى رومة وهى يومئذ هرى القسطنطينية ، ومجمع القوافل الأفريقية والأسيوية ، ومحل تبادل المتاجر الشرقية والأوربية ؛ فإذا قامت فيها إدارة فرنسية خمسين عاماً زيد عدد سكانها زيادة كبيرة ، وتصبح سوقاً ومصرفاً لمصنوعات فرنسا ؛ وإن حلول الفرنسيين بمصر يضر انجلترا ، ويمكنهم من السيادة على البحر المتوسط فيوطد الامبراطورية العثمانية ؛ وإذا كان الانهيار مقدّراً عليها أخذت فرنسا أحسن حصة من سلبها ؛ فإذا استعمرت فرنسا مصر ، أو جعلتها مستودَعاً للمتاجر أو موثباً تنقض منه على مؤسسات الإنجليز فى الهند ، كان لها أن تستيقن بأنها سترد التجارة الكبرى إلى طرقها الطبيعية فتصل إلى الثغور الفرنسية ، لأن فرنسا أحسن الدول الغربية الكبيرة موقعاً بالنسبة إلى مصر

***

نزلت الحملة الفرنسية باسكندرية فى أول يولية عام ١٧٩٨ ،

وأعلن الباب العالى الحرب على فرنسا فى ٤ من سبتمبر من العام نفسه ، وأخذ يعبئ جيشين أحدهما فى سورية ، والثانى فى رودس لطرد الحملة . فرأى بونابرت أن نزول جيش رودس من البحر لا يتيسر إلا فى الصيف ، فآثر أن يفاجئ الجيش البرى قبل أن يتم احتشاده ليشتته فى سورية ويفتحها كما فتح مصر؛ ومتى يقهر الترك ويجمّع محاربين فى صفه بالتجنيد من المسيحيين المنتشرين فى تلك البلاد ، ومن الدروز وغيرهم تمتد الحركة إلى سائر العرب ويتسهل له إصلاح العلاقات بين فرنسا والباب العالى ، ثم يجتاز الصحراء زاحفاً إلى الهند . لكنه رجع إلى مصر مضطراً بسبب صبر عكا على حصاره وتفشى الطاعون فى عسكره وغير ذلك .

* * *

وجلت الحملة الفرنسية عن مصر ، لكن بونابرت المستسعد بجده وفرنسا التى اعتزت به ، فرنسا التى ما فتئت تدافع عن مصالحها فى الشرق لم ييأسا من إمكان فتح هذا القطر ثانية ، بل أرادا العمل على إحياء النفوذ الفرنسى فيه ريثما تتاح فرصة الاستيلاء عليه.

فنى محفوظات وزارة الخارجية البريطانية وثيقتان[1]: إحداهما مذكرة بمشروع لاستقلال مصر منسوب إلى المعلم يعقوب الذى ورد ذكره فى تاريخ الجبرتى — وليس فى كلام المؤرخ إشارة ما إلى أنه عرف شيئاً يتعلق بهذا المشروع ؛ والوثيقة الثانية كتاب من قائد سفينة حربية انجليزية أرسل معه المذكرة إلى حكومته عقيب نقله يعقوب من مصر . ولهاتين الوثيقتين علاقة بعمل فرنسا على إحياء نفوذها فى مصر .

فقد وجد رؤساء حملة بونابرت أن المعلم يعقوب رجل حرب وإدارة ذو ذكاء ومكر ، فألحقوه بجيش الجنرال دُزِه Desaix مديراً للتموين ، فأثبت إخلاصه لهم وشجاعته . وبعد هزيمة المماليك فى الصعيد رجع فى أسيوط إلى عيشة الثراء بجوار قائده ، وعاشره هو وأركان الحرب من ضباطه وبعض أعضاء اللجنة العلمية الفرنسية ، وكانت المحادثات بندىّ القائد شائقة وسامية المعانى فى أكثر الأحيان . فلا غرو من أن تكون أرسخت الأفكار الجديدة فى أعماق ذهن المعلم . ثم عهد إليه كليبر Kleber فى تنظيم المالية المصرية ؛ ثم جعله رئيساً لفرقة عسكرية قبطية ؛ ورقاه خلف كليبر فى القيادة العامة إلى رتبة اللواء (جنرال) وعينه مساعداً للجنرال بليار فى دفع الجيوش الانجليزية والتركية عن القاهرة ، فعد هو وفرقته القبطية — عند استسلام العاصمة فى ١٧ من يونية عام ١٨٠١ — من الجند الموكول أمرهم إلى بليار وأبحر مع هذا القسم من جيش الحملة إلى فرنسا على تلك السفينة الحربية الانجليزية .

قال الجنرال يعقوب لقائد السفينة ، فى حديث لم يحضره سوى رجل من أصل فرنسى اسمه لسكرى Lascaris جاء من مالطة مع الحملة التى استولت عليها فى الطريق إلى مصر: إنه يُعِير مشروعاً لاستقلال مصر يريد من القائد أن يبلغه عنه سراً إلى الحكومة البريطانية . وخلاصته أن مصر إذا استقلت فإنما تكون فى حكم الخاضعة لانجلترا سيدة البحار ، ولن تكون أبداً إلا دولة زراعية غنية بأرضها الخصبة وبتجارة افريقية الوسطى ؛ وهذه الفوائد تغنى الأمة التى لها دائماً أعظم مصلحة فى تجارة مصر وبحارها ، بسبب الهند ؛ وهذا الاستقلال لا يكون انقلاباً أحدثه نور العقل أو قلق الخواطر بمبادئ فلسفية متناقضة ، بل يكون تغيراً سبّبه عمل قوة قاهرة فى حال أناس هادئين جهلاء ، لا يعرفون على التقريب سوى المنفعة والخوف ؛ فلا يكون فى استطاعة المصريين أن يحموا استقلالهم من الأوربيين قبل زمن مديد ، حين تنتظم القوة الأهلية وتصبح مهيبة ؛ أما حمايته من الترك أو المماليك فإن الدول الأوربية تستطيع أن تحرمهم كل اعتداء على مصر ، ويمكن أن يستأجر المصريون فرقة أجنبية مساعدة تجمع إثنى عشر ألف رجل أو خمسة عشر ألفاً ، فتكون نواة الجيش المصرى وتكفى لإيقاف الترك فى الصحراء ، وإبادة المماليك داخل مصر ؛ ومصر منقسمة طوائف وشيعاً يسهل ترجيحها إلى الاختلاف لتتوازن ؛ وهو ومن معه من الأقباط وفد متصل بها جميعاً ، مفوض إليه من وجهاء الإخوان الأحرار أن يفاوض الدول فى الاستقلال (ولو فوضه أحد فى شىء من نحو ذلك لما خفى جلة الأمر على مثل الجبرتى) ؛ وغرضه أن يفاوض بطريقة تجعل فرنسا هى البادئة بطرح المشروع على انجلترا إذا أيقنت هذه الدولة بفوائده السياسية فعزمت على تأييده عند عودة السلام العام إلى أوربا فلا يتعرض الوفد لرفض مشروعه بسبب التنافر بين هاتين الدولتين الأوربيتين ،

(١) وزارة الخارجية ٧٨ ، مجلد ٣٨ (F. O. 78, vol. 38) .

أو حذر أن يكون حيلة من الجمهورية الفرنسية .

لم يكن الدين حائلا بين الفرنسيين والقبط ولم يكن بد من أن يحدث ضم يعقوب إلى الجيش الفرنسي ، قراب ثلاثة أعوام ، آثاراً عميقة في نفسه . فكان له أن يتوقع المكافأة الثمينة من بونابرت ، ولاسيما بعد إذ أصبح القنصل الأول في حكومة القنصلية وهو الذي لم يكن ليغفل عن الجزاء السخي على مثل ارتياح المعلم إلى خدمة الفرنسيين في جميع الأحوال ، واستسلامه لإرادتهم كل الاستسلام حتى جعلوه جنرالا فرنسياً . غير أن المعلم مات على السفينة الانجليزية عقب الإفضاء بسره ، فكتب لسكرى المشار إليه آنفاً مذكرة بالمشروع هي التي أرسلها قائد السفينة مع كتابه إلى الحكومة الانجليزية . وكان يعقوب قبيل موته قد أبدى رغبته في أن يدفن بجانب (دزه) حباً فيه ، فلم تلق جثته في البحر بل حفظت في برميل روم Rhum إلى أن دفنت في مرسيليا.

وواضح من نص الوثيقتين برمته ، ومن سيرة صاحب المشروع في زمانه ومكانه ، أن فكرة هذا الاستقلال وليدة السياسة العليا ، وأن المعلم يعقوب تبناها تحت رعاية الحملة الفرنسية . ولو امتد بالجنرال يعقوب زمنه لأيدت فرنسا مشروع هذا القبطي الوجيه الثري ، عند عقد معاهدة اميان ، ليخدم مصلحتها بنفوذه في مصر إذ كان أحد رؤساء طائفته وقد صيّروه شخصية كبيرة الشأن . لكنه مات فلم يبق في الفرقة القبطية من يصلح للحلول محله والمفاوضة في مشروعه .

***

لما عاد بونابرت من مصر إلى فرنسا وتولى رياسة الحكومة القنصلية أرسل ماتيو ده لسبس Mathieu قنصلا عاما إلى مصر ، وذلك في سنة ١٨٠٤ من أيام القلق التي كان جلاء الجيش الفرنسي عن القطر تركه فيها لنفوذ المماليك وللفوضى . وكان من شأن المهمة الحقيقية المعينة لماتيو أن تعرضه للمخاطر في بهرة هذه الفوضى ، إذ كانت المهمة هي إعادة النفوذ الفرنسي إلى حاله السابقة ، وقد أداها بنجاح باهر : فإن البيانات والأوامر السرية التي أصدرها إليه تاليران المشهور ، وزير الخارجية الفرنسية يومئذ ، أوجبت عليه أن يبحث في الجيش التركي الذي حارب الفرنسيين عن رجل مقدام ذي كفاية للحلول محل المماليك ؛ فاهتدى ماتيو بفراسة ذات بصيرة إلى محمد على (المغفور له محمد على باشا الكبير) ، وفاز بصداقته ، وساعده مساعدة فعالة في سبيل علوه ؛ فلم يلبث محمد على أن أصبح سيد البلاد وجعل المصريين ينادون به والياً على مصر ، ثم أباد المماليك — كما كان يحدث لو نفذ مشروع يعقوب .

ومشهور أن فرنسا أيدت المساعي التي نال بها محمد على فرمان الولاية عام ١٨٠٥ ؛ وقد جاءه بعد ذلك فرمان بنقله والياً على سلانيك ، لأن الحكومة البريطانية طلبت من الباب العالي أن يعيد السلطة إلى المماليك ضامنة له أمانة محمد بك الألفي — الذي كان الانجليز يؤيدونه إذ وعدهم وعوداً تعرض مستقبل مصر للخطر ، منها أنه سوف ينزل لهم عن الثغور المصرية الكبيرة . ثم نجحت مساعي فرنسا في استنبول ففاز محمد على بفرمان أعاده إلى ولاية مصر من غير أن يبارحها . لكن الانجليز لم يرقهم نجاحه الملائم لسياسة فرنسا ونفوذها ، فأرسلوا حملة على مصر ؛ وكانت الخطة لدفع هذه الحملة الخائبة عن الاسكندرية من وضع دروفتي Drovetti قنصل فرنسا في هذا الثغر .

***

استتب حكم محمد على وغزا الشام — بعد أن قهر الوهابيين بنحو خمسة عشر عاماً . وكان لويس فيليب ، ملك فرنسا ، وحكومته والرأي العام الفرنسي ، شديدي الرغبة في أن ينفذ والي مصر ما عزم عليه وأن يوطد سلطته في الشرق إلى أقصى حدود الإمكان ؛ فلما خرج أحمد باشا القبطان بالأسطول العثماني من الدردنيل في سنة ١٨٣٩ ليسلمه إليه حقداً منه على عدوه الشخصي خسرو باشا ، الصدر الأعظم ، كان أمير البحر لالند Lalande يسد بالأسطول الفرنسي منفذ المضيق إلى البحر المتوسط ، فلم يبذل أي جهد ليمنع الأسطول العثماني من الخروج تنفيذاً للرغبة الدولية الأوربية مع علمه بنية أحمد باشا . بل أعانه على خدع الانجليز والتخلص إلى مصر . لكن انجلترا خشيت عواقب النصر الذي حازه محمد على الكبير فحالت دون غرضه من توحيد الشرق العربي تحت حكمه وإن أيدته فرنسا في المفاوضات الدولية الأوربية حتى كادت تحارب من أجله ، بل حرصا على نفوذ سياستها . وقد كتب بالمرستون ، وزير الخارجية البريطانية ، في ٤ من مارس عام ١٨٤٠ إلى جيزو ، رئيس الوزارة الفرنسية : « أما كانت

فرنسا تسر لو رأت فى مصر وسورية دولة جديدة مستقلة تؤسس فيهما وتكاد تكون من إنشائها فتصير بالضرورة حليفتها ؟ لكم الوصاية على الجزائر ، فماذا يبقى يومئذ بينكم وبين حليفتكم مصر ؟ هاتان الدولتان المسكينتان تونس وطرابلس ، وهما تكادان لاتكونان شيئا . وهكذا يصبح ساحل أفريقية كله وقسم من ساحل آسية على البحر المتوسط ، من مراكش إلى خليج الاسكندرونة ، فى قبضة يدكم وتحت نفوذكم . وهذا محال أن يكون من سبيلنا »

* * *

ضمن ماتيو بجرأته فيما ابتدأ به عمله السياسى صداقة محمد على العظيم ، ووطد فى مصر نفوذ فرنسا لمدة مديدة ، ومهد من حيث لا يدرى لابنه فردينان طريقا قصدا إلى الاذن له فى إنشاء قناة السويس : فإن صداقة الوالى ، بعد إذ وصل إلى الحكم بمواهبه الفطرية وبتأييد من ماتيو ، كانت صداقة مضمونة بادىء بدء لفردينان . وقد أكد الوالى أمر ذلك التأييد من الأب وهذه الصداقة للابن تأكيدا علنيا يوم كان فى سورية بين قواده وحاشيته ورأى فيه فردينان أول مرة فقال له : « إن والدك هو الذى جعلنى ما أنا اليوم . فاذكر أنك تستطيع دائما أن تعتمد على » . ومن صداقة الوالى نشأت صداقة ابنه سعيد باشا لفردينان ، ولولاها لكان من الممكن جدا أن يخفق فى أمر القناة . وليس شك فى أن أحوال البيئة التى ظهر فيها محمد على ، ومنطق التاريخ فى زمانه وتصرفه بسياسة أثبت حكمتها علو شأنه ، أمور تؤيد هذه الحقائق. وإذا قال التاريخ بوقوع إرشاد له وإسعاد فإن هذا القول ليس يصغر من جلال عبقرية سمت بصاحبها إلى أوج سودده ومجده : إذ أنقذ مصر من الفوضى وأحياها ، ومنحها ملكا واسعا وعرشاً زعزع العرش العثمانى المجيد ، ولم يثبت أمامه سوى إجماع الدول العظمى .

* * *

ولما وقعت المذابح بسورية ، فى ٩ من يوليه عام ١٨٦٠ ، رفع الأمير عبد القادر الجزائرى العلم الفرنسى على داره بدمشق ، وحمى الفرنسيين هو ومن معه من أبناء الجزائر ، وأعاد النظام إلى المدينة فمنحه نابليون الثالث الوشاح الأكبر لجوقة الشرف ، وعظم أمل الفرنسيين فى الأمير حتى طلبت صحفهم إنشاء امبراطورية شرقية تضم جميع السكان العرب فى سورية ولبنان والعراق وشبه جزيرة العرب . وهذا المشروع الفرنسى لم يعقبه أى إجراء فيه لكن الإنجليز وجسوا بسبب النفوذ الذى أصبح يومئذ للأمير الجزائرى فى سورية فراقبوا أعماله ومسالكه مراقبة دقيقة ؛ وكان شأنهم مع أولاده أن شغل أولئك الإنجليز واجسهم منذ أصبح الأمير رمز المصلحة الفرنسية فى الشرق حتى اجتهدوا ، عند انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فى الحط من سمعة أمراء الجزائر لإبعادهم عن سورية حيث كانوا عقبة أمام السياسة الإنجليزية .

* * *

وكان من الشروط فى عقد الشركة التى حفرت قناة السويس أن تملك جميع الأراضى البور التى تحييها فى جانب القناة . وكانت نية دهلسبس أن يروى خمسة عشر ألف فدان من الصحراء فى جانبها الغربى بمياه ترعة من النيل ، وأن يستميل بدو سينا إلى سكناها ؛ وقصد أن يوجد الثقة فى قلوبهم بدعوته الأمير عبد القادر الجزائرى ، عام ١٨٦٢ إلى زيارة الأعمال الجارية يومئذ فى القناة ، وبتمليكه خمسمائة فدان فى بئر بلاح جنوبى نفيشه . وقد شرع الأمير بحث البدو على التجمع حول منشآت الشركة عازما على إسكان واحد من أبنائه بينهم ليعيش معهم ، ساعيا بوجاهته لإصابة الغرض . فأوجس بالمرستون خيفة من هذا المشروع الذى يلائم مصلحة الشركة ويوائم السياسة الفرنسية فى آن معا : إذ رأى فيه نواة دويلة عربية تابعة لفرنسا قد تنشأ فى برزخ السويس وقد تسد ذات يوم طريق الهند . فتفادت انجلترا من هذا الخطر البعيد باستمانتها نخوة الخديو إسماعيل ، الذى كان يشغله ما حاز الأمير عبد القادر من الشهرة المتناهية ؛ فطلب الخديو من دهلسبس أن يعدل عن مشروعه . ولقد بحث الإنجليز يومئذ عن سبب يمكنهم من إيجاد طريق حربى يسلكونه إلى الهند رأسا إن أغلقت دونهم قناة السويس ، وينافسها فى كل وقت ؛ فكان مشروعهم هو حفر قناة من حيفا إلى البحر الميت ومنه إلى العقبة .

ودام تنافس الفرنسيين والإنجليز مؤثرا فى شؤون مصر ، آخذا فى الضعف رويدا حتى انتهى بالإتفاق الودى عام ١٩٠٤

محمد نوحيد السلحدار

في إرشاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٧ —

ج ١ ص ١٨١ :

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ وأسلمه الوجود إلى العيان
ووشاه فنمنمه بيان فصيح في المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشرات تجلى بينها حلل المعانى

قلت : (تجلى بينها صور المعانى) كما روى أبو الفرج . وفى (أغانيه) : « فنمنمه مُسدٍ فصيح » وأسد فى القول أصاب السداد ، والشعر لإبراهيم بن العباس الصولى

* * *

ج ١٩ ص ٢٠٩ : حدث أبو عبيدة أن يونس النحوى سئل عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر ؟ فقال : أجمعت العلماء على الأخطل . قال أبو عبيدة : فقلت لرجل إلى جنبه : سله : من هؤلاء العلماء ؟ فسأله فقال : هم ميمون الأقرن ، وعنبسة الفيل ، وابن أبى إسحاق الحضرمى ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر الثقفى . هؤلاء طرقوا الكلام وماثوه موثا لا كمن تحكون عنهم لاهم بديون ولاهم نحويون .

وجاء فى الشرح : (ماثوه موثا) هذا كناية عن بحثهم المتواصل واستقرائهم المتتابع كمن مات الشىء بالشىء إذا خلطه بحيث لا يتميز أحدهما من الآخر .

قلت : (ماشوه ميشا) فى الأساس : ومن المجاز : وتقول : هم نفشوا الكلام وماشوه وطرقوه للنحارير فى العربية .

فى التاج : ماش القطن يميشه ميشا : زبدُه بعد الحلج . وزُبد القطن نفش وجُود حتى يصلح لأن يغزل . وفى اللسان : طرق النجاد الصوف يطرقه طرقا ضربه ، وإسم ذلك العود الذى يضرب به المطرقة .

لميمون الأقرن وعنبسة الفيل وسائر من ذكرهم يونس بن حبيب البصرى النحوى أن يقدموا ويؤخروا ، ويعلوا وينزلوا « فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما (بين الفرزدق وجرير) وبين الأخطل ؛ لأنه لم يلحق شأوهما فى الشعر ، ولا له مثل مالهما من فنونه » كما قال أبو الفرج فى كتابه ، وقد أوردت قضاءه فى مقالاتى (خليل مردم بك وكتابه فى الشاعر الفرزدق) فى (الرسالة الغراء) فى سنتها السابعة ، وبينت هناك ما بينت . وهذا قول لم أروه فى تلك المقالات وهو للأديب العظيم أبى بكر محمد بن يحيى الصولى فى كتابه الفائق (أخبار أبى تمام) :

كنت عملت (أخبار الفرزدق) وبدأت (به) وفى نيتى عمل أخبار جرير والأخطل بعده ، وإنما بدأت بالفرزدق لقوة أسر كلامه ، وكثرة معانيه ، وجميل مذهبه ، ولأنه يتقدم عندى الإثنين من طبقته فى شعره ، أعنى جريرا والأخطل ، ولا أعيب من يقدم عليه إذ كنا نجد أئمة من العلماء لهم فيهم آراء مختلفة ، وتقديم لبعضهم على بعض ، ولكننى فى حيز من يقدم الفرزدق . وابتدأت فى عمل أخبار جرير ، فبلغنى أن قوما تضمنوا عملها خلافا على وكيادا إلى ، فأمسكت عن إتمامها امتحانا لصدقهم ، فمات بعض وبقى آخرون ، ولم تعمل حتى الساعة .

* * *

ج ٢ ص ٣٦٩ :

لو دام لى فى الورى خل وعانقة لما حفِلت بدى قربى ولارحم
ولا بكَّرت إلى حُلو لنائله ولا التفت إلى شىء من النعم

قلت : (لما حفَلت) حفل يحفل (ولا بكَرت إلى خلق لنائله) بكر إلى الشىء — من باب قعد — أتاه بكرة أو فى أى وقت كان ، وبكر إلى الشىء كفرح عجل كما فى التاج . وخلق اسم ومصدر كما قال سيبويه فى (الكتاب) أو أصله مصدر كما فى الصحاح . وخلق هنا مثله فى قول المتنبى :

ولا تشكُ إلى خلق فتشمته شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

والعاتقة فى الشعر — وهو لجحظة البرمكى — هى الخمر . والمعروف خمر عاتق وعتيقة ومعتقة وعتاق . قال حسان (رضى الله عنه) :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة تسقى الضجيع ببارد بسام

كالمسك تخلطه بماء سحابة ... أو عاتق كدم الذبيح مدام

* * *

ج ٩ ص ١٧٨ : فكم أهل هدته — نصر الله عزائمها — بعد الضلال ، وحر استنقذته من حبائل الأقلال ، ومرهق خففت عنه وطأة الزمن المتثاقل ، وطريد بوأته من حرمها أمنع المعاقل .

منازل عز لو يحل ابن مزنة ... بها لسلا عماله من منازل

وجاء فى الشرح : ابن مزنة المطر . قلت : (فكم تائه أو حائر أو ضال أو ضليل أو مضلل هدته بعد الضلال) ؛ وابن مزنة هو الهلال .

فى الصحاح : ويقال للهلال : ابن مزنة قال :

كأن ابن مزنتها جانحا ... فسيط لدى الأفق من خنصر

وقيل للهلال ابن مزنة لأنه يخرج من خلال السحاب ، حكى ذلك عن ثعلب كما فى التاج . ونسب البيت فى اللسان والتاج إلى عمرو بن قميئة . والفسيط هو القلامة ، فى الأساس : ما لفلان مقدار فسيط ، وأنشد يعقوب[1] : كأن ابن مزنتها البيت .

* * *

ج ١٥ ص ٢٠٧ : لأبى على المنطق :

فى البرق لى شاغل عن لمة البرق ... بدا وكان متى ما يبد لى يشق

منفرا سرب نومى عن مراتعه ... كأنما اشتق معناه من الأرق

أخو ثنايا التى بالقلب مذ ظعنت ... أضعاف ما بوشاحيها من القلق

بما كان يسرق من حرز الجفون كرى

لو أنه من لماها غير مسترق

وجاء فى الشرح : البرق الأول مكان والثانى برق السحاب .

قلت : (فى البرق لى شاغل عن لمة البُرَق) (لو أنه من لماها غير مسترق) والبرق الأول هو البرق المعروف واللفظة الثانية هى جمع برقة .

فى اللسان : اللمة الموضع الذى يكثر فيه الخلى ، ولا يقال لها لمة حتى تبيض ، وقيل : لا تكون اللمة إلا من الطريفة والصليان إذا يبسا ، تقول العرب : وقعنا فى لمة من نصى وصليان أى فى بقعة منها ذات وضح لما نبت فيها من النصى وتجمع لُمعا .

(١) ابن السكيت .

والبرقة (وجمعها برق) ذات حجارة وتراب ، وحجارتها الغالب عليها البياض ، وفيها حجارة حمر وسود ، والتراب أبيض وأعفر وهو يبرق لك بلون حجارتها وترابها ، وإنما برقها اختلاف ألوانها وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتا كثيرا ، يكون إلى جنبها الروض أحيانا .

ومما رواه أبو الفرج فى هذا البرق الشائق قول أبى قطيفة :

إذا برقت نحو الحجاز سحابة ... دعا الشوق منى برقها المتيامن

وقول ابن ميادة :

أرقت لبرق لا يفتر لامعه ... بشهب الربى والليل قد نام هاجعه

أرقت له من بعد ما نام صحبتى ... وأعجبنى إيماضه وتتابعه

وقول إبراهيم بن اليزيدى :

ماذا بقلبى من أليم الخفق ... إذا رأيت لمعان البرق

من قِبل الأردنّ أو دمشق ... لأن من أهوى بذاك الأفق

وروت هذين البيتين (نهاية الأرب) .

* * *

ج ٢ ص ٧٣ : وقال (الصابى) فى غلام له اسمه رشد أسود :

قد قال رشد وهو أسود للذى ... ببياضه يعلو علو الحائن[1]

ما فخرك بالبياض وهل ترى ... أن قد أفدت به مزيد محاسن

ولو أن منى فيه خالا زانه ... ولو أن منه فى خالا شانني

وجاء فى الشرح : ويروى باليتيمة استعلى علو مباين .

قلت : (ببياضه استعلى علو الخائن) فى المقامة الثامنة والثلاثين المروية للحريرى : قال فقربه الوالى لبيانه الفاتن ، حتى أحله مقعد الخائن .

فى (نهاية الأرب) : قال بشار وأجاد :

يكون الخال فى خد نقى ... فيكسبه الملاحة والجمالا

ويونقه لأعين مبصريه ... فكيف إذا رأيت اللون خالا

فى (الوفيات) هذا الخبر البارع فى السواد :

قال إبراهيم بن المهدى : قال لى المأمون وقد دخلت عليه بعد العفو عنى : أنت الخليفة الأسود ؟ فقلت يا أمير المؤمنين ، أنا الذى مننت عليه بالعفو ، وقد قال عبد بنى الحسحاس :

إن كنت عبدا فنفسى حرة كرما ... أو أسود الخلق إنى أبيض الخلق

(١) فى رواية : قد قال يمن .

فقال لى : يا عم ، أخرجك الهزل إلى الجد ، وأنشد يقول :

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم (م) ولا بالفتى الأديب الأريب
إن يكن للسواد فيك نصيب فبياض الأخلاق منك نصيبى!

قلت : — ولا أقول إلا الحق — : إن السواد عند الله وعند الطبيعة والحقيقة هو كالبياض ، والبياض ند السواد ، والأحمر أخو الأصفر ، والبيئة — يا أخا العرب — هى التى قد لونت ، وهى التى قد شكلت ونوعت ، وصورت ما صورت ؛ فلا يروق[1] ذو لون على ذى لون ، وليس فى الدنيا عبد وحر ، ولن يشين المرء لونه — يا أيها الغربى — لكنه يشينه تلونه ...

فى (أساس البلاغة) لجار الله : ورجل متلون : مختلف الأخلاق .

* * *

ج ٧ ص ١٥١ : أبو محمد القاسم بن أحمد الأندلسى قال : وجدت فى مسائل نحوية تنسب إلى ابن جنى قال : لم أسمع لأبى على (الفارسى) شعراً قط إلى أن دخل إليه فى بعض الأيام رجل من الشعراء ، فجرى ذكر الشعر ، فقال أبو على : إنى لأغبطكم على قول هذا الشعر ، فإن خاطرى لا يواتينى[2] على قوله مع تحقق العلوم[3] التى هى من موارده . فقال له ذلك الرجل : فما قلت قط منه شيئاً ألبتة ؟ فقال : ما أعهد لى شعراً[3] إلا ثلاثة أبيات قلتها فى الشيب ، وهى قولى :

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل ولا عيباً خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميماً فصيرت الخضاب له عقابا[4]

فاستحسناها وكتبناها عنه ، أو كما قال ، لأنى كتبتها عن المفاوهة ، ولم أنقل ألفاظها .

وجاء فى الشرح : كانت (المفاوهة) فى الأصل « المفاوضة » .

قلت : الأصل صحيح ، ومفاوضة العلماء محادثتهم ومذاكرتهم ، والمفاوهة : المقاولة والمناطقة ، فهى تحكى المحادثة والمذاكرة .

وقد ضبطت (ألبتة) فى هذا الخبر وفى مواضع أخر فى الكتاب بهمزة مقطوعة أو بألف القطع ، وقد وجدتها فى البخارى والكامل وكتاب سيبويه والصحاح وغير ذلك بألف الوصل ، ولم أعثر على نص للأئمة القدماء فيها ، فمن وجده تقرب إلى العلم بنشره فى (الرسالة) مشكوراً . وهذا ما قاله التاج :

(ولا أفعله البتة) بقطع الهمزة كما فى نسختنا ، وضبط فى الصحاح بوصلها ، ونقل شيخنا عن الدمامينى فى شرح التسهيل : زعم فى اللباب أنه سمع فى البتة قطع الهمزة ، وقال شارحه فى العباب : إنه المسموع . قال البدر : ولا أعرف ذلك من جهة غيرهما ، وبالغ فى رده وتعقبه ، وتصدى لذلك أيضاً عبد الملك العصامى فى حاشيته على شرح القطر للمصنف .

قال ابن خلكان : كنت مرة رأيت فى النام سنة (٦٤٨) وأنا يومئذ بمدينة القاهرة كأنى قد خرجت إلى قليوب ، ودخلت إلى مشهد بها فوجدته شعثاً ، وهو عمارة قديمة ، ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين ، فسألتهم عن المشهد وأنا متعجب لحسن بنائه وإتقان تشييده : ترى هذا عمارة من ؟ فقالوا : لا نعلم ثم قال أحدهم : إن الشيخ أبا على الفارسى جاور فى هذا المشهد سنين عديدة ، وتفاوضنا فى حديثه ، فقال : وله مع فضائله شعر حسن ، فقلت له : ما وقفت له على شعر ، فقال : أنا أنشدك من شعره ، ثم أنشدنى بصوت رقيق إلى غاية ثلاثة أبيات ، واستيقظت فى أثر الإنشاد ، ولذة صوته فى سمعى ، وعلق على خاطرى منها البيت الأخير وهو :

الناس فى الخير لا يرضون عن أحد
فكيف ظنك سيموا الشر أو ساموا

* * *

ج ١٨ ص ٢٨٦ : قال (الحميدى الحافظ المؤرخ الأديب) :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

---

(١) راق عليه : تقدمه وعلاه فضلا ، قال ابن الرقيات :
راقت على البيض الحسا ت بحسنها وبهائها

(٢) قلت : فى (الوفيات) لا يوافقنى . فى التاج : آتيته على ذلك الأمر إذا وافقته وطاوعته والعامة تقول وآتيته كما فى الصحاح وقيل : هى لغة لأهل اليمن جعلوها واوا على تخفيف الهمزة ومنه الحديث : خير النساء المواتية لزوجها .

(٣) فى الوفيات (مع تحقيق العلوم) (ما أعلم أن لى شعراً) .

(٤) فى طبعة الارشاد والوفيات (ذميا) وعندى أن أبا على قال (دميا) .

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ٤ —

حرصه على الأخلاق والفضائل :

من خصائص الشريعة الإسلامية التي امتازت بها على الشرائع الوضعية كلها أنها قامت على الأخلاق الرضية، والفضائل المرعيـــة، وخشية الله، ومحاسبة الوجدان والضمير، في كل ما يصدر عن الإنسان، ألا ترى إلى قوله تعالى: «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا، هو أقرب للتقوى»، وقال صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق عليه: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن[1] بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار[1]»، ويجتهد عمر رضي الله عنه في إبعاد الناس عما يغرس الأحقاد والإحن في النفوس، فيقول: «ردّوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن»، ويشدد الرسول صلى الله عليه وسلم في النكير على من يخادع المسلمين ويغشهم، فيقول: «من غشّنا فليس منا» كما يقول صلوات الله عليه «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامه، لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضى، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل — ثم قرأ — إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم».

وليست قوانين أفلاطون، ولا الشرائع الرومانية، ولا القوانين الغربية الحديثة بمستطيعة أن تجارى الشريعة

(١) أعرف بالحجة وأفطن لها.

(١) الحديث ورد بهذا النص في الطرق الحكمية.

قلت: (من قيل وقالٍ) (أو إصلاح حالٍ)

***

ج ١٩ ص ٢٠٢:

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العـــامرية أو يراحُ
قطاة غرها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح[1]

قلت: (عزها شرك) كما روى الكامل والحماسة والأغاني وفسر التبريزي[2]. وقد نسب الشعر في الإرشاد والحماسة إلى نُصيب بن رباح. وقال صاحب الكامل: أحسبه توبة، وقال أبو الحسن الأخفش: يقال: إنه لمجنون بني عامر وهو الصواب، وعزى في الأغاني في موضعين إلى (المجنون) فضاع — والحالة هذه — قائله.

مما قيل في (مجنون ليلى) في (الأغاني):

عن المدائني عن ابن دأب قال: قلت لرجل من بني عامر: أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً؟ قال: أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين! إنهم لكثير؛ فقلت ليس هؤلاء أعني، إنما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق، فقال: هيهات، بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها، السخيفة عقولها، الصعلة رءوسها، فأما نزار فلا.

عن أيوب بن عباية أن فتى من بني مروان كان يهوى امرأة منهم فيقول فيها الشعر، وينسبه إلى المجنون، وإنه عمل له أخباراً، وأضاف إليها ذلك الشعر، فحمله الناس وزادوا فيه.

(١) في الكامل: تعالجه وقد علق الجناح، ويروى تجاذبه نهذا غاية الاضطراب، وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار.

(٢) قال: (عزها) في موضع الصفة لقطاة، يريد غلبها، وانتصب ليلة على الظرف مما دل عليه (كأن القلب) من التشبيه، ولا يجوز أن يكون ظرفا لقيل لأن ما بعده مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، وقوله (تجاذبه) المفاعلة تكون في الأكثر من اثنين، وإنما جاز ذلك لأنه جعل منع الشرك للقطاة من التخلص جذبا منه.

الإسلامية فى هذا السمو الخلق الذى بنيت عليه جميع التصرفات والمعاملات ، وما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل .

— ٥ —

اقتصار تشريعه التفصيلى على الأمور الثابتة التى لا تختلف باختلاف الأمم والعصور ، أما الحوادث الجزئية ، والأحكام الفرعية التى تختلف باختلاف الأحوال والأمم فإنه لم يتناولها إلا بقواعد كلية ، ومقاصد عامة ، ليترك الباب مفتوحاً لأهل الاجتهاد من كل أمة ، وفى أى عصر ، ليستنبطوا من الأحكام ما يحقق مصالح العباد ، ويتفق مع حاجاتهم .

لذلك كان من خصائص هذه الشريعة التى امتازت بها على سائر الشرائع أنها قائمة على دعامة الاجتهاد ، من لدن أول مجتهد فى الإسلام ، وأعظم مشرع ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى مجتهدى الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من العلماء المجتهدين فى كل عصر .

هذا الاجتهاد — فيما لا نص فيه — هو الذى يكفل تجددها على مدى الأيام ، ومسايرتها لتطورات الأمم والشعوب ، ويضمن قدرتها على وضع الأحكام لما يجدّ من الأحداث والوقائع ، وضروب المعاملات ، بل هو سر خلودها ، ودوامها وبقائها على وجه الدهر ، صالحة لكل زمان ومكان ، وليس ذلك بيدع ولا يعجب ، فإن أحكام الشريعة معللة ، لها أسرار وحِكم ومنافع ، والنصوص معقولة المعنى .

وقد تضافرت الأدلة الشرعية ، والنصوص الدينيـة على أن الإسلام شرع الاجتهاد ودعا إليه فى وضع الأحكام عنـد عدم وجود النص ، فمن ذلك .

١ — أن النبى صلى الله عليه وسلم أقر معاذ بن جبل على اجتهاده برأيه فيما لم يجد فيه نصا عن الله ورسوله ، فإنه عليه الصلاة والسلام ، لما بعثه إلى اليمن — قال له : « كيف تصنع إذا عرض لك قضاء ؟ قال أقضى بما فى كتاب الله ، قال فإن لم يكن فى كتاب الله ، قال فبسنة رسول الله ، قال فإن لم يكن فى سنة رسول الله ، قال أجتهد رأيى لا آلو » ، قال معاذ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ، ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله » .

٢ — ما ثبت من أقوال بعض الصحابة من إقرار الاجتهاد بالرأى والقياس ، فمن ذلك ما جاء فى رسالة عمر بن الخطاب فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى « الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق » .

٣ — ما ثبت من أن كثيراً من الصحافة كانوا يجتهدون فى النوازل ، ويقيسون بعض الأحكام على بعض ، ويعتبرون النظير بنظيره ، ويرون استعمال الرأى عند عدم وجود النص ، ولعل عمر كان أظهرهم وأجرأهم فى هذا الباب ، متى بان له وجه الحق فيه ، فمن ذلك أنه رفعت إليه قصة رجل قتلته امرأة أبيه وخليلها ، فتردد عمر ، هل يقتل الكثير بالواحد ؟ فقال له على أرأيت لو أن نفراً اشتركوا فى سرقة جزور ، فأخذ هذا عضواً ، وهذا عضواً ، أكنت قاطعهم ؟ قال نعم ، قال فكذلك ، فعمل عمر برأيه ، وكتب إلى عامله أن اقتلهما [1] ، وروى عن عمر أيضاً أنه لم يقطع يد السارق فى عام المجاعة ، وأوقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثا ، وقال إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه .

كذلك ثبت اجتهاد بعض الصحابة فى حيـاة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — فى كثير من الأحكام ، فلم ينههم ولم يعنفهم ، فقد أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر فى بنى قريظة ، فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق ، وقال لم يرد منا التأخير ، وإنما أراد سرعة النهوض ، فنظروا إلى المعنى ، واجتهد آخرون ، وأخروها حتى وصلوا إلى بنى قريظة ، فصلوها ليلا ، فنظروا إلى حرفية النص ، واجتهد سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، وحكم فيهم باجتهاده ، فصوبه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات » .

هذا هو حكم الاجتهاد فى شريعة الإسلام ، وهذا هدى السلف الصالح فيه ، أفما آن لنا أن نعد العدة ، ونأخذ الأهبة ، لنحيى هذه السنة ، ونقتفى أثر السالفين من علمائنا المجتهدين ؟ !

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

(١) أعلام الموقعين لابن القيم .

من خواطر جحا :

معلّم النبـــاح

على هامش وعد بلفور

الأستاذ كامل كيلانى

« مهداة إلى الذين علموا أصحاب البيكى ، فنون النباح ، فراحوا يخلطون العواء بالنواح . وكانوا أول من تنكر لناصره ومؤيده ، ونبح فى وجه معلمه ومرشده . »

ننقل القصة التالية عن المقدمة النفيسة التى افتتح بها « أبو الغصن جحا » خواطره التى أهداها إلى ولديه « جحوان » و « جحية » وقد ضمها مخطوط جحوى نفيس ، لعله مكتوب بخط رجل من أصحاب جحا أو بخط أحد معاصريه . وما أجدر أن يعتبر بهذه القصة من يرسمون لغيرهم طرائق الاعتداء ومناهج الجور ، ويطول هُتافهم وتصفيقهم لها ، واطراقهم وإعجابهم بها ، متى وافقت أهدافهم ، وأعانتهم على قضاء لباناتهم ، حتى إذا عارضت أهواءهم ، واصطدمت بأنانيتهم ، ضاقوا بتلك الطرائق ذرعا ، ولاقوا من هذه المناهج أشد الويلات .

قال أبو الغصن عبدالله دجين بن ثابت الملقب بجحا رحمه الله : قاتل الله الأَثرة والأنانيـة — يا ولدىّ العزيزين — فإنهما تضلان الذكى ، وتلغيان عقله الراجح ، وتفسدان عليه منطقه السديد ، فلا يلبث أن يعميه الهوى ، وينسيه الغرض ما هو خليق به من القصد والاتزان ! وما أخلق الرجل العاقل بأن يعرف أن أكثر ما يشير به من الرأى إنما هو سلاح ذو حدين : أحدهما له والآخر عليه . ولا يجوز لمنصف بعد أن يتخير الرأى ويرتضيه أن يقبل منه ما هو له ويأبى منه ما هو عليه . وما أولاه أن يروض نفسه على احتمال عواقب مشورته ، فلا يوجه اللوم إلى غيره بعد أن يسر له سبيل الشر والأذية .

أقول هذا لكما بعد أن قص علىّ بعض جيرانى فى هذا الصباح قصته شاكياً باكياً تكاد مرارته تتميز من الغيظ ، وهو يلعن أنانية صاحبه ، بعد أن رسم له طريقها ، ونهج له خطتها ، وزين تطبيقها وتحقيقها .

وفد علىّ صاحبى « أبو عامر » عابس الوجه متجهماً فسألته : « ما خطبه ؟ »

فقال : « أتذكر صاحبنا أبا إسحاق ؟ »

قلت : أتعنى « رأس الوزة ؟ »

قال : « ما عنيت غيره ، يا أبا الغصن ! »

قلت : « فليس فى بلدنا أحد يجهله أو يجهل ما نزل به من كوارث وأحداث ! لطف الله به يا أبا عامر ! لقد سمعت أنه اختلط »

فقال : « هـذا كلام يذاع ويملأ الأسماع ، وإن بعد عن الحقيقة البعد كله . إن رأس الوزة لم يختلط ؛ ولكنه رأى فى جنونه مهربا له من ديونه ، فلاذ به ، وتشبث بأذياله ؛ ولم تلبث حيلته أن جازت على كل من رآه . وليس هذا بمستكثر على مثله ، فهو آية من آيات الخداع والغدر والعقوق ! »

قلت : « ما علمت عليه من سوء ! فماذا بدر منه حتى ساء رأيك فيه ، وقسا حكمك عليه ؟ »

قال : « لقد أرهقته ديونه ، وألح عليه دائنوه ، فلم يجد له وسيلة غير الإختباء فى منزله ليهرب من إلحاف غرمائه ، وينجو من مضايقة دائنيه » .

وكنت قد سلفته — فيمن سلفه — دينا يسيرا .

ورأيت إمعانه فى الإحتجاب ، فما زلت أحتال عليه ، حتى وصلت إليه .

ولم يكد يرانى حتى تجهم محياه ، وظهرت الحيرة والارتباك على سيماه ، فهونت عليه الأمر ، وما زلت به حتى سكن روعه ، وسرّى عنه .

وما عتم أن راجعه أنسه وبشاشته حين عرضت عليه وسيلة للخلاص من دينه ودائنيه والفكاك من أسره ، على أن يرد لى — إذا نجحت الخطة — ما أسلفته إليه من دين .

فتهلل بشراً وقال : « لك على عهد وميثاق إن أظفرتنى بذلك لأردّنّ إليك ضعف دينك ، ثم لا أنسين لك صنيعك ما حييت » .

فقلت له : « افتح دارك — غداً أو بعد غد ، إن شئت — والبس أنخر ثيابك — وهيء فى ساحة الدار أنخر مجلس تستطيع أن تهيئه لاستقبال عارفيك — دائنين وغير دائنين — ثم اجلس متكئا على أريكة تعدها فى صدر مجلسك . وتظاهر بالجد والوقار .

فإذا مر بك أحد فلا تلتفت إليه ولا تلق له بالا . فإذا حياك فلا تجب تحيته بغير النباح . فإذا أظهر لك دهشته فانبح ثانية وثالثة ، فإذا تمادى فى الالحاح ، تماديت فى النباح .

ثم اتخذ من النباح شعاراً لك بعد ذلك ، فلا تجب بغيره كل من حياك ، ولو كان أخلص عارفيك وأصدق محبيك وأقرب القريبين إليك من ولدك وأهلك . انبح ولا تكف عن النباح ، واعو ولا تقصر فى العُواء ، حتى يضجروا بك فيرفعوا أمرك إلى والى المدينة .

فإذا مَثَلْت بين يديه فاعتصم بالصمت . فإذا سألك عن جلية أمرك لم تُحر من جواب إلا أن تملأ أذنيه عواء . وحذار أن تغير من ذلك شيئاً أو تبدله حتى يَقِرّ فى نفس الوالى أنك — فيما تأتيه — غير متصنع ولا متكلف .

فإذا اقتنع أن طائفاً من الجنون قد ألم بك ، لم يجد فائدة من حوارك ، فيدفعه اليأس منك إلى إطلاق سراحك ، ورد حريتك إليك ، وإعفائك مما عليك من دين !

أتعرف يا أبا الغصن كيف استقبل « رأس الوَزَّة » هذه النصيحة الغالية ؟ لقد فاضت نفسه — حين سمعها — عرفاناً بالجميل . ولهج لسانه بأبلغ عبارات الثناء والشكر على ما يسرته له من أسباب النجاة من ورطته ، والخلاص من كربته . فلما جاء الغد نفذ الخطة وفق ما رسمتها له فى براعة وحذق !

قدم عليه زائر من جيرانه ، فلم يكد يراه جالساً حتى أقرأه السلام ، فكان رده عليه نباحاً . وأقبل ثان وثالث ورابع ، فلم يلقوا منه غير ما لقيه أول القادمين عليه .

ولم يمض زمن يسير حتى ذاعت قصته فى المدينة ، فأقبل عليه دائنوه يتقاضونه ديونه ، فلم يلقوه إلا عاوياً . وراحوا يعنفُونه به تارة ، ويلينون له تارة أخرى ، ثم يُسرفون فى وعيدهم حيناً ، وفى تلطفهم أحياناً ، فلم تُجْدِ فى رده عن عوائه حيلة ولا وسيلة .

فلما يئسوا منه ، ذهبوا به إلى الوالى ، فسأله عن قصته ، فنبحه . فزجره وتوعده ، فوجده يسترسل فى النباح . وما زال بالوالى حتى أضجره ؛ فأمر بزجه فى السجن ، ووكل به من يراقبه عدة أيام ليخْبُر أمره ، ويجلو سره ، فلم يظفر منه مراقبوه بشىء غير ما تواصل من نباحه

فأمر الوالى بإطلاق سراحه بعد أن بث له بعض العيون والأرصاد يكمنون فى غدواته وروحاته ، ليروا ما يصير إليه شأنه . فظلوا يتبعون ظله أياماً ، فلم يتحول عن حاله فتيلا . فأيقن الوالى حينئذ أنه لا بد قد أصابه لَمَمٌ ، وأدركه من الخبال طرف

فلم يرله حيلة فيه ، فقضى بإسقاط ديونه ، وأمر دائنيه بالإقلاع عن مطالبته بما لهم قِبَلَهُ من الحقوق .

وهكذا خلص « رأس الوَزَّة » مما ركبه من دين . وتبدل خوفه أمناً ، وفزعه طمأنينة ، وأصبح يغدو ويروح حيث شاء ، دون أن يزعجه دائن أو ينغص عليه صفو عيشه غريم

أتعرف كيف جزانى على هذا الصنيع يا أبا الغصن ؟

فقلت له مبتسما ساخراً وقد امتلأت نفسى زراية له ونفوراً منه : « لا شك عندى فى أنه سار على النهج القويم الذى رسمته له فى اغتيال حقوق الناس ، فنبح فى وجهك كما نبح فى وجوه دائنيه ، ثم فى وجه واليه » .

قال « أبو عامر » :

ما أبدع ذكاءك وأنفذ فطنتك يا أبا الغصن : لقد جئته بعد أن هدأ باله وقَرَّ قراره أذكره عهده ، وأستنجزه وعده ، فما زاد على النباح . فدهشت من جرأته ، وتملكتنى الحيرة من صفاقته . وقلت له : « لك أن تمثل هذا الدور مع كل إنسان إلا معى ، وأنا واضع خُطَّته ، ومُبدع قصته . فتكلم ويحك ! » .

فأبى إلا عواء يتلوه عواء ، وكلما تماديت فى محادثته تمادى فى عوائه ، حتى نفدت حيلتى ، ودب اليأس إلى قلبى ، فغادرته محزون القلب مهيض الجناح .

ورجعت إلى دارى أفكر فيما انطوت عليه نفوس الناس من غدر ولؤم وفساد ، بعد أن رأيت من صاحبى ما لم يكن ليخطر لى على بال ، من فنون العقوق ، وسلب الحقوق .

ولكن خبرنى بربك — يا أبا الغصن — كيف تبينت خاتمة القصة قبل أن أفضى بها إليك ؟ » .

فقلت له : « إن عجبى منك — لا منه — شديد . فليس عليه — فيما صنع — غبار : لقد رسمت له الطريقة واضحة جلية ، فسلكها مهتدياً بهديك ، فما تنكبها ولا حاد عنها . فمن تلوم ؟ وممَّ تشكو ؟

من التاريخ الإسلامي

هنـــد والمغيرة

للأستاذ على الطنطاوى

في عشية (من عشايا سنة ٤١ للهجرة) ساكتة لا يسمع فيها إلا الصمت، في برية هادئة لا يُرى فيها إلا السكون، كان يرى القادم على (الحيرة) إذا هو اجتاز بدير هند، عند النخلة المتفردة التي قامت على الطريق، عجوزاً طاعنة قد انكمشت وانطوت على نفسها وجلست صامتة وحيدة تجيل عينيها الضعيفتين في هـذه الدنيا الصامتة التي دارت من حولها، فتبدل كل شيء وهي ثابتة: كانت نبتةً طرية مزهرة في ذلك الروض، فباد الروض كله وبقيت هي وحدها حطبةً يابسةً. وكانت كلمة في كتاب الماضي، فمحيت سطوره كلها وبقيت هي وحدها الكتابَ. هذه العجوز التي تراها فتحسبها قد فرغت من الهم، واستراحت من الحزَن، تطوى أضالعها على ذكريات ضخمة لعالم كامل أخنى عليه الدهر وأضاعه، ولم يدع منه إلا هـذه الذكريات تحفظها وتحملها وحدها. إنها لا تعيش في دنيا الناس ولا يعيشون في دنياها. إنها لا تعرف شيئاً مما يحيط بها، ولا تنسى شيئاً من عالمها الذى افتقدته من زمان، عالم الحيرة وعدىّ بن زيد والنعمان، العالم الذى احتوى مسراتها وأحزانها وروحها، فلما مرّ حمل ذلك كله معه فعاشت من بعده بلا حب ولا مسرات ولا أحزان ولا روح، إلا هذه الذكريات التي تنقُر كل يوم نقرة في قلبها، فلو كان حجراً صلداً لتفتت فكيف وهو من لحم ودم؟

لقد بنت هذا الدير وتوارت وراء جدرانه، وعاشت منه في المنطقة الحرام بين الحياتين، فلا هي بحياة الناس الدنيا، فيها متعها وملاهيها ومشاغلها، ولا هي بالحياة الأخرى، منطقة وراء الحياة ودون الموت، هي معيشة الدير. وزادها ضيقاً وجوداً أنها في الدير وحدها، بَنَتْه لتأوى إليه تناجى فيه ذكريات حبيبها الذى فجعت به، وعافت لأجله الأرض برحبها وسعتها، وصبرت على هذا السجن الدهر الأطول، لا تدرى مما وراء بابه إلا طرفاً مما

ألم تعلمه كيف يغتال حقوق الناس؟ وهل أنت إلا واحد من الناس؟ فكيف تريده على ألا يغتال حقك فيما يغتال؟ ما أجدرك — يا صاحبي — أن تشكر لهذا الرجل أمانته في الانتصار لرأيك، والتحمس لخطتك، والانتفاع بتدبيرك ومشورتك. لقد لقنته درساً في الأثرة والأنانية فحفظه عنك ولم ينسه لك. وسننت له سنة من سنن العقوق والغدر، فاقتفى آثارك، وارتضى سيرتك. ولو حسنت له الوفاء، ورسمت له طريقه لوفى لك دينك فيما وفى للناس.

ثم خبرني بربك — يا أبا عامر — أتراك كنت شاكياً غدره وتفريطه في رد الأمانات إلى أهلها لو أنه وفى لك دينك وحدك، ثم اغتال ديون غيرك؟

أرأيت — يا صاحبي — لو سمعت أن رجلاً هدى الذئب إلى طريق الغنم بعد أن أخذ عليه ما شاء من عهود ومواثيق أن يعفى شاته من بينها جميعاً، أتراه كان فاعلا؟

لقد علمته العواء فعوى، وأرشدته إلى طريق الغواية فغوى!؟ واستباح من الحقوق ما استباح، بفضل ما علمته من فنون العواء والنباح.

وليس هذا أول من نبح، فكسب بنباحه وربح. وكم من الناس آثروا أن يبلغوا أهدافهم بالهراء، ويتسنموا المجد بقول جفاء. فتصنعوا الجنون ليصبحوا أعزة، بعد أن أعوزهم أن يظفروا في ظلال العقل بالكرامة والعزة، كما فعل صاحبك «رأس الوزة».

فلترض يا صاحبي بهذا الجزاء العادل، فما ظلم «رأس الوزة» ولا غبن، ولكنك ظلمت نفسك بتلك المشورة فيمن ظلمت من الناس، فلا تجزعن من سنة سننتها، وخطة نهجتها. ذلك أسوة سيئة في شبيهك الذى وصفه الشاعر حين قال:

وكنت إماما للعشيرة، تنتهى
إليك، إذا ضاقت — بأمر — صدورها

فلا تجزعنْ من سيرة أنت سرتها،
فأول راض سنة من يسيرها

عبد الله حبها وفق الأصل كامل كيلانى

يحمله إليها رجال القوافل الذين كانوا يمرون بها ، وكان أقصى ما تصنعه إذا هى نشطت يوماً ، وأحبت أن تفارق مَنْسَكَها ، أن تسلك هذا الطريق الذى طالما مر عليه فاتحون ومنهزمون ، وسارت فيه الحضارة مُصْعدة وهابطة ، ومشى فيه ملوك وسوقة ، وسوقة وملوك ، ذهبوا جميعاً إلى حيث لا يؤوب ذاهب ، حتى تتعب من السير ، فتجلس على رابية ، وتشرف على البلد الحبيب : الحيرة ، التى كانت يوماً موطن هواها ، وكان فيها الإنسان الذى أعطته قلبها وأعطاها متعة العمر ، فترى الحيرة لا تزال ترفل فى حلل الخزامى والأقحوان ، ولا تزال قصورها البيض تخطر تياهة بين البساتين ، ولا يزال نسيمها معطراً بأنفاس المحبين ، تطفو على وجهه وسوسات القُبَل وهمسات الغرام . ولكنها لم تكن تحيا فيها ، كانت تفكر فى ماضيها ، وما أصعب أن يعيش المرء فى الماضى ، ثم تذكر أنه لم يبق أحد من ناس بلدها الحبيب ، لقد ذهبوا ، ولا تدرى أين ذهبوا ، ولمَ بقيت هى وحدها من بعدهم ؛ وجاء هؤلاء ، ولا تدرى من أين جاءوا ، حتى تغرب الشمس وراء الأفق البعيد ، وتمشى الظلمة إلى الكون ، فتعود وفى قلبها ظلمة أخرى ، ولكنها لا تأمل أن يكر عليها فجر يوم جديد . لقد خلفت ضياء الفجر فى طريق العمر فلا تملك أن تعود إليه . لقد كتب عليها أن تعيش فى ليل دائم وصمت سرمدى هو صمت هذه الصحراء التى آوت إليها ، وآثرت سكناها ، الصحراء التى وسع صدرها أسرار الزمان ثم أغلق عليه إلى الأبد . كم بين ترابها ورملها ، كم تحت روابيها وقُبورها ، من بقايا قلوب كانت محبة وكانت محبوبة ، وأجسام كان فيها فتنة وجمال ! وما أقرب ما يصير قلبها هى (أيضاً) تراباً فيها تطؤه أقدام لا تعرف أصحابها ... فما الحب ، وما الجمال ، وما الدنيا ؟ إنها زوال فى زوال .

وقامت العجوز تجر رجلها إلى الدير لتبدأ ليلة مملة طويلة كآلاف الليالى التى مرت بها من قبل ، ليالى لا آخر لها ، ولا أمل يسطع من خلالها . إن السجين يأمل بالعفو ويرجو الحرية ، ويتسلى بحديث الرفاق ، ويأنس بأحداث السجن ، وهى لا ترجو شيئاً ولا تأنس بأحد ، ولا تتسلى بحادث . ولطالما أمضت ليالى قصيرة حلوة ، تلك هى ليالى الحب والوصال ، ليالى زوجها عدى فتى الفتيان ، وأبيها النعمان . إنها كلما فكرت فيها رأتها دانية منها ، قريبة كأنها لم يطلع لها صبح ، فأين يا تبصر[1] مكانها من الوجود ، أفنيت وعادت عدماً ؟ لا ، إن الفناء لايقوى عليها . إنها موجودة فى الكون كوجودها فى ذا كرتها . إن الفناء لا يدرك حقيقتها كما أن النسيان لا يقوى على محو صورها . إنها لا تشبع من الإيغال فى هذا الماضى ، لأنها كلما أوغلت فيه جَدَّت لها طرق ظليلة لا عهد لها بها ، قد أزهر فيها المجد وبدا السنا ، ورُبما على كل رابية فراش غرام مرشوش بالعطر والشعر ، ووجوه أحبة كانت تعيش بهم ولهم ...

ولطالما اجتوت (من محبتها هذا الماضى) حاضرها نخامرتها فكرة الموت ، فمشت تقصد النهر حتى إذا أدنتها خطاها الواهنة من مائه ، ورأتها تمع كالمرآة ، أشفقت من الموت وهابته وارتدت عنه للمرة الخامسة بعد الألف . إنها لا تريد أن تموت ، ولا تزال متعلقة بحياة قد أقفرت من المجد والحب .

* * *

ولما دلفت إلى مخدعها فى الدير سمعت ضجة ، وقالوا لها : إنه الأمير المغيرة بن شعبة يستأذن عليك . الأمير ؟ ما لها وللأمير ؟ ما شأنه بها ؟ ما يبتغى لديها ؟ أما تركت له ولقومه ملك أبيها فلم لا يترك لها ديرها ؟ وفكرت .. ثم أذنت له فدخل عليها فبسطت له مَسْحاً ، وسألته : ما جاء بك ؟ قال : جئتك خاطباً ؟

خاطباً ؟ إنها كلمة لم تسمعها من عمر طويل ، فلما طرقت سمعها هزت وتراً فى قلبها كان قد صدئ ، ونسيت ضيفها وقفزت إلى الماضى فغابت عن حاضرها ، وغرقت فى ذهلة عميقة امتدت أبداً ، والمغيرة يرقب جوابها ولكنه كان أكيس من أن يفسد عليها أحلامها ، فانتظر صابراً ...

* * *

تخيلت أنها قد عادت فجأة تلك الفتاة التى كانت فتنة القلب والنظر ، وكانت مطمح الأنفس والفكر قد جمع الله لها المجد كله والجمال كله ، فهى عروس الزمان بهاء وحسناً ، وهى بنت النعمان أعز عربى عزاً ، وأمجده مجداً ، وإنها قد عادت أيام الحيرة ، ورجع

( ) إذا جاز أن نقول (يا ترى) فلم لا نقول (يا تبصر) فننجو من هذا الابتذال ونأتى بجديد والاعراب فى كليهما واحد فقدر ل (يا) منادى وخاطبه

الفصح والشعانين ، فخرجت إلى البيعة تتقرب فيها ، فلما احتوتها البيعة ، وأمنت الأنظار ، ألقت عنها خمارها ، وأخرجت هذه اللؤلؤة من صدفتها ، وأبدت ذلك الجسم الذى كانت تتقطع على الوصول إليه قلوب الرجال ، ولم تدر أن الزمان أراد أن يؤلف قصة حب تتلى بعد أربعة عشر قرناً ، فجاء بعدى بن زيد الشاعر الجميل ليختلس النظر إليها ، ويقع فى قلبه هواها ، فلما رأته استترت منه وسبت جواريها ، وظنت أن القصة ختمت قبل أن تفتتح ، لم تدر أنها قد سطرت منها الأسطر الأولى (لتكون سفر سعادتها العاجلة وشقائها الطويل) يدا (مارية) الجميلة الخبيثة ...

لقد كانت مارية تحب عديا ، ولا تجد إلى الوصول إليه سبيلا ، إلا أن تأتى بهند لتحلها مكان المحبوبة من قلبه ، ترضى بذلك حبها ونفسها ، وقد يفنى المحب فى الحبيب ، فيبنى مسرته على أساس من شقاء نفسه ، ومشت بين عدى وهند تدير خيط الحب من حولهما ، حتى غدا سبباً قويا ، وجامعة لا تنقطع . لقد صبرت حتى مضى حول كامل على يوم الشعانين ونسيته هند ، فواعدت مارية عديا بيعة توما ، وأغرت هندا بزيارتها ، فاستأذنت أمها فأذنت لها وهنالك عرفت هند ما الغرام ، وذاقت غصصه ...

يا ويل مارية ! لقد جعلت هنداً مهراً لها لزواج ليلة[1] لقد تعرضت لعدى غداة يوم توما فهش لها وبش — وقد كان لا يكلمها — وقال لها : ما غدا بك ؟ قالت : حاجة ! قال : اذكريها فوالله لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك إياه .

قالت : أريد ... وسكتت ، وأدركها الخجل ، ونطقت عيناها وفهم عنها ، فأخذ بيدها إلى حانوت خمار فى الحيرة ... وكافأته بأن وعدته أن تحتال له فى هند ...

وتتالت الصور على قلب هند ، فذكرت ليالى زواجها بعدى ، فكانت لقوة الذكرى تحس على لسانها حلاوة تلك القبل ، وتجد على عنقها لذة ذلك العناق ، وعاد قلبها شابا ؛ على أن قلب المرأة والشاعر لا يفارقهما الشباب أبداً . ومدت يدها إلى المغيرة ، تحسب أنه لما طنى عليها من الخيال ، عدى الحبيب ، فلما أحس بها أجفل منها وانتفض ، فتهاوى الحلم وتهافت ، وهبطت المسكينة إلى أرض الحقيقة الصلدة ، فإذا هى لم تفارق أرضها ولم تطر فى سماء الأمانى

(١) لأنهم كانوا قوما نصارى تمهر ناؤهم .

وإذا هى تتحسس وجهها فتلقاه ذابلا ذاوياً ذا غضون . ولا تلق على لسانها من قبل الحبيب إلا مرارة الفقد ، ولا تجد فى قلبها إلا ذكرى الفاجعة التى تركت لأجلها دنياها وبنت ديرها فحبست فيه نفسها ، فماذا يريد منها هذا الرجل الذى اقتحم عليها معتزلها فى هذه العشية الساكتة ، أجاء يخطب عجوزاً قد بقيت وحدها إرثا من الدنيا التى فنيت واضمحلت : دنيا النعمان وكسرى ، للدنيا التى يظهر أنها لن تضمحل أبداً : دنيا محمد ؟ أيريد أن يتزوج ميتة تمشى ؟ لا . بل هو يريد ابنة النعمان ، ونسيت تطوافها الأليم بمرابع ماضيها ، وغاب عنها الحبيب الذى كان يتراءى لها من وراء حجب الزمان — وأدركها ارثها الماجد من حزم النعمان — فقالت للمغيرة :

« لو علمت أن فى خصلة من جمال أو شباب رغبتك فى لأجبتك ، ولكنك أردت أن تقول فى المواسم ، ملكت مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته ، فبحق معبودك هذا أردت » ؟ قال : « أى والله » قالت : « لا سبيل إليه[1] » .

***

وخرج المغيرة ، وعادت العجوز إلى مكابدة الذكريات وحيدة فى لياليها الطوال ... وأعرض عنها التاريخ لا يلتفت إليها فيواسيها ، لأنه لم يتعود الوقوف إلا على أبواب الملوك ، وفى ساحات الحروب !

على الطنطاوى

(١) جمل من التاريخ ، والقصة على عهدة الشيخ الأموى صاحب الأغانى

توماسو كمبانلا

لألفرد فيبر

للأستاذ عبد الكريم الناصري

إنا نصيب في بحوث توماسو كمبانلا[١] — وهو كبرونو[٢] دومنيكي من جنوبي إيطاليا — ملامح من مقالات الإنجليز والألمان في العقل الإنساني، أعني من النقد الحديث[٣]. ولد هذا البطل الجريء من أبطال الإصلاح الفلسفي والحرية الإيطالية بقربة من « ستيلو » من أعمال كالبريا، سنة ١٥٦٨، وتوفي في باريس، سنة ١٦٣٩، بعد أن أنفق سبعة وعشرين عاماً في غياهب السجن بنابلي، بتهمة التآمر على الحكم الأسباني.

وكمبانلا تلميذ من تلامذة الشكاك اليونان. وقد علمته هذه المدرسة أن الميتافيزيقا تقوم على الرمل إن لم تبن على أساس نظرية في المعرفة. ومن ثم تبحث فلسفته أول ما تبحث في المسألة الصورية.

تنشأ معرفتنا من مصدرين: التجربة الحسية، والاستدلال العقلي؛ فهي إما « تجريبية » وإما « نظرية ».

هل المعرفة المحصلة بالإحساس يقينية؟

يرى أغلب القدماء أن شهادة الحواس يجب أن تغفل، ويلخص الشكاك شكوكهم في الحجة التالية: ليس الموضوع الذي تدركه الحواس إلا تكيفاً في الذات، وإن الواقعات (Facts) التي تحصل — فيما تخبرنا الحواس — خارج النفس، إنما تحصل على الحقيقة فيها. الحواس هي حواسي؛ إنها جزء مني؛ والإحساس واقعة تحدث فيّ؛ وهي واقعة أعللها بعلة خارجية، في حين أن الذات المفكرة قد تكون علتها المعينة ولكن غير الواعية؛ فليس هذا التعليل بأعسر من ذاك. وإذا كان الأمر كذلك، فكيف نستطيع أن نصل إلى علم يقيني بوجود الأشياء الخارجية وطبيعتها؟ إذا كان الموضوع الذي تدركه حواسي لا يزيد على أنه إحساسي، فكيف أبرهن على أنه موجود في الخارج؟ يجيب كمبانلا: بأني أبرهن على ذلك « بالحس الباطن ».

فالإدراك الحسي يجب أن يستمد صفة اليقين — التي لا يملكها في نفسه — من العقل: فالعقل يحيله معرفة. قد يشك الميتافيزيقي في صدق الحواس، ولكنه لا يستطيع أن يتهم الحس الباطن. بيد أن الأخير يكشف لي عن وجودي بلا واسطة؛ ويقين لا ظل من الشك فيه. إنه يكشف لي عن نفسي كائناً يوجد، ويفعل، ويعرف، ويريد؛ ولكن هيهات أن يفعل ويعرف كل شيء. إنه — بعبارة أخرى — يكشف لي عن وجودي وحدوده معاً. ومن ثم أستنتج بالضرورة أن هناك كياناً يحدني، أو عالماً موضوعياً يختلف عني؛ أو (لا أنا). وهكذا أبرهن بالمنهج البعدي a poteriori على حقيقة فطرية، أو قبلية a priori أو سابقة على كل تفكير: وهي أن وجود (اللا أنا) هو علة إدراكي الحسي.

أتدحض هذه الحجة مذهب الشك؟ ألحق أنها لا تبلغ من ذلك كثيراً، وإن فيلسوفنا ليعترف بهذا، ولايدعي لنفسه النصر والغلبة. فإن قولك إن الحواس صادقة في إراءتنا الموضوعات الخارجية، لا يلزم عنه بالضرورة أنها ترينا هذه الموضوعات على ما هي عليه. إن التطابق الذي تفترضه « التوكيدية »[١] بين تصورنا الأشياء ووجودها إنما هو — في رأي كمبانلا — نتيجة لتماثل (analogy) الموجودات، وهذا بدوره نتيجة لحقيقة ممتنعة على البرهان: وهي أصل الموجودات الموحد. ثم إنه لا يسلم أن لدى النفس الإنسانية علماً مطلقاً بالأشياء. قد تكون معرفتنا صحيحة، ولكنها لن تكون تامة أبداً. وهي إذا قيست بمعرفة الله تافهة أشبه بلا شيء. وقد كنا خلقاء أن نعرف الأشياء على ما هي عليه، لو كانت معرفتنا فعلاً محضاً: لو كان

(١) Tommaso Campanella

(٢) انظر العدد (٦٤٠) من « الرسالة ».

(٣) أسمي (لوك) و (هيوم) وآخرون بعض كتبهم (بالمقالات). مثلا: « مقال في العقل الانساني »، « مقال في الطبيعة الانسانية ». وبعد (كانت) مؤسساً لفلسفة النقد، أي نقد العقل والتحقق من حدوده وقواه، وهل هو أهل لحل المشاكل الميتافيزيقية العليا. بيد أن أبحاث لوك وباركلي وهيوم مهدت لظهور فلسفة النقد وفهم هؤلاء الفلاسفة ضروري لفهم كانت (المعرب).

(١) Dogmatism — التوكيديون هم القائلون بامكان معرفة الحقائق النصوى (المعرب).

إدراكنا خلقاً . إنا لأجل أن نعرف الأشياء على ما هى عليه ، أو بصورة مطلقة ، يجب أن نكون « المطلق » من حيث هو ، أى نكون « الخالق » نفسه . على أن معرفتنا وإن كانت مثلا أعلى لا يستطيع الإنسان تحقيقه — وهذا دليلٌ بيّن على أن هذه الدنيا ليست بداره الحق — فإن من واجب المفكر أن يشتغل بالبحث الميتافيزيقىّ .

والميتافيزيقا ، أو الفلسفة الكلية ، باعتبار موضوعها ، هى علم مبادئ الوجود أو شروطه الأولى ؛ وهى ، باعتبار مصادرها وآلاتها ومناهجها ، علم العقل ، الذى يفوق العلم التجريبى يقيناً وسلطاناً .

والوجود أو الكينونة معناها الصدور من مبدأ والرجوع إليه . ترى ما هو هذا المبدأ ؛ أو بالأحرى ما هى هذه المبادئ ؟ فإن الوحدة المجردة شىء عقيم . وبعبارة أخرى : ما هى شروط وجود الموجود ؟ الجواب :

١ — أن يكون « قادراً » على الوجود .

٢ — أن يكون فى الطبيعة فكرة أو « مثال » ، هذا الوجود تحقيق له (لأن الطبيعة لا تحدث شيئاً بغير علم) .

٣ — أن يكون ثمّ « نزوع » إلى تحقيق المثال . فالقدرة والمعرفة والإرادة هى مبادئ الوجود النسبىّ . ومجموعُ هذه المبادئ ، أو (بالأحرى) الوَحدة العليا التى تحويها ، هى الله . فالله هو القدرة المطلقة ، والمعرفة المطلقة ، والإرادة أو المحبة المطلقة .

وللمخلوقات أيضاً قدرة وإرادة وإدراك ، وحظوظها من هذه الصفات تتفاوت بتفاوت قربها من مصدر الأشياء . فإن الكون نظام متدرّج ، ينتظم العالَم العقلىّ ، أو الملائكىّ أو الميتافيزيقىّ (الملائكة ، والنفس العامة ، والنفوس الخالدة) والعالَم السرمدىّ أو الرياضى ؛ والعالَم الزمنىّ أو الجسمانى . وكل هذه العوالم — حتى العالم الجسمانى نفسه — تشارك فى المطلق ، وتعكس عناصره اللاهوتية الثلاثة : القدرة والمعرفة والإرادة .

كلُّ موجود فإنما يصدر عن الكائن المطلق ويسعى إلى الرجوع إليه . وبهذا المعنى يصحُّ أن نقول إن الموجودات المتناهية كلها بلا استثناء « تحبُّ » الله ؛ كلها ديّنة ؛ كلها تسعى إلى أن تحيا حياة الخالق اللانهائية ؛ كلها تفزع من اللاوجود ، وبما أنها جميعاً تحمل فى نفسها اللاوجود بالإضافة إلى الوجود ، فكلها تحب الله أكثر من ذاتها . إن الدين ظاهرة كلية ، مصدرها توقف الأشياء كلها على الكائن المطلق ؛ وإن علم الدين أو اللاهوت ليسمو على الفلسفة سمو الله على الإنسان .

بالرغم من كل هذا الذى سلمه كمبانلا للكاثوليكية ، وبالرغم من رسالته الموسومة « بالإلحاد المنتصر » ، كانت محاولاته فى الإصلاح موضع ريبة الكنيسة ، فلم يتحقق منها شىء . وقد يئست الفلسفة بعده أن تظفر بمزيد من التقدم فى إيطاليا ؛ فنراها من ذلك الوقت تقيم فى البلدان التى أنارها أو حررها الإصلاح الدينى : فى إنجلترا ، وعلى ضفتى الراين[1] .

(بغداد) **عبد الكريم الناصرى**

(١) يعد چيوفانى باتيستافيكو (Vico) — المتوفى عام ١٧٤٤ — أشهر الفلاسفة الايطاليين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد عرف خصوصاً بكتابه « العلم الجديد » (نابلى — ١٧٢٥) وهو من أولى المحاولات لايجاد فلسفة التاريخ وقد حاول مفكرون محدثون قديرون من أمثال جالوبى ، وروسمينى ، وچيوبرتى ، وماميانى ، وفرارى — أن يعيدوا إلى إيطاليا ما كانت تتمتع به فى عصر الاحياء ، من جاه فلسفى . انظر فى ذلك رفائيل ماريانو : « الفلسفة المعاصرة فى إيطاليا » :
Mariano: "La philosophie contemporaine en Italie," Paris, 1868
(المؤلف)

قصـــة بنى إسرائيل

فى القرآن الكريم

للأستاذ على محمد حسن

[مهداة إلى يهود القرن العشرين الذين يريدون دخول فلسطين بالقوة بمناسبة وعد بلفور] .

أشرت فى عدد سابق من الرسالة إلى بعض مواقف بنى إسرائيل مع نبيهم القوى الأمين موسى بن عمران ، وعطفت بإشارة أخرى إلى بعض مواقف أجدادنا العرب فى نصرة دينهم ، وميَّلت بين الشعبين ووزنت أقدار أولئك بأقدار هؤلاء فشالت كفة الإسرائيليين وخفت موازينهم .

واليوم أهدى إليهم قصة آبائهم مفصلة بعض التفصيل ، ولست أتجنى عليهم ولا أتزيد فإن الحقائق نفسها أعجب من سبحات الخيال . وسأكتفى — ما استطعت — بما جاء فى كتاب الله الحكيم الذى جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولقد عنى القرآن بأخبار الأمم السابقة لمكان العبرة فيها وموضع العظة « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »(١) ولكنه عنى عناية خاصة بأعاجيب بنى إسرائيل ليهون على النبى صلى الله عليه وسلم ما يلقاه من يهود المدينة فهم — كآبائهم — أهل غدر وخيانة ، وطالما نكثوا عهودهم « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون »(٢) وليهددهم إذا استمرأوا هذا المرعى الوبىء واستعذبوا هذا الورد الآسن من الغدر والكيد والخيانة بأن مصيرهم كمصائر آبائهم ، كما حذر الله النبى والمؤمنين منهم « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا »(٣) ولقد صدق الله فبأيديهم فتح باب الشر على المسلمين . فتحه عبد الله بن سبأ فنفذ منه الناس ، إلى قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومنذ ذلك الحين ومعاول الفتن تهدم فى دعائم السياسة الإسلامية ، وبسوء دخائلهم اختلطت الخرافات والأساطير بالتراث الإسلامى فكدرت منهله الصافى ، وغبَّرت مناهجه الواضح ، ونالت من حقائقه السامية .

واليوم يتجلى لنا مصداق هذه الآية ، فنراهم مصدر قلاقل للعرب عامة وللمسلمين خاصة وإنا لعلى يقين أنه سيصدق فيهم قول الله عز وجل « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب »(١) .

والعجب — بل ليس بعجيب لأن الأمم بأخلاقها — أن بنى إسرائيل أعيَوا جميع أنبيائهم ، حتى بلغ من كفرهم أن قتلوا بعضهم « ويقتلون النبيين بغير الحق »(٢) . شكا منهم موسى « رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين »(٣) وشكا منهم هرون « إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى »(٤) . وشكا منهم داود وزكريا ويحيى ؛ وأخيراً يسميهم الله بهاتين الآيتين ويصمهم بهما « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »(٥) ثم كانوا شوكة فى جنب الدعوة الإسلامية ، فحاولوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ولكن الله الذى يعلم خبث نفوسهم عاجلهم بالعقوبة « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين »(٦) .

* * *

نزل يعقوب وهو إسرائيل مصر فى زمن ابنه يوسف عليه السلام وأعقب بنين اثنى عشر كانوا فيما بعد فرقا سماهم القرآن أسباطا وتكرر ذكرهم فيه ، وظلوا ينعمون بخيرات مصر وأرزاقها زمنا طويلا حتى جاء (رعمسيس الثانى) فاضطهدهم وعاداهم عداء

(١) سورة يوسف الآية ١١١ .
(٢) سورة الأنفال ٥٦ . (٣) سورة المائدة ٨٢ .

(١) سورة الأعراف ١٦٧ . (٢) سورة البقرة ٦١
(٣) سورة المائدة ٢٥ . (٤) سورة الأعراف ١٥٠
(٥) سورة المائدة ٧٨ ، ٧٩ .
(٦) سورة الحشر ٢ .

شديداً وجعل يقتل أبناءهم ، وأراد الله أن يسبغ عليهم نعمه فنجاهم وأهلك عدوهم و (دللهم وأعطاهم حكم الصبي على أهله فأتاهم بالعجائب وفعل بالأمم الظالمة لهم الأفاعيل ، واحتمل صلفهم وطغيانهم ولم يترك وسيلة من وسائل استرضائهم إلا فعلها وهم لا يزيدون إلا عناداً ومخالفة عن أمره)[١] . جاء موسى إلى فرعون يدعوه إلى الله وحده لا شريك له ويستوهبه بني إسرائيل ، ولكنه طغى واستكبر وقال أنا ربكم الأعلى ، فأوحى الله إلى موسى أن أسر بعبادي فرأوا فرعون يتبعهم ، فقالوا إنا لمدركون . قال كلا إن معي ربي سيهدين . وفرق بهم البحر الأحمر وعبروا فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل « وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم . وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون »[٢] . وكانت هذه نعمة عظيمة لو أنفقوا أعمارهم ساجدين لله شكراً ما وفوها حقها ، لكن نفوسهم الخبيثة أبت إلا أن تستعلن فما كادوا يعبرون البحر حتى نسوا ما كانوا فيه وجحدوا نعمة الله عليهم وطلبوا إلهاً غير الله يعبدونه « وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالو ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة »[٣] وعجبت لموسى أن يكون معهم هذه المرة لطيفاً هادئاً وأن يجادلهم بالمنطق ويدعوهم بالتي هي أحسن « قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين »[٤] وسكنوا إلى حين وخضعوا على دخن ، فلما سنحت لهم الفرصة نهزوها فما كاد موسى يذهب لمناجاة ربه حتى صنعوا من حليهم عجلا يعبدون ، وعبثاً حاول هرون أن يردهم قال « يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى »[٥] . « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي ، أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح وأخذ رأس أخيه يجره إليه ، قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ، فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين » .

وهنا نرى عجيبة من أكبر عجائبهم ، وذلك أن موسى تخلهم واختار منهم سبعين رجلا ليتوبوا إلى الله من عبادة العجل ، وكان الظن بهم أن يكونوا بررة أطهاراً ، ولشد ما دُهش موسى حينما قالوا له « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة »[١] فندد بهم القرآن ، وجعلها مخزاة في أعقابهم « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة »[٢] ووبخ العرب لما حاولوا أن يعنتوا مع النبي « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل »[٣] ثم أخذ موسى يشرح لهم ما في الألواح ويعرض عليهم شريعته ، ولكن رأى من كفرهم وعنادهم ما جعل الله تعالى يريهم آية من آيه « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون »[٤] . وكان من شأنه بعد ذلك ما ذكرته في (الرسالة) سابقاً من دعوة موسى لهم إلى دخول الأرض المقدسة ونكولهم عنها وخوفهم من سكانها فحرمت عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض. وهناك في التيه أنزل الله عليهم المن والسلوى وظلل عليهم الغمام ولكنهم يئسوا من هذه النعم وملوها وقالوا يا موسى « لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها »[٥] . ومات هرون في التيه ومات موسى ومات جيلهم القديم فلم يكن من الناشئة إلا كما كان من آبائهم ؛ أمروا أن يدخلوا (أريحاء) فدخلوها ولكنهم بدلوا قولا غير الذي قيل لهم .

ولعل من أولى مواقف بني إسرائيل بأن نهديه إلى يهود اليوم ما كان منهم مع نبيهم صموئيل « ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ، قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا؛ قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ؟ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين »[٦] . ولو ذهبنا نتتبع جميع مساوئهم لطال بنا القول فنجتزىء بهذا القدر ففيه بلاغ . ولكن يبدو هنا سؤال وهو إذا كان بنو إسرائيل بهذه

(١) قصص الأنبياء للمرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٢٥٤ .
(٢) سورة البقرة ٤٩، ٥٠ (٣) سورة الأعراف ١٣٨ .
(٤) سورة الأعراف ١٤٠ (٥) سورة طه ٩٠ ، ٩١ .

(١) سورة البقرة ٥٥ . (٢) سورة النساء ١٥٣ .
(٣) سورة البقرة ١٠٨ . (٤) سورة الأعراف ١٧١
(٥) سورة البقرة ٦١ . (٦) سورة البقرة ٢٤٦ .

مين دى بيران

(١٧٦٦ - ١٨٢٤)

فيلسوف المذهب الروحى فى العصر الحديث

للأستاذ زكريا ابراهيم

مين دى بيران فيلسوف فرنسى ممتاز ، أدرك الباحثون قيمته بعد وفاته ، فاهتموا بنشر مؤلفاته ، واعتنوا بدراسة فلسفته . وقد ذاعت شهرته على أثر ذلك ، فلقى مذهبه رواجاً كبيراً بين الأوساط الفلسفية التى أقبلت على دراسته .

والفكرة الأساسية التى يقوم عليها مذهب « دى بيران » هى أن الحقيقة الجوهرية الأولى ليست سوى « الذات » باعتبارها مريدة ، أى « الروح » باعتبارها فاعلة . فما يكون جوهر الإنسان ، إنما هو الإرادة . والإرادة هى التى تميز الإنسان عن الحيوان ، لأن الإنسان لا يحيا ويحس ويشعر فحسب ، بل هو يفكر ويريد ويفعل . وإذا كان الإنسان يدرك ذاته ، فإنه لا يدرك هذه الذات إلا باعتبار أنها علة ، وقوة ، وإرادة ، وجهد ، وفعل . ومعنى هذا أن نقطة البدء فى كل معرفة حقيقية ، إنما هى تلك الواقعة الأولية للشعور أو الوعى الإنسانى ، وهى الحس الباطن أو التجربة الباطنة . وفى هذه البداية يتفق دى بيران مع فخته Fichte، اتفاقاً كبيرا ، حتى لقد سمى كوزان فيلسوفنا باسم : « فخته الفرنسى » .

غير أن دى بيران يستبدل بفكرة فخته عن « الفعل » فكرة أخرى جديدة هى فكرة « الجهد » . فالواقعة الأولية عند مين دى بيران ليست هى « الإحساس المجرد » الذى يقول به كوندياك Condillac ، وليست هى « الفكر » بالمعنى الذى قصد إليه ديكارت ، بل هى « المجهود » الذى يقوم عليه إدراك الذات لنفسها .

ولما كانت الواقعة الأولية للذات « Le Fait primitif » هى إدراكها لنفسها ، من حيث هى قوة حرة ، تعمل وتشرع فى الحركة ، بإرادتها الخاصة ؛ فإن الصواب (فى نظر دى بيران) لا أن نقول (كما قال ديكارت) : « أنا أفكر ، فأنا إذن موجود » أو بعبارة أخرى : « أنا أدرك نفسى باعتبارى علة حرة ، فأنا إذن علة موجودة بالفعل » . وفى موضع آخر نجد مين دى بيران يصحح مقالة ديكارت فيقول : « إذا كان ديكارت قد توهم أنه اهتدى إلى المبدأ الأول لكل علم حين قال : « أنا أفكر ، فأنا إذن شىء موجود ، أو جوهر مفكر » ، فإن فى استطاعتنا أن نقول — تصويباً لهذه العبارة — وبالإستناد إلى شهادة الحس الباطن التى لا ترد : « أنا أفعل ، أنا أريد ، أو أنا أتعقل الفعل فى ذاتى ، فأنا إذن أدرك نفسى كعلة ، وإذن فأنا موجود ، أو أنا كائن باعتبارى علة أو قوة » .

هذه الحقيقة الأولى التى يؤكدها دى بيران بكل قوة (حين يقول إن الذات تدرك نفسها باعتبار أنها مجهود ، وإرادة ، وفعل) تدلنا على أن فيلسوفنا هذا كان المؤسس الأعظم للمذهب الروحى فى العصر الحديث ؛ وهو المذهب الذى ساعد على تقدم علم النفس ونظرية المعرفة ، والعلوم الخلقية على وجه العموم ، فى نهاية القرن التاسع عشر . والواقع أننا إذا نظرنا إلى بيران ، سواء من الناحية الذاتية أو من الناحية الموضوعية ، فإننا نجد أنه من أعظم المفكرين الذين قادونا إلى الناحية الباطنة فى الإنسان[1] . بل ربما كان بيران أعظم فلاسفة المذهب الروحى فى فرنسا . وهو بالفعل قد توفر على التوسع فى المذهب الروحى الذى أقامه أستاذه « ليبنتس » ، فأظهرنا على أن الإنسان (فى حقيقة الأمر) ليس ألعوبة فى يد الأقدار ، أو عبداً ذليلا للضرورة المستبدة ، بل هو ذات مريدة فاعلة ، لا تستمد نشاطها وقدرتها على الفعل من الأشياء الخارجية ، بل من جهدها الإرادى ونشاطها الذاتى ، أعنى من الإرادة » .

والنفس الإنسانية — فى نظر بيران — لا تتمثل باعتبارها

(١) لا بد لنا أن نشير إلى أن الناحية الذاتية عند بيران ، كما تكشف عنها مذكراته الخاصة « Journal intime » تتفق تمام الاتفاق مع الناحية الموضوعية عنده ، كما يكشف عنها كتابه الموسوم باسم : « علم الانسان « Anthropologie » .

الأخلاق فكيف اختارهم الله ؟ والجواب عند سيدنا موسى على ما ذكرته التوراة : لا تظنوا أن الله سيأتى بكم الأرض المقدسة بسبب قداستكم وطهارتكم وأنكم أفضل الناس فى طاعته . كلا . فإنه إنما يطرد الأمم أمامكم لردائهم ورجسهم المعظمين .

على محمد حسن

المدرس بمعهد القاهرة

ذاتا فاعلة ، إلا بالممارسة المستمرة لقوتها الخاصة ؛ ما دامت هذه الممارسة حرة غير خاضعة لأية ضرورة أو قوة خارجية ، أى مادامت غير متوقفة على قوى الطبيعة الخارجية .

وقد فرق بيران بين الإنسان والحيوان من جهة ، وبين الإنسان والله من جهة أخرى . غير أنه لم يقصد بهذه التفرقة أن يقيم هوات غير معبورة بين الحيوان والإنسان ، أو بين الإنسان والله . وإنما الذى اهتم به بيران وقصد إليه فعلا ، هو أن يقرر تلك الحقيقة الهامة عنده ، وهى أن الحياة الإنسانية بمعنى الكلمة إنما هى تلك التى تعلو على المستوى الحيوانى . وما يميز الحياة الحيوانية (فى نظره) هو أنها تخضع للانفعالات العمياء ؛ أعنى أنها لا تتميز بالحرية والإرادة والإختيار . وعلى الرغم من أن بيران لا ينزل بالحيوان إلى درجة « الآلة » ، كما فعل ديكارت ، فإنه يعتبر أن الحيوان يحيا دون أن يعرف ما هى حياته ، ويشعر دون أن يعرف أنه يشعر ، أى بعبارة أخرى ليس لديه « ذات » أو « إنية » .

أما الحياة الإنسانية فإنها تبدأ حيث تنتهى الحياة الحيوانية ، أى حيث يبدأ الشعور بالذات ، أو التجربة الباطنة التى تدرك فيها الذات نفسها على أنها قوة فاعلة وإرادة حرة . وبعبارة أخرى فإن الإنسان لايحيا حياة إنسانية خالصة ، إلا بقدر ما يتحرر من الضرورة العمياء ، والأهواء الأنانية . والحيوانية داخلة فى الحياة الإنسانية ، نظراً لأن الإنفعال موجود فى الإنسان إلى جوار الفعل ؛ ولكن فى استطاعة الإنسان أن يشارك فى حياة غير إنسانية ، هى حياة الروح التى تعلو على الحياة البشرية . وفى هذا الصدد يتفق بيران مع نيتشه الذى يقول : إن الإنسان وتر مشدود بين الحيوان والإنسان الأعلى . — وما يميز الحياة الإنسانية بالنسبة إلى الحياة الحيوانية والحياة الروحية ، هو النشاط والشخصية وحرية الفعل ؛ أعنى المجهود الذى يبذله الإنسان فى مقاومة الأهواء ، وتنمية قواه النفسية ، من أجل الوصول إلى حياة إنسانية بمعنى الكلمة . أما بالنسبة إلى ما هو دون الإنسان أو ما هو فوق الإنسان ، فليس ثمة جهاد أو صراع ، لأنه ليس ثمة جهد أو مقاومة — .

والحياة الإنسانية هى فى أعلى صورها تحرر من نير الأهواء والإنفعالات ، وتجاوز لمرتبة الحياة الحيوانية ، وارتفاع إلى مرتبة الحياة الروحية .

زكريا ابراهيم
مدرس الفلسفة بمدرسة السويس الثانوية

من وحى الصيف :

على جبل الرويس

للأستاذ حسن الأمين

سقياً لأيام الرويس فطالما … كانت لأدواء الفؤاد دواء
ناقى الجمال الغض فى ذرواته … وعلى السفوح الماء والخضراء
ويشوقنا الأصباح فى أفيائه … ونطيب حول كرومه إمساء
قد جئته قلباً ينوء بدهره … هماً ويرزح شقوة وعناء
عبست له الدنيا فلم ير باسماً … للناس إلا أن يكون رياء
رضى الشجون من الحياة صحابة … ومن الزمان همومه خلطاء
حتى إذا برز الرويس وأقبلت … دنياه تزخر متعة ورجاء
بعثت هوى القلب القديم وهيجت … للحب فيه الوجد والبُرَحاء
وجلت لنا الحسن الرفيع وأطلعت … فى كل أفق كوكباً وضاء
وطلعت يا ظمياء فى صرح الصبا … وجهاً أغر ومقلة نجلاء
ودعوت للحب المبرح والجوى … قلباً خلياً من هواك نجاء
أحببت أفياء الرويس وإنما … أحببت من حبى لك الأفياء
فالليلة القمراء فيه لم تكن ، … إلا بوجهك ليلة قمراء
والروضة الغناء ما كانت لنا … إلا بحسنك روضة غناء
لم يحل لولاك الرويس ولم يطب … أرضاً ولم يعذب لدىّ سماء
قد كنت بهجته و كنت رواءه … فسما بعينى بهجة ورواء
تمشين فى الأرجاء عاطرة الشذى … فتعطرين بعرفك الأرجاء
ويطل وجهك فى السجوف كأنما … ألق السعادة فى السجوف تراءى
وأراك فى غسق الزمان فأجتلى … نور الضحى من مقلتيك أضاء
يا أيها الجبل الأشم أسامع … نجوى يرددها الفؤاد وفاء
إنى لأطرح فى ذراك كآبتى … وأرد عن قلبى بك البأساء
وتهيجنى ظمياء فيك ملاحة … وتثير أشواقى لها إغراء
كانت ليالينا عليك ضواحكا … أبداً وأيام الهوى غراء
أرشفتنا العذب الزلال على الظما … ومنعتنا الأكدار والأقذاء
وعرفت فى واديك غر مباهجى … ولمست تحت ظلالك السراء
إن تحبُنى العيش الرغيد فلن أنى … أشدو بذكرك فى الحياة غناء
وأرتل الشعر الرقيق منمقاً … بجمالك الإنشاد والإنشاء

(بغداد)

حسن الأمين



رأى الأستاذ عبد الرحمن الرافعي فى كتاب :

من يوميات محام

عزيزى الأستاذ عبده حسن الزيات

قرأت كتابك الجديد (من يوميات محام) فقضيت فى قراءته وقتاً غير قصير استوعبت خلاله ما جاد به قلمكم من سديد النظرات ، وبديع الأفكار والتأملات ، وصادق الأمانى والآمال وقضيت وقتاً آخر فى الإعجاب بالروح التى أملت عليكم هذا الكتاب . إنها روح الرغبة المتوثبة فى الإصلاح والنهوض القوى والبرم بما يعترض هذا الإصلاح من شتى العلل والعقبات . فياحبذا هذه الروح الطيبة وياحبذا الكتاب الذى يبرزها ويجليها !

رأيتك أيها الزميل تدون خواطرك وملاحظاتك اليومية عن المحاماة والحياة القضائية والإجتماعية عامة ، وما أحوجنا إلى أن نتعرف هذه الخواطر والملاحظات ، فإن المحاماة ما هى إلا الحياة الإجتماعية على حقيقتها فى معاملات الناس وعلاقاتهم بعضهم ببعض وما يتخللها من صدق أو غش ، ووفاء أو غدر ، وشجاعة أو جبن ، ونبل أو ضعة ، وفضيلة أو رذيلة . إننا نشهد فيها صورة متناقضة من الحياة . ولقد جلوت هذه الصور ، ومجدت النواحى السامية منها ، واستنكرت نواحى النقص والضعف الخلق فيها فجاءت يومياتك خير دعاية للمثل العليا .

رأيتك فى كتابك تشرح بعض مواطن النقص من حياتنا القضائية عامة ، سواء فى دور المحاكم أو فى ملفات القضايا أو فى أقلام الكتاب والمحضرين ، ولم يفتك أن تأخذ على زملائك فى المهنة ما رأيت موضعاً للنقد . وفى الحق إنها لشجاعة أدبية تحمد عليها ، وإنها لملاحظات ومشاهدات جديرة بأن تكون أساساً للنهوض فى نواح عديدة من نظمنا القضائية والتشريعية ؛ فإن هذه النظم على أنها سائرة فى الجملة إلى الأمام فى حاجة إلى معالجة وإصلاح مستمرين لا ينقطعان .

وفى كتابك ناحية أخرى جديرة بالإعجاب ، وهى أنك ما أردت منه إلا الخير والإصلاح ، وما قصدت إلا وجه الوطن ، وعند ما انتهيت من قراءته عدت إلى التأمل فى مقدمته التى تقول فيها : « إلى مصر الخالدة ، التى عاهدت ربى أن أعيش من أجلها ، وأفنى فى سبيلها ، عزيزاً على عداتها ، ذليلا على حماتها ، سيداً حر الضمير فى خدمتها ، عبداً متقرباً إلى الله بطاعتها » . فعلمت وتحققت أن الكتاب يعرف من عنوانه .

فتقبل أيها الزميل الفاضل خالص تهنئتى على هذه التحفة الأدبية والإجتماعية والروحية التى أخرجتها لمصر وللناطقين بالضاد ؛ وشكراً لك وألف شكر والسلام .

عبد الرحمن الرافعى

مكتبة الكيلانى للأطفال [1]

... وهكذا نجحت - يا أستاذ - فى أن تحبب إلى الأطفال مكتبتهم وتغريهم بالمطالعة [2] . ولئن أدرك الأطفال — رياض الأطفال - مراداً بعيداً ، لقد فتحت لهم ، بمكتبة الأطفال - فتحاً جديداً . أدركت أرب نفوسهم ، وأبدلتهم أنساً من عبوسهم ، وهجت للمعالى أشواقهم ، وحسنت لغتهم وأخلاقهم [3] . والأستاذ الكيلانى منشئ مكتبة الأطفال أديب عالى جدير بما يهدف إليه من نبيل الأغراض [4] . وإنه ليسرنى - إذ أتابع مع التقدير هذا الجهد العلمى المتواصل - أن ألاحظ مقدار العناية التى تبذلونها فى هذا السبيل ، والفائدة التى تعود على النشء منه بتهيئة أذهان الأطفال وعقولهم لتقبل خير الأفكار والمعانى وتقديمها لهم على مثل هذه الصورة الطريفة [5] . وإنى وقد تتبعت هذا المجهود القيم المتصل لا يسعنى إلا الإعجاب بما تساهمون به فى سد نقص يشعر به جميع الآباء فى تعليم أطفالهم [6] . فشكر الله لك ما هدفت إليه من تنشئة الطفل : مشبوب الشغف بالقراءة والدرس ، موفور الحظ من متاع الفكر ، مستقيم اللسان على نهج البيان [7] . فهى

(١) نخبة من آراء حضرات أصحاب الرفعة والمعالى والسعادة مرتبة أسماؤهم على الحروف الهجائية
(٢) أحمد لطفى السيد باشا
(٣) أحمد نجيب الهلالى باشا
(٤) جعفر ولى باشا
(٥) على ماهر باشا
(٦) محمد بهى الدين بركات باشا
(٧) محمد توفيق رفعت باشا

تتمشى مع طباع الطفل الشرقي وغرائزه حتى يترعرع ، وتجعل الحلقة متصلة بين المدرسة والبيت ، في قصص مناسبة متماسكة مع نفسية الطفل وعقليته وبيئته وما يهوى سماعه أو يميل لوعيه بأسلوب صحيح فصيح ، إذا حفظه الصبي صغيراً نفعه كبيراً [١]. ومن ثم يشب الطفل ، وقد صحت ملكته ، وأشربت الفصحى فكرته [٢].

إلى الأستاذ على الطنطاوي :

تفضلت أيها الأخ الكريم فكتبت كلمة جريئة موفقة في نقد « النشيد السوري » ؛ ولقد أعجبني هذا الشعور الوطني الجميل الذي يدعوك إلى أن تجدد للوطن أناشيده وأهازيجه كما تجددت فيه روح الحرية والاستقلال ، ولكني لاحظت أنك عندما تعرضت لنقد هذين البيتين :

حماة الديار عليكم سلام
أبت أن تذل النفوس الكرام

قد قلت : « ثم هذا السلام المنكر ، من منكر القول ، وهو بلهجة أروام الاسكندرية وأرناؤوط الشام أشبه ، وليس يليق بهذا المكان ، ولا محل له في البلاغة » ... قرأت هذه الفقرة من حديثك فتوقفت ، وتفكرت ، فذكرت أن قول الشاعر « عليكم سلام » تعبير بليغ لا غبار عليه ، وقد اقتدى فيه صاحبه بالقرآن الكريم — المثل الأعلى لكل بليغ — ففي سورة هود « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا سلاماً ، قال سلام » وفي سورة الذاريات : « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال : سلام » . ولا شك أن إبراهيم قد أراد أن يكون جوابه أبلغ من تحية الملائكة ، اقتداء بأمر الحق تبارك وتعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها » فاستعمل الإسم المرفوع الدال على الدوام والثبوت ؛ ولذلك نرى الإمام جار الله الزمخشري حينما تعرض لتفسير آية الذاريات السابقة يقول (م ٤ ص ٢٩ الكشاف) : (سلاماً) مصدر سادٌّ مسد الفعل ، مستغنى به عنه ، وأصله نسلم عليكم سلاماً ؛ وأما (سلام) فمعدول به إلى الرفع على الابتداء ، وخبره محذوف معناه عليكم سلام ، للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به ، أخذا بأدب الله تعالى ، وهذا أيضاً من إكرامه لهم » !..

ومن هذا يتضح للأخ المفضال أن تعبيره السابق عن تعبير قرآني بليغ ، ولولا أن نقد الأستاذ لتعبير الشاعر عن تعبير القرآن الكريم من قريب أو من بعيد لما قوي الداعي الذي دعاني إلى توجيه هذا الحديث ، وجل المتعالي عن النسيان !

أحمد الشرباصي
من علماء الأزهر الشريف

مجلة كلية البوليس :

صدر العدد الثالث من مجلة كلية البوليس الملكية ويشرف على تحريرها الأميرالاي على بك حلمي . وهي حافلة بالأبحاث القيمة المتصلة بحياة رجال البوليس وعلاقتهم بالمجتمع فضلا عما حوته من البحوث التشريعية والبحوث الإجتماعية الوثيقة الصلة بعمل البوليس . وقد اشترك في الكتابة بها طائفة من كبار رجال القانون والإدارة ممن اشتهروا بضلاعتهم في العلم واكتسبوا خبرة عظيمة في شئون الأمن ، ولذلك فسحت المجلة صدرها لفريق من طلاب الكلية فظهرت بها آثار أقلامهم الناهضة .

ومن ذلك نرى أن هذه المجلة تعد نهضة ثقافية جليلة الأثر في حياة الكلية . ومرد الفضل في ذلك إلى مديرها الأميرالاي على بك حلمي الذي اشتهر بهمته في كل ما يلي من عمل والذي عرف ببحوثه القيمة في كثير من نواحي الإجتماع .

ونحن إذ ننوه بفضله نستحث رجال البوليس جميعا على الإفادة من هذا الأثر الطيب ، ونستزيد محرري هذه المجلة بحوثا جديدة في الأعداد القادمة ، ونرجو لها التوفيق الدائم فيما ترمي إليه من غرض كريم .

م . ف

تصويب :

وقع (أيضا ...) في مقالة (هذيان مجنون) في العدد ٦٤٢ تطبيعات ، هذا صوابها :

صفحة	عمود	سطر	خطأ	صوابه
١١٤٢	١	١٦	برفق	برقعه
١١٤٢	٢	١٩	على خفقانه	عليه خفقانه

أما من ظن أني أسخر بالجمعيات الإسلامية فليسأل الله أن يرزقه الفهم !

علي الطنطاوي

(١) محمد حلمي عيسى باشا
(٢) محمد علي علوبة باشا



أسطورة اسلامية من الأدب الروسى :

السلطان وولده ...

للكاتب الروسى مكسيم جوركى

للأستاذ مصطفى جميل مرسى

« يعد مكسيم جوركي – شيخ الأدب الروسى – قطباً من أقطاب الثورة البلشفية الذين مهدوا بما كانوا يسطرون لقيامها أمثال ليون تولستوى والامير كورباتكين ولد جوركى فى سنة ١٨٦٨، ونشأ فقيراً يعانى شظف العيش وذاق مرارة الحياة بين تلك الطبقة السفلى من المجتمع. فكان لذلك أثر جلى فى طبع أدبه بطابع البؤس والشقاء. وفى هذا يصل مكسيم إلى ذروة فنه ، وقد لبث جوركي يقود الحركة الأدبية فى روسيا إلى أن وافته منيته سنة ١٩٣٦ بعد أن أخرج عدة كتب تعد من روائع الأدب الروسى ؛ منها « الأعماق السفلى » « The Lswer Depths » وكتاب « ذكريات الشباب » .

وفى هذه القصة التى نقدمها اليوم إلى قراء (الرسالة) نهج جوركى نهجاً جديداً ولكنه رائع ممتع ... نهجاً يتجلى فيه خيال جوركى الخصب ، وأفكاره البديعة ، ومعانيه الجليلة وأساليبه الرائقة .

وسيلمس القارئ الكريم ذلك بينا في هذه القصة » .

م . جميل

اعتمد « التتارى » الأعمى ظهره إلى جذع شجرة من أشجار التوت ، وراح يقص واحدة من تلك الأساطير التى سطرتها الذكريات فى عقله عن شبه جزيرة القرم ... والتف حوله حشد من « التتار » فى بردهم الموشاة المفوفة ، ومطارفهم الزاهية المخملة ... وقرت فوق رؤوسهم قلانس مطرزة بالذهب ... وقد جلسوا على أحجار دارسة ، وأطلال بالية ، كانت حينا قائمة فى جدران قصر فاخر لسلطان من السلاطين القدماء .

كانت الشمس تنحدر نحو مستقر لها فى البحر ، فتبعث أشعتها الجاهدة الكليلة وقد راحت تخترق ستور الظلام ... وتعبث بحلكته ، وتميس بين أوراق الطحلب فتخلع عليها روعة وبهاء ، وتسيطر على الأطلال فتبعث فيها شيئاً من الرهبة والرواء ...

وبرحت الريح رخاء تداعب غصون الأشجار ، وتصاول الأوراق فيسمع لها حفيف وزفيف ... وكأن صوت الرجل ينبعث واهناً فيه بعض من الاختلاج والاضطراب ؛ أما وجهه فكالصخر جامد لا ينم تجعده على شىء سوى الراحة والهدوء . وانسابت الألفاظ من لسانه حيناً ، ومن قلبه أحياناً تعيد لسامعيه صورة جلية للأيام الخالية العامرة بالهناء ...

ولم يلبث أن قال فى صوت جليل ، وجرس ندى :

« زعموا أنه عاش فى شبه جزيرة القرم سلطان يقال له ... « مسيلمة الأسراب » وكان له ولد يدعى « توليق الجلى » .

كان هذا السلطان كهلا ، بيد أن قصره ضم كثيراً من النساء اللائى عشقن السلطان الكهل ... فما زال جسده يمور قوة ونشاطاً ، ولا زالت نفسه تمور مرحاً وشباباً ... وما برحت النساء يعشقن ذا القوة والبأس . ! إذ يقال ان الجمال يكمن فى ثنايا القوة ... لا تحت الأظافر الناعمة والوجنات الأسيلة المخضبة ...

كن جميعاً يعشقن السلطان ، ولكن السلطان ينصرف عنهن إلى ظبية سباها فى حرب له مع « القوزاق » عند مروج نهر « الدنيبر » ... وكان يخص هذه الفتاة بجل حبه وعطفه وحنانه وينفر عن نسائه وجواريه وقد نيفن على الثلثمائة من كل فج وبلد . نسوة منهن العذراء والخود والبضة ، والعطبول والغيداء والغانية والرقراقة إلى غير ذلك ... كانت كل منهن على جمال رائع كالزهور ، وقد تفتحت أكمامها فى صبيحة يوم اضحيان من أيام الربيع ...

لم يبخل السلطان عليهن بمال ... بل كان ينفق عليهن بسعة ويجلب لهن ما يوددن ... أنى لهن بالخمر الفاخرة ... وبما لذ وطاب من طعام وشراب . وكان يأذن لهن بالرقص واللهو كما يحلو لهن . ولكن إيثاره للفتاة القوزاقية بحبه كان ينغص عيشهن بعض التنغيص ...

كثيراً ما كان يدعو الفتاة القوزاقية إلى جناحه حيث يشرف

على البحر المسبطر إلى الأفق ... حيث أعد لهـا كل ما تتطلع إليه نفس امرأة ويهفو نحوه فؤادها كى تلحقها السعادة فى الحياة ... الحلوى والفاكهة والشفوف والثلائل ... والقلائد من ذهب، والأقراط من شذور، والوشائح من زمرد ... وتغريد الطيور المندلة بأغاريد عذبة ...

هذا غير ما ميز به السلطان من لطف المعشر ودماثة وفتنة ... فى هذا الفردوس يقيم السلطان أياماً وليالى يمتع نفسه بهذا النعيم ويتذوق الراحة والسعادة وهى تسمى إليه بعد العناء الذى يلقاه من أعباء الحكم ... يقضى أيامه وقلبه آمن على ولده ... وقدرته فى أن ينهض بعظمة السلطنة إبان غيبته ... فهو يعلم كيف ينسل ولده إلى مروج الروس كالذئب فيغزوها ويغير عليها ... ثم يعود والنصر يعقد لواءه على رأسه ... فيكللها بآيات المجد والفخار ... يعود مثقلا بالغنائم والأسلاب ... والسبايا الفاتنة ... يعود بعد أن يخلف الذعر والإضطراب ... وفلول الأعداء ملوثة بالدماء والهزيمة ...

***

وحدث مرة أن عاد « توليق » من إحـدى غزواته للروس فائزاً مظفراً ... فأقام حفلا دعى إليه الأمراء وعظماء الدولة ابتهاجاً بالنصر المبين ... وعقدت المباريات ومدت موائد الطعام ... وراح القوم يقذفون نبالهم على أعين الأسرى ليعرفوا من هو أشد الجمع ساعداً، وأصوب رمياً ... وعادوا إلى الشراب ينهلون حتى أترعوا وهم بين ذاك وذاك يمجدون هذا الفوز والنصر الذى أحرزه بطلهم العظيم « توليق الجلى » ... ويشيدون بالخوف والهلع وقد خلفهما ينخران فى عظام أعدائه .

أما السلطان فكان سروره بفوز ولده لا يعادله سرور ... وكان يعتقد أنه إذا ما انتقل إلى السماء سيستوى على العرش من بعده سلطان قوى مرهوب الجانب ...

رغب أن يبدى لولده مبلغ حبه وإخلاصه له – على مرأى من شعبه ورعيته فهم والقدح فى يده وقال :

« بنى العزيز « توليق » ... فتح من الله ونصر مبين ... والنصر آية من آيات رسوله ونبيه ... »

فارتفع صوت الحشد يترنم بأنشودة حماسية تمجد نصر النبي ،

ثم عاد السلطان فقال : « إن الله عظيم خبير ... لقد جدد قوتى ومضائى فى ولدى الأروع ... إنى لأبصر بعينى الغائرتين عندما يغيب شعاع الشمس عنهما إلى الأبد، وعندما يدب الفناء إلى قلبى النابض وأقضى نحبى ... أنى سأحيا ثانية فى نفس أخرى ... فى نفس ولدى ... فسبحانك اللهم أنت الإله الأوحد الجبار ... لقد رزقتنى ولداً عظيما صلب الساعد، ثابت الجأش رزين العقل .. فاللهم إنى أشهد بوحدانيتك وقدرتك، وأشهد أن محمداً رسولك ونبيك .

أبُنَىَّ توليق ... ماذا تبغى أن تقدم لك يد أبيك ؟ . اذكر ماتود، وسأمنحك إياه . »

وخفت صوت السلطان رويداً حينما أخذ « توليق الجلى » يتأهب لإعلان رغبته، وقد تألقت عيناه تألق البحر فى ضوء القمر ... عيناه اللتان كأنهما عينا النسر وهو يحوم بقلة الجبل .. قال أخيراً :

– مولاى وأبت ... امنحنى الفتاة القوزاقية ... »

وصمت الوالد ليهدىء من روعه، ويسكن من نفسه المضطربة وفؤاده الجياش ... وبعد برهة رفع صوته ثابتاً لا ينمّ عما يعتمل بنفسه : « ... خذها ... عند ما يُختتم الحفل »

شملت البهجة والمراح قلب « الجلى » ... وتألقت عيناه النسريتان بدموع الفرح ... وقال لوالده السلطان فى حب وبر :

– أى والدى ومولاى ... إنى لأقدر مبلغ هديتك إياى .. إنى لأقدره حق قدره ... إنى ابنك بل قل عبدك المخلص لك .. خذ دمى ... قطرة فى كل لحظة ... سأموت أكثر من ميتة فداء لك ... يا أبت ويا مولاى ... »

فقال السلطان وقد طأطأ رأسه إلى الأرض – رأسه الذى طالما كلله النصر بآياته سنوات متتاليات – « إنى لأرغب عن كل شىء . »

***

آذنت الوليمة بالانتهاء، فهمّ السلطان وولده يسيران من القصر إلى دار الحريم ...

وكانت السماء تغشيها السحب، فطوت القمر والنجوم فى

حجب مغيبة . دام السير طويلا فى صمت وسكون ... وأخيراً قال السلطان « الأسراب » :

— ستفنى حياتى يوما بعد يوم ، وسيخفت قلبى فى خفقانه حيناً بعدحين ... وستخمد رويداً هذه الجذوة المستعرة فى جسدى ... جذوة الحياة . لقد كان الضوء الذى يشع لى فى حياتى ، والدفء الذى يبعث لى بالحرارة هى تلك الفتاة « القوزاقية » ... خبرنى بُنَيّ « توليق » ... خبرنى إن كنت حقاً فى حاجة إليها ... خذ مائة من حريمى ... خذهن جميعاً ... بدلا منها ... »

صمت « توليق الجلى » ... فعاد السلطان التيم يقول :

— لقد تقضت حياتى ... ولن ألبث طويلا فوق أديم هذه الأرض ... فدعنى أنعم بحب هذه الفتاة ... إنها تعشقنى ... من ذا الذى سيحبنى بعد أن تنأى عنى ؟! يحبنى ... أنا يا من دبت فى جسدى الشيخوخة ... من ؟ ليست واحدة منهن يا توليق ... »

ولكن « الجلى » لم ينبس ببنت شفة . « بالله ... كيف يتردد لى نفس ، وأنا أحسب أنك تعانقها ... وأنها تقبلك ؟ ... إذا كنا أمام المرأة يا توليق فلسنا والداً وولداً ... ليت جروحى — وقد تناثرت فى جسدى — نكأت فسال دمى حاراً دافقاً منها ... فهذا خير وأفضل من عيشى حتى هذه الليلة ... »

انتهى بهما المطاف عند باب الحريم ، فوقفا — وقد طأطأ كل منهما رأسه إلى الأرض — وشاع الصمت بينهما ، وشملهما الظلام . وفى السماء راحت بعض السحب تطارد بعضها والريح تميل الأشجار عن يمين وعن شمال ... وكأنها تترنم لها ...

قال « توليق » فى صوت هادئ رزين « يا أبت ... لقد أحببتها » فقال السلطان « أعلم هذا ... كما أنى أعلم أنها لا تحبك »

— إن قلبى لينفطر حينما أفكر فيها ...

— وإنى لأشد منك حباً لها ...

وعاد الصمت يحلق فوقهما ويرين عليهما ... فقال « الجلى » فى صوت فيه ألم ، وفيه عزاء :

— لقد أدركت الآن صدق الحكمة القائلة « المرأة خلقت لمتاعب الرجل » إن كانت حسناء راحت تغرى الآخرين ليتملقوها فتوقظ فى زوجها آلام الغيرة والحسرة ... وإن كانت قبيحة ، فزوجها يعانى من قبحها ويعانى آلام الحسد ومرارة الحقد على غيره ... وإن لم تكن بالجميلة ولا بالقبيحة راحت تتدلل على زوجها وتجعله يعتقد أنه لم يقم بواجبه نحوها ، فهى إذاً مصـــدر شقاء الرجل وتعاسته فى هذه الحياة ... »

فقال السلطان :

— ليست الحكمة دواء ناجعاً لشقاء القلب ! يا بنى

— يا أبت ... يجب أن يشفق كل منا على الآخر

فرفع السلطان رأسه ، وراح يحدق فى ولده ... فقال « توليق »

— يا أبت ... دعنا ... دعنا ... نقتلها

فشك السلطان غير طويل ثم قال فى تمتمة هادئة :

— إنك تحب ذاتك أكثر منها ومنى ؟!

— أجل ... وأنت الآخر!

فقال السلطان بعد هنيهة فى صوت شاع فيه الألم ، وشاع فيه الحزن حتى لكأنه ارتد صبياً

— نعم ، وأنا الآخر

— سوف نقتلها يا أبت

— لن أدعك تأخذها لنفسك ... لن أدعك

— لا أقدر على مجالدة هذا طويلا ... إما أن تمزق قلبى أو تتركها لى . فلم يقل السلطان شيئاً ... « أو دعنا نلق بها من شاهق إلى البحر فتتردى ... » فراح السلطان يردد هذه العبارة ، وكأنه رجع الصوت الذى أطلقه ولده ... وهو يهز رأسه فى شرود وألم

— دعنا نلق بها من شاهق إلى البحر فتتردى ...

دخلا الحريم ، واتخذا وجهتيهما حيث مرقدها فى فراش وثير ثمين ... فوقفا ساهمين ينظران ... وفى قلب كل منهما لهفة وشوق ... وألم

وانحدرت من مقلتى العجوز دمعات فسالت على وجنتيه ... ثم تألقت على لحيته ـ وقد حاكت الفضة فى لون شعرها ـ أما ولده فقد قام بعينين لامعتين ... يصر على أسنانه ليخفى ذلك الهوى الذى يضطرب بين جوانحه ... وقد راح يوقظ الفتاة « القوزاقية » ... أفاقت من نعاسها ، تفتحت عيناها على وجنتيها الورديتين فكأنهما زهرتان من أزهار الأقحوان ...

لم تبصر « توليق » ولكنها مدت شفتيها الأرجوانيتين إلى السلطان

— قبلني ، يا نسرى العزيز . فقال السلطان فى رقة :

— انهضى ... ينبغى أن تأتى معنا ...

ووقع طرفها على « الجلى » ، والدمع يتألق محبوساً فى عينيه ... فما أسرع ما أدركت ، وفهمت كل شىء ... وقالت :

— هه ... سآتى ... سآتى ... ليس لواحد منكما ... أليس هذا مبتغاكما ؟ وما قر عليه أمركما ... للقلوب القاسية أن تقرر وعلى النفوس الضعيفة الواهنة أن تطيع ... سآتى معكما ...

وانطلق ثلاثتهم شطر البحر فى صمت وسكون ... سلكوا فى سبيلهم مسالك ضيقة ، والريح لها صوت كعواء ابن آوى ...

كانت الفتاة نحيلة الجسد ، هيفاء القد ... فما أسرع ما أدركها الوهن والعناء ؛ ولكن كانت تعانى هذا فى صمت ، ولا يند عنها ما ينم عليه ... وإذ لمح ابن السلطان ما اعتراها ــ وكان يسير إثرهما ــ أسر لها « ألأنت خائفة ؟! »

فلمعت عيناها ، وأشارت إلى قدميها الداميتين ... فقال وهو يمد ذراعيه إليها « دعينى أحملك ! »

بيد أنها نفرت منه إلى عنق نسرها العجوز ... فرفعها السلطان كالريشة حاملا إياها ... بينما راحت هى تثنى أغصان الأشجار وتزيحها من أمام وجهه

وطال المسير ... وأخيراً طرق أسماعهم صوت البحر وهو يهدر ويزمجر على مبعدة منهم ... قال « توليق » موجهاً حديثه لأبيه « دعنى أمض أمامك » وإلا حدثتنى نفسى الأمارة بالسوء أن أغمد خنجرى فى ظهرك »

— امض ... كما تشاء ... إن الله سيغفر خطيئتك هذه ... ويعفو عن إساءتك ... فقد غفرت لك وعفوت عنك ، إنى لأعرف ما هو الحب يا بنى !

وأخيراً أبصروا البحر يجثم تحتهم ... كانت صخرتهم سامقة والظلام يسربلها ... الظلام الذى ليس له حد ولا نهاية ؛ وراحت الأمواج تهدر بألحان الموت وهو يسرى بين الصخور ... وقد أخفاها الظلام يحفه القر والخوف .

قال السلطان بعد أن طبع على ثغر الفتاة قبلة حارة : « وداعاً .

وقال « الجلى » وهو يحنى هامته لها « وداعاً ... » .

ألقت الفتاة بطرفها إلى ما تحتها حيث صخب الموج يردد ألحان الرهبة والجلال ... فضمت يديها إلى صدرها وقالت فى هلع وفرق « إقذفا بى ... » .

مد « توليق » يديه إليها وهو يئن ويتأوه ... ولكن السلطان أخذها بين ساعديه وضمها إلى صدره وقبلها ثانية ... ثم رفعها فوق رأسه وأتى بها من الصخرة الشاهقة إلى واد سحيق ... وارتفعت ألحان الموج .. ألحان الموت .. أجل رهبة وأشد فزعاً .. ولم يُسمع للفتاة صيحة وهى تلقى فى الماء ، أو تلقى حتفها على الصخور .

وتهالك السلطان على نشز وراح يحملق فى الظلام يحاول بطرفه أن يخترق سجف الليل ... سجف الغيب ... وما برحت الأمواج تلطم الصخور فى جنون وهوج ... والريح تهب عاصفة فى أعقاب موكب الموت ... تعبث بلحية السلطان العجوز .

وجلس « توليق » جواره وقد دفن وجهه بين راحتيه ، لا يتحرك ولا ينبس ... وكأنه الصخر ...

وتقضى الوقت والسحب يطارد بعضها بعضاً فى جو السماء ... شاعت الكآبة فى ثنايا الظلام الرهيب المهيب ، وكأنها تلك الأفكار التى راحت تطوف سوداء بخاطر ذلك السلطان العجوز ... وهو جاثم على هامة الصخرة السامقة ، ومن تحته البحر يهدر فى واد عميق ... قال « توليق » :

— « أبتِ ... دعنا نمض ... » .

فنبس السلطان همساً ، وكأنه يتوجس نبأة تسرى فى الهواء : « مهلاً » .

وعاد الوقت يمضى ، والأمواج تتلاطم فى عبث وجنون من تحتهما والريح تصفر بين الأشجار كعواء ابن آوى ... وعاد الابن ردّد عبارته ، فردّد السلطان إجابته ... وكان هذا الترداد مراراً ... كأن السلطان لا يبرح مكانه ... وقد قبر فيه بهجته ومراحه ... وأيامه الخوالى ...

بيد أن لكل شىء نهاية ، فلم يلبث السلطان أن قام نشيطاً ، ولكن عابس الوجه ، مقطب الجبين وقال فى صوت شاع فيه الجذاء :

— « هيا ... بنا ! »

وانطلقا ... ولكن لم يلبث السلطان أن وقف قائلا :

« لِمَ أنطلق معنك يا توليق ... وإلى أين ؟ ! لِمَ أعيش بعدها ؟ ! لِمَ أعيش بعد أن ذهبت بعيداً عنى ... إنى عجوز ولن يهوانى أحد ثانية ... وإذا لم يهوك أحد فليس ثمت خير فى أن تعيش بهذا الكون ! » .

— « إنك ذو مال ! وذو مجد يا أبت ! » .

— « دعنى أرتشف من ثغرها قبلة من قبلاتها نظير هذا المال » ...

هذا المجد ... يا بنى . إن الناس جميعاً أموات فى هذه الحياة والحى منهم هو الذى يعشق النساء ... إن الحياة هباء بغير النساء ، يا بنى ... بارك الله فيك وفى ملكك ... فى حياتك وفى مماتك » .

واتجه السلطان شطر البحر ... فصاح « توليق » فى هلع « أبت ... أبت ... » . ولم ينطق بغير هذا ... لأنك لا تجد الكلمات تلفظها لرحل يأتى حتفه باسماً راضياً ... رحل آيس من حياته

— « دعنى أرحل ... » فقال « توليق » : « الله يا أبتِ ... »

— « إن الله يعلم ، وسيغفر لى » وبخطا سريعة مضى السلطان إلى نهاية الصخرة ... وألقى بنفسه إلى أحضان الوادى ... لم يُسمع شىء فقد عصفت الريح إثر موكب الموت وهو يمضى فى جلال وراحت الأمواج تدوّم هدرها ، وكأنها فى عراك عنيف مع الصخور ...

وأخذ « توليق » ينظر ويطيل النظر إلى حيث الهوة السحيقة .. إلى حيث الموت تحت قدميه ... ثم ارتفع صوته جليلا ورأسه إلى السماء : « يا إلهى ... أسألك أن تلهم قلبى الصبر والسلوان وأن تغفر لوالدى وتشمله برحمتك إنك غفور رحيم » .

ثم مضى عائداً إلى قصره والصمت يحف به ... حتى غيبه الليل فى مطارفه ... » .

مصطفى جميل مرسى

العدد [illegible] — الإثنين ١٢ نوفمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٤٧ — الاثنين ٢٦ نوفمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ ٫ ٤٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 647

Lundi—26—11—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢١ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

في مصر فلســـفة

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعم فى مصر فلسفة

ونحمد الله على ذلك كما حمد فردريك الكبير ربه على أن فى برلين قضاء

ولكننا نحن أولى بالحمد من فردريك الكبير ، لأن القضاء العادل ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية يتفقدها الناس إذا فقدوها ، ويجدونها إذا طال تفقدها ، وكان بهم صلاح لوجودها.

أما الفلسفة فلا يبحث عنها من يفقدها ، لأن من يفقدها يجهلها ولا يحفل بها ، وقد يسخر منها إذا سمع بذكرها ، وقد يتفق أصدقاؤها وأعداؤها على أنها نافلة من النوافل وزيادة من الزيادات ، وإن قال الأصدقاء إنها نافلة الكمال ولا غنى عن الكمال ، وزيادة الفضل ولا تطيب للفاضلين حياة المفضولين

فإذا كان القضاء العادل ضرورة محسوسة فصناعة الفلسفة ليست بضرورة من ضرورات المعاش ، أو هى على الأقل ليست من الضرورات المحسوسات : تلك ضرورة وطن وزمن ، وهذه ضرورة لايشعر بها الإنسان إلا إذا تجاوز نطاق الأوطان وأصبح نطاقه الكون كله ، فى كل زمان

أو هى العلم الكلى كما قال المعلم الثانى أبو نصر الفارابى :

« فإن العلوم منها جزئية ومنها كلية ، والعلوم الجزئية هى التى موضوعاتها بعض الموجودات أو بعض الموهومات ... مثل علم الطبيعة فإنه ينظر فى بعض الموجودات وهو الجسم من جهة ما يتحرك ويتغير ويسكن عن الحركة ، ومن جهة ما له مبادئ ذلك ولواحقه ... أما العلم الكلى فهو الذى ينظر فى الشىء العام لجميع الموجودات مثل الوجود والوحدة ، وفى أنواعه ولواحقه ، وفى الأشياء التى لا تعرض بالتخصيص لشىء شىء من موضوعات العلوم الجزئية مثل التقدم والتأخر والقوة والفعل والتام والناقص وما يجرى مجرى هذه ، وفى المبدأ المشترك لجميع الموجودات ، وهو الشىء الذى ينبغى أن يسمى باسم الله جل جلاله ... لأن الله مبدأ للموجود المطلق لا لموجود دون موجود . فالقسم الذى يشتمل منه على إعطاء مبدأ الموجود ينبغى أن يكون هو العلم الإلهى ، لأن هذه المعانى ليست خاصة بالطبيعيات بل هى أعلى من الطبيعيات عموماً . فهذا العلم أعلم من علم الطبيعة ، وواجب أن يسمى علم ما بعد الطبيعة ... »

وكلام صاحبنا الفارابى على تركيته العربية أو عربيته التركية كلام صحيح فى التعريف بفضل الفلسفة أو البحث فيما وراء المادة وما وراء الزمان والمكان ، ولكننا بعد ما قدمناه فى موقع الفلسفة من الضرورة نعود فنقول : إنها ليست من البعد عن حياتنا الفردية أو حياتنا الاجتماعية بحيث تخرج من عالم الطبيعة إلى ما وراءها ،

وإن الإنسان ما عاش ولن يعيش بغير فلسفة حياة منذ بحث فى العلاقة بينه وبين العالم المنظور والعالم المحجوب ، ومرحلة الحياة كما قلنا فى بعض كتبنا الحديثة : « كجميع المراحل التى نقطعها من مكان إلى مكان ، لا تركب القطار حتى تحصل على التذكرة ، ولا تحصل على التذكرة حتى تعرف الغاية التى تسير إليها . غاية ما هنالك من فرق بين راكبين أن أحدهما يقرأ التذكرة والثانى لا يقرأها ، أو أن أحدهما يؤدى ثمنها من ماله والثانى يؤدى له الثمن من مال غيره ... »

والعجب أن بعض الفضلاء من طلاب الحقيقة لاينظرون إلى الفلسفة هذه النظرة ، ولا يحجمون عن نعتها باللغوالفارغ والهذر الذى ليس وراءه طائل ، وكذلك فعل الكاتب النزيه الأستاذ نقولا حداد حين جرى البحث على صفحات (الرسالة) عن وحدة الوجود ، فضرب المثل على سخف المذاهب الفلسفية القديمة بقول فيثاغورس إن العدد هو سر الوجود ، وإن النسبة بين الأشياء هى نسبة بين أعداد

قال فيثاغورس ذلك قبل خمسة وعشرين قرناً ، فكان فرضه هذا أقرب إلى الصدق من فروض علمية كثيرة فتن بها الناس إلى سنوات

وقاله فيثاغورس حين رأى أن الأوصاف كلها قد تفارق الموجودات من لون أو لمس أو صلابة أو ليونة أو وزن أو ما شابه هذه الأعراض الكثيرة إلا العدد ؛ فإنه ملازم لكل موجود ، فرداً كان أو أكثر من فرد ، وكاملا كان أو غير كامل ، وأن الفروق بين الأشياء هى فروق بين تركيب وتركيب أو فروق بين نسب الأعداد ، وأن الكون كله « دور موسيقى » هائل يدور على قياس منسجم كما يدير العارف الماهر ألحان الغناء

وأنشد الكون ألحانه التى لا عداد لها ، وتوالت الفترات التى نعدها نحن بالسنوات والقرون ، وظهر اليوم للباحثين أن الأجسام نسب بين أعداد ، وأن الفارق بينها فارق فى هذه النسب دون غيرها ، وأن التناسق فى هذه النسب أصدق من أجرام المادة الملموسة باليدين ، وأن الأصح فى تركيب الذرة أن يقال إنه « عددى » لا أنه « مادى » ملموس

وإذا قال فيثاغورس هذه المقالة قبل خمسة وعشرين قرناً ، فليس من حقه أن توصف مقالته بالفراغ وهى أملأ من فروض العلماء بعده فى معنى الوجود وفوارق الأجسام ، وهى على أضعف الأحوال أدق من قول بعض العلماء إن أصل المادة أثير

* * *

وكان الفلاسفة يبحثون فى العقل والمادة من عهد الفراعنة إلى عهد اليونان إلى عهد العرب إلى عهد الأوربيين المحدثين

يسأل سائل : أهما محدثان أو قديمان ؟

ويسأل آخر : وإذا كانا محدثين فمن الذى أحدثهما ؟

ويسأل غيرهما : وإذا كانا قديمين فكيف يتفق قديمان ليس لواحد منهما بداية ولا نهاية ؟

ويعود هذا السائل أو ذاك فيقول : وإذا كان أحدهما سابقاً للآخر وموجداً له فأيهما الأول وأيهما الثانى فى ترتيب الوجود ؟

ويفترق المجيبون فيقول فريق منهم : إن الحيوان ظهر بعد الجماد وإن الإنسان ظهر بعد الحيوان ، فالمادة إذن أسبق من العقل فى الترتيب

ويقول فريق آخر : إن فاقد الشىء لا يعطيه ، وإن العقل أشرف من المادة ، فهى لا تخلقه وهو أولى بأن يخلقها ويسبقها فى الوجود على الأقل سبق العلة للمعلول

أكلام فارغ هذا ؟

أهو كلام لا يعنينا ولا يدخل فى حسابنا ؟

كلا ... لأن التفسير المادى للتاريخ مذهب عملىٌّ فى الحياة الاجتماعية قام على القول بأن المادة هى القديمة وأن العقل هو الحديث ، وتوطدت عليه دعوة « كارل ماركس » التى فعلت بعد ذلك الأفاعيل فى مجرى السياسة العالمية وفى مجرى العلاقة بين الطبقات ، ولو استطاع فيلسوف أن يقنع الإمام وأتباعه بقدم العقل وحدوث المادة لتغير تاريخ الكرة الأرضية وتغيرت نظرات الملايين من الناس إلى الحياة

فهذه الصناعة التى تسمى بالفلسفة لا تغادر الطبيعة كل المغادرة ولا تنطلق منها إلى ما وراءها بغير رجعة إلينا فى حياة الغذاء والكساء

وإهمال هذه الصناعة غير مأمون على مهمليها ، لأن الفرق بين الفلسفة الصالحة والفلسفة الطالحة قد يكون فرقاً بين ثورة واستقرار ،

أو بين حرب وسلام ، أو بين هداية وضلال

ونحن حين نذيع البشارة بقيام الفلسفة فى مصر لا نذيع بشارة فى سماوات الخيال ، ولا ننسى الذين يعيشون ويعلمون أنهم يعيشون لأنهم يأكلون ويشربون ويلبسون ، أو لأنهم لا يطلبون من هذا الوجود مطلباً غير الأكل والشرب واللباس

* * *

نعم فى مصر فلسفة

نعم وفيها عناية بالكتب الفلسفية

وآية ذلك أننا تلقينا فى عام واحد نحو عشرين رسالة فى المباحث الفلسفية وما إليها ، وعلمنا أنها تقرأ فى بيئة المتعلمين الذين يؤدون الامتحان المدرسى وتقرأ فى بيئة المطلعين الذين يقنعون بالاطلاع

من هذه الرسائل القيمة رسالة للأستاذ الجليل مصطفى عبد الرازق باشا عن فيلسوف العرب والمعلم الثانى والشاعر الحكيم وابن الهيثم وابن تيمية ، فيها أوفى تعريف ينال بمثل هذا الإيجاز

ومنها كتابا الأسرة والمجتمع والمسئولية والجزاء للدكتور على عبد الواحد وافى أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب ، وقد نوهنا بالكتاب الأول فى (الرسالة) وثانيهما فى طبقة الأول من حيث الإفادة والتحقيق

ومنها كتب ثلاثة فى « الفلسفة الرواقية » وسيرة الإمام محمد عبده ، وشخصيات ومذاهب فلسفية للدكتور عثمان أمين ، وأولها أوفى كتاب بالعربية فى موضوعه ، ويضارع خيرة الكتب الأوربية فى هذا الموضوع ، وقد أنصف الأستاذ الإمام فى سيرته الوجيزة ، وصحح أوهاماً شائعة فى الشخصيات والمذاهب الفلسفية ، وأغنى المتطلعين إلى هذه البحوث عن كثير من المراجعات

ومنها التعليم عند القابسى للدكتور الأهوانى ، وهو بيان لفن من الفنون كان المظنون أن العرب أهملوه ، فألم الدكتور بتاريخه وشرح آراء القابسى فيه

ومنها كتاب التنبؤ بالغيب عند مفكرى الإسلام ، وكتاب الشعرانى إمام التصوف فى عصره ، وكتاب الأحلام للدكتور توفيق الطويل مدرس الفلسفة بجامعة فاروق الأول ، وكلها نمط واحد فى حسن التقسيم وتقرير المعلومات وفطانة التعقيب

وظهرت إلى جانب هذه الكتب القيمة والرسائل المسعفة مجلة مقصورة على علم النفس للأستاذين يوسف مراد ومصطفى زيور تعنى بأشرف البحوث المتخيرة فى موضوعها ، وتشغل مكاناً لم يكن بالجيل أن يفرغ بعد الآن فى اللغة العربية

ويجب أن نقرر هنا أننا أحصينا ما رأيناه ، ولم نحص كل ما صدر للجمعية الفلسفية أو لغيرها من دراسات الفلسفة والتصوف وعلم النفس وما إليها

وبعض هذا يكفل للمباحث الفلسفية حيزاً موقراً فى هذا البلد ويجيز لنا أن نقول : إن فى مصر فلسفة ، وإنها بشارة تذاع ، لأنها بعض الأدلة على انتقال المصريين من عالم الضرورة إلى عالم الحرية والاختيار ، ومن أسر الحاجة التى لا تخلو من عبودية إلى شرف الكماليات التى لا تخلو من عزة وارتفاع

وقد وددنا لو استطعنا أن نبسط القول فى كل كتاب من هذه المجموعة النفيسة ، لولا أنها حرب خاطفة تقابل بإشارات خاطفة ، وإذا بلغ بأصحاب الفلسفة أن يشكو الناس سرعتهم ونشاطهم ، فتلك علامة خير وحجة على من يحسبون الفلسفة قرينة للدعة والركون إلى السكون

لكن نشاطهم هذا يغرينى باقتراح عليهم أوحاه إلىّ حديث مع أستاذ الجيل وكاشف أرسطو للعرب فى هذا الزمان العلامة الكبير أحمد لطفى السيد باشا مد الله فى عمره وأدام به النفع والهداية

فالأستاذ قد ترجم لأرسطو كتاب الأخلاق وكتاب الكون والفساد وكتاب السياسة ، وينوى أن يترجم له كتاب الروح أو كتاب ما بعد الطبيعة

وما ترجمه الأستاذ الجليل هو أصح ما نقل عن المعلم الأول إلى اللغة العربية ، وقرنٌ فى الصحة والوضوح لأفضل الترجمات فى اللغات الأوربية

ولكن لا يزال الغلط البالغ محيطاً بالمنقولات الأخرى عن أرسطو منذ تصدى له النساطرة والإسرائيليون الأندلسيون ، لأن الجلة من أولئك المترجمين كانوا يجهلون معانى الفلسفة ويجهلون دقائق العربية ، ولا ندرى الآن مبلغ علمهم باليونانية ، وليس أولى بتصحيح أغلاطهم من عصرنا هذا الذى تيسرت فيه مراجع الفلسفة اليونانية وتيسرت فيه العناية بها والترجمة عنها

وقد خطر لى أن ترجمة أرسطو وأفلاطون عسيرة على الفرد

إذا استقل بها ، ميسرة للجماعة إذا تعاونت عليها ، فاذا على شباننا الفضلاء المتفرغين للفلسفة بأنواعها لو تقاسموا بينهم آثار الحكيمين جميعاً ففرغوا منها فى عام واحد أو عامين ؟

إن فى أرسطو وأفلاطون لما يصلح العقول ويقوّم التفكير حتى فى هذا الزمان ، وما تباعد فيه الخلف بين آرائهما وآراء عصرنا حقيق بالدراسة كتلك الآراء الخالدة التى لم يطرأ عليها الخلف والتغيير ، لأن دراسته دراسة لعقل الإنسان ، وهو موضوع الدراسة فى كل أوان

وعمل الجمعية الفلسفية ناقص إذا بقيت اللغة العربية بين لغات الحضارة خلواً من ترجمة صحيحة للحكيمين الخالدين ، وظننا بها أنها قادرة على التمام

وطلب التمام على من يستطيعه فرض عين فى لغة الحكماء ، وهى هنا قريبة من لغة المتصوفة ولغة الفقهاء

عباس محمود العقاد

تطور الاتجاه نحو وحدة عالمية

[وهى محاضرة ألقاها معاليه بقاعة يورت التذكارية]

لصاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا

دعانى قسم الخدمة العامة إلى أن أفتتح موسمه الثقافى هذا العام عن تطور الاتجاه نحو وحدة عالمية . وإنى لأشكر للقائمين بالأمر فيه هذه الدعوة ؛ وإنى أتقبل بالسرور أن أساهم بنصيب فى نشر الثقافة العامة فى مصر . ومما يسعدنى أن المعاهد العلمية والدوائر السياسية فى هذه الأيام تبدى اهتماماً بدراسة مصير العالم من حيث ارتباط بعضه ببعض ، فإن الله قد بعث أرواحنا فى هذه الحياة كشعلات مضيئة تنمو بالمعرفة وتزداد نوراً بالتضامن ، وقد وضع فى قلوبنا بذور السعادة فلا محل لأن ننتزعها بالحرمان والتفكك بل يجب أن ندعو دائماً إلى الحقائق العلمية .

إن السلام العام لا يتم بترك الأمور تجرى فى طريقها ، فحوادث العالم وتاريخها وطبيعتها كلها تحملنا على القول بأن نار الحروب لن تخمد ، ولكن جهود التخريب يمكن مغالبتها بالعمل على تحويل وجهة الحوادث ، وهذه المهمة تقع اليوم على عاتق الشعوب أكثر من غيرها . وهو أمر يتوقف على إرادتها الاجتماعية . وهذه الإرادة لابد أن توجه مجرى الحوادث إلى طريق وحدة عالمية تلازمن والسلام

ولا ريب أن التطور الذى نشاهده اليوم نحو هذه الوحدة ليس وليد هذه الحرب بل قد بدأ منذ أواخر القرن الثامن عشر عندما اخترعت الآلات الصناعية وانتشرت فى مناطق الفحم والحديد فتوجهت جهود الشعوب إلى ميدان الصناعة والاقتصاد وبدأ العالم يتجه نحو وحدة اقتصادية ؛ وإذا كان أساطين السياسة قد جهلوا أو تجاهلوا هذا التطور منذ بدايته مدفوعين بأغراض سياسية فإنهم اليوم يجهرون به ويعملون لتنظيم العالم تبعا لمقتضياته .

وإذا كان مفهوماً أيها السادة فيما مضى مع تباعد الأمم وعزلتها أن يقوم للوطنية المبنية على وحدة الجنس واللغة وحدها قائمة فقد أصبحت حال شعوب العالم اليوم مرتبطا بعضها ببعض ، وأصبح القول بغير ذلك ضربا من الأثرة يرضى به كبار الساسة خيلاءهم . ولا عجب فالعالم يتطور قطعا نحو وحدة عالمية . إذ قد ارتبطت أجزاؤه كلها برباط وثيق وأصبح ما يصيب أدناه يشعر به أقصاه شعوراً ليس مبناه العاطفة وحدها وإنما أساسه المنفعة . فما أحرى الناس أن يكونوا جميعاً فى الإنسانية إخواناً يتميز الصالح بعلمه وعمله لا القوى ببطشه وجبروته ؛ وهى كلمة قالها الله تعالى فى كتابه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وهكذا قالها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ولم يجعل للعرب فضلا على من عداهم من الأمم بل سوى بين الجميع وجعل الأفضلية للتقوى وللعمل الصالح المفيد

سادتى :

قبل أن أتحدث إليكم عن أثر الواقع فى تطور العالم اليوم نحو وحدة عالمية يجدر بى أن أضع أمام أنظاركم صورة من هذا التطور فى القرن التاسع عشر فأروى لكم ما تحدث به مستر كارول رايت الذى كان مديراً لمكتب العمل بالولايات المتحدة فى أحد تقاريره من أنه كان يوجد صانع مسامير يدعى يوناتام فى ولاية ماساتشوسيت وقد رأى فى منامه فى ليلة من ليالى عام ١٨١٣ شبحاً يطلب إليه أن يرفع أجور عماله بما يوازى النصف وأن يخفض ثمن مبيعاته بما يوازى الثلث تقريباً ، فعجب يوناتام قائلا إنه بهذا يسير نحو إفلاس محقق ؛ ولكن الشبح أخبره بأن أرباحه ستتضاعف أضعافا

مضاعفة. واستيقظ يوناتام من رؤياه منزعجاً وهو يعجب لهذا الأمر. ولم يمض وقت طويل حتى قدم إليه بعض المهندسين بآلة صناعية تدار بالبخار لعمل المسامير؛ وما استخدمها يوناتام حتى تضاعف إنتاجه ونقصت أثمانه واتسعت تجارته وكثرت أرباحه وأصبح هو وأحفاده من أغنياء أمريكا.

يؤكد المستر كارول أيضاً أن هذه الرؤيا لم تكن خيالا وإنما كانت حقيقة واقعة، إذ أنه أجرى تحقيقاً دعمه بالأسانيد والأرقام فيما أنتجته الآلة البخارية التي استخدمها يوناتام من نتائج يستخلص منها أنه مع تضاعف أجور العمال قد تضاعفت الأرباح وتحقق للمستهلكين وفر كبير في أثمان المبيعات. وكذلك تحققت رؤيا يوناتام التي كانت في ظاهرها حلماً من الأحلام.

أيها السادة :

إن اختراع الآلة الصناعية يدل على مبلغ التطور الذي حدث للعالم ويؤيد أن صاحب العمل والعامل والمستهلك جعلهم جميعاً يستفيدون وكانوا قبل أن توجد خصوماً لا ينتفع أحدهم إلا على حساب الآخرين.

هذا هو حادث يوناتام عندما استعمل الآلة الصناعية، وتذكرون بجانبه ما كان من أمر الزعيم غاندي في الهند إذ دعا منذ سنوات إلى العودة لاستعمال مغزل القرون الوسطى فلم يصب طريقته النجاح في مزاحمة الآلة الصناعية، فاضطر الهنود بعدها إلى استخدام الآلات للغزل والنسج. ذلك لأن الحياة في هذا العصر غيرها في عهد القرون الوسطى، ولأن الآلات الصناعية حلت محل الأعمال اليدوية بسبب سرعة إنتاجها وقلة تكاليفها.

ويظهر من هذين الحادثين أن الآلة الصناعية جعلت من حلم يوناتام حقيقة ومن حقيقة غاندي حلماً لم يتحقق، والواقع أنه منذ اخترعت الآلة وسخرت لخدمة الانسان أحدثت انقلابا كبيراً في حياة الشعوب والأمم اقتصادياً واجتماعياً بل وسياسياً. وإذا كان هذا الانقلاب لم يتخذ شكلا ظاهراً منذ قرن كما هو واضح لنا الآن فذلك إلا لأن هذا التطور لم يحدث طفرة، ولأن ارتباط الشعوب اقتصادياً كان متمشياً مع انتشار الآلات وتحسينها تدريجياً وتخصص كل بلد بما اعتاد صناعته.

وإليكم ما حدث في انجلترا مثلا عندما استخدم رجال الصناعة آلة الغزل التي اخترعها هارجريفز « Hargreaves » في منتصف القرن الثامن عشر فإنهم لم يفكروا أصلا في غير أرباحهم ولم يخطر ببالهم أنهم — سيحدثون انقلابا عظيماً في حياة الأفراد — وفي علاقات الدول إذ أن الواقع أن انتشار صناعة الأقمشة الصوفية والأجواخ في انجلترا فتحت أمام نشاطها آفاقا جديدة فأوجدت لها أسواقا عالمية جعلت مقادير الصوف الخام — من الخراف الإنجليزية غير كافية لسد حاجات تلك الأسواق الكبيرة فولت الصناعة وجهها شطر أستراليا والأرجنتين وغيرهما لتستورد منها الأصواف فانتعشت بهذا تربية الأغنام في تلك البلاد النائية وأصبحت في انجلترا قاصرة على تحسين النسل، وبهذا اختصت انجلترا بالغزل والنسج، واختصت أستراليا والأرجنتين بتربية المواشي حتى قيل إن أجر جز الصوف في أستراليا يوازي ثمنه، وأن قطعة القماش من الجوخ المصنوع في انجلترا من صوف استراليا أقل ثمناً في سدني باستراليا من مثلها المصنوعة في استراليا نفسها: ذلك لأن كلا البلدين أصبح مع مرور الزمن إخصائياً في عمله لا يستطيع الآخر أن يزاحمه فيه.

وكان الحال كذلك في الأقمشة القطنية، فمنذ عرف أن المناخ الرطب في منشستر صالح لغزل ونسج الموسلين ونحن نشهد إقامة الأنوال والمناسج في انجلترا وأمريكا وغيرهما كما نشهد زراعة القطن في المساحات الواسعة في دلتا المسيسبي « Mississipi » ودلتا النيل وغيرهما.

وكل ما قيل بصدد الصوف والقطن يقال بالنسبة لباقي المصنوعات من آلات حتى المواد الغذائية وغيرها.

هذا ولا ريب أن نقل المواد الأولية من الأقطار البعيدة إلى الأقطار الصناعية ثم توزيعها مصنوعة إلى البلاد الأخرى يقتضي تحسين طرق المواصلات البحرية والبرية، ولهذا نرى منذ منتصف القرن التاسع عشر بناء السفن البخارية فضلا عن مد خطوط السكك الحديدية والخطوط التلغرافية كما ترون العمل على تحسين طرق المواصلات الجوية والوصول بها إلى أوجها — كل هذا جعل الكرة الأرضية معروفة اليوم بسكانها ومعادنها وحاصلاتها؛ فاذا بسطنا خريطة جغرافية رسمت قبل اختراع الآلات وجدنا مساحات واسعة مؤشرا عليها بما يدل على أنها مجهولة لنا كحوض الأمازون

ووسط إفريقيا واستراليا نفسها ، أما اليوم فقد اكتشفت الأرض جميع ما تملك وعمل على استغلال كل ما بها بل وأصبحت بلاد العالم مرتبطا بعضها ببعض وتأثر بعض الأمكنة بما يحدث فى الأخرى

فاذا ما ظهرت دودة القطن فى مصر ، أو نزل الصقيع على محصول بأمريكا ، أو حدث إضراب العمال فى المصانع الانجليزية هبطت أسهم شركات النسيج أو نقصت أثمان الصوف تبعاً لهذا .

كذلك إذا ما حدث اضطراب فى وسائل النقل اضطربت حياة الشعوب والأمم ، فقد رأينا كندا فى الحرب الماضية تستخدم القمح كوقود لأفرانها بينما كانت شعوب أوروبا لا تجد الخبز بغير البطاقات بشق الأنفس .

والخلاصة من هذا كله أن التطور الصناعى خلق أسواقا عالمية سواء لأجل استيراد المواد الأولية أو لتصريف المنتجات الصناعية وأن هذه الحالة تقتضى طبعا المزاحمة الأجنبية فلا يتسنى بسبب هذا الترابط الاقتصادى لأية أمة أن تستهلك وحدها كل محصولاتها أو كل منتجاتها فهى مضطرة أن تبحث عن أسواق للفائض عن حاجتها وتتخذ لهذا الغرض إجراءات داخلية تأخذ شكل الحواجز الجمركية ، وإجراءات خارجيــة تأخذ شكل المعاهدات التجارية فى صيغة « أولى الدول بالمراعاة » فإذا ما تصادمت مصلحة دولتين فى كل هذه الميادين قامت بينهما حرب تجر وراءها بسبب الترابط الاقتصادى العالمى حرباً عالمية .

ولقد شهدنا فى مدى جيل واحد حربين عالميتين وعرفنا الفروق بين هذا النوع من الحرب والحروب الأخرى ، ففى العهود السابقة كانت الحرب موضعية تقع بين بلدين أو أكثر ولكنها لم تكن لتتعدى الجيوش المحــاربة ، وكانت تبتدىء وتنتهى دون أن يشعر باقى الأهالى المدنيين الآمنين بأهوالها ، بل كانت أشبه شىء بعملية جراحية تلتئم جروحها سريعاً فى موضعها لتعود الحياة العادية كما كانت من قبل .

أما الحروب العالمية اليوم فهى حروب تجند من أجلها الشعوب فيرسل الشبان إلى ميادين القتال ، والشيوخ إلى مصانع الأسلحة والعتاد ، والنساء إلى المزارع والمستشفيات ؛ كذلك تجمع من أجلها القوات الزراعية والصناعية والمعدنية والمــالية ؛ وفوق ذلك فان ويلاتها وأهوالها تمتد من ساحة الوغى إلى ما وراء خطوط القتال فتخرب المصانع وتهدم المساكن وتدمر الطرق والجسور وتغرق البواخر وتقطع المواصلات البرية والبحرية كما تزهق أرواح الأبرياء من النســاء والأطفال ثم تعقبها بعــد انتهائها الثورات السياسية والأزمات الاقتصادية .

سادتى :

لقد احتمل العالم هذه الويلات زهاء أربع سنوات فى حرب سنة ١٩١٤ وست سنوات فى الحرب الأخيرة ؛ فاذا كانت المدنية الحاضرة لم تندثر معالمها وإذا صح أن يكون ذلك دليلا على ما تملك المدنية الصناعية من قوة المقاومة إزاء هذا التدمير والتخريب فقد صح كذلك وجود عيوب فى نظام العالم الحاضر الذى لم يستطع أن يتفادى فى مدى جيل واحد حربين عالميتين من هذا النوع فى التدمير والتخريب الذى لا مثيل له فى تاريخ الانســانية .

وفى يقيننا أن هذه الحال لن تتغير وأن احتكاك الدول لن يتبدل مالم نعمل على أن ندخل فى نظام حياتنا العامة وعلاقاتنا الاقتصادية ما يضمن لنا الاستقرار والاطمئنان .

ولا ريب أن كل شىء فى هذا الوجود يولد ثم ينمو ويشب ثم يكبر ويهرم فيموت ؛ لذلك كان نظام الحكم وعلاقة الدول بعضهــا من أكثر الأمور تطــوراً لا فى المظاهر الشــكلية بل فى جوهر الأمور وكيانها ؛ فان الخمســة والعشرين قرناً المــاضية من تاريخ الإنسانية تشهد بأن نظام العالم قد انتقل من حكم أقوى العائلات إلى نظام الجمهوريات اليونانية القديمة ، إلى محاولة إيجاد الامبراطوريات العالمية فى عهد الإسكندر والدولة الرومانية ، إلى نظام الاقطاع فى القرون الوسطى ، إلى نظام الملــكية المطلقة ، إلى الديموقراطية الحاضرة .

إن هذا التطور الدائم فى نظام الحكم جاء تبعاً لتطور الحياة الاجتماعية والسياسية فى تلك الأزمان المــاضية .

كما لاريب عندنا فى أن العالم فى وقتنا الحاضر وهو تحت تأثير الاكتشافات العلميــة واختراع الآلات الصناعية وإتقان طرق المواصلات بين أجزاء العالم قد تطور تطوراً خطيراً من شأنه أن جعل جميع الشعوب والأمم التى وصلت إلى درجة ما من المدنية مرتبطة بعضها ارتباطاً اقتصادياً فلا يسع شــعباً من الشعوب أن يستكفى وحده بكافة حاجاته من المأكل والملبس وغيرهما بل هو فى حاجة إلى تصدير الفائض ، وبجانب هذا فان العلاقات بين الدول كانت تتطور حتى أخذت شــكل القانون الدولى الذى كان يتطور هو كذلك تبعاً لمقتضيات الظروف بعد كل نزاع .

(البقية فى العدد القادم)

محمد حافظ رمضان

حول قضية فلسطين

أيها العرب ...

استيقظوا واحذروا

للأستاذ سيد قطب

إن قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تتقدم !

ويسوءنى أن أكون نذير سوء ؟ ولكن لأن نواجه الحقائق الواقعة ، خير من أن نستنيم للأحلام ..

حينما صدر الكتاب الأبيض الإنجليزى أعلن كل عربى مخلص أنه لا يرضى عن هذا الكتاب ، وأنه صدمة لآمال العرب بما تضمنه من استمرار الهجرة الصهيونية فترة أخرى ، وإن تكن موقوتة ، تصبح بعدها الهجرة مرهونة بمشيئة العرب ، إن شاءوا أمضوها ، وإن شاءوا لم يسمحوا من بعد بها .

واليوم يتمسك العرب بسياسة الكتاب الأبيض ، ويدعون انجلترا للمحافظة عليها ، وهم يرون فى تصريح « بيفن » الأخير نقضاً لها ، واستمراراً فى الهجرة إلى غير موعد !

إذن قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تتقدم !

تتأخر ، فيصبح الكتاب الأبيض الذى كان بالأمس موضع شكوى العرب ، هو موضع رجائهم . وينقلب الحد الأدنى — أو ما هو دونه — حداً أعلى لآمال العرب أو الناطقين باسمهم فى هذه الأيام .

ألا إنها المحنة التى يجب أن تتفتح عليها الأبصار !

***

فلننظر فيم كان هذا الانقلاب ؟

صدر الكتاب الأبيض بالأمس ترضية للعرب الثائرين الساخطين ، فرفضوه واستصغروه . فلما سرى البرد إلى دمائهم الفائرة ، ودب الخدر إلى أعصابهم الثائرة ، رضوا عن الكتاب الأبيض ، ووقفوا ينتظرون ...

وألقى الكتاب الأبيض اليوم ترضية للصهيونيين الثائرين المتمدين ، وهم يرفضون إلغاءه ويستصغرون اقتراحات « بيفن » الأخيرة ، لأن العرب لا يزالون فى خدر لذيذ يستنيمون إليه .. ذلك أنهم يثقون بالضمير البريطانى !!!

ومن هنا نستطيع أن نعرف : متى يسترضينا الإنجليز ، ومتى يسترضون الصهيونيين ؟!

فلننظر إلام تؤدى اقتراحات « بيفن » الأخيرة ؟

ستفتح أبواب الهجرة الصهيونية بعيد إغلاقها ، وستؤلف لجنة تحقيق — لم تؤلف بعد — لتنظر فى قضية فلسطين وقضية اليهود عامة . وما دامت هذه اللجنة لم تنته من تحقيقاتها الواسعة المدى فسيظل سيل الهجرة يتدفق على فلسطين !

أهى سنة ؟ أم سنتان ؟ أم خمس سنوات ؟ أم هى التعلة الدائمة لاستمرار الهجرة إلى غير ميعاد ؟ فإن ضجر العرب يومذاك أو تبرموا كانوا قوماً عجلين ، لا يريدون أن تعمل اللجنة فى جو هادئ ، ولا يمكنون للحقائق فى الظهور !

ثم يوجد من العرب من يرى فى مثل هذه الاقتراحات أساساً صالحاً لقضية فلسطين .

ألا إنها المحنة التى يجب أن تتفتح عليها الأبصار !

***

للانجليز أن يهللوا لاقتراحات «بيفن» الأخيرة . فهى انتصار للسياسة الإنجليزية التقليدية ... انتصار لها من شتى الوجوه :

١ — الانتصار الأول جر أمريكا لاحتمال التبعات فى فلسطين دون أن يكون لها شىء من المغانم ! وتصوير هذا بأنه استماع لصوت أمريكا فى حل القضية المعقدة التى استطاع الصهيونيون الأثرياء أن يحركوا لها « ترومان » وسواه . فإذا انتهوا إلى حل فلن تستطيع أمريكا رفضه وهى الشريكة فيه !

٢ — والانتصار الثانى تثبيت صفة الانتداب الانجليزى على فلسطين باسم جديد هو « الوصاية » باعتراف من الولايات المتحدة فى هذه المرة . فلقد كان الانتداب من «عصبة الأمم» التى اعتزلتها الولايات المتحدة وكان المرجو هو استقلال فلسطين !

٣ — والانتصار الثالث هو « التأجيل » طابع السياسة الإنجليزية الأصيل . فالتأجيل وترك العقدة للزمن يحلها الحل المناسب هو الطابع الدائم للسياسة الإنجليزية ، وبخاصة مع الأمم

الصغيرة الثائرة لحقوقها المهضومة، والزمن دائماً في صف الأقوياء لا الضعفاء — وهذه الاقتراحات الأخيرة تضمن للسياسة التقليدية أقصى مدى، لأنها في أيدي لجنة تحقيق لا يجوز أن يستعجلها أحد عن استجلاء الحقائق! وإلا كان متمنياً لا يريد للحقائق الظهور!

٤ — والانتصار الرابع هو التوفيق بين سياسة الأحزاب الإنجليزية كلها في علاج قضية خارجية. والإنجليز يبتهجون لمثل هذا التوفيق لأنهم جميعاً إنجليز!

للانجليز أن يهللوا لهذه التصريحات الأخيرة في صحفهم عامة، ولكن ليس للعرب أن يخدعوا بهذا التهليل. لأن لهم في القضية موقفاً آخر يستدعي التفكير المستقل عند النظر في الأمور. وقضية فلسطين قضية عادلة لا يضيرنا فيها التحقيق؛ ولكن متى كانت عدالة القضايا الوطنية كافية لتقرير الحق في الأمور؟

* * *

والآن ... ما هو طريقنا المأمون!

طريقنا ألا نثق بضمير أحد، فما لأحد في العالم الغربي ضمير! لقد رهنت هذه الحضارة الغربية على إفلاس في الضمير لا عهد للعالم به في جميع الحضارات السابقة.

وقبل أن نثق بالضمير الأوربي أو الأمريكي، يجب أن نتذكر لفرنسا حوادث سوريا ولبنان — وهي قريبة لم تغب عن العيان — ويجب أن نذكر لانجلترا يوم ٤ فبراير الشنيع؛ ثم موقفها في أندونسيا — وهو حاضر الآن — ويجب أن نذكر لأمريكا نداء «ترومان» ونصرته للصهيونيين!

طريقنا ألا نثق بضمير أحد، وألا نستنيم لدعوة ما من دعوات الثقة بهذا الضمير.

وطريقنا ألا نستنيم لمخدرات التأجيل إلا إذا وقفت الهجرة وقفاً تاماً حتى يتم التحقيق. فلقد رأينا أن الزمن ليس في صالحنا. وإذا شاء أحد أن يستنيم فليتذكر متى صدر الكتاب الأبيض بوقف الهجرة الصهيونية في موعد محدد، ولماذا صدر هذا الكتاب. ثم ليتذكر متى ألغي الكتاب الأبيض وأبيحت الهجرة من جديد. ولماذا كان هذا الانقلاب؟

صدر الكتاب الأبيض ترضية للعرب الساخطين الثائرين، وصدر تصريح بيفن الأخير ترضية لليهود المعتدين الإرهابيين!

وطريقنا أن يرد زعماء الأمة العربية ما بأيديهم من السلطة إلى هذه الأمة نفسها لترى رأيها في الموقف الجديد، فهي صاحبة الأمر قبل الزعماء أجمعين.

ولأطلقها صيحة صريحة قاسية:

أيتها الأمة العربية: احذري حتى رجال السياسة من أبنائك. لا لأنهم قد يخونونك أو يخدعونك، ولكن لأنهم هم قد يخانون ويخدعون! ولأن كراسي الحكم قد تكون في بعض الأحيان وثيرة إلى حد تستنيم له الأعصاب الثائرة وتخدر فيه الدماء الفائرة!

أيتها الأمة العربية: خذي الأمر في يديك من جديد، فإني أرى الموقف يستدعي جهود الشعوب نفسها لا جهود الزعماء منفردين.

وما يخدعك أيتها الأمة — في كل قضاياك الوطنية لا في قضية فلسطين وحدها — إلا مخدوع يقصيك عن الأمر ويستنيم للوعود!!!

سيد قطب

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ٦ —

اليسر ورفع الحرج

من أبين خصائص التشريع الإسلامى، وأبرز محاسنه ومزاياه يسر أحكامه، وسهولة تكاليفه، ومسايرة أوامره ونواهيه للطبيعة البشرية، والفطرة الإنسانية التى لم يمسسها دنس ولا رجس، ليس فى ذلك شىء يعنتها، ولا حكم يشق عليها؛ ولا غرو، فهى شريعة الرحمن الرحيم، وتنزيل من الخبير العليم، ووحى وهداية من العزيز الحكيم، وتفصيل وبيان من رسوله الصادق الأمين، الذى هو بالمؤمنين رءوف رحيم.

والآيات القرآنية فى ذلك المعنى مستفيضة: قال الله تعالى «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» وقال: «يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر»، ولما شرع الله — جلت حكمته — التيمم عند عدم وجود الماء أشار إلى حكمة ذلك التيسير والتخفيف فى قوله فى سورة المائدة: «وإن كنتم مرضى، أو على سفر، أو جاء أحد منكم من الغائط، أو لامستم النساء، فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم، لعلكم تشكرون»، كذلك قال الله — جل شأنه — فى سورة الحج: «وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم، وما جعل عليكم فى الدين من حرج».

ومثل ذلك الأحاديث، فإنها جمة متضافرة على هذا المعنى، فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد فى مسنده: «أحب الدين إلى الله الحنيفية»، وفى شمائله صلى الله عليه وسلم: «ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما».

وحسبك فى ثبوت هذه المزية، ورعاية الإسلام لها، وابتناء كثير من الأحكام عليها أن عدت أساسا من أسس التشريع الاسلامى، وقاعدة من قواعده، التى عول عليها فقهاء الاسلام، وعلماء تشريعه، والقائمون بالاجتهاد فيه، فراعوا اليسر، ورفع الحرج فيما استنبطوه من الأحكام، ووضعوا تلك القاعدة التشريعية التى جمعت بين وجازة اللفظ، وإصابة المعنى، واستحصاد الرأى، وهى قولهم: «المشقة تجلب التيسير».

بتلك القاعدة شرعت أحكام كثيرة، روعيت فيها طبيعة الانسان، وقوة احتماله، وما يناسب غرائزه وجبلته وقدرته: فلم تجب الزكاة إلا إذا بلغ المال نصابا، ولم يجب إلا جزء يسير منه كربع العشر، وكره أو حرم الطلاق والمرأة حائض، حتى لا تطول عليها العدة، ووجب على الحائض قضاء الصوم دون الصلاة، رفعا للحرج، وفرض الحج فى العمر مرة: نقل العلامة أبو السعود عند تفسير قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم» أن عليا رضى الله تعالى عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله كتب عليكم الحج، فقام رجل من بنى أسد يقال له عكاشة بن محصن، وقيل هو سراقة بن مالك، فقال: أفى كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه، حتى أعاد مسألته ثلاث مرات، فقال رسول الله: ويحك! وما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم، لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم... فاتركونى ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه[1]». وعلى هذه القاعدة انبنت جميع رخص الشرع وتخفيفاته. وللكثرة الكثيرة المتفرعة عليها من أحكام الفقه ومسائله قيل إنه يرجع إليها غالب أبواب الفقه.

وقد ذكر العلماء للتخفيف أسبابا، منها:

١ — المرض، ومما يتعلق به جواز التيمم للمكلف عند الخوف على نفسه، والقعود فى صلاة الفرض، والفطر فى رمضان، والإنابة فى الحج بشروطه، وإباحة محظورات الإحرام فى الحج مع الفدية، وإباحة النظر إلى العورة للطبيب.

٢ — السفر، ومما يتعلق به قصر الصلاة الرباعية، والفطر فى رمضان، وترك الجمعة والعيدين.

٣ — العسر وعموم البلوى: كوجوب الصوم شهراً فى

(١) الجزء الثانى من تفسير العلامة أبى السعود طبعة سنة ١٩٢٨.

رأى جديد فى

حمـــاد الراوية (*)

للأستاذ السيد يعقوب بكر

الرواية فى عصر حماد :

لن نتحدث هنا عن الرواية فى عصر حماد من حيث هى رواية مستقلة لها مظاهرها الخاصة ، وإنما سنتحدث عنها من حيث هى طور من أطوار الرواية العربية . ومعنى هذا أننا لن نفصل بينها وبين أطوار الرواية العربية قبلها ، وإنما سنتحدث عنها وعن تلك الأطوار معاً . ونحن نقصد من هذا إلى أن نفهم هذه الرواية على وجهها ، وأن نتفهم المقدمات التى أدت إليها .

بدأ العرب يدونون شعرهم فى أخريات القرن الأول للهجرة ؛ وليس معنى هذا أنهم كانوا يجهلون الكتابة قبل هذا التاريخ ، فقد كانت الكتابة معروفة لديهم قبل الاسلام بزمن طويل تدلنا على هذا تلك (المخربشات) Graffiti التى تسمى خطأ بالثمودية واللحيانية ، وتلك (المخربشات) التى عثر عليها فى الصفا بجوار دمشق ؛ وهى كلها مكتوبة بخط ينتمى إلى الخط العربى الجنوبى . ثم هناك نقش النمارا بسوريا ، الذى نجده على قبر امرىء القيس بن عمرو اللخمى ، والذى هو مكتوب بالخط النبطى المشتق من الآرامى ؛ وهو يرجع إلى سنة ٣٢٨ م . تدلنا هذه الآثار كلها على أن الكتابة كانت معروفة لدى العرب قبل الاسلام . لكن هذه الكتابة لم تكن صالحة لأن تدون بها الأشعار ؛ فقد كانت لا تعبر عن الحركات الممدودة ، كما كانت خالية من الإعجام . إنما أدخل الاعجام على الكتابة فى أيام الحجاج فانتقلت به الأبجدية من ١٥ حرفاً إلى ٢٨ حرفا ؛ كما أن نظام

(*) راجع فى هذا الموضوع : بروكلمان (Gesch der arab Litteratur جـ ١ صـ ١٦ — ١٧ ، وتكملة هذا الجزء صـ ٣١ — ٣٤) ونيكلسون (Nicholson A Literary Hiotsry of the Arabs ، صـ ١٣١ـ١٣٤ ، وتشارلز ليال (Translations of Ancicnt Arabien Poetry ، المقدمة صـ ٣٢ — ١ : ٤) .

السنة ، والحج فى العمر مرة ، ووجوب ربع العشر فقط فى الزكاة تيسيراً — على ما سبق ذكره — وأكل الولى أو الوصى من مال اليتيم بقدر أجرة عمله ، وإباحة النظر للمرأة عند الخطبة ، ومن ذلك مشروعية الطلاق لما فى البقاء على الزوجية من المشقة والعنت عند تنافر الأخلاق ، وتعذر المعاشرة بالمعروف ، ومشروعية الوصية عند الموت ليتدارك الإنسان ما فاته من البر فى حال حياته ، ونفذت فى الثلث دون مازاد عليه دفعاً لضرر الورثة ، حتى إذا لم يكن هناك وارث نفذت ولو كانت بكل المال . ومن التيسير فى عموم البلوى إسقاط إثم الخطأ عن المجتهدين ، والاكتفاء منهم بالظن ، إذ لو كلفوا الأخذ باليقين لشق عليهم الوصول إليه .

٤ — النقص ، وهو نوع من المشقة ، لأن النفس مجبولة على حب الكمال فناسب التخفيف فى التكليف . ومما ترتب على ذلك عدم تكليف المجنون والصبى ، وعدم تكليف المرأة بعض ما يجب على الرجل ، كالجهاد إذا لم يكن النفير عاماً (1) .

وفى معنى القاعدة المتقدمة قول الشافعى : « إن الأمر إذا ضاق اتسع » ، وقول أئمة الحنفية : التسهيل يراعى فى مواضع الضرورة والبلوى العامة .

(1) الأشباه والنظائر لابن نجيم .

هذا التيسير فى التشريع ، وهذه الرخص التى أتت بها الشريعة تخفيفاً على العباد فى مواطن الحرج والمشقة — إحدى مزايا الإسلام وتشريعه مما يعد آية على أنه جاء رحمة للعالمين .

— ٧ —

مراعاته مطالب الجسد والروح

كذلك من مزايا التشريع الإسلامى توفيته بمطالب الجسد والروح معاً فى حدود الاعتدال ، فهو وسط جامع لحقوق الجسد والروح ، ومصالح الدنيا والآخرة ، « وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

فالإسلام بتعاليمه ، ووصاياه وتشريعه — جعل المسلمين وسطا بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية ، والمنافع المادية ، وبين الذين تغلب عليهم التعاليم الروحية ، وتعذيب الجسد ، وإذلال النفس (1) ، كما يتجلى ذلك مما أسلفنا ذكره وبيانه فى الميزين الرابع والسادس ، وتلك مزية أخرى من مزايا الإسلام وتشريعه ، تشهد له بمراعاته الفطرة الإنسانية السليمة ، وبتحقيقه مصالح العباد ، وتهيئة أسباب السعادة لهم فى الدنيا والآخرة .

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

(1) الوحى المحمدى ص ٢١٧ من الطبعة الثانية

الحركات لم يستقم إلا بعد أيام الحجاج بزمن طويل .

قلنا إن الكتابة العربية قبل الاسلام لم تكن صالحة لأن تدون بهـا الأشعار . ولـكننا نجد الأستاذ بروكلمان (تـكملة الجزء الأول من كتابه ص ١٣١ ١٣٢) يرى أن الخط النبطى الذى كتب به نقش النمارا ربما اصطنع فى أمور الحياة الخاصة ، وربما دونت به قصائد الشعراء النصارى بالحيرة ؛ ويصل من هذا إلى أن مرجليوث وطه حسين قد حادا عن الصواب حين أنكرا اصطناع الكتابة لدى عرب الشمال قبل العصر الاسلامى ، وحين انتهيا إلى أن الشعر الجاهلى منتحل كله .

يرى بروكلمان أن بعض الشعر الجاهلى قد دون فى الجاهلية ، وأنه لا سبيل إذن إلى إنكار الشعر الجاهلى كله . ونحن لا نستطيع موافقته على هذا الرأى ، أولا لما قدمناه من قصور الكتابة قبل الاسلام عن أن تدون بها الأشعار . وثانيا لأننا لا نعلم شيئا عن ذلك الشعر الذى دون فى الجاهلية . ومهما يكن من شىء ، فهو على حق حين يأخذ على مرجليوث وطه حسين إنكارهما اصطناع الكتابة قبل الاسلام ؛ ولكنه يحيد عن الحق حين ينتهى إلى أن بعض الشعر الجاهلى صحيح ، لأن اصطناع الكتابة ليس معناه تدوين الأشعار وحفظها من الخطأ .

على أن بروكلمان يعود فيقول إن تدوين الأشعار فى الجاهلية لم يغلب على روايتها شفاها ، وإنمـا كانت الرواية الشفهية هى الغالبة . وهو فى هذا القول يقترب كثيراً من الرأى الذى نأخذ به ، من أن الرواية الشفهية للأشعار كانت السائدة فى الجاهلية . بل إننا نرى أن الرواية الشفهية ظلت سائدة حتى أخريات القرن الأول للهجرة ، أى بعد كتابة القرآن بزمن طويل . ونحن نفسر هذا بأن للعادة سلطانها وغلبتها ، وأن العرب ظلوا على روايتهم الشفهية للأشعار جرياً مع العادة ومسايرة لها . هذا إلى أن طبيعة الشعر العربى القـديم ، وهى طبيعة غنائية ، من شأنها الترغيب فى الانشـــاد والرواية الشفهيـة ، لا الترغيب فى التدوين والنقل .

بدأ العرب يدونون شعرهم فى أخريات القرن الأول للهجرة . ومعنى هذا أن الشعر الجاهلى لم يتأد إلينا إلا بالرواية الشفهية . فهل من الممكن أن يكون هذا الشعر قد تأدى إلينا هكذا سالما ؟ وماذا يضمن لنا أنه ظل بعد تلك المدة الطويلة من الزمن على حاله التى صاغه فيها قائلوه ؟ ليس من ريب فى أن أبياتا كثيرة يقولها الشاعر فى الافتخار بقبيلته وهجاء أعدائها ، فيتناشدها قومه ويتناقلونها ، قد بقيت ولم تحل صورتها . ليس من ريب فى هذا ، ولـكن هناك قصائد طويلة كالمعلقات ما كانت لتبقى لو كان بقاؤها وقفاً على تناشدها وتناقلها . إنمـا هم الرواة الذين حفظوها لنا ، ونقلوها إلينا . فقـد كان لـكل شاعر راويته الذى يصحبه ، ويحفظ أشعاره ، وينقلها إلى الناس . وكان كثير من الرواة شعراء ، وكان كثير من الشعراء رواة . فامرؤ القيس راوية أبى دؤاد ، وزهير راوية أوس بن حجر وطفيل الغنوى ، والحطيئة راوية زهير ، وهدبة بن خشرم راوية الحطيئة ، وجميل عذرة راوية هدبة ، وكثير خزاعة راوية جميل . وكانت مهمة الراوية لا تقتصر على حفظ الأشعار ؛ وإنما كانت تجمع إلى حفظ الأشعار شرح ما فيها من إشارة ، وإيضاح ما فيها من ابهام ، وحكاية ما أحاطها من ظروف .

كانت رواية الشعر فى أثناء الجاهلية وفى خلال النصف الأول من القرن الأول هوية يقصد بها التلهى وتزجية الفراغ ؛ ولـكنها أخـذت بعد ذلك تصطبغ بصبغة المهنة ، وتلبس لبوس العمل الذى يرجى منه الـكسب . وبعد أن كان كل راو مختصا بشاعر واحد فى أغلب الأمر ، يفرغ له ويعكف على شعره حفظا ورواية وشرحا ؛ أخذ الرواة يكونون طبقة خاصة ، تعنى بحفظ الـكثير من الشعر القديم والمعارف المتنوعة . فلما بدأ تدوين الشعر فى أخريات القرن الأول للهجرة ، كان الـكثير من أشعار الجاهلية وأخبارها دائراً على الألسنة والشفاه .

إذن فالرواة هم الذين حفظوا لنا الشعر القديم ، ونقلوه إلينا ؛ ولـكن ليس معنى هذا أنهم قد أدوا إلينا كل هذا الشعر القديم . فقد امتدت يد العفاء إلى كثير من هذا الشعر[1] . ذلك لأن كثيرا من الرواة قتلوا فى الحروب ، أو توفاهم الله ، دون أن

(١) يقول ابن سلام الجمحى المتوفى عام ٢٣٢ هـ فى كتابه طبقات الشعراء (ط المطبعة التجارية ص ١٦) : « قال يونس بن حبيب ، قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير . ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقى بأيدى الرواة المصححين لطرفة وعبيد » .

يخلفوا وراءهم من يصل روايتهم وينتهى بها إلى غايتها . هذا إلى أن قبائل كاملة ، ومعها رواتها ، قد انتشرت فى البلاد البعيدة بداعى الغزو والفتح ، فنسيت لغة صحرائها وأخبار جاهليتها وأشعار شعرائها الأقدمين . كذلك ليس معنى هذا أن ما وصلنا من الشعر القديم قد وصلنا سالماً صحيحاً . ذلك لأنه قد زيدت عليه أشياء ، وسقطت منه أشياء ، وأبدل فيه شيء من شيء ؛ وهو ما يرجع السبب فيه إلى طبيعة الرواية الشفهية وقصور الواعية الانسانية .

قلنا إن رواية الشعر كانت فى الجاهلية وصدر القرن الأول الهجرى هَـوِيّة يُقصد بها التلهى وتزجية الفراغ ، وإنها أصبحت بعد ذلك عملا يرجى من ورائه الكسب . ونقول الآن إن هذا التطور الذى لحق رواية الشعر ليس إلا صدى لتطور لحق الحياة والناس . ذلك لأن العصر الإسلامى الجديد لم يلبث طويلا حتى أتى بوجوه من الحياة جديدة ، وميول نفسية جديدة ؛ وحتى صرف معظم المسلمين عن الشعر القديم ، ذلك الشعر الذى أصبح يمثل روح الضلال والكفر ، إلى ما يعود عليهم بالخير فى الدنيا والآخرة ، ألا وهو القرآن والحديث . وهكذا أخذت صناعة الشعر كما يفهمها القدماء فى الاضمحلال والذبول وأخذت أشعار الجاهلية وأخبارها فى الاندثار والعفاء . لكن شيئاً حفظ على الرواية رونقها الذى كاد يبليه العصر الجديد ، وحفظ على الرواة مكانتهم التى كانت تريد أن تزول ؛ بل جعل من هؤلاء الرواة طبقة خاصة لا هم لها إلا الرواية ، ولا شغل لها إلا ما أبقته الأيام من الشعر القديم والأخبار القديمة وتدوينها .

هـذا الشيء هو مساس الحاجة إلى تفسير القرآن وشرح الحديث ، ومن ثم إلى كتابة النحو وتدوين اللغة . ذلك لأن العرب حين انتشروا فى البلاد المفتوحة ، وامتزجوا بأهلها من الأعاجم ، وانتأوا عن الصحراء مهد لغتهم ، أخذوا يفقدون فصاحتهم الأولى ، وجعلوا ينسون بلاغتهم المأثورة . هنالك غمضت عليهم لغة القرآن والحديث ، وخفيت عليهم أسرارها . وهنالك مست الحاجة إلى تفسير القرآن وشرح الحديث ، ومن ثم إلى كتابة النحو وتدوين اللغة . وكان الشعر القديم هو أداة هذا كله . فكان الفقهاء والعلماء يلتمسون البيت أو البيتين أو الأبيات عند الرواة ، ثم يثبتونها فى كتبهم . وكلما كان البيت أوغل فى القدم ، كان أوثق عندهم فى الاستشهاد .

كانت اللغة إذن تُدرس لا لذاتها ، ولكن لخدمة الشرع ؛ وكان الأدب يُدرس لا لذاته ، ولكن ليكون أداة لشرح الذكر الحكيم . ولكن لم تلبث الحال طويلا حتى فطن العلماء إلى أن فى الشعر القديم ما يصور نفوس الشعراء القدامى ، وإلى أن هناك أسباباً من اللذة والمتاع فى الأخبار القديمة . حينئذ أصبحت الحال غير الحال ، وأضحى الأمر غير الأمر ؛ فإذا بدراسة لغة القرآن تؤدى إلى دراسة الأدب نفسه ، وإذا بالدارسين يصبحون إنسانيين hnmanists بعد أن كانوا متكلمين theologiats .

حدث هـذا التطور العظيم فى أخريات عهد بنى أمية ، وفى عهد أبى العباس والمنصور والمهدى من خلفاء بنى العباس . فكان أبو عمرو بن العلاء ، وحماد الراوية ، والمفضل الضبى ، وخلف الأحمر ، أهم القائمين بجمع الشعر القديم وتدوينه ؛ وكان أبو عبيدة والأصمعى ، ومحمد بن السائب الكلبى ، وابنه هشام الكلبى ، وأبو عمرو الشيبانى ، وابن الأعرابى ، والسكرى ، والطوسى ، أهم القائمين بجمع الأخبار القديمة وتدوينها . وكان أعراب البادية يُدْعَوْن إلى الكوفة والبصرة ، ويسألون عما يحفظون من شعر وأخبار . ثم أصبح من دأب العلماء فيما بعد أن ينزحوا إلى البادية ، فيتنقلوا بين قبائلها ، ويستقوا من هـذه القبائل الشعر والأخبار .

تجمعت إذن لدى الرواة والعلماء طائفة عظيمة من الأشعار والأخبار ، ضمنوها ما خلفوه لنا من آثار . وهى طائفة فيها الدلالة كل الدلالة على نوع الحياة التى كان يحياها الجاهليون ، وعلى النزعات التى كانت تعمل فى نفوسهم . وليس من همنا هنا أن نفصل القول فى صحة نسبتها أو انتحالها ؛ إنما نرجع القارىء إلى ما قدمناه من أن طبيعة الرواية الشفهية وقصور الواعية الإنسانية قد أديا إلى زيادة أشياء ، وسقوط أشياء ، وإبدال شيء من شيء . أعان على هذا ما تمتاز به اللغة العربية من كثرة المترادفات ، وهو ما قد يؤدى إلى إبدال كلمات من كلمات . وأعان على هـذا أيضا أن القصيدة الجاهلية مهلهلة النسج مقلقلة الوضع ، وهو ما قد يؤدى إلى سقوط بيت أو جملة أبيات أو إلى وضعها فى غير موضعها . كذلك قد نجد فى قصيدة واحدة أبياتاً لشعراء مختلفين ، لم يؤلف

الوعود الثـــــلاثة

فى تاريخ فلسطين

وعد الله — وعد قورش — وعد بلفور

هل التاريخ يعيد نفسه ؟

الأستاذ عيسى السفرى

إذا وقع حدث تاريخى هام ، ثم تكرر وقوع هـذا الحدث ، أو ما يشبهه ، بعد مدة من الزمن[1] قالوا : « إن التاريخ يعيد نفسه »

ومن يراجع التاريخ ، قديمه وحديثه ، يجد إن الوعود الثلاثة التى حصل عليها اليهود بالعودة إلى فلسطين كانت كلها متشابهة بأسبابها ونتائجها .

فهل كان ما حدث من قبيل الصدف ؟ . أم أن هناك عوامل غائبة جعلت التاريخ يعيد نفسه ثلاث مرات متوالية ؟.

هذا ما تجد الجواب عليه فى البحث التاريخى الآتى :

١ — وعد الله

(١) تمهيد: اليهود قبيلة سامية هاجرت (بزعامة ابراهيم) من أور[1] الكلدانيين فى العراق سنة ١٩٢١ ق. م بضغط من سكانه وتوطنت فلسطين أرض الكنعانيين[2] . ولكن الكنعانيين قاوموهم وأجاعوهم فاضطروا للهجرة إلى مصر . واضطهدهم المصريون بدورهم وأذلوهم فأجبروهم على العودة إلى فلسطين يقودهم موسى النبى . وكان ذلك سنة ١٤٩١ ق. م

وتاه بهم موسى فى برية سيناء أربعين سنة ليقضى على جرثومة الذل التى تأصلت فى نفوسهم ، ويجعلهم مستعدين لفتح فلسطين . وعبثاً كانت محاولته هذه ، فقد تمردوا عليه وأبوا أن يدخلوا فلسطين ، ذلك بأن فيها قوماً جبارين (هم الفلسطينيون)

«ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا ياموسى إن فيها قوماًجبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا فإنا داخلون ...»

« قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها . فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون[3] »

وهكذا اضطر موسى أن يذهب بهم إلى فلسطين عن طريق

---

(١) المدة : المقدار من الزمن يقع على القليل والكثير .

(١) أور : كلمة كلدانية معناها مدينة .

(٢) كنعان معناها بالعبرية الأراضى الواطئة . وكانت مساكنهم ، وقد هاجروا من جزيرة العرب سنة ٣٥٠٠ ق. م

(٣) سورة المائدة الآيات ٢٠ و٢١ و٢٣

بينها إلا اتفاق الوزن والقافية . هذه كلها وجوه لما لحق الشعر الجاهلى من زيادة وحذف وتغيير . ثم لا ننسى أن من الرواة من كان يتعمد الحذف والتغيير . ودليلنا على هذا قلة ما نلقاه فيما لدينا من الشعر من أسماء الآلهة الجاهلية ، وهى آلهة كانت تشغل جانباً من حياة الجاهليين ، وكان لها صدى ولا شك فى أشعارهم . ثم هناك من الرواة من كان يُصلح ما يصل إليه من أشعار ، ويزيد عليه مُكمِّلا . هـذا إلى ما يقوله ابن سلام (ص ٢٢) من أنه لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ؛ وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم . وأخيراً نصل إلى من كان يقصد الخداع من الرواة ، فكان ينحل شعره الشعراء القدماء ، ليشتهر بين الناس بكثرة الرواية؛ ويقول فى هذا ابن سلام (ص ٢٢ـ٢٣) « ... ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا فى الأشعار . وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم ، فيشكل ذلك بعض الإشكال » . فهذه وجوه أخرى لما لحق الشعر الجاهلى من زيادة وحذف وتغيير وانتحال .

***

هذه صورة للرواية العربية قبل عصر حماد وفى أثناء عصره ؛ جهدنا أن تكون واضحة الخطوط ، بينة الملامح ، صادقة التعبير . وهى صورة ستعيننا دون ريب على تفهم رواية حماد الخاصة به ، وعلى بحثها البحث الصحيح القائم على أسس صحيحة ، وعلى الخروج من هذا بالنتائج الصحيحة التى إنما نكتب هذا البحث فى سبيل بلوغها .

(للبحث بقية)

السيد يعقوب بكر

الجنوب الشرق ليتحاشى بأس الفلسطينيين سكان الساحل .

وصعد موسى إلى جبل نبو قبالة أريحا فأراه الرب أرض فلسطين وقال له :

« هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها ، قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر[١] .

٢ — وعد الله

ومات موسى ، فتسلم يشوع بن نون القيادة من بعده . ونفذ (يهوه)[٢] وعده على يد يشوع[٣] . وفيما يلى نص هذا الوعد :

عبدى يشوع

قم الآن واعبرهذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى ، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات . تشدد وتشجع لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التى حلفت لآبائهم أن أعطيهم[٤]

فى الشهر الأول من السنة ٢٥٥٤ للخليقة[٥] (...)

فكان هذا أول وعد أعطى لليهود بالعودة إلى فلسطين .

***

وكانت أوامر يشوع لجيشه ، عند ما فتح أريحا ، شديدة قاسية ، فقد حرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها[٦]

وهذه القسوة الوحشية فى الفتح جعلت الكنعانيين وغيرهم من السكان يحقدون على اليهود الغاصبين ، ويتربصون الفرص للايقاع بهم . ومن حسن حظ اليهود ، لا بل من سوء حظ فلسطين ، أن كان الكنعانيون فى أواخر مجدهم وسلطانهم ، فمكن ذلك اليهود من الاستقرار إلى حين فى فلسطين .

على أن استقرار اليهود فى فلسطين لم يزد على ٦٤٥ سنة ، كانوا خلالها عرضة لغزوات أهل البلاد ، الكنعانيين فى الداخل والفلسطينيين فى الساحل . ثم دب الخلاف بينهم فانقسموا إلى فئتين : مملكة إسرائيل وقصبتها السامرة (نابلس) ، ومملكة يهوذا وقصبتها أورشليم (القدس) ولم تتعد حدود هاتين المملكتين المنطقة الجبلية فى فلسطين كلها ...

***

ولم يفصل اليهود المستقيم فى عينى الرب ، فتركوا عبادته وعبدوا تماثيل مسبوكة للبعليم[١] وذبحوا لها . حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ، ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم[٢] ، وكانوا يهزأون برسل الله ، ورذلوا كلامه ، وتهاونوا بأنبيائه[٣] ، وأساءوا إلى الله الذى أحسن إليهم الإحسان كله ! ... وهو الذى أخرجهم من أرض مصر من بيت العبودية ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وجعلهم أمة بين الأمم .

وكانت أعمال اليهود المنكرة مثاراً لغضب الله . فأظهر شلمناصر ملك أشور على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق . م فأبادها وسبى شعبها إلى مملكته . كما أظهر نبوخذ نصر ملك بابل (بعد ذلك) على مملكة يهوذا سنة ٥٨٨ ق م فأبادها وقتل مختارى اليهود بالسيف فى بيت مقدسهم ، ولم يشفق على فتى أو عذراء ، أو شيخ أو أشيب . وأحرق بيت الله وهدم سور أورشليم ، وأحرق جميع قصورها بالنار ، وأهلك جميع آنيتها الثمينة ، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل ، فكانوا له ولبنيه عبيداً[٤] ...

وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[٥]

وهكذا كانت إرادة الله باليهود الذين اختارهم (كما تقول التوراة) من دون شعوب الأرض ليكونوا شعباً له مختاراً ، وبإرادته هذه انتهى الفصل الأول من رواية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين !

٢ — وعد قورش

دام السبى البابلى مدة ٧٠ سنة . ثم ورث قورش ملك الفرس إمبراطورية الكلدانيين ، فأخذ اليهود ينوحون ويبكون ، يرجون ويستعطفون ، ويطلبون العودة إلى فلسطين ! .

---

(١) سفر التثنية ٣٤ : ٤ (٢) يهوه : إله إسرائيل

(٣) أعطى هذا الوعد لإبراهيم ونفذ فى زمن يشوع

(٤) سفر يشوع ١ : ٢ و٣ و٤ و٦

(٥) الموافقة للسنة ١٤٥٠ ق.م

(٦) كتاب فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية لصاحب هذا المقال ص ٦٨ .

(١) البعليم بالعبرية جمع بعل أصنام أو معلمون أوآلهة زور .

(٢) هو الهيكل الذى بناه سليمان فى القدس سنة ١٠١٢ ق . م .

(٣) سفر أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٤ و١٦ .

(٤) « « « « ٣٦ : ١٧ — ٢٠ .

(٥) سورة البقرة الآية ٦٠ .

ولسياسة موضوعة ... صار قورش المجوسى من المؤمنين بإله إسرائيل ! ... فأطلق نداء فى كل مملكته ، فى السنة الأولى لملكه ، فقال :

«إن الرب إله السماء قد أعطانى ممالك الأرض ، وهو أوصانى أن أبنى له بيتاً فى أورشليم التى فى يهوذا . من منكم من جميع شعبه الرب معه وليصعد»[1]

ومات قورش فخلفه أرتحشستا ، وهذا تمت وعد قورش كتابة بالتصريح الآتى وهذا نصه :

من أرتحشستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة السماء قد صدر منى أمر أن كل من أراد فى ملكى من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم فليرجع ، وأن يبنى بيت الرب إله إسرائيل . وليعلم أن جميع الكهنة واللاويين والمغنين والنثينيم[2] وخدام بيت الله هذا لا يؤذن أن يلقى عليهم جزية أو خراج أو خفارة[3]

فى السنة السابعة للملك (٥٢٩ ق. م) (التوقيع)

فكان هذا ثانى وعد أعطى لليهود بالعودة إلى فلسطين .

***

عاد اليهود إلى فلسطين ، بحسب منطوق هذا الوعد متحدين إرادة الله وإرادة سكان البلاد . وبنوا الهيكل ورمموا أسوار المدينة (القدس) فكانوا باليد الواحدة يعملون العمل ، وبالأخرى يمسكون السلاح[4]

وكتب زعماء البلاد ، سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى وجشم العربى ، إلى الملك محتجين وقائلين :

« فتش فى سفر أخبار آبائك فتجد فى سفر الأخبار وتعلم أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد ، وقد عملوا عصياناً فى وسطها منذ الأيام القديمة ، لذلك أخربت هذه المدينة . ونحن نعلم الملك أنه إذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها لا يكون لك عند ذلك نصيب فى عبر النهر[5] ...

وهكذا قام أصحاب البلاد بالواجب عليهم محذرين مملكة فارس من نتائج هذه السياسة ! ...

مرت سنون ، تناوب الحكم فى فلسطين اليونان والرومان[6] وظلت المدينة عاصية ، بالرغم مما عمله بيلاطس النبطى (عامل رومة على فلسطين) لليهود . فقد شيد بعض الحمامات فى السامرة (نابلس) وجلب الماء الكافى إلى أورشليم (القدس) من الينابيع الموجودة جنوبى المدينة : وأنشأ طريقين يؤديان إلى القدس من الشمال ومن الشرق ، فنشطت حركة التجارة وحركة الحجاج ، وهما مورد لا يستهان به لزيادة الدخل[1]

وأعمال كهذه يقوم بها بيلاطس لخدمة اليهود تستحق منهم أن ينصبوا له تمثالا ! ... وفوق هذا كله فإن بيلاطس التعس[2] لم يسمح له قيصر بأن تنشب ثورات عنده ، وهو فى الوقت ذاته ممنوع من مكافحة التحريضات التى يقوم بها اليهود فى الجليل[3]

أما أشر المحرضين فلم يكونوا الكهنة ولا رجال الشرع أنفسهم ، وإنما كانوا الشبان الكثيرى الإدعاء ، ممن يحضرون خطبهم ومحاضراتهم . هؤلاء هم الذين يبثون فى الجمهور العادى روح التمرد والشغب[4] إنهم يهددون رومة وفى الوقت نفسه يساومون ! ... وقد علقوا لوحات ونشرات كبيرة على أسوار (أنطونيا) كتبت عليها جمل تحريضية فيها تشهير ببيلاطس وقيصر[5]

(٥) خراب ودمار : وتمادى اليهود فى تمردهم وشغبهم حتى يئست حكومة رومة من إيجاد علاج لهذه الحالة . فأرسلت (تيطى) القائد الرومانى سنة ٧١ ميلادية ، فحاصر القدس ثم هدمها وهدم الهيكل إلى أساساته . فهلك من اليهود مليون ومائة ألف نفس بالجوع والنار والسيف ، ونحو ٩٧ ألفاً بيعوا كعبيد ، ما عدا جموعاً لا تحصى هلكت فى أماكن أخرى فى اليهودية[6] ، وتم بذلك قول المسيح عليه السلام :

«يا أورشليم يا أورشليم ، ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً»[7] .

وهكذا كانت إرادة الله ، وبإرادته هذه انتهى الفصل الثانى من رواية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ! ...

٣ — وعد بلفور

ظل اليهود بعد ضربة تيطى مشتتين فى بقاع الأرض ، وحل

(١) سفر أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ٢٣ .
(٢) النثينيم : الموهوبون أو المعطون .
(٣) عزرا ٧ : ١٢ و١٣ و٢٤ .
(٤) سفر نحميا ٤ : ١٧ . (٥) سفر نحميا ٢ : ١٩ .
(٦) فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية لصاحب هذا المقال ص ٦٧

(١) رسائل بيلاطس النبطى ص ٧٧ .
(٢) يقوم مقامه اليوم المندوب السامى .
(٣) و(٤) و (٥) رسائل بيلاطس النبطى ص٢٦ و١٠٦ وأنطونيا قصر بيلاطس النبطى
(٦) يوسيفوس المؤرخ اليهودى الشهير .
(٧) متى ٢٣ : ٢٧ و٢٨ .

الحكم العربي محل الحكم الروماني سنة ٦٣٧ م .وقد فتحوا هذه البلاد فتحاً إنسانياً عادلا . تدل عليه الوصية الخالدة التالية[١] :

« لا تخونوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا . ولا تقتلوا طفلا ولا شيخاً كبيراً . ولا تقعروا نخلا وتحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً . وسوف تمرون بأناس قد فرّغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له »

وهكذا كان الحكم العربى (الذى دام مدة ٨٨٠ سنة) نعمة كبرى للناس وبخاصة اليهود قلدت به أعناقهم . ثم انتقل الحكم إلى الأتراك العثمانيين سنة ١٥١٧ ميلادية ، وكان العرب شركاء لهم فى الحكم مدة ٤٠٠ سنة[٢]

***

وفى سنة ١٩١٧ احتل الإنكليز فلسطين وقام اليهود بالتجربة القاسية للمرة الثالثة . ولسياسة موضوعة ... أصبح الإنكليز القيمين على راحة اليهود وطمأنينتهم ، فأعطوهم وعداً بالهجرة إلى فلسطين هذا نصه :

عزيزى اللورد روتشلد

يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين الرضى إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وتبذل الجهود فى سبيل ذلك . على أن لا يجرى شىء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود فى فلسطين ، أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسى فى غيرها من البلدان الأخرى .

اللورد بلفور
فى ٢ تشرين الثانى سنة ١٩١٧ وزير الخارجية البريطانية

وهكذا اختلف الناطقون بهذا الوعد باختلاف المكان والزمان . فمن وعد ينطق به الله ، إلى وعد ينطق به ملك ، إلى وعد ينطق به وزير ... وهو ثالث وعد أعطى لليهود بالعودة إلى فلسطين . .

وطمع اليهود بعد ذلك فى الوطن القومى بفلسطين كلها ... واحتج العرب أصحاب البلاد على ذلك ، وأنذروا بريطانيا من عواقب هذه السياسة الخاطئة .

وازداد تمرد اليهود وتحديهم لسلطة لندن حتى اعتدوا على رجالاتها المسئولين بالقتل والإرهاب[١] وأتلفوا الكثير من دوائر الحكومة وممتلكاتها ، ونسفوا مراكز البوليس بالديناميت ، وأتلفوا خطوط السكك الحديدية ، وتحدوا القانون بتهريب مهاجريهم غير الشرعيين ... واعتداءاتهم المتواصلة على رجال الأمن ، دون أن يُسمح لهم بأن يطلقوا النار على المعتدين حتى ولو قتل هؤلاء إخوانهم[٢] ووزعوا المنشورات التحريضية المختلفة ، فيها تشهير بحكومة فلسطين وسلطة لندن !

وكما تحدى اليهود الإنكليز وأساءوا إليهم ، كذلك تحدوا العرب فى عقر دارهم بالسلاح وأساءوا إليهم ، وهم الذين أووهم فى بلادهم وكانت إمبراطوريتهم الواسعة فيما مضى الملجأ الوحيد لهم من الاضطهاد اللاسامى الذى أثاره عليهم الغرب !...

والإنكليز هم الذين مكنوا اليهود فى فلسطين ، وألقوا مقاليدها التجارية والمالية والاقتصادية بين أيديهم . وهم الذين سهلوا لهم (بجميع الطرق) استملاك الأراضى فى فلسطين لاستقرار مهاجريهم الشرعيين وغير الشرعيين فيها ، ووقفت جميع أسلحتها لحمايتهم ، وسخرت برلمانها لسماع أباطيلهم ! ...

وكان الواجب على اليهود أن يقبّلوا اليد التى أحسنت إليهم لا أن يحاولوا قطعها ، وأن يشكروا العرب جزيل الشكر على تمسكهم إلى الآن بأهداب الصبر الجميل ! . .

وما أشبه ثورة اليهود على الإنكليز اليوم بثورتهم على الرومان فى الماضى . والعالم أجمع يتجه بأبصاره نحو فلسطين ، ويرقب باهتمام نهاية الفصل الأخير من هذه الرواية المحزنة التى يلذ لرجال السياسة إعادة تمثيلها للمرة الثالثة !

والناس يتساءلون عن التاريخ هل يعيد نفسه ؟ .... وهل يؤدى وعد بلفور إلى نفس النتيجة التى أدى إليها وعد الله ووعد قورش ؟ ...

إن النتيجة لا تزال فى ضمير الزمن ، والمستقبل القريب أو البعيد هو الذى سيقول ، فى الوطن القومى اليهودى ، كلمته الفاصلة ! وإرادة الله فوق الجميع ! ...

(يافا) **عيسى السفري**

---

(١) هى وصية الخلفاء الراشدين للقواد — ابن الأثير . قابلها بوصية يشوع بن نون !

(٢) فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية لصاحب هذا المقال ص ١٢ .

(١) أطلقوا النار على خاتمة المندوب السامي السرهارولد مكمايكل فى القدس بتاريخ ٨ آب سنة ١٩٤٤ بقصد اغتياله . وقتلوا اللورد موين فى القاهرة بتاريخ ٦ تشرين الثانى سنة ١٩٤٤ .

(٢) سؤال أثاره فى البرلمان اللورد ونترتون . قابل هذا بما كان يشكو منه بيلاطس النبطى .

المرأة والسياسة (*)

الأستاذ سعيد الأفغاني

« يطيب لبعض الصحف والمجلات في هذه الأيام ، أن تغرق في مجاملة المرأة الخارجة على أنوثتها ، الساخطة على الطبيعة التي فيها لكل كائن عمل خاص . وكان حق المرأة على هؤلاء أن يأخذوا بيدها إلى ما يسعدها من علم وخلق وإلى ما يعزها في المجتمع سيدة بيت ومربية أجيال وكان من حقها أيضاً على من يزعم نصرتها أن يمسكها عن أن يهوى بها الطيش في مكان سحيق وتفقد مالها من حرمة هي ملاك أمرها كله في المجتمع .

وآخر ما قرأت دعوة متطرفة تذهب إلى وجوب تولية النساء الوزارات والادارات ، نصيبها من ذلك نصيب الرجال سواء بسواء . والفكرة ظاهرة التهافت ، وقد سبق لأقلام بليغة في مجلتنا (الرسالة) أن أظهرت زيفها وبهرجها فما بنا إلى معالجتها من عودة ، وإنما نذكر هنا نصيبها من ممارسة الشئون العامة في صدر تاريخنا ففي هذا النصيب ما نجد وأمن واعتدال .

الحكم في هذه القضية لسنة الله في المرأة ، وما فطرها عليه من خصائص (فسيولوجية) وعاطفية وفكرية : خصائص قاهرة لا يد للانسان في تحويرها إلا حين يستطيع تحويراً في تركيب الدماغ وبنية خلاياه ، أو حين يبدل في وظائف الأعضاء .

إنها فوارق بين الرجل والمرأة أزلية أبدية ، اقتضتها الحكمة العميقة الطبيعية التي تعنى بالتمييز الدقيق عناية تتطلبها عمارة هذا الكون القائمة على تقسيم الأعمال والوظائف ، وتيسير كل من الكائنات إلى ما يلائمه وخلق له . وكل مجتمع يحاول بناته إلغاء تلك الفوارق الواضحة بين أعمال الجنسين وتجاهل السمات البينة ، فمصيره إلى الاضطراب والفساد : لأن في ذلك ثورة على الطبيعة ، وما كان ثورة على طبائع الأشياء فمنه الضرر كل الضرر ، ولا يرجى له دوام ، وإن خيل لبعض الأفراد والجماعات (سطحية في تفكيرهم أو تعصبا لمذهبهم) إمكان الاستمرار عليه .

والطبيعة في هذا حكمها واحد لا يختلف باختلاف الأمم ولا باختلاف الأعصار والأمصار ، ولا يتفاوت (البيئات) رقيا وانحطاطا ولا بتغاير الأفراد تربية وثقافة .

المرأة ربة أسرة وسيدة بيت ، فمهما احتلت لتخرجها عما خلقت له من رعاية أطفال وتسلية أزواج وتدبير منزل ... فإنما تحاول خرقاً لقانون طبيعي ، إن أنت وفقت إلى إطالة هذا الشذوذ أزماناً فلن يخرجه العهد الطويل ولا العرف المنحرف عن أن يكون شذوذاً يقذى العين ويصدم الفؤاد .

فمن البداهة إذاً أن تكون قيادة الجيوش وإدارة المصالح وتدبير الممالك وسياسة الناس ... فن الرجال الخاص ، كما أن الأمومة وتدبير المنزل فن نسوى محض .

ولئن حفظ التاريخ شواهد كثيرة في قيام المرأة بشؤون السياسة والإدارة ، إني لا أجد في هذه الشواهد كلها ما يمس هذه القاعدة ؛ بل أقرر أنها كلها تؤيدها . ولأى مثقف كان أن يسرد ما في ذهنه من ملكات أو قائدات أو زعيمات أو مدبرات ممالك ، أو نائبات في المجالس ... الخ ثم يستقرى أحوالهن واحدة واحدة ويمعن فيما حف بهن ... فسيدرك أن أكثرهن كن مسيئات بتصرفهن ، عدن على بلادهن بأسوأ العواقب .

« وإذا زعم بعضهم أن حكومات النساء في بعض ممالك أوروبا كانت أرقى من حكومات الرجال ، فذلك لأن حكومات النساء أدارها الرجال من وراء حجاب ، و (الأمر) على العكس في حكومات الرجال : كثرت فوضاها في بعض الأدوار لأن النساء كن يدرنهـا في غفلة عن الرجال ... وكن إذا تدخلن في أمور الدولة تميل إلى الانحطاط ؛ ولذلك كان عقلاء الملوك يحظرون على نسائهم الاشتراك فيما لا شأن لهن فيه من أمور السياسة ... »

« وبعد فلماذا لم يقل لنا المنادون باعطاء المرأة حقوقاً (سياسية) على مثال الرجال : كيف تمسى حال البيوت بعد انقلابهم الذى يتوقعونه ؟ لاجرم أن الشقاء سيخيم على كل أسرة يشتغل رباتها خارج بيوتهن ، اللهم إلا إذا كان في النية أن يعمدوا إلى دفع أولادهم إلى الحكومات تربيهم تربية مشتركة كأنهم بعض اللقطاء

(*) من كتاب نعده عن (عائشة والسياسة) يكشف أبلغ عبرة حواها تاريخنا ، وذلك حين همت المرأة أن تدس أنفها في السياسة ، وكان لنا من ذلك درس أليم فاجع لا ينسى ، إذ كلفنا دماء عشرات الألوف من رجالنا ، وقضى على خير العهود : عهد الراشدين .

من أولاد النئول : لا يذوقون فى هذه الملاجىء طعما لهناءة البيوت ولا يرون أثراً للروابط الروحية بين الأولاد والأبوين[١] » .

الحق أن الإدارة والسياسة تقتضيان بعداً فى التفكير ، وسداداً فى المنطق ، وحساباً دقيقاً للعواقب ، وصبراً مضنياً وضبطاً للعواطف وكبحاً للأهواء ... إلى صفات كثيرة كلها يعوز المرأة . فلا عجب أن كان اضطراب الأمور وتدخل المرأة فى السياسة قرينين فى التاريخ لا يفترقان إلا حين يدبر الأمور للمرأة وزراء حصيفون من وراء ستار . ومع هذا فقلما خلت امرأة — مهما حف بها من فحول محنكين — من طامع فيها مستغل لضعفها . وما أكثر ما حفظ التاريخ من عروش كان الغرام هو الحاكم فى ممالكها .

وهناك كلمة متداولة منذ القديم ، لا شك فى أنها عصارة التجارب على الزمن ، وهى قولهم : « المرأة ريحانة وليست بقهرمانة . »

ويعجبنى فى ذلك حكم ظريف أصدرته الكونتس أف أكسفورد :

« .. هل تستطيع أن ترى امرأة صائرة إلى منصب رئيس وزارة ؟ إنى لن أستطيع أن أتصور نكبة أعظم من وضع هذه « الجزر البريطانية تحت قيادة إحدى النساء فى شارع داوننج رقم ١٠ »[٢]

ولقد سارت أمم غربية راقية فى أوروبا وأمريكا خطوات فسيحة فى إنالة النساء حقوقاً سياسية ، فما أظفرها ذلك بطائل بل كانت نتيجة التجربة أن ضج عقلاؤهم من تلك الأوضاع الشاذة ، الخارجة على الفطر السليمة .

وليس تاريخ العرب بيدع فى تواريخ الأمم ، فالحكم واحد كما أسلفنا ، فحيث رأيت انحطاطاً فى إدارتنا أو تقهقراً فى سياستنا ففتش عن المرأة .

وكتابنا هذا (عائشة والسياسة) فيه أكبر عبرة فى هذا الموضوع ، ولم ينجنا من العاقبة الوخيمة : عاقبة دس النساء فى السياسة ، أن كانت الزعيمة هنا متحلية بمزايا عبقرية قل أن يحوى مثلها رجال عديدون ، ولم ينجنا كذلك رغبتها القوية فى الإصلاح ولا انطواؤها على الخير للمسلمين .

والعرب يتداولون منذ فجر الإسلام حكمة الرسول عليه الصلاة والسلام : « لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة . »[١]

* * *

إذا أنت جاوزت السياسة إلى الجهاد فى الإسلام ، رأيت المسألة تختلف بين يديك ، إذ تجد أنه ليس لأحد أن يحرم المرأة شرف الجهاد ، وأنها هى والرجل سواء فى المطالبة به ، كل بحسب استعداده واختصاصه : فالرجل للقتال والمرأة لتمريض الجرحى والعناية بشئون الجيش من نحو إسقاء وإطعام وغسل وخياطة ... ثم هى مع ذلك كله تحمس المقاتلين وتبصرهم العواقب السيئة التى تنتظرهم فى أنفسهم وحرمهم إذا هم تهاونوا فى الدفاع .

وللمرأة العربية فى هذا الميدان الموقف المحمود الذى لا يجارى ، كانت فيه مضرب الأمثال بشجاعتها وحسن بلائها وإخلاصها . وعلى هذا درجت فى جاهليتها من قبل أيضاً فكان إليها فى الحروب التمريض والعناية بالجرحى وسقى الماء وتحميس المحاربين[٢] .

جاء الإسلام ففتحت عينيها — لما أظلتها رايته — على رجال غير الرجال ، ومجتمع غير المجتمع ، ودين غير الدين ، فكأنما نشطت من عقال ، فشمرت عن ساعدها ، وأخذت من هذا الدين الجديد نصيبها الأوفى ، وكان شكرها لله على نعمته هذه شكراً عملياً :

قاست فى أوله ما قاسى الرجال من عذاب وهجرة واضطهاد وأذى ، ثم انتظمت فى صفوف المقاتلين إعلاء لكلمة الحق ، وذوداً عن دين الله وعن رسوله ، فقاسمت الرجل شرف الجهاد وآبت بثوابه وكرامته ، وليس بعد بذل الروح غاية فى الشكران[٣] .

صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فى مغازيه ، وأبلين معه البلاء الحسن ، فكن نعم المعينات للمحاربين : يداوين

(١) مجلة المجمع العلمى العربى م ٢٠ ص ٢٩٢ — ٢٩٤ .
(٢) انظر العدد ٥٦٠ من مجلة الرسالة (ص ٣٦٩) .

(١) مسند أبى داود الطيالسى ص ١١٨ الحديث ٨٧٨ (الجزء الثالث) وانظر مسند أحمد ٥ — ٤٣ ، ٤٧
(٢) انظر كتابنا الاسلام والمرأة ص ٢٠
(٣) المصدر السابق ص ٣٢

جراحهم[1] ويحملن الماء فى القرب يسقينهم ، ويتعهدن أطعمتهم وملابسهم وقربهم ، وكن حين الحاجة يمارسن القتال .

ثم تتابعت المواقف المأثورة للمرأة من بعد الرسول ، ولن ينسى أحد جهاد خولة بنت الأزور أخت ضرار فى فتوح الشام وحسن بلائها فى الروم ، ولا موقف الخنساء فى يوم القادسية وكانت واحدة من كثيرات :

ذكر الطبرى أن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعى قالت : « شهدنا القادسية مع سعد (بن أبى وقاص القائد العام) مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فُرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا ، وأخذنا الهراوى ثم أتينا القتلى : فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، وما كان من المشركين أجهزنا عليه ، وتبعنا الصبيان نولّيهم ذلك ونصرّفهم به »[2] .

وإذا كانت هذه الوقعة من الخطر بحيث أنها هى الفاصلة بين العرب والفرس ، وأنها لها ما بعدها ، استمدت لها القبائل بكل ما تطيق ، حتى إن التاريخ ليذكر لقبيلتين من القبائل فخراً خالداً إذ أخرجتا نساءهما معهما ، فكان فى قبيلة النخع — على ما يذكر الطبرى — سبعمائة امرأة لا زوج لها ، وفى قبيلة بجيلة ألف امرأة ، تزوجن جميعاً فى هذه الحرب ، وكانت النخع تسمى : (أصهار المهاجرين)[3] .

لقد شرع الرسول لمن بعده الاستعانة بالنساء فى الجهاد ، وأثابهن عليه من الغنائم ، ودرج خلفاؤه من بعده على سنته ، حتى إذا انقضى عهد الراشدين ، وخف علم الناس بالسنة ، شك بعضهم فى هذه الاستعانة ، فكتب نجدة بن عامر الحرورى إلى ابن عباس يسأله :

« هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء ، وهل كان يضرب لهن سهماً ؟ »

فكتب إليه ابن عباس :

« كتبت إلى تسألنى : هل كان رسول الله يغزو بالنساء ؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويَحْذَيْن (يعطين) من الغنيمة »[1]

كل ما تقدم من استحباب خروج النساء ليشاركن الرجال شرف الجهاد وهو فى حال الفتح والهجوم ، حين يكون الجهاد فرض كفاية على الرجال أنفسهم ؛ فأما إذا انعكس الأمر وهاجم العدو بلاد المسلمين أو احتلها ، فحينئذ يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ذكراً كان أم أنثى ، لا يستثنى من هذا الفرض صبى ولا امرأة ولا رجل .

ونصوص الفقهاء — إزاء هذه الحالة — متضافرة على أنه يجب على المرأة أن تخرج للقتال بلا إذن زوجها[2]

وبذلك يصبح التكليف والوجوب بدرجة واحدة على الرجال والنساء ، والصبيان والأحرار والعبيد (يوم كان العبيد بعض الناس) لا يستأذن أحد أحداً فى تأدية هذا الواجب

* * *

من شأن السياسة المزالق الخفية والأخطار الكامنة ، فهى على المرأة حرام صيانة للمجتمع من التخبط وسوء المنقلب ؛ أما الجهاد فطريق لاحبة عواقبها مأمونة وفوائدها مضمونة ، فللمرأة أن تنال من هذا الشرف نصيبها الأوفى

ليتنا فى غمراتنا اليوم نسترشد بتجارب الماضى ، ونسير غير متخبطين : نبصر مواطئ أقدامنا ونتقى المزالق ونجند كلا فى ميدانه الذى لا يصلح لغيره . لقد تداعت علينا الأمم وطمع فينا حتى (الصهاينة) من شذاذ الآفاق ، وغزينا فى أخلاقنا وبلادنا وأموالنا ... وليس فى جهودنا فضل ننفقه فى رد العابثين عن عبثهم ، فليتق الله حملة الأقلام ، وليصونوا الشاردات عن القطيع وليرجعوا بهن عن طريق وضمن أقدامهن فى أوله ، وما آخره إلا مستقبل أسود حالك للأنثى أولا ، ثم خراب البيوت وهدم الأسر وارتكاس المجتمع ، وموت كل كرامة إنسانية !

(دمشق) سعيد الأفغانى

---

(١) أقام الرسول خيمة فى مسجده لرفيدة إحدى ممرضات الجيش وحمل إلى خيمتها سعد بن معاذ وهو جريح

(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٨٢ (مطبعة الاستقامة ١٣٥٨ م)

(٣) الصفحة نفسها من المصدر السابق .

(١) تيسير الوصول ج ٢ ص ١٠٣ .

(٢) انظر فى ذلك : باب السير أو الجهاد فى كتب الفقه مثلا : شرح الزيلعى على متن الكنز (٣ — ٢٤١) والحكم مشهور لأن الاسلام لا يقر احتلالا لأجنبى بحال من الأحوال ، ولا يرضى لأهله حياة ذليلة .

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٧ —

[تتمة]

— ٥ —

ولعليّ بن الجهم قصيدة أخرى قالها فى الحبس ، منها :

توكلنا على ربّ السماء وسلمنا لأسباب القضاء
ووَطّنّا على غِيَر الليالى نفوساً سامحت بعد الإباء
وأفنية الملوك محجّبات وباب الله مبذول الفناء
هى الأيام تكلمنا وتأسو وتأتى بالسعادة والشقاء
حلبنا الدهر أشطره ومدّت بنا عقب الشدائد والرخاء
وجرّبنا وجرّب أوّلونا فلا شىء أعز من الوفاء
ولم ندع الحياء لمس خيرٍ وبعض الضرّ يذهب بالحياء
ولم نحزن على دنيا تولّت ولم نسبق إلى حسن العزاء(١)

— ٦ —

ومن أروع وأرق ما قيل فى الحبس قول محمد بن صالح العلوى ، وكان خرج على المتوكل فظفر به وسيّره إلى سرّ من رأى فحُبس .

طرب الفؤاد وعاده أحزانه ، وتشعّبت شُعباً به أشجانه
وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تتابع مَوْهناً لمانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنع أركانه
فدنا لينظر أين لاح فلم يُطق نظراً إليه وردّه سجّانه
فالوجد ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سحّت به أجفانه
ثم استعاذ من القبيح وردّه نحو العزاء عن الصّبا إيقانه
وبدا له أن الذى قد ناله ما كان قدّره له ديّانه(٢)

(١) الأغانى : ترجمة على بن الجهم .
(٢) الأمالى والنوادر ج ٣ ص ١٨٣ .

— ٧ —

ولابراهيم بن المدبر فى حبسه أشعار حسان ، منها قوله فى قصيدة أولها :

أدموعها أم لؤلؤ متناثر يندى به ورد جنى ناضر

يقول :

لا تؤنسنك من كريم نبوة فالسيف ينبو وهو عضب باتر
هذا الزمان تسومنى أيامه خسفاً وها أنذا عليه صابر
إن طال ليلى فى الإسار فطالما أفنيت دهراً ليله متقاصر
والحبس يحجبنى وفى أكنافه منى على الضرّاء ليث خادر
عجب له كيف التقت أبوابه والجودُ فيه والغمام الباكر
هلا تقطّع أو تصدّع أو وهى فعذرته ، لكنه بىَ فاخر(١)

— ٨ —

ولما غضب جعفر على ابن الزيات عذبه فى التنور . وكان قد حبسه قبل تعذيبه فى بيت . فوجد على الحائط قوله :

لعب البلى بمعالمى ورسومى ، ودُفنتُ حياً تحت ردم غموم
وشكوت غمى حين ضِقت ومن شكا كرباً يضيق به ، فغير ملوم
لزم البلى جسمى وأوهن قوتى إن البلى لموكل بلزومى
أبنيّتى قلّى بكاءك واصبرى فإذا سمعت بهالك مغموم
فانعى أباك إلى نساء واقعدى فى مأتم يبكى العيون وقومى

وقال فى التنور الذى عُذّب فيه :

هيض عظمى الغداة إذ صرت فيه
إن عظمى قد كان غير مهيّض
ولقد كنت أنطق الشعر دهراً
ثم حال الجريض دون القريض(٢)

— ٩ —

وبعث الإفشين إلى المعتصم من الحبس : « إن مثلى ومثلك يا أمير المؤمنين كمثل رجل ربّى عجلاً له حتى أسمنه ، وكبُر ، وحسُنت حاله . وكان له أصحاب اشتهوا أن يأكلوا من لحمه

(١) الأغانى ج ١٩ ص ١١٥ .
(٢) البيهق ص ٥٧٠ .

هذا العالم المتغير

سمدوا الأرض تضاعفوا الإنتاج الحيواني

للأستاذ فوزي الشتوي

الحيوان وغذاؤه :

« لا تعلفوا الماشية بل اعلفوا الأرض » . بهذا رد العلماء الأمريكيون والمهتمون بزيادة الإنتاج الحيواني من لحم ولبن وما يتفرع منهما . فلم تكن الثروة الحيوانية وتوفير أغذيتها من معضلات الشرق وحده بل امتدت إلى كل بلاد العالم . وظلت بضع سنوات مشكلة علماء الحيوان وموضوع بحثهم حتى حلت عن أيسر طريق فأزالت ما كان يهدد الصحة العامة من علل .

والفلاح عندنا يدرك أن الحشيش والبرسيم وحدهما ليسا من الأغذية الكافية لبقرته فيلجأ إلى علفها بالفول برغم ارتفاع ثمنه .

ومع ذلك فلدينا نقص ملحوظ ، فكثير من الأبقار لا تلد وتنتج ذرية كالمعتاد .

ودرس العلماء ظواهر هذا الضعف وعزوه إلى سوء التغذية ومن ثم أقبلوا على أنواع الغذاء المختلفة ، فجربوا كسب القطن والفول وشتى أنواع الأغذية الحيوانية ؛ ولكن واحداً منها لم يوصلهم إلى هدفهم المنشود وزيادة وزن الحيوانات بما يتناسب وما تستهلك من طعام حتى تعادل النفقات الثمار .

الطبيعة أنسب :

وانتقلت التجارب إلى مرحلتها الكيماوية أيضا فأضيفت مواد الحديد والمنجانيز والكالسيوم إلى أغذية الحيوانات فلم تؤد إلى نتيجة سارة . واحتفظت الماشية بنحافتها وسوء تغذيتها . واستمرت التجارب وقتاً طويلا تقلب فيه العلماء بين شتى أنواع الأغذية الغالية والرخيصة فلاحظوا أن شهية الحيوان أقوى ما تكون إلى رعى الحشيش وليس إلى وسائلهم الصناعية . وأخيراً لجأ العلماء إلى تغذية قطعانهم بمركبات الفوسفور .

فعرّضوا له بذبح العجل فلم يجبهم . فاتفقوا جميعاً على أن قالوا له ذات يوم : ويحك ، ألم تر هذا الأسد وقد كبر ، والسبع إذا كبر رجع إلى جنسه ، فقال لهم : هذا عجل . فقالوا هذا سبع . سَل من شئتَ عنه . وقد تقدموا إلى جميع مَن يعرفه أنه إن سألهم عنه قالوا : هو سبع . فأمر بالعجل فذُبح . ولكني أنا ذلك العجل ، كيف أقدر أن أكون أسداً ؟ الله الله فى أمرى ، فقد وجب حق . وأنت سيدى ومولاى » فلم يلتفت المعتصم إليه[1]

— ١٠ —

ومما نسب إلى ابن المعتز قوله :

تعلمت فى السجن نسج التكك ... وكنت امرأ قبل حبسى ملك
وقُيِّدت بعد ركوب الجياد ... وما ذاك إلا بدور الفلك
ألم تبصر الطير فى جوه ... يكاد يُلامس ذات الحبُك
إذا أبصرته خطوب الزما ... ن أوقعنه فى حبال الشرك
فها ذاك من حالق يُصاد ... ومن قعر بحر يُصاد السمك[2]

(١) البيهق ص ٥٦٥ .

(٢) المحاسن والمساوىء ص ٥٧١ .

— ١١ —

وعقد الثعالبي فى اليتيمة لأبى إسحق الصابى فصلاً سماه « ما أخرج من شعره فى الحبس »[1] وأكثره فى الحكمة والشكوى وذم الدنيا . فمن ذلك قوله :

يعيّرنى بالحبس من لو يحله ... حلولى لطالت واشمخرّت مراكبه
ورُبّ طليق أطلق الذل رقه ... ومعتقل عانٍ وقد عزّ جانبه
وإنى لقرن الدهر يوماً تنوبنى ... سطاه ويوماً تنجلى بى نوائبه
ومن مدّ نحو النجم كيما يناله ... يداً كيدى لاقته أيدٍ تجاذبه
ولابد للساعى إلى نيل غاية ... من المجد من ساع تدب عقاربه
وما ضرّنى أن غاض ما ملكت يدى ... وفى فضل جاهى أن تفيض مذاهبه
ولى بين أقلامى ولُبّى ومنطق ... غنًى قلّما يشكو الخصاصة صاحبه[2]

صلاح الدين المنجد

(١) اليتيمة ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٢) يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٤٨ .

والعظم كما تعرف من أغنى المواد بها فلوحظ تحسن ظاهر اكتسبت فيه الماشية لحما وتحسنا فى انتاجها وزيادة ذريتها .

وعندئذ عرف الباحثون أنهم وضعوا أصابعهم على مفتاح حل معضلتهم وبقى عليهم أن يجدوا الطريقة المثلى لتطبيقه فأى نسب الفسفور أجدى ؟ وكيف يطعم بها الحيوان بأرخص ثمن ؟

وأسفرت التجارب الطويلة عن اكتشاف الحل المرغوب وهو : « سمدوا الأرض بمواد فسفورية » ، وانطلقت على أثره الصيحة التى صدرنا بها المقال وهى أن : « اعلفوا الأرض ولا تعلفوا الماشية » .

تسميد الأرض بالفسفور :

أما كيف وصل العلماء إلى هذا المبدأ ، فإنهم قسموا ماشيتهم إلى خمسة قطعان يتراوح عددها بين ٤٠ و ٧٠ بقرة . اقتصرت تغذية القطيع الأول منها على الغذاء العادى .

وترك القطيع الثانى ليرعى حقلا نثرت على حشيشه مساحيق العظام والملح ليكون مقبول الطعم من الماشية . وأضيف أحد محاليل الفسفور إلى المياه التى يشربها القطيع الثالث . أما القطيع الرابع تخلط طعامه من كسب بذرة القطن بالفسفور .

وكان القطيع الخامس هو بيت القصيد ، فترك يرعى فى حقل سمدت أرضه بالفسفور قبل زرع حشيشه بمعدل ٧٧ رطلا للفدان الواحد . وكان ما يخص كل رأس من الماشية من أرض المرعى أقل من المعدل المعتاد .

ولوحظ عند بدء التجربة أن يكون وزن جميع القطعان متساويا بمتوسط ٧٠٠ رطل للرأس الواحدة . وبعد سنة من بدء التجربة ارتفع وزن كل بقرة من الماشية التى كانت ترعى الحشيش الذى سمدت أرضه إلى ١٠٣٦ رطلا بزيادة ٨٤ رطلا عن معدل الزيادة فى الأبقار الأخرى .

وكانت أقل القطعان فى تربية اللحم القطيع الذى عاش على وسائل التغذية العادية . وكان القطيع التالى هو الذى أضيف إلى غذائه مساحيق العظم .

٦٠ ٪ زيادة

وثمة حقيقة أخرى أثبتتها تجارب العلماء . فإن الأبقار التى تغذت بحشيش الأرض المسمدة ولدت كل منها وتضاعف عددها ولم تمض شهور حتى وجد أن كل مائة رطل زادت فى هذا القطيع بمعدل ٦٠ ٪ ما بين لحم زاد فى الماشية الأصلية وما بين مواليد جديدة أفادها المرعى المسمد بمحلول الفسفور .

وكانت كل أبقار هذا القطيع فى صحة جيدة بخلاف مثيلاتها فى القطعان الأخرى التى كانت عرضة لشتى أنواع الأمراض واقتضت من علماء الحيوان وأطبائه جهد العلاج ونفقات الدواء .

والسماد الفسفورى معروف فى كل مكان ورخيص القيمة يعرفه كثير من علمائنا ولكنهم لا يجرؤن على تجربته لا لأنهم يجهلون بل لأن عقولهم جفت فى الروتين الحكومى عن أى تفكير حتى فى أوقات الشدة . ومن واجبهم كاخصائيين أن يبحثوا لحل المشاكل ولكن هذا النجاح لن يأتى وهم جلوس إلى مكاتبهم .

إن العلم يتقدم بخطوات واسعة لحل جميع المعضلات الإقتصادية والتجارية وعن طريقه لم ينخفض مستوى التغذية ولم تتعقد الأمور فى أسوأ مراحل الحرب لأن علماءهم كانوا ساهرين على تعقب المشاكل وحلها .

فإن آثر علماؤنا البقاء فى غرفهم المزركشة فلا يعلم إلا الله إلى أى مركز ينكمش موقفنا الإقتصادى والتجارى

التليفون الآلى للعالم كله :

تستطيع بعد سنوات قلائل أن تدعو صديقك فى الإسكندرية أو أسوان إلى حديث تليفونى بغير تدخل السنترال بل بإدارة قرص التليفون كما تفعل حينما تتحدث إلى جارك .

والطريقة المتبعة الآن هى الاتصال بالمركز الرئيسى الذى يخلى لك الطريق ويوصلك بمن تريد فى أى بلدة أخرى . ولا تستطيع الإتصال به بغير هذه الطريقة وذلك لسببين : أولهما قرص التليفون الذى يعجز عن احتمال آلاف الأرقام لآلاف البلدان . والثانية عملية التحويلات الكهربائية وما فيها من تعقيد فنى كبير .

وقد توصلت إحدى الشركات إلى استنباط طريقة تجعل بها هذا القرص الصغير يشمل ملايين الأرقام كما تيسر لها أيضاً اكتشاف وسيلة رخيصة أقل تعقيداً لتمر التحويلات الكهربائية وسهولة تنقلها بين الأرقام وفى المسافات المترامية ، ويتنبأ مهندسوها بأنه لن يمضى زمن طويل حتى تصقل الطريقة فتستطيع أن تخاطب نيويورك ولندن وربما طوكيو بمجرد إدارة القرص .

فوزى الشتوى

نور العـــروبة

للأستاذ إدوار حنا سعد

[مهداة إلى مجلس جامعة الدول العربية بمناسبة انعقاد دورته الثانية بالقاهرة ابتداء من يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٥]

على الافق مجد مشرق ونشيد ... وفجر أمانٍ ما لهن حدود
يحث الرعاة الصِّيد نحو ضيائه ... خطاهم وتحدو القافلات وفود
مطالعُ أمجادٍ وحلم تحققت ... رؤاه، وسِفرٌ في الحياة جديد
فيـــا شمس، تيهي بالضياء، ففي الربى
دعاء، وفي أرض الكنانة عيـــد
تعودين من حيث ابتدأت منيرة ... ويبزغ فينا مجـــدنا ويعود
مضى الأمس إن نحمده فهو قد انقضى
بعيداً وإن نذممه فهو بعيـــد
مضى الأمس لم يورث ولا إرث في العلا
مِلاكُ المعـــالي عـــدة وعديد
بداية دنيا المرء إدراكه لهـــا ... وأول عزم المرء يوم يريد
فيا أيها الحشد الذى طافت المنى ... عليه وأصغى في الخلود شهيد
رنا الشرق خفاق القـــلوب ورأرأت
حـــواضر ريا بالسرور وبيـــد
يراقبكم طلق الأسرة حامد ... وينظركم شزر العيون حسود
متى قدغدت حقاً فما أعذب المنى ... يغرد محيـاها ويورق عود
مخايلها الغراء أضحت شمـائلا ... ترود بها الأنوار حيث ترود
وقد وحدتنا في الشجون وفي المنى
جـــراح حملناها معاً، وقيـــود
وكم ريش من مهم فأمسك جنبه ... قريبٌ إليــه واستُفِز بعيد
وإن مكان الجرح في الجسم واحد
فسيان صـــدر موجع ووريد
على كل أرضٍ قام حلف وعُصبةٌ
تنافح عن شأنٍ لهـــا وتذود
وقد كان مدحاً أن يقال وحيد ... فأصبح ذماً أن يقال وحيد
وماحسنٌ أن يغفل الشرق أمره ... ويصحو بنو الدنيا ونحن رقود
إذا نام راعى الضأن عنها تيقظت ... ذئاب قيـام في الربى وقعود
وفي الشرق من نور الأخوة شـــعلة
تذوب لهـــولها ظُبى وحـــديد
ثمن رام بغيا سار في الأرز راسخ ... وغامت غيومٌ في الكنانة سود
وثار عُرام الرافدين وأطلقت ... بنجد شبالٌ مرة وأســود
وبانت ورود الشرق جمراً مضرجاً
وجُنَّتْ طباق الأرض وهى تميـد
ومن رام سلما أطلع التيه واحة ... وضاء له حال ورف نضيد
فلسطين منا حبة القلب لم تزل ... تبادئهـــا أطماعهم وتمـــود
أقول — لمن أعنيه — اخترفاننا ... جحيم تلظى أو ندى وورود
تطامن موج البحر رهوا وأقبلت ... رخاء رياح رفهـــة وسعـــود
رمينا لها صدر الشراع وقد دنا ... إلى الركب شط بالوفاق سعيد
تضيء بفاروق دواجي سبيلنا ... ويدنو قصى في المنى وفريد
ومن نعم الدنيا مليك ممجد ... تتاه إلى الدنيا غطارف صيد
أقالوا عثـار الشرق قـدما ووجهوا
إلى الهدى ركب العرب وهو شريد
وشادوا لنـا أساً فأعلى جداره ... وللمجد منهم مبدىء ومعيد

إدوار حنا سعد

نفس ...

للآنسة الفاضلة « دنانير »

وتساءلوا: ما بالُها عَقَلَتْ ... ولطالمـــا جُنّت بنا حبـا
ولكم سقتنا من مودّتِها ... صِرفاً وعاطتنا الهوى عَذبا
إنَّا نرى من أمرها عجباً ... مذ فارقتنـــا نافراً غضبى
هلاً تعود لنـــا فنُعْتِبَها ... ولهـــا علينا الصدق في العتبى؟
أحبابنا ... لا، لا، وحسبكم ... ترخون دون هنائكم حجبا
لا تطمعوا أن مس حبكم ... قلبي الغرير وخالط اللبـــا
لـكن لي نفساً تندُّ إذا ... مذقَ الصديقُ الودَّ أو خبَّـا
تأبى سوى عرفان عزتها ... ولقـد تجور فتُنكر القلبا
وهبُوا فؤادي من غوايته ... رضى الرجوع، فهذه تأبى
... ...
ما أبصرت عينـــاى قبلكم ... قوماً غَلَوْا فاستقربوا الشهبا

(فلسطين) ... (دنانير)



على هامش الأدب الحجازي :

تفضل الأستاذ الفاضل حسن عبدالله القرشي فأثنى على كلماتي المتواضعة التي نشرتها في مجلة الرسالة الغراء في موضوع « الأدب الحجازي » ، فنعتها بعمق البحث وطلاوة العرض ، وهو تفضل منه أعتدُّه فخراً ولا ينهض بحقه شكري

ولعل الأستاذ الكريم قد أدرك مما كتبت أنني معجب بنهضة الشعر الحجازي ، فقد ذكرت في غير موضع أن نهضته توشك أن تكون طفرة ، وأن كثيراً من الشعراء قد استطاعوا أن يجمعوا بين المعنى السامي والأسلوب الرصين ، وهي مرتبة لا تتهيأ للأمم في نهضاتها إلا بعد الزمن الطويل والدرس المستمر

وقد كان في وسعي أن أقتصر على هذا القدر من التقريظ والثناء ، لولا حرصي على تصوير حياة الشعر تصويراً يلم بنواحيه ويبرز معالمه ، ليتمثل لقراء العربية واضحاً جلياً ؛ فأشرت في موجز من القول إلى أن بعض الأشعار ينقصها جمال الأسلوب وحسن الرصف ، مع ما فيها من براعة في المعنى وتصرف في الأغراض ، وأعتقد أن مثل هذا النقد الهين لا يغض من سمو الشعراء ، ولا يضع من أقدارهم بعد الذي فصلته من براعتهم وبينته من فضلهم ، وحسبهم أن أعلام الشعراء في كل عصر من عصور الأدب لم يسلموا من النقد والتجريح

على أنني معترف مع هذا بأن الشعر الذي جادت به قرائحهم إبان الحرب الحاضرة لم يصلني منه إلا القليل ، وأرجو أن يوفقوا قريباً لطبع أشعارهم في دواوين يستمتع بها إخوانهم العرب في سائر الأقطار ، وعندئذ أسجل لهم معجباً فخوراً في كتابي « تاريخ الأدب الحجازي » ما بدا في أشعارهم من كمال وجمال — وإن كان هذا الإعجاب لم يفتني فيما كتبت إلى الآن

وأنا بعد هذا كله موقن — مع الأستاذ القرشي — بوثبة الشعر الحجازي ، متفائل له بمستقبل مرموق بعد الذي عرفته من أن شباب الحجاز يمتازون بالذكاء النادر والخيال الخصب والأمل الفسيح .

وإلى أخي الأستاذ حسن عبدالله القرشي جزيل شكري وجميل تقديري

أحمد أبو بكر ابراهيم

مكتبة الكيلاني للأطفال :

[رأى سمو سيف الاسلام الأمير الجليل :
عبد الله نجل جلالة الامام يحيى : ملك اليمن]

الحمد لله رب العالمين

حضرة الأديب الكبير العلامة الأستاذ كامل الكيلاني ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ، فقد اطلعنا على مؤلفاتكم القيمة النفيسة في تعليم الأطفال فإذا هي مكتبة برأسها تستحق التقدير

وإني أعتقد أن الاستفادة بها في كل بلد عربي ، وكل قطر إسلامي ، أمر نافع جداً ، لسهولة أسلوبها ، وإتقان وضعها ، وفصاحتها التي يستفيد التلميذ منها بالتدرج الشيء الكثير في اللغة . وسنقتني منها كمية يستفيد بها الأولاد في البلد

بارك الله فيكم ، وزادكم علماً ، ونفع بكم

عبد الله ابن أمير المؤمنين
سيف الاسلام

الطهر الخائن لشكسبير من رواية (كما تهواه أنت)

طهارةٌ بعض الناس حربٌ عليهمُ
وفضـلهم خصم لهم وغريمُ
وأنتَ من الأطهار ، والطُّـهرُ خائنٌ
يَنمُّ كما نمَّتْ عليك خُصومُ

كامل كيلاني

١ — هو عبد الله بن عمر :

عبد الله الذي أراد أن ينزل في قبر أبي بكر ، فقال له عمر : كفيت ، ليس ابن أبي بكر كما قال هيكل ، ولا ابن الزبير كما ظن السحار (بريد العدد ٦٤٥) ، بل هو ابن عمر كما في كتاب

(أبو بكر الصديق) ص ٢٦٦

وهذا الكتاب المطبوع فى دمشق سنة ١٣٥٣ وقد نفدت نسخه وأخوه (عمر بن الخطاب) وهو فى ٨٠٠ صفحة، بلغت مصادره ١٧٠، وما فيه فقرة إلا وقد عزيت إلى صفحتها من مصدرها، هما أوثق المراجع وأجمعها فى سيرة العمرين، ولولا أن أمدح نفسى لقلت: إنه لم يؤلف فى بابهما مثلهما، ولكن مطبوعاتنا فى الشام لا حظ لها فى مصر...

٢ — زناه فخده:

ذكرنى ما قال أستاذنا النشاشيبى فى العدد ٦٤٥ بالمثل المشهور عند الفقهاء (زنّاه فخدّه)، وفيه شاهد للأستاذ فى أنها زناه لا زاناه، وهو بعد مثل لمن يشرح كتاباً فيحرف الأصل ويقوّل المؤلف ما لم يقل، ثم يعلق عليه التعليقات، ويشرح الشروح

على الطنطاوى

هل هى جرّها شرك كما يراها الرافعى رحمه الله:

عرض إمام العربية الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى فى تحقيقاته الفريدة لكتاب إرشاد الأريب إلى قول مجنون بنى عامر:

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح

قطاة غرها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

فآثر حفظه الله رواية (عزها شرك) التى رويت فى الكامل والحماسة والأغانى على رواية (غرها) وقد كنت جنحت للأخذ برواية الكامل وغيره منذ أربع عشرة سنة، ثم رأيت الاستئناس برأى الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعى رحمه الله فبعثت إليه بكتاب قلت فيه: ألا يصح أن نصحح غرها بعزها؟ فأجاب طيب الله ثراه بقوله[1]:

«... أما تصحيح غرها بعزها فلا قيمة له، لأن الشرك لا ينصب للقطاة إلا وهو يغلبها، إذ لا ينصب إلا لصيدها! فليس هناك شرك يعزها وشرك لا يعزها. ويخيل لى أن صواب الكلمة جرها لأن الشاعر يقول: فأمست تجاذبه، ويقول قبل ذلك:

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية أو يراح

فكأن ذكر الرحيل يجر قلبه جرا فكيف بالرحيل نفسه؟ وجرها تجعل المعنى أقوى وأتم.

وأكثر النساخ حين ينسخون يعطون الكتاب لمن يملى عليهم، ومن السهل جدا انخداع السمع فى جرها فيسمعها الناسخ غرها؛ ومثل هذا يقع فى التحريف كثيراً، ومنه الكلمة التى انتقدتها على العقاد فى ابن الرومى «فرأى رجلا مضطرب العقل جاهلا» أملاها الملى (ذاهلا) فسمعها الناسخ جاهلا وكتبها كذلك... »

وإنا نعرض ما رآه الرافعى رضى الله عنه من الصواب لهذه الكلمة ليرى الأدباء فيه رأيهم.

ولحجة العرب النشاشيبى — بهذه المناسبة — تحيتنا الطيبة وتقديرنا العظيم لما يبذله من جهد فى سبيل لغة العرب، وما يمدها به كل يوم من غزير أدبه، ومخزون تحصيله، وواسع اطلاعه.

محمود البوريه

ذكرى الشاعرين:

نقرأ فى المجلات بين الفينة والفينة مقطوعة لشاعر النيل حافظ إبراهيم، ينشرها العاثر عليها على أنها من شعره الضائع، إذ ليست فى ديوانه المطبوع.

وآخر ما رأينا من ذلك مقطوعة عن الهرم نشرت فى الرسالة (العدد ٦٣٩) عثر عليها ناشرها منقولة عن بعض الصحف القديمة.

فاستغربت أن يخلو منها الديوان مع أن مرتبه ذكر فى جملة المصادر التى رجع إليها كتاب (ذكرى الشاعرين) وهو مصدر قيم عن حافظ وشوقى فيه أشتات شعرهما الحديث وبحوث الأدباء ودراسات الكتاب عنهما ومراثى الشعراء فيهما. والمقطوعة المذكورة هى فى الصفحة (٢٩٠) من (ذكرى الشاعرين).

ونحن إذ نلفت الأنظار إلى هذا المصدر القيم، لا يسعنا إلا شكر تلك الجهود الكريمة التى بذلها الأستاذ المدقق أحمد عبيد فى جمع المواد وتنسيقها وضبطها فجاء كتابه متقناً حافلا بالمتعة والفائدة، فجزاه الله خيراً.

(دمشق) (س)

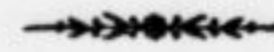
(١) من خطاب مؤرخ ١٤ إبريل سنة ١٩٣٢.



نهــــاية الطريق (*)

للكاتب الأمريكي : نيوبولد نويز

بقلم السيد محمد العزاوى



هناك بين تلك الصخور التي تحف بحيرة « كومو » فتعقد حول مياهها الضاحكة سداً من ضباب ، وعلى شعاف جبل يرتفع عن البحيرة بثلاثة آلاف قدم ، تجثم كنيسة صغيرة عبثت بها عوادى الزمن ، وهى تشرف على قريتى « كادنابيا » و«مناجيو». ويدور بكل ذلك محيط من جبال فارعة الذوائب سامقة القنن ، تتناهى سفوحها إلى جبال الإلب العظيمة ، ويبعد أقصى منازل القريتين عن الشعب الذى يطوق الجبل بميلين كاملين

وقد كان القوم يحجون فى كل عام إلى الكنيسة مرة ، يبتهلون فيها إلى الله أن يكلأهم بعنايته ، فينزل عليهم الغيث حين الجفاف ، وفيما عدا ذلك فغباً ما كانت تزار

وقد كان «بلاجدن» يصعد فى طريق لاحب متمعج ، قد امتد لامعاً بين مجموعة من منازل ألبسها الماء ثياباً من زرقة صافية ، وكان الجوساً كناً ، لا تخفق فيه نسمة من ريح ، فتداعب أوراق الزيتون التى أكسبتها الشمس بريقاً فضياً بديعاً فى الجبل ، وكانت أشجار السرو تلقى على الهضاب ظلالها المستطيلة الوارفة ، بينا كان « بلاجدن » يتقدم فى طريقه صعداً شاعراً بكل ما يدور به من بدائع الحسن وآيات الجمال

وعند ما بلغ الكنيسة وولج الباب ، وجد من بردها وظلامها حائلين يقومان من دونه ، ولكنه تخطى الباب إلى الداخل ، ثم خطا بضع خطوات ، فكان لوقع أقدامه رنين كئيب قوى يطوّف كل ربوع المكان ، وكان من العسير عليه أن يتبين فى تلك الكنيسة شيئاً بعد أن كانت الشمس فى الخارج تغمر ما يرى ، غير أنه ألف الظلمة بعد قليل ، وبصر فى الركن البعيد بأربع شمعات موقدات ، فاتجه نحوها بخطى وئيدة ، بينا يقعقع تحت قدميه هذا البلاط الذى تأكله الزمان

وتجلى للناظر فوق الشموع الأربع صورة لمريم فى إطار بسيط رخيص مذهب . وأدمن « بلاجدن » النظر فى الصورة مأخوذاً . فقد كانت تحفة من يد صناع بارعة . إذ تجسم فيها مثال رائع من جمال أنثوى رائع . ولعل العينين كانتا أبدع ما فى الصورة : كان يشع منهما بريق الإيمان والتفكير والرحمة

وكان الرسم طبيعى الحجم والخلقة ؛ يتجلى فى لون دخانى أزرق يوحى بالفكر ويبعث التأمل ، وقد أكسبها نور الشموع المتراقص تحتها سحراً وروعة ، وانجمدت على شفتيها بسمة تأمل ، فبدا الرسم فى بعض الأحيان حياً . ولكن ما هذا ؟ لقد انصدع صدر العذراء صدعاً ، وانشق عند القلب شقاً رفيعاً مستطيلا ؛ ثبت بأسفله خنجر دقيق ذو نصل رهيف

وانثنى « بلاجدن » إلى الخنجر ينزعه مفكراً ، ولكن انبعث من ورائه فى الظلام صوت يقول :

— أيها السيد ! ما أحب لهذا الخنجر أن يمس !

والتفت «بلاجدن» وراءه وجلا ، فإذا بشيخ يرتدى مسوح الرهبان ، وقد هزل جسمه ، وذبل وجهه ، وتهدل شعره الأشيب ، ولم يبق من ذلك الراهب إلا ذماء قليل وعينان مضيئتان أثارتا طلعة « بلاجدن » بتوقدهما الغريب ، وأما بقية وجهه فقد كان شبيهاً بوجوه الموتى

وسأله « بلاجدن »

— ولكن لماذا ؟

فخطا الراهب إلى الأمام فى ذلك النور الشاحب المتراقص ،

(*) نيوبولد نويز من الكتاب الأمريكيين الذين تأخر بهم العهد إلى أن شهدوا المذهب الواقعى Realism يغزو ميدانهم القصصى . ولكن ذلك لم يمنعه أن يتقدم إلينا بنوع قديم كانت له مكانة فى الربع الأول من القرن العشرين : وهو « قصص الحب Romance of Love » ولقد ثبت هذا النوع فى الميدان إلى أن عصفت به الواقعية بشروطها القاسية وقيودها المتعددة . و «نهاية الطريق» تعد من أروع ما كتب نويز فى هذا الباب . فإن تناهى القصة إلى غموض العاطفة الدينية ليكسبها نوعاً من جو صوفى رفيع ، فيسمو بها إلى أعلى درجات هذا الفن .

ثم رمق الشاب الواقف بإزائه برهة ، وتفرس فيه بعينيه الثاقبتين الباخختين . وكأنما وجد شيئاً فى ملامح ذلك الوجه كان يبحث عنه ، فانطلق لسانه فى نبرات حنون عجب لها بلا جدن .

— سيدى ! إن لذلك قصة . فهل لك فى سماعها ؟

فأومأ بلا جدن أن نعم . فسارا فى الظلام حتى بلغا الصف الأول من مقاعد صغيرة واطئة ، وقد استوى أمامهما رسم العذراء وتواثبت عليه أضواء الشموع الأربع وظلالها ؛ وبدا الخنجر فى أسفله يعلوه التراب .

وشرع الراهب يتحدث ، وبلا جدن ينصت ، وبصره قد انتظم الرسم البديع .

« كان ذلك من أمد بعيد ، حين كانت « روزا » تعيش مع أبويها فى منزل صغير قائم فى مناجيو . وكانت ترعى للشيوخ عنزاتهم ، فتسبح كل يوم فى أشعة الشمس ما سمحت لها دورة الفلك ، وتغنى ما يطيب لها من فنون الغناء ، فينساب صوتها فى الجو كما تنساب مياه ضاحكة — كساها الظل — فى جوف غدير صغير !

« كانت تغنى دائماً وتطرب أبداً ؛ فقد كانت فتاة لم تبخل عليها الشمس بالسناء البهيج ، ولم ينقصها الله حظها من الجمال البديع

« وهناك كان « جيوفانى » ؛ فقد كان يغدو كل صباح على كرمها الجميل حيث تنمو الزهور الصفراء ذات القلوب الوردية ؛ فكانت دائماً ترشقه بأوراقها وقلوبها من وراء النافذة الصغيرة ؛ فيضنى الفتى فى الجد نفسه ، ويكلفها فى العمل شططاً . ولكنه كان يغنى ويغنى . أولم يكن كل ذلك من أجلها ؟

« وكثيراً ما كانت عنزاتها تعدو على كرمه وقت دلوك الشمس ، فيسوقانها أمامهما إلى المنزل وهما يضحكان وينشدان ، وقد أخذ كلاهما بذراع صاحبه ، والشمس قد أرسلت عليهما — من وراء الجبال — أشعتها الذهبية فانعكست على مياه البحيرة ، أو يسيران معاً وقد تلطفت أشعة الشمس من بعد توهج فيهيىء لها تاجا من الزهر مفتنا فى تنسيقه ، متأنقا فى ترصيعه ؛ فتتقبله وهى تضحك ضحكات مرحة .

« كانا كطفلين رعتهما العناية يا سيدى وغفل عنهما الدهر . فكثيرا ما كانا ينفقان الليل سامرين جالسين إلى البحيرة ؛ يناقلها أحلامه ، ويفضى إليها بأمانيه ؛ بينما تنثر ذوائب شعرها الجميل على خده الأسمر نسمات لطيفة وانية ، والقمر قد أرسل إليهما قبلاته ، وانتظمت أشعة البحيرة ، فبدا الماء طريقا من لجين يصل بين الشاطئين .

« وكان الناس يرددون من أمرهما أن زواجهما يتم فى موسم جنى العنب . وقد كان كذلك يا سيدى ، لولا أن بدت قوة جديدة فى أفقهما : تلك هى الكنيسة !

« وأكبر الظن أن ليس بين الناس من يدرى أنى تتحكم هذه القوة الطاغية فى قلب فتاة غضة الجسم ، ريقة الشباب . لقد هتكت صدرها رغبة ملحة أن تنضوى تحت لواء الكنيسة ، وتدخل ذلك الدير القائم خلف البحيرة ؛ تاركة دفء الشمس وراءها وضياءها .

« لم تكن تريد أن تذهب ! وكان هذا التناقض بديعاً أليماً فى وقت معاً . هذه الفتاة الغضة الحسناء ، تلوح كأنما هى جزء من ضوء الشمس ، وعبير الزهر ، وشدو الطيور ؛ كان عليها أن تجعل من دون ذلك حجابا كثيفاً فتوصد عليها باب الدير العتيق !

« أما جيوفانى فقد جن جنونه ، وطار عقله شعاعاً . ولا بأس عليه فى ذاك ولا جرم . فقد كان من القسوة أن تنتزع من بين شفتيه كأس نسج حولها وشى الأمانى ، وحاك مطارف الأحلام ... أخذ بين يديه يديها الناعمتين ، ثم جثا على ركبتيه ضارعاً ملتاعاً ، وقد غص بدمعه المتسايل على خده الأسمر . وبكت كذلك روزا . ولكنها ما استطاعت أن تجيبه إلى ما طلب ... لعلها كانت تحب الفتى يا سيدى ، ولكن شيئاً أعظم من حب فتاة ، وأعتى من غرام فتى !

« واستمهلته روزا ليلة أخرى ، كيما تقرر فيها ما تفعل . وقد أزمعت أن تأتى هنا إلى هذه الكنيسة فتبتهل إلى مريم أن تنير لها الطريق وتدعوها أن تهديها سبيل الرشاد . وقبل الفتى شفتيها الباردتين ثم ذهبت ... لقد كان طفلا حين ظن بأنها تؤثر ذراعيه القويتين !

« إلى هنا جاءت الفتاة لتجثو طوال الليل فوق هذا الصخر الجافى تبكى وتبتهل ، فقد كانت تحب الفتى حقا ، ولكن العذراء

رنت إليها من فوق الشموع الأربع واحتوتها بعينيها الحزينتين المفكرتين . وسريعاً ما امتزجت روح الفتاة بروحها ... وما إن انبلج نور الفجر حتى عبرت البحيرة إلى الحيطان البيضاء ، دون أن ترى حبيبها مرة أخرى .

« ولعل الفتى — عندما انتهى الأمر — قد أصابه مس أو جنون . إذ خرج معلناً كرهه لله وللعالم . وانطلق فى ذلك الطريق الأبيض الصغير إلى حيث نحن الآن جالسان .

« وهنا استل هذا الخنجر الذى ترى ، ثم طعن به قلب العذراء وهو يتمتم بقسم خافت مبهم ... ولهذا لم أدعك تلمسه .

وأومأ بلاجدن برأسه بينا صمتت العجوز هنيهة ، ثم عاد يقول :

« واختفى جيوفانى عن الناس يومين ، ثم عاد فظهر دون أن تمحى سيماء الجنون عن وجهه ... وهناك على شعب الحدور قابلته جنازة بيضاء . حقا لقد كانت جنازة فتاته . فأهطع إليها ولكنهم أوقفوه . لم يؤنبه أحد على ما اجترم ؛ ولكن تنازع الناس حيال ذلك عاطفتان قويتان : خوف ورحمة .

« وكانت روزا قد ماتت فى الدير جاثية على ركبتيها فى نفس اللحظة التى طعن فيها جيوفانى صدر مريم . وقد أخبروه بعد مدة معدودة أن وجهها — حين ألفوها لدى الهيكل — كان يشبه وجه مريم إلى حد بعيد . ولم يكن لموتها من سبب معروف واضح ، وإنما هو سر غاب عن أذهان البشر ، ودق عن أفهام الناس ؛ ولقد أخبرته الراهبات أنها كانت إذ ذاك تبتهل إلى الله أن يمنحها من لدنه قوة .

« وتوقف الراهب عن الكلام ، فبقى الرجلان صامتين برهة طويلة ، يصمدان النظر معاً فى وجه جميل يشرف عليهما من فوق شموع أربع . وخيم سكون قطعه بلاجدن بقوله :

— وماذا تظنه قد حدث بعد ذلك ؟

— لا أدرى !

واتصل السكون فوق رأسيهما مرة أخرى ، فعاد بلاجدن يقول وهو يعرس عينيه :

— وعلى أية حال فقد أدت الفتاة دين الله عند جيوفانى .

فأجابه الراهب فى هدوء :

— هكذا يخيل إلى يا سيدى ... فإنى أنا جيوفانى ! ...

السيد محمد العزاوى

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٤٨ — الاثنين ٣ ديسمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ ، ٤٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 648

Lundi—3—12—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

فلســـطين
بين العرب والصهيونية
للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

دخلت قضية فلسطين في مرحلة جديدة ، أو كرّت راجعة ، على الأصح ، إلى مرحلة قديمة . فما هذه بالمرة الأولى التي تؤلف فيها لجنة تحقيق ، تبحث وتدرس وتقترح ، وقد كان المأمول بعد أن تعددت اللجان ، وصارت تقاريرها أكواماً أو تلالا ، وصدر الكتاب الأبيض قبيل الحرب ، أن لا يعاد فتح الباب على مصراعيه هذا الفتح التام كأنما هي مشكلة طارئة لا عهد لأحد بها ولم يسبق لبريطانيا نظر فيها وتدبر ودرس لها . وإنه لأمر محزن ولا شك أن يتكرر هذا كل بضعة أعوام وإن كان لا جديد هناك سوى أن الصهيونيين ضاعفوا نشاطهم ولجوا في العنف والعدوان وأغرقوا حتى وجب أن يحرموا كل حرمان . فانه إذا كان هذا مبلغ استخفافهم بدولة قوية المراس شديدة البأس مثل بريطانيا ، فمن ذا الذي يستطيع أن يأمن شرهم إذا صارت لهم — لا أذن الله — في فلسطين دولة خالصة لهم ؟ أليست الدول العربية المجاورة لفلسطين على حق جلي في مقاومتها لقيام هذه الدولة الخطرة ؟

ويخطيء من يظن أن الصهيونيين تدرجوا في مطالبهم وتوسعوا فيها شيئاً فشيئاً ، أو أنهم كانوا يخفون غاياتهم في البداية ، أو أن أطماعهم تفاقمت على الأيام . فليس مثل هذا الظن بصحيح ، وتاريخ مساعيهم ينقضه . ولست أنوي أن أورد هذا التاريخ الطويل فما يتسع له هذا المقام ، ولكني أذكر على سبيل التمثيل أن بريطانيا كانت قد عرضت على الصهيونيين في سنة ١٩٠٣ أن تسكنهم إفريقية الشرقية فأبوا هذا كل الإباء ، ورووا مترجمة اللورد بلفور — صاحب الوعد المشهور — أنه سأل الدكتور وايزمن (وهو بولندي الأصل) في سنة ١٩٠٥ عن السبب في رفض الصهيونيين أن يرحلوا إلى إفريقية الشرقية ، فكان رد الدكتور وايزمن أن سأل بلفور :

« هل تقبل باريس بديلا من لندن ؟ » .

فقال بلفور : « ولكن لندن بلدي ؟ » .

قال وايزمن : « وكذلك القدس ! » .

وفي سنة ١٩١٥ اقترح الصهيونيون على الحكومة البريطانية أن تعطيهم فلسطين على أن تكون تحت الحماية البريطانية ، ولم تكن الحرب قد دارت دائرتها على الترك ، وكان الإنجليز من ناحية أخرى يشفقون أن يأخذوا بهذا الإقتراح مخافة أن يغضب فرنسا ويثير أطماع الدول الأخرى . فكتب الدكتور وايزمن إلى اللورد بلفور يقول له ما معناه إنه إذا كانت بريطانيا لا تطمئن إلى وجود دولة غيرها في فلسطين ، ولا تريد أن تبسط عليها حمايتها ، فانها ستضطر إلى اتخاذ الحيطة خارج فلسطين ، وهذا الإحتياط ليس أيسر كلفة من تولى الحماية . ومن أجل هذا يقترح الدكتور وايزمن أن يستولي اليهود على فلسطين فيقوموا لبريطانيا مقام الحارس !

فالغاية لم تكن خافية على أحد، ولا كانت مكتومة أو مجهولة .

وينبغى أن يقال هنا ، إن هذه المباحثات بين الإنجليز والصهيونيين كانت تدور فى الوقت الذى كان السير هنرى ما كماهون المندوب السامى البريطانى فى مصر فى أثناء الحرب العالمية الأولى يكاتب المغفور له الملك حسين (وكان لا يزال الشريف حسين) بمكة . وقد انتهت المكاتبات بينهما بأن تعهدت بريطانيا بمساعدة العرب على الإستقلال والإعتراف لهم به من حدود تركيا إلى المحيط الهندى ، ومن ساحلى البحر الأبيض المتوسط والأحمر إلى حدود إيران والخليج الفارسى ، واستثنت بريطانيا ساحل لبنان ارضاء لفرنسا . ولكن فلسطين لم تكن مستثناة ، بل كانت داخلة فى البلاد التى تعهدت بريطانيا بالإعتراف باستقلال العرب بها ومساعدتهم على الفوز به . وكان ذلك كله فى سنة ١٩١٥ أيضا وهذه المكاتبات التى انتهت إلى الإتفاق ، وقام العرب بثورتهم المشهورة على أثرها ، تعد معاهدة بلا مراء

ويعلل بعض الإنجليز هذا التناقض فى سياسة بريطانيا بأن وزراء انجلترا كان بعضهم لا يدرى بما يفعله البعض الآخر . وهو تعليل لا يقبل . لأنهم فى الوقت نفسه كانوا يفاوضون الفرنسيين بواسطة لجنة « سايكس — بيكو » المشهورة ، وقد جاءت هذه اللجنة الثنائية إلى مصر ، وكان المندوب السامى البريطانى فى القاهرة على علم بما تصنع وعلى اتصال بها

وهذا التناقض هو الذى اضطر الإنجليز إلى الاكتفاء فى وعد بلفور « بانشاء وطن قومى للصهيونيين » فى « فلسطين » والإختصار على ذلك حتى تتهيأ الوسيلة لإجابة الصهيونيين إلى ما يبغون : وهو إنشاء دولة لهم فى فلسطين تكون لهم دون العرب . وكل ما قام به الصهيونيون فى فلسطين بعلم الإنجليز وموافقتهم لم يكن إلا تمهيداً لقيام هذه الدولة .

وقد تنبه العرب وأدركوا مبلغ الخطر عليهم ، ولست أعنى عرب فلسطين فانهم كانوا يدركون هذا الخطر من أول يوم ، وقد قاوموه وكافحوه بكل ما يدخل فى الطاقة ، وإنما أعنى عرب البلاد الأخرى المحيطة بهم ، فقد كان بعضهم أحسن إدراكا للخطر العام ، من بعض ، وكان كل فريق منهم فى بلاده مشغولا بقضيتها الخاصة ، فالشام ولبنان فى نضال مع الفرنسيين ، والعراق ومصر فى مع نضال الإنجليز ، وفلسطين المجاهدة واقفة وحدها لا تلقى من العون إلا أيسره ، ولا يجود عليها أشقاؤها إلا بالعطف على الأكثر ، وإلا بقليل من العون لا يغنى

أما الآن فنعتقد أن الخطر أصبح واضحا لاخفاء به . والفضل لعرب فلسطين فى إيقاظ النفوس وتفتيح العيون على ما هو حائق بها ، وما هى صائرة إليه لا محالة إذا لم يخف إخوانها إلى نجدتها . كما أن لهم الفضل أيضا فى التنبيه إلى الخطر على البلدان العربية الأخرى

فليس يخفى الآن على أحد أن قيام دولة صهيونية فى فلسطين يؤدى إلى ما يأتى : —

أولا — تفقد الجامعة العربية قيمتها ، لأن فلسطين قلب البلاد العربية وقطب الرحى منها ، فإذا ضاعت فلسطين ضعف الأمل فى إمكان التعاون الوثيق بين البلاد العربية على نحو يثمر الثمرة المنشودة

ثانيا — هذه الدولة الصهيونية تهدد كل بلد عربى مجاور لفلسطين ، بل تهدد الشرق الأوسط كله . والصهيونيون أنفسهم يجهرون بأن الشرق الأوسط بأجمعه « مجال حيوى لهم » وسلوكهم قوامه « العنصرية » البغيضة — كهتلر تماما — وما كانت « العنصرية » ولن تكون إلا بابا إلى النزاع

ثالثا — أقامت الصهيونية فى فلسطين صناعات قد تثبت أو لا تثبت على المزاحمة الأجنبية ، ولكنها على كل حال أضخم شأنا وأوسع نطاقا من أن تكون فلسطين وحدها هى المقصودة بها . وقد اغتنم الصهيونيون فرصة الحرب وانقطاع الواردات الأجنبية فغزوا بانتاجهم الصناعى أسواق الشرق كله ، حتى كادت مصنوعاتهم تغرق هذه الأسواق وتقتل الصناعات المحلية . ويلاحظ — على الأقل فى مصر — أنهم يسعون للسيطرة على صناعاتنا ؛ بشراء أسهم المصانع إذا تيسر لهم ذلك ، وبالضغط الذى يتسنى لهم — حتى إذا لم يشتروا الأسهم — بفضل ما لهم من التحكم فى الأسواق المالية والتجارية . ومن الشاهد المحسوس الملموس أن كل عمل تجارى له قيمة يخفق إذا لم يكن عن طريقهم ، أو لم تكن لهم يد فيه . فاذا قامت لهم دولة فى فلسطين ، فلا شك فى أن مركز الثقل المالى سيكون فى تل أبيب ، وأن بلاد العرب جميعا ستقع تحت السيطرة الإقتصادية الصهيونية ، بل الاستعباد الإقتصادى

وقد حاولوا أن يسيطروا على صحف مصر ويتحكموا فيها ، واتخذوا « الاعلانات » وسيلة إلى ذلك ، ولكنهم أخفقوا فى هذا ، فلجأوا إلى إصدار الصحف وتأليف شركات النشر وفى مرجوهم أن يصعدوا من هذا الباب إلى التحكم فى الأقلام ، أى فى الرأى العام . ولكن أملهم فى النجاح هنا ، بعد اليقظة العامة ، عسير جداً

في إرشـــــاد الأريب
إلى معرفة الاديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

– ١٨ –

ج ١٩ ص ٢٥٢ : البحترى :

ومشيت مشية خاشع متواضع لله لا زهـــو ولا يتـكبر

قلت : فى ديوانه وفى كثير من كتب الأدب (زهى) .

فى الصحاح : « للعرب أحرف لا يتـكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل قولهم : زهى الرجل ، وعنى بالأمر ، ونتجت الشاة والناقة وأشباهها . فاذا أمرت منه قلت : لتزه يا رجل ، وكذلك الأمر من كل فعل لم يسم فاعله ، لأنك إذا أمرت منه فانما تأمر فى التحصيل غير الذى تخاطبه أن يوقع به ، وأمر الغائب لا يكون إلا باللام كقولك : ليقم زيد ، وفيه لغة أخرى حكاها ابن دريد : زها يزهو زهوا أى تـكبر[1] ، ومنه قولهم : ما أزهاه ، وليس هذا من زهى ، لأن ما لم يسم فاعله لا يتعجب منه . وقلت لأعرابى من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال : أعجب بنفسه ، فقلت : أتقول : زها إذا افتخر ؟ فقال : أما نحن فلا نتـكلم به » . والبيت من قصيدة جيدة مطلعها :

أخفى هوى لك فى الضـلوع وأظهر
وألام من كمد عليك وأعذر[2]

وقد روى ابن خلـكان منها سبعة عشر بيتا (فيهـا البيت المذكور) ثم قال : « وهذا هو السحر الحـلال على الحقيقة ، والسهل الممتنع ، فلله دره ما أسلس قياده ، وأعذب ألفاظه ، وأحسن سبكه ، وألطف مقاصده . وليس فيه من الحشو شىء ، بل جميعه نخب » .

قال الصاحب بن عباد فى رسالته (الـكشف عن مساوى شعر المتنبى[1]) : « جرى حـديث أبى عبادة البحترى وهو – يعنى ابن العميد – يوفيه حقه الذى استوجبه لجزالة لفظه ، وبشاشة نسجه ، وغزارة طبعه ، وحلاوة شعره . وقال فى أثناء هذا المجلس : ما علمت أن فى طبع البحترى تـكلفا إلى أن قرأت قصيدته فى صفة الإيوان (صنت نفسى عما يدنس نفسى) » .

قلت : إن العربية لتحمد الله كثيرا أن كان فى طبع البحترى تـكلف – كما يقول الأستاذ الرئيس – حتى ينظم شاعرنا هذه القصيدة البارعة الباهرة العبقرية . ولو لم تتجل صفة الأيوان فى الديوان لخلا من درة يتيمة .

وأبو عبادة ثالث ثلاثة يرى ابن الأثير صاحب (المثل السائر) أنهم أشعر العرب ، قال :

« والمذهب عندى فى تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولا وآخرا . ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ما أشرت إليه . وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم : أبو تمام ، وأبو عبادة البحترى ، وأبو الطيب المتنبى ، فان هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان فى طبقة الشعراء » .

ووصف الثلاثة فقال فى البحترى :

« وأما أبو عبادة البحترى فانه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث بريف العراق . وسئل أبو الطيب المتنبى عنه وعن أبى تمام وعن نفسه ؟ فقال : أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى . ولعمرى إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فان أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه إلى الأفهام » .

وقد نسب قول المتنبى الذى تفضـل بإيراده ابن الأثير إلى أبى العلاء . جاء فى (وفيات الأعيان) :

(١) روى هذا فى الجمهرة ج ٣ ص ٢٥٥ وجاء فى هذا الجزء ص ٢٢ : الزهو من قولهم زهى الرجل فهو مزهو إذا تـكبر .

(٢) فى طبعة ديوانه : فى كمد

(١) نشرتها (مكتبة القدسى) فى القاهرة ، والرسالة جيدة مفيدة . وتعقب الصاحب أبا الطيب قد بينه الثعالبى فى أخبار المتنبى فى يتيمته ج ١ ص ٨٦ الطبعة الدمشقية

والموقف الآن هو موقف امتحان للعرب جميعاً – وموقف دفاع عن أنفسهم ، فاذا استطاعوا أن يجتازوا هذا الامتحان – واجتيازه بنجاح ميسور ، والوسائل متوفرة – فلن يبقى للصهيونيين أمل . والمعول على العرب لا على غيرهم ، فأنه ما حك جلدك مثل ظفرك .

ابرهيم عبد القادر المازنى

« ويقال : إنه قيل : لأبى العلاء المعرى أى الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحترى أم المتنبى ؟ فقال : المتنبى وأبو تمام حكيمان ، وإنما الشاعر البحترى » .

وإنه يستحيل أيما استحالة أن تفلت من الأحمدين هذه الفلتة ، أو أن يتحرك لسانهما بها فى المنام ، إنه كلام حاكه أديب ، ومشى هذا المقول ، هذا النجل مجهول الناجل فى الورى ذا نسبتين .

إن المتنبى ما كان يرى غير نفسه ، وكان زهوه لا يعد الشعراء السابقين إلا قائلين صغيرين مبشرين بنبى فى الشعر يأتى من بعدهم اسمه (أحمد) .

هو فى شعره نبى ولـكن ظهرت معجزاته فى المعانى[1]

وما تـســع الأزمان علمى بأمرها
ولا تحسن الأيام تـكتب ما أملى[2] !

وتعظيم أبى العلاء العجيب لأبى الطيب ثابت مشهور . جاء فى (أوج التحرى) :

« وكان أبو العلاء يفضل أبا الطيب المتنبى على غيره من الشعراء كأبى تمام والبحترى وابن الرومى وغيرهم . وإذا ذكر أحدا منهم أو أورد له شيئا يقول : قال أبو تمام ، قال البحترى ، قال ابن الرومى، وإذا أورد شيئا لأبى الطيب قال : قال : الشاعر[3] » :

ولم يكتف أبو العلاء بأن يقصر هذا الوصف على سميه بل ظلم الناس من أجله ، قال ابن خلكان :

« يقال : إن أبا العلاء كان إذا سمع شعر ابن هانى يقول : ما أشبهه إلا برحى تطحن قرونا لأجل القعقعة التى فى ألفاظه ، وزعم أنه لا طائل تحت تلك الألفاظ ، ولعمرى ما أنصفه فى هذا المقال . وما حمله على هذا إلا فرط تعصبه للمتنبى ... وليس فى المغاربة من هو فى طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم ، بل هو أشعرهم على الإطلاق . وهو عندهم كالمتنبى عند المشارقة ، وكانا

. . . . .

(١) أبو القاسم مظفر بن علي الطبسى فى رثاء المتنبى وقبله :

لا رعى الله سرب هذا الزمان   إذ دهانا فى مثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثانى المتنبى   أى ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة فى جيـ   ـش وفى كبرياء ذي سلطان

(٢) المتنبى .

(٣) (أوج التحرى عن حيثية أبى العلاء المعرى) للبديعى . حققه ونشره الأستاذ إبراهيم الكيلانى .

متعاصرين ، وإن كان فى المتنبى مع أبى تمام من الاختلاف ما فيه » .

وإذا أجل نابغة الأدب العربى الطائيين ، وقال فيهما فى درعية :

مثل وشى (الوليد) لانت وإن كانت (م)
من الصنع مثـل وشى (حبيب)[1]

فإن الحسين عند المعرى فى مرتبة لا يقاعده فيها أحد .

وإذا قال أبو تمام وأبو الطيب أمثالا وحكما كما يقول البحترى (وما نرويه هو نموذج من كثير) :

لولا التباين فى الطبائع لم يقم   بنيان هذا العالم المجبول
ولا تقـــل أمم شتى ولا فـــرق

فالأرض من تربة والناس من رجل

ولم أر أمثـــال الرجال تفاوتت
إلى الفضل حتى عد ألف بواحد[2]

نطلب الأكثر فى الدنيا وقد   نبلغ الحاجة فيها بالأقل
ومن يعرف الأيام لا يرحففها   نعما ولا يعدد تصرفها بلوى
صعوبة الرزء تلفى فى توقعه   مستقبلا، وانقضاء الرزء أن يقعا
ينال الفتى ما لم يؤمل ، وربما   أتاحت له الأقدار ما لم يحاذر
ومن الحسرة والخسران أن   يحبط الأجر على طول العمل
إن الشيّع لا يبير عدوه   حتى يكون مشيع الأصحاب[3]
أرى الحلم بؤسى فى المعيشة للفتى   ولا عيش إلا ما حباك به الجهل
واليأس إحدى الراحتين ولن ترى
تعبـــا كظن الخائب المكدود

إن التنازع فى الرئاسة زلة   لا تستقال ، وذلة لم تنصر[4] !

(١) قال شارح : أى هى فى اللين والرقة مثل شعر البحترى، وفى الصنعة المحكمة مثل شعر أبى تمام .

(٢) فى مقدمة الكشاف : وإنما الذى تباينت فيه الرتب وعظم فيه التفاوت والتفاصل حتى تنتهى لأمر إلى أمد من الوهم متباعد . وترقى إلى أن عد ألف بواحد ما فى العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر . قال الجرجانى فى حشيته : (قوله إلى أن عد) ناظر إلى قول البحترى (البيت) وفى عد ألف بواحد مبالغة ليست فى عكسه حيث جعل الواحد أصلا فوبل به الألف مع أن لفظ العد بالكثير أولى .

(٣) المشيع : الشجاع .

(٤) وقبله :

تتجاذبون المجد جذب تعجرف   وتمجرف الأمجاد بعض المنكر

وبعده :

ومن العجائب أن غل صدوركم   لم يطف للحدث الجليل الأكبر

قلت : ليستظهر هذه الأبيات كل زعيم أو كبير فى قبيل عربى .

ما أضعف الإنسان لو همة   في نبله أو قوة في لبه
وهل خلا الدهر أولاه وآخره   من قائم يهدي بذ كون البشر
والعقل من صيغة وتجربة   شكلان مولوده ومكتسبه
قدره مرتفع عن حظه   لا يرعك الحظ لم يؤخذ بحق
ليس بحلو وجودك الشيء تبغيه (م) التماسا حتى يعز طلابه
يعرف السيف بالضريبة يلقاها (م) ويبنى عن الصديق امتحانه
لا أحفل المرء أو تقدمه   شتى خلال ، أشفها أدبه
ولست أعتد للفتى حسبا   حتى يرى في فعاله حسبه
وما سفه السفيه وإن تعدى   بأنجع فيك من حلم الحليم
متى أحفظت ذا كرم تخطى   إليك ببعض أفعال اللئيم[1]
وأرى الأملاق أحجى بالفتى   من ثراء يطبيه بالملق
وأصوب رأى في الصنيعة ردها   إلى رجل يغنى غناء رجال
لنا في الدهر آمال طوال   نرجيها وأعمار قصار
والشعر لمح تكفي إشارته   وليس بالهذر طولت خطبه

إذا قال أبو تمام والمتنبي مثل هذه الأبيات الحكمية البحترية فهل يقال : (أبو تمام والمتنبي حكيمان وإنما الشاعر البحتري) وليس حبيب بن أوس وأحمد بن الحسين مثل صالح بن عبد القدوس في إكثاره في شعره من الأمثال « التي لو نثرها في شعره وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق أهل زمانه » كما قال الملك الأديب عبد الله بن المعتز في كتابه (البديع)[2] .

ويظهر مما نقل إلينا من أقوال المتقدمين في حبيب والمتنبي أن أكثرهم وفيهم ابن الأثير نفسه فارقوا الدنيا ولم يعرفوا هذين الشاعرين ، فليست براعة حبيب في أنه « غير مدافع عن مقام الإغراب الذي برز فيه على الأضراب » وليست فضيلة المتنبي في أنه « حظي في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال » كما يقول ابن الأثير فيهما .

وللرضي هذا القول الموجز في شعر الثلاثة :

« سئل الشريف الرضي عن أبي تمام وعن البحتري وعن أبي الطيب فقال : أما أبو تمام فخطيب منبر ، وأما البحتري فواصف جؤذر ، وأما المتنبي فقائد عسكر » وقد روى القول في (المثل السائر) .

(١) وجدت هذين البيتين في كتب كثيرة منسوبين إلى البحتري .
(٢) شرحه وعلق عليه محمد عبد المنعم خفاجي بكلية اللغة العربية .

وللشيخ قول في حبيب في (رسالة الغفران) وهو « كان صاحب طريقة مبتدعة ومعان كاللؤلؤ متتبعة ، يستخرجها من غامض بحار ، ويفض عنها المستغلق من المحار » .

وقال القاضي الفاضل في المتنبي ، وقد روى قوله ابن الأثير في كتابه (الوشي المرقوم في حل المنظوم) : (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس » .

ومن أغرب ما يذكر في هذا المقام ما سطره ابن خلدون في الجزء الأول من (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ...) وهو المعروف بمقدمة ابن خلدون :

« كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية — يعني الشعر — يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء ! لأنهما لم يجريا على أساليب العرب ... » .

وقد نعيت في مقالتي (المتنبي) على ابن خلدون وعلى شيوخه إفلاتهم هذا القول أو افتلاتهم ، ومما قلت :

كلام هؤلاء الشيوخ (شفاهم الله ، وشفى ناقل قولهم معهم) ليس بشيء إلا شيئا لا يعبأ به ، فأساليب العرب متنوعة مختلفة ، وليس هنالك أسلوب أوحد ، ولكل قبيل طريقة ، وللبدوي بلاغة ، وللحضري بلاغة ، وللاقليم أو المكان وللخليقة والمزاج أثر وسلطان ، ولكل قرن زي ولحن ، و « أحسن الكلام ما شاكل الزمان[1] » .

والدنيا في تبدل مستمر « وأحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر[2] » ، ولكل نابغة نهج معلوم . فتنكب المتنبي عما تنكب عنه ، وسلوكه السبيل الذي سلكه ما ضاراه بل ظاهراه في إبداعه ونبوغه ، وكان ذلك على هذه اللغة من نعم الله .

وقد جاءنا في هذا الوقت العالم الفاضل (دكتور محمد كامل حسين أستاذ جراحة العظام بكلية الطب) بآراء في ابن الحسين وشعره في مقالة عنوانها (التعقيد في شعر المتنبي) في مجلة : (الكاتب المصري) الغراء .

ونحن لا نجاده لكننا نسائله « إن على (عالمنا) أن نسأله » ؟ .

(١) المأمون . رواه الثعالبي في (الايجاز والاعجاز) .
(٢) الفيلسوف النابغة ابن خلدون في مقدمته العبقرية

ألا يرى دكتور محمد — وقد عاود التفكير في بحثه — أن سبب التعقيد في شعر المتنبي — وكثير منه هو في قرزمته[1] — لم يكن كما فسر[2] .

وأن من أسبابه كون الرجل مولدا (قد تعلم العربية تعلمنا إياها في هذا الزمن) لا جاهليا أو إسلاميا يلهم تأليف القول إلهاما وأنه ما كان يفكر في القافية ليبني عليها البيت كدأب حبيب ، وأن كبرياءه كانت تأخذ ما يجيء في بعض الأوقات فلا يعني بتقويمه ، وأنه كان يستعجل في النظم ، وقد أشار ابن جني في (الخصائص) ص ٣٣٢ إلى هذه السرعة . ثم إن المعاني الجديدة ليست كالمعاني المتعاورة المعهودة سهلة التبيين ، وانظر إلى ابن خلدون حين كتب وابن المقفع لما نقل . وإني لأتذكر أن العلامة الدكتور طه حسين بك شبه في أحد مباحثه كلام ابن المقفع بكلام العربانيين (الفرنج المستشرقين) لاضطرابه واختلال نظامه . وعذر عبد الله وعبد الرحمن عند المنصفين ظاهر مبين .

هل يرى دكتور محمد أن مئات من الأبيات المعقدة والمهلهلة في طائفة من قصائد المتنبي — لا بضعة الأبيات التي أوردها أمثلة — يذهبن حسنات المقصدات ذوات الألوف من الأبيات المحكمة المحققة ؟

وإذا استبشع صورة هذا البيت في قصيدة ، والأذواق تختلف :

قد سودت شجر الجبال شعورهم
فكأن فيه مسفة الغربان[3]

فهل يستملح هذه الصورة في القصيدة عينها :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان[4]

ألا يرى دكتور محمد أن السيفيات والكافوريات والعضديات قد اشتملن على معان متنوعة ، ومقاصد مختلفة ، وتحلى فيهن خيال صالح ، ووعين صورا رائعة للقارئين ، وأنه لم تسلم من العيوب قصائد يقدرها لشاعر من الشعراء أكثر من سلامتها . فلتأخذ تلك القصائد ولنترك ما طم الرحل من قملها وإن كان تاليه يجد فيه شيئا عظيما باهرا .

ماذا يعزو دكتور محمد بقوله : « فاعجابنا بشعر المتنبي إعجاب عقلي محض أو بعبارة أخرى إعجاب بالصياغة » فان هاتين الجملتين متعاندتان لا تلتقيان . وإن قصد بالصياغة ما يعنيه مغزى الكلمة في هذا الباب فاعجاب العرب بشاعرهم لم يجيء من صوب صياغته ، ولو حاول أن يسير في تلك الطريق المتعبة لعاصاه مزاجه ، ولن يضع منه عندنا أنه لم يكن ذا صياغة . وإذا أعجبنا بقول حبيب الصائغ :

ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنايا سودا

أيما إعجاب . فقد تقبلنا قول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

خير تقبل . ومعنى البيت واحد . والصياغة البارعة المحيرة عند الغواص الصواغ في الأول ، والطبيعية البليغة الفصيحة مع المحلق في سماء القول في الثاني .

يقول دكتور محمد : « وهو من حيث الشعر العربي قد يكون عظيما ولكنه من حيث الشعر إطلاقا لا يمكن أن يكون ذا خطر » .

فمن أصحاب هذا الشعر من العرب أو العجم في مذهبه ؟ .

ما قوله في شكسبير شاعر الإنكليز ؟

ما قوله في غوته شاعر الجرمان ؟

ما فضيلة هذين الشاعرين عنده ؟

هل لدكتور محمد أن يروى لنا نموذجا أو نتفة من خير ما قال غوته أو من خير ما قال شكسبير أو من خير ما قال شاعر من أرباب (الشعر إطلاقا) ؟

دكتور محمد كامل حسين قد ظاهر في الفضل بين الدرعين ؛ وقد استبد بمنقبتين ، فنحن نستهدى علمه وأدبه ونستفتى غير

(١) القرزمة الابتداء، يقول الشعر .

(٢) « ... أما النوع الثاني من تعقيد المتنبي فسببه أعمق وشرح ذلك أن كثيرين من الناس يحبون أن يضعوا صعوبات وعجمة أمام أنفسهم يخادعون بها أنفسهم ليقتنعوا بأنهم يستطيعون ما يريدون متى أرادوا . ومن ذلك أمثلة مضحكة ، منها الرجل الذي يسير على أفريز في الشارع متعمدا ألا يضع رجله على فاصل بين حجرين . هذا النوع من العمل له دلالة معينة ترد كثيرا عند التحليل النفسي ... فالتعقيد ظاهرة واضحة الدلالة على عقلية المتنبي ابان شبابه ، وهي دليل صريح على صغار في النفس وقصور في الهمة والكفاية وعلى تباعد ما بين غناء الفتى وآماله

(٣) العكبرى : أسف الطائر دنا من الأرض في طيرانه . يقول لكثرة القتلى وطيران شعورهم على الأشجار اسودت بها فكأن الأشجار لسوادها بشعورهم قد دنت منها الغربان

(٤) هذا البيت اشتهي الناس أن يكون قد سبق المتنبي إلى معناه

أين أنت يا مصطفى كامل ؟!

رد عار ٤ فبراير بمثل ما رددت عار دنشواى

للأستاذ سيد قطب

« إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة . فإن الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » .

« لورد كيلرن ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ »

هذه المجلة ليست مجلة حزب من الأحزاب ، إنما هى مجلة المثقفين من المصريين خاصة ومن العرب عامة ؛ فهى بهذا ترتفع على الأحزاب ، وتتوجه بجهودها إلى معنى أخلد وأسمى

وهذا القلم ليس لحزب من الأحزاب ، فقد بات صاحبه لا يرى فى الأحزاب إلا أقزاماً بعد ما خلا الميدان من كل جبار ؛ فهو بهذا يتوجه إلى وجه مصر الخالد وهى أخلد وأسمى .

لقد أميط اللثام منذ أسبوعين عن أشنع مأساة لقيتها مصر فى تاريخها القديم والحديث ، المأساة التى داست كرامة كل فرد ، ومست شرف كل مواطن ، وأذلت كبرياء كل كريم ، ومرغت فى الوحل تاريخ المصريين ...

المأساة التى كشفت الستار عن الضمير البريطانى ، فإذا هو ضمير لا يصح الارتكان إليه ، ولا تجوز الثقة به ، ولا يؤمن التعاقد معه ، لأن الأقوياء يستطيعون فى لحظة واحدة أن ينقضوا كل ما أبرموا ، وذلك الضمير هادئ مستريح ! !

ولا أحب أن أسترسل فى التنديد بهذه المأساة ، فسرد حوادثها وحده يكفى ، وهو أشنع وأدمى من كل تعليق

وها هو ذا نقلا عن « أخبار اليوم » .

« فى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ اعتدى الإنجليز على استقلال مصر أشنع اعتداء ، فأحاطت الدبابات الإنجليزية بقصر عابدين وصوبت إليه مدافعها ، وحوصر قصر الملك فاروق بألوف الجنود البريطانيين وهم فى ملابس الميدان ... وتقدمت دبابة انجليزية تحطمت الباب الملكى ودخلت حرم القصر ... ودخلت وراءها سيارة تحمل اللورد كيلرن السفير البريطانى ، والجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر

« حدث كل هذا فى الساعة التاسعة مساء فى الظلام الدامس لأن الجرائم عادة لا ترتكب إلا فى الظلام

« ووقفت سيارة السفير البريطانى أمام الباب الملكى ، ونزل منها السفير وقائد القوات البريطانية يتقدمهما ثمانية ضباط يحملون المسدسات فى أيديهم

« وتقدم رجل التشريفات يسألهم : إلى أين هم داهبون ؟ فدفعه السفير البريطانى بيده وقال له :

« — أنا أعرف طريقى !

متمثلين بما قال الصاحب للقاضى الجرجانى صاحب (الوساطة بين المتنبى وخصومه) :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدع هذه الألفاظ تنظم شذورها

وأقول فى ختام هذا الحديث المختصر :

لو لم يكن — يا شيوخ ابن خلدون — أحمد الأول وأحمد الثانى اللذان « ليسا من الشعر فى شىء » كما لفتتم قولكم لخسر الأدب العربى أيما خسران . وإذا استغنى الإنكليز عن شكسبيرهم — وكارليل يقول « لا غنى لنا عن شكسبير[1] » — واستغنى الجرمان عن غوته ، وغوته[2] — كما رووا — نبيهم فى الأدب ، كلامه قرآنهم ، فالعربيون محتاجون كل المحتاجين إلى أبى الطيب وإلى أبى العلاء . ولن يزهدهم فيهما مزهدون ، ولن يلفتهم عنهما لافتون ، وكلما تقدم العربيون وعلوا ، وازدادوا علما « قل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » « وقل : رب زدنى علما » عرفوا من فضائل الأحمدين وسائر شعرائهم وأدبائهم وعلمائهم ما كانوا يجهلون ، وإنهم — وكتابهم القرآن وقائدهم محمد (صلى الإله على محمد) — لماشون فى هذا الوجود اليقدمية فلن يتقهقروا ، ولا يقفون

---

(١) الأبطال تأليف الفيلسوف الأكبر توماس كارليل عربه الكاتب الكبير محمد السباعى .

= (٢) فى مقالتى (شاعر الجرمان الأعظم) فى : (الرسالة الغراء) ٤٣١ بينت مكانته وأوردت شيئا من أخباره . وقد روى الراوون أنه قرزم وهو ابن ست سنين « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا » واسم الرجل فى الفرنجى جون أو حن أى يحيى

« وفى هذا الوقت هجم الجنود البريطانيون على حراس قصر عابدين لجردوهم من السلاح ، وحاصروا القشلاق الملكي . وأراد أحد الحراس أن يقاوم القوة بالقوة ، فتكاثر حوله الجنود الإنجليز وأصيب بكسر فى يده أثناء المقاومة

« وفى هذا الوقت نفسه كان الجنود الإنجليز قد حاصروا جميع ثكنات الجيش المصرى ، وصوبوا إليها المدافع ، واستعدت الطائرات البريطانية لنسف جميع ثكنات الجيش المصرى إذا هو قاوم !

« وحاصر الجنود الإنجليز كذلك مراكز البوليس ... وقطعوا جميع الأسلاك التليفونية الموصلة إلى القصر الملكى ! ! وحاصروا أيضاً محطة الإذاعة !

« كل هذا لسكي لايعرف الشعب ماذا يجرى فى قصر مليكه! »

هذا هو الوصف المادى المحسوس للمأساة . يفور له الدم فى العروق ، وتهتاج له الأعصاب فى الأجسام ، ويبض له كل قلب بالنقمة والغضب والحماس ...

فكيف تلقته الصحافة الحزبية فى مصر الممثلة للأحزاب المصرية فى عصر الأقزام ؟ راحت الصحف الوزارية تتهم النحاس باشا بالخيانة الوطنية ، دون أن تمس السادة الإنجليز إلا فى حذر ومن وراء ستار !

وراحت الصحف النحاسية تتهم الوزاريين بالتلفيق والتزوير ، وتنتحل للسادة الإنجليز كل عذر فى موقفهم هذا الفشوم . فهم قوم فى حرب حياة أو موت ، وهم يريدون الاطمئنان إلى أنهم لن يطعنوا فى ظهورهم ، وهم قوم محرجون ، معذورون فيما صنعوا ، مبرأون فيما يصنعون !

وا سوأتاه !

أين أنت يا مصطفى كامل ؟ !

أين أنت لتعلم هؤلاء وهؤلاء كيف يردون العار الذى لطخ جبين الوطن فى يوم ٤ فبراير ؛ كما رددت الظلم الذى حاق بمصر فى يوم دنشواى ؟ !

* * *

لقد يكون مفهوماً بعض الشيء ، أن تقف الصحف النحاسية هذا الموقف من الحلفاء الذين أرسلوا للملك بهذا الإنذار ... أما غير المفهوم ، فهو موقف الصحافة الوزارية على العموم !

إنهم يحرصون فيما يقال على صفاء الجو بيننا وبين السادة الانجليز ونحن على أبواب المفاوضات أو المحادثات !

أية مفاوضات وأية محادثات . مادام هؤلاء السادة يملكون فى كل يوم وفى كل وقت أن يرسل « سفيرهم » — لا معتمدهم ولا مندوبهم السامى — بإنذار إلى « الملك » يقول فيه : « إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن هيان ابن بيان قد دعى لتأليف وزارة فإن الملك يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » ثم يحضر بعد ساعات بدباباته فيحطم باب الملك كما حطمه فى يوم ٤ فبراير لتنفيذ هذا الانذار . ثم يجد من « هيان ابن بيان » كل قبول ؟!

وبعد هذا كله ، وبعد أن تنشر أخبار المأساة يبقى السفير البريطانى سفيراً فى بلاط هـذا الملك الذى حطم باب قصره بالدبابات ؟ !

إن المعتمد الانجليزى لم يبق بعد حادثة دنشواى فى مصر ، وهى أهون ألف مرة من حادث ٤ فبراير . وهـذا هو الفرق الحاسم بين الأمس واليوم . والمعتمد الانجليزى إذ ذاك هو لورد كرومر أحد بناة الامبراطورية كما يصفه تاريخ الاستعمار الفشوم .

وا سوأتاه

أين أنت يا مصطفى كامل ؟

أين أنت لتعلم زعماء اليوم كيف يردون العار الذى لطخ جبين الوطن فى يوم ٤ فبراير ، كما رددت الظلم الذى حاق بمصر فى يوم دنشواى ؟

لقد كان مصطفى كامل طليق اليد واللسان لأن أبهة الحكم لم تكن تداعب خياله ، ولأن ألجمة الحكم لم تكن تلجم بيانه . ولأنه لم يكن يؤمن بضمير أحد ولا يثق إلا بمصر الخالدة على الأزمان .

أما اليوم فنحن نثق بالضمير البريطانى فنعاهده ، ونؤمن بالشرف البريطانى فنركن إليه !

أيها المصريون ... أيها العرب أجمعين ...

إن مأساة ٤ فبراير هى مأساة الضمير البريطانى . ومأساة الثقة العمياء بهذا الضمير .

أيها المصريون ... أيها العرب أجمعين ... إن مأساة ٤ فبراير يجب أن تنقش بحروف من نار لتبقى فى قلوب الأبناء والأحفاد تذكرهم بمأساة الضمير البريطانى ، ومأساة الثقـة العمياء فى هذا الضمير .

وهذا ما يجب أن تكتبه الصحف عامة ولو أغضبت جميع الأحزاب فى عصر الأقزام !!!

سيد قطب

تطور الاتجاه نحو وحدة عالمية

لصاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

فلما نشبت الحرب العالمية الأولى واضطربت المواصلات بين الدول والشعوب شعر سكان العالم جميعاً بما أصابهم من الضيق والعوز فى مأكلهم وملبسهم وسائر حاجياتهم وظهر لكل إنسان أن شعوب العالم مرتبطة وأنها تتبادل الحاجيات بحكم الترابط الاقتصادى الذى نشأ بسبب اختراع الآلات الصناعية وسهولة المواصلات، وفى هذا الوقت الذى كان فيه العالم يرسل كل ما عنده من الاحتياطى من الرجال والعتاد فى أتون الحرب ثبت عند الرئيس ولسون تفكير جديد بضرورة التعاون بين الشعوب، فبعث فى ٨ يناير سنة ١٩١٨ برسالة إلى الكونجرس الامريكى تتضمن شروط الصلح التى قضى فيها على كل فكرة فى تقسيم الغنائم أو فرض الغرامات أو ضم المستعمرات أو غير ذلك مما كان معروفاً قبل هذه الحرب، كما أشار إلى إلغاء الحواجز الجمركية وتقرير حرية التجارة وحرية البحار وحق الأمم فى تقرير مصيرها ووضع نظام دولى فى صورة عصبة الأمم لفض كل خلاف.

وإذا كان ناقدو الرئيس ولسون قالوا عنه إنه خيالى فإننا نعتقد أنه أول من جرؤ أن يعلن حقيقة التطور فى العالم الذى أصبح وحدة اقتصادية عالية والذى يجب أن يكون نظامه على أساس من التعاون المتبادل لا السيطرة والسيادة، وأن كل خطأ الرئيس ولسون إن كان هناك خطأ آت من أنه فهم حقيقة الواقع بينما كان غيره لا يزال معتصماً بأهداف النظم القديمة والتى أصبحت لا تلائم تطور العالم فى الوقت الحاضر.

وعلى أى حال فإذا كانت عصبة الأمم وهى وليدة الحرب الماضية قد قيدت بقيود جعلتها عديمة الجدوى فإنها كانت أشبه شىء ببذور ألقيت على أرض بكر لابد أن تثمر عاجلاً أو آجلاً. ففى عام ١٩١٩ انتهز بعض رجال العمل فى أمريكا اتصالهم برجال الأعمال من الانكليز والفرنسيين والايطاليين وغيرهم واتفقوا على إنشاء غرفة تجارية دولية. كذلك أدخل فى معاهدة فرساى فى الباب الثالث عشر نظام إنشاء مكتب العمل الدولى.

ولا ريب أن هاتين المنشأتين وهما تبحثان عن العلاقات التجارية بين الدول وعن نظام العمل وقوانين العمال فى جميع البلاد مع ما فيهما من نقص وعيوب إنما هما على أى حال دليل قاطع على التطور الذى حدث بعد الحرب العالمية الأولى نحو الوحدة الاقتصادية العالمية.

غير أن هذا الاتجاه نحو الوحدة العالمية قد ظهر بوضوح أثناء الحرب العالمية الأخيرة وبعدها، فلقد شاهدنا والحرب الأخيرة ناشبة أظفارها أن المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية والمستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا يصدران ميثاق الأطلنطى فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤١ ونقرأ فى البند الرابع والخامس منه أنهما سيجتهدان فى تمتع كافة الدول كبيرة كانت أو صغيرة غالبة أو مغلوبة فى الحصول على التجارة والمواد الخام العالمية اللازمة لرخائها الاقتصادى، وأنهما يرغبان فى تحقيق أتم التعاون بين كافة الأمم فى الميادين الاقتصادية وذلك بغية ضمان الوصول إلى مستوى أفضل فى العمل والتقدم الاقتصادى والأمن الاجتماعى وأنهما يأملان فى وضع سلم يمكن جميع الشعوب من الحياة فى مأمن داخل حدودها ويبعث الطمأنينة لكافة الناس فى العالم أجمع حتى يعيشون عيشة راضية بعيدة عن الخوف والعوز، ومن الميثاق الأطلنطى هذا يمكننا أن نستنتج أمرين جديرين بالعناية أولهما: أن مهمة الحكومات قد تخطت واجباتها المعروفة من قبل إلى واجبات جديدة وهى العمل على أن يعيش الناس بغير خوف ولا عوز، ومن هنا ظهرت الحريات الأربع. وثانيهما أن أن ميثاق الأطلنطى الذى انضم إليه بعد ذلك الأمم المتحدة الأخرى دليل آخر على تطور الاتجاه نحو الوحدة الاقتصادية العالمية. وأن الواجب أن يوضع للعالم نظام يحقق التعاون بين كافة الأمم فى الميادين الاقتصادية.

وإننا نشاهد كذلك غير هذا الميثاق مؤتمرات دولية تجتمع بين آن وآخر وكلها ترمى إلى التعاون العالمى بين جميع الشعوب فى نواح مختلفة من الحياة العامة كمؤتمر التغذية ومؤتمر النقد وغيرهما وكلها تدل على اتجاه الفكر دائماً نحو الوحدة العالمية

ومن الدلائل على هذا التطور والتوجيه نحو اعتبار العالم وحدة لا انفصام لها مشروع التعمير للأمم المتحدة والذى أنشأ إدارة من تلك الأمم ترمى إلى تنظيم أعمال المساعدة والتعمير التى تسدى إلى البلاد التى تخربت بسبب الحرب الأخيرة ، ويحسن بى فى هذا المقام أن أشير إلى ما صرح به المغفور له الرئيس روزفلت فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٠ أمام الصحفيين حيث قال ما معناه : افرضوا أن النار أشعلت فى منزل جارى وأننى أملك طلمبة ماء عكن استخدامها فى إطفاء هذا الحريق فإن واجبى الأول أن أعطى تلك الطلمبة فى الحال دون أن أساوم هذا الجار فيما يدفعه لى من ثمن أو أجرة لأن تلك المساومة ليست هى أساس واجبى وإنما واجبى أن أتعاون مع جارى فى إطفاء هذا الحريق .

ضرب المغفور له الرئيس روزفلت هذا المثل عند وضع قانون الإعارة والتأجير ، وإذا كان الغرض من هذا القانون هو الوصول إلى النصر النهائى فإن المثل الذى ضرب من أجله يدل على رابطة المصالح وعلى ضرورة التعاون حتى لا تمتد النار من جار إلى جار ، فإذا صح هذا بالنسبة لأفراد الجيران المقيمين فى قرية واحدة أفلا يكون الأجدر بالدول والممالك أن يوجد بينهم هذا التعاون وقد ارتبطت مصالحهم الاقتصادية وأصبح كل منهم لا يستطيع الاستغناء عن غيره بسبب الترابط الاقتصادى الذى جاء تبعاً للتخصص فى كل منها .

هذا التطور الذى حدث فى الانسانية منذ أكثر من قرن من الزمان بسبب تقدم العلم واختراع الآلات .

إن قادة الشعوب والأمم يدركون اليوم حقيقة التطور الذى وصل إليه العالم فى عصرنا الحاضر وأنهم يعملون لإيجاد أداة دولية تستخدم فى ترقية الشئون الاقتصادية والاجتماعية . للشعوب جميعها وإنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحروب وأن تعيش جميع الأمم فى سلام وحسن جوار . ولقد ساعد على توجيه هذا التفكير ماقاساه العالم من الويلات فى الحرب الأخيرة وما قد يقاسيه فى المستقبل من الأهوال بسبب ما اكتشفه العلم من آلات التخريب والتدمير كالقنبلة الذرية وما سيكتشف فى المستقبل من أشعة الموت وغيرها .

وهاهوذا آخر تصريح جديد للرئيس ترومان يذيعه على الملأ بالراديو فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٥ من واشنجتون ويبين فيه تفصيل القواعد التى تقوم عليها السياسة الخارجية للولايات المتحدة فيقول إننا لن نوافق على تغييرات أو تعديلات إقليمية فى أى مكان فى العالم تربطنا به علاقات ودية إلا إذا كانت هذه التغييرات مطابقة لرغبات الشعوب التى يهمها الأمر ، وإننا نعتقد أن من حق جميع الشعوب المستعدة للحكم الذاتى أن يسمح لها بأن تختار بحرية نظام الحكم فيها وهذا ينطبق على أوربا وآسيا وأفريقيا مثل ما ينطبق على نصف الكرة الغربى ، وإننا نؤمن بأن من حق الأمم كافة التمتع بحرية البحار وأن جميع الأمم متساوية فى الاتجار والحصول على ما فى العالم من مواد أولية ، وإننا نعتقد أن التعاون الاقتصادى الكامل بين جميع الأمم كبيرها وصغيرها ضرورى للنهوض بأوضاع المعيشة فى أرجاء العالم كافة ولتحقيق التحرر من الخوف والعوز والفاقة ، وإننا نعزز حرية القول والرأى وحرية العبادة فى كافة البلاد ، وإننا مقتنعون بأن صيانة السلم بين الأمم تستلزم وجود هيئة للأمم المتحدة لها أن تستخدم القوة عند الاقتضاء لتستخلص السلم ، ولا ريب أن أقوال الرئيس ترومان هى توجيه لتاريخ الإنسانية كما لا ريب عندنا أن الأحداث العالمية تدلنا على اتجاه الفكر الإنسانى نحو توطيد العلاقات الطيبة نحو الوحدة العالمية ، كما نعتقد أنه لا يعوق هذا التفكير والتوجيه غير ما تأصل فى النفوس وتركز فى العقول من النظم البالية المؤسسة على الأنانية والمزاحمة بين أمم العالم قبل أن تقوى الروابط بينها وقبل أن يتم تطور هذا الترابط الاقتصادى الحاضر .

لهذا نرى الإنسانية اليوم فى مفترق الطريق بين النظم القديمة والتطور الحديث فى حياة الأمم .

وكذلك نرى بعض العيوب فى ميثاق الأمم المتحدة الذى تم وضعه فى سان فرنسيسكو بتاريخ ٢٦ يونية سنة ١٩٤٥ ومحكمة العدل الدولية . غير أن هذه العيوب لا تحجب عنا إدراك الخطوات الواسعة فى توجيه الدول المتعاقدة نحو الوحدة العالمية وضرورة تأمين الشعوب وسلامتها .

ويجمل بى قبل أن أترك هذا المنبر أن أشير إلى أننى لم أقصد بتوجيه الفكر نحو الوحدة الاقتصادية العالمية الرغبة فى إيجاد

امبراطورية عالمية لأن تاريخ العالم يشهد بفشل كل محاولة نحو هذا الاتجاه فلم تنجح محاولة الاسكندر ولا الدولة الرومانية فى إنشاء تلك الامبراطورية العالمية فلكل شعب ثقافتـه ولغته وتاريخه ، وإنما قصدنا بالترابط الاقتصادى أن نضع حدا بين السياسة والاقتصاد ، فلكل شعب أى يختار شكل حكومته ولكنه يكون عضوا فى النظام الدولى الذى يوضع على أساس أن العالم من تلك الناحية وحـدة اقتصادية اجتماعية يجب أن توضع لها أداة تفض مشاكلها دون الالتجاء إلى القسر والقهر حتى يتم لسكان الأرض جميعاً السعادة والرفاهية فى ظـل التعاون بين الشعوب اقتصادياً ومالياً واجتماعيا . كما يجب أن نوجه جهودنا الفردية والجماعية ومشروعاتها نحو غاية واحدة هى الحياة القومية — فلا نقصر هذا المجهود على نيل الحرية الخارجية بل نرمى إلى تحرير أفراد الأمة من القيود الداخلية وتوفير أكبر قسط من السعادة لها وإكمال حياة الأفراد فى حدود العدل والنظام وأن يرتفع الناس بنفوسهم ويتغلبوا على شهواتهم لتزدهر الحضارة بسمو غاياتها والسلام .

محمد حافظ رمضان

على هامش المناظرة بين خلاف وقطب

العقيدة بين العقل والعاطفة

للأستاذ على الطنطاوى

ذهبت مرة أزور أستاذنا « الزيات » فى دار الرسالة ، وكانت زيارته أحبّ شىء إلىّ وأنا فى مصر ، وكانت دار الرسالة أقرب الأمكنة فى القاهرة إلى قلبى ، فلذلك كنت أؤمها كل يوم ، ولولا خوفى من ملل الأستاذ ما كنت لأفارقها ... أقول إنى ذهبت أزوره مرة فوجدت عنده شاباً أسمر اللون لطيفاً هادئاً تبدو عليه سيما المسالمة والموادعة والإيناس ، فقال لى إنى أعرفك بالأستـاذ سيد قطب ، وأحلف أنى شدهت ، وكنت أرتقب أن يكون هذا الشاب أى إنسان فى الدنيا إلا سيد قطب ؛ وكنت أستطيع أن أتخيل سيد قطب على ألف صورة إلا هذه الصورة ، وازددت يقيناً بأن من الخطأ البين أن تحكم على شخص الكاتب بكتابتـه ، أو تعرف الشاعر من شعره ، وفوجئت مرة أخرى بما لا أرتقب حين تفضل فأهدى إلىّ كتابه « التصوير الفنى فى القرآن » . لأنى لم أتخيل سيد قطب إلا مقارعاً محارباً ، ولم أعرفه إلا كاتباً مجادلا مناضلا ، يهاجم مهاجماً ومدافعاً ومحايداً .. وذهبت فقرات الكتاب فوجدت فتحاً والله جديداً ، ووجدته قد وقع على كنز كأن الله ادخره له ، فلم يمط مفتاحه لأحد من قبله حتى جاء هو ففتحه ، وشعرت عند قراءته بمثل ما شعرت به عند قراءة « دفاع عن البلاغة » لسيد البلغاء الزيات ، وجربت أن أكتب عنهما فما استطعت ، إكباراً لها وإعظاماً لشأنهما ، وكذلك الأثر الأدبى إذا هبط إلى قرارة الفســاد أو سما إلى ذروة الجودة ، أعجز النقاد وابتلاهم فى الكتابة عنه بأصعب التكاليف ، فأنا أقر بالعجز عن نقد هذين الكتابين ، وعن نقد (شعر ...) بشر فارس أو أبحاث سلامة موسى ، لأن من تحصيل الحاصل أن تقول للجيد لا شك فيه ، هو جيد ، وأن تقول للفاسد المتفق عليه هو فاسد ، لأنك كالذى يقول للشمس أنت مضيئة ، ولليل أنت مظلم !

وكتب عنه أخى وصديقى الأستاذ عبد المنعم خلاف صاحب الكتاب العبقرى (أومن بالإنسان) ، ورد الأستاذ وكانت هذه المناظرة التى رأيت أن أدخل نفسى فيها لأقول كلمة على (هامشها ...) ، وهذه هى المرة الثانية أتطفل فيها على مناظرات الأستاذ قطب ، ولـكن ليطمئن القراء فما هى كالأولى ولا هى منها فى شىء ، وأنا فى هذه المرة مؤيد له وقد كنت فى الأولى عليه ، وهذه مناظرة هادئة باسمة ، وقد كانت تلك معركة صاخبة مجلجلة كالحة الوجه عابسة ، وأنا أعرف الآن الأستاذ قطب وكنت أتخيله تخيلا ، والأستاذ خلاف أخى حقيقة ، والأستاذ قطب رفيقى فى دار العلوم سنة ١٩٢٨ على ذمة الأستاذ اللبابيدى الفلسطينى الذى نشر ذلك فى الرسالة إبان المعركة الأولى (معركة الرافعى والعقاد) ، فأنا لست إذن غريباً عن المتناظرين .

* * *

لخص الأستاذ قطب الخلاف بينه وبين الأستاذ خلاف ، فى كلمات هى أنه (هل من الممكن أن نمهد إلى الذهن وحده بأمر العقيـدة ، وأن نقيم هذا البناء الضخم فى الضمير الإنسانى على

أساس القوة الذهنية ومنطقها المهود) ؟ وأجاب عليها بالنفى .

وأنا أجيب كذلك بالنفى ، ولكنى أمهد لذلك بتحديد معنى الذهن أو العقل (كما أفهمه أنا) ، ومعنى العاطفة ، وهذه طريقة علمائنا فى الجدل ، إذ ربما اختلف اثنان، وما اختلافهما فى الحقيقة إلا على معانى الألفاظ ، فكل يريد بها شيئاً ، وليس بينهما لفظ جامع يرجعان إليه ، ويستقران من بعدُ عليه .

وأعترف بأن هذا التحديد لا يمكن أن يكون تاماً ، ولا نستطيع أن نضع لكل من العقل والعاطفة التعريف الجامع المانع ، أو (الحد) الذى يريده أهل المنطق ، لأن مدلول كل لفظ يدخل فى مدلول الآخر ، فهما كدائرتين متقاطعتين ، فى كلّ قسمٌ متميز مختص بها ، ولكن فيها قسماً لا يدرى أهو منها أم هو من الأخرى ، ثم إنه لا يصدق التشبيه ولا يكمل إلا إذا تصورت فى الدائرتين حركة دائمة كحركة المد والجزر ، فهما لا تسكنان أبداً .

على أن الأمم كلها قديماً وحديثاً قد فرقت بين العقل والقلب ، وجعلت القلب (هذا العضو الذى لا يشتمل إلا على الدم) مقر العواطف ومكان الحب ، وأقامت على ذلك ألسنتها ولغاتها ، ونطق به شعراؤها فقالوا للمحبوب ، أنت فى قلبى ، وقلبى عندك ، وجرحت قلبى ، وأحرقت قلبى . ومزقت قلبى ، وأنت قلبى ، يستوى فى ذلك الأولون والآخرون ، والعرب والعجم ، ولقد فكرت فى ذلك طويلا ، فتراءى لى أن منشأه ، أن الإنسان الأول لما بدأ يضع لغته ، ويحرك بالكلمات لسانه ، نظر فرأى أنه إذا طلع عليه الحبيب أو أبصر الجميل ، أو خاف أو ارتقب شيئاً ، خفق قلبه واضطرب فى صدره ، وإذا فكر فأطال التفكير أحسّ بألم من رأسه ، فاستقر فى وهمه أن الرأس مكان الفكر ، وأن الصدر محل العاطفة والحبّ ، والله أعلم !

ولما سمت البشرية ووضع علم النفس ، أقاموه على التفريق بين الحياة الإنفعالية القائمة على اللذة والألم ، والحياة العقلية المبنية على المحاكمة ، والحياة الفاعلة المعتمدة على الإرادة ، وليس معنى هذا أن لكل من هذه الحيوات حدوداً تحدها ، ومنطقة هى لها لا تتخطاها ، لا وليس هنالك عاطفة خالية من العقل ، أو عقلا لا عاطفة معه إنما نسمى كلًّا بالغالب عليه والظاهر فيه ، فالقضية المنطقية (المحاكمة) من العقل ، الإنسان حيوان ، وسقراط إنسان ، فسقراط حيوان ، هذه مسألة عقلية ، لكنك قد تصل بها إلى نتيجة موافقة ، تأتى بعد طول بحث عنها فتقترن بها لذة ، واللذة مسألة عاطفية — واللذة بالشعور بالجمال مسألة عاطفية ولكنها لا تخلو من محاكمة — خفية هى أن كل جميل يلتذ به وهذا جميل فهذا يلتذ به ، أو أن المنظر الفلانى لذنى لأنه جميل ، وهذا قد لذنى ، فهذا جميل .

وإذا نحن فرقنا بين العاطفة والعقل بهذا الإعتبار . وجعلنا كل حادثة نفسية تقوم على اللذة والألم من العاطفة ، وكل حادثة تعتمد على المحاكمة من العقل ، وجدنا أعمال الإنسان كلها تقوم على عواطف ، ووجدنا العقل ، أعنى المحاكمة المنطقية الواضحة لا الخفية أضعف الملكات الإنسانية وأحقرها وأقلها خطراً فى نفسها ، وأثراً فى حياة صاحبها ، وليعرض كل قارئ أعمال حياته يجدها كلها عواطف تسيّره ، ووجد أنه قل أن يعمل عملا ، أو يسير خطوة بهذا العقل المنطقى الجاف .

ولا بد بعد من تحديد معنى (الذهن) ، فماذا يريد به الأستاذ قطب ؟ أما أنا فأطلق العقل وأريد به القضايا العقلية المسلمة المتفق عليها ، كاستحالة اجتماع النقيضين ، وكمبدأ أن الشىء هو ذاته ، فهذه البديهيات هى أول ما يراد بالعقل ، ومن هنا نقول مثلا إن ديننا الإسلامى لا يناقض العقل ولا يخالفه ، أما الذهن فأفهم منه أنا العقل الفردى ، وليس كل ما تعقله فى ذهنك يجب أن يكون صادقاً أو صحيحاً ، لاحتمال الخطأ فى الاستدلال ، ولاختلاف الذهنين فى القضية الواحدة ، مع ادعاء كل منهما أن حكم العقل معه .

ولا بد أيضاً من التفريق بين خيّر العواطف وشريرها ، فالشفقة على الفقير ، والإقدام على إنقاذ الغريق عاطفة خير ، ولكن الغضب المؤدى إلى العدوان ، والحب الموصل إلى الرذيلة عاطفة شرّ .

***

ولندخل الآن فى موضوع المناظرة ، هل يكفى الذهن وحده ، أى المحاكمة المنطقية الجافة ، للإيمان ؟ الجواب (لا) ممدودةً مؤكدة مكتوبة بالقلم الجليل لا الثلث !

الإيمان محله القلب لأنه أكبر من أن تتسع له هذه (المحاكمة) وأعلى من أن ينضوي تحتها، هذا العقل إنما يعتمد على الحواس، وحكمه مستمد من مجموع المحسّات، فإذا جاوزها إلى ما وراء المادة لم يكن له حكم، وهذا أمر تواردت عليه الأحاديث النبوية وأبحاث أكابر فلاسفة الأرض، قال عليه الصلاة والسلام « إذا ذكر القضاء فأمسكوا » أو ما هذا معناه، لماذا؟ لأن مسألة القضاء والقدر، ما خاض فيها العقل إلا كفر، لا لأنها مناقضة له بل لأنها أوسع من طاقته، وهذا عقلي يحاول أن يورد عليّ الآن اعتراضات كثيرة فلا أصغي إليه، وأذكر (ولا يحضرني هذه الساعة المرجع) أن بعض الصحابة شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم شكوكا يجدها، قال، أوجدت ذلك؟ قال، نعم، قال، استعذ بالله. ولم يأمره بإعلانها والبحث فيها - وهاك الفيلسوف الأكبر كانت يؤلف كتاباً برأسه هو (نقد العقل) في إثبات هذا الأمر، ويبطل في كتابه الآخر (مقدمة لكل علم ميتافيزيك) علم ما وراء الطبيعة، وجرى على ذلك إمام الفلاسفة الوضعيين أوغست كونت.

فالعقل إذن قاصر حكمه على ما يدرك بالحس، وليس عنده إلا مجموعة تجاربه الحسية، فإذا جاوزها كان كالعدم، وحسب العقل هواناً في المجرّدات، أنه ينكر أقدس شيئين في الوجود ولا يستطيع أن يفهمهما: الحب والإيمان.

سل العقل، ما الحب؟ ينبئك بأنه جنون! وما الفرق عند العقل بين ليلى ولبنى وسلمى وأي امرأة أخرى، ما دامت الغاية عنده الحمل والولد وبقاء النسل؟ ومن يقدم في الحرب على الموت، هل كان يقدم لو نزعت الحماسة من نفسه وهي عاطفة وتركته لعقله ولما يحسن العقل من محاكمات جافة؟ هل يجود لولا هزة الأريحية جواد بنوال؟ هل يقبل إنسان على تضحية أو بذل لولا العاطفة؟ هل يعرف العقل إلا المنفعة؟ لقد أحسن التعبير عن العقل المتنبي حين قال:

الجود يفقر والإقدام قتال.

***

سيقول قائل، إن أساس الإيمان، الاعتقاد بوجود الله، فهل هو غريب عن العقل؟ لا، إن الاعتقاد بوجود الله من بديهيات العقل، فلا يعيش عقل بلا اعتقاد بإله كما يقول (دوركيم)، والإنسان بهذا المعنى حيوان ذو دين. وذلك لأن تجارب العقل ومحسّات الحواس التي يستند في حكمه إليها، توصل حتما إلى الاعتقاد بوجود إله، وسواء كان منشأ هذا الاعتقاد الخوف أو التطلع إلى المجهول، كما هو مبين في كتب الميتافيزيك، فلا شك في أنه بديهي، أما ما عداه من شعب الإيمان وأركانه، كمعرفة صفات الله، والإيمان بالمغيبات، والقضاء، والقدر، فلا يستطيع العقل أن يقيم الدليل على نقضها ولكنه لا يستطيع أبداً فهمها، ولا أظنني بحاجة إلى بيان الفرق بين الاعتقاد بوجود شيء وبين فهمه ومعرفة حقيقته، هذا وليس من مصلحة الدين ولا التدينين أن نخلي بين العقل وما يجب الإيمان به، بل المصلحة بالاطمئنان العاطفي والتصديق القلبي وما يعقبه من اللذة والاطمئنان.

وهؤلاء العلماء المتكلمون الذين كانوا من رأي الأستاذ خلاف والذين حاولوا أن يجعلوا الإيمان إيمان عقل، عادوا كلهم وأنابوا واعترفوا بأن الإيمان بالقلب، هذا (ابن رشد) وناهيك به، عاد فقال في تهافت التهافت (الذي يرد به على الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة): لم يقل أحد من الفلاسفة في الإلهيات شيئاً يعتد به. وهذا (الآمدي) وقف في المسائل الكبار وحار. و (الغزالي) انتهى إلى التصوف والتسليم، وهذا (الفخر الرازي) قال بعد تلك المؤلفات الطوال:

« نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ولقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن، اقرأ في الإثبات، الرحمن على العرش استوى، واقرأ في النفي ليس كمثله شيء، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي » انتهى كلامه ... وكلامي!

وعلى الأخوين الكريمين خلاف وقطب تحيتي وسلامي.

علي الطنطاوي

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ٨ —

تتبع بواعث العمل ونية العامل

لا يقتصر التشريع الإسلامي في أحكامه على أعمال الإنسان الظاهرة، وارتباطها بغيره، ولا يكتفي بأثر التشريع الدنيوي، ولا بالحكم المنصوص عليه في القانون الواجب التطبيق في الظاهر كما هو الشأن في القوانين الوضعية عامة — بل يتتبع بواعث العمل ونية العامل، فيحكم عليه حكماً أخروياً، يناسب النيات، والبواعث الباطنية من مثوبة، أو عقوبة أخروية، وهذا شأن التشريع الكامل الذي يقصد إلى الإصلاح الحقيقي المؤدي إلى إصلاح القلوب، وتهذيب النفوس، فتجري المعاملات بين الناس على أساس صالح من مراعاة العدل والحق.

إنه بذلك يجعل الإنسان — في كل ما يصدر منه — تحت رقابتين: الخشية من الله والضمير، ثم الخشية من أحكام القانون؛ ولتوضيح ذلك نذكر — على سبيل المثال — أن عقد الزواج له حكمان إذا وقع مستوفياً أركانه وشروطه:

أحدهما: أثره المترتب عليه، وهي تلك الحقوق والواجبات التي تثبت لكل من الزوجين على الآخر.

وثانيهما: وصفه الشرعي الذي يرجع إلى نية العاقد، والباعث له على الزواج، فقد يكون هذا الزواج حراماً، يعاقب المتزوج عليه في الآخرة إذا تيقن ظلمه لزوجته، أو نوى بزواجه الإساءة إليها، أو لذوي قرباها، لأن الزواج إنما شرع لتحصين النفس وبقاء النسل، وتحصيل الثواب، وهو بالجور يرتكب المحرمات فتفوت المصلحة التي من أجلها شرع الزواج لرجحان المفاسد الناجمة من الجور عليها. وقد يكون فرضاً، يثاب فاعله، ويعاقب تاركه إذا كان الزوج مع قدرته على واجبات الزوجية يتيقن الوقوع في الزنا إذا لم يتزوج، ويكون سنة مؤكدة حال الاعتدال، فيأثم بتركه، ويثاب إن نوى تحصيناً وولداً (١)

(١) راجع فتح القدير ورد المحتار في فقه الحنفية.

— ٩ —

اتساع باب التعزير فيه

من أبين الدلائل، وأقوى الحجج، وأسطع الآيات على أن الشريعة الإسلامية سمحة موطأة الأكناف، خصبة، أقرت حرية الرأي والاجتهاد في التشريع، ما روعيت أصوله، وتحققت دعائمه وشروطه — اتساع باب العقوبات وتعدد وجوه التعزير فيها: فإن العقوبات إن كان مقدرة من الشارع على الجرائم المجترحة سميت حدوداً، وهي التي وردت في التشريع القرآني في حد الزنا والقذف والسرقة وقطع الطريق.

أما إذا كانت غير مقدرة فهي التي تسمى تعزيراً، فهو تأديب بعقوبة غير مقدرة من الشرع، ويجب بارتكاب معصية من المعاصي التي لا حد لها، كشهادة الزور، وإيذاء مسلم أو ذمي بقول أو فعل، ومنه سب المحصن بغير الزنا، والنظر إلى الأجنبية، والخلوة بها، وسرقة ما لا قطع فيه.

وتقدير العقوبات على المعاصي والمحرمات، أو ترك الواجبات التي لم يرد في النصوص الشرعية عقوبة معينة لها — يرجع إلى اجتهاد الأئمة وأولي الأمر في كل زمان ومكان، وتختلف باختلاف أحوال الجرائم، وكبرها وصغرها، وبحسب حال المذنب نفسه. ولذلك كان التعزير من أوسع الأبواب في الشريعة الإسلامية. واختلف المجتهدون فيه، وفي تحديد عقوباته اختلافاً كثيراً.

والتعزير منه ما يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن، ومنه ما يكون بالضرب. وقد يكون بالقتل إذا لم تندفع المفسدة إلا به مثل قتل المفرّق لجماعة المسلمين والداعي إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما يجوز قتل الجاسوس المسلم إذا اقتضت المصلحة قتله على رأي مالك وبعض أصحاب أحمد، واختاره ابن عقيل، ومثل ذلك التعزير بالعقوبات المالية: فإنه مشروع في مواطن مخصوصة في مذهب مالك وأحمد وأحد قولي الشافعي، وجاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه بذلك في مواضع، منها أخذه شطر مال مانع الزكاة، وإضعافه الغرم على سارق مالا قطع فيه، ومثل تحريق عُمر وعليّ المكان الذي تباع فيه الخمر،

وتحريق عمر قصر سعد بن أبي وقاص لما احتجب فيه عن الرعية — قال ابن رشد فى كتاب البيان : لصاحب الحسبة الحكم على من غش فى أسواق المسلمين فى خبز أو عسل ، أو غير ذلك من السلع بما ذكره أهل العلم فى ذلك ، فقد قال مالك فى المدونة إن عمر بن الخطاب كان يطرح اللبن المغشوش فى الأرض تأديباً لصاحبه ، وقد روى عن مالك أن المستحسن عنده أن يتصدق به إذ فى ذلك عقوبة الغاش بإتلافه عليه ، ونفع الفقراء بإعطائهم إياه ولا يهراق .

ولأن التعزير راجع إلى اجتهاد الفقهاء — اختلفوا فيه على أقوال أربعة :

الأول : أنه لا يزاد فيه على عشرة أسواط ، وهو أحد الأقوال فى مذهب أحمد وغيره .

الثانى : أنه لا يبلغ بالتعزير أدنى الحدود : إما أربعين ، وإما ثمانين ، وهذا قول بعض أصحاب الشافعى ، وأبى حنيفة ، وأحمد

الثالث : أنه لا يبلغ بالتعزير فى معصية قدر الحد فيها ، فلا يبلغ بالتعزير على النظر والمباشرة حد الزنا ، ولا على السرقة من غير حرز حد القطع ، ولا على الشتم بدون القذف — حد القذف . وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والشافعى .

الرابع : أنه بحسب المصلحة ، وعلى قدر الجريمة ، فيجتهد فيه ولى الأمر ، ويبدو لنا أنه أعدل الأقوال ، وأولاها بالقبول (١)

ومع سعة التشريع الإسلامى ومرونته ، وتركه تقدير العقوبات على الجرائم للاجتهاد بحسب المصلحة ، واختلاف الأزمنة والأحوال — فيما عدا الحدود — تجرأ بعض الولاة والحكام ، وكثير من الحكومات الإسلامية فى عصور مختلفة ، وفى عصرنا هذا على وضع القوانين مقتبسة ومأخوذة من القوانين الأوربية متوهمين أن الشرع ناقص لا يقوم بمصالح الناس ، ولا بسياسة الأمة ، فتعدوا حدود الله ، وخالفوه فى كثير من أحكامه وأوامره ، وهو خطأ — لعمر الحق — عظيم ، فإن الله تعالى أوجب على الحكام القيام بالقسط مع مراعاة ما بينه من كليات الشريعة ، ومبادئها وأصولها ، فحكمه دائر مع الحق ، والحق دائر مع حكمه أين كان ، وبأى دليل صحيح كان ، كما قال ابن قيم الجوزية ، فليتدبر هذا أولو الأمر من الحكومات والعلماء . وليعلموا أن الشريعة الإسلامية تسع كل ما يقر العدالة ، وينشر ظلالها على الناس ، فوجب جعلها الدعامة الأولى ، والأساس الأول فى تشريع القوانين ، مدنية كانت أو جنائية من غير أن نحظر فى الأحكام الإجتهادية الإقتباس من القوانين الحديثة . مما يناسب أحوالنا وأخلاقنا ، ولا يخالف أصول شريعتنا ، والله الموفق للسداد ، والهادى إلى سبيل الرشاد

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

---

(١) راجع فى مبحث التعزير والعقوبات الطرق الحكمية مطبعة الآداب والمؤيد ص ١٠٥ و١٠٦ و٢٤٤ و٢٤٥ و٢٤٦ و٢٤٧ .

الحرب الخاطفة

فى الحروب النبوية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

يتردد فى الحروب الحديثة إسم « الحرب الخاطفة » . على أنها مما ابتكره قواد هذا العصر فى أساليب الحرب . واخترعوه فى نظام القتال ، فهى منقبة من مناقبهم ، ومفخرة لهم لم يسبقهم أحد إليها ، وليس هذا من الحق فى شىء ، لأن نبينا الأعظم محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذى ابتدع هذا النظام فى القتال . وكان عنده سُنَّةً متبعة فى حروبه . وتقليداً يأخذ به فى الهجوم على أعدائه ، لأن هذا النوع من الحرب لا يكون إلا فى الحروب الهجومية ، فهى التى يمكن أن يؤخذ فيها العدو على غِرَّة ، وأن يقتحم عليه داره قبل أن يستعد للقتال ، فيستولى عليه الدهش ، ويأخذه الرعب والخوف . ولا يكلف الجيش المهاجم عناء فى القتال ، ولا تضحية فى الجنود ، ولا يشترى النصر فيه بالثمن الفادح ، ولا ينال بالدماء الغزيرة . فيشاب الفرح فيه بالحزن ، ويعكر صفوه بالثمن الفادح الذى اشترى به .

والحرب تتبعها حروب ، فإذا لم يقتصد القائد فى دماء جنوده ، وإذا لم يختر الأسلوب الذى يشترى فيه النصر بأقل ثمن . وإذا جازف بدماء جنوده ولم يحسب فيها حساباً للمستقبل . لا يلبث أن يأتى عليه يوم تنهك فيه قواه ، ويخسر فيه ما ربحه من النصر فى حروبه .

ولهذا كله آثر النبى صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الحرب ، حرصاً على أصحابه أن تستأصلهم تلك الحروب المتوالية ، وكانوا بين أعدائهم كقطرة فى بحر ، وكان لهم أباً رحيما ، وصاحباً رؤوفاً (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّمْ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ولم يكن بالقائد الذى يرى أن يأمر فيطاع ، وينظر إلى جنده نظرة الرئيس إلى المرءوس ، لا نظرة الأب الرحيم إلى أبنائه ، والصاحب الرؤوف إلى أصحابه .

ولا غرو أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم مبتدع هذا النوع من الحرب ، لأنه كان يجمع العظمة كلها فى شخصه الكريم ، فكان الرسول الأعظم بين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والقائد الأعظم بين قادة الجيوش ، والبطل الأعظم بين أبطال الحروب ، والمصلح الأعظم بين رجال الإصلاح ، والمشرع الأعظم بين رجال التشريع ، بلغ الغاية فى كل نواحى العظمة ، ولم يصل إلى درجته فيها عظيم من العظماء .

وهذه كانت سُنَّتهُ فى حروبه كما ذكرها أصحاب السير ، ذكروا أنه كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها ، فيقول مثلا إذا أراد غزوة حُنَيْنٍ : كيف طريق نجد ومياهها ؟ ومن بها من العدو ؟ ونحو ذلك .

وكان يقول : الحرب خدعة .

وكان له عيون وأرصاد بين أعدائه يأتونه بأخبارهم أولا بأول ، فإذا بدرت منهم بادرة حرب كان خبرها عنده قبل أن يتهيأوا لها ، وإذا بجيشه قد أتاهم من حيث لا يشعرون . وأحاط بهم من كل ناحية ، وكان يستحب القتال أول النهار وهم لا يزالون فى غفلتهم ، فإذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ، وتهب الرياح . فيأوى السكان إلى منازلهم . ويأخذهم أيضاً فى هدوئهم وغفلتهم .

وتلك هى الحرب الخاطفة بعينها ، وذلك هو أسلوبها الآن فى الحروب الحديثة ، أسلوب المفاجأة ، ومداهمة بلاد العدو وهو فى غفلة ، وإخفاء مقصد الجيش المهاجم حتى يصل إليه قبل أن يعلمه أحد . والتهويل فى قوته حتى يملأ الرعب منه كل نفس ، ويأخذ الخوف منه قلوب الأعداء .

ومن أظهر الحرب الخاطفة فى الحروب النبوية حرب الفتح الأعظم ، وهو فتح مكة موطن المسجد الحرام ، فقد أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها بحرب خاطفة يباغتها فيها مباغتة ، ويدركها قبل أن تحشد له الجيوش ، وتجمع له حلفاءها من القبائل ، فيستولى عليها من غير أن يقيم فيها حرباً ، أو يسفك فيها دماً من أصحابه أو من أهلها ، لأنها بلد مُقدَّس لا يحل فيها سفك الدم إلا بقدر الضرورة ، وفيها الكعبة ، والمسجد الحرام ، والحرب إذا اشتدت قد تصيبهما بتخريب أو ضرر .

فتجهز النبى صلى الله عليه وسلم للسفر ، ولم يخبر أحداً بقصده إلا أبا بكر رضى الله عنه ، ووضع حراساً على رؤوس الطرق الموصلة إلى مكة ، يسألون من يسافر فيها عن مقصده وغايته مبالغة فى الاحتياط ، وقد كان لأهل مكة جواسيس وأنصار فى المدينة من المنافقين ، فوضع الحراس على تلك الطرق حتى لا يمكن أحداً

منهم أن ينقل خبر ذلك الاستعداد لهم ، فلم يكن يؤذن بالسفر فيها إلا لمن يوثق فيه من المؤمنين المخلصين ، ومن لا يرى أنه جاسوس إذا سافر فيها واصل السفر إلى مكة ، وقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه مراقباً على أولئك الحراس ، يتعهدهم وقتاً بعد وقت ، حتى يقوموا بحراستهم على أكمل وجه ، ولا يغفلوا عنها أو يتساهلوا فيهـــا ، وقد اختير عمر لذلك لما عرف عنه من الشدة واليقظة ، فكان خير من يعهد إليه فى القيام بذلك الأمر على أكمل وجه ، والإتيان بتلك الحراسة فى غاية ما يكون من الدقة .

وقد قام الحراس بما عهد إليهم خير قيام ، ولم يمكن أحداً من جواسيس قريش فى المدينة أن يفلت منها إلى مكة ، اللهم إلا جاسوسة واحدة كانت جارية لحاطب بن أبى بَلْتَعَة ، وكان من المؤمنين المخلصين ، ولكنه كان له أهل ومال بمكة ، فأراد أن يتقرب إلى أهلها ليحافظوا على ماله وولده فكتب إليهم كتاباً يخبرهم فيه باستعداد النبى صلى الله عليه وسلم للغزو ، وأنه ربما يقصدهم به ، وقد أوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم بأمر تلك الجاسوسة ، فانتدب لها ثلاثة من كبار أصحابه اهتماماً بأمرها ، ليدركوها قبل أن تصل إلى مكة ، وهم : على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، والمقداد ابن الأسود ، فانطلقوا مسرعين حتى أدركوها بروضة خاخ ، وقاموا بتفتيشها حتى عثروا على ذلك الكتاب فى عقاصها ، فرجعوا بها إلى المدينة ، وقضوا على هذه المحاولة التى أفلتت من تلك الحراسة .

وتم تجهيز الجيش الذى أعده النبى صلى الله عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم أحد ماذا أُعِدَّ له ، وكان عدده عشرة آلاف ، ثم سار به حتى وصل مَرَّ الظَّهْرَان ، فأمر بإيقاد عشرة آلاف نار ، مبالغة فى تهويل أمره ، وإلقاء للرعب فى قلب من يراه ليلا ، وكانت قريش قد بلغها أن محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدرى وجهته ، فأرسلت أبا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبُدَيْل بن ورقاء يلتمسون خبر ذلك الجيش ، فلما وصلوا مر الظهران ورأوا تلك النيران قال أبو سفيان : ما هذا ؟ لكأنها نيران عرفة . فقال بديل بن ورقاء : هى نيران بنى عمرو . فقال أبو سفيان : بنو عمرو أقل من ذلك .

ثم رآهم نفر من حرس المسلمين فأتوا بهم النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان ، وقد أوقفه عند خَطْم[1] الجبل ، وجعل الجيش يمر عليه كتيبة بعـــد كتيبة ، ليرى عظمته وقوته وحسن نظامه ، وينظر من اجتمع فيه من القبائل التى لا تحصى ولا تعد ، ويخبر أهل مكة بما رأى من ذلك ، فيملأ الرعب قلوبهم ، ولا يجدوا فائدة فى مقاومة ذلك الجيش ، ثم قسم الجيش إلى قسمين ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من كُدَى ، ودخل هو آمن من أعلاها من كَدَاء ، ولم يشعر أهل مكة إلا وجيش المسلمين يحيط بهم من كل جانب ، وأصوات الأمان تتجاوب من هنا وهناك : من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن . ويسمع أهل مكة أصوات الأمان فتأخذ بهم إلى الاستسلام ، ويدخلون دورهم فيغلقونها عليهم ، ومن لا يدخل داره يدخل المسجد أو دار أبى سفيان ، وتفتح مكة عاصمة الحجاز فى لحظات ، ولا يذهب فى فتحها إلا ما لا يذكر من الدماء ، وما كان أحد يظن بعد تلك الحروب الطويلة أن تفتح بهذه السهولة ، ولكنها الحرب الخاطفة التى ابتدعها النبى صلى الله عليه وسلم .

عبد المتعال الصعيدى

(١) خطم الجبل : أنفه ، وهو شىء يخرج منه يضيق به الطريق .

على ضوء الفلسفة :

الأفعال الانسانية

للأستاذ زكريا ابراهيم

من الحقائق المسلم بها أن الإنسان مضطر إلى أن يعمل وهو إذ يعمل ، ينتشر فيما حوله بتأثير أفعاله . فنحن لا نستطيع أن نتحرك ، أو أن نتنفس ، أو أن نحيا ، أو أن نفكر ، دون أن نسجل طابعنا في الخارج . ومن الشاهد أن جو الفردية هو بطبيعته محدود ضيق النطاق . فكل فعل يصدر عن الإنسان لا يلبث أن يصبح هو نفسه كائناً حياً له طابعه الخاص الذي يدل على حياة شخصية معينة . ولهذا فإن ثمة إشعاعاً ذاتياً يسم بطابعه الخاص كل حركات الشخص وأقواله . فالفعل يعبر عن فردية صاحبه ، أي عن ذاتيته الخاصة ، لأنه عبارة عن نية الشخص وهي في سبيل التحقق .

ومن مظاهر النشاط الإنساني تلك الرغبة الملحة التي يجدها الناس ، في أن يؤثروا بأفعالهم في الآخرين ، فيطبع كل منهم صورته في الآخرين ، ويسمهم بطابعه الذاتي ، وبذلك يحيا مع الآخرين بحيث يكونون له شهوداً وشركاء ومعاونين ومقلدين .

وليس الفعل عبارة عن عمل خاص يتصل بصاحبه فحسب ، وإنما هو عمل كلي يتصل بالآخرين جميعاً . وتتمثل هذه الصلة في التأثير الذي يحدثه العمل الواحد في نفوس الآخرين بعد أن يتحقق في الخارج ؛ وهذا هو ما يعطي الأفعال الإنسانية كل قيمتها ، لأن هذه الأفعال هي عبارة عن نيات متجسدة ، وقيم أخلاقية متحققة ، ومثل عليا متجسمة ؛ وهي تقوم بدور المؤثر الفعال في المجتمع ، لأن الأفراد يستطيعون أن يفهموا معنى تلك الأفعال ، ومن المحتمل أن يقعوا تحت تأثيرها .

وللفعل الواحد قدرة غير محدودة على الانتشار ، على الرغم من أن ثمة أفعالا قد تبدو لنا تافهة لا معنى لها . فلو ضربنا صفحاً عن تلك الأفعال التي لا تدخل ضمن ما يعمله الإنسان في سبيل تحقيق غايته ، أمكننا أن نقول : إنه لا يمكن أن يوجد فعل إنساني بمعنى الكلمة هو عديم القيمة بالنسبة إلينا .

وما عمله الإنسان بنفسه ، أو بالاشتراك مع غيره ، لا يمكن أن يكون خاصاً به وحده ، أو بمن شاركه وحده ؛ وإنما هو عمل خاص بالجميع ، بل إنه — منذ لحظة تحققه — موجه للجميع ، فنطاقه واسع ، وهو للأفراد الآخرين ، كما هو بالنسبة إلى صاحبه تماماً . ومعنى هذا أننا لا نعمل أبداً لنفوسنا فحسب ، فضلا عن أننا لا يمكن أن نعمل بمفردنا فحسب . ونحن لا نستطيع ، بل على الأحرى لا نريد ، أن نحتبس حياتنا داخل ذواتنا ، ولذلك فإننا نعمل ، وعملنا لا يتم إلا بمعاونة الآخرين ، كما أنه لا يتحقق إلا في الخارج ، أعني في وسط يضم كثيراً من الأفراد الذين يستطيعون أن يتأثروا بذلك العمل .

والفعل الواحد يقدم للآخرين أفكارنا ، فهو أداة للترابط الاجتماعي ، وهو روح الحياة الجمعية . وليس في استطاعة الفرد أن يعتزل وينطوي على نفسه ، بل هو مضطر إلى الاتصال بالآخرين ، وأفعاله تكوّن الوسط الذي تنشأ فيه وتصدر عنه أفعال أخرى كثيرة . ففي تربة أفعالنا ، تنبت نيات أخرى كثيرة ، وتزهر أفعال جديدة متنوعة !

ومن الخطأ أن نتصور أن من الممكن أن يخطئ الفرد الواحد دون أن يسيء إلى الآخرين ؛ فإن كل فعل من أفعالنا يمتد في دوائر لا نهاية لها ، ولا بد أن تستتبعه نتيجة تلحق بالآخرين . بل إن الفعل الواحد كثيراً ما يكون نقطة تحول في التاريخ كله! فعلى الإنسان إذن أن يعمل ، وكأنما هو يتحكم في العالم بأجمعه ، ويوجهه التوجيه الخاص الذي يريده هو ! وقد يتقبل الآخرون أدنى منحة تقدم لهم ، أو أقل فكرة نعرضها عليهم ، فالفعل الواحد — مهما بدا يسيراً — قد تترتب عليه نتائج لا تخطر لنا على بال .

وليس من الضروري أن يشعر الإنسان بكل النتائج التي يمكن أن تترتب على فعله ، أو كل المعاني الكامنة في هذا الفعل ، بل قد تترتب على الفعل الواحد نتائج عظيمة ، دون أن تكون لدى الإنسان فكرة واضحة عن ذلك . ولهذا فإن من الواجب أن نتخذ الحيطة في كل عمل نعمله ، أو كل قول نقوله ، لأن أدنى خطأ نقع فيه ، قد يؤثر تأثيراً سيئاً في حياة الآخرين . وليس أخطر

من مهمة أولئك الذين يتصدون للتربية والتعليم ، لأن مسئوليتهم خطيرة فى كل مايقولونه ، وما كان يمكن أن يقولوه ، وما لم يقولوه حين كان من الواجب أن يقولوه ! وكل نقطة غامضة كثيراً ما تكون مثاراً لكثير من التأويلات الفاسدة والآراء الخاطئة ، والتطبيقات الكاذبة .

وما دامت الأفكار تنفذ إلى الإنسان من الخارج ، فلا بد أن تتعرض لخطر التشويه أو التحريف أو سوء الفهم . أما إذا أُدخلت تلك الأفكار فى تيار الحياة نفسها ، أعنى إذا جعلناها تنبع من الأعماق الباطنة التى تتكون فيها الحقائق الشخصية اليقينية ، فإنها تصبح عندئذ أفكاراً حية حقيقية .

ومن الضرورى أن يكون تأثير المدرس (مثلا) تأثيراً خفياً يسرى فى نفوس التلاميذ دون أن يشعروا بذلك . فالفعل الحقيقى هو الذى يتحقق دون أن يشعر به الآخرون شعوراً مباشراً . ولا بد من اتخاذ الحيطة فى هذا الفعل ، حتى إذا كنا على ثقة مما نقوله ، وكل ما نعمله ، لا بد من أن نحترس ، حتى إذا اعتقدنا أننا على حق . وليس أشق من فن « التطعيم العقلى » على كل من يمارس مهنة الفعل والتأثير « Action »

والفعل الحقيقى هو الذى يتم فى صمت ، وإن التربية لهى مدينة فى تأثيرها وقوتها إلى ذلك الإيحاء الصامت الذى يمارسه المدرس ، فيوجه به التلميذ التوجيه الذى يريده ، فى الوقت الذى يعتقد فيه التلميذ أن أفكاره إنما هى وليدة تفكيره الخاص ، وأن أفعاله إنما هى نابعة من ذات نفسه ! ولكن ما أعظم مسئولية المدرس إذا أساء استعمال سلطته ، فأدخل فى عقل التلميذ أفكاراً غير ناضجة ، أو أوحى إليه بأفعال غير مثمرة !

أما المثل الأعلى للمدرس ، فهو أن يعرف كيف يجعل نفسه سلبياً خالصاً ، فيختفى هو وراء الستار ، لكى يكتشف الطفل بنفسه ما يتعلمه ، وبذلك يكون المدرس تلميذاً لتلميذه !

زكريا ابراهيم
مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

رأى جديد فى

حماد الراوية

للأستاذ السيد يعقوب بكر

٤ – رواية حماد

(ا) اشتهاره بكثرة الحفظ والرواية

اشتهر حماد بكثرة حفظه وروايته ، حتى لقد سُمِّى حمادا الراوية . ونحن لا نظن أنه سُمِّى هكذا تمييزاً له من معاصريه : حماد عجرد وحماد بن الزبرقان ، فقد كان يمكن أن يُسمَّى حماد ابن ميسرة[1] . وفى الأغانى (جـ ٥ ص ١٦٥) أن الهيثم بن عدى قال : ما رأيت رجلا أعلم بكلام العرب من حماد . وجاء فى خزانة الأدب (جـ ٤ ص ١٣٩) وفى غيرها من كتب الطبقات أنه كان من أعلم الناس بكلام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها .

وترد فى كثرة حفظه أخبار كثيرة . ففى الأغانى (مرة فى ص ١٦٤ — ١٦٥ ، ومرة أخرى فى ص ١٧٤) ، وفى معجم الأدباء (جـ ٤ ص ١٣٧) ، وفى وفيات الأعيان (ص ٢٤٠ ط باريس) ، وفى خزانة الأدب (ص ١٣٩) ، وفى تحفة المجالس ونزهة المجالس للسيوطى (ص ١٠٧)[2] ، أن الوليد بن يزيد قال لحماد : بم استحققت هذا اللقب . فقيل لك حماد الراوية[3] ؟ قال : لأنى أروى لكل شاعر يعرفه أمير المؤمنين أو سمع به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعترف بأنك لا تعرفهم ولا سمعت بهم . ثم لا أنشد شعراً لقديم أو محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث . قال : إن هذا العلم وأبيك كثير ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير . ولكنى أنشدك على أى حرف شئت من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية . قال : سأمتحنك . وأمره الوليد بالإنشاد ، فأنشده حتى ضجر الوليد ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ؛ فأنشده ألفى قصيدة وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

وفى الأغانى (ص ١٦٤) أن مروان بن أبى حفصة الشاعر قال : دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفى والحسين بن مُطير الأسدى فى جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو فى فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده كلما أنشد شاعر شعراً وقف الوليد ابن يزيد على بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ؛ فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية .

ويقول أبو الفرج (ص ١٧٣) : « قال حماد الراوية : أرسل إلىَّ أمير الكوفة فقال لى : قد أتانا كتاب أمير المؤمنين الوليد ابن يزيد يأمرنى بحملك . فحملت ، فقدمت عليه وهو فى الصيد ، فلما رجع أذن لى ، فدخلت عليه وهو فى بيت منجد بالأرمنى أرضه وحيطانه . فقال لى : أنت حماد الراوية ؟ فقلت له : إن الناس ليقولون ذلك . قال . فما بلغ من روايتك ؟ قلت : أروى سبعمائة قصيدة أول كل واحدة منها : بانت سعاد . فقال : إنها لرواية » . وواضح أن هذه القصة وقعت قبل تلك القصة التى كانت لحماد مع الوليد أيضاً ، والتى تقدم ذكرها . وقد قدّمنا تلك القصة على هذه لاشتهارها وورودها فى معظم كتب الطبقات .

فقد كان حماد إذن مشهوراً بكثرة الحفظ والرواية . وهى شهرة هو جدير بها وحقيق . فليس عهدنا بالمعاصرين أن يتزيدوا على المرء بالفضل والسبق ، إنما عهدنا بهم أن يحطوا من قدره ويهوّنوا من أمره .

(ب) جمعه المعلقات السبع[1] وروايته معظم شعر امرئ القيس

فى نزهة الألباء للانبارى (ص ٤٣) وفى معجم الأدباء

---

(١) فى الأغانى (جـ ١٦ ص ١٤٨ — ١٤٩) وفى أمالى المرتضى (جـ ١ ص ٩٠) ، قول للجاحظ يَرد فيه ذكر حماد بن أبى ليلى الراوية . فاطلاق الجاحظ هنا لفظ الراوية على حماد لا يراد به تمييزه من حماد عجرد وحماد بن الزبرقان ، ولكن يراد به تمييزه بكثرة الرواية .

(٢) وكذلك ورد هذا الخبر مختصراً فى بلوغ الأرب للألوسى (جـ ١ ص ٤٠) .

(٣) فى هذا السؤال دليل على ما قلناه فى صدد لفظ الراوية .

(١) أى معلقات امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، ولبيد ، وعنترة ابن شداد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة .

(ص ١٤٠) ، وفى وفيات الأعيان (ص ٢٤٠) أن أبا جعفر أحمد ابن محمد النحاس ذكر أن السبع الطوال من جمع حماد الراوية ؛ وفى نزهة الألباء ومعجم الأدباء وحدهما أنه لم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة .

أما أن العرب الجاهليين لم يختاروا المعلقات ولم يفضلوها على غيرها من الشعر ، فهذا ما لا نستطيع الأخذ به . ذلك لأننا لا نرى مانعاً من ذلك . فالعرب الجاهليون قوم شغلوا بالشعر ، فقالوه ، ورووه ، وأقاموا الأسواق لإنشاده ونقده . وقوم هذا شغلهم بالشعر لا يصعب عليهم تفضيل بعضه على بعضه واختيار بعضه دون سائره .

فالمعلقات إذن قد تكون من اختيار العرب القدماء . وهو ما لا يراه ابن النحاس النحوىّ المصرىّ . ويؤيدنا فى رأينا هذا ما يقوله ابن النحاس نفسه من أن حمادا الراوية ، لما رأى قلة من يعنون بالشعر ، جمع هذه القصائد السبع . وحثّ الناس على درسها ، وقال لهم : هذه هى المشهورات . ولفظ المشهورات هنا هو بيت القصيد . فهو يدل على أن القصائد السبع كانت ، قبل أن يجمعها حماد ، مفضلة على غيرها ، وهو فضل يرجع فى أغلب الظن إلى اختيار العرب الجاهليين إياها .

وأما أن العرب الجاهليين لم يعلقوا القصائد السبع على الكعبة ، فهو ما نوافق ابن النحاس عليه . فقد بينا فى الفصل السابق من هذا البحث كيف أن الكتابة العربية قبل الإسلام لم تكن صالحة لأن تدون بها الأشعار . ونقول هنا (مستندين إلى ما يقوله المرحوم الأستاذ طه أحمد ابراهيم فى كتابه تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٢٣) إن ابن عبد ربه ، وهو أندلسى من رجال أوائل القرن الرابع الهجرى ، أول من ذكر تلك القصة ، قصة تعليق القصائد السبع على الكعبة ؛ وإن إغفال المشارقة قبله هذه القصة كابن سلام وابن قتيبة والجاحظ والمبرد ، وكتبهم من أمهات كتب الأدب ، تجريح لها وإغراء برفضها .

فخلاصة رأينا هى أن المعلقات السبع من اختيار العرب القدماء فى أغلب الظن ، وأن حماداً هو الذى جمعها بعضها إلى بعض وجعل منها جملة معروفة ، وأن تسميتها بالمعلقات لا تعنى أنها علقت على الكعبة أو فى داخل الكعبة .

فاذا سئلنا عن معنى كلمة المعلقات ، أجبنا أنها تدل على الجودة والنفاسة ، وأنها هنا على المجاز لا على الحقيقة . ومثلها فى هذا كلمة السموط التى تطلق أيضا على السبع الطوال . وهذا الإطلاق المجازى فى غير حاجة إلى الشرح . وقد تكون كلمتا المعلقات والسموط من إطلاق العرب القدماء ؛ كما قد تكونان من إطلاق حماد ، كما يرى نولدكه Noeldehe فى كتابه Beiträge zur Kenntniss der Poesie der alten Araber (ص ٢٢) . ويرى هيار (ص ٩) وتشارلز ليال فى كتابه : Tranolations of Ancient Arabian Poetry (المقـــدمة ، ص ٤٥) أن كلمة المعلقات من إطلاق حماد . ثم إن للسبع الطوال اسماً آخر هو المذهبات ، قد يكون من إطلاق القدماء ، وقد يكون من إطلاق حماد . وواضح أن القصة التى يذكرها ابن عبد ربه من أن العرب كتبوا السبع الطوال بماء الذهب فى نسيج من صنع أقباط مصر وعلقوها بأستار الكعبة ، واضح أن هذه القصة إنما نشأت من تسمية هذه السبع الطوال بالمعلقات أو المذهبات ، ثم أخذ هذه التسمية على وجهها الحقيق لا المجازى .

والآن ، وقد بسطنا رأينا فى المعلقات : اختيارها ، وجمعها ، وتسميتها ، نعود فنناقش مقالة بعض المستشرقين فى اختيارها ، ونبين ما تنطوى عليه من زيف وخطأ .

يقول نولدكه فى بحث له عن المعلقات (الموسوعة البريطانية ، المجلد ١٥) : « لم يكن من المتيسر للعرب القدماء إطلاقا أن يختاروا هذه القصائد السبع . وأكبر الظن أننا مدينون بهذا الإختيار لأحد العلماء المتأخرين ... وقد كان حماد (الذى امتدت حياته فى الأرباع الثلاثة الأولى من القرن الثامن الميلادى) المتفرد فى عصره بحفظ أغلب الشعر العربى . وكان عمله رواية الشعر . فاختيار الشعر مما يصح من راوية مثله من كل الوجوه[1] . ثم إن هناك حقيقة أخرى يبدو أنها تؤيد جمع حماد المعلقات . فقد كان فارسى الأصل ، ولكنه كان مولى لقبيلة بكر بن وائل العربية . ونحن نظن أن هذا حدا بحماد إلى الايقتصر على ضم قصيدة لطرفة الشاعر المشهور ، فضم قصيدة بكرى آخر ، هو الحارث ، الذى كان زعيما شهيرا ، وإن لم يكن شاعرا مبرزا ؛ وإنما ضم قصيدته لأنها تصلح لمعارضة قصيدة أخرى فى المجموعة ؛ هى تلك الأبيات المشهورة التى قالها معاصره عمرو ، زعيم قبيلة تغلب ، منافسة أختها بكر ... » .

(يتبع)　　　السيد يعقوب بكر

(١) أورد نولدكه هذا الرأى أيضا فى كتابه السابق الذكر (ص ٢٠)

المختار

فى كل عدد ثروة عظيمة من القراءة الممتعة النافعة ، والتوجيه السديد إلى النجاح والرضى فى الحياة

موضوعات مختار ديسمبر

رحلة سعيدة

بدأت تنزل الدرج فى طريقها إلى ما كانت تصبو إليه — الرحلة حول العالم ، فعثرت وأخذها الشلل . قصة ملهمة لامرأة شجاعة مشلولة ، ظلت أربعين سنة تجوب آفاقاً لا تنتهى دون أن تخطو من دارها خطوة واحدة .

رأيت الروس فى بلغاريا

هـــذا مقال يفسّر سبب امتناع الحكومتين الأمريكية والبريطانية ، عن الاعتراف بنتائج الانتخابات فى بلغاريا — كما روَت البرقيات .

القصة التى اشتهى أن يكتبها

كان رجلا عظيما ، وكان يطوى جوانحه على مطمع لم يقض من إدراكه وطراً — هو أن يكتب قصة بوليسية . فمن هو الرجل ؟ وما هى القصة ؟

على هامش زواج سعيد

« ليس فى فسحة الحياة المنبسطة أمامنا شئ أجلُّ شأناً من هذا الزواج ، ولن نسمح لشىء كائناً ما كان أن يفسدهُ علينا » — هذا هو المبدأ ، وهنا نجد التطبيق .

حكومة العمال البريطانية

ما مؤدى قيامها ، فى سياسة بريطانيا الداخلية مما يهمُّ العالم ، وفى سياستها الخارجية وبخاصة ما كان منها ذا صلة بنهضة الاقتصاد العالمى من عثاره ؟ وهل هى أجدى على العالم من حكومة محافظة ؟

سر مع العالم

صفحة من الحقائق الغريبة .

ليلة من الأهوال

وصف يستأثر بالخيال وبروعه ، لعاصفة ثارت فى سنة ١٩٢٨ فأسفرت عن ليلة لا ينسى هولها ، ولا تنسى أيضاً ضروب الجرأة والشجاعة التى تجلت فيها .

مادة عجيبة فى الدم

رويت روايات مفزعة كثيرة عن مادة تجعل دمَ الأم يقتل جنينها . مقال يميط اللثام عن سرّها ويدلك كيف يستعين الأطباء بما يعرفونه عنها على وقاية الحامل من أن تسقط أو تلد الجنين ميتاً .

من صميم الحياة

أسلوب عظيم فى إصلاح ذات البين ، يجنّب المتنازعين ذلة التسليم . قصة وقعت .

انقلاب فى زراعة القطن

آلة جديدة تجنى القطن جنياً متقناً ، جدّدت أمل أرض القطن فى استرداد رخائها — ولكنها أثارت مشكلات كثيرة جديدة . موضوع يهمُّ جميع الزرّاع .

هذه هى طبائع البشر

قصص قصيرة تدل على أن طبائع البشر هى هى فى جميع الأقاليم والأجواء على السواء .

خلف تشرشل

كليمنت أتلى رئيس الوزارة البريطانية رجلٌ غير متكلف ولكنه قوى الخلق ، وهو نقيض تشرشل فى خلائقه ، ولكن كلاهما نموذج للانجليزى .

أنهار ميتة وأنهار تموت

ما يجرُّه تلويث الجداول والقنوات الصافية من وبال على

الصحة العامة ، وكيف يعالج حتى يصلح الأمر وينتفع الناس

مطاردة جاسوس

كيف حلّ رجال المباحث أغمض لغز من ألغاز الجاسوسية في الحرب العالمية الثانية ، وكيف كشفوا رجلا فرداً عادياً بين ثمانية ملايين ، لا يعلمون ما شكله أو اسمه ، ولا ما يعمل ، ولا أين يسكن ؟

هذا ما كان

كلمة السرّ التي تفتح القلب المغلق .

عالم الكنار

للطير طبائع كطبائع الناس ـ فهذا كنار متصف بـ « شعور الزعامة » ـ وهذا آخر عاشق مزواج ـ وهذه أسرة كاملة من طير الكنار تغرّد تغريداً عجيباً من أجل التغريد ، وتبدع في تغريدها الجمال المطلق .

البحث عن الكواكب

ما سرّ نجاح كواكب السما ؟ أهو الجمال ؟ أم هو الشخصية ؟ وكيف يختارون ؟ وكيف يمتحنون ؟ هنا وصف للبحث المتصل عن الكواكب الذي تتولاه هوليوود .

علموا أولادكم الحياة

خمس حلقات أخرى ممتازة ، في سلسلة ظفرت بإعجاب جميع القراء ، وبخاصة الآباء والمدرّسين

أجور العمال في روسيا

بيان صريح يهدم الاعتقاد الشائع عن دخل العمال في روسيا . لماذا يسمح ستالين لمديري المصانع بمرتبات عالية ، ولماذا نجد الفرق بين مرتباتهم وأجور العمال ، أعظم في روسيا منه في البلاد الرأسمالية .

سعادة عميقة الينابيع كالدموع

قصة مؤثرة لطفل عليل ، ووالدين ذاقا السعادة الكبرى ، بعد أن ذاقا الأمرّين ، حين تعلما أن المتاعب الصغيرة لا تعدّ

شيئاً إذا قيست بالألم الأكبر

السبيل إلى الصحة في الريف

يمكن أن ينال الريف خير عناية من الطب الحديث إذا ما أنشئت عيادات ريفية على نمط العيادة التي تروى قصتها في هذا المقال .

هاشفاده من الطير

قصة وقعت في حديقة حيوان تبين ما بين الطير والناس من مشابه .

كما تكونون تكون بلادكم

« ما من أمة أو مدينة ، إلاّ وهي كما يصوغها أبناؤها ، وهؤلاء الأبناء ينبغي أن يصاغوا وينشأوا » ، وهذا ما فعلته « جمعية الإصلاح العام » في جمهورية بجنوب أمريكا فجدّدت حياتها وجعلتها زاخرة بالخير والصحة والجمال .

هل بين جنبيك قلب مهذب

إنك تصنع المعروف ، فهل توخيت أن تصنعهُ على وجهه ؟ فصاحب القلب المهذّب يصنع الصنيع بأسلوب جميل مستملح . وفي هذا المقال إرشاد رفيق إلى سرّ الإرضاء والرضى في الحياة

رياح تهب مصعدة إلى فوق

تيارات الهواء ، التي لا تهب شرقاً ولا غرباً ، ولا شمالاً ولا جنوباً ، بل تصعد في جو السماء ، فتفسر بها كثيراً من غرائب الأحوال الجويّة

باب الرواية : صديقي فلبط

مختصر القصة التي جعلت فلماً ذاعت شهرته . فتى روّض أشدّ الأفراس جموحاً ، بما استكنّ في قلبه من حب وإخلاص . وكاد يهلك في سبيل إنقاذ فرسه من الهلاك .

* كلّ كلمة تتعلمها تزيدك قدرة على التعبير .

* نبذ كثيرة ، من نوادر وحكم غربية وشرقية ، تستمتع بتلاوتها وروايتها .

رحيـــل ...

للأستاذ فريد عين شوكة

كرهتُ عجيجك يا (قاهرهْ)   وضقت بعيشتك الفاترهْ

وشاه بعيني فيك الزحام   يزيد على الحشر فى الآخره

ملايين مائجةٌ بالنهار   وفى الليل صاخبةٌ ساهره

تضيق بها سبلك الواسعات   وأبياتك الرحبة الزاخره

* * *

صحبتك فى الحرب حتى المدى   فكنت بك الصفقة الخاسره

وعانيت فيك الغلاء العضوض   وذقت تباريحه القاسره

وقاسيت فيك اضطراب المقام   فما فيك من كوّةٍ شاغره

أروح هناك وأغدو هنا   كرحالة لم يرح خاطره

وألقى المتاعب فى فندق   تضيق به نفسى الحائره

فأمضى إلى الريف عند المساء   وألقاك فى الغدوة الباكره

وكم ذقت فيك عذاب الطريق   وما فيه من نُوَبٍ كاشره

أسير أحاذر من مصرعى   بصدمة سيارة سادره

وأسعى كأنى بها طائر   تطارده الأنسر الكاسره

وإما ركبت .. فإنى على   شفا حفرة للردى فاغره

فحيناً على جنبات الترام   وحيناً على سلم القاطره

وطوراً بسيارة يحشرون   بها الناس كالسلع البائره

إذا أحسنتْ عطّلتْ ركْبها   وإن جمحت فهو فى الحافره

* * *

هى الحرب يا منيتى شوهت   محاسن أيامك الغابره

أحالتك مثل لهيب اللظى   وقد كنت كالسرحة الناضره

صبرنا لعلك عند السلام   تعودين فتانة ساحره

فننعم فى ظلك المشتهى   ونستاف أنسامك العاطره

ولكنه ... أمل ضائع   وأمنية نفرت ساخره

فعذراً إذا ما رغبتُ القرى   أريح بها مهجتى الثائره

فلن تستقر لديك الحياة   وأنت على الحالة الحاضره

من صور الحيـــاة

للدكتور عبد الجبار جومرد

ساءها أن بدا على شحوب   وكسا جانب الشباب مشيب

وغضون تقاطعت بين عينى   كما لاح غامض مكتوب

عهدتنى فتى طروباً وهل   يبقى على حالة شجٍ أو طروب

طوحت بى شواسع فاذا ما   جئت أهلى ظننت أنى غريب

وبلوت الأيام حتى بدا من   أسهم الدهر فى فؤادى ندوب

ربما أنت فى ربيع شباب   شبت فيه وجرحتك الخطوب

مثلما تعبث الأعاصير بالزهر   فيذوى والغصن غض رطيب

كلما كنت مرهف الحس نا   بتك من البث والهموم ضروب

فالسعيد الذى يعيش بليداً   والرقيق المعذب المسلوب

وحياة الأديب حرب وفيها   قلما يربح الصراع الأديب

كم من الخالدين فى صفحة الـ   ـمجد قضى وهو بائس محروب

فاذا كان للزمان ذنوب   فمن الناس قد تجىء الذنوب

إنما الناس فى الحياة وحوش   ضاريات والفاتك المرهوب

فكثير من النفوس وضيع   وقليل منها الرفيع النسيب

لا يغرنك مظهر من وجود   إنما ظاهر الوجود كذوب

فلقد يسحر العيون جبين   تحته من شراسة الطبع ذيب

ولقد تبسم الشفاه وفى الصد   ر من اللؤم فى الضلوع دبيب

قلما يصنع الجميل فتى ما   لم يكن فى جميله مطلوب

لا تكن مسرعاً بحكمك فى النا   س فما كل نائح منكوب

كم غنى يشكو من الشح عدماً   وعديم فيه سماح وطيب

وكثيراً ما يعدم النوم مسرور   ويغفو فى حزنه مكروب

وتخال الشوهاء حيناً ملاكاً   من جمال وحسنها مجذوب

منظر يضحك العيون ويبكيها   أسًى لو سرها المحجوب

ينهب البعض لو أتيح له البعـــض وكل من غيره منهوب

ملأوا جانب الطريق شباكا   حولها ألف مرصد منصوب

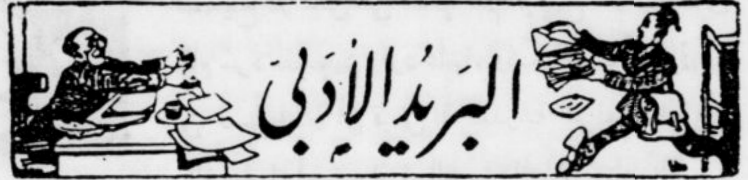
نصبوها وكلهم واقع فيها   ولم ينج مائق أو أريب

وأضافوا على الحقيقة ألواناً   فجاءت ووجهها مقلوب

فالذى يحسن النفاق يسود   القوم وهو المكرم المحبوب

والذى يعشق الصراحة فى   مسعاه يرتد خاسئاً ويخيب

أنت فى الناس رابح إن ترفعـــت وإلا فخاسر مغلوب



الدين والوحي والإسلام

لمعالى مصطفى عبد الرازق باشا

من المباحث الشائكة ؛ الحساسة ؛ التي تلقى فى روع المتصدى للخوض فى غمارها شيئاً كثيراً من الهيب والتوقير لما تنطوى عليه من دقة ؛ وما يلابسها من الشعور بالقداسة نحوها ؛ تلك التى تدور حول الدين والوحى والإسلام ؛ وحسبك أنها الدعائم التى تنهض عليها الحياة الروحية للانسانية ؛ وقد وفق — الوزير الفيلسوف — فى جلائها ؛ والكشف عنها بهذا المنطق الرزين ؛ الحصيف ؛ وهذا الأسلوب المشرق الأخاذ ؛ وهذا الإيجاز المركز ؛ فهو يتناول الموضوع ويسلسله فى كل الأطوار التى اجتازها ؛ والمراحل التى قطعها ؛ حتى يتسنى عرضه فى مختلف الصور التى تبدى فيها ؛ ثم يعقب بما يراه ؛ فإذا أخذ فى الكلام عن الدين عرض لك تحديد الدين وبيان أصله فى نظر الفرنجة ؛ ثم بداية الاهتمام بهذا المبحث ؛ وصلة ذلك بتكوين علم اللغات ؛ ومعانى الكلمة الأوربية ؛ ومذاهب علماء النفس والاجتماع فى أصل الدين ؛ ومناقشة التعاريف المختلفة للدين ؛ ثم ينتقل إلى الدين فى النظر الإسلامى ؛ فيعرض لكلمة دين العربية ؛ وأصل المادة ؛ ومعانيها ؛ ثم يعرض لها فى لسان القرآن والشرع وعند الفلاسفة الإسلاميين ؛ والفرق بين الدين والفلسفة ؛ حتى إذا استوفى الكلام على الدين اتجه إلى الوحى ؛ فبين معانيه فى اللغة والقرآن والسنة ؛ وعرض أهم النظريات فى تفسير الوحى ؛ فيعرض لمذاهب المتكلمين والفلاسفة والصوفية ؛ ومذهب ابن خلدون ؛ والوحى عند المسلمين فى العصور الحديثة ؛ ثم ينتهى بالإسلام ؛ فيعرض للنظريات المختلفة فى العلاقة بين المعنى اللغوى والشرعى لكلمة إسلام ؛ ثم يستخلص الرأى الراجح فى هذا الموضوع ؛ بهذا الأسلوب العلمى الدقيق درس هذه النواحى دراسة متقنة جيدة ؛ وبيانه الرصين أحكم سوغها ؛ مما جعل القارئ يقبل على هذه الأبحاث الجافة فى شوق ، ويستمرئها فى عذوبة .

محمد عبد الحليم أبو زيد

على هامش مؤتمر التعليم بالقاهرة :

فى حديث الدكتور مشرفة دعوة حارة للسمو بالتعليم فوق الحزبية والأحزاب . وإذا تم هذا فسيكون حقاً من أهم العوامل التى تساعد على تحقيق الأهداف التعليمية .

لكن سمو التعليم فوق هذه التيارات السياسية أو الأحزاب السياسية معناه أن تسمو الجماعة التى تعنى بهذه الشئون التعليمية . وهذا يتصل بالناحية الاقتصادية اتصالا وثيقاً .

فالضغط الاقتصادى كثيراً ما يملى على الأفراد والجماعات نوعاً من السلوك والأخلاق .

ووضع البلاد السياسى الآن يتطلب إلى حد كبير مجهوداً غير عادى لتحسين الناحية الاقتصادية أو على الأصح لا يساعد على تحقيق الرغبة الصادقة فى التحسين الإقتصادى المنشود . فالسمو بالتعليم فوق الحزبية أو التيارات السياسية مرتبط تماماً بالناحية الاقتصادية للبلاد .

فكلما اتسع نطاق الفقر عجزت الجماعة وخضعت تحت الضغط الاقتصادى لنوع من السلوك والأخلاق ، واستطاعت الجماعات الحزبية أو السياسية أن تجد القومين لهذه الأحزاب وهؤلاء هم المادة التى يرتقى عليها القادة السياسيون .

وإذاً فمن الناحية العملية أو الواقعية لا ينبنى سمو التعليم إلا على سمو الاقتصاد فى بلد ظروفها كظروف مصر الآن .

تقرير اللجنة :

وجاء فى تقرير اللجنة أن هناك وسائل لتحقيق الأهداف التى منها خلق روح الاعتماد على النفس وما إلى ذلك .

ولكن إذا استطاعت المدارس أن تحقق هذا فى محيطها مما يتصل بها مثل أوجه النشاط المدرسى المختلفة . فالطلبة أو التلاميذ يحيون فى داخل دورهم العلمية مع أساتذتهم كمن يحيون فى المدينة الفاضلة . ثم إذا ما خرجوا إلى المجتمع أو معترك الحياة ، وجدوا مجتمعاً كبيراً لا يعرف هذه المدينة الفاضلة ، بل ينكرها ويكفر بكل مبادئها .

فلم يكن بد من أن يسعى صاحبنا أو أصحابنا الطلاب لأن يلائموا بين أنفسهم وبين المجتمع الذى تفرض عليهم ضرورة الحياة الاتصال به .



المسئولية والجزاء

للدكتور على عبد الواحد وافى

بقلم الأستاذ سعيد زايد

أستاذنا الدكتور على عبد الواحد وافى عميد علم الإجتماع فى مصر بلا منازع ، فهو قد درس مسائله دراسة وافية دقيقة تبين للمتأمل فى كتبه القيمة والمستمع لمحاضراته فى كلية الآداب .

وعلم الإجتماع الصحيح — وأقصد به التابع للمدرسة الإجتماعية الفرنسية — علم حديث فى مصر لم يخلص بعد من التيارات المنازعة أو بمعنى أصح من المخالفين لمنهجه ، وهم على وجه العموم يتبعون المدارس الإنجليزية والأمريكية ، وتنحو المدارس الأولى منحى بيولوجيا بينما تنحو الثانية منحى عمليا ، وأغلب الظن أن معارضة المعارضين للمدرسة الفرنسية إنما ترجع إلى عدم الفهم الصحيح للأسس التى تضعها لعلم الإجتماع ، ولسنا هنا فى مقام سرد حججهم والرد عليها ، ولكننا نحب أن نقول إنه من حسن الحظ أن قيض الله للمدرسة الفرنسية عالما فهم دقائق علمها وأخرجه لقراء العربية واضحا لا يحتاج إلى جهد كبير فى الفهم ، وسيأتى اليوم الذى يميز فيه الناس بين الخبيث والطيب ، ويتحقق البقاء للأصلح .

الكتاب الذى بين أيدينا أحد مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية . وموضوعه المسئولية والجزاء ، ويتكلم فيه الأستاذ عن الأسس التى تقوم عليها المسئولية كلام عالم استوعب جميع الجزئيات فأتت أحكامه عامة شاملة لا يتطرق إليها النقص ، وهو وإن أملى عليه تواضعه بأن يقول بأنه اعتمد كثيرا على مؤلف أستاذه فوكونيه Fauconnet فى المسئولية إلا أن الأخير لم يدرس الناحية الإسلامية ولم يحاول بالتالى أن يتكلم عن مظاهر المسئولية فى المجتمعات الإسلامية ، بينما نرى هذه الناحية لم تغب عن ذهن أستاذنا فأدخلها ضمن مؤلفه القيم ، فوقفه يتلخص فى أنه فهم منهج علم الإجتماع على يدى علماء المدرسة الفرنسية الإجتماعية فهما صحيحا . ثم استطاع أن يطبقه على دراسة أية ناحية من نواحى المجتمعات المختلفة ، وحبذا لو فهم جميع علمائنا الآخذين من

لذلك أرى من الوسائل التى تساعد إلى حد ما على تحقيق الأهداف وتساعد على التوفيق بين المثل العليا المنشودة وبين الحياة الواقعية ما يأتى :

١ — أن تتجه السياسة التعليمية إلى محاولة جعل التعليم أهلياً أكثرمنه حكومياً مع قيام الإلتزامات الحكومية التى لا بد منها كما هو الشأن فى بعض البلاد المتقدمة .

٢ — ألا تكون قبلة الطلاب أو المتخرجين الحكومة ، وهذا لايتحقق مطلقاً إلا إذا كثرت المشروعات وقامت المؤسسات المركزة وخضعت المؤسسات الأجنبية لما تتطلبه مصلحة البلاد .

إذاً لايقع اللوم حقيقة على هؤلاء الذين أهملوا دروس الاعتماد على النفس وما إليها .

فالمسؤولية الاجتماعية موزعة وكل هيئة أو جماعة لها واجبها . فجماعة المعلمين إذا أعدوا الطلاب من جانب ، لا بد أن تكون الصلاحية فى الحياة من جانب آخر .

فالشبان لم ينجحوا فى أوربا أو غيرها لأن المدرسة قد وفقت فى خلق روح الاعتماد على النفس والقدرة على التصرف فى الحياة فحسب ، ولكنهم نجحوا لهذا ، ولأنهم وجدوا الصلاحية فى الحياة .

فالهيئات الأخرى قد قامت بواجبها ، ولأن المجتمع هناك لم ينكر مبادىء المدرسة فضلا عن الكفر بها .

فالبيئات الاجتماعية متشابهة متعاونة لا يهدم عمل بعضها البعض الآخر .

٣ - هذه الأندية السياسية البانية الهادمة ، إذا رغب القادة من الساسة فى أن يساهموا فى بناء المجتمع من الناحية الخلقية ، ألا تقبل هذه الأندية السياسية من الطلاب إلا هؤلاء الذين أكملوا دراستهم الثانوية واتصلوا بالمعاهد العالية ، أو هؤلاء الذين عدلوا عن مواصلة الدراسة ، فاتصلوا بالمجتمع اتصالا فعليا وكانوا فيه من الأعضاء العاملين .

بيت السودان بالدقى — محمد أحمد باجى

الثقافة الغربية مناهج علومهم فهما صحيحا ثم حاولوا بعد ذلك أن يدرسوا نواحى جديدة وهم مسلمين بأسس الدراسة الصحيحة ، إذن لظهرت ذاتيتهم ورأينا مؤلفات تقف بجانب مؤلفات الغربيين فى ميدان التفاخر لا كما نرى الآن صورا مشوهة من مؤلفات الغربيين

نقول إن أستاذنا قد استوعب جميع النواحى حين أراد أن يكتب مؤلفه . وتسلح بالمنهج الصحيح لعلم الإجتماع وهو منهج ذو شعبتين : الشعبة الأولى تتناول الظاهرة الإجتماعية من الناحية الوصفية فتبين تاريخها وتطورها وخصائصها وأشكالها ، والشعبة الثانية تتناولها من الناحية التحليلية فتحاول على ضوء الدراسة الوصفية تحليل ما بهـا من حقائق ، وتوازن هذه الحقائق بعضها ببعض إلى أن تصل إلى بيان دعائمها العامة ، وبالتالى إلى كشف القوانين التى تخضع لها . فكشف القوانين هو غاية العلم ، ولقد التزم أستاذنا الدقة فى تطبيق هذا المنهج فى مؤلفه الذى بين أيدينا ، فتـكلم فى الفصل الأول عن أهلية الشخص المسئولية فبين أنه ليس فقط الإنسان الحى العاقل الرشيد الذى لا يكون شخصا معنويا كما تقول بذلك قوانيننا الحديثة ؛ بل إن هنـاك مسئولية لغير الإنسان مثل الحيوان والنبات والجماد ومسئولية للشخص المعنوى ، فالمجتمع لا ينظر فى تقدير الجزاء وأهلية الـكائن نفسه ، بل إلى الجريمة ومدى قوتهـا ومبلغ اعتدائها على نظامه الأساسية وأثرها فى حياته العامة . وفى الفصل الثانى يتـكلم عن الحالات المولدة المسئولية ، فبين أن المسئولية لا يشترط فيها كما تقول القوانين الحديثة أن يرتـكب الـكائن جرما ماديا وأن يكون هذا الجرم المادى قد حدث عن قصد وإرادة . بل إن هنـاك مسئولية تنشأ عن عمل نفسى بحت وأخرى عن عمل مادى بحت وثالثة عن عمـل لم يقصده الـكائن ولم يصدر عنه بالملابسة بل بالإنتقال ، ويخلص من هذا الفصل بحقيقتين : إحداهما أن المسئولية الفعلية وما يترتب عليها من جزاء يتولدان عن حدوث ما يرى المجتمع أنه لا يصح حدوثه بقطع النظر عن الصورة التى حدث بها الجـرم . والثانية أن المسئولية الفعلية وما يترتب عليها من جزاء لا تقعان إلا على كائن يمت إلى الجريمة بصـلة ما سواء قصدها وأحدثها ، أو قصدها فقط ولم يحدثها ، أو أحدثها ولم يقصدها أو انتقلت إليه من كائن يمت إليه بصلة ما ... وفى الفصل الثالث يتـكلم عن نظريات المسئولية والجزاء ويناقشها ، ولا يتسع المقام هنا لإعطاء صورة هذا النقاش ولـكنا نحب أن نذكر أن أستاذنا قد فند القول بالنظريات الفلسفية والنظريات التاريخية وخلص من

ذلك إلى الدعائم الصحيحة للمسئولية والجزاء وهى التى تكلم عنها فى الفصل الرابع ويلخصها فى أن سبب المسئولية هو حدوث ما يرى المجتمع أنه لا يصح حدوثه ، وأن العقوبة تتجه نحو الجريمة نفسها والمجتمع فى إصابته للمجرم إنما يتجه نحو الجريمة نفسها وأن الوظيفة الإجتماعية للمسئولية والجزاء هو أن تصان حياة المجتمع وتظل حدوده بمأمن من الاعتداء ، ولـكل مجتمع منهجه الخاص فى تحقيق هذه الوظيفة .

هذه خلاصة — لا أزعم أنها وافية — لفصول الـكتاب ، ولا أدعى أنها تغنى عن قراءته ، وضح لنا منها أن المسئول ليس الشخص الذى تعرفه قوانيننا الحديثة بأنه الحى العاقل ... الخ بل إن بعض المجتمعات قد أوقع مسئولية على الجماد والحيوان الميت ... الخ ولا غضاضة فى ذلك فلسنا هنا بصدد أحكام قيمية ولـكنا بصدد تسجيل ظواهر ارتضاها العقل الجمعى فى وقت من الأوقات . فنظم المسئولية والجزاء — كغيرها من النظم الإجتماعية — ليست من صنع الأفراد ولـكنها « تنبعث من تلقاء نفسها من العقل الجمعى واتجاهاته وتخلقها طبيعة الإجتماع وظروف الحياة ، وتتطور وفق نواميس عمرانية ثابتة لا يستطيع الأفراد سبيلا إلى تغييرها أو تعديل ما تقضى به ، وإن القادة والمشرعين ليسوا من هذه الناحية إلا مسجلين لاتجاهات مجتمعاتهم ومترجمين عن رغباتها وما هيئت له فإن انحرفوا فى هذا السبيل كان نصيبهم الإخفاق المبين » .

بقى سؤال وهو : هل القول بالعقل الجمعى يتضمن القول بالجبرية المطلقة وبذلك يتعذر الإصلاح ؟ كلا إن « مجال الإصلاح فى هذا النظام أوسع منه فى أى نظام آخر » ولا شك أن إصلاحا يقوم على فهم لميول المجتمع ورغباته ويسير به سيرا حثيثا إلى الرقى لهو أنفع وأجدى من إصلاح جل همه التقليد ثم الإرتجال بدون دراسة لعقليات المجتمع ويكون مصيره الفشل . فعلماء الإجتماع لا يقفون بعلمهم موقفـا عقيما لا يقصدون به سوى الدراسـة واستخلاص القوانين ، بل إنهم فى دراستهم هذه إنما يدعون القادة والمشرعين والمصلحين إلى التعمق فى معرفة عقلية المجتمع وميوله ومقدار استعداده لتقبل الإصلاح وإلا ذهبت جهودهم أدراج الرياح

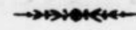
وبعد ، فإن كتاب المسئولية والجزاء خليق بأن يقرأ وبأن يكون هدى وتبصرة لمن يريدون الاصلاح المنتج .

سعيد زايد
ليسانسيه فى الفلسفة والاجتماع

خان الخليــــلي

للأستاذ نجيب محفوظ

بقلم السيدة وداد سكاكيني



من خصائص هوجو فى قصصه أنه كان طويل النفس فى إنشائها، مسترسل الوصف لشخوصها، إنه ليفيض فى تصوير الشاعر كرنكوار أحد أبطال رواياته فلا ينتهى من وصفه بصفحات إذ يبدأ رسمه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، فذكرتنى بهذا الفن المسهب قصة جديدة للأديب الموهوب نجيب محفوظ، سماها «خان الخليلى» وقد عجبت لفن فتى اكتمل قبل الكهولة، إنه ليصف لنا أحمد عاكف بطل قصته، فيصوره من طرة طربوشه إلى كتابة نعليه، وكأن بقلمه تلاوين الرسامين. على أن القاص لا بد أن يوطد قدمه على مثل هذا الإمعان فى التصوير والتحليل، لا سيما إذا كانت روايته تقع فى نحو من خمسين فصلا، وكذلك كان هوجو فى روايتيه البؤساء ونوتردام دوبارى.

وقد كان من نهضة الفن القصصى فى بلاد الغرب أن رأينا أدباء مبرزين فى آثارهم التى كتبوها مستوحاة من آفاقنا وأساطيرنا، فأديب البؤساء الذى كتب «الشرقيات» له أنداد من قومه شغفوا بالقصص عن الشرق والشرقيين، فرومان دورجليس حين زار بلاد الشام أوحى إليه فنها العريق أن يكتب روايته المشهورة «قافلة بغير جمال» وقد غفل أدباؤنا عن هذا الفن الخصيب فبقيت أقلامهم مكفوفة عن ذخائرنا حتى يأتيها كاتب غربى فيثير كوامنها ويستخرج لآليها، ولكن عزائى اليوم فى زهادة أدباء العرب بفن بلادهم، أن رأيت مؤلف «خان الخليلى» وهو مصرى صميم، تتكشف له مصر فى عراقتها وشرقيتها عن مكامن فن أخاذ، فراح يغمس فيه قلمه، ويتطلع من خلاله إلى بلاده، فيصور أهل حى شعبى من أحيائها الخافقة بالناس، وكأن دروبه عروق تنبض بالإنسان فى جسم القاهرة، فوصف القاص حياة موظف من هؤلاء الموظفين الذين لا يهمهم إلا الغدو على عملهم الراتب، وترجية الشهر استهدافاً للرتب والدرجة، وفى تضاعيف القصة صور لنا حياة أسرة مصرية تركت سكنها القديم وجاءت خان الخليلى خشية الغارات الجوية التى أصابت القاهرة فى هذه الحرب

كانت حياة بطل القصة وهو الموظف مثل بركة ماء بقيت هادئة إلى أن اضطربت من تأثير الغارات ثم سكنت بعد تغيير السكن، وما لبثت أن ثارت بها عاصفة من عواصف الحياة التى لا تترك غصناً حتى تهزه ولا ورقة عليه حتى تسقطها، تلك عاصفة الحب، ولقد كان هذا الموظف كهلا خاملا، فاستحيا من هذا الحب، وهاهنا تظهر براعة القصصى فى تصوير العواطف المكبوتة التى كانت نائمة مخدرة فى نفس أحمد عاكف حتى أطلت بترددها وقلقها حين عدا عليه فى حبه أخوه رشدى فانتزع منه برحه ومغامرته تلك النبتة التى عاهد النفس على تعهدها بالإرواء.

وغدا هذا الأخ الطياش مصدوراً، فهو على مشارف الردى وقد ضاع من صدر عاكف كل تذمر وخشية منه لمزاحمته على حبه، وتضاءل وجده على الفتاة المحبوبة بوجده على المريض الذاوى، فهم يفديه بالروح وبذل العناية حتى قضى نحبه، فجثم الأسى على بيت عاكف بعد أن عصف الحب بالأخوين حيناً من الدهر، حتى احترقا به معاً واستقر الحداد ببيئه على الأبوين، ولم يكن أشق لهذه الأسرة المنكوبة من أن تبارح «خان الخليلى» وتلجأ إلى ضاحية من ضواحى القاهرة.

حببت هذه القصة إلى نفسى أن أزور «خان الخليلى» وأنا فى مصر، لأملأ العين من حى سيدنا الحسين، فأرى بالنظر ما توهمته بالخيال فى قصة الأستاذ نجيب محفوظ الذى وصف مقاهى الحى البلدى وندواته الشعبية وأسواقه وسكانه العاكفين على خبزهم اليومى، فجاءت قصته ذات روح مصرية خالصة بشخوصها وحوادثها، فأذكرنى إحسان محفوظ لفنه الشرقى المحوض إساءة بعض الأدباء بسطوهم على آثار غربيـة نحلوها أدبهم وزوروها، فبدت فيها طوابع إقليمهم زائفة شائفة عن تمرد فنها وقلقه، ولا على كاتب «خان الخليلى» أن يكون تعبيره فى قصته سهلاً ليناً، فإن شخوصها يتحاورون، ومن التحذلق أن يجرى على ألسنتهم أساليب البلاغة الالتزامية

وبعد فهذا الأثر الطريف للأستاذ نجيب محفوظ ثمرة طيبة فى فن القصة المعاصرة ومن قطوف لجنة النشر للجامعيين.

القاهرة وداد سكاكيني



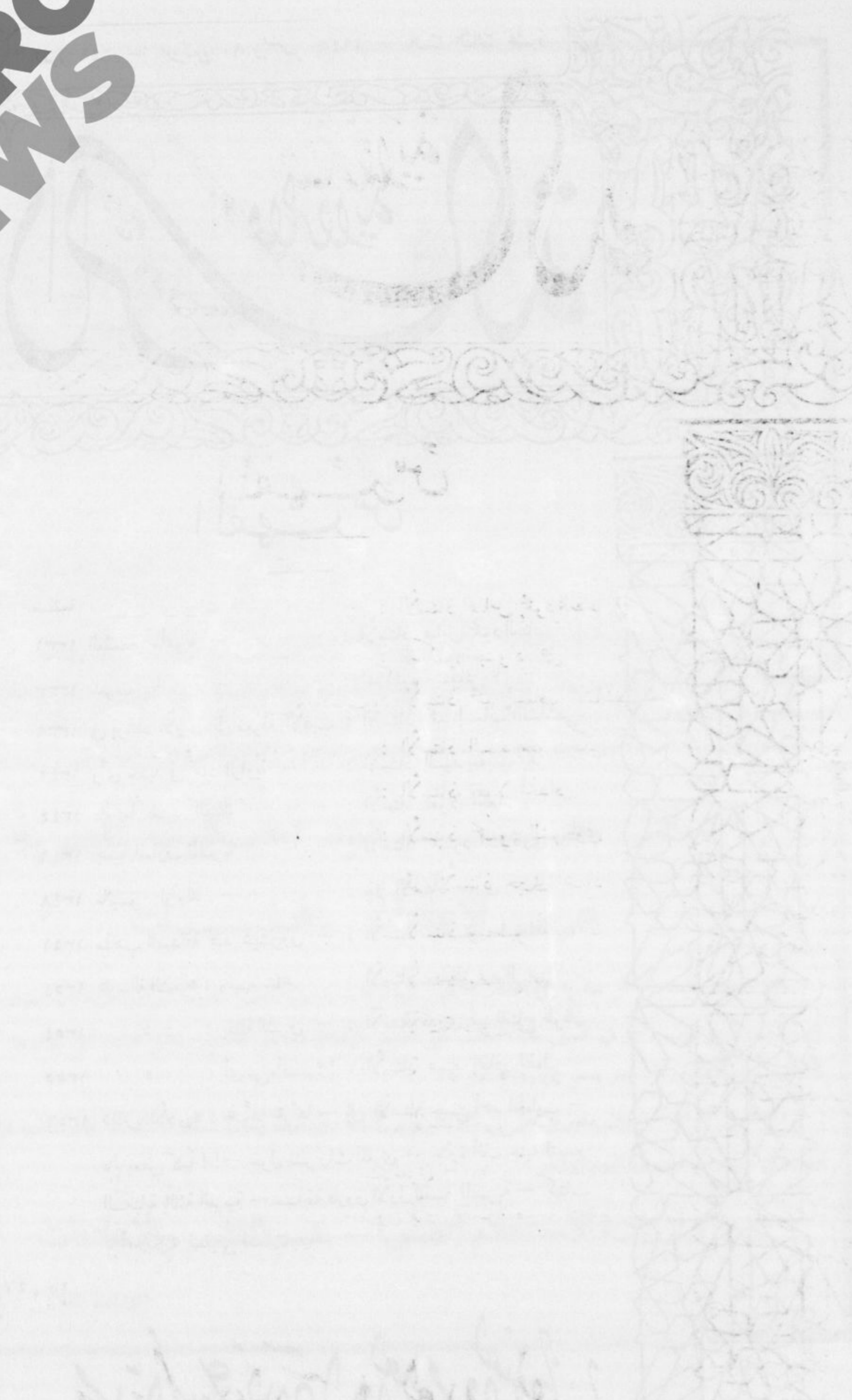
العدد ٦٤٩ — الاثنين ١٠ ديسمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ . ٤٧

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



13 me Annee No. 649
Lundi—10—12—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٦٤٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ محرم سنة ١٣٦٠ — ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفلســـــفة مأمونة

للأستاذ عباس محمود العقاد

« أنحن الله على الخطر ؟ ... إن الفلسفة خطر على أصحابها وخطر على عقول العامة ، لأنها ما زالت منذ كانت تثير الظنون وتعرض المشتغلين بها للقيل والقال ... »

قرأت هـذا فى كتاب غفل من الإمضاء ، فكان فى ذلك بعض الدليل على أن اتهام الفلسفة بالخطر فى زماننا هذا هو الخطر الذى يستتر منه الناس .

وأبادر فأقول لصاحب الخطاب ومن على رأيه إن الـكتب الفلسفية التى أشرت إليها فى مقالى السابق بالرسالة ليست من الـكتب التى يختلف فيها قولان ، لأنها تتناول المباحث التى يتفق على دراستها رجال الدين ورجال العلم ولا يتحرج من قراءتها أصحاب رأى من الآراء .

ونحن مع هذا فى زمان غير الزمان الذى كان يخشى فيه على الفلاسفة والمتفلسفين .

وودى أن أقول بعد هذا وذاك إن الفلسفة مظلومة فى تلك الأزمنة التى كانت تتخذ فيها ذريعة للتنكيل بمن أصابهم التنكيل من جرائها أو من جراء الانتساب إليها .

فقد ظلموها والله حين أصابوا باسمها من أصابوه ، فإنما كانوا يحسدون الفيلسوف على مكانة مرعية أو ينغصونه لعلة ظاهرة أو خفية ، فيظلمونه ويظلمون الفلسفة معه ، ويجهل الأمر من يجهله فيقول إن هؤلاء الظالمين منصفون لأنهم عاقبوا من يستحق العقاب ولم يأخذوه بغير جريرة ولم يختلقوا عليه الذنوب !

ولو كانت الفلسفة هى العلة الصادقة لأصابت النكبات كل فيلسوف يبحث فيما وراء الطبيعة ويتصدى للكلام فى أصل الوجود أو أصول الموجودات .

ولـكنهم لم ينكبوا من الفلاسفة فى الواقع إلا من كان ذا منزلة محسودة ومقام ملحوظ ، وإلا من دخـل معهم فى مشكلات السياسة ومطامع الرئاسة ، أو كانت لهم عنده ترة يتمحلون الأسباب لمجازاته عليها ، فيرجعون بها إلى هذه الفلسفة المسكينة ، وهى غنية بالعلل والأسباب !

وإلا فما بالهم لم ينكبوا الـكندى والفارابى ونـكبوا ابن سينا الوزير وابن رشد قاضى القضاة ؟

فالـكندى كان رجلا ميسور الحال موفور المـال ولـكنه اعتزل الناس ولم يشترك معهم فى مطامع الرئاسة فتركوه يتفلسف كما يشاء ، وكان قصارى ما أصابه من ألسنتهم أنهم تندروا ببخله وزيفوا الاحاديث عن عشقه وغرامه ، وسلم له رأسه إلا ممـا سرى إليـه — فيما قيل — من وجع فى الركبة قد استعصى على العلاج

والفارابي نظر إلى محيط السموات وأعرض عن الأرض ومن عليها وقال في رياضته الهندسية ورياضته النفسية :

وما نحن إلا خطوط وقعـ ـن على نقطة وقع مستوفز
محيط السموات أولى بنا فقيم التزاحم في المركز !

فقالوا له : دونك وما تشتهي من محيط السموات ، ودعنا وما نتزاحم عليه من هذه المراكز والنقاط !

أما ابن سينا فقد زج بنفسه بين المتنازعين من الأمراء والرؤساء فزجوه في السجن وألجأوه إلى النفي وضيقوا عليه المسالك وعلموه طلب السلامة في زوايا الإهمال .

قال تلميذه ومريده أبو عبيد الجوزجاني « ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها . ثم اتفق تشويش العسكر عليه وإشفاقهم منه على أنفسهم ، فكبسوا داره وأخذوه إلى الحبس وأغاروا على أسبابه وأخذوا ما كان يملكه وسألوا الأمير قتله فامتنع منه ، وعدل إلى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتوارى في دار الشيخ أبي سعد ... » إلى أن عاد .

فالعلة في الأرض لا في السماء .

والمصيبة من « الطبيعة » لا مما وراء الطبيعة .

وآفة الرجل أنه أراد أن يكبح السلاح بالحكمة ، ولو استطيع ذلك لاستطاعه أرسطو في سياسة الأسكندر . . وهيهات .

ثم مات الرجل في داره حينما زالت عنه رهبة السلطان ولم يمت في الحبس كما وهم بعضهم في قول بعض حاسديه :

رأيت ابن سينا يعادي الرجا ل وبالحبس مات أخس الممات
فلم يشف ما ناله بالشفا ولم ينج من موته بالنجاة

وإنما كان «الحبس» في اصطلاحهم بديلا من داء «الإمساك» في اصطلاح هذا الزمان !

وقد صدق هذا الحاسد الشامت حين رد البلية كلها إلى معاداة الرجال لا إلى معاداة الله أو معاداة رسل الله .

وابن رشد جمع على نفسه بين حسد الوجاهة والنباهة وبين سخط العظماء ونكاية ذوي السلطان .

شرح كتاب الحيوان لأرسطو وهذبه وقال فيه عند ذكره الزرافة « رأيتها عند ملك البربر » ... وكان إذا حضر مجلس المنصور وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلوم يخاطب المنصور بأن يقول : تسمع يا أخي ! ولا يخاطبه بألقاب الملوك والخلفاء .

فجزاه « ملك البربر » دقة بدقة ونكاية بنكاية ، ورآه يستكثر عليه أن ينسب إلى العرب أو يسمى بخليفة المسلمين فقال له : بل أنت الدخيل على أمة العرب وملة الإسلام فيما صح لدينا من الأنساب التي لا تقبل الكلام !

وهكذا أصبحنا « خالصين » ! ...

وأصبح « محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد » يستر وراء هذه الأسماء سلسلة من أسماء بني إسرائيل ، ونفوه إلى محلتهم في جوار قرطبة لأنه دسيسة على المسلمين من سلالة اليهود الذين يفتنون أتباع محمد بفلسفة اليونان !

ولولا تلك المقابلة في الإساءة والانتقام لجاز أن يلصق هذا الظن بالرجل وإن لم يقم عليه دليل أو قام الدليل على نقيضه ، لأن أعدى أعدائه الشامتين به في نكبته قد نفى هذه الدسيسة عن نسبه وشهد لجده بالتقوى والصلاح حيث قال :

لم تلزم الرشد يا ابن رشد لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء ما هكذا كان فيه جدك !

ومَن قائل هذه الشهادة في جده ؟ هو الحاج أبو الحسين بن جبير الذي جمل من أهاجي ابن رشد أغنية يرتلها ويعيد ترتيلها على اختلاف القوافي والأوزان . فقال في تلك الأهاجي الكثيرة !

الآن قد أيقن ابن رشد أن تواليفه توالف

وقال :

كأن ابن رشد في مدى غيه قد وضع الدين بأوضاعه

وقال يحرض على قتله :

وقد كان للسيف اشتياق اليهمُ ولكن مقام الخزي للنفس أقتل

ولو رجعنا إلى سر هذه البلية كلها لوجدنا أن « علا في الزمان جدك » هي تفسير هذه الأبيات أو تفسير تلك النكبات ، وإن الزرافة التي عند «ملك البربر» هي التي أدخلت نسب الرجل في سلالة بني إسرائيل .

فالخطر يا صاحبي على الفلاسفة من الدنيا لا من الدين ، ومن الخاصة الحاسدين لا من العامة الغافلين

العـــرب (١)

للدكتور جواد على

للمؤرخين والرواة فى تفسير كلمة « العرب » و « عرب » أقوال وروايات لا تخرج أكثرها عن دائرة التفسيرات اللغوية المألوفة فى تفسير كل كلمة عويصة وكل إسم من الأسماء القديمة . وعلى أكثر هذه الأقوال طابع التكلف والوضع .

وأنت إذا ما أردت نموذجاً من تلك التوضيحات والروايات فاقرأ ما دوّن عن هذه الكلمة فى كتاب « التيجان فى ملوك الحميرين[٢] » مثلا وهو رواية وهب بن منبه المتوفى بصنعاء حوالى سنة ٧٢٨ للميلاد وهو إسرائيلى يمانى يرجع فى الأصل إلى نسب اليهود الفرس ثم أسلم . وإلى الروايات الأخرى المدوّنة فى كتب التاريخ والأدب . ولا يهمنا نحن فى هذا الباب البحث عن أسباب تلك التسمية ولا عن الدوافع التى دفعت القوم على وضع تلك القصص والحكايات ، وكلها مدونة معروفة ؛ وإنما الذى يهمّنا فى هذا الفصل هو تاريخ هذه الكلمة والوقت الذى ظهرت فيه .

عرف المستشرقون فى جملة ما عرفوه من النصوص القديمة نصاً آشورياً يعود عهـــده إلى الملك شلمنصر الثالث (Salmanassar. 3.)[١] تحدث فيه الملك عن معركة سميت باسم معركة « قرقر » « qarqar » وهى معركة هامة حدثت فى حوالى سنة ٨٥٣[٢] قبل الميلاد بين الأشوريين وبين حلف من الأمارات والمشيخات التى كانت تكره الأشورين .. وقد ذكر النص فى جملة ما ذكره من أسماء الذين انضمُّوا إلى هذا الحلف إسم إمارة عربية إسمها «عربى» « Aribi » انضم أمير هذه الدويلة العربية

(١) فصل من « كتاب العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد على وهو لم يطبع بعد

(٢) راجع كتاب « التيجان » لوهب بن منبه ص ٢٩ وما بعد طبعة حيدر أباد سنة ١٤٤٧ للهجرة .

(١) وفى بعض المصادر شلمنصر الثانى راجع Margoliouth p. 3

(٢) Erich ebeling and Bruno meissuer Rea. Assyr 1928 vol 1 p, 125

وما خطب العامة والفلسفة وهى لا تصل إليهم وهم لا يصلون إليها ولا تنعقد بينهم وبينها علاقة نظر ولا علاقة سماع ؟

فاذا تحرك العامة فابحث عن « الصلة » بينهم وبين القضية فلن تجدها فى أكثر الأحوال إلا نكاية حاسد أو وشاية جاحد أو حجة ظالم يستر ظلمه للفلسفة بدعوى الإنصاف للدين ، وإن الدين منه لبراء .

واعلم يا صاحبى أن العامة فى كل زمان وحش محبوس لا ينال فريسته إلا بعد تحريش وانطلاق ، وإن الذين يحرشونه ويطلقونه هم أصحاب الدنيا وعروضها وليسوا بأصحاب العقائد وفروضها . إلا فى النادر الذى يحسب من الاستثناء .

وما أصدق المعرى حين قال متسائلا : ما للناس ولى وقد تركت لهم دنياهم !

فانه قد لمس الداء فى أصوله حين حسب أن ترك الدنيا يتركه فى أمان ، وقد تركه فعلا فى أمان إلا من القيل والقال ، وهو أهون ما يمر بالرجال .

تفلسف ياصاحبى كما تشاء ودع الناس يتفلسفون كما يشاءون فما دامت فلسفتك لا تصيب أحداً فى دنياه ولا تفيد أحداً فى دعواه ، فأنت ظافر برضوانهم وظافر عندهم برضوان .

أما إذا أصبت دنياهم ونقضت دعواهم فياويلك إذاً من الأرض والسماء ، وياسوء ما تلقاه من العلية والدهماء ، ولو زكاك النبيون وشهد لك الأولياء ، ولزمت الصلاة والدعاء فى كل صباح ومساء .

ومالك تذكر الخطر على الفلاسفة ولا تذكر الخطر على حماة الدين من الأنبياء والمرسلين ؟ فهم الذين علموا الناس الأديان وهم الذين يثار الناس باسمهم حين يثارون على الفلاسفة ومن يزعمونهم من أهل النكران والجحود ، ولو وزنت حظوظهم من البلاء والاستهزاء ووزنت معها حظوظ الفلاسفة والمتفلسفين ، لما حارت « شركات التأمين » بين أصحاب اليسار وأصحاب اليمين .

هى الدنيا ياصاحبى تظلم الدين كما تظلم الفلسفة بما تدعيه عليه وعليها ، وأحسبنى قد باكرت هذا المعنى القديم حين قلت قبل نيف وثلاثين سنة :

لوكان ماوُعدوا من الجنات فى ... هذى الحياة لسرهم من يكفر

فدع دنياهم وتفلسف على بركة الله ، وأنت فى أمان من الله ومن عباد الله .

عباس محمود العقاد

إلى الحلفاء، وأمدّهم بنحو ألف جمل وبعدد من رجاله الذين قاتلوا الجنود الأشوريين .

أماذلك الأمير العربي الذي قاتل الأشوريين فـكان «جندب» (جنديبو) « Gindibû »[1] ولا نعرف اسم أبيه إذ لم يتعرض النص لذلك . والظاهر أنه كان معروفاً عند الأشوريين فلم يجدوا ثمة حاجة تدعوهم إلى ذكر اسم أبيه . وهذا الملك هو أول ملك عربي ولا شك يذكر إسمه في النصوص التاريخية المدونة في ملوك العرب الشماليين .

وقد تغلب الأشوريون على ما يذكره النص الآشوري على رجال الحلف ونكلوا بهم تنكيلا شديداً[2] ويظهر بصورة عامة من النصوص الأشورية أن العرب كانوا يعاكسون السياسة الأشورية . ويهددون طرق مواصلات هـذه الامبراطورية في مختلف الأوقات والعهود .

وفي عهد الامبراطور تغلا تبليسر الثالث (Tiglatpilser III) اضطر الملك إلى إرسال عدة حملات تأديبية لإخضاع القبائل العربية. والظاهر أنها لم تتمكن من النجاح في مهمتها نجاحاً تاماً حتى اضطرت أخيراً إلى اتباع سياسة استرضاء رؤساء القبائل وشراء قلوبهم بالمـال . فانتخبت أحد الأمراء العرب (arubu) من المعروفين بميلهم إلى الأشوريين ومن المؤيدين لهم وعينته حاكما عاماً وأميراً مفوضاً عليهم[3] .

ولـكن القبائل العربية على مايظهر لم تغير من جفائها بالنسبة إلى الأشوريين ولم تبدل سياستها العدائية نحو هذه الامبراطورية بدليل ماقام به الملوك الذين جاءوا من بعد هذا الامبراطور بارسال حملات على العرب بصورة متوالية .

وقد وردت لفظة « عرب » في هذه النصوص الأشورية بهذه الصور « aribi » و « عَرُبو » « arubu » و « عُربى » و « urbi » « عربى » و « arabi » و « عريبي » « irebi »[4] ولا تزال هذه الـكلمة الأخيرة مستعملة في بعض جهات العراق كاسم علم يطلق على الأشخاص . وتطلق كلمة « أعربى » « u'rubi » و « عُربى » « urbi » في العراق على البدوي الذي لم يزل على درجة من البداوة .

وذهب بعض المستشرقين إلى أن المقصود من « urbi » «عربى» الأعراب أي سكان البادية . وأما البادية التي هي موطن العرب فيطلق الأشوريون عليها « aribi » « عريبي » وهي الصحراء الواسعة التي تفصل العراق عن الشام والتي تمتد حتى تصل حدود نجد[1] .

وهنالك اصطلاح آخر ورد في النصوص الأشورية وهو « ماتو عربتى » « matu arbaai » ومعـنى « ماتو » أرض فيكون معنى ذلك « أرضي العرب » وقد وردت هذه التسمية في نص يرجع عهده إلى القرن الثامن قبل المسيح[2] وقد استعمل البابليون هذه الـكلمة أيضاً على نحو ما كان يستعملها الأشوريون ثم دخلت الـكلمة إلى اللغة الفارسية فاليونانية[3] .

ومن الشعوب القديمة التي كانت على اتصال دائم بالعرب « العبرانيون » فقد كانت بين العرب وبين العبرانيين حدود مشتركة وصلات تجارية قديمـة كما كانت بينهم أيام سلم وأيام حروب . لذلك تعرضت النصوص العبرانية لذكر العرب مراراً وتحدثوا عنهم في مناسبات عديدة . تدل لفظة « arab » في جميع فروع اللغة السامية على مدلول واحد تقريباً وهو « البداوة » وسكنى الصحراء — « فـكانت كلمة عَرَب مستعملة في اللغة العبرية القديمة لتدل على أهل العَرَبَة الصحراء أي لنوع خاص من قبائل الجزيرة العربية في حين كان لأهل المدن والعمران أسماء أخرى جاءت في كتب اليهود القديمة[4] » . وقد وردت هذه التسمية في عدة مواضع من العهد القديم جاءت تارة بمعنى «بداوة» وتارة أخرى بمعنى الفقر والجفاف والخراب والوحشة كالذي يفهم مثلا من الآية الثالثة عشرة من الاصحاح الحادي والعشرين من

---

(١) James A. montonghmery Arabia and the Bible p,58

(٢) Luckeuleill vol 1p,611 ff margolioth. The Relations between Arabs aud Israelites Prior to the Rise of Islam p,3.

(٣) Meissuer Reall p, 155

(٤) Meissuer. Reall p, 125

---

(١) Hitti p. 39

(٢) Margaliouth p, 2 f. Winckler. A. O. F. vol 2 p,465 weber mitt. v g 7 58

(٣) راجع Margoliouth p, 2 f

(٤) من كتاب « تاريخ اللغات السامية » لاسرائيل ولفنسون Margoliouth p, 46 . ١٦٤

أشعيا[١] وهى تقابل كلتى « wast » و « desalation » الانكليزيتين[٢]

وجاءت فى التوراة فقرة هى massa ha arab وهى من عهود التوراة المتأخرة على رأى هاستنك المختص بأبحاث التوراة وقد فسرت فى اللغة اليونانية القديمة بمعنى « بلاد العرب » وأصبحت ترجمة الآية بكاملها باللغة العربية بهذه الصورة « وحى من جهة بلاد العرب وفى الوعر فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين[٣] » وقد خصصت هذه الكلمة فى هذه الآية أما قبل ذلك فكانت تعنى البداوة والإمعان فى العيش فى البادية[٤] » .

وتدل لفظة « عرابة » Arabah التى وردت فى العهد القديم بصورة التثنية على ما ذكرناه سابقا « عربة » غير أن « ها — عرابة » Ha - arabah المسبوقة بأداة تعنى الوادى العميق الممتد من جبل الشيخ إلى خليج العقبة وفيه الجولة وبحر الجليل وبحر الملح أو البحر الميت[٥] . وقد يختص هذا الإسم بالغور بين البحر الميت والبحر الأحمر[٦] وقد يدل على الغور شمالى البحر الميت[٧] .

ولا يعرف على وجه التأكيد ما يقصد من كلمة Arabi الواردة فى الآية ٢٠ من الاصحاح الثالث من ارميا هل يراد من ذلك « اعرابى » أى أحد الأعراب من سكان البادية أو « عرب » . وعلى كل فإنه إن قصد الأول اتجهت الفكرة رأساً إلى « بدوى » وان قصد الثانى اتجه الفكر إلى عربى من أهل القرى والمدن والأراضى[٨] .

ومما يلاحظ أن صيغة Arabi هى صيغة ارآمية أكثر من كونها صيغة عبرية Arbi[٩] وأما الجمع وهو arbim من arbi im ورد فى مواضع من التوراة ؛ فانه أقرب إلى العبرية منه إلى الآرآمية[١٠] . وأما الصورة التى وردت عليها هذه اللفظة فى الآية الحادية عشرة من الإصحاح السابع عشر من أخبار الأيام الثانى فانها غير أصلية على ما يظهر لأنها صيغة غير مألوفة « عربان »[١]

ان أول من استخدم كلمة Arab « عراب » فاسم علم فى العهد القديم على وجه التأكيد هو النبى ارميا وتقع نبوءته بين ٦٢٦ — ٥٨٦ قبل الميلاد إذ جاء we eth kol malhe arab ومعناها « وكل ملوك العرب » وأما العبارة الآتية we eth kol malke ha-'ereb فانها شرح صرف لما تقدم لأجل التوضيح ولا قيمة معنوية لها غير ذلك ؛ فمعنى كلمة ha 'areb إذاً « العرب »[٢] ولا شك من أن قصد النبى ارميا من تعبيره « وكل ملوك العرب » أمراء ومشائخ العرب الذين كانوا يسكنون فى البلاد العربية الشمالية وفى صحراء بادية الشام[٣] .

ويشك Hastivg هاستنك فى أن مقصود النبى من « العرب » قبيلة معينة أو جماعة معلومة تختلف عن القبائل والجماعات الأخرى من العرب بعض الاختلاف . والظاهر أن النبى ارميا لم يكن يحيط علماً بالقبائل البدوية وهى كثيرة وبالفروع التى تشعبت منها . وكيف يحيط النبى علماً بها ولم تكن لدى الاسرائيليين معلومات صحيحة واضحة حتى ذلك العهد عن العرب . وكل ما كانوا يعرفونه عن العرب لم يكن إلا من قبيل المعلومات الإبتدائية الغامضة المبهمة[٤] .

والحق أن العبرانيين لم يتصلوا بالعرب اتصالا تاماً ولم يكونوا لهم فكرة واضحة عن القبائل العربية إلا بعد تدهور القبائل الإسماعيلية « اشماعيل » Ishmael وإلا بعد ضعف المدينيين والعماليق « العمالقة » . حينئذ اتصل العرب بالإسرائيليين اتصالا مباشراً وعندئذ احتك الإسرائيليون بالعرب احتكاكا شديدا فى خلال أيام السلم وفى أثناء أيام الحروب[٥] .

ومهما يكن من شىء . فان هنالك صعوبات كبيرة تاريخية فى تعيين مدلول كلمة ereb « عريب » الواردة فى العهد القديم هل تعنى

(١) يرى هاستنك أن أصحاح أشعيا لم يكتب من أشعيا نفسه بل من قبل شخص متأخر عنه . راجع Hasting p, 45

(٢) Haoting Dictionary of the Bible p, 45

(٣) راجع أشعيا ١ : ١٣ من ترجمة جمعية التوراة الأمريكانية

(٤) Hastings p, 46 . قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ٢٢

(٥) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ٨٨ . يشى ١٨ : ١٨ Hastings p, 45

(٦) نفس المصدر . (٧) نفس المصدر .

(٨) Hastinhs p, 45 (٩) نفس المصدر .

(١٠) نفس المصدر .

(١) نفس المصدر .

(٢) راجع Hastings p, 46 والترجمة العربية للكتاب المقدس ارميا ص ٢٤ وحزقيال ٢٧ : ٢١ والنصوص الأصلية القديمة

(٣) Hitti p, 41

(٤) Hastings p, 46

(٥) نفس المصدر .

« البداوة » أو تعني البلاد العربية كلها أو جزءاً معينا من الأجزاء التي سكن فيها هذا الشعب ؟ ولما ذكر النبي ارميا الأسماء التي ذكرت مع هذه الكلمة لم يرتب الأسماء ترتيباً جغرافيا منتظماً فبعد أن ذكر ereb[1] « عريب » و « كل اللفيف » قال : « وكل ملوك أرض عوص ، وكل ملوك أرض فلسطين ، واشقلوه وغزه وعقرون وبقية أشدود وادوم وموآب وبنى عمون وكل ملوك صور وكل ملوك صيدون وملوك الجزائر التي في عبر البحر وددان وتيماء وبوز وكل مقصوصي الشعر مستديراً وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية »[2] .

نرى مما تقدم أن من الصعب تعيين المكان الذي سكنه العرب بالضبط . وقد ترجم مارتن لوثر « وكل ملوك العرب » ترجمة تختلف قليلا في المعنى فقال « وكل الملوك الذين في البلاد العربية » فقصد البلاد العربية لا الشعب العربي كشعب « أعراب » ونجد هذا الالتباس في الترجمات الأوربية ereb و Arab أو ARabia[3] .

ومنذ القرن الثالث قبل المسيح أصبحت كلمة « عرب » نوعا ما عامة تطلق على مختلف القبائل التي انتشرت في شبه الجزيرة فأطلقت على العرب الذين كانوا يجاورون « الكوشيين » وهم « الأحباش » على أكثر الاحتمالات Elhiopians.[4] وذكرت قبيلة جشم geshem و gashmu أو gushamu في مجموعة القبائل العربية أشار إلى ذلك « نحميا » في ذكرياته[5] . وهذه القبيلة هي من القبائل الشمالية .

ومما يجب التنويه عنه هو أن لفظ « عرب » مهما قيل فيه فإنه لا يعني ما يعنيه في الوقت الحاضر من شعب واحد كان يسكن شبه الجزيرة برمتها بل كان يشمل نوعاً خاصاً من القبائل وهي القبائل التي كانت تتنقل في البادية من مكان إلى مكان طلباً للكلأ والماء ومنابت الأعشاب »[1] .

« وأما ما يقال في المعاجم العربية من أن هنالك فرقاً بين كلمتي عربي وأعرابي وتخصيص الأولى بسكان المدن والثانية بسكان البادية فلم يحدث إلا في عصور قريبة من ظهور الإسلام . أما قبل ذلك فلم يكن هنالك فرق مطلقاً ، بل كان كل من الكلمتين يدل على سكان البادية فحسب : أما سكان المدن والأمصار فكانوا ينسبون إلى قبائلهم أو يعرفون بمناطقهم »[2] .

ويقال بأن « بنى قديم » « B 'ene Kedhem » الواردة في العهد القديم والتي تعني « أبناء الشرق » أو « الشرقيين » يقصد منها القبائل العربية التي كانت تسكن شرق فلسطين أو حوالي البحر الميت . ولعلها القبائل التي كان يطلق عليها إسم « القبائل الإسماعيلية » « Ishmaelire Arabs » ويقول أحد المستشرقين وهو إيوالد « evald » بأنه « قدموني » « qadmoni » ترادف « بني قديم » « B 'ene qedhem » وهي تسمية عامة تطلق على جميع القبائل التي انحدرت من نسل « قطورة »[3] زوجة إبراهيم على حد تعبير نسابي اليهودي « Keturahite Tribes »[4] .

وأما الأراضي التي أقام فيها العرب وحلوا بها فقد أطلق عليها الأشوريون والبابليون « ماتو أرباني » « Matu Arbaai » ومعناها « أرض العرب »[5] وقد انتقلت هذه التسمية من البابليين إلى الفرس ومن الفرس إلى الكتبة اليونانيين[6] .

وعرف هؤلاء الكتبة شيئاً من أحوال العرب دونت في كتبهم ؛ ذكر في Aeshylus مثلا إسم عربي اشترك مع من اشترك في معركة « سلاميس » « Salamis » . وذكر هيرودوتس شيئاً لا بأس به عن العرب وعن البلاد العربية وعلى الأخص العرب

(١) راجع Margoliouth p, 47

(٢) راجع ارميا اصحاح ٢٥ آية ٢٠ وما بعد أيضاً قاموس الكتاب المقدس .

(٣) Margoliouth p, 47

(٤) راجع Hitti p, 41 . سفر التكوين الثاني ٢١ : ١٦ أيضاً مادة (Cush) في Hastings p, 254 ذكرت مقارنة لبلاد مصر . لعلها السودان .

(٥) راجع Hastings p, 46 . نحميا ٢ : ١٩ ، ٦ : ١ — ٢ وقد ورد اسم جشم العربي الذي اتفق مع سنبلط وطوبيا على مقاومة نحميا إذ كان يبني سور أورشليم . راجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس جـ ١ ص ٣٢٧ وجشم (بالضم) اسم قبيلة عربية معروفة .

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٦٤

(٢) نفس المصدر .

(٣) وهي زوجة ابراهيم راجع تكوين ٢٥ : ١ — ٤ راجع أخبار الأيام الأولى ١ : ٣٢ . ومن هذه القبائل مدين سبا وددان وتوجد قبيلة على مقربة من مكة عرفت باسم قـ ـ ودا . (قطورة) . (قطوراء) Hastings 514

(٤) Hastings p, 512

(٥) Margoliouth. The Relations p, 3

(٦) نفس المصدر .

الذين كانو فى المنطقة الواقعة بين سوريا ومصر أى فى صحراء سينا وفى المناطق المتصلة بهذه الصحراء، والتى كانت لها روابط وصلات بالعبرانيين (١) .

وأطلق اكسنوفان « Xenophan » إسم « Arabia » على نفس المنطقة التى سماها داريوس « Arabaya » ويعنون بها الصحراء التى تفصل أرض بابل « Babylonia » عن منطقة « Propor mesopotamia » (٢) ومى نفس المنطقة التى ظل الكتبة السريان المتأخرون يطلقون عليها إسم « Arabs » وقد استوطنت فى هذه المنطقة قبائل عربية كثيرة (٣) .

وقسم كتبة اليونانيين البلاد العربية « Arabia » ومعناها « العربية » إلى أقسام مثل « العربية السعيدة » « Arabia Felix » و « العربية الصخرية » « Arabia Petraea » و « العربية الصحراوية » « Arabia Deserta » وأقسام أخرى مثل « Arabia Eudoiwon » (٤) .

وعرف العرب بتسمية أخرى هى « Saracens » وهى تسمية شاعت بين الكتبة اليونانيين . ويستفاد مما كتبه بطليموس أن « السرسانيين » « Saracens » كانوا يقيمون فى منطقة شبه جزيرة سيناء وأنهم كانوا من أتباع الامبراطورية الرومانية وأنهم كانوا يتعرضون للقوافل التجارية ويأخذون المكوس الفاحشة من القوافل التى كانت تمر بأراضيهم (٥) .

وأطلق الأراميون على العرب إسم « Sarkaje » ونجد هذه اللفظة فى المناظرة « آلديالوك » « Dialogue » التى كتبها أحد تلاميذ برديصان « Bardesanes » حوالى سنة ٢١٠ للميلاد . وقد شاعت هذه اللفظة وأصبحت تطلق على العرب عامة منذ هذا الوقت لدى السريانيين واليونانيين . ثم انتقلت إلى اليونانيين فبقية الشعوب الأوربية (٦) .

وأما لفظة « Taits » فالظاهر أنها مأخوذة كلمة «طى» وهى إسم القبيلة المشهورة التى كانت تسكن شمال نجد ثم ارتحلت إلى البادية الشمالية وإلى مختلف أنحاء شبه الجزيرة . وقد اكتسبت هذه القبيلة شهرة واسعة وخافتها الشعوب المجاورة حتى أطلقوا على جميع القبائل العربية لفظة « Taits » من باب إطلاق الجزء على الكل (١) .

وهكذا شاعت هذه الكلمة وغطت ما دونها من كلمات . فأطلق الأراميون فى العصور المسيحية لفظة « Tayayo » على العرب ونقل الفرس هذه الكلمة بصورة محرفة تحريفاً يلائم لغتهم فقالوا « تاجك » « Tadjik » أو « Tawik » و « Tawi » فى العهد الأخير (٢)

قد خافت الشعوب التى تاخمت قبيلة طى منها كثيراً والظاهر أنها كانت قوية شديدة المراس فقد أجمع الكتبة من يونان وسريان أنها كانت على جانب عظيم من الغلظة والخشونة وأنها كانت بدوية . ويقول يوحنا العمودى بأن أكثر قبيلة « Taito » لا يعرفون الخبز (٣)

أما النصوص القديمة التى عثر عليها فى البلاد العربية الجنوبية فلم تذكر سوى كلمة « أعراب » ومعناها البدو والقبائل المتنقلة على نحو ما جاء فى القرآن الكريم (٤) . وقد كان السبأيون والحميريون يميزون بين الحضر من أهل المدن وبين سكنة البادية وهم « الأعراب » .

فكانوا يسمون الحضر بأسماء الأماكن التى يسكنونها أو بأسماء أجدادهم وقبائلهم فيقولون « بنو فلان » . وأما سكنة البادية فكانوا يطلقون عليهم بصورة عامة « أعراب » وينسبونهم إلى المحل الذى يقيمون فيه فيقولون « أعراب تهامة » و « أعراب مأرب » وما شابه ذلك (٥) .

---

(١) Hastiugs p, 46

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) Diodorus 2 p, 48

(٥) Ptolemy p, 5, 16

(٦) راجع Cureton Spicilegium Syriacum 16 ult

(١) Alios musil, The northern Higas p, 4 margoliouth p, 57

(٢) Blois musil. The northern higas .P, 4 margoliouth. P, 54.

(٣) A. Musil. The northern Higas p, 4

(٤) القرآن الكريم ٩٨،٩ ثم ٩٠ ، ٤٩ ، ١٤ كذلك ٩ ،١٠١،٩٩، ١٠٠ ،١٢٠،١٠٢ ، ثم ٢٠،٣٣ كذلك ٨ ،١١،٤٨ ،١٦ .

(٥) راجع النصوص السبائية والحميرية Margoliouth, p, 4 Glaser ur 554 2 mitt. 4 p, 7 C T H

وبالنظر إلى عدم العثور على نصوص غربيـة قديمة كثيرة نستطيع بواسطتها معرفة آراء العرب أنفسهم فى هـذه التسميات فاننا لا نستطيع إبداء رأى حاسم فيما ذكرناه من تسميات أطلقها الأجانب على العرب . وعلى كل فإن هذه التسميات على ما يظهر كانت خاصة بعرب الشمال الذين كانوا بطبيعة الحال على اتصال مباشر بتلك الشعوب الغربية . فهى علامات فارقة كانت تميز تلك القبائل عن القبائل السامية الأخرى[١] .

إن القبائل البدوية والقبائل التى هى على شىء من حياة البداوة لا تعرف عادة من معانى القومية والجنسية إلا معنى القومية القبلية . فالقبيلة فى نظر البدوى هى الحكومة وهى القومية وهى الجنس وهى كل شىء . والأرض التى تقيم فيها القبيلة هى الوطن يرتبط به ما دامت القبيلة فيه فإذا انتقلت القبيلة إلى أرض أخرى كانت الأرض الجديدة هى الوطن الجديد الذى يدافع عنه ويجود بنفسه فى سبيله . ورابطة القبيلة هى الجنسية الوحيدة فيما بين القبائل وهى التابعية . وعلى قدر منزلة القبيلة تكون منزلة التابعية وقوة نفوذها فى عالم القبائل السياسى[٢] .

وعلى الرغم من اشتباك القبائل فى وحـدة الجنس ووحدة الأصل فإنها لم تكن تشعر فى معاملاتها الخاصة هـذا الشعور . فكانت تنظر الواحـدة إلى الأخرى نظرتها إلى شعب غريب فتتحارب وتتقاتل فيما بينهـا وترتبط مع الأجانب وتحـارب معهم ضد قبيلة أخرى من أبناء جنسها . ولـكن ضرورة التنقل من مكان إلى مكان أجبرت القبائل القريبة على تكوين حلف فيما بينها وعلى الارتباط برباط العصبية . فصار هنالك حلف القبائل

وهذا الشعور هو الذى ألف فيما بين القبائل وجعلها كتلة قوية تصد عادية المتدين . فظهر امرؤ القيس بن عمرو الذى ورد ذكره فى حجر نمارة (Namàro) النفيس فى الجنوب الشرق من دمشق والمؤرخ فى عام ٣٢٨ للميلاد الموافق ليوم ٧ بكسلول من سنة ٢٢٣[٣] .

(١) Hastings d, 46

(٢) راجع Hastings Dictionary of the Bible p, 46

(٣) راجع Lidzbarski Ephemeris vol 2 p, 35

إن نص النمارة هو أول نص عربى يشير إلى ملك « ملك العرب كلهم والذى حاز التاج وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم رهزم مذحجاً وجاء إلى نزجى (أو بزجى) فى حبج نجران مدينة شمر وملك معداً ونزل بنـية الشعوب ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه[١] .

يظهر من كل ما تقدم أن كلة « عرب » و « العرب » لم تطلق فى العصور التى تقدمت المسيح على العرب عامة وإنما كانت كلمات تدل على قبيلة معينة هى قبيلة شمالية . وأما عرب الجنوب فـكانوا يسمون « معونيم » مثلا أى معنين أو سبئين ثم حيرين وقبائل أخرى . واستعملت « عريب » عند العبرانيين للدلالة على البداوة : وكذلك استعملت عند عرب الجنوب .

والظاهر أن كلة « العرب » كجنسية تشمل جميع سكان شبه الجزيرة العربية لم تظهر إلا قبل الإسلام بزمن يظهر أنه لم يكن طويلا يمكن أن يعود إلى القرن الثالث أو الرابع للمسيح . ولم تطلق هـذه الكلمة على سكان بلاد العرب الجنوبية الذين كانوا يختلفون فى أنسابهم عن عرب الشمال ولذلك فرق النسابون بين الجماعتين .

جواد علي

(١) راجع نص النمارة Lidzbarski Ephemeris vol 2 p,35

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٩ —

ج ١٧ ص ٣٠ : ما أحسن قول العتابي وأحكمه ! :

لوم يعيذك من سوء تقارفه أبقى لعرضك من قول يداجيكا
وقد رمى بك في تيهاء مُهلِكة من بات يكتمك العيب الذي فيكا

قلت : (مهلكة) بفتح الميم ، ولامها مثلثة ، وهي المفازة ، والجمع مهالك .

* * *

ج ١٣ ص ٢٦ : قد وهبناه منك وصفحنا عن ذنبك .

قلت : قد وهبناه لك . قال سيبويه ج ١ ص ١٦٠ : ولا تقول وهبتك لأنهم لم يعدوه ولكن وهبت لك .

في اللسان : حكى السيرافي عن أبي عمرو أنه سمع أعرابياً يقول لآخر : انطلق معي أهبك نَبلا .

وإن جاز قول الاعرابي فعنده نقف . والأعلى هو قول (الكتاب) المعجز : « رب ، هب لي حكماً » « فوهب لي ربي حكماً » .

والحكم : الحكمة ، « وهو أعم منها — كما قال الراغب في مفرداته — فكل حكمة حكم ، وليس كل حكم حكمة ، فان الحكم أن يقضى بشيء على شيء فيقول : هو كذا أو ليس بكذا[1] » .

* * *

ج ٦ ص ٢٧٥ : قال الأمير أبو الفضل الميكالي : كتب عامل رقعة إلى الصاحب في التماس شغل ، وفي الرقعة : إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله فعل . فوقع الصاحب تحتها : من كتب لإشغالي لا يصلح لأشغالي .

وجاء في الشرح : يريد أن كسر الهمزة خطأ ، وكان يريد أن يقول شغلي ، وفي القاموس يقول : إن أشغل لغة جيدة أو قليلة أو رديئة .

قلت : (من كتب إشغالي) كما روت اليتيمة ج ٣ ص ٣٨ ومراد الصاحب أن المجرد من هذا الفعل هو الجيد ، والمزيد رديء . في التاج « شغله كمنعه شغلا — بالفتح — ويضم وهذه عن سيبويه . وأشغله ، واختلف فيها فقيل هي (لغة جيدة أو قليلة أو رديئة) قال ابن دريد : لا يقال : أشغلته ، ومثله في شروح الفصيح وشرح الشفاء للشهاب والمفردات للراغب والأبنية لابن القطاع[1] ، ولا يعرف لأحد القول بجودتها عن إمام من الأئمة ، وكتبه بعض عمال الصاحب له في رقعة فوقع عليها : من يكتب إشغالي لا يصلح لأشغالي . قال شيخنا : فإذاً لا معنى لتردد المصنف[2] فيها . قلت : ولعله استأنس بقول ابن فارس حيث قال في (المجمل) لا يكادون يقولون أشغلت ، وهو جائز فتأمل ذلك » .

* * *

ج ٧ ص٢٥٢ : جحظة :

أناخلو من المماليك والأملاك(م) جلد على البلا وصبور

قلت : جلد على البلاء صبور

* * *

ج ١٦ ص ٣٢٠ : وحق له التأسي على المفقود .

وجاء في الشرح : التأسي : الحزن .

قلت : (وحق له الأسى على المفقود) والأسى هو الحزن ، وأما التأسي فهو التعزي . في التاج : أساه بمصيبته تأسية فتأسى أي عزاه تعزية فتعزى ، وذلك أن يقول له : مالك تحزن ؟ وفلان أسوتك أي أصابه ما أصابك فصبر ، فتأس به .

وفي ديوان الخنساء :

---

(١) النهاية : إن من الشعر لحكما أي إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما ، قيل : أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس ، والحكم : العلم والفقه والقضاء بالعدل .

(١) ومثل ذلك في الصحاح

(٢) صاحب القاموس .

ومايبكين مثل أخي ولـكن أسلى النفس عنه بالتأسي

وقال البحتري في السينية العبقرية :

عمرت للسرور دهرا فصارت للتعزي رباعهـــم والتأسي

* * *

ج ٤ ص ١٨٣ : وكان محباً لإسداء العوارف والاصطناع ، وجذب الباع .

قلت : (وجذب الأتباع) في الأساس : وهو له تبع وهم له تبع لأنه مصدر وهم أتباعه وتُبّاعه .

* * *

ج ١٩ ص ١٩٦ :

وما لك غيرُ تقوى الله زاد إذا جعلت إلى اللهوات تَرقى

قلت (غيرَ) وهو إن لم يكن الأصح فهو المختار .

قال ابن يعيش في شرح المفصل ج ٢ ص ٧٩ : وإنما لزم النصب في المستثنى إذا تقدم لأنه قبل تقدم المستثنى كان فيه وجهان البدل والنصب فالبدل هو الوجه المختار ، والنصب جائز على أصل الباب فلما قدمته امتنع البدل فتعين النصب . وبيت المفصل :

ومالى إلا آل أحمـد شيعة ومالى إلا مشعب الحق مشعب

وبيت (الـكتاب) وهو لـكعب بن مالك (رضى الله عنه) يخاطب (النبي صلى الله عليه وسلم) :

الناس ألب علينا فيك ليس لنا

إلا السيوفَ وأطراف القنا وزر

ومثله قول الـكميت الذي حرم الرواية الصحيحة في هذا الزمان وقد بينتها في الرسالة الغراء في هذه السنة :

وإن لم يكن إلا الأسنةَ مركبٌ

فلا رأى للمحمول إلا ركوبها[1]

وفي (الـكتاب) : « وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون مالى إلا أبوك أحد » ولم يذكر شاهداً . قال ابن عقيل وأعربوا الثاني بدلا من الأول على القلب . وفي (همع الهوامع) ج ١ ص ٢٢٥ : قال ابن عصفور : (ولا يقاس على هذه اللغة) وقد قاسه الـكوفيون والبغداديون وابن مالك ، ومن الوارد منه :

فإنهم يرجون منـه شفاعة إذا لم يكن إلا النبيون شافع

قلت : « قال محمد هو ابن مالك » :

وغير نصب سابق في النفي قد يأتي ولـكن نصبه اختر إن ورد

* * *

ج ١٦ ص ٣٠٣ .

فإن قلتمُ إنا ظلمنا فلم نـكن بدأنا ولـكنّا أسأنا التقاضيا

قلت (فلم نـكن ظلمنا ولـكنا أسأنا التقاضيا[1]) والبيت في مقطوعة للشَّميذ الحارثي من شعراء الحماسة ومطلعها .

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعد ما

دفنتم بصحراء الغُـمَير القوافيا[2]

* * *

ج ١٩ ص ٤٦ : وتغير ذهنه بآخِرِهِ . وفي هـذا الجزء ص ٥٥ : وانتقل بآخِره إلى غرناطة .

قلت : في الصحاح : جاء فلان بأَخَـرَة بفتح الخاء وماعرفته إلا بأخرة أي أخيراً . وفي النهاية : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم ، يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس كذا وكذا أي في آخر جلوسه ويجوز أن يكون في آخر عمره ، وهي بفتح الهمزة والخاء .

وجاء في اللسان والتاج . « وجاء بآخرةٍ بالمد » وشكلت الخاء بالفتح ولم يضبطها التاج .

* * *

ج ٧ ص ١٠٩ : حدث المبرد عن المازني قال : كنت عند أبي عبيدة فسأله رجل فقال له : كيف تقول : عُنيت بالأمر ؟

(١) في إحدى الملحمات في (جمهرة أشعار العرب) والبيت « من أمثال الـكميت السائرة في أبيات قصائده » كما قال الثعالبي في (الايجاز والاعجاز) وروايته فيه (إذا لم يكن — فلا رأى للمضطر) .

(١) التبريزي : فيه قولان : أحدهما القتل بعد أخذ الدية والآخر قتل جماعة بواحد .

(٢) التبريزي : لا تفتخروا في شعرٍ أبداً فقد دفنتم القوافي بهـذا الموضع لسوء بلائكم .

قال : كما قلت : عُنيت بالأمر . قال : فكيف آمر منه ؟ قال (المازنى) فغلط وقال : أعنُ بالأمر . فأومأت إلى الرجل ليس كما قال . فرآنى أبو عبيدة فأمهلنى قليلا فقال : ما تصنع عندى ؟ قلت : ما يصنع غيرى . قال : لست كغيرك ، لا تجلس إلى ، قلت: ولم ؟ قال : لأنى رأيتك مع إنسان خوزى سرق منى قطيفة. فانصرفت وتحملت عليه بإخوانه ، فلما جئته قال لى : أدب نفسك أولا ثم تعلم الأدب . قال المبرد : الأمر من هذا باللام ، لا يجوز غيره لأنك تأمر غير من بحضرتك كأنه ليفعل هذا .

قلت : (أعنَ بالأمر) بفتح النون لا ضمها[1] . وما ذهب إليه أبو العباس هو الأكثر . فى اللسان : قال البطليوسى : أجاز ابن الأعرابى عَنيت بالشىء أعنَى به فأنا عان وأنشد :

عان بأخراها طويل الشغل له جفيران وأى نبل

وفى التاج : عنى فلان بحاجته بالضم أى مبنياً للمفعول عناية بالكسر ، وهذه اللغة هى المشهورة التى اقتصر عليها ثعلب فى فصيحه ووافقه الجوهرى وغيره ، ويقال أيضاً : عنى بحاجته كرضى وهو قليل ، حكاه جماعة منهم ابن دستوريه وغيره من شراح الفصيح والهروى فى غريبيه قاله شيخنا .

قلت : قال شيخنا فى المقامات العلائية (الفصول والغايات[1]) عبقريته النثرية ص ٣٠ :

« أعننى[2] رب ، وأعنّى واعنَ بى حتى تغنى عن أمى وأبى »

وقد اقتضى التلاؤم أو الموسيقية — كما يسمى ذلك العلامة الأستاذ أمير النثر[3] — أن يؤثر نابغة الأدب العربى القليل فى الاستعمال فى هذا المقام على الكثير ، وللموسيقية هى فى اللفظة وفى الجملة . وأبو العلاء أدرى الناس بصحة الألفاظ واعتلالها .

فى القسم — ١٧ — رويت قول حسان : (تسقى الضجيع ببارد بسام) كما نقلوا ، وعندى أنها (تشفى) لا تسقى .

(١) لأنها من عنى يعنى لا عنا يعنو .

(١) ضبطه وفسر غريبه ونشره الأستاذ الشيخ محمود حسن زناتى . وقد ذكرت شيئاً من مكانة هذا الكتاب وعظم تحقيقه وضبطه فى مقالتى الرسالة ٢٥٠ ص ٦٥٥ .

(٢) أصل التعنين والأعنان حبس الفرس بالعنان .

(٣) (دفاع عن البلاغة) ص ١٠٢

رأى جديد فى :

حمـــاد الراوية

الأستاذ السيد يعقوب بكر

— ٥ —

يقول نولدكه إن حماداً هو الذى اختار المعلقات ، وهو فى هذا يتابع ما قاله ابن النحاس فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وليست بنا حاجة هنا إلى أن نعيد ما قلناه فى صدد رأى ابن النحاس. إنما نكتفى بنقد ما يستدلّ به نولدكه من أن حماداً أقحم قصيدة الحارث بن حلزة ممالأةً منه لمواليه بنى بكر ، ودفعاً منه لقصيدة عمرو بن كلثوم فى الافتخار بتغلب . فنولدكه يرى فى هذا دليلاً على أن حماداً هو الذى اختار المعلقات . وهو دليل لعمرى ضعيف. فقد كان يستطيع حماد ألا يختار قصيدة عمرو، لو كان هو الذى اختار المعلقات . ولكنه لم يغفلها أو لم يسعه إغفالها ، لأنه كان يجمع مشهورات القصائد ، أى القصائد التى اختارتها العرب وفضّلتها ، وفيها قصيدة عمرو بن كلثوم . وهكذا يكون دليل نولدكه دليلاً عليه لا له . وأما ما يقوله من أن الحارث بن حلزة لم يكن شاعراً مبرزاً ، وأن حماداً أقحمه بين أصحاب المعلقات إقحاماً ، فنحن نورد عليه اعتراضين : الأول أن ابن سلام الجمحىّ صاحب طبقات الشعراء يجعل عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة بن شداد فى طبقة واحدة ، هى الطبقة السادسة من طبقات الشعراء الجاهليين ؛ والثانى أن الحارث بن حلزة كان زعيم قومه كما كان عمرو بن كلثوم زعيم قومه ، وأن قصيدتيهما استفاضتا بين العرب لهذا السبب . وليس فى الاعتراض الثانى مطعن فى شعر الشاعرين ، وإنما نريد به الدلالة على أن مكانة القائل تغنى عن جودة القول فى مجال الشهرة والذيوع .

فالحارث إذن من شعراء المعلقات أصلاً . ويؤيد هذا ما يقوله نولدكه نفسه من أن ابن عبدربه ، وابن النحاس (فيما يقوله القدماء) ، قد قبلا المعلقات السبع كما جاء بها حماد ، ولم يبدلا فيها شيئاً من شىء . ومعنى هذا أنهما لم يجدا مطعناً فى جمع حماد المعلقات ، ولم يريا ما يراه نولدكه من أنه أقحم الحارث بن حلزة إقحاماً . وهما من رجال أوائل القرن الرابع الهجرى ، كما سبق ذكره ؛ فهما إذن قريبا عهد بعصر حماد (المتوفى سنة ١٥٥ أو ١٥٦ هـ) . وأما مايذكره صاحب جمهرة أشعار العرب من أن المفضّل قال: « القول عندنا ما قاله أبو عبيدة فى ترتيب طبقاتهم ، وهو أن أول طبقاتهم أصحاب السبع معلقات ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد » ، ومن أنه قال : « هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب بالسموط ، ومن زعم غير ذلك فقد خالف الجمهور » أما ما يذكره صاحب جمهرة أشعار العرب من قول المفضل هذا ، فلا يمكن الاعتماد عليه ، لأنه ظهر — كما يقول نولدكه نفسه — أن صاحب الجمهرة غير ثقة ، وأنه إنما انتحل اسم أبى زيد القرشىّ ليخدع الناس عن نفسه . فالمفضل وأبو عبيدة ، وهما معاصران لحماد ، لم يخالفاه إذن فى شعراء المعلقات ولم يجعلا النابغة والأعشى مكان عنترة والحارث بن حلزة ؛ أو لم يثبت أنهما خالفاه .

فقد استبان إذن زيفُ رأى نولدكه ؛ واستقام لنا ما قلناه من أن العرب القدماء هم الذين اختاروا المعلقات وفضلوها على غيرها ، وأن حماداً هو الذى جمعها بعضها إلى بعض وجعل منها جملة معروفة متداولة . وما قلناه فى رأى نولدكه يمكن أن نقوله فى آراء من شايعه من المستشرقين ، أمثال أرندنك (الموسوعة الإسلامية ، مادة حماد الراوية) وبروكلمان (كتابه المشهور ، جـ ١ ص ١٨ ، وتكملة جـ ١ ص ٣٤) وغيرهما .

جمع حماد المعلقات إذن . بل إنه جمعها كما سمعها ، فلم يصح عنه فيها انتحال .

كذلك روى حماد معظم شعر امرىء القيس . ففى المزهر (جـ ٢ ص ٢٠٥) أن الأصمعى قال : كل شىء فى أيدينا من شعر امرىء القيس فهو عن حماد الراوية ، إلا شيئاً سمعناه من أبى عمرو ابن العلاء .

(جـ) اشتهاره بالانتحال :

اشتهر حماد بالانتحال ، وهو ما سنناقشه فى الفصل الآتى من البحث . إنمـا نكتفى هنا بحصر الأقوال والأخبار التى توردها كتب القدماء فى صدد انتحاله ، لتكون هذه الأقوال والأخبار موضع تمحيصنا فيما بعد .

أقوال العلماء فيه :

١ — فى الأغانى (جـ ٥ ص ١٧٢) ومعجم الأدباء (ص ١٤٠) وخزانة الأدب (ص ١٣١) أن المفضل الضبى قال : قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطئ فى روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ؛ لا ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله فى شعره ، ويحمل ذلك عنه فى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟

٢ — وفى الأغانى أيضاً (ص ١٧٤) أن خلف الأحمر قال : كنت آخذ عن حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه النحول ، فيقبل ذلك منى ويدخله فى أشعارها .

٣ — وفى الأغانى أيضاً (ص ١٦٤) ومعجم الأدباء (ص ١٤٠) أن الأصمعى قال : كان حماد أعلم الناس إذا نصح (يعنى إذا لم يزد وينقص فى الأشعار والأخبار) .

٤ — ويقول ابن سلام فى طبقات الشعراء (ص ٢٣ — ٢٤) ، وينقل عنه السيوطى هذا فى المزهر (جـ ١ ص ٨٧) ، إنه سمع يونس بن حبيب يقول : العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر .

٥ — وفى المزهر (جـ ٢ ص ٢٠٥) أن أبا حاتم قال : كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره ، وكانوا يصنعون الشعر ويقتنون المصنوع منه وينسبونه إلى غير أهله .

٦ — ويقول ابن سلام (ص ٢٠) ، وينقله عن السيوطى فى المزهر (جـ ١ ص ٨٧) : وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية ؛ وكان غير موثوق به ، كان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد فى الأشعار .

أخبار انتحاله :

١ — يذكر أبو الفرج (ص ١٧٢ - ١٧٣) ، وينقل عنه البغدادى (١٢٨ — ١٢٩) ، أن أمير المؤمنين المهدى دعا المفضل الضبى وقال له : إنى رأيت زهير بن أبى سلمى افتتح قصيدته بأن قال :

* دع ذا وعدِّ القول فى هرم *

ولم يتقدم قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعت فى هذا شيئاً ، إلا أنى توهمته كان فى قول يقوله أو يروّى فى أن يقول شعراً قال : عد إلى مدح هرم دع ذا ، أو كان مفكراً فى شىء من شأنه فتركه وقال : دع ذا أى دع ما أنت فيه من الفكر وعدِّ القول فى هرم ؛ وأن المهدى دعا بعد ذلك حماداً وحده ، فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل ، فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال : كيف ؟ فأنشده :

* لمن الديار بقنة الحجر *

الأبيات الثلاثة .

* دع ذا وعدِّ القول فى هرم *

البيت ؛ وأن المهدى أطرق ساعة ، ثم أقبل على حماد ، فاستحلفه على هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ، فأقر له حينئذ أنه قالها ، فأمر فيه وفى المفضل بما أمر به من شهر أمرهما وكشفه .

٢ — وفى الأغانى (ص ١٧٤ — ١٧٥) ، وخزانة الادب (ص ١٣١ — ١٣٢) أيضا أن الطرماح بن حكيم قال : أنشدت حماداً الراوية فى مسجد الكوفة، وكان أذكى الناس وأحفظهم قولى:

* بان الخليط بسُحرة فتبدّدوا *

وهى ستون بيتاً ، فسكت ساعة ولا أدرى ما يريد ، ثم أقبل على فقال : هذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كذلك ، ثم ردها على كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها فى وقته .

٣ — وفى الأغانى كذلك (ص ١٧٠) أن حماداً قدم على بلال ابن أبى بردة البصرة ، وعند بلال ذو الرمة ، فأنشده حماد شعرا مدحه به ، فقال بلال لذى الرمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيدا وليس له ، قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدرى إلا أنه لم يقله ؛ فلما قضى بلال حوائج حماد وأجازه ، قال له : إن لى إليك حاجة ، قال : هى مقضية ، قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا ، قال : فمن يقوله ؟ قال : بعض شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيرى ، قال : فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام .

عالم ما بعد القنبلة

للأستاذ نقولا الحداد

بعد ساعة أو بضع ساعات من سقوط القنبلة الذرية على هيروشيما كان الجنس البشرى كله مدهوشاً من هذا الحادث الهائل الفاجئ — أجل مفاجئ — من ألوف الطائرات ترى ألوف الأطنان من المتفجرات فتدك أحياء المدن حياً حياً إلى طيارة واحدة ترمى قنبلة واحدة تزن رطلا واحداً ، فتدك مدينة واحدة عظيمة فى لحظة واحدة دكًّا فظيعاً — خبر لا يكاد يُصدَّق . ولكن العالم كله صدقه ، لأن هوله لمع فى جميع البلدان وأقام البرهان وحتَّم الإيمان وضعضع البهتان . والمرء يجزع من خوارق الحدثان التى تمثل فى مخيلته قصص الجان .

يقيناً انتقل العالم من عناء مناوشة المتفجرات إلى تحت سلطان الذرة الحاسم ؛ بكلمة واحدة من لسان الأورانيوم خرَّت اليابان على ركبتيها ضارعة مستغيثة تلتمس الرحمة والرفق .

لو توفق مخترعو قنبلة الذرة منذ شرعوا فى محاولة صنعها لخرت ألمانيا ساجدة منذ سنة ١٩٤٠ وحُقِنت دماء كثيرة

أصبح البشر الآن خائفين على مدنيتهم أن تبيد بتاتاً ، وعلى جنسهم أن ينقرض كما انقرض قبله الدينوسور وحيوانات أخرى

صار الناس يحسبون حساب المستقبل الجديد — نعم سيكون المستقبل كله جديداً . وسيصبح حاضرنا كأنه ماضى ما قبل التاريخ كما كان العصرى الحجرى بالنسبة إلى عصرنا ما قبل التاريخ .

عصر مجد الكيمياء انقضى وجاء عصر سؤدد الذرة الكهربى. واصبح اكتشاف الكهربائية درجة للصعود إلى عالم الذرة ، كما صار عصر البخار كالحمار لدى عصر الطيار .

القنبلة الذرية لم تفتح فصلا جديداً فى كتاب العلم بل فتحت دائرة معارف جديدة ، وفتحت فصلا جديداً فى الثقافة ، سيضاف إلى مناهج الدراسة فى الجامعة منهاج جديد للتخصص فى « علم الذرة » .

فى عام أو بضعة أعوام سيرى طلبة الطبيعة والكيمياء لديهم كتاباً مطولا فى علوم الذرة — بناؤها وتركيبها وتحليلها ووظائف

---

٤ — وفى طبقات الشعراء (ص٢٣) ، والأغانى (جـ ٢ ص ٥٠ـ ٥١ ، وجـ ٥ ص ١٧٢) ، والمزهر نقلا عن ابن سلام (جـ١ ص٨٧) ، أن يونس بن حبيب قال : قدم حماد البصرة على بلال بن أبى بردة ، فقال : ما أطرفتنى شيئاً ؟ فعاد إليه . فأنشده القصيدة التى فى شعر الحطيئة مديح أبى موسى ، فقال : ويحك ! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به وأنا أروى للحطيئة ؟ ولكن دعها تذهب فى الناس .

٥ — وفى المزهر (جـ ١ ص ٨٧) أن عمرو بن سعيد الثقفى قال : كان حماد الراوية لى صديقاً ملطفا ، فقلت له يوما : أمل على قصيدة لأخوالى بنى سعد بن مالك ، فأملى على لطرفة . . . وهى لأعشى همدان(١) .

٦ — وفى المزهر أيضا (جـ ٢ ص ٢٠٥ — ٢٠٦) أن سعيد ابن هُرَيْم البرجمى قال : حدثنى من أثق به أنه كان عند حماد حتى جاء أعرابى ، فأنشده قصيدة لم تُعرف ولم يُدْرَ لمن هى ، فقال حماد : أكتبوها . فلما كتبوها وقام الأعرابى قال : لمن ترون أن نحملها ؟ فقالوا أقوالا ، فقال حماد : احملوها لطرفة .

* * *

فهذه أقوال ستة وأخبار ستة توردها كتب القدماء فى صدد انتحال حماد ، وهى كل ما وجدناه فيها . ونحن نضيف إليها هنا ما يقوله صاحب العقد الفريد (جـ ٤ ص ٤٠٢ — ٤٠٣ ط المطبعة الأزهرية) : « ... وكذلك كان يفعل حماد الراوية ، يخلط الشعر القديم ويقول : مامن شاعر إلاقد حققت فى شعره أبياتا فجازت عنه إلا الأعشى ، أعشى بكر ، فإنى لم أزد فى شعره قط غير بيت ... قيل له : وما البيت الذى أدخلته فى شعر الأعشى ؟ فقال : وأنكرتنى وما كان الذى نكرت

من الحوادث إلا الشيب والصلعا »

(للبحث بقية أخيرة) السيد يعقوب بكر

(١) تفسير ما كان من صداقة بين حماد وعمرو بن سعيد أن حماداً بكرى الولاء ، وأن أخوال عمرو بن سعيد هم بنو سعد بن مالك (بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر) . فكلا الرجلين بكرى الهوى . وبنو سعد بن مالك هم رهط طرفة الشاعر (انظر نسب عدنان وقحطان للبرد ، وهو من تحقيق الأستاذ المدقق عبد العزيز الميمنى ، ص ١٦) .

أعضائها وقواها ومفاعيلها إلى غير ذلك . ولا بد من دراستها ، لأنها ستصبح السبيل الوحيد لفهم الإلفة الكيمية والتيار الكهربائي ولتبسيط الكيمياء والكهرباء . وسيلقب الناجح في علم الذرة بكلوريوس الذرة ، أو أستاذ الذرة ، أو دكتور الذرة ، وأخيراً فيلسوف الذرة .

مسكين طالب العلم في العصر الجديد ، سيمتد عمر دراسته عاماً أو عامين أو أكثر ... لا تجزعنّ يا بنيّ ، لأن الحقائق التي وضحت سهلت الدراسة

لا يصح أن نسمي هذا العصر الجديد عصر الأورانيوم ، لأن تحطيم الذرة لاستخراج الطاقة منها لن يقتصر على الأورانيوم وحده ، بل سيتناول العناصر الأخرى الواحد بعد الآخر . اليوم تحطم الأورانيوم وبعده الرصاص ، ثم الحديد ، ثم الكربون ، وربما تحطم الهيدروجين أخيراً .

ستتحطم ذرات القلم الذي في يدي ، وذرات الورق الذي بين يديك ، وذرات الكرسي الذي تقعد عليه . ستكون كل ذرة في الكون قابلة التحطيم ، كما أن ذرات عناصر الشمس متحطمة تباعاً ومنتثرة حطامها في الفضاء فوتونات أي ضوئيات . ولولا حطام ذرات الشمس المتناثرة في الفضاء لما رأينا نوراً ولا دفئنا بحرارة . لسوف تذوب الشمس حطام ذرات في الفضاء ، كما يذوب الشمع أمام النار . وكذلك سيكون مصير جميع الأجرام تتناثر كلها فوتونات في الفضاء اللامتناهي . هي من الأثير وإلى الأثير تعود . وربما تجدد تكون الكون بعدئذ في دورة أخرى ، والله أعلم .

سيصبح تحويل معدن إلى معدن أسهل من تحويل اللبن إلى كوتشوك ، والقطران إلى روائح وألوان . ثم تكون القوة أطوع ليد الإنسان من الكلب الأمين أو الحصان الودود . قد يمكن الإنسان أن يطير حول الكرة الأرضية تحت شمس الظهر ، ويبقى تحت شمس الظهر حتى يجد نفسه قد عاد إلى مطاره ولا يخزن معه من القوت إلا قدر الحمصة في علبة سيجارة . وكذلك يستطيع زورقه أن يمخر البحار الخمسة بقوة هذه الحمصة ، ويطوف جميع بقاع الأرض في سيارته بقوة هذه الحمصة

وسيرى حمصات الأورانيوم أو الراديوم أو غيرها تدير معامل الصناعات على اختلاف أنواعها . نعم سيرى الإنسان نفسه سيد الطبيعة بالفعل — يهيج البحار ويسكنها ، ويجري الأنهار ويحبسها ، ويستنزل الأمطار ويكفها — يتصرف بالطبيعة كلها

ولكن وا أسفاه سيبقى هناك شيء لا يستطيعه الإنسان . يسيطر على الأورانيوم ويتسلط على المعادن ويعتقل القوة العظمى ولكن هناك شيئاً لا يستطيعه ، لا يستطيع أن يملك عنان الطبع البشري ! يستطيع أن يقهر قوات الطبيعة ، ولكنه لا يستطيع أن يقهر شهوته . يستطيع أن يكبح جماح الحر والبرد والريح والبحر والعاصفة ، ولكنه لا يستطيع أن يكبح جماح رذيلته وشروره .

يكون سيد المادة ، ولكن شهوته تبقى سيدته !

يشمخ على عوامل الطبيعة ، ولكن نزعاته تشمخ عليه !

يركب متن الطاقة الذرية ، ولكن شيطان أهوائه يمتطيه !

يحطم الذرة ، وأخيراً الذرة تحطمه !

أصبح الإنسان الحيواني عند مفرق طريقين : إما أن يعقل ويعتقل القوة الذرية فيستخدمها لمتعته ، أو أنه ينتحر بها .

المدنية الآن في نشوة من خمرة انتصارها على الطبيعة . فإن استطاعت أن نصحو من هذه النشوة قبل أن تهوى إلى هاوية الفناء ، وأن تجعل النظم الاجتماعية والسياسية علماً بقواعد وأصول لتسير عليها ، كما جعلت السنن الطبيعية علوماً لها ، نشطت مدنية جديدة في فردوس من السعادة لا يفرغ منها

نقولا الحداد

جمعية المعارف المصرية

[لجنة لاحياء الكتب العربية فى القرن التاسع عشر رعاها ولى عهد الخديو (محمد توفيق باشا)]

للأستاذ محمود الشرقاوى

كنت أبحث عند بعض الوراقين الذين لم يعد يقصدهم أحد سوى القليلين من عشاق القديم الذين أصبحوا ندرة غريبة فى مصر فعثرت عند كتبى يجاور الأزهر على جزأين قديمين من كتاب « أُسْد الغابة فى معرفة الصحابة » للامام على بن الأثير فاشتريتهما .

وعند المطالعة استوقف نظرى ما كتب فى ختام الجزء الرابع وهو : « بعون الله وتوفيقه تم الجزء الرابع من أسد الغابة فى عاشر رمضان سنة ١٢٨٦ يتلوه الجزء الخامس وبه إن شاء الله تعالى يتم الكتاب وأوله حرف النون المطبوع على ذمة جمعية المعارف المصرية البالغ أهلها الآن تسعمائة وثمانين » .

فما هى جمعية المعارف المصرية هذه ؟ ...

لم أستطع بوسائلى المحدودة سوى معرفة شىء قليل عن هده الجمعية التى أعتقد أنها كانت لجنة خاصة لإحياء ونشر الكتب العربية القديمة وأنها كانت موجودة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى . وكان لهـذه اللجنة نظام خاص يجعل للمشتركين فيها أو (لأهلها) على حد تعبير الفقرة الذيل بها الجزء الرابع من أسـد الغابة حقاً فى شراء مطبوعاتها بقيمة التكاليف فقط، وأن أعضاء هذه الجمعية بلغوا تسعمائة وثمانين فى سنة ١٢٨٦ هجرية وهى تقابل سنة ١٨٦٩ ميلادية .

وكانت جمعية المعارف المصرية هـذه تطبع أمهات الكتب العربية القديمة وتبيح لأعضائها شراء نسخة واحدة منها (بأصل المصروف) كما تبيح لهم شراء مـا يشاءون من النسخ بثمن يزيد عن أصل المصروف ولـكنه ينقص عن الثمن الذى يشترى به من ليس عضواً فى الجمعية . وهى إلى جانب ذلك تبيع مطبوعات غيرها وتبيعها لأعضائها بثمن أقل مما تبيعها به لغيرهم .

ويستطيع القارىء أن يقدر ما فى ذلك من التنظيم والروح التعاونى والترغيب فى عضوية الجماعة إلى جانب ما فيه من روح التسامح والرغبة فى نشر المطبوعات ولو لم تقم هى بطبعها ، وما فيه أيضاً من الروح التجارى السليم . هذا كله فوق هدف الجمعية الأساسى وهو طبع أمهات الكتب العربية القديمة ونشرها . وقد نشرت الجمعية فى ملحق خاص فى الجزأين الرابع والخامس من أسد الغابة (بيان الكتب التى تم طبعها على ذمتها إلى الآن) . ومنها ما هو خاص بعلوم اللغة والأدب مثـل تاج العروس وألف باء ، ورسائل بديع الزمان، وعنوان الرقص والطرب. ومنها ما هو خاص بالتاريخ مثل الفتح الوهبى شرح تاريخ العتبى المشهور باليمينى، وتتمة المختصر فى أخبار البشر لابن الوردى . ومنها ما هو خاص بتراجم الصحابة مثل أسد الغابة . ومنها ما هو خاص بالشعر مثل التنوير شرح سقط الزند للمعرى ، وديوان ابن خفاجة الأندلسى وشرح الشيخ خالد الأزهرى على البردة . ومنها ما هو خاص بالفقه مثـل حاشية أبو السعود على منلا مسكين .

ومن مراجعة الملحق الذى نشرته الجمعية فى ختام الجزء الخامس من أسـد الغابة ومقارنة بعضه بالبعض الآخر يصل الباحث إلى حقائق جديرة بالذكر والتأمل . فهى تذكر أولا (أثمان الكتب التى تباع لمن رغب من أهل الجمعية فى أكثر من النسخة التى يأخذها بأصل المصروف) فتذكر أثمانها وتوقيتاً لهـذه الأثمان يتصاعد معه الثمن كلما أبطأ المشترى فى الشراء . فمثلا رسائل بديع الزمان تباع لأهل الجمعية بخمسة عشر قرشاً لغاية ذى الحجة سنة ١٢٨٦ ثم يزيد قرشين لمن يشترى فى شهر محرم سـنة ١٢٨٧ وقرشين آخرين لمن يشترى فى شهر صفر الذى يليه ثم يزيد بعد ذلك إلى خمسة وعشرين قرشاً لمن يتأخر فى الشراء لغاية ربيع الأول . وهذا الكتاب نفسه يباع (لمن رغب وهو خارج عن جمعية المعارف) بسبعة عشر قرشاً لغاية ذى الحجة المذكور ثم يزيد قرشين عن كل شهر من الشهرين التاليين له ثم يباع بثلاثين قرشاً لمن يتأخر بالشراء منهم لغاية ربيع الأول . وكتاب ألف باء يباع لأهل الجمعية فى الشهر الأول بخمسين قرشاً ثم يزيد خمسة قروش عن كل شهر بعده لغاية صفر ، ويباع للخارج عن جمعية المعارف بستين قرشاً فى الشهر الأول ثم يزيد عشرة قروش عن كل شهر بعده لغاية صفر وهكذا

ثم يلي ذلك بيان (أثمان الكتب المطبوعة على ذمة أربابها وتباع لمن يرغب من أهل جمعية المعارف) وبيان آخر (بأثمان الكتب تعلق جمعية المعارف وتباع لمن يرغب وهو خارج عن جمعية المعارف) وبيان أخير (بأثمان الكتب المطبوعة على ذمة أربابها وتباع للخارج) وفى هذه البيانات كلها مراعاة أهل الجمعية والسابقين بالشراء. ونص على سعر خاص مخفض (لمن يكتب ورقة بأنه التزم بأخذ نسخة أو أكثر ويدفع الثمن عند استلامها).

هذا شيء عن مطبوعات الجمعية ونظامها فى البيع لأعضائها وغيرهم وقد بلغ عددهم كما ذكر فى ختام طبعها للجزء الرابع من أسد الغابة تسعمائة وثمانين وهو عدد لا شك فى ضخامته. وكان مقرها القاهرة. وذكر فى ختام الجزء الخامس من الكتاب. وهو الأخير أنه [طبع فى المطبعة الوهبية بتصريح الراجى فضل ربه الوهبى مصطفى وهبى فى أواسط ذى الحجة سنة ألف ومائتين وثمانين] وهذا التاريخ ليس هو تاريخ إنشاء الجمعية بل من المقطوع به أن إنشاءها سابق له. فقد كانت فى هذه السنة (١٢٨٦ هـ. ١٨٦٩ م) أتمت طبع طائفة من الكتب يبلغ عددها عشرة ظهرت فى اثنين وعشرين جزءاً مما يحتاج إنجازه إلى زمن قد يمتد إلى سنين إذا راعينا أحوال ذلك الزمان والوقت الذى يحتاجه فيه الطبع والتصحيح والإخراج. ولا أدرى هل كانت المطبعة الوهبية هذه مطبعة خاصة بالجمعية أم لا ... ؟ ...

أما قيمة جمعية المعارف المصرية فيمكن تقديره بذكر ضخامة الرقم الذى سبق ذكره عن عدد أعضائها ويمكن تقديره أيضاً إذا ذكرنا هذا النص عن رياستها ووكالتها (... جمعية المعارف المتشرفة بحماية الشهم الهمام، والأمير الساطع لألاء كماله فى الأنام، نور حديقة الدهر والزمان، ونور حديقة العصر والأوان. صاحب المجد والسعد، المتحلى بحلية ولاية العهد، المؤيد بعنايات ذى القول والتنسيق، قطب فلك السعادة والدولة محمد باشا توفيق، أدام الله إجلاله وزاد قبوله وإقباله. والمشكلة بهمة وكيل تلك الجمعية، الباذل جهده فى نشر الفضائل السنية، ونفع الأنام بكل تحفة بهية، المتسم بسيما المعارف والعوارف، محمد باشا عارف) وهذا النص مكتوب فى ختام الجزء الأخير من أسد الغابة ...

* * *

هذا شيء قليل عن جمعية المعارف المصرية التى ألفت فى القرن التاسع عشر فى مصر برعاية ولى عهدها محمد باشا توفيق (الخديو توفيق فيما بعد) وهذا بعض جهدها ونظامها لإحياء التراث العربى القديم ونشره.

وهذا بحث أعتقد أنه محتاج إلى كثير من التوسع والاستيفاء أرجو أن أوفق لهما فى مقبل الأيام.

محمود الشرقاوى

فى الأدب الانكليزي

ماثيـــو ارنولد

Mathew Arnold

بقلم الأستاذ خيرى حماد

مقدمة :

لقد كان القرن التاسع عشر بثوراته المختلفة ونهضاته العديدة باعثاً عدداً من الرجال الذين اشتهروا فى شتى مناحى الحياة من سياسة واقتصاد، وفلسفة وتشريع، وأدب وحرب . ولكل دولة من الدول الأوربية عدد من الرجال الذين تفاخر بهم غيرها من سائر أمم الأرض . فظهر فى بريطانيا فى هذا القرن طائفة من عظام الرجال فاقوا أقرانهم فى مختلف الميادين وأخص بالذكر منها ميدان الأدب .

بزغ نجم كثير من الشعراء والروائيين والنقاد والفلاسفة الذين رفعوا إسم انكلترة عالياً فى ميدان العلم والأدب فرأينا بيرون وشلى وكيتس وتنسون وبراوننج يسعون فى رفع شأن الشعر واعلاء شأوه . وشاهدنا أوستن واليوت وريشاردسون وستيفنسن وسكوت وهاردى ينهضون بالقصة نهضة لا مثيل لها فى تاريخ الأدب الانكليزى . وطالعنا المقالات النقدية العديدة التى كان يكتبها عدد من مشاهير النقاد أمثال هازلت وجفريز وكارليل وأرنولد . وأما الفلسفة فقد تناولها نفر من كبار المفكرين الإنكليز أمثال كارليل وداروِن وارنولد .

لم تكن قريحة ارنولد مقتصرة على الشعر بل تعدتها إلى المقالات والفلسفة والتربية والنقد . ولا غرو أن يحسبه الكثيرون خير ممثل فى إنكلترة فى القرن التاسع عشر :

ولقد ظهرت هناك منذ وفاته كثير من الكتب التى درسته درساً مسهباً . أضف إلى ذلك المقالات الجمة التى تناولت كل ناحية من نواحيه المختلفة فبدأت شهرته بالإزدياد وتفوقه يظهر على سائر أقرانه منذ أن وورى فى التراب فأصبح الآن معروفاً لدى جميع الأدباء والكتاب من سائر أمم الأرض المتحضرة .

حياته :

ولد ماثيو ارنولد فى مدينة ليلهام (Laleham) من ولاية مدلسكس (Midlesex) فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٢٢ ، وكان والده الدكتور توماس ارنولد الذى اشتهر برآسته لمدة طويلة مدرسة ركبى (Rugbuy) وكان ماثيو ارنولد البكر من تسعة أطفال أحبهم والدهم الحب الجم لإشتغاله فى عالم التربية والتعليم مدة ليست بالقصيرة . أما والدته مارى بنروز (Mary Penrose) فقد عاشت ثلاثين سنة بعد وفاة زوجها . وكانت على جانب عظيم من الثقافة والعلم مما قربها إلى ولدها النابغة فظل على ولائه لها وحبه إياها طوال حياته الكثيرة الشاغل .

وفى سنة ١٨٢٦ انتقلت العائلة إلى (ركبى) وظل ارنولد فى ليلهام يتتلمذ على خاله القس المحترم جون بكلند (john Buchland) ولم يكن الدكتور ارنولد ميالا إلى الضواحى التى تحيط بمدينة ركبى ، ولذلك ابتاع منزلا فى تكس هاو (Toxhou) حيث كان يقضى أيام الآحاد والراحة بين زوجته وأولاده . وكان لقربهم من المدينة التى عاش فيها وليم ورد زورث أثر عظيم فى حياة الطفل ماثيو .

وفى سنة ١٨٣٦ أرسل ماثيو إلى مدينة ونيشستر حيث درس على الدكتور موبرلى (Moberly) ولكن لم تنقض سنة واحدة على سكناه هذه المدينة حتى أرسل والده فى طلبه وأدخله مدرسة ركبى حتى يكون تحت رعايته وإشرافه . وقد بقى فى هذه المدرسة حتى أتم دروسه فيها ؛ فأرسله والده إلى أكسفورد سنة ١٨٤٦ ليتم تحصيل علومه العالية هناك .

وتوفى الدكتور ارنولد سنة ١٨٤٢ بينما كان ولده الشاب يقضى أيام شبابه فى جامعة أكسفورد بين أصدقائه وخلانه كلكوردج وشارب . وكان له ميل شديد نحو الطبيعة وجمالها فيقضى بين خمائلها الساعات الطوال حالما فى أشياء كثيرة لا حد لها . وقد نال بين زملائه وأساتذته سمعة حسنة وذكراً طيباً وحسبه الجميع نابغة الجامعة وعلمها الفذ .

وفى سنة ١٨٤٣ نال جائزة شعرية بقصيدة نظمها يتحدث فيها عن كرمويل ، ولم تكن هذه القصيدة خير قصائده فى هذا

العصر بل ظهرت له أشعار أخرى كانت أكثر بلاغة وأوسع خيالا؛ ولوقارنلها مع قصيدته (الريك فى رومه Aiaric At Rome) لغدت من سقط المتاع . وقد نظم هاتين القصيدتين على وزن واحد هو ما يسمونه فى الإنكليزية (Heroic Couhrlet) الذى اشتهر أمره فى العصر الكلاسيكى فنظم فيه (بوب Poqre) وتلامذته من بعده ، وفى كلتا هاتين القصيدتين نرى سلاسة وعذوبة يندر أن توجدا فى شعر شاب لم يتجاوز العشرين من عمره .

ونعرف من مصادر عدة أن ارنولد كان عضوا فى جمعية جدال ونقاش تدعى (جمعية العصر Decade) . ولم يكن فى صفه من المبرزين على أقرانه بل عد من الطبقة المتوسطة من الطلبة . ولكنه ما كاد ينال شهادته حتى منحته الجامعة حق المجاورة فى كلية اورل سنة ١٨٤٥ التى كانت تعد من أعظم الجوائز التى تقدمها الجامعة إلى النابهين من طلبتها .

وبعد أن انتهى من دراسته فى جامعة أكسفورد نراه ينتقل إلى مدرسة ركبى ليدرس فيها العلوم والآداب القديمة من اغريقية ولاتينية ، ليصبح سكرتيرا للمركيز لا نسدون الذى كان يعد من أكبر رجال السياسة فى عصره ، وله الفضل كله فى إصلاح ذات البين بين صفوف حزب الأحرار . وفى تموز سنة ١٨٤٩ ظهرت أولى أناشيده فى مجلة (الاكزامنر Exminer) حيث انتشرت انتشاراً عظيما . وقد أهدى هذه القصيدة الرائعة إلى الشعب المجرى . ولم تمض سنة واحدة بعد ظهور هذه الأغنية حتى أخرج ديواناً شعرياً لم ينل من النجاح القسط الذى كان يتوخاه مؤلفه .

وفى الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٨٥١ نصب ارنولد كمفتش لمدارس المعارف ، وكان هذا التعيين نتيجة للمساعى التى بذلها صديقه المركيز . ولم يكن ثمة رجل يستطيع أن يقوم بأعباء هذا المنصب كما قام به شاعرنا ارنولد فقد كان بغريزته ميالا إلى الأطفال ، فهو لذلك جد قادر على التعامل معهم ، ناهيك عن اطلاعه الواسع على قوانين علم التربية وأصوله . مما جعله يفكر فى القيام بمشاريع عدة لترقية علم التربية فى المدارس التى كان يقوم بالإشراف عليها . وسنتناول الإصلاحات المديدة التى قام بها فى عالم التربية والتعليم عندما نبحث نظرياته فيهما .

وقد تزوج من فرانسيس وايمان سنة ١٨٥١ بنت أحد القضاة الشهيرين فى عالم القضاء . وكانت حياته الزوجية مثلا أعلى للحياة السعيدة الدائمة . فقد ظل وزوجه ترفرف عليهما أعلام السعادة والهناء حتى آخر أيامهما . وفى سنة ١٨٥٧ انتخب أستاذاً للشعر فى جامعة أكسفورد . وكان ينافسه فى نيل هذا المنصب القس المحترم جون أرنست بود مؤلف كتاب : (مقطعات هيرودتس) وفى الحق أن نيله لهذا المنصب كان أعجوبة فى حد ذاتها إذ أن جميع من تبوأوه من قبل كانوا من رجال الدين وحماة اللاهوت يلقون محاضراتهم باللغة اللاتينية .

ولم تكن الرواتب التى تدفعها الجامعة للأساتذة ذات قيمة كبيرة فما ازداد راتبه فى السنة عن المائة جنيه، ولكن مشاغله فى الجامعة لم تكن بنفس الوقت على جانب عظيم من الكثرة . فكان يلقى محاضراته فى اللغة الانجليزية بأسلوب كلاسيكى جذاب ، وقد انحصر موضوعه فى عوامل الأدب الحديث إذ جعل للادب اليونانى فى عصر بركليس صلة وثيقة بالأدب الانجليزى فى عصره . وقد طبعت أولى محاضراته فى سنة ١٨٦٩ .

ونراه فى بدء سنة ١٨٥٨ يبتاع منزلاً صغيراً فى ساحة ستشتر حيث يسكن للمرة الأولى فى منزل ثابت . ولكن الظروف لم تكن لتتيح له أن يهدأ ويستقر فكانت وظيفته كمفتش للمعارف تقتضى كثرة الترحال والسياحة ، ومن أسفاره العديدة سفرته الى برنجهام حيث سمع (جون برايت) يلقى احدى محاضراته فكتب ارنولد إلى صديق من أصدقائه « إن برايت محاضر من الطبقة الاولى يمتاز بارتفاع صوته ورباطة جأشه ولكن السهولة لم تكن من صفاته المميزة ، فهو لا يتوقف ولا يتلعثم، بل لا يندفع الاندفاع الذى أرغبه فى الخطباء أمثاله . ومع ذلك كله فهو أخطب بكثير من غلادستون » (١)

هجر أرنولد الشعر وأخذ يهتم بالنثر والكتابة فظهر أول مؤلفاته فى شكل رسالة سياسية طبعها سنة ١٨٥٩ وأسماها « انكلترة والمشكلة الايطالية » وفى هذه السنة نفسها انتدبته الحكومة لدراسة أنظمة التعليم فى الممالك الاوربية حيث زار فرنسا

(١) Matheu Arnold . By - Poul . P. 56

وبلجيكا ، وهولندا وسويسرا وبدمنت . وقد أعجب بفرنسا الإعجاب كله . وكانت مدينة باريس أحب الى فؤاده من جميع المدن التي زارها حيث شعر بالراحة والدعة . وهناك اجتمع بلورد كوبى مدة لا تقل عن ثلاثة أرباع السنة بحث أثناءها كثيراً من الأمور ختمها بقوله : « لقد شاركني اللورد في الإعتقاد بأن الفرنسيين يتفوقون على جيرانهم الألمان في كل أمر يتنافسون فيه[1] » .

ولما رجع إلى إنكلترة انضم إلى زمرة متطوعى الملكة . ولكنه لم يكن قط ميالا إلى استخدام البريطانيين في الجيش والجندية . وكانت نظريته في الجندية غريبة كل الغرابة لا تنطبق على الحقيقة ، إذ أنه كان لا يعتقد بوجوب المساواة في الجيش ، فالطبقة الوسطى يجب أن تمنع من الإختلاط بسائر الطبقات الأخرى .

ونراه في سنة ١٨٦٤ يجتمع بمستر دزرائيلى السياسى البريطانى المشهور في قصر البارون دى روتشيلد . وكان هذا الداهية البريطانى يميل كل الميل إلى الأدباء ويحترمهم احتراماً كليا . ولذا عامل ارنولد بلطف زائد وخاطبه بقوله : « إن لك مستقبلاً باهراً تناله بجدارة واستحقاق[2] » .

وفى سنة ١٨٦٧ استقال ارنولد من منصبه فى جامعة أكسفورد حيث خلفه السير فرانسيس دويل الشاعر الإنكليزى المعروف . وكان ارنولد مشغوفاً جداً بهذا المنصب الذى تخلى عنه ، ولذا نراه شديد الأسف لاضطراره للاستقالة من عمل أحبه كل الحب .

وفى سنة ١٨٦٥ انتدبته الحكومة مرة أخرى للتفتيش على المدارس الأوربية المختلفة . وكان يقابل هذه المهام بفرح وسرور زائدين مما جعل زملاءه يختارونه لكتابة التقارير عن رحلاتهم وعما يشاهدونه فى المدارس المختلفة فى فرنسا وإيطاليا وألمانيا وسويسرا . وكان لعدم إلمامه بفن الرسم والبناء أثر فى تقاريره فنراه غير معجب بإيطاليا كما كان ينتظر منه . وفى مدينة فلورنسه ينتقد الإيطاليين لتقليدهم الفرنسيين تقليداً أعمى

وفى أكتوبر سنة ١٨٦٥ نراه فى مدينة زوريخ حيث سمع لأول مرة بوفاة لورد بلمرستون فكتب رسالة إلى والدته يطلعها على أفكاره السياسية وعلى تحيزه الشديد لحزب الأحرار ، فيقول فى رسالته هذه إن اللورد بلمرستون لا يصلح مطلقاً لقيادة الأمة التى تسلم قيادتها كبت أو لبول أوبيل ، فوفاته لا تحسب خسارة وطنية كبرى للأمة والشعب .

وفى نفس السنة نراه يتقدم لطلب وظيفة (مندوب الإعانات) ولم يكن فى بريطانيا كلها من هو أجدر منه بهذا المنصب ، ولكن العادة جرت أن تسند هذه المهمة إلى أحد رجال القانون . وكان الرجل المكلف له بانتخاب أحد المتقدمين لهذا المنصب صديق من أصدقاء ارنولد ومحبيه ؛ ولكن تدخل غلادستون فى الأمر حرمه هذه الوظيفة لمخالفته إياه فى آرائه السياسية . وقد لازمه سوء حظ فى السنة التالية حين تقدم لوظيفة خازن المكتبة فى مجلس العموم البريطانى يؤازره نفر غير قليل من كبار الساسة كدزرائيلى وغيره . ولكنه فشل للمرة الثانية لمارضة دينسون رئيس المجلس ومقاومته .

وفى سنة ١٨٨٣ نراه يغادر انكلترة إلى أمريكا ليلقى بضع محاضرات طلب الإمريكيون إليه إلقاءها . وكانت شهرته فى هذه السنوات قد ازدادت وعمت العالم الأوربى كله . وقد أم الناس على اختلاف طبقاتهم هذه المحاضرات فجمع قدراً غير يسير من المال ساعده على ترفيه نفسه والإعتناء بحياته بشكل جدى . وحين كان فى أمريكا ذهب الرئيس برانت رئيس الجمهورية الإمريكية للاستماع إلى إحدى محاضراته حيث لم يع شيئاً مما قاله الخطيب . وكان ارنولد فى الحقيقة خفيف الصوت تعوزه القدرة الخطابية ولذلك ذهب إلى جامعة بوستن ليدرس هناك فن الخطابة فلم يلق نجاحا يذكر .

وفى خريف سنة ١٨٨٥ انتدبته الحكومة مرة ثالثة لدراسة أنظمة التعليم الإبتدائى فى ألمانيا وفرنسا وسويسرا . وكان الغرض الأساسى من رحلته هذه الاطلاع على المصروفات التى يدفعها الآباء عن أبنائهم ، وعن مقدار المساعدة التى تقدمها البلديات للحكومة للقيام بهذا الأمر الحيوى . فكتب تقريراً ضافياً بلغة أضعف من اللغة التى كتب بها تقاريره السابقة .

وفى هذه السنة نفسها استقال من منصبه الحكومى طلباً

(١) Arnold's Letters. Vol. I. P. 96

(٢) Matheu Arnold. Paul. P. 72

من أدب الرومان :

مذهب الصـــــداقة
عند شيشرون (*)

للأستاذ منصور جاب الله

في أعقاب غزو قيصر لبريطانيا ، ضرب الدهر رجلا من أنبل رجالات روما في ابنته الواحدة ، فعقد الحزن سحابه في بيته ، وجاشت أفكار الرجل محلقة في سماء تسمو على هذه الأرض المليئة بالرزايا ، المشحونة بكل ما هو موجع أليم .

ذلكم هو شيشرون خطيب روما الأعظم الذي مات في نهايات عام ٤٣ قبل الميلاد ، وكانت حياته حجة للعالمين على إدراك جمال الصداقة وما تُوحي به من السعادة الدنيوية ، فلقد كتب شيشرون أجمل وأوقع وأبلغ ما كتب عن الصداقة على وجه الزمان ، وإذ قضت ابنته كانت سنه تتزيّد على الستين وكان قد شهد جميع المنافسات والمنازعات السياسية ، وتذوق لذاذات الحياة جميعاً .

وكان يعرف قيمة المال والثراء والصيت الذائع ولكنه لم يجعل لها الكفة الراجحة في ميزانه ، وكانت الفلسفة التي استمدها من تجاريب حياته إبان المحنة تحتبس في هذه العبارة : « ضع الصداقة فوق كل الاعتبارات الإنسانية » .

وعلى هـذه الفقرة تفرعت كل كتاباته ، فوصف فضائل الصداقة ومنافعها وحاجة كل إنسان إليها ، والأسباب المؤدية إلى فقدانها . ولقن ذلك الأديب الروماني « جايوس ليليوس » .

(*) ولد شيشرون في إيطاليا قبل مولد يوليوس قيصر بأربع سنين ، وتمرس بالمحاماة ، ولما بلغ الخامسة والأربعين انتخب قنصلا وكان أحد حاكمي روما اللذين انتخبا لمدة عام ، ثم صار حاكما لاحدى المقاطعات في آسيا الصغرى . وبعد مصرع قيصر عارض شيشرون مارك أنطوني فصار رجلا ممتازاً . وقبض عليه وهو يحاول الفرار وقتله قاتل مأجور فات بالفأ من العمر الثالثة والستين . وعلق رأس خطيب روما العظيم في إحدى الأسواق العامة ، وكانت زوجة أنطوني تكرهه ، فانتزعت لسانه البليغ من فمه وجعلت تخزه بدبوس ذهبي . وكان شيشرون ذا تأثير قوي في مستمعيه حتى ليستدر دموعهم ويحملهم على الرضوخ لرأيه .

للراحة . فكافأته الحكومة البريطانية جزاء القابه الكثيرة براتب سنوي كبير . وكان في هذا الحين قوي البنية سليم التركيب مما جعله يكثر من الكتابة في المواضيع السياسية التي تشغل أهل عصره . وفي سنة ١٨٨٨ نراه يرحل رحلته الأخيرة إلى ليفربول للقاء ابنته العائدة من أمريكا حيث قضى نحبه بينما كان يعدو للحاق إحدى عربات الترام .

وقد أسف الناس لفقده أسفاً شديداً نظراً لهذه الخاتمة المحزنة التي لم يكن يتوقعها الناس لقوة بنيته وسلامة تركيبه .

فنه :

إن من الصعب علينا أن نتناول في هذه المقالة فن هذا الكاتب العبقري دون أن نلم بالنواحي العديدة التي نبه اسمه فيها ، فقد كان حقاً رجلا جامعاً لجميع فنون الأدب ونواحيه . وللبحث فيه بحثاً مسهباً علينا أن نرسم شخصياته المتعددة ونحللها على ضوء النقد والأدب فنراه كناقد بارع ، وكشاعر رقيق ، وكناثر سلس ، وكسياسي حاذق ، وكفيلسوف ديني شديد الغموض . ولنبدأ في بحثه كناقد أدبي فنرى أثره العظيم في عالم النقد .

نقده :

كان نقده شديد الغموض والاشكال ، وكانت مقالاته في النقد التي ظهرت سنة ١٨٦٥ العامل الأول في ظهور أمره كناقد أدبي وكأديب لم يرتفع اسمه في عالمي الشعر والنثر كما ارتفع في عالمه الثالث . وفي هذا الكتاب نراه يبحث أبحاثاً طريفة أحبها جميع قرائه ، فطالعوها بشغف وإمعان . ومن المسائل الكثيرة التي بحثها في كتابه هذا مشكلة المجمع العلمي وهل من الفائدة في شيء أن تشاد مثل هذه المؤسسة في إنكلترة كما شيدت في فرنسا من قبل . لم يبين وجهة نظره في المسألة بل أخذ النقيضين ودافع عن كل منهما دفاعاً شديداً أخطأه الناس فحسبوه يبحث فيهما بحثاً جدياً خالياً من الفكاهة والدعابة ، وبدأوا ينظرون إليها نظرة الفاحص الخبير ليروا ما يمكن الحصول بواسطتها على نتائج باهرة وفوائد مجدية .

(يتبع) صبري حماد

ولكن ليس من ريب فى أن الفلسفة النبيلة الأصيلة عن الصداقة إنما هى من بنات أفكار شيشرون .

* * *

يتساءل شيشرون عمن يمكن أن يكونوا صُدقاناً وأخلاء . ثم يجيب بأن الصداقة تكون بين الطيبين الأبرار . فإذا أنت استطعت أن تقنع نفسك بأن لك صديقاً ، فأنت قد تحسب نفسك رجلا طيباً أو امرأة طيبة ، وليست الصداقة لهؤلاء الذين ليسوا « طيبين » .

ولكن من هم الطيبون البررة ؟

هنالك مقياس اجتماعى يقيس به شيشرون مقدار « الطيبة » إذ يقول « هؤلاء الذين يعملون ويعيشون ليعطوا برهان الإخلاص والاستقامة والصفاء والكرم ، هم الذين يتحررون من كل الأهواء والمواجد والسَّفه ، وإن لهم قوة خلقية عظيمة » .

ثم كتب عن اصطناع الصاحب ، والأمور التى يُختبر بها الصديق ، والجمال الذى يستحسن فى الصداقة والأمور التى لا بد من عملها لاصطناع الأصدقاء ، فذهب بادئ الرأى إلى أن الصديق هو الفرد الذى لا يحتجن الإنسان من دونه سراً من الأسرار ، ويضع فيه أسباب الثقة ، ويرى ألا يخشى الصديق من الإفضاء لصديقه ببعض الذى يطويه بين جوانحه من سر مكبوت قد يكون كتمانه مما يؤذى ويضر .

كيف يتسنى أن تكون حياة تلك التى يقول عنها (أنيوس) « الحياة تستحق العيش » إذا لم تعتمد على إرادة طيبة متبادلة مع صديق ؟ ماذا يكون أحلى من أن يكون لديك امرؤ تجسر على مناجاته فيما تزوّر به نفسك ، كما تناجى نفسك ؟ » .

ثم يستطرد إلى القول بأن الصديق هو الشخص الذى لا تتملقه مطلقاً .

« فى الصداقة ، ما لم تظهر قلباً خالصاً لا تستطيع أن تكون مخلصاً ولا راضياً بالحب ولا بالمحبوب ، والتملق الذى أتحدث عنه إنما هو كفاح ، وقد لا يقوى على النيل من أحد سوى الذى يتقبله ويغتبط به . وعلى ذلك لا توجد صداقة فيها جانب لا يروم سماع الصدق ، وجانب مستعد للكذب » .

والصديق هو الإنسان الذى يتمثل فيه الإنسان الشفقة والرحمة ويتبادلهما وإياه ، ويحنو القلب على القلب ، وتمتزج النفس بالنفس ، فتنطاد بالقداسة إلى علو السماك ، ويرى شيشرون فى هذا التبادل العاطفى حجر الزاوية فى الصداقة وقاعدتها وركازها .

« ولم يزل الحب أبعد قوة بالتعاطف وبالبرهان على عناية الآخرين بنا ، وبالإلف الشديد نتوثب للحب ، وتتألق المعجزة » .

والصديق هو الشخص الذى نحب سواء استطعنا الحصول عليه أو عجزنا دونه . يقول شيشرون « نحن نعتقد أن الصداقة مرغوبة لا لأننا متأثرون بالأمل فى الربح ، ولكن لأن ربحها الكامل فى الحب ذاته . والحب ليس شيئاً آخر سوى الاحترام العظيم وشعور الميل الذى ألهم هذه العاطفة ، وليس يبحث عنها لأنها حاجة مادية أو بقصد الكسب المادى .

وأكثر الناس لا يعترفون بشىء مهما يكن أثره فى التجربة الإنسانية ما لم يؤد إلى بعض الكسب ، وينظرون إلى أصدقائهم كما لو كانوا ينظرون إلى قطيعهم — أو إلى مصالحهم كما ينبغى أن نقول — وهكذا يخفقون فى الحصول على أجمل شىء : تلك الصداقة الذاتية المرغوبة فى نفسها ولنفسها » .

والصديق هو المرء الذى تسر لنجاحه سروراً حقيقياً .

« كيف يمكن أن يكون سرورك فى أويقات النجاح عظيما إذا لم يكن لديك من يكون حبوره عَدل حبورك ؟ والرزية لا بد أن تكون صعبة الاحتمال ، فبغير الصديق تنوء بالثقل . فالصداقة تضفى بهاء لامعاً على النجاح ، وتختزل من وقع البلية بالمشاطرة فيها »

والصديق هو الشخص الذى تعامله معاملة الندّ فى كل الأحوال ولو كنت تختلف عنه فى نظر الناس .

« وأكبر شىء فى الصداقة أن الأعلى درجة والأحط درجة لا بد أن يقفا موقف المساواة ... ولذا فإن الأخير لا يحزن إذ يفوقه الأول ويبرعه فى الذكاء أو فى الثراء أو فى المنصب ، ولزام عليك أن تبذل إلى صديقك ما قدرت عليه من المعونة .

والصديق هو الشخص الذى لا نشعر من نحوه مطلقاً بشبهة ، ولا نشعر من نحوه باستخفاف .

« التباين والاستخفاف هما تجربتا الصداقة ، وهما ينتجان كثيراً من أسباب الشدة أو الإهانة التى يكون من بعد النظر فى بعض الأحيان تجاهلها ، وفى بعض الأحيان شرح أسبابها ، ثم

احتمالها فى كثير من الأوقات

« هنالك أناس يصيّرون الصداقة كريهة بحسبانهم أنفسهم مستهترين ، وندر ما يحدث هذا — فيما خلا حالة الناس الذين يستأهلون الاستخفاف حقيقة — بيد أنه ينبغى لهم أن يتخلصوا من هذه الأفكار ليس بالكلام وحسب وإنما بالعمل .

« من سجايا الإنسان الطيب الذى يجب أن أسميه أيضاً الإنسان العاقل ، أن يتمسك بهاتين القاعدتين فى الصداقة . الأولى : ألا يدع هناك ادعاء أو نفاقاً ، والثانية : ألا ينبذ الوشايات التى يفضى بها شخص آخر فحسب ، وإنما يجانب هو أيضاً الشبهة والاعتقاد بأن صديقه يجترح خطيئة ما .

« لذلك ينبغى أن تضفى بشاشة أكيدة من الكلام والأخلاق التى تعطى للصداقة نكهة مستساغة »

ولزام أن نعمل عملا شاقاً لخلق الأصدقاء والحفاظ عليهم كما نعمل عملا شاقاً فى أشغالنا .

ولقد اعتاد (شيبيو) أن ينهى شكواه بقوله إننا نألم لكل شئ إلا للصداقة . وإن كل واحد يستطيع الإخبار بما عنده من الغنم والمعز ، ولكنه غير مستطيع الإخبار بعدد أصدقائه ، وذلك لأن الناس يلاقون المشاق فى الحصول على الأولين ، ولكنهم لا يبالون باختيار الأخيرين »

غير أنه قبل أن تشاهد صديقك يجب أن تكون حريصاً عليه « تستطيع أن تحب صاحبك بعد ما تمدحه ، ولكن لا تثن عليه بعد أن تبدأ فى حبه »

ثم ماذا يقول عن أصدقاء المدرسة وعهد الطلب والتلمذة ؟

والقاعدة فى الصداقة أنها تكون بعد استقرار القوة وثباتها فى السن والعقل ، حتى الرجال الذين كانوا يكرسون حياتهم للصيد واللعب لا يحتفظون بأخلائهم فى ذلك الطور إلا لأنهم مغرمون باللعب معهم »

وهب أن الرجل الذى تصاحبه يبدو فى طور لا تستطيع معه أن تعايشه طويلا .

« روابط مثل هذه الصداقة لا بد أن تنحل بارتخاء تدريجى فى التوادّ — والانحلال أولى من التمزق . ولزام أن تتخذ الحيطة لئلا يظهر أن الصداقة لا تطرح جانباً فحسب ، وإنما تنمو مكانها العداوة الصريحة ، ذلك لأنه ليس شئ أشد خزياً من أن تكون فى حرب مع الشخص الذى قضيت معه مرة أويقات ود وصفاء »

ومع كل أخطار الإختيار الأرعن كانت نصيحة شيشرون « داوم على اصطناع أصدقاء جدد » ويتساءل : « هل الأصدقاء الجدد الذين يستحقون الصداقة يكونون مفضلين فى أى الأوقات على الصدقان القدامى ؟ » وهنا يشبّه الصديق القديم بالخمر المعتقة التى تحسن مع الزمن ، « والصداقة القديمة لا بد أن تكون أعظم إسماداً ، على أن الصداقة الحديثة لا تحتقر إذا هى أبدت الأمل فى طلع نضيج ، كالعساليج الخضر التى لا تخفق فى إظهارنا على أوان الحصاد »

أما هؤلاء الذين يظنون أنهم يستطيعون العمل بغير صداقة أو مودة ، أو يقدرون على المسير على طول الطريق اعتماداً على مجرد المعرفة فيقول لهم شيشرون : « إذا كان واضحاً فى بعض أنواع الحيوان أنها تتوق للبحث عن حيوان آخر من فصائلها — وهذا الذى تفعله فى حنين يحاكى إلى درجة ما الحب الإنسانى — فكيف يكون مقدار ذلك من حب الإنسان الذى يحب نفسه ويستعمل أسبابه فى البحث عن شخص آخر تمازج روحه بروحه لتكون روحاً من روحين »

تلك هى فلسفة الصداقة عند شيشرون العظيم ، ويا لها من فلسفة قيمة بالاعتبار فى هذا الزمان الذى هوت فيه الماديات بالمثل العليا حتى ما كادت تبقى على شئ .

* * *

فى متحف اللوفر « لوحة الصداقة » وهى إحدى روائع الفن القديم ، ترى فيها « رُوث » تعتنق حماتها « ناعومى » وتأبى فراقها إذ قضت بذلك الأقدار ، ثم تناجيها بصوت حنان خفيت ، حلو النبرات رقيق : « تالله لا أفارقنك ولا أعودنّ بعدك ، فحيثما تذهبى أذهب ، وحيثما تسكنى أسكن ، فأهلك سيكونون أهلى ، وإلهك سوف يكون إلهى ... »

وتلك صورة مؤثرة تثير الشجون ، وهى خير تعقيب على مذهب الصداقة عند شيشرون العظيم .

(الرمل) منصور جاب الله

ربيع شاعر

للأستاذ مصطفى عبد الرحمن

يا ربيعي ما لأزهارك تذوي قبلما تشهدُ أنوار الحياه
وأرى أوراقك الخضراء تهوي ثم لا تملك نفسي غير آه
أنا روَّيتُك من كاسات خمري
ووهبتُ الزهرَ أنفاسي وعِطري
يا زهري ... ما الذي صوَّح زهري
ورماهُ قاسياً حين رماه
وأنا ما زلت في فجر الحياه

ها هي الأطيار في الروض تغني غير طير ضلَّ عن سرب الطيور
يعرف الدمع الذي قرَّح جفني وأسى نفسي فيأسى للمصير
أنا أحيا في خريف من شقاء
أسرعت أوراقُه نحو الفناء
ولقد هبَّتْ أعاصيرُ الشتاء
ما بقائي أيها القلبُ الكسير
في حياةٍ كل ما فيها مرير

جفت الكأس فما في الكأس ريٌّ يطفئ الغُلَّة أو يشفي الصدور
وتولى الأملُ الحلوُ النديُّ وانطوت في النفس أعلام السرور
وتلاشى حولي عينيَّ الضياء
وتساوى الصبحُ عندي والمساء
نُزْ كما شئت وحطم يا فناء
لا يهاب الموت أو يخشى القبور
قلبي الزاهدُ في طول المسير

عند ما يحملُ إعصار المنون ما تراه من بقايا بدني
ثمَّ تروي ذاك الشعر السنون وتغني بنشيد الفِتَن
فترى الروعة والحسن البديعا
وجمالاً يملأ الدنيا جميعاً
سوف أحيا فيك يا شعري ربيعا
خالداً إيقاعه في كل أذنِ
رائعاً إشراقه في كل عينِ

من وحي العيد

يقظة الشرق

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

إيه يا شرق أي نور جديد لاح في دهمة الليالي السود
لف شم الجبال والسهل والحز ن وهام الربى ورمل البيد
وإذا أنت يفتح النور عينيـ ـك فتصحو على الضياء الوليد
وتمطيت من طويل خمود ومسحت الجفون بعد هجود
وتطلعت في حماك ، حمى الأمجـ ـاد ، ربع العروبة الممدود
عجباً ! أين أين ما وطدوه من صروح شم وملك عتيد
وتلمست يا أبا الصيد فيه أوجه الغر من بنيك الصيد
الميامين من بواقي « المثنى » «والمعنى» في فيلق «ابن الوليد»
تتساق الحتوف دون حماها وتهز السيوف تحت البنود
وإذا أنت لا ترى غير عان وطليح مجرح ، وشهيد
البنون البنون صرعى الزوايا يا لقلب الأبوة المفؤود

***

يا لها الله صرخة منك دوت في شعاب وأغور ونجود
يا لها صرخة أهابت فأحيت عزمات ، وطوحت بقيود
نفخت في بنيك فانطلق العا ني وهب الكابي وحيَّ المودي
وتداعوا من ههنا وهنا وانتظموا تحت بندك المقود
ما تراهم تسايلوا بين عينيـ ـك خفافاً ، من قاحم ونجيد
نفروا نفرة الأبي وقد ضـ ـيم ، وهبوا بعزمه المشدود
بعث الهامدون ، آمنت بالبعث بآيات يومه المشهود
يا بني الشرق ، يمن الله يوماً قمتم فيه من هوان القعود
أنتم الطيبون صيَّابة العُرب حماة الحمى ، بقايا الجدود
هو ذا العيد أقبل اليوم محد وًّا بروح في بردتيه جديد
فيه شيء من اعتزاز قديم عرفته له خوالي العهود
يوم للعُرب مقعد في النجوم الزهر ، يزهو بركنه الموطود
في فؤاد القدس الجريح اهتزاز لكم ، رغم جده المنكود
انثنى مرهفاً على الجرح يشدو ويحيي أفراحكم في العيد
قام يزجي لكم عذارى القوافي راقصات ، موقعات النشيد
قدس الشعر ، إنما الشعر أنات شقي أو أغنيات سعيد

أي شيء أفتقد ؟!

الأستاذ عبد القادر القط

أيُّ إحساس بصدرى يتنزَّى
أى أخلاط بنفسى تضطرب
ومعانٍ أوسعت روحيَ وخزًا
وأمانٍ كالأتونِ الملتهب

ثاوياً يزفُرُ من تحت الدخان
لست أدرى ما الذى يوقد ناره
غير أنى أكتويه كل آن
وأذى كى من دم القلب أواره

لست أدريه ولكنى أحسه
فى سياط من حنين قانيات
ويجنبى مستطار طال حَدْسُه :
أىُّ ماض يشتهيه ؟ ! أىُّ آت !

أى شيء فى حياتى قد فقدته
أى معنى من زمانى أبتغيه
كلما خُيِّل لى أنى وجدته
قَذَفَ التنور بالنيران فيه

كل شيء فى حياتى كالضباب
لست أدرى ما مداه إن قصدته
وطريق ذو دروب وشعاب
يقتضينى كل درب لم سلكته

إن أدرت المجد طافت بى رؤاه
ألف رؤيا يغتلى فيهن ريبى
أو أردت الحب أولتنى دماه
حيرة تغتال ما يزو بقلبى .

ليس مجداً أو غراماً ما أريد
ليت شعرى أى شيء أفتقد
أى شيء ؟ ! كل شيء فى الوجود
آه لو تجمع يوما فأتجد

ظمأ يشوى لهاتى حره
فإذا قاربت ينبوعاً خمد
ونداء من رغابى سحره
كلما ملت إليه لم أجد

ها هنا روح ولكنى ملول
ها هنا راح ولكنى قلق
كل قصر تحته سفح الطلول
كل صبح فيه أسداف الغسق

سأم ينفث فى الكون السأم
ليس يرضى عن مكان أو زمن
ينشد الجدة حتى فى الظلم
ليس يعنيه قبيح أو حسن . .

أى شىء فى حياتى قد فقدته
أى معنى من زمانى أبتغيه
كلما خيل لى أنى وجدته
قذف التنور بالنيران فيه .



غرها فجرها:

كتب الأستاذ الكبير محمود أبو ريه يقول إن أديب الجيل الأستاذ مصطفى صادق الرافعي كان يرى — رحمه الله — أن تكون الرواية — جرها شرك — فى قول مجنون بنى عامر :

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراح
قطاة جرها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

والواقع أن جرها يستقيم معها المعنى وتلائم قول الشاعر ـ فباتت تجاذبه كما تلائم صورة الشبه ؛ والتحريف بعد هذا يتسع لأن تكون غرها وليدة جرَّها . ومع إجلالى لرأى أستاذنا الرافعى أرى أن غرها رواية صحيحة صريحة وأنها أبرع فيما يقصد إليه الشاعر من التشبيه كما أنها تتفق مع الواقع ، لأن المادة جرت أن يوضع فى الشرك ما يغر الطائر من حب وغيره فإذا دنا الطائر من الشرك علق به ، وهذا العلوق يختلف باختلاف موقع الطائر من الشرك . والشاعر هنا يقول إن الذى علق هو الجناح وهنا تنتهى بنا غرها إلى جرها لأن المعنى والتصوير يقتضيان ذلك .

وغرها حينئذ أنسب لما فيها من المعنى الذى يتصل بنفس الشاعر أولا وليكون — الجر — مما يلحظ بالذهن ثانياً . وفى هذا من الحسن ما لا يخفى .

أما عزها فيكفى فى نقضها ما قاله أستاذنا الرافعى طيب الله ثراه .

محمد العزازى
مدرس بمعهد قنا

الى الأستاذ حسن أحمد الخطيب

تحية وسلاما : وبعد فقد قرأت فى العدد ٦٤٥ المؤرخ فى ١٢ نوفمبر ١٩٤٥ من الرسالة الغراء كلمة للأستاذ حسن أحمد الخطيب (من محاسن التشريع الإسلامى) أورد فيها قضية وهى : « أن الربيع بنت النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها ، فطلب أهل الجارية القصاص . فأمر رسول الله به ، فجاء أخو الربيع أنس بن النضر وكان من خاصة الصحابة فقال: يارسول الله ، والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيع ، فقال رسول الله: كتاب الله القصاص . فلم يزل أنس يقول لرسول الله حتى جاء أهل الجارية راضين بدفع الأرش فقضى رسول الله به » .

هذه هى قضية الأستاذ الفاضل التى لم أكد أقرأها حتى استغربت ذكرها كقضية مسلم بها يحسبها الأستاذ حسنة من محاسن التشريع الإسلامى ، إذ أننى أعتقد جازماً بأن هذه القضية مدسوسة فى ثنايا قضايا التشريع وهى عنه جد بعيدة ، إذ ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضع حقاً من حقوق الله ، والقصاص كما هو معلوم من حقوق الله وليس من حقوق العبد حتى يضعه ، وعليه فإن رضاء المعتدى عليه بالأرش أو الدية لا يسقط القصاص عن الجانى .

وقد ذكرتنى هذه القضية قضية أخرى مماثلة لها أوردت بحضرة النظام شيخ المعتزلة ، وهى أن جارية سرقت فأراد الرسول قطعها ، فوضع أهل المسروق حقهم عليها فوضع الرسول القصاص عنها ، غير أن النظام كذبها بشدة ونفى صدور هذا الحكم عن الرسول إذ أن القطع كما قلت من حق الله — الحق العام — وليس من حق المسروق منه .

لذلك جئت بكلمتى هذه راجياً تنبيه الأستاذ الخطيب إلى أن استيفاء الأرش أو الدية ورضاء المجنى عليه لا يسقط حق القصاص .

(بغداد) **حفوفى**

عالم بعضى كلبا !!

كان أحمق من أخذ عن الفارسى أبى على ، وأرواهم لشعر شاعر ، حتى قال له الفارسى يوماً : « ما بقى شىء تحتاج إليه ، ولو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو »

وكان أحسن ما كتب ، وأجدره بالتقدير ، شرح كتاب سيبويه ، إلا أنه غسله ، وذلك أن طالباً نازعه فى مسألة ، فقام مغضباً ، وأخذ هذا الشرح ، وجعله فى إجانة ، وصب عليه الماء ، وجعل يلطم به الحيطان ، ويقول — تعريضاً بالطالب — « لا — والله — لا أجعل أولاد البقالين نحاة . »

وكان مبتلى بقتل الكلاب ، وكسر سوقها .

وكان يحضر درسه من الأكابر وعلية القوم من يقدرون فضله ، ويغضون عن سقطاته ، فاستتم الدرس ذات يوم ، وقال لجود ، فلما هم القوم بالإنصراف استأناهم ، وسألهم أن يمضوا معه على خيولهم ففعلوا ، وهو سائر على قدميه يأبى أن يركب ، فلما بلغوا ما شاء وقف عند إحدى الخرائب ، وأطل من بعض الكوى ، ونظر الجماعة فاذا أستاذهم يواثب كلبا ، والكلب يواثبه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه ، فعاونوه ، وأمسكوا الكلب . فجعل يعض الكلب عضاً شديدا ، والكلب يعوى ويتململ ، فما تركه حتى اشتفى

ثم نظر إلى الجماعة وقال : هذا عضنى بالأمس ، فأردت أن أخالف فيه قول الأول :

شاتمنى كلب بنى مسمع فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له من ذا يعض الكلب إن عضا ؟

هأنذا أعض الكلب إن عض !

ذلك هو على بن عيسى الربعى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ .

كامل السيد شاهين

حول نشر تراث المعرى :

قابلت البيئات الأدبية والفلسفية مشروع — نشر تراث أبى العلاء — مفخرة الفكر العربى — بكل ما يستقبل به العمل الواجب المثمر من حفاوة وتشجيع ؛ فلم يعرف التاريخ الاسلامى شخصية دق حسها وعمق تفكيرها واتسع نطاق ذهنها وغزرت معارفها وكثر محصولها من اللغة : فقهاً ونحواً وصرفاً وعروضاً كتلك العبقرية النادرة ؛ ولكنه ويالأسف قد لعبت أيدى الإهمال بهذا الكنز الثمين الحافل فاستتر عن الأعين بعضه ولم يسلم ما تبقى من عبث التشويه والتحريف مما جعل استثمار هذا الإنتاج عسيراً شاقاً ؛ فما كاد يذاع نبأ جمع هذا التراث وتنظيمه وتنسيقه وتقديمه نقياً من الشوائب حتى استبشرت النفوس وأثلجت الصدور لبعث أبى العلاء — كما يجب أن يكون فى تلك البيئات ؛ وتسابقت الآمال للأخذ من مناهل — الشيخ — وقد طهرت مواردها ، واشرأبت العيون إلى إنقاذ آثار زعماء الفكر العربى . حتى قال الأستاذ — أحمد أمين بك — يجب أن نعرج على — ابن خلدون — بعد تقديم — أبى العلاء — فانتظرنا طلوع فجر ذلك اليوم الذى نحظى فيه بأولى ثمرات هذا الجهد الخصب ؛ واليد التى ستظل أبد الدهر وضاءة ناصعة ؛ وبعد لأى أعلن البشير صدور التعريف بأبى العلاء، فذهبنا نستبق فما وجدنا إليه سبيلا ؛ فعللنا الأنفس بأن لا حاجة ملحة بنا الآن إلى التعريف به ؛ فقد كفانا مؤنة ذلك المحدثون ؛ ولم نلبث طويلا حتى عاد البشير يعلن قدوم — سقط الزند — ويطنب فى جماله وأناقته وإتقانه ؛ فلما حاولنا الحصول عليه امتنع علينا ما ابتغيناه ؛ وحتى هذا الأستاذ الذى يقوم بتدريس الفلسفة فى كلية الآداب يعوزه ما يعوز غيره من مريدى الثقافة العامة . وهذا آخر يدرس الأدب العربى فى أحد معاهد الأدب العالية أضناه البحث ، وقعد به القنوط ؛ فياليت شعرى إذا عز تراث فيلسوف العرب على أستاذ الفلسفة واستحال تراث هذا الاديب الحجة على أستاذ الأدب ، فأى إنسان هان وسهل عليه ذلك الذى بات فوق متناول هؤلاء الأساتذة ؟ أغلب الظن أنه هان وسهل ؛ بل استذل وصغر على تلك المناضد التى يطرح فى زاوية من زواياها غير مكترث به ، ولا منظور إليه ، ألا ليت الأستاذ — أحمد أمين بك — يعلم أن هذا التراث الذى تبذل فى إخراجه الجهود وتنفق الأموال ، قد بات فوق متناول الأساتذة المختصين فضلا عن القارىء العادى الذى يجب أن نمده بكل ما من شأنه أن يسمو بفكره ويغذى عواطفه ويقوى خلقه . ألا ليت الدكتور طه يعلم أن سبيل لمعاهد الأدب إلى — أبى العلاء — ألا ليت وزارة المعارف تعلم أن هذا الانتاج قد غدا لا يعرفه الأساتذة إلا عن طريق التصور والسماع .

محمد عبد الحليم أبو زيد

جائزة ألف جنيه لتيسير الكتابة باللغة العربية

يعلن مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أنه قد خصص جائزة مقدارها ألف جنيه تمنح لأحسن اقتراح فى تيسير الكتابة العربية على ألا يكون لأعضاء المؤتمر الحق فى دخول المسابقة ، وقد تحدد آخر أكتوبر سنة ١٩٤٦ موعداً لقبول المقترحات ، وترسل باسم المجمع بعنوانه شارع قصر العينى رقم ١١٠ بالقاهرة . وسيطبع المجمع كل ما قيل حول تيسير الكتابة فى مؤتمره الذى انعقد سنة ١٩٤٤ ، ويتخذ الوسائل لنشره .

مسابقة فاروق الأول للقصة المصرية

كانت حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى قد تبرعت بجائزتين للقصة المصرية ؛ وقد فرغت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية من الحكم على ما لديها من القصص ، فنالت قصة « لقيطة » للأستاذ محمد عبد الحليم عبدالله جائزة قدرها خمسة وثلاثون جنيها ، ونالت قصة « فى ربيع الحياة» للأستاذ محمد أحمد قمر جائزة قدرها خمسة وعشرون جنيها مصريا

كتاب « أمريكا » لستيفن فنسنت بنيه

إن هذا الكتاب الذى وضعه بالإنجليزية المستر ستيفن فنسنت بنيه ، ونقله إلى العربية الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد ، إنما هو رحلة زمنية فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ، تسلسلت أحداثه منذ أن وطأت أقدام الأوربيين أرض الدنيا الجديدة ، ثم ساير نهضة الوطن الأمريكى من بدء الهجرة العظيمة ، إلى عهد الثورة والإنفصال عن إنجلترا ، وتحدث عن الدستور الأمريكى الأول وما دخله من تعديلات فى عهود مختلفة ، ثم وصف الجمهورية الناشئة وبناتها ، ثم ساق الكلام عن ابراهام لنكولن أحد قادة الحرية فى العصر الحديث ، وأتى بوصف شائق للحرب الأهلية بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية وما أعقبها من سياسة شاملة للانشاء والتعمير ، ويتصل السياق بالكاتب إلى عهد أمريكا التى يعرفها الناس جميعا ، فيجلو صورة فنية رائعة لبلد الصناعة والمال ، وأخيرا يتحدث عن ميثاق الاطلنطى والأمل المنشود فى عالم ما بعد الحرب .

والكتاب نسيج وحده بين الكتب الموضوعة عن أمريكا ، فليس هو كتاب دعاية عمياء تطلع القارئين على تزويقات بلاغية حتى إذا تحسسوها من ناحية الحقيقة لم يجدوها شيئا ، وإنما هو سفر يلخص تاريخ أمة ، ويصور حياة وطن ، ويرسم طريق كفاح . فأمريكا « ليست فردوسا أرضيا ، ولا جنة كجنة عدن ، ولا هى قد بلغت نهاية الكمال ، وقد أخطأت فى الماضى فى إدارة أمورها الداخلية كما أخطأت فى الأمور العالمية . ولكنها مع ذلك تتطلع دائما إلى المستقبل، مستقبل يعيش فيه الرجال والنساء أحراراً ، يتوافر فيه الغذاء والعمل، وتتوافر فيه الطمأنينة والحرية لبنى الإنسان تلك هى الروح التى تسيطر على الكتاب ، وهى وإن كانت لا تنقصها الصراحة الصادقة ، إلا أنها مشربة بالاعتداد بالنفس والثقة بمستقبل الأمة والتفاؤل بمصير الإنسانية

ولا يتناول الكاتب الحديث عن جورج وشنطن دون أن يتملكه — كأمريكى — فيض من الشعور بالزهو والخيلاء بهذا البطل الذى لم يعرفوا كيف يصغرون اسمه تحببا لأن معانى العظمة فيه لم تسمح بمثل هذا التدليل ، فهو لم يقبل الرشوة ، ولم يأخذ أجراً مقابل قيادته الجيش زهاء سبع سنين ، ولم يهن حيال أعدائه وشاطر جنوده الضراء ، وكابد معهم تباريح الجوع وأوصاب المرض ولفحات البرد القاسى .

وإذا جاء دور الدستور الأمريكى ، عرضه الكاتب على القارىء عرضا لبقا ، فاذا هو نصوص لا تحوطها القداسة ، ولا يتناهى عنده حبل الإشتراع ، وإنما هو مواصفات قانونية مرنة تتكيف حسب الأجيال ، وتتبلور وفق أقضية الناس ومشكلاتهم .

وحين يعرض المؤلف مذهب مونرو لا نرى فيه تلك الوثيقة الجافة التى طالما قرأناها فى كتب التاريخ والسياسة ، وإنما نرى فيها صورة حية من صور الحرية الإنسانية ، تلك الحرية التى حفزت ابراهام لنكولن على إلغاء الرقيق وإعلان الحرب على الولايات الجنوبية التى أبت إلا أن يبقى رقيق الأرض على حاله ، وكان أن لقى الرئيس الأمريكى نفسه بعد ما تحقق له النصر أو كاد .

فاذا تركنا الجانب السياسى من الكتاب وتلفتنا إلى الجانب الإجتماعى فيه ، وجدنا المؤلف يتحدث بصراحة محببة عن الأغنياء الأنانيين الذين لا همّ لهم سوى احتجان الأموال واكتنازها ، بيد أنه لا يدع القارىء يمعن فى تخيلاته ، حتى يبدهه بأسماء أولئك الأثرياء الإنسانيين فى بلاد العام سام من أمثال كارنيجى الذى أنفق معظم ثروته ليساعد على إنشاء دور الكتب العامة المجانية ليتيح للفقراء أن يثقفوا أنفسهم ، وروكفلر صاحب المؤسسة العظيمة التى عادت أبحاثها فى الطب والعلم على الناس جميعا بالخير العميم وغيرهما ممن يضيق دون ذكرهم المقام .

ويختم المؤلف كتابه بقوله إن العلم الأمريكى « رمز للحرية ورمز للرجاء ، إنه رمز لحسن الجوار لا للسيادة على الآخرين ، إنه يرمز إلى أن يقرر الناس مصيرهم ويحكموا أنفسهم بأنفسهم ، إنه يرمز إلى أناس يحبون السلام ، فاذا اعتدى على بلادهم هبوا يقاتلون المتدين . إنه رمز لأمة وشعب يؤمنون بالإنسان . ويؤمنون بمستقبل الإنسان ، وبالعالم الحر الذى يستطيع الإنسان أن ينشئه »

وبعد ، فان هذا العرض الموجز لبعض موضوعات هذا الكتيب الأنيق لا يغنى كل الغناء دون قراءته واستيعاب ما فيه من كل شائق وطريف .

منصور جاب الله

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)





العدد ٦٥٠ — الاثنين ١٧ ديسمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ ٥٤٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة إمبابة الوطنية

بنشرة بيع فى القضية المدنية ن ٢٧١٠ سنة ٩٣٣

إنه فى يوم الثلاثاء ٨ يناير سنة ١٩٤٦ الساعة ٨ أفرنكى صباحا بقاعة المزادات لسراى المحكمة الكائنة بشارع السلام بامبابة .

سيباع بالمزاد العلنى منزل كائن بناحية حوض اللبن مركز إمبابة جيزة ملك محمد ابراهيم الشافعى يبلغ مسطحه ٥٢ متر و٦٠ ديسى بالقطعة ن٢ بحوض الخمسين القبلى ن١٠ المحدود بحدود أربع البحرى أبو السعود محمد والشرقى بعضه حارة وفيها الواجهة والباب وبعضه منزل فاطمة محمد والقبلى منزل مصطفى خليفة والغربى القطعة ن ١٥٣ بحوضه ملك محمد وفا بثمن أساسى قدره ١٢ جنيه أثنى عشر جنيها بعد تنقيص الخمس — وفاء لسداد مبلغ ١٥ جنيه و٦٦٠ مليم وذلك بناء على حكم محكمة إمبابة وتنبيه نزع الملكية المعلن بتاريخ أول مارس سنة ٩٣٤ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية ن ١٢٥١ سنة ١٩٣٤ وحكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة فى ٢٢ / ١٠ سنة ٩٣٤ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية فى ٢٤ / ١٠ سنة ٩٣٤ ن١٨١٦ سنة ١٩٣٤

وهذا البيع بناء على طلب نبوية على برعى وشقيقه على البرعى وعباس عبد المجيد دعبس الوارث لوالدته خضرة على البرعى من حوض اللبن مركز إمبابة ومحلهم المختار مكتب حضرة الأستاذ فيكتور جرجس المحامى بامبابة .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين عاليه . كاتب البيوع

إدارة البلديات العامة — تنظيم

يطرح مجلس شبين القناطر البلدى فى المزاد بطريقة المظاريف بيع ٢٥٠ متراً مكعباً من السماد العضوى وقد تحدد ظهر يوم ٥ يناير سنة ١٩٤٦ لفتح العطاءات بديوان المجلس ويجب أن ترفق العطاءات بتأمين ابتدائى قدره ٢ ./. من قيمتها .

٤٦٣٢

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للتعليم الفنى

(التعليم الصناعى)

تعلن الوزارة عن حاجتها لمعلم فى صناعة البناء بالياومة بمدرسة الصناعات المهارية بالعباسية ومقرها مدرسة الهندسة التطبيقية العليا ويشترط للتعيين ما يأتى : —

١ — الإلمام بالقراءة والكتابة والرسم وكذلك بصناعة البناء على اختلاف أنواعها مع مزاولة هذه الصناعة لمدة لا تقل عن عشرة سنوات .

٢ — سيعقد امتحان مسابقة بين المتقدمين بدار المدرسة المذكورة فى ٢٥ ديسمبر ١٩٤٥ فى الساعة الثامنة صباحا فى صناعة البناء والرسم .

٣ — من تتوفر فيه هذه الشروط يمنح أجراً يومياً يتناسب مع كفائته .

٤ — تقدم الطلبات بعنوان حضرة صاحب العزة المراقب العام للتعليم الفنى بوزارة المعارف العمومية فى ميعاد لا يتجاوز يوم ٢٣ / ١٢ / ١٩٤٥ .

٤٦٣٥

13 me Année No. 650

Lundi — 17 — 12 — 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥٠ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ محرم سنة ١٣٦٥ — ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

مؤلف العباسة

بكرم صاحب الجلالة الفاروق

ربما كان صاحب (الأنات الحائرة) مثلا فريداً في تاريخنا الأدبي كله: أبدر قمره وهو هلال يلوح، وأينع ثمره وهو زهر يفوح، واكتمل شعره وهو قصيد ينوح؛ فلم نكد نرى الشاعر وجدانياً رجَّع الأنات على قبر (زين)، ويوقع الذكريات على ضريح (خديجة)، حتى رأيناه روائياً يحتجب وراء الأستار، ثم يقول قول الفلاسفة، ويفعل فعل الآلهة، فيبعث الأموات، ويخلق الأشخاص، ويعيد الأحداث، ويصور الأخلاق، ويمثل العواطف، ويفلسف الحياة، ويرسم البيئة، ويستخلص العبرة! وبين الشعر الوجداني والشعر الدرامي دهر طويل وشوط بعيد لا بد منهما ليستطيع الشاعر أن يخرج عن ذاته، وينقل عن حياة غيره لا عن حياته؛ ولكن شاعر المآسي نضج باكراً من حرارة الحزن، وفاض طاغياً من فوران الحس، وانفجر صارخاً من بُرَحاء الألم. فهو فريد في نزوغه، فريد في نبوغه، فريد في تطور شعره، فريد في استفاضة ذكره، فريد في كل ما يتصل بشاعريته حتى في الإشادة بها والإثابة عليها؛ فقد تفضل صاحب الجلالة الملك فاروقُ أعز الله نصره، وجمل بالآداب والفنون عصره، فأنعم على مؤلف العباسة بالباشوية، وما علمنا قبل عهد الفاروق وبجد عزيز أن رجلا أصبح باشا لأنه شاعر! والذي نعلمه أن الخطباء في عهود الحضارة العربية قد نالوا الإمارة، والكتاب قد بلغوا الوزارة، ولكن الشعراء كانوا كالمغنين والموسيقيين، شيئاً من زينة المُلك وترف الدولة، ينادمون الخليفة ولا يدخلون في بطانته، ويطربون الشعب ولا يحسَبون في قادته. فإذا أصبحنا ننظر إلى الشاعر العربي النابغ نظر الإنجليز إلى شاعر المَلَكية شكسبير [1]، أو إلى شاعر الإمبراطورية كِبْلِنج، فإنما يرجع الفضل في هذا النظر الجديد السديد إلى عطف مليكنا فاروق وفن شاعرنا عزيز!

ليت الشاعر أو الذين رصدوا كوكبه وسايروا هواه من لِداته وثقاته حللوا عوامل هذا النبوغ المفاجئ، وسجلوا أطوار هذا الشعر المحكَم، فإن رجال الأدب يستبعدون أن يولد شاعر بهذا الكمال، ويوجد شعر بهذا الجمال، في صيف عام واحد. والراصد البعيد يرى في الأمر أثراً من فضل الله، وفضل الله يؤتيه من يشاء لحكمة لا يدخل تعليلها في منطق عباده.

يرى الراصد البعيد تلك النفس اللطيفة التي أسبلت على مواهب هذا الشاعر وعواطفه شقيقةً وصديقةً وزوجة، فيذكر أم المؤمنين التي حضنت الرسالة وواست الرسول وناصرت الدعوة. ثم يسمع هذا الشاعرَ المفجوع يهتف بشهر يونية وبما تفجر فيه على قلبه من ينابيعَ بعضها يسيل هادئاً باللذة، وبعضها يهدر صاخباً بالألم، فيذكر شهر رمضان وما تجمع فيه للإسلام من الذكريات الملهمات

(١) قال كرلايل في كتابه الأبطال: « لو خيرنا بين أن نترك شكسبير أو بلاد الهند لقلنا: سواء أحكمنا الهند أم لم نحكمها فلا غنى لنا عن شكسبير؛ فسيجيء يوم يصبح فيه أبناء بريطانيا مبعثرين في الأرض ولا يجدون لهم ملكا يجمعهم غير شكسبير ».

من يوم بدر ، إلى ليلة القدر . ثم يرى هذا الفيض الشعرى الدافق ينبجس فجأة على لسان (المدير) بعد سن الأربعين ، فيذكر الفضل الذى آتاه الله سيد البلغاء محمداً رسوله وهو فى هذه السن فيفجأ أمراء القول ببلاغة تشبه الإلهام لأنه لم يعانها ولم يتكلفها ولم يرتض لها ولم يشتهر بها قبل البعثة .

ذلك ما يراه الراصد البعيد وما يذكره . أما الناقد العليم بأسرار القلوب فيرى أن زوج هذه النفس اللطيفة كان يقول الشعر منذ ثلاثين سنة . كان يقوله حين خالصها الأخاء وهى قريبة ، وحين صافاها المحبة وهى خطيبة ، وحين صادقها الوفاء وهى زوجة ؛ ولكن شعره فى هذا العهد الحبيب الخصيب كان صامتاً لا ينطق به لسان ولا قلم ؛ لأن الشعور السعيد كالماء اللجىّ إذا عمق هدأ ثائره وسكن سطحه . والأليفان إذا لبس كل منهما صاحبه خُيل إليهما أنهما الصورة ، وكل ما على الأرض من شخص وشىء إطار ؛ فالشاعر يشدو بهما ، والمغنى يغنى لهما ، والطبيعة الصادحة والباغمة كلها تعبر عن النظرة الساهمة فى العين الحالمة ، وتفسر اللفظة الهائمة على الشفة الباسمة ؛ فما بهما إذن من حاجة إلى كلام يقاس بالتفاعيل ويحدُّ بالقافية .

كان ذلك والعش الوثير الدافئ ناعم فى ظلال الأمن ، غارق فى صفاء النعيم ؛ فلما لحظته عيون الغِيَر ، وقوضته أيدى شَعوب ، ارفض صبر الشاعر ووهى جَلَد الزوج فجأر بالشكوى وزفر بالأنين ؛ وكان من تلك الزفرات الحارة وهذه الأنات الحائرة مجموعةٌ من الشعر الباكى استوجفت القلوب واستوكفت العيون وإن هش بها الفن وصفق لها الأدب ! وهكذا استطاع الحزن أن يحمل شاعرنا على أن ينوح ، ولم يستطع السرور أن يحمله على أن يغرد .

ثم ضاق وُسعه عن احتمال أساه ، فطفق ينشد العزاء فى مآسى الأزواج الذين تساقوا كؤوس الهوى صافية مترعة ، ثم سعى بينهم الدهر ، وصدع شملهم البين ، فمزج دمعه الدامى بدموع قيس وجعفر ، وبكى ربعه الموحش فى ربوع لبنى والعباسة . فكان شعره الدرامى تعبيراً عن ذاته وتمثيلا لمأساته ، وإن تغيرت الأسماء، وتباينت الصور واختلفت النتائج .

شعر عزيز باشا الذى سمعناه أو قرأناه شعر عالى الطبقة ؛ جرى فيه على سَنَن الفحول من صاغة القريض ، فنضد اللفظ وجود المعنى وراض القافية ، وهى صفات لا تكتسب إلا بسعة الاطلاع وطول المعاناة وقوة الملكة . وإن له فى الديوان الأول قصائد ترفعه إلى المكانة العليا من شعراء العربية . ولكن هذا الشعر كله قد قطّر من فؤاده القريح كما يقطر الدمع من العين أو الدم من الجرح ؛ فهو وليد الأسى وربيب الألم . فليت شعرى أيعتريه الذُّوِىّ إذا ما التأم جرحه واندمل قلبه وجف ينبوعه ، أم يَفْجُرُ الله له ينابيع أخرى تسقيه وتغذيه فيزكو ويتلون ويتنوع ؟ إن الرجل فنان موهوب ما فى ذلك شك . وإن فنه الحزين قد استطاع على قرب عهده بالحداد أن يحلق فوق السحائب الجون فيكشف آفاقاً بعيدة ويخلق معانى جديدة . ولعلك تجد فى العباسة على الأخص مصداق ذلك ، فإن فيها الغزل الرقيق ، والفلسفة الراشدة ، والسياسة الحكيمة ، والصور الاجتماعية ، والنوازع النفسية ، وكل ذلك فى حوار قوى ، وتشويق جاذب ، وتنسيق عجيب ، ومواءمة بين المعنى واللفظ ، وملاءمة بين الموضوع والوزن ؛ ومثل ذلك لا يتسنى إلا لمن ملك ناصية الشعر وقبض على أزمّة البلاغة

لهذا النبوغ الأصيل ، وهذا الشعر الفخم الجليل ، استحق شاعرنا التكريم . ومن تكريم الله إياه أن كرّمه صاحب الجلالة الفاروق بأرفع الرتب فى الدولة . ولهذا الإنعام السامى مغزى خطير وأثر كبير فى نهضة الأدب وحياة أهله : مغزاه الخطير أنه توجيه ملكى كريم إلى ما ينبغى أن يكون عليه أمر الأدب وقدر الأديب فى هذا العهد . وهو تنويه بشأن البلاغة العالية فى الوقت الذى طاولها فيه الأدب الخسيس فطغت السوقية على الصحافة والعامية على المسرح .

وأثره الكبير أنه تشجيع رفيع لعزيز باشا على أن يجرى إلى أبعد الغايات فى شعره ، تحقيقاً لرغبة المليك وقياماً بواجب شكره . وهو تشجيع لكل شاعر على أن يجدد ويجيد التماساً لرضا الفاروق حامى الفن ونصير الأدب .

وفى هذا الإنعام السامى كذلك تكريم للأسرة الأباظية العظيمة على ما أشاعت فى الأمة من خصال الفتوة . وللفتوة العربية عناصر أهمها الشجاعة والفصاحة والسماحة والمروءة ، وهى الخصال الغالبة على زعماء هذه الأسرة مَن سلف منهم ومن خَلَف .

نضر الله بأمثالهم عهد الفاروق ، وجدد بأعمالهم مجد مصر !

احمد حسن الزيات

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٠ —

ج ١٦ ص ١٦٩ :

الصبر أولى بوقار الفتى من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة كان على أيامه بالخيار

قلت : الوقارْ ، بالخيارْ .

* * *

ج ١٩ ص ٦٧ ، ٦٩ :

فلما وقفتَ الخيل ناقعة الصدى على بردى من فوقها الورق النضر
فمن بعد ما أوردتها حومة الوغى وأصدرتها والبيض من علق حمر
علا النهر لما كاثر الغَصَبُ القنا مكاثرة فى كل نحر لها نحر
وقد شرقت أجرافه بدم العدى
إلى أن جرى العاصى[١] وضحضاحه غمر
إذا سار نور الدين فى عزماته فقولا لليل الفجر قد طلع الفجر
مليك سمت شم المنابر باسمه كما قد زهت تيها به الأنجم الزهر

قلت : (فلما وقفت الخيل) وجواب الشرط فى الثانى : (فمن بعد) وقد ربط بالفاء .

(لما كاثر القَصَبَ القنا) .

(وضحضاحه غمر) فى النهاية : مثل الصلوات الخمس كمثل نهر غمر ، الغمر بفتح الغين وسكون الميم : الكثير أى يغمر من دخله ويغطيه . والضحضاح — كما فى التاج — : الماء اليسير يكون فى الغدير وغيره .

(فقولا لليل الإفك قد طلع الفجر) .

(كما زُهِيت تيها به الأنجم الزهر) .

الأبيات من قصيدة لمحمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى فى البطل الخالد العظيم الملك العادل (نور الدين) حين أسر (جوسلين)[١] « وكان أسره من أعظم الفتوح على المسلمين ، فإنه كان شيطاناً عاتياً من شياطين الفرنج ، شديد العداوة للمسلمين ، وكان هو يتقدم على الفرنج فى حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجودة رأيه وشدة عداوته للملة الإسلامية وقسوة قلبه على أهلها وأصيبت النصرانية كافة بأسره ، وعظمت المصيبة عليهم بفقده ، وخلت بلادهم من حاميها وثغورهم من حافظها . وسهل أمرهم على المسلمين بعده . وكان كثير الغدر والمكر ، لا يقف على يمين ، ولا يفى بعهد . طالما صالحه نور الدين وهادنه ، فإذا أمن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر ، فلقيه غدره ، وحاق به مكره ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . فلما أسر تيسر فتح كثير من بلادهم[٢] وقلاعهم ... وكان نور الدين (رحمه الله) إذا فتح حصناً لا يرحل عنه حتى يملأه رجالا وذخائر تكفيه عشر سنين خوفاً من نصرة تتجدد للفرنج ، فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة إلى شيء »[٣] .

وفى هذه الرائقة الرائية :

فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة فبالأفق الداجى إلى ذى السنى فقر
كأنى بهذا العزم لافل حده
وأقصاه ب (الأقصى) وقد قضى الأمر
وقد أصبح (البيت المقدس) طاهراً
وليس سوى جارى الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها
فلا عهدة فى عنق سيف ولا نذر
وصلت ب (معراج النبى) صوارم
مساجدها شَفع وساجدها وتر[٤]

* * *

(١) جاء فى القرح : العاصى نهر بدمشق . قلت : نهر حماة وحمص .

(١) سنة ٥٤٥ .

(٢) صرنا نقول بلادهم . . !

(٣) ابن الأثير رواه كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين . وفى نور الدين يقول ابن منير :

أنت خير الملوك دنيا ودينا عقل الحق ألسن المدعينا

قال صلاح الدين ذات مرة لرجل : كل ما ترى فينا من عدل فمن نور الدين تعلمناه .

(٤) الضميران فى ساجدها ومساجدها يعودان إلى (صوارم) والمعنى مبين متضح .

ج ١١ ص ٤٦ : السيوف القلْمية .

وجاء فى الشرح : القلعية نسبة إلى القلعة وهى ببلاد الهند ينسب إليها الرصاص والسيوف .

قلت : فى القاموس : والقلعة بلد ببلاد الهند ، قيل وإليه ينسب الرصاص والسيوف . وفيه : ومرج القلعة محركة موضع بالبادية إليه تنسب السيوف .

هذا ما ذكره المجد . وقد جاء فى الأساس : وسيف قلعى بفتح اللام عتيق نسب إلى معدن بالقلع وهو جبل بالشام ، قال أوس : (يعلون بالقلع البُصرى هامهم) وهو جمع القلعى كالعرك والعركى[1] والعرب العربى . وجاء فى النهاية . سيوفنا قلعية منسوبة إلى القلعة بفتح القاف واللام وهى موضع بالبادية تنسب السيوف إليه . ونقل اللسان ما قالته النهاية . وجاء فيه : وسيف قلَعى . وذكر مرج القلعة ولم ينسب إليه شيئاً . وقال : القلْعى الرَّصاص الجيد ، والقلْع اسم المعدن الذى ينسب إلى الرصاص الجيد . ولم يذكر (اللسان) السيوف .

* * *

ج ١٧ ص ٢٩٢ : قلت : قصة حُوَيْصة ومحيِّصة ... قال : فيحلف لكم يهودُ . قلت : هذه هى القصة كما رواها الإمام مسلم فى جامعه وقد ضبطت فيها الأسماء :

... عن سهيل بن أبى حَثْمة أنه أخبره عن رجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سهل ومحيِّصة خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم ، فأتى محيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قُتل وطرح فى عين أو فقير[2] . فأتى يهودَ فقال : أنتم والله قتلتموه ، قالوا : والله ما قتلناه ، ثم أقبل حتى قدم على قومه فذكر لهم ذلك ثم أقبل هو وأخوه حُوَيّصة وهو أكبر منه وعبد الرحمن ابن سهل فذهب محيصة ليتكلم ، وهو الذى كان بخيبر ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لمحيصة : كبِّر كبِّر (يريد السن) فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إما أن يدوا صاحبكم وإما أن يؤذنوا بحرب ، فكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم فى ذلك ، فكتبوا إنا والله ما قتلناه . فقال رسول الله لحويصة ومحيصة : أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم ؟ قالوا : لا . قال : فتحلف لكم يهودُ . قالوا : ليسوا بمسلمين[1] . فوداه رسول الله من عنده ، فبعث إليهم رسول الله مئة ناقة حتى أدخلت عليهم الدار ... » .

وقال فى يهود ، وهو من أبيات (الكتاب) :

أولئك أولى من يهودَ بمدحة إذا أنت يوماً قلتَها لم تُؤنبِ

ويهود مثل مجوس قال وهو من أبيات (الكتاب) :

أحارِ ، أريك برقا هب وهنا كنار مجوس تستعر استعارا

بل مجوس ما ليس ليهود . قال الشنتمرى فى هذا البيت : الشاهد فيه ترك صرف مجوس حملا على معنى القبيلة وهو الغالب عليها فى كلامهم ، وصرفها على معنى الحى جائز وليس بالكثير . وقال فى البيتَ الأول، الشاهد فى جعل يهود اسما علماً ، والقول فيه كالقول فى مجوس إلا أن الزيادة فى أوله تمنعه من الصرف[2] أن جعل اسماً للحى .

ومن أبيات (اللسان) :

فرت يهود وأسلمت جيرانها صَمّى لما فعلت يهود صمامِ[3]

وفى بيتى (الشيخ) المشهورين : « ويهود حارت ، والمجوس مضلله » .

* * *

ج ٥ ص ٣٣ : وله (لأحمد بن محمد السهيلى) أشعار ، منها فى شعاع القمر على الماء :

كأنما البدر فوق الماء مطلعاً ونحن بالشط فى لهو وفى طرب

مَلْك رآنا فأهوى للعبور فلم يقدر فمد له جسرٌ من الذهب

قلت : ملك بالتسكين للوزن . المخصص ج ٢ ص ١٣٣ : « مـلك ومالك ومليك ومَلْك والجمع أملاك وملاك وملوك

(١) صياد السمك .

(٢) بئر أو حفرة .

(١) فى رواية فى حديث آخر : فقال : يا رسول الله ، كيف نقبل إيمان قوم كفار

(٢) فى المصباح : ويقال : هم يهود غير منصرف للعلمية ووزن الفعل ويجوز دخول الألف واللام فيقال : اليهود وعلى هذا فلا تمتنع التنوين لأنه نقل عن وزن الفعل إلى باب الأسماء .

(٣) الصحاح : يقال للداهية : صمى صمام مثال قطام وهى الداهية أى زيدى . وفى مجمع الأمثال للميدانى : يقال للداهية والحرب صمام على وزنه قطام وحذام وصمى ابنة الجبل وأصلها الحية . وإنما يقولون صمى صمام وصمى ابنة الجبل إذا أبى الفريقان الصلح ولجوا فى الاختلاف .

وملكاء . والأملوك جماعة الملوك كالأمموز » وفى الصحاح : « وملك وملك مثل نخذ ونخذ كأن الملك مخفف من ملك ، والملك مقصور من مالك » .

* * *

ج ١٦ ص ٢٦٤ : حدثنى من أثق به أن الحريرى لما صنع المقامة الحرامية وتعانى الكتابة فأتقنها وخالط الكتاب أصعد إلى بغداد ، فدخل يوماً إلى ديوان السلطان وهو منغص بذوى الفضل والبلاغة ، محتفل بأهل الكفاية والبراعة ، وقد بلغهم ورود ابن الحريرى إلا أنهم لم يعرفوا فضله ، ولا أشهر بينهم بلاغته ونبله ، فقال له بعض الكتاب : أى شىء تتعانى من صناعة الكتابة حتى نباحثك فيه ، فأخذ بيده قلما وقال : كل ما يتعلق بهذا وأشار إلى القلم ، فقيل له : هذه دعوى عظيمة . فقال : امتحنوا تخبروا ...

وجاء فى الشرح : وتعانى الكتابة : قاساها وعالجها وتناولها . وهو منغص الضمير للديوان أى ممتلىء بهم ضيق عليهم .

قلت : (وعانى الكتابة) (أى شىء تعانى من صناعة الكتابة) و « معاناة الشىء ملابسته ومباشرته » كما قال اللسان . ولم أجد فى كلام أو معجم نعرفه (تعانى يتعانى تعانيا) واليقين أن التمـــانى فى قول أبى الطيب فى طبعة (شرح العكبرى) ج ٢ ص ٤٣٦ :

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتعانى

هو تصحيف أو تطبيع . واللفظة هى (نتفانى) فى (ديوان أبى الطيب) فى النسخة الفائقة التى حققها العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام . وفى (ديوان المتنبى) الذى نشره الشيخ عبد الرحمن البرقوقى (رحمه الله) ورجع فيه إلى شروح كثيرة .

و (أشهر) يقول فيها المصباح : « وأما أشهرته بالألف بمعنى شهرته فغير منقول » والذى نقلوه هو شهره شهراً وشهره تشهيراً واشتهره وهذا لازم ومتعد .

و (منغص) هى (منتص) . فى التاج : ومنزل غاص بالقوم أى ممتلىء يقال : الإنس فى المجلس الغاص لا فى المحفل الخاص واغتص المجلس بأهله كغص .

قلت : أوقن أن صاحب التاج لم يرو (الإنس الخ) بل روى:

(الأنس فى المجلس الخاص لا فى المحفل الغاص) والوارد فى الطبعة هو أنس الدهماء والغوغاء لا أنس صاحب التاج ولا أنس العلماء والعظماء والفضلاء .

* * *

ج ١٦ ص ٣٧ : ... فاعتمدت على القول مجملا لا مفصلا وضربة لا مبوباً فأقول . وجاء فى شرح ضربة : يريد خلطا من ضرب الشىء بالشىء كضربه بالتشديد خلطه .

قلت : قوله ضربة لا مبوباً مثل قوله مجملا لا مفصلا . فى المصباح : وأخذته ضربة واحدة أى دفعة . وفى التاج : والدفعة بالفتح المرة الواحدة . وفى الأساس . وأعطاه ألفا دفعة أى بمرة .

* * *

ج ١٦ ص ٧٩ : ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة داخلتك وسوء اختيارك .

قلت : فى الأساس : وإنه لخبيث الدخلة وعفيف الدخلة وهى باطن أمره . وأنا عالم بدخلة أمرك .

* * *

ج ١٧ ص ١١٣ : . . فرأى الرسول لى غلماناً روقة وفرشاً جميلا .

قلت : فى الأساس : هؤلاء شباب روقة جمع رائق كفاره وفرهة ، وفى اللسان والتاج : والروقة الجميل جداً من الناس وكذلك الاثنان والجميع والتأنيث وقد يجمع على روق . وفى المقامات الحريرية : فلما انتهيت إلى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة ، وشارة مرموقة .

* * *

ج ١٤ ص ١٤٨ : أبو على بن مقلة : كنت أحقد ابن بسام لهجائه إياى

قلت : فى القاموس : حقد عليه كضرب ، وفرح أمسك عداوته فى قلبه وتربص لفرصتها . وفى الأساس : رئيس القوم محسود أو حاسد ، ومحقود أو حاقد .

* * *

ج ١٩ ص ٢٢٧ : ابن قلاقس :

سددوها من القدود رماحاً وانتضوها من الجفون صفاحاً

على هامش النقد :

خان الخليلي

[قصة مصرية]

تأليف الأستاذ نجيب محفوظ

للأستاذ سيد قطب

هذه هي القصة الثالثة للمؤلف الشاب ، سبقتها قصة « رادوبيس » وقصة « كفاح طيبة » وكلتاهما قصتان معجبتان مستلهمتان من التاريخ المصرى القديم .

ولكن هذه القصة الثالثة هي التي تستحق أن تفرد لها صفحة خاصة في سجل الأدب المصرى الحديث ، فهي منتزعة من صميم البيئة المصرية في العصر الحاضر ؛ وهي ترسم في صدق ودقة ، وفي بساطة وعمق ، صورة حية لفترة من فترات التاريخ المعاصر ، فترة الحرب الأخيرة ، بغاراتها ومخاوفها ، وبأفكارها وملابساتها ؛ ولا ينقص من دقة هذه الصورة وعمقها أنها جاءت في القصة إطاراً لحوادثها الرئيسية ، وبيئة عاشت القصة فيها .

ولكن هذا كله ليس هو الذى يقتضي الناقد أن يفرد لهذه القصة صفحة متميزة في كتاب الأدب المصرى الحديث ...

إنما تستحق هذه الصفحة ، لأنها تسجل خطوة حاسمة في طريقنا إلى أدب قوى واضح السمات متميز المعالم ، ذى روح مصرية خالصة من تأثير الشوائب الأجنبية — مع انتفاعه بها — نستطيع أن نقدمه — مع قوميته الخاصة — على المائدة العالمية ؛ فلا يندغم فيها ، ولا يفقد طابعه وعنوانه ، في الوقت الذى يؤدى رسالته الإنسانية ، ويحمل الطابع الإنساني العام ، ويساير نظائره في الآداب الأخرى .

وهذه الظاهرة حديثة العهد في الأدب المصرى المعاصر ، لم تبرز وتتضح إلا في أعمال قليلة من بين الكثرة الغالبة لأعمال الأدباء المصريين . وهي في هذه القصة أشد بروزاً وأكثر وضوحاً. فمن واجب النقد إذن أن يسجل هذه الخطوة ويزكيها .

* * *

وبعد ، فقد كنت أود أن أضع أمام القارئ ملخصاً للقصة يعينه على تتبع السمات الفنية فيها ، ويُشركه معي في تحليل هذه السمات . ولكن القصة بالذات من الأعمال الفنية التي لا سبيل إلى تلخيصها ، وحين تلخص تبدو هيكلا عظمياً خالياً من الملامح والقسمات التي تحدد الشخصية ، وتبرز مواضع الجمال والقبح فيها ... فلا مفر إذن من الحديث العام عن القصة دون الدخول في التفصيلات إلا بمقدار .

ليس في القصة كلها صخب ولا بريق ... إنها خلو من الإلتماعات الذهنية والأفكار الكبيرة . ليس فيها « لافتة » واحدة من اللافتات التي تستوقف النظر . ومحيطها ذاته محيط عادى . وأحداثها وحوادثها مما يقع كل يوم في أوساطنا المصرية العادية . اللهم إلا تلك الغارات الجوية التي روعت بعض المدن في زمن الحرب والتي روعت أسرة « أحمد أفندى عاكف » فأزعجتها عن حي السكاكيني الذى استوطنته زمناً طويلا ، إلى الحي الحسيني وخان الخليلي ، لتكون في منجاة من الغارات ، في حمى ابن بنت رسول الله !

ولقد كان « أحمد عاكف » وهو يحمل عبء الأسرة بمرتبه

يا لهـا حلّة من السقم حالت
واستحالت ولا كفاها كفاحا(١)

صح إذ أذرت العيون دماء ... أنهم أثخنوا القلوب جراحا

وجاء في الشرح : في الديوان يا لها حالة من السلم .

قلت : حالة ومن السقم الرواية الصحيحة وربما كانت حالة حلية والحلية الخلقة والصورة . وحالة ابن قلاقس من الجهة النحوية مثل ليل المتنبي في قوله :

فيا لك ليـلا على أعكش ... أحمّ البلاد خفيّ الصوى(٢)

قال ابن مالك : « وبعد كل ما اقتضى تعجباً ميّز » نخطة تمييز في الدالية المتنبية :

ويُلْمِّها خطة ويُلْمّ قابلها !!!

(١) جاء مثل هذا : (وأى أمر سيء لا فعله) (وأى عبد لك لا ألما) وقيل : شذ ترك التكرار ، وقيل ندر الأفراد مع الماضي المحض ...

(٢) أعكش موضوع معروف ، أحم أسود . الصوى أعلام تبنى على الطريق ليهتدى بها (العكبرى) والبيت من قصيدة يقول فيها :

لتعلم مصر ومن بالعراق ... ومن بالعواصم أنى الفتى
وأنى وفيت وأنى أبيت ... وأنى عتوت على من عتا

الصغير، إذ هو موظف بالبكالوريا فى قلم المحفوظات بوزارة الأشغال . كان قد أغلق قلبه وطوى أحلامه ... لم يفكر فى الزواج ولم يعد يطمح إلى الحب ، أو إلى الشهادة العالية . لقد وقفت أمامه العراقيل العائلية والمادية والعلمية ، فانطوى على نفسه واستراح إلى اليأس بعد الفشل المكرور ؛ وقد ترك هذا الفشل فى نفسه مرارة لا تمحى ، ولوّن شخصيته تلويناً معيناً ، ودس فيها عيوباً شتى . ولكنه وقد عجز عن الطموح جعل العزوف عن المطامح سلوته ، والترفع عن الوسط طابعه وآوى إلى مكتبته وكتبه ، وهى مثله تمثل جيلا مضى ، وتعرض مباحث قديمة لا صلة لها بالحاضر وما فيه ، فزاده هذا بعداً عن الجيل ، وإيغالا فى التاريخ !

وحينما انتهى من تعليم أخيه الصغير تعليما عاليا كان قد ناهز الأربعين . كان قد شاخ ، فأحس أن الأوان قد فات ، وسار فى طريقه يقطع الحياة كالأجير المسخر ، منطويا على نفسه ، وقد أورثه الفشل والعزلة طابع التردد والتخوف والحذر من كل خطوة إيجابية ، فهو يعيش فى داخل نفسه عاجزاً عن تحقيق تصوراته وتجسيم خيالاته .

ولكن القدر الساخر لا يدع الناس يستريحون — ولو راحة اليأس المريرة — إنه يطلع على هذا الكهل — كما يسميه المؤلف — بوجه جميل يلوح له فى النافذة المقابلة . إنه وجه فتاة صغيرة لا تزال طالبة بالمدرسة . إنها تصلح أن تكون ابنته ... ولكن هذا الوجه يبسم له ، فيثير فى نفسه كوامن الشاعر النائمة ، على حين يدركه حذره وتردده ، وخجله من فارق السن السحيق .

وتمضى الأيام وهو فى شغل معقد مقيم بهذا الحادث الجديد الذى يهز كيانه الضعيف هزا عنيفا متواصلا بين الإقدام والإحجام ، ويبدع المؤلف فى تصوير شتى النوازع والاتجاهات فى هذه النفس المعقدة . وفى نفس الفتاة الصغيرة تلك الأنثى المهيأة لحياة البيت والزواج .

وفى اللحظة التى يكاد يقدم فيها على الخطوة الحاسمة فى حياته . وقد تندّى قلبه الجاف ، وترعرعت البذور المطمورة فى أعماقه تحت أكداس اليأس والفشل والتردد ... فى هذه اللحظة الحاسمة يسخر القدر سخريته العابثة فيُطلع له فى الميدان منافسا قويا لا يملك منافسته ، بل لا يملك حتى أن يشفى نفسه منه بالحقد عليه ! إنه أخوه وربيبه « رشدى عاكف » . لقد نقل فى هذا الوقت من فرع بنك مصر فى أسيوط إلى المركز الرئيسى بالقاهرة . وإنه لا يعلم من أمر أخيه الكبير شيئا . إنه شاب جسور مغامر بل مستهتر ، حاد العاطفة لا يعرف التردد ولا الحذر ... إنه الوجه المقابل لصورة أخيه .

وفى اليوم الأول يلمح الوجه الجميل فيستهويه . عندئذ يسلك إلى قلب الفتاة طريقه المباشر فى غير ما حذر ولا تردد ، ويقطع الطريق الطويل الذى أنفق أخوه فى قطعه أشهراً ... فى يوم أو يومين . فيتصل ويصبح حبيبا ومحبوبا ، وفرداً من أسرة الفتاة ... ! وأخوه يتطلع إلى هذا الانقلاب فى دهشة بالغة وفى ألم كسير وفى يأس مرير ، وفى إعجاب كذلك بأخيه الجسور !!!

ويقضى الشاب مع فتاته أويقات حلوة ، يسكران فيها بكأس الحب الروية ، ويقطفان معا أجمل زهرات الحب الجميلة ... وذلك ريثما يضرب القدر ضربته الأخيرة ، فيمرض الشاب المغامر بالسل نتيجة لإفراطه فى الشراب والسهر والمقامرة مع رفاق حى السكاكينى . ولكنه يمضى فى استهتاره ثقة بشبابه ، وخشية أن يعلم الناس بمرضه ، وأن تعلم من الناس خاصة هذه الفتاة !

وفى اللحظة التى يلمس الحب الحقيقى قلبه العابث ، فيملؤه جدا ، ويتوجه إلى اتخاذ خطوة عملية حاسمة تكون الأقدار قد ضربت ضربتها الأخيرة فيستشرى الداء فى الصدر المسلول ، ويذهب الشاب بعد ليلات مريرة من الضنى والعذاب ، وبعد أن تبين أن فتاته الحبيبة تخشى منه العدوى فلا تراه !

ثم تغادر الأسرة الحى فى النهاية ... تغادره وقد فقدت الشاب الصبوح الفتى الجرىء . وقد انطوى قلب عاكف على جرح جديد بل على جرحين فى جرح . والأقدار تسخر سخريتها الدائبة . ودورة الفلك تمضى إلى مداها . كأن لم يكن قط جرح ولا جريح !!!

* * *

حياة هذه الأسرة وجروحها وأحداثها وأحاديثها هى محور القصة ، وقد أدار المؤلف حول هذا المحور حياة أهل القاهرة فى هذه الفترة من فترات الهول أيام الغارات ، فعرض منها لوحات بسيطة صادقة تشبه فى بساطتها وصدقها فطرة هذا الشعب الطيب الفكه المؤمن المستسلم للقدر ، المتأثر بشتى الخرافات والدعايات . ومن بين الصور التى عرضها صورة مقاهى خان الخليلى و« غرزه » أيضا . وقد حوت أشكالا وشخصيات لم تكن لتجتمع إلا فى مثل هذا الحى الغريب حقا ؛ كما رسم صورة مقاهى حى السكاكينى

و«شلل» الشبان فيه ! وسجل أطوار المقامرين ومجالسهم رسماً قويا فى جو مزيج من الجد والدعابة !

ولقد كان هذا الإطار من مكملات الصورة الأصيلة كما كانت الريشة فى يد المؤلف هادئة وئيدة ، فوفق فى إبراز الملامح والقسمات الجزئية ، وساير الحياة مسايرة طبيعية بسيطة عميقة ، منتفعا إلى جانب مهارته الفنية بمباحث التحليل النفسى ، دون أن يطغى تأثره بها على حاسته الفنية الأصيلة . وعاشت فى القصة عدة شخصيات من خلق المؤلف لا تقل أصالة عن نظائرها فى الحياة !

ولكن ليست المهارة الفنية فى التسلسل القصصى ، والبراعة الصادقة فى رسم الشخصيات، والدقة التامة فى تتبع الانفعالات ... ليست هذه السمات وحدها هى التى تعطى القصة كل قيمتها ... إن هناك عنصراً آخر هو الذى يخرج بالقصة من محيطها الضيق ، محيط شخصياتها المعدودة ، وحوادثها المحدودة فى فترة من فترات الزمان ، إلى محيط الإنسانية الواسع ، ويصلها هناك بدورة الفلك وحلبة الأبد ...

إنك لتقرأ القصة ثم تطويها، لتفتح قصة الإنسانية الكبرى ... قصة الإنسانية الضعيفة فى قبضة القدر الجبارة . قصة السخرية الدائبة التى تتناول بها الأقدار تلك الإنسانية المسكينة .

هذه أسرة تفر من هول الغارات وخطر الموت من حى إلى حى . فما تغادر هذا الحى الآمن ! إلا وقد أصابها الموت فى أنضر زهرة وأقوم عود !

وهذا رجل شاخ قلبه ، وانطوى على نفسه ، وآوى إلى يأس مرير ولكنه هادئ ساكن . فما يلبث القدر أن يثير فى قلبه إعصاراً على غير أوان ، ويزيح الركام عن البذور المطمورة فى قلبه الهرم ، ليعود فجأة فيقصف الأعواد التى تنبت فى بطء وحذر يقصفها فى قسوة عابثة ، وبيد من ؟ بيد أحب الناس إليه : شقيقه وربيبه ! ولو قد أمهله بضعة أيام لانتهى إلى الواحة الممرعة بعد طول الجدب فى الصحراء . ولو قد تقدم به أياماً لأعفاه من إضافة تجربة فاشلة إلى تجاربه المريرة !

وهذا شاب مستهتر عابث ، ما يكاد الحب يقومه ، ويبعث فيه الجد والمبالاة حتى يخطفه الموت ، الذى لم يخطفه أيام العبث والاستهتار !

والأرض تدور ، والزمن يمضى ، والناس يقطعون الطريق المجهول كأن لم يكن شىء مما كان : رفاق الشباب فى قهوتهم يقامرون ويعربدون ، وأصحاب الرجل فى « غرزتهم » يدخنون أو فى قهوتهم يتندرون . والقدر الساخر من وراء الجميع لا يبدو عليه حتى مظهر الجد فى سخريته المريرة . والمؤلف نفسه لا يكاد يلتفت إلى الدائرة الوسيعة التى تنتهى إليها قصته لأنه يلقى انتباهه كله إلى إدارة الحوادث ورسم الشخصيات ! ! !

* * *

ولعل من الحق حين أتحدث عن قصة « خان الخليلى » أن أقول : إنها لم تنبت فجأة ، فقد سبقتها قصة مماثلة ، تصور حياة أسرة وتجعل حياة المجتمع فى فترة حرب إطاراً للصورة ... تلك هى قصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم .

ولكن من الحق أيضا أن أقرر أن الملامح المصرية الخالصة فى « خان الخليلى » أوضح وأقوى ، ففى « عودة الروح » ظلال فرنسية شتى . وألمع ما فى عودة الروح هو الالتماعات الذهنية والقضايا الفكرية بجانب استعراضاتها الواقعية ؛ أما « خان الخليلى » ؛ فأفضل ما فيها هو بساطة الحياة ، وواقعية العرض ، ودقة التحليل .

وقد نجت « خان الخليلى » من الإستطرادات الطويلة فى : « عودة الروح » . فكل نقط الدائرة فيها مشدودة برباط وثيق إلى محورها .

وكل رجائى ألا تكون هذه الكلمات مثيرة لغرور المؤلف الشاب ، فما يزال أمامه الكثير لتركيز شخصيته والإهتداء إلى خصائصه ، واتخاذ أسلوب فنى معين توسم به أعماله ، وطابع ذاتى خاص تعرف به طريقته ، وفلسفة حياة كذلك تؤثر فى اتجاهه .

وبعض هذه الخصائص قد أخذ فى البروز والوضوح فى قصصه السابقة وفى هذه القصة ؛ وهى الدقة والصبر فى رسم الخوالج والمشاعر وتسجيل الإنفعالات المتوالية ، والبساطة والوضوح فى رسم صورة لحياة أبطاله .

والبقية تأتى إن شاء الله !

سيد قطب

العقل المؤمن !

أو الدين من طريق الفكر

٢ – المستقر العقلي لعقيدة التوحيد

[شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم...]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

شغلني شاغل الموت ! موت أمي ، تغمدها الله برحمته ، عن الرد على مقال الصديق الأستاذ سيد قطب المنشور بالعدد ٦٤٥ من (الرسالة) ، وقد أعاد به الحديث في قضيتي « العقيدة والتصوير الفني في القرآن » ، بعد أن انقطع الجدل بيننا قرابة ثلاثة أشهر بسبب مرضه عافاه الله .

وكتب الأخ الأستاذ علي الطنطاوي في العدد ٦٤٨ منتصراً لرأي الأستاذ سيد وأسند العقيدة للقلب لا للعقل ، فلم يكن لي بد أن أعجل بالرد على الصديقين ، برغم ضيق النفس والظروف بشواغل الموت والحزن ، وأن أتحدث إليهما في هذا الشأن الخطير في عصر الظمأ الروحي والبحث عن ينابيع لشفاء النفوس من غليله .

وقبل البدء أود أن أنبههما – كما نبهت سابقاً – إلى أن حديثي في عقيدة « التوحيد » بوجه خاص ، وليس في غيرها من شعب العقيدة الدينية . وقد رأيت أن القرآن جادل عنها وأثبتها بضروب الأدلة العقلية التي يكون الفكر فيها هو الأداة الأصيلة ، وطالب مخالفيه بالبرهان . أما الأستاذ سيد فيرى أن القرآن أثبتها عن طريق الوجدان بلا جدل ذهني ، فيأخذ المؤمن ما أتى به في إجمال ويستريح بدون مناقشة على طريقة الذهن المعهودة ، ولم يفرق الأستاذ بين « التوحيد » وغيره من عقائد الإسلام في طرق دخولها إلى النفس ، وقال إن العقيدة تثبت بأطرافها أو تسقط بأطرافها ، وأنها أكبر من الذهن ، ولا بد فيها من المجهول ، وإلا استحالت رأياً .

وأنا لم أجادله في العقيدة على إطلاقها في الإسلام ولا في الأديان الأخرى ، وإنما جادلته ولا أزال في عقيدة « وحدانية الله » ، وطريقة القرآن الذي يعتمد في إثباتها على المعلوم وحده وينأى عن « المجهول » ، لأنها أساس الدين ، فلا يصح أن يكون الأساس غير واضح وضوحاً يحمل العقل على الشهادة : « بأشهد أن لا إله إلا الله »

والآن ، أحاول مرة أخرى أن أبين أن القضية كما ورد بها القرآن ليست قضية تعتمد على « المجهول » والرهبة منه والتوهم فيه ، وإنما تعتمد على « المعلوم » الثابت بالحس والبداهة والمحاكمة الفكرية بجميع قوى الفكر من الاستقراء والتذكر والتدبر والتمييز والضبط والحكم .

وليست كذلك تعتمد في مبدئها على « السماع » بطريق « الوحي » من عالم آخر ، وإنما تعتمد على الإدراك بالقوى الفكرية الطبيعية في كل فرد صحيح التفكير ، عالم بالكون ، سليم الطبع ، موزون القوى ، وعلى التفاعل الفكري بينه وبين هذا الكون الكبير العظيم ذي الطلعة الأخاذة الجبارة ، والقوى الموزونة الدقيقة المتناسقة المنسجمة ، ثم ينزل الوحي الإلهي مما وراء الطبيعة فيؤيدها ويذكرها ، ويبين ما يلتبس على العامة فيها .

وليست كذلك تعتمد على الجانب « المائع » المتموج المتقلب في الطبع الإنساني ، وهو جانب الانفعال الوجداني بالإثارات الفنية والأجواء الغامضة المسحورة ، والشطحات والخطفات ، وجنون الأرواح بالأسرار ، وانسلاخ القوى ، وتجسيم الخيال ، والاستغراق والهيام في أودية التهاويل والرموز ، وغير أولئك مما تعتمد عليه الوثنيات التي لا ترى الكون ورب الكون بذلك الوضوح الذي يراهما به الفكر السلم العالم ، وإنما تراهما مبهمين مختلطين غير منفصلين ، فلا يستقيم لها منطق إنساني ولا منطق إلهي ، وإنما تلتبس عليها وجوه الكون وتختلط وتتداخل ، فلا ترى الطريق القصير المستقيم إلى الله الواحد لتشهد به شهادة إثبات ويقين جازم يقظ مستنير راسخ في إصرار لا يتزعزع ولا يرتد ، وإنما يأخذها وجدانها إلى التقليد المبهم ، حيث الإثارات الفنية والأضواء والأصداء ونداءات المجهول الهائل الغامض المخيف ، فتنبض قلوبها ولو في بيوت الأوثان ، ذلك النبض الذي يخلع على الأصنام الأوهام والتخييل ، فترقص أشباحها في عيون عابديها ، وتنطق أصواتها في قلوبهم ، ويحبونها كحب الله إن كانوا يعترفون به معها ، أو يخصونها بالعبادة دونه ، ويحيطونها بفلسفات وغرقات

وكهانات ، ويتحرك لها وجدانهم ، ويشمرون نحوها بتبتل ورهبة ، ويؤثرونها على الله ، ويزعمون أنها الحق ، والوحدانية فرية واختلاق وعجب من العجب ... « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عُجاب ! » ؛ « إنْ هذا إلا اختلاق » ؛ « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » ؛ « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » ، « ويجعلون لله ما يكرهون » ؛ « فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم » ، بل يصل بهم الحال أن يقاتلوا في سبيلها فيَقتُلوا ويُقتَلوا وهم يقولون لصنمهم الأكبر « أعْلُ هُبَل ! »

فلو كان « الوجدان » هو مناط الإيمان وطريقه بدون محاكمة عقلية واعتماد على استقراء حقائق الكون في سبيل الاهتداء إلى التوحيد والإلهية ، فما هو إذاً الفرق بين وجدان الوثني ووجدان الموحد ، وبين إيمان هذا بالله ، وإيمان ذاك بآلهته وأصنامه ؟ إن الوثني مؤمن بآلهته بحرارة وجدانية ، ويقاتل عنها بإخلاص ، والموحد كذلك مؤمن بالله ويقاتل في سبيله . فأيهما على حق ، وأيهما على باطل ، إذا كان الاتجاه في الإيمان إلى « المجهول » . وإذا لم يكن التحاكم العقلي الاستقرائي إلى الكون هو الميزان والفيصل ؟ وما هي أدوات ذلك التحاكم العقلي غير القوى التي يوجب القرآن وعلم النفس الحديث استعمالها كالاستقراء أو الاستعراض والاستنباط والتذكر والتدبر والتفكر والتمييز والحكم ؟ تلك القوى الهادئة الفاصلة المضيئة التي تضيء للروح طريقها إلى الحق ؟

وهل بأحد حاجة إلى أن أنبه إلى أن كثيراً جداً من آيات القرآن تحض على التذكر والتدبر والتفكر والاستقراء والفهم والتمييز واستعمال الحكم ؟ وهل يحض القرآن على التهدّي بقوى الفكر إلا وهي أسلحته وموازينه ؟ وهل يسكن قلب امرئٍ ممن يعتد بهم ووجدانه عقيدة أساسية إلا بعد أن تمر على عقله ويقتنع بها ؟

إن أصحاب محمد حينما تركوا عقائدهم وعقائد آبائهم الوثنية واتبعوا الوحدانية معه ، وتحملوا من أجل الإيمان بالله وحده ألواناً قاسية من الاضطهاد والعذاب ، لم يكونوا أطفالا ، وإنما كانوا مفكرين ارتضوا الوحدانية على الوثنية بعد أن أيقظ قوى أفكارهم موقظهم العظيم ، فوازنوا بين الدينين ، وحكموا واختاروا وتحملوا التبعات .

ثم ما هي حجة الله في مؤاخذة الشرك حين قال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به » ما دام ذلك الشرك يجد في قلبه وعواطفه وهواه ميلا لعبادة الشركاء والأصنام تماماً ، كما يجد الموحد هواه وعواطفه في عبادة الله ؟

وكيف يهدد الله محمداً رسوله بإحباط عمله وتعذيبه لو فتن ومال في قوله : « ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليَحبَطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين » ؛ وفي قوله : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا . إذاً لأذقناك ضِعف الحياة وضِعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا وكيلا » ؛ أليس ذلك لأن الموقف الفكري هنا في عقيدة التوحيد موقف واضح حاد صارم ! لا يحتمل الشبهة ولا الميل يسرة أو يمنة ، لأنه إزاء قضية الكون كله وأعظم شئونه ؟

فهو حقيق أن يقول القرآن فيه : « ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ! »

يا للإهدار والإهوان والتحقير والتضييع والتحطيم ! يا لغضب الملك الحليم الجبار الرحيم على من لم ير تفرده بعرشه العظيم !

فهل كانت هذه الغضبة الإلهية إلا لأن المشرك ضيع الميزان الدقيق الهادئ الحر الذي وضعه الله بين قوى فكره ، ولأنه سار وراء الانفعالات التي لا تستند إلى نقط ارتكاز واضحة ؟

وقد قلت في مقال سابق : إن كان الأستاذ سيد يريد من الوجدان تلك القوة التي تعتمد على البداهة والحقائق الخالدة والإدراك الكلي ومدركات الحس ، فهو بعينه القوة التي يطلق عليها القرآن العقل والفكر . والخلاف حينئذ يكون بيننا على الاسم ، والأولى أن نستعمل ما استعمله القرآن ، وأن نعدل في هذا المقام عن التفريق بين المنطقين ، وعن استعمال « الوجدان » الذي قد خصصته الاستعمالات الحديثة بمنطقة الانفعالات للإثارات الفنية كالموسيقى والخطابيات والشعر والمشاهد الرائعة والأصداء والأضواء والنسمات الشذية وغيرها مما يثير عالم القلوب تلك الثورات المبهمة الطليقة .

وإن كان يريد به ما يسمى الآن « الضمير » ، وهو تلك الاستجابة الطبيعية للجمال والخير بدون تعليل ، والنفرة من الشر والقبح بدون تعليل كذلك إلا لأن الطبع هكذا ، فذلك ليس حديثه هنا وإنما فى مجال الأخلاق والسلوك . ونحن هنا إزاء قضية التوحيد ، تلك القضية الفكرية التى تأتى فى مرتبة تالية بعد إثبات وجود الخالق المدبر بالبداهة والفطرة التى من طبيعتها أنها لا ترى حدوث كائن ما بدون سبب ، ثم يتساءل الفكر : هل هذا الخالق المدبر متعدد أو متوحد ؟ ثم يصل إلى « التوحيد » ويوقن به بعد الاستقراء والتتبع « لمعلومات » الكون وإدراك ما فيه من وحدة التصرف وتوازن القوى المادية العارمة المجنونة العمياء والالتئام والتناسق الدائم بينها « فارجع البصر هل ترى من فطور ؟ » ؛ « أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .

ويستلزم الأمر أيضاً أدوات من المعرفة بطبائع التعدد فى الأيدى المتصرفة ، وبالتجارب الأزلية النفسية والاجتماعية بين الأمثال والأشباه من الرؤساء ، وباستعراض مقالات الأديان الوثنية والمعددة للآلهة وما حولها من الأساطير وأحاديث الصغارات والطفولات فى الحلوم والتصرفات ، والمعارك الدائمة بين آلهة الخير وآلهة الشر ، وتفاوت القوى والمواهب بينهم جميعاً ، وانتهاء آفاقهم جميعاً إلى أكبرهم يخضعون له ويستمدون منه ولا يستطيعون منه مهرباً ، كما كان الحال مع آلهة اليونان والرومان ، إذ ينتهون إلى (ذيوس) و(جوبتير) ؛ وكما قال القرآن بتلك الحجة العقلية الدامغة : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا » ؛ « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .

إن « الوجدان » بمعناه الاصطلاحى الذى شرحناه لا يفصل فى هذا المعترك الزاخر ، لأنه منطقة التبتل والخشوع والاستسلام للإله الواحد أو الآلهة المتعددة بعد انتهاء المعارك الفكرية حولها .

وهو يعمر قلوب جميع المتدينين موحدين ومعددين ووثنيين ، فكلهم يبكون ويخشعون فى معابدهم وفى حالات هيامهم الروحى . هؤلاء يتوجهون لمعبوداتهم المتعددة ، وأولئك لمعبودهم الواحد ... فما الذى يجعل القرآن يقول عن المؤمنين بالله : « أولئك حزب الله » ، وعن الآخرين : « أولئك حزب الشيطان » ، لولا أن منطقة العقل الوزان هى المحكمة وهى المسئولة ؟

إننى قلت : إن جدل القرآن فى مسألة التوحيد جدل عقلى إثباتى بالبراهين الاستقرائية والتطبيقية والعملية والتاريخية ، فساق براهينه وطالب مخالفيه بمثلها : « قل هاتوا برهانكم » ؛ « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » ؛ « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ما ذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك فى السموات ، إيتونى بكتاب من قبل هذا ، أو أثارة من علم » .

وقد بينت ما تنطوى عليه آيات التوحيد فى سورة الأنبياء من ضروب الأدلة العقلية جميعها بما لا يدع مجالا للشك فى أن القرآن جادل عن التوحيد خاصة جدلا ذهنياً عقلياً ، ولكن بأسلوبه الأدبى الفنى المتفرد الذى يحرك الوجدان أيضاً بجماله بجانب الحركة العقلية بحججه . ولكن الأستاذ سنيديقول : إنه لا يزال عند رأيه فى أن هذه الآيات ساقها القرآن مجملة يأخذ منها المؤمن ما يأخذ بدون مناقشة ، لأنها لا تحتمل المناقشة الذهنية على طريقة الذهن المعروفة.

ويكرر الأستاذ اعتراضه بقوله : ما بال كثرة المؤمنين من الجماهير تؤمن بدون حاجة إلى من يفلسف لها العقيدة لو كان الأمر فى العقيدة يحتاج إلى التفكير الذهنى . أو لا يعلم الأستاذ أن الجماهير تسير وراء تقاليد بيئتها بدون تفكير فى أغلب الشئون ؟ فإن كانت البيئة وثنية ، فهى معها ، وإن كانت موحدة ، فهى معها ، فلا يعتد القرآن بها ، ولا يحتج بسلوكها وشهادتها ، وإنما بشهادة أولى العلم : « شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم » ؛ « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » ؛ « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

وقد نبهت فى مناسبات شتى إلى ما فى القرآن من تفرد بأنه يقف العقل البشرى عند حدوده ، ولم يكلفه أن يسبح فى غير عالمه ، ولم يتحدث عن « الله » إلا للتعريف بصفاته وصنعه فى الطبيعة التى هى مدرسة العقل ومدرجه وأداة تكوينه ومآخذ أحكامه . ولم يعبر عنه إلا بـ « الذى » خلق ، « الذى » رفع السموات « الذى » له ما فى السموات وما فى الأرض ... هكذا بالاسم الموصول المبهم بنفسه الموضح بصلته ، وصلته دائماً من «معلومات» الفكر و«بداهاته» و«مدركاته» الحسية والمعنوية... ولم يتحدث عن كنه الله إلا مرة واحدة على سبيل التمثيل ،

وهي « الله نور السموات والأرض » ، ولكنه ليس تحديداً لكُنه الذات العليا ، ولكنه تقريب وتمثيل : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح في زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب درى » ؛ فالنفس تأخذ من هذا التمثيل أن الله هدى وجمال ولطف وإشراق غير محدود .

ووصف القرآن لله وصف منتزع من الطبيعة : كتاب الله الصامت ، فما أثبته كلام الله الناطق له هو بعينه ما أثبتته الطبيعة كتابه الصامت ، فلو لم يكن القرآن كتاب دين موحى به ، لكان كتاب مذهب عقلي يصف « الذى » خلق هذا الكون بعد أن استقرأ أعمال يده وعلمه وقدرته في كل كائن من كائناتها. فهو « الخالق البارئ المصور » : لأن أعمال الخلق والبرء والتصوير في الطبيعة تشهد بذلك ؛ وهو « الرحمن الرحيم » : لأن يده دائماً مع الضعف والعجز بين جبروت الواد والقوى العمياء ، حامية حافظة لطيفة رفيقة ؛ وهو « الملك » : لأننا لم نجد لغيره شركاً في السموات والأرض ، ولا قطميراً ولا نقيراً ... وهو « القدوس » : لأنه الكمال المطلق والوجود الكامل المنزه ، الذى يجده العقل وراء ما يراه في الكون من نقص ؛ وهو « السلام » : لأنه لم يجعل العالم جحيما ودماراً وآلاماً وقلقلة واضطراباً وصداماً لا يسمح باستقرار الحياة ، ولا باستقرار نظام الأجرام السماوية والأوضاع الأرضية ، وهو أمان الخائف اللائذ الهارب من الشرور والقبح والآثام . وهو « المؤمن » : لأنه مُصر ثابت على اتجاهه بالكون إلى غايات واحدة أزلية هو أعلم بها ، لم يجعل الشر خيراً ، ولا الخير شراً ، ولم يقلب موازينهما ، فالحياة والجمال والخير والرحمة والعلم من حقائق الكون العليا الخالدة ، وسننه التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا ، فالله مؤمن بها ؛ وهو « المنعم » : لأن ما فاض منه على الكون من بدئه للآن من فيوض النعم المتوالية والجمال والخير شيء عظيم ! وهو « شهيد حفيظ » : لأنه مع كل صغيرة وكبيرة في الكون لا يضل ولا ينسى ؛ وهو « جبار قهار » : لأنه يسوق الكون الأعظم الهائل بعصاه ، ويمسكه في قبضته ؛ وهو « حليم ستار غفور » : لأنه يتيح الفرص للخارجين على الحق والصلاح أن يرجعوا ، ويمهل ويملى ويعفو عن كثير من نقائص الطبع البشرى ... إلى آخر الصفات الحسنى التي ينتزعها الفكر من الكون ، ويترجمها بألفاظ تكون نتيجة لذلك التفاعل الخفي بين الطبع البشرى مع جمال الكون العبقرى وجلال طلعته الأخاذة !

فهل ترى القرآن أتى بشيء عن الله خرج عن حدود الطبيعة لم يثبته العقل ؟

إن الفكر البشرى فرض « الأثير » ، وحدده بآثاره وأثبته بخواصه ، مع أنه لا يُرى ولا يحد ، وسلم له العلم بإثبات هذه الصفات ، وكذلك يفعل الفكر في إثبات صفات بارئ الكون ، كما تتجلى في الطبيعة ، فينبغي أن يسلم له العلم بذلك ، بدون حاجة إلى إدراك كنه ذات الله ، ولا كيف تتعلق صفاته بها ..

***

ذلك أمر بمكان عظيم من الاعتبار ، ينبغي أن يفهمه المسلمون غاية الفهم ، ويقوموا له بحقه من الإذاعة به ، حتى يعلم العقليون والعلماء — وهم قادة الإنسانية في الأمم الحية — أن القرآن كتابهم ، وطريقته في الاهتداء إلى الله علمية في موضوعها وفي نتائجها وفي غايتها ، فلا يسلكوه مع غيره ، ولا يأخذوا عقائده مغمضين ، لأنه هو ينهى عن ذلك : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولا » ؛ « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُماً وعمياناً » أترانى أبنت عما يملأ نفسى في هذه المسألة للصديقين ؟

هذا ، وإن في النفس لبقية حديث

عبد المنعم خلاف

بمناسبة ذكرى الهجرة النبوية :

تعميم الثقافة الإسلامية

للأستاذ علي الطنطاوي

أحسب أن هذا الفصل لن يجوز إلى مصر ويكون في أيدي القراء إلا بُعَيْد اليوم الذي يتخذه المسلمون عيداً ، يذكرون فيه هجرة سيدهم وسيد العالم محمد صلى الله عليه وسلم ويذيعون فيه سيرته وشمائله ، وتروج فيه سوق المباحث الإسلامية ، وتجرى بها أقلام الكتاب ، وتمتلئ بها صحف المجلات ، ولن أعود فيه إلى حديث كتاب الدين الإسلامي الذي طالما تكلمت فيه في الرسالة وأفَضْت ، وبدأت وأعدت (انظر أعدادها ٣١٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦) فكنت كنافخ في غير ضَرَم ، وصارخ في وادٍ ، وإن الصارخ في الوادي ليسمع رَجْع الصوت ، ونافخ الرماد ينثر الغبار ، ومقالاتي لم تحرك من هؤلاء (العلماء ...) ساكناً ، ولم ترجع لها الأيام صدى ، مع أن المقبرة ... تردّ الصدى على من يصرخ بين القبور !

ولكني متكلم اليوم في تعميم الثقافة الإسلامية ، تعميماً يعرف به الناس (أعني المسلمين) دينهم ، ولا يكون مسلماً حقاً من لم يعرف دينه ، ومن يكتفي من الصلة به بأن أبويه كانا مسلمين ، وأن اسمه محمد أو علي لا جورج ولا طنّوس ... ولا يكونه أبداً إلا إذا عرف حقيقة الإسلام وألمّ بعلومه ، وعلم الحلال من الحرام ، ولا يكون ذلك إلا في المدارس والمساجد ، فالمدارس للناشئة والمساجد للعامة ، وكلاهما اليوم في قصور عن هذه الغاية بيّن :

أما المساجد فليس تخلو من أثارة علم ، هي بقية من ذلك الفيض العظيم ، كالذي يبقى في الوادي من ماء السيل ، ليس فيه عوضٌ منه ولكنْ فيه دليلٌ عليه . ولقد غبر دهر كانت فيه المساجد بمثابة جامعات اليوم تدرَّس فيها كل معضلة ، ويقرأ كل علم حتى الطب . لا أمثّل على ذلك بمساجد الكوفة والبصرة قديماً ، وبغداد والفسطاط ، فذلك شيء مستعلن خبره متواتر مشهور ، ولكن أمثل بما كان يرى من حلقات العلم ، من قريب ، في مسجد دمشق ومساجد القاهرة وبغداد وما يُرى اليوم في النجف من حلق كثيرة يدرس فيها مذهب القوم ، وتقرأ فيها العلوم على الطريقة التي يرتضيها لأنفسهم علماء تلك الديار ومتعلموها ، فلم يبق من ذلك (حاشا النجف والأزهر) إلا حلقات قليلة ، ومجالسُ وعظ ، كثيراً ما يتولاها غير أربابها ، ويتصدّر فيها من لم يكن يطمع في الجلوس في حواشيها ، يُأتى فيها ما يجتمع على إنكاره الدين والعقل والذوق ، من التحريف والتخريف والباطل الموضوع والسخيف الواهي ، ولقد كان تدريس (القبة) في جامع دمشق لأكبر علمائها ، وآخر من تولاه البدر الحسني رضي الله عنه ، فصار اليوم لكل ذي عمامة مكوّرة ، ولحية مدوّرة ، وصوت يصك الآذان !

وكذلك اختفت من المساجد حلَق العلم الحق ، وتوافرت فيها مجالس الوعظ الباطل ، والقصص الموضوع ، ولدينا عدد عديد من العلماء الذين نصبتهم الحكومة مدرسين للعامة ، فلبثوا في بيوتهم ما يراهم من أحد ، اللهم إلا (أمين الصندوق) أول يوم من الشهر والحاكون ذوو السلطان في كل عيد مهنئين ، وكل سفر مودعين ، وكل قدوم مُسلّمين ، وعندما تشغر (وظيفة) ليقاتلوا عليها ، ويحاربوا دونها ...

* * *

أما المدارس فحديثها أطول ، والبلاء بها أشد ، وهي على ضروب :

فضَرب منها لأناس ليسوا منا ، ولا لسانهم بلساننا ، ولا دينهم من ديننا ، قدموا علينا أرضنا ، وأخذوا أبناءنا ، ليخرجوهم أعداء لنا ، ويجعلوا منهم أداة من أدوات (التمدين) التي رأينا أشكالا منها مؤذية وألواناً ... منها العازارية والفرنسسكان والفرير واللاييك والأميركان ، وواضح لا يحتاج إلى إيضاح أن هذه المدارس لا تدرس الفقه ولا الحديث ولا تعنى بعلوم اللسان . وأنها أنشئت لغير هذا ، وما كتمت منهجها ولا أخفته ، ولا خدعت الناس عنه ، ومع ذلك نجد تجاراً مسلمين ، بل وعلماء يدعون أنهم الهادون المهديون ، الصالحون المصلحون ، قد أرسلوا إليها أبناءهم وبناتهم ... وقد ظهر بعد أن أغلقت هذه المدارس — والحمد لله — أن أكثر تلاميذها ، بل جمهورهم من المسلمين !

وضرب منها لأناس من عامة هذا الشعب ضاقت بهم سبل العيش فلم يجدوا لهم طريقاً إلى الكسب، فاستأجروا بيوتاً أو وضعوا أيديهم على غرف مظلمة فى مساجد مهجورة، فسموها مدارس، وسمّروا أخشاباً بأخشاب فدعَوْها مقاعد، وأجلسوا عليها أغيلمة جعلوهم تلاميذ، وتمت الرواية لما صاروا هم المعلمين ... وهذه المدارس (المسرحية) لا تصنع فى نشر الثقافة الإسلامية شيئاً لأنها لا علم فيها أصلا وهى آخذة بالزوال ...

وضرب منها مدارس أهلية كبيرة، كثيرة التلاميذ والمدرسين ضخمة البناء يديرها أفراد أو جمعيات، ومنها مايقوم عليه نساء ... منها الإسلامى وهو قليل محدث كالكلية الشرعية فى دمشق وغير الإسلامى وهو كثير قديم، وما هو ضائع المنهج، ضالّ عن الطريق لم يتخذ بعدُ له وجهة يوليها، وما فيها جميعاً (إلا ذلك المحدث القليل) ما يصنع فى نشر الثقافة الإسلامية شيئاً ...

وضرب منها وهو أعظم ضروبها كثرةَ مدارس، وعمق أثر، قد أنشئ بأموال الأمة لتعليم أبنائها، وتخريجهم وإعدادهم إعداداً، يكونون معه أدلاء لها فى طريق نهضتها، وقادة لها إلى ماتحاول من مجد وعز وكمال، ولايتم ذلك إلا بوقفهم على تاريخهم(1) وتعليمهم علوم دينهم ولسانهم، وإفهامهم أن هذه الأمة مقدور عليها أنه لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، وما كان صلاح أولها إلا بالإيمان الصحيح والخُلُق المتين، فإذا أضعناهما أضعنا المعراج الذى نعرج عليه إلى ما نريد من ذرى المعالى ... وسرنا فى طريق الحياة بساقين جذماوين، نزحف زحف المُقْعَد الزَّمِن، ونتدحرج تدحرج الكرة، فنتمرغ فى الوحل، ونحن نحسب أنا نرقى فى سلاليم المجد والعلاء، وإذا أنت فتشت عن هذين الجوهرين الكريمين: العربية والإسلام، فى المدارس الرسمية لم تلق منهما إلا ما تلقى من حبات الذهب فى تل الرمل، ومن حرّ اللآلئ فى أصداف البحر، ووجدت الدروس فى هذه المدارس على نوعين: نوع واحد منهما له المحل الأعلى، والقدر الأكبر، وعليه مدار جهد المعلم والطالب، وفيه يكون الامتحان ومايعقب الامتحان من الإرتقاء أو الرسوب، وقد يدخل فى هذه الدروس الغناء واللعب (أى الرياضة البدنية) والتصوير ولكنه لا يدخل فيها الدين، ولا تجد فى قطر من هذه الأقطار العربية المسلمة، امتحاناً من الامتحانات العامة (الابتدائية أو الكفائية أو الثانوية) يكون فيه لدرس الدين خَطَر، أو أثر فى نجاح الطالب أو فشله. على أن تسمية هذه العلوم بدرس الدين أول الوهن، وليس الدين علماً واحداً ولكنه علوم جمة، ومعارف شاملة، عاش عليها العقل البشرى قروناً طوالا، منها الفقه فروعه وأصوله والتفسير والحديث والكلام وعلوم أخرى عدّ منها طاشكبرى زاده فى كتابه الجليل (مفتاح السعادة) ستة عشر وثلاثمائة علم ... لكل علم منها أبواب وفصول، وفى كلّ كتب لا يلحقها الحصر، وفى كشف الظنون للحاج خليفة وصف لستة عشر ألف كتاب هى التى رآها المؤلف ووقف عليها بنفسه فى عصر من عصور الانحطاط ... ولقد سبق أن قلت، إنك إذا نظرت إلى ما ثبت من كتبنا على التحريق والتخريب والتغريق والتمزيق، وماخلص إلينا مما أصاب المكتبة الإسلامية من النكبات الكبار، والأحداث الجسام، وحسبك منها مصيبتا هولاكو وفرديناند، لرأيت شيئاً يهولك ويعجزك عدُّه كما أعجز المطابع إلى اليوم طبع بعضه، وهى لا تنى فى الشرق والغرب تعمل دائبة عليه، وما علمنا لأمة من أمم الأرض كلها مثل هذا الذخر العلمى أو قريباً منه، ولا مثل نصفه ولا ربعه ... أفليس من أعجب العجب أن هذا التراث لايساوى فى رأى القائمين على هذه المدارس علماً واحداً من علومها كالجبر مثلا أو الفيزياء أو ... الرياضة البدنية، ولا يجودون عليه بسبع ساعات فى الأسبوع أو ثمان ... ولايجعلونه مدار خيبة فى البكالوريا أو نجاح، وأعجب منه أن تاريخنا الذى يتصل أشد الاتصال بالتفسير والحديث والرواية وعلم الرجال يتولى تدريسه فيها من لا بَصَر له بهذه العلوم ولا علم له بمصادرها الأصيلة ولاوقوف له عليها، ولا قدرة له على فهمها، ومن لم يحصله إلا على أيدى الخصوم الذين يكيدون له ويدسون عليه الدسائس، فهو يحملها فى فكره كما يحمل البعوض جرثومة الملاريا ليلقيها فى أدمغة الطلاب الأصحاء فيفسدهم بها، حتى رأينا جماعة من غير ملتنا وديننا درسوا (فى عهد الإفرنسيين!) تاريخنا، أفسمعت بأعجب من تدريس الخواجه ميشيل والخواجه توما، سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر؟ وأبلغ منه فى العجب أن الفرنسيين وصل بهم الأمر ... أن بعثوا بلبناتنا

(1) كذلك، أما أوقفه على الشيء فانها لغة رديئة.

في مصر فلسفة

أصل الوجود

للأستاذ نقولا الحداد

في مقال بهذا العنوان للكاتب الكبير الأستاذ العقاد في العدد (٦٤٧) من الرسالة بتاريخ ٢٦ نوفمبر المنصرم تنويه باسمي الضعيف. هو تنويه بنعت من النعوت الطيبة التي يتصف بها الأستاذ العقاد.

وكانت إشارته لي في معرض الفلسفة الذي استفاض قلمه فيه وهو يتعجب من أن طلاب الحقيقة لا ينظرون إلى الفلسفة كغاية حيوية » ولا يحجمون عن نعت (الفلسفة القديمة) باللغو الفارغ (كما فعلت أنا) حين جرى البحث في صفحات الرسالة عن وحدة الوجود. فضربت المثل على سخف المذاهب الفلسفية القديمة كقول فيثاغورس: أن العدد هو سر الوجود. وأن النسبة بين الأشياء هي نسبة بين الأعداد، (كيف هذا؟).

يقول الأستاذ: « قال فيثاغورس هذا قبل ٢٥ قرناً. فكان فرضه أقرب إلى الصدق من فروض علمية كثيرة فتن بها الناس إلى سنوات.

« قاله فيثاغورس حين رأى أن الأوصاف كلها تفارق الموجودات من لون أو لمس أو صلابة أو ليونة أو وزن أو ما شابه هذه الأعراض الكثيرة إلا العدد؛ فانه ملازم بكل موجود فرداً كان أو أكثر من فرد، وكاملا كان أو غير كامل، وأن الفروق بين الأشياء هي فروق بين تركيب وتركيب أو فروق بين نسب الأعداد. وأن الكون كله دور موسيقي هائل يدور على قياس

يأخذون لغتنا، عن المسيو (مارسيه) في باريز، كأن باريز بادية البصرة وكأن مارسيه من فصحاء بني عقيل ... أو كأنه الأصمعي أو الخليل !

لا رحم الله ذلك الزمان، ولا أعاد مثله علينا أبداً ...

* * *

أما إن الحديث جد، وإنه ليس بين شبابنا وبين أتباع الإسلام إلا أن يعرفوه، لأنه قوي أخاذ ما عرفه أحد على حقيقته وقدر إن كان منصفاً على مخالفته، ولكن المشكلة هنا: كيف السبيل إلى أن يعرف الشبان المسلمون ما هو الإسلام إذا كانوا لا يستطيعون النظر في كتبه ولا يعرفونها، وإذا كانوا يرون أكثر المتزيين بزي علمائه جامدة أفكارهم، يقولون بألسنتهم ما لا يحققونه بأفعالهم، يأمرون الناس بالعزة ويذلون لأهل الدنيا، ويزهدونهم فيها ويتسابقون إليها، ثم إنهم بعد ذلك منقطعون عن الشباب، لا يلقونهم، وإن لقوهم لم يستطيعوا أن يُفهموهم، وكانت المساجد مقفرة من دروس العلم، وكانت المدارس معنية بكل شيء إلا الدين؟

السبيل هو هذا:

إنها قد نشأت فينا طبقة من العلماء، ممن حصل العلم في المدارس الحديثة ولكنه درس مع ذلك علوم الدين ووقف عليها، أو درس الدين وعلومه على الطريقة القديمة ولكنه ألمّ بالثقافة الحديثة ودرسها كما يدرسها أهلها، وأنا أعرف على هذه الصفة كثيرين في الشام ومصر. وعلى هذه الطبقة يقع الواجب الأكبر في الدعوة إلى الله، والعمل على تعميم الثقافة الإسلامية، بالإلحاح على مديرية الأوقاف وعلى مقام الإفتاء بوضع منهج عملي للتدريس والوعظ في المساجد، وأخذ المدرسين بالشدة لينفذوه ويسيروا عليه، والإلحاح على وزارة المعارف بالعناية بالعلوم الإسلامية في المدارس، ومنحها الساعات الكافية لها، وإدخالها في مواد الامتحانات المدرسية والامتحانات العامة واختيار المدرسين الصالحين لتدريسها — ويعمل كلٌّ على ذلك بلسانه إن كان خطيباً، وبقلمه إن كان كاتباً، وبقوته كلها.

فإن لم يفعلوا فليعلموا أنه سيأتي يوم قريب لا يبقى فيه من يدري ما هو الإسلام، ويكون حالنا كحال ذلك الجندي التركي الذي لحق في المعركة بلغارياً، فلما تمكن منه ووضع سنان البندقية على عنقه، قال له: أمان أنا في عرضك. فقال له: أسلم! فوجد البلغاري الفرج، وقال: إني أسلم فماذا أقول؟

فتحير التركي وقال: (بِلْمامْ والله)!

أي لست أدري !!

(دمشق) **علي الطنطاوي**

منسجم كما يدير العازف الماهر ألحان الغناء .

« وإذا قال فيثاغورس هذه المقالة قبل ٢٥ قرناً ، فليس من حقه أن توصف مقالته بالفراغ وهى أملأ من فروض العلماء بعده فى معنى الوجود وفوارق الاجسام ، وهى على أضعف الأحوال أدق من قول بعض العلماء أن أصل المادة أثير » .

انتهى بعض كلام الأستاذ ، وقد أوردته هنا بنصه لكيلا يضطر القارىء أن يعود إلى عدد سبق من المجلة .

* * *

ظهر فيثاغورس فيلسوفا منذ ٥٣٢ سنة قبل المسيح وله تعاليم صالحة وبعض نظريات قيمة وأهمها فى الرياضيات . فهو أول من اكتشف أن مجموع مربعى ضلعى المثلث القائم الزاوية يساوى مربع وتر المثلث . وهى قضية رياضية عظيمة الشأن ، وقد بنيت عليها نظريات وعمليات رياضية مختلفة وكانت منشأ حساب المثلثات .

ولكن نظريات فيثاغورس فى أصل الوجود أو الهيولى أو المادة المحسوسة نظريات سخيفة جداً ذهب إليها بناء على ظاهرات سطحية لا نعلم جيداً كيف استنتجها منها.

أمعن فيثاغورس فى الحساب الرياضى وبرع فيه فى عصره حتى أن مدرسته كان قوام منهاجها الحسابات الرياضية . وقد تملكت لبه حتى اعتقد أن أصل الأشياء العدد . وصار يعلل كل ظاهرة فى الوجود بالعدد . تسلط العدد على لبه . حتى صار العدد عنده مبدأ الموجودات .

وكان من مكتشفاته القيمة أنه كشف نسب الأنغام الموسيقية فى الوتر المشدود ، وأن هذه النسب تتوقف على طول الوتر ومقدار شده . وكانت هذه النظرية من جملة أسباب اعتقاده أن الأعداد أصل كل شىء ، وأن عناصر الأعداد علة عناصر الأشياء . وأن السماء بما فيها من أجرام هى سلم موسيقى « عددى » . ومن ثم تحول تلاميذه على عدد سبعة فى تعليل ظاهرات الوجود لأن عدد ٧ هو عدد أنغام السلم الموسيقى ، وعدد الكواكب المتنقلة ، وعدد السبع الطباق ، السموات السبع ، وعدد أيام الأسبوع الخ .

وجعل فيثاغورس وتلاميذه أهمية للعددين ٣ و ٤ ومجموعها ٧ للاعتبارات التالية :

أولا : أن الخط مجموعة نقط متتابعة . والسطح مجموعة خطوط متحاذية ومنها المربع . والحجم مجموعة سطوح متقاطعة ، ومنها المجسم والمكعب .

وثانيا : أن الوتر والشفع عنده هما المحدود واللامحدود ، وهما يعينان المكان ؟؟؟ والإثنان هما الخط ، والثلاثة هى السطح . والوتر والشفع . والمحدود واللامحدود هما الطاقان الأولان من المتضادات العشرة الأساسية . والثمانية متضادات الباقية هى : واحد وكثير ، ويمين وشمال ، وذكر وأنثى ، وسكون وحركة ، ومستقيم ومنحن ، ونور وظلمة ، وخير وشر ، ومربع ومستطيل .

ويظهر أنه غفل عن وراء وأمام ، وفوق وتحت ، وبرد وحر ، وجبل وواد ، ونوم وصحو ، وضحك وبكاء إلى عشرات الألوف من المتضادات ؛ لأن كل صورة من صور الموجود لها مقابل .

فالكون عند الفيثاغورسيين هو فى تحقيق هذه المتضادات ، والواحد هو العقل لأن الواحد لا يتغير ، والإثنان الرأى لأنه غير محدود ولا مقرر . والأربعة هى العدالة لأنها أول عدد مربع هو حاصل متساويين . والخمسة هى الزواج . وإن كنت شاطراً فافهم هذه السخافات .

إذاً سألت فيثاغورس نفسه أن يفسر هذه التخريفات فماذا يقول ؟ وإذا كان فيثاغورس يعتبر فيلسوفا لأجل هذه الفلسفة « العددية » فالفلسفة إذاً بله وهبل .

ألا يرى إنسان اليوم أن هذه النظرية فى الطرف الأقصى من السخف لأنه لا يجد لها تفسيراً معقولا ؟ وأما تفسيرها بأن الأوصاف كلها قد تفارق الموجودات من لون وصلابة وليونة وثقل الخ إلا العدد فانه ملازم لكل موجود ، فهذا التفسير إغراق فى الغموض لا تفسير ، لأنه يزيدنا حيرة فى غير المعقول حين نحاول أن نجعله معقولا ؛ ولا سيما لأن الثقل واللمس وغيرها كثير من الأوصاف لا تفارق الموجودات .

إذا جردنا المادة من الأوصاف المذكورة وغيرها أى من اللون والصلابة والثقل و و و فماذا يبقى منها ؟ لا يبقى منها شىء لامادة ولا عدد . نحن نعرف المادة بصفاتها وأعراضها التى نحس بها فاذا زالت هذه زالت المادة وزال الوجود .

وأما العدد فليس خاصة من خواص المادة ؛ بل هو خاصة من خواص عقلنا . فنحن نتصرف بالعدد من غير أن يكون لدينا

المنمود . جميع الرياضيات الحسابية إنما هي فسكاهة عقلية . ولا تعتبر ذات قيمة إلا حين نطبقها على الوجود المحدود . تكون حينئذ رياضيات تطبيقية .

نجل الأستاذ الكبير عن الجد فى قوله : « إن الأجسام نسب بين أعداد ، وإن الفارق بينها فارق فى هذه النسب دون غيرها ، وأن التناسق فى هذه النسب أصدق من أجرام المادة الملموسة باليدين ، وإن الأصح فى تركيب الذرة أن يقال إنه « عددى » لا أنه « مادى » ملموس .

نعم نجلُّ الأستاذ عن الجد فى هذا القول لانه غير مفهوم وإن فُهم فغير معقول ولا هو منطقى .

ويعز على الأستاذ أن توصف مقالة فيثاغورس بالفراغ لأنها فى رأيه « أملأ من فروض العلماء بعده فى معنى الوجود » وأغرب من هذا قوله : « إنها وهى على أضعف الأحوال أدق من قول بعض العلماء إن أصل المادة الأثير » .

إذا ثبت ، وهو معقول وراجح ، أن الأثير هو أدق جزئيات المادة فيكون العلم قد أبلغنا إلى كنه الهيولى . وأما « العدد » إذا حسبناه أصل الوجود فيطرحنا فى هاوية من الجهل لا قرار لها.

إن العلم الحالى قربنا جداً إلى حقيقة كنه الهيولى التى هى أصل المادة . فقد شرّح الجزىء إلى ذرات ، ثم حلل الذرة إلى كهارب وكهيربات (بروتونات والكترونات مكهربة) . ثم فتت هذه إلى فوتونات غير مكهربة ، ولكنها حاملة الطاقة . والفوتونات فى رأى بعض العلماء الأساطين هى ذريرات أثير .

واختراع القنبلة الذرية حقق النظرية الكهربية (نسبة إلى كهرب) الألكترونية وأكد صحتها . فلا بدع أن تكون الفوتونات هى ذريرات أثير . بنظرية الالكترون هذه فسرنا الألفة الكيمية Affinty ، وكم الكفاءة الكيمية Valance ، وسر النظائر الكيمية Esotaps ، وغير ذلك من الظاهرات الطبيعية التى كان العلم حائراً فى تعليلها . فلذلك لم يبق شك فى صحة هذه النظرية الألكترونية .

أبعد هذا يصح القول بأن الفلسفة العددية الفيثاغورية أدق من قول العلماء إن أصل المادة الأثير ؟

أين فلسفة فيثاغورس من علم اليوم ؟

كان فيثاغورس وسلفاؤه وخلفاؤه فلاسفة عصرهم التمادى فى القدمية لأن ما أدركوه كان جل ما أذن لهم تفكيرهم أن يدركوه وأن يفسروه من ظاهرات الوجود وهم ضمن جدرانهم لا يختبرون ولا يمتحنون . ولكن فلسفتهم لدى علم اليوم كالأكمة المنخفضة فى البطحاء لدى الجبل الأشم . يحتقر علم اليوم إذا قارناه بفلسفة الدهر المظلم .

الحقيقة تظهر عن يد العلم لا عن يد الفلسفة . الفلسفة تتلاشى رويداً أمام العلم ، كما يتلاشى الليل أمام الفجر ، والفجر أمام الشروق .

أجل : فى مصر ، والحمد لله ، فلسفة . ولكن ليس فيها ، بكل أسف ، فيلسوف . وأستغرب أن يقبل أحد من علمائنا لقب الفيلسوف . إن الفيلسوف من كانت له نظرية فلسفية جديدة هو مبتكرها . فأين النظرية الفلسفية الجديدة عندنا ؟

أرجو الأستاذ الكبير أن يغتفر ما لا يروق له من مقالى مؤكداً له أنى حسن النية . وجل من لا يشط ويغلط .

نقولا الحداد

في الأدب الانكليزي

ماثيـــو أرنولد

Mathew Arnold

بقلم الأستاذ خيري حماد

- ٢ -

وقد كتب عنه برل قائلا : « لقد كان أرنولد ناقداً أميناً ، نعم لقد أساء فهمه الكثيرون ولكن ما قيل عنه يجب ألا يعد لا في العير ولا في النفير فلم يخطئ الحقيقة بل أصاب مقاتلها في بعض الأحيان وأخطأها في البعض الآخر . ويندر أن نجد في أدبنا ناقداً يضاهيه في الدعابة وحسن النكتة . وإن محاضراته عن ترجمة هو ميروس لتؤلف كتاباً تلذ قراءته ، وتفيد مطالعته ، ويستحسن طبعه : فهو كتاب قيم يندر أن نجد له مثيلا في دقة عتوباته وحلاوة دعابته ، فهو يجعل قراءة الأدب لذيذة ؛ ومطالعة سير الحب سارة للرجال الذين بلغوا من العمر عتيا يتذكرون أيام طفولتهم ومغامرات حداثتهم[١] » .

لن تتيح لنا الظروف أن نتناول كل ما كتبه ارنولد في النقد وأصوله وفنه ، ويكفي هنا أن نسرد مثلين من أمثلة نقده لندل على الطريقة التي كان يتبعها في نقد الأدب والأدباء . أما المثل الأول فهو يتناول آراء أرنولد في الشاعر الإنكليزي المعروف شلي ، والثاني تنسون .

لم يكتب أرنولد طيلة حياته نقداً تاماً للشاعر شلي ولكنه في مواضع كثيرة من مؤلفاته يطلعنا على رأيه فيه ؛ فهو يصفه كثيراً بقوله : « هو ملاك جميل ولكنه عديم التأثير إذ يحلق في الفضاء مرفرفاً بأجنحته دون أن يحدث هنالك كبير أثر[٢] » وفي بعض المناحي الشعرية يجهد شلي نفسه للحصول على ما يستطيعه الغير بسهولة ودون أي تعب أو نصب . ولكن الأغاني التي اشتهر أمره فيها لم تكن أحسن ما كتبه الشاعر بل إن معظم أشعاره متحف من التوافه والمبتذل من الشعر

وكان أرنولد يعتقد اعتقاداً جازماً في أن شلي لم يصل إلى الدرجة السحرية الفائقة التي كانت تنتظر منه ، وأن شعره يخلو من المادة الصحيحة السليمة . ولكن دعنا نستعرض هذين الانتقادين لنرى مبلغ صحتهما وصوابهما . أما من حيث مادة شلي وأسلوبه فتكثر فيه الحسنات كما تكثر السيئات . وأما من حيث خياله ومقدرته السحرية فقد أخطأ أرنولد في نقده تمام الخطأ ، فمن يقرأ لشلي قصيدته « إلى الطائر to G Skylsrk » يجد فيها مقدرة خيالية عظيمة قل أن توجد في غيره من الشعراء . فقد صور فيها صوراً رائعة لا شك في تأثيرها على نفسية القراء .

ولنتناول الآن نقده لتنسون ، فقد كان دائم الكراهية لهذا الشاعر العظيم ، وعند ما ظهر كتاب « خرافات الملك » Jdyila of the King لتنسون كتب أرنولد عنه قائلا : « إن من الأغلاط الكثيرة التي أجدها في تنسون في كتابه هذا هو افتقاره لسحر القرون الوسطى وقوة خيالهم ، ومع مقدرته الفنية الفائقة فقد كانت تنقصه المقدرة العقلية[١] » .

وفي هذا النقد تحامل ظاهر لا يمكن أن نتجاوزه ، فقد كان أرنولد دائم التفضيل لبيرون على تنسون ، وقد وصفه الكثيرون من الأدباء بتحامله على جميع معاصريه مدفوعاً بروح المنافسة ، وهذا خطأ بين لا يمكننا الإغضاء عنه ، فقد كان من محبي سنت بوف مع أنه من معاصريه ومنافسيه . ناهيك عن تحامله الشديد على شلي وكيتس الذي امتد طيلة حياته .

من المثلين السابقين اللذين ذكرتهما نرى أرنولد من النقد قوي الشكيمة ، ولكن هذه الصفة لم تكن لتنطبق عليه دائماً فكان من محبي وردزورث وبيرون ومن أنصارهما . وقد وصف وردزورث بقوله إن الطبيعة قد أمسكت بقلمه فسجلت روائع رائدها قوة الطبيعة الخارقة على تفهم الحياة ومناحيها المختلفة . وقد كتب إلى أحد أصدقائه « إني لا أومن بقوة تنسون ومقدرته في أية ناحية من نواحي الأدب . فهو لا يضاهي جوته في تفكيره العصري ، ولا وردزورث في خياله وقوة ابتكاره ، ولا بيرون في عاطفته ورقته . ولكنه شاعر يعتبره الناس في عصرنا هذا ،

(١) Selected Essays. Birrél P. 216

(٢) Amiscelleny Brodley P. 145

(١) Essay m Criticiam : Grnoed

ولـكنى لا أحمل له فى نفسى أى اعتبار أو تقدير لفنه أو لشعره[1] » .

وعندما أتناول البحث فى كتابه : « مقالات فى النقد » Essays on Criticism يرى القارىء هنالك بحثاً أكثر أسهاباً عن شهرة أرنولد فى عالم النقد . فهو خير كتاب يقرأه الطالب لتعلم فن النقد وأصـــوله . ولـكن نقـده لم يكن فى الحقيقة مبنياً على الأساس العلمى الصحيح فتحامله شـديد على كثير من الأدباء والشعراء فى عصره . وهذا التحامل قاده للتسرع بأقوال خالية من الحكمة ينقصها التفـكير الطويل ، وتحـكيم العقل والمنطق .

شعره :

تتلخص عبقرية أرنولد الشعرية فى نجاحه فى عرض أفكاره على جمهرة القـراء . وفى أشعاره وخاصة قصيدته امبدوكليس Empedocles نرى الشاعر ينشدنا أغانى مطربة وقصائد تسيل رقة وعذوبة . فلنلق نظرة على هذه الأبيات القليلة من شعره ثم نبنى حكمنا عليها بعد تدقيق وإمعان .

« ابولو — أيها الإله العظيم . إن هذه المساكن لا تصلح لسكناك قط . ولـكن فى ذلك المكان حيث يلتقى البحر فيـه والجبل ، هناك حيث يرسل القمر أشعته الفضية فتتردد الأصوات فى الفضاء متغزلة بجماله ، هناك فى وادى الآلـهة ترب thiohe يطيب لك العيش ونحلو لك السكنى » .

لو قرأنا هذه الأبيات فى صورتها الإنـكليزية لوجدنا الشاعر يغنى معها شارحاً عواطفه ومشاعره . هنالك تسمو نفسه فيرتفع عن مصاف الشعراء العاديين . ولـكن موسيقاه هى أنموذج من الأغانى الخفيفة التى يهابها ويخـافها لتأثيرها على وحـدة النفس وكيانها .

لقد تدرع أرنولد بدرع من الذكاء والإبتـكار . وطيـبة حياته نراه قنوعاً بالحياة التى يحياها وراضياً بالعالم الذى يعيش فيه ، ولـكنا نرى من خلال قصائده تطلعه نحو حياة مشرقة ، حياة الصباح العاطر فى أيام الربيع الجميلة عندما تتفتح الأزهار والرياحين ناشرة فى العالم سعادة أزلية خالدة . وفى قصيدته الرقيقة « الغجرى المتعلم » Scholar Cyibsy نرى الشاعر مسوقاً بتيار العواطف مقوداً لآلهة الشعر يضمن نظريته هذه فى بضعة أبيات ملؤها الجمال والروعة متخذا من هذا الحلم البهيج وحيه وسر عبقريته . فهو يقول :

« فوق مياه المحيطات المتوسطة ، حيث تـكثر الرياح بين شاطىء إيطاليا وشاطىء صقلية الجميلة حيث تلتقى مياه الأطلانتيك بمياه البحر المتوسط من خلال المضائق الغربية — هناك تـكثر السفن المشرعة حيث ترتفع الصخور إلى عنان السماء — وتهب الأمواج عليها فتخرج الزبد . هنالك يظهر الإسبانيون سمر الألوان ميالين للمغامرة والإتجار . فيعقـدون أسواقهم التجارية على شواطىء البحار ... » .

وأروع قصائده خيالا وأوسعها حرية هى قصيدته « البحرى المهجور » Fsroakln Merman حيث يتطلع إلى العالم القديم بعين التواق الراغب مؤنباً سكان هذا العالم لهجرهم إياه وابتعادهم عنه — فـكرة هى نفس حلمه الجميـل معبرة بطريقة مخالفة عن رغبته فى الشباب ، فى الحياة الجديدة السرمدية حيث يقول :

« تلك الـكهوف الرملية العميقة الرطبة ، حيث تهدأ الرياح وتسـكن سكوناً أبديا ، هنـاك تسارق الأنوار النظر إلى هذه الأعماق ، وهناك تـكثر الأملاح فتذوب فى الجداول » .

وإن مقدرة أرنولد الرومانتيكية أو الإبتداعية بالأحرى لتتجلى فى جماله وطهارته . وعوامل نجاحه وانتصاره تتلخص فى سرده للخرافات والأحلام . وموسيقاه تختلف عمـا عرف فى عصره بكونها غنائية شـديدة الوقع لم تنل إعجاب المعاصرين . فشهرته كشاعر عبقرى لم تبن بعد . ولـما كانت البيئة التى وجد فيهـا تهتم كل الإهتمام للاخلاق ولا تأبه للجمال وأثره ؛ ولما كان والده رجلا دمث الأخلاق ليناً وعظيما فى نفس الوقت ، لذلك نرى فى شعر شاعرنا الميل الدائم إلى البساطة والرغبة الجليـة فى الطهارة والصفاء . وكنتيجة لهذه البيئة ولهـذه الرغبة فى الشاعر ظهرت هنـاك قصيدتان عدتا من روائع الأدب الإنـكليزى بحثـا فى الأخلاق والدين بحثاً مسهباً مستفيضاً .

أحب أرنولد الطبيعة حباً جمـاً ، فوصفها فى قصائده وأغانيه وصفاً قرأه كثير من البؤساء والمتألمين فسروا به عن نفوسهم ،

---

(١) Mathew Arnold. Pould P. 37

وأزالوا ما لحقهم من بؤس وشقاء . وكان ينظم قصائده على النمط الذى جرى عليه أستاذه وردزورث من قبله فقلده تقليداً أعمى فى أسلوبه وأفكاره . وكان بفطرته لا يميل إلى الإعتقاد بالخرافات والأباطيل القديمة مع أنه دونها كثيراً فى شعره ومؤلفاته ، فالصدق كان رائده فى كثير مما نظمه . وفى قصيدته « حداثة الطبيعة » the youth of mature نرى شخصيته متمثلة أتم التمثيل وأكمله . ولم يكن أسلوبه ليقل عن أسلوب شلى أو أى شاعر عظيم آخر ناهيك بأن مادته وأفكاره كانتا لا تضاهيان .

وقصيدته « تريشدام وايسوت » تحوى عدداً من الأغانى الرائعة فهى تبدأ بهذه الأبيات الجميلة :

« أشعل الضوء يا غلام حتى أراها فلقد أتت المتكة المتعجرفة أخيراً . انتظرت طويلا وغالبت الحمى التى انتابتنى تأخرت أيتها العزيزة ، وكان تأخرك مكراً وهجرانا » .

ويجمع محبو أرنولد وتلامذته على أن قصيدة «رستم وسهراب» Rurtum and Sohrab هى أحسن ما كتبه الشاعر وقد لقبه على أثرها لورد رسل بقوله : « هو شاعر العصر الأوحد » . وهذه القصيدة مستمدة من قصة اسيوية قديمة تتلخص فى سير مبارزة حدثت بين بطل من أبطال الترك ووالده . وكان كل منهما يجهل صاحبه حتى قتل الولد فعرفه الوالد وحزن عليه حزناً شديداً . وما أجمل وصفه للأموات حين يقول

« إن الصدق يلازم شفاه الأموات ، والخداع كان بعيداً عنى طيلة حياتى » .

وعند ما يعلم الوالد أنه قد قتل فلذة كبده يشتد حزنه ويعزم على الإنتحار غرقاً فى النهر فيرجوه ولده المفارق للحياة أن يصبر وأن يجاهد فى هذه الحياة حتى يحصل ما لم يستطع هو الحصول عليه .

ومن بدائع شعره قصيدته « الميت الشجاع » التى لا يستطيع فهمها إلا القليل من منتقى القوم ومتأدبيهم . ولكن من يفهمها يشعر باللذة التى تساوده عند مطالعتها ويحس بنفس الوقت بخلوها من الخيال والإغراء اللذين يشعر بهما عند قراءته لقصيدة «رستم وسهراب» . فهى تخرج من القلب خروج قصائد برنز الجميلة ،

وإن الفقرة الأخيرة مع كونها لا تخلو من بعض الأغلاط إلا أنها لا شك تحوى من العاطفة قدراً كبيراً

« عندما نلتقى فتتطلع بنظراتك ، متفرساً فى وجهى وما أحدثته الأيام من الغضون فيه . ولكن بالله دعنى أسألك : من هو ذلك الغريب الذى يتطلع إلى بعين المتأمل ، ذو العينين الرماديتين والشعر الأسود » .

فلسفته

لقد انتقد أرنولد المجتمع الإنكليزى فى عدد غير قليل من مؤلفاته وكتبه . وكان يميل إلى تقسيمه إلى ثلاث طبقات متفاوتة: أولاها طبقة الأشراف، وثانيتهما الطبقة المتوسطة، وثالثتهما الطبقة العامة . ولكنه لم يسمها كما سماها غيره من قبل ؛ بل أطلق على الأولى أسم البرابرة Darbaians وعلى الثانية لقب الفلسطينيين[1] Phil istnis وعلى الثالثة لقب العوام Psyrulace وكان يحترم طبقة الأشراف ويكثر من الثناء على أفرادها قائلا : « إن أعظم الفضائل وجود طبقة راقية من النبلاء يتخلقون بأحسن الأخلاق ويتحلون بأجل الفضائل ، لهم أفكارهم الشريفة ، وأعمالهم النبيلة التى حبتهم بها الطبيعة . ويزداد جمال هذه الفضائل عندما تصدر عن أناس أقوياء يتحكمون بمصير الأمة ومستقبلها وينزهون أنفسهم عن التشاحن والتطاحن فى المسائل التافهة . وقد يحدث أن أحد أفراد هذه الطبقة تعوزه العبقرية وينقصه الذكاء ولكنه مع ذلك لا تصدر عنه أمور لا تعد فى حكم الشريفة منها[1] » .

ولكن أرنولد يتطلع نحوهم فيرى نقصا لا يمكن سده ، وعوزا ليس من المستطاع إهماله والاغضاء عنه . فهم بحاجة إلى الأفكار السامية وهذا ما سبب تأخرهم فى العصور الحديثة . وفى البلاد الأخرى نجد طبقة الفقراء على درجة أعظم من المدنية والحضارة من هذه الطبقة ؛ فالفقير يشعر بضعته ، ويحس بفقره وضعفه فيحسن من شأنه ليظهر بمظهر الند للند والقرن للقرن .

(يتبع) **صبرى حماد**

---

(1) Mixed Essays Gnold

الشـــعر يحتفل بأميره

في مساء يوم السبت الثامن من شهر ديسمبر ، أشرقت دار الوزير الشاعر الكاتب السمح ابراهيم دسوقي أباظة باشا عميد الأسرة الأباظية بألمع الكواكب المصرية في الحكم والسياسة والأدب والعلم والفن والصحافة إجابة لدعوة معاليه ، ليحتفلوا بمجد الشاعر العظيم عزيز أباظة باشا صاحب « أنات حائرة » ، ومؤلف المأساتين الشعريتين : « قيس ولبنى » ، و « العباسة » ولم تشهد القاهرة المثقفة على كثرة ما شهدت داراً أحفل بالفضل وأحفى بالفضلاء ، ولا حفلة أروع بالأدب وأجمع للأدباء ، من هذه الدار وهذه الحفلة .

كانت الدار دار الأباظية ، والحفلة حفلة الأدب ، فلا غرابة أن يجتمع فيهما ما لم يجتمع في غيرهما من ملائكة البيان وشياطين الشعر

كان مطلع الإشراق الشعري في هذه الحفلة أبياتاً من أرق الشعر وأبلغه لمعالي صاحب الدعوة في شكر مولانا « الفاروق » ؛ ألقتهما طفلته الأديبة الخطيبة « كوثر » بصوتها العذب ، ومنطقها الرائع ، ولهجتها الفصيحة ، منها :

أدام الله « فاروقاً » … يفيض الخير من كفه
فقد فاض على الأسر … ة ما ترجوه من عطفه
وعذراً إن بدا ضعفي … وعجزي عن مدى وصفه

ثم تلاها أخوها الأديب الشاعر ثروت أباظة فألقى قصيدة من نظمه ؛ وتتابع الشعراء والخطباء بعدها على المنصة ، فنوهوا بمجد الشاعر ، وشادوا بفضل الداعي ، وهتفوا بعطف « الفاروق » ، كان أولهم الأستاذ العقاد ، وآخرهم الأستاذ الكاشف ، وفيما بينهما فيض من الشعر العاطفي الجميل ، تدفق على ألسنة النابهين من شعراء الشباب ، ذكرونا بشعراء الحضرة في قصر الصاحب ببغداد ؛ ثم نهض للشكر صاحب السعادة الشاعر المحتفل به فارتجل خطبة من النمط العالي في الأداء والإلقاء دلت على أن موهبته الخطابية تنافس موهبته الشعرية في استحقاق التكريم . ثم كان مسك الختام قبلة أخوية قوية من معالي الوزير إلى سعادة المدير ، أجملت كل ما قيل في هذه الحفلة الرائعة الجامعة من معاني الإعجاب والإكرام والحب ... وفيما يلي ثلاث قصائد مما أنشد في هذا الحفل تعطيك نموذجاً من سائر ما قيل :

قصيدة الشاعر الكبير عباس محمود العقاد

ابغ النظم والنـــطام … رد لو جاوز التمام
رام في حلبتيهمـــا … قصباً كان لا يرام
حبـــذا محسن الفعا … ل إذا أحسن الكلام
لك في كل دولـــة … منهما أوفر السهـــام
أيها الأوحـــد الهمام … جئت بالمعجز الجسام
كيف وحدت هكذا … شيع الناس في وئام
تسمع الحمـــد لا تنا … زع فيه ، ولا انقسام
كل ما راق في الخوا … طر ألـــقى لك الزمام
ـس زانه الحـــجى … أذن صـــانه اللمام
والعظاميـــة التي … فيك لم تخل من عصام
ورضى الله والمـــليـ … ك بركى رضى الأنام
ولك الخلق والخـــلا … ئق في حسنهـــا تؤام
حكم ابن الحسين قـد … ما وفيت الاحتكام
قال ودّ على التصـــ … ف وود على الوسام
قلت لا بل كليهما … ما على مفضل ملام
أنت في عامك القريـ … ـب تحديت ألف عام

* * *

يا عزيزاً به استعزّ … ذوو العزة الكرام
« جاد » أنفدت حرفها … في اشتقاق وفي ارتسام
بالمجيد المجـــد والجيد … الماجـــد المقـــدام
فدك ! فاللفظ ضيق … عن معانيك والسلام

قصيدة الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي

طلعت بأفق العبقرية صاعدا … فأدركت مجديها طريفاً وتالدا
تطوّف مشبوب الخواطر هائماً … تصوّر أوهام القلوب عقائدا
وتهتف بالنجوى وتهمس بالمنى … وتستلهم الطيف الحبيب المعاودا
وتسبح في الأفق المنغم شادياً … على قمة في الأفق ، عزت مقاصدا
ومن حولك الأضواء ، منهل شاعر
يوافيك بالألحان نشوى شواردا

فترسم أفراح الحياة بريشة   كأن بها من وحى جبريل رائدا
يراوحها سار من الشوق عارم
تحدر من قلب يفيض مواردا
تكنفه الكون الكبير فهاله   بقلبك أكوان تروع مشاهدا

أمان وآلام يجاذبنك الهوى   فقد صادفت قلباً بجنبيك واجدا
تجاوبت الأيام فيه فصاغها   ورددها لحناً على الدهر خالدا
وتسترجع الدنيا لديه شبابها   فينظم أصداء الزمان قصائدا
سيعنو لها وجه الزمان قداسة   وتبقى على جيد الزمان قلائدا
ألست الذى رد الليالى بيننا
فكدنا نرى عصراً على مصر وافدا
شهدناه منضور الحواشى مهادنا   وشمناه مغبر الجوانب راعدا
كأنى بهارون الرشيد يسوسه   ويختال فى دست الخلافة مائدا
ويسمر فى القصر الأشم وحوله   خرائد تشدو فى هواه خرائدا
مباهج لم يحظ الزمان بمثلها   تأنقن إبداعاً ، وكن فرائدا
كأنى به يصغى لجعفر قبلما   تثور حواليه النفوس مكايدا
وقد نفرا للصيد ، لم يدر جعفر
بأن قد غدا صيداً ، وهارون صائدا
كأنى به والبرمكيون حوله   تهاووا شموساً فى الدجى وفراقدا
هو المجد إن تظفر به فتق الورى   فيا طول ما تلق لمجدك حاسدا
كأنى به فى حلة الملك رافلا   يخب بدنيا ليس يدنو لها مدى
عوالم هذا العصر أنت وسمتها   بفنك لم تعجز لساناً ولا يدا
تلقيتها وحياً من الله مسعداً   فأسبغ فاروق عليك روافدا
وحسبك أن ألقى بساحة ملكه   عليك لواء العبقرية عاقدا
وكرمكم فى صاحب الدار هذه   ومن لك بالفاروق جاهاً وساعدا
أعز « دسوقى » أمس بالرتبة التى
أتت رجلا فى النبل والفضل واحدا
صحائف من تاريخ مصر كريمة   نطالعها فى كل يوم محامدا
تفيض على قلبى ضياء وخاطرى   فأنظمها بالمعجزات حواشدا
أباظة حيا الله دوركم التى   غدت للفنون الباقيات معاهدا
عليها جلال الماجدين تخالها   إذا ما تبدت للعيون مساجدا
رعاها مليك النيل واختص أهلها   فبارك فيهم شاعراً ، ومجاهدا
لقد ظفروا منه بمجد مؤثل   وأكرم مجد ما يصادف ماجدا

قصيدة الأستاذ العوضى الوكيل

نجم بأفق العبقرية لاحا   يزجى الضياء عشية وصباحا
وهزار روض صاح فوق غصونه   قوموا نحيوا ذلك الصداحا
مترنم بطرائف من فنه   تسبى القلوب، وتسحر الأرواحا
السامعون له يسائل بعضهم   بعضاً.. أشعراً ما شدا أم راحا؟

اهنأ عزيز برتبة علوية   جادت بها منن المليك سماحا
كرم أفاء عليك من آلائه   فأشاع فى أحلامنا الأفراحا
وأتيح للشعراء ما حلموا به   هل كان قبلك مثل ذلك متاحا
والغيث إن روى الهضاب بسيبه   روى وهاداً بعدها وبطاحا !

لك منطق سهل البيان ، وربما   سهل البيان فأعجز الشراحا
فى كل أغنية وكل قصيدة   روض حوى ورداً وضم أقاحا
شعر تناغمه النفوس فتلتقى   فيه ... فيملأها أسى ومراحا
إنى لأمسك بالفؤاد أصونه   من أن يذوب أسى إذا هو ناحا
وتراه فى أفراحه وفتونه   يسلى الحزين الباكى الملتاحا

يا ابن الأعزة من ذؤابة طيء   الصارمين عزائماً وسلاحا
والمالكين المجد من أطرافه   واللابسيه بردة ووشاحا
لى بينهم من إن هممت بذكره   طرب القصيد لذكره وارتاحا
من كل مرموق المكانة، مشرق   فى أفق مصر كوكباً لماحا ...

يا ابن الأعزة من ذؤابة طيء   الصارمين عزائماً وسلاحا
المجد من بابيه أنت ولجته   وحشدت ميراثاً له وكفاحا
أخرست ألسنة الرجال بقصة   وتركت ألسنة الزمان فصاحا
صورت سلطان الرشيد وملكه   صوراً من النغم الرقيق ملاحا
وجلوت أعظم دولة عربية   نشرت على الأدب الرفيع جناحا
فاهنأ بجائزة المليك رفيعة   واهزز نفوس الشاعرين طماحا

بيت الأباظيين مثل خميلة   قد كرمت كروانها الصياحا
هو مربد الأدباء إلا أنه   أهدى سنى منه وأطهر ساحا
لا زال مرفوع البناء موطدا   مغدى لكل عظيمة ومراحا
لا زال أفقاً فى الحمى يبدى له   فى كل يوم كوكباً وضاحا



١ — إتحاف الفاضل :

أصلح الأستاذ الكبير النشاشيبي بيت البحتري في الطبعة التي يتعقبها من معجم الأدباء ، ونقل عبارة الصحاح بأن للعرب أحرفاً لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كانت بمعنى الفاعل مثل قولهم . زهي الرجل الخ ...

قلت : ولابن علان الصديقي رسالة لطيفة جمع فيها طائفة صالحة من هذه الأحرف وسماها (إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل) . وقد طبعها في دمشق من نحو عشرين سنة الأستاذ حسام الدين القدسي . صاحب (مكتبة القدسي) في القاهرة .

٢ — تأنيث الرأس :

من أعجب الأشياء في مصر أن جمهرة الكتاب فيها ، إلا العشرة الكبار من البلغاء ، يؤنثون (الرأس) ولا نفتأ نجدها كل يوم مؤنثاً في الصحف والمطبوعات ، مع أن الذي نعرفه أن الرأس لا يكون إلا مذكراً ، في اللغة و ... في الحياة ! فهل لإخواننا في تأنيث الرأس وترئيس (الأنثى) وجه لا نعرفه ؟

علي الطنطاوي

الصحافة في حضرموت :

طالعت في العدد ٦٢١ من الرسالة مقالة عنوانها : « الأدب العربي » . للدكتور ر . ب سارجنت تكلم فيها عن حضرموت وبشر بمستقبلها الحسن ، وذكر بدء الحركة الأدبية بها ، وانتعاشها . وبعد أن عدد بعض الأسر من السادات قال في سياق خطابه : وقد قامت هذه الأسرة المجددة في خلال السنتين والثلاث الماضية بنشر مجلة الإعتصام . وهي صحيفة شهرية تصدر من مدينة (سيؤن) وتعالج الشئون الدينية والثقافية إلى أن قال : ولا بد أن هذه الصحيفة هي المجلة الوحيدة التي تصدر في البلاد العربية على هذا الشكل .

وأحب أن أعرف جمهور قراء مجلة (الرسالة الغراء) بأن حضرموت منذ عهد قديم بدأت تباشير النهضة الحديثة تدب في شبابها فأسسوا الجمعيات والنوادي وفتحوا المدارس التي تهيئ نشأتهم لخوض معترك الحياة وقاموا بنشر المجلات والصحف ، فأول مجلة صدرت من سيؤن (التهذيب) في حدود سنة ١٣٥٠ تقريباً . وتلتها مجلة (الأخاء) صدرت من « تريم » قامت بها « جمعية الأخوة والتعاون » في سنة ١٣٥٦ فمجلة (الخلبة) في بلد « مسيلة الشيخ » يحررها الأستاذ علي ابن عقيل بن يحيى في سنة ١٣٥٧ فمجلة (الاتحاد) في «عينات» قام بها « نادي اتحاد الشباب » سنة ١٣٦٠ ، فمجلة « النهضة » فمجلة (زهرة الشباب) صدرتا من سيؤن سنة ١٣٦٠ ؛ فمجلة (الإعتصام) وهي الأخيرة صدرت منها .

وكل أولئك المجلات مخطوطة إلا « الأخاء والخلبة » فقد طبعتا بحروف مطبعية بعد أن بدتا بصورة خطية . على أنه يجب أن أذكر للقراء الكرام أن هذه المجلات جميعها تصدر في حجم صغير يتناسب مع حالة البلاد الأدبية والاجتماعية .

(**حضرمي**)

١ — إلى الأستاذ أبي رية

قلت — أيها الأستاذ الكريم — في مقالات (الحديث المحمدي) بالعدد ٦٣٣ من (الرسالة) : « أما حديث من كذب علي (متعمداً) ، فقد عنيت بالبحث عن حقيقته عناية كبيرة حتى وصلت من بحثي إلى أن كلمة (متعمداً) لم تأت في روايات كبار الصحابة ، ومنهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين عمر وعلي وعثمان ، وأن الزبير بن العوام — وهو حواري رسول الله وابن عمته — قد قال عنها والله ما قال (متعمداً) الخ — وأقول إني رأيت في صفحة ١٣٣ من (الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف) للأمير شكيب أرسلان ما يفيد أن القائل (والله ما قال متعمداً) غير الزبير (جاء في الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد رواية عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال (أي عبد الله ابن الزبير) قلت للزبير : مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان ، قال أما إني لم أفارقه منذ

أسلمت ولكنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على فليتبوأ مقعداً من النار » قال وهب بن جرير في حديثه عن الزبير : والله ما قال « متعمداً » وأنتم تقولون « متعمداً » الخ وعلق المرحوم رشيد رضا على هذه الرواية بقوله في صفحة ١٣٤ (الحديث متواتر تواتراً صحيحاً بهذه الزيادة وممن رواها عن الزبير نفسه الامام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه فلا عبرة بإنكار وهب بن جرير لها عنه ، فالقاعدة أن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، ووهب هذا قد تكلم فيه بعض رجال الجرح والتعديل ، فقال ابن حبان كان يخطىء ، وأنكر عبد الرحمن بن مهدي والإمام أحمد ما رواه عن شعبة — فما رأيك .. أيها الأستاذ الجليل .. في هذا وفيما كتبه الأستاذ أبو شهبة في هذا الموضوع بالعدد ٦٤٢ من الرسالة

— إلى الدكتور جواد علي :

قلت في مقالك (أول صلاة في الاسلام) بالعدد ٦٣٦ من (الرسالة) عن هرون بن عمران أنه (لم يكن نبياً من الأنبياء) — والصواب أنه نبي قال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبياً) مريم آية ٥٣ وفي سورة طه ما يشير إلى أنه رسول (فأتياه — الخطاب لموسى وهرون — فقولا إنا رسولا ربك) الخ آية ٤٧

أسيوط **محمد عبود**

١ — الأدب والجندية :

طالعني أديب سكندري جليل الخطر بظاهرة عجيبة تسترعي الاهتمام ، حين ذكر لي أن الذين تعاوروا على رياسة جماعة نشر الثقافة في الثغر ، إنما هم من ضباط البوليس خاصة ، فالأميرالاي عبد المنصف محمود بك ، والصاغ زكي غازي ، والبكباشي أحمد الطاهر — الرئيس الحالي — كلهم من ضباط البوليس ، ولم يتول الرياسة من « المدنيين » سوى الأستاذ خليل شيبوب ، والأستاذ عبد اللطيف النشار .

وقال الصديق الأديب مداعباً : إن جماعة نشر الثقافة لم تعد على هذا الاعتبار جمعية أدبية ، وإنما أمست « قره قولا » ، أي معسكراً للشرطة .

ونحن لا ندري وجهاً لاعتراض الأديب الفاضل ، وإن كانت ملاحظته تبعث الاهتمام حقيقة ، فلم يكن الأدب والجندية يوماً ضدين لا يجتمعان ، والأدباء الضباط والشعراء الضباط في كل أمة يضيق الحصر دون ذكرهم ، والجندي إذ يصدمه الواقع المرير لا عليه أن يلوذ بأطياف الأدب الجميل .

ولكن الذي نأخذه على جماعة نشر الثقافة في عهدها « العسكري » أن نشاطها لا يكافىء ما كانت عليه في العصر « المدني » . وهذا ما نحب أن نوجه إليه أنظار القائمين عليها من الأدباء الأمجاد .

٢ — هندسة الأدب !

وليس الضباط وحدهم هم الذين ضربوا في الأدب بسهم ، وإنما شاركهم أيضاً المهندسون ، ولقد كانت حفلتهم التي أقاموها منذ أسبوعين منتدى أدبياً ، فهم أرادوا أن يبسطوا قضيتهم العادلة على جماعة من نواب الإسكندرية وأدبائها .

وكان جميلا من هؤلاء المهندسين الأدباء أن أحداً منهم لم يحاول أن يعد خطاباً مكتوباً يتلوه على الحاضرين ، وإنما عمدوا إلى الإرتجال في موضوعات هي من وحي الساعة ، ولا يدفع في الذهن قط أنها هيئت من قبل . وكان جميلا منهم أن يحافظوا على سنن الفصحى فلا يلتوي بهم اللسان إلا في القليل من الألفاظ التي يخطىء فيها الفحول !

ولقد طالب المهندسون بتعديلات لفظية في القانون الجديد لنقابة المهندسين كأن تحذف عبارة « مساعد مهندس » ويتساوى المهندس الجامعي وغير الجامعي في المنزلة الإجتماعية والوظائف الحكومية .

وإذا كانت الصحف اليومية قد لخصت قرارات مؤتمر المهندسين ، فإننا لا يسعنا إلا أن نناشد ولاة الأمور على صفحات مجلة الأدب الرفيع أن تعمل على نصفة هذه الطائفة النافعة العاملة ، فالمهندس خادم للفن ، والفن قطعة من الأدب ، وعالم ما بعد الحرب في حاجة إلى مهندسين يبنون ولا يهدمون ، ليقيموا صرح الحضارة باذخاً لا تتقاذفه الأهواء .

(الرمل) **منصور جاب الله**



اليـــــد المقطوعة

للكاتب الفرنسي جي دو موباسان

بقلم الأديب محمد عبد اللطيف حسن

التف الجمع حول المسيو برمتير مدير الأمن العام الذي أمكنه أن يحل بذكائه ونباهته رموز جريمة سان كلود التي حيرت أهل باريس مدة عام كامل، وأن يكشف الستار عنها بما عرف عنه من مهارة البحث، ودقة التحري والاستقصاء..

وكان المسيو برمتير جالساً يدخن غليونه في هدوء بجوار المدفأة التي كانت تتأجج فيها النار، وقد استلقى بظهره العريض الممتلئ على مقعد كبير مريح.

وغادر بعض السيدات الموجودات وسط هذا الجمع مقاعدهن واقتربن منه ليتمكن من الإصغاء إليه. وكن يرتجفن وهو يسرد عليهن حوادث هذه الجريمة الرهيبة، ويروي لهن الغوامض والأسرار التي اكتنفتها في ذلك الوقت من كل ناحية.

فلما انتهى من سردها التفتت إليه إحدى السيدات وقالت:

— إن هذه الجريمة تعتبر في نظري، بل وفي نظر الكثيرين أيضاً، من الجرائم الشاذة الخارقة لنواميس الطبيعة...

فأجابها المسيو برمتير وهو ينفث من فمه دخان غليونه في الهواء:

— إنها ليست يا سيدتي من النوع الشاذ الخارق لنواميس الطبيعة كما تظنين، وكل ما يمكنني أن أقوله عنها إنها ارتكبت بمهارة فائقة، ونفذت بطريقة متناهية في البراعة والدقة. وكان الغموض يكتنف هذه الجريمة من كل جانب، حتى إنني لم أتمكن من حلها إلا بعد كثير من المشقة وطول البحث والتفكير...

وبعد أن سكت هنيهة تابع حديثه فقال:

— وقد مرت بي منذ بضع سنوات قضية يمكنني أن أقول عنها بحق إنها شاذة خارقة لسنن الطبيعة، وهذه القضية هي الوحيدة التي لم أتمكن إلى الآن من حلها، ولم أوفق في العثور على أثر يساعدني على إجلاء غوامضها. وقد اضطررت في النهاية إلى أن أنفض يدي منها بعد أن فشلت في الوصول إلى فك رموزها، وحل معمياتها الكثيرة.

وكان لهذه البداية المشوقة التي استهل بها المسيو برمتير قصته أثرها في نفوس سامعيه، فلم يلبث أن طلب منه النساء والرجال الذين كانوا يصغون إليه بشغف زائد وانتباه عظيم أن يسرد عليهم تفاصيل هذه القضية الغريبة. فارتسمت على شفتي المسيو برمتير ابتسامة خفيفة باهتة ثم اعتدل في جلسته وقال:

كنت في الوقت الذي حدثت فيه وقائع هذه القضية الغامضة مفتشاً سرياً بمدينة أجاكسيو، وهي كما تعلمون مدينة صغيرة تقع على حافة خليج تحيط به الجبال العالية من كل جانب. وكانت مهمتي الرئيسية هناك تدور حول كشف الجرائم التي يرتكبها أصحابها بدافع من الانتقام وحده. ففي ذات يوم علمت أن إنجليزياً غريباً عن تلك البلاد نزل في هذه المدينة واختار لسكناه دارة (فيلا) جميلة تقع في نهاية الطرف البعيد الممتد من هذا الخليج. وقد أحضر هذا الإنجليزي معه خادماً فرنسياً أثناء مروره بمدينة مرسيليا. وقد دارت الإشاعات الكثيرة حول هذا الإنجليزي الذي كان يعيش في هذه الدارة بمفرده، والذي لم يكن يغادرها إلا عندما يخرج للقنص والصيد فحسب! ولاحظ عليه سكان المدينة أنه لم يكن يخاطب أحداً من أهلها، ولا يسير في شارع من شوارعها إلا نادراً! وكان يتمرن ساعة أو ساعتين في صباح كل يوم على إطلاق النار من مسدسه الذي لم يكن يفارق جيبه الخلفي مطلقاً! وأشاع عنه بعض الناس أنه قدم إلى هذه المدينة بعد أن فر من بلاده لأسباب سياسية، والبعض الآخر أشاع عنه أنه ارتكب جريمة شنيعة فر بسببها إلى هذه البلاد هارباً من وجه العدالة! وكانت طبيعة عملي تحتم علي إذ ذاك أن ألم بشيء من حياة هذا الرجل الغامض، الغريب الأطوار، بيد أني لم أنجح في ذلك في بداية الأمر. وكان الاسم الذي عرف به هذا الإنجليزي بين أهل هذه المدينة هو السير جون رويل. وبالرغم من أنني كنت أقتفي أثره وألازمه ملازمة الظل في كل خطواته

دون أن أشعره بمراقبتي له ، فانني لم ألحظ عليه ما يريبه أو يشين سمعته بشيء .

ومع كل ذلك فإن هذه الإشاعات والأراجيف التي كان يتقولها الناس عنه بالحق أو بالباطل لم تقف عند حد ، بل لقد زادت في الواقع انتشاراً وذيوعاً إلى درجة دفعتني إلى محاولة الإتصال بهذا الرجل مهما كلفني ذلك من جهد أو كبدني من مشقة وعناء . وكانت أول خطوة خطوتها لتحقيق غرضي أنني بدأت أصطاد بانتظام ، وفي مواعيد معينة ، في بقعة كبيرة مكشوفة بالقرب من مسكنه . وفي ذات يوم اصطدت طائراً سقط لحسن حظي في حديقة دارته الواسعة المترامية الأطراف ، فأسرع كلبي الذي كنت أصطحبه معي دائماً عند خروجي للقنص والصيد وأحضر الطائر المصاب بين أنيابه وهو يلهث من شدة التعب . وقد انتهزت حينئذ هذه الفرصة التي أتاحتها لي الظروف للتعرف بالسير جون رويل الذي كان جالساً وقتئذ في حديقة منزله ، فاجتزت المسافة التي كانت تفصلني عنه بخطوات سريعة واسعة ، ثم قدمت إليه هذا الطائر — وكان من الطيور الغريبة النادرة المثال — على سبيل الهدية وأنا أعتذر إليه في نفس الوقت من تهجمي على حرمة مسكنه . فشكرني السير جون رويل بحرارة وإخلاص لم أكن أتوقعهما منه وتقبل مني هديتي البسيطة وهو يتمتم بعبارات الشكر والإمتنان .

وقبل مضي شهر على هذا الحادث كنت قد تبادلت الحديث معه نحو خمس مرات أو ست ، ولكنه كان حديثاً عادياً مألوفاً لا يقدم ولا يؤخر . وفي ذات مساء كنت أمر بجوار منزله فشاهدته جالساً في الشرفة يدخن غليونه بهدوء وقد أمسك في يده صحيفة يومية كان يطالع فيها بشغف واهتمام . فلما وقع بصره على حييته برفع قبعتي ، فرد تحيتي باسماً ثم دعاني إلى الجلوس معه فقبلت دعوته عن طيب خاطر .

وقد انتهزت حينئذ هذه الفرصة التي كنت أترقبها بفروغ صبر فسألته حين استقر بنا المقام عن تاريخ حياته الذي لا أعرف عنه حتى تلك اللحظة شيئاً ! فعلمت منه حينئذ أنه سافر إلى أمريكا وأفريقيا والهند وكثير من الأقطار الأخرى . وبعد أن مرت بيننا لحظة سكوت قصيرة قال لي وهو يبتسم :

« لقد صادفت أثناء تجوالي في تلك البلدان كثيراً من المخاطر والأهوال التي كادت تودي بحياتي في كثير من الأوقات لولا لطف الله ورعايته ... » وهنا أطلعني على كثير من التفصيلات العجيبة الخاصة بصيد فرس البحر ، والفهود ، والفيلة ، والغوريلا وغيرها . فقلت له وأنا أعجب بغزارة علمه ، وسعة إطلاعه : « إن هذه الحيوانات وحشية ومخيفة للغاية » .

فأجابني محدثي وهو يبتسم بهدوء : « نعم هذه الحيوانات وحشية ومخيفة كما تقول ، ولكن هنالك بين البشر من هم أكثر وحشية وأشد شراسة وفتكا منها ! » وتطرق الحديث بنا بعد ذلك إلى التكلم عن أنواع بنادق الصيد المختلفة . ثم دعاني بعد أن فرغنا من هذا الحديث إلى مشاهدة مجموعة البنادق والأسلحة التي كان يحتفظ بها في إحدى الغرف الخلفية للمنزل . واسترعى نظري في هذه الغرفة التي أدخلني فيها شيء غريب معلق على الحائط ، وكان هذا الشيء موضوعاً داخل جراب من القطيفة السميكة الحمراء . فلما اقتربت من هذا الشيء لأتبينه عن قرب وجدته يداً بشرية كبيرة الحجم ! وكانت هذه اليد المقطوعة جافة سوداء ذات أظافر طويلة مصفرة اللون ، وعليها آثار دماء متجمدة سوداء قديمة العهد . وكأن يلوح لي على هذه اليد أنها قطعت بمهارة فائقة عند اتصال أعلى الذراع بالكتف بآلة صلبة حادة .

ومما استرعى انتباهي أكثر من أي شيء آخر أنني رأيت حول معصم هذه اليد سلسلة حديدية متينة مشدودة إلى حلقة مثبتة في الحائط بدقة عجيبة ، بحيث لا يقوى على انتزاعها من مكانها أقوى الرجال عضلا وأشدهم بأساً !

فلما رآني السير جون رويل أحدق بدهشة وذهول في تلك اليد البشرية البشعة المنظر تلاشت الابتسامة التي كانت مرتسمة على شفتيه منذ لحظة وقال : « إن هذه اليد التي تراها معلقة على الحائط أمامك هي يد ألد عدو لي على ظهر البسيطة ، وهو رجل زنجي من أهالي أمريكا الجنوبية ، وقد قطعت يده هذه بفأس كبيرة حادة النصل بعد أن قتلته شر قتلة ، ثم نزعت عنها جلدها الخارجي وجففتها في الشمس مدة أسبوع كامل واحتفظت بها بعد ذلك داخل هذا الجراب الذي تراها موضوعة فيه » وكانت أصابع هذه اليد اللعينة طويلة ملتصقا بعضها ببعض بقطعة كبيرة

من القماش الأبيض المتين . وقلت للسير جون رويل وأنا أشيح بوجهي عن هذه اليد التي كان يدل قطعها على منتهى الوحشية والقسوة : « أظن أن عدوك هـذا كان قوياً كبير الجسم ؟ » فأجاب الانجليزي ببرود وجمود : « نعم ! لقد كان ضخماً قوياً في الواقع ، ولكنني كنت في ذلك الوقت أقوى وأشد بأساً منه ، وقد ربطت يده في تلك السلسلة الحديدية المتينة حتى لا تحاول الإفلات منها ! » وظننت حينئذ أنه قال العبارة الأخيرة على سبيل الدعابة والتفكه فقلت : « ولكن هذه اليد لا يمكنها الإفلات بطبيعة الحال ، ولا سيما بعد أن فصلت عن جسم صاحبها الذي قتلته شر قتلة كما قلت ؟ » فأجاب السير جون رويل وهو عابس الوجه ، مقطب الجبين : « لقد أخطأت القول ياصاحبي ، فقد حاولت هذه اليد الإفلات فعلا عدة مرات ، ولهذا لم أجد بداً من ربطها في هذه السلسلة القوية ! » فنظرت إليه حينئذ نظرة غريبة متشككة وظننت أن به مساً من الجنون ، ولكن جمود وجهه وصرامة هيئته كانا يدلان على أنه جاد في قوله ، صادق في زعمه . ولما سألته عن سبب قتله لهـذا الرجل انقلبت سحنته واكفهر وجهه ثم هز رأسه متأسفاً وقال : « هـذا يا صاحبي سري الخاص الذي أحتفظ به لنفسي ولا يمكنني أن أبوح به لأي مخلوق ... » وتبين لي وقتئذ أن السير جون رويل كان لا يزال يعيش في رعب دائم ، وهلع مستمر من هذه اليد البشرية المقطوعة الكئيبة المنظر .

وبعد أن فرغت من التفرج على معروضات الغرفة استأذنت منه في الإنصراف فأذن لي بعد أن أخذ مني وعداً بزيارته كلما سمح لي وقتي بذلك . وقد بررت بوعدي اياه فترددت على منزله عدة مرات ثم انقطعت فجأة عن زيارته لأسباب هامة شغلتني عنه . ولاحظت في هذا الوقت أن الأراجيف التي كان يروجها الناس عن السير جون رويل بدأت تخف حدتها ، وتقل وطأتها شيئاً فشيئاً حتى تلاشت نهائياً في آخر الأمر . وفي صباح ذات يوم أيقظني خادمي من نومي وأخبرني أن السير جون رويل وجد مقتولا في منزله حوالي الساعة السابعة صباحاً ؛ وهي الساعة التي اعتاد خادمه الفرنسي أن يوقظه فيها من نومه . ولم تمض نصف ساعة على أثر سماعي هذا النبأ السيء حتى كنت في منزل القتيل ومعي اثنان من مفتشي البوليس . وهنالك وجدت خادم السير جون رويل واقفاً على باب المنزل في انتظاري . وكان يبكي بحرقة وحرارة ويبدو على وجهه آثار الحزن العميق والألم الدفين . وجال بفكري أولا أنه مرتكب هذه الجريمة دون غيره . ولكنني لم ألبث أن نفيت عني هذا الخاطر بعد أن اتضح لي فيما بعد براءته مما نسب إليه . ولما فحصت جثة السير جون رويل التي كانت ملقاة على ظهرها وسط غرفة نومه وجدت سترته ممزقة شر ممزق ، وكان أحد أكمامها منزوعاً من مكانه بشدة ، فاستنتجت من ذلك أنه قد حدثت مشادة عنيفة بينه وبين القاتل . واتضح لي أيضاً بعد أن كشفت على جثته أنه مات مخنوقاً ، لأن لون بشرته كان يميل إلى الزرقة الداكنة الضاربة إلى السواد . وكان يلوح على وجهه الجامد الصارم التقاطيع آثار رعب هائل وفزع شديد . وقد لاحظت أن أسنانه كانت مطبقة بشدة على شيء غريب لم أتبينه في بادىء الأمر . وكان في أسفل عنقه خمس ثقوب صغيرة بارزة بحجم أصابع اليد . وطبيعي أن هذه الثقوب قد نشأت من غرز أصابع يد قوية شديدة الصلابة . ولما وصل الطبيب الشرعي الذي قدم على أثرنا مباشرة ، وفحص بصمات الأصابع الموجـودة على عنق القتيل التفت نحوي وقال : « لقد نشأت هذه الثقوب التي تراها واضحة في أسفل العنق من تأثير ضغط يد بشرية قوية ، وهي في الغالب يد هيكل بشري أكثر منها يد إنسان حي ! » فسرت في جسدي رعدة قوية عندما سمعت منـه ذلك ، وانتقل تفكيري بسرعة إلى تلك اليد المشئومة التي رأيتهـا في الغرفة الخلفية لمنزل السير جون رويل .

ولم تمض على ذلك برهة حتى كنت داخل هذه الغرفة ، فلم أجد هذه اليد في مكانها من الحائط ! فدهشت لذلك دهشة عظيمة وتحيرت في تفسير هذا الأمر الغريب الذي لم يسبق أن صادفت مثله في حياتي الحافلة بالمهالك والمجازفات ! ومما زاد في دهشتي وحيرتي أنني وجدت السلسلة التي كانت هذه اليد مشدودة إليها ، مفككة الأجزاء ، مقطعة الأوصال ، وملقاة على الأرض بلا عناية ! ...

ولما عدت أدراجي إلى الغرفة الموجودة بها جثة السير جون رويل ، انحنيت فوق جسمه الممدود على الأرض ثم فتحت فمه بأقصى قوتي وانتزعت الشيء الغريب الذي كان مطبقاً عليه بين أسنانه فوجدته لمعظم دهشتي أحد أصابع اليد المقطوعة المختفية ! ولم يؤد البحث الذي قمت به في ذلك الوقت في سبيل العثور على

تلك اليد إلى أى نتيجة ، وذهبت جهودى ومتاعبى كلها أدراج الرياح ! وعلمت من خادم القتيل عند استجوابى له ، أن جميع أبواب ونوافذ المنزل كانت محكمة الإغلاق فى الليلة التى ارتكبت فيها هذه الجريمة ، ولم يسمع الخادم نباح الكلاب التى كان يطلقها السير جون رويل فى حديقة منزله كل ليلة مما يدل على أن أحداً غريباً لم يدخل المنزل من الخارج ! كما أنه صرح لى ضمن أقواله التى أدلى بها إلى أن سيده كان يبدو قلقاً مشتت الفكر فى الشهر السابق لوفاته ، وأنه تسلم فى أخريات أيامه رسائل كثيرة كان لا يلبث أن يلقى بها طعمة للنيران بمجرد قراءته لها ! وقال أيضاً إنه كثيراً ما رآه ممسكا فى يده بهرواة ثقيلة ؛ وقد تجلى فى عينيه الرهيبتين بريق الشراسة والغضب ، ثم يهوى بها بشدة وعنف على تلك اليد المقطوعة التى كانت معلقة على الحائط ، والتى اختفت من مكانها فجأة فى ليلة مصرعه ! وزاد الخادم على ما تقدم فقال : « لقد آوى سيده إلى فراشه متأخراً فى تلك الليلة المشئومة على غير عادته ، وأوصد عليه باب غرفته من الداخل . وقد اعتاد أن يضع مسدسه الكبير تحت وسادته بعد أن يحشوه بالرصاص ، ولكنه نسى لسبب ما أن يضعه فى تلك الليلة فى مكانه المعهود ... » .

وسكت الخادم هنيهة ليسترد أنفاسه اللاهثة ثم تابع حديثه لى فقال : « وكثيراً ما كنت أسمعه يخاطب نفسه أثناء نومه بصوت عال مسموع كما لو كان يشاجر إنساناً موجوداً معه بالغرفة ! ولكنى لم أسمع له صوتاً فى تلك الليلة التى قتل فيها ، ولم أكتشف مصرعه إلا عند دخولى غرفته فى الصباح بعد أن دفعت الباب بكل قوتى حين لم أسمع من الداخل رداً على ندائى المتكررة . ولا يمكننى أن أتهم أحداً ، أو أشتبه فى أحد ، لأننى لا أعرف له أعداء على الإطلاق ، فضلا عن أنه كان قليل الاختلاط بالناس » .

ولما فرغ الخادم من الإدلاء بأقواله غادرت منزل القتيل ثم ذهبت إلى حاكم المدينة وأطلعته على كل التفاصيل التى عرفتها عن هذه القضية الغامضة . وعلى الرغم من التحريات الدقيقة التى قام بها مفتشو البوليس فى المدينة — وأنا معهم — فإنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى معرفة القاتل الذى لم يترك وراءه أثراً على الإطلاق ولم يعثروا طوال مدة بحثهم على أى أثر — ولو بسيطا — يستدل به عليه ! ومن غريب ما حدث بعد ذلك أن أحد رجال الشرطة السريين أحضر إلى فى الشهر التالى لوقوع هذه الجريمة تلك اليد المقطوعة التى اختفت فى ليلة مصرع السير جون رويل ، وأخبرنى أنه عثر عليها بطريق المصادفة على مقربة من قبر القتيل نفسه ! فلما اختبرت هذه اليد وفحصتها بعناية ودقة بالغتين ، وجدت أحد أصابعها ناقصاً ! فتذكرت على الفور ذلك الإصبع الذى كان السير جون رويل مطبقاً عليه بين أسنانه . وبمطابقة هذا الإصبع الذى احتفظت به معى بعد وقوع الجريمة بباقى أصابع اليد ، وجدته يطابقها تمام المطابقة !

وبعد أن سكت المسيو برمتير سكتة قصيرة حول وجهه نحو مستمعيه ليرى تأثير قصته فى نفوسهم ثم استطرد فى حديثه فقال :

— هذه هى تفاصيل القضية الغريبة ، وهى مع الأسف الشديد كل ما أعرفه عنها حتى يومنا هذا .

وهنا سألته إحدى السيدات وهى تجفف بمنديلها قطرات العرق الذى أخذ يتجمع فوق جبينها فقالت :

— ولكن حل هذه الجريمة لم يزل غامضاً لنا ياسيدى إلى الآن ؟

فابتسم المسيو برمتير إبتسامة مغتصبة وأجابها بقوله :

— إن الذى أمكننى أن أستنتجه من خلال الحوادث والملابسات التى مرت بهذه القضية الغامضة ، هو أن صاحب هذه اليد المقطوعة لم يمت كما توهم السير جون رويل . والظاهر أنه تتبعه فى كل رحلة من رحلاته ، واقتفى أثره فى كل مكان ذهب إليه ، حتى استقر به المقام مدينة أجاكسيو . وهنالك أمكنه أن يقتله فى منزله بيده الأخرى الصحيحة شر قتلة بعد أن نشبت بينهما تلك المعركة العنيفة التى أدت إلى مصرع السير جون رويل فى النهاية . ويلوح لى أن المجرم انتزع اليد المقطوعة من مكانها بعد أن فرغ من ارتكاب جريمته ، وغرز أصابعه فى عنق القتيل تشفياً وانتقاماً منه ثم أخذها معه وفر هارباً . فلما دفن السير جون رويل ذهب هذا المجرم الجرىء إلى مقبرته ووضع هذه اليد بجوارها ، ليوهم الناس أنها هى التى قتلته من ناحية ، وليضلل رجال البوليس من ناحية أخرى ! فإذا كان استنتاجى هذا صحيحا فلا شك أن القاتل قد نجح فى تحقيق فكرته الشيطانية كل النجاح ، ووفق فى الإنتقام من السير جون رويل كل التوفيق . أما الطريقة التى دخل بها المجرم إلى منزل عدوه ثم خرج منه على الرغم من أن النوافذ والأبواب كانت موصدة كما ذكر الخادم فى روايته ، فهذا ما لم أجد له حلا ولم أتوصل إلى معرفته للآن !

محمد عبد اللطيف حسن

محكمة عابدين الجزئية الوطنية

إعلان بيع عقار

نشرة أولى فى القضية ١٩٤٧ سنة ١٩٤٤ بيع

إنه فى يوم الأربعاء ٩ يناير سنة ١٩٤٦ من الساعة ٨ و٣٠ أفرنكى صباحا بسراى محكمة عابدين بشارع رشدى باشا قسم عابدين سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد ملك ورثة المرحوم متولى ابراهيم عبد الواحد وهم —

١ — محمد متولى ابراهيم عبد الواحد المقيم بالمنزل ن ٢٠ بعطفة المكتب بشارع الشيخ ريحان قسم عابدين .

٢ — الست فاطمة متولى ابراهيم عبد الواحد المقيمة مع الأول .

٣ — الست لبيبة متولى ابراهيم عبد الواحد بحارة الطاحونة ن ٧ بالبلاقسة قسم عابدين .

٤ — الست نجية متولى ابراهيم عبد الواحد بكفر الطماعين بزقاق المغربلين ن ١١ قسم الجمالية .

٥ — حنفى متولى ابراهيم عبد الواحد بحارة نافع ن ٧ بالبغال قسم السيدة .

وذلك نفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر من محكمة عابدين الوطنية بتاريخ ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٥ فى القضية رقم ٢٨٦ سنة ١٩٤٤ ومسجل بمحكمة مصر الكلية الوطنية بتاريخ ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٥ تحت رقم ٢٨٦ سنة ١٩٤٥ وفاءاً لمبلغ ٢٦ جنيه و٤٥٢ مليم ستة وعشرون جنيها وأربعمائة إثنين وخمسين مليما بخلاف المصاريف بثمن أساسى قدره ٣٠ جنيه ثلاثون جنيها وهذا البيع كطلب حسن ابراهيم الفقى بمصر بعطفة المكتب ن ٢٠ ومحله المختار مكتب الأستاذ مصطفى أحمد العسال المحامى بشارع عدلى باشا ن ١٢ بمصر وهاك بيان العقار ٣ ط و١٩ س ثلاثة قراريط وتسعة عشر سهماً على الشيوع فى كامل أرض وبناء المنزلين رقم ١٨ ألف ورقم ٢٠ الكائنين بعطفة المكتب الشيخ ريحان تبع قسم عابدين محافظة مصر شياخة الشيخ ريحان . والمنزل رقم ١٨ ألف على عطفة المكتب شياخة الشيخ ريحان قسم عابدين محافظة مصر ومحدود بحدود أربع الحد البحرى المنزل ن ٢٠ على عطفة المكتب بطول ٧ متر والحد الشرقى عطفة المكتب بطول ٧ متر والحد الشرقى عطفة المكتب وبها الواجهة والباب بطول ٩ متر ٥٦ س والحد القبلى المنزل ن١٨ على عطفة المكتب ملك ورثة الشيخ إسماعيل الحمامى وطوله ٧ متر و١ س والحد الغربى المنزل ن ١٣ وجملة مسطح هذا المنزل ٦٦ متر و٥٠ س على عطفة التل ملك أحمد أفندى أدريس بطول ٩ متر و٤٤ س

والمنزل رقم ٢٠ على عطفة المكتب شياخة الشيخ ريحان قسم عابدين محافظة مصر وحدود كالآتى .

الحد البحرى المنزل ن ٢٢ على عطفة المكتب ملك إسماعيل أفندى حسن ومكون من ثلاث خطوط تبتدىء من غرب لشرق ٩ متر و٧٥ س ثم يبحر ٠ و٦٥ س ثم يشرق ٤ متر و٤٢ س والحد الشرقى عطفة المكتب وبها الواجهة والباب بطول ١٢ متر و٢٠ س والحد القبلى المنزل ن ١٨ ألف على عطفة المكتب وباقية المنزل ن ١٣ على عطفة التل ملك أحمد أفندى أدريس وطوله ١٤ متر و١١ س والحد الغربى عطفة التل بطول ١١ متر و٨٠ س وجملة مسطح هذا المنزل ١٦٧ متر و٩١ س مربع

وشروط البيع مودعة بملف القضية لمن يريد الاطلاع عليها .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المبين بعاليه .

كاتب البيوع



العدد ٦٥١ — الاثنين ٢٤ ديسمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

٢٥ ٥١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



13 me Année No. 651

Lundi — 24 — 12 — 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

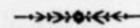
بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ محرم سنة ١٣٦٥ — ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

معرفة الطريق ...

للأستاذ عباس محمود العقاد



قد يصل المرء إلى المعرفة الجوهرية عرضاً ، وهي التي نسميها هنا بمعرفة الطريق

وقد احتاجت معرفة الطريق في عصرنا هذا إلى شيء من الإنصاف بعد أن جار عليها الناقدون كل الجور ، وزعموا أن النظرة العرضية لا تؤدي إلى معرفة يعتد بها على الإطلاق

وفي اعتقادنا أن تاريخ المذاهب الفكرية كلها إنما هو تاريخ جور واعتدال ، أو تاريخ إجحاف وإنصاف ، أو تاريخ تجاوز للحد ورجوع إليه ، وقد يكون الرجوع إلى ما دون الحد بكثير أوقليل ، فيحتاج الفكر إلى رجعة أخرى ليستقر على الحد الصحيح

أفرط الناس في الإيمان بالمنطق ، ثم أفرطوا في الإيمان بالسماع ، ثم أفرطوا في الإيمان بالعلوم التجريبية ، ثم جمعوا بين المنطق والسماع والعلوم التجريبية في تقديرات علم النفس الحديث ، ثم لعلهم يعودون كرة أخرى إلى حدود المنطق السليم ، ولكن لا وراء الحدود في هذه المرة ولا أمام الحدود ، بل على سواء الحد الصحيح

ومن الأراجيح الفكرية التي تجاوزت الحد جيئة وذهوباً أرجوحة الكلام في مشاهدات السائحين ، أو تعليقات الناظرين إلى الأمم من عرض الطريق ؛ فقد أنكرناها وغلونا في إنكارها كأن النظرات العارضة لا تميز أمة من أمة ولا مدينة من مدينة ، وكأنها لا تطلب لذاتها في بعض الأحيان للدلالة على حكم المفاجأة الأولى ، وكثيراً ما تكون المفاجأة الأولى هي المميز الواضح بين الناظرين كما تكون هي المميز الواضح بين المنظورات

كان « فيليب جويدالا » الأديب الأسباني أصلا والإنجليزي نشأة يعبر بالقاهرة ، فسألته : أتنوي أن تكتب شيئاً عن رحلتك؟ فقال ضاحكا : لا أظن أن أيامي القصيرة في هذه الرحلة تكفي لتأليف الكتب في موضوعها . ثم قال : لعلي أنا السائح الوحيد الذي قضى في روسيا نحو أسبوع ، ولم يخرج منها بموضوع كتاب .

ومراد الأديب بما قال أن يسخر من عجلة المؤلفين في الحكم على الشعوب التي يعبرون بلادها ولا يطيلون المقام بين أهلها ، وهو على حق في هذه السخرية إذا كان الموضوع الذي يتصدى له أولئك المؤلفون العابرون مما يحتاج إلى إطالة الدرس وكثرة المراجع والأسانيد ، ولكن السخرية جائرة على أولئك المؤلفين إذا كان همهم الأكبر تسجيل ما شاهدوه وما أحسوه ووقع هذه المشاهدات

في أذهانهم وتخيلاتهم للوهلة الأولى . فإننا نخسر كثيراً من حقائق المشاهدات إذا أهملنا منها الجانب الذي يفاجئنا بآثاره النفسية . ولو تغير حكمنا عليها بعد ذلك ، لأن الآثار التي تتغير هي أيضاً صورة من صور الدلالة ، ولون من ألوان الشعور والتفكير .

خطر لي هذا الخاطر وأنا أستمع اسماً من الأسماء تغلب فيه النسبة إلى بلد من البلاد المصرية .

فرجعت بي الذاكرة إلى العهد الذي كانت النسبة الإقليمية تغلب فيه على معظم الأسماء إن لم تغلب على جميع الأسماء .

فكنا نسمع مثلا أسماء : على الجرجاوى ، وحسن الأسيوطى ، ومحمد الشرقاوى ، وأحمد الفيومى ، وحسين المنياوى ، وموسى الشندويلى ، ومحمود الدمنهورى ، وكثيراً من أشباه هذه الأسماء المنسوبة إلى الأقاليم .

ثم عبرت فترة على الديار المصرية قلت فيها الأسماء المنسوبة ، ثم أوشكت أن تزول .

ألا يدل مجرد الاستماع إلى أسماء هذين الجيلين على تاريخ الوطنية المصرية منذ خمسين أو ستين سنة ؟ ألا يفهم منه أن المصريين قد شعروا بوطن عام تنطوى فيه الأقاليم بعد أن كانت أوطانهم في رأيهم هي تلك الأقاليم التي حجبت عنهم النظر إلى « الوطن العام » .

وتسمع بين الأسماء اسم البحيرى والشرقاوى ولا تسمع اسم الغرباوى أو الغربى منسوباً إلى إقليم الغربية ، بل ينسب الناس أبناء هذا الإقليم إلى بلادهم : كالطنطاوى والدسوقى والمحلاوى والسنطاوى ، وغيرها من المنسوبات إلى بلاد الغربية وقراها . فهل من العجلة أن يفهم من ذلك أن التقسيمات الإدارية لم تكن مما يحفل به المصريون في عهدهم الغابر ، وإن أسماء الحكومة غير أسماء الشعب في لغة الجماهير ؟ ألا يلاحظ من هذا أن الموقع هو المقصود من نسبة البحيرى والشرقاوى وليس هو الاسم المصطلح عليه في دفاتر الحكومة عند تقسيم المديريات ؟

ويحضرني لهذه المناسبة ما لاحظته على الأسماء العربية في بلاد السودان

ففي هذه البلاد يكثر اسم : أبو بكر وعمر وعثمان ، ويوجد اسم مروان والزبير ومعاوية وشرحبيل ، ويقل اسم على وحسن وحسين وجعفر وزين العابدين ، ويحدث ذلك الآن غير متعمد وغير ملحوظ ، ولكنه في بداية أمره كان متعمداً ولا شك لكثرة المهاجرين إلى السودان من الأمويين بعد زوال الدولة الأموية ، وكثرة المهاجرين إليه من العباسيين بعد ظهور الفاطميين. أما في مصر حيث أقام الفاطميون زمناً طويلا ، فليس أشيع بين الأسماء العربية الإسلامية من اسم الحسن والحسين وعلى وسائر الأسماء العلوية ، وقس على ذلك أسماء المسلمين في إيران وبعض الأقاليم العراقية والهندية ؛ فإن أسماء الخلفاء فيها — ما عدا اسم على — من أندر الأسماء .

وندع الأسماء ، ونستمع إلى نداء الباعة ، أو ننظر إلى زفة الجهاز والشوار ، أو نقرأ بعض العناوين على أبواب الدكاكين والأماكن العمومية .

فما ذا تفهم من « العبداللاوى شيلة جمل » ، حين ترى أن المنادى بهذا النداء السخيف يحمل في يديه وحجره عشراً من هذا العبداللاوى الذي ينوء الجمل بواحدة منه ؟

وما ذا تفهم من اللحاف الذي يحمل وحده على مركبة ، أو الكراسي القليلة التي تحمل على مركبة أخرى حين تعلم أن البيت كله ينقل بعد ذلك على مركبة واحدة تتسع لحمولة عشر مركبات من هذا القبيل ؟

ألا تفهم من هذا وذاك ولعاً بالمظاهر الكاذبة يبلغ حد الجنون؟ ألا يصدق وصف الجنون على هذا الولع ، لأنه يطلب المظهر ، ولو لم ينخدع به أحد من الناس ؟

إن الولع بالمظهر الخادع فيه بعض العقل أو بعض الذكاء . أما الولع بالمظهر الذي لا يخدع أحداً ولا يخطر على بال الآدمى أنه قابل للخديعة والانخداع ، فأصدق ما يوصف به أنه ضرب من الجنون ، وأنه يدل على نقص في إدراك الحقائق وتصورها ، لا يستقيم عليه حال .

وليس في وسعنا أن نعيد هنا أسماء الأماكن العامة أوعناوين

الدكاكين كما نقرأها ويقرأها من يشاء ، لأننا نحس بها أناساً من الأحياء لا نعنى ذواتهم بما نقول ، فنكتفى من ذكرها بالإشارة إلى مرادفها ، أو مايدل على مثل معناها ومثل ما تشتمل عليه من المتناقضات والأعاجيب

فما ذا تفهم إذا عبرت الطريق فرأيت مدرسة للبنات تدعى مدرسة الانشراح ، وحانة تدعى حانة الحكمة ؟ وما ذا تفهم إذا قرأت « جزار الخيرات » وحانوت السلامة ؟

أمثال هذه العناوين تدل على كثير ، وهى على هذا لا تحتاج إلى أكثر من لفتة فى طريق .

وإذا نزلت بمدينة إسلامية فى شهر رمضان فلم تر مسلماً واحداً يحمل سيجارة يدخنها ، ورأيت فى كل شارع مشهود خمس حانات ، فما ذا تفهم من حقيقة الإيمان وحقيقة الأخلاق ونصيبها من الصدق والصراحة فى تلك المدينة ؟ وما ذا تفهم إذا مررت فيها بمائة مسجد ولم تجد فيها جميعاً ما يملأ عشرة مساجد ؟

إنك لتفهم من هذه النظرات العرضية ما يستحق أن يفهم على الأقل وأن يلاحظ وأن يتجاوز الملاحظة إلى التسجيل .

فإذا كان هذا الفهم مما يتغير بعد النظرة الأولى ، فذلك من دواعى الحرص عليه لا من دواعى إهماله وصرف النظر عنه ، كما يحرص على كل ملاحظة إنسانية يخاف عليها الزوال السريع .

لقد ظلمنا « معرفة الطريق » ، وأفرطنا فى الأنحاء عليها ، فوجب أن نعود بها إلى حد من القصد والإنصاف ، لأننا محتاجون إلى سرعة الملاحظة ، ومحتاجون إلى سرعة الاستدلال ، ومحتاجون إلى تسجيل الأطوار المتعاقبة للحقيقة الواحدة فى حالة المفاجأة وحالة الروية والمراجعة .

أما إذا قيل إن هذه المعرفة التى تسميها بمعرفة الطريق قد تسمعنا ما لا يستحق السماع وتسجل لنا ما لا يستحق التسجيل فالخطب هنا يسير وموضع الفصل فيه غير بعيد ، لأننا خلقاء أن نذكر دائماً أن النظر الذى لا يرى من النظرة الأولى ما يستحق أن يقال : لن ينفعنا بشئ ذى بال بعد التمحيص الطويل والتنقيب الكثير .

عباس محمود العقاد

من التاريخ الإسلامي :

عشيـــة وضحاها

للأستاذ على الطنطاوى

هبطت ليلة الثلاثاء (١٥ رجب ٤٨٤ هـ) على قصر الملك الشاعر ، وهو لا يزال على العهد به مُنذ عشرين عاماً ، سابحا فى النور ، رافلا فى حلل النعيم ، ولا يزال أهله سادرين فى أفراحهم ، واثقين بدهرهم ، مطمئنين إلى سعدهم ، ولم يخفهم ما رأوا البارحة من طلائع الفاجعة ونذرها ، إذ أطبقت سحبها سوداً متراكبات ترتجس بالرعد ، وتنبجس بالبرد ، وتعزف رياحها الهوج العاتيات ... لأنهم كانوا على يقين من زوالها ، وكانوا يرجون من بعدها صباحاً طلقاً ، ضاحك الطلعة ساجع الطير مزهر الروض .

كذلك عودتهم الأيام حين غمرتهم بنعمها ، وأفاضت عليهم متعها ، ولم تمسك عنهم خيراً يطمع فيـه عاشق ولا شاعر ولا ماجد شريف . وكان للملك من نفسه الكبيرة جيش إذا افتقد الجيش ، وكان عظيم الثقة بها والاعتماد بعد الله عليها ، وكان فذاً قد جملته خلائقه وما ورثه الجدود ، بطلا فى الأبطال ، فلم تنل من حماسته هذه الأحداث التى كرّت عليه فجاة بعد ما طال أنسه بالدعة ، وبعد ما نام عنه الدهر فطالت نومته ، وأضفى عليه ثوب السعادة فامتدت سعادته .

وكان قد نزل به فى يومه ما لو نزل بملك غيره لطارت نفسه شعاعاً ، لخار وسُقط فى يده فلم يعرف له مضطرباً. أو انصدع قلبه وانخلع فؤاده فخضع واستسلم ، ولكن المعتمد بن عباد لم يكن ليذل ولا ليجزع ، بل احتمل هذه الشدائد صابراً عليها ، معداً العدة لدفعها .

لقد تجمعت عليه فى يومه بلايا ثلاث كانت كالحلقات فى سلسلة أسره : انقلب عليه حليفه القوى أمير المسلمين ابن تاشفين الذى أعانه على حرب الأسبان ، وجاءته الأخبار عنه أنه قطع المجاز[1] أمس بالجيش العرمرم لم يعده هذه المرة للأسبان ، ولم يسقه ليذودهم به عن الوطن الإسلامى ، وإنما أعده لحرب ابن عباد ، وساقه عليه ليزيله به عن عرشه ، ويقتلعه من كرسيه . ولقد أذكى ابن تاشفين حمية جنده ، بأن أراهم فى هذا الزحف قربة إلى الله ، وأنه فى سبيله ، وأنه ما أراد به إلا عز الإسلام بحطم هـذه العروش الصغيرة ، وهذه الممالك المزوّرة :

ألقاب مملكة فى غير موضعها ... كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

فقد أطمع هذا التفرق العدو حتى أقدم على هذه الدويلات ، فذلت له كلها وخضعت ، ورضخت له بالأتاوة[1] ، وكان الأعداء هم يؤدونها عن يد وهم صاغرون ، وما ينبغى للمسلمين إلا دولة واحدة عليها أمير واحد ، وما جزيرة (الأندلس) إلا ولاية فى دولة المسلمين ...

بذلك أضرم أمير المسلمين الحماسة فى صدور قواده وجنده من البربر ، فأقبلوا يطوون المراحل شوقاً إلى حرب هذا الذى فرق جماعة المسلمين وأطمع العدو فيهم ، (المعتمد) الذى كان بالأمس الدانى صديقهم وحليفهم وكان مُضيفَهم ، وكانوا يتغنون بما رأوا من عجيب الكرم وما أوتيه من بارع الخلال .

ثم إن هؤلاء الأجناد الذين كان بعث بهم أمير المسلمين ليكونوا فى ثغور الأندلس جنداً للمعتمد وعوناً له على عـدوه وعدو الإسلام : الأسبان ، واختارهم — لغرض يريده — من فرسان المرابطين ، وأهل الشـدة والنجدة فيهم ، هؤلاء الفرسان قد تركوا بالأمس ثغورهم لما بلغهم زحف أميرهم ، وأقبلوا على حرب الملك العربى النبيل يؤثرونها على مواقعة الأسبان ، ومروا يطحنون فى طريقهم الأرباض والقرى ، يأخذونها أخذ الفجاءة ، ويدعسون[2] مآثر العمران ويحطمون الجنان ، وجابوا فى هذه الكرة الجائرة أودية كانت تميس بغلائل الربيع ، وربُا حالية بالزهر ، وضياعاً عامرة ممرعة ، فتركوها من ورائهم قاعاً صفصفاً وخلوها بلاقع ، فكأنما مرت عليها ريح سَموم محرقة لا تبقى ولا تذر !

وكانت ثالثة الأثافى ، هـذه الثورة التى قدح زنادها ، ونفخ فيها دعاة الخصم المغير ومن شرى ضمائرهم بماله ، فكادت تجمل

(١) مضيق جبل طارق .

(١) هذا هو معنى رضخ لا كما تستعمل اليوم .

(٢) الدعس الوطء الشديد وهو من العامى الفصيح ، وبعض الصحفيين عندنا (يتفاصحون ...) فيكتبون دعست السيارة ... بالماء بدله الهين !

على المعتمد ، إشبيلية دارة ملكه ناراً ، ولكن الله أمكنه منها فأطفأها قبل أن تضرى ، وحكمه فى مجرميها ، فأبى له نبل محتده ، وكرم طبعه ، إلا العفو عنهم عفو القادر المتمكن ، وحباءهم حباء الجواد المحسن !

* * *

لم يحفل الملك وقطان قصره هذه الرزايا ، وعادوا منها بما عودتهم الأيام من غلبة الجد وتمام السعد ، وظنوها فى جنب ما ألفوا من الخفض وعرفوا من اللين ، كالخال الأسود فى وجه الغانية الغيداء ، لا يجيء ليسوده ولكن ليتم جمال بياضه . والخدر يعرف الصحيح قيمة صحته ، وسحابة الصيف لا تنيم حتى تنقشع …

وأوى الملك إلى سريره بعد ما صرم أكثر ليله يعدّ قوته ويقيم مسالحه ، وكان يؤنسه أن يستمع فى هدأة الليل إلى هذا الهتاف البعيد ، وإلى صليل الأبواق ، وهزيم الطبول ، وهو يطرز حواشى السكون فى هذا الليل الساجى ، إنهم جنده الذين خاضوا معه لجج القتال المر ، وشاركوه جنى النصر الحلو ، على أبواب قرطبة دار الصيد الأعزة من بنى أمية يوم فتحت له أبواب قرطبة ، وفى (الزلاقة) يوم ساق (الأذفونش) فيالقه وجيوشه ، ليمحو بزعمه الإسلام من الأندلس فمحى جيشه ، ولولا المعتمد وجنده ما هزم الأذفونش ، ولكان المرابطون هم أصحاب الهزيمة يوم الزلاقة …

وأغفى الملك وهو يداعب ذكرى ذلك الظفر ، ويطوى سمعه على ضجيج جيشه الذى يحبه ويعتز به ، ويود لوأن هذا الجيش قصر عزمه وبأسه على قتال الأسبان ، ولم يسيء إلى البطولة بحربه الأخوان المسلمين … ورأى الملك فى منامه كأن هذا النشيد المدوى الذى نام عليه قد قوى واستفاض حتى رجّمت أصلاد إشبيلية صليله وعزيفه ، وعظم إرعاد تلك الطبول حتى أوشك أن يهز سريره بين جدران قصره ، وخالطه صراخ وضوضاة ، ففتح عينيه وأفاق مرتجفا ، وأصاخ فسرعان ما أدرك : إنه العدو قد طرق المدينة ، إنهم فرسان البربر الذين قلبوا له ظهور المجانّ ، فتخلوا عن ثنورهم حيال الأسبان وأقبلوا عليه إقبال الذئاب الكواسر … أولئك هم الذين كانت تؤنسه أصواتهم ، فيطوى عليها سمعه حين ينام !

* * *

وتلفت حوله فلم يجد إلا حرس القصر ، وما كان حرس القصر رجال حرب ، ولا فرسان ضراب ؛ وأحس بالخطر ، ورأى أنه قد كاد يفقد كل شيء . ولكنه لم يفقد الشرف ولا الشجاعة ولا النبل :

إن يسلب القوم العدى[1] ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطباع أيسلب الشرف الرفيع

ولا يزال سيفه فى يده ، فخرج به وما عليه إلا غلالة رقيقة ، لم يمهلوه حتى يلبس لأمته ويدّرع :

وبرزت ليس سوى القميص عن الحشا شيء دفوع

وأراد حرسه وأهله أن يجنبوه هذا الهلاك الأكيد ، وأن يحسّنوا له الموادعة حتى تنكسر حدة الهجوم ، وتمكن البادرة :

قالوا الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع

فأبت له مروءته وحميته ، ونفس تعاف العار حتى كأنما هو الكفر يوم الروع ، أو دونه الكفر ، وأبت له ذكريات النصر ومواريث الجدود …

وألذ من طعم الخضوع على فمى السم النقيع

أمن الموت يفرّ وقد كان يتعشقه ويطلبه ويسعى إليه ، ولا يفكر إذا خرج للقائه فى أهل ولا ولد :

ما سرت قط إلى القتال وكان من أملى الرجوع
شيم الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

ولكنه كان يريده موتاً شريفاً نقياً ، كالفتاة المكنونة فى الحجاب ، لم تدنسها نظرات الإثم ولم تعلق بجمالها الريب ، وكان يهوى لقاءه فى الملحمة الحمراء ، فيلحقه فيفر منه ويتأبى عليه ! .. أما هذا الموت الذى يقبل عليه فى غرفته إقبال اللص ، ويلقاه فى ضيق الدهاليز لا فى رحب الميدان ، وفى سُدْفة الليل لا فى سَفَر النهار ، ويريده فى غلالة الشاعر لا فى درع البطل ، فهو لا يطلبه ولا يحبه ، بل لقد أحنقه ذلك عليه ، وملأ صدره غيظاً منه ، وكرهاً له ، حتى نذر لئن واجه الموت هذه الليلة ليقتلن الموت !

* * *

ولئن هو لم يقتل الموت ، فلقد أحيا لمملكته الحياة ، ولقد

(١) يكتب بالياء وإن كان أصله الواو لمكان الكسرة التى فى أوله – اللسان . وقد قال الشاعر هذه القطعة الدهرية بعد أسره .

وفى نذره فرد هذه الناشية التى اقتحمت عليه حصنه ، على حين غفلة من أهله ، كما يرد الهزبر الذئاب عن غابه .

* * *

وضوأ النهار أشبيلية ، وهى مقسمة الفؤاد بين فرح بالنصر ، وجزع من الخطر ، وكان جند الملك الأشاوس قد وقفوا للدفاع عنها ، لا يفتأون[1] كلما سمعوا همسة ريح ، أو هدير نهر ، أو صفير طائر ، أو نبأة خفية بين الأرض والسماء ، يثبون إلى سيوفهم ، يتطلعون أبداً إلى الطرق من فرط تشوقهم للقاء هذا الخصم المغير الذى كان بالأمس الحليف النصير ... فإذا لم يروا أحداً رجعوا إلى مسالحهم يقظين مرتقبين، وكانت الحصون حول البلد ، وفى أطراف المملكة ، محشوداً فيها الجند من كل كمى كأن قلبه من ثباته جلمد الصفا ، وكان فى أكبرها وأمنعها ، شبلاذئات الأسد ، وفرعا تلك الدوحة الكريمة الباسقة ، الراضى بالله والمعتد بالله ، ولدا المعتمد ابن عباد ...

وكان عصر ذلك اليوم وأهل إشبيلية لا يزالون يتغنون بمأثرة الملك الفارس ، وقد فترت يقظة الجند حين توالى الأمان واطمأنوا إلى بُعد العدو ، فاستراحوا قليلا بعد هذه الليلة الجاهدة ؛ فى تلك الساعة صرخ النذير كما ينفخ فى الصور فتجمع العسكر المكدود على عجل ، وصدمتهم فرسان البربر من جهة البر ومن الوادى صدمة تحط الصخر من ذراه ، ولكنهم وجدوا المعتمد أثبت من الصخر، وأيقظ من الصقر، فارتدوابعد ما فعلوا بالمدينة فعل الزلزال واستراحت إشبيلية أياماً ، ثم جاء يوم الواقعة !

* * *

وفى يوم الأحد ٢٠ رجب سنة ٤٨٤ هـ ارتجت أشبيلية بأضخم جيش وطىء ثراها ، جيش أمير المسلمين ابن تاشفين ، الذى حشد له من غطارفة المرابطين كل بطل غشمشم ، يقوده ابن أخيه كبش القوم وفارسهم سير بن أبى بكر ، وجمع له فيه من قبائل البربر جنداً مقاتلة كأنهم من طول ما ألفوا الخيل قد ولدوا على ظهورها ، بعدة لهم ضخمة وعديد ، فسدوا مطلع الشمس ، وحطوا على البلد حط الجراد ، وطوقوه تطويق القيد ، وانضم إليهم فرسان الثغور ، ثم أطبقوا على ابن عباد كالسيل الأتى الدفاع ...

أثار المعتمد فى نفوس جنده حميتهم وكبرياءهم ، وأنشدهم أروع أناشيد البطولة ، ولون لهم الموت بأجمل الألوان ، وعرض عليهم محاسين المجد وتهاويله ، فثبتوا وجاؤوا من فنون القتال بأعجبها وأشرفها ، وناضل الملك البطل حتى لم يبق مناضل ، وضارب حتى تحطمت فى يده السيوف ، ودافع حتى استنفد آخر نقطة من القوة البشرية التى أودعها الله فيه ، ثم سقط مغسلا بدماء جراحه ، وتحطم السد فانطلق السيل ... ونفضت قصور الملك عن غيدها وكنوزها ، فعادت أطلالا ... وهوى الصرح الذى أقامه على النبل والحزم والكرم الغر الهاليل بنو عباد .

* * *

إن البطل الحق لا يستهويه الظفر حتى يستخفه ، ولا تعزه الهزيمة حتى تسحقه ، بل يتلقاها بعزم جلد وفؤاد ثابت، وكذلك فعل المعتمد فلم تذل نفسه ولم يضرع ولم يتهافت . بل تلقى قضاء الله تلقى المؤمن ... وكتب إلى ولديه يستنزلهما من حصنيهما حين قسره الغالبون فلم يجد إلا ذاك ، وكتبت السيدة الكبرى أمهما ، وكانا فى حصنين أمنع من النجم . تهاوت الحصون وهما ثابتان ... ولكن ماذا ينفع حصنان وقد باد الملك وماد العرش وساد المرابطون ... فلما أطاعا ونزلا قتل الراضى على باب حصنه ، واستصفى مال أخيه وترك على شر حال ، ثم اقتيد المعتمد وأهله مجردين من الأموال ، مقيدين بالقيود الثقال ، ليلقوا ما قدر عليهم فى صحراء المغرب .

* * *

كان إذا خرج موكب المعتمد أطلت عليه كل فتاة فى حمص[1] تختزن صورته لتزين بها أجمل رؤاها ، وأحلى أحلامها ، وتطلع إليه كل شاب ينقش رسمه على شغاف قلبه ليجعله مثالاله فى المعالى ، وملأ عينه منه كل أندلسى لأنهم كانوا يحسون أنه عز لهم وفخر ، وأنه حبيب إلى قلب كل أندلسى ، وإن عاد مظفراً قاموا على طريقه يرشقونه بأجمل أزهار الجنة[1] . أما اليوم فقد خرجوا بغير ورد ولا زهر . خرجوا وما أعدوا إلا عيوناً تبكى لو استطاعت بدل الدمع دماً ، وقلوباً تفديه بحباتها لو كان يمكن الفداء، وجرى النهر ذلك اليوم متطامناً خافت الخرير ، لا يصخب

(١) كذلك يكتبها الناس والقاعدة أن تكتب همزتها على واو بعدها واو الجمع .

(١) حمص المغرب هى إشبيلية وتدعى الجنة

ولا يهدر ، كأنه هو الآخر قد أحسّ بالألم :

والناس قد ملأوا العبرين واعتبروا ... من لؤلؤ طافيات فوق أزباد

وكانوا ساكتين قد عقدت الذهلة ألسنتهم ، وأمسكت الأحزان وسيوف المرابطين أفواههم ، حتى الأطفال لم يكن فيهم من يبكى أو يصرخ ، حتى إذا قُدمت بنات الملك الأسير يجرهن جند من البرابرة جرّ الشياه إلى المسلخ ، وقد :

حط القناع فلم تستر مخدرة ... ومزقت أوجه تمزيق أبراد

أوجه تُزرى بالأقمار ، وأجسام ألطف من الياسمين الغض ، وأرق من شعاع البدر على البحيرة الصافية فى ليلة غرام . ثم طلع الملك لا تاج على رأسه ، ولا سيف فى يده ، ولا لواء يخفق على هامته ، ولا جند من حوله يفدونه بالأرواح ويبذلون دونه حرّ الدماء ؛ بل حوله جند من البربر ، وفى يديه قيود ثقال ، وماعليه إلا أطمار — تفجرت الأحزان مدامع ، وانشقت القلوب صرخات ، وتحركوا لنصرة الملك ، ولكن البربر كانوا خلالهم ومن فوقهم ومن تحتهم ...

حان الوداع فضجت كل صارخة ... وصارخ من مفداة ومن فادى

ووضموا الملك فى السفينة ، ومن حوله نساؤه وبناته مقرونات بالحبال ، مطرقات كاسرات الطرف تلوح قطرات دموعهن فى ضياء الشمس كاللآلى :

حموا حريمهم حتى إذا غلبوا ... سيقوا على نسق فى حبل مقتاد

ورفع الملك رأسه ونظر إلى جنده ، وانتزع من آلامه ابتسامة لاحت على شفتيه كما تلوح خيوط الشمس لحظة خلال السحاب فى يوم غائم ، وحاول أن يقول فضاع صوته فى عويل الناس وصخب البربر ، وأراد أن يشير بيده التى طالما هز بها أعواد منبر وطالما أشار بها إلى ظفر . فحركت إليه الكتائب السود ، وطالما أغنى بها فقيراً ، وفك أسيراً ، وأجاز شاعراً ، وفعل بها المكرمات ؛ أراد أن يشير بها فأثقلها حديد القيود ، فأحنى رأسه وأطرق و ...

سارت سفائنهم والنوح يتبعها ... كأنها إبل يحدو بها الحادى

***

وعاد الناس إلى بيوتهم وما يصدقون أنهم فقدوا المعتمد ابن عباد ... أفى عشية وضحاها ، يطمس كتاب كله مجد وكرم ألف فى عشرين سنة ؟ ألم يعد يطلع عليهم موكب الشاعر الذى يغنى للحياة أجمل أغانيها ، ولا الفارس الذى ينظم للبطولة أروع أناشيدها . إنهم لا يستطيعون أن يصدقوا ، فهرعوا (يثبتون) إلى تلك القصور التى ارتضاها لسكناه المجد ، واختارها الفن ، وأقام فيها النبل . فلما بلغوا أسوارها لاحت لهم من بعيد كأنها لا تزال عامرة بالملك الهمام . فلما اقتربوا منها لم يصافح أسماعهم صوت شاعر بنشيد ولا قائد بنداء ، ولم تأخذ أبصارهم علماً يخفق ، ولا راية ترفرف ، ثم بدت لهم الرياض وقد جف نبتها وصوّح زهرها ، والدور قد هدمت جدرانها وهدت أركانها ، وإذا القصر الذى كان يعبق بريّا القرنفل وشذا الفل تفرح منه روائح الموت ، وإذا تلك الغرف والمقاصير التى كانت تسطع فيها الأضواء فترقص أشعتها على العمَد المزخرف والأساطين المنقوشة ؛ قد محى نقشها وطمس زخرفها وعشش فيها البلى ... هنالك علموا أنها قد وقعت الواقعة وكان ما قدر الله أن يكون :

عرينة دخلتها النائبات على ... أسود لهم فيها وآساد

وكعبة كانت الآمال تعمرها ... فاليوم لا عاكف فيها ولا بادى

فمن للعفاة تعمهم جدواه ؟ من للجيران تحميهم بواتره وتحييهم عطاياه ؟ من للفرسان الغطاريف يقودهم إلى النصر حين يخفى على الدليل سبيل النصر ؟

لقد ذهب من كان لهم ... فيا مَن يقصد الملك الشاعر ، إنه لم يبق هنا ملك ، إنها قد خلت منه داره ، وبعد مزاره :

يا ضيف ، اقفر بيت المكرمات فخذ ... فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

ويا مؤمل واديهم ليسكنه ... خف القطين وجف الزرع فى الوادى

وأنت يا فارس الخيل التى جعلت ... تختال فى عدد منها وإعداد

ألقِ السلاح وخلّ المشرفى فقد ... أصبحت فى لهوات الضيغم العادى

***

ضلت سبيل الندى يا ابن السبيل فسر ... لغير قصد فما يهديك من هادى

وجـــوب التثبت
فى المباحث العلمية قبل النقد
للأستاذ حسن أحمد الخطيب

اطلعت على كلة فى العدد ٦٤٩ من الرسالة ، لحضرة الأستاذ الحقوقى البغدادى الذى لم يشأ أن يعرب عن اسمه الكريم ، ولكنى — مع ذلك وقبل الرد عليها — أود لو يتقبل منى الأستاذ تحيتى وشكرى وثنائى عليه ، لتتبعه ما نشرته فى الرسالة الغراء ، ولأنه أتاح لى معاودة البحث مرة أخرى ، فخرجت أشد إيماناً ، وأرسخ يقيناً بصحة ما أنكره من بحثى السابق ، كما قيض لى فى كلتى هذه ذكر بعض الكتب الفقهية ، وكتب التفسير والحديث وتسجيل المراجع العلمية الصحيحة التى اعتمدت عليها .

اعترض الأستاذ فى كلمته قضية ، ذكرتها فى محاسن التشريع الإسلامى ، على أنها دليل على مراعاة الشريعة الإسلامية المساواة فى تكاليفها وأحكامها ، كما سقت قضايا وأدلة أخرى على تلك المزية .

والقضية التى اعترضها الحقوقى فأنكرها هى : أن الربيّع بنت النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها ، فطلب أهل الجارية القصاص ، فأمر رسول الله به ، فجاء أخو الربيع أنس بن النضر ، وكان من خاصة الصحابة ، فقال يا رسول الله : والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيّع ، فقال رسول الله : كتاب الله القصاص ، فلم يزل أنس يقول لرسول الله ، حتى جاء أهل الجارية راضين بدفع الأرش ، فقضى رسول الله به » .

وظاهر من سياقة هذه القصة « فى مبحث المساواة فى التكاليف والأحكام » أنها إنما سيقت هى ونظائرها للاستدلال على أن الأحكام الشرعية تطبق على جميع أفراد المسلمين بلا تمييز ، فلا تسقطها صلة بعظيم ، ولا تتبدل بشفاعة ولا وساطة من كبير أو ولى حميم ، وإن كان أنس بن النضر الذى هو من خاصة الصحابة ، وله قدم صدق فى نصرة الإسلام ، والجهاد فى سبيل إعلاء كلمته ، كما يؤخذ منها أن الحكم فى مثل هذه القضية ليس متعيناً فى القصاص إلا إذا استمسك به المجنى عليه أو ولى الدم ، أما فى حالة العفو أو الرضا بالأرش أو الدية فانه لا يحكم بالقصاص « وسيأتى إثبات ذلك » .

بيد أن الأستاذ اعترض هذه القصة السابقة ، وأنكر حصولها وهو فى كل ما أتى به فى كلمته لم يتعد وجهين اثنين لإثبات رأيه : الأول أن القضية المذكورة (قضية الربيّع) مدسوسة فى ثنايا قضايا التشريع وهى عنه جد بعيدة .

الثانى — أن القصاص من حقوق الله ، وليس من حقوق العبد ، ورتب على ذلك نتيجتين : الأولى أنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسقط حقاً من حقوق الله . الثانية أن رضا المعتدى عليه بالأرش أو الدية لا يسقط القصاص عن الجانى .

ردنا على الوجه الأول

يقول الأستاذ الحقوقى « إن القضية مدسوسة فى ثنايا قضايا التشريع وهى عنه جد بعيدة » ، ويكتفى بهذا النفى والإنكار ، فلا يقيم دليلا عقلياً ولا نقلياً على ما يقول ، ولا يذكر مرجعاً علمياً واحداً يوافقه على هذا الزعم ، فهو فى إنكاره هذا لا يجرى على الأسلوب العلمى ، ولا على مقتضى قوانين البحث والمناظرة ،

كذلك ذهب الملك الشاعر البطل الذى كان فى ملوكيته وفنه ونبله ، تمثالا للانسان الذى كانت تتمنى كل حامل فى الأندلس أن تلده ، وكل ناشىء متطلع إلى العلا أن يكونه .

الملك : الذى كان زمانه كله فجراً رخيًّا ناعماً ، وأيامه كلها ربيعاً بهياً باسماً

الشاعر : الذى كان شعره لحن كل قلب مدلّه بالجمال ، مفتون بالفن

البطل : الذى بنى لقومه مفاخر فى السناء ومآثر .

وكذلك ألقى الستار (بين عشية وضحاها) على ملحمة ضخمة فيها أجمل مشاهد الهوى والشباب والبطولة والظفر والسماحة والكرم والشعر والطرب والغنى والترف ، ورفع عن مأساة من أفجع المآسى التى (عرضت) على مسرح هذا الكون[1] !

على الطنطاوى

---

(١) ولعل الله يلهم هذا القلم الضعيف حديث المأساة ليكتبه للقراء .

أما نحن فنسوق له ها هنا حديثاً صحيحاً مروياً فى أكثر أمهات كتب الحديث ، هو الذى اعتمدنا عليه فى تلخيص القضية التى قال عنها إنها مدسوسة ، والقصة التى جحد صحتها . جاء فى الجزء السابع من كتاب نيل[1] الأوطار للإمام الشوكانى ص ٢٠ : باب القصاص فى كسر السن ، عن أنس أن الربيع عمته كسرت ثنية جارية ، فطلبوا[2] إليها العفو ، فأبوا[3] ، فعرضوا الأرش ، فأبوا ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبوا إلا القصاص ، فأمر رسول الله بالقصاص ، فقال أنس بن النضر يا رسول الله : أتكسر ثنية الربيع ، لا والذى بعثك بالحق لا تُكسر ثنيتها ، فقال رسول الله : يا أنس ، كتاب الله القصاص . فرضى القوم فعفوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ، رواه البخارى والخمسة إلا الترمذى » ، هذا الحديث الذى رواه البخارى ، وذكر فى كثير من كتب[4] الحديث الصحيحة — هو الذى استندنا إليه فى ذكر قضية الربيع : فإذا أصر الأستاذ الحقوق على أنها مدسوسة بعد هذا البيان فليتبع فى نفيها الطريقة العلمية والتدليل المقبول — إن استطاع — بأن يوجه إلى الحديث الذى رواها نقداً داخلياً موجهاً إلى متنه ، أو نقداً خارجياً موجهاً إلى رواته ، أو يذكر لنا على الأقل رأياً ، ولو لرجل واحد من أهل التعديل والتجريح يطعن فى صحته .

ردنا على الوجه الثانى

هنا كان عجبنا أشد ، فإن الذى يعرض لتقرير قاعدة شرعية ليرتب عليها أحكاماً — ينبغى أن يتثبت ويتحرى ، ويرجع إلى كتب الفقه الإسلامى ، وهى كثيرة فى مختلف المذاهب .

يقول الأستاذ : إن القصاص — كما هو معلوم — من حقوق الله وليس من حقوق العبد ، وحينئذ فليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضعه ، كما أن رضا المعتدى عليه بالأرش أو الدية لا يسقط القصاص عن الجانى .

شُدهت لهذه القاعدة ، ولما ترتب عليها من النتيجتين ، وغلب على ظنى أن الأستاذ الحقوق يقرر القاعدة التى بنى عليها القانون الجنائى الفرنسى . وبعض القوانين الغربية ، أو أنه متأثر بها ، فأراد أن يطبقها على ما قررته الشريعة الإسلامية ، فنأى عن الحقيقة ، وأخطأه التوفيق :

فإننا إذا رجعنا إلى كتب الفقه الإسلامى ، وإلى القرآن الحكيم الذى هو الأصل الأول لتلك الشريعة ، وإلى الأحاديث الصحيحة — اتضح لنا ثبوت هاتين الحقيقتين :

الحقيقة الأولى — أن القصاص من الحقوق التى غلب فيها حق العبد — كما صرح بذلك علماء الحنفية ، وليس كما قال الأستاذ الحقوق إنه « ليس من حقوق العبد » — جاء فى الجزء الرابع من حاشية العلامة ابن عابدين المسماة رد المحتار على الدر المختار فى فقه الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان ص ٣٢٨ من كتاب القضاء : « أن المحكوم به أربعة أقسام : حق الله المحض ، كحد الزنى أو الخمر ، وحق العبد المحض وهو ظاهر ، وما فيه الحقان وغلب فيه حق الله تعالى ، كحد القذف أو السرقة ، أو غلب فيه حق العبد كالقصاص ، والتعزير » ، نقل ذلك ابن عابدين عن الرسالة المشهورة فى فقه الحنفية المسماة الفواكه البدرية لبدر الدين محمد الشهير بابن الغرس .

الحقيقة الثانية — أن حق العفو المسقط للقصاص — فى الحالات التى يجب فيها القصاص . سواء أكان ذلك فى النفس أم فى الجراحات والأطراف — مقرر فى الشريعة الإسلامية لمن له حق القصاص سواء أكان بلا مقابل ، أم فى مقابل الدية أو الأرش ، هذا الحق ثابت بالكتاب الكريم ، وبالحديث الصحيح ، كما أنه منصوص عليه صراحة فى كتب فقهاء الإسلام :

(ا) قال الله تعالى فى سورة البقرة : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » ، فحق العفو عن القصاص ثابت بقوله جل شأنه : « فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » قال جار الله الزمخشرى فى كتابه الكشاف عند تفسير هذه الآية « هذه توصية للمعفو عنه والعافى جميعاً ، يعنى فليتبع الولى القاتل بالمعروف بألا يعنف به

(١) طبعة الحلبى سنة ١٣٤٧ الهجرة .

(٢) أى طلب أهل الجانية .

(٣) أى أهل المجنى عليها .

(٤) روى فى أكثرها بمعنى واحد وإن اختلفت ألفاظه اختلافاً يسيراً .

ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة ، وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بألا يمطله ولا يبخسه ، (ذلك) الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية ، وعلى أهل الإنجيل العفو ، وخيرت هذه الأمة « يقصد الأمة الإسلامية » بين الثلاث : القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا » اهـ ، ومثل ذلك فى سائر كتب التفسير .

(ب) ورد فى الجزء الثانى عشر[1] من فتح البارى بشرح صحيح البخارى ص ١٧٥ عن ابن عباس قال : كان فى بنى إسرائيل القصاص ، ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله لهذه الأمة : كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر الآية ، فمن عفى له من أخيه شىء ، قال ابن عباس : فالعفو أن يقبل الدية فى العمد ، قال فاتباع بالمعروف أن يطلب بمعروف ويؤدى بإحسان . وورد فى الجزء السابع[2] من نيل الأوطار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما أن يفتدى وإما أن يقتل » رواه الجماعة ، لكن لفظ الترمذى : إما أن يعفو وإما أن يقتل » اهـ .

وعن أبى شريح الخزاعى[3] قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أصيب بدم أو خبل ، والخبل الجراح ؛ فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : إما أن يقتص ، أو يأخذ العقل[4] ، أو يعفو ، فإن أراد رابعة فخذوا على يديه » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .

(حـ) أما النصوص الفقهية التى وردت فى كتب الشريعة الإسلامية فى هذا الشأن فإنها تجل عن الحصر ، منها ما جاء فى الدر المختار ورد المحتار[5] فى كتاب الجنايات ، عند ذكر الفروق بين القصاص والحد : « يصح عفو القصاص لا الحد » ، وجاء فى موضع[6] آخر فى مبحث الجنايات : « ويسقط القود[7] بموت القاتل لفوات المحل ، وبعفو الأولياء ، وبصلحهم على مال ولو قليلا ، ... إلى آخره » .

وجاء فى بداية المجتهد[1] لابن رشد القرطبى فى كتاب القصاص : قال مالك لا يجب للولى إلا أن يقتص أو يعفو عن غير دية إلا أن يرضى بإعطاء الدية القاتل ، وهى رواية ابن القاسم عنه . وقال الشافعى وأحمد وأبو ثور وداود وأكثر فقهاء المدينة من أصحاب مالك وغيره : ولى الدم بالخيار إن شاء اقتص ، وإن شاء أخذ الدية رضى القاتل أو لم يرض ، وروى ذلك أشهب عن مالك إلا أن المشهور عنه هى الرواية الأولى » .

أفبعد هذه النصوص الصريحة فى أن القصاص يغلب فيه حق العبد ، وأنه يسقط عن الجانى — بالعفو أو أخذ الدية — يصح أن يقال إن القصاص ليس من حقوق العبد ، وأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بسقوطه إذا اختار أولياء الدم أو المجنى عليه أخذ الدية أو العفو ؟ ! ! وهل يجوز أن يقال : إن رضا المعتدى عليه بالأرش أو الدية لا يسقط القصاص عن الجانى بعد ما سقناه من نصوص الكتاب والأحاديث ، وآراء علماء الفقه والتشريع الإسلامى ؟ ! !

لقد كنا ننتظر حقا من الأستاذ الحقوقى — قبل أن يعترض — أن يبحث الموضوع فى مصادره الإسلامية ، ومراجعه الفقهية ، وأن يعرف الفرق الذى لحظه فقهاء الإسلام بين القصاص والقطع فى السرقة ، فإن الأول يغلب فيه حق العبد ؛ أما الثانى وهو وجوب قطع اليد فى السرقة بعد ثبوتها ، فإنه حق الله تعالى[2] ، ولذا لا يملك المسروق منه العفو بعد وجوب القطع ولا يورث عنه ، كما أنه لا يملك الخصومة بدعوى الحد وإثباته مجردة عن طلب المال .

هذه كلمة توخيت فيها الاعتدال والنصفة فى البحث ، والأمانة فى النقل ، لا أبتغى بها سوى إحقاق الحق ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

حسن أحمد الخطيب

---

(١) المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٨ الهجرية .
(٢) ص ٦ .
(٣) روى فى كتاب نيل الأوطار .
(٤) الدية .
(٥) جـ ٥ طبعة سنة ١٣١٨ هـ .
(٦) جـ ٥ صـ ٣٦٨ .
(٧) القود القصاص .

(١) الجزء الثانى ص ٣٤٥ طبعة الحلبى سنة ١٣٣٩ هـ .
(٢) الجزء الثالث من رد المحتار صـ ٢١٤ طبعة سنة ١٣١٨

العــــزاوى

للدكتور جواد على

سيبلغ صديقى الأستاذ المحامى عباس العزاوى فى هذا العام من العمر الخامسة والخمسين ، وإذا ذكر العزاوى فى العراق ذكرت الكتب والمكتبات والمخطوطات . فالأستاذ هاو معروف من هواة الكتب القديمة ومن هواة الخطوط ، وقد جمع فى بيته مجموعة ثمينة من الخطوط القديمة وهو يحدثك عنها وعن صاحبها وبائعها وكيف وصلت إليه ، ومميزات الخط الفلانى وعلاقتـه بالخطوط الباقية حديثاً تدرك من خلاله مبلغ حب هذا العالم لكنوز الأجداد الأقدمين .

وهو لا يريد من وراء ذلك مكسباً لأنه لا يتاجر بالكتب ولا بالخطوط ولا بالمخطوطات ، وهو لا يبتغى من وراء ذلك أجراً لأنه ليس بحاجة إلى هذا الأجر . ولا هو فى حاجة إلى أحد . ثم هو لا يتبجح بمجموعته الثمينة شأن أغلب أصحاب الكتب والمكتبات والنوادر . يعرضون مايجمعونه على الناس ليقال عنهم إنهم من أصحاب التحف والنوادر والجاه العريق .

والعزاوى من أبعد الناس عن التبجح والظهور فهو لايعاشر إلا بطانة معروفة من الأدباء هى حاشيته وخاصته وجماعته وهى نعد ؛ ولايرافق إلا ابنه « فاضل »من مكتبه إلى مقهى « بلقيس » على شارع أبى نواس حيث يجلس قرابة ساعة ثم يعود مع ابنه إلى البيت .

وقد كان يصاحبه أخوه المرحوم المحامى «على غالب العزاوى» إلى أكثر الأماكن ، وكأن أصدقاؤهمايقولون «ما أحب الأخوة » فقد كانا مضرب الأمثال فى الأخوة حقاً ، ولكن الجناة أبوا إلا أن يفرقوا بين الأخ وأخيه فقتلوا « علياً » على قضية خسيسة من حطام الدنيا وفرقوا بين عباس وعلى .

وهو لايعاشر الآن إلا صديقاً واحداً لازمه منذ عرف الحياة وهذا الصديق هو « الكتب والعلم » ونادراً ما تراه وهو بغير كتاب . والكتاب المحبوب إليه هو « كتاب التاريخ » وأحب كتب التاريخ إليه على ما أعتقد هى كتب التاريخ النادرة ولا سيما الكتب التى تبحث عن الفترة المظلمة السوداء وهى « فترة العراق بين احتلالين » وهى فترة مجهولة موحشة تبتدئ بسقوط بغداد على أيدى الغزاة المغول وتنتهى باحتـــلال الإنكليز لبغداد عام ١٩١٧ للميلاد .

وإذا ما حدثك العزاوى عن هـذه الفترة وتبسط معك فى الموضوع وسرد لك حوادث الدويلات التركية وأسماء الأمراء الذين حكموا العراق فى هـذه المدة الطويلة من مغول وأتراك وإيرانيين فهاليك ، فأنا على يقين من أنك ستخرج وتقول : ما هذه الطلاسم والتعاويذ ، ولا بد لك من الاستعانة بقاموس أو بمفتاح يحل لك رموز هذه الشـفرة المعقدة التى لا يعرفها إلا القليل من أصحاب هذا العلم .

ولد الأستاذ عباس العزاوى فى سنة١٣٠٨ للهجرة (١٨٩١م) فى البادية بين مضارب عشيرة العَـزَّة ، وقد قتل والده محمد الثامى وهو لا يزال بعد طفل صغير . والعزة قبيلة عربية شهيرة انتشرت فى ألوية عديدة من ألوية العراق لا سيما فى لواء ديالى . وترجع فى الأصل إلى عشائر حمير من عرب الجنوب وتنتمى إلى قبيلة « زبيد الأصغر » المنتشرة فى بلاد ما بين النهرين والتى تفرعت إلى عدة فروع ، وتنتمى العزة إلى جدها الأعلى « عزيز » وبه نسمت فقيل لها « أعزة » جمع عزيز ثم « عزة » بالتخفيف .

جيء بالعزاوى سـنة ١٣١١ للهجرة (١٨٩٤ م) إلى بغداد فاستقر فى هذه المدينة وبها نشأ وترعرع وتثقف . وأتم التحصيل الابتدائى والرشدى على عهد العثمانيين . ثم عكف على دراسة العلوم الشرعية واللسانية على الطريقة العلميـة المعروفة فى ذلك الوقت فدرس فى جامع الخلفاء ، وهو من بقايا جامع الخلفاء العباسيين على المرحوم عبــــد الرزاق الأعظمى ودرس فى نفس الوقت فى « مدرسة مرجان العلمية »وهى مدرسة أمين الدين مرجان صاحب الجامع الشهير المعروف « بجامع مرجان » والخان المعروف باسمه أيضاً ، وقد أسست هـذه المدرسة على مثال المدرسة النظامية المعروفة فى عهد العباسيين ببغداد . وكان أستاذ المدرسة المرجانية هو المرحوم الحاج على علاء الدين الألوسى وهو من أسرة الألوسيين الأسرة العلمية المعروفة ببغداد .

ودرس فى مدرسة الحيدرخانه « المدرسة الداودية » على العالم الشهير المرحوم السيد محمود شكرى الألوسى صاحب التصانيف الشهيرة فى علوم الدين واللسان . وصاحب « بلوغ الأرب فى أحوال العرب » وهو الكتاب الذى نال عليه الجائزة من المستشرقين الإسكاندنافيين .

وعرفت الأسرة الألوسية بالميل إلى الطريقة السلفية وبالأخذ بمبادئ الدين على طريقة السلف . فتأثر العزاوى على ما حدثنى به بهذه الطريقة فال وما يزال يميل إليها . وكان المرحوم الحاج على علاء الدين الألوسى هو مرشده ودليله إليها . وكان رحمه الله يشير عليه وعلى أمثاله بأن يكونوا أحراراً فى اختيار المذهب الذى يريدونه وباتباع الطريقة التى يرون فيها صلاحهم على شرط أن يلجوا البيوت من أبوابها ، ومعنى ذلك النظر فى أقوال أصحاب المذاهب وما خلفوه رأساً ، فإذا أرادوا مذهب الشافعى فى الفقه نظروا فى كتاب « الأم » المنسوب إليه . وهكذا . وعلى هذا فإذا أرادوا الدين الصحيح فعليهم بالقرآن ففيه الهدى والفرقان وهو المرجع والأصل . وقد وجد أن طريقة السلف هى أقرب الطرق إلى نفسه وأحبها إليه فاختارها طريقة له .

وقد أجازه المرحوم الحاج على الألوسى بالإجازة العلمية فى ٦ جادى الأولى من سنة ١٣٣٨ للهجرة (١٩٢٠ م) وتتصل إجازة الألوسيين بإجازات علماء الشام ، وعلى ذلك اتصلت إجازة المترجم بسلسلة إجازات علماء الشام . ودخل بعدئذ مدرسة الحقوق وتخرج منها فى سنة ١٣٣٩ للهجرة (١٩٢١ م) ومارس المحاماة وما زال يمارسها حتى الآن .

فدراسة العزاوى إذاً دراسة علمية حقوقية وقد ساعده مسلكه العلمى على تفهم كثير من المشاكل التى تتعرض لها مهنة المحاماة . فكان يغرف من معين الفقه الإسلامى ليستفيد منه فى الفقه العراق الحديث . وبرز فى الفقهين وامتاز على الأخص فى النواحى التى يلتقى فيها الفقه بالقانون . وتتبع نقاط الخلاف فيما بين الفقهاء ودرس مذاهب قدماء الفقهاء وآرائهم فى الجدل الفقهى مثل آراء ابن أبى ليلى الفقيه الشهير وابن شبرمة . واستفاد من هذه الدراسة الفقهية كثيراً .

واستفاد من حياة المحاماة كثيراً ، فباعتباره محامياً يراجع المحاكم أينما كانت اضطر إلى زيارة أكثر الألوية العراقية وعلى التعرف إلى مختلف طبقات الناس ، وعلى بحث مختلف المشاكل التى تتصل بالفقه والقانون فكان ينتهز هذه الفرصة ليرضى بها ميوله العلمية . وكان يغزو الأسواق ليشترى منها النسخ الخطية ويتجسس على أصحاب المكاتب ليتعرف المخطوطات النادرة التى لا يقدرها أصحابها فيبادر هو إليها لتكون فى مكتبته الأمينة وفى بيت أمين يحافظ على هذه الودائع الثمينة .

وكانت مكتبة المرحوم السيد نعمان خير الدين الألوسى هى التى حببت إليه فكرة إنشاء خزانة علمية تكون فردوساً للكتب فصار يقتنى الكتب على نحو ما ذكرت . وصار يضيف إليها الصيد النادر من خارج بغداد . ثم لم يكتف بهذا بل دفعه هذا الهيام بالكتب إلى زيارة مكتبات الشام ثم مكتبات الآستانة ، ثم لم يكتف بكل ذلك بل طلب المزيد وهو فى العلم نهم فذهب إلى روسية فالتمسا ليستنسخ أو ليأمر بأخذ صور فتوغرافية لبعض النسخ الخطية النادرة المحتكرة فى خزانات كتب تلك البلاد .

فتجمعت على مرور الأيام فى بيت الأستاذ أوابد الكتب ومختلف المخطوطات ، ثم أضاف إلى هذا القديم شيئاً من الحديث النص الذى يخرجه المستشرقون فى الغرب وأبناء العالم الإسلامى فى بلاد العروبة وفى بلاد الإسلام فتكونت لديه مكتبة ثمينة حرص على حياتها كل الحرص وتعهدها وما يزال يتعهدها بالتغذية والنظافة والرعاية أكثر من رعايته لنفسه ، وهى عنده بمثابة ولده « فاضل » لها نفس حقوق الولد وزيادة ، يخدمها الأب والابن والأم . ولا أدرى منزلة هذه الكتب من قلب « أم فاضل » فقديماً كانت الكتب والمكتبات أشد وقعاً على قلوب الزوجات من « الضرائر » ولعلها هى كذلك فى نفوس السيدات المتزوجات على الرغم من ثقافة « ستات » القرن العشرين .

وأخذ العزاوى العالم يفاجئ العراق بمؤلفاته وأكثرها فى تاريخ العراق وهى مؤلفات تشهد لصاحبها بسعة العلم وطول الباع وقدرته على الصبر والأناة سلك فيها مسلك علماء الخلافة العباسية . ولست بمبالغ إذا قلت عنه إنه يمثل دور مؤرخى العباسيين فى القرن العشرين . وكتابه « العراق بين احتلالين » وهو سجل جامع لحوادث العراق ويقع فى إثنى عشر مجلداً ويشمل حوادث المنول

وتاريخ الجلائريين ثم التركمان ثم حوادث الدولة العثمانية وحروبها مع الإيرانيين فتاريخ المماليك المعروفين بالكولات ففترة ما بين على رضا باشا ومدحت باشا فأيام مدحت باشا فالمشروطية وهو كتاب ضخم مرتب على السنين ، وقد طبعت الأجزاء الثلاثة الأولى منه بين ١٩٣٥ و١٩٣٩ للميلاد ، وهو خير ترجمان عن علم الأستاذ .

وللعزاوى كتب أخرى مثل كتابه تاريخ اليزيدية وقد طبع فى سنة ١٩٣٥ وسيطبعه مرة أخرى بعد أن أضاف إليه زيادات وتنقيحات جديدة . وقد نال التفات صاحب الجلالة المغفور له الملك غازى الأول . ويسكن اليزيدية فى شمال العراق فى لواء الموصل وهم جد حريصين على ألا تتسرب عقائدهم إلى الخارج ، وعقائدهم على ما يظهر مزيج من مختلف العقائد والأديان . ومثل كتاب « عشائر العراق » وقد طبع الجزء الأول منه وكتاب تاريخ الخط العربى ، وللأستاذ ولع خاص بهذا الموضوع وعنده مجموعة ثمينة من خطوط الخطاطين .

وللمترجم به مؤلفات أخرى مثل كتاب « تاريخ الموسيقى العربية » فى عهد المغول والتركمان والعهود التالية لها . وكتاب «التعريف بالمؤرخين من تاريخ ظهور المغول إلى اليوم » . وكتاب « الكاكائية فى العراق » وهم نحلة من الغلاة وكتاب « تاريخ الفيليه» وهم من الأكراد ، وكتاب« المعاهد الخيرية فى العراق» ويبحث عن الجوامع والمدارس والتكايا ، وكتاب « الأسر العلمية فى العراق » ثم « كتاب الأجازات العلمية » .

واتصل الأستاذ أثناء بحوثه هذه بمذاهب الأدب وبالأدباء وتعرف على أدبهم وطرقهم الخاصة فى الكتابة والنظم ، وقد دفعه ذلك إلى التأليف فى الأدب فألف«تاريخ الأدب التركى فى العراق» و«تاريخ الأدب الفارسى فى العراق» و«التاريخ العلمى والأدبى» وهو كتاب يبحث فى تاريخ العلوم والأدب عند العرب .

هذه هى أسماء الكتب التى ألفها العزاوى حتى الآن ، وقد نشر بعض الكتب الخطية القديمة مثل كتاب « منتخب الدر المختار فى علماء العراق» وهو ذيل لكتاب « تاريخ ابن النجار » أنتخبه التقى الفاسى المكى وقد طبعه ببغداد سنة ١٩٣٨ ، ورسالة ابن حسول فى تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ، وقد قدم العزاوى لها مقدمة وترجمها الأستاذ التركى محمد شرف الدين رئيس الشؤون الدينية فى الجمهورية التركية ونشرها فى مجلة « بلله تن » التركية بأنقرة ثم نشرها بصورة مفردة بالقسطنطينية .

هذا عدا ما نشره فى المجلات العراقية المختلفة وما زال ينشر فى مختلف المجلات ، وهو الآن عضو فى « نادى القلم العراقى » وهو نادى أدبى ببغداد يضم نخبة من الكتاب العراقيين رئيسه معالى الأستاذ الكبير الشاعر العربى الفحل الشيخ رضا الشبيبى رئيس مجلس النواب سابقاً ووزير المعارف فى عدة وزارات . وهو محفل يجتمع أعضاؤه بين الحين والحين فى بيت عضو من الأعضاء بالتناوب فيتسامرون ويتباحثون ويأكلون ويجمعون بين العلم والأكل ، ولذلك سماه بعضهم « نادى اللقم » على سبيل النكتة والمزاح .

وقد انتخبه أصحاب « إسلام ترك أنسكلوبيديسى » أى « دائرة المعارف الإسلامية التركية » عضواً مراسلا ، وانتخبه « المجمع العلمى العربى » بدمشق عضواً مراسلا أيضاً .

وهو الآن عضو فى «لجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية» الرسمية وهى لجنة عراقية حكومية رأسمالها حكومى وأعضاؤها من العراقيين المشهورين بالتتبع والبحث لغرض ترجمة الكتب الأوربية الممتازة وتشجيع التأليف وإحياء التراث العربى القديم .

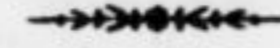
وبعد ، فالمحامى عباس العزاوى من أولئك النفر الذين لا يزالون على سنة العراقيين يؤلفون ويكتبون ويقرأون . فمن واجبى أن أكتب عنه .

(بغداد) **جواد علي**

الصهيونى الأول

[مهداة إلى الأقلام النبيلة المجندة لنصرة فلسطين]

للأستاذ سعيد الأفغانى



بات العرب فى مشارق الأرض ومغاربها فى هم مقيم مقعد من خطر الصهيونية بفلسطين، ومن كفر ساسة الانجليز والأمريكان بالضمير والانسانية. ولقد حق لهم ذلك فإن فى أثارت غريزتهم التاريخية — من حيث لا يشعرون — علم ما تسكن الصهيونية من قوة على الشر، وعبقرية فى تهديم مثل الخير والحق وما تستتبع من شرور آخذ بعضها بحجز بعض، وبعض هذا كاف فى تبرير همهم وفزعهم.

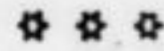
وجميع الباحثين فى تاريخ هذا الجرثوم الخبيث يردون نشأته إلى القرن الثامن عشر، لا يرقون إلى ما قبل ذلك؛ فما قول القارىء الكريم إذا عرف أن العرب بلوا بفتك هذا الداء منذ أربعة عشر قرناً؟ وأن عبقريته الهدامة فعلت فيهم فعلها الخبيث وبقوا يعانون آثارها السرطانية فى وحدتهم الدينية والقومية حتى يوم الناس هذا

وظاهر أنى عنيت أعظم مأساتين فى تاريخ المسلمين: مقتل عثمان وحرب الجمل، وأكثر المؤرخين يوزعون التبعة بين بعض الزعماء غافلين عن روح الشر وبطل الفتنة. والقليل منهم ممن انتبه إلى عامل الحقيقى جعل له نصيبا ثانويا فى تأريث الشر. أما أنا فقد خرجت من بحثى بيقين لا يعدله يقين إلى أنه كان فى الفتنتين جميعا عامل أولى واحد هو هذا الصهيونى الأول، وإليك البيان منتزعا من كتاب أعده عن (عائشة والسياسة) بعد ذكر الحوادث المعروفة.

فى مأساة عثمان:

رأيت من الخير قبل أن أنتقل إلى مآتى السيدة عائشة بعد عثمان أن أنبه إلى سبب هام أعزو إليه تبعة هذه المأساة، مأساة عثمان التى ذهبت ضحيتها وحدة المسلمين فلم يجتمعوا بعدها قط. أودع أيام عثمان مقرراً: أن ما يذكره المؤرخون من التبعات على بعض الصحابة كعلى وطلحة والزبير وعائشة. هو — بعد التمحيص — من التبعات الثانوية. أما أقوى الأسباب التى أرثت الشغب وهاجت الاضطراب وبذرت الشرور وأوقدت الفتنة؛ فهو مؤامرة واسعة منظمة محكمة، سهر عليها أبالسة خبيرون، وسددوا خطاها وتمهدوا فى جميع الأقطار حتى آتت ثمرها. ولم تلق هذه المؤامرة من عامة المؤرخين ما تستحق من التوضيح والاهتمام

وأنا أجزم هنا أن الأسباب التى يذكرونها كلها، والتبعات التى يوزعونها بين من ذكرت ومن لم أذكر ... لن تقوى مجتمعة على أن تسامى هذا السبب الهام الذى أشرت إليه؛ بل أجزم أنها جميعاً عناصر (ثانوية) لم تكن لتنتج شيئاً لولا هذا الجو الذى هيأه إبليس هذه المؤامرة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء. وأبعد من هذا، أنى أومن أشد الإيمان بأنه لو لم يكن شىء قط من هذه المساعى التى يذكرونها، لكان عمل ابن السوداء وحده كافياً فى بلوغ النتيجة المشؤومة نفسها.



عبد الله بن سبأ يهودى من صنعاء أمه سوداء، تظاهر بالإسلام على عهد عثمان، ثم اندفع متنقلا فى البلدان الإسلامية باذراً الضلالات والشرور فى هذا المجتمع السليم. وهو رجل على غاية من الذكاء وصدق الفراسة والنظر البعيد والحيلة الواسعة، والنفاذ إلى نفسية الجماهير، أقطع أنه أحد أبطال جمعية سرية مخيفة غايتها تقويض الدولة الإسلامية والقضاء على الإسلام. وأكاد أظن أن هذه الجمعية تعمل (لحساب) دولة أجنبية. هى دولة الروم التى انتزع منها المسلمون لسنوات قريبة قطرين كبيرين واسمين غنيين: مصر والشام.

والغريب الذى لم أقض منه عجباً أن نشاط هذا الرجل قد اتسع لتعهد ميادين مختلفة هى الميدان الدينى، والميدان السياسى، والميدان الحربى.

لقد أراد نسف العقيدة الإسلامية من أساسها حين اختلق للمسلمين عقيدتين غريبتين: الرجعة والوصاية. وقد حفظ لنا الطبرى بعض نصوص تعاليمه، فمنها:

« العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله: (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد[1]) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، فقبل ذلك منه ووضع لهم الرجعة فذاعت فى المجتمع.

ثم قال لهم بعد ذلك: » إنه كان ألف نبى، ولكل نبى

---

(١) سورة القصص ٢٨ الآية ٨٥.

وصى ، وكان على وصى محمد ... ، ومحمد خاتم الأنبياء ، وعلى خاتم الأوصياء[١] » .

ثم انتقل خطوة بعد هذا التمهيد ؛ فجمع بين إفساد الميدان الديني والسياسي في إذاعة قوله : « فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصى رسول الله وتناول أمر الأمة[١] » .

ثم قال بعد ذلك لأتباعه : « إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصى رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر[١] » . وهكذا دخلت تعاليم هذا المفسد الذكي قلوب الناس إذ تلطف لهم ؛ فجاء من الجهة التي تحن لها قلوبهم ، وتهواها أهواؤهم .

لقد طاف الأقطار العربية قطراً قطراً ، بدأ بالحجاز باثاً ضلالته ، ثم انعطف إلى الشام والشام يومئذ بيد بصير بأمره معاوية بن أبي سفيان ، الذي فطن إلى خطره فأبعده ؛ إلا أنه على حذره أصابه رشاش من إفساده . والطبري يزعم أن ابن السوداء « لم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر[٢] » .

والصحيح أنه قدر ، وزرع ، وحرك على معاوية صحابياً جليلا أذعن عامة الشاميين لأقواله حتى اضطر معاوية الداهية الحليم إلى أن يطلب من الخليفة عثمان إخراجه من الشام ، ذلك هو أبو ذر الغفاري وحادثه معروف مشهور ؛ وهذا الطبري نفسه يتولى قص الحادث :

« لما ورد ابن السوداء الشام لقى أبا ذر فقال : « يا أبا ذر ! ألا تعجب إلى معاوية يقول : (المال مال الله ، ألا إن كل شيء لله !!) كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين ؟ فأتى أبو ذر معاوية فقال له : « ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ » قال معاوية : « يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال مال الله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره ؟؟ » قال أبو ذر « فلا تقله[٣] » ... ثم كان ما كان من تأليب أبي ذر الأغنياء على الفقراء ، وخوف معاوية على الشام منه ومن دعوته ، ثم نفيه منها .

إني لشديد الإعجاب بذكاء ابن السوداء وصدق فراسته ، وإحكام دراسته لنفسيات الناس ، لقد عرف الخبيث من يختار من الشام فيخدعه بالله ، ولقد وفق التوفيق كله بهذه المقالة التي فصلها على مزاج أبي ذر ، فلم يكد يلقيها حتى طار بها أبو ذر فخط على معاوية . وهذا هو فن ابن السوداء الذي أنجح مساعيه ؛ فهم جيد للناس وأمزجتهم ونفوسهم ، و (استخبارات صادقة منظمة) انتفع بها أعظم الإنتفاع في إحكام خطط الشر ، واستغلال حسن لغفلة المسلمين عن نواياه ، وخداع ماكر لهم عن دينهم ، وسلامة دولتهم .

لقد جنى الروم من دسائس ابن السوداء خيراً كبيراً : إذ شغل القوى الإسلامية بعضها ببعض فكسر شوكتها وشغلها عن الإندفاع في الفتوح ، وما استتبعت بعد ذلك من شرور أخذ بعضها برقاب بعض أفظع وأشنع هولا . ولو وقع ابن السوداء هذا لإنجلترا اليوم لاستغنت به في إفناء عدوها عن جيوش وأساطيل ومنظمات استخبارية تعج بالخبيرين الفنيين .

والظاهر أن ابن السوداء سكر بهذا الظفر الذي لم يكن يتوقعه في الشام ، فأتى أبا الدرداء ، ففطن هذا لمكره فقال : « من أنت ؟ أظنك والله يهوديا[١] » ، ثم انصرف عنه فأتى عبادة بن الصامت ، فتعلق به عبادة وسمه إلى معاوية قائلا : « هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر[١] » .

« كان حكيم بن جبلة رجلا لصاً ، إذا قفل الجيوش خنس عنهم ، فيسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان ، فكتب إلى عامله عبد الله بن عامر : (أن احبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً) . فحبسه فكاد لا يستطيع أن يخرج منها[١]) .

على هذا الرجل المفسد الموتور الجرىء الناقم على عثمان ، نزل عبد الله بن سبأ لما أتى البصرة . وصار يجتمع إليه الناس ويبث إليهم تعاليمه الهدامة ومقالاته الثورية المفرقة ، بلباقة ، لا يصرح

(١) انظر هذه الأقوال كلها وغيرها في تاريخ الطبري ٣ — ٣٢٨ (مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٨) .
(٢) الصفحة السابقة .
(٣) الجزء نفسه ص ٣٣٥

(١) ص ٣٦٨ .

فيها بما ينم عن نواياه ، وفشا أمره وقبل الناس ما يقول وعظموه وبلغ خبره الوالى عبد الله بن عامر . فأرسل إليه فسأله «ماأنت» ؟ فأخبره : « أنه رجل من أهل الكتاب رغب فى الإسلام ورغب فى جوارك » . فقال عبد الله : « ما يبلغنى ذلك ، اخرج عنى » فخرج حتى أتى الكوفه ، فأخرج منها ، فاستقر بمصر وجعل يكاتب جماعاته فى الأمصار ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم[(١)] » .

هكذا صار ابن السوداء بماله من (استخبارات وفروع) يتسقط الناقمين واحداً واحداً : ممن ناله عقوبة أو تأديب من عامل أو خليفة ، أو ممن له طموح إلى منفعة لم يصل إليها ... فجعلهم حزبه وبطانته وألف بينهم حتى صار له فى كل بلد جماعة . فلما نظم هذه الفروع استقر بمصر بؤرة الناقمين ، وأتى إلى جماعاته فى الأقطار دستور العمل وخطة الدعاية التى تسبق الثورة ، وإليكها كما حفظها الطبرى :

« انهضوا فى هذا الأمر فحركوه ، وابدأوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر » .

فبث دعاته ، وكاتب من استفسد فى الأمصار وكاتبوه ، ودعوا فى السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون ، فيقرؤه هؤلاء فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة (العاصمة) وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون ؛ فيقول أهل كل مصر : « إنا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء » ... إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا : « إنا لفى عافية مما فيه الناس[(٢)] » .

وأحكمت هذه الجماعة أمرها ومؤامرتها ، وأرسلت إلى الأمصار كتباً مزورة بما شاؤوا من شكوى واستنجاد بأهل الأمصار ، وتحريض لهم على الثورة والخلع ، وجعلوا هذه الكتب على لسان على وطلحة والزبير وعائشة .

لقد ملأ ابن السوداء البلاد نقمة وثورة وفساداً ، وأصبحت الأقطار كلها هشيما يابساً ينتظر شرارة واحدة كان إرسالها أهون شىء على جمعياته وأتباعه . فلما قدمها التهمت الأخضر واليابس وأراقت الدماء وسالت جموع الثائرين من أهل الأمصار المختلفة على مدينة الرسول وكان ما يعرف كل قارىء من قتل الخليفة الشهيد على حال تبكى الصخر الأصم .

وهكذا قضى هذا الصهيونى الأول على حكم (المدينة) وحكومة (الراشدين) إلى يوم الدين .

(للحديث صلة) **سعيد الأفغانى**

---

(١) الطبرى ٣ — ٣٦٨ .

(٢) المصدر السابق ٣ — ٣٧٩ . — هذا ويعجبنى من أحد رواة الطبرى فهم جيد لفلسفة الحوادث : إنه يعزو كثرة الناقمين من الصعاليك إلى عامل اقتصادى هو ظفر أهل السابقة من المهاجرين والأنصار بالغنائم الوافرة والضياع العامرة ، وحسد الصعاليك لهم حسداً خفياً لا يظهرونه لأنه « لا حجة لهم فيه والناس عليهم ، فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشىء أو أعرابى أو محرر استحلى كلامهم فكانوا فى زيادة والناس فى نقصان = حتى غلب الشر » ١ د ٣ — ٣٣٣ ومن هذه الكثرة التى نمت فى الخفاء وجد ابن السوداء وأتباعه مادة وقودهم ، فما هبت الهيعة إلى الشر حتى كانوا جميعا على استعداد للفتنة .

القضايا الكبرى في الإسلام :

قتـــل بني قريظة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

من المهم فى عصرنا أن تدرس واقعة قتل بنى قريظة درساً قضائياً ، ليعلم الناس أن ما ارتكبه بنو قريظة يدخل فى باب الخيانة العظمى للوطن ، ويندرج فى أشد أنواعها جناية ، وأعظمها جرماً ، وأن ما قضى به الإسلام من القتل فى ذلك هو ما تقضى به شرائع العالم كلها . لافرق فى ذلك بين الشرائع القديمة والحديثة ، ولا بين الشرائع السماوية والوضعية ، وأن هذا الحكم هو حكم الإسلام فى كل من يرتكب هذه الجناية ، لا فرق فى ذلك بين مسلم ويهودى ونصرانى .

كان أهل المدينة ينقسمون قبل الإسلام إلى قسمين : أولهما من العرب اليمانية الذين هاجروا من اليمن بعد حادثة سيل العرم ، وهم الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء ، وثانيهما من اليهود ، وكانوا ثلاثة بطون : بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . وقد لبث الأوس والخزرج مع اليهود حيناً من الدهر يحيون الأرض الموات ويزرعونها وهم فى عسر شديد ، وكان اليهود أرباب الأموال ، فحدث نزاع وشجار بينهم وبين الأوس والخزرج ، وقد انتهى ذلك بتغلب الأوس والخزرج على اليهود . ثم حدثت حروب بين الأوس والخزرج حالف فيها بنو النضير وبنو قريظة الأوس ، وحالف بنو قينقاع الخزرج ، ولم يكن اليهود فيما بينهم بأقل ظلماً وبغياً من العرب ، بل كان بنو النضير يتعززون على بنى قريظة مع أنهم كانوا فى حلف واحد ، فلم يكن بنو قريظة يساوون بنى النضير فى الحكم ، ومن ذلك أن دية القتيل من بنى قريظة كانت نصف دية القتيل من بنى النضير ، فكانت الدية من وسوق التمر لبنى النضير أربعين ومائة وسق ، وكانت لبنى قريظة سبعين وسقاً .

فلما دخل الإسلام المدينة قضى على تلك الحروب والفروق ، وسوّى فى حكمه بين أبناء ذلك الوطن ، ولم يجعل فرقاً فى حكمه بين المسلمين واليهود ، ولا بين بطون اليهود الثلاثة ، وقد شكا بنو قريظة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ما كان بينهم وبين بنى النضير من الدماء قبل الإسلام ، فأنصفهم منهم ، وحكم بأن دم القرظى وفاء من دم النضيرى ، فكان بنو قريظة أكثر انتفاعاً بحكم المساواة الذى جاء به الاسلام ، وكان جميل الاسلام عليهم أكثر من جميله على غيرهم .

وقد جمع الاسلام بين أبناء هذا الوطن من المسلمين واليهود بمعاهدة حفظت لكل فريق منهم حقه فيه ، ولم تجعل لما بينهم من الخلاف فى الدين أثراً فى التفرقة بينهم ، وقضت على كل فريق أن يقوم بالدفاع عن الفريق الآخر إذا قصده عدو ، كما قضت عليهم جميعاً بحق الذب عن هذا الوطن إذا قصده فريق من الناس بأذى .

ولكن اليهود لم يلبثوا أن تنكروا لحق هذا الوطن عليهم ، ولجميل الاسلام الذى بدلهم من الخوف أمناً ، ومن الحرب والفوضى والاضطراب سلاماً ونظاماً واستقراراً ، فأخذوا يكيدون للمسلمين ، ويعملون على إيقاع الفتنة بين الأوس والخزرج ، ليعودوا إلى ما كانوا عليه قبل الاسلام من الحرب والخصام . ولما ضاق النبى صلى الله عليه وسلم بدسائسهم أجلى بنى قينقاع فى السنة الثانية من الهجرة ، فذهبوا إلى أذرعات بالشام ، ثم أجلى بنى النضير فى السنة الرابعة من الهجرة ، فنزل بعضهم بخيبر ، ونزل بعضهم بأذرعات .

ثم جاءت نوبة بنى قريظة فى السنة الخامسة من الهجرة ، فكان جرمها أشد ، وكانت خيانتها لذلك الوطن أعظم ، لأنها جاوزت تدبير الفتن الداخلية إلى ارتكاب الخيانة العظمى ، وهى الانضمام إلى أعداء هذا الوطن وقت مهاجمتهم له ، فلم يكتفوا بترك الواجب عليهم من الدفاع عنه مع المسلمين ، بل انقلبوا عليهم مع أعدائهم من المشركين .

فإنه فى السنة الخامسة من الهجرة ذهب جمع من بنى النضير إلى مكة فقابلوا رؤساء قريش ، وحرضوهم على قتال المسلمين ، فقالوا لهم : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، وفى ذلك نزل قوله

تعالى فى الآية ٥١ من سورة النساء (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا).

ثم جمعوا جيشاً عظيماً من العرب واليهود يبلغ أكثر من عشرة آلاف ، وقصدوا المدينة بهذا الجمع الذى لا طاقة لها به ، فلم يجد المسلمون إلا أن يحفروا حولها خندقاً ليساعدهم على الدفاع عنها ، وقد استعاروا من بنى قريظة آلات كثيرة من المساحى وغيرها ، فاستعانوا بها فى حفره .

فلما بلغ جيش المشركين واليهود المدينة وجدوا حولها هذا الخندق ، فضربوا حولها حصاراً شديداً ، وكان حُيَىُّ بن أخطب سيد بنى النضير قد وعد قريشاً إذا أجابته أن يحمل بنى قريظة على نقض عهد المسلمين ، فطلب منه أبو سفيان بن حرب قائد جيش المشركين أن يقوم بوعده ، فذهب إلى كعب بن أسد سيد بنى قريظة وقال له : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر ، وببحر طام . جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أُحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شىء . ويحك يا حيى ، فدعنى وما أنا عليه ، فإنى لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء .

وهذه شهادة لها قيمتها من كعب سيد بنى قريظة على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان محافظاً على عهده مع اليهود ، ولم يحدث منه خروج عليه ؛ ولكن حيى بن أخطب لم يزل بكعب حتى حمله على نقض ذلك العهد ، بعد أن عاهده على أنه إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن يدخل معه فى حصنه حتى يصيبه ما يصيبه .

فانضم كعب بذلك إلى أعداء وطنه ، ونسى هو وقومه جميل الإسلام عليهم ، وأنهم كانوا أذلاء فى هذا الوطن فرفعهم الإسلام وأعزهم . وقد وقع المسلمون بذلك فى أكبر محنة ، وزاد فى محنتهم أن المنافقين من الأوس والخزرج رفعوا أيضاً رؤوسهم ، وأخذوا يتفلتون من صفوف القتال إلى بيوتهم بأعذار واهية ، ليفتوا فى عضد المسلمين ، ويحملوهم على الفرار مثلهم ، ولولا أن تدارك الله المسلمين بلطفه لقضت عليهم تلك الخيانة الآثمة ، وتمكن أعداؤهم من استئصالهم ، فقد قابل النبى صلى الله عليه وسلم والمخلصون من المسلمين تلك الصدمة بشجاعة فائقة ، وهدى الله بعض زعماء المشركين إلى الإسلام ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يكتم إسلامه عنهم ، ويعمل على تفريق كلمتهم ، فعمل على ذلك حتى أوقع الخلف بينهم . وما هى إلا ليلة مظلمة أرسل الله فيها ريحاً شديدة باردة ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح آنيتهم ، فوقع فى قلوبهم الرعب ، وأجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح ، ويتنبه لذلك المسلمون .

وهنالك وقع بنو قريظة فى شر ما فعلوا ، وصاروا وحدهم أمام المسلمين الذين نقضوا عهدهم ، فاجتمعوا بحصونهم وأغلقوها عليهم ، وحاصرهم المسلمون فيها خمساً وعشرين ليلة ، حتى أدركهم اليأس ، وطلبوا أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالأموال وترك السلاح ، فلم يقبل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ، فطالبوا أن يجلوا بأنفسهم فلم يرض أيضاً ، بل قال لهم لا بد من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً كان أو شراً . فلما رأوا أنه لا بد لهم من النزول على حكمه فعلوا ، فأمر برجالهم فكتفوا .

ثم جاء وقت النظر فى قضيتهم ، فقام بالدفاع عنهم رجال من حلفائهم من الأوس ، وطلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم كما عامل بنى قينقاع حلفاء إخوانهم الخزرج ، فلم يمكنهم أن ينكروا جنايتهم ، ولكنهم طلبوا تخفيف الحكم عليهم ، وقد فاتهم أن جناية بنى قريظة ليست كجناية بنى قينقاع ، حتى يصح قياسهم ، ويكون الحكم فى الجنايتين واحداً .

لقد كانت جناية بنى قينقاع محاولة الدس والتفريق بين المسلمين ، فكان عقابهم أن ينفوا من بينهم اتقاء لشرهم ، أما جناية بنى قريظة فارتكاب الخيانة العظمى مع إخوانهم فى الوطن ، بالانضمام إلى الأعداء الذين يريدون استئصالهم والقضاء عليهم ، فخانوا بذلك وطنهم أكبر خيانة ، بل خانوا دينهم حينما آثروا أن ينضموا إلى المشركين على المسلمين ، مع أن المسلمين أهل توحيد مثلهم ، فهم بذلك ينصرون الشرك على التوحيد ، ويساعدون الكفر على الإيمان ، وهذا هو ما أشار إليه القرآن

الكريم فى الآيتين — ٨٠ ، ٨١ — من سورة المائدة (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) أى موسى عليه السلام (ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) .

فلا يمكن بعد هذا كله أن تكون عقوبة بنى قريظة كما طلب أولئك الذين تولوا الدفاع عنهم من رجال الأوس ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم رأى من السياسة ألا يتولى هو الحكم عليهم ، فقال لمن تولى الدفاع عنهم من حلفائهم : ألا يرضيكم أن يحكم عليهم رجل منكم . فقالوا : نعم . فأباح لهم أن يختاروا من يشاءون منهم للحكم عليهم ، فاختاروا سيد الأوس سعد بن معاذ .

وكان سعد جريحاً من سهم أصيب به فى غزوة الخندق ، وقد أقام بخيمة فى المسجد مُعَدَّة لمعالجة الجرحى ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم من يأتى به ، فحملوه على حماره إلى مجلس الحكم ، وقد التف به جماعة من الأوس يقولون له : أحسن فى مواليك ، ألا ترى ما فعل ابن أُبَيّ فى مواليه . يعنون ما فعله عبد الله بن أبى رئيس المنافقين مع بنى قينقاع ، فقال لهم سعد : لقد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم . ولما أقبل على النبى صلى الله عليه وسلم قال : قوموا إلى سيدكم فأنزلوه . فقاموا فأنزلوه وقالوا له : إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم . وقال له النبى صلى الله عليه وسلم : احكم فيهم يا سعد .

فالتفت سعد إلى الجهة التى ليس فيها النبى صلى الله عليه وسلم وقال : عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت . فقالوا : نعم . ثم التفت إلى الجهة التى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وقال : وعلى من هنا كذلك . وهو غاضٌ طرفه إجلالا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : نعم . فقال سعد : فإنى أحكم أن تقتل الرجال وتسبى النساء والذرية . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله يا سعد . ثم أمر بتنفيذ الحكم فيهم ، فخرج إلى سوق المدينة فخندق فيها خنادق ضرب أعناقهم فيها ثم طمرها عليهم ، وكانوا نحو سبعمائة رجل .

وهذا الحكم هو ما تقضى به كل الشرائع القديمة والحديثة فيمن يخون وطنه ويحارب قومه مع أعدائه ، وهذه الجريمة من الخطورة بمكان عظيم فى كل تلك الشرائع ، فلا تأخذها رأفة بمن يرتكبها ، بل تأخذه بأقصى ما يكون من العقوبة ، وهو عقوبة القتل . وقد كان بنو قريظة يريدون استئصال المسلمين بمساعدة أولئك المشركين ، فليجازوا قتلا بقتل ، واستئصالا باستئصال . وقد جازاهم الإسلام بذلك كما يجازى كل من يرتكب مثل ما ارتكبوا ولو لم يكن يهودياً ، لأنه لا يعرف فى حكمه فرقاً بين مسلم ويهودى ونصرانى ، ولا ينظر فى تشريعه إلا إلى الجناية فى ذاتها ، فيعطيها حكمها بقطع النظر عمن يرتكبها .

والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينظر إلى رجال بنى قريظة فى ذلك كأسرى حرب ، لأنه لم يفعل مع الأسرى فى حروبه ما فعله معهم ، وإنما نظر إليهم كمجرمين خانوا وطنهم ، وانضموا إلى أعدائه فى محاربته ، فأجرى عليهم حكم وطنهم فى هذه الخيانة ، وكان أمرهم عنده أشد من أمر أسرى الحرب ، لأن المحاربين يساقون بعداوتهم إلى حرب أعدائهم ، أما الخائنون لأوطانهم وعهودهم فلا عذر لهم فى خيانتهم ، ولا يستحقون من الرأفة ما يستحقه أسرى الحرب ونحوهم .

وقد كان فى إمكان النبى صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنهم ويجيبهم إلى طلب الجلاء كما فعل مع بنى النضير ، وكما عفا عن حاطب بن أبى بلتعة فى تجسسه لقريش ، ولكنه لو أجلاهم لعادوا إليه محاربين مع جموع العرب واليهود كما حصل فى غزوة الخندق ، وأوقعوا المسلمين فى محنة أشد من محنتها ، ولا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين .

عبد المتعال الصعيدى

رأى جديد في :

حمـــاد الراوية

للأستاذ السيد يعقوب بكر

— ٥ —

٥ — رأينا في مدى انتحال حماد

لنسبق المقدمات إلى النتائج ، ولنُدلِ برأينا الذى انتهينا إليه بعد البحث الطويل ، لنعود فنؤيده بما سنؤيده به من الأدلة والبراهين .

هذا الرأى هو أن حماداً لم يبلغ من الانتحال ذلك المدى الذى تصفه لنا كتب القدماء . ليس من شك فى أنه انتحل بعض الأشعار ، وكان فى هذا متأثراً بحال الرواية فى عصره ، ولكنه لم يكن مشغوفاً بالانتحال عاكفاً عليه جاعلا له همّه وقصده .

فأما تدليلنا على صحة هذا الرأى ، فإنما نجعله قسمين : قسما نأتى فيه بأدلة عقلية ونقلية ، وقسما نمحص فيه ما ذكرناه من تلك الأقوال والأخبار التى أوردها القدماء فى صدد انتحال حماد .

القسم الأول

(١) يقول القدماء إن حماداً كان شاعراً ، وإنه كان شاعراً مجيداً ؛ وإنه كان يصنع الأشعار ، ويدسّها على الجاهليين ، فتختلط بأشعارهم ، ويصعب التمييز بين هذه وتلك . ونحن نرى أنه كان شاعراً ، فقد قرأنا له طائفة من الأشعار ؛ ولكننا لا نرى أنه كان شاعراً مجيداً ، فإن أشعاره تميل إلى النثانة والركة ؛ ولا نرى أنه يبلغ من جودة القول ما بلغه شعراء الجاهلية حتى تختلط أشعاره بأشعارهم .

يقول البغدادى (خزانة الأدب ج ٤ ص ١٣١) : « وكتب حماد إلى بعض رؤساء الأشراف :

إنّ لى حاجة فرأيك[1] فيها ؟ لك نفسى فدًى من الأوصاب
وهى ليست مما يبلغها غير ى ولا يستطيعها فى كتاب

(١) يريد حماد أن يقول : فما رأيك فيها ؟

غير أنى أقولها حين ألقـ ـاك رويداً أسرّها فى حجاب

فكتب إليه الرجل : اكتب إلىّ بحاجتك ، ولا تشهرنى فى شعرك . فكتب إليه حماد :

إننى عاشق لجبتك الدكناء عشـ ـقاً قد حال دون الشراب
فاكسنيها فدتك نفسى وأهلى أتباهى بهـا على الأصحاب
ولك الله والأمانة أن أجعلـ ـها عُمْـرَها أمير ثيابى »

هذه صورة لشعر حماد الذى يصفه القدماء بالجودة ، ويرفعونه إلى طبقة الشعر الجاهلى . فهل ترى أن مثل هذا الشعر يتسامى إلى ما قاله قيس بن الحدادية فى مديح أسد بن كُرز[1] ، وزعم البعض أنه من صنع حماد[2] ؟

لا تعذلينى سَـلْمَ اليومَ وانتظرى أن يجمع اللهُ شملا طالما افترقا
إن شتت الدهر شملا بين جيرتكم فطال فى نعمة يا سلم ما اتفقا
وقد حللنا بقسرىّ أخى ثقة كالبدر يجلو دجى الظلماء والأفقا
لا يجبُرُ الناسُ شيئاً هاضه أسدٌ يوماً ولا يرتقون الدهر ما فتقا
كم من ثناءٍ عظيم قد تداركه وقد تفاقمَ فيه الأمرُ وانخرقا

(٢) قدّمت فى الفصل السابق أنه لم يصح عن حماد وضع فى المعلقات ، وهى أهم ما رواه . فإذا كانت المعلقات قد سلمت من وضعه وانتحاله ، فلماذا لم يسلم سائر ما رواه ؟ ولماذا لم ينتحل حماد المعلقات ، وهو المشغوف بالانتحال العاكف عليه الجاعل له همّه وقصده ؟

(٣) يقول أبو عمرو الشيبانى ، فيما رواه أبو الفرج (ج ٥ ص ١٦٥) : « ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلا قدّمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبى عمرو إلا قدّمه على نفسه » . فما رأيك فى رجل هذا رأى ابن العلاء فيه ؟ وابن العلاء راوية ثقة ، وأحد القراء السبعة . مرّ الحسن به وحلقته متوافرة والناس عكوف عليه ، فقال : لا إله إلا الله ، لقد كادت العلماء أن يكونوا أرباباً ، كل عزّ لم يؤكَّد بعلم فإلى ذُلّ يؤول . ما رأيك فى رجل يقدمه ابن العلاء على نفسه ؟ وهل تظن أن أبا عمرو بن العلاء ممن يرتضون تقديم رجل منتحل كاذب بالغ فى الانتحال والكذب ؟

(١) هو جد خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يدعى فى الجاهلية « رب بجيلة » ، وكان شاعراً فاتكا مغواراً ، وقد أدرك الاسلام وأسلم .
(٢) الأغانى ج ١٣ ص ٤ —

القسم الثانى

١ – تمحيص أقوال القدماء فى انتحال حماد :

فأما قول المفضل ، وقول يونس بن حبيب ، فإننا نقف منهما موقف الحذر. فقد كان المفضل معاصراً لحماد ، وكذلك كان يونس ابن حبيب . والمرء لا ينصف معاصره ، فى أغلب الأحيان ؛ ولاسيا إذا كانا من صناعة واحدة . بل إننا حين نقرأ قول المفضّل : قد سُلّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً ، ثم نقرأ قول من سأله : وكيف ذلك ؟ يخطر ببالنا هذا السؤال : إذا كان حماد معروفاً فى عصره بكثرة الانتحال ، فلماذا سأل السائلُ المفضل واستفسره ؟

وأما قول خلف وقول الأصمعى ، فإننا نقف منهما موقف الإرتياب ، فقد كان خلف معاصراً لحماد ، وكذلك كان الأصمعى. ثم إنهما كانا بصريين ؛ وما كان لبصرىّ أن ينصف كوفيّا كحماد ، إلا إذا كان فى خلال أبى عمرو بن العلاء . وليس هنا مكان الحديث عما كان بين الكوفة والبصرة ، فى مجال العلم والأدب ، من تنابذ وتخاصم وصراع . هذا إلى أن خلف الأحمر كان منتحلا ، ذاع ذلك عنه ، واعترف هو به ؛ وذلك أنه نسك فى أخريات أيامه وترك الشعر والكلام ، فخرج إلى أهل الكوفة ، وعرفهم الأشعار التى أدخلها فى أشعار الناس .

وأما ما ذكره السيوطى من قول أبى حاتم ، فإننا نقف منه موقف الشك . ذلك لأننا لم نقف عليه إلا لدى السيوطى ، وهو متأخر[1] . هذا إلى أن أبا حاتم بصرى ، لا يؤخذ بقوله فى حمّاد إن صحّ منه هذا القول .

وأما ما يقوله ابن سلاّم فى حماد من أنه كان غير موثوق به ، فقد سمعه من غيره ، ولم يبنه على تجربته . ذلك لأنه لم يشهد أيام حماد ، ولم يتقدم به الزمن ليرى كذبه وانتحاله . فقد سمع هذا إذاً من غيره ، ثم دوّنه فى كتابه ، وهو يعلم أنه يتهم عالماً كوفياً . وكان ابن سلام من علماء البصرة .

(١) توفى سنة ٩١١ هـ .

٢ – تمحيص أخبار انتحاله :

نبدأ بتمحيص قصة حماد مع الخليفة المهدى . فنعيد ما قلناه فى صدد حياة حماد من أنه لم يدرك عصر المهدى فى أغلب الظن ، فقد توفى سنة ١٥٦ هـ كما يقول ابن النديم ، أو سنة ١٥٥ هـ كما يقول ياقوت وابن خلكان ، بينما أن المهدى تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ . ونعيد ما قلناه من أن الرواية التى يشير إليها ابن خلكان إذ يقول : « وقيل إنه توفى فى خلافة المهدى » غيرُ صريحة النسبة ، ولا تذكر تاريخاً معيناً مما يحدو بنا إلى رفضها . نعيد ما قلناه من أن حماداً لم يدرك عصر المهدى ، ومن أن رواية ابن خلكان ضعيفة ، لنصل من هذا إلى أن قصة حماد مع الخليفة المهدىّ قصة باطلة كاذبة ، وإلى أنها إنما اخترعت اختراعاً ولفّقت تلفيقاً . اخترعت ولفقت فى سبيل النيل من حماد ، ورفع قدر المفضل . وإلاّ فما رأيك فى قصة تنتظم ثلاثة فصول ؟ فصلا يحادث فيه المهدىُّ المفضل وحده ؛ وفصلا يحادث فيه المهدى حماداً وحده ؛ ثم فصلا كأنه خاتمة يخرج فيه حماد والمفضل معاً ، وقد بان فى وجه حماد الانكسار والغمّ وفى وجه المفضل السرور والنشاط ، ويرجع فيه الخادم معهما فيقول : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألف درهم لصدقه وصحة روايته ؛ فمن أراد أن يسمع شعراً جيدا مُحدَثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل . فما رأيك فى قصة قد فصّلت تفصيلا ، ونسّقت تنسيقاً ، وقُسّمت فصولا ؟ وما رأيك فى كلام الخادم ؟ ألا ترى أنه شبيه بكلام من يروّج بضاعة فى سوق ؟ ثم ألا ترى أنه يفاضل بين رواية حماد ورواية المفضل فى تفصيل ودقة كأنه ناقد خبير ، لا خادم أجير ؟ أظنك ترى بعد هذا أن هذه قصة باطلة كاذبة ، فقد اخترعت اختراعاً ولفقت تلفيقاً . ثم إن الجاحظ فى البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ ط السندوبى) يذكر رواية من شأنها تكذيب هذه القصة . يقول الجاحظ : « أبو الحسن قال : كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سُمرة أراد الوثوب بالشام ، فحمل إلى المهدى ، فخلى

من وحي المرأة

الورد الأحمر ...

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

هو الورد، لا يجلو النواظرَ كالورد
له حمرة القانى من الدم فى الخدِ
أطالع منه كلَّ حمراء غضة ترفّ بما ضمت من الماء والوقد
فتضحك لى الدنيا ويُسفر نورها
وينجاب عنها كل أدجن مُربِدِ
ويسكر حتّى بالصبابة والصبا وأستاف حولى مثل رائحة الخلد
كذلك كان الورد، والورد لم يزل
على عهده، ما حالَ وردٌ عن العهد
فيا تعسَ نفسى اليوم ما بالها انطوت
على سلوةٍ عنه وباتت على زهد
تُجانبه عينى، فما امتدَّ لحظها إلى باقة إلا أشاحته عن قصد
أوسّع من حملاقها وهو مُغْرَق
أُغيّض فيه الدمعَ منفرط العقد[1]
وأنجو كأن الورد ألسنة اللظى وبى مثل مس النار من شدة الوجد
هو الورد، إلا أنه اليومَ باقتى إلى حيَّ الغالى المغيَّب فى اللحد

(١) حملاق العين باطن أجفانها.

سبيله وأكرمه وقرّب مجلسه، فقال له يوماً: أنشدنى قصيدة زهير التى أولها «لمن الديار بقُنّة الحِجْر» وهى التى على الراء:

لمن الديار بقنة الحجر أقوَيْنَ مذ حِجَجٍ ومذ دَهرِ

فأنشده، فقال المهدى: ذهب والله من يقول مثل هذا! قال السمرى: وذهب والله من يقال فيه مثل هذا! فغضب المهدى واستجهله ونحّاه ولم يعاقبه، واستحمقه الناس». فأنت ترى من هذه الرواية أن المهدى يعلم مطلع القصيدة؛ وهو ما تقول القصة إن حماداً صنعه فى حضرة المهدى، وإنه أقر بصنعه إياه بعد استحلافه.

السيد يعقوب بكر

إلى زوجتى بالحس والروح والحجى
وصنوىَ من دون النساء ومُعتدّى
أحجّ إليها أحمل الورد زاهياً
كما كنت أغشى دارها خاطبَ الود
وسيان فى الحالين وردٌ وباقة
ولكنّ هول الخطب فى الخاطب المُهدى
فيا بُعْدَ بين الخاطبَين: مؤمِّلٌ
سعيد، ومشئوم الهوى عاثر الجد
وإنى لأُسعى كل حين لقبرها
على قدمِى رسْفَ المكبّل فى القيد
أشُقّ على نفسى كما هان حسنها وبات رهين الترب والحجر الصلد
وأكرمها أن أطرق القبر راكباً
وإن كنتُ مهدود القوى قاصر الجهد
وآبى على الأهلين حمل تحيتى
فأحمل طول الدرب باقتها وحدى
إذا استشرفتْ عينى المقابر ثار بى
حنين، فحَشْحَشْتُ الخطى طائرَ الوخد[1]
وأُجهش كالمشتاق حان لقاؤه
لمن ذاق فى أحضانها كجَنَى الشهد
وأُفضى إلى المثوىَ أضمّ رخامه وأوسعه لثماً كمستقدح الزند
فيلقى رخامُ القبر ضمّىَ جافياً
صليباً، ويجزى حرَّ لثمىَ بالبَرْد
وأنظر للورد الجنىّ نثرته
هنا كدم القربان فى المعبد العِدّ[2]
فأرجو لو أن الرمز كان حقيقة وأنى قربان الحبيبة لو يجدى
وألمس معنى الورد يُهدَى احمراره
لمعروقة الأجلاد[3] شاحبة الجلد
فأبكى لها منزوفةً جفّ عودها
وما كان أجرَى[4] الماء فى عودها الملد

(١) الوخد: السرعة. (٢) العد القديم
(٣) أجلاد الانسان وتجاليده: جسمه وأعضاؤه.
(٤) أجرى أفعل التفضيل من جار.

إلى موعد ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٤

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

ليت يا موعد الحبيبة ما كنـ ـتَ ، ولا درتَ فى حساب زمانى !
أين من عطرتْ أُويقاتك الحلـ ـوة فى عالمى ... وفى وجدانى ؟
أين من خلدتْ ثوانيكَ بالحـ ـب ، وزانتْ إذا حللتِ مكانى ؟
أين من كنت تُشهد القدر العمـ ـلاق أنّى بها نسيت كيانى ؟
وكأنى على يديهـا ... فؤاد عارم النبض ، دائب الخفقان !
أين يا موعد الحبيبة من كنـ ـتَ بها تزدهى على الأزمان ؟
كنت ألقاك زاهياً ... يتباهى كل آن أتى على كل آن !
كل وقت من الزمان تمنى لو تريثتَ فيه بعض ثوان
كنت ألقاك وهى فيك عروس صاغها الله من نسيج الحنان
تثمل الأرض من دبيب خطاها وتموج الحياة بالألحان ... ! !
كنت ألقاك وهى فيك ملاك بعثته السماء فى إنسان !
يعبق الجو حولهـا بالمسرا ت ، وتطويك حافلا بالمعانى
كم تعجلتُ أن تمر الليالى كى أُلاقى لديك من تهوانى !
كيف لم تأت والحبيبة فى حيـ ـن كما فى اللقاء عودتمانى ؟ !
جئتَ تستمهل الدقائق سعياً خشية أن تحل نهب الأوان
قيَّد الحرص أن تراها ثوانيـ ـك ، وأرخى لها عنان الثوانى
فتحاملن.. كاسفات.. بطاء .. وائدات فى سيرهن أمانى !
جئتَ يا موعد الحبيبة مربداً (م) كئيباً تفيض بالأحزان !

أنت إن كنتَ قد حللت ، فماذا عاقها أن تصير فى أحضانى ؟ !
آه لو يرجع الزمان بك الآ ن إلى ساعة وراء الزمان ! !
ساعة أخدع انتظارى بها عن قذفه باللهيب فى أركانى
عقرب الساعة الذى قد تخطا ك إلى ما تلاك فى الدوران
كلمـا دق دقة فى المسير ا ٍ داح فى مهجتى دوى الهوان

* * *

كيف يا موعد الحبيبة وليـ ـتَ ، وألقيتنى إلى أشجانى ؟
كم تمنيتُ لو مضيتَ بعمرى ضمن أوقاتك النوالى الحسان
وجمتْ حولى الأريكة فى الرو ض ، وغامتْ بما ترى العينان!
وكأنى بذلك المقعد الملتف بالعشـ ـب ، أقاموه من لتى الأغصان
شاطر القلب فى التياعى فأبكى غردات الطيور... ثم بكانى !
وكأنى به يسـائلنى عنـ ـها ، ولكن سدى يجيب لسانى
كيف يخلو من وجهها الأسمر العذ ب ومن نور مقلتيها مكانى ؟
هذه كعبتى ... فأين التى أجـ ـثو أُصلى لحسنها الفتان
هذه جلستى... ولكن إلى من بعدها ، غير ذاهبات الأمانى؟
أيها النسم ! أيها الأفق المخـ ـضل بالسحب وهى دمع قان !
أيها الروض! أيها الطير فوق ! أيها المقعد الخضير الحانى !
كم سكرتم هنا بنجوى فؤاديـ ـنا ، فصرتم سكرى على الأكوان
كم وعيتم هنا .. أغاريد روحيـ ـنا الغريبين عن بنى الإنسان !
كم ذهلنا هنا ... عن الأبدان ! وعدمنا شعورنا بالزمان !
وامحتْ حولنا من النظر الشا مل حتى شيات هذا المكان !
والتقيْنا فى نشوة الحب روحاً واحداً يستلذ شرع التفانى !
واحترقنا فى قبلة ... طهرتنا ثم طارت بنا وراء الزمان
قبـلة تمنح الخلود لحسى ... ! وتريني ما لا ترى العينان !
كم طفونا روحين ، ثم بلغنا فى لظاها قرارة البركان

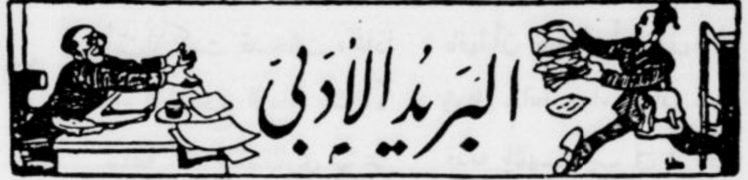
* * *

أنا وحدى هنا ... أداهن أشوا قىَ أن ترحم الفؤاد العانى
بى حنين إلى البكاء مرير آه يا مقلتىّ لو تكِفان !
أيهذى الدموع .. يا قطرات النـ ـفس بالشوق والأسى والحنان!
أنقذينى ! ترقرق فى جفونى ! أنت يا راحتى ويا سلوانى !

عبد الرحمن الخميسى

وأبكى لوردٍ كان فى الخد واللَّمَى
وقد كان أندى الورد طراً على كبدى
تمر بى الساعات ما إن أحسّها فهذا الحِمَى ألفى الزمان على الحد
أُطيل مقامى عازبَ الرشـد ذاهلا
فإن غربت شمس الضحى ثاب لى رشدى
فأمضِى وشمس الغـروب حمراء وردةٌ
وقد نَفَضَتْ فوق المقـابر كالورد

عبد الرحمن صدقى



التموين فى عام :

معالى وزير التموين طه السباعى بك رجل عرفه الأدب قبل أن تعرفه الوزارة ، ولقد كتب وترجم ما أهله لأن يكون فى الصفوة المختارة من أدبائنا وكتابنا ، وإن الإنسان حين يتناول كتابه — أو بيانه كما يريد هو أن يسميه — الذى وضعه تحت عنوان « التموين فى عام » ليعجب كيف تخضع هذه المعانى الرسمية الجافة لأسلوب الأدب الذى يحيل جفافها نضرة وجمالا .

وقد أهدى نسخة من بيانه ذاك إلى ، فكتبت إلى معاليه الأبيات الآتية :

يا وزير التموين ، هذا كتاب يمتع الحس والنهى أسلوبا
أنت أرسلته بياناً علياً يشبه الزهر رونقاً وطيوبا
كل لفظ فيه أرق من الفجــر ، وأندى من النسيم هبوبا
صغته قادراً على الصوغ فذاً ثم أرسلته بياناً عجيباً ...

العوضى الوكيل

الى الدكتور ابراهيم ناجى :

ذكرتم فى كتابكم الأخير « كيف تفهم الناس » ، وفى الفصل الخاص بدراسة نفسية الجماهير « أن الفرد ينحدر من أصول غطاها الطلاء الذى ندعوه المدنية وغشاها العشب الذى ندعوه الثقافة ، ولكن هاته الأصول لم تمح آثارها ولن » .

فهل من وجه للمقابلة بين الثقافة والعشب ؟

فالعشب — كما نعلم جميعاً — لا يصلح لشىء ، فهل الثقافة كذلك ؟

والعشب يطفو على سطح الماء ، فهل تطفو الثقافة على سطح الحياة ، أم تغوص فى المرء وتتأصل ؟

والعشب هش تذروه الريح ، فهل الثقافة رخوة تزيلها العواصف ؟

والعشب بقايا الحصاد ، فهل الثقافة نفاية الحصاد الذهنى ؟

أترى حالف التوفيق الصديق فى هذه المقابلة ؟

وديع فلسطين

المعلقات

يكتب الأستاذ السيد يعقوب بكر عن حماد الراوية وقد عرض للمعلقات فوافق ابن النحاس النحوى المصرى على أنها لم تعلق فى الكعبة ولكنه خالفه فى اختيار العرب لها ، ورأى أن العرب هم الذين اختاروا هذه القصائد وفضلوها على غيرها . قال فى العدد (٦٤٨) : (فالمعلقات إذاً قد تكون من اختيار العرب القدماء) ثم جاء فى العدد (٦٤٩) فجعل هذا الذى قد يكون أمراً محققاً ، وأكد فيه ما ردده فى العدد السابق فقال (واستقام لنا أن العرب القدماء هم الذين اختاروا المعلقات وفضلوها على غيرها) . وهذه دعوى لا تقل فى نظر الباحث فى التاريخ الأدبى عن دعوى التعليق ، فان الناظر فى الأدب الجاهلى يستطيع أن يعرف من هذا — لو صح — الذوق الأدبى عند عرب الجاهلية ويستطيع إلى أى مدى كانوا يحكمون على الشعر وما هو مدار الفحولة فى الشعر عندهم ؟ ومن دراسة هذه المعلقات يتبين له النوع الذى كان يؤثره جمهور العرب على غيره وهكذا ، فاذاً هذه دعوى لا يمر بها الدارس مراً ولا يلقيها على رُسَيْلاتها ، بل لا بد له أن يدعمها بالدليل ، ويؤيدها بالبرهان ، ونحن نرى أن الكاتب اعتصم بأمرين أولهما ما ذكره فى قوله « ويؤيدنا فى رأينا هذا ما يقوله ابن النحاس نفسه من أن حماداً الراوية لما رأى قلة من يعنون بالشعر ، جمع هذه القصائد السبع ، وحث الناس على درسها وقال لهم : هذه هى المشهورات ، ولفظ المشهورات هنا هو بيت القصيد) وهو كما نرى — دليل واه ضعيف — فما أهون على حماد أن يكون زعم هذه الكلمة ، ويؤيد هذا أنه قدمها للناس حين رأى منهم الزهد فى الشعر . فمن المرجح حينئذ أن يقول لهم إن هذه القصائد كان يؤثرها العرب على غيرها ، وكانت عندهم مشهورة ليحثهم بذلك على حفظها ودراستها ، وكل ما يمكن أن يؤخذ من هذا أن حماداً نفسه كان يستجيد هذه القصائد ، أما ما عدا ذلك فيحتاج إلى دليل ، فمن أين لنا مثلا الدليل على صدق حماد فى هذه الدعوى ؟

أما الأمر الثانى فما ذكره فى قوله (فالعرب الجاهليون قوم

قد شغلوا بالشعر فقالوه ورددوه وأقاموا الأسواق لإنشاده ونقده ، وقوم هذا شغلهم بالشعر لا يصعب عليهم تفضيل بعضه على بعض واختيار بعضه دون سائره) .

ونقول له نحن : وهو كذلك . نعم لا يصعب على العرب أن يفضلوا بعض الشعر على بعض ، ولكن من أين لنا أن هذه هي القصائد التي فضلها العرب واختاروها ؟ إن هـذا الدليل لا ينتج لنا الدعوى . فهو دليل ناقص ومبتور . فاستقام لنا أن دعوى شهرة هذه القصائد وتفضيل العرب لها على غيرها دعوى لا دليل عليها .

ونحن ننتظر من هذا الباحث أو من غيره الحجة والبرهان على هذه النظرية أو على نقيضها حتى نرتب على ذلك نتائج صحيحة سليمة وهي نتائج على جانب كبير من الأهمية في قيمة النقد عند عرب الجاهلية .

بنباقادن الثانوية — **علي جلال الدين شاهين**

الكأس السابعة

أشرق علينا الأستاذ صلاح ذهني بمجموعة قصص جديدة يضمها اسم « الكأس السابعة » … وقـد كانت في الواقع كئوساً عذبة من الأدب القصصي أرشفنا إياها الأستاذ المؤلف .

وقد قدم له بمقدمة خائفة تداهن الناقد وتتقرب إلى القارئ في أسلوب متهكم بعض الأحيان جاد في الأحيان الأخرى ، وكنت وأنا أقرأ هذه المقدمة أعتقد أن الأستاذ صلاح قدم إلينا شيئاً هو غير راض عنه … ولـكن حين قرأت هذه المجموعة بدا لي أنه كان يتهكم في مقدمته جميعها … فهذه القصص التي أبرزها لا تحتاج إلى مداهنة أو زلفى فهي واضحة المغزى محكمة العقدة بارعة الحل ، كل هذا في أسلوب طلي وعبارات مختارة .

وكم سرني أن الأستاذ صلاح قد سلسل حوادث قصصه في صميم مجتمعنا هـذا ، فجمع بهذا بين الفن الصافي والنقد البارع لما يدور حولنا ، وهو بهذا يناقض هؤلاء القوم الذين اعتقدوا أن القصة فن رفيع لا يصح أن يسفل إلى المجتمع متناسين أن كاتب القصة نفسه من المجتمع يسفل إذا سفل ويعلو إذا يعلو … أثبت الأستاذ صلاح أن القصة لا تسمو على المجتمع وإنما هي من صميمه وواجبها فيه النقد والإصلاح لا التعالي والاستكبار .

ولـكن لي على الأستاذ المؤلف نقيدة أرجو أن يوليها شيئاً من التفاته ، ذلك أنه كان ينهي القصة دائماً بالفاجعة ولا نستطيع أن نعيب عليه هذا في كثير من قصصه لأن حبكتها كانت تستدعي هذا … ولـكن لم لم يخلق لنا شخصية خيرة ممن لا يمكن أن ننكر وجودهم في المجتمع ؟… فلو أوجد الأستاذ هذه الشخصية لاستطاع أن نتلافى كثيراً من الفواجع ولجعلتنا أيضاً نرنو إلى مستقبل للمجتمع تمحى فيه مساوئه ويرفرف عليه الخير ، أما اليوم بعد أن قرأنا هذه القصص فلا يسعنا إلا أن نبتر الأمل في الاصلاح .

ولـكن هذا المأخذ لا ينقص من روعة المجموعة شيئاً بل ولا يجوز لي أن أسميه مأخذاً فما هو إلا رأي أسوقه التمس له عند المؤلف تحقيقاً .

ثروت أباظة

جمعية المؤلفين والملحنين :

اجتمع لفيف كبير من المؤلفين والملحنين في الساعة الحادية عشرة صباحاً بنادي السينما بالقاهرة ، وبعد أن تلا عليهم الأستاذ فريد غصن بعض أغراض جمعية المؤلفين والملحنين بباريس ، رأى المجتمعون أن هذه الأغراض هي نفس الأغراض التي يسعون إلى تحقيقها ، فقرروا تأليف هيئة منهم وممن ينضم إليهم في المستقبل للعمل على تحقيق هـذه الأغراض بالتعاون مع تلك الجمعية على أن يكون المجتمعون أعضاء مؤسسين .

كما قرروا اختيار الأساتذة : أحمد رامي ، وأحمد فؤاد شومان ، وبديع خيري ، وبيرم التونسي ، وفريد غصن ، وعبد الرحمن سامي ، ومحمد عبد المنعم (أبو بثينة) ، ومحمـد شوكت التوني ، ومصطفى عبد الرحمن ، لوضع القانون الأساسي للهيئة واللائحة الداخلية ، وتكييف وضعها القانوني في مصر بما يضمن انتفاعها بجهود الجمعية المركزية للمؤلفين والملحنين بباريس ، على أن يقدموا تقريرهم في اجتماع تعقده الهيئة في يوم الجمعة ٢١ ديسمبر ١٩٤٥ .



من قصص الصين :

الدمـــــع ...

« للكاتب الصيني الكبير « ب . شاو . كين »

ترجمة عبد الله ما — جي — كو

بحث رجل عن شيء أضاعه الناس في جميع بقاع الأرض التي تضيئها أنوار الشمس والقمر والنجوم ، وجهد في البحث عنه تحت جذور الحشائش وفي الترع النـــاضبة وفي تراب الشوارع وفي كل جزء من الهواء الذي يأتيه ، ولكن لم يجده في كل هذه ، فتنفس تنفسا أبعد عمقا وأكثر حزنا من تنفس الغابة الكثيفة وقال :«أين الشيء الذي أريده ؟ أين الشيء الذي أريده؟»

وجاء « الرجل المتفائل » وسأله قائلا : « لماذا تبحث تحت جذور الحشائش ، هل ضاع منك اللؤلؤ ؟ ولماذا تبحث في الترع هل ضاع منك الزئبق؟ ولماذا تبحث في التراب ، هل ضاع منك الدم ؟ ولماذا تبحث في الهواء ، هل ضاعت منك الرائحة الطيبة ؟ »

فهز الرجل رأسه وزفر قائلا : « كلا ، لم تضع مني هذه الأشياء »

فرد عليه الرجل المتفائل : « أنت أحمق إذن ، فان الإنسان لا يبحث هذا البحث المرهق إلا عن هذه الأشـــياء القيمة ، وأرى أنه يجب عليك أن لا تتعب نفسك وتهلكها لأجل شيء لا قيمة له » . قال المتفائل هذه الكلمات وقد ملأت الابتسامة وجهه وارتفع لحم خديه وتجعد الجلد الذي حول عينيه تجعدا عميقا ، كما هي صفته التي تعودها كلما تكلم مع الناس .

وأجابه الرجل قائلا : « إن الشيء الذي أبحث عنه أهم من الأشياء التي ذكرتها ، وإني قد بحثت عنه كل يوم وفي كل مكان فلم أجده ! إني أبحث عن الدمع » .

ولما سمع الرجل المتفائل كلامه فتح فمه — كأنه غار عميق — ورفع رأسه إلى السماء يقهقه بلا انقطاع ، وقال بعد حين : « الدمع ! وهل للدمع أتعبت نفسك وجهدت في البحث عنه ؟ إني لا تدمع عيناي دمعة واحدة ولا أعرف أين منبع الدمع من جسم الإنسان ، وإنما رأيت بعض الحمقى تنزل الدموع من عيـونهم ، وسأخبرك عن الأمكنة التي تنزل دموعهم فيها :

« إذهب إلى المحطات والمرافيء تجد هناك رجالا ونساء كأن قلوبهم قد ربط بعضها ببعض لا يضيعون لحظة من الزمن وإنما يتحادثون فيها ولو بتكلف ، وإذا لم يتمكنوا من الكلام غابوا في أحلام هناك كأن البرهة تساوي زمنا طويلا لا نهـاية له ، وترى هناك أيضا الأيدي في الأيدي ، والأذرع بالأكتاف ، والأفواه بالأفواه كأنها مشدودة ملتصقة لما تنفك بعد ، فاذا اتفق أن تصفر الباخرة أو القاطرة ، انقطعت المحادثات ، واستيقظ الحالمون ، وانفكت الأيدي والأذرع المشدودة وسالت الدموع من عيونهم سيلان الماء من الينبوع ، وإني أرى هذه المناظر حقيرة مضحكة ولكن إذا ذهبت إلى هناك وجدت الدمع بدون تعب ولا مشقة »

وأجاب الرجل قائلا : « لا أريد هذه الدموع ، لأنها دموع الحب والغرام ، وإنهـا كثيرة جداً يسهل على أن أجدها ، ولو كنت أريدها لذهبت إلى المحطات والمرافيء منذ زمن » .

وقال الرجل المتفائل : « إذا لم ترد هذه الدموع ، فاذهب إلى أحجار الأمهات أو إلى المهاد تجد فيها أطفالا راقدين تعجبك وجوههم الحمراء الجميلة وشعورهم الصفراء الخفيفة وعيونهم السوداء المنيرة وتدعوك إلى رحمتهم والعطف عليهم ، وتراهم يبكون فجأة بكاء شديدا ثم يقطعون البكاء بدون تكلف ، ولا تكون دموعهم أكثر من دموع الرجال والنساء المذكورين ، ولكنني أظن أنها تكفيك وتقنع أملك ، فاذهب إلى هناك » .

فأجاب الرجل قائلا : « لا أريد هذه الدموع أيضا ، لأنها دموع الطفولة وهي موجودة في كل بيت يسهل على أن أجدها ، ولو كنت أريدها لذهبت إلى أحجار الأمهات أو إلى المهاد باحثا فيها »

قال الرجل المتفائل : « إذا أنت لم ترد هذه الدموع فاذهب إلى الملاهي ودور التمثيل تر على مسارحها رجالا ونساء يمثلون أحيـانا روايات محزنة خيالية كأنها حقيقية ويقومـون بأدوار مضحكة ومناظر محتقرة كموت زوج المرأة أو مصرع قائد الجيش للدفاع عن بلاده أو حب الفتى والفتاة وتعذر اجتماعهما أو غير ذلك وإذا مثلوا الرواية ووصلوا إلى أشد الأمور حزنا وأغمها بكوا بكاء شديدا ونزلت الدموع من عيونهم ، ولا يهمنا أن تكون الرواية حقيقية أو كاذبة فعلى كل حال هم يبكون وستجد في عيونهم الدموع ، فاذهب إلى الملاهي وابحث عن الدموع في مسارحها »

فأجاب الرجل قائلا: «لا أريد هذه الدموع كذلك، لأنها دموع خيالية كاذبة ووجودها لا اعتبار له في العالم، فلماذا أذهب إلى الملاهي؟»

ولم يستطع الرجل المتفائل أن يزيد على تلك الدموع المذكورة فنظر إلى الرجل فاتحاً عينيه، وبعد برهة سأله قائلا: «إذن، أى دمع تريد؟ لأنى أعتقد أنه لا توجد فى الدنيا إلا الدموع التى ذكرتها، فهل تعلم دمعاً غيرها؟»

فأجاب الرجل قائلا: «نعم، علمت أن فى الدنيا دمعاً غير تلك الدموع، وأنا لا أبحث إلا عنه، وأصرح لك بأنه دمع العطف والرحمة لا غير»

فعجب الرجل المتفائل من كلام الرجل، وحدق بعينيه فى وجهه، وهز رأسه هزة خفيفة وقال: «لعل هذا الدمع ليس موجوداً فى الدنيا؟ دمع العطف والرحمة! لم أكن أسمع هذا الإسم الغريب، ولم أعرف من الذى ينزل من عينيه هذا الدمع، ولأى سبب ينزل، فإذا علمته فهل لك أن تخبرنى عنه بالتفصيل؟»

فقال الرجل: «نعم، سأخبرك عنه بكل سرور:

إن دمع العطف والرحمة لا يسيل لشخص أو لشخصين فحسب، بل يسيل للناس الكثيرين، وإن صاحب هذا الدمع يذرفه من عينيه إذا رأى المأساة وتأثر قلبه تأثراً تاماً، وليس هو كدموع الأطفال لأنها طبيعية بغير تأثر. وإن هذا الدمع يسيل للاخلاص والصدق ولا يوجد فيه شىء من الخيال والكذب. وأما أى شخص يسيل منه هذا الدمع فإنى لا أعرفه، وقد بحثت عنه فى كل مكان ودققت النظر فى عيون الناس، فلم أجد قطرة من هذا الدمع، ومن يدرى لعله لم يكن موجوداً! وربما سقط وضاع من عيون الناس فى مكان، وكل شىء إذا ضاع يمكن أن يوجد بالبحث عنه. وسأبحث عنه لعلى أجده وأرده إلى أصحابه، وما عثرت على الذين ينسكب من عيونهم هذا الدمع، ولكن عسى أن أجدهم خلال بحثى عنه»

ولم يصدق الرجل المتفائل كلامه، وهز رأسه هزات ثم قال: «لا أفهم كلامك، ولكن إذا كان هناك من يسيل من عينيه هذا الدمع، فإنه يكون أكثر حمقاً وأشد سفهاً من الذين ذكرتهم لك، فإن الإنسان أذكى وأعز من كل شىء، ويستحيل أن يبلغ هذا المبلغ من الحمق والسفه، لذلك لا أستطيع أن أصدقك».

ونظر الرجل إلى الرجل المتفائل نظرة عطف وإشفاق، ثم تنهد وقال بصوت رقيق: «وأنت أيضاً من الذين أضاعوا هذا الدمع! فيجب عليك أن تبحث عنه معى، فإذا وجدته استرددت الشىء الذى أضعته، فهل لك أن ترافقنى؟»

ولم يرض الرجل المتفائل عن كلامه بالطبع وقال: «كيف ضاع منى هذا الدمع، إن عينى لم تدمع دمعة واحدة، ولا أحب أن يسيل الدمع منى، ولا أرضى أن أعمل معك عملا لا فائدة فيه، لذلك سأذهب إلى حفلة الغناء والرقص أغنى فيها غناء السرور وأرقص رقصة جميلة»

ولما رأى الرجل الباحث أن الرجل المتفائل لا يرضى أن يبحث معه عن الدمع فارقه واستمر فى عمله، ووقف الرجل المتفائل يضحك من هذا الرجل ضحكا عميقاً على حمقه وسفهه، ثم ذهب إلى مكان السرور، وشغل فيه باللهو والغناء.

ولم يجد الرجل الدمع فى تلك الأمكنة، فغير رأيه وذهب إلى مكان مزدحم بالناس باحثاً بينهم عن الدمع، فوقف بجانب شارع، ورأى السيارات تسير فيه أسرع من الريح، تأتيه فجأة وتروح لا يكاد يشعر بها، ورأى المارين فى الشارع يضطربون اضطراباً شديداً، وينظرون تارة إلى الأمام وتارة إلى الخلف وهم خائفون من السيارات أن تمزق أبدانهم، ووجد البغال تجر العربات الكبيرة المحملة بالفحم هزيلة الأجسام كأن اللحم لا يوجد فيها، والعرق المتصبب منها يبلل شعورها السوداء، وكلما خطت خطوة كادت تقع على الأرض فتجد قوتها فى كل خطوة وتذهب بذهابها؛ وهكذا مشت إلى الأمام تغمض عيونها بعض إغماض، وأما سواقوها، فقد ملأ غبار الفحم وجوههم وجعلها سوداء فاحمة، وكأن عيونهم مغمضة، وأصبحت شفاههم حمراء مخيفة، ورأى الرجل من ناحية أخرى رجالا يجرون «العربات اليابانية» التى يركبها الناس يعدون كالخيل ويمسكون بأيديهم أذرع العربات، ويطوون أرجلهم فى العدو حتى تكاد تصل إلى أعجازهم ويرفعون أعضادهم كما ترفع الطيور أجنحتها، وإذا اتفق أن هاجت الريح بالتراب وألقته فى وجوههم فيدخل أنوفهم وأفواههم، يتنفسون بأصوات عالية خشنة كأنها البخار يخرج من أنابيبه ويتفصد العرق من وجوههم، ولا تسمح الظروف لهم أن يمسحوه عنهم، وإنما يسيل بنفسه إلى الأرض ويتلاشى فى الرمل والتراب

فقال الرجل لنفسه: «لعل هنا دمع العطف والرحمة».

ولكنه حين بحث عنه بحثاً دقيقاً لم يجد قطرة منه ونظر إلى سائقى السيارات والماشين والبغال وسائقى عربات الفحم وجارى العربات اليابانية والجالسين عليها فاذا عيونهم جامدة لا تبض بدمعة فغادر ذلك الشارع خائب الأمل.

وذهب إلى دار الاحتفالات الكبرى فوجد فيها الناس مزدحمين مهنمكين فى إعداد حفلة فخمة لاستقبال رجل عظيم ، وسمعهم يتكلمون عن تاريخ هذا الرجل : فيقولون « خاض هذا الرجل العظيم غمار الحرب مرات كثيرة وهزمت بخططه جيوش العدو التى لا تحصى ولا تعد ، وكانت كل جثة تستلق على ظهرها أو تحبو على بطنها فوق المروج الواسعة وفى الترع والأوحال العميقة مصابة برصاصه وقنابله ، وخربت الحقول وهدمت الحدائق وسكتت أصوات التلاميذ فى المدارس ووقفت حركات الآلات فى المصانع بمدافعه وطائراته ، وأصبحت الأيدى مقطوعة والأرجل مكسورة وفقدت النساء أزواجهن والامهات أبناءهن بقضائه وقدره وهو يزور الآن بهذا البلد بعد انتصاره فى الحروب »

فقال الرجل : « لعل هنا دمع العطف والرحمة » ولكن حين أقبل الرجل رأى على وجوه الناس علائم الاحترام ودلائل الفرح فقفزوا ورقصوا كأنهم جماعة الضفادع ، وظلت أصوات هتافهم كالأمواج تصخب ورموا قلانسهم فى وجه السماء تتراقص فى الهواء ، وفى هذه الضوضاء وذلك الجنون دخل الرجل العظيم وتبعه الناس وافتتح الاحتفال ، ورأى الرجل أنه لا يوجد على وجوه الناس إلا الابتسامة والبشاشة كأن عيونهم لم تسل منها الدموع قط ولن تسيل منها أبداً ! فغادر تلك الدار صفر اليدين .

وذهب الرجل إلى مصنع كبير فوجد رجالا ونساء كثيرين يعملون فيه ، وقد أصمت أصوات الآلات آذانهم وزكمت روائحها أنوفهم ، وما أكبر العجلات التى لا يستطيع الإنسان أن يحركها إلا بقوة كبيرة ، ورأى الرجل علامات الموت تدب على وجوههم من شحوب وهزال ، ويحنى بعضهم ظهره بجانب الآلات يأكل الطعام الخشن الردىء ، وتقف بعض النساء يفكرن فى أطفالهن الذين تركنهم فى البيوت فربما بكوا بكاء شديدا إذا لم يجدوا أمهاتهم ، ولكن لا يمكن لهؤلاء الرجال والنساء أن يضيعوا وقتا كبيرا بل يجب أن يأكلوا بسرعة ، وعلى النساء أن يستيقظن من أحلام التفكير ويواصلن العمل . ولما غابت الشمس خرج العمال من المصنع ومروا بالسوق الليلية التى يطوف بها الرجال والنساء يبحثون عن السعادة والفرح ؛ فدخل العمال فى موج هؤلاء السعداء المزدحمين واختلطوا بهم .

وتبع الرجل هؤلاء العمال مفكراً قائلا : « لعل هنا دمع العطف والرحمة » . ولكن هؤلاء الناس كماء النهر إذا دخله ماء آخر اختلطا وسار معاً بدون تأثر ، وكذلك اختلط الناس فى السوق بالعمال الذين دخلوا بينهم ولم يتأثر بعضهم ببعض فحدق الرجل نظره فى عيونهم فوجدها كأنها قعور الآبار الجافة لم تسل منها الدموع ولن تسيل ، فغادر تلك السوق منقطع الرجاء .

ورأى الرجل أنه لم يجد دمع العطف والرحمة فى الناس أيضا فحزن حزناً شديداً ومشى فى الطريق حتى وصل إلى قرية بغير قصد ، ورأى كوخاً أمامه ميدان واسع وحوله بضع أشجار من الصفصاف تجعل أشعة الشمس أوراقها الخضراء جميلة رشيقة ، ويظهر أن عند صاحب الكوخ ضيوفاً يعد لهم وليمة ، وبدأت امرأته تذبح الدجاج وبجانبها قفص فيها بضع عشرة دجاجة ، فأخذت المرأة دجاجة واحدة وأمسكت بيدها اليسرى جناحيها وعرف رأسها ونزعت بيدها اليمنى شعر عنقها ثم أخذت سكيناً وذبحتها ، فحركت الدجاجة رجليها كأنها تريد أن تدافع عن حياتها ولكن لم تقدر فسال الدم من عنقها فى طاسة صغيرة ، فوضعتها المرأة على الأرض بعد انقطاع الدم ، وتحركت الدجاجة على الأرض حركة خفيفة ولم تلبث أن أصبحت كومة من الريش من غير روح ، وذبحت المرأة الدجاجة الثانية والثالثة كما ذبحت الأولى .

ولما ذبحت المرأة الدجاجة الخامسة خرج من الكوخ ولد ذو وجه أحمر وعينان سوداوان يتطلع بهما وسعى إلى المرأة فرأى أكواماً من الريش ودجاجاً فى القفص ، ووجد واحدة منها فى يد المرأة منظرها يؤلم القلوب ، فأسرع ليمسك بيد المرأة اليمنى وخرج البكاء المحزن من فمه وتدفقت الدموع من عينيه كتدفق الينبوع

ولما رأى الرجل الدموع لم يصدق أن عينيه تريانها حقيقة وظن أنه فى سنة من النوم فإنها جزاء تعبه الغالى أتاه من غير حسبان ، ولكنه دقق النظر فيها فوجدها حقيقية تسيل من عينى الولد قطرة قطرة كأنها درر لامعة ، ففرح فرحا شديداً كأنه وجد اللؤلؤ وصاح قائلا : « لم أكن أظن أننى أجدها هنا ! » وتقدم إلى الولد ووقف أمامه ماداً يديه تحت عينيه ، وبعد برهة ملأت دموع الولد كفيه .

فقال الرجل : « لقد وجدت الآن هذه الدموع التى أضاعها الناس ! وإن واجبى الآن أن أردها إليهم » . فراح قاصدا إلى « الرجل المتفائل » يردها إليه أولا لأنه لم يصدق أنه أضاع هذه الدموع وطلب منه أن يحفظها ولا يضيعها مرة ثانية ، ثم ذهب إلى كل مكان يهدى إلى كل إنسان هذه الهدية القيمة التى لا مثيل لها عنده . فاستعدوا أيها القراء الكرام ، لتأخذوا هديته ؛ فربما جاءكم بها قريبا .

عبد الله علي جي - كو

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٥٢ — الاثنين ٣١ ديسمبر ١٩٤٥ — السنة الثالثة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

13 me Année No. 652

Lundi — 31 — 12 — 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ محرم سنة ١٣٦٥ — ٣١ دسمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

مقاطعة الصهيونيــــة ...

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

قررت جامعة الدول العربية مقاطعة الصهيونية ، أو إنتاجها على الأصح ، وكان القرار بالإجماع ، وليس للجامعة أداة تنفيذية ، وإنما أداتها الحكومات الداخلة فيها ، فكل حكومة تنفذ قرار الجامعة ، بوسائلها الخاصة ، التى تسمح بها قوانينها ونظمها وأحوالها ، والوسائل ميسرة وعديدة ، منها على سبيل المثال الحواجز الجمركية التى يمكن أن تقام فى وجه الصادرات الصهيونية من فلسطين لمنعها من دخول البلاد العربية ؛ ومنها كذلك منع إصدار المواد اللازمة للصناعات الصهيونية ، إلى فلسطين ، مثل الرمل من سورية ، فإنه يدخل فى صناعة الزجاج ولا غنى بها عنه ؛ ولا خسارة على سورية من هذا المنع ، لأنه يسعها أن تصدره إلى مصر ، وفيها كما هو معلوم ، صناعة عظيمة للزجاج ، ومثل الأبقار العراقية التى يستوردها الصهيونيون ، وينتفعون بلحمها وجلودها ، فإن بمصر حاجة إليها ، الخ الخ .

والأمر ، كما قلنا مرة من قبل ، فى هذا الموضع من الرسالة ، يحتاج إلى تنظيم — تنظيم أمر المقاطعة ، وتنظيم التعاون بين الدول العربية لسد النقص وتعويض الخسارة ، فى البداية .

ونقول « فى البداية » لأن الإنتاج الصهيونى كان قد غزا الأسواق العربية مغتنماً فرصة الحرب وانقطاع الواردات الأوربية أو قلتها ، وشراء مادة من السوق أيسر مطلباً من صنعها ، ولكن الحرب وضعت أوزارها ، وزالت الصعوبات التى كانت مقتضيات الحرب قد أقامتها فى طريق التبادل التجارى بين البلاد العربية ، ففى وسع كل بلد أن يستورد من البلاد الأخرى ما ينقصه ويحتاج إليه ، للاستهلاك أو للصناعة ، وأحر بهذا أن يساعد على قيام صناعات شتى كانت متعذرة فى أيام الحرب ، وفى هذا خير كثير للبلاد العربية ، حتى بغض النظر عن الصهيونية ومكافحتها ، وإنها لفرصة ينبغى أن تغتنم ، فإن فى كل بلد من بلادنا العربية موارد وخيرات عظيمة ، وقد لا تكون كل دولة من دولنا قادرة بمفردها على استغلال هذه الموارد الطبيعية على خير وجه ، ولكن الأمر يكون أيسر وأقرب منالا إذا هى تعاونت على ذلك فيما بينها ، فتفوز بالحسنيين : تكفى نفسها حاجاتها وتمنع أن تضطر إلى وكل هذا الاستغلال للأجانب الذين يخرجون بالخير كله ، ولا يخرج أهل البلاد بأكثر من أجرة الأجير .

وهذا الإستغلال يقتضى تأليف الشركات القوية مالياً وفنياً ، وليس يعوز بلادنا العربية المال ، ولكنه قد يعوزها الفن أو الخبرة إلى حد ما ، ولا ضير من الاستعانة بخبراء من أوربة أو أمريكا حتى يوجد من العرب من يحل محلهم ويقوم مقامهم ، أو يغنى غناءهم . ومن السهل أن تحفظ كثرة الأسهم فى كل شركة تؤلف لمثل هذا الغرض للبلد الذى يراد استثمار مورد من موارده ، حتى

لا يكون هنــاك غبن على أحد ، وحتى لا يستأثر بلد دون آخر بالخير كله والربح أجمعه .

وهذا أمر يطول ، لأنه يستوجب درساً دقيقاً ، وتدبيراً محكماً ، ومن أجل هذا ينبغى الشروع فيه من الآن ، ليتسنى أن يؤتى ثمرته بأسرع ما يمكن ، قبل أن تعود الأحوال التجارية العالمية إلى ما كانت عليه قبل الحرب ، وحينئذ يخشى أن تغرق الواردات الأجنبية أسواقنا ، وتهجم علينا رءوس الأموال الأجنبية ، فتستولى على الميدان قبل أن نستطيع أن نضع فيه قدماً .

وقد زعم الصهيونيون أن المقاطعة لن تنجح ، وتحدث بهذا أحد الأمريكيين من أنصارهم المخدوعين بالدعاية الصهيونية ، ولعله لا يعرف أين موقع فلسطين من الأرض ، وردنا على ذلك أن الصهيونية حديثة فى الشرق العربى ، وقد طرأت عليه بعد الحرب العالميـة الأولى ، ولم يكن لها ولا لصناعاتها قبل ذلك وجود ، وكانت البلاد العربية قاطبة تعيش فى رغد وخفض ، ولم تكن تشعر أن بها حاجة إلى هذه الصناعات الصهيونية . والذى كان من قبل لا يتعذر أن يكون من بعد .

وإذا كانت الصهيونيـة تنتج بعض ما لا تنتجه بلادنا ، أو ما يتيسر لها إنتاجه ، فإنه ليس بمعدوم النظير فى العالم ، وقد انتهت الحرب فى وسع البلاد استيراد ما هو خير من الصـانع الغربية . وعلى أن ما استطاعه الصهيونيون لا يتعذر مثله فى مصر والشام والعراق ، وما نظن بأمريكا التى تسرف فى تأييـد الصهيونية ، وبريطانيا التى لا يعدم فيها القوم أنصاراً لقضيتهم الظالمة ، إلا أنهما يسرهما أن يقبل العرب على إنتاجهما ويزهدوا فيما يعرضه الصهيونيون . ونحسب أن هذا من البدائه التى لا تحتاج إلى بيان .

والمقاطعة كما قلنا مراراً ، هى أمضى سلاح فى مكافحة الصهيونية ، وذلك لأسباب :

الأول : أنه لا فلاح لدولة يسبق قيامها الخراب الإقتصادى ، فإذا تبين الصهيونيون أن المقاطعة تنتهى بهم إلى الخراب ، فلا شك فى أنهم سينفضون أيديهم من أمر هذه الدولة المقضى عليها . ولقد كان شر ما حاق بهم فى المانيا على عهد هتلر أنه اضطرهم أن يعيش بعضهم على بعض ، وحرم عليهم أن تكون لهم صلة ما بالشعب الألمانى ، فلم يطيقوا هذا . وراحوا يثيرون على هتلر ثائرة العالم كله .

وإذا نجحت المقاطعة فسيؤول بهم الحال إلى مثل هذا . وما جاءوا إلى فلسطين ليعيش بعضهم على بعض ، بل ليعيشوا على العرب جميعاً

الثانى : أن الصناعات التى أقاموها فى فلسطين مقصود بها أن تغزو أسواق الشرق الأوسـط الذى صرح زعماؤهم فى المؤتمر الصهيونى بلندن أنه مجال حيوى لهم . فالمقاطعة مؤداها أن تبور هذه الصناعات .

الثالث : أن هـذه الصناعات الصهيونية باهظة التكاليف ، وخسارة القوم محققة لا شك فيها ، ولـكنهم احتملوا الخسارة ، وراحوا يسدون العجز من التبرعات التى ترد عليهم فى كل عام من أقطار الأرض جميعاً — حتى من مصر فإن لهم فيها وكالات أو هيئات تخدم الصهيونية سراً لا جهراً . وقد فضحها الله وكشف سترها يوم ذهب محام يهودى من مصر إلى تل أبيب وخطب هناك ودعا إلى العمل على محاربة قيام الجامعة العربية فى لندن، ونشرت صحف الصهيونيين هذه الخطبة أو خلاصتها ونقلتها جريدة الدفاع وقرأتها ، فنبهت إلى هذا واحتججت عليه فاضطر المحامى أن ينفى أنه قال هذا .

والصهيونيون يصبرون على هذه الخسارة وفى مرجوهم أن ينجح سعيهم فتقوم دولتهم وتفتح الأسواق فى وجهها وحينئذ يتسنى أن تثبت الصناعات على قاعدة اقتصادية سليمة . ولا نحتاج أن نقول إن المقاطعة تحول دون ذلك .

غير أن المقاطعة لا ينبغى أن يقتصر الأمر فيها على ما تتخذه الحـكومات من التدابير ، فإن على الأمة العربية واجب المساعدة ، والتعاون بين الحـكومة والشعب هو الذى يحقق الغاية ويكفل النجاح . وقد نضطر من جراء ذلك إلى الصبر إلى حين على نقص بعض المواد ، ولـكننا تعودنا هذا الصبر ووطنا أنفسنا عليـه فى سنوات الحرب ، وما زلنا صابرين ، فلن يضيرنا أن نصبر ونتشدد سنة أخرى أو بعض سنة ، وعلى أننا لن نحرم شيئاً جوهرياً أو له قيمة كبيرة ، فإن كل ما يصنعه الصهيونيون فى فلسطين مما يسهل الإستغناء عنه .

وقد استبشرت بنزول المرأة العربية فى فلسطين وسورية إلى الميـدان ، فإن عليها المعول فى نجاح المقاطعة الشعبية ، فعسى أن تقتدى بها المرأة العربية فى كل بلد آخر . والله الموفق .

ابرهيم عبد القادر المازنى

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢١ —

ج ٤ ص ٢٥٩ : أحمد بن محمد الخطابي :

تسامح ولا تستوف حقك كله وأبق ولم يستقص قط كريم
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد
كلا طرفي قصد الأمور ذميم

قلت : (وأبق فلم يستقص قط كريم) كما روت اليتيمة والوفيات ، وفي هذه (فسامح) وقد يكون قبله شيء .

* * *

ج ١٦ ص ١٤٣ :

وأبدلتني بالشطاط الحنا وكنت كالصعدة تحت السنان

قلت : (وأبدلتني بالشطاط انحنا) أي انحناء فقصر ضرورة . وهو من قصيدة لعوف بن محلم الخزاعي رواها أبو علي في أماليه (ج ١ ص ٥٠) وفيها البيت المشهور :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

قال أبو علي : « وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر فسلم عليه عبد الله فلم يسمع ، فأعلم بذلك ، فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة ارتجالا فأنشده :

يا ابن الذي دان له المشرقان طرا وقد دان له المغربان »

وقد جاء في (ارشاد الأريب) : « فزعموا أنه أنحل هذه القصيدة » ...

في اللغة هو ما قال اللسان: «حنا الشيء حنواً وحنياً وحناه: عطفه، والإنحناء الفعل اللازم وكذلك التحني ، وقال في رجل في ظهره انحناء : إن فيه لحِناية يهودية وفيه خناية يهودية أي انحناء »وما قالته النهاية : « إياك والحنوة والاقعاء يعني في الصلاة وهو أن يطأطيء رأسه ويقوس ظهره من حنيت[1] الشيء إذا عطفته » .

وفي اللغة (التحاني) وهذه لم تذكرها المعجمات التي نعرفها وقد وردت في بيت في مقطوعة في (الكامل[2]) :

قصر الليالي خطوه فتداني وحنون قائم صلبه فتحاني

وجاء في اللسان : الحنو كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الإعوجاج كعظم الحجاج واللحى والضلع والقف والحقف ومنعرج الوادي والجمع أحناء وحُني وحِني .

وقد نقل القاموس ما قال اللسان وزاد بعد قوله والضلع : (والحنى) وأورد شارحه هذه اللفظة . فهل زادها ناسخون أو هي الحشى بالشين لا بالنون ... ؟ والحشا ما اضطمت عليه الضلوع كما في الصحاح . والحشى الخصر ومنه قولهم : لطيف الحشى ، هضيم الحشى كما في التاج ...

* * *

ج ٨ ص ٧٨ :

أدل فأكرم به من مدل ومن ظالم لدمي مستحل
إذا ما تعزز قابلته بذل وذلك جهد المقل
وأسلمت خدي له خاضعا ولولا ملاحته لم أذل

قلت : أغلب الظن أن الشاعر قال : (مدلْ ومستحلْ الخ) من الضرب المحذوف ، وهو كما ضبط في الكتاب من الضرب الصحيح . والمحذوف هنا ألطف ، والاذن شاهدة ...

و (الجهد) قيلت في فتح جيمه وضمها أقوال كثيرة أورد التاج جلها ، ثم قال : والكلام في هذا المحل طويل الذيل ولكن اقتصرنا على هذا القدر لئلا يمل منه ... وفي النهاية : ... فأما في المشقة والغاية فالفتح لاغير ... ومن المضموم حديث الصدقة أي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل ، أي قدر ما يحتمله حال القليل المال .

قلت : جَهد البلاء ، وجُهد المقل . والشعر للقاضي أبي حازم قاله في حداثته في امرأته ، وكان أبو حازم — كما ذكر ياقوت —

(١) حنى يائية واوية .

(٢) ج ١ ص ٩٧ مطبعة التقدم ، وقد ذكر الكلمة (ذيل أقرب الموارد) وروى البيت .

شديد التقشف والورع .

* * *

ج ١٦ ص ٢٤٥ : ... حدثنى الإمام صدر الأفاضل قال : كتب إلىّ الصوفى المعروف بالصواف يسألنى عن بيت حسان ابن ثابت وهو :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

وقولهم بأن فيه ثلاثة عشر مرفوعا فأجبته ... فهذا يا سيدى جهد المقل ، وغير مرجو قطع المدى من الكل ، فليعذرنى سيدى — قبل الله معاذيره — من المرفوع الثالث عشر فانه لعمرى قد استكن واستتر حتى لا أعرف له عينا ...

قلت : (الكل) بفتح الكاف وهو مثل الكليل ، وللكل فى هذه اللغة معان كثيرة منها اليتيم قال :

أكول لمال الكل قبل شبابه إذا كان عظم الكل غير شديد

والثقيل الروح من الناس ، والذى هو عيال وثقل (وهو كل على مولاه) كما فى اللسان . وفى اللسان والتاج : ورأس الكل بالفتح رئيس اليهود ، نقله ابن برى عن ابن خالويه .

* * *

ج ١٥ ص ٣٦ : قال أبو حيان فى كتاب أخلاق الوزيرين من تصنيفه : طلع ابن عباد علىّ يوماً فى داره وأنا قاعد فى كسر إيوان أكتب شيئاً قد كان كادنى به ، فلما أبصرته قمت قائماً فصاح بحلق مشقوق: أقعد فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا ، فهممت بكلام فقال لى الزعفرانى الشاعر : أسكت فالرجل رقيع ، فغلب علىّ الضحك واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه ...!

وجاء فى الشرح : كاده بالشى : كلفه به[1].

قلت : كادنى به ، وكاده أراده بسوء والكيد المضرة كما فى التاج ، وكاد فعل لازم ومضارعه يكاد كاداً ، وتكاد الشىء تكلفه ، وتكاده الأمر وتكاءده شق عليه . والدليل على أن أبا حيان قصد الكيد ما رواه ياقوت فى أخباره من أقواله :

... وأما حديثى معه (مع ابن عباد) فاننى حين وصلت اليه قال لى : أبو من ؟ قلت : أبو حيان . فقال : بلغنى أنك تتادب ، فقلت : تأدب أهل الزمان ، فقال: أبوحيان ينصرف أو لا ينصرف ؟ قلت : إن قبله مولانا لا ينصرف . فلما سمع هذا تنمر وكأنه لم يعجبه ، وأقبل على واحد إلى جانبه وقال له بالفارسية سفها على ما قيل لى . ثم قال : الزم دارنا وانسخ هذا الكتاب ، فقلت : أنا سامع مطيع . ثم إنى قلت لبعض الناس فى الدار مسترسلا : إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب وزاحمت منتجعى هذا الربيع لأتخلص من حرفة الشؤم فان الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة . فنمى إليه هذا أو بعضه أو على غير وجهه فزاده تنكراً[1]

قلت : استقبل الصاحب من أبى حيان شيطاناً مريداً ، وعالماً بحراً عبقرياً ، وأديباً عجيباً جاحظياً ، ولئيا وخبيثاً ، عيناه تقذفان بالشرر ، وحرفوشاً فأبصر مشهداً مهولا روعه أيما ترويع . وإن أبا حيان لخليق جد خليق بأن يكون خير جليس للوزير العالم الأديب وخير معلم ومثقف وأنيس ، ولكن « كيف الحياة مع الحيات فى سفط » أنى يخالط أفعوان يتلظى من السم ، وعقرب لا تنى تلسع ، ولقّاعة : حاضر الجواب مقرطس ، ومكهرب . وقد أبى ابن عباد أن يدفع شراً خاله وخافه بالتى هى أحسن ، والتى هى أكرم فلزّ أبا حيان لبذله — وهو الأديب الأعظم — بوراقيه ، وكاده بالنسخ . وما كان التوحيدى المنشىء المبدع للنسخ أو للوراقة . وإنى لأقول : إذا كان الشعراء فى القديم ثلاثة أعنى حبيباً والوليد وأحمد فالكاتبون فى القديم ثلاثة : الجاحظ والريحانى وأبو حيان . وأبو العلا أحمد أمة وحده ...

ج ١٩ ص ٢٨٧ :

برّح بى أن علوم الورى إثنان ما إن لهما من مزيدْ
حقيقة يعجز تحصيلها وباطل تحصيله لا يفيدُ

وجاء فى الشرح : فى نفح الطيب : قسمان . يلاحظ أن فى هذا البيت (الثانى) إقواء .

قلت : الروى ساكن (مزيدْ ، لا يفيدْ) فلا إقواء .

(١) قلت : في الأساس : وكلفه الأمر فتكلفه ، وقد خطأ العلامة الشيخ إبراهيم اليازجى فى مجلته (الضياء) قولهم : كلفته بالأمر وقد ظن هذه التعدية عصرية وهى مولدة متأخرة ، وجدتها فى (الموافقات) — ج ١ ص ٢٥ و ج ٢ ص ١٠٣ — الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ . وفى كليات أبى البقاء فى صفحات لا أتذكرها الآن ، وفى غير الكليات .

(١) وقال أبو حيان : قصدت ابن عباد بأمل فسيح فقدم لى رسائله فى ثلاثين مجلدة على أن أنسخها له فقلت نسخ مثلها يأتى على العمر والبصر .

والرواية فى النفح : قسمان ما إن فيهما من مزيد . والشعر لابن الوقشى القاضى الأديب والفيلسوف الأريب كما يقول (نفح الطيب).

* * *

ج ٣ ص ٢٢٩ :

ذريني إنما خطئي وصوبي   على وإنمـــا أنفقت مالى

قلت : روى اللسان البيت راسماً ما منفصلة وقال : وان ما كذا منفصلة .

فى كتاب (أدب الكتاب) للامام الصولى وقد عنى بتصحيحه وتعليق حواشيه العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة الأثرى :

يكتبون أحب (أن لا) تفعل كذا بألف ونون وتكون (لا) مقطوعة ، وهو أجود ... ومنهم من يكتب بألف ولام موصولة لأن النون تدغم فى اللام إذا نطق بها ... و (كلما) إذا أردت بها الجزاء كقولك : كلما فعلت فعلتُ كتبتها حرفاً واحداً لأنها أداة ، وإذا أردت بهـا معنى الذى كقولك : كل ما فعلت فصواب فاقطع (كل) من (ما) وكذلك (إنما وكأنما ولكنما) إذا أردت بهن الأدوات فاجعلها حرفاً واحداً ، وإذا أردت بمعنى (ما) الذى فاقطع ... (ص ٢٥٨) .

* * *

ج ٩ ص ٦١ : الحسن بن على المصرى الملقب بالقاضى المهذب :

ولما أبان البين سر صـــدورنا
وأمكن فيهـا الأعين النجل مرماها

عددنا دموع العين لما تحدرت   دروعا من الصبر الجيل نزعناها

ولما وقفنا للوداع وترجمت   لعينى عما فى الضمائر عيناها

بدت صورة فى هيكلٍ فلو اننا   ندين بأديان النصارى عبدناها

وما طربا صغنا القريض وإنما   جلا اليوم مرآة القرائح مرآها

وليالى كانت فى ظـــلام شبيبتى
سراى وفى ليـل الذوائب مسراها

وجاء فى شرح البيت الثانى : أى لأن البكاء ينافى الصبر فهو يضعف من قوته ويوهنها ، والإنسان مهما كان جلدا يصبر على كل نوائب الدهر ما عدا فرقة أحبائه .

نحن قوم تذيبنا الحدق النجل (م) على أننـا نذيب الحـديدا

وقال آخر :

جزعت للحب والحمى صـبرت لهـا
إنى لأعجب من صبرى ومن جزعى

هذا وفى رأيى أن الأصـل فى نزعناها ادرعناها . وجاء فى شرح البيت الأخير : بياض بالأصل بعد وليلة ، وقبل ظلام

قلت : (وأمكن منها الأعين النجل مرماها) فى التاج : مكنته من الشيء تمكينا وأمكنته منه فتمكن واستمكن إذا ظفر به والإسم من كل ذلك المكانة ، ويقال : أمكننى الأمر ولا يقال : أنا أمكنه بمعنى أستطيعه ، ويقال : لا يمكنك الصعود إلى هذا الجبل ، ولا يقال : أنت تمكن الصعود إليه .

وليس (من الصبر الجيل) نعتا للدروع ، والجار متعلق بالفعل (نزعناها) يعنى أن هذه الدموع ، هذه الدروع انتزعناها أخذناها من الصبر الجيل ، وقد قيل فى فضيلة الدمع :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة   من الوجد أو يشفى نجى البلابل

والشطر الأول فى البيت الأخير هو عندى : (وليلة أسرى فى ظلام شبيبتى) وهو معطوف على شيء قبله ، وقد يكون الأصل (ليالى أسرى الخ) .

* * *

ج ١٢ ص ٢٣ :

إن يعجل الموت يحمله على وضح   لحب موارده مسلوكة ذلل

قلت : لحب — بالحـاء — فى القاموس : اللحب الطريق الواضح كاللاحب . وذلل — بضم اللامين — فى اللسان : طريق ذليل من طرق ذلل ، وسبيل ذلول وسبل ذلل .

ج ١ ص ٧٥ : قال أبو تمام :

إن يُكد مطَّرِف الإخاء فإننا   نسرى ونغـدو فى إخاء تالد

أو نفترق نسباً يؤلف بيننا   أدب أقمناه مقـــام الوالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا   عذب تحـدر من غمام واحد

وجاء فى الشرح : وتروى (من زلال بارد) وهى الأوفق .

قلت : (إن يكد مطرف الأخاء) بفتح الراء أى مستحدثه ، واطرف الشيء استحدثه ، ورواية الديوان (أو يفترق نسب) و (نسب وأدب) متوائمان و (من غمام واحد) هى الرواية . والأبيات من قصيدة يقولهـا حبيب فى صديقه على بن الجهم

أمى ...!

للأستاذ عبد المنعم خلاف

ترجع بى ذاكرتى الآن سبعا وثلاثين سنة وأنا فى ساعة من ساعات الذكرى إلى الصورة الأولى من وجه باسم يطالعنى مع الصبح كل يوم يوقظنى من النوم ، ويهدهدنى فى فراش الطفولة بكلمات مقصوصة مضغوطة فى تنغيم قليل وتمطيط ومعابثة ، فلا ألبث أن أستيقظ لذلك الوجه الراعى الواحد الذى ما كنت أعرف غيره بعد فى دنياى يومئذ .

تلك هى الإلتماعة الأولى التى أدركت بها وجودى وابتدأت روحى على نورها الضئيل تدخل رحاب الدنيا وتستفيق من ذهول الطفولة .

وتلك هى الصورة الأولى للدنيا فى نفسى : وجه صبيح باسم راحم يطالعنى مع نور الصبح الندى الجميل ، ويعابثنى بيد رحيمة رفيقة ...

وكذلك تدخل الدنيا إلى وعى الطفولة فى إطار من الحب والرحمة والحنان والابتسام ...

وكذلك كانت الأمومة السفير الأول من الله للنفس البشرية يرسله إلى الوافد المولود يرحب به على عتبات الوجود ، ثم يدخل به فى رحاب داخل العتبات ... ألم يقل « أنا الرحمن وأنت الرحم » .

***

وما زال هـذا الوجه يرعانى بعينيه حتى أغمضتهما بيدى الإغماضة الأخيرة فى مساء الجمعة الحادى عشر من ذى الحجة الماضى ؛ بعد أن انطفأ فيهما نور الحياة ، فوضعت ذلك الوجه فى ذلك القبر الذى ضرّحْنا له فيه .

ومنذ أن شببت عن الطوق ومضيت فى طريقى إلى الاكتمال وبلوغ الأشد ، ومضت هى فى طريقها إلى الذبول والأفول تيقظت لها اليقظة الكبرى وأدركتها بالفكر كما أدركتها قبل بالإلهام ، وعرفت موضعها منى وموضعى منها كروح انبثقت من روحها وجسم كوّن من جسمها وصار حبى إياها ينمو ويشتعل بذلك اللهيب الأبيض الدافئ اللذيذ الذى ينضج القلب ويهيئه للحب الأكبر الذى تغمر أسراره جوانب الكون الجميل .

صار حُبُّها أوسع محراب أقف فيه لأشهد منه الكون فى أروع صورة من صوره ذات التهاويل والتعاجيب ! وكنت أحس حركة قلبى حين يكون فى جوارها فأستلمه بكفى من فرط الشعور به وشدة الحركة فيه ... أقول حقاً أيها القارئ ولا ألعب بألفاظ !

وقد أتيح لى من إدراك أمى بفكرى الكامل ما لم يتح لى من إدراك أبى رحمه الله ، فقد توفى منذ سبعة عشر عاماً ، قبل أن يدخل علىّ من إرهاف الحس وتوفز الشعور بالحياة وعجبها ما دخل ! ولذلك اكتفيت من رثائه يومئذ بدموعى وحدها مع أنه كان صورة من أحق صور العلماء بالتسجيل والبيان لعمق روحه وفكره . وحسبك من رجل كان يستحى من نفسه !

و « كان على شاعراً فصيحاً مطبوعاً » كما قال أبو الفرج ، ومن مشهور شعره لاميته فى صلبه ... وداليته فى حبسه ، وعند أبى الفرج أنها « أحسن شعره » وقد رواها فى أغانيه (ج ١٠ ص ٢٠٨ ، ٢١٣) ولعل الرائية المشهورة (عيون المها) فى المتوكل ولم يذكر أبو الفرج منها شيئاً ولم يشر إليها ، وهى ثلاثة وعشرون بيتاً ، جلها غزل ، وفيها يقول :

فقالت : كأنى بالقوافى سوائراً ... يردن بنا مصراً ويصدرن عن مصر

فقلت : أسأت الظن بى لست شاعراً ... وإن كان أحياناً يجيش به صدرى

وللشعر أتباع كثير ولم أكن ... له تابعاً فى حال عسر ولا يسر

ولكن إحسان الخليفة جعفر ... دعانى إلى ما قلت فيه من الشعر

فسار مسير الشمس فى كل بلدة ... وهب هبوب الريح فى البر والبحر

***

فى القسم — ١٩ — (الشميذ) وهى الشميذر و (الفحير) وهى الغمير و (فإذا) وهى (فإذن) . وفى إحدى مقالاتى : (فى العقد) فى القسم ٦ فى الرسالة ٤٠٥ أوردت قول صاحب (الاقتضاب) وهو يرى — كما يرى المبرد — أن تكتب بالنون على كل حال حتى لا تشبه (إذا) التى هى ظرف فيقع اللبس بينهما ، ويقول إن نون (إذن) « إنما هى أصل من نفس الكلمة » فإذن لن تكتب (إذن) إلا بالنون ...

أما أمى فقد أنسأ الله لى فى أجلها حتى أدركتها الإدراك الكامل ، فكانت منبعاً فياضاً من ينابيع الشعر فى نفسى . وقد كتبت عنها مرات فى خطراتى اليومية ، وأدركت منها أن الأمومة هى منبع الخير والرحمة والحب والبر الذى فى الدنيا وليس الخير كما يتوهم « نيتشه » فلسفة الضعف ووسيلة الضعفاء والعبيد إلى خديعة الأقوياء والسادة ليتوقّوا به بطشهم ونكالهم ، وإنما الخير والبر والرحمة هى فيض الأمومة على أبنائها فى أسرتها الصغيرة ومن الأسرة الصغيرة انتقل ذلك الفيض إلى الأسرة البشرية الكبيرة فى الأمة والأمم .

فلولا الأم لاستمر اقتتال الإخوة على الطعام والمقتنيات كما يقتتلون ويتنازعون أول دخولهم الحياة ، ولكنها لا تزال توصى الأخ بأخيه وتحببه فيه وتربط مابينهما حتى يشبا ويجدا طعم الدم الواحد فى قلبيهما ويذكرا الجذع الواحد الذى تفرعا منه ، ثم يتسع معني الرحم بتفرع الأسرة حتى تصير قبيلة ثم أمة وهكذا .

فليس منبع الخير هو الضعف كما يفلسف « نيتشه » نبى النازية الكاذب الذى تأثرت الهتلرية وأضرابها بفلسفته وصدرت عنها فى حرب البطن وخيلاء القوة ، وإنما منبعها قوة الأمومة الصبور الحاملة أمانتها فى جلد ورضا وغبطة ورحمة ، وأعْظِمْ بها أمانة ! لأنها أثقل تبعة وأعظم رسالة !

* * *

كتبت عن أمى فى سجل خطراتى فى ١٣ ـ ٨ ـ ١٩٣٩ :

« هذه أمى! هذه أمى العجوز الجليلة ، تكلمنى وأنا لا أستمع لأحاديثها لأنى مشغول بالتفكير فيها وعلاقتى بها ، ونهايتها ... ما أبسطها قضية إذا نظرت إلى سطوح الأشياء بدون تفكر فى الأسس والنسب التى قامت عليها ! هى أم ككل الأمهات الكثيرات ، والدات الحيوان والانسان ، لا تستحق الشعر والفلسفة ، ولا تستلزم أكثر من السعى عليها والطاعة لها والبر بها كما يحدث الدين ... ولكنها عند الفكر محراب مسحور لا تستطيع أن تفلت من بين يديه إلا بخيال وخبال !

إننا عُمْىُ الأفكار ، نمر على أشياء الله بالنظرة الخاطفة والخطرة العابرة بدون أن نؤدى صلاة الفكر .

ووالله ! إنى حين أجرد أمى من معنى الأمومة الشائع وألبسها ثوب الطبيعة ، أشعر لها بشعور هو أعظم وأجل من الحب المبذول للأمهات ... ولقد أورثنى البعد عنها ثلاث سنين ، وأنا بالعراق ، الفكر فيها كمعنى مجرد من ملابسات المادة ... وإذا نظرت إليها وتذكرت أن فى صدرها وحده أعظم مكان يحفظ لى الحب الفدائى الرحيم ، وأنه المكان الوحيد الذى نجا من أن يكون فيه شر لى ، أحسست الدموع تطفر إلى عينى حادرة فى غفلة منها هى ... بل أحسست أن رحمة الله تنظر إلى من عينيها ، وأنه لابد من سجود !

فإذا حدثتنى عن شىء من تاريخها وتاريخ أبى معها وتاريخى فى دمها ونفسها وآمالها وفصالى منها واعتمادى عليها ... انهدم كل كيانى الفكرى حينذاك ، وشعرت بدوار من الحيرة والدهشة لإخراج الله رب الحياة لهذه العجائب والحيوات ، وأمسكت بيديها ، وهى لا تدرى السر ، وقبلتهما ؛ لأنى لا أستطيع أن أصنع فى إبراد غلتى وإحساسى بها غير ذلك !

* * *

كلا ! لن تذهب هذه المعانى العلوية إلى التراب أيها المجانين الملحدون المنكرون للبعث !

لا بد أن تحيا هذه المعانى ونحيا لها لندركها فى دار الشرح والتفسير لكل ألغاز الحياة !

كلا ! لن يضرب الله بين قلبى وقلبها وقلب أبى ويفصل بيننا إلى الأبد ، فلا نرى ونحس تلك العجائب التى فى عالم القلوب !

إنه تبذير أن تضيع هذه المعانى الكريمة بدون رجعة ، وما كان الله من المبذرين !

لو علمت أنه لا لقاء بين الأحباء الذاهبين لظللت عاكفاً على قبريهما أخاطب سر قلبيهما كما يخاطب الوثنى الأصنام .

إننا سائرون إلى الله نافخ روحه فى أجسامنا ومشوقنا إلى أسراره ...

وما أجمل أن أنهى حالتى الوجدانية هذه بالصلاة مع والدتى لله مصدر وجودنا ، ومنه وإليه مصيرنا !

* * *

« إن حياتها تدبر ، وحياتى تقبل . إننى صرت أكبر منها حجما وأكثر علماً . إن بريق عينيها ينطفىء وأسنانها تتساقط وشعرها يشتعل شيباً وجلدها يتجعد ، وهيكلها يضعف ...

والحياة تسترد آلاتها منها ، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً ، إنها لا تدرك هذه المعانى التى أدركها .

والحمد لله على الجهل فى هذا الموضع ! والويل لى حين أبلغ مبلغها من العمر بفكرى وشعرى !

إنها صورة الطبيعة وتلخيص أعمالها . إن الطبيعة امرأة ! تلد وتدور دوراتها الأبدية ولكنها تتجدد ! أما بنات حواء فذاهبات إلى غير رجعة فى رحاب هذه الطبيعة التى نراها .

ولكن الانسان المؤمن حينما يرفع بصره إلى الله الحى الدائم الحياة ، القوى الدائم القوة ينسى فناءه وفناء أبويه ، بل يرحب بذلك الفناء فى سبيل الرجوع إلى مصدر الحياة والقرب منه والعيش معه حياة الدوام !

ما أروحك على القلوب أيتها الكلمة التى يتمثل فيها كل العجز الإنسانى : إنا لله ! وإنا إليه راجعون !

من وجهها عرفتُ الأزل ، ومن وجهى عرفتْ هى الأبد ! كانت صلتى الباقية بماضىّ فى أصلاب آبائى ، وظللت وفياً لعشها كبيضة عقيم أو كفرخ عاجز الجناحين » .

***

هكذا كتبت عنها وكنت أستلهمها وأستوحى وجودها ... وها هو ذا وجهها يطالعنى بعد موتها مغمض العينين ينظر لى من فوق سرير الموت ومن أعماق ظلمات القبر ، فأشعر لمفارقتها أن حياتى انشطرت أو أنى كغصن غاب عنه جذعه الذى يربطه بالأرض ويمده من أمداد المجهول .

***

ما هو كفاء رحمة قلبك لى وقلبى لك من الألفاظ يا أماه ! أى لفظ وأى فكر يترجم عن السر الذى بينى وبينك ! إنه الأمومة والبنوة ! إنه كل منابع الرحمة والبر والإخلاص ... أإلى النسيان والعفاء ذلك كله ؟ كذبوا يا ذات الفداء والتضحية ... لقد ورثتمانى : أنت وأبى الحياة والإيمان فأديتما واجبكما كاملا غير منقوص :

كنت مثالا للأمومة الفطرية المعقولة الملهمة التى لا تفسد ولا تدلل لعطف عكسى ... ومثالا للعمل للدائب ، والشركة الأمينة ، والعشرة المنصفة والسهر الدائم على ما استخلفت عليه ... لا تأويل عندك يصرفك عن الواجب ويقعدك عنه مهما كانت المشقة فيه .

براءة فطرة وصدق وتصديق وإلهام نافذ لمواقف الخلق السليم ...

ثقافة شعبية أمية من القرية والمدينة ، فيها التجربة والحكمة والمثل ، وتتوجها خلاصة من الروح الدينى العميق الفطرى وإقبال دائم على الله فى جميع الظروف .

كان تأثيرها فىّ تأثير الروح فى الروح بالسلوك والصراحة والصرامة فى مواضع الجد ، أما تأثير أبى فكان تأثير التوجيه الصامت والأدب الحى والعلم الجليل والوجه الوقور .

***

حين قرأت فى أذنها بعد ما فاضت روحها ما حضرنى من القرآن والدعاء ... وحين ألصقت يدى بعد وفاتها بخديها الباردتين اللذين سرت فيهما برودة الموت فى منتصف ليلة الوفاة كما كنت أفعل دائماً وهى فى الحياة ...

وحين نزلت قبرها وضرحتها فيه كما كانت الوصاة بجوار قبر أبى ، وجلست بين القبرين ...

وحين أمر بسريرها خالياً من جسدها الذى كان ملء نفسى وفكرى ...

وحين أرى ثيابها يعمرها شبحها ، وأتذكرها تمر بالمنزل حجرة حجرة كطيف رحمة ...

وحين أقرأ مدونة محفوظات أمثالها وحكمها الكثيرة العجيبة التى كانت تستشهد بها كأحسن منطق فى منطق العامية المصرية نقلا عن عمتها الحاجة « شركس » الصالحة التى لم تنجب وكان همها العبادة والتوجيه لشابات العائلة .

وحين أرى البقية القليلة من لداتها وصديقاتها اللائى من طراز كاد يفنى ...

بل حين أرى عجوزاً مثلها فى أى مكان ...

حين هذا كله شعرت وأشعر أنها خلفت لقلبى ذخيرة قيمة من الحزن الثمين اللذيذ يقتات منه فى أزمات القحط الروحى .

عبد المنعم خلاف

العلم والشعر

فى الوقت الحاضر

بقلم ه . وادنجتون

كان المستر جيوفرى جريجسن رئيس تحرير جريدة ذات مكانة عظمى بين الجرائد التى تنشر الشعر الحديث ، ومن أشهر من صنف منتخبات شعرية حاول أن يصور بها الحركة الرومنسية التى بلغت أوج ازدهارها فى بدء القرن الماضى فى زمن وردزورث وكولريدج . ومما يثير دهشة المطلع على هذا الكتاب أن يجد إلى جانب المقتبسات من الشعراء والرسامين بضعة مقتبسات من مؤلفات كبار رجال العلم فى ذلك العصر ، مثل السير همفرى دافى ؛ ولكن المطلع لا يلبث أن يدرك أن جريجسن محق فى عمله هذا . ذلك أن الحركة الرومانسية فى أوجها كان لها تأثير شامل تخلل كل شىء حتى إنه ليمكن لمح أثرها فى رجال العلم أنفسهم ، أو على الأقل حين يقل خضوعهم للنزعة العلمية المدققة المتشددة . وأنا أريد فى مقالى هذا أن أقرر أن القضية قد انعكست فى يومنا هذا : أن العلم هو الآن صاحب النفوذ الأعظم والسيطرة الغالبة على تفكيرنا وأنه يصبغ الشعر العصرى بصبغة خاصة متميزة .

ولعله يجدر بى أن أقرر من البداية بكل وضوح أننى لست أدعى أنه كلما ازدادت المسحة العلمية للشعر كان الشعر أجود . فان أهم واجب على الشاعر هو أن يكون شاعراً جيداً ، أما كونه شديد الحساسية بالشعور الغالب فى عصره فهذا أمر ثانوى وإن لم يعن ذلك أنه أمر غير ذى بال . فالواقع أنه من السهل على الأديب أن يكون « عصرياً » إلى حد يجعل من المستبعد خلوده ؛ فالشعر البالغ فى العلمية فى يومنا هذا من الراجح أنه سينسى سريعاً كما نسى الشعر البالغ فى الرومانسية من مائة عام خلت . فأما ما أدعيه فهو أن معظم الشعراء اليوم سواء منهم الرديئون والجيدون يطلعوننا فى شعرهم على وجهة نظر تخالف وجهة العصور السابقة ، يحق للمرء أن يعتبرها شديدة التأثر بالعلم . وفى زمان عمت فيه الفوضى والإنحلال مثل العشرين عاما الأخيرة لا شك أن المرء يتمنى أن يلمح أية علامة تنبىء باقتران الفن والعلم ، تينك الحركتين العظيمتين من حركات النشاط الإنسانى ، وأنه يشجع مثل هذه العلامة حين يتوسمها .

من السهل بطبيعة الحال العثور على أمثلة للأخيلة العلمية يستعملها الشعراء المحدثون . وأحيانا — وإن لم يكن ذلك دائماً — تكون المادة العلمية قد نسجت نسجاً بارعاً فى فكرة القصيدة كلها ، ومثل ذلك التشبيه المشهور لاليوت T.S.Eliot :

« حين يتمدد المساء على صفحة السماء كمريض خدر وممدد على منضدة » .

لكن هذه التأثيرات للعلم تافهة نسبياً . فليس يهم كون لغة الشعر وخياله علميين أو غير علميين ، بل أهم من هذا بكثير أن نتساءل ماذا يفكر الشعراء ، وماذا يحسون عن العلم . ولكن على المرء هنا أن يحذر ويحتاط : فالشعراء لا يدلون دائماً بتقرير جلى عن موقفهم من العلم حين يُعَنْوَنُ علماً . بل هم يعبرون عن موقفهم من مختلف حركات النشاط فى العالم اليوم ، وقبل أن نقرر ما موقفهم من العلم ، يلزمنا أن نقرر ما هو الشىء الذى نعتبره اليوم علماً .

تلك مسألة خطيرة . فالواقع أن مفهوم العلم قد طرأ عليه تبدل سريع . كان يتصور أنه فى المحل الأول دراسة عارضة تحليلية للعالم ، ولكنه مع ذلك شىء ليس يحاول تفسير الأشياء فحسب ، بل يحاول أيضاً تأويلها (أى تفسيرها بتفسير يلغيها) . وهكذا قابل الشعراء بحماسة وترحيب الإنتصارات الأولى للعلم التحليلى . فاليك بيتى بوب Pope المشهورين :

« ظلت الطبيعة وقوانينها محجوبة فى ظلام الليل ، حتى قال الله : ليكن نيوتن ، فانقلب الكل نوراً ! »

ولكن ما جاءت الحرب الماضية حتى كانت تلك الحماسة قد تبخرت . فوجدنا ييتس Yeats يصف موقف العقل وصفاً صريحاً جلياً بأنه :

« عقل يدك كل شيء دكا ، حقود ذو ضغن ومرارة ، منطق صارم ، ما حدث قط أنه أطل من عيني قديس ، ولا من عيني سكير » .

وهذا الإحتجاج ضد غطرسة الذهن ، ضد محاولة الإستعاضة عن الحياة وخضمها القزير الغني بفروض وتصورات تجريدية ، هو من أهم التقريرات الشعرية وأعمها في الوقت الحاضر . فالشعراء يكادون يجمعون على أن هذا الموقف المادى الآلى المغرور بنفسه هو المسئول عن انهيار حضارتنا انهيارا مدمرا يرونه جميعا راى العين .

فحين بدأ أودن Auden إحدى قصائده بهذا البيت :

« هرباً من المنفذين المخبولين المحلوقى الشعر » .

واضح أنه كان يعنى أنه يفضل الشعراء المتهدلى الشعر على الخبراء المتحذلقين الوقورين المتأنق الهندام . وهذا الإحتجاج — كما كان منتظرا — قد عبر عنه تعبيرا بالغ القوة فى بعض القصائد التى كتبت بعد أن كشفت هذه الحرب القناع عن فظائع العالم الحاضر بكامل بشاعتها . فاليك قصيدة داى لويس Day Lewis المسماة « تقرير » :

« الآن فى مواجهة التدمير ، فى مواجهة المرأة مزقت إربا فلم يعد يستبان لها هيئة ، مزقها الزجاج المتطاير ، والطائرة المقاتلة تدور كأنما أصابها الدوخة والدوار .

حول محور الطيار المسجون فيها والجماهير المحتشدة تصفق ، والمجاعة تنشب مخالبها منذرة بالموت ، وإعلانات الألم القتال تلطخ عناوين الصحف ولوحات الحيطان ، فى مواجهة الوليد مات حرقا وقارب السفينة المحطمة تتلاطمه الأمواج الشامخة .

بينما تتخبط المجاديف بضعف كالخنفساء المقلوبة على ظهرها ، الآن ، أكثر من أى زمان مضى ، حين يبدو الإنسان وكأنه ولد ليؤذى وكأن العالم التسلوى ألما جميعه لا يتسع لرغبته الشريرة ، الآن حان لنا أن نقرر أن الناس هم الحب ، نقرر ذلك فى وجههم » .

حقا إنه لا يجرؤ أحد أن ينكر أن هذا الشيء الوحشى الذى يحتج ضده الشعراء له علاقة ما بالعلم . ولكن من المؤكد أنه ليس المعنى الحق لكلمة « العلم » . بل هو نوع من العلم الكاذب . هو موقف عقلى قبل بضعة من الافتراضات العلمية الأولى وسلم بها كأنها مبادىء يمكن استنباط الوجود بأجمعه منها ولذلك كان يسارع برفض كل ما تراءى تطبيقه مستحيلا على معياره الجاهز . ولكن هذا العمل هو أشد شيء بعدا عن العلم . فالعلم ليس طاقما من العقائد . حقا إن للعلم فى كل زمن عددا معينا من الإفتراضات يستطيع بها تفسير ما يحدث فى العالم . ولكن إذا شرع رجل العلم يظن أن نظرياته تستطيع تفسير كل شيء ، كان لزاما عليه أن يعلن إفلاسه العلمى ، إذ لم يعد يبقى له شيء يقوم به . أما إذا أراد أن يستمر فى الميدان العالى فإنه يجب عليه أن يكون على استعداد للتسليم بأن هناك ظواهر لم يبلغها بحثه بعد ، ومشاكل ليس يستطيع حلها بعد . لم يكن رجل العلم ، بل كان « المنفذ المخبول المحلوق الشعر » الذى وصفه أودن ، هو الذى قرأ نتفا من العلم البدائى ، ثم حسب أنه قد ظفر بجميع الإجابات على جميع الأسئلة . فهو قرأ عن استكشاف داروين لحقيقة تطور الحيوان بواسطة الإنتخاب الطبيعى والكفاح على المعيشة ، ثم اتخذ هذا عذرا يبرر به أشد المنافسات حدة فى المجتمع البشرى ، وإن كان لم يسائل نفسه لم يحاول الإنسان أن يعيش كالحيوان .

أما العلم الحقيقى فهو بطبعه أعظم من هذا تواضعا وأكثر تقبلا ، وإن كان فى النهاية أكبر قوة . فالعقل ذو الموقف العلمى الصحيح يلزمه أن يكون على استعداد للإعتراف بوجود أى شيء يكتشف ، وهو لا يستطيع أن يرفض الأشياء لمجرد أنها لا تنطبق على نظرياته المتحذلقة . ولكن لاشك أن موقفه ليس موقفا سلبيا فحسب ؛ فهو لا يقتصر على أن يدرك كل ما يمكن إدراكه فى العالم ، بل يبذل أعظم جهده فى أن يسيطر على الأشياء ويقبض على عنانها بتفهم الكيفية التى بها تعمل ، وهذا مغزى إصراره على ضرورة التجربة والإختبار . ذلك أن المرء يستطيع أن يحصل على ما يبدو كأنه الفهم عن طريق التأمل الفكرى المحض . ولكن هذا ليس فهما علميا ، إذ أنه لا يؤدى إلى السيطرة على الأشياء التى تأمل فيها تأملا فكريا .

الموقف العلمى متقبل أيضا ، ولكنه لا يقتصر على التقبل .

هو يحاول ألا يهمل شيئا ، ولكنه إلى جانب ذلك يصر على أنه يجب ألا يقرأ فى الشىء أكثر مما يحتويه ذلك الشىء ، هو لا يرفض قبول الأشياء ، ولكنه يحب أن يحصل عليها خالصة صافية ، كما هى فى حقيقة ذاتها ، لا كرموز تحمل فى طياتها خواطر مبهمة حالكة غير متميزة .

من السهل جدا أن يلحظ فى كثير من شعراء اليوم تأثرهم بالنزعة العلمية التى تحاول أن تجرد الأشياء عن رموزها وأن تعتبرها كما هى فى بساطتها وتنظر إليها بعين جديدة . ولقد وضح (أودن) هذه النقطة خير توضيح ، وأودن هو أشد الشعراء المحدثين نزعة علمية واعية فهو يقول :

« الساعة الرملية تهمس إلى مخلب الأسد ، وأبراج الساعة تنبىء الحدائق ليلا ونهارا ، كم من أخطاء يصبر عليها الزمن ، وما أشد خطأها إذ هى دائما مصيبة .

ولكن الزمن ، مهما علت دقاته أو ضخمت : ومهما أسرع سيله المتحدر فى الانصباب ، فما حدث قط أنه ثنى الأسد عن وثبته ولا أنه زعزع ثقة الورد .

فهذه كما يبدو ليست تهتم إلا بالفوز : بينا نحن نتخير الكلمات لمجرد طنينها ونعتبر المسألة بحسب إشكالها وما برح الزمن إلينا محببا . هل حدث قط أننا لم نفضل الطريق الملتوى على الطريق المستقيم الذى يقودنا مباشرة إلى حيث نحن ؟ »(١)

ونفس هذه النزعة التى تحاول أن تتناول الأشياء كما هى ، لا تهمل شيئا ، ولا ترى ما ليس يوجد ، يمكن أن يلحظ تأثيرها على أغلب الشعراء المحدثين .

لكن نفرا من أحدث الشعراء ، ممن أحرزوا مكانة وقدرا فى السنوات الأخيرة ، لم يقتصروا على ذلك ، بل مضوا قدما فى سعيهم نحو العلم . فمثلا داى لويس Day Lewis قد نقد فى كتاباته الفوضى الحالية أشد نقد وأمره ، وقام بدور نبى العالم الجديد ، وهو قلما حدد بجلاء ما يعتقد أنه أساس العالم الجديد ، ولكنه حين يقوم بذلك يصرح باعتقاده أن هذا الأساس سيكون نفس الشىء الذى سمحنا له بأن يصير مصدر اضطرابنا الحالى ، يقول :

« كم يكون عجيبا أن يبرز من اضطراب ربوة النمل وتخبطها نظام ملائكى تقوم دعامته على الحب ، يستطيع مواجهة الخير والشر كليهما .

كم يكون أعجب من العجب لو أن الشيطان الذى نبعثه لنثأر لحقدنا وحزننا وضعفنا ، أخذ بأيدينا كأنه الأمير المنقذ ورفعنا وقال : أنا أصفح » .

أليس هذا اعترافا بأن العلم ، الذى كثيرا ما وصفه داى لويس بأنه جرثومة عللنا ، قد يكون فيه جرثومة خلاصنا أيضا ؟

أما أودن فقد عبر عن هذه الفكرة تعبيرا أشد صراحة وجلاء . هذا ولعل أودن هو أعظم شعراء العقد المنصرم شأنا من كل الوجوه . فهو يقرر بجلاء تام أن العالم لن ينجو إلا حين تسيطر المعرفة على الإرادة الجامحة وتخضعها ، وحين يحدث ذلك فى اعتقاده أن كل النواحى المختلفة من طبيعة الإنسان ستنسجم إحداها مع الأخرى فى أكمل انسجام ، قال :

« لا بد أن تبكى كل عين على انفراد حتى تخلع (أنا أريد) من عرشها ، ولكن من المستطاع طرد (أنا أريد) إذ ليس لها من البصيرة ما يحميها من هجمات (أنا أعرف) ؛ بلى من المستطاع طرد (أنا أريد) .

حينذاك تلتقى كل أنواع (أنا) وتنمو (إننى أنا) حتى تصير : (أنا أحب) و (أنا محروم) تصير : (أنا محبوب) ؛ إذ ذاك تتلاقى كل أنواع (أنا) وتنمو .

حتى تخلع (أنا أريد) من عرشها لا بد أن تبكى كل عين على انفراد » .

---

(١) معنى هذه الأبيات ، أن الانسان قد اخترع فكرة الزمن ، واخترع لقياسه الساعات الرملية والساعات الدقاقة ، وقيد نفسه أشد تقييد بهذا الوهم المصطنع ، فلم يعد يقوم بشىء إلا طبقا للساعة والدقيقة . مع أن الطبيعة نفسها لا تأبه بهذه الفلسفة فالأسد إذ يهاجم فريسته وينشب فيها مخلبه لا يستمع إلى ساعة تنبئه بأنه قد حان وقت طعامه إنما يدفعه الجوع والتفاعلات الكيمياوية الطبيعية فى جسده . وكذلك البستان إذ تورق أشجاره أو تزدهر وروده ليس يجرى فى ذلك طبقا لمقاييس الزمن البشرية . وقد اختار الشاعر خرافة الزمن كمثال للخرافات التى خلقتها مخيلة الانسان وصارت لها عبدا خاضعا ، بفضلة هذه المصطنعات الكاذبة على حقائق الطبيعة البسيطة المجردة . (المترجم)

ولكن أودن لا تقتصر نزعته العلمية الحق على هذا ، بل هو أحد الشعراء القلائل الذين يعرفون كنه العلم الحديث ، والذين يدركون أنه ليس يقتصر على تتبع الجوهر الفرد في رحلته العمياء بل يهتم أعظم اهتمام بالطبيعة السيكولوجية والإجتماعية لبني البشر. فأودن يدرك أن مشا كل العصر الأساسية هي مشا كل العلاقة بين الطبيعة البشرية وبين العالم المادي . هي مشا كل سيكولوجية واجتماعية من ناحية ، وطبيعية و كيمياوية واصطلاحية من ناحية أخرى . وهو في أحدث كتاب له ، « رسالة العام الجديد » ، يتناول بالبحث هذه المشا كل في قصيدة مذيلة بتعليقات كثيرة تحيل القارىء إلى كتابات كثير من رجال العلم بفروعه المتعددة. وتحليله النهائي للموقف مفرغ في قالب عبارات مستمدة من علم النفس الحديث مباشرة . وهو يقرر أن مشاكلنا راجعة في جوهرها إلى أن شخصيتنا (وهي القسم الذي يسميه علماء النفس Ego الذات) ، حين تبلغ المستوى الثقافي الأعلى ، تشعر بعزلتها وتنسى الوشائج الإجتماعية التي تربطها بسائر الجنس البشري يقول :

« في الطبقات العليا من الذات ، وفي قمم الخوف الشامخة تتكون ذرات الخطأ العاصفة التي تهلك الراعي ، ونكبتنا السياسية تهبط من شدة شعورها بذاتها » .

ثم يسترسل فيقرر أن هذا الشعور بالوحدة لا مناص منه في الوقت الحاضر ، فالإنقلاب الاصطلاحي قد هدم قوالب المجتمع التقليدية التي كانت تجعل الناس يشعرون بأن لهم في المجموع الكلي مكانا وأنهم منه جزء قال :

« مهما صممنا على أن نتصرف فان تصميمنا لا بد أن يسلم بهذه الحقيقة : إن الآلة قد حطمت اليوم التقاليد المحلية التي كنا نستمتع بها ، وإنها قد أحلت محل روابط الدم والملة رابطة الفرد بذاته ، وأرغمت الجميع على أن يعترفوا بأن الوحدة هي طبيعة الإنسان الحق » .

ولكنه يسترسل فيقرر أن هذا لا يجعل من المستحيل تكوين نظام اجتماعي جديد . بل هو يقول :

« كل اتحاد حق فهو إنما يبدأ بالشعور بالإختلافات ، فللكل حاجات يريدون تقضيتها ، ولدى كل فرد قوة يتطوع بها » .

فهو يفسر هذه المفارقة : بأنه حين يدرك الإنسان أنه في وحدة بنفسه فحينذاك فقط يستطيع فهم الرابطة الحقة التي تربطه بسائر الناس ، وهي أن كلا يشارك الآخرين في الشعور بالعزلة . أما الوسيلة التي يقترحها للوصول إلى هذا الإدراك ، أو للتقدم من الشعور بالعزلة إلى إدراك الإتحاد ، فهي « الاعتراف المطلق بخطايانا » . وهذا يشبه أشد الشبه الطريقة التي يستعملها رجال التحليل السيكولوجي للتغلب على العزلة العاطفية للذات وللتوفيق بينها وبين الأقسام الأخرى من الشخصية . والراجح أن أودن — كما يتضح من الحجج التي يقتبسها في تعليقاته على القصيدة — كان يدرك تمام الإدراك مقدار التشابه بين نصيحته والنصيحة التي يدلي بها العلم . بل هو حين يختتم علاجه للمسألة ويبتهل إلى الروح التي يأمل منها خلاص الإنسان ، يستعمل كلمة (العلم) ، كوصف لها . فهو يخاطبها قائلا :

« أيتها المخلوقة الخرافية المختفية في أشجار الأرز ، والتي لا توصلنا إليها أية رقية سحرية ، الطفولة البيضاء تمضي كالآهة المتنهدة في خلال الأجمات المخضرة لا تؤذيها براءتك اللعوب ، لكي تستثير محبوبك الصادق لينسجم معها ياحمامة العلم والنور » .

[عن مجلة وورلد ريفيو] ٥ . واد نجتوند

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

— ١٠ —

جعل العرف قاعدة وأساساً للتشريع

من مزايا الشريعة الإسلامية ومحاسنها أنها جعلت العرف أساساً من أسس التشريع إذا لم يخالف نصاً صريحاً — على ما سنبين — حتى جعل الفقهاء الإسلاميون العرف والعادة قاعدة من قواعدهم، بنوا عليها كثيراً من أحكام الفروع الفقهية، وجرت على ألسنتهم في عبارات مختلفة لفظاً، متقاربة مآلا ومعنى، فقالوا: « العادة مُحَكَّمة، والمعروف كالمشروط، والمعروف عرفا كالمشروط شرطاً »، وفي المبسوط « الثابت بالمعروف كالثابت بالنص »، وفي الجزء الثاني من رد المحتار للعلامة ابن عابدين:

والعرف في الشرع له اعتبار لذا عليه الحكم قد يُدار

وفي الجزء الخامس منه في مبحث تحديد سنّ البلوغ للغلام والجارية: « العادة إحدى الحجج الشرعية فيما لا نص فيه »،

وإنما تعتبر العادة والعرف مرجعاً تبنى عليه الأحكام بشروط ثلاثة:

الأول — ألا يخالف العرف نصاً صريحاً.

الثاني — أن يكون العرف عاماً، فالحكم العام لا يثبت بالعرف الخاص، كتعارف أهل بلد واحد، أو تعارف خواص أهل جهة دون عامتها، فإن التعارف لا يثبت بهذا القدر، وقيل يثبت به، ولكن المعول عليه عدم اعتبار العرف الخاص، وإن أفتى بعضهم باعتباره [1].

الثالث — إذا اطردت العادة وغلبت.

ولكثرة الفروع والأحكام التي بنيت على تلك القاعدة — نجتزئ بذكر هذه الأمثلة:

(١) راجع تفصيل الكلام في العرف العام والخاص في الأشباه وشرحه ص ١٣٤ و ١٣٥

١ — ألفاظ الواقفين تبتنى على عرفهم، وكذا لفظ الناذر والحالف.

٢ — قال بعض الفقهاء في حد الماء الجاري: هو ما يعده العرف جاريا.

٣ — وقالوا في الحيض والنفاس إذا زاد الدم على أكثر مدة الحيض أو النفاس — ترد المرأة إلى أيام عدتها.

٤ — وأجازوا استئجار الظئر [1] بطعامها وكسوتها على المستأجر وإن كان مجهولا للعرف.

٥ — ومن ذلك أيضاً ماذهب إليه أهل المدينة في الدعاوى، فقد جعلوها على ثلاث مراتب:

الأولى — دعوى يشهد لها العرف بأنها تشبه أن تكون حقاً، وهذه تسمع من مدعيها، وله إقامة البينة، أو استحلاف المدعى عليه.

الثانية — ما يشهد العرف بأنها لا تشبه ذلك، إلا أنه لا يقضى بكذبها — كما إذا ادعى شخص على رجل ولا معرفة بينهما البتة، أنه أقرضه أو باعه شيئاً بثمن في ذمته إلى أجل — فهذه الدعوى تسمع، ولمدعيها أن يقيم البينة، ولكنهم قالوا إنه لا يملك استحلاف المدعى عليه على نفيها إلا بإثبات خلطة بينه وبين المدعى عليه.

الثالثة — دعوى يقضى العرف بكذبها، فلا تسمع، ولهذه أمثلة كثيرة، منها أن تأتى المرأة بعد سنين متطاولة، تدعى على زوجها أنه لم يكسها في شتاء ولا صيف، ولا أنفق عليها شيئاً، فهذه الدعوى لا تسمع، لتكذيب العرف والعادة بها، ولا سيما إذا كانت المرأة فقيرة، وكان الزوج موسراً [2].

٦ — يقبل قول الوصي فيما ينفقه على اليتيم إذا ادعى ما يقتضيه العرف، فإذا ادعى أكثر من ذلك لم يقبل قوله [3].

٧ — قال أبو يوسف ومحمد صاحبا أبي حنيفة يحكم ببلوغ الغلام والجارية إذا بلغا خمس عشرة سنة — عند عدم ظهور أمارات البلوغ — وبه قالت الأئمة الثلاثة، وعللوا ذلك بأنه

(١) المرضع.
(٢) الطرق الحكمية ص ٨٧ و٨٨ و٨٩.
(٣) المصدر السابق ص ٢٠١.

في الأدب الانكليزي

ماثيـــو أرنولد

Mathew Arnold

بقلم الأستاذ خيري حماد

- ٣ -

وقد كتب عنه فتش قائلا « لقد نظر نحو المجتمع الإنكليزي فرأى الأغنياء يسعون في جمع المادة وكنزها فيقومون بمختلف الأعمال للحصول على هذه الأمنية ورأى الطبقة المتوسطة تتدانى فتصبح مبتذلة محتقرة ، والطبقة العامة تنحط فتصبح بمستوى الوحوش والحيوانات[1] » .

وكانت الطبقة الوسطى موضع حملاته ومسقط إهانته وازدرائه وقد أطلق عليهم لقب الفلستينيين خفضاً من شأنهم وإزالا من أمرهم . وقد وصفهم :

« هم محصورو التفكير ، تطغى عليهم روح التحامل والتعرض فيهملون أمور الدين والعقائد ويتمسكون بأفكار تدل على صغر عقولهم وضآلة قوة التمييز فيهم . فلا يستهويهم الجمال بذلك الشعور القوى المندفع ؛ بل يحسون إحساسات خالية من المنطق وحسن التمييز . أخلاقهم منحطة وعواطفهم مبتذلة[1] » .

ولم تكن هذه الأفكار صادرة عن قلة اختبار أو عدم حنكة ؛ كان مبعثها التجربة فلقد اختط أرنولد لنفسه خطة جعلته يختلط بهذه الطبقة ويمتزج بها امتزاجاً ساعده على تفهم عقليتها . فالفلستيني في رأيه هو ذلك الرجل الذي لا يستطيع أن يفهم الآداب ولا يستسيغها ذوقه فهو يتظاهر باطلاعه على معظم الأمور بينما هو في الحقيقة على جانب عظيم من الجهل لا يشغله إلا حضور حفلات الشاي وسمر الأصدقاء والخلان .

وإن هذا التحليل الفلسفي الذي نراه في كتابات أرنولد لأخلاق شعبه لعلى جانب عظيم من الصحة والصدق ، ولكن هذه الدراسة وهذا التحليل لم يكونا في يوم ما تامين ؛ فهو لم

(1) Mixed Essays. Grnold

(1) Jrish Essay : The tuturc of hiberabiem : Arnold

العادة الغالبة على أهل زمانهم[1] .

والأصل في وضع هذا الأساس وتقرير تلك القاعدة قوله عليه الصلاة والسلام : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » ، قال العلائي لم أجده مرفوعاً ، وإنما هو من قول عبد الله ابن مسعود ، فقد روى عنه الإمام أحمد وغيره : « إن الله نظر في قلوب العباد ، فرأى قلب محمد خير قلوب العباد ، فاختاره لرسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعده ، فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبته ، فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح »[2] ، وقال شهاب الدين القرافي : إن الأحكام تجرى مع العرف والعادة ، وينتقل الفقيه بانتقالها ، ومن جهل المفتي جموده على النصوص في الكتب غير ملتفت إلى تغيير العرف .

هذا وإنك لتدهش حقاً حينما تطلع على كثرة المسائل الفقهية ، والأحكام التشريعية التي بناها علماء التشريع الإسلامي على العرف والعادة ، إذ إعتبروهما أساساً من أسس التشريع بالشروط التي أسلفناها ، ولكن لايلبث دهشك أن يزول إذا علمت أن القانون الصالح هو الذي تراعى فيه أحوال الأمة الاجتماعية والاقتصادية ، وعاداتها العامة ، على ألا يكون في ذلك إقرار مفسدة ، أو تعطيل مصلحة ، ومن جهة أخرى ، فإن النزع من العادة الظاهرة ؛ وإقصاء الناس عن العرف العام — في غير حاجة ولاضرورة — فيه حرج لهم ، ولا شك أن أصلح الشرائع ، وأجدرها بالبقاء ما روعى فيها اليسر ، وانتفى منها الحرج والعسر ، وذلك ما تحقق في شريعة الإسلام .

(يتبع) حسن أحمد الخطيب

(١) رد المحتار جـ ٥ صـ ١٠٠ .

(٢) الأشباه صـ ١٢٦ والطرق الحكمية صـ ٩١ .

يفهم حقيقة الطبقة الوسطى وأهميتها فى المجتمع البشرى ، ناهيك عن جهله لبيانتهم وعقائدهم ، فقد نسى أوتناسى أنهم مصدر الحياة وينبوع النشاط فى كيان الأمة ، فدولاب الأعمال فى أيديهم وحركة التجارة والصناعة لا تخرج عن دائرتهم .

كان أرنولد يمقت لقب البروفسور ولقب الفيلسوف ولكنه فى الحقيقة كان فيلسوفاً بأتم ما يقدمه هذا الإسم من معان وصفات . وهذه الفلسفة التى نراها فى مؤلفاته هى فلسفة ابتداعية ابتكرها من نفسه ولم ينقلها عن سابقيه من كبار الفلاسفة أمثال ابيقور وسقراط وغيرهما ؛ فقد أحب دراسة تاريخ الأديان ، واطلع على أسس الديانة المسيحية وعقائد اليهودية الجديدة وحاول أن يمزج هذه العقائد بعضها فيخرج لشعبه فلسفة دينية جديدة ويكون لهم فكراً حديثاً عن حقيقة الأديان وغاياتها .

وفى كتابه : « الثقافة والفوضى » نرى عقائده الفلسفية ظاهرة تمام الظهور ونظامه الفلسفى واضحاً أتم الوضوح ؛ فالثقافة فى رأيه هى التطور فى سبيل الكمال ، وتفهم كل ما يحيط بنا من حقائق وظواهر طبيعية وغير طبيعية مما تؤثر فى كياننا الشخصى والعلمى . وما هى فى الحقيقة إلا الإطلاع على أحسن مافكر به العلماء والعقلاء من رجالات الأمم ونابهى أمرها . وفى هذا الكتاب نراه يسجل عقيدته المحبوبة التى أطلق عليها لقب « العذوبة والضوء »

وقد اقتبس أرنولد هذا التعبير من الكاتب الشهير جوناثان سوفت ولكنه اختلف عن سوفت بكونه عنى به شيئاً يخالف تمام المخالفة ما عناه سوفت من قبل ، فقد جعله اسماً لشىء أرقى وأسمى بكثير مما عناه سالفه . فالثقافة تشمل نوعين يكمل أحدهما الآخر وهما المعرفة والطبع . وما النتيجة المتوخاة منهما إلا إنفاذ أمر الله وتحقيق إرادته مصحوبين بتحكيم العقل ، وسعة الإدراك .

وكان للثقافة فى رأيه أوجه عدة ، فلم تكن لتختصر فى الإحساس العلمى بل تتعداه إلى الميل الغريزى نحو العمل والمساعدة والسعى إلى ما فيه الخير العام . وكل هذه الأوجه مفيد ونافع من حيث أنه ينطوى على الرغبة فى إزالة الهفوات البشرية وفى تنقية صفحة المجتمع بإزالة آثار التعاسة والبؤس منه . وما هى فى الحقيقة إلا السعى فى ترك العالم ومغادرته أكثر سعادة وأعظم شأناً من الحالة التى وجدناه فيها عند بداءة أمرنا .

ولم تكن الثقافة فى نظره يوماً ما وليدة حب الإستطلاع والفضول بل حب الكمال وعدم النقصان . فاهى إلا دراسة الفرد لأحوال مجتمعه ، ومحاولة سد كل نقص يجد ، وفيه تندفع فى طريقها تحفزها المعرفة ويقودها الشعور الأخلاقى الإجتماعى للسعى إلى ما فيه خير الناس والانسانية .

ومعظم أفكاره الفلسفية تتلخص فى الفقرة التالية التى كتبها « الثقافة تتطلع إلى مرمى أبعد مما يتطلع إليه الانسان العادى . فهى تكره الحقد ويدفعها شعور عظيم واحد هو شعور الجمال والضياء . وهنالك دافع أشد من هذا وأقوى ، هو تنفيذهما وإحداث أثر ظاهر فى الكيان الانسانى . وهى لا تنفك دائبة على العمل حتى ننتهى من إصلاح أنفسنا وتكييفها بشكل تام كامل . وإن تطور بعض الناس الأخلاقى الناتج عن تأثير « العذوبة والضياء » لغير كاف ما لم يسد هذا الشعور جميع طبقات المجتمع فيحدث الأثر المتوخى والنتيجة المقصودة[1] » .

ونرى أرنولد دائم الحض للناس على العمل لاظهار الافكار الحقيقية والجمال الطبيعى ، والعذوبة الغريزية والضوء الفطرى . وأن من الواجب على الأفراد المستنيرين تغذية عقول الشعب وتثقيفهم الثقافة الضرورية . وما عظام الرجال فى رأيه إلا أولئك الذين يستطيعون توزيع المعرفة والأفكار السامية على عقول أبناء جلدتهم وبنى وطنهم من شتى الطبقات ومختلف الرتب والمناصب والذين جربوا بكل قواهم أن يرهفوا الثقافة الخشنة الصعبة المراس فيجعلوا منها أداة سامية ، أداة عاملة لرفع مستوى التفكير والمعرفة الانسانيين ، ولخلق « العذوبة والضوء » اللذين يتوخاهما العالم ويحتاج إليهما .

لقد حاولنا فى الفقرات السالفة أن نجمع بعض الأفكار التى أدرجها أرنولد فى مؤلفاته ونحللها تحليلا فلسفياً معقولا . ولقد يتراءى لنا أن فلسفته كلها تنحصر فى هذه العقائد التى ذكرتها مع أنها فى الحقيقة تكون قسما أعظم وأكثر اتساعا . وقد فضلت أن أبحث فى فلسفته الدينية بحثاً خاصاً ، فأرجأت تحليلها إلى الصفحات التالية .

(يتبع) **خيرى حماد**

(١) Cultuae and Inarchy Grnsld P. 37

رأى جديد فى :

حمـــاد الراوية

للأستاذ السيد يعقوب بكر

— ٦ —

[تتمة]

وأما قصة حماد مع الطرماح بن حكيم ، فقد تكون صادقة ، وقد تكون كاذبة . فنحن لا نملك تصديقها أو تكذيبها . ولكننا نضع بين يدى القارئ ما يقوله الجاحظ (البيان والتبيين ، ج ١ ص ٥٤) فى الطرماح بن حكيم : « ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت عدنانياً عصبياً ، وكان الطرماح قحطانياً عصبياً ... وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة ، وكان الطرماح لأهل الشام ... » . ومعنى ما يقوله الجاحظ أن الطرماح كان يتعصب على أهل الكوفة وكان حماد كوفياً .

وأما قصة حماد مع بلال بن أبى بُردة وذى الرمة فلا تنصّ على أن حماداً ادعى الشعر لنفسه ، وهو الشعر الذى مدح به بلالا . بل إنها تذكر أن حماداً نسبه إلى بعض شعراء الجاهلية . وهو شعر لا يرويه غير حماد ، وكان يستطيع نسبته إلى نفسه لو أراد . وليس بغريب أن يمدح حماد بلال بن أبى بردة بشعر لم يقله

وأما قصة حماد مع بلال بن أبى بُردة حين أنشده قصيدة الحطيئة ، فقد لا تدل على انتحال حماد . ويؤيد هذا ما يقوله صاحب الأغانى معقباً على هذه القصة (ج ٢ ص ٥١) : « وذكر المدائنى أن الحطيئة قال هذه القصيدة فى أبى موسى وأنها صحيحة ، قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو ... فوصله أبو موسى ، فكتب إليه عمر رضى الله عنه يلومه على ذلك ، فكتب إليه : إنى اشتريت عرضى منه بها ، فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنما فديت عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر ، فقد أحسنت » . ونجد كلاماً قريباً من هذا فى الأغانى أيضاً (ج ١١ ص ٢٩) . هذا إلى أنه لا يصح من مثل بلال بن أبى بردة ما تنسبه إليه القصة من أنه قال : ولكن دعها تذهب فى الناس ؛ فهو حفيد أبى موسى الأشعرى ، وهو قاض وأمير . يقول الجاحظ فى البيان والتبيين (ج ١ ص ٢٣٨) : « وولى منبر البصرة أربعة من القضاة ، فكانوا قضاة أمراء : بلال . وسوّار ، وعبيد الله ، وأحمد بن رباح . وكان بلال قاضياً بن قاض بن قاض ، وقال رؤبة :

فأنت يا ابن القاضيين قاض معتزم على الطريق ماض »

وأخيراً نصل إلى الخبرين اللذين يوردهما السيوطى فى المزهر . وأول هذين الخبرين ما يرويه أبو عمرو بن سعيد بن وهب الثقفى من أنه سأل حماداً أن يُملى عليه قصيدة لأخواله بنى سعد بن مالك ، فأملى عليه حماد شعراً نسبه إلى طرفة وهو لأعشى همدان . والخبر الثانى ما يرويه سعيد بن هُرَيْم البرجمى عمن يثق به من أن أعرابياً أنشد حماداً قصيدة لم تُعرف ولم يُدْرَ لمن هى ، فاختلفت الأقوال فى قائلها ، فقال حماد : اجعلوها لطرفة . وكلا الخبرين فى المزهر وحده ، لم نقف عليه فى كتاب آخر . هذا إلى أن السيوطى متأخر . وفى هذا كله تجريح لكلا الخبرين . وقد يبدو لنا الخبر الأول صحيحاً حين نعلم أن حماداً بكرىّ الولاء ، وأن طرفة شاعر بكرى ، وأن حماداً لهذا قد ينسب إليه ما لم يقله . ولكننا نعود فنسأل : ماذا حدا بأبى عمرو بن سعيد ، وخؤولته فى بنى سعد ابن مالك المتحدرين من بكر بن وائل ، إلى أن يفضح أمر حماد ، صديقه وشريكه فى هوى بكر ، وإلى ألا يسكت عليه حين ينسب شعراً إلى طرفة ، وهو بكرى ، بل من بنى سعد بن مالك ؟ ثم إننا نعود فنسأل أيضاً : كيف ينسب حماد إلى طرفة شعراً يعرف أبو عمرو بن سعيد وغير أبى عمرو بن سعيد أنه لأعشى همدان ؟ وهل هذه هى حال حماد ، الذى كان يَخفى انتحاله ، فيما يقول المفضل الضبى ، إلا على العالم الناقد ؟

وأما الخبر الثانى فقد يبدو صحيحاً أيضاً ؛ لأن حماداً ، وهو بكرى الهوى ، نسب ما رواه الأعرابى إلى طرفة دون غيره ، وهو شاعر بكرى . ولكننا نقول إن سعيد بن هريم البرجمى لم يصرح باسم من حدثه هذا الحديث ، وفى هذا تجريح لروايته . ونقول أيضاً إن سياق القصة يوحى بأن القوم كانوا مختلفين فيمن يمكن أن يقول هذا الشعر من الشعراء الجاهليين ، وأن حمادا

حين جعل الشعر لطرفة كان يرى أن هذا الشعر يتفق ومذهب طرفة . فالقصة إذن ، إذا صحت ، لا تدل على انتحال حماد أصلا ، ولكن تدل على نوع من التحقيق كان يقوم به حماد ومن معه ، نوع من التحقيق يتناول مذاهب الشعراء الأقدمين وأساليبهم فى صوغ الشعر لينتهى من ذلك إلى نسبة ما رواه الأعرابى إلى من قد يصح صدوره عنه .

٣ — تمحيص رواية ابن عبد ربه

يذكر ابن عبد ربه أن حماداً كان يقول : مامن شاعر إلا قد حققت فى شعره أبياتاً فجازت عنه إلا الأعشى أعشى بكر فإنى لم أزد فى شعره قط غير بيت وهو :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت
من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وأقول: هذه رواية لم ترد إلا فى كتاب ابن عبد ربه ؛ وما كان أجدرها ، إن كانت صحيحة ، أن ترد فى غيره من الكتب ، ولا سيا كتب المشارقة . ثم أقول : وهناك رواية أخرى تقول إن أبا عمرو بن العلاء هو الذى وضع ذلك البيت على الأعشى ، وإن شهد على نفسه بذلك . فهنا إذن روايتان ، تعارض كل منهما الأخرى .

فقد محصنا إذن تلك الأقوال والأخبار التى توردها كتب القدماء فى صدد انتحال حماد ، وانتهينا إلى أنها تقوم دليلا على أن حماداً كان بالغ الانتحال وكنا قدمنا لهذا التمحيص بأدلة عقلية ونقلية توحى بأن حماداً لم يكن بالغ الانتحال كذلك . وهكذا يكون قد استقام لنا التدليل على رأينا فى انتحال حماد ، من أنه لم يبلغ ذلك المدى الذى تصفه لنا كتب القدماء ؛ ومن أن ما صح منه كان صدى لحال الرواية فى عصر حماد واستجابة لنوازعها ، فإن حماداً لم يكن مشغوفاً بالانتحال عاكفاً عليه جاعلا له همه وقصده .

٦ — ما سر التحامل على حماد :

قدمنا فى صدد الكلام عن حياة حماد أنه كان ماجناً فاسقاً مستهتراً . ونقول هنا إن هذا بعض ما دعا القدماء إلى الشك فى روايته ، وإلى اتهامه بالانتحال . يقول السيوطى فى المزهر (ج ١ ص ١٦) : « ويؤخذ من هذا أن العربى الذى يحتج بقوله لا يشترط فيه العدالة ، بخلاف راوى الأشعار واللغات » . ومعنى هذا أن راوى الأشعار واللغات يجب أن يكون عدلا ، وإلا رفضت روايته . وحماد لم يكن عدلا ، لأنه كان ماجناً فاسقاً مستهتراً .

وأما تحامل المعاصرين له عليه ، وطعنهم فى روايته ، فهما مظهر من مظاهر الحسد والغيرة . فقد كان كثير الرواية ، بل كان أحفظ الجميع ، وكان لا يسأل عن شىء إلا عرفه . فلم يجد معاصروه مطعنا فى روايته من نقص وقصور ، ولم يمكنهم اتهامه بقلة الرواية ؛ فزعموا أن روايته غير صحيحة . وأنا أحب أن أنبه إلى أن هذه حال المتعاصرين من العلماء فى كل الأزمان والأقطار . والشواهد على هذا كثيرة فى أيامنا هذه . فقد ينفس الناس على أديب عبقريته ، فيرمونه بالكفر والمروق ، وقد ينفسون على كاتب إنتاجه الكثير ، فيزعمون أنه إنما ينقل عن الغربيين . هذا وذاك نسمعه فى عصرنا هذا ، وهو عصر مثل باقى العصور ، حاله حالها وناسه ناسها . واستمع إلى السيوطى وهو يقول (ج ٢ ص ١٠٤) : « وكان أبو زيد وأبو عبيدة يخالفانه ويناوئانه (الكلام عن الأصمعى) كما يناوئهما ، فكلهم كان يطعن على صاحبه بأنه قليل الرواية ولا يذكره بالتزيد » . فهذه حال أبى زيد وأبى عبيدة والأصمعى ، وهى حال ككل الأحوال ، لها نظائر فى كل العصور .

٧ — خاتمة :

هذا هو حماد كما طالعنا به البحث الطويل ، وهذا هو رأيى فيه وفى روايته . وهو دون ريب من أعظم رجال الرواية العربية ، ولاسيما رواية الشعر . ولئن كان قد طال الطعن عليه وعلى روايته ، فقد آن لنا أن نحييه ونحيى روايته .

ولكنى لا أترك القلم قبل أن أهدى هذا البحث إلى أستاذى الجليل الدكتور طه حسين بك ، وقبل أن أسأله رأيه فى مقدماته ونتائجه . وأنا أرجو أن يكون رأيه فىّ حسناً ؟ إنى إذاً لسعيدُ .

السيد يعقوب بكر

٥ - الزنـــدقه
فى عهد المهدى العباسى
للأستاذ محمد خليفة التونسى

الشعوبية والمجوسية — المجوسية وأطوارها بالاجمال — زرادشت ومانى ومزدك — انتشار المذاهب المجوسية قبل الاسلام وبعده إلى عهد المهدى .

بينا فيما تقدم[1] بعض أسباب الشعوبية التى كانت تدفع الفرس إلى كره العرب والسعى إلى اطراح حكمهم ودينهم ، وأشرنا إلى بعض مظاهر هذه الشعوبية ومنها كثرة انتقاضات الفرس على العرب طلباً للاستقلال ببلادهم ودينهم ونظمهم مما يدعونا إلى أن نسمى الحروب التى جرت بين الفريقين من جراء هذه الانتقاضات حروباً استقلالية ، لأن الاستقلال هو الهدف الذى كان يرمى إليه الفرس من جراء هذه الانتقاضات ، وأشرنا إلى بعض ما كان من سعى الفرس بطريق غير طريق القوة المباشر لكيد العرب وهدم سلطانهم السياسى والدينى ، ومن ذلك محافظتهم على كل ما هو فارسى يصلح للفخر على العرب به عند المفاخرة . ولم يكن همنا فى ذلك كله أن نفصل الكلام فى الشعوبية وأسبابها ونتائجها جميعاً بل الكشف عن العلاقة بين الشعوبية وبعض مظاهرها حتى لا تكون الزندقة التى نعتقد أنها أحد هذه المظاهر بدعة غريبة عن الشيوعية ، ولم نقل ما قلناه آنفاً من الكلام فى مظاهرها إلا لبيان أن الزندقة ليست المظهر الوحيد لها بل هى أحد مظاهرها ، فكما حاول الفرس كيد العرب بكل الوسائل التى أشرنا إليها ، والتى حال ضيق المقام عن الإشارة المفصلة إليها قبل — كذلك حافظوا على ديانتهم القديمة (المجوسية) ولهذه المحافظة أسباب : منها أنها أرضى لنفوسهم من المحافظة على كثير من مفاخر فارس القديمة التى فاخروا بها العرب ، وأرضى لعقولهم لأن ديانتهم أقرب إليها من الإسلام ، فإن المجوسية قد نبتت فى البيئة التى نبتوا فيها فهى منهم ولهم ، أما الإسلام فإنه بالرغم من أنه دين عام جاء للعرب والفرس وغيرهم — لم تستطع عقولهم أن تألفه كما ألفت المجوسية . ومن هذه الأسباب أن المجوسية كانت صلة قوية من الصلات التى تقفهم كتلة واحدة أمام السيل العربى المتدفق على بلادهم والذى قضى على استقلالهم وممالكهم ونظمهم ، وجاء بدين يحاول هدم عقائدهم . ومنها أن المجوسية سلاح خفى فالمحافظة عليها محافظة على سلاح أفتك بالإسلام والعرب وسلطانهم من كثير من الأسلحة التى جربوها فنجحوا حيناً وفشلوا أحياناً ، ولم يكن خافياً على دهاتهم ورؤسائهم أثر هذه الديانة من حيث هى صلة قوية بين الفرس ولا من حيث هى سلاح .

ولم يكن من الممكن أن تمحى هذه العقيدة من قلوب معتنقيها وعقولهم وهى منهم ولهم بمجرد إكراههم على تركها ، بل لم يكن ذلك ممكناً حتى لمن دخلوا فى الإسلام مخلصين له لأن النفس البشرية بحكم تكوينها تأبى أن يمحى منها عقيدة محواً تاماً لتحل محلها أخرى حلولا تاماً كما هى عليه فى صورتها الأولى ، بل المجرب والمشاهد والمستطاع أن تتقارب العقيدتان وتتداخلا على حساب كل منهما حتى تنسجما فى النفس البشرية بعض الانسجام وهذا مع الإخلاص وعلى أفضل حل مستطاع . والأكثر ألا تتغير من العقيدة القديمة إلا العناوين فتبقى كما هى ، ولا يدخل فى النفس من العقيدة الجديدة شىء بالرغم من التمسك بعناوينها فى الظاهر . وإذن فكيف بمن دخلوا فى الإسلام خوفاً أو طمعاً بل كيف بمن استطاعوا أن يؤدوا الجزية للفاتحين مع البقاء على دينهم ؟ ذلك لأن المجوس حين فتح فارس اعتبروا كأنهم أهل كتاب ، وإن لم يكونوا من الكتابيين : اليهود أصحاب التوراة والنصارى أصحاب الإنجيل — وهؤلاء الكتابيون هم الذين نص القرآن على أخذ الجزية منهم إذا أرادوا البقاء على دينهم ، ومع ذلك فقد سن القواد الذين فتحوا بلادهم سنة أهل الكتاب بهم حسب رأى الخليفة لأن كتابهم الذى سنذكره بعد قليل — وإن يكن غير منزل من السماء كما رأى المسلمون — يشبه الكتب السماوية ، ومن أجل ذلك فرضت الجزية على من شاء البقاء على مجوسيته واستطاع

(١) انظر ما كتبنا فى الشعوبية بالرسالة : العددان : ٦٤٤ و ٦٤٥ بعنوان « الزندقة فى عهد المهدى العباسى » .

دفعها أو أعفى منها لسبب من أسباب الإعفاء[١] فكانت هذه المعاملة من أسباب بقاء المجوسية يضاف إلى عوامل بقائها التى أشرنا إليها من قبل .

وقد بقيت مذاهب المجوسية التى سنتكلم فيها بعد قليل قائمة بعد الفتح الإسلامى لفارس زمناً طويلا ، فكانت بيوت النيران التى يعظمها المجوس تتقد فيها النيران ولها خدمها وسدنتها فى فارس تحت الحكم العربى الإسلامى ، وحسبنا مثلا خالد بن برمك وهو من أكبر دعاة الدولة العباسية وزعمائها والمشاركين فى قيامها وقد استوزره الخليفة العباسى السفاح (١٣٢ - ١٣٦ هـ) بعد قتل أبى سلمة حفص الخلال أول وزير فى الإسلام كما أشرنا إلى ذلك من قبل[٢] ، وكان خالد هذا كما قال الخضرى بك « من مجوس بلخ وكان يخدم النوبهار[٣] ، وهو معبد للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران فكان برمك وبنوه سدنة له » (محاضراته فى الدولة العباسية ص ١١١) .

وكان ذلك فى أوائل القرن الثانى الهجرى[٤] بل لقد ظلت بيوت النيران قائمة فى غير بلاد الفرس عند موت خالد بن برمك سنة ١٦٣ هـ[١] فى خلافة المهدى الذى نتكلم فى الزندقة على عهده ، فقد كان على خليج القسطنطينية من بلاد الدولة الرومانية الشرقية يومئذ بيت نار كان قد بناه سابور الجنود بن أردشير حين نزل على الخليج وحاصر القسطنطينية فى إحدى حروبه مع الروم ، وقد اشترط عليهم بقاءه فبقى إلى خلافة المهدى[٢] (١٥٨ — ١٦٩ هـ) الذى نتحدث بموضوع الزندقة فى عهده . بل ما زالت عبادة النيران فى الهند حتى القرن الثامن الهجرى وكان عبادها يسمون « الإكنواطرية[٣] » ، بل ما تزال فى بمباى بالهند طائفة من المجوس يتمسكون بمجوسيتهم ونيرانهم حتى اليوم ويسمون « الفرسيين[٤] » .

بل لقد تأدى بنا البحث إلى مكان لامناص لنا فيه من السؤال عن المجوسية وعما إذا كان لها من أثر فى تعاليم الزنادقة الذين ظهروا فى عهد المهدى .

ليس من همنا هنا أن نتبسط فى شرح المجوسية بل سنجمل القول فيها إجمالا ، وسنقتصر فى هذا الإجمال على التعاليم التى يمكن أن يكون لها بموضوعنا صلة . وأبادر فأنبه إلى أننا عاجزون عن فهم مدلول المجوسية بغير فهم أطوارها وفهم الرجال الذين تطورت على أيديهم ، وإلا فإن معنى المجوسية يظل محوطاً بكثير من الغموض والاضطراب ، فالحق أن المجوسية إنما هى أطوارها ، وهناك تعاليم مشتركة بين كل هذه الأطوار ، ولكن هناك أيضاً تعاليم تختص بها بعض الأطوار دون بعض ، فإذا أطلقنا المجوسية على التعاليم

---

(١) نهاية الأرب للنويرى ج ٨ ص ٢٣٨ (الطبعة الأولى لدار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣١) وكتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ص ٣٤٦ (طبعة الأستاذ محمد بدر بمطبعة المعارف سنة ١٩١٠) وانظر أيضاً كتب الفقه الاسلامى عند كلامها فى الجزية وكتب التاريخ المبسوطة عند كلامها فى فتح فارس فى عهد عمر ، وكتب التفسير عند كلامها فى شرح الآية : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ويظهر أن الخلفاء والسلاطين المسلمين كانوا يرون وجوب معاملة المجوس على هذا النحو حتى القرن الثامن الهجرى وربما بعده بدليل ما ذكره النويرى المتوفى سنة ٧٣٣ هـ عند كلامه على ما يلزم مباشر الجوالى وهو الصيرفى الموكل بجمع الجزية من أصحابها (نهاية الأرب ج ٨ ص ٢٤٢) .

(٢) « الزندقة فى عهد المهدى العباسى » العدد ٦٣٧ من الرسالة .

(٣) هو بيت من بيوت النار بناه الفرس بمدينة بلخ عند نهر جيحون على مثال البيت الحرام بمكة وبيت المقدس بالشام ، وقد فصل القول فيه فى كتاب معجم البلدان لياقوت (حرف النون) ومروج الذهب (ج ٤ ص ٤٧ — ٤٩ طبع باريس) وكتاب البلدان للهمدانى (ص ١٥٧ ، ٣٢٢ — ٣٢٤) .

(٤) الدولة العباسية قيامها وسقوطها . للأستاذ حسن خليفة ص ٦٧ (الطبعة الأولى)

(١) محاضرات الخضرى بك ص ١١

(٢) كتاب نهاية الأرب النويرى ج ١ ص ١٠٢ وما يليها ، وكتاب مروج الذهب للمسعودى (طبع باريس) ج ٤ ص ٧٢ وما يليها

(٣) المصدران السابقان كلاهما ، وجاء فى هامش الصفحة ١٠٣ من نهاية الأرب ج ١ أن المترجم الألمانى لكتاب الملل والنحل أفاد أن كلمة « الاكنواطرية » مأخوذة من « أجنيهترا » وهى النار المقدسة « أى النار التى تتأجج إكراماً للاله « أجنى »

(٤) تاريخ الفلسفة للأستاذين محمد على مصطفى والمرحوم أحمد عبده خير الدين ص ٣٩ (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٣ م) وهذه التسمية تشير إلى أصلهم وأصل مذهبهم الفارسى . وكفى بها دليلا على الصلة بينها وبين العقائد الفارسية وفارس موطنها الأول الذى خرجت منه والصلة بين فارس والهند قوية منذ أقدم العصور حتى الآن ، هى أشهر من أن تحتاج إلى دليل ، وكذلك الصلة بين معتقدات الهنود والفرس ، فقد أخذ كل فريق عن الآخر وأثر فيه وتأثر به معتقدا وفنا وصناعة .

المشتركة دون غيرها أخرجنا عنها ما هو منها ، وإذا أطلقناها على كل التعاليم عامة وخاصة أدخلنا فيها ماليس منها أو وجدناها أمامنا مضطربة متناقضة فى جملتها وتفصيلاتها .

كما أبادر فأنبه إلى أنى غير مستريح إلى اعتبار المجوسية على اختلاف أطوارها ديانة من الديانات ، لا لأنها غير سماوية ولا لأنها متناقضة ، ولا لأنى مسلم مضطر إلى عدم الاعتراف بها ، فقد أعترف بها كدين الصحابة الأولون وعاملوا أهلها كما عومل أصحاب الدينين السماويين اليهودية والمسيحية ، ولكنى لا أستريح إلى اعتبارها ديانة لأن الديانات تكاد تكون خصيصة سامية ، فموسى والمسيح ومحمد — عليهم السلام — الذين أرسلهم الله بأعظم الديانات السماوية كانوا ساميين ، وهناك سبب آخر هو أن المجوسية على اختلاف أطوارها لم تستوف معنى الديانة الكامل كما نفهم من هذه الكلمة عند إطلاقها . وأقرب إلى الصواب فى نظرى أن ندعوها فلسفة أو نزعة عقلية أو نزعة فنية ، فهى لا تهتم كالديانات بحل المشاكل الغيبية ، ولا تتطلع إلى ماوراء الطبيعة وفوق العقول بل إنها تحصر اهتمامها حصراً فى العالم الذى أمامها وتحاول أن تتعرفه من طريق الحواس ، كى تخلص من ذلك إلى الامتزاج به والانغماس فيه ، وهذه هى النزعة التى تسلطت على العقل الآرى فى كل العصور .

من طريف ما أذكر هنا أنى قرأت فى كتاب (فى أصول الأدب) للزيات أن فولتير فى روايته (زيير) مثل عقد زواج بين رجل وامرأة على الطريقة الإسلامية فوصف أنه كان بأحد المساجد ، وقد تسرب اليأس إلى ذهن المؤلف المسيحى من أنّ العادة فى الزواج عند المسيحيين أن يعقد فى الكنائس فقاس المساجد عليها فى عقود الزواج بين المسلمين(١) وشبيه بهذا المؤلف وما تصور من ذهب من العرب إلى اعتبار المجوسية ديانة كالإسلام واليهودية والنصرانية قبله ، ومن ثم وقعت أخطاء كثيرة فى فهمها .

تنتمى الأمة الفارسية إلى الجنس الآرى ، وقد سكنت إيران وما حولها قبل الإسلام بقرون كثيرة ، وبالرغم من أنا لا نرى كل ما ارتآه الفيلسوف الفرنسى رينان من الفروق الكثيرة بين العقل السامى والعقل الآرىّ — لا نستطيع أن ننكر أن ثمة فروقاً بينهما . يرى الفيلسوف الهندى رابندرانات تاجور فى كتابه « السدهانا » عند كلامه فى أصول الفلسفة البرهمية القديمة أن الآريين القدماء عند ما نزلوا الهند وجدوها مكشوفة بغاباتها وأنهارها وغدرانها ، فكان من ذلك أن وجدوا أنفسهم جزءاً منها فحاولوا الامتزاج بها والاندماج فيها ، وكان لذلك أثره فى فلسفتهم وعقولهم وخيالهم وحضارتهم ، وكذلك يقال فى الآريين الذين نزلوا فى إيران والذين يسمون الفرس أو الإيرانيين ، فقد أحبوا الطبيعة ، وعبدوا قواها ، وحاولوا أن يندسوا فيها بفهمها على اعتبار أنهم جزء منها وأنهم مثلها ، والاتصال بها من طريق الحواس؛ ومن ثم جاءت فلسفتهم حية لا تؤمن بغير الحواس ، وتحرص على التثبت أكثر مما تحرص على الاعتقاد ، وتحاول أن تقف منها على أنها جزء منها لا أنها شىء خارج عنها يجب أن تخضع له وتلق قيادها إليه . ولأمر ما لم تنجح المذاهب المجوسية المختلفة فى الانتشار بين العرب الساميين بالرغم مما كان للفرس من سلطان سياسى وأدبى ومالى عليهم ، وبالرغم من الاختلاط بينهم قروناً عدة قبل الإسلام ولا سيما فى العراق واليمن وبالرغم من أن العرب ظلوا يدينون بديانات وثنية أثناء هذا الاختلاط حتى جاء الإسلام .

إن كل ما ورد من مذاهب المجوسية ينبىء أول ما ينبىء عن أن الفرس الآريين عشقوا الطبيعة عشقاً قوياً ، وأن هذا العشق القوى هو الذى دفعهم إلى تصورها على الهيئة التى عليها تصوروها ، والتعبير عنها على النمط الذى به عبروا عنها ، وكان أعظم ما لفت أنظارهم الشمس ، فقد رأوها أعظم الأشياء ، ووجدوا لها من المنافع ما لم يجدوا لغيرها ، فقدسوها وأسندوا إليها كثيراً من الصفات الإلهية ، ومن أجلها عشقوا النور وعظموه وعبدوه وأسندوا إليه كل خير كما أسندوا إلى ضده الظلام كل شر ، أوهم رمزوا بالنور إلى كل خير وبالظلام إلى كل شر ، ونحن نعلم أن الرموز تنقلب بتطاول الزمن رسوماً وتقاليد جافة وتمحى منها صبغتها الفلسفية والفنية ، وتقدس لذاتها ولو لم يفهم مدلولها ، بل تقدس لذاتها ولو لم تحقق مدلولها المقصود فى البدء ، ويكون لها بعد جودها الإجلال وحدها دون المعانى المستترة وراءها ، وهذا ما جرى ويجرى فى كل زمن على الفلسفيات والديانات والفنون ونحوها ولا سيما على أيدى عوامها ، وكل إنسان يرى حتى فى الحياة اليومية أمثلة لهذه الإنتكاسات العقلية بين العامة بل الخاصة فى كل صقع من الأرض .

(١) فى أصول الأدب ص ١٧٢ .

ويظهر لي أن هذه العقائد والنزعات المجوسية أقدم عند الفرس من تاريخهم المعروف ، فهنالك فرقة من المجوس تسمى الكيومرثية نسبة إلى كيومرث(١) ترى أن للعالم إلهاً قديماً خالقاً أضافوه إلى النور وسموه « يزدان(٢) » وهو يقارب الله عند غيرهم ، وإلهاً مخلوقاً — خلقه يزدان — أضافوه إلى الظلمة وسموه « أهرمن(٣) » وهو يقارب إبليس عند غيرهم ، وقد نسبوا إلى الأول الحياة والحكمة وكل خير وبركة في العالم ، كما نسبوا إلى الثاني الموت والفساد والجهل وكل شر وفتنة وضرر وإضرار(٤) .

ولتقديس الفرس النور بنوا بيوت النيران وعبدوها حتى قبل ظهور زرادشت أول حكيم بعيه التاريخ من حكمائهم ، وسنتحدث به وبمذاهبه إجمالا إن شاء الله فيما سيلي ، ونحن حقيقون قبل الكلام في مذهبه أن نقف هنا لنعلق على العرض السابق لما كان قبل زرادشت بما يمكن أن نفهم منه ، وينبغي ألا نقف عند هذه المناوين التي تبدوا لنا في الآراء المجوسية قبله بل تنطلق إلى ما وراءها ، وإلا كنا كالعوام وأشباههم ممن يقفون عند الظواهر دون التعمق إلى البواطن .

ينبغي أن نفهم من عرض ما قدمنا أن الفرس منذ القدم وحين نزعوا هذا النزع كانوا أولا عشاقاً للطبيعة ، وكانوا يؤمنون بتضاد الأشياء وتعاقبها ، ورمزوا لذلك بأشد ضدين بروزاً وتعاقباً في كل ما رأوا وهما النور والظلمة ، فهذان الضدان أبرز من كل ضدين في الكون ، وتعاقبهما أوضح من تعاقب كل ضدين ، فهم لم يحاولوا التهجم على عالم الغيب المستور الذي لا تنزع عقولهم — وهم عشاق الطبيعة ومظاهرها المحسوسة إلى الضرب في آفاقه الغامضة ، والاهتداء إلى مضامينه المستورة ، ومن أجل ذلك نفضل ألا نسمي آثار المجوسية ديانة بل فلسفة لأنها نزعة عقلية بل نزعة فنية شعرية تعبر عن عشق مفرط للطبيعة واستجابة لآثارها وإعجاب بها وطرب لها عن فهم حيناً وعن غير فهم أحياناً ، وهذا هو الأليق بالعقلية الفارسية الآرية .

محمد خليفة التونسي

---

(١) كيومرت أوجيومرت هو عند الفرس مبدأ النسل كآدم أبي البشر عند غيرهم ، وهو أول ملوكهم فيما زعموا ، ويسندون إليه كثيراً من الوصايا والتعالم والمناقب ، وفي مروج الذهب للمسعودي كلام طويل في كيومرت وما ينسبه إليه الفرس من أساطير ، وقد أورده في فصل « ذكر ملوك الفرس وجمل من أخبارهم » انظر (مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٦ « طبع باريس ») و (هذا الكتاب أيضاً على هامش نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٤ « طبع المطبعة الأزهرية المصرية — الطبعة الأولى سنة ١٣٠٢ هـ ») فالفرس ينسبون عقائدهم إلى مبدأ البشر إشارة إلى قدمها .

(٢) يزدان يسمى في بعض الكتب مزدا أو أهورامزدا أو هرمز وهو إله الخير أو إله النور ، ويقول القلقشندي إن معنى يزدان النور .

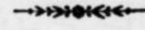
(٣) أهرمن يرسم في بعض الكتب أهريمان وهو إله الشر وإله الظلام ، ويقول القلقشندي إن معنى أهرمن الظلمة .

(٤) راجع كل ذلك في كتاب « صبح الأعشى للقلقشندي » ج ١٣ ص ٢٩٢ ، وانظر في اعتقادهم بالنور والظلمة وما ينسبون إليهما ما جاء في المجوسية والثنوية في كتاب « الفرق بين الفرق » لعبد القاهر البغدادي ص ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ٢٠٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .

من أبلغ ما قيل فى تكريم مؤلف العباسة :

ذكريـــات . . .

للأستاذ كامل كيلانى



كنا نسمر — أيها السادة — فى حلوان — ذات ليلة — مع الصديق الكريم « جمال الدين أباظة بك » رضى الله عنه ، فى دار شاعرنا « عزيز باشا » أعز الله به دولة الأدب ، قبيل نشوب هذه الحرب العالمية الطاحنة — لا أعاد الله مثلها ، على عالمنا الأرضى المنكوب .

ولم يكد يستقر بنا المقام حتى لمحنا أجزاء من كتاب الأغانى ، على مكتب شاعرنا الموهوب .

فالتفت إلى صديق جمال بك ، وقلت له : أليس من العجيب أن الإنسان لا يكاد يفتح صفحة من صفحات هذه الكنوز الأدبية الخالدة ، إلا وقعت عينه على درة من عيون البيان العالى تملأ نفسه روعة وسحراً ! » .

قلت هذا — أيها السادة — وأنا قليل الثقة بتوفق إلى مفاجأته بجديد من روائع هذا الكتاب !

فما أكاد أعرف فى كل من عرفت من أدبائنا المعاصرين أوسع منه اطلاعا على الأدب العربى : شعراً ونثراً ، وقد كدت أقول : « والأدب الفرنسى » لولا فرط حرص على اصطناع الدقة ، وإسراف بالغ فى توخى القصد والاعتدال حتى لا يقال : ولكن من أحب الشىء حابى .

وهو — أعني جمال الدين — لقوة حافظته وسعة محفوظه ، يكاد يستوعب الصفوة المختارة من طرائف الأدب العربى ، لاسيما كتاب الأغانى فهماً ودراية ، وحفظاً ورواية .

وربما ذكرت له الطرفة المستملحة الغريبة فإذا به — لتثبته من حفظها وروايتها — أسبق من قارئها إلى تلاوتها .

***

ففتحت كتاب الأغانى — أيها السادة — لأقرأ — لصديق جمال — أول ما تقع عليه عيناى .

فإذا بيتان من شعر قيس : شاعر الحب الخالد يتألقان فى صفحة الكتاب كما يتألق القمر فى صفحة السماء ، ليلة البدر أو ليلة السواء .

وإليكم البيتين أو على الأصح ، إليكم الدرتين :

« بكيت . نعم بكيت . وكل إلف — إذا بانت أليفته بكاها
وما كان التباعد عن تقالٍ — ولكن شقوة بلغت مداها »

فترنح صاحبى جمال وترنحت ، وانتشى برحيق الفن وانتشيت . ورحنا نردد البيتين مأخوذين بفنهما الصادق وأسلوبهما الفاتن الذى يفيض سحراً وإبداعاً ، ويلتهب وجداً والتياعاً

وقلت له فيما قلت : « ألا ترى فى قوله : « شقوة بلغت مداها » قصة الحياة كلها مجلوة على إيجازها فى ثلاثة ألفاظ ! ألا ترى فى هذه الألفاظ القليلة وجازة صادقة لمأساته الفاجعة فى لبنى ؟ ألا ترى كيف تألفت منها صورة كاملة يكاد القلب يذوب لها أسى ، وتفنى النفس حسرة على قائلها المبدع العظيم ؟ أليست مأساة قيس ولبنى — على الحقيقة — شقوة بلغت مداها ؟

وهنا دخل شاعرنا المحتفل به وقد سمع آخر الحوار فقال : ما أصدق ما تقولان ! فان فى هذا الشطر وحده قصة كاملة تلخص مأساة قيس ولبناه ، وتكاد تلخص كل قصة من قصص الحياة!

ثم تلا البيتين فى تأثر وإعجاب فى صوت متهدج يكاد يجهش بالبكاء . وكأنما كان يقرأ فى ألفاظهما سطوراً من صحف الغيب :

« وللنفس حالات تريها كأنها — تشاهد فيها كل غيب ستشهد »

ودارت الأيام وألمت بشاعرنا المحبوب من الأحداث والخطوب : شقوة بلغت مداها .

فكأنما صهرت النار المتأججة منجما ذهبياً حافلا بأروع الكنوز ، فأخرجت منه ما فيه من النفائس الغالية سبائك من النضار خالصة من كل شائبة .

وكم ألهبت الحوادث من مناجم فحمية أخرى فأحالتها رماداً تقذى بذراته العيون ، وتتقزز لمنظره النفوس .

أيها السادة : لقد أصاب المثل القائل : « كل ما لم يقتلك فهو ينفعك » وصدق الكتاب الكريم « فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » لقد كانت شقوة بلغت مداها . فأحالها الفن العالى : نعمة بلغت مداها .

« والنحل يجنى المرّ من نَوْر الرُّبى — فيعود شهداً فى طريق رضابه »

كامل كيلانى

أغاني السكرى

للمرحوم أبى القاسم الشابى

قد سكرنا بحبنا واكتفينا   يامدير الكؤوس فاصرف كؤوسك
واسكب الخمر للعصافير والنحـ   ـل وخل الثرى يضم عروسك

ما لنا والكؤوس نطلب منها   نشوة والغرام سحر وسكر ؟!
خلنا منك فالربيع لنا با   ق وهذا الفضاء كأس وخمر !

نحن نحيا كالطير فى الأفق السـ   ـاجى وكالنحل فوق غض الزهور
لا ترى غير فتنة العالم الحى   وأحلام قلبها المسحور

نحن نلهو تحت الظلال كطفليـ   ـن سعيدين فى غرور الطفوله
وعلى الصخرة الجميلة فى الوا   دى وبين المخاوف المجهوله

نحن نغدو بين المروج ونعدو   ونغنى مع النسيم المغنى
ونناجى روح الطبيعة فى الكو   ن ونصغى لقلبها المتغنى

نحن مثل الربيع نمشى على أر   ض من الزهر والرؤى والخيال
فوقها يرقص الغرام ويلهو   ويغنى فى نشوة ودلال

نحن نحيا فى جنة من جنان السـ   ـحر فى عالم بعيد بعيد
نحن فى عشنا المورد نتلو   سور الحب للشباب السعيد

قد تركنا الوجود للناس فليقـ   ـضوا عليه الحياة كيف أرادوا
وذهبنا بلبه ، وهو روح   وتركنا القشور ، وهى جماد

قد سكرنا بحبنا واكتفينا   طفح الكأس فاذهبوا ياسقاةُ
نحن نحيا فلا نريد مزيدا   حسبنا ما منحتنا يا حياةُ

حسبنا زهونا الذى يتثنى   حسبنا كأسنا التى نترشف
إن فى ثغرنا رحيقاً سماويـ   ـا وفى قلبنا ربيعاً مفوف

أيها الدهر أيها الزمن الجا   رى إلى غير وجهة وقرار
أيها الكون أيها الفلك الدو   ار بالفجر ، والدجى ، والنهار

أيها الموت . أيها القدر الأعـ   ـمى ! قفوا حيث أنتم أو فسيروا
ودعونا هنا تغنى لنا الأحـ   ـلام والحب والوجود الكبير

وإذا ما أبيتمْ فاحملونا   ولهيب الغرام فى شفتينا
وزهور الحياة تعبق بالعطـ   ـر وبالسحر والصبا فى يدينا

ألوان ...

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

من رسالة

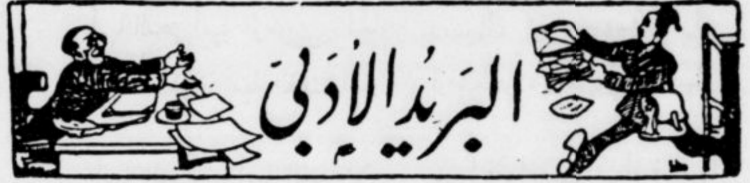
أطفأتِ مصباحى وكنتُ أضأته   لكِ من لهيب مودتى وغرامى
أطفأتِ مصباحى وكنتُ رفعته   فى معبدٍ للحب والأحلام
وهدمتِ محرابى وكنتُ أؤمه   والشوق ينبض فى دمى وعظامى
إن الذى أغراكِ بالفأس التى   أعملْتِها ... أغراكِ بالإعدام

إليها ...

لم أقْوَ حتى على البكاء   يا فتنة الأرض والسماء
قد أعوزتنى دموع عينى   وثار بى ثائرُ العناء
واسوَدَّ فى خاطرى عزاء   كم كنتُ ألقاهُ كالضياء
فاستمطِرى اللهَ لى شفاء   مما تعالى على الشفاء

بردة السَّحر

نسجتْ يدُ السحَرِ الخفيةُ بردةً   حول السماء رقيقة ملساء
مثل النعومةِ تُستشفُّ ولا تُرى ..
الفجر يزلقُ فوقها أضواء
حاكَ السكونُ خيوطَها مطروحةً
فوق المدينةِ تنثرُ الأنداء
إن مسَّها صوتٌ طوتها قبضة   فى الغيب توقظ بعدها الأحياء



الانتحال :

جاء فى بحث (حماد الراوية) فى الرسالة (٦٤٩) فى ترجمة فصل عنوانه أن حماداً اشتهر بالانتحال ، وإنما الذى اشتهر به حماد هو النَّحل ، وهو أن ينْحل الرجل شعره غيره وينسبه إليه ، وأما الانتحال فهو أن يدعى لنفسه شعر غيره ، وقد فشا هذا الخطأ واستفاض من يوم خرج كتاب « فى الشعر الجاهلى » الذى تبدل اسمه بعد فصار (فى الأدب الجاهلى) ، ولم يكد يتبدل مسماه ، كما فشت من يومئذ أخطاء أخرى ...

على الطنطاوى

الأمير خالد الجزائرى :

من حق التاريخ علينا — وقد مضى على وفاة الأمير خالد الجزائرى عشرة أعوام كوامل — أن نذكره ، فتاريخه تاريخ للحركة الوطنية فى الجزائر : كان أصول الأمير شيوخ العلم فى الجزائر ، وكان جده السيد عبد القادر أميرها وبطلها المشهور (١) ، وقد جرى السليل على أعراق سلفه من الحمية الدينية والغيرة الوطنية والبطولة وثبات العزم وحب العلم والعلماء

حذق الفنون الحربية فى أرقى كلياتها حتى أحرز أعلى شهاداتها ونال أرفع درجاتها ، وتوفر على إتقان اللغة الفرنسية ، حتى إنك لتخاله إذا خطب بها ميرابو خطيب الثورة الفرنسية ، فأعانه ذلك فى توجيه نهضة الجزائر الأدبية

قامت النهضة الجزائرية وتنبهت البلاد على حقوقها الطبيعية ؛ وما كانت معالجة الأمور بهينة ، ولا استخلاص الحقوق بيسير ، ولا توجيه العواطف الملتهبة فى الوجهة الصالحة ليمكن إلا للرجل العالم بمسالك تلك الشؤون ، فاستطاع أن يعالج ذلك ويرسم الطريق فلم تكن إلا سنوات بين شد وجذب حتى بلغت الجزائر نهضتها .

كانت الجزائر فى اضطرار إلى علمه وبصره وشجاعته وحسن تصريفه ، حتى إذا ما كادت تصل إلى مبتغاها ومنتهى أملها ، خشيت فرنسة مغبة ذلك عليها فنفوه . ولكن غيرته لم تفتر ، فقام بما يجب عليه للاسلام والجزائر فى غضون إقامته بمصر والشام

رحم الله الأمير خالداً ، لقد كان — حتى فى شيخوخته — تنبض الحيوية فى حركاته ، ويفيض الشباب فى كلماته ، ويتأجج العزم فى نظراته

والميزة التى كان يتفرد بها — برد الله مضجعه — قوة إيمانه وشجاعته ، ومن مفاخره فى ذلك أنه لما نشر أحد الفرنج من ذوى الدخلة الخبيثة مقالة مس بها شأن النبى محمد عليه صلوات الله وسلامه ، هب الأسد قائلا له : المبارزة ! المبارزة ! بالسلاح الذى تريده ! غضبة بطل طار خبرها فى الآفاق ، ورو تها الصحف والجماعات ، فارتاع النذل وانهتك حجاب قلبه من الفزع ، فأعلن اعتذاره واستغفاره ، والأمير بهذا العمل يقف وحده فى طليعة الغير على الإسلام .

وهو إلى ذلك متواضع قائم بواجباته الدينية ، محافظ على لباسه الإسلامى العربى . عوض الله الإسلام منه خير عوض ، وأجزل له المثوبة .

محمد عارف الحسينى

إلى الأستاذ محمد عبود :

عرضت — أيها الأستاذ الفاضل — فى كلمة لك نشرت بالعدد ٦٥٠ من «الرسالة» إلى الحديث الذى نقله الأمير الجليل شكيب أرسلان فى كتابه الارتسامات اللطاف من كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد عن الزبير ، وهو « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » ، وإلى ما قاله وهب ابن جرير فى حديثه عن الزبير « والله ما قال متعمداً » ، وإن السيد رضا رحمه الله قد علق على هذه الرواية بأن الحديث متواتر تواتراً صحيحاً بهذه الزيادة ، وإن من رواها عن الزبير نفسه البخارى وغيره . وإن وهباً هذا قد تكلم فيه بعض رجال الجرح والتعديل ، فقال فيه ابن حيان :

---

(١) وضع مؤلفو الفرنج نحو ثلاثين كتاباً فى دراسة سيرة هذا البطل ومن العجيب أن نجل الأمير الذى نفى معه منذ عشرين سنة ونيف لا زال بدمشق إلى اليوم ، والفرنسيون يأبون عليه العودة إلى وطنه الجزائر .

إنه كان يخطئ ، ثم طلبت منى — أيها الفاضل — أن أبين رأيى فى هذا كله .

وإنى بعد الذى كتبته رداً على الأستاذ أبى شهبة فى هذا الموضوع مما قد ينفع بعضه فى الإجابة عما تسألون[1] ، أذكر هنا كلمة قصيرة تكون تماماً على ما كتبنا .

إن رواية ابن سعد التى جاءت فى الطبقات تتفق ورواية البخارى فى نسخته المتداولة بين الناس فى أن هذه الزيادة ليست فيهما . وإذا كان وهب بن جرير قد تكلم فيه بعض رجال الجرح والتعديل فانه قد ثبت فى تاريخه أن أئمة كباراً قد أخذوا عنه ، وأن ابن معين والعجلى والنسائى وغيرهم قد وثقوه . على أن ابن حبان نفسه قد تكلموا فيه !

والذى يستوفى البحث فى كتب الصحاح والسنن يجد أن هذا الحديث قد جاء بروايات كثيرة مختلفة منها حديث عمر وهو « من كذب على فهو فى النار » وحديث على « لا تكذبوا علىّ فانه من كذب على فليلج النار » وحديث عثمان وقد قاله على المنبر وهو « لا يحل لأحد روى حديثاً لم يسمع به فى عهد أبى بكر ولا عهد عمر فانه لم يمنعنى أن أحدث عن رسول الله (ص) ألا أكون من أوعى أصحابه ألا أنى سمعته (ص) يقول « من قال علىّ ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار » وحديث أبى هريرة وهو « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وغير ذلك أحاديث كثيرة حمل بعضها هذه الزيادة وجاء بعضها بغيرها ، والروايات التى جاءت عن عمر وعلى وعثمان والزبير وغيرهم من كبار الصحابة قد ظهرت كلها بغير هذه الزيادة .

وأن ممن روى عن الزبير إنكاره لهذه الزيادة الدارقطنى الذى قال فيه الحافظ بن حجر إنه كان حافظ عصره وروايته « والله ما قال متعمداً وأنتم تقولون متعمداً » وابن قتيبة الذى قال فيه الذهبى أنه صدوق . وقال فيه الخطيب ، كان ثقة ديناً وروايته « إنهم يزيدون فيه متعمداً ووالله ما سمعته قال متعمداً » .

وقال الحاكم فى المدخل « ... أن موعد الكاذب عليه فى النار وقد شدد (ص) فى ذلك وبين أن الكاذب عليه فى النار ؛ تعمد الكذب أم لم يتعمد فى قوله فيما رواه ابن عمر « ان الذى يكذب علىّ يبنى له بيت فى النار » وقد زاد تشدداً بقوله فيما رواه عثمان بن عفان « من قال علىّ ما لم أقل فإنه إذا فعله غير متعمد للكذب استوجب هذا الوعيد من المصطفى . ومن روايات هذا الحديث « من نقل عنى ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار » قالوا وهذا أصعب ألفاظه وأشقها لشموله للمصحف واللحان والمحرّف .

أما — تواتر — هذا الحديث سواء أكان بهذه الزيادة أم بغيرها ، فانهم (لم يجمعوا عليه) قال الحافظ بن حجر[1] « ولأجل كثرة طرقه أطلق عليه (جماعة) أنه متواتر ونازع بعض مشايخنا فى ذلك لأن شرط التواتر ، استواء طرفيه وما بينهما فى الكثرة ، وليست موجودة فى كل طريق منها بمفردها . ويتبين مما قاله ابن حجر من أطلق على هذا الحديث أنه متواتر إنما هم (جماعة) وليس ثم إجماع وأن هذه الجماعة لم تسلم من منازعة بعض شيوخه .

(المنصورة) **محمود أبو رية**

فى قصيدة الغزالى

أتحفتنا الرسالة بقصائد ثلاث مما ألقاه شعراؤنا فى حفل تكريم شاعر « العباسة » المبدع عزيز أباظة باشا . ومن بين هذه القصائد قصيدة الشاعر أحمد عبد المجيد الغزالى التى مطلعها :

طلعت بأفق العبقرية صاعداً فأدركت مجديها طريفاً وتالداً

وهى فى الحق قصيدة جيدة لعلها من عبقريات شاعرنا الغزالى ، بيد أنه وقع فى خطأ يسميه العروضيون « سناد التأسيس » فى بيتين من قصيدته الجميلة إذ يقول :

كأن به فى حلة الملك رافلا يخب بدنيا ليس يدنو لها مدى
عوالم هذا العصر أنت وسمتها بفنك لم تعجز لساناً ولا يدا

فتراه قد أهمل فى هذين البيتين ألف التأسيس التى تراها فى كلمة الروى « تالداً » والتى كررت فى كل أبيات القصيدة خلا هذين البيتين ...

ومنى على الشاعر تحية وسلام .

محمد محمود رضوان

---

(١) (الرسالة) : جاءنا رد الأستاذ أبى رية على الأستاذ أبى شهبة فى حينه ولكننا أخرناه سهوا وسننشره فى العدد الذى يلى الممتاز .

(١) والكلام فى مثل هذه المسائل يطول ولكنا نميل إلى جانب وهو كاف لمن يريد أن يقتنع .

فهرس الموضوعات للسنة الثالثة عشرة من الرسالة